معهد تونس للترجمة
تونس

رونالد لانقاكر

مدخل في النّحو العرفنيّ

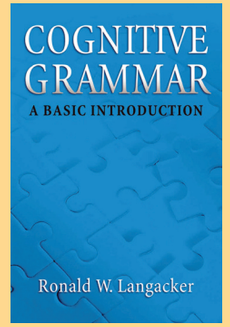
ترجمة
الأزهر الزّنّاد
مراجعة
الحبيب عبد السّلام

مقال اللغويين
دار سيناترا

رونالد لانقاكر

مدخل في النّحو العرفنيّ

مدخل في النّحو العرفنيّ



هذا الكتاب مدخل في نظريّة النّحو العرفنيّ (*Cognitive Grammar*) يفيد الباحثين المبتدئين في اللّسانيّات والمختصّين فيها وفي الحقول المعرفيّة المجاورة لها (علم النّفس، الفلسفة، علم الاجتماع، إلخ.)، بما يتضمّن من مادّة علميّة عميقة دسمة متنوّعة عمل صاحب النّظريّة رونالد لانغاكر (*Ronald W. Langacker*)، على بلورتها طيلة خمسة عقود من الزّمن في دروسه وبحوثه. ولذلك كان الشّمول في مسائل هذا الكتاب بيّنا، من حيث التّفاعل الكائن بين الذّهن والعالم المادّيّ، وبين مختلف الملكات الذّهنيّة وملكة النّحو باعتبارها جزءا لا يتجزّأ من النّظم الرّمزيّة المشتغلة في العرفنة البشريّة؛ ومن حيث الأبعاد الواقعيّة الفيزيائيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة في اللّغة باعتبارها ملكة من ملكات رمزيّة كثيرة متفاعلة متكاملة متكافئة؛ ومن حيث الظّواهر اللّغويّة في تنوّعها عبر اللّغات.

وفيه إلى جميع ذلك وضوح بيداغوجيّ في العرض، ومتانة في الطّرح، لما قام عليه من تدرّج عبر تجلّيات اللّغة في مستوياتها المختلفة الصّوتيّة منها، والمعجميّة، والإعرابيّة، فالخطابيّة بما تطرحه معالجتها من مداخل دلاليّة متكاملة فيها التّصوير الذّهنيّ، والتّخييل، وانبناء الواقع، والتّفاعل، والخطاطيّة والطّرازيّة، والأعمال اللّغويّة المختلفة، وانتهاءً بعوالم الخطاب الشّاسعة.

وفيه فوق جميع ذلك، تناولٌ للظّاهرة اللّغويّة، تنفتح به نوافذ أخرى تختلف في منطلقاتها وفي نتائجها عن المألوف عند المشتغلين باللّسانيّات في أطر نظريّة أخرى. ولعلّ في تعريب هذا الكتاب رافدا أساسيّا في ترسيخ الجهود الّتي ما انفكّ المترجم يبذلها منذ عقدين في تجديد الدّراسات اللّغويّة في البلاد العربيّة، تدريسا وتأليفا وترجمة.

رونالد لانقاكر

لسانيّ أمريكيّ (قسم اللّسانيّات، جامعة كاليفورنيا بسان ديغو). ولد في 27 ديسمبر 1942، وهو من أبرز الأعلام المؤسّسين لتيّار اللّسانيّات العرفنيّة، ولجمعيّة اللّسانيّات العرفنيّة العالميّة الّتي كان رئيسا لها مدّة عامين (1997- 1999). وهو معروف بنظريّته الموسومة بالنّحو العرفنيّ. وله فيها مقالات وكتب كثيرة، منها:

Foundations of Cognitive Grammar, vol. 1 (1987), vol. 2 (1991); *Concept, Image, and Symbol* (1991); *Grammar and Conceptualization* (1999); *Cognitive Grammar: A Basic Introduction* (2008); *Essentials in Cognitive Grammar* (2013).

الأزهر الزّنّاد

أستاذ التّعليم العالي بجامعة منّوبة (الجمهوريّة التّونسيّة)؛ مدرّس باحث في اللّسانيّات العرفنيّة وفي التّرجمة، له مقالات وكتب بلغات متنوّعة، وأعمال عديدة في التّرجمة. من كتبه: دروس في البلاغة العربيّة (1992)، نسيج النّصّ (1993)، الإشارات النّحويّة (2005)، نظريّات لسانيّة عرفنيّة (2010)، فصول في الدّلالة (2010)، نصوص في التّرجمة من الإنجليزيّة (2010)، النّص والخطاب: مباحث لسانيّة عرفنيّة (2011)، اللّغة والجسد (2017)، الفعل في اللّغة العربيّة (2017)، المنوال الاحتماليّ في انتظام المعجم العربيّ (2017). ومن أعماله في التّرجمة: كلود حجّاج: بُناة اللّغة (2010)، مارك تورنر: مدخل في نظريّة المزج (2013).

9789938877373

؟؟ د.ت. أو ما يعادلها

مدخل في النّحو العرفنيّ

معهد تونس للترجمة

رونالد لانقاكر

مدخل في النّحو العرفنيّ

ترجمـــة
الأزهر الزّنّاد

مراجعة
الحبيب عبد السّلام

دار سيناترا

لانقاكر، رونالد، **مدخـــل في النّحو العرفنيّ**، ترجمة الزّنّاد، الأزهر – مراجعة عبـد السّـلام، الحبيـب – الحجـم: 15.5x24 سـم، عـدد الصفحـات:924 صفحة – منشـورات دار سـيناترا – معهد تونس للترجمـة، تونس 2017، ط.1 – سلسلة **مقالات اللغويين**.

ر.د.م.ك.: 978-9938-877-37-3.

نحو عرفنيّ – عرفنة – دلالة – مسح ذهنيّ – تبئير – خطاب – خطاطة – مقولة – طراز – مفهمة، لانقاكر، رونالد – الزّنّاد، الأزهر – عبد السّلام، الحبيب

الأفكار الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن آراء يتبناها معهد تونس للترجمة.

Ronald W. Langacker
Cognitive Grammar: a Basic Introduction
Copyright © 2008 by Oxford University Press, Inc.

حقوق الترجمة العربية ونشرها وتوزيعها
وزارة الشؤون الثقافة
دار سيناترا
© معهد تونس للترجمة، تونس 2018، ط1

37، شارع الحرية – 1002 – تونس
الهاتف: 153 833 71 (216+) / 179 833 71 (216+)
الفاكس: 073 833 71 (216+)
الواب: www.itrat.nat.tn
البريد الإلكتروني: tarjamah@itrat.nat.tn

الإهداء

إلى شرّيدان وجوليان وتْري

توطئة

يقدّم هذا الكتاب، كما قد تكونون تكهّنتم من العنوان، النّظريّة اللّسانيّة المعروفة بالنّحو العرفنيّ. بدأ البحث في النّحو العرفنيّ في 1976، فيكون الآن قد مضى على وجود الإطار الأساسيّ للنّظريّة ما يربو عن ربع قرن. لقد وُصِفَت النّظريّة، أوّل ما نشأت تحت عنوان "نحو الفضاء"، وصفا شاملا في كتاب لانقاكر (1982) الّذي كانت رسومه الكثيرة والمعروضة، لسوء الحظّ، بشكل فجّ، قد نفَّرت، دون شكّ، قرّاء كتاب "**اللّغة**"[1] وأفزعتهم. ويكمن أشمل تقديم للنّظريّة في الكتاب الثّقيل ذي المجلّدين الضّخمين الموسومين **بأسس النّحو العرفنيّ**[2] (لانقاكر 1987، 1991). وأيسر منه منالا – أو أيسر في الحمل على كلّ حال- هو كتاب "**المفهوم والصّورة والرّمز**"[3] (لانقاكر 1990)، حيث جمّعنا جملة من المقالات المتفرّقة أعدنا سبكها في نصّ موحّد. ويمثّل كتاب "**النّحو والمفهمة**"[4] (لانقاكر 1999a) مجموعة ثانية من المقالات من هذا القبيل. ولتسهيل الإحالة في المقبل من هذا العمَل، تكون الإشارة إلى هذه الكتب الأربعة بتواريخ نشرها.

ولئن كانت نظريّة النّحو العرفنيّ قد اقتُرِحَت في أوّل عهدها بديلا جذريّا عن النّظريّات السّائدة آنذاك، فإنّها قد لاَ تبدو، في أيّامنا، مختلفة اختلافا عظيما عنها، لسبب بسيط يتمثّل في تطوّر الاختصاص تطوّرا تدريجيّا في الاتّجاه الّذي رسمَته. فلم يعد هناك أيّ تمييز واضح (إن كان ذلك في أيّ زمن مضى) بين المدرستين "الشّكليّة" و"الوظيفيّة" في النّظريّة اللّسانيّة (لانقاكر 1999c). ورغم ذلك ما زال النّحو العرفنيّ يُعتبَر نظريّةً متطرّفة عند أغلب الشّكليّين، بل عند الكثير من الوظيفيّين كذلك. وبحكم

---

1 ـ *Language* (Bloomfield, 1933)

2 ـ *Foundations of Cognitive Grammar (FCG)*

3 ـ *Concept, Image and Symbol* (CIS)

4 ـ *Grammar and Conceptualization* (GC)

ما كان لي من تكوين في إطار شكليّ، فقد جعلتها، أنا نفسي، أوّل الأمر في أقصى موقع طرفيّ من المشهد النّظريّ في اللّسانيّات. ولكن بعد أن ظلّت عقودا عديدة في ذلك الموقع الطّرفيّ، آل بي الأمر إلى رؤيتها تحتلّ المركز. إنّي أراها تنسف التّوازن الأصليّ بين المشاغل الشّكليّة والمشاغل الوظيفيّة. فهي تعكس بطريقة مباشرة التّجذيرَ الثّنائيّ للّغة في العرفنة وفي التّفاعل الاجتماعيّ. وفوق ذلك إنّي أراها قادرة على استيعاب الكمّ الهائل من النّتائج ومن المكتشفات الّتي تظهر في المدارس المتنوّعة من اللّسانيّات العرفنيّة واللّسانيّات الوظيفيّة، وعلى دمجها وتركيبها.

وفي أيّامنا هذه، هناك فرص للقراءة عن النّحو العرفنيّ وعن اللّسانيّات العرفنيّة أكثر بكثير ممّا قد تنشغلون بالسّعي إلى معرفته. وقد ذكرنا الكثير من المراجع في هذا الكتاب. لإدراك مدى هذا المشروع كاملا أنتم محتاجون فقط إلى قراءة الأعداد الكثيرة من مجلّة **"اللّسانيّات العرفنيّة"** (مجلّة الجمعيّة العالميّة للّسانيّات العرفنيّة)[1] ومن المنشورات الصّادرة في سلسلة بحوث في اللّسانيّات العرفنيّة (عن موطون دو جريتر[2]). وما هذه المراجع إلاّ الطّرف من جبل الجليد العائم. ورغم ذلك لا تتوفّر إلى حدّ الآن مجموعة واسعة من الكتب المدرسيّة التّمهيديّة. يوجد الآن العديد منها في اللّسانيّات العرفنيّة بصفة عامّة - أونجيرر وشميد 2007، لي2001، كروفت وكروز 2004، إيفانس وغرين 2006 - كما توجد مجموعتان من المقالات والفصول (غيرارتس 2006؛ إيفانس وبيرغِن وزينكن 2006) ومسرد اصطلاحيّ (إيفانس 2007). وفي ما يهمّ النّحو العرفنيّ، على وجه الخصوص، يتمثّل الخيار الوحيد في كتاب تايلور (2002) الّذي يحيط بالأساسيّات فيه إحاطة مرضيّة. غير أنّ ما ينقص إلى حدّ الآن، مدخل أقلّ تبسيطا يكون العرض فيه أعمق بكثير وبتفصيل تقنيّ أكبر. فهذا الكتاب محاولة منّي لسدّ هذه الحاجة.

لقد صُمِّم الكتاب ليكون قابلا للاستعمال في مستويات مختلفة وبوجوه شتّى. رغم أنّني حاولت أن أجعله في متناول الجمهور من القرّاء، فإنّ بعض التّدريب الأساسيّ في اللّسانيّات يكون مفيدا. فالكتاب موجّه، من حيث هو كتاب مدرسيّ، إلى طلبة المستوى الجامعيّ المتقدّم من مرحلة ما قبل التّخرّج، وإلى طلبة المستوى المبتدئ بعد التّخرّج، بحكم تبلوره من درس

1 - Journal of the International Cognitive Linguistics Association

2 - Mouton de Gruyter

أُلقِي على طلبة السـنّة الأولى من دراسات ما بعد التّخرّج. وأراه مناسبا بصورة مثاليّة لدرس يمتدّ على سداسيّتين في مستوى ما بعد التّخرّج، بوجه يكون فيه القسمان الأوّل والثّاني على امتداد السّداسيّة الأولى، ويكون القسمان الثّالث والرّابع في السّداسيّة الثّانية. ويمكن أن يقوم القسمان الأوّل والثّاني برأسيهما مدخلا أساسـيّا في النّظريّة. فالفصول فيهما أقصـر والصّعوبة فيهما من درجة أقلّ بقليل، فهما لذلك أنسب لطلبة أقلّ تقدّما في دراسة الاختصاص. غير أنّ الأقسـام الأربعة تكوّن كلاّ مندمجا يوفّر باجتماعها صورة حقيقيّة عن رؤية النّحو العرفنـيّ لبنية اللّغة وعمّا يكمن فيه من قدرة على وصفها. ولئن كان ذلك الغايةَ الأوّليّة، فالكتاب لم يُتصوَّر على أنّه كتاب مدرسّـي فحسـب. ففيـه من العمق النّظريّ ومن المادّة اللّسـانيّة، ما يكفـي لتثبت به الفائدة منه للمشـتغلين في الاختصاصات المتّصلة باللّسانيّات. ويوفّر للّسانيّين المنتسبين إلـى النّظريّات الأخرى فرصـة متعدّدة الفوائد يقيمون فيهـا تقييمَهم ونقودَهم على أساس أمتنَ وأدقّ.

وعلى مسـتوى شخصيّ، يضع هذا العمل نهاية لطور أوّليّ من البحث كان قـد امتدّ على عقود عديدة من الزّمن. وقد كان هذا الكتاب مناسـبة لتهذيب أفكاري في مسائل كثيرة ولتوضيحها وتقديمها بصورة أنجع، ولجعل منطقها أكثـر جلاء. وقد أدّى ذلـك إلى بلورة تناول نظريّ أشـمل وأكثر إحكاما للأسس التّفاعليّة والمفهوميّة للبنية اللّغويّة. وتبقى، دون شكّ، فجوات هامّة لم يشملها مجال الدّرس (مثل عرض نظاميّ للصّوتميّة). فإذا ما خرج النّاتج النّهائيّ ولمّـا يبلغ درجة الكمـال (كما سيشـهد بذلك المراجعون دون شـكّ)، يكـون الاكتفاء به على هذه الحال. وتتعلّق المحـاولات الإضافيّة في تقديم النّحـو العرفنيّ بطور ثان من البحث والاسـتقصاء يمتـدّ على عدد من الأعوام. تُعرَض بعض مسـائله الكبرى عرضا عامّا في القسم الرّابع (الآفاق). فالمستقبل أصعـب من الماضي في التّكهّن بما ينطوي عليه، ولكن يبدو جليّا، حتّى بعد مرور ثلاثين عاما، أنّ البحث في النّحو العرفنيّ ليس إلاّ في بدايته.

المحتويات

		الصّفحة
توطئة		7
المحتويات		11
القسم الأوّل	مقدّمات	17
	1. التّوجيه	17
	1.1 النّحو والحياة	17
	1. 2 طبيعة الوحش	19
	1. 2. 1 مقترح مُربِك	20
	1. 2. 2 ما هو النّحو العرفنيّ في حقيقة الأمر؟	22
	1. 2. 3 تلك الرّسوم البيانيّة	26
	1. 2. 4 جوهر المشروع	31
	1. 3 النّحو أداةً للتّرميز	34
	1. 3. 1 التّركّب الرّمزيّ	11
	1. 3. 2 المعجم والنّحو	38
	1. 3. 3 النّحو تجميعاتٍ رمزيّةً	44
	1. 3. 4 شرط المضمونً	50
	هوامش الفصل	53
	2. علم الدّلالة المفهوميّة	57
	2. 1. المعنى والتّمثيلات الدّلاليّة	57
	2. 1. 1 هل المعاني مركوزة في الرّأس؟	57
	2. 1. 2 ممّ تتكوّن المعاني؟	62
	2. 1. 3 أين يتوقّف المعنى؟	70
	2. 2 المضمون المفهوميّ	80
	2. 2. 1 المجالات	82
	2. 2. 2 الاهتداء إلى المجالات	86
	2. 2. 3 المجالات والأفضية الذّهنيّة	91
	هوامش الفصل	97
	3. الانبناء	101
	3. 1 التّخصيص	101
	3. 2 التّبئير	104
	3. 2. 1 الأماميّة مقابل الخلفيّة	105
	3. 2. 2 التّركّب	108
	3. 2. 3 المـــدى	112

3. 3 البروز 117
3. 3. 1 العرض 118
3. 3. 2 تصفيف المعلم/المنتقل 124
3. 4 المنظور 128
3. 4. 1 توزيع الرّؤية 129
3. 4. 2 البعد الزّمنيّ 136
3. 5 حجج الفرضيّات الدّلاليّة 146
هوامش الفصل 152
القسم الثّاني الأسس 157
4. الأقسام النّحويّة 157
4. 1 هل يمكن تصوّر التّوصيفات المفهوميّة؟ 157
4. 1. 1 الرّؤى والمغالطات التّقليديّة 157
4. 1. 2 طبيعة الفرضيّة 160
4. 1. 3 التّوصيفات الأوّليّة 164
4. 1. 4 الأمثلة الأوّليّة 167
4. 2 الأسماء والأفعال 172
4. 2. 1 مستوى الطّراز 172
4. 2. 2 خطاطة الاسم 174
4. 2. 3 خطاطة الفعل 179
4. 3 أقسام العبارات العلائقيّة 186
4. 3. 1 المشاركون البؤريّون 186
4. 3. 2 العلاقات المركّبة 192
4. 3. 3 التّبرير البنيويّ 200
هوامش الفصل 209
5. الأقسام الفرعيّة الكبرى 213
5. 1 الأسماء: المعدود والكتلة 213
5. 1. 1 الأسس النّحويّة 214
5. 1. 2 الأسس المفهوميّة 220
5. 1. 3 التّحديد 225
5. 1. 4 الجوانب الأخرى في التّحديد 231
5.1.5 الانبناء المتغيّر 236
5. 2 الأفعال الانقضائيّة واللاّانقضائيّة 243
5. 2. 1 المقْوَلَة المرنة 243
5. 2. 2 تناظر المعدود/الكتلة والانقضائيّ/اللاّانقضائيّ 251
5. 2. 3 التّفاعل مع الزّمن والمظهر 256
هوامش الفصل 265
6. الأبنية: توصيف عامّ 269
6. 1 التّجميعات الرّمزيّة 269
6. 1. 1 التّركيب والدّمج والتّرميز 269
6. 1. 2 التّركيب مَقْوَلَةً 273
6. 2 الخطاطات البنائيّة 277

6. 2. 1 دور الخطاطات البنائيّة في التّركّبيّة 277
6. 2. 2 مقْوَلة العبارات 281
6. 3 التّنضيد أحاديّ القطب مقابل ثنائيّ القطب 287
6. 3. 1 حدود الأبنية 288
6. 3. 2 أبعاد التّركّب 290
6. 3. 3 مشكلة عدم التّطابق الزّائفة 295
هوامش الفصل 299
7. الأبنية: العوامل الوصفيّة 303
7. 1 التّناسبات 303
7. 1. 1 التّناسبات المتعدّدة 304
7. 1. 2 الإطناب وعدم التّماسك 309
7. 1. 3 حجّة الاستقلال الواهية 313
7. 2 تحديد المعروض 317
7. 3 البلورة 325
7. 3. 1 مواقع البلورة 325
7. 3. 2 الاستقلال والتّبعيّة 327
7. 3. 3 المتمّم والمحوّر 331
7. 4 المكوّنيّة 337
7. 4. 1 تصوّران للمكوّنيّة 337
7. 4. 2 حدود الرّؤية الكلاسيكيّة 340
7. 4. 3 العلاقات النّحويّة 343
هوامش الفصل 349
8. القواعد والقيود 353
8. 1 الشّبكات والخطاطات 353
8. 1. 1 ما اللّغة؟ 353
8. 1. 2 الخطاطات 358
8. 1. 3 شبكات الخطاطات 362
8. 2 تقييم التّواضعيّة 371
8. 2. 1 الإنشاط التّفاعليّ 372
8. 2. 2 التّقييد 376
8. 3 شبكات الأبنية 386
8. 3. 1 من المنظور النّحويّ 386
8. 3. 2 من المنظور المعجميّ 390
8. 4 الانتظام 397
8. 4. 1 المعنى البنائيّ والتّركّبيّة 397
8. 4. 2 التّعميمات من المستويات العليا 404
هوامش الفصل 414
القسم الثّالث الأبنية 419
9. التّجذير 419
9. 1 الانبناء الذّاتيّ والانبناء الموضوعيّ 420
9. 2 النّوع مقابل النّموذج 427

9. 2. 1 التّنظيم الإسمائيّ والمركّبيّ الجُمَليّ 427
9. 2. 2 تحقّق النّوع 431
9. 2. 3 المراجع الافتراضيّة 435
9. 3 تجذير الإسمائيّات 440
9. 3. 1 نحوُ العناصر المجذِّرة 440
9. 3. 2 إستراتيجيّات التّجذير الأساسيّة 445
9. 3. 3 أسماء الإشارة 452
9. 3. 4 علامات التّعيين: التّعريف والتّنكير 459
9. 3. 5 المسوّرات 469
9. 4 التّجذير (المركّبيّ) الجمَليّ 476
9. 4. 1 نُظم التّجذير الجمَليّ 476
9. 4. 2 الزّمن 483
9. 4. 3 الجهيّات 488
هوامش الفصل 497
10. البنية الإسمائيّة 503
10. 1 البنية والوظيفة 503
10. 1. 1 البنية القياسيّة 503
10. 1. 2 الضّمائر 507
10. 1. 3 الأسماء الأعلام 513
10. 2 محوّرات الأسماء 516
10. 2. 1 التّنوّع الدّلاليّ والشّكليّ 517
10. 2. 2 الأبنية القياسيّة 521
10. 2. 3 المكوّنات الإسمائيّة 526
10. 2. 4 الأبنية غير القياسيّة 531
10. 2. 5 المناطق النّشطة 537
10. 3 التّصنيف والتّسوير 543
10. 3. 1 أقسام الأسماء 543
10. 3. 2 أبنية المسوّرات 553
10. 4 التّصريف والمطابقة 561
10. 4. 1 ماذا يوجد في الاسم؟ 561
10. 4. 2 التّحقّق الصّرفيّ 568
هوامش الفصل 572
11. بنية المركّب الجمليّ 577
11. 1 الانتظام الشّامل 577
11. 1. 1 النّماذج البدئيّة المفهوميّة 578
11. 1. 2 التّشفير 581
11. 1. 3 مستويات البنية المركّبيّة الجمليّة 586
11. 2 الفاعل والمفعول 591
11. 2. 1 المسائل الأساسيّة 591
11. 2. 2 توجيه المحدِث 595
11. 2. 3 توجيه المحور 602

11. 2. 4 الإستراتيجيّات المتنافسة 606
11. 2. 5 الكونيّة 616
11. 3 أنواع المركّب الجمليّ 622
11. 3. 1البناء (للمعلوم والمجهول) 622
11. 3. 2 الفواعل غير المشاركة 629
11. 3. 3 المفاعيل 636
11. 3. 4 العمليّات المحوريّة 644
11. 4 الأفعال المركّبة 651
هوامش الفصل 660
12. الجمل المركّبة 667
12. 1 التّعليق: العطف والتّبعيّة 667
12. 1. 1 العطف 667
12. 1. 2 أبعاد التّبعيّة 677
12. 2 التّرابطات المركّبيّة الجمليّة 688
12. 2. 1 المركّبات الجمليّة الظّرفيّة 688
12. 2. 2 المركّبات الجمليّة الموصولة 695
12. 2. 3 المركّبات الجمليّة المتمّمة 704
12. 3 المتمّمات المنتهية 718
12. 3. 1 الشّكل والوظيفة 718
12. 3. 2 المتصوّرون ومستويات التّصوّر 729
هوامش الفصل 742
القسم الرّابع الآفاق 749
13. الخطاب 749
13. 1 أسس البنية اللّغويّة 749
13. 1. 1 الاستعمال 749
13. 1. 2 التّفاعل 752
13. 2 الطّبقة التّحتيّة المفهوميّة 759
13. 2. 1 المقام 759
13. 2. 2 أثر تنضيد الرّؤية 765
13. 2. 3 الأعمال الكلاميّة 769
13. 2. 4 العناصر التّعبيريّة 777
13. 3 أنواع الخطاب 780
13. 3. 1 استعمالات اللّغة 780
13. 3. 2 مستويات الانتظام 784
13. 4 بناء البنية 793
13. 4. 1 المبادئُ (و) الأسس 794
13. 4. 2 الوظيفة النّحويّة والوظيفة الخطابيّة 802
13. 4. 3 التّجذير الظّاهر 809
هوامش الفصل 813
14. التّعامل مع العالَم 819
14. 1 الحركيّة 820

14. 1. 1 مسالك الاهتداء الذّهنيّ 820
14. 1. 2 الملكيّة 827
14. 1. 3 الإحالة الضّميريّة العائديّة 832
14. 1. 4 المحور مقابل الفاعل 837
14. 1. 5 الفاعل والمفعول 845
14. 2 التّخيّليّة 856
14. 2. 1 العرفنة المنفصلة 856
14. 2. 2 السّيناريوهات الخفيّة 866
14. 3 المحاكاة والاستذتاء 873
14. 4 الذّهن والمعنى والنّحو 879
هوامش الفصل 880

المراجع 885
المصطلحات (مدخل عربيّ - فرنسيّ - إنجليزيّ) 901
الأعلام 909
اللّغات 911
فهرس الأعلام 913
فهرس اللّغات 915
فهرس الموضوعات 917

القسم الأوّل: مقدّمات

1. التّوجيه

مـدار هذا الكتاب على النّظريّة اللّسـانيّة المعروفة باسـم النّحو العرفنيّ. يوفّر هذا الإطار رؤية شـاملة بل متناسـقة كذلك، لبنيـة اللّغة، بما يصحب ذلك من إيجابيّات أخرى (في ما أزعم) منها كونه طبيعيّا من زاوية حدسيّة، ومعقولا من زاوية نفسيّة، ومنوالا قابلا للتّطبيق من زاوية اختباريّة. ورغم ذلك، هي، بكلّ تأكيد، رؤية غير معياريّة يُعِدّ لها التّدريبُ التّقليديّ في اللّسانيّات الباحثين إعدادا ضعيفا. وبناء على ذلك، وجب على أيّ تقديم للنّحو العرفنيّ أن يبدأ ببيان طبيعته العامّة ورؤيته الأساسيّة.

1.1 النّحو والحياة

إنّنـي لواع تمام الوعي، وقد أمضيتُ أكبر قسـط من أيّام العمر باحثا في النّحو، بأنّ هذه الهواية ليسـت منتشـرة بين سـواد النّاس. لنواجِهْ الأمرَ كما هو: للنّحو سـمعة سيّئة. فهو يمثّل، عند الجمهور من النّاس، بابًا على الانتقاد السّـاخر عند تكسـير القواعد الغامضة الّتي لا يسـتطيعون أن يحافظوا على اسـتقامتها بوجه مقبول. فغالبا ما يقـدَّم النّحو، في تعليم اللّغـة الأجنبيّة، من خـلال تمرينات آليّة وتعلُّم النّماذج الشّـاذّة وحفظِ جـداول من الكلمات لا نهاية لها في ظاهر الأمر. وحتّى في اللّسـانيّات، عادة ما يوصَف النّحو بطريقة لا تكاد تثير الاهتمام العامّ: يوصَف على أنّه نظام من الأشـكال الاعتباطيّة يتأسّس على مبادئ تجريديّة غير ذات علاقة بسائر المظاهر من العرفنة أو من الغايات البشريّة.

وليس مـن الضّروريّ أن يكـون الأمر على هذه الشّـاكلة. فالنّحو، في الواقع، جذّاب جدّا عندما يُفهَم الفهم المناسـب. فاللّسـانيّون، بطبيعة الحال، يهتمّـون بوصـف اللّغة لا ببيـان كيفيّة التّكلّم بها. وليسـوا مسـؤولين عن القيود المصطنعة الّتي تفرضها شـرطة الاسـتعمال الحميد للنّحو. ولئن كان

النّحـو يقتضي، بالفعل، تَعلُّمَ الكثير من الأشـكال، فإنّ الأمر نفسـه يصحّ علـى المعجم الّذي يوحي بجزَع أقلّ بكثيـر وهو في الغالب مصدر للعجب والتّسـلية. وبالإضافة إلى ذلك، ليـس وصفُ النّحو بكونه نظاما شـكليّا صِرفا أمرا خاطئا فحسب، بل هو تشبّث أعمى بالخطأ. وبدلا من ذلك، سوف أبرهـن على أنّ النّحـو ذو دلالة. والأمر كذلك من زاويتيـن. تتمثّل الأولى منهمـا في أنّ عناصر النّحـو - مثل الوحدات المعجميّـة- ذات معان في حدّ ذاتهـا. ويجيز لنا النّحو، بالإضافة إلـى ذلك، أن نبني المعاني ذات الدّرجات العليـا من التّركّب المقترنـةَ بالعبارات المركّبة (مثـل المركّبات الجزئيّة والمركّبـات الجُمَليّة والجمل التّامّة) وأن نرمّزهـا. فالنّحو، على هذا، مظهر أساسيّ من مظاهر الجهاز المفهوميّ الّذي نمسك من خلاله بالعالم ونتفاعل معه. فالنّحو، عوض أن يكون نظاما عرفنيّا متميّزا ومكتفيا بذاته، ليس جزءا لا يتجزّأ من العرفنة فقط بل هو مفتاح لفهمها أيضا.

لا يتجلّى كون النّحو ذا معنى إلاّ باعتماد تصوُّر للمعنى اللّغويّ مناسب. ففي علم الدّلالة العرفنيّ، يُحدَّد المعنى بأنّه المفهمَةُ مقترنةً بالعبارات اللّغويّة. قد يبدو هذا الأمر بديهيّا، ولكنّه، في الواقع، يعارض المعتقد السّائد. فعادة ما يرفَض التّصوّرُ المفهوميُّ للمعنى إمّا لكونه جزيريّا - بما يستتبع ذلك من الانقطاع عن العالم وعن سـائر الأذهـان كذلك- وإمّا، زيادة على ذلك، لكونه غير اختباريّ وغير علميّ. وهذه الاعتراضات غير ذات أساس. ورغم أنّ المفهمـة ظاهـرة ذهنيّة، فهي متجـذّرة في الواقع المـادّيّ: هي عبارة عن نشـاطٍ للدّماغ الّذي يشـتغل جزءا لا يتجزّأ من الجسد الّذي يشتغل، بدوره، جزءا لا يتجزّأ من العالـم. والمعاني اللّغويّة متجذّرة، كذلك، في التّفاعل الاجتماعـيّ من حيث هـي نتاج للمحـاورات بين المتحادثين على أسـاس التّحديد الجماعيّ لمعارفهـم وأفكارهم ونواياهم. فالمفهمة، من حيث هي غاية للتّحليل، مبحث صعب ولا يمكن الإمسـاك به، ولكنّه ليس ملغِزا ولا هـو كائن في ما جاوز مجـال البحث العلميّ. يوفّر علم الدّلالة العرفنيّ مجموعة من الأدوات تسمح بإقامة أوصاف دقيقة صريحة للمظاهر الأساسيّة مـن البنية المفهوميّة. وهذه الأوصاف تقـوم على الحجّة اللّغويّة ويمكن أن تكون موضوع تثبّت اختباريّ.

يؤدّي تحليل اللّغة من هذا المنظور إلى استخلاص نتائج رائعة حول المعنى اللّغويّ والعرفنة البشـريّة. وأولى النّتائج الرّائعة تتمثّل في المدى الّذي يتوقّف

فيه معنى عبارة ما على عوامل أخرى ليست من الوضعيّة الموصوفة. فهو، من جهة، يفترض مسبقا أرضيّة مفهوميّة مركّبة تتضمّن أمورا من قبيل الخلفيّة المعرفيّة وإدراك السّياق المادّيّ والاجتماعيّ واللّغويّ. ومن جهة أخرى، تفرض عبارة ما انبناء مخصوصا يعكس طريقة واحدةً فقط من طرق لا تُحصَى في تصوُّر الوضعيّة المعنيّة وفي رسمها. ومن النّتائج الرّائعة كذلك، المدى الّذي يبلغه دور القدرات التّخييليّة. فالظّواهر، من قبيل الاستعارة ([*vacant stare* ’نظرة زائغة‘]، مثلا) والإحالة على وحدات افتراضيّة ([*any cat* «أيّ قطّ»]، مثلا)، ظواهر غالبة حتّى في المحاورات المبتذلة الجارية في الظّروف الواقعيّة. وهذه الظّواهر، في نهاية المطاف، أمثلة من مجموعة الأبنية الذّهنيّة المتنوّعة الّتي تمكّننا من التّعامل مع العالم الّذي نعيش فيه ونتحدّث عنه، وهي تكوّنه إلى حدّ كبير. إنّه لعالَم ذو ثراء غير عاديّ يمتدّ بعيدا إلى ما يجاوز الواقع المادّيّ الّذي يتجذّر فيه.

فالوصف الدّلاليّ المفهوميّ، حينئذ، مصدر رئيسيّ للكشف عن عالمنا الذّهنيّ وعن بنائه. فهو يُثْبِت أنّ المعاني النّحويّة، على وجه الخصوص، سبيل إلى الكشف في هذا المضمار. وبما أنّها تنزع إلى أن تكون تجريديّة وتكمن مساهمتها الرّئيسيّة في الانبناء، فهي توفّر سبيلا مباشرا إلى مقاربة هذا المظهر الأساسيّ في الانتظام الدّلاليّ. وربّما يكون مفاجئا، نظرا إلى الصّورة النّمطيّة عن النّحو من حيث كان جافّا وثقيلا وشكليّا صِرفا، أن يعوّل النّحو تعويلا كبيرا على الظّواهر التّخييليّة والأبنية الذّهنيّة. ويعطي، كذلك، تطوّرُ العناصر النّحويّة التّاريخيُّ أدلّةً هامّة حول معاني أصولها المعجميّة وحول البنية الدّلاليّة بصفة أعمّ. فالصّورة الّتي تنبثق من ذلك تُناقِض التّصوّرَ السّائد للنّحو على أنّه نظام شكليّ مستقلّ بذاته. فالنّحو ليس ذا معنى فقط، بل يعكس كذلك تجربتنا الأساسيّة في التّنقّل في المكان، وفي الإدراك، وفي الفعل في العالم. وفي قلب المعاني النّحويّة تَحُلّ العمليّاتُ الذّهنيّة جزءا لا يتجزّأ من تلك المكوّنات الأوّليّة البسطى في عيشنا لحظة بلحظة. وعلى هذا، يكون للنّحو، عندما يُحَلَّل التّحليلَ الصّحيحَ، الكثيرُ ممّا يخبرنا به عن كلّ من المعنى والعرفنة.

2.1 طبيعة الوحش

الوحش هو النّحو العرفنيّ - يشار إليه بحرفي ن ع اختصارا. فبعض اللّسانيّين ينظرون إليه بازدراء، إذ يتحدّى المعتقدات الأساسيّة ويشترط

أنماطا بديلة من التّفكير والتّحليل. وبطبيعة الحال يُعجَب به البعض الآخر لهذا السّبب بالتّحديد. ولكن يبدو أنّ أغلب الآراء في النّحو العرفنيّ، سواء كانت إيجابيّة أو سلبيّة أو بين بين، قائمة على أساس فهم له محدود بشكل لافت للنّظر، وعلى قدر كبير من الخطأ في الأغلب. وحتّى مبادئه المركزيّة وسمته الأساسيّة عادة ما تكون مشوّهة. ولذلك نحتاج إلى تقويم بعض الأشياء منذ البداية.

1.2.1 مقترح مُربِك

يمثّل النّحو العرفنيّ، كما يوحي اسمه، أوّلا وقبل كلّ شيء نظريّة في النّحو. وعلى هذا، يكون من المفاجئ إلى حدّ ما، أن تُتَداول بعض الأحكام الّتي تفيد أنّ «لانقاكر لا يؤمن بالنّحو- الدّلالة هي كلّ شيء» بالنّسبة إليه. ليطمئنّ الجميع، النّحو العرفنيّ لا يهدِّد وجودَ النّحو ولا هو ينكره. النّحو موجود. والمسألة، عوضا عن ذلك، منصبّة على طبيعة النّحو وعلى علاقته بسائر الأبعاد في البنية اللّغويّة.

يتمثّل المبدأ الجوهريّ في النّحو العرفنيّ في أنّ النّحو رمزيّ بطبيعته. فماذا يعني هذا على وجه الدّقّة؟ لنحدِّد، أوّلا، الرّمز على أنّه تقارن زوجيّ بين بنية دلاليّة وبنية صوتميّة، بوجه يكون الواحد منهما قادرا على أن يستحضِر الآخر. فالوحدة المعجميّة البسيطة، من قبيل [*skunk* «شخص بغيض»]، حينئذ، رمزيّة لأنّها تتأسّس على تقارن بين معنى وشكل صوتميّ. يهتمّ النّحو، بطبيعة الحال، بالوجوه الّتي بها تتوالف العناصر من هذا القبيل لتُكوِّن عبارات مركّبة. ويتمثّل المعتقد الأساسيّ في النّحو العرفنيّ في أن لا حاجة إلى استحضار شيء ما عدا الأبنية الرّمزيّة لتوصيف العبارات المركّبة والقوالب الّتي تتحقّق فيها، توصيفا ملائما. وبعبارة أمضى في التّخصيص، يشكّل النّحو والمعجم مدرَّجة تتكوّن من تجميعات من الأبنية الرّمزيّة لا غير. ومن التّبعات الفوريّة لهذا الموقف أنّ جميع الأبنية الّتي وُضِعَت، على صواب، أدواتٍ للوصف النّحويّ (المفاهيم من قبيل «اسم»، أو «فاعل»، أو «مصدر المفعوليّة»، مثلا)، وجب أن تكون ذات معنى بطريقة ما.

وما هكذا يُنظَر إلى النّحو في النّظريّة اللّسانيّة الحديثة. فالحكمة المسلّم بها - وهي تتكرّر في كلّ كتاب مدرسيّ في اللّسانيّات- تنصّ على أنّ المفاهيم من قبيل الاسم والفاعل أبنيةٌ نحويّةٌ صِرف لا تقبل أيّ توصيف دلاليّ عامّ. وفوق ذلك، تدّعي العقيدة اللّسانيّة السّائدة أنّ الإعراب مستقلّ

بذاته: يكوّن «منظومة» أو «مكوّنا» مختلفا عن كلّ من المعجم والدّلالة، يقتضي وصفه مجموعة خاصّة من «الأوّليّات» الإعرابيّة. وإزاء هذه الخلفيّة يتبدّى موقف النّحو العرفنيّ جذريّا إن لم يكن مهرطقا. فقد ورد على لسان واحد من النّقّاد المتميّزين: «سوف يشعر قرّاء كثيرون، دون شكّ، بنفس الإحساس بالإرباك الّذي اعتراني بهذا الادّعاء، ومازلت أعتقد أنّه خاطئ» (هادسن 1992: 507-508).[1]

لا شكّ عندي في أنّ هذا المُراجِع قد شعر حقّا شعورا بالإرباك، ولا شكّ في أنّ سائر اللّسانيّين يشتركون في ذلك. وفي حدود ما يمكن أن يسبّب الإرباك، يكون هذا الموقف مُربكا بالفعل. ولكنّ هذا لا يجعل منه خاطئا. فقد لا يشير إلاّ إلى أنّ العدسات المشوِّهة في النّظريّة اللّسانيّة المعاصرة وفي التّدريب المهنيّ قادرة على طمس المغزى الجوهريّ الّذي يكون به هذا الموقف طبيعيّا ومرجوّا في ذاته، في آن واحد. وإذا ما كانت اللّغة تؤدّي وظيفة رمزيّة بأن تقيم روابط نظاميّة بين التّصوّرات والظّواهر القابلة للملاحظة من قبيل الأصوات والإشارات، فقد يكون من المرجوّ والطّبيعيّ، في الوقت نفسه، السّعي إلى إقامة نظريّة يكون فيها النّحو في ذاته رمزيّا. وإذا كانت المفاهيم من قبيل «اسم» و«فاعل» كونيّة وأساسيّة في النّحو، فقد يكون من المشكوك فيه وغير القابل للتّصديق، في آن، أن تُحرمَ من أساس مفهوميّ يكون عِلّة لوجودها. ومن منظور تبسيطيّ (أي منظورِ من لا دربة له في اللّسانيّات)، يكون من العسير الغوص على السّرّ في أسبابَ ما به كان النّوع البشريّ قد طوّر نظاما نحويّا مستقلاّ بنفسه منفصلا عن المضمون المفهوميّ والصّوتميّ. ألا يكون من المعقول أكثر ممّا مضى أن نفترض أنّ النّحو، عوض أن يكون منفصلا ومتميّزا، مجرّد قاسم مشترك متأصِّل في مجموعات من العبارات المركّبة من ناحية رمزيّة؟

كانت الآراء في تقييم المبدإ المركزيّ في النّحو العرفنيّ قد خيّمت عليها غيوم الخلط في الفهم في نقاط عديدة. يتمثّل واحد من مصادر الخلط في الازدواج المزمِن في ما يتعلّق بما تعنيه كلمة «استقلال بالذّات». ترى الصّياغة القويّة لفرضيّة الاستقلال بالذّات أنّ الوصف الإعرابيّ يتطلّب مجموعة خاصّة من الأوّليّات النّحويّة الصِّرف لا تقبل القسمة إلى شيء أصغر. والنّحو العرفنيّ يرفض هذا الرّأي بأن يثبت أنّ جميع الأبنية النّحويّة الصّالحة رمزيّةٌ، وهي، لذلك، تقبل التّقسيم إلى تقارنات زوجيّة على أساس الشّكل والمعنى. وتُثبِت

صياغةٌ أضعف لفكرة الاستقلال بالذّات، بكلّ بساطة، أنّ النّحو لا يمكن أن يُتَوقّع توقّعا تامّا بناء على عوامل منفصلة (لا سيما المعنى والقيود التّواصليّة). هذه الصّيغة الضّعيفة توافق النّحو العرفنيّ موافقة تامّة، وهي، بالفعل، موافِقَة نظريّا لكلّ شِقّ من النّظريّات اللّسانيّة العرفنيّة والوظيفيّة. وقد يختلف قلّة من النّاس في أنّ الاعتبارات الدّلاليّة والوظيفيّة تقيِّد البنيةَ النّحويّة وتبرّرها ولكنّها لا تحدِّدها تحديدا كاملا- فعلى المتكلّمين، زيادةً على ذلك، أن يتعلّموا أنماط لغتهم الخصوصيّةَ، وعلى اللّسانيّين أن يصفوا هذه الأنماط وصفا صريحا ظاهرا. وممّا ينبغي أن يكون واضحا أنّ الصّياغة الضّعيفة في شأن الاستقلال بالذّات لا تستلزم الصّياغة القويّة: فكون النّحو قابلا للتّوقّع، وأنواعُ العناصر الّتي يُحتاج إليها لوصفه، مسألتان مختلفتان اختلافا كبيرا. غير أنّ المنظّرين في اللّسانيّات يخلطون بينهما، في بعض الأحيان، بأن يأخذوا عدم قابليّة النّحو للتّوقّع على أنّه أساس يُثبت استقلالَ النّحو بذاته في المعنى الواسع.[2] وفي ذلك غفلة عن إمكانيّةَ كون النّحو غير قابل للتّوقّع، وقابلا للوصف وصفا تامّا، مع ذلك، على أنّه تجميعات من الأبنية الرّمزيّة.

ورغم أنّ اختزال النّحو في التّجميعات الرّمزيّة يحقّق توحيدا مفهوميّا ذا بال، يتخوّف بعض المنظّرين عن مصير الإعراب. من ذلك أنّ واحدا من النّقّاد يشكو من أنّ النّحو العرفنيّ "يحرم الإعرابَ حتّى من منزلة مجالٍ قابل للتّحديد داخلَ اللّغة من حيث هي كلّ أوسع" (هاردر 1996: 260). يُظهِر هذا القول الخاطئ خلطا مضاعفا. أوّلا، هو يخلط بين قابليّة الإعراب للتّحَديد ووجود حدّ واضح بيِّن. فالتّراكب بين المعجم والصّرف والإعراب لا يمنعُنا من تحديد الواحد منها ومن إقامة فروق مفيدة بينها، تماما كما يفرض علينا غيابُ حدٍّ دقيق بين اللّون الأخضر واللّون الأزرق رؤيةَ اللّون الأخزق (grue) فقط - فالمدرّجة لا تقتضي تجانسا غير متمايز العناصر. ثانيا، يخلط ذلك الرّأي بين الاختزال والإقصاء. فاختزال النّحو في التّجميعات الرّمزيّة يصلح لتوصيفه، لا لإنكار منزلته من حيث هو مستوى تنظيميّ قابل للتّحديد. فالواحد منّا لا ينكر وجود هباءات الماء بتحليلها على أنّها تتكوّن من تشكّل مخصوص لذرّات الهيدروجين والأكسيجين.

2.2.1 ما هو النّحو العرفنيّ في حقيقة الأمر؟

تتشكّل اللّغة وتتقيّد بالوظائف الّتي تؤدّيها. وتتضمّن هذه الوظائف الوظيفةَ السيّميائيّة الّتي تسمح بترميز التّصوّرات بواسطة الأصوات والإشارات،

كما تتضمّن وظيفة تفاعليّة متعدّدة الوجوه تشتمل على التّواصل والتّأثير، والتّعبيريّة، والتّكاتف الاجتماعيّ. ويجري التّمييز بشكل أساسيّ بين المقاربات الوظيفيّة في البحث اللّسانيّ والمقاربات الشّكليّة (النّحو التّوليديّ على وجه الخصوص)، على أساس الاعتبارات الوظيفيّة إمّا مأخوذة على أنّها جوهريّة تأسيسيّة وإمّا مأخوذة على أنّها مجرّد تابع، بالنّسبة إلى مسألة وصف الشّكل اللّغويّ. ويترجَم موقع التّركيز، عَمَليًا، إلى مواقف ثابتة مختلفة اختلافا كبيرا في طبيعة البنية اللّغويّة وفي كيفيّة وصفها.[3]

ينتمي النّحو العرفنيّ إلى الحركة الأوسع، المعروفة باللّسانيّات العرفنيّة الّتي تمثّل، بدورها، جزءا من التّراث الوظيفيّ. وإضافة إلى النّحو العرفنيّ، تشمل الرّوافدُ الهامّةُ من اللّسانيّات العرفنيّة النّحوَ البنائيَّ، ونظريّة الاستعارة، ودراسة المزج والأفضيةِ الذّهنيّة، والأعمالَ المختلفة الّتي تسعى إلى بلورة الدّلالة المفاهيميّة. ومن المكوّنات الأخرى البارزة في الوظائفيّة، نجد التّحليل التّداوليّ للخطاب، ودراسة الإنحاء، والبحث في التّصنيفيّات الكونيّة من خلال مسح للمعطيات عابر للّغات.[4] وتظلّ، بطبيعة الحال، دلالة المصطلحين "اللّسانيّات العرفنيّة" و"الوظائفيّة" مائعةً ويحتملان مجموعة متنوّعة من التّصوّرات. وفي أحسن الأحوال، هناك توافق واسع في الرّؤية عند الدّارسين المعنيّين، دون أن يعني ذلك تجانسا في النّظريّة، بكلّ تأكيد.

من الأسئلة الّتي تُطرَح كثيرا: "ما العرفنيّ في النّحو العرفنيّ؟ أو في اللّسانيّات العرفنيّة بصفة عامّة؟" فهذان المبحثان لا يستحقّان هذه التّسمية لمجرّد أن يُعلِنا أنّ اللّغة جزء من العرفنة وأنّ البحث اللّسانيّ يساهم في فهم الذّهن البشريّ - فهذا قَدْر مشترك إلى حدّ كبير بين الكثير من المقاربات الشّكليّة والوظيفيّة. فأيّ روابط بالعرفنة، إذن، تميّزُ بالفعل اللّسانيّات العرفنيّة من اللّسانيّات الشّكليّة أو من سائر الاتّجاهات في الوظائفيّة؟ تَتميّز اللّسانيّات العرفنيّة، في إطار الوظائفيّة، بالتّركيز على الوظيفة السّيميائيّة للّغة. فهي تسلِّم تسليما تامّا بتجذّر اللّغة في التّفاعل الاجتماعيّ، ولكنّها تلحّ على أنّ جميع الوظائف فيها، حتّى وظيفتها التّفاعليّة، خاضعة خضوعا حاسما للمفهمة. وتتميّز اللّسانيّات العرفنيّة، مقارنةً بالمقاربات الشّكليّة، بمقاومة النّزعة إلى فرض الحدود بين اللّغة وسائر الظّواهر النّفسيّة. وتعتبر أنّ البنية اللّغويّة تعتمد إلى حدّ ما على نُظُم وقدرات أخرى أكثر قاعديّة (مَن مثل الإدراك، والذّاكرة، والمَقْوَلة) لا يمكن أن تُفصَل عنها. فبدلَ أن تكوّن اللّغة وحدة

متميّـزة مكتفية بذاتها ("منظومة" أو "ملكـة ذهنيّة" منعزلة)، تُعتبَر وجها من صميم العرفنة لا يتجزّأ عنها.

وأمّا في ما يتعلّق بالنّحو العرفنيّ، على وجه الخصوص، فالعناية فيه منصبّة علـى أن لا يُسـتحضَر إلاّ ما كان راسـخا من القدرات الذّهنيّة الّتي ليسـت مقصـورة على اللّغة، وتمّت البرهنة عليه بسـهولة. فنحـن قادرون، مثلا، على التّبئير وعلى تحويل الانتباه، وعلى متابعة شـيء متنقّل، وعلى تكوين الصّور ومعالجتها، وعلى المقارنة بين تجربتين، وعلى إقامة التّناسـبات، وعلى توليف العناصر البسـيطة لتكويـن أبنية مركّبة، وعلى رؤية مشـهد مـن زوايا نظر مختلفة، وعلى تصوُّر وضعيّة وفق درجات متنوّعة من التّجريد، وهلمّ جرّا. هل يمكن لقدرات عامّة مثل هذه أن تفسِّـر الاكتسابَ اللّغويّ وخصائصَ اللّغة الكونيّةَ تفسـيرا تامّا؟ أو هل يكون مخطّطُ الاستعدادِ الخاصّ للّغة مزروعا سـلفا ومتناقَلا عن طريـق الوراثة الجينيّة؟ النّحو العرفنـيّ لا يحكم في هذه المسـألة حكما مسـبقا. فمن البديهيّ أنّنا وُلِدنا لنتكلّم، وليس من الممتنع، إذن، أن تنبثـق اللّغـة بفضل مواصفات جوهريّة فطريّـة خاصّة بها. ولكن إن كانـت موهبتنا الجينيّة تُحدِث بالفعل الاسـتعدادات الخاصّة باللّغة، يكون من الأرجح أن تكمن هذه الاسـتعدادات في تكيّف ظواهر عرفنيّة أساسيّة بدل أن تكون منعزلة ومتفرّدة. ويحتمل أن تكون مناظِرة، في هذا المضمار، لأعضاء النّطق المادّيّة.

رغـم طبيعة النّحو العرفنيّ الوظيفيّة، فهو يشـارك المقاربات الشّـكليّة الالتزامَ بالسّـعي إلى إقامة توصيفات صريحة ظاهرة لبنية اللّغة.[5] ولأسـباب كثيـرة تكون قدرتنا على تحقيقها عرضة للكثير من عوامل القصور القويّة الكامنة فينا. ومع ذلك، فإنّ لتفسـير وظيفيّ للّغة حظّا يسيرا في البرهنة على أنّه يكشف عن حقائق ثابتة وأنّه مناسب من ناحية اختباريّة، ما لم يتأسّس على أوصاف لغويّة مفصَّلة ودقيقةٍ دقّة مقبولة. وإنّني لأعتقد أنّ أفضَلَ وصفٍ يتطلّب زاويةَ نظر وظيفيّة.

يمكـن أن تُتَصوّر المكوّناتُ في نظريّة وظيفيّة شـاملةٍ على أنّها هرم ذو ثلاثة مستويات. فأوّل المستويات وأدناها يحدِّد الموارد المتاحةَ لوصف الأبنية اللّغويّة. وفي أحسن الأحوال، تُجْعَل قائمةُ الوحدات الوصفيّة هذه المرءَ قادرا على إنجاز توصيف ملائم لأيّ بنية يصادفها في أيّ من اللّغات. وكان البحث في النّحو العرفنيّ قد سعى، بدرجة أولى، إلى تبرير الأبنية المخصوصة بلغات

دون أخرى، بأن يفحص الظّواهر المتنوّعة في لغات كثيرة. فإن كانت القائمةُ الوصفيّة مناسبةً لجميع الأبنية في اللّغات كلّها، كان من الضّروريّ أن تحدّد فضاء واسعا جدّا من الإمكانيّات تكون فيه أصقاع كثيرة ذات كثافة سكّانيّة محدودة جدّا. ويشتغل المستوى الثّاني من الهرم "بتسدية الخيوط" في هذا الفضاء بوجه تنزع فيه الأبنية اللّغويّة إلى التّجمّع في بقاع معيّنة والحال أنّها تجتنب الحلول في بقاع أخرى. ويتمثّل واحد من الأهداف الرّئيسيّة في النّظريّة الوظيفيّة، في تحديد العناصر "الجاذبة" في هذا الفضاء، أي مجموعَ الأبنية الّتي تكون طرازيّة في اللّغة، ودرجةَ الطّرازيّة فيها كذلك. ويبين بجلاء أنّ البحث عبر اللّغات في تصنيفيّة اللّغات والكلّيّات اللّغويّة ضروريّ لإنشاء تعداد يمكن الوثوق به. وأخيرا، يتمثّل ثالث المستويات وأعلاها موقعا في الهرم، في التّفاسير الوظيفيّة للنّتائج الاختباريّة الّتي تكون في المستوى الثّاني. وقد كان تقديم تفاسير من هذا القبيل (مثلا بتقديم مبرّرات خطابيّة لعدد من مظاهر البنية المركّبيّة) مشغلا أساسيّا في البحوث الوظيفيّة.

لئن كان كلّ مستوى أعلى في الهرم يستلزم، منطقيّا، وجود المستويات الدّنيا وجودا ما قبليّا، فإنّ البحث في المستويات الثّلاثة يجب أن يسير، في الواقع العمليّ، على أساس التّزامن. وكان النّحو العرفنيّ، بتأكيده على المستوى التّأسيسيّ، منشغلا بالوصف البنيويّ أكثر منه بالطّرازيّة وبالتّفسير الوظيفيّ. غير أنّ المقترحات النّظريّة والأوصاف المخصوصة بالنّحو العرفنيّ تؤخذ على أنّها مضمَّنة في تفسير شامل يعمّ المستويات الثّلاثة كلّها. وليس المقصود من أوصاف الأبنية المخصوصة أن تكون أبنيةً قائمة برأسها، لأنّها لا توفّر، في ذاتها، أيّ إشارة إلى الكيفيّة الّتي بها كانت الأبنية مبرَّرة وظيفيّا ولا إلى أيّ مدى يكون ذلك التّبرير. فلا نبلغ فهما تامّا للظّواهر النّحويّة إلاّ بالتّوليف بين الأبعاد الوظيفيّة والأبعاد الوصفيّة.

ولعلّ المؤلّفات الّتي عُرِض فيها النّحو العرفنيّ على النّاس لم تُبرز إبرازا كافيا موقعَه داخل التّفسيرِ الوظيفيّ الشّامل. وقد شجّع هذا الأمرُ، دون شكّ، على انتشار سوء الفهم المتواتر بأنّ النّحو العرفنيّ غير مقيَّد ولا يتكهّن بشيء. والصّحيح هو عكس ذلك تماما. وقد لا يكون ذلك بيِّنا بما أنّ التّركيز كان على الجهاز الوصفيّ الأساسّي: من المستبعد أن تكون مجموعة من الأبنية ذات المرونة الكافية لوصف دائرة الأبنية اللّغويّة بتمامها (حتّى الأبنية الشّاذّة منها)، في حدّ ذاتها، على درجة عالية من التّقييد.

فللتّقييد في النّحو العرفنيّ مصادر أخرى. يكمن المصدر الأساسيّ في المعلومات الّتي توفّرها المستويات العليا من الهرم - أي قوائم التّعداد لما هو طرازيّ في اللّغة وأسباب ذلك. في نظري، توفّر التّخصيصاتُ الإيجابيّة من هذا القبيل الوسائلَ المناسبة لفرض القيود (إذ تكون المحظورات الجليّة غير ذات نهاية، وفضفاضة في بعض الأحيان). فببيان ما ينزع نزوعا فعليّا إلى الحدوث في اللّغة، إنّما نشير ضمنيّا إلى ما ينزع إلى عدم الحدوث. وبعبارة أدقّ، بتخصيص موضع العناصر الجاذبة وقوّتها في فضاء الإمكانات البنيويّة، نحن نقيم توقّعات حول الاحتمال النّسبيّ لأنواع مخصوصة من الأبنية الّتي نصادفها في لغة من اللّغات، وبالاستتباع، حول انتشارها عبر اللّغات.

فليس صحيحا، حينئذ، أنّ النّحو العرفنيّ غير مقيَّد. وأرفض، بطريقة مماثلة، سوء الفهم المتّصل بما مضى، والمتمثّل في أنّني وأناسا آخرين كنت قد غلّطتهم، افترضنا أشياء وحشيّة خياليّة لا يحدّها إلاّ المدى الّذي يبلغه خيالنا. فالنّظريّة والبحث مرموقان، بالفعل، لما يتّسمان به من واقعيّة، وسأبيّن في الفقرة § 1. 3. 4 القيود الصّارمة الّتي تُسلَّط على ما يمكن أن يفتَرَض. فلسبب ما، يبدو أنّ النّحو العرفنيّ، بصفة خاصّة، عرضة لسوء الفهم. فقد جزم باحثون مقتدرون، بكلّ ثقة ولكن دون مبرّر، مثلا، بأنّ النّحو العرفنيّ لا يقدر على استيعاب الاستعارة (هو قادر على ذلك)، ولا يفسّر اللّحن النّحوي (هو يفعل ذلك)، وأنّه أنَويّ (هو ليس كذلك)، وأنّه يصف اللّغة على أنّها وحدة سكونيّة (هو لا يفعل ذلك)، وأنّه يدّعي أنّ كلّ شيء أيقونيّ (هو لم يدَّع ذلك قطّ). وسوف نخوض في جميع هذه النّقاط لاحقا. لِنَعد الآن إلى أكثر الموارد خصوبة في سوء الفهم المتعلّق بالنّحو العرفنيّ، أعني مجموع الرّموز الّتي يستخدمها.

3.2.1 تلك الرسوم البيانيّة

ألجأ إلى الرّسوم البيانيّة في بعض المناسبات. وبطبيعة الحال، هذه المناسبات متواترة إلى حدّ ما ولكنّ النّقّاد، دون شكّ، سيجزمون بأنّني أستخدمها بإفراط كبير. وممّا لا شكّ فيه أنّ الأعمال في النّحو العرفنيّ (بما فيها هذا العمل) تمتلئ دوما بالرّسوم البيانيّة، الّتي تتراوح بين مَشاهِد بسيطة، شبيهة بالرّسوم المتحرّكة إلى عروض متبلورة تقنيّا وعلى درجة عالية من التّعقيد. وما من سبب، في ظنّي، يدعو إلى أن أقدِّم الاعتذار في شأنها. ومع ذلك، غالبا ما تكون صفحات المجلاّت اللّسانيّة الجادّة تعجّ برسوم

مشجَّريّة يرسمها علماء الإعراب الشّكليّون (بله أن نذكر علماء الصّوتميّة). واستخدام الرّسوم البيانيّة غالب كذلك في العلوم "الصّلبة" الّتي يُعجَب بها المنظّرون اللّسانيّون. ونشهد، بالفعل، نشوء "تبصير علميّ" واعترافا متزايدا بأهمّيته في النّظريّة وفي البحث. وبما أنّ الرّسوم البيانيّة المستخدمة في النّحو العرفنيّ قد أسيء فهمها بتواتر، وجب أن توضَّح طبيعتها ومنزلتها.

ومن الفهم السّيّء في ما يتعلّق بالرّسوم البيانيّة نجد (1) أنّها تُقدَّم على أنّها تمثيلات شكليّة دقيقة وصارمة، و(2) أنّها مجرّد "صوَر" ارتجاليّة مبسّطة. وبالفعل توجد في كلا الموقفين بذرة من الحقيقة. فبعض الرّسوم البيانيّة هي صُوَر شبيهة بالمشاهد المتحرّكة صُمِّمت تصميما عرَضيّا لتعين على بيان نقطة ما. وبعض الرّسوم البيانيّة الأخرى تُركَّب بعناية من رصيد الرّموز الخاصّة الّتي تُستخدَم بانتظام ولكلّ واحد منها قيمة محدّدة بدقّة. ورغم ذلك أعتبر، في جميع الأحوال، أنّ الرّسوم البيانيّة بطبيعتها أداةٌ مساعِدة على الاستكشاف. ولئن كانت الرّسوم البيانيّة، حتّى تلك الّتي صيغت بأعلى ما يكون من العناية، تفتقر افتقارا كبيرا إلى الصّرامة الّتي في الرّياضيّات، فإنّ عمليّة إنتاجها ترغِم المحلِّل على فحص عدد هائل من التّفاصيل الّتي تكون، في العادة، مهمَلَة في الأوصاف النّحويّة والدّلاليّة. وهي، في رأيي، توفّر في آن واحد مستوى من الدّقّة والوضوح كافيا لتحقيق أغلب الغايات، مع نوع من سهولة الاستخدام ييسّر الاكتشاف.

فالرّموز والأشكال التّمثيليّة المبلوَرة في الفصول اللاّحقة، إذن، لا تبلغ مستوى شكلنة محترمة من زاوية رياضيّة. وقد يعتبر منظّرون كثيرون هذا الأمر حطّا سيّئا، وهم يسلّمون في آن بأنّ اللّغة قابلة للاختصار في شكلنة متفاصلة وبأنّ التّقدّم العلميّ يقتضيها. وتدعم هذا الموقفَ الغالبَ أيقوناتٌ قويّة من قبيل المنطق الشّكليّ، والبرمجة الحاسوبيّة، والتّصوّر النّموذجيّ البدئيّ عند شومسكي لنحو "توليديّ" (مجموعة دقيقة صريحة من القواعد المعالجة للرّموز تضبط تعداد جميع الجمل ذات التّكوين الجيّد، دون غيرها، في لغة من اللّغات). وهذه الأيقوناتُ، مجتمعةً، تُولِّد وتعزّز بعض التّوقّعات في الكيفيّة الّتي ينبغي أن تكون عليها الأوصاف اللّسانيّة وفي مستوى الصّرامة الرّياضيّة الّذي ينبغي إجهاد النّفس من أجل بلوغه. ولكنّني أعتقد أنّ هذه التّوقّعات غير مناسبة للّغة الطّبيعيّة الّتي ليست مكتفية بذاتها ولا هي نظام شكليّ واضح المعالم. وأرفض، كذلك، الاستعارةَ الّتي تشبِّه

الذّهنَ بالحاسوب الرّقميّ، واللّغةَ ببرنامج يشغِّله. وللنّحو العرفنيّ أنْس أكبر بين أهله، في العالم "التّرابطيّ" ("الشّبكة العصبيّة") في النّظم الحركيّة، والمعالجة المتوازية، والتّمثيلات الموزَّعة، والحوسبة باعتماد الاستجابة المتزامنة للقيود.[6]

وبما أنّ اللّغة (لأسباب نبلورها لاحقا) ليست مكتفية بذاتها ولا واضحة المعالم، تُعتَبَر إقامة وصف شكليّ كامل ("نحو توليديّ" في المعنى الكلاسيكيّ)، أمرا مستحيلا، من حيث المبدأ. ويستقيم الأمر نفسه عندما يُفحَص أيّ بُعدٍ مخصوص من أبعاد البنية اللّغويّة أو أيّ وجه من وجوهها، بصفة معزولة. فاللّغة لا تشبه مجموعةً من البرمجيّات الحاسوبيّة. وهي، بدل ذلك، تندسّ في المعالجة الحركيّة في الشّبكات العصبيّة الحقيقيّة. ولئن كانت القوالب المنبثقة، بكلّ تأكيد، طيّعة الانقياد للتّحليل، فإنّ الرّموز المتفاصلة والتّمثيلات السّكونيّة الّتي استنبطها اللّسانيّون لا يمكنها، في أحسن الأحوال، إلاّ أن تقدِّم صورة تقريبيّة عنها. ولكنّ الاعتراف بمظاهر المحدوديّة هذه، لا يعني أنّنا نرى كلّ شيء ذائبا في خلطة متجانسة. يسلِّم النّحو العرفنيّ بوجود أبنية لغويّة على غاية من التّركّب، وكذلك بالحاجة إلى وصفها بأقصى قدر ممكن من الدّقّة والجلاء، قصد فهم اللّغة في ضوء متطلّباتها الذّاتيّة وبيانِ ما ينبغي على منوال مناسب في المعَالجة العرفنيّة أن يشتغل به، في آن واحد. ولئن ظلّت الرّسوم البيانيّة في النّحو العرفنيّ استكشافيّة، يمكن رغم ذلك أن تبلوَر رموزٌ لتوصيف ظواهر مخصوصة بقدر ما تسمح به حال المعرفة الرّاهنة من التّفاصيل الصّريحة. فطلب شيء فوق ذلك أو ادّعاؤه، في تقديري، أمر سابق لأوانه وغير ذي فائدة وفيه غرور كبير. فما لم يكن لنا إدراك مفهوميّ واضح لما يجري، وحتّى ذلك الحين، لا فائدة من السّعي إلى بلوغ الدّقّة الرّياضيّة.

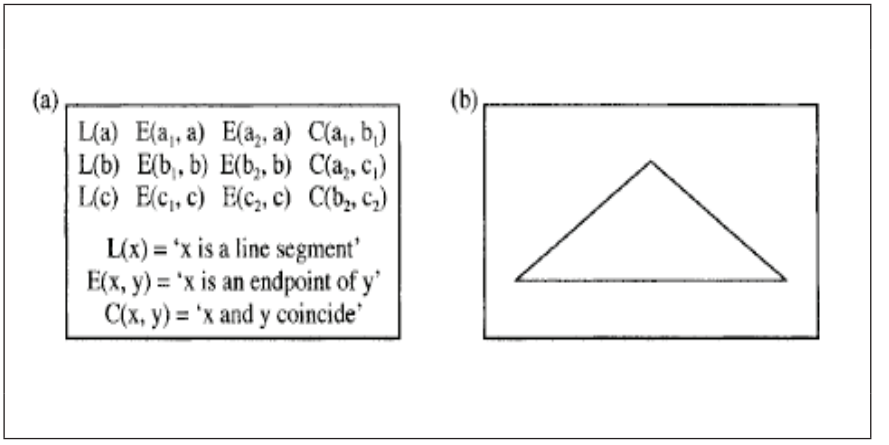
تقترب الرّسوم البيانيّة المستخدمة لعرض الأبنية النّحويّة في كنهها كثيرا من التّمثيلات الشّكليّة. وإذا ما استُنبِطت بعناية دقيقة، يمكن أن تُعتَبَر "شبه شكليّة" رغم أنّني سأصفها بمجرّد كونها نظاميّة. وينبغي لفت النّظر إلى بعض مواطن المحدوديّة فيها. فالرّسوم البيانيّة بالضّرورة انتقائيّة، وحتّى الرّسوم الأكثر نظاميّة تتجرّد من سمات كثيرة لا تكون في مركز العناية في اللّحظة الحاضرة. وإن رُسِمت بدرجة ما من التّخصيص، يتجلّى أنّ الرّسوم الّتي تمثّل لعبارات، حتّى وإن كانت من الحجم المتواضع، معقّدة جدّا وغير

عمليّة (انظر مثلا الرّسم 7. 13). وبالإضافة إلى ذلك، تتطلّب قراءة رسم بيانيّ من هذا القبيل وقتا طويلا وجهدا كبيرا، وخاصّة عندما لا يكون التّملّك التّامّ للمواضعات الرّمزيّة قد اكتمل. أنا أعترف بهذه النّقاط ولكنّني لا أقبلها على أنّها ملاحظات نقديّة صحيحة. وبعد هذا وذاك، تصحّ مظاهر المحدوديّة نفسها على كلّ من التّمثيلات الصّياغيّة والرّسوم البيانيّة المستخدَمة في سائر الأطر النّظريّة.

يبدو أنّ الرّسوم البيانيّة المستخدَمة لتمثيل النّحو قد صارت معتادة (فقد باتت التّمثيلات الشّبيهة بالمشّجر تقليديّةً في هذا المجال). ولكن، عندما يتعلّق الأمر بالدّلالة، تكثر مواطن سوء الفهم، ويكون التّنازل عن السّذاجة على مضض أكبر. وهذا الأمر ليس مفاجئا، بما أنّ المعنى أعقد بكثير من النّحو، وأصعب منه بكثير في الدّرس وفي الوصف. وكانت مساعي النّحو العرفنيّ إلى تمثيل المعنى، بالاستتباع، أشدَّ تلخيصا وأكثرَ تبسيطا وأقربَ إلى التّمهيد وأقلَّ نظاميّة ممّا كانت عليه في النّحو.[7] ستعترف العقول المتفتّحة بأنّ النّحو العرفنيّ، بما عنده من تفسير للدّلالة ليس بالجامع ولا هو بالنّهائيّ، يكاد لا يتفرّد بموقفه في ذلك. وفوق هذا، تتجلّى النّقائص، بوجه خاصّ، في النّحو العرفنيّ لأنّه يقبل بمركزيّة المعنى ويحاول أن يقول في شأنها شيئا يكون ثابتا ومعقولا نفسيّا في آن. اسمحوا لي، إذن، بأن أصحِّح سوءَ فهم أوّل بأن أقرّر، بشكل لا لَبْس فيه، أنّنا لم نعتبر قطّ أيّ تمثيل دلاليّ مقترَح في النّحو العرفنيّ شاملا. وللأسباب المبيَّنة في الفصل 2، لا يمكن أن يفكّر المرء، من منطلق واقعيّ، في إقامة الأوصاف الدّلاليّة الكاملة. فيجب على كلّ وصف فِعليّ أن يكتفيَ بوجوه المعنى الكلّيّ الّتي تكون إمّا مركزيّة أو مفيدة في تحقيق غاية فوريّة مخصوصة. وحتّى التّوصيفات الجزئيّة تكون صالحة ومفيدة إن كانت محتكمةً إلى مبادئ وذاتَ قدرة على الكشف من زاوية لغويّة ومدعومةً من المعطيات.

فكيف ينبغي أن تكون؟ تعوّد اللّسانيّون، وقد اتّخذوا من الإعراب والمنطق الشّكليّ منوالين لهم، على وصف البنية الدّلاليّة باعتماد أدوات من التّمثيلات الصّياغيّة تشتمل على سلاسل من الرّموز المتفاصلة. وعلى هذا، يثير استعمالُ النّحو العرفنيّ للرّسوم البيانيّة شبه التّصويريّة (وحتّى الصّور الموغلة في البساطة في بعض الأحيان) الاستغرابَ. وليس هذا المكان بصالح للخوض في المسألة الجوهريّة المتعلّقة بما إذا كانت مقاربةُ المعنى، من

حيــث هو ظاهرة عرفنيّة حقيقيّة، أفضلَ باعتماد التّمثيلات الرّمزيّة المتفاصلة أو باعتماد شيء أكثر مجانسة له في طبيعته. وأودّ أن أبيّن، فقط، أنّ أنواع الرّسوم البيانيّة المستعملة في النّحو العرفنيّ ناجعة من زاوية استكشافيّة وليست ناشزة، باعتبار مستوى الفهم الّذي عندنا في الوقت الحاضر. فقد يختار المرء، مثلا، أن يمثّل مفهوم [مثلّث] إمّا في صيغة قضويّة أو في صيغة رسم بيانيّ، كما يبين في الرّسم 1.1. ورغم أنّني أقدّر، بكلّ تأكيد، مزايا الوصف الصّياغيّ، فإنّ نظيره التّصويريّ هو ما أفضّل العمل به، بطبيعة الحال، في أغلب الأغراض اليوميّة.



الرّسم البيانيّ 1. 1

قفَزَت بعض النّقود من الاستخدام المتواتر للرّسوم البيانيّة شبه التّصويريّة، إلى الخلاصة الخاطئة المتمثّلة في أنّ النّحو العرفنيّ يدَّعي أنّ البنية الدّلاليّة، في كلّيتها، بصريّة أو فضائيّة في طبيعتها. ويتمثّل سوء فهم ذو صلة بهذا، في أنّ النّحو العرفنيّ قادر على التّعامل مع المفاهيم البصريّة الفضائيّة فقط. وعلى عكس ذلك، تقبل الأبنية الأساسيّة المقترَحة للوصف الدّلاليّ (مثلا، شتّى الأنواع من البروز) الانطباقَ في أيّ مجال عرفنيّ وهي مستقلّة عن أيّ طريقة مخصوصة في العرْض. ويتمثّل خلل آخر في الفهم في كون الرّسوم البيانيّة ذات طبيعة تناظريّة بصفة مستمرّة؛ بالإضافة إلى خلل ثالث مفاده أنّ الصّور الخطاطيّة الّتي تستعمِلها توهِم بأنّها نقْلٌ مباشر للبنية المفهوميّة. وعوضا عن ذلك، إنّ المقصود الحقيقيّ من تلك الرّسوم البيانيّة دون ذلك بكثير: هو تمكين بعض وجوه الانتظام المفهوميّ من أن تُمثَّل في صيغة تكون، في آن، سهلة الاستخدام وصريحة بقدر كاف يصلح أساسا للتّحليل الدّلاليّ والنّحويّ.

أعتقد أنّ الرّسوم البيانيّة تخدم هذه الوظيفة الاستكشافيّة المنشودة بشكل معقول جدّا. ولئن لم تبلغ درجةَ النّظاميّة بشكل تامّ فيمكن أن تصاغ بشكل دقيق جدّا وأن تفرض نوعا من الوضوح يسهِّل الاكتشاف. غير أنّ الرّسوم البيانيّة، ينبغي أن تُستخدَم بحذر، لأنّها يمكن أن تكون مغلّطة كما يمكن أن تكون مفيدة: تماما مثل أيّ منظومة أخرى من الرّموز، تهمِل من التّفاصيل قدرَ ما تبوح به، وهي محرِّفة إن لم نقل مشوِّهة. وإنّ الوعي المستمرّ بمحدوديّتها لممّا ينصَح به دوما.

4.2.1 جوهر المشروع

ينشأ عند بعض النّاس، نتيجةً لتعرّض محدود للنّحو العرفنيّ، انطباع بأنّه «سهل»، مقيمين حكمهم هذا في ما يبدو، على طبيعيّته الحدسيّة وعلى تركيزه على المعنى وعلى التّحرّر في استخدام الرّسوم البيانيّة وعلى الغياب الظّاهريّ للقيود. وأنا أوافقهم جزئيّا على الأقلّ: من السّهل إلى حدّ كبير إجراء النّحو العرفنيّ بطريقة سيّئة، ولا يصعب كثيرا إجراؤه بلامبالاة. ومن البيّن أنّ إجراءه على الوجه الجيّد أصعب بكثير. ولأسباب متنوّعة هي من صميمه، يمكن القول إنّ النّجاح في إقامة تحليلات مقبولة قبولا فوريّا على أنّها معقولة ومقنعة أصعبُ من سائر الأطر النّظريّة.

تنمّي النّظريّة اللّسانيّة والتّكوين اللّسانيّ، إلى حدّ كبير، توقّعا أساسيّا للتّفاصل في اللّغة، وميلا كبيرا إلى اتّخاذه مصادَرةً، بالاستتباع. وهذا التّفضيل جليّ في جميع المجالات وفي كلّ وجه من وجوه البحث والتّحقيق. ورغم الاعتراف بتبعاته، على نطاق واسع، فقد كانت السّمات التّالية غالبة على التّفكير والممارسة في اللّسانيّات الحديثة: (1) التّعويل الّذي يكاد يكون مطلقا على التّمثيلات «الرّقميّة» الّتي تتكوّن من رموز متفاصلة؛ (2) الكفاءة المفترضة للأحكام البسيطة المتعلّقة بالتّكوين الجيّد والقائمة على الإجابة بنعم/لا؛ (3) الإهمال الشّائع للتّنوّع اللّغويّ؛ (4) التّمييز الصّارم بين دراسة البنية اللّغويّة دراسة آنيّة ودراسة كيفيّة تغيّرها وتطوّرها دراسة زمانيّة؛ (5) افتراض كون اللّغة ذاتَ حدود واضحة ومكتفيةً بذاتها (إزاء الملكات الذّهنيّة الأخرى وكذلك الظّواهر المرتبطة بها، مثل الإشارة)؛ (6) تقسيم اللّغة إلى مكوّنات ينفصل بعضها عن بعض من قبيل الأصوات، والصّوتميّة، والمعجم، والصّرف، والإعراب، والدّلالة، والتّداوليّة؛ (7) التّركيز على القوالب القياسيّة الّتي تسمح بصوغ التّعميمات الجازمة (مع ما يصاحب ذلك من صعوبة في

معالجة الشّذوذ وإقامة تعميمات ذات مدى محدود)؛ (8) التّسليم بفرضيّة المقولات الكلاسيكيّة بحدودها الصّارمة، على أنّها مناقضة للمقولات الطّرازيّة بدرجات الانتماء فيها؛ (9) الفكرة القائلة بأنّ قابليّة التّوقّع المطلقة ينبغي أن تكون المعيار، بوجه يُعتبَر فيه أيّ شيء لا يحقّقها ذا فائدة قليلة؛ (10) العادة الجارية في صياغة الأسئلة المبنيّة على أساس البدائل المتناقضة.[8]

وهذا العالَم من الوحدات المتفاصلة والحدود الصّارمة جذّاب، دون شكّ. فالحكمة تقول «فرّق تسد!». وعلى وجه الخصوص، إذا أمكن التّغافل عن المعنى دون ضير، يُبسَّط وصف النّحو تبسيطا كبيرا (على الأقلّ بصفة سطحيّة). فالأبنية المتفاصلة أكثر قابليّة للتّحليل الفوريّ، وأكثر طواعية للشّكلنة الواضحة. وللأحكام القاطعة وقابليّة التّوقّع القويّة الّتي يوفّرها التّفاصل قيمة رفيعة في العلم. ومع هذا، لم تُصمَّم اللّغة، بالضّرورة، لضمان راحة المحلّل أو لتلبية ميولاته. وعلينا أن نتساءل، حينئذ، إن كان التّفاصل الّذي يسلِّم به اللّسانيّون المنظّرون بصفة غالبة، قد اكتُشِف في اللّغة أو فرض عليها فرضا. وبما أنّ تجربتي الخاصّة كانت قد قادتني إلى رفض جميع النّقاط من (1) إلى (10) أعلاه، أستنتج، على مضض، أنّه كان مفروضا عليها بشكل واسع.[9] لكنّ هذا لا يعني أنّنا نقول بأنّ كلّ شيء في اللّغة مسترسِل - فما أبعدنا عن ذلك - أو أنّنا ننكر الفائدة من التّمثيلات المتفاصلة، شريطة أن نعترف بمظاهر محدوديّتها الممكنة.

على قدر ما تنحرف اللّغة عن التّوقّعات الّتي تتضمّنها النّقاط من (1) إلى (10)، تزداد صعوبة تحقيق الأوصاف الدّقيقة ويتقلّص حظّها في إرضاء المنظّرين المحافظين. تأمّلوا مسألة مركزيّة واحدة فقط: الاستقلال المفترَض للإعراب إزاء الدّلالة. إذا كان الإعراب منفصلا ومكتفيا بذاته، بوجه يمكِّن من تجاهُل المعنى، يصير وصفه أسهل بكثير في بعض الوجوه. فمثلا، يكون الادّعاء القائل بأنّ مقُولة الاسم تمثّل أوّليّة إعرابيّة غير قابلة للخزل، وأنّها تفتقر إلى مضمون دلاليّ صميميّ، أسهلَ من اقتراح توصيف مفهوميّ يكون في آن كاشفا من زاوية لغويّة ومعقولا من زاوية نفسيّة (انظر الفصل 4). ويكون ضبط قائمة في الواسمات النّحويّة وتحديد مواطن جريانها أيسرَ من تحديد معانيها وتمثيلها. وتوسيع شكل مستقلّ من الوصف النّحويّ لِيشمل لغة جديدة أو مجالا بنيويّا جديدا، أسهلُ من توسيع تفسير رمزيّ يتطلّب تحليلا دلاليّا.

وتزيد القيـود الصّارمة المفروضـة على الأوصاف في النّحـو العرفنيّ من صعوبـة الأمر. حيث نعـرِض في الفقرة § 1. 3. 4 تقييدا قويّا على نوع العناصر الّـذي يمكـن أن يُفترَض. وتتولّد قيود إضافيّة من شـرط المقبوليّة النّفسـيّة. ويقتضي تصَوُّر النّحو العرفنيّ اللاّمنظوميّ للّغة - أي مقاربتها على أنّها وجه لا يتجزّأ من العرفنة خاضع لنظم وقدرات أعمّ- مسـؤوليّةً قصوى تُلقَى على عاتق النّتائج في العلوم العرفنيّة الأخرى. ويكمن مورد إضافيّ مهمٌّ للمراقبة في عدم اسـتقلاليّة النّحو. فلو كان النّحو حقيقة مسـتقلاّ عن المعنى، لكان المحلِّل حرّا فـي وصفه دون أن يولـي أيّ عنايةٍ للاعتبارات الدّلاليّـة. ومقابل ذلك، تُرغِـم النّظرة الرّمزيّة إلى النّحو المحلِّلَ على الملاءمة بين كلّ من الشّـكل والمعنـى. وعندما ينجَز البحث فيهما على الوجه المطلوب، يكون كلاهما مفيدا للآخر ومقيِّدا له في آن. تلفت عمليّاتُ الوسـم النّحويّ والقوالبُ الانتباهَ إلـى المظاهر اللّطيفة من المعنى وتسـلِّط الضّوء على المسـائل الوصفيّة الّتي تتطلّب حلولا دلاليّة. ويسـتطيع اللّسـانيّ، أثناء ممارسـة التّحليل الدّلاليّ، أن يعتمـد الحلول الّتي يَتوصّل إليها مثيـرا وأداةَ فحص في آن: ينبغي أن تتمفصل الأوصاف الدّلاليّة مع النّحو تمفصلا سلسـا، بالإضافة إلى كونها مقبولة من زاويـة علم النّفس ومبرّرة تبريرا داخليّـا جيّدا. وقد كانت أبنية النّحو العرفنيّ الأساسيّةُ تتبلور، بالفعل، عبر جدليّة من هذا القبيل يمكن اقتراحها منهجا في العمل من أفضل ما يكون.

تمثّل تلـك الجدليّة المبدأَ الأوّل من مبادئ فلسـفيّة عديدة كانت تقود النّحو العرفنيّ: مبدأ الدّمج يدعم الشّموليّة والتّوحيد. فهو يبرز أهمّية النّظر في المعلومات المأخوذة من موارد متعدّدة والتّوفيق بينها (داخل لغة واحدة، وعبر اللّغات، وعبر الاختصاصات). وفوق ذلك، يحفّز على معالجة مختلف الأبعاد فـي بنية اللّغة (الّتي تشـترك في الكثير من الأشـياء في مسـتوى تجريديّ) معالجـة موحّدةً، ويحثّ المرءَ على أن يجتنِب فرضَ تنظيم ثنائيّ التّفريع حيث يوجـد التّدرّج، في حقيقة الأمر. ويُثبِت مبدأ الطّبيعيّـة أنّ اللّغة - عندما تحلَّل تحليلا مناسبا- معقولة، إلى حدّ كبير، وقابلة للفهم من زاوية وظيفتها العَلاميّة ووظيفتهـا التّفاعليّـة، ومن زاوية تجذّرهـا البيولوجيّ والعرفنـيّ والاجتماعيّ الثّقافـيّ، كذلك. وترى اللّسـانيّات العرفنيّة واللّسـانيّات الوظيفيّة أنّ كلّ شـيء في اللّغة، تقريبا، مبرّر من هذه النّواحي (حتّى وإن كان شيء نزر قابلا للتّوقّع توقّعا دقيقـا). والمبدأ الثّالث، هو الصّبر، يعادل المَثل المعروف بأن لا تجعل العربة أمام الحصان. ومن أمثلة الصّبر الامتناعُ عن الحكم في مسـائل

قد تكون سابقة لأوانها (مدى كون اللّغة محدّدة فِطريّا، مثلا). ويتمثّل مثال آخر في العمل على إرجاء الجهود المبذولة في الشّكلنة إلى أن يكون لنا تمثّل مفهوميّ أساسيّ لما يحدث. ولكنّ هذا المبدأ لا يقتضي النّفور من إقامة افتراضات نظريّة وفرضيّات عمل قويّة.

3.1 النّحو أداةً للتّرميز

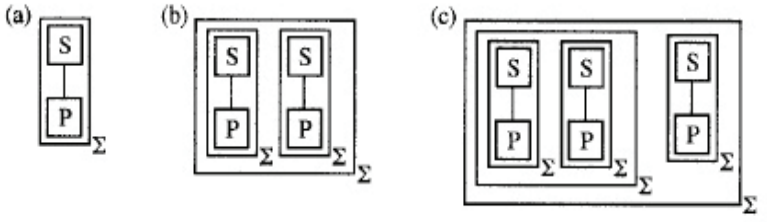
قدّمنا ما يكفي من التّمهيدات. وآن الأوان لتقديم عرض بدئيّ مختزَل للنّحو العرفنيّ سوف تتجسّد معالمه في المقبل من الفصول. من المسائل المركزيّة الّتي ستكون العناية بها الانتظامُ العامّ لنظام لغويّ ما، وما يعني قولنا إنّ النّحو رمزيّ في طبيعته. فإذا ما تبيّن أنّ النّحو العرفنيّ مناسب اختباريّا، فهو يمثّل نوعَ النّظريّة الّتي وجب على اللّسانيّين السّعيُ إلى إيجادها. أوّلا، هو نظريّة طبيعيّة من نواحٍ عديدة. وبالإضافة إلى ذلك، يوفّر في آن واحد التّوحيدَ المفهوميّ والتّقشّفَ النّظريّ اللّذين يُعتبَران خصيصتين مطلوبتين في سائر العلوم. فالنّحو العرفنيّ طبيعيٌّ بحكم مقبوليّته النّفسيّة، وكذلك بحكم الموقع المركزيّ الّذي يوليه للمعنى فيه. هو طبيعيّ بالإضافة إلى ذلك من حيث كان انتظامه الشّامل يعكِس مباشرة الوظيفةَ العلاميّة الأساسيّة في اللّغة - أعني تمكين المعاني من أن ترمَّز صوتميّا. لتحقيق هذه الوظيفة، تحتاج اللّغة إلى ثلاثة أنواع من الأبنية على الأقلّ: دلاليّة، وصوتميّة، ورمزيّة. تتمثّل الفرضيّة المفصليّة في النّحو العرفنيّ وأكثرها تمييزا له، في أنّ هذه الأبنية هي كلّ ما نحن في حاجة إليه. فهذا مظهر من التّقشّف النّظريّ فيه. وما يجعل ذلك ممكنا، هو القول بأنّ المعجم والصّرف والإعراب تكوّن استرسالا يقبل الاختزال التّامّ في تجميعات من الأبنية الرّمزيّة. وإذا ما كانت هذه الفكرة صالحة، مثّلت توحيدا مفهوميّا أساسيّا.

1.3.1 التّركّب الرّمزيّ

الأبنية الدّلاليّة تصوّرات تُستَغلُّ لغايات لسانيّة، لا سيما من حيث هي معان للعبارات. ولا أدرِج تحت تسمية البنية الصّوتميّة الأصوات فقط، بل أدرج كذلك الإشارات والتّمثيلات الإملائيّة. وتكمن سمتها الأساسيّة في كونها متجلّية بصفة ظاهرة، ولذلك تكون قادرة على أداء دور ترميزيّ.[10] وليست الأبنية الرّمزيّة مختلفة عن الأبنية الدّلاليّة والصّوتميّة، ولكنّها تشتمل عليهما معا. كما يبين في الرّسم 1. 2 (a)، تكمن بنية رمزيّة (Σ) في صلة بين بنية دلاليّة (S) وبنية صوتميّة (P)، بوجه تكون فيه الواحدة منهما قادرة

على استحضار الأخرى. وأصف بنيةً رمزيّة (Σ) بكونها ثنائيّة القطب: (S) هو قطبها الدّلالي، و(P) هو قطبها الصّوتميّ. وفي التّمثيل الصّياغيّ الرّياضيّ، يستعمَل خطّ مائل (/) للإشارة إلى علاقة رمزيّة. فالصّرفم [*cat* 'قِطّ'] يمكن أن يقدَّم على [CAT]/[[cat]] ([[**قط**]/[قِطّ]])، حيث [CAT] المكتوبة بالحروف التّاجيّة (/الغليظة بالعربيّة) تنوب عن التّمثيل المركّب الّذي يتضمّن قطبها الدّلاليّ، ويشار إلى القطب الصّوتميّ إملائيّا بالكتابة العاديّة.

من الخصائص المحدِّدة للّغة البشريّة، تكوين أبنية مركّبة من أخرى أبسط. نرى في الرّسم 1. 2 (b)، بنيتين رمزيّتين تتوالفان لإنتاج بنية رمزيّة من مستوى أعلى، يشار إليها بالخانة الخارجيّة.[11] تُكوِّن هذه الأبنية من المستوى الأدنى والمستوى الأعلى تجميعةً رمزيّة. وبطبيعة الحال، يمكن لبنية من مستوى أعلى، في ذاتها، الدّخول في علاقة توليفيّة، لتنتج بذلك تجميعة رمزيّة أكثر تركّبا، كما يبين في الرّسم التّخطيطيّ (c). ونستطيع القول إنّ سلسلة من الأبنية من قبيل (a) و(b) و(c) يمكنها أن تُظهِر بطريقة تدريجيّة تركّبا رمزيّا أكبر. ورغم التّوليف المتكرّر، يمكن أن تتكوّن في المستويات العليا المتتاليةِ من التّنظيم تجميعاتٌ لها أيّ درجة من درجات التّركّب. ويكون صرفم ما قابلا للتّحديد على أنّه عبارة ذات درجة صفر من التّركّب، أي أنّه لا يقبل البتّة التّحليل إلى مكوّنات رمزيّة أصغر. ويمكن لصرفم ما أن يُتَصوَّر، كذلك، على أنّه تجميعة رمزيّة مهترئة تتضمّن علاقة رمزيّة مفردة، كما في (a).



[قطب دلاليّ = S]، [قطب صوتميّ = P]

الرّسم البيانيّ 1. 2

يمكن أن تناسبَ الرّسومَ التّخطيطيّةَ (a) و(b) و(c)، سلسلةٌ من العبارات من قبيل [*moon* "قمر"]، و[*moonless* "دون قمر"]، و[*moonless night* "ليل دون قمر"]. ويمكن أن نمثّل هذه العباراتِ تمثيلا صياغيّا رياضيّا باستعمال المطّات بين الكلمات دليلا على العلاقات التّوليفيّة كما في (1):

(1) (أ) [[MOON]/[moon]] [[**قمر**]/[قمَر]]

(ب) [[[LESS]/[less]] - [[[MOON]/[moon]]] [[[**دون**]/[دون]] - [[**قمر**]/[قمَر]]]

(ج) [[[NIGHT]/[night]] - [[LESS]/[less]]] - [[[[MOON]/[moon]]

[[[**ليل**]/[ليل]] - [[[**دون**]/[دون]] - [[**قمر**]/[قمَر]]]]

ويصادِف أنّ جميع تلك العبارات مألوفةٌ تُستعمَل باتّفاق في الإنجليزيّة. فهي، جميعا، وحدات معجميّة، باعتبار تعريف المعجم في النّحو العرفنيّ على أنّه مجموعة العبارات الثّابتة في لغة ما. وهذا التّعريف مفيد واضح وموافق، موافقة تقريبيّة، للفهم اليوميّ المتداول لهذا المصطلح. غير أنّه ليس مكافئا لسائر التّوصيفات الّتي يقترحها اللّسانيّون، من مثل قولهم: المعجم مجموعة الكلمات في لغة ما. لاحظوا وجود عبارات ثابتة أوسع من الكلمات (مثل، [*moonless night*])، ووجود كلمات ممكنة – من قبيل ([*dollarless* "دون دولار (مفلس)"])، تكون جديدة بدل أن تكون مألوفة راسخة. لاحظوا، بالإضافة إلى ذلك، أنّ تعريف النّحو العرفنيّ يوحي بغياب أيّ حدّ صارم بين العبارات المعجميّة والعبارات غير المعجميّة، إذ الألفة والتّواضعيّة مسألة درجات. فالقاموس الإنجليزيّ يورد كلمة [*ireless* "دون غضب"]، على سبيل المثال، وهذه الكلمة تبدو لي مألوفة إلى درجة ما، ولكنّها عند أغلب المتكلّمين كلمة جديدة وغير مألوفة، دون شكّ.

وتظهر في المعجم بوضوح ظواهر عديدة أساسيّة جدّا تكون جليّة في وجوه كثيرة أخرى من العرفنة. ويمثّل الدّور المركزيّ المسند إليها مظهرا من مظاهر المقبوليّة النّفسيّة للنّحو العرفنيّ. وهي كذلك تجسيد للفكرة العامّة القائلة بأنّ اللّغة تستخدم مجموعة واسعة من العمليّات العرفنيّة ذات الوجود المستقلّ، وتعرضها وفق نمط تنظيمها الذّاتيّ الصّميميّ. والظّواهر المعنيّة هي: التّرابط، والتّأْليَة، والتّجريد الخطاطيّ، والمقْوَلَة.

1. في العموم، يُعرَّف التّرابط ببساطة بأنّه إقامة صلات نفسيّة ذات قدرة على التّأثير في عمليّة المعالجة الموالية. وهو ذو تجلّيات كثيرة في النّحو

العرفنيّ. وهنا نحتاج فقط إلى استحضار الرّبط الّذي يحدّد علاقة رمزيّة بين بنية دلاليّة وبنية صوتميّة.

2. التّأليفة هي العمليّة الّتي نلاحظها عندما نتعلّم كيفيّة ربط حذاء أو استحضار حروف الألفبائيّة: من خلال الإعادة أو التّكرار، يكون تملّك بنية مركّبة في مجملها إلى حدّ يصير فيه استعمالها آليّا ويتطلّب قدرا أدنى من التّحكّم الواعي. وبعبارة النّحو العرفنيّ، تخضع بنية ما لترسيخ تدريجيّ ويمكن أن تستوي، في نهاية المطاف، وحدة. والعناصر المعجميّة هي العبارات الّتي نجحت في بلوغ منزلة الوحدات بالنّسبة إلى الأفراد الّذين يمثّلون مجموعةً لغويّة ما. وعندما يكون من المفيد الإشارة إلى التّمييز، تُجعل الوحدات في صناديق او بين أقواس مربّعة؛ وما ليس بالوحدات يُجعَل في منحنيات مغلقة، أو في خانات ذات زوايا مستديرة أو بين أقواس. ويمكن، حينئذ، أن تقدّم كلمة [*dollarless*] كما يأتي في (2)، إذ المكوّنان [*dollar*] و[*less-*] قد بلغا منزلة الوحدة، في حين لم تبلغ العبارة في كلّيتها تلك المنزلة.

(2) ([[LESS]/[less]]- [[DOLLAR]/[dollar]]) ([[**دون**]/[دون]]- [[**دولار**]/[دولار]])

ومن المهمّ أن ننتبه إلى أنّ بلوغ منزلة الوحدة لا يستتبع غياب المكوّنات أو عدم أهمّيتها، بل هو يكاد لا يعني إلاّ الطّبيعة الرّوتينيّة في أدائها (الّذي ينزع، إلى التّقليص من بروزها الفرديّ).[12] ورغم أنّ [*moonless night*] وحدة فإنّها تقبل بوضوح التّحليل إلى [*moonless*] و[*night*]، ثمّ [*moonless*] إلى [*moon*] و[*less-*].

3. أعني بالتّجريد الخطاطيّ عمليّة استخراج المشترك الكامن في التّجارب المتعدّدة للوصول إلى تصوّر يمثّل مستوى أعلى في التّجريد. وما كان للتّجريد الخطاطيّ دور في اكتساب الوحدات المعجميّة، إلاّ لأنّ أشكالها التّواضعيّة ومعانيها أقلّ تخصيصا من أحداث الاستعمال (أي أنماط النّطق الفعليّة وضروب الفهم السياقيّة) الّتي على أساسها يكون تعلّمها. وعلى سبيل المثال، يكون المعنى الأساسيّ في [*ring* "خاتم"] - هو تقريبا 'قطعة حليّ دائريّة تُجعَل في الأصبع'- معنى خطاطيّا بالقياس إلى تصوّر الخواتم الخصوصيّة في المقامات المخصوصة الّتي تتنوّع في تفاصيل من قبيل الحجم ومادّة الصّنع وهويّة حاملها، وما إلى ذلك. ويمكن أن يحدُث التّجريد الخطاطيّ بدرجات مختلفة، حسب التّنوّع في العناصر الّتي يتأسّس عليها. وبما أنّ ["الخاتم"] يستعمَل، كذلك، للزّينة محمولا في مواضع أخرى ما عدا

الأصبع، يمكننا أن نضع له قيمة خطاطيّة أمضى في التّجريد، هي "أداة زينة دائريّة تحمَل على الجسد"، والّتي بالقياس إليها تمثّل 'قطعة حليّ دائريّة تجعل في الأصبع' بلورةً أو تحقّقا مخصوصا. وفوق ذلك، يمكن لكلمة [*ring*] "دائرة، بقعة"]، في مستوى أمضى في التّجريد، أن تعني 'شيئا دائريّا' (مثلا، الحلبة والحلقة في الرّياضة) أو 'وحدة دائريّة' (مثل، دائرة الوسخِ أو البقعةُ الّتي تظهر حول حوض استحمام بعد استعماله).

4. تقبل المقْوَلة الوصفَ، بصورة عامّة، بأنّها تأويل التّجربة في ضوء أبنيةٍ موجودة من قبلُ. والمقُولة مجموعة من العناصر تعتَبر متكافئة لغاية ما؛ فالمعاني المتناوبة لوحدة معجميّة ما، على سبيل المثال، تكوّن مقولةً، وهي متكافئة في التَّحقّق الصّوتميّ نفسه. فإذا كانت البنية (أ) تنتمي إلى مقولة ما، فإنّها يمكن أن تُستعمَل لتُمقْوِل بنية أخرى (ب) هذه الّتي يمكن أن تصير، عندئذ، عضوا في المقُولة. تكَون المقْوَلة صريحة عندما تكون البنية (أ) خطاطيّة بالقياس إلى البنية (ب)، بوجه تكون به (ب) بلورةً أو تحقّقا للبنية (أ). وللإشارة إلى ذلك، أستعمل السّهم الصّلب: أ ب. يشير السّهم إلى أنّ البنية (ب) موافقة تمام الموافقة لخصوصيّات البنية (أ) ولكنّها موصَّفة توصيفا أكثر دقّة وتفصيلا. وعلى سبيل المثال، قد تمثّل (3)(أ) المقْوَلة الجارية في شأن [*ring* "خاتم"] منطبقةً على الحلبات الدّائريّة كما يجري ذلك في السّيرك وصراع الثّيران.

(3) (أ) وحدة دائريّة ← حلبة دائريّة

(ب) حلبة دائريّة --› حلبة مستطيلة

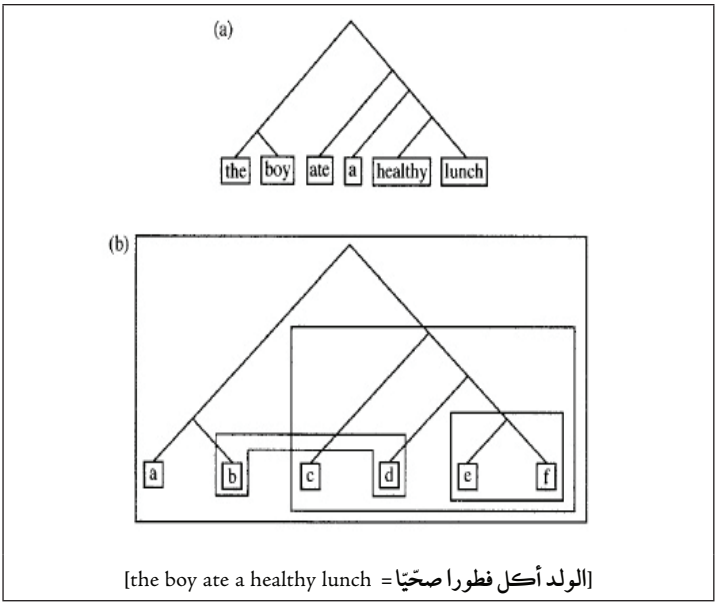
لكن يمكن أن يحدُث، كذلك، تَعارُضٌ بين (ب) وخصائص (أ)، ولكنّها رغم ذلك تُعتبَر من المقولة على أساس تَرابُطٍ ما أو شَبَهٍ مُدرَك. فتكون (أ)، حينئذ، طرازا (على الأقلّ محلّيّا)، و(ب) توسِعة منه. ولذلك أستعمل السّهم المتقطّع: أ --› ب. ومن الأمثلة الممكنة ما ورد في (3) (ب)، حيث تطبّق التّوسعةُ كلمةَ [*ring*] على الحلبات المستطيلة، كما يجري في رياضة الملاكمة.

1.3.2 المعجم والنّحو

إذا كان المعجم متمثّلا في تجميعات من الأبنية الرّمزيّة، هل يمكن أن نقول الشّيء نفسه عن النّحو؟ وذلك خلافا للمعتقد الجاري حيث يُميَّز النّحو

من المعجم تمييزا صارما ويُوصَف باستعمال مجموعة خاصّة من الأوّليّات الّتي لا تملك معنى صميميّا فيها. أُثبت، هنا، أنّ تسطير حدود واضحة بين المعجم والنّحو من أبعد ما يكون عن البَديهيّة. وأشير، كذلك، إلى الكيفيّة الّتي يمكن أن يوصَف بها النّحو باعتماد تجميعات رمزيّة تتنوّع في ضوء نفس المعايير الّتي يوصَف بها المعجم، وفي إطار حدود القيم نفسها.

والوحدات المعجميّة، في التّصوّر النّموذجيّ، هي بالأساس ذرّات إعرابيّة. "تُقحَم" في فجوات خاصّة بها في قاعدة أبنية المشجّر الإعرابيّ، كما يرد مختصرا في الرّسم البيانيّ 1. 3 (a). والوحدات المعجميّة الفرديّة مسترسِلة، ومكتفية بذاتها، وغير متراكبة. ورغم أنّها يمكن أن تكون مركّبة، تكون بنيتها الدّاخليّة من طبيعة صرفيّة عوض أن تكون إعرابيّة. فكلمة [*healthy* "صحّيّ، ذو صحّة جيّدة"]، على سبيل المثال، تقبل التّحليل إلى صرافم تُكوِّنها: [*health*] و[*-y*] (أو بشكل أكثر تدقيقا، إلى [*heal*]، و[*-th*]، و[*-y*]). وهي، رغم ذلك، تتصرّف إعرابيّا تَصرُّف صفة بسيطة مناظِرة لصفة [*big* "كبير، عظيم"].



[the boy ate a healthy lunch = **الولد أكل فطورا صحّيّا**]

الرّسم البيانيّ 1. 3

غير أنّ هذه التّجزئة الواضحة بين المعجم والإعراب لا يمكن الحفاظ عليها إلاّ بفرض حدود اصطناعيّة، خاصّة بتجاهل الوحدات المعجميّة الّتي تكون أكبر من الكلمات. لنتأمّل العبارات الجاهزة. تستجيب العبارات

الجاهـزة، من حيث هي عبارات جامدة ذات معـان لا يمكن التّكهّن بها مـن خلال أجزائها، لتعريف النّحو العرفنـيّ للمعجم ولتعريف أكثر تقييدا يشـترط التّفرُّد الدّلاليّ، فـي آن واحد. غير أنّها يمكـن أن تكون من أيّ حجـم وأن تكشِـف عن بنية داخليّـة ذات طبيعة إعرابيّة بشـكل صريح. فعبـارة [*tall tale* "الحكاية العجيبة"]، على سـبيل المثال، تتمثّل في توليف [صفة + اسـم]، وعبارة [*bury the hatchet* "دفن الفأس (دفن الأحقاد)] تتكوّن من فعل ومن مركّب اسميّ مفعول به، في حين تكون العبارة [*a bird in the hand is worth two in the bush* "عصفـور في اليد بعصفورين في الغاب ("عصفور في اليد خير من عشرة فوق الشّجرة")] جملة تامّة. فالعبارات الجاهزة ليست ذرّاتٍ إعرابيّة حبيسة في خانات مخصوصة في أبنية المشجّر الإعرابيّ، وإنّما تشـتمل على أقسـام متنوّعة من المشـجّرات من هذا القبيل، كما يُعرَض بطريقة تجريديّة في الرّسـم البيانيّ 1. 3 (b) باعتماد الصّناديق ذات الأحجام المختلفة. ويشير الرّسم البيانيّ، كذلك، إلى أنّ العبارات الجاهزة يمكن أن تتجلّى بشـكل متقطّع (لاحظ الصّندوق الّـذي يتضمّن [b] و[d]). ومن الأمثلة المأخوذة من الرّصيد الواسـع [*keep tabs on* "مراقبة شـيء أو شـخص بانتباه ودون انقطاع"]:

(4) (أ) *The police **kept tabs on** all the leading activists.*

ما انفكّت الشّرطة تراقب عن كثب جميع القياديّين النّشطاء.

(ب) ***Tabs** were **kept** by the police **on** all the leading activists*

ما انفكّ القياديّون النّشطاء يراقَبون عن كثب من قبَل الشّرطة.

ويـزداد الأمـر وضوحا، فوق ذلك، إن نحن اسـتبعدنا اقتضاء الشّـذوذ الدّلالـيّ (الّـذي يكون، علـى أيّ حال، مسـألة درجات) وعرّفنا ببسـاطة المعجـمَ بكونه مجموعة مـن العبارات الثّابتة في لغة مـا. فأن يصير المرء متكلّمـا طليقَ اللّسـان يقتضي تعلّمَ قائمة هائلة مـن العبارات الّتي تتجاوز الكلمـات حجما، والّتي تمثّـل الطّرق المعتادة في تبليـغ بعض المفاهيم. ويمكن أن يكون لهذه العبارات أيّ حجم، وتندرج فيها، بوجه لا يمكن إنكاره، أجزاءٌ متنوّعة من أبنية المشـجّر الإعرابيّ، على شاكلة ما ورد في الرّسـم البيانيّ 1. 3 (b). ويمكن العثور على عدد كبير من الأمثلة في أيّ نصّ من النّصوص. فالعبارات التّالية، على سبيل المثال، عبارات اصطلاحيّة عنـد اللّسـانيّين، وقد أخِذَت جميعا من الفقرة السّـابقة: **التّجزئـة الواضحة،**

المعجم والإعراب، حدود اصطناعيّة، فرض حدود اصطناعيّة، خاصّةً، أكبر من، يستجيب... لتعريف، أكثر تقييدا، أيّ حجم، من أيّ حجم، بنية داخليّة، أبنية مشجّريّة، أبنية مشجّريّة إعرابيّة، عبارات جاهزة، أجزاء متنوّعة من، مثال من الرّصيد، مثال ما من الرّصيد. فيكون، حسَب المعتقد اللّسانيّ الجاري، الكثير من هذه الأمثلة مرفوضا من النّظام اللّغويّ على أساس كونها قياسيّة دلاليّا ونحويّا (ونتيجة لذلك قابلة للاشتقاق باعتماد القواعد). ولكنّ رفضها اعتِباطيٌّ، إن كانت اللّغة مُوَصَّفة بكونها مجموعة من الأبنية المضمرة (الوحدات التّواضعيّة) تَجعل مستعمليها قادرين على الكلام وعلى الفهم. ودون قائمة ثريّة من العبارات الجاهزة سلفا، قد لا يتيسّر الكلام الطّليق في الواقع الحقيقيّ إلاّ بصعوبة. وقد بالغ المنظّرون مبالغة فادحة في شأن الجدّة في "الجمل الجديدة".

وكنّا قد رأينا أنّ الوحدات المعجميّة يمكن أن ترتَّب في ضوء درجة التّركّب الرّمزيّ فيها (مثل،

moon ‹ moonless ‹ moonless night ‹ a moonless night ‹ on a moonless night

في ليلة دون قمر ‹ ليلة دون قمر ‹ ليل دون قمر، دون قمر ‹ قمر).

ويتمثّل معيار آخر تتنوّع في ضوئه الوحدات المعجميّة من حيث الخطاطيّة أو من حيث الخصوصيّة نقيضِها، في ما يتعلّق بالدّقّة والتّفصيل في توصيفها. ويبين من زاوية التّراتبيّات التّصنيفيّة مثل تلك الواردة في (5)، أنّ الوحدات المعجميّة تجتاز دلاليّا كامل درجات السّلّم انطلاقا من الأوصاف الخطاطيّة العليا، فالأوصافِ ذات التّحديد التّقريبيّ، إلى الأوصاف ذات التّحديد الدّقيق المخصوص:

(5) (أ) شيء ← كائن حيّ ← حيوان ← كلب ← بودل ([*poodle*] كلب ذكيّ أجعد)

(ب) فعَل ← عَمِل ← دفَع ← رمَى ← قذَف

وليس من المحبّذ في العموم، أن يكون توصيفها الصّوتميّ متغيّرا كذلك باعتماد هذا المعيار. يكون لصرفم الزّمان الماضي في الإنجليزيّة، على سبيل المثال، البدائل الصّرفميّة القياسيّة [d] و[t] و[əd] (كما في [*failed* "فشِل"]، و[*rocked* "تأرجح"]، و[*heeded* "اهتمّ"]). وإذ كان الاختيار الصّوتميّ قابلا للتّوقّع، غالبا ما يقدّم اللّسانيّون تمثيلا خطاطيّا يخصِّص حضور صوتم لثويّ انحباسيّ (تاركين شغورا في تحديد الجهر

وظهـور [ə] الممكن، تملأه القواعد). وفي لغـات كثيرة، صرافمُ تتحقّق صوتميّا في شـكل التّكرير. وعلى هذا، يمكن أن يكون لصرفم الجمع الشّكل الخطاطيّ [CV-]، أي سابقة تتكوّن من حرف مع حركة، تكون تحقّقاتهـا المخصوصـة مطابقة للمقطع (CV) الاسـتهلاليّ في الجذع. وفي اللّغات السّـاميّة، توصَف الجذور، وصفا تقليديّا، بأنّها تشـتمل على مجرَّد سلسـلة مـن الحروف (ثلاثة فـي العادة)، رغـم ورود هذا الثّالـوث في أيّ صيغـة حقيقيّة مع الحركات الّتي تسـاهِم بالمعلومات المعجميّة والنّحويّة الأخـرى. فالجذور، بعبارة النّحو العرفنيّ، خطاطيّةٌ صوتميّا من حيث مَوْقَعَة الحركات الدّاعمة وهويّتها.

يحتـوي الكثير من الوحدات المعجميّة ذات الكلمات المتعدّدة، على عناصـر خطاطيّـة. ومن الأمثلـة الشّـهيرة: [X *crane* + *POSS neck*(«س+ هزّ+ عنـق+ س **ملكيّة** (مضاف إليه)»)]، حيـث يحيل [س] إحالة خطاطيّة على المحدِث وصاحب العُنق. ويمثّل هذا المثال القواسـم المشـتركة الكامنة فـي مجموعة من العبـارات ذات نهايـة مفتوحة يكون فيهـا [س] متحقّقا بعنصر إسمائيّ مخصوص: [*I craned my neck* "هززت عنقي"]، و[*She was craning her neck* "كانـت تهـزّ عنقهـا"]، و[*Phil always cranes his neck* "يهـزّ فيليب عنقه دائمـا"]، وما إلى ذلك. ولنا وحدة أخـرى خطاطيّة جزئيّا هي [V_s *X in the* N_b («ف ض س فـي **الـ** اسـم ج»)]، حيث يكون (ف ض) فعـلا دالاّ على الضّرب مثـل [*hit* "ضـرب"]، أو [*kick* "ركل"]، أو [*strike* "صفع"]، أو [*poke* "لكز"]، ويكون (س ج) اسـما من أعضاء الجسـد مثـل قصبة السّـاق، أو الظّهر، أو الوجـه، أو العين، أو الرّكبة. وبعض التّحقّقـات الجزئيّة لهذه الخطاطة، في ذاتهـا، وحدات قائمة ("المتلازمات")، من مثـل [*hit X in the back* "ضرب س على الظّهر"]، [*kick X in the shin* "ركل س على قصبة السّـاق"]، [*poke X in the eye* "جعل س طرف أصبعه في العين"]. وحتّى القالب [*a* N_1 +*less* N_2 ("نكرة اسـم$_1$ + دون اسـم$_2$")]، يكون أكثر خطاطيّة، إذ يتحقّق بوحدات تعبيريّة محـدّدة من قبيل [*a moonless night* «ليلة دون قمر»]، و[*a childless couple* «زوجان دون أطفال»]، و[*a hopeless situation* "وضعيّة دون أمل"]، و[*a treeless plain* «سهل دون شجر»]، و[*a fruitless search* «بحث دون طائل»]، و[*a cordless phone* «هاتف دون سلك»]، وما إلى ذلك.

من الواضح أنّ هذه القائمة من الوحدات العباريّة الخطاطيّة بصفة جزئيّة، يمكن أن تُوسَّع إلى ما لا نهاية له. فهي تمثّل مكوّنا أساسيّا -وربّما المكوّن الغالب- في المعرفة التّواضعيّة اللّغويّة الّتي تكون لمتكلّم طليق اللّسان. وفوق ذلك، تكاد لا تعترف النّظريّة اللّسانيّة النّموذجيّة بوجود تلك القائمة، بله أن تستوعبها بطريقَة مباشرة. ويكمن المشكل في أنّ هذه القائمة لا تطابق الصّورة النّمطيّة الّتي للمعجم ولا تلك الّتي للنّحو، وهي تنسف، بتوليف سمات كلّ واحد منهما، الفرضيّةَ القائلة بأنّ المعجم والنّحو متمايزان تمايزا دقيقا. فالوحدات مثل [X *crane* + *POSS neck* («س+ هزّ+ عنق+ س **ملكيّة** (مضاف إليه)")]، و[V_s *X in the* N_b («ف $_{ض}$ س في **الـ** اسم $_{ج}$»)]، و[$a\,N_1$ + *less* N_2 ("نكرة اسم$_1$ + دون اسم$_2$")]، غير نمطيّة بالنّسبة إلى النّحو بحكم تضمّنها لعناصر معجميّة محدّدة. وهي غير نمطيّة بالنّسبة إلى المعجم بسبب خطاطيّتها الجزئيّة. فهي ليست في ذاتها عبارات بأتّم معنى الكلمة، وإنّما هي قوالب مجرّدة من تلك العبارات، يُحتمَل أن تُستعمَل في تكوين عبارات جديدة. فهي، إلى هذا الحدّ، شبيهة بالنّحو، بما أنّ النّحو يتضمّن، بحكم طبيعته، القوالب المستعملة في تكوين العبارات المركّبة. وفي مسعى إلى الحفاظ على ثنائيّة التّفريع النّموذجيّة، يمكن أن تُسنَد [X *crane* + *POSS neck* («س+ هزّ+ عنق+ س **ملكيّة** (مضاف إليه)")]، إلى المعجم، بما أنّها تتضمّن العنصرين 'المعجميّين'، بدون منازع، [*crane*] و[*neck*]، في حين يمكن أن تُعتَبَر [*a* N_1 + *less* N_2 ("نكرة اسم$_1$ + دون اسم$_2$")]، نحويّة لأنّ المكوّنين الوحيدين المخصوصين بها [a] و[-less]، وَاسمان نحويّان. ولكنّ، هذا لا يحلّ المشكل. وبصرف النّظر عن كون هذا الأمر نظريّا ما قبليّا، نظلّ أمام اختيار اعتباطيّ في حالات مثل [V_s *X in the* N_b ("ف $_{ض}$ س في **الـ** اسم $_{ج}$")]، حيث [V_s] و[N_b] في منزلة وسيطة من التّخصيص ([V_s] تدلّ على نوع مخصوص من العمل، و[N_b] تدلّ على جزء من الجسد). فما يبدو أنّ المعطيات اللّغويّة تحاول أن تقوله لنا، يتمثّل في أنّ المعجم والنّحو يكوّنان مدرّجة بدل أن يكونا من طبيعة ثنائيّة التّفريع بشكل حادّ. تلك هي، بطبيعة الحال، فكرة مركزيّة في النّحو العرفنيّ الّذي يؤكّد، بالإضافة إلى ذلك، على أنّ التّدريج التّامّ ينخزل في تجميعات من الأبنية الرّمزيّة.

1. 3. 3 النّحو تجميعاتٍ رمزيّةً

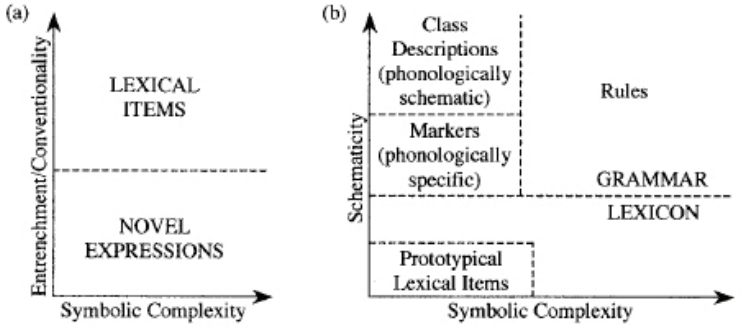
رأينـا أنّ التّجميعـات الرّمزيّة تمتدّ على مدى واسـع فـي ضوء ثالوث من المعايير الرّئيسيّة. أوّلا، تتنوّع من حيث التّركّب الرّمزيّ، كما يعرض بإيجاز في الرّسم البيانيّ 1. 2، ويمثّل له بسلسلة من الوحدات المعجميّة من قبيل: *sharp* ‹ *sharpen* ‹ *sharpener* ‹ *pencil sharpener* ‹ *electric pencil sharpener* (حـادّ > أحـدَّ > مبـراة > مبـراة أقلام > مبراة أقلام كهربائيّـة). ثانيا، تتنوّع من حيث درجة التّخصيص (أو عكس ذلك، درجة الخطاطيّة)، كما رأينا في (5) وفي سلسلة من قبيل (6) كذلك، حيث تكـون البنية المنطلق خطاطيّة فـي كلّيتها، والموالية متحقّقة تحقّقا جزئيّا، والأخيرة مخصّصة تخصيصا تامّا:

(6) *kick my pet giraffe in the shin* ← *kick X in the shin* ← V_s *X in the* N_b

ركل زرافتـي الأهليّـة على قصبة السّاق ← ركل س علـى قصبة السّاق ← ف ض س في الـ اسم ج

ثالثـا، التّجميعات الرّمزيّة تتنوّع في مـدى بلوغ منزلة الوحدات والتّحوُّل إلى وحـدات تواضعيّة في مجموعة لغويّة ما.[13] تُسـنَد إلى البنيتين الأوليين في (6)، بشـكل معقـول، منزلةُ الوحـدات التّواضعيّة في الإنجليزيّـة، في حين تكون الأخيرة - مأخوذة من حيث هي كلّ - جديدة بكلّ تأكيد. يمكن أن توصّف جميع وجوه المعجم والنّحو المختلفة بأنّها تجميعات رمزيّة تحتلّ مناطق مختلفة في الفضـاء التّجريديّ الّذي تحدِّده تلك المعاييـر الثّلاثة. ولا تنسَ أنّنا نتعامل مع ظواهر متدرّجـة. والمتوقّع أنّ المناطق الّتي تطابق مفاهيم تقليديّة مخصوصة تتراكب، والثّابت أنّ خطوط الفصل المخصوصة تعتبَر اعتباطيّة.

تكـون العبارات المتأصّلة - أي تلك الّتي نسـتطيع اسـتعمالها بالفعل- مخصَّصة في القطب الصّوتمـيّ، لأنّه من الواجب أن تكون قابلة للنّطق بها، أو للإشـارة بها أو لكتابتها.[14] وفـي القطب الدّلاليّ مرونة أكبر، رغم نزوع العبـارات الحقيقيّـة إلى أن تكـون مخصّصة بدل ذلك. وبمـا أنّ العبارات يمكـن أن تكون من أيّ حجـم، وهذا أمر بديهيّ، فهي تتنـوّع بكلّ حريّة فـي مدى التّركّب الرّمـزيّ. ويمكن أن يكون لهـا، كذلك، أيّ درجة من درجات التّواضعيّة. فعلى قدر ما تترسّـخ العبـارات وتبلغ منزلةَ الوحدات التّواضعيّـة، تكوّن وحداتٍ معجميّة. وعلى قدر مـا لا تفعل ذلك، تكون جديدة. يوجَز هذا في الرّسـم البيانيّ 1. 4 (a)، حيث يشـير الخطّ المتقطّع إلى غياب أيّ حدّ قاطع.



[**الرّســـوخ/ التّواضعيّة** = Entrenchment/Conventionality]، [**الوحدات المعجميّة** = Lexical Items]،

[**العبارات الجديدة** = Novel Expressions]، [**التّركّب الرّمزيّ** = Symbolic Complexity]،

[**الخطاطيّـة** = Schematicity]،

[**أوصاف الأقسام** (**خطاطيّة صوتميّا**) = (phonologically schematic) Class Descriptions]،

[**الواسمات** (**مخصّصة صوتميّا**) = (phonologically specific) Markers]،

[**وحدات معجميّة طرازيّة** = Prototypical Lexical Items]،

[**القواعد** = Rules]، [**النّحو** = Grammar]، [**المعجم** = Lexicon]

الرّسم البيانيّ 1. 4

يتكــوّن المعجم والنّحو فــي اللّغة من التّجميعات الرّمزيّــة الّتي توصّلت إلــى بلوغ منزلة الوحدات التّواضعيّة بنســبة كبيرة. يعرض الرّســم البيانيّ 1. 4 (b) تَوزُّعَهــا بالقيــاس إلى معيارَي الخطاطيّة والتّركّــب الرّمزيّ. والعناصر الّتــي كان يعترَف، تقليديّا، بكونها وحدات معجميّة (طرازيّة)، هي عبارات مخصّصــة صوتميّا ودلاليّا ذات تركّب رمزيّ محدود، فقط: [*dog* «كلب»]، [*moonless* "دون قمر"]، [*carefully* "بعناية"]، [*toothbrush* "فرشــاة أسنان"]. ولكنّني أقترح أنّ رســم أيّ حدود فاصلة مخصوصة على أساس واحد من المعيارين، أمــر اعتباطيّ. وعلى هذا، تكون مجموعة أوســعُ من الأبنية مقبولةً في النّحو العرفنــيّ على أنّهــا وحدات معجميّة، بما فيها الوحــدات الرّمزيّة الّتي تكون خطاطيّــة إمّا صوتميّا (مثــل الجذور في اللّغــات السّــاميّة) أو دلاليّا (مثل [*do* «فعَل»]، [*-less*]، [*a* "دون"]، وكذلك الوحدات ذات التّركّب الرّمزيّ غير المعلوم (من قبيل العبارات الجاهزة والأمثال). وتندرج في المعجم، كذلك،

التّجميعات المركّبة رمزيّا الّتي تكون، في بعض المواضع، خطاطيّة دلاليّا وصوتميّا في آن، مثل [X *crane* + *POSS neck*(«س+ هزّ+ عنق+ س **ملكيّة** (مضاف إليه)")]، أو [*X take Y over X* + *POSS knee and spank Y* ("س أخذ ص فوق ركبة + س وصفع ص على عجيزته")].

فأين ينتهي المعجم ويبدأ النّحو؟ يكمن الجواب، بطبيعة الحال، في أنّه ما من مكان لذلك مخصوص. ولكنّ هذا لا يعني أنّ إقامة تمييز بينهما غير ممكنة. فالمعيار المفتاح يكمن في التّخصيص. وعلى قدر ما تكون الأبنية الرّمزيّة مخصَّصة، تنزع إلى أن تعتَبَر معجميّة في كلّ من الدّرس التّقليديّ والنّحو العرفنيّ. وعلى قدر ما تكون خطاطيّةً، تنزع بصفة عامّة إلى أن تعتَبَر نحويّة. فالمعجم، حينئذ، يمكن توصيفه بأنّه كامن في التّجميعات الرّمزيّة المخصَّصة تخصيصا جيّدا، والنّحو في ما كان منها أكثر خطاطيّة. وعند الطّرفين الأقصيين، هناك حالات واضحة قابلة لأن تحدّد، دون جدال، بأنّها معجميّة أو نحويّة (مثل [*dog* «كلب»] مقابل قالب ما في تكوين المركّبات الموصولة). وما بينهما توجد أبنية كثيرة (من قبيل [V_s *X in the* N_b ("ف ضِ س في **الـ** اسم ج")]) تصنّف تصنيفا وجيها على هذا الوجه أو ذاك، حسب غاية المرء.

تكمن الفرضيّة، حينئذ، في أنّ النّحو يُختزَل في التّجميعات الرّمزيّة الخطاطيّة. ولكن ماذا يعني هذا بالتّحديد؟ كيف يشتغل النّحو الرّمزيّ؟ تجيب الأقسام والفصول اللاّحقة عن هذه الأسئلة ببعض التّفصيل. وأمّا الآن، فلنركّز النّظر في ثالوث من المسائل الأساسيّة: الواسمات النّحويّة، والأقسام النّحويّة، والقواعد النّحويّة. وجميع هذه المسائل قابل للوصف باعتماد التّجميعات الرّمزيّة. وما يميّز بينها إنّما هي الجهة الّتي تحتلّها في الفضاء التّجريديّ الّذي يحدّده معيار الخطاطيّة ومعيار التّركّب الرّمزيّ.

1. الواسمات النّحويّة، من حيث هي أجزاء من العبارات، مخصّصة في القطب الصّوتميّ. إذ من المفروض عليها أن تكون قادرة على التّحقّق الصّوتيّ الظّاهر.[15] وحتّى الواسمات النّحويّة الّتي تنسَب إليها على صواب قيمة صوتميّة خطاطيّة مثل صرفم تكريريّ أو الزّمان الماضي القياسيّ في الإنجليزيّة، تكتسب مضمونا قِطعيّا صوتيّا مخصوصا في عبارة ما. ومن جهة أخرى، تنزع الواسمات النّحويّة إلى أن تكون خطاطيّة جدّا في القطب الدّلاليّ - وفي خلاف ذلك قد تكون ببساطة وحدات معجميّة. وبين

اللّسانيّين اتّفاق قليل في ما يتعلّق بأيّ العناصر يحدَّد بأنّه «نحويّ» عوض «معجميّ». تضمّ الأمثلة الّتي تعامَل عادة بالوجهين، الحروفَ (مثل [*for* «لِ»]، [*to* «إلى، لـِ»]، [*at* «في، عند»]، [*like* «مثلَ»])، والجِهيّات ([*may* «يمكن»]، [*can* «يستطيع»]، [*will* «سوف»]، [*shall* «سوف»]، [*must* «ينبغي، يجب»])، والضّمائر النّكرات ([*someone* «بعضهم»]، [*anywhere* «حيثما»]، [*everybody* «كلّ واحد»]، [*whatever* «مهما»]، [*who* «مَن»]). تشبه هذه جميعها الوحداتِ المعجميّة القياسيّة في اقترانها بمعان قابلة للتّمييز في ما بينها بوضوح. وتشبه معانيها، في نفس الوقت، معانيَ الواسمات النّحويّة الكلاسيكيّة من حيث كونها لطيفة، ومجرّدة، وصعبة التّفسير. ومن زاوية النّحو العرفنيّ الّذي يفترض وجود مدرّجة ما، لا تثير هذه الضّبابيّة مشكلا؛ لأنّ الخطاطيّة مسألة درجات، ومن المتوقّع، بالفعل، أنّ بعض العناصر ينبغي أن يكون مزدوجا من حيث منزلته المعجميّة أو النّحويّة. على أنّ النّقطة الأساسيّة تكمن في أنّ جميع الأشكال النّحويّة، بما فيها تلك الّتي تُعتَبَر الأكثر «نحويّة» من ضمن الواسمات النّحويّة، تُعتبَر في النّحو العرفنيّ ذات معنى - أي الأشكال من قبيل [*be* «كان»]، [*do* «فعل»]، [*of* «لِ»]، صرفم عدم التّصريف [*to*]، واسمات المطابقة، واسمات الحالات الإعرابيّة، واللّواصق الاشتقاقيّة .

2. ترتبط الواسمات النّحويّة ارتباطا وثيقا بالأقسام النّحويّة الّتي تجري في الأغلب لاشتقاقها أو للتّأشير عليها. فالقسم النّحويّ في حدّ ذاته، لا يتجلّى تجلّيا ظاهرا ولكنّه يكمن في مجموعة من الأبنية الرّمزيّة الّتي تشتغل على طريقة واحدة في بعض المظاهر. يثبت النّحو العرفنيّ أنّ الأقسام النّحويّة تقبل التّعريف على أسس رمزيّة، وأنّ الأقسام الأساسيّة، وهذا الأمر محلّ خلاف أكبر، مثل الاسم والفعل والصّفة والظّرف يمكن أن تُعْطَى توصيفات دلاليّة متجانسة (انظر الفصل 4). وعلى هذا، يحقّق جميع الأعضاء في قسم ما وصفا خطاطيّا ممثّلا للخصائص المجرّدة المشتركة بينها. فالخطاطة ثنائيّة القطب الّتي تحدّد قسم الاسم، على سبيل المثال، يمكن أن تكتب كما يلي: [[THING]/[...]] ([[**شيء**]/[...]])، حيث [THING] ([شيء]) يحدِّد أنّ الاسم يحيل على شيء (في المعنى الأوسع لهذه الكلمة)، وأنّ [...] تشير إلى أنّه ما من خصائص صوتميّة قد حُدِّدت. فمعنى أن تكون عبارة ما اسما يكمن في أنّها تحقّق هذه الخطاطة:

(7) (أ) [[MOON]/[moon]] → [[THING]/[...]]

[[**قمر**]/[قمَر]] → [[**شـــيء**]/[...]]

(ب) [[[TOOTH]/[tooth]]-[[BRUSH]/[brush]]] → [[THING]/[...]]

[[[**فرشاة**]/[فرشاة]]- [[**أسنان**]/[أسنان]]] → [[**شـــيء**]/[...]]

(ج) [[[[MOON]/[moon]]-[[LESS]/[less]]- [[NIGHT]/[night]]]] → [[THING]/[...]]

[[[[**ليل**]/[ليل]]-[[[**دون**]/[دون]]-[[**قمـر**]/ [قمَر]]]] → [[**شـــيء**]/[...]]

فـــ[*moon* «قمر»]، و[*toothbrush* «فرشـاة أسـنان»]، و[*moonless night* «ليل دون قمر»] جميعها أسـماء لأنّ كلّ واحد منها بنية رمزيّة تعيّن شـيئا.[16] فأغلب الأسـماء تبلورُ الخطاطةَ دلاليّا وصوتميّـا في آن. ومع ذلك يمكن القول إنّ العنصر النّحوي [*thing* «شيء»] - ذاك الّذي يظهر في أشكال مثل [*something* «بعـض الشـيء»]، و[*nothing* «لا شـيء»]، و[*anything* «أيّ شـيء»]- أكثـر تخصيصا في القطب الصّوتميّ فقـط: [[THING]/[thing]]. فيكون، حينئذ، وصف قسم الاسم، في ضوء ما ينصّ عليه الرّسم البيانيّ 1. 4 (b)، خطاطيّا في كلّ من القطبين: المشـكّل النّحويّ [*thing* «شـيء»] خطاطيّ دلاليّا ولكنّه مخصَّص صوتميّا، ووحدة معجميّة قياسـيّة من قبيل [*moon* «قمر»]، كذلك، مخصَّصة دلاليّا.

3. تحتـلّ القواعد النّحويّة الجزء المتبقّـي من الفضاء التّجريديّ المبيّن في الرّسـم 1. 4 (b). وبسـاطة أعني بكلمـة قاعدة توصيف قالب مـا.[17] تأخذ القواعد، في النّحو العرفنيّ، شـكل الخطاطات: هي قوالب تجريديّة يكون الحصول عليها بتعزيز القواسم المشتركة الكامنة في مجموعة من التّحقُّقات. وبما أنّ القواعد النّحويّة قوالب في تكوين العبارات المركّبة رمزيّا، تكون في ذاتهـا مركّبة رمزيّـا، وخطاطيّة أيضـا. تتكوّن العبـارات المركّبة من تجميعـات رمزيّة مخصّصة، وتكـون القواعد الّتي تصفهـا تجميعات رمزيّة تجسِّد سماتها المشتركة بينها.

يمكـن للصّياغـة الخطاطيّـة أن تبلـغ أيّ درجة مـن الدّرجـات. فإذا ما أقامـت العبارات المخصوصة خطاطات المسـتوى السّـفليّ مـن قبيل [*hit X in the back* («ضـرب س علـى الظّهـر»)]، و[*kick X in the shin* («ركل س على قصبة السّـاق»)]، و[*poke X in the eye* («أدخل الأصبع في عين س»)]، تمثّل هذه

الخطاطات بدورها مصدرا لاستخراج خطاطة المستوى العلويّ [V_s *X in the* N_b] («ف$_{\text{ضرب}}$ **س** في الـ اسم$_{\text{جسد}}$»)]. ويمكن لهذه أن تحقّق خطاطة أكثر تجريدا تتأسّس على دائرة أوسع من المعطيات. على سبيل المثال، [V_c *X P the* N_b] (حيث [V_c] فعل$_{\text{تماسّ}}$) قد تندرج فيها القوالب من قبيل: [*kiss X on the cheek*] ("قبّل [س] على الوجنة")]، و[*grasp X by the wrist*] ("أمسك [س] من المعصم")]، و[*chuck X under the chin*] ("ربت على [س] تحت الذّقن")]، و[*grab X around the waist*] («أمسك س حول الخاصرة»)]. وتُظهِر هذه الأمثلة، فوق ذلك، أنّ مختلف المكوّنات في تجميعة رمزيّةٍ مركّبةٍ يمكن أن تكون خطاطيّة على درجات متفاوتة.

ويمكن أن تُظهِر التّجميعاتُ الخطاطيّةُ الّتي تصف القوالبَ النّحويّة، كذلك، أيّ درجةٍ من درجات التّركّب الرّمزيّ. وغالبا ما تندرج الخطاطات الأبسطُ في خطاطات أكثر تركّبا بأن تكون من مكوّناتها. على سبيل المثال، تحقّق الصّفاتُ من قبيل [*moonless* «دون قمر»]، و[*childless* «دون أطفال»]، و[*hopeless* «دون أمل»]، و[*treeless* «دون شجر»]، و[*fruitless* «دون ثمر»]، و[*cordless* «دون سلك»]، قالبا اشتقاقيّا يمكن أن نكتبه في شكل [*N+less* "دون+ اسم"].[18] وهذه التّجميعة الرّمزيّة الخطاطيّة مكوّن واحد من [N_1 *+less* N_2 "اسم$_1$ + دون اسم$_2$"] (كما في [*moonless night* "ليل دون قمر"]، و[*childless couple* "زوجان دون أطفال"]، و[*hopeless situation* "وضع دون أمل"]، و[*treeless plain* "سهل دون شجر"]، و[*fruitless search* "بحث دون نتيجة"]، و[*cordless phone* «هاتف دون سلك»])، هذه الّتي تكون بدورها جزءا من تجميعةِ [N_1 *+less* N_2 "اسم$_1$ + دون اسم$_2$"].

تكمن معرفة متكلّم ما بالقوالب النّحويّة في رصيد شاسع من التّجميعات الرّمزيّة الّتي تتنوّع تنوّعا شديدا في ضوء معياري الخطاطيّة والتّركّب الرّمزيّ. هو رصيد ذو بنية منضّدة تنضيدا عاليا، من حيث كانت التّجميعات فيه ذات علاقات متنوّعة في ما بينها، من قبيل التّحقيق، والتّراكب، والتّضمّن. تُجرَّد هذه الخطاطات من العبارات الجارية، وحالما تستقرّ وحدات يمكن أن تُستخدَم قوالب تقود تكوين العبارات الجديدة على نفس النّمط. مثلا، حالما تكون التّجميعة الخطاطيّة [N_1 *+less* N_2 "اسم$_1$ + دون اسم$_2$"] قد جُرِّدت لتمثّل القاسم المشترك من العبارات الثّابتة من قبيل [*moonless night* "ليل دون قمر"] و[*childless couple* "زوجان دون أطفال"] و[*hopeless situation* "وضع دون أمل"]،

إلـخ، تكون متوفّرة بالاستتباع لإجازة جريان عبارات جديدة مثل [*moonless world* «عالم دون قمر»]، و[*dollarless surgeon* «جرّاح دون دولار»]، و[*ireless dwarf* «قزم دون غضب»].[19] يستقيم جميع ذلك بالنّسبة إلى كلّ من القوالب الصّرفيّة والقوالب الإعرابيّة. فإذا أردنا أن نقيم تمييزا، لا يمكننا أن نفعل شيئا أحسن من أن نتابع التّحليل التّقليديّ في رسم الخطّ في مستوى الكلمة. فيُوصَف الصّرف، حينئذ، باعتماد التّجميعات الخطاطيّة (مثل [*N*+*less* "دون+ اسم"] الّتي لا تتجاوز تحقّقاتُها الكلماتِ حجما، ويوصف الإعراب باعتماد تجميعات (مثل تجميعةِ [N_1 *less* N_2 "اسم$_1$ + دون اسم$_2$"]) ذات تحقّقات متعدّدة الكلمات. وحتّى في هذه الحال، تكون الحدود غائمة، إذ يكفي لذلك أن توجد عبارات (من قبيل الكلمات المركّبة) تكون وسطا بين الكلمات المفردة والسّلاسل ذات الكلمات المتعدّدة.

1. 3. 4 شرط المضمون

مقارنةً بالجهاز الوصفيّ الّذي يُستحضَر استحضارا روتينيّا في سائر الأطر النّظريّة، يكون النّحو العرفنيّ محافظا جدّا ذا درجة عالية من التّقييد في ما يسمح به للمحلّل أن يفترضه. فكلّ تهويمة قد تراود النّحاة العرفنيّين من ذوي الخيال الواسع، مقيّدة تقييدا شديدا بشرط المضمون. ينصّ هذا الشّرط، وقد اعتمِد فرضيّة عمل صلبة، على أنّ العناصر الوحيدة الّتي تَقبَل أن تُنسَب إلى نظام لغويّ ما هي: (ا) أبنية دلاليّة، وصوتميّة، ورمزيّة تجري بالفعل أجزاء من العبارات؛ و(اا) التّجريدات الخطاطيّة للأبنية الجائزة؛ و(ااا) علاقات المقْوَلة بين الأبنية الجائزة. ويتمثّل مركز العناية في شرط المضمون، في أنّ المعرفة اللّغويّة الّتي ننسبها إلى المتكلّمين يجب أن تقتصر على عناصر الشّكل والمعنى الّتي توجد في العبارات الجارية بالفعل، أو الّتي تشتقّ من هذه العناصر عبر الظّواهر النّفسيّة الأساسيّة المذكورة في الفقرة § 1. 3. 1: التّرابط، والتّألية، والتّجريد الخطاطيّ، والمَقْوَلة. فهذا التّقييد يضمن بإبقاء أقدامنا على الأرض الطّبيعيّة والتّقشّف النّظريّ في آن.

يفرض البند (ا) من شرط المضمون النِّظرةَ الرّمزيّة إلى النّحو ويُجذِّر الأوصاف اللّسانيّة في الأصوات والمعاني الّتي تجري في الاستعمال الفعليّ. وهذه الأصوات تدرَك إدراكا مباشرا، بمعنى أنّنا نسمعها ونُنتِجُها في حدث استعماليّ ونفهمها بوجه من الوجوه. ولها كذلك مضمون صميميّ يرتبط بعوالم أوسع من التّجربة - تُمثِّل أصواتُ الكلام قسما خاصّا من الظّواهر

السّـمعيّة، وتُمثِّل المعاني اللّغويّةُ حـالاتٍ خاصّةً من المفهَمَة. ومقابل ذلك، ليس النّحو في حدّ ذاته، شيئا يعي به المتكلّمون من غير ذوي الدّربة اللّسانيّة. فهـو لا يُدرَك إدراكا مباشـرا بنفـس الطّريقة الّتي تُـدرَك بها الأصوات والمعانـي، ولا هو يُظهِر أيّ عالَم أوسـع مـن التّجربة. يُتَصـوَّر النّحو، بطريقة معقولة، على أنّه كامن في القاسـم المشترك المجرَّد من التّقارنات الزّوجيّة بين الصّوت والمعنى- يعني ذلك، يُتصوَّر على أنّه رمزيّ بطبيعته.

لِـنرَ كيف ينطبق شـرط المضمون، بدءا بالأبنية الصّوتميّة. يسـمح لنا البنـد (ا) بـأن نفترض وجود عناصـر مخصوصة من قبيـل القِطَع والمقاطع وأيّ سلسـلة أوسع تكون متواترة بما يكفي لتصير مترسّخة من حيث هي وحدات. ومن حيث نحن متكلّمون بالإنجليزيّة، مثلا، نكون ملمّين بنطق قطـع صوتيّة ([a]، و[t]، و[m]، و[s]، إلخ) وعـددٍ مهمّ من المقاطع المتواترة مثال ([hap] ،[liv] ،[mɛk]).[20] ويسمح البند (اا) بإقامة خطاطات مجرّدة للقِطع والمقاطع. وفي مسـتويات مختلفة من التّجريد، يمكن أن نفترض، على سبيل المثال، أنّ الخطاطات تُمثِّل ما هو مشـترك بين الحركات الأماميّة العليا في لغة ما، أو بين الحركات الأماميّة، أو بين الحركات في العموم. توصِّف كلّ خطاطة قسـما طبيعيّا من القِطع. ويجسّـد القالب الخطاطيّ [CVC]، على نفس الشّـاكلة، المشـتركَ التّجريديّ بين [hap] و[liv] و[mɛk]، من جهة، ومقاطع أخرى كثيرة، من جهة أخرى. ويسمح لنا البند (ااا) بأن نفترض علاقات مقْوَلة من قبيل تلك الّتي تكون بين الخطاطات وتحقّقاتها. وعلى هذا، تُبيِّن الصّياغة [[*hap*] → [CVC]]، أنّ [*hap*] تُمَقْوَل على أنّها تَحقُّقٌ لمقطع من نوع [CVC].

وقياسـا على ذلك، يسمَح شـرط المضمون بافتراض أبنية دلاليّة خطاطيّة وأبنيـة دلاليّة مخصوصة، وكذلـك علاقات من المقْوَلـة الدّلاليّة. تكون الوحـدات المفهوميّـة مفيـدة لغويّـا بأكبر ما يكـون من الجـلاء - وتبعا لذلك تكـون مؤهّلة لأن تكون وحدات دلاليّـة - بحكم كونها مُرمَّزة بصفة فرديّة.[21] وتكون التّصوّرات الّتي تشـتغل معانـي تواضعيّة للوحدات المعجميّة مسـموحا بها بحكم البند (ا) من شـرط المضمون. فإذا ما أُعْطِينا مجموعـة من الوحـدات الدّلاليّة المتماثلة، من قبيـل [ROSE "وَرْد"] [DAISY "أقحوان"]، و[TULIP "خزامى"]، يُقرُّ البند (اا) بنيةً أكثر خطاطيّة تمثّل القاسم المجرّد المشـترك بينها، وهو فـي هذه الحـال [FLOWER "زهر"]. في حين تكون [FLOWER "زهر"]، في ذاتها معنى معجميّا، ومتوفّرة تبعا لذلك بصفة

مباشـرة بحكم البند (ا)، يمكننا أن نتخيّل فوريّا خطاطات ليست كذلك. فمن المعقول، على سبيل المثال، أن يستخرج متكلّمون كثيرون من مفاهيم مثل [HORSE "فـرس"]، و[DONKEY "حمار"]، و[ZEBRA "حمار وحشـيّ"]، تصوّرا خطاطيّا هو [CREATURE HORSE-LIKE "كائن شـبيه بالفرس"] الذي لا يملكون وسـائل معجميّة للتّعبير عنه (إذ كلمة [*equine* "خيليّ"] شـكلٌ متعلّـم). وفـي كلتا الحالتيـن، تكون علاقـات المقْوَلة الدّلاليّـة قابلة لأن تُنسَـب إلى النّظام اللّغويّ وفـق ما ينصّ عليه البنـد (ااا): [[FLOWER "زهر"] ← [TULIP "خزامى"]]، [[CREATURE HORSE-LIKE "كائن شبيه بالفرس"] ← [DONKEY "حمـار"]]. كما يُسـمَح بعلاقات الاتّسـاع الدّلاليّ من قبيل [HORSE "**فـرس**"] --› [DONKEY "**حمـار**"]، حيث يكون حمار مُمَقْوَلا على أنّه نوع غريب من الخيل.

تكـون النّماذج مـن الوحدات الرّمزيّة الّتي يسـمح بها البند (ا) من شـرط المضمون، أسـماء مخصّصـة مثـل [[moon]/[MOON]]، و[[tulip]/[TULIP]]، و[[hope]/[HOPE]]. ويسـمح البند (اا) بخطاطة قسم الكلام [[...]/[THING]] الّتي تصف ما تشـترك فيه الأسـماء، ويسـمح لنا البنـد (ااا) بتصنيف العناصر المخصوصة في قسم الأسماء، مثل [[...]/[MOON]/[moon]] → [[THING]]. وعلينـا كذلك أن ننظر فـي العبارات المركّبة رمزيّا، من مثل [*moonless* «دون قمر»]، و[*cordless* «دون سلك»]، و[*toothless* «دون أسنان»]. فالبند (ا) يسمح بهذه العبارات، والبند (اا) يسـمح بالقالب [*N+less* "دون+ اسـم"]، والبند (ااا) يسـمح بمقْوَلة تلك العبارات على أنّها تحقّقات للقالب. وبالنّسـبة إلى كلمة [*moonless* «دون قمر»]، نرى ذلك بشكل صياغيّ (رياضيّ) في (8) (أ)-(ج) تباعا:

(8) (أ) [[**دون**]/[دون]] - [[**قمر**]/[قمَر]]] [[[MOON]/[moon]] - [[LESS]/[less]]]

(ب) [[[**شيء**]/[...]] - [[**دون**]/[دون]]] [[[THING]/[...]] - [[LESS]/[less]]]

(ج) [[[[THING]/[...]] - [[LESS]/[less]]] → [[[MOON]/[moon]] - [[LESS]/[less]]]

[[[[**دون**]/[دون]]- [[**شيء**]/[...]]] ← [[[**دون**]/[دون]] - [[**قمر**]/[قمَر]]]

نفترض أنّ النّحو يكمن في شبكة واسعة من التّجميعات الرّمزيّة من هذا القبيل، وهي ذات درجات مختلفة من التّجريد ومن التّركّب الرّمزيّ.

ويمنع شرط المضمون المحلّلَ من اللّجوء إلى الأنواع المختلفة من الأدوات المستخدَمة بتواتر في النّظريّات الشّكليّة. وبما أنّ القوالب لا يمكن أن تظهر

إلاّ بالتّجريد الخطاطيّ للعبارات الجارية، يَستبعِد هذا الشّرطُ الاشتقاقات من الأبنية الكامنة ذات الخصائص المتباعدة.[22] وتُستَبعَد كذلك العناصر الّتي لا شكل لها ولا معنى (مثل، «الآثار») الّتي افتُرضت فقط لتشغيل آلة الإعراب المستقلّ بذاته. ثمّ أخيرا وليس آخرا، يمنع شَرط المضمون استعمالَ «المصافي»، وهي تلك القواعد الّتي تنصّ بالتّحديد على ما لا يمكن أن يجري في العبارات ذات البناء الجيّد. يفترض النّحو العرفنيّ أنّ اللّغات تُتَعلَّم، وأنّها تُتَعلَّم، في المقام الأوّل، بتقوية القاسَم المشترك الكامن في ما يجري جريانا فعليّا. ومع ذلك، لا يمكنني أن أدّعي أنّني قد برهنت على أنّه يمكن اجتناب الأحكام السّلبيّة اجتنابا تامّا، وعلى أنّ الأوصاف الّتي تَستعمِل التّخصيصات الإثباتيّة فقط هي الفضلى لتفسير جميع الأبنية والقيود اللّغويّة. ورغم ذلك، ما كان هذا ليكون طبيعيّا جدّا ومرغوبا فيه كثيرا من حيث هو فرضيّة عمل، لو لم يُقدِّم لتعلّم اللّغة تفسيرا هو أكثر التّفاسير مباشرة.

هوامش الفصل

[1]– يقرّ هذا النّاقد فعلا بأنّني أمثّل «نموذجا جيّدا على ذلك» (هادسن 1992: 508).

[2]– أسمّي هذا المغالطة القائمة على النّوع/ قابليّة التّوقّع. ولنا مثال ممتاز في نيومايير 1983.

[3]– انظر لانقاكر 1999c. الفرق لا يتعلّق بالصّرامة أو بالدّقّة أو بدرجة الشّكلنة، أو بالجدارة العلميّة. وتتنوّع كلّ من المقاربتين الشّكليّة والوظيفيّة تنوّعا واسعا في ضوء هذه المعايير.

[4]– لا يسعني هنا إلاّ أن أذكر بعض المراجع الأساسيّة. في ما يخصّ النّحو البنائيّ، انظر فيلمور 1988؛ غولدبارغ 1995، كروفت 2001. وفي نظريّة الاستعارة، انظر لايكوف وجونسون 1980؛ لايكوف وتورنر 1989؛ غرايدي وطوب ومورغان 1996؛ كوفيتشيس 2000، 2005. وفي نظريّة المزج والأفضيّة الذّهنيّة، انظر فوكونياي 1985، 1997؛ فوكونياي وسويتسر 1996؛ فوكونياي وتورنر 2002. في الدّلالة المفاهيميّة، انظر فاندولواز 1991؛ فيرزبيكا 1996؛ طالمي 2000a، 2000b؛ تايلر وإيفانس 2003؛ هامب 2005. وفي الخطاب والتّداوليّة، انظر هوبّر وطومسون 1980؛ غيفون 1983؛ ديبويس 1987؛ تشافي 1994؛ لامبرخت 1994؛ فيرهاغن 2005. وفي نظريّة الإنحاء، انظر تروغوت 1982، 1988؛ هايني وكلاودي وهونّماير 1991؛ هايني 1997؛ هوبّر وتروغوت 2003. وفي التّصنيفيّة الكونيّة، انظر غيفون 1984؛ بايبي 1985؛ كروفت 1990؛ طالمي 1991؛ كيمّار 1993؛ هاسبلماث 1997.

[5]– ولذلك يعتبر النّحو العرفنيّ عند بعض الوظيفيّين منوالا شكليّا. ولكن الشّكليّين ينزعون إلى عدم الوقوع في هذا الخطإ.

[6]- بانبثـاق هـذا البديـل الأكثر معقوليّـة من زاوية نفسـيّة، تصير الحوسـبة الخوارزميّة المنطبقة على التّمثيلات الرّمزيّة المتفاصلة أقلَّ شـأنا في اللّسـانيّات بصفة تدريجيّة. (في هذا السّياق، تحيل كلمة ‹رمزيّ› على الرّموز المستعملة في حوسبة تُعتَبر في العادة مفرَغة من كلّ محتوى. يختلف هذا اختلافا كبيرا عن كلمة «رمزيّ» كما تُفهَم في النّحو العرفنيّ حيث تكون بنية رمزيّة ما ذاتَ معنى بطبيعتها.)

[7]- بمـا أنّنـا نـرى أنّ النّحو رمزيّ، لا يوجد تمييز حادّ في الرّسـوم البيانيّـة بين الدّلاليّة والنّحويّة. وهذه الأخيرة تتضمّن بدورها تمثيلات للمعنى.

[8]- أسـمّي هذا "المغالطة الإقصائيّة» (لانقاكر 1987: §1. 1. 6). من أمثلتها السّـؤال المتواتـر (وهـو غير ذي جدوى فـي النّحو العرفنيّ) والمتعلّق بموقع شـيء ما، «في المعجم» هو أو « في الإعراب».

[9]- بحكـم الممارسـة والميل، أنا أخيّـر التّفاصل، ولكنّ اللّغة كانـت قد اختارت أن لا تتعاون معي. وسوف تكون النّقاط من (1) إلى (10) موضوعا لنقاش لاحق.

[10]- لأغلب الغايات اللّسانيّة ننشغل بالتّمثيل العرفنيّ للأبنية الصّوتميّة أكثر من تحقّقها الفيزيائـيّ الفعلـيّ. وعلى هـذا يكون من المنسـجم أن نفترض أبنية صوتميّـة («خطاطيّة») لا يمكنها، في حدّ ذاتها، أن تتجلّى تجلّيا ظاهرا.

[11]- لتبسـيط هذه الرّسـوم البيانيّـة الأوّليّة، لا يكـون القطبان الدّلالـيّ والصّوتميّ في الأبنية من المسـتوى الأعلى، متمايزين في الرّسـم. وقيمهما الدّلاليّة والصّوتميّة تتأسّس على قيم العناصر المكوّنة لهما، وإن كانتا غير قابلتين للانخزال فيهما انخزالا صارما.

[12]- وكذلك، عندما نستحضر الألفبائيّة بشكل آليّ علينا أن ننطق بجميع الحروف.

[13]- لسـهولة النّقـاش، أمزج معيارين كان مـن المفروض أن يميّز بينهما: الرّسـوخ أو منزلة الوحدة (في ما يهمّ متكلّما مخصوصا) والتّواضعيّة (في ما يهمّ مجموعة لغويّة ما).

[14]- هـذا بالتّحديد ما يقصَد بـه مصطلح «عبارة». تتضمّن الفكـرة الكثير من اللّطائف ولكنّها لا تعنينا هنا (انظر لانقاكر 1987: §11. 2. 1).

[15]- تتضمّـن بدائـل مصطلح "الواسـمات النّحويّـة"، "الصّرفم النّحـويّ"، و"الكلمة الوظيفيّة"، و"الكلمة الفارغة"، و"عنصر من المجموعة المغلقة".

[16]- هذا التّوصيف المؤسَّس على المعنى لا يكتفي بالوحدات المعجميّة المعترف بها تقليديّا، أو بالعبارات الثّابتة. وبهذا المعنى الواسع، حتّى المركّب الاسميّ المليء (الثّابت أو الجديد)، يصنّف على أنّه نوع مخصوص من الاسم.

[17]- يُسـتعمَل مصطلـح "قاعدة"، أحيانا في معنى أضيق، مثـلا، للدّلالة على الأحكام "البنائيّة" (من قبيل قواعد إعادة الكتابة في النّحو التّوليديّ) مقابلَ القوالب.

[18]- التّمثيلات الصّياغيّة مثل [$less + N$ "دون+ اسم"]، و[$less\ N_2 + N_1$ "اسم$_1$ + دون اسـم$_2$"]، و[$V_s\ X\ in\ the\ N_b$ («ف$_{ضرب}$ **س** فـي الـ اسم$_{جسد}$»)]، مجرّد صيـغ مختزلة. ينبغي على الأوصـاف الحقيقيّة لتلك التّجميعات في النّحـو العرفنيّ أن تحدِّد في بعض التّفصيل كلاّ من البنية الدّاخليّة في العناصر الرّمزيّة والعلاقات الّتي تكون للواحد منها مع الآخر.

[19]– لا يحتـاج اسـتخراج خطاطة ما إلـى تطلّب عبارات ثابتة. فإنشـاء الخطاطات هو مجـرّد تقويـة للقواسـم المشـتركة المتواترة الّتـي يمكنها أن تتأصّـل على الوجـه الأكمل في العبارات الجديدة، هذه الّتي لا يمكن للواحدة منها أن تتكتّل في شكل وحدة.

[20]– مـن غيـر المفيـد أن نُحـدِّد مـا إذا كانت هـذه القطع تسـتطيع أن تشـتغل صرافم، باعتبارهـا وحدات صوتميّة صِرفا. ومـن الطّبيعيّ، أنّ العناصر ما فوق القطعيّة تبقى في حاجة إلى تحديد، كذلك.

[21]– لا تحتـاج الوحـدات الدّلاليّة إلى أن ترمّز ترميزا فرديّا (كما لا حاجة إلى أن تكون الوحـدات الصّوتميّـة دالّة بصفـة فرديّة). فلا يوجد، على سـبيل المثال، كلمة ذات اسـتعمال يومـيّ تطلـق على أقصى امتـداد لمقولة ما، أي جمّـاع تحقّقاتها كلّها. ومع ذلـك، تكون هذه الفكرة مكوّنا مفهوميّا من [*all* "جميع"]، و[*most* "معظم"]، و[*some* "بعض"]، الّتي تحيل على نسب متنوّعة من الامتداد التّامّ.

[22]– لكنّ المقصود من البند (iii) هو السّـماح بالتّوسّـع (وبسلاسل من التّوسّع) انطلاقا من طراز ما. (لمناقشة الفرق، انظر لانقاكر 1987: 11. 3. 3.)

2. علم الدّلالة المفهوميّة

يتّفق اللّسانيّون، في حالة من حالات الإجماع النّادرة، في كون النّحو على غاية من التّعقيد والصّعوبة في الوصف وصفا مناسبا. ولِمَ كان النّحو على هذه الدّرجة من الصّعوبة؟ السّبب، في ما أرى، يكمن بالتّحديد في كون النّحو ذا معنى؛ فهو، عوض أن يكون مستقلاّ بذاته، يكمن في القوالب الخطاطيّة المجرّدة للتّنضيد المفهوميّ وللتّرميز. ولهذا السّبب، نكون في حاجة إلى علم دلالة مفهوميّة. فلا يمكننا أن نصف النّحو بطريقة كاشفة دون أن نُوصِّف الأبنيةَ المفهوميّة الّتي يتضمّنها توصيفا محكوما بالمبادئ وجليّا إلى حدّ معقول.

2. 1. المعنى والتّمثيلات الدّلاليّة

تقوم الكيفيّة الّتي بها نصِف النّحو على تصوّرنا للمعنى اللّغويّ. ولسوء الحظّ، لا يوجد إجماع عامّ في هذه النّقطة. فحتّى أبسط المواضيع - دور العرفنة في الدّلالة، مثلا- محلّ خلاف مزمن ومتواصل. اسمحوا لي، إذن، بأن أورد الخطوط العريضة للحجج الّتي تقوم عليها بعض المواقف المعتمدة في النّحو العرفنيّ.

2. 1. 1 هل المعاني مركوزة في الرّأس؟

نهتمّ هنا بمعاني العبارات اللّغويّة. وأين يمكن العثور على هذه المعاني؟ والجواب، من منظور لسانيّ عرفنيّ، بديهيّ: المعاني مركوزة في أذهان المتكلّمين الّذين ينتجون العبارات ويفهمونها. ويصعب أن نتخيّل مكانا آخر يمكن أن تكون فيه تلك المعاني. ورغم هذا، هناك دارسون كثيرون يقاومون هذا الجواب أو يرفضونه. والتّصوّر المفهوميّ للمعنى ليس بديهيّا، كما يبدو لأوّل وهلة، فمن الواجب أن يؤوَّل التّأويل المناسب.[1]

فما هي الأجوبة البدائل؟ والخياران الأوّلان، في شكلهما الأقصى، يتركان الذّهن والجسد البشريّين كليهما، خارج الدّائرة. فالتّصوّر الأفلاطونّي يعتبر اللّغة وحدة تجريديّة منقطعة عن الجسد لا يمكن تحديد

موضعها. فتُعتبَر المعاني اللّغويّة، مثل الأشياء والقوانين في الرّياضيّات (المثال الهندسيّ للدّائرة، مثلا)، متعالية موجودة بشكل مستقلّ عن الأذهان وعن الإرادة البشريّة. والموقف الموضوعيّ أرسخ في التّقليد- وهو ما يزال غالبا في الفلسفة والمنطق وعلم الدّلالة الشّكليّة- من حيث يحدّد معنَى جملةٍ ما باعتماد مجموعة من الشّروط يكون فيها ذلك المعنى صادقا. تتعلّق «شروط الصّدق» هذه بما يكون عليه العالَم من زاوية موضوعيّة، بصرف النّظر عن الكيفيّة الّتي يمكن أن يُتَصوّر بها. ويناقض الخياران كلاهما، مناقضة حادّة، التّصوّرَ العرفنيّ المفهوميّ القائم على كون المعنى مشتقّا من التّجربة البشريّة المجسدنة. فالواجب على هذا الكتاب أن يبرهن بشكل واسع على الدّور الحاسم الّذي يكون للعمليّات الذّهنيّة في الدّلالة وفي النّحو.

ويكون البديل التّفاعليّ أكثر معقوليّة، من حيث يَأخذ، بالفعل، النّاسَ بعين الاعتبار ولكنّه يفترض أنّ الذّهن الفرديّ ليس المكان المناسب للبحث عن المعاني. وعوض ذلك، تُتصوّر المعاني فيه منبثقة انبثاقا حيويّا في الخطاب وفي التّفاعل الاجتماعيّ. فهي، عوض أن تكون ثابتة ومحدّدة سلفا، تتكوّن بالتّفاوض بين المتحاورين على أساس المقام المادّيّ واللّغويّ والاجتماعيّ والثّقافيّ. والمعنى غير ذي موقع محدَّد، إنّما هو موزَّع، تكمن مظاهره في لغة المجموعة البشريّة، وفي الظّروف الواقعيّة للحدث الكلاميّ وفي العالم المحيط. فليس هو، على وجه الخصوص، في داخل رأس المتكلّم الفرد. فالتّصوّر السّكونيّ الجزيريّ الّذي يُنسَب إلى علم الدّلالة العرفنيّة، يُعتبَر عاجزا عن الإحاطة بالبناء الّذي يجري في الخطاب الحقيقيّ، من حيث طبيعته الحركيّة البين ذاتيّة المرتبطة بالسّياق.

والبديل التّفاعليّ، في حدّ ذاته، مستقيم بكلّ تأكيد. ولكنّه ليس بديلا - إذ تمثّل أفكارُه الرّئيسيّة، بالفعل، المبادئَ الأساسيّة في الدّلالة العرفنيّة. ولئن كان وصف الدّلالة العرفنيّة بكونها سكونيّة وجزيريّة شائعا، فهو وصف خاطئ بكلّ بساطة. وعلى عكس ذلك، يحتاج الوصف الكاشف للتّفاعل التّواصليّ إلى الاعتراف بالتّصوّرات الّتي تُستَعمَل في الخطاب وإلى توصيفها. فالمقاربتان العرفنيّة والتّفاعليّة، حينئذ، متوافقتان، شريطة أن توصف الأولى وصفا صحيحا وأن تُصاغ الأخيرة صياغة مناسبة. وما من صراع ينشب إلاّ مع صياغة متطرّفة للتّفاعليّة - صياغة تنفي أيّ دور مركزيّ للعرفنة.

يلائم موقف النّحو العرفنيّ في شأن هذه المسائل كلاّ من المنطلقات العرفنيّة والتّفاعليّة. ويمكننا أن ندرك قيمته بمقارنته ببعض المواقف المتطرّفة الّتي تتعارض في ما بينها تعارضا تامّا. تأمّلوا الموقفين المتعارضين: كلّ شيء من ذلك داخل الرّأس؛ لا شيء من ذلك داخل الرّأس. حسب الموقف الأوّل (وهو نوع من الأنويّة)، تجري العرفنة داخل جمجمة مغلقة بإحكام، لا تسمح بأيّ دخْل من الخارج أو بأيّ منفَذ عليه من الدّاخل؛ فهو إذن موقف لا اجتماعيّ ولا سياقيّ، بما أنّ التّأمّل مقصور على ما يجري في الدّاخل. وحسب الموقف الأخير، يكون المعنى ناشئا عبر التّفاعل التّواصليّ بين النّاس الّذين تكون رؤوسهم - في كلّ الأحوال- فارغة تماما. فأن نعبّر عن هذين الموقفين بطريقة صريحة معناه أن نرى مدى السّذاجة فيهما. وحتّى في هذه الحال، قلّما يكون اللّسانيّون العرفنيّون بمنأى عن الاتّهام بكونهم أنويّين، وتعطي التّحليلات التّفاعليّة، في بعض الأحيان، الانطباع بأنّ كلّ شيء داخل الرّأس غير مفيد.

فالعرفنة الّتي يتصوّرها اللّسانيّون العرفنيّون ليست جزيريّة، بحكم كونها متجذِّرة في الإدراك وفي التّجربة الجسديّة. وبما أنّ التّفاعل الاجتماعيّ يُنشِط النّموّ الذّهنيّ ويقوده، يكون المكتسَب من المهارات والمعرفة منسجما انسجاما شديدا مع المحيط الاجتماعيّ الثّقافيّ. فالتّصوّرات الّتي نقيمها داخليّةٌ بوجه لا يمكن إنكاره، بمعنى أنّها تجري في الدّماغ، وفوق ذلك، يمتدّ مداها إلى ما جاوزه، بمعنى أنّ كلّ تصوُّر منها هو تصوُّر لوجه ما من وجوه العالم.[2] فعندما نتكلّم، نحن لا نقيم تصوّرا لما نتكلّم عنه فقط، بل نقيم كذلك تصوّرا للسّياق في جميع أبعاده بما فيها تقديرُنا لمعارفِ مخاطَبنا ولنواياه. فالتّصوّر، عوضا عن كونه جزيريّا، حينئذ، وجب أن يعتبَر وسيلة أوّليّة في الفِعل في العالم. فالرّؤوس الفارغة لا تستطيع أن تتكلّم أو تتفاعل أو تتفاوض في بناء المعاني.

ومن المسائل المرتبطة بهذا ارتباطا وثيقا، مسألة المَحلّيّة. هل يمكن للمعاني أن تكون محلّيّة، تتضمّنها أذهان المتكلّمين الأفراد، أو هل هي موزَّعة على مجموعة لغويّة ما، وعلى السّياق الفوريّ المباشر للكلام، وكذلك على العالم المادّي والاجتماعيّ الثّقافيّ؟ ومن الجليّ عندي أنّ الصّيغة المتطرّفة للتّوزّعيّة، حيث لا شيء يُنسَب إلى الأذهان الفرديّة، صيغة لا يمكن أن ندافع عنها، بكلّ بساطة. وكذا نقيضتها، الصّيغة المتطرّفة

للمحلّيّة، حيث يوضَع كلّ شيء ذي علاقة داخل ذهن واحد، لا يمكن أن ندافع عنها. لكنّني أجد أنّه من المعقول أن نقول إنّ متكلّما واحدا يفهم معنى عبارة ما، شريطة أن نقيم بعض مظاهر التّمييز الدّقيقة ولكنّها مهمّة جدّا.

علينا أن نميّز بين الملابسات المتنوّعة الّتي تنشئ إمكانيّة التّفاعل الحامل للمعنى، من جهة، والتّجربة الذّهنيّة الحقيقيّة الّتي تكون للفرد وهو يشارك في مثل ذلك التّفاعل، من جهة أخرى. وبالفعل تحمل مظاهرُ لا حصر لها من الأشياء في المحيط إمكانيّةَ الدّلالة على معنى: مواجهة مُحاوِر بعينه في وضعيّة اجتماعيّة بعينها، أداة مصمَّمة بوضوح لأداء وظيفة بعينها، عَمل موافِق لسلوك ثقافيّ مألوف، وما إلى ذلك. فعلى هذا، إذا مدّ طبيب ما خافِضَ لسان ما في اتّجاه فمي وقال [*Open wide* "افتح واسعا"]، يكون فهمي لما ينوي الطّبيب فعلَه، ولما يكون من المفروض عليَّ أن أفعل، أوسعَ في مضمونه بكثير من أيّ شيء يمكن أن يُشتقَّ من العبارة اللّغويّة بمفردها. (أعلم، مثلا، أنّني لن أستجيب للطّلب بالاقتراب من خزانة ما وجذب درج منها إلى أقصاه.) وقد لا يكون مخالفا للمعقول، أن توصف الملابسات المحيطة بكونها "مُشرَبة بالمعنى" أو "جزءا من المعنى" الّذي يكون للعبارة في السّياق. ومع ذلك، أعتقد أنّنا نزيد من درجة الوضوح ومن الدّقّة التّحليليّة، بتخصيص مصطلح "المعنى" للدّلالة على الكيفيّة الّتي يَفهَم بها متكلّم ما عبارة ما (من حيث قدرته على التّكلّم أو على السّماع). فهي تتضمّن، حينئذ، إدراك متكلّم ما للملابسات وتستغلّ إمكانَ المعنى الّذي تحمله. ولكنّها لا يمكن أن تُعتَبَر مطابقة لتلك الملابسات. وعلى هذا التّعريف، يكمن معنى عبارة ما في نشاط المفهمة الّذي يكون للمتكلّمين الأفراد.

ولكن هل يعرف المتكلّم الفرد معنى عبارة ما، معرفة حقيقيّة؟ ومن الحجج الدّاحضة، أنّ المعاني اللّغويّة تواضعيّة، فتكمن، لذلك، في المستوى الاجتماعيّ بدل المستوى الفرديّ. ومنها أنّ الكثير من العبارات ذات معان لا تكون معلومةً عند متكلّم مخصوص إلاّ بصفة جزئيّة. فكلمة ["إلكترون"]، على سبيل المثال، تُفهَم بوجوه مختلفة جدّا عند عالم في الفيزياء، ومهندس في الكهرباء، وعند شخص مثلي أنا، لا فكرة له عن مضمونها إلاّ بصفة غائمة وجزئيّة واستعاريّة. نخلُص، حينئذ، إلى أنّ المعاني موزّعة بين أفراد المجموعة اللّغويّة بأكملها ولا يمكن أن توجَد في رأس شخص فرد.

ولئن كانت هذه الملاحظات صحيحة بما يكفي، فإنّ الخلاصة ترتبط بالافتراض المبسّط بأنّ نوعا واحدا من الوحدات فقط يُعتبَر "المعنى" المقترن بعبارة ما. غير أنّنا يمكن أن نميّز، تمييزا صالحا، بين معرفة متكلّم فرد والمعرفة الجماعيّة الّتي تكون لمجتمع ما بأكمله. ويمكن القول إنّ الأوّل أساسيّ أكثر، بما أنّ المعرفة الجماعيّة تتمثّل في (أو على الأقلّ تُشتقّ من) معارف الأفراد.[3] وفي سبيل دراسة اللّغة من حيث هي جزء من العرفنة، يتمثّل معنى عبارة ما، أوّلا وقبل كلّ شيء، في المعنى الّذي يكون لها عند متكلّم فرد (ممثّل للمجموعة). ولا يعني هذا رفضَ المظهر الاجتماعيّ في المعنى اللّغويّ أو التّقليل من شأنه. فالفكرة الّتي تكون لفرد ما عمّا تعنيه عبارة ما، إنّما تتبلور من خلال التّفاعل التّواصليّ وتتضمّن تقديرا لدرجة التّواضعيّة الّتي تكون عليها في المجموعة اللّغويّة. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن تدرَس بعض المسائل، بحكم طبيعتها، في المستوى السُّكّانيّ العامّ (مثلا، كيف تنشأ المعايير وتستمرّ، والحدّ الّذي يبلغه تحقيق الوفاق، ومدى التّنوّع الّذي يتجلّى بالفعل). ومع هذا، لا يمكن الجواب عن هذه الأسئلة بوجه واف ما لم تؤخذ معرفة الأفراد المتكلّمين بعين الاعتبار.

وأخيرا، تأمّلوا التّهمة الّتي يذهب أصحابها إلى أنّ الدّلالة العرفنيّة - بسبب الثّبات والسّكونيّة في طبيعة المفاهيم- لا يمكن أن تلائم حركيّة الاستعمال اللّغويّ الفعليّ: فقيَم العناصر اللّغويّة، بدل أن تكون ثابتة، إنّما هي موضوع تفاوض نشيط؛ ومعاني العبارات المركّبة، بدل أن تكون سكونيّة، إنّما تنبثق وتتبلور في الخطاب. ولئن كانت هذه التّهمة متواترة، فهي غير ذات أساس. ففي المقام الأوّل، المعنى لا يطابق المفاهيمَ ولكنّه يطابق المفهمة، وقد اختير المصطلح بالتّحديد ليُبرز طبيعته الحركيّة. وتُحَدَّد المفهمة تحديدا واسعا لتضمّ أيَّ وجه من وجوه التّجربة الذّهنيّة. نتصوّر أنّها تضمّ (1) كلاّ من التّصوّرات الجديدة والتّصوّرات القائمة؛ و(2) المفاهيمَ الحسّيّة والحركيّة والتّجربة العاطفيّة كذلك، عوضا عن المفاهيم الذّهنيّة فقط؛ و(3) إدراك السّياق المادّيّ واللّغويّ والاجتماعيّ والثّقافيّ؛ و(4) التّصوّرات الّتي تتبلور وتتجلّى خلال زمن المعالجة الذّهنيّة (بدل أن تظهر متزامنةً). فالمفهمة، إذن، ليست سكونيّة حتّى إذا ما اعتُبِرَت "المفاهيم" كذلك.

ومدار المسألة المتبقّية حول المعاني اللّغويّة أثابتة ومحدّدة سلفا هي، أم محلّ تفاوض نشيط بين المتحاورين. ومن المفروض أن يكون جليّا

أنّ الموقف الأخير مناسب جدّا لعلم دلالة مفهوميّة - لمَ يفترض المرء أنّ المفهمة يجب أن تكون صلبة لا مرونةَ فيها؟ ويمكننا، مرّة أخرى، أن نتأمّل موقفين متقابلين على طرفي نقيض، ولا يمكن الدّفاع عن أيّ واحد منهما. نجد، في طرف منهما، الفكرةَ القائلة بأن لا وجود للمرونة البتّة: يكون لوحدة معجميّة ما معنى ثابت لا يتغيّر، ويكون معنى جملةٍ ما متوقّعا بقواعد التّركّب الدّلاليّ. وترفض الدّلالة العرفنيّة هذا الخيار رفضا صريحا. وفي الطّرف المقابل، يكمن الرّأي القائل بأن لا شيء يقوم على المواضعة البتّة: معنى عنصر ما يكون محلّ تفاوض، بداية من الصّفر، كلّ مرّة يستعمَل فيها، دون توقّع مسبق في شأن قيمته الممكنة. أنا أشُكّ في وجود شخص يقبل، فعلا، هذا الأمر (وإن كان خطابُ أنصار التّفاعليّة يوحي في بعض الأحيان بذلك). فلا بدّ أن يوجَد شيء ما في الدّماغ، بكلّ وضوح. ومن الضّروريّ أن يكون للمتكلّمين تصوّر ماقبليّ لما يُتوقَّع بصفة طبيعيّة أن تدلّ عليه الكلمات الّتي يستعملونها. وفي خلاف ذلك، يمكن أن تكون معاني الكلمات موضوع التّفاوض عشوائيّة بشكل مطلق، وقد لا يكون لكلمة [*cat* "قطّ"] احتمال للدّلالة على [*féline* 'عائلة السّنّوريّات'] أكثر من [*walnut* "جوز"]، أو[*book* "كتاب"]، أو[*through* "خلال"]. ولئن أمكن أن يكون كلّ شيء قابلا للتّفاوض، فإنّ بعض الأشياء يجب أن يُتعلّم ويُتّخذ، عن طريق التّواضع، أساسا للتّفاوض.

2.1.2 ممّ تتكوّن المعاني؟

إنّ التّسليم بوجود المعنى في المفهمة، في ذاته، لا يحلّ أيّ شيء، ولكنّه يمكّننا من صياغة المسألة ليس غير. فماذا نعني فعليّا، بالمفهَمة؟ وما هي طبيعتها العامّة وخصائصها المميّزة؟ وأيّ منهج نتّبع في البحث في شأنها؟ وكيف نصفها؟ في الوقت الحاضر، لا توجد أجوبة نهائيّة عن أسئلة من هذا القبيل. ولكن يحدث الآن تقدّم هائل في اللّسانيّات العرفنيّة في الإطار الأوسع لعلم العرفنة. وأرجّح أنّ النّحو العرفنيّ يجسّد نظرة للمفهمة منسجمة ومقبولة، تسمح بقيام أساس من المبادئ صالح لتوصيف وجوه كثيرة من البنية الدّلاليّة والنّحويّة.

فالمفهمة تكمن، في نهاية المطاف، في المعالجة العرفنيّة. ويكمن عيش تجربة ذهنيّة معيّنة في حدوث نوع معيّن من النّشاط العصبيّ. فيمكن، على هذا، أن نقارب المفهمةَ إمّا من زاوية ظواهريّة أو من زاوية المعالجة: يمكننا

أن نسعى إلى توصيف تجربتنا الذّهنيّة في حدّ ذاتها أو توصيف نشاط المعالجة الّـذي يكوّنها. وكانـت الدّلالة العرفنيّة تركّز علـى التّوصيف الأوّل الّذي كان من البيّن أنّه أيسـر منالا وأكثر طواعية للبحث من خلال الأدلّة اللّغويّة. وأمّا المعالجة، فيمكن أن تدرَس في مستويات مختلفة (دراسةً وظيفيّة وعصبيّة فـي آن واحد) وباعتمـاد أدوات متنوّعة مـن قبيل التّجريب المخبريّ النّفسـيّ اللّسـانيّ، والبحوث السّـريريّة (لا سيما في مجال الحبسـة اللّغويّة)، والتّصوير العصبيّ، وحتّى النّمذجة الحاسـوبيّة في أيّامنا (هولمكفيست 1993؛ ريجياي 1996؛ لايكوف وجونسون 1999: الملحق). ومع ذلك، تعتمد هذه المقاربات التّوصيفاتِ الظّواهريّة مرشـدا في التّوجّهات وأساسـا في تأويل النّتائج. ورغم التّقدّم السّـريع الّذي يتحقّق الآن، يظلّ الفهم المحكَم المفصّل لما به تتحقّق الأبنية اللّغويّة المخصوصة في المظهر العصبيّ غايةً على المدى البعيد.

ومع ذلـك، يمكن أن تُفتَـرَض، حتّى في هذا الطّور المبكّر، شـبكة نظريّة ولكن معقولة من الرّوابط بين المستوى الظّواهريّ ومستوى المعالجة. فما نعيشـه على أنّه بروز لوحدات متصوّرة يُنسَـب، بوجه معقول، إلى مستوى عال من الإنشـاط العصبيّ.[4] فانتشـار الإنشـاط هو الأسـاس الجليّ للتّرابط ويمكن، حينئذ، أن يكون مشـاركا في الكثيـر من الظّواهر اللّغويّة (دين 1992). وأقتـرح، بالإضافة إلى ذلـك، أنّ أيّ ترتيب مفهوميّ أو اهتداء ذهنيّ متتابع يقتضي ترتيبا تسلسـليّا في المعالجة الّتي تكوّنه. وفي استعراض ذهنيّ للألفبائيّـة، على سـبيل المثال، نمرّ بالحروف علـى التّتابع، وكلّ حرف منها يعِـدّ للحرف الموالي. ويبدو جليّا أنّ هذا التّمثّل المرتَّب يكمن في الحدوث المرتَّـب للعمليّـات العصبيّة الّتي تمثّـل كلّ حرف، وأنّ معرفتنا بالتّسلسـل الصّحيح تكمن في معالجات روتينيّة تسـبق فيها العمليّاتُ الممثّلة لحرف ما العمليّاتِ الممثّلة للحرف الموالي، وتُنشِطها.

للمفهمة، من حيث هي نشاط عصبيّ، بعد زمنيّ. وحتّى أبسط تصوّر يقتضي مـدى ما من الزّمـن ليكتمل حدوثه، ويكـون تدرّجه الزّمنـيّ عند حدوث تصوّر أكثـر تركّبا، موضوعا للوعي. يكاد المعنى في جملة مركّبة (مثل هذه) أن لا يفهم فهما فوريّا؛ والأرجَح أنّه يتكشّف مركّبا فمركّبا، دون أن تكون هناك لحظةٌ زمنيّةٌ تَنشـط فيها جميع وجوهه وتتوفّر بشكل متزامن. فالمفهمة حركيّة بمعنى أنّها تتكشّـف خلال زمـن المعالجة، ولأنّ مجرى التّبلـور المخصوص في المعالجة الذّهنيّـة مظهر مهمّ جدّا من تجربتنا الذّهنيّة

كذلك. فالزّوج من الجمل من قبيل (1) (أ)-(ب) ليس متكافئا دلاليّا رغم استعمال الكلمات نفسها لتوصيف الوضعيّة المادّيّة نفسها:

(1) (أ) يمتدّ صفٌّ من الأشجار من الطّريق السّيّارة إلى النّهر.

(ب) يمتدّ صفٌّ من الأشجار من النّهر إلى الطّريق السّيّارة.

ورغم كون الوضعيّة الموصوفة سكونيّة، تستحضِر الجملتان تصوّرين حركيّين نُجري فيهما مسحا ذهنيّا على امتداد صفّ الأشجار في هذا الاتّجاه أو في الاتّجاه الآخر. فتؤول تانك الطّريقتان في بناء التّصوّر كاملا، من خلال زمن المعالجة، إلى تجربتين ذهنيّتين مختلفتين اختلافا دقيقا وإلى معنيين لغويّين مختلفين.

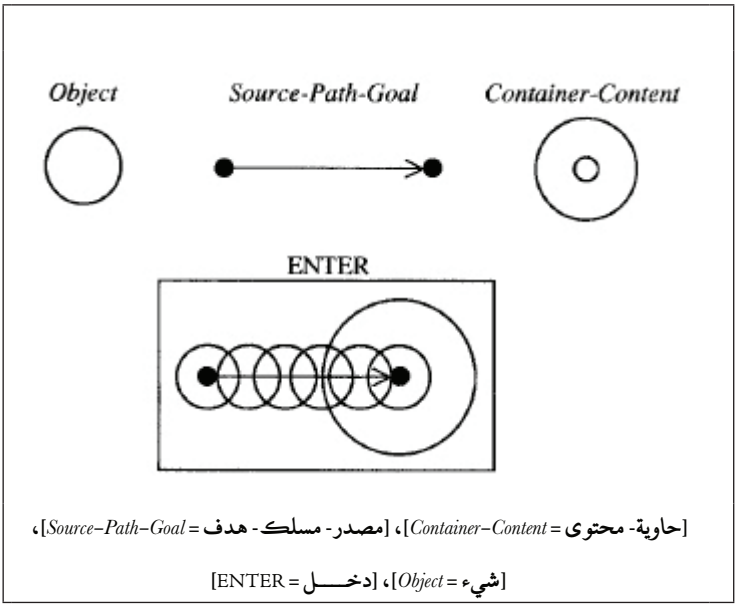
مدار الخوض في مفهوم الحركيّة على المسألة الجوهريّة الّتي تتعلّق بالبنية المفهوميّة من حيث طبيعتها أهي قضويّة بالأساس، أم هي تصويريّة، بدلا من ذلك. أيّ نوع من الصّياغة وجب أن يُسند إلى الأفكار والمفاهيم، خاصّة في المستويات السّفلى من التّنظيم؟ هل يجب أن تكون صياغيّة في طبيعتها، تتضمّن سلاسل من الرّموز المتفاصلة؟ أو هل يجب أن تكون تناظريّة أكثر، تلتقِط التقاطا مباشرا تفاصيلَ االبنية الممثّلة؟[5] تُعامِل الرّؤية القضويّة، وهي ما تزال منتشرة إن لم تكن غالبة، المفاهيمَ على أنّها عبارات مصوغة في "لغة الفكر" (فودور 1979) تتكوّن من "أوّليّات" مفهوميّة ("رصيد المفردات") ومبادئَ تحكم التّوليف بينها ("الإعراب"). فمعنى [*enter* «دخَل»]، على سبيل المثال، يمكن أن يُمثَّل ذهنيّا بشيء شبيه بالصّياغة التّالية (جاكندوف 1983):

(2) $[_{\text{Event}}\ \text{GO}\ ([_{\text{Thing}}\ \text{X}],\ [_{\text{Path}}\ \text{TO}\ ([_{\text{Place}}\ \text{IN}\ ([_{\text{Thing}}\ \text{Y}])])])]$

[$_{\text{حدث}}$ **ذهب** ([$_{\text{شيء}}$ **س**]، [$_{\text{مسلك}}$ **إلى** ([$_{\text{مكان}}$ **في** ([$_{\text{شيء}}$ **ص**])])])]

تنزع اللّسانيّات العرفنيّة أكثر إلى الأوصاف التّصويريّة. ويفترض أشهر المقترحات مجموعة من الخطاطات الصُّوَر، توصف بأنّها قوالب خطاطيّة للنّشاط مجرَّدة من التّجربة الجسديّة اليوميّة، ما تعلّق منها خاصّة بالإبصار والفضاء والتّنقّل والقوّة. وتُعتبَر الخطاطات الصُّوَر أساسيّة، وأبنية قبلِ مفهوميّة تنشأ منها تصوّرات أكثر تركّبا وأكثر تجريدا (أو على الأقلّ، توفِّر تنظيمَها الهيكليّ) من خلال التّوليف والإسقاط الاستعاريّ.[6] يمكن أن يحلّل مفهوم «**دَخَل**»، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 2. 1، على سبيل المثال، على أنّه توليفة

من الخطاطات الصّور: خطاطة الشّيء، وخطاطة المصدر-المسلك-الهدف، وخطاطة الحاوية-المحتوى.



الرّسم البيانيّ 2. 1

لا تقـلّ مقاربة تصويريّـة ما عن مقاربـة قضويّة قدرةً علـى وصف الأبنية المركّبـة وصفا دقيقـا باعتماد مكوّنـات مفهوميّة أبسـط. ويمكن القول إنّهـا مفيدة، لأنّ طبيعة التّجربة الذّهنيّة - كمـا تتجلّى بالمقارنة بين الصّياغة الواردة في (2) والرّسـم البيانيّ 2. 1 - تنعكس في صورة مركّبة انعكاسـا مباشـرا أكثر منها منعكسـة في صياغـة رياضيّة مركّبة. ويبـدو أنّ الصّورَ علـى وجه الخصوص، ملائمة تمام الملاءمة لبعض الظّواهر من التّصوّر (بينما تكون الصّياغـات الرّياضيّة غير ملائمة). فمن العناصر المركزيّة في مفهوم ['المزمار']، على سـبيل المثال، صورةٌ بصريّة لشـكله، وبالإضافة إلى ذلك صورة سـمعيّة لصوته. وفوق ذلك يجانـس توصيفُ الخطاطات الصّورِ على أنّها قوالب النّشـاط الحركيّةَ الصّميميّةَ في المفهمة مجانَسـةً حسـنة. وعلى هـذا، أحبّـذ مقاربة خطاطيّة تصويريّـة للبنية المفهوميّة. وأعتبر، دون شـكّ، أنّ الأفـكار المذكـورة علـى أنّها خطاطـات صور تشـتغل مكوّنات في تشكّلات مفهوميّة أكثر تبلورا.

ومـع ذلك، ما انفكّ بعض الغموض يحوم في شـأن فكرة الخطاطات الصّـور، وفـي قائمة رصيدها، وفـي المعايير المعتمدة في تحديدها. ولسـت متأكّدا البتّة من أنّ الأمثلة المذكورة بتواتر (انظر الهامش 6) تكوّن قسـما متجانسـا أو محدَّدا تحديدا طبيعيّا. ورغـم اعتماد توجّه تصويريّ، فإنّني أخيِّر، لغايات خاصّة بي، التّمييزَ بين أنواع عديدة من الأفكار الأساسيّة، كلّ واحد منها "أساسيّ" بطريقته الخاصّة به ومفيد في توصيف الأبنية الأكثر تركّبا:

1. المفاهيم الدّنيا في المجالات المخصوصة من التّجربة، أساسيّة فـي معنى ما. تحضرنـي أفكار من قبيل الخـطّ، والزّاوية، والانحناء فـي المجال الفضائيّ؛ والبريق والألوان المركزيّة في مجال الإبصار؛ والسّـبق في مجال الزّمن؛ والإحسـاس الكينيسـتيّ عنـد بذل جهد عضليّ.

2. المفاهيم التّشكّليّة ذات الدّرجات العليا من الخطاطيّة مفاهيم دنيا، كذلك، ولكنّها مسـتقلّة عن أيّ مجال للتّجربة مخصوص، مثـل التّباين، والحدود، والتّغيّر، والاسـتمرار، والتّمـاسّ، والتّضمّن، والفصل، والقـرب، والتّعدّد، والتّجمّع، والنّقطة مقابل الامتداد. وهذه المفاهيم، بحكم كونهـا مجرّدة وقابلة للانطباق على أيّ واحد من معظم المجالات، هي أقرب ما يكون من الكنه الظّاهر للخطاطات الصّور.

3. تقـع بعض الأفكار الّتي تورَد بتواتر على أنّها خطاطات صوَر، بدل ذلك، في القسـم الثّالث الّذي أقمته، وهو قسـم النّماذج البدئيّة المفهوميّـة. وهذه النّمـاذج البدئيّة مفاهيم متجذّرة فـي التّجربة وهي علـى غاية من التّواتر والأساسـيّة في حياتنا اليوميّـة لا تبدو لها صفة "نموذجيّ بدئيّ" غير مناسـبة. وفي ما يلي بعض الأمثلة: شيء ماديّ، شيء في موضع، شـيء متنقّل خلال الفضاء، الجسد البشريّ، الوجه البشـريّ، كلّ مـا وأجزاؤه، حاويـة ماديّة ومحتوياتها، رؤية شـيء، إمسـاك بشيء ما، مدّ شيء إلى شـخص ما، بذل قوّة لإحداث تغيّر منشـود، مقابلة اجتماعيّة وجها لوجه. وهـذه الأفكار خطاطيّة جدّا، ولكنّها أقلّ خطاطيّة بكثير من المفاهيم التّشكّليّة. وبعضها يتضمّنه بعضهـا الآخر مكوّناتٍ لـه. ورغم أنّها يمكـن أن تكون مركّبة جدّا ويصعب وصفها وصفا صريحا (حاولوا أن تفسّـروا ما معنى شيء

مـادّيّ!)، هي أساسـيّة بمعنى أنّهـا تـدرَك إدراكا فوريّا، في طور مبكّر من أطوار النّموّ، بأنّها جشطلتات مفهوميّة منسجمة.

أنـا لا أعتبـر أنّ هـذا التّمييزَ الثّلاثيّ بيِّـنُ الحدود ولا هـو التّصنيف المفيد الوحيد. يمكن، بكلّ تأكيد، أن تُقام ترابطات بين العناصر من المجموعات المختلفة. فالمفهوم الأدنى لخطّ، مثلا، يحمل قَرابة جليّة من المفهوم التّشكيليّ للامتـداد، وكذلك مـن النّموذج البدئيّ المفهوميّ لشـيء متنقِّل على امتداد مسلك فضائيّ. وفوق ذلك، بما أنّ جميع التّصوّرات حركيّة (أي تكمن في نشـاط المعالجة) لا توجد حدود صارمة بين المفاهيم البسيطة وبعض القدرات العرفنيّة الأساسـيّة. ويمكننا أن نَصِف الحمـرةَ المركزيّة إمّا بكونها مفهوما أدنـى أو عوضا عـن ذلك بكونها القـدرة على إدراك ذلـك اللّون. فبدل أن نصـف التّباين، والمجموعة، والامتداد بكونها مفاهيم تشـكيليّة، يمكننا كذلك أن نتكلّم عن قدرة على الانتباه إلى تباين ما، وعلى تجميع جملة من الوحدات المكوِّنة، وعلى المسح ذهنيّا خلال مجال ما.

تكمن الفكرة الرّئيسـيّة في أنّ التّصوّرات يمكن أن تكون "أساسـيّة" بطرق مختلفة جدّا. يمكِّننا هذا الأمرُ من اقتراح نحو عرفنيّ عامّ في شأن بعض المفاهيـم النّحويّة الّتي تكون أساسـيّة وربّما كونيّة. تتضمّن هذه الأفكار، فـي الحدّ الأدنى، الاسـمَ، والفعل، والفاعـل، والمفعـول، وأدوات الملكيّة (الإضافة). وللمقترح أجزاء عديدة:

1. كلّ فكرة من هذا القبيل يمكن أن توصَّف دلاليّا باعتماد طراز صالح للتّحقّقـات المركزيّة، وباعتماد خطاطةٍ متحقّقـة في جميع التّحقّقات، في الآن نفسه.

2. يتمثّل المعنى الخطاطيّ في نموذج بدئيّ مفهوميّ متجذّر في التّجربة.

3. يكمن المعنى الخطاطيّ في قدرة عرفنيّة مرتبطة بالمجال.

4. تتجلّـى، في البداية، القدرات الأساسـيّة في النّماذج البدئيّة المناسـبة لها. وتمكِّـن القدرات، بحكم احتمال كونها فطريّـة، التّجربةَ المنضّدة القائمة على أساس تلك النّماذج البدئيّة، من الحدوث في المقام الأوّل.

5. تتوسّـع تلك القدرات نفسـها، فـي طور متأخّر من النّمـو، على مجالات أخرى من التّجربة حيث يجري انطباقها بدرجة من الآليّة أقلّ (وأكثر ظهورا، بالاستتباع).

لنرَ كيف يعمل ذلك في حال الأسماء.[7]

1. لمقولة الاسم نموذج بدئيّ دلاليّ وخطاطة دلاليّة، في آن واحد.

2. النّموذج البدئيّ هو تصوّر لشيء مادّيّ.

3. يمثّل توفيرُ توصيف خطاطيّ قدرتَنا على التّجميع المفهوميّ.

4. يتجلّى التّجميع المفهوميّ، من زاوية النّموّ، أوّل ما يتجلّى، في الإمساك بالأشياء المادّيّة، أي في النّموذج البدئيّ لمقولة الاسم.

5. يتشكّل التّجميع المفهوميّ، في ما يتبع ذلك من الأطوار، في إدراك أنواع أخرى كثيرة من الوحدات التي تُشفَّر بالأسماء، كذلك.

أتصوّر القدرةَ على إدراك شيء مادّيّ منفصل بذاته كأن يكون كرة مثلا، على أنّها تجلّ آليّ في أساسه من درجة دنيا، للملكة نفسها الّتي تساهم بشفافية أكبر في تشكيل شيء مفرد تشكيلا ذهنيّا بتجميع العناصر المكوّنة لبستان أو فريق، أو دفتر، أو ألفبائيّة أو أرخبيل. وفي معظم الاستعمالات اللّسانيّة، يشتغل اسم من قبيل [كرة] واسم مثل [بستان] بنفس الطّريقة (أي اسمين مفردين، مشتركين، معدودين). ورغم كون العناصر التّكوينيّة وتجميعها المفهوميّ أوضحَ في حال [بستان]، ينبثق تصوّر وحدة متكاملة، في كلّ حالة من الحالتين السّابقتين، من خلال المعالجة العرفنيّة الجارية في مستوى معيّن. فالعالم لا يقدِّم نفسه لنا على أنّه بنية مكتملة محدَّدة سلفا، وإدراك العالم لا يشبه استنساخَ وثيقة. إنّما يكمن إدراكه، حتّى في حدود الحقيقة الواقعيّة، في نشاط المعالجة التّفاعليّة الحركيّة. ولا يعني هذا أنّنا ننكِر كونَ العالم على درجة عالية من التّنضيد بوجه تثبُت فيه، على الأرجح، نجاعة بعض الطّرق في إدراكه بالنّسبة إلى كلّ من الأفراد والنّوع. وبما أنّ نوعنا البشريّ قد تطوّر ليتعامل مع العالم بطريقة ناجحة، فإنّنا جميعا نفهمه بطرق متساوية إلى أبعد الحدود متجذّرةٍ في التّجربة الجسديّة المشتركة. فجميع النّاس يدركون الأشياء المادّيّة ويستعملون القدرة على التّجميع نفسها للتّعرّف على الوحدات الجماعيّة مثل بستان أو أرخبيل.

فإدراكنا للعالم، حينئذ، إيجابيّ، وحركيّ، وبنّاء بطبيعته. ولهذا الأمر نتيجة أساسيّة مهمّة تتمثّل في أنّ التّصوّرات الّتي تُستحضَر على أنّها معان لغويّة تكون غيرَ شفّافة: هي لا تعكس العالم ببساطة أو تناسبه بصفة كلّيّة مباشرة، ولا هي قابلة للاشتقاق بطريقة مباشرة أو آليّة من الملابسات

الموضوعيّـة. وعوضا عن ذلك، ينبغي أن يبدأ علـم الدّلالة المفهوميّة بإقرار الغلبـة - إن لـم نقـل الهيمنة المطلقـة بالفعل - لـلأدوات التّخييليّـة والأبنية الذّهنيّـة. ولا يتمثّل ذلك في مجـرّد حديثنا الكثير عن العوالم الخياليّة (مثل عوالم الأشـرطة السّينمائيّة، والحكايات العجيبة، والمسلسلات، والأساطير، والنّظريّات اللّسـانيّة). فنحن نبرهن، بالإضافة إلى ذلك، عن طاقتنا التّخييليّة في بناء أنواع شـتّى عجيبـة من الأفضية الذّهنيّة وفـي معالجتها ببراعة كبيرة (فوكونيـاي 1985، 1997). تكون بعض الأنواع من الأفضية الذّهنيّة، كما يجـري التّمثيل لها تباعا في (3)، وضعيّةً افتراضيّة، ومعتقداتِ شـخص بعينه، والوضعيّةَ الّتي تجري في زمن أو مكان معيّنين، ومضمونَ كلام منقول.

(3) (أ) *If we were rich, we could fly first class.*
لوكنّا أغنياء، لقدرنا على الطّيران في الدّرجة الأولى.
(ب) *My lawyer thinks that the judge is incompetent.*
يعتقد محاميَّ أنّ القاضي غير كفء.
(ج) *Meanwhile, back at the ranch, a heated discussion was going on.*
في الأثناء، كان في المنزل بالمزرعة، يجري نقاش حادّ.
(د) *She indicated that they were having trouble with termites.*
أشارت إلى أنّهم يعانون من مشكل النّمل الأبيض.

وقد تبيّن أنّ ظواهر تخييليّة أخرى متنوّعة، تكون أساسيّة للمفهمة وللمعنى اللّغـويّ. وتتمثّل واحدة مـن الأدوات الأوّليّة في إنماء عالمنا الذّهنيّ وحتّى في بنائه، في الاسـتعارة الّتي يجري فيها إسقاط سـمات تنظيميّة أساسيّة من مجال مفهوميّ ما- عادة ما يكون متجذّرا في التّجربة الجسديّة تجذّرا مباشرا أكثر- على مجال آخر (لايكوف وجونسـون 1980، 1999؛ تورنر 1987). يجري في (4)، إسقاط مظاهر متّصلة بمعالجة الأشياء المادّيّة، من المجال المصدر إسقاطا استعاريّا على المجال الهدف المتعلّق بالفهم وبتبليغ الأفكار.

(4) (أ) *I couldn't grasp what she was saying.*
لم أستطع الإمساك بما كانت تقول.
(ب) *We were tossing some ideas around.*
كنّا نرمي ببعض الأفكار حولنا.
(ج) *The message went right over his head.*
مرّت الرّسالة مباشرة من فوق رأسه.

(د) *He didn't catch my drift.*

لم يقتنص مرادي.

تمثّل الاستعارة موردا من موارد المزج حيث يجري التّوليف بين سمات مختارة من تصوّرين لتكوين تصوّر ثالث (فوكونياي وتورنر 1998، 2002). تكون الأفضية المزيج، من حيث هي أبنية ذهنيّة هجينة، في الغالب موغلة في الخيال ولكنّها، رغم ذلك، أشياء نابعة من صميم التّصوّر والعبارة اللّغويّة. فالوحدات الموصوفة في (4) بكونها مُمسَكا بها، ومرميّا بها، ومقنوصة- إذ تولّف طبيعة التّجريد في الأفكار مع بعض الخصائص المادّيّة للكرات أو المقذوفات الأخرى- لا يمكن أن توجد في الواقع. ولا توجد كذلك مخلوقات من قبيل عروس البحر والإنسان الذّئبيّ (بله كلاب الصّيد الّتي تفكّر بجمل إنجليزيّة وتتخيّل أنفسها طيّارين في الحرب العالميّة الأولى)، ولكنّ ذلك لا يمنعنا من التّفكير فيها والكلام عنها. وحتّى بالنّسبة إلى أنواع الوحدات الّتي توجد بالفعل، يكون ما نحيل عليه إحالة لغويّة تحقّقا افتراضيّا (أو تخيّليّا)، أي تحقّقا خياليّا «يُستحضَر» لغاية ما. فالسّيّارات، على سبيل المثال، شيء موجود، ولكنّ السّيّارة المشار إليها في (5) (أ) ليست كذلك (فلا معنى لأن يُطرح السّؤال: أيّ سيّارة لا يملكها أخوك؟). هي، بالأحرى، تحقّق متخيّل يُستحضَر لتحديد الظّرف الّذي يُنفَى في الكلام.

(5) (أ) *My brother doesn't have a car.*

ليس لأخي سيّارة.

(ب) *A kitten likes to chase a piece of string.*

يحبّ القُطَيْط مطاردة قطعة من الخيط.

وكذلك القطيط وقطعة الخيط المذكوران في (5) (ب) وحدتان افتراضيّتان تُستحضَران لإقامة تعميم شامل. فالجملة لا تختصّ بأيّ قطيط مخصوص أو بقطعة خيط، ولا بأيّ حدث مطاردة فعليّ.

2. 1. 3 أين يتوقّف المعنى؟

ننشغل، في كلّ لحظة، بنشاط المفهمة على مستويات مختلفة من الوعي وفي مجالات متنوّعة من التّجربة الذّهنيّة. وهو نشاط يمتح من أنواع متعدّدة من القدرات (الإدراكيّة، الحركيّة، الفكريّة) وأرصدة واسعة من المعارف

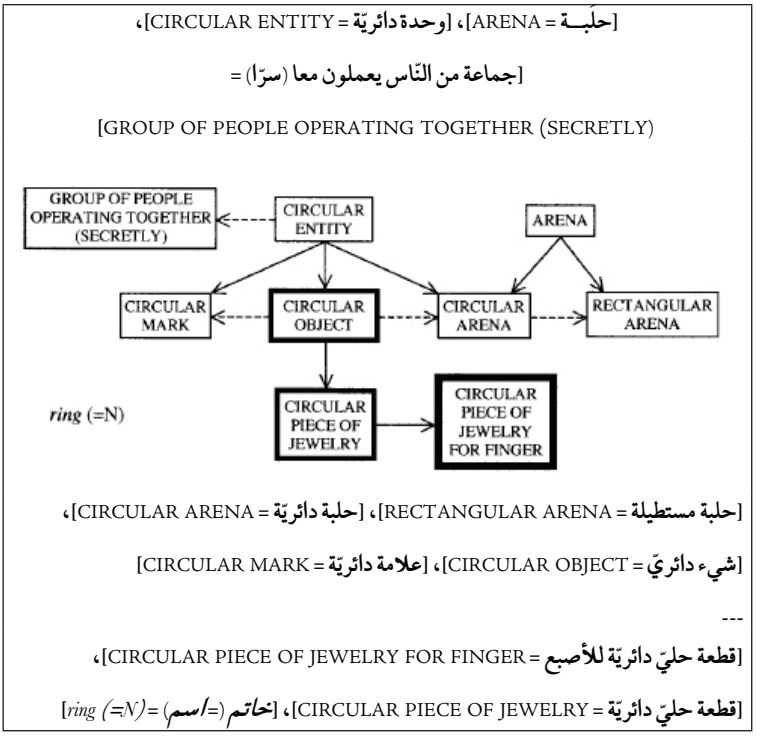
(الخاصّة والعامّة؛ والمادّيّة، والاجتماعيّة، والثّقافيّة، والفرديّة، والتّواضعيّة والسّياقيّة). والقضايا الّتي نعالجها الآن تتعلّق بالحدود بين الاعتبارات «اللّغويّة» وتلك «الخارجة عن اللّغة». فما هو الشّيء الّذي يعتَبَر لغة؟ وما هي المهارات الخاصّة وأجزاء المعرفة الّتي يمكننا أن نوصّفها على وجه التّحديد بكونها لغويّة؟ يرافق إنتاجَ أيّ عبارة لغويّة أو فهمَها تيّارٌ من المفهمة معقّد متعدّد الوجوه. فكم من هذه المفهمَة يعتبَر معنى لغويّا في تلك العبارة؟

تذهب النّظريّة اللّسانيّة المعياريّة إلى أنّ الحدود المتفاصلة يمكن أن تكون مُتوقّعَة. وتُعتبَر اللّغة، عادة، «ملَكة» ذهنيّة مستقلّة بذاتها (فودور 1983)، بوجه تقبل به معرفة لغة ما أن توصف وصفا تامّا باعتماد مجموعة واسعة من الأحكام ولكنّها محدودة. وما يزال اللّسانيّون الّذين يرفضون هذا التّطلّع المنظوميّ، ينزعون إلى افتراض حدود بيّنة بين المعرفة اللّغويّة والمعرفة الخارجة عن اللّغة، مقسّمين الفهمَ الكلّيّ للعبارات إلى معنى في ذاته، مقابل ما يمكن استنتاجه من زاوية تداوليّة. غير أنّ الحكمة المسلّم بها غالبا ما يتبيّن خطأها. فنحن في حاجة إلى أن نتساءل في كون هذه الحدود المتفاصلة مكتشَفَةً أو مفروضةً على أساس تصوّر نظريّ ما قبليّ. والجواب، في ما أعتقد، هو الأخير بكلّ وضوح: اللّغويّ وما هو خارج عن اللّغة يكوِّنان مدرّجة بدل أن يكونا متمايزين تمايزا صارما. ولئن وُجِدَت حدود للمعنى اللّغويّ وأمكن إقامة فروق صالحة، فإنّ فرض حدود مخصوصة يمثّل أمرا اعتباطيّا ومغلِّطا، في آن.

تثار هذه القضايا في أيّ من مظاهر اللّغة (انظر لانقاكر 1987: § 2. 1. 2)، ولكنّ مركز العناية هنا هو المعنى. يمكننا البدء بالوحدات المعجميّة، حيث يجب التّأمّل في سؤالين أساسيّين. الأوّل، كم من معنى قابل للتّمييز- تسمّى في الغالب المعاني الأساسيّة- يجب أن يسنَد إلى عنصر معجميّ محدَّد؟ والثّاني، كم تتضمّن هذه المعاني من معلومات؟

غالبا ما تكون وحدة معجميّة جارية في الاستعمال بأيّ درجة من درجات التّواتر، محلَّ اشتراك دلاليّ؛ فهي ذات معان متعدّدة مترابطة، جميعها محلّ مواضعة بدرجة ما. ومن جملة هذه المعاني المترابطة، يكون البعض مركزيّا أو طرازيّا أكثر من بعضها الآخر، ويكون بعضها خطاطات تتبلور (أو تتحقّق) بمعان أخرى. تترابط المعاني، إلى حدّ ما، بعلاقات المَقْوَلة لتكوِّن شبكة.[8] يعرض الرّسم البيانيّ 2. 2 شبكة جزئيّة اقتُرِحت على صواب،

لوصف كلمة [*ring* «خاتم»] (وقد ناقشنا أمرها بإيجاز في الفقرة § 1. 3. 1). تشير الخانات ذات السّطر الغليظ إلى المعاني ذات الدّرجة العليا من الطّرازيّة. وتمثّل الأسهم علاقات المقْوَلة: تشير الأسهم المسترسلة إلى تحقّق خطاطة ما، والأسهم المتقطّعة إلى الاتّساع انطلاقا من معنى ذي مركزيّة أكبر.



الرّسم البيانيّ 2. 2

ويتمثّل مقترح بديل لذلك في افتراض مدارُه أنّ الوحدات المعجميّة أحاديّة الدّلالة، لكلّ واحدة معنى مجرّد من خلاله يمكن التّكهّن بجميع استعمالاتها (رول 1989؛ هوفمان 1997). وافتراض المزيد من المعاني المخصوصة، في ما يقول بعضهم، يؤدّي إلى تكاثر لا ضابط له في «المعاني» الممكنة الّتي يكون من الأفضل اعتبارها تأويلات سياقيّة لقيمة دلاليّة مجرّدة لوحدة معجميّة ما. ويمكن أن أردّ ذلك بأن أنفي قدرة المعنى المجرّد المفرد على تمكين المرْءِ من أن يتوقّع بتفصيل تامّ ودقيق المجموعةَ الحقيقيّة من المعاني المخصوصة الّتي تُستعمَل فيها وحدة معجميّة في العادة. فأستطيع أن أتخيّل معنى على درجة عليا من الخطاطيّة لكلمة [*ring*] – ربّما

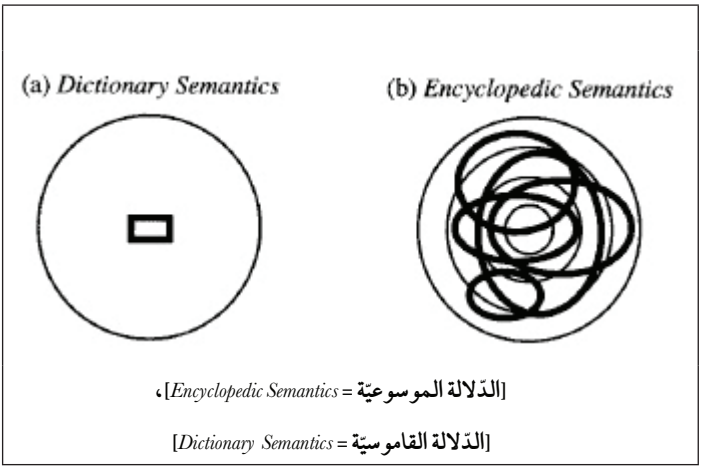
فكرة انغلاق تجريديّ- قد تندرج في جميع القيم المخصوصة الواردة في الرّسم البيانيّ 2. 2. غير أنّ المرء لا يمكن أن يتوقّع، من هذا بمفرده، أنّ [*ring*] قد يكون لها بالتّحديد مجموعة الاستعمالات الممكنة الّتي تظهرها، لاستبعاد ما لا يحصى من الاستعمالات الأخرى الّتي تنقصها (والمبرّرةِ، كذلك، بعوامل عرفنيّة وتواصليّة). فلِم يمكن أن تجري الكلمة للدّلالة على الحلبات وجماعات المهرِّبين، ولكنّها لا تجري على الأربطة المطّاطيّة الدّائريّة مثلا؟

لا يصِف، إذن، معنى مجرّدٌ مفردٌ القيمةَ الدّلاليّةَ الثّابتة لوحدة معجميّة ما، وصفا تامّا. وعلينا دوما البحث عن مثل هذا المعنى ودمجه -إن عُثِر عليه- في شبكة الاشتراك الدّلاليّ. غير أنّه قاصر، بمفرده، عن تمثيل معرفة متكلّم ما بالكيفيّة المعهودة في استعمال عبارة وفي فهمها. تكمن هذه المعرفة (وهي جزء من الدّراية بلغة ما، بكلّ تأكيد) في الشّبكة بأكملها. ولتهدئة المخاوف، أقول إنّ افتراض شبكات من هذا القبيل لا يؤول إلى تكاثر فوضويّ للمعاني. يكون الاعتراف بالمعاني (شأنها شأن أيّ واحدة من الأبنية اللّغويّة)، جزءا من اللّغة ما دامت (ا) متجذّرة في أذهان المتكلّمين الأفراد و(اا) تواضعيّة عند أفراد مجموعة لغويّة ما. ولا تستجيب لهذين المعيارين إلاّ مجموعة محدودة من المعاني فتتأهّل لتكون وحدات لغويّة راسخة. ولكن بما أنّ التّجذّر والتّواضعيّة مسألة درجات في جوهرها، لا توجد حدود متفاصلة بين المعاني الّتي بلغت منزلة الوحدات الرّاسخة والمعاني الّتي تفتقر إليها. نجد، عوضا عن ذلك، تدريجا ذاهبا من التّأويلات الجديدة، من خلال المعاني الأوّليّة، إلى المعاني اللّغويّة الرّاسخة.

فماذا يتضمّن معنى معجميّ مخصوص؟ وإذا كانت وحدة معجميّة ما (في واحد من معانيها) تحيل على نوع محدَّد من الوحدات، كم من المعرفة التّامّة الّتي لنا بهذه الوحدات يُكوّن قيمتَها الدّلاليّة اللّغويّة؟ وهل هناك قسم من هذه المعرفة يملكه المرء فقط بحكم كونه متكلّما بلغة ما؟

عادة ما يكون الجواب عن هذا السّؤال الأخير بالإيجاب. يُعتَقَد أنّ المعنى المعجميّ يتكوّن من عدد محدود نسبيّا من السّمات الدّلاليّة أو الأحكام الوصفيّة، اللّغويّة في طبيعتها على وجه التّخصيص، والّتي تتميّز بوضوح من المعرفة العامّة المتعلّقة بالوحدة المعنيّة. فالمعنى الأساسيّ لكلمة [*bull* "ثور"]، مثلا، غالبا ما يمثَّل باعتماد السّمات الدّلاليّة [**ذكَر**]،

و[**بالغ**]، و[**بقريّ**]، بإقصاء أيّ شـيء آخر يمكننا معرفته عن هذه المخلوقات (مثلا دورها في صراع الثّيران ومسابقات الرّوديو الّتي ينظّمها رعاة البقر). بهذا الاعتبـار، يمكن أن يكون معنى معجميٌّ ما أشـبهَ بمدخل في القاموس منه بمقال في موسوعة. وعلى هذا، توصف هذه المقاربة، وصفا استعاريّا، بكونها النّظرة القاموسـيّة للدّلالة اللّغويّة، كما يبين مخطّطها في الرّسـم البيانيّ 2. 3 (a). تمثّـل الدّائرة كتلةَ المعارف الّتي يملكها المتكلّمون عن نوع الوحدة المعنيّة. وما يشـار إليه بالخانة ذات السّطر الغليظ، هو المجموعة الصّغيرة من الخصائص المتفاصلة الّتي تكوِّن معنى الوحدة المعجميّة.



الرّسم البيانيّ 2. 3

وقد تبيّن أنّ هذه المعاني «اللّغويّة الصّافية» صعبة التّحديد. فما من أحد بيَّن أنّ رسـم الحدود الدّقيقة بطريقة محكومـة بالمبادئ ممكن (بولينغر 1965؛ هايمان 1980)، ولا أنّ الأوصاف من قبيل [**ذكَر بالغ بقريّ**]، يمكن اعتبارها مناسِـبة من زاوية لغويّة. وتُعتَمَد نظرة بديلة يشـار إليها، على سبيل الاستعارة، بعلم الدّلالة الموسـوعيّة، في اللّسانيّات العرفنيّة بصفة عامّة (لانقاكر 1987: § 4. 2؛ وانظـر فيرزبيـكا 1995). يكمن، في هذه المقاربـة، معنى معجميّ مـا في طريقة مخصوصة في الاهتـداء الذّهنيّ إلى كتلـة ذات نهاية مفتوحة مـن المعارف المتعلّقة بوحدة مـن نوع معيّن. يجري تمثيل هـذه المعرفة في الرّسـم البيانيّ 2. 3 (b) بسلسلة من الدّوائر المتراكزة تشير إلى أنّ مكوّنات المعرفة ذات درجات مختلفة من المركزيّة. وهذه الرّتبة في درجة المركزيّة

تمثّل وجها واحدا لقيمة العنصر المعجميّ الرّاسخة بالتّواضع. وتكون بعض التّخصيصات المتعلّقة بمعنى معجميّ ما، على درجة كبيرة من المركزيّة بوجه يكون به، عمليّا، إنشاطها كلّما استُعمِلت العبارة، في حين تنشَط أخرى بتواتر أقلّ، وتكون تخصيصات أخرى على درجة كبيرة من الطّرفيّة بوجه لا يكون الاهتداء إليها إلاّ في سياقات خاصّة. في الرّسم البيانيّ 2. 3 (b)، يشير كلّ شكل بيضويّ مرسوم بخطّ غليظ إلى مجموعة الخصائص المنشَطة في مناسبة مفردة. فلا حاجة إلى خصيصة تُنشَط في كلّ مناسبة؛ وكلّ استعمال يمكن أن ينطوي، تماما، على قالب إنشاط فريد.

في النّظرة الموسوعيّة، لا يكون المعنى المعجميّ حرّا طليقا ولا مقيّدا مطلق التّقييد. ليس حرّا طليقا لأنّ العبارة تستحضر حيّزا محدّدا من المعرفة وتحدّد طريقة مخصوصة في الاهتداء إليه. وليس بالمقيّد مطلق التّقييد لأنّ المركزيّة (الاهتداء المفضَّل) مسألة درجات وهي عرضة لأن تُبطِلَها العوامل السّياقيّة المقاميّة. وهذا التّصوّر (الّذي يكون التّوسّع فيه في الفقرة § 2. 2) واقعيّ من زاويتين: لسانيّة ونفسيّة في آن. رغم أنّه يؤدّي بالفعل إلى النّتيجة المتعلّقة بامتناع تسطير حدود متفاصلة بين المعرفة اللّغويّة والمعرفة الخارجة عن اللّغة، فالواجب أن يسطّر كلّ واحد من هذه الحدود على أسس اختباريّة لا أن يُفرَض فرضا مسبقا.

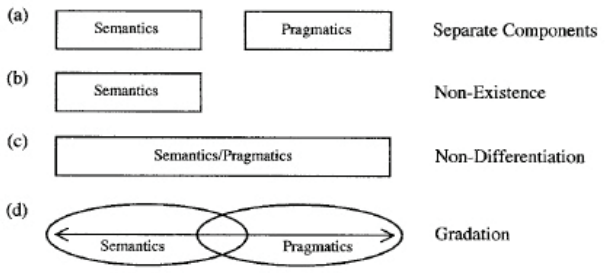
تثار مسألة شبيهة بهذه في شأن معاني العبارات المركّبة، من قبيل الجُمل. يمكن لجملة، عندما يُتلفّظ بها في سياق ما، أن تحمل أو تستحضر أكثر بكثير ممّا تقوله بالفعل. فبفضل الخطاب السّابق والقدرات التّأويليّة وكذلك المعرفة العامّة والسّياقيّة، يمكن أن يكون فهمها التّامّ متبلورا أكثر بكثير من أيّ شيء يقبل الاشتقاق من معاني العناصر الظّاهرة. فكم مظهر من هذا الفهم الشّامل يُعتَبَر على صواب بأنّه المعنى اللّغويّ لتلك العبارة. أو كما جرت العادة في طرح هذا السّؤال، ما هي الوجوه الّتي تنتمي إلى الدّلالة (أي تعكس اللّغةَ في ذاتها) وما هي الوجوه الّتي يكون من الأحسن تركها للتّداوليّة؟

يعكس الموقف التّقليديّ الّذي يسلِّم بوجود حدود واضحة نظرةً منظوميّة للّغة. تبدأ هذه المنظوميّة المفترضة من المستوى المعجميّ. فالوحدات

المعجميّة تُتصوَّر على أنّها قوالب للبناء، هي وحدات متفاصلة تُنَسَّق في تشكيلات متنوّعة لتكوين عبارات مركّبة تتحدَّد تحديدا تامّا بالوحدات وبالقوالب المتّبعة في تنسيقها. يعرف هذا، في علم الدّلالة، بمبدإ التّركّبيّة التّامّة (أي أنّ المعنى في عبارة ما يكون قابلا لأن يتبلور، بشكل متوقّع، من معاني أجزائها). يستلزم افتراض التّركّبيّة التّامّة تمييزا واضحا صريحا بين الدّلالة (المعنى المحدّد بطريقة تركّبيّة) والتّداوليّة (التّأويل السّياقيّ المقاميّ). هذا الأمر مهمّ جدّا لفرضيّة المنظوميّة كائنةً في مستوى أعلى، باعتبار اللّغة في شمولها: هي نظام مكتف بذاته ذو حدود بيّنة واضحة، متميّز تميّزا صارما من سائر الوجوه في العرفنة.[9]

ولئن كان التّصوّر المنظوميّ معياريّا ومنتشرا، فهو غيرُ مبرَّر وغالطٌ (في ما أرى). فلا أومن بأنّ حدّا ثابتا بين الدّلالة والتّداوليّة يمكن أن يسطّر على أسس صارمة بوجه يكون مقبولا لغويّا.

وبالفعل، يمكن أن يقام تمييز بين الدّلالة والتّداوليّة. فالفهم السّياقيّ المقاميّ التّامّ لعبارة ما، يتخطّى ما يمكن تحديده بناء على الوحدات اللّغويّة القائمة. هَب أنّنا ننظر إلى قطّ، ثمّ أقول [*The bird is safe* "العصفور آمن"]. بهذه العبارة، يمكن أن أشير ضمنيّا إلى أنّ القط كسول أو عاجز (بالتّعويل على المقام، وعلى المعرفة الموسوعيّة بالقطط، وعلى افتراض أنّ ذلك ذو صلة بهذا في العموم)، ولكنّني لا أعتبر أنّ هذا جزء من معناها اللّغويّ. وعلى هذا، أرفض قول لوفينسون (1997: 19) حيث يصفني بأنّني "نعامة عنيدة... ترفض تأييد وجود التّداوليّة."[10] هو يسيء فهم قولي بأنّ "التّمييز بين الدّلالة والتّداوليّة... اصطناعيّ إلى حدّ كبير"، بأن أهمل التّوضيح الإضافيّ بأنّ دلالة لغويّة قابلة للتّحقّق تحتاج إلى اجتناب "الثّنائيّات الزّائفة من هذا القبيل" (لانقاكر 1987: 154). وما يجري رفضه يتمثّل في الرّؤية الثّنائيّة الصّارمة، كما تُعرَض في الرّسم البيانيّ 2. 4 (a)، بقيامها على حدّ ثابت محدَّد بين المكوّنين المنفصلين. وهذا الرّفض لا يستتبع امتناع وجود التّداوليّة، كما يبين في الشّكل (b)، أو غياب أيّ تمييز، كما في (c). تتمثّل الفرضيّة، بدلا من ذلك، في أنّ الدّلالة والتّداوليّة تكوّنان مدرَّجة، كما يُعرَض في (d)، دون حدود دقيقة بين الاثنتين. ولكن تكمن، عند كلّ من الطّرفين، ظواهر هي بلا جدال إمّا دلاليّة وإمّا تداوليّة.



[**الدّلالة** = Semantics]، [**التّداوليّة** = Pragmatics]، [**مكوّنان منفصلان** = Separate components]،

[**غير موجودة** = Non-Existence]، [**لا تمييز بين الاثنتين** = Non-Differentiation]،

[**التّدرّج** = Gradation]

الرّسم البيانيّ 2. 4

فالمطـروح للنّقاش، إذن، هل يمكن أن يُوجَد حدّ متفاصل (لا أن يفرَض فرضـا اعتباطيّـا). هل يمكننا أن نسـند، بوجـه يقبل التّعليل، إلـى العبارات المركّبة مسـتوى من المعنى «اللّغويّ الصّافي» يكـون قابلا للتّوقّع بكلّ صرامة من معاني أجزائها؟ توحي اعتبارات شـتّى بأنّ الجواب يكون بالنّفي. يتمثّـل واحد منها في أنّ هذا السّـؤال بالذّات يفترض مسـبقا أنّ الأجزاء ذات معان لغويّة بيّنة الحدود. يعني ذلك أنّه يفترض مسـبقا النّظرة القاموسيّة الّتي للدّلالة المعجميّة والّتي كنّا قد تبيّنّا مشـاكلها. تستتبع المقاربة الموسوعيّة البديلة أنّ «قوالب البناء» الافتراضيّـة تنبني انبناء مرنا. فالوحدات المعجميّة، عوض أن تكون منظومات متشـكّلة تشـكّلا ما قبليّـا تامّا بمضمون ثابت محـدود، إنّما هي كامنة في المسـالك التّقليديّة فـي الاهتداء إلى مجالات المعرفة- ليس اللّغويّة فقط - الّتي تُستَحضَر استحضارا متغيّرا واحتماليّا في آن واحد. وحتّى عند هذا المسـتوى، نجد تدريجة بيـن المعرفة اللّغويّة والمعرفة الخارجة عن اللّغة.

وعندما نتأمّل التّركّب الدّلاليّ يبين لنا بجلاء أكبرَ فسادُ الاستعارة التّقليديّة الجاريـة في «قوالب البنـاء». لا يعني هذا رفضَ وجود قوالـب تركّبيّة (فهي تكوِّن في النّحو العرفنيّ الأقطاب الدّلاليّة من التّجميعات الرّمزيّة الخطاطيّة). والسّؤال هو هل تنشـئ هذه القوالب، بمفردها، انطلاقا من المعاني المعجميّة،

تمثيلاتٍ دلاليّةً يكون لها ما يكفي من الانسجام والاستقلال بالذّات ليكون لها أيّ نوع من المنزلة العرفنيّة المستقلّة، أو أيّ شيء تقريبيّ يمكن أن يُعتَرف بـه معانيَ للعبارات المركّبـة. وبدل ذلك (وهذا من المفارقـات)، أنا أوافق لوفينسـون (1997: 18-19) في أنّ التّمثيلات «الدّلاليّة» الّتي لا خلاف فيها من هذا القبيل- أي المشتقّة بطريقة تركّبيّة من قوالب البناء المعجميّة- هي «أيتام ذهنيّة غير مناسـبة تماما، لا تخدم التّواصل البشـريّ بنجاعة عالية إلاّ من خلال المبادئ التّأويليّة الثّريّة الّتي نسخّرها في سبيل بلورتها.»

من هذه المبادئ التّأويليّة تلك الّتي ناقشـناها في القسم السّابق: الاستعارة، والمـزج، وبناء الفضاء الذّهنيّ، واسـتحضار الوحدات التّخيّليّة. ومن المحتمل أنّ تسـميتِي بالنّعامة العنيدة لم تكن سـعيا إلى تصنيف بيولوجيّ بل هي نوع من الاسـتعارة، بدل ذلك. تنشِـئ هذه الاستعارة، بإسقاط سـمات منتقاة من المجال المصدر (النّعام) على المجال الهدف (النّاس)، تصوّرا مزيجا لشـخص يُبدي سـلوك النّعام الخياليَّ المتمثّل في إخفـاء الرّأس في الرّمل. وليس هذا المخلوق الهجين إلاّ شيئا متخيَّلا؛ ولا أحد يعتقد أنّه موجود. وفوق ذلك، كان المقصود من العبارة اسـتحضاره بطريقة اسـتعاريّة. بالإضافة إلى ذلك، يقدح الحكمُ بأنّ هذه النّعامة/الشّخص ترفض دعم وجود التّداوليّة، بناءَ أفضية ذهنيّة تمثّل معتقدا وموقفا. فهي تسـنِد إلى المخلوق المزيج الاعتقادَ في أنّ التّداوليّة لا توجـد، بغاية إلصاق التّهمة (باطلا) بما يناسـبه في المجال الهدف (أي أنا). يتمثّـل الموقف في عدم الرّغبة حتّى في الحفاظ على إمكانيّة وجود التّداوليّة. وبما أنّ عدم الرّغبة يستلزم أنّ إمكانيّة واحدة على الأقلّ يجب اعتبارها، تبني العبارةُ فضاء ذهنيّا يحتوي على تلك الإمكانيّة، ولكن في شكل افتراضيّ إمكانيّ فقـط. فتأمّلُ هذا المخلوقِ في وجود التّداوليّة الممكن يُسـتحضَر، حينئذ، على أنّه وحدة افتراضيّة لم تسـتدعَ إلاّ لغايات الإشارة إلى ما كان من الممكن أن يكون، ولكنّه ليس كذلك في الواقع.

وليـس هذا المثال بغريب البتّة. فنحن ننشـغل، عند إنتاج العبارات اللّغويّة أو فهمهـا، بعمليّـات بناء مفهوميّ متطـوّرة على درجة عليا مـن التّعقيد تمتح مـن مـوارد عديـدة متنوّعة. ومـن جملة هـذه المـوارد، المعانـي المعجميّة والقوالـب التّركّبيّة، كما ضُبطت على نحو تقليـديّ. ويتمثّل مورد آخر في قدرتنـا التّخييليّة ذات الثّراء الهائل، في تضمّنها لأدوات من قبيل الاسـتعارة، والمـزج، والتّخيّليّـة، والأفضية الذّهنيّـة. وبالإضافة إلى ذلـك، تعوّل الأبنية

الذّهنيّة الجليّة في استعمال اللّغة العاديّ، تعويلا حاسما، على المعرفة العامّة والسّياقيّة المقاميّة. وعلى سبيل المثال، استغلّ لوفينسون في توصيفي بأنّني «نعامة عنيدة» التَّصوّرَ الفولكلوريّ السّائد في ثقافتنا أنّ النّعامة تدفن رأسها في الرّمل لتجتنب مواجهة المشاكل. وهذه الفكرة (وهي لا تكاد تكون قسما من تعريف معجميّ)، هي ما يجعل من العبارة بتمامها منسجمة بأن تمدّنا بصلة بين «نعامة» و«ترفض تأييد وجود التّداوليّة.»

أو تأمّلوا مرّة أخرى [لعصفورُ آمن]، يُتلفَّظ بها عند النّظر إلى قطّ. تدلّ الكلمة [آمن] ضمنيّا على خطر ممكن، يفهمه كلّ من المتكلّم والسّامع كائنا في القطّ. يكون من الممكن أن تحلّل [آمن]، حينئذ، على أنّها طريقة مختصرة في قول [آمِن من القطّ]، وقد سمح المقام بالحذف من العبارة. ورغم كون الإحالة على القطّ ضمنيّة، فهي تُعتَبَر، على وجه صائب، جزءا من معنى العبارة اللّغويّة؛ وهي، مع ذلك، تناسب شيئا ما (مصدر الخطر) كامنا في معنى [آمن].[11] وفوق هذا كلّه، يمكن أن يصحّ في نفس السّياق أن نقول ما يلي: [العصفور آمن لأنّه أذكى]. يُستحضَر القطّ هنا لا مصدرَ خطر فحسب، بل معيارا للمقارنة، بشكل أكثر بروزا، كذلك. وأشكّ في أنّ مفهمة تُقصي القطّ قد تحدُث فعلا أو يمكن اعتبارها شيئا تعنيه العبارة.

يستلزم معنى عبارة ما أرضيّةً مفهوميّة متعدّدة الوجوه شاسعة تسنِده، وتشكِّله، وتجعله منسجما. ومن وجوه هذه الأرضيّة: (ا) التّصوّرات المستحضَرة أو المنشأة خلال الخطاب السّابق؛ و(اا) المشاركة في حدث الكلام نفسه جزءا من التّفاعل الاجتماعيّ بين المتحاورين؛ و(ااا) إدراك المقام المادّيّ والاجتماعيّ والثّقافيّ؛ و(اv) كلّ مجال من مجالات المعرفة تثبُت إفادته. وتساهم الظّواهر التّخييليّة والتّأويليّة (من قبيل الاستعارة، والمزج، والتّخيّليّة، وبناء الفضاء الذّهنيّ)، إلى حدّ غير صغير، في كلّ من الأرضيّة والبلورة اللاّحقة. يوفّر جميع ذلك الأساسَ لقيام التّأويل المعجميّ والتّركيب الدّلاليّ. وعلى عكس النّظرة المنظوميّة التّقليديّة، لا تشتغل هذه العناصر اشتغالا مستقلاّ أو في الفراغ. فليس للوحدة المعجميّة معنى محدّد تمام التّحديد. وعوض ذلك، تكمن قيمتها الدّلاليّة في مسالك اهتداء تواضعيّة (بعضها كثير الارتياد، وبعضها الآخر دون ذلك) إلى مجالات من المعرفة ذات نهاية مفتوحة. وبالتّحديد، يرتبط ما تعنيه الوحدة

المعجميّة في مناسبة بعينها- أي ما هو القسم من المعرفة الموسوعيّة الّذي يجري إنشاطه وإلى أيّ درجة - بجميع العوامل المذكورة. وكذلك، ليست قوالب التّركّب الدّلاليّ إلاّ موردا من موارد تُستغَلّ في عمليّة البناء المفهوميّ المنتجةِ لمعاني العبارات المركّبة. وتؤدّي هذه العمليّة الشّاملة إلى تصوّرات على درجة عليا من البلورة تُعِدُّ لها مجرّدَ إعداد، المعاني المعجميّةُ والقوالبُ التّركّبيّة الّتي لا تكفي بذاتها، عادة، لاشتقاقها. وعلى هذا، أصف اللّغة بأنّها لا تُظهِر إلاّ تركّبيّة جزئيّة.

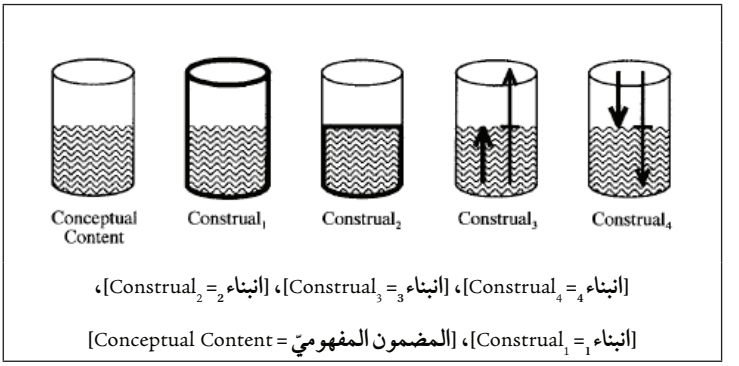
فما هو الشّيء الّذي يجب أن يُعتبَر معنى لغويّا لعبارة ما؟ أقترح التّعريف البسيط التّالي: إلى جانب العناصر الّتي لا جدال في كونها دلاليّة، يتضمّن معنى عبارة ما من الأبنية الإضافيّة مقدارَ ما يُحتاجُ إليه ليجعل المفهمةَ منسجمةً وليعكس ما يعتبره المتكلّمون بطريقة عفويّة مبسّطة المعنى المرادَ والمقولَ، ويقصي، في آن، العوامل الّتي لا جدال في كونها تداوليّة وغير ضروريّة لتعطي معنى لما يجري تشفيره تشفيرا لغويّا. هذا تعريف غائم باعتراف الجميع، ولا يسمح للمرء بأن يسطّر خطّا فاصلا في أيّ موضع محدّد، حتّى بالنّسبة إلى الأمثلة المخصوصة. ولكنّني أعتبره كذلك ملائما. فأنا أفضّل مفهوما واقعيّا للمعنى اللّغويّ لا يكون تحديده إلاّ غائما ولا تكون تركّبيّته إلاّ جزئيّة، على مفهوم يكون (بحكم تعريفه) محدّدا تحديدا دقيقا وذا تركّبيّة تامّة، ولكنّ منزلته العرفنيّة مشكوك فيها كثيرا. أشعر أنّ التّركيز على هذا الأخير يمثّل تمرينا اصطناعيّا يسعى إلى بلوغ شيء قد لا يكون موجودا البتّة، غير مستقلّ بنفسه إن كان كذلك، وفي جميع الأحوال يمثّل، فقط، قسما صغيرا من المسألة في شمولها.

2.2 المضمون المفهوميّ

يكمن المعنى اللّغويّ في المفهمة الّتي وصّفتُها، إلى هذا الحدّ، بكونها حركيّة تفاعليّة وتصويريّة (مقابل القضويّة)، وتخييليّة (بما يندرج فيها من الاستعارة والمزج، والتّخيّليّة، وبناء الفضاء الذّهنيّ). ولئن كانت هذه الخصائص العامّة على غاية من الأهمّيّة، فإنّها ليست في ذاتها مناسبة لوصف البنية المفهوميّة في تفصيل ظاهر. وعلينا الآن النّظر في مقترحات أكثر تحديدا، بحثا عن أساس للوصف الدّلاليّ والنّحويّ.

بصفة أعمّ، يتمثّل معنى ما في مضمون مفهوميّ وطريقة مخصوصة في انبناء ذلك المضمون، في آن. تحيل كلمة [انبناء] على قدرتنا الظّاهرة على أن نتصوّر ونصف الوضعيّة الواحدة بطرق متنوّعة بعضها بديل من بعض.[12] يرد تمثيل مجمل لمثال أوّليّ في الرّسم البيانيّ 2. 5. والمضمون موضوع المسألة هو تصوّر كوب يحتوي ماء يحتلّ نصف حجمه. من المفترض أنّنا قادرون، في المستوى المفهوميّ، على استحضار هذا المضمون بطريقة محايدة تماما. ولكن ما إن نشفّره لغويّا، نفرض عليه بالضّرورة انبناء معيّنا. يُعرَض رباعيّ من هذه الخيارات في الرّسم البيانيّ، كلّ واحد منها يناسب عبارة متميّزة. يكمن التّباين الدّلاليّ المرسوم (بالخطوط الغليظة) في ما تعيّنه العبارات (أو تحيل عليه) ضمن الوضعيّة المتصوَّرَة:[13] (1) [*the glass with water in it* "الكوب الّذي فيه ماء"] تعيّن الحاوية؛ و(2) [*the water in the glass* "الماء الّذي في الكوب"] تعيّن الماء الّذي يحتويه؛ و(3) [*the glass is half-full* "الكوب نصف مليء"] تعيّن العلاقة الّتي يكون فيها الحجم الّذي يشغله السّائل هو بالتّحديد نصف حجمه المحتمل؛ و(4) [*the glass is half-empty* "الكوب نصف فارغ"] تعيّن العلاقة الّتي يكون فيها الحجم الّذي يشغله الفراغ هو بالتّحديد نصف حجمه المحتمل.

هذا التّمييز بين المضمون والانبناء ليس صارما البتّة. على سبيل المثال، درجة التّخصيص- وهو مظهر من الانبناء- ذات أثر مباشر في المضمون المستحضَر: على وجه التّحديد، إذ كانت العبارتان مختلفتين في درجة التّخصيص، تكون العبارة [الكأس الّذي فيه ماء] ذات مضمون أكبر من مضمون العبارة [الحاوية الّتي فيها سائل] (وهذه طريقة أخرى في تشفير الوضعيّة في الرّسم البيانيّ 2. 5). ورغم ذلك، يكون التّمييز مفيدا لغايات العرض والتّفسير، كما يبرز النّقطة الأساسيّة المتمثّلة في كون المعنى التّصوّريّ شاملا لأمور كثيرة تفوق مجرّد شروط الصّدق أو الملابسات المادّيّة الّتي يجري وصفها. وبالفعل يتمثّل معنى الكثير من العناصر اللّغويّة - وخاصّة تلك الّتي تعتبَر "نحويّة"- أساسا، في الانبناء الّذي تفرضه عوضا عن أيّ مضمون مخصوص. وبالإضافة إلى ذلك، كلّ عنصر يستحضرُ مضمونا ما (ولكن قد يكون خطاطيّا)، ومقابل ذلك، كلّ مضمون مستحضَر ينبني بطريقة ما. فالمضمون هو موضوع هذا القسم من الكتاب. وتكون دراسة الانبناء في الفصل 3.



الرّسم البيانيّ 2. 5

2.2.1 المجالات

يشتمل المعنى اللّغويّ على كلّ من المضمون المفهوميّ والانبناء المفروض على ذلك المضمون. ولتكون لنا طريقة متناغمة في الإحالة على المضمون، يُعتمَد مصطلح مجال في النّحو العرفنيّ. يقال إنّ عبارة ما تستحضر مجموعة من المجالات العرفنيّة أساسا لمعناها (أي المضمون الّذي سوف يُبنَى).[14] يُطلَق على هذه المجموعة من المجالات تسمية شاملة، هي المولّدة. تكون المولّدة مركّبة بالنّسبة إلى معظم العبارات، من جهة اشتمالها على مجالات متعدّدة.

فما هو المجال، بالتّحديد؟ ليكون هذا المصطلح في خدمة غايته، يكون مؤوّلا تأويلا واسعا على أنّه يشير إلى كلّ نوع من التّصوّر أو التّجربة. فمن المجالات الواردة في مضمون الرّسم البيانيّ 2. 5، على سبيل المثال، يوجد: الفضاء، والإحساس بالبلل، والمفهوم المخصوص [**ماء**] (الّذي يعرَّف في جزء منه باعتماد البلل)، والمفهوم الأمضى في درجة الخطاطيّة [**سائل**] (وهو متأصّل في [**ماء**])، وتَصوُّر ملء حاوية بالسّائل، وفكرتا الحجم والتّساوي (ومنه التّساوي في الحجم)، وكذلك معرفتنا بالعادة الاجتماعيّة المتعلّقة بملء كوب بالماء لغرض شربه. وينبغي أن لا نتوقّع أن نصل إلى أيٍّ مسرد يستوفي جميع المجالات في مولّدة ما أو إلى أيٍّ طريقة فريدة لتقسيم مضمون عبارة لغويّة ما في ما بين تلك المجالات - فعدد المجالات الّتي نتعرّف عليها وما هي بالتّحديد، شيء مرتبط بغايتنا منها؛ وهو أمر اعتباطيّ إلى حدّ ما. يكمن الشّيء المهمّ في أن نعترف بطبيعة التّنوّع وتعدّد الوجوه للمضمون المفهوميّ الّذي تستحضره عبارة ما.

ومـن البديهـيّ أنّ تصوّرات كثيرة تتضمّن أخرى أو هـي، بوجه ما، تقبل الانخزال إلى مفاهيم أوّليّة أكثر. تسـمّى المجالات الّتي لا ينطبق عليها هذا، مجالات أساسـيّة. فالمجال الأساسـيّ، حينئذ، غير قابل للخـزل عرفنيّا، ولا هو قابل لأن يُشـتقَّ من تصـوّرات أخرى أو قابل لأن يُحلَّـل إليها. ورغم أنّني لا أسـتطيع أن أقدّم مسـردا نهائيّا فـي جميع المجالات، يكـون من الأمثلة الأوّليّة: الفضـاءُ، والزّمن، والأمْدِية الّتي تقع في إطارها التّجارب غير المحلَّلة المقترنـةُ بالحواسّ المختلفةِ: فضاء الألوان (مـدى الألوان الّتي نحن قادرون على الإحسـاس بها)، وطبقات الصّوت ارتفاعا ونـزولا (مدى الأصوات الّتي يمكننـا أن ندركها)، ودرجات الحـرارة، والذّوق والشّـمّ، وما إلى ذلك. وليسـت المجالات الأساسـيّة، في حـدّ ذاتها، مفاهيم أو تصـوّرات. يمكن تَمثُّلُها على وجه أفضل بأنّها أمدية من التّجربة الممكنة في إطارها يمكن أن تجـري المفهمة وتنبثقَ المفاهيم المخصوصة. فعلى سـبيل المثال، ليس فضاء اللّـون - من حيث هو مدى من الأحاسـيس الممكنة باللّـون - تجربةً للّون مخصوصةً جارية في مناسبة بعينها (أي نوعا من المفهمة)، ولا هو مفهومُ لونٍ بعينه (**أحمر**، مثلا). وبوجه مماثل، يحمل الفضاء تصوُّرَ التّشـكلات الفضائيّة ويحمـل الزّمنُ تصوُّر التّغيّر. غير أنّ هـذه المجالات، من حيث هي مجالات أساسـيّة، ليست في ذاتها مفَاهيم ولكنّها بكلّ بسـاطة امتداد فضائيّ وزمنيّ تتجلّى فيه التّشكّلات ويتبدّى التّغيّر.[15]

تكون أغلـب المجالات غيـر أساسـيّة.[16] وتكون جميـع المجالات المذكورة أعلاه في الرّسم البيانيّ 2. 5 غير أساسيّة ماعدا مجال الفضاء. يُعتبَر كلّ نوع من المفهمة مجالا غير أساسـيّ قادرا على أن يُستغَلّ لغايات دلاليّة. تحت هذه اللاّفتة، تندرج التّصوّرات سواء كانت حسّيّة أو فكريّة، سكونيّة أو حركيّـة، ثابتة أو جديدة، بسـيطة أو مركّبة. وتنـدرج في المجالات غير الأساسـيّة عيّنات من التّجربة الحسّـيّة، والعاطفيّة، والحركيّة/الكينيسـتيّة (مثل، الإحسـاس بالبلل، أو بالخوف، أو بتفجير بالونة)، وكذلك النّتاجات التّجريديّـة للعمليّات الذّهنيّة (مثـل مفاهيم من قبيل **العدل**، و**الفقاريّ**، و**معدّل ضـرب الكـرة**). وتندرج ضمنها كذلك تصـوّرات تتجلّى بصفة لحظيّة في مسـتوى الإدراك الواعي (مثل الصّورة الّتي تكـون لدائرة ما)، وعلى نفس الشّـاكلة، السّـيناريوهات المتبلورة لا يمكننا أن نتصوّرها إلاّ طورا فطورا خـلال زمن المعالجة (مثـل الخطوات المتتابعة في وصفـة طعام معقّدة). ولا يُشـترط أن يكون المجال الأساسيّ ثابتا، أو راسـخا، أو معترفا به عن طريق

التّواضع. وهكذا يكون إدراك السّياق المقاميّ جديرا بأن يعتبَر مجالا عرفنيّا، وكذلك الخطاب السّابق.

تتنوّع المجالات غير الأساسيّة، تنوّعا كبيرا، من حيث درجة التّركّب المفهوميّ فيها. فهي تمتدّ من المفاهيم الدّنيا (مثل، **أحمر**)، إلى تصوّرات أكثر بلورة (مثل تشكيلة الجسد البشريّ)، إلى نظم معرفيّة بأكملها (من قبيل كلّ ما نعرف عن لعبة البيسبول). وإلى حدّ ما، تترتّب هذه المجالات في سلّميّات بوجه يكون فيه تصوّرٌ ما من مستوى ما مقتضيا مسبقا لتصوّر واحد أو أكثر، من مستوى أدنى ومتضمّنا له. على سبيل المثال، مفهوم **تفّاح** يتضمّن **أحمر**، ومفهوم **عنق** يستدعي شكل الجسد بكامله؛ و**معدّل الضّرب** يقتضي مسبقا معرفة بكلّ من الحساب ولعبة البيسبول. وفي حالات من هذا القبيل حيث يقتضي مسبقا تصوّرٌ ما -من جهة واحدة- تصوّرا آخر يكون جزءا من توصيفه هو، يُعتبَر ذانك التّصوّران حالّين في مستويين من التّنظيم المفهوميّ أعلى وأدنى. ويمكن التّمييز، في أحيان كثيرة، بين مستويات عديدة من التّنظيم المفهوميّ، حتّى في النّماذج البسيطة. في حالة [«**دخل**»] (الرّسم 2. 1)، يمثّل مفهوم [**شيء مادّيّ**] مكوّنا واحدا من التّصوّر من المستوى الأعلى لشيء متنقّل من مصدر إلى هدف على امتداد مسلك فضائيّ. ثمّ يجري إدراج ذلك، بالتّزامن مع خطاطة **حاوية-محتوى**، جزءا من [**دخل**] في المستوى الأعلى الموالي. وتستحضَر [**دخل**] بدورها لتوصيف [**دخول**]، وهكذا دواليك بلا توقّف.

تمثّل السّلّميات من هذا القبيل مظهرا أساسيّا من البنية المفهوميّة، وهي من ثمّ، أساسيّة في الدّلالة. فقلّة من المعاني اللّغويّة مهيّأة بطبيعتها لتوصَف وصفا مباشرا باعتماد المجالات الأساسيّة أو مجموعة مفترضة من المفاهيم الأوّليّة، ليس غير.[17] توصَف أغلب العبارات بأفضل ما يكون من التّوصيف، باعتبار مفاهيم من مستوى أعلى يمكن أن تقوم علاقتها بالأفكار الأساسيّة على وساطة عدد من المستويات المتدخّلة بينها. وتستدعي العبارات، أساسا لمعناها وبالتّالي نقطةَ الانطلاق في الوصف الدّلاليّ، تصوّراتٍ كامنةً في أيّ مستوى من التّنظيم وكائنةً على أيّ درجة من التّركّب.

تأمّلوا كلمة [*sophomore* «طالب في السّنة الثّانية من الدّراسة الجامعيّة»]. من العناصر الموجودة في معناها، المجالاتُ الأساسيّة المتّصلة بالزّمن والفضاء، وكذلك مفاهيم من المستوى الأدنى من قبيل [**شخص**]، [**عرف**]، [**سنة**]، و[**اثنان**]، ومفاهيم من مستوى أعلى من قبيل [**تعلّم**]، و[**درس**]، و[**طالِب**]،

و[**معهد**]. ومن البيّن، رغم ذلك، أنّ معنى [*sophomore*] يستدعي زيادة على ذلك بصفة حاسمة، تصوّرا كائنا بدوره في مستوى أعلى، من قبيل ما يسمّيه فيلمور (1982) إطارا ويشير إليه لايكوف (1987) بمنوال عرفنيّ مؤمثل أو (م ع م). هذا هو التّصوّر المؤمثل، المألوف كثيرا في ثقافتنا، عن مؤسّسة تربويّة ليست من التّعليم الأساسيّ تقدِّم تكوينا دراسيّا يدوم أربعا من السّنوات. وإذ يشتمل هذا المنوال العرفنيّ المؤمثل على مفاهيم من المستوى الأدنى، فهو يمثّل، مأخوذا في كلّيّته، نقطة البداية الطّبيعيّة للوصف الدّلاليّ: عند أخذه بعين الاعتبار، نحن محتاجون فقط إلى أن نحدّد أنّ [*sophomore*] تشير إلى شخص في السّنة الثّانية من الدّراسة. ويمكننا أن نقول إنّ المنوال العرفنيّ المؤمثل يمدّنا بمضمون العبارة المفهوميّ، أي أساس المعنى فيها، الّذي ينتُج من انبناء هذا المضمون بطريقة معيّنة. تنبني [*sophomore*]، على وجه الخصوص، على أنّها تعيّن (تعرض) طالبا في السّنة الثّانية (مقابل [*freshman* "طالب بالسّنة الأولى"]، و[*junior* "طالَب بالسّنة الثّالثة"]، و[*senior* "طالب بالسّنة الرّابعة"]، الّتي تشترك في نفس المضمون الأساسيّ ولكنّها تشير إلى طلبة من السّنوات الأخرى).

قد يكون بعض التّوضيح الاصطلاحيّ في هذا المستوى مفيدا. يبدو أنّ لنا الكثير من المصطلحات الّتي يمكن انطباقها جميعا في الظّاهرة المفهوميّة نفسها: [*concept* "مفهوم"]، و[*conception* "تصوّر"]، و[*conceptualization* "مفهمة"]، و[*domain* (*nonbasic*) "مجال (غير أساسيّ)"]، و[*frame* "إطار"]، و[*idealized cognitive model* "منوال عرفنيّ مؤمثل"]. رغم أنّ الاستعمال يتنوّع والفروق لطيفة، ينبغي على الأقلّ أن أبيّن الاتّجاه الّذي أنزع إليه أنا شخصيّا في فهم هذه المصطلحات.

التّمييز بين المصطلحات الثّلاثة الأولى والثّلاثة الثّانية، بالأساس، مسألة منظور: يتعلّق الثّالوث الأوّل بفكرة ما مأخوذة في حدّ ذاتها، في حين يبرز الثّالوث الثّاني دورها في وصف المعاني اللّغويّة. في المجموعة الأولى من الكلمات تحيِّد كلمة [*conception* "تصوّر"] التّمييزَ بين [*concept* "مفهوم"] الّتي توحي بفكرة ثابتة أو سكونيّة، و[*conceptualization* "مفهمة"] الّتي توحي بالحركيّة. ولكن بما أنّ كلّ تصوّرٍ حركيٌّ إن أخِذ على سلّم من الزّمن قصير بما يكفي، تُستعمَل [المفهمة] كذلك مصطلحا عامّا بأتمّ معناه. وغالبا ما تقبل المصطلحات في المجموعة الثّانية التّبادل في ما بينها. فيمكننا أن نقول، على سبيل المثال، أنّ [*sophomore*] تشتقّ معناها بفرض انبناء مخصوص

علـى المضمون الّذي يوفّره مجال، أو إطار، أو منوال عرفنيّ مؤمثل.[18] وزيادة علـى ذلك، ليـس بين هـذه المصطلحات تكافؤ تـامّ. فلـ[مجـال] أقصى درجـات العمـوم، إذ لا ينطبق [إطار] ولا [منوال عرفنـي مؤمثل] انطباقا جيّدا علـى المجالات الأساسـيّة (مثلا، الزّمـن أو فضاء اللّـون). ويمكن أن يقبل [إطار] المقارنة بـ[مجال غير أساسـيّ] مقارنـة تقريبيّة. وإذا ما أخذت كلمتا [مؤمثل] و[منوال] مأخذ الجدّ، يكـون لـ[منوال عرفنيّ مؤمثل] أضيق مدى للانطباق. فلا يمكن، على سبيل المثال، أن ينطبق في الخطاب وهو يجري أو على الملابسات المادّيّة المحيطة بحدث الكلام. [19]

2.2.2 الاهتداء إلى المجالات

تسـمّى مجموعة المجالات الّتي تسـتدعيها عبارة ما مولّدتَهـا المفهوميّة. وعـادة ما يكون هنـاك مجالات متعدّدة، وفـي هذه الحالة تعتبَـر المولّدة مركّبـة. ولا يكفي خـلال وصف مولّدةِ عبارةٍ ما، مجرّدُ مسـرد للمجالات المكوّنة لها. فكيفيّـة ارتباط الواحد منها بالآخر، وكيف يكون الاهتداء الذّهنيّ إليها، بعدان مهمّان في المعنى اللّغويّ.

ومن الطّرق المفيدة أن نبدأ بالنّظر في مثال واحد بتفصيل تامّ. والعبارة المختارة هـي [كوب]، فـي المعنى المعهـود الّذي تشـير بمقتضاه إلى حاوية تُسـتعمَل للشّرب. وفي ما يلي بعض من المجالات الحاضرة بجلاء في توصيفها المفهوميّ:

1. الفضاء [مجالا أساسيّا].

2. الشّكل [شكل اسـطوانيّ تقريبا، مغلق من نهاية واحدة]. يقتضي هذا المجال غيرُ الأساسيّ مسبقا الفضاءَ مجالا يظهر فيه تَصوُّر شكل ما.

3. اتّجـاه مميِّز في الفضاء [مسـافة طويلة ممتدّة علـى المحور العموديّ، والنّهاية المغلقة إلى أسـفل]. من جملـة المجالات الّتي يتضمّنها هذا، يكون الفضاء، والعموديّة، وتصوّر الشّكل.

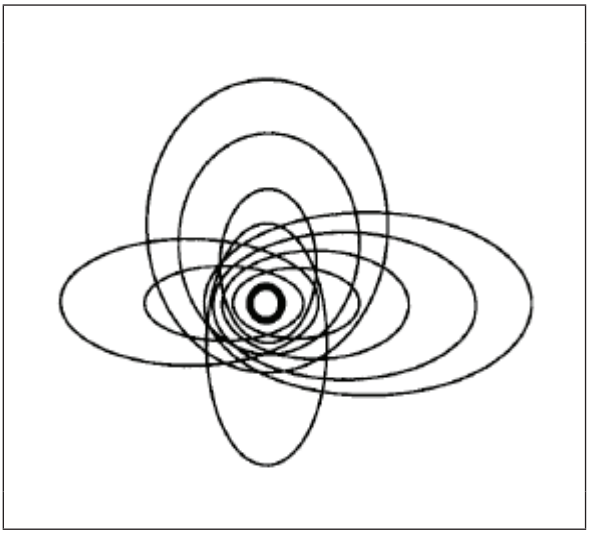
4. الوظيفة 1 [حاويةُ سـائل]. يقتضي هذا مسـبقا الاتّجـاهَ المميّز، ومفهومَ سـائل ما، ومفهـومَ حاوية ما (الّتي بدورها تتضمّن أفـكارا من قبيل الاحتواء الفضائيّ، والتّنقّل الإمكانيّ، والقوّة، والاستمرار خلال الزّمن).

5. الوظيفة 2 [دور في عمليّة الشّرب]. يتضمّن هذا الوظيفةَ 1، كما يتضمّن تصوّرَ الجسد البشريّ، وعملَ الإمساك باليد، وحركةَ الذّراع، والبلعَ، إلخ.

6. مادّة الصّنع [عادة ما تكون مادّة من الزّجاج].

7. الحجم [ممّا يسهل الإمساك به بيد واحدة].

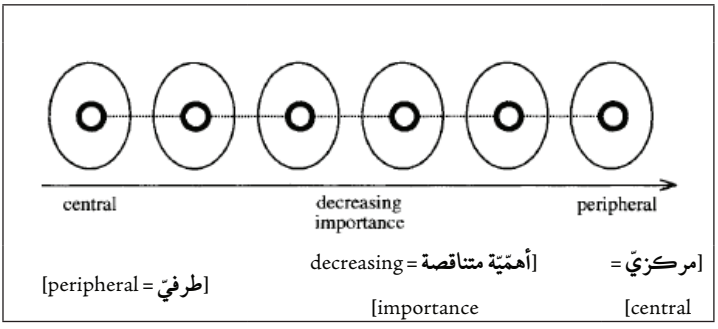
8. مجالات أخرى [مجالات متّصلة بالثّمن، والغسل، والتّخزين، والسّقوط والكسر، والوضعيّة على طاولة عند موعد الطّعام، والمجموعات المتناسقة، وطريقة الصّنع، وما إلى ذلك].



الرّسم البيانيّ 2. 6

وفقا للنّظرة الموسوعيّة للدّلالة اللّغويّة (§ 2. 1. 3)، تمثّل المجالات الّتي يمكن أن تكون مفيدة مجموعة ذات نهاية مفتوحة. يبيّن المثالُ بوضوح أنّ المجالات المنتميةَ إلى مولّدةٍ مركّبةٌ، بدلا من أن تكون متفكّكة، يتراكب بعضها مع بعض في الغالب إلى حدّ التّضمّن التّامّ. يمثّل ما ورد في الرّسم البيانيّ 2. 6 محاولة لتبليغ هذا بطريقة مخطّطيّة، حيث يشار إلى المجالات بالأشكال البيضويّة. تمثّل الدّائرة المسطّرة بالخطّ الغليظ الوحدةَ الّتي تعيّنها العبارة (أي معروضها) والّتي تؤدّي دورا ما في جميع المجالات المنتمية إلى المولّدة. وممّا لا يُرسَم في الرّسم 2. 6، درجات المركزيّة المتنوّعة الّتي تقبل أن تُسنَد إلى المجالات في مولّدة مركّبة.[20] والمركزيّة (لانقاكر1987: § 4. 2. 2) هي قابليّة مجال مخصوص للإنشاط عندما تُستعمَل عبارة ما في مناسبة ما. وبعض المجالات على غاية من المركزيّة، إلى حدّ أنّنا لا نكاد نستعمل العبارة دون أن نستحضرها، وبعض المجالات تُنشَط بتواتر

أقـلّ، والبعض الآخر على غاية من الطّرفيّة إلى حدّ أنّنا لا نسـتحضرها إلاّ في ملابسـات خاصّة عندما يحدث أن تكون مفيـدة. وفي مثالنا [كوب]، يبين بوضـوح أنّ المجالات من 1 إلى 7، مجالات مركزيّة، وتلك الواردة في 8، مجالات طرفيّة أكثر. ويظهر في الرّسم 2. 7 ترتيبٌ حسب درجات المركزيّة. تُعرَض في هذا الرّسم «المتشظّي» مجالاتُ مولِّدةٍ ما منفصلةً (بإغفال تراكبها الواسع). وتشـير الخطوط المتقطّعة، وهي جارية على التّناسب، إلى أنّ جميع الدّوائر المرسـومة بالخطّ الغليظ تمثّل نفسَ الوحدة (أو بعبارة أوضح، مرجعَ العبارة الّذي مثّلنا له مرّة واحدة فقط في الرّسم 2. 6).



الرّسم البيانيّ 2. 7

والمركزيّة النّسـبيّة للمجـالات التّكوينيّة وجه واحـد من وجوه المعنى اللّغويّ، مهمّ لتوصيف العناصر المعجميّة. لا يَقدح العنصرُ المعجميّ الاهتداءَ إلـى مجموعة من المجالات باعتباره جزءا من قيمته الدلاليّة التّواضعيّة، فقط، بـل يفعل ذلك على أسـاس تفاضليّ بـأن يجعل بعضها خصّيصـا أولى من بعضها الآخر في الإنشاط، كذلك. وفي بعض الأحيان، يكمن تباين دلاليّ مـا في مسـرد المجالات الّتي يمكـن الاهتداء إليها، بقـدرٍ أقلّ من كمونه في درجة قابليّتها للاهتداء إليها. فرغم أنّ الشّـيء نفسـه يمكن أن يحال عليه إمّا بـ[*knife*»سـكّين«] أو بـ[*dagger* "خنجر"]، وكلاهما يمكن أن يسـتعمل لطعن شخص ما، فإنّ هذه الوظيفة الممكنة أكثرُ مركزيّة إلى حدّ بعيد في معنـى [*dagger* "خنجر"]. أو تأمّلوا التّباين بين [*snail* «حلزون»] و[*escargot* "(طبق) الحلزون (المطبوخ)"] (على أسـاس التّسليم بأنّ هذه الكلمة الأخيرة كلمة إنجليزيّة الآن). تفترض الدّلالة الموسوعيّة أنّ العبارتين توفّران اهتداء إمكانيّا إلى مسـرد المجال نفسـه: هو جزء من معرفتنـا الموسـوعيّة بالحلزون الّذي يمكـن في بعض الأحيان أن يُطهَى ويُؤكَل، (خاصّة، في المطاعم الفرنسيّة)،

ونعلم أنّ الحلزون هو تلك المخلوقات نفسها الّتي تغزو حدائقنا. ورغم ذلك، لكلمتي [*snail* «حلزون»] و[*escargot* "(طبق) الحلزون (المطبوخ)"] معنيان مختلفان بوضوح حيث يكمن التّباين في كيفيّة ترتيب المجالات (أي في درجة المركزيّة). ففي حال [*escargot* "(طبق) الحلزون (المطبوخ)"]، يرد مجال الطّبخ الفاخر في مرتبة عالية جدّا؛ وذاك هو المجال الّذي يُهتدَى إليه أوّلا، والمجالات الأخرى - مثل مجال آفات الحديقة- لا تُنشَط إلاّ بوجود مبرّر خاصّ. وفي حال [*snail* «حلزون»]، من جهة أخرى، يكون مجال الطّبخ الفاخر طرفيّا ولكنّه قابل لأن يُهتدَى إليه نسبيّا. فيكون على هذا من الطّبيعيّ (على الأقلّ من زاوية لغويّة) أن نقول [*The snails were delicious* "كان طبق الحلزون لذيذا"]، ولكن يصعب جدّا أن نقول [**My garden is crawling with escargots* «*كانت حديقتي تعجّ بالحلزون المطبوخ»].[21]

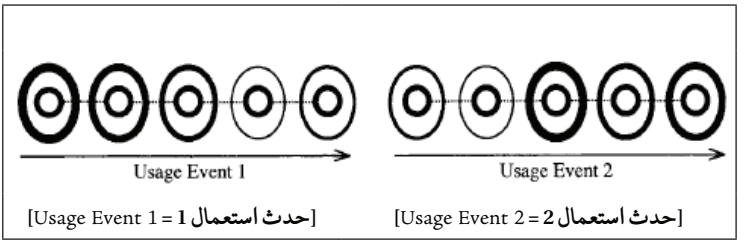
يستلزم التّرتيبُ باعتماد المركزيّة أنّ معنى معجميّا ما، حتّى ولو كان ذا نهاية مفتوحة، ليس حرّا حرّية مطلقة أو غيرَ مقيّد البتّة. تتحدّد وحدة معجميّة ما تحدّدا جزئيّا باحتمال ورودها (يقارب في بعض الأحيان منزلة القطعيّ) في المجالات المخصوصة الّتي يجري إنشاطها. فهي تتضمّن، بذلك، الطّرق التّواضعيّة في الاهتداء إلى مدى معيّن من المعرفة الموسوعيّة. وفي الوقت نفسه، لا يكون معنى معجميّ ما أبدا ثابتا مطلق الثّبات أو غير متغيّر تماما، لأسباب عديدة. أوّلها، الميل إلى مجال معيّن ليجري إنشاطه أمرٌ احتماليّ وليس مطلقا. ويتمثّل السّبب الثّاني في أنّ الاحتمالات عرضة للتّعديل السّياقيّ المقاميّ. وأخيرا، تتنوّع الاحتمالات خلال الزّمن حسب تقلّبات الاستعمال.

تبدو هذه النّقاط جليّة تماما. فأن تُنشَط المجالات باحتمالات معيّنة هو ما يقصَد، بالتّحديد، بدرجة المركزيّة. ولا وجود كذلك لأيّ شّك في أنّ الاحتمالات يشوّشها السّياق والاستعمال. يمكن أن تركّز العوامل السّياقيّة، بكلّ تأكيد، الانتباه على مجال لا يمكن الاهتداء إليه في خلاف ذلك مطلقا أو يكون ذلك بمستوى أدنى من الإنشاط فقط. وهذا بدوره يمكن أن ينقص من إنشاط خصيصة بارزة في خلاف ذلك. فلو قدحت العبارة (6) (أ) انبناء قياسيّا لـ[كوب] بالاهتداء إلى المجالات من 1 إلى 7 جميعها، فإنّ العبارات (6) (ب)-(د) تشوّه القالب بإبراز مجالات مختلفة ذات درجة أقلّ من المركزيّة: الكسر، والمطابقة، والموضع، والغسل.

(6) (أ) *He took another sip from his glass.*
أخذ رشفة أخرى من كأسه.
(ب) *This antique glass is quite fragile.*
هذا الكوب القديم هشّ تماما.
(ج) *The glasses on that table don't match.*
الأكواب على تلك الطّاولة لا تتطابق.
(د) *Plastic wine glasses are hard to wash.*
كؤوس الخمر البلاستيكيّة يصعب غسلها.

ينـزع توجيه الانتباه إلـى أفكار من هذا القبيل إلـى دفع خصائص أكثر مركزيّـةً (مثل دور كوب في الشّـرب) إلى الخلفيّة. بـل يمكن محوها أو حجبهـا بأخرى تركبها. في (6) (د) تحجب [خمر] و[بلاسـتيك] خصائص [الكـوب] المحايدة في مـا يتعلّق بالشّـكل ومادّة الصّنـع. وبالإضافة إلى ذلك، يحـدُث تقارنها مع [كوب] باطّراد كبير في هذه الأيّام، إلى حدّ أنّ المنزلة المحايدة لتلك الخصائص قد تكون عرضة للتّقلّص. فالاستعمال ذو تأثيـر متواصل إمّا بترسيخ الاحتمالات أو بتعديلها.

يقيس ترتيب مجالات ما باعتماد المركزيّة درجاتِ الاحتمال في كونها موضوع اهتداء وإنشـاط قويّ، وجميع الأشياء الأخرى متساوية. وفوق ذلك، لا تكون الأشياء الأخرى متساوية حقيقة أبدا، بما أنّ استعمال اللّغة لا يكون أبدا لاسـياقيّا؛ ويكـون تجلّي عبارة مـا دائما عرضة للتّأثير من الملابسـات المادّيّة، واللّغويّة، والاجتماعيّة، والنّفسـيّة. فـإذا ما كان لعبارة ما رتبة معطاة مـا، كما يظهر في الرّسـم 2. 7، يؤدّي ذلك التّأثير إلى قوالب من الإنشـاط مخصوصة تمثّل الاشـتغالَ السّـياقيّ لعنصر معجميّ في أحداث الاسـتعمال الحقيقيّة. يُعرَض ذلك في الرّسـم البيانيّ 2. 8، حيث تشـير سماكة خطّ ما إلى الدّرجة الّتي يكون عليها إنشـاط مجال ما. فمِن حدثِ اسـتعمالٍ ما إلى حدثٍ يليه، يُحتمَل أن تختلف المجالات المهتدى إليها، وكذلك مسـتوى إنشـاطها. وهذا الإنشاط المتغيّر من الأسـباب الّتي تبدو لها عبارة ما ذات قِيَم مختلفـة في مناسـبات مختلفة. فقد يكـون ذلك، بعبـارة أدقّ، لأنّ عنصرا معجميّا ما لا يُستعمَل مرّتين أبدا بنفس المعنى بالتّحديد.



الرّسم البيانيّ 2. 8

لهـذه الملاحظـات، لـو تابعناها إلـى خلاصتهـا المنطقيّة، تبعـات نظريّة مخصوصة أعتبِرها طبيعيّة تماما (رغم أنّ بعضهم قد يعتبرها بائسة). فهي تقتضي غيـاب أيّ خـطّ فاصل مخصـوص يفصل فصـلا صارما المعنـى اللّغويَّ عن المعرفة العامّة أو التّأويل السّـياقيّ. وبما أنّ التّصوّرات الّتي تشتغل معاني لغويّة ليست متميّزة من ذينك ولا هي محدّدة تحديدا جيّدا، لا يمكن للبنية الدّلاليّة أن توصَف وصفا مفصّلا شـاملا. وليست الدّلالة تركّبيّةً بشكل تامّ، وما من سـبب لذلك ما عدا كون قوالب البنـاء المفترضة - أي المعاني المعجميّة- غير ذات قِيَم ثابتة. وبالإضافة إلى ذلك، لا تكوِّن اللّغة «منظومة» أو «ملكة ذهنيّة» مستقلّة مكتفية بذاتها، بحكم أنّها تتضمّن الدّلالة بالضّرورة.[22]

2. 2. 3 المجالات والأفضية الذّهنيّة

عُـرِّف المجـال العرفنيّ بكونه كلّ نوع من التّصـوّر أو التّجربة الذّهنيّة. والتّعريف واسـع جـدّا، المقصـود منه توفيـر طريقة منسـجمة للإحالة على أيّ شـيء جرى توظيفه أساسـا مفهوميّا للمعنى اللّغـويّ. وكذلك تعريف فوكونياي للفضاء الذّهنيّ واسـع جدّا ولسـبب شـبيه، إذ يقول (1997: 11): "الأفضيـة الذّهنيّة... أبنية جزئيّـة تتكاثر عندما نفكّر ونتكلّم، تسـمح بأن يتـوزّع خطابنا وأبنيـة معارفنا توزّعـا جُزيئِيّا مفصّلا." وليس جليّـا أنّ أيّ بنية مفهوميّة مقصاة إقصاء صارما بـأيّ واحد من التّعريفين، وأنّ للمصطلحين في الاستعمال أمديةَ تطبيقٍ يتراكبان فيها. فما هي، إذن، العلاقة بين الفكرتين؟ وهل المصطلحان كلاهما ضروريّ حقّا؟

في ما أرى، يمكن لأيّ شيء يطلَق عليه [مجال] أن يحال عليه بأنّه [فضاء ذهنيّ]، والعكس صحيح. فمن زاوية إحاليّة صرف، حينئذ، يمكن أن يكون مصطلح واحد كافيا. وفوق ذلك، ليس مدى الإحالة المقياسَ الوحيد في تحديد صلاحية مصطلح ما؛ وحتّى في الوسط التّقنيّ، غالبا ما تكون الوحدة نفسها قابلة لأن توصف بوسائل من العبارة بدائلَ تُبرِز وجوها مختلفة منها[23] فالمصطلحان [مجال] و[فضاء ذهنيّ] يمثّلان طريقتين غير متكافئتين في النّظر إلى البنية المفهوميّة، إذ يعكس كلّ واحد منهما مدى معيّنا من المشاغل التّحليليّة. يركّز [مجال] على وحدة تَصوُّر ما وانسجامِه الدّاخليّ. فهو ينزع، من حيث كان طريقة في الإحالة على المضمون المفهوميّ، إلى أن يُستَعمَل في تسمية التّصوّرات القائمة في علاقتها بالمعاني المعجميّة. ومقابل ذلك، يُبرِز [فضاء ذهنيّ] التّقطّعات المفهوميّة، أي توزّع البنية المفهوميّة إلى جهات شبه مستقلّة بذاتها. وينزع إلى أن يُستعمَل لتسمية نتاجات العمليّات التّخيّليّة والأبنية النّاشئة بصفة حركيّة في الخطاب. ولكنّ هذين ليسا إلاّ مجرّد نزوعين، فكلا المصطلحين غائم بما يكفي ليكون تطبيقه عامّا.

يستوعب النّحو العرفنيّ الظّواهر الّتي تُعالَج في نظريّة الفضاء الذّهنيّ، في العموم، والتّحاليل المقترحة، استيعابا مباشرا. وهذا في الواقع ظاهر تماما، إذ يُعتبَر أيّ نوع من التّصوّر مجالا، ولا يفرَض أيّ قيد على الكيفيّة الّتي تترابط بها المجالاتُ في مولَّدةٍ ما. وعلى هذا، يمكن ببساطة أن يُدرَج كلّ تشكّل لفضاء ذهنيّ - بما في ذلك كلّ من الأفضية والرّوابط الواصلة بينها- جزءا من مولّدة ما. وعلى سبيل التّمثيل، تأمّل العبارة الاستعاريّة التّالية:

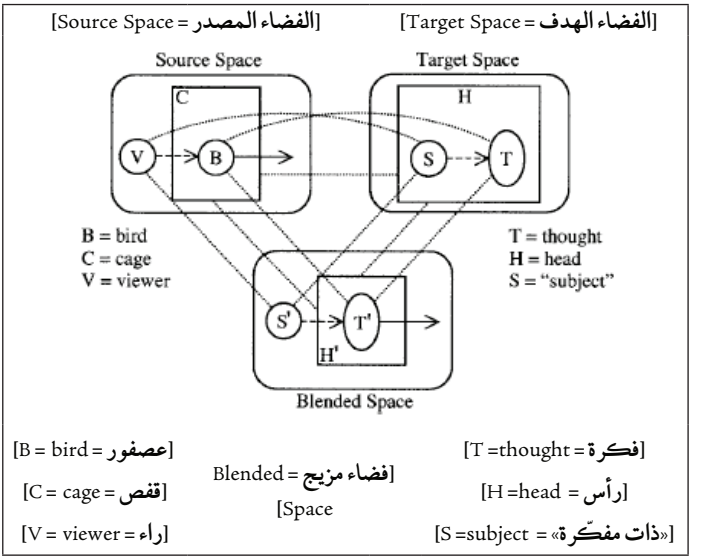
(7) *The thought just flew right out of my head.*
طارت الفكرة من رأسي تماما.

تكمن الاستعارة في جملة من الرّوابط ضمن [فضاء مصدر]، و[فضاء هدف]، و[فضاء مزيج].[24] الفضاء الهدف هو ذاك الّذي يجري تنضيده تنضيدا استعاريّا. ترد في (7) تجربةٌ شائعة تتمثّل في أنّ المرء يعالج فكرة ما، ولكنّه بعد ذلك -عندما يهمّ بالتّعبير عنها- لا يقدر على الاهتداء إليها. فالفضاء المصدر هو الفكرة (ذات التّجريد المحدود في العادة) الّتي تُتّخَذ أساسا للإسقاط الاستعاريّ. في واحد من تأويلات (7)، يتحدّد الفضاء المصدر

بأنّــه تَصوُّرٌ لعصفور يطير من قفص، بما يســتتبع ذلك من أنّ العصفور غائب فلا يمكن أن يُرى. والفضاء المزيج هو نتيجة لإســقاط الفضاء المصدر على الفضاء الهدف. هو تصوُّر هجين، متخيّل في طبيعته، تتوالف فيه سمات منتقاة من كلّ فضاء دَخْلٍ.

تُعرَض الأفضية والرّوابط الّتي تُستحضَر في (7)، على صورة تقريبيّة في الرّسم البيانــيّ 2. 9. وعناصر الفضاء المصدر هي عصفور (B)، وقفص (C)، ومُشــاهد (V). العصفور في القفص حيث يمكن للمشاهد أن يرى (كما يشير إليه السّهم المتقطّع)، ولكنّه بعد ذلك يطير بعيدا (السّــهم المسترســل) ويصير غير قابل للاهتداء إليه. وعناصر الفضاء الهدف هي فكرةٌ (T)، ورأسُ شخص (H)، وذاتُ ذلك الشّــخص (S)- أي مركز الوعي الذّاتيّ (لايكوف 1996). يمثّل السّهم المتقطّع تجربةَ تَكــوُّنِ الفكرة الّتي تحدث بصفة ذاتيّة داخل الرّأس. ولئن لم يُعرَض السّــيناريو الهدف في الرّســم البيانيّ، فهو يتضمّن كذلك طورا تابعا تكون فيه الفكرة غائبة. ويشــار إلى الرّوابط بين الأفضية بالخطوط المتقطّعة. لاحــظ أنّ الرّوابــط قائمة بين العصفور والفكرة، وبيــن القفص والرّأس، وبين المُشــاهد وموضوع الوعي. والرّوابط (غير مشار إليها لتبسيط الرّسم) قائمة بين الفضاءين: رؤية العصفور مقارِنة لنشــوء الفكرة، وطيران العصفور بعيدا مقارِن لعدم الاهتداء إلى الفكرة. وهذه الرّوابط أساس للانبناء الاستعاريّ.

يتكوّن الفضاء المزيج من الفضاءين الآخرين بدمج العناصر المترابطة في وحدات جديدة هجينة تحافظ على بعض خصائصها، لا عليها كلّها. ولا تجعل الطّبيعــة الخيّاليّة بل العجيبة، هذه الإبداعــات غامضة أو غير ذات معنى- على عكــس ذلك، هي على غاية من الأهمّيّة من ناحية مفهوميّة ولغويّة. فالوحدة الموسومة (T) تمزج طبيعة التّجريد في الفكرة بصفات العصفور المادّيّة، الّتي تمكّنه من الطّيران خلال الفضاء. و(H′) رأس، ولكنّه، بتخصيص أكثر رأسٌ متصوَّر على أنّه حاوية يمكن أن تحبس شــيئا (كما يحبس قفص عصفورا). ولئن ظلّ (S′) "ذاتا" (أو مركزَ الوعي)، فإنّه يولِّف ذلك مع خصائص مُشاهِدٍ قادر على أن ينظر داخل حاوية (H′) وأن يفحص محتواها. فهذا الفضاء المزيج يوفّر المضمون الأساسيّ للعبارة (7): الحدث الّذي يجري هناك، رغم طبيعته التّخيّليّة، هو بالتّحديد، ما تصفه الجملة وصفا مباشرا.



الرّسم البيانيّ 2. 9

بعبارة النّحو العرفنيّ، يتأهّل كلّ فضاء في الرّسم البيانيّ 2. 9 لأن يكون مجالا، كما يتأهّل لذلك تشكّل الفضاء بأكمله. وهذه الأفضية جزء من المولّدة المركّبة الّتي تضمّ مضمون العبارة المفهوميّ. تخضع الرّوابط بين الأفضية للملاحظة العامّة الّتي تنصّ على أنّ مجالات مولّدة ما يترابط بعضها ببعض بطرق متنوّعة، بدل أن تكون متفرّقة مفكّكة. والرّوابط حالة خاصّة من التّناسبات (الّتي يشار إليها بالخطوط المتقطّعة) والّتي تكون ذات تطبيقات متعدّدة في النّحو العرفنيّ (انظر لانقاكر 1987: § 2. 3. 2).

يثير المثال مسألة أشمل مدارها كيف ترتبط المجالات بالعبارات اللّغويّة المخصوصة. ولا يمثّل نوع العلاقة الّذي فحصناه في القسم السّابق - حيث تُوَفِّر عبارةٌ راسخة طريقةً تواضعيّة في الاهتداء إلى مجموعة محدّدة من المجالات- بأيّ حال من الأحوال، الإمكانيّةَ الوحيدة. ويجب أن تستوعب الصّورةُ الشّاملةُ، بالإضافة إلى وحدات معجميّة بسيطة (مثل [كوب])، كلاّ من العبارات الجديدة والعبارات المركّبة، وتأويلاتها السّياقيّة والخطابيّة.

توجد المجالات، في الأغلب الغالب، مستقلّة عن كلّ عبارة. فهي ليست لغويّة بالتّحديد، بل هي موارد مفهوميّة يمكن أن تُستغَلّ لغايات لغويّة. فيمكن، حينئذ، أن يُستخدَم مجال ما في أيّ عدد من العبارات المختلفة.

يصحّ هذا، بجلاء، على المجالات الأساسيّة من قبيل الزّمن والفضاء اللّذين يحضران في معاني عبارات لا تحصى دون ارتباط بمنزلتها العرفنيّة. ويصحّ كذلك على مجالات أساسيّة كثيرة (مثل شخص، تنقّل، شيء مادّيّ)، وبدرجة أقلّ، على التّصوّرات من المستويات العليا. فعادةُ الاحتفاظِ بعصفور في قفص، على سبيل المثال، يسهل الاهتداء إليها من حيث هي جزء من توصيف موسوعيّ لكلّ من [*bird* "عصفور"] و[*cage* "قفص"]، وهي مركزيّة في دلالة [*birdcage* "قفص عصفور"]. وبالإضافة إلى ذلك، تُستغَلّ هذه العادة بوجه شائع في العبارات الاستعاريّة، حتّى إذا ما لم توجد إحالة صريحة عليها، كما رأينا في (7) وفي الرّسم البيانيّ 2. 9.

فماذا يحدث عندما تتوالف العبارات الأبسط لتكوين عبارات مركّبة؟ مبدئيًّا، تشتمل مولِّدة العبارة بكاملها على جميع المجالات الواردة في مكوّناتها. ولكنّها ليست مجرّد مجموع حسابيّ للمجالات المكوّنة للمولّدة. لسبب أوّل يتمثّل، كما يبين من [قفص عصفور]، في أنّ العبارة المركّبة توفِّر طريقتها الخاصّة بها في الاهتداء إلى المجالات التّكوينيّة. ولئن لم تكن فكرة الإحتفاظ بالعصافير في أقفاص، طرفيّةً في كلّ من [عصفور] أو [قفص] إن أُخِذت الواحدة منهما بمفردها، فهي مركزيّة بصفة مطلقة في معنى العبارة المركّبة من حيث هي كلٌّ.[25] فعبارة [*birdcage* "قفص عصفور"] لا توفّر، بنفس العلامة، إلاّ اهتداء غير مباشر إلى بعض المجالات المركزيّة في مكوّناتها (مثل، الفقس من البيض بالنّسبة إلى [عصفور]، وحديقة الحيوانات بالنّسبة إلى [قفص]). وفوق ذلك، يمكن لعبارة مركّبة أن تستحضِر مجالا لا يتجلّى بشكل بارز في معنى أيّ واحد من مكوّناتها. فالعبارة المركّبة [*lipstick* «عُود أحمر الشّفاه»]، على سبيل المثال، تتعلّق بالعادة الثّقافيّة عند النّساء في تغليف شفاههنّ بمادّة ملوّنة، تكون معبّأة عادة في اسطوانات صغيرة مغلّفة بالبلاستيك أو بالمعدن وتحمَل في الحقائب اليدويّة. هذا المنوال الثّقافيّ لا يمكن أن يُسنَد إلى مولّدة [*stick* "عُود، عصا، قضيب"]، وهو طرفيّ بالنّسبة إلى [*lip* «شفة»] (قلّما تستحضره [شفة] في سياق محايد). وبطريقة أكثر وضوحا، يكون تصوّر جنديّ بريطانيّ مركزيّا في دلالة [*redcoat* "معطف أحمر" (جندي بريطانيّ)]، ولكنّه غائب من المولّدتين في [أحمر] و[معطف]. ولا تستحضِر أيّ من الكلمات في (7) بذاتها فكرةَ شخص ينظر في قفص فارغ - فهذا لا ينبثق إلاّ من خلال عمليّة بناء مفهوميّ تنقدح بالعبارة في كلّيّتها.

يُوجَد ضمن المجالات الّتي تُستحضَر أسسا للمعنى ولكنّها ليست مقترنة في المواضعة بعناصرها المكوّنة لها، مجالاتٌ تتمثّل في إدراك المتكلّم لسياق الخطاب الحاضر. هَب أنّك تعينني في إنزال المشتريات الغذائيّة. أراك هناك أمام خزانة المؤونة تمسك بعلب طماطم عديدة، وقد بدت على محيّاك نظرة تساؤل وحيرة. في هذا السّياق، يمكنني أن استعمل أيّ واحدة من العبارات الواردة في (8) لتبليغ الرّسالة نفسها:

(8) (أ) *I want you to put the canned tomatoes on the top shelf of the pantry*.
أريد منك أن تضع الطّماطم المعلّبة في الرّفّ العلويّ من خزانة المؤونة.

(ب) *Put the tomatoes on the top shelf of the pantry*.
ضع الطّماطم في الرّفّ العلويّ من خزانة المؤونة.

(ج) *Put them on the top shelf*.
ضعها في الرّفّ العلويّ.

(د) *Tomatoes, top shelf*.
الطّماطم، الرّفّ العلويّ.

(هـ) *On the top shelf*.
في الرّفّ العلويّ.

(و) *On top*.
في العلويّ.

يوفّر الإدراك المشترَك بيننا للسّياق المقاميّ أرضيّةً مفهوميّة، يجري التّعبير عن وجوه متنوّعة منها بصفة ظاهرة. وحتّى العبارات المتشظّية تكون، بفضل هذه الأرضيّة، منسجمة وذات معنى (بالفعل، تبدو العبارتان الأوليان مطنِبتين زيادةً عن الحاجة). وكنت عرّفت معنى عبارة ما بأنّه لا يحتوي على المضمون المشفَّر مباشرة بالعناصر الظّاهرة فقط، بل يحتوي كذلك على كلّ بنية إضافيّة تُستَدعَى لتجعل تصوُّرا ما منسجما ولتعكِس ما يعتبره المتكلّمون، بطريقة عفويّة، المقصودَ والمنطوقَ (§ 2. 1. 3). وبهذا المعيار، تتضمّن معاني جميع العبارات في (8) على الأقلّ المضمونَ الّذي يعبَّر عنه في (8)(أ).[26]

يجري هذا على عكس الحكمة المعهودة الّتي تلحّ على تمييز صريح بين المعنى اللّغويّ والتّأويل السّياقيّ المقاميّ. فمعنى عبارة ما قد يقتصر على ما يقبل أن يشتقّ، بالمعنى الدّقيق للكلمة، من المعاني (غير الموسوعيّة)

لأجزائهـا، وهي، من حيـث كانت كذلك، قابلة لأن تحـدَّد تحديدا بيّنا، ومكتفيةٌ بذاتها، ولاسـياقيّةٌ، وتركّبيّةٌ بشـكل تامّ. وليس من قبيل الصّدفة، تبعا لذلك، أن تكون «شـظايا» الجمل مثل (8) (د)-(هـ) مهمَلة في العادة، لأنّ السّـياق يمثّل العنصر الوحيد الّذي يجعلها منسـجمة أو يمدّها بمضمون كاف يجعلهـا مفيدة مـن زاوية مفهوميّـة أو تواصليّة. ولكنّ هذه الشّـظايا سـليمة وذات تواتر عال في الاسـتعمال اليوميّ للّغة. كمـا رأينا في (8) (أ)-(و)، تشـمل العبـارات، من ناحية أخرى، بمضمونها الطّيـفَ بتمامه من حيث النّسـبة الّتي تكون منقدحة سياقيّا والنّسبة الّتي تكون مشفّرة تشفيرا صريحا. فيجب أن يعامل طيفُ الحـالات بتمامه معاملة متماثلة قدر الإمكان. فدائما ما تفهَم عبارة ما باعتبار سياق حقيقيّ أو مُتخيَّل. ولا يمكننا أن نعالج مجموع المعطيـات كاملة بطريقة موحّدة إلاّ باجتناب الفصل الثّنائيّ الاصطناعيّ بين المعنى اللّغويّ والتّأويل السّياقيّ.

هوامش الفصل

[1]- بالفعـل، غالبـا ما تبرهن كتـب الدّلالة المدرسـيّة على عكس التّطابـق بين المعاني والمفاهيم (انظر مثلا، بالمر 1981: 24-29).

[2]- بطبيعة الحال، يتضمّن «العالم» كلاّ من العالم الحقيقيّ والعالم الذّهنيّ الّذي نبنيه، وكذلـك الجسـد وحتّى تجربتنـا الذّهنيّة في ذاتها (إلى حـدود ما يمكننا أن نفكّـر فيها، مقابل مجرّد المرور بها).

[3]- تخـزَّن، كذلـك، المعرفة المجتمعيّة في الكتب، وفـي قواعد البيانات، وفي تصميم المصنوعات، وما إلى ذلك. ولكنّ هذه المعارف، في نهاية المطاف، تُختزَل في نشاط الأذهان الفرديّة أثناء ابتكارها أو استعمالها.

[4]- يوصِّف تشـافي حالة الخطاب على أسـاس مسـتويات الإنشـاط: يفتـرض للمعلومة «المعطـاة»، و«الّتـي يمكن الاهتـداء إليها»، و«الجديدة»، المسـتويات التّالية، تباعا، «ناشـطة»، «نصف ناشطة»، و«غير ناشطة» (1994: الفصل 6).

[5]- تتعلّق المسـألة بكون المفهمة في ذاتها ذات طبيعة متفاصلة وقضويّة، بصرف النّظر عن الصّيغة المتفاصلة القضويّة الّتي يفرضها التّشفير اللّغويّ. هل الفكر في ذاته «شبيه باللّغة» في جميع المسـتويات؟ هل يتحلّل مفهوم المثلّث، مثلا، إلى قضايا على شاكلة الرّسم البيانيّ 1.1 (a)؟

[6]- جونسـون 1987؛ لايكـوف 1987، 1990؛ هامـب 2005. الأمثلـة الّتـي سـاقها جونسـون هي الحاوية، والمنع، والتّمكين، والمسلك، والطّور، والجزء-الكلّ، ومليء-فارغ، وتكـرار، وسـطح، وميزان، وقـوّة مضادّة، وجذب، ووصـل، وقريب-بعيـد، وصَهر، وتطابق،

وتماسّ، وموضوع، وفرض، وإزاحة محدودة، وكتلة-معدود، ومركز-طرف، وسلّم، وانشطار، وإجبار فوقيّ، وعمليّة، وتجميع. لاحظوا أنّ الرّسوم البيانيّة مثل تلك الواردة في الرّسم البيانيّ 2. 1 لا يمكن أن تؤخذ في ذاتها على أنّها الخطاطات الصّور (الّتي تمثّل قوالب من النّشاط الذّهنيّ) ولكنّ المراد بها مجرّد استحضارها والإيحاء بطبيعتها.

[7]- جميع الأفكار المذكورة موصوفة وصفا دلاليّا في الفصول الموالية (الأسماء في الفصل 4).

[8]- انظر الأمثلة والمناقشة في ما يلي: غيرارتس 1993؛ طاغّي 1993، a2003، 2003b؛ تايلر وإيفانس 2003؛ ريمر 2005. منوال الشّبكة هذا مفيد إلى حدّ ما، ولكنّه قد يستلزم ضمنيّا تفاصلا أكبر وتخصيصا أدقّ، أكثر من أن يكون حقيقيّا من زاوية نفسيّة. تُقتَرَح استعارة بديلة للمقولات المركّبة عند نهاية الفقرة § 8. 1. 3.

[9]- ممّا يفتَرض بالإضافة إلى ذلك، أنّ النّظام اللّغويّ يقبل القسمة إلى "مكوّنات" متفاصلة (من قبيل المعجم، والصّرف، والإعراب). أُورِد حججا ضدّ هذا في الفقرة § 1. 3.

[10]- إن كنتُ نعامة عنيدة، فذلك لأسباب أخرى.

[11]- ليس الأمر كذلك بالنّسبة إلى المعنى الضّمني الممكن المتعلّق بكون القطّ كسولا أو عاجزا، والّذي ذُكِر سابقا على أنّه حالة من أحوال الاستدلال التّداوليّ تتجاوز مدى المعنى اللّغويّ.

[12]- نخيّر المصطلح [*construal* (انبناء)] على [*imagery* (تصوير)]، الّذي كان يستعمَل في بعض الأعمال المبكّرة، ذلك أنّ الأخير يمكن أن يكون محلّ خلط مع تطبيقات مألوفة أكثر (لانقاكر 1987: 110).

[13]- تسمّى [*profiling* العرض]، يناقش هذا المظهر باعتباره واحدا من مظاهر الانبناء في الفقرة § 3. 3. 1.

[14]- انتقاء المجالات، في ذاته، مظهر من مظاهر الانبناء، وهو بذلك يدعم النّقطة المتمثّلة في كون التّمييز بين المضمون والانبناء غير قطعيّ.

[15]- ليس المجالان، في ذاتهما، معاني الكلمتين [فضاء] و[زمن]. فمعانيهما تصوّرات من درجة عليا تشتغل فيها الأبعاد من تلقاء أنفسها، موضوعات للتّأمّل، بدل أن تكون مجرّد حامل للتّصوّر الفضائيّ والزّمني. وبطريقة مماثلة، يؤدّي الانبناء الاستعاريّ للمجالات الأساسيّة (مثل، [*in a moment* "بعد لحظة"]، [*bright sound* "صوت لامع"]، [*sharp taste* "مذاق حادّ"]) إلى تصوّرات قابلة للخزل، وغير أساسيّة بالاستتباع.

[16]- مصطلح [مجال مجرّد] الّذي كان يستعمَل في الأعمال السّابقة غيرُ صالح لأنّ التّصوّرات غير الأساسيّة تتعلّق بالملابسات المادّيّة.

[17]- هذا ممّا تعترف به، بوضوح، فيرزبيكا (1996) الّتي تُؤسِّس أوصافَها على مجموعة من الأوّليّات الدّلاليّة غير القابلة للخزل (يشار إليها بالكلّيّات المعجميّة)، ولكنّها

تفترض كذلك سلّميّات يتضمّن فيها مفهوم ما من أيّ مستوى، المفاهيمَ الأبسط الّتي سبق تجميعها.

[18]– يمكن، طبيعيّا، أن يشتغل النّاتج من [مفهوم، مفهمة، تصوّر] بدوره [مجالا / إطارا / منوالا عرفنيّا مؤمثلا] لعبارة أخرى (مثلا، [*sophomore yearbook* "الكتاب السّنوي لطلبة السّنة الثّانية"]).

[19]– بطبيعة الحال، هناك مصطلحات أخرى. على سبيل المثال، تحيل [*script* "خطيطة"] على مجموعة مؤمثلة من الأعمال. تجري المقارنة بين [مجال] و[فضاء ذهنيّ] في الفقرة § 2. 2. 3.

[20]– في الرّسم البيانيّ 2. 3، يشار إلى درجات المركزيّة بدوائر متراكزة. والأشكال البيضويّة في الرّسم البيانيّ 2. 6 تمثّل المجالات (الّتي لم تظهر بصفة فرديّة في الرّسم البيانيّ الأوّل).

[21]– تبعا للمعمول به الكتابات اللّسانيّة المعياريّة، تشير علامات النّجمة (وفي بعض الأحيان نقاط الاستفهام) إلى أنّ عبارة ما مختلّةٌ أو "لاحنة". يأتي في الفصل 8 نقاش لأسس هذه الأحكام.

[22]– انظر فودور 1983. يفترض النّحو العرفنيّ الأبنيةَ الدّلاليّة، والصّوتميّة، والرّمزيّة، فقط، والأخيرة منها تتمثّل في تقارنات زوجيّة من الأبنية الصّوتميّة والدّلاليّة. فدون دلالة، لا تبقى إلاّ الصّوتميّة.

[23]– عند الإحالة على نفس الكائن، على سبيل المثال، يتحدّث الباعث العقّاريّ عن [*unit* "وحدة"]، ومقاول البناء عن [*structure* "بنية"]، والوسيط العقّاريّ عن [*home* "منزل"] (في حين لا يريد المشتري إلاّ [*house* "بيتا"]).

[24]– تلك هي المصطلحات المستعملة في نظريّة المزج، على أساس الأفضية الذّهنيّة (فوكونياي وتورنر 1998، 2002). في ما مضى (بداية مع لايكوف وجونسون 1980) كان اللّسانيّون العرفنيّون المشتغلون بالاستعارة يتكلّمون (بطريقة مكافئة) عن [*mappings* "إسقاطات خريطيّة"] بين مجال مصدر ومجال هدف، دون افتراض مزيج.

25]– لا تستحضِر [عصفور] ولا [قفص] بمفردها هذه العادةَ، ولكن [قفص عصفور] يستحضرها بكلّ تأكيد. وكلّ واحد من المكوّنين يقوّي هذا المظهر من الدّلالة الموسوعيّة الموجودة في دلالة المكوّن الآخر.

[26]– لئن كان لجميع العبارات في (8)، المضمون نفسه، فليست رغم ذلك متكافئة بحكم الانبناء. فبينها تباين، على وجه الخصوص، من حيث ما يُذكَر صراحة من الوجوه المكوّنة للمضمون العامّ، وبذلك يُجعَل هذا الوجه بارزا في علاقته بالعناصر الضّمنيّة.

3. الانبناء

لا يتمثّل معنى عبارة ما في مجرّد مضمونها المفهوميّ الّذي تستحضره - وعلى نفس القدر من الأهمّيّة تكون كيفيّة انبنائه. تبني كلّ بنية رمزيّة مضمونها بطريقة معيّنة، من حيث كان ذلك جزءا من قيمتها الدّلاليّة التّواضعيّة. ومن الصّعب أن نقاوم الميل إلى استعمال الاستعارة البصريّة، حيث يشبَّه المضمون بمشهد ما، ويشبَّه الانبناء بطريقة مخصوصة في رؤيته. والأهمّ من جميع ذلك أنّ النّحو العرفنيّ لا يفترض أنّ جميع المعاني تتأسّس على الفضاء أو على الإدراك البصريّ،[1] لكنّ الاستعارة البصريّة توحي فعلا بطريقة في تصنيف وجوه الانبناء المتعدّدة، حتّى وإن كانت لغايات تفسيريّة فقط. فعند رؤية مشهد ما، يرتبط ما نراه بالفعل، بمدى القرب الّذي نفحصه به، وبما نختاره منه للنّظر إليه، وبأيّ العناصر نولي أكبر قدر من الانتباه، وبالموقع الّذي نشاهده منه. والتّسميات المناسبة الّتي سأستعملها لتسمية الأقسام الواسعة من الانبناء، هي، تباعا، التّخصيص، والتّبئير، والبروز، والمنظور. وهي تنطبق على التّصوّرات في كلّ مجال.

1.3 التّخصيص

من أبعاد الانبناء، بُعدٌ يتعلّق بمستوى التّدقيق والتّفصيل الّذي يكون عليه توصيف وضعيّة ما. يمكنني أن أصف درجة الحرارة بأن أقول [الطّقس حارّ]، ولكن - بدرجة أكبر من التّخصيص- بأن أقول [درجة الحرارة بلغت الدّرجات التّسعين فهرنهايت]، أو [هي تقريبا 95 درجة]، أو [هي بالتّحديد 95.2 درجة]. وبالمثل، تكون [*aunt* "عمّة/ خالة"] أكثر تخصيصا من [*relative* "قريب(ة)"]، و[*large brown rat* "جرذ بنّيّ كبير"] أكثر تخصيصا من [*rodent* "قارض"]. ومن بدائل [تخصيص] يكون [درجة الكثافة في الجزيئات] و[درجة الدّقّة]. فعبارة ما ذات تخصيص عال، تصفُ وضعيّةً بتفصيل ذي كثافة عالية من الجزيئات الدّقيقة وبدرجة عالية من التّدقيق. ونقتصر في عبارات ذات تخصيص من درجة أقلّ على أوصاف ذات جزيئات غليظة لا تكشف درجة الدّقّة فيها إلاّ عن السّمات المجمَلَة والتّنضيد العامّ.

ومقابل التّخصيص تكون الخطاطيّة. فيكون، حينئذ، ["قريب"] خطاطيّا بالقياس إلى ["خالة/عمّة"]، ويكون ["قارض"] خطاطيّا بالقياس إلى ["جرذ بنّيّ كبير"]. ويتحقّق توصيف خطاطيّ ما بأيّ عدد من التّوصيفات ذات درجة أكثر تخصيصا منه يصلح كلّ واحد منها لبلورة تخصيصاته ذات الجزيئات الغليظة. وممّا يبلور ["قارض"]، بطرق مختلفة وبدرجات مختلفة، نجد ["جرذ"]، و["جرذ بنّيّ كبير"]، و[*vole* "فأر الحقل"]، و[*curious mouse* "الفأر الفضوليّ"]، و[*ground squirrel* "سنجاب التّراب"]، [*ferocious porcupine with sharp quills* "النّيص الشّرس ذو الإبر الحادّة"]، وما إلى ذلك دون توقّف. نرمز إلى علاقة البلورة بسهم صلب: أ¬ ب. ويمكن للعبارات، في الغالب، أن تترتّب وفق سلّميّات في البلورة كما في (1)، حيث تكون كلّ عبارة خطاطيّةً بالقياس إلى العبارات الّتي تليها.

(1) (أ) [قارض] ← [جرذ] ← [جرذ بنّي كبير] ← [جرذ بنّي كبير أبخر]

(ب) [حارّ] ← [في الدّرجات التّسعين] ← [تقريبا 95 درجة] ← [بالتّحديد 95.2 درجة]

تشارك كلّ من الوحدات المعجميّة والعبارات الجديدة من أيّ حجم كانت، في علاقات البلورة. وفي المعجم، تمثّل العلاقات من هذا القبيل تصنيفيّات، أي سُلَّميّات من أنواع معترف بها تواضعيّا، مثل تلك الواردة في (2) (أ). وترد في (2) (ب) سُلَّميّة بلورة تتضمّن عبارات جديدة، وهي جُمَل تامّة في هذه الحالة.

(2) (أ) [شيء] ← [كيان مادّي] ← [أداة] ← [مطرقة] ← [مطرقة مخلبيّة (لنزع المسامير)]

(ب) [حدثَ شيء ما.] ← [رأى شخص قارضا.] ← [رأت بنت نيصا.] ← [خبر عاجل، بنتٌ يقظةٌ ترتدي نظّارات لمحت نيصا شرسا ذا إبر حادّة.]

يمكننا أن نجعل عبارة ما على درجة التّخصيص الّتي نشاء، لأنّها تقبل أن تكون من أيّ طول. فيمكننا دائما، وبجعلها أطول، أن نصف وضعيّة ما بدقّة أكبر وبتفصيل أكثر. غير أنّ لهذا الأمر حدودا عمليّة. فلا يمكن لعبارة معيّنة، عندما تكون ذات طول محدود، أن تكون مخصَّصة إلاّ في مدى محدّد، وباعتبار وجوه معيّنة من الوضعيّة الشّاملة فقط. وبالفعل تكون الجمل في (2) (ب)، غير طبيعيّة، إلى حدّ ما، لأنّ العناصر الكبرى جميعها تُعرَض في كلّ حالة على درجة متساوية من التّخصيص. والعبارات من قبيل

(3) أكثر تواترا في الاستعمال، بحكم ما تعرضه من خليط بين الوصف الخطاطيّ والوصف المخصَّص:[2]

(3) رأى بعضهم نيصا شرسا ذا إبر حادّة.

وكذلك تكون المعاني المعجميّة مخصّصة في بعض الاعتبارات وخطاطيّة في أخرى. وعلى سبيل المثال، يكون كلّ من [لاحم] و[لَيْلِيّ] مخصَّصين بالنّظر إلى مظهر واحد من سلوك الحيوان، ولكنّهما خطاطيّان جدّا في ما عدا ذلك. فالفعلُ [*crush* "هشَم"] يعيّن نوعا مخصوصا جدّا من التّفاعل، وفوق ذلك لا يخصَّص المشاركان اللّذان يستدعيهما إلاّ بطريقة غائمة: من حيث كان الواحد منهما مُحدِثا (أو مصدر الطّاقة)، والآخر شيئا قابلا للتّهشيم.

فالتّجريد الخطاطيّ أساسيّ في العرفنة، يجري باستمرار في كلّ مدى من الأمدية في التّجربة. ويمثّل استخراج خطاطة ما، ببساطة، تقويةً لشيء كامن في التّجارب المتعدّدة، مهما كان مستوى التّدقيق الّذي ينبثق عنده القاسم المشترك فيها. وعلى هذا، وجب أن تُعتبَر الخطاطة ملازِمة لجميع تحقّقاتها المتنوّعة، لا منفصلةً ومتميّزة عنها (حتّى وإن عُرِضت بشكل فرديّ لغايات تحليليّة). فالخطاطة، بحكم طبيعتها المركوزة فيها، تؤدّي وظيفةَ المقولةِ: هي التقاط ما هو مشترك. وهي تنطبق على كلّ تجربة جديدة لها نفس المعالم.

الخطاطات وعلاقات البلورة أساسيّة في كلّ مظهر من مظاهر البنية اللّغويّة. يذهب النّحو العرفنيّ إلى أنّ جميع التّعميمات اللّسانيّة إنّما تنشأ من خلال التّجريد الخطاطيّ من الأبنية الأكثر تخصيصا. وفي الدّلالة، تكوّن الخطاطاتُ وعلاقاتُ المقولة (من حيث قيامها على أساس البلورة أو الاتّساع) الشّبكةَ الّتي تمثِّل معاني عنصرٍ معجميّ ذي دلالات متعدّدة (الرّسم البيانيّ 2. 2). وفي الصّوتميّة، تُوَصِّف الخطاطات "الأقسامَ الطّبيعيّة" (من قبيل [انحباسيّ مهموس])، كما توصّف قوالبَ التّأليف الصّوتميّ (مثل [CCVC]، الّتي تحدِّد نوع المقطع المسموح به). والخطاطات المعبّرة عن الأبنية النّحويّة المنتظِمة رمزيّةٌ، تتكوّن الواحدة منها من قطب دلاليّ وقطب صوتميّ. وهاهنا، توصِّف الخطاطاتُ كلاًّ من الأقسام الطّبيعيّة (من قبيل الأفعال) وقوالب التّوليف (مثل، البناء للمجهول). وأخيرا، توفّر الخطاطات، من حيث هي تمثيلات للقوالب التّواضعيّة، الأساسَ الّذي يقوم عليه تقييم البناء اللّغويّ الجيّد. وتعتبَر

عبـارة مـا ذاتَ بناءٍ جيّد طالما حملـت علاقاتِ بلورةٍ (بدل علاقات اتّسـاعٍ) بالخطاطات المستدعاة لمقْوَلَة تلك العبارة.

2.3 التّبئير

نهتـدي مـن خـلال العبـارات اللّغويّة إلى أجـزاء مخصوصة مـن عالمنا المفهوميّ. يشتمل بُعد الانبناء الّذي نشير إليه هنا بأنّه تبئير على انتقاء المضمون المفهوميّ الّذي يُعدُّ للعرْض اللّغويّ، كما يشتمل على تنظيمه في ما يمكن أن يوصف وصفا (استعاريّا) عامّا بكونه الأماميّة مقابل الخلفيّة.[3]

تجسِّـد النّظرة الموسـوعيّة إلى المعنى المعجميّ مظهري التّبئير كليهما. يوفّـر عنصر معجمـيّ ما، في جزء من قيمته التّواضعيّة، الاهتداءَ المباشـر إلى مجموعـة من المجالات العرفنيّـة (أي مولّدته) مرتّبةً على درجات المركزيّة (احتماليّة الإنشاط). ويمثّل مسردُ المجال انتقاءً للمضمون المفهوميّ. وتُجعَل كذلك المجـالاتُ المركزيّةُ أماميّةً (بمعنى تكون قابلة لأن يُهتدى إليها أكثـر) إزاء المجـالات الطَّرَفيّة. ويتجلّـى التّبئير، بالإضافـة إلى ذلك، في الكيفيّة الّتي يُفْهَم بها فعلا عنصرٌ معجميّ ما في سياق حدث استعمال ما. ولا يمكن أن يُنشَـطَ من جميع المجالات الكائنـة في المولّدة إلاّ عددٌ محدود في مناسبة بعينها (الرّسم البيانيّ 2. 3 (b)). فهذا نوع من الانتقاء. وبالإضافة إلى ذلك، تُنشَط المجالات المنتقاة بدرجات متنوّعة (الرّسم البيانيّ 2. 8). ويمثّل المستوى العالي من الإنشاط نوعا من التّقديم إلى الأماميّة.

فالتّبئير، إذن، مسألة درجات. وهو كذلك مرتبط بالغايات المخصوصة، وبأبعاد البنية، وبمستويات التّنضيد. ويمكن، في مولّدة مركّبة، أن يظلّ مجال كائـنٌ في الأماميّة- بحكم كونه مركزيّا (أي عرضة للإنشـاط من درجة عليا)- رغم ذلك، في الخلفيّة (أي يُنشَـط إنشـاطا ضعيفا فقط) في مناسـبة بعينها. وكنّا قد رأينا في ما مضى في شـأن الكلمـة المركّبة [*lipstick* "عُود أحمـر الشّـفاه"]، أنّ العادة الثّقافيّـة المتمثّلة في تلوين الشّـفتين ذات منزلتين مختلفتين في المسـتويين الاثنين من التّنضيد البنيويّ. ففي المستوى السّفليّ، لا يُنتقَـى هذا المجـال البتّة من قِبَل [عُـود]، وهو عوض ذلـك، طرفيّ إزاء [شفة]. زيادة على ذلك، هو ماض في الأماميّة إلى أعلى المستويات، بحكم الاستحضار القويّ له من قبل [*lipstick*] في كلّيتها.

1.2.3 الأماميّة مقابل الخلفيّة

تكون أنواع كثيرة من عدم التّناظر طيّعة للوصف استعاريّا على أساس الأماميّة مقابل الخلفيّة. ولئن كانت هذه الأنواع قابلة للتّمييز بينها، يمكن أن يعتَبَر جميعها تجلّيا لسمة عامّة في العرفنة. وهي، في العموم المطلق، تنطوي على الانطلاق من خطّ قاعديّ، واستغلال التّجربة السّابقة (أي ما كان قد رسخ من قبل) لتأويل التّجربة اللاّحقة.[4] ويمثّل كلّ تجلٍّ في الإدراكِ الظّاهرةَ الّتي تعرَف بمصطلح الرّسم مقابل الأرضيّة. على سبيل المثال، يَبرُز ضجيج مفاجئ رسما مقابل أرضيّةِ الصّمتِ، أو مؤشّرٌ صغير متنقّل على خلفيّة أكثر ثباتا على شاشة حاسوب. ولذلك تجلٍّ آخر في المقْوَلة الّتي تكون ناجحة في حدود ما يكون فيه التّعرّف على البنية المُمقولة في إطار التّجربة الّتي تجري مقْوَلتها. فالبنية المُمَقولة تكمن في الخلفيّة أساسا للتّقييم قائما مسبقا مفروغا منه، في حين يكمنَ الهدف في أماميّة الوعي بنيةً تجري ملاحظتها وتقييمها.

يمكننا الحديث، بصفة معقولة، عن الخلفيّة والأماميّة في شأن كلّ حالة يكون فيها تصوُّر ما سابقا لتصوُّر آخر، وييسّر بوجه ما انبثاقَه. وبهذا المعنى الواسع، يمكن أن نقول إنّ العبارات تستدعي الخلفيّة المعرفيّة أساسا لفهمها. والمعرفة من هذا القبيل مفترضة ما قبليّا حتّى من قِبل جملة مفصّلة مثل ["أريد منك أن تضع الطّماطم المعلّبة في الرّفّ العلويّ من خزانة المؤونة"]. ورغم كونها صريحة، في ما يبدو، يعوِّل تأويلها المحايد، من جملة ما يعوِّل، على المعرفة الثّقافيّة المتعلّقة بتخزين الغذاء وبتنظيم خزائن المؤونة. ودون هذه الخلفيّة المعرفيّة، يمكن أن نُؤَوِّل الجملة على أنّها تشير إلى أنّ الطّماطم يجب إزالتها من العلب قبل وضعها على الرّفّ، أو إلى أنّ العلب يجب أن تُلصَق على صفحة الرّفّ عوض أن توضع على سطحه العلويّ. وممّا يتوفّر بالإضافة إلى ذلك في الخلفيّة، ولكنّه ضروريّ بالقدر نفسه، المعرفة الأساسيّة بعالمنا المادّيّ كما نعيشه (مثلا، تجربة مدّ اليد عاليا، ومعرفة كون الأشياء تسقط إلى الأرض ما لم يدعمها شيء).

وبطريقة شبيهة بذلك، يكون للمجال المصدر في استعارة ما، نوعُ سَبْقِ إزاء المجال الهدف. ويوفّر المجال المصدر، وهو عادة ما يكون ملموسا أكثر أو مرتكِزا بدرجة أكثر مباشرة في التّجربة الجسديّة، خلفيّةً مفهوميّة على أساسها يُرَى المجال الهدف ويُفهَم. وتؤدّي رؤية المجال الهدف مقابل

الخلفيّة إلى نشوء مجال هجين، أو فضاء مزيج (الرّسم البيانيّ 2. 9). ويمكننا كذلك أن نقول، على نفس الدّرجة من الصّواب، إنّ المجالين المصدرَ والهدفَ يكوّنان معا الخلفيّة الّتي ينبثق منها التّصوّر المزيج. فالمزيج لا يرث السّمات المنتقاة من كلّ من المصدر والهدف، فقط، بل يكون كذلك مُخَلَّفا بمعنى يكون مشفّرا لغويّا تشفيرا مباشرا في أقصى الدّرجات. ففي قولنا ["طارت الفكرة من رأسي تماما"]، لا يكون شيء قادرا على الطّيران إلاّ فكرة هجينة شبيهة بالعصفور.

للخلفيّة والأماميّة تجلّيات عديدة في الخطاب (انظر الفصل 13). ففي السّرد، مثلا، يؤدّي وصفُ الشّخصيّات والوضعيّة وصفا سكونيّا دورَ الخلفيّة الّتي يبرز إزاءها "خطّ الحكاية" - أي مجموعة من الأحداث المترابطة- نوعا من الرّسم (هوبّر وطومسون 1980). وعلى امتداد محور آخر يمكن أن نميّز المضمونَ المهمّ الّذي يجعله المتكلّم خلفيّا باعتباره الهدفَ الفعليّ للمحاورة، من التّعليقات الثّانويّة المتعلّقة بمنزلة ذلك المضمون أو بتقييمه. تحضرني الآن أمثلة من قبيل (4) (أ) - (ب)، حيث تمثّل الكلمات المستفِلة الواردة بالحرف الصّغير تلك الخلفيّة التّواصليّة. وهي تُوافِقُ، صوتميّا، المركّبات المعنيّة من حيث كانت غير منبورة وذات طبقة صوتيّة دنيا.

(4) (أ) *Victoria would, I_{think}, make a good candidate.*
يمكن أن تكون فيكتوريا، أظنّ، مرشّحة جيّدة.

(ب) *Victoria would make a good candidate, $I_{believe}$.*
يمكن أن تكون فيكتوريا مرشّحة جيّدة، في ما أعتقد.

(ج) *I_{think} Victoria would make a good candidate.*
أظنّ فيكتوريا، يمكن أن تكون مرشّحة جيّدة.

(د) *I definitely anticipate that Victoria would make a good candidate.*
أنا أتوقّع بكلّ يقين أنّ فيكتوريا يمكن أن تكون مرشّحة جيّدة.

(هـ) *Jason stated that Victoria would make a good candidate.*
صرّح جازون بأنّ فيكتوريا يمكن أن تكون مرشّحة جيّدة.

في الجملة (ج)، نلاحظ أنّ «المركّب الرّئيسيّ» (أي ذاك المجعول أماميّا من زاوية بنويّة) يمكن أن يجري تخليفه بهذه الطّريقة. فالوضعيّة الموصوفة بالمركّب الرّئيسيّ تظلّ في الأماميّة عندما توصف بتفصيل أكبر

كما في الجملة (د)، أو عندما يسنَد الرّأي إلى شخص آخر غير المتكلّم، كما في الجملة (هـ).

أثناء تنامي الخطاب، تُبنَى العبارة الجارية وتؤوَّل في كلّ خطوة في ضوء الخلفيّة الّتي كانت للجمل السّابقة عليها. فالخطاب السّابق محدِّد حاسم (تماما مثل السّياق والخلفيّة المعرفيّة، إلخ) لِما أسمّيه فضاء الخطاب الجاري (ف. خ. ج.). يمثّل فضاء الخطاب الجاري فضاء ذهنيّا يتضمّن كلّ شيء يُفترَض أنّه مشترَك بين المتكلّم والسّامع من حيث كان أساسا للخطاب في لحظة معيّنة. وانطلاقا من ذلك الأساس يُحيِّن كلُّ ملفوظ لاحق فضاءَ الخطاب الجاري بوجه ما. في (5) مثلا يحيِّن سؤالُ المتكلّم [أ] فضاءَ الخطاب الجاري بأن يدرِج مسألةً تُطرَح للتّأمّل («فيكتوريا ستوافق على أن تكون مرشّحة»)، كما يدرِج توقّعا بأنّ السّامع سوف يجيب في شأن صلاحية تلك المسألة الممكنة. هذا يمثّل الأساسَ لجواب المتكلّم [ب] الّذي ينشئ بدوره فضاء للخطاب الجاري محيَّنا مفترَضا ما قبليّا في جواب المتكلّم [ج].

(5) [أ] *Will Victoria agree to be a candidate?*
هل توافق فيكتوريا على أن تكون مرشّحة؟
[ب] *She may not.*
قد لا تفعل.
[ج] *But Stephanie will.*
ولكن ستيفاني سوف تفعل.

كما يبين من قطعة الخطاب هذه، تكون الإحالة على فضاء الخطاب الجاري متأصّلة في معاني الكثير من العناصر اللّغويّة. يحمل ضمير، مثل [هي]، افتراضا بكون مرجعه المقصود شيئا قائما، وبارزا، وقابلا للتّعيين الأحاديّ في فضاء الخطاب الجاري (فان هوَك 1997). فالنّفي يستحضر التّصوّر المثبَت لما يجري رفضه، من حيث كان خلفيّة له.[5] يُؤوّل استعمال المتكلّم [ب] لحرف النّفي [لا] حينئذ على أنّه منطبق على فكرة كانت قد أدرِجت سابقا مدارها موافقة فيكتوريا على أن تكون مرشّحة. وتعيّن [لكن] تباينا مع ما كان يجري قبلها. يُجري المتكلّمُ [ج] باستعمالها مقارنة بين موافقة ستيفاني على أن تكون مرشّحة وعدم موافقة فيكتوريا الممكنة الّتي أشار إليها المتكلّم [ب] قبيل ذلك.

يتشـكّل فضاء الخطاب الجـاري في ظواهر متنوّعة يُطلـق عليها إجمالا البنية الإخباريّة. فيعتبَر الإخبار معطى أو جديدا، حسب ما إذا كان قد عُرض سـابقا أو لا؛ وإن كان معطـى يمكن أن يتركَ ضمنيّا فـي بعض الأحيان. فالجملة [«توافق على أن تكون مرشّحة»] جديدة عند المتكلّم [أ]، ويجعل منها ورودها في سـؤال [أ] شيئا معطى بالنّسبة إلى [أ] و[ج] اللّذين يمكن أن يكون جوابهما مختزلا نتيجة لذلك. عندما يجري التّعبير عن مسألة جديدة، يسـمَّى الجزء المنطلِق ممّا كان قائما من قَبْلُ البـؤرةَ. في ملفوظ [ج]، تمثّل سـتيفاني البؤرة، إذ كانت نقطة الفرق بين مسـألة «بعض النّاس سيوافق على أن يكون مرشّحا» (وهو أمر موجود في فضاء الخطاب الجاري)، و«ستيفاني سـتوافق على أن تكون مرشّـحة» (التّأويل السّـياقيّ لقول [ج] المحذوف). وأخيـرا، ينبنـي كامل المقطع فـي (5) على أسـاس كونـه متعلّقا بمحور مخصوص للخطاب لا يحتاج - عندما يكون قد استوى قائما كذلك - إلى أن يُذكَر صريحا. فمن الأقوال السّـابقة، على سـبيل المثال، يجب أن يتّضح أنّ قطعـة الخطاب بأكملها مرتبطة بالرّئيس المرتقب للفرع المحلّيّ للاتّحاد الأمريكيّ للحرّيّات المدنيّة (ACLU).[1]

3.2.2 التّركّب

لنعد الآن إلى التّبئير الّذي يكون ملازما لمعاني العبارات المفردة. فأغلب العبـارات مركّب رمزيّا، من حيث يجري تجميعها مـن عناصر رمزيّة أصغر (انظـر الفقـرة § 1. 3. 1). وعلى سـبيل المثال، يكون لكلمـة [*lipstick* "عُود أحمر الشّـفاه"] مكوّنان رمزيّان هما [*lip* «شـفة»] و[*stick* "عُود"]. فهاتان هما البنيتان الرّمزيّتان المكوِّنتان، وتكون [*lipstick* "عُود أحمر الشّفاه"]، من حيث هي كلّ مندمج، البنية الرّمزيّة المركَّبة. وكذلك، يكون [make «صنع»] و[er- "صرفم اسـم الفاعل في الإنجليزيّة"] عنصرين رمزيّين من عبارة مركّبة [*maker* «صانـع»]. ويمكن لعبـارة مركّبة في ذاتها أن تكـون بنية مكوّنة فـي عبارة من درجة أكبر مـن التّركّب الرّمزيّ. فيكـون، حينئذ، [*lipstick*] و[*maker*] مكوّنيـن لبنية من درجة أعلى في التّركّب [*lipstick maker* "صانع عُود أحمر الشّفاه"]. يسمّي اللّسانيّون هذا التّنضيد السّلَّميّ بالمكوّنيّة ويمثّلون لها باعتماد رسـوم شبيهة بالمشـجّر (مثل الرّسم البيانيّ1. 3). وترد صياغة من هذا الرّسم في الرّسم 3. 1 المخصّص لعبارة [*lipstick maker*].

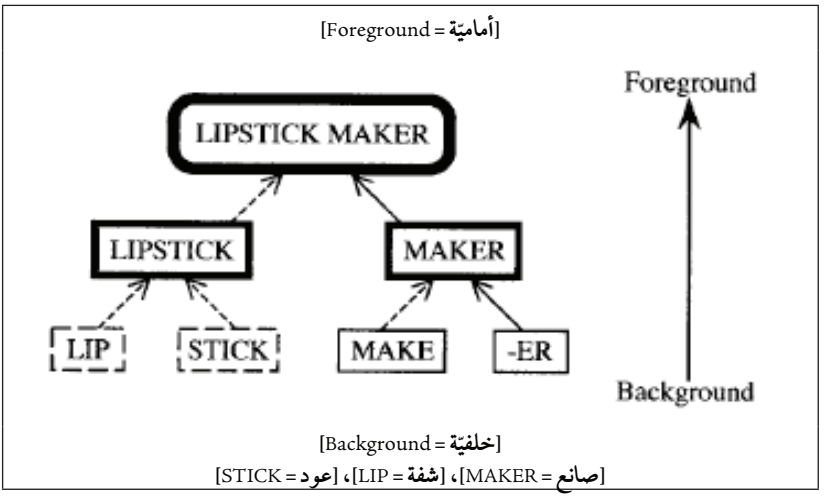
1 - American Civil Liberties Union (ACLU)

كما يبيّن الرّسم البيانيّ، تكون العلاقة بين الأبنية المكوِّنة والأبنية المركَّبة تحقّقا للخلفيّة مقابل الأماميّة. ويكون تمثيل الدّرجة النّسبيّة في التّخليف، هنا باعتماد السّماكة في الخطوط[6] فعندما نستعمل العبارة المركّبة [*lipstick maker*]، نهتدي، بكلّ تأكيد، إلى المعاني الفرديّة المقترنة بـ[*lipstick*] و[*maker*]. غير أنّنا لا نستحضرها لذاتها، بل نستحضرها فقط طريقةً لبلوغ التّصوّر المركّب الجديد، [LIPSTICK MAKER]. وبما أنّ الفكرتين [LIPSTICK] و[MAKER]، مرمَّزتان ترميزا فرديّا، وتسهّلان تبعا لذلك انبثاق التّصوّر المركّب، فإنّهما تبديان الأسبقيّة المفهوميّة الّتي تكون من مميّزات المنزلة الخلفيّة. وبالمثل، يجري تخليف المكوّنين المفهوميّين [LIP] و[STICK] في علاقتهما بـ[LIPSTICK]، كما يجري تخليف [MAKE] و[-ER]. وبطبيعة الحال، عندما تتوفّر مستويات متعدّدة من التّركّب، يجري تقديم البنية المركّبة من المستوى الأعلى إلى الأماميّة (وهي في هذه الحال [LIPSTICK MAKER]) بالنّظر إلى جميع الأبنية من المستويات السّفلى.

وتبين العبارات المركّبة عن درجات من قابليّة التّحليل متنوّعة؛ يعني ذلك أنّها تتنوّع في الكيفيّة الّتي بها تكون الأبنية المكوّنة في علاقة بالتّصوّر المركَّب، وفي مدى الفاعليّة الّتي بها تساهم في انبثاقه. تكون عبارة جديدة من قبيل [*lipstick maker*]، قابلة للتّحليل بصفة تامّة، بالتّحديد، لأنّها جديدة. وبما أنّ [LIPSTICK MAKER] ليست وحدة مفهوميّة معبّأة مسبقا، ينبغي أن تبنى بناء إيجابيّا على أساس الفكرتين [LIPSTICK] و[MAKER] المرمّزتين ترميزا فرديّا واللّتين تُنشَطان وتبرُزان بدرجة عالية داخل الكلّ، تبعا لذلك. ومن جهة أخرى، في حال كون العبارة ثابتة، يمثّل التّصوّر المركَّب، بالفعل وحدة معبّأة مسبقا، فهي لذاك لا تحتاج إلاّ إلى أن تُنشَط عوض أن تبنَى بناء جديدا. فلم يعد من الضّروريّ أن يجري التّعرّف على المكوّنات الرّمزيّة وأن يكون الاهتداء إلى معانيها الفرديّة. وتبعا لذلك يمكن أن نفترض بالنّسبة إلى العبارات الثّابتة درجات من قابليّة التّحليل وفقَ ما يكون من تماسك وبروز في الاهتداء إلى التّصوّرات المكوِّنة إلى جانب التّصوّر المركّب. تبدو كلمة [*maker*]، على سبيل المثال، أكثر قابليّة للتّحليل من [*lipstick*] (كما يظهر في الخانات ذات الخطوط المتقطّعة في الرّسم البيانيّ 3. 1). ويتجلّى الفرق بوضوح في حالات مثل [*complainer* "متذمّر"]، و[*computer* "حاسوب"]، و[*propeller* "مروحة دافعة"]. فنحن نفهم، بصفة فوريّة، أنّ [*complainer*] تعني 'شخصا يتذمّر"

ولكن [*computer*]، لا تفهَم بالضّرورة على أنّها "شيء يحوسب"، و[*propel*] قد لا يتعرّف عليها مطلقا في [*propeller*].

تسمّى الكيفيّة الّتي بها يرتبط معنى عبارة مركّبة بمعاني مكوّناتها (في مستويات التّنضيد المتعاقبة)، مسلك التّركّب فيها. يعرض الرّسم البيانيّ 3. 1 باختصار مسلك التّركّب في عبارة [*lipstick maker*]. ومن الافتراضات المهمّة في النّحو العرفنيّ، أنّ معنى عبارة ما لا يتمثّل في بنيتها الدّلاليّة المركّبة بمفردها، بل يشمل إضافة إلى ذلك مسلكَ التّركّب فيها، على أساس أنّ كليهما مترابطان بعلاقة الأماميّة / الخلفيّة. ولئن كان التّصوّر المركّب أوّليّا، فإنّه يُرى في ضوء خلفيّةِ الأبنية الدّلاليّة المكوّنيّة في جميع المستويات السّفلى. ترتبط الفاعليّة في مساهمة مكوّن مخصوص في هذا البعد الثّانوي للمعنى بمدى قربه من البنية المركّبة على امتداد مسلك التّركّب، وترتبط كذلك بدرجة قابليّة العبارة للتّحليل في المستويات المختلفة. وعلى هذا، يكون المفهومان [LIPSTICK] و[MAKER] بارزين كثيرا بحكم القرب- من حيث كانت [*lipstick*] و[*maker*] مكوّنين مباشرين لكلمة [*lipstick maker*]- وكذلك لأنّ العبارة المركّبة تقبل أن تُحلَّل تحليلا تامّا في هذا المستوى. ويكون [MAKE] و[-ER] أقلّ بروزا في العبارة ككلّ، لأنّهما قد خُلِّفا بالقياس إلى [MAKER]، في حين تكون [LIP] و[STICK] أقلّ بروزا، رغم ذلك، إذ يكون لـ[*lipstick*] درجة أدنى من حيث قابليّة التّحليل.



الرّسم البيانيّ 3. 1

ولـمَ يجـب علينا أن نعرِّف معنى عبارة ما بكونه مشـتملا على مسـلك التّركّـب فيها؟ فهو من جهة يبدو صائبا بالتّحديد- فهذا بعد حقيقيّ من أبعاد التّنضيد المفهوميّ، وتجاهلُه أمر غير مبرّر، ببساطة. وهو، من ناحية أخرى أهمّ من ذلك بكثير، يساعد في تفسير الملاحظة المشتركة القائلة بأن لا وجود لعبارتيـن متماثلتيـن في المعنى تماثـلا دقيقا. ومن الأمثلـة التّقليديّة، لنا [*pork* "خنزير"] مقابل [*pig meat* "لحم الخنزير"]. هَب على سبيل الحجاج، أنّ بنيتيهما الدّلاليّتين المركّبتين تعتبَـران متطابقتين. فهما، رغم ذلك، غير متكافئتين دلاليّا، بما أنّهما قد بلغتا هذه الدّرجة من التّركّب عبر مسلكين في التّركّب مختلفين: مسـلك مهترئ في حال [*pork*] (متمثّلا في البنية المركّبة فقط، إذ لا وجـود لمكوّنات مرمّزة ترميزا فرديّا)؛ وفي حال [*pig meat*]، نجد مسـلكا يندرج فيـه كلّ من [PIG] و[MEAT]. والفرق الدّلاليّ، حينئذ، يكمن في أنّ [*pig meat*] تستحضر الفكرتين المكوّنتين [PIG] و[MEAT] بدرجة أكثر بروزا ممّا تفعل فكرة [*pork*]. والأمثلة من هذا القبيل كثيرة جدّا. تستدعي الكلمة [*cousin* «ابن عمّ-(ة)/خال-(ة)»]، من حيث هي غير قابلة للتّحليل، بصفة مباشرة تشكّلا مخصوصا للقرابة، مأخوذة في شموليّتها، في حين تبلغ [*parent's sibling's child* "ابن قريبٍ واحد من الأبوين"] نفس التّشكّل خطوة خطوة، بأن تأخذنا، بالفعل، في جولة عبر الشّـجرة العائليّة. وبالعلامة الواحدة نفسـها، لا يكون لـ[*triangle* «مثلّث»] نفس المعنى الّذي يكون لـ[*three-angled polygon* «مضلّع ثلاثـيّ الزّوايا»]، بصرف النّظر عمّا إذا كانت بنيتاهمـا الدّلاليّتان متطابقتين. فالفكرتـان [**ثلاثـة**] و[**زاويـة**] موجودتان في كلتا العبارتيـن ولكنّهما أقلّ بروزا في [**مثلّث**] ذي الدّرجـة الدّنيا من قابليّة التّحليل. ويكون الاهتداء إلى المفهـوم الخطاطيّ [**مضلّع**]، من حيث كان مرمّزا بصفـة فرديّة، بالضّرورة فـي [مضلّع ثلاثيّ الزّوايا]، ولكنّه يظلّ ضمنيّا في [مثلّث]. وينبغي أن يكون مـن الواضح، فوق ذلك، أنّ [مضلّع ثلاثيّ الزّوايا] و[مضلّع ثلاثيّ الجوانب] متمايزان دلاليّا، رغم تطابقهما في المرجع.

يمكننا بالاعتراف بالمسـاهمة الدّلاليّة لمسـالك التّركّب، أن نفسّـر كذلـك لمَ تبدو العبارات الشّـاذّة دلاليّـا - بأن لا تكون لهـا بنية دلاليّة مركّبـة متجانسـة- ذاتَ معنى رغم ذلـك. تأمّـل [*four-sided triangle* "مثلّث رباعـيّ الجوانب"]. هي عبارة شـاذّة دلاليّـا لأنّ التّصوّريـن المكوّنين لها [رباعيّ الجوانب] و[مثلّث] لا يناسـب الواحد منهمـا الآخر؛ وعندما نحاول التّوليف بينهما على الطّريقة الّتي يحدّدها البناء النّحويّ، تكون البنية الدّلاليّة

المركّبة إمّا مختلّة أو فارغة من المعنى (حسب الكيفيّة الّتي نختارها في النّظر إليها). غير أنّ العبارة ليست فارغة دلاليّا: يتمثّل قطبها الدّلاليّ في مسلك في التّركّب ذي مكوّنات دالّة على معنى تتنضّد وفق تشكّل مخصوص. وبحكم التّمايز في مسالك التّركّب، تكون العبارات الشّاذّة المختلفة غير مترادفة. ولئن كانت العبارتان [*four-sided triangle* ✻"مثلّث رباعيّ الجوانب"] و[*four-angled triangle* ✻"مثلّث رباعيّ الأضلاع"] غير متجانستين في مستوى البنية المركّبة، فإنّهما متباينتان في المعنى لأنّ مسلكيهما في التّركّب يتضمّنان عناصر مختلفة ([SIDE "جانب"]، و[SIDED "ذو جانب"]، و[FOUR-SIDED "رباعيّ الجوانب"] مقابل [ANGLE "زاوية"]، و[ANGLED "ذو زاوية"]، و[FOUR-ANGLED "رباعيّ الزّوايا"]).

3.2.3 المدى

يشتمل التّبئير بالإضافة إلى التّأميم، على الانتقاء الأوّليّ للمضمون المفهوميّ الّذي يُعَدّ للعرض اللّغويّ. ويتمثّل واحد من وجوه الانتقاء في الاهتداء الّذي توفّره عبارة ما إلى مجموعة مخصوصة من المجالات العرفنيّة، في العموم أو في مناسبة محدّدة. ويتمثّل وجه آخر في الحدّ الّذي تمتدّ إليه "تغطية" العبارة في المجال موضوع الاهتداء: أيُّ الأجزاء من هذه المجالات تستحضره العبارة وتتّخذه أساسا لمعناها. يكون للعبارة، من كلّ مجال في مولّدتها، مدى يتمثّل في ما تغطّيه في ذلك المجال.[7]

للمدى أساس عرفنيّ جليّ: يوجد الكثير ممّا يمكن لنا أن نحيط به ذهنيّا في كلّ لحظة. مثلا، جهاز البصر عندنا يحُدّ ممّا نستطيع رؤيته في أيّ وقت. فلنا، في الواقع، "إطار رؤية" مضيّق - أي حقل الإبصار- يحدّد ما نستطيع الإحاطة به عندما "نُطِلّ" على العالم. ففي كلّ لحظة، لا يحلّ في مدى الإبصار إلاّ جزء محدود من الفضاء المحيط بنا. ويمكن أن نتعرّف على محدوديّة مماثلة في سائر المجالات من التّجربة. يكون المدى، من كلّ مجال تستدعيه عبارة ما، المضمونَ المفهوميّ الّذي يظهر في إطار الرّؤية الذّاتيّة الكامنة في إدراكه.

فالمجال دائما محدود، في المعنى المجرّد بكونه ذا امتداد مقيّد. انظُرْ في كلمةٍ، مثل [كوب]، تستدعي مجالَ الفضاء لتخصيص شكل الكوب المميّز. فاستمرار التّصوّر لهذا الشّكل ماثلا في الذّهن يقتضي امتدادا فضائيّا معيّنا، يكون متّسِعا بما يكفي لتجلّي ذلك الشّكل، ولكنّ هذا المدى

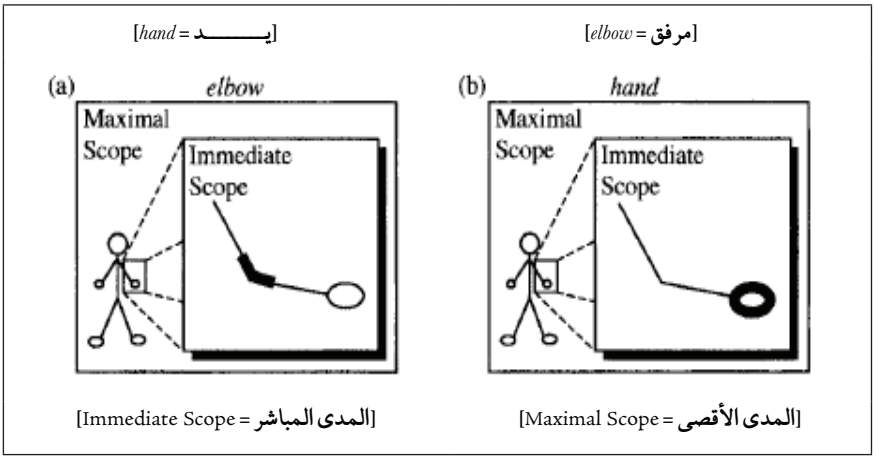
الفضائيّ لا يشمل الكون بأكمله. وبطريقة مماثلة، تقتضي مفهمة حدث ما - مثل، (عَثَـــْـــر(ة) شخص)- أن نهتدي ذهنيّا إلى قسم من الزّمن طويل بما يكفي ليشمل وقوع ذلك الحدث، ولكنّ هذا المدى الزّمنيّ لا يتضمّن الأزل كلّه. وكلمة مثل [ابن عمّ(ة)/خال(ة)] تستدعي مجالا غير أساسيّ يتضمّن شبكة من علاقات القرابة. ولئن أمكن أن تمتدّ شبكة القرابة بعيدا دون نهاية في كلّ اتّجاه فإنّ مجرّد جُزَيْءٍ بسيط منها يكفي لمفهمة علاقة [بنوّة العمّ(ة)/الخال(ة)].

لا يستلزم التّحديد (في هذا المعنى التّجريديّ) أنّ حدود المدى يمكن أن تكون قابلة للتّمييز بصفة موضوعيّة. فقد لا تكون إلاّ ضمنيّة، يفرضها إطار النّظرة الذّاتيّة، وليس من الضّروريّ أن تكون بدقّة عالية. وبالفعل، يمكن لإطارِ رؤيةٍ ثابتٍ من حيث حجمه من زاوية ذاتيّة أن يضمّ عمليّا جهةً من أيّ حجم (موضوعيّ) كانت في المجال الّذي تجري رؤيته. فحقل الإبصار عندنا ثابت من حيث حجمه من زاوية ذاتيّة (حاول أن تمطّه!). ومع ذلك، يمكن أن يحوِّر تعديلُ مدى الإبصار حسب المسافة، تحويرا كبيرا، كمّيّةَ الأشياء الّتي يشملها من العالم المحيط؛ فعندما ننظر إلى جبل كائن على مسافة بعيدة يتّسع مدى بصرنا أكثر بكثير ممّا يكون عندما ننظر عن كثب إلى لوحة زيتيّة. ولهذا الثّبات الذّاتيّ رغم التّغيّر في المدى أهمّيّة كبيرة من زاوية لغويّة. فغالبا ما تكون، بسبب ذلك، نفس العبارة قابلة للانطباق على وضعيّات يمكن ملاحظتها على أيّ درجة من درجات السّلّم. فالوصف [س قريب من ص] يستقيم عند تطبيقه على المسافة بين خليّتين عصبيّتين، أو مدينتين، أو مجرّتين. ولا يمكننا أن نستعمل كلمة [فرَس] للإشارة إلى واحد من الخيل الحقيقيّة ذي حجم عاديّ فقط، بل يمكن أن نستعملها كذلك للإشارة إلى لعبة صغيرة أو نحت عظيم منقور في جبل. وليست المسألة متعلّقة بمجرّد إدراك الشّكل المشترك بينها وبإهمال التّنوّع الكبير في أحجامها؛ إذ يمكن لتلك الأشياء، في ما يتّصل بإطار الرّؤية الذّاتيّة (سواء كان حقل الإبصار أو نظيره المفهوميّ) أن تكون بالفعل من حجم متقارب.

يتمثّل واحد من الأسباب الدّاعية إلى تجميع الانتقاء والتّأميم تحت اسم واحد (هو التّبئير) في كون المدى نفسه - وهو مسألة انتقاء- قابلا لأن يُنضَّد على أساس الخلفيّة مقابل الأماميّة. ونحتاج، في بعض الأحيان، إلى التّمييز بين المدى الأقصى لعبارة ما في مجال ما، أي الامتداد التّامّ لما تغطّيه، من جهة،

والمدى المباشر، وهو الجزء المرتبط بصفة مباشرة بغاية مخصوصة. فيكون، حينئذ، المدى المباشر واقعا في الأماميّة إزاء المدى الأقصى. ويمكن أن نصفه، وصفا استعاريّا، بكونه "المنطقة الماثلة على الرّكح (من المسرح)"، أي المنطقة العامّة للانتباه البصريّ.

تأمّل كلمة مثل ["مرفق"]. يتمثّل، بجلاء، واحد من المجالات الّتي تنتقيها - وهو مركزيّ إلى حدّ بعيد في مولّدتها- في تصوّر الجسد البشريّ.[8] ولكن من الواضح كذلك أنّ [مرفق] ليست موصَّفة مباشرة بالنّظر إلى الجسد البشريّ من حيث هو كلّ غير متمايز. فللجسد أجزاء كبرى، بما في ذلك الذّراعان؛ والمرفقُ، أوّلا وقبل كلّ شيء، جزء من الذّراع. وفي مفهمة المرفق، يكون تصوّر الذّراع، على وجه الخصوص، مرتبطا به ارتباطا مباشرا من أشدّ ما يكون ("على الرّكح"). هناك سلّميّة مفهوميّة، بوجه يظهر فيه [**جسد**] مباشرة في [**ذراع**] الّتي تظهر بدورها مباشرة في [**مرفق**]، ولكنّ [**جسد**] لا تظهر في [**مرفق**] إلاّ بطريقة غير مباشرة (عبر [**ذراع**]). ويمكن أن نقول، في شأن [مرفق]، إنّ مفهوم [**جسد**] يؤدّي دورَ المدى الأقصى، ومفهوم [**ذراع**] يؤدّي دورَ المدى المباشر. يُعرَض ذلك باختزال في الرّسم البيانيّ 3. 2 (a).



الرّسم البيانيّ 3. 2

لمظاهر التّمييز بين المدى الأقصى والمدى المباشر أهمّية كبيرة في قيام سلّميّات تتمثّل في علاقات الكلّ بالجزء متتابعة. ولئن كانت أسماء أعضاء الجسد توفّر من الأمثلة أوضحَها، توجد سلّميّات مشابهة في مجالات أخرى من التّجربة:

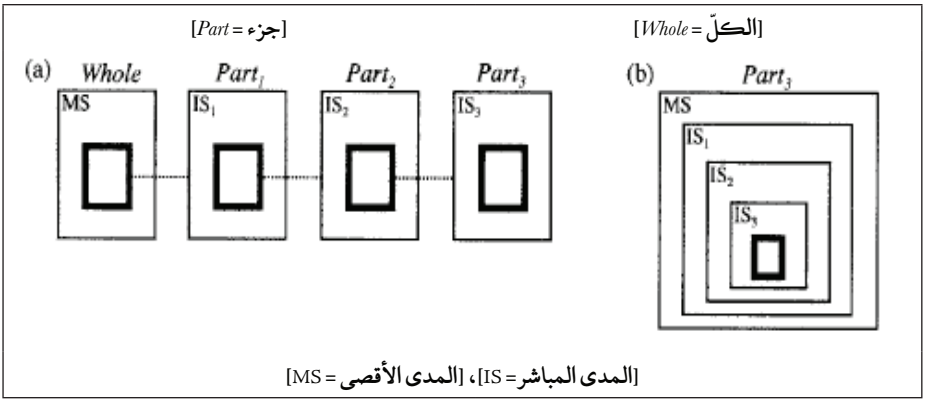
(6) (أ) جسد > ذراع > يد > أصبع > برجمة

(ب) جسد > رأس > وجه > عين > بؤبؤ

(ج)بيت > باب > مفصلة > بَرغِي

(د)عربة > محرّك > مكبس > حلقة

من السّمات اللاّفتة في سملّيات من هذا القبيل، أنّ كلّ جزء منها يشتغل مدى مباشرا للكلمة الموالية في السّلسلة. فيكون تَصوُّرُ ذراع، حينئذ، المدى المباشرَ لـ[يد] (الرّسم البيانيّ 3. 2 (b))، وتَصوُّرُ يد المدى المباشرَ لـ[أصبع] وتصوّرُ أصبع المدى المباشر لـ[برجمة]. يُعرَض نوع التّنضيد هذا مرسوما تجريديّا في الرّسم البيانيّ 3. 3 (a)، حيث تشير [MS] إلى المدى الأقصى، وتشير [IS] إلى المدى المباشر، وتشير الخانة ذات الخطوط الغليظة إلى الوحدة المعنيّة بكلّ عبارة موالية (أي معروضها). وخطوط التّناسب المتقطّعة تساوي الوحدةَ المعيّنةَ بكلّ عبارة تجري مدى مباشرا للاحقتها. ونتيجة لذلك، تتضمّن كلّ كلمة في مولّدتها المضمونَ الأساسيّ لجميع الكلمات الّتي تسبقها في السّلّميّة. والنّتيجة، كما يعرض في الرّسم البيانيّ 3. 3 (b) بالنّسبة إلى الجزء$_3$، أن ينشأ تنضيد ذو طبقات من الأمدِية يُضَمَّن بعضها في بعض تباعا. وترتبط درجة التّضمين في عبارة معيّنة بدرجة التّأميم وبدرجة المباشَرة في الاهتداء الذّهنيّ. فكلمة [برجمة]، على سبيل المثال، توفّر الاهتداء الذّهنيّ المباشر إلى [**أصبع**] (مداها المباشر)، الّذي يستحضر، بدوره، [**يد**]، وهكذا دواليك. يَمثُل تصوّر أصبع، ويد، وذراع، والجسد من حيث هو كلّ، جميعها في معنى [برجمة]، ولكنّها تظلّ بعيدا في الخلفيّة على التّدريج.



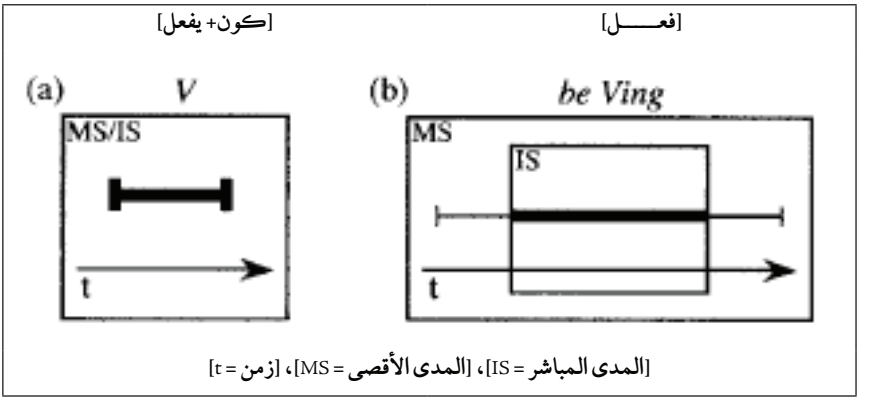
الرّسم البيانيّ 3. 3

ولهـذا التّنظيـم الطّبقيّ تجلّيات لغويّـة متنوّعة. ولنأخذ واحـدا منها فقط، يمكـن لجزء ما أن يوسَـم بوحدة مركّبة: [*fingertip* "طـرف الأصبع"]، و[*ear lobe* "شـحمة الأذن"]، و[*eyeball* "مقلة العين"]، و[*toenail* "ظفر(أصبع) السّاق"]، و[*bellybutton* "زرّ البطن (السّـرّة)"]، و[*kneecap* "قبّعـة الرّكبة" (رظفة)]، و[*thigh bone* «عظـم الفخـذ»]، و[*door knob* "مقبـض البـاب"]، و[*window pane* "زجـاج النافـذة"]، و[*toilet seat* "مقعـد المرحـاض"]، و[*piston ring* "حلقة المكبس"]، وهلـمّ جرّا. ومن السّـمات الجديرة بالملاحظة في هـذه الكلمات المركّبة أنّ الأسـماء المكوّنة لها تمثّل مسـتويات متجاورة في سلّميّة الكلّ-الجزء. وبتدقيق أكثر، تؤدّي الوحدة المعيّنـة بالعنصر الأوّل من الكلمة المركّبة، دور المدى المباشـر للعنصر الثّاني، وكذلك بالنّسبة إلى العبارة المركّبة؛ مرجع [*toilet*]، على سـبيل المثال، يمثّل المدى المباشـر لتأويل كلّ من [*seat* "مقعـد"]، و[*toilet seat* "مقعد المرحاض"]. ويؤدّي القفز على المسـتويات، في العـادة، إلى عبارة سـيّئة. فيمكننا، تبعـا لذلك، أن نتحدّث عـن [*door hinge* "مفصّلـة الباب"]، أو [*hinge screw* "برغـيّ المفصّلة"]، ولكن يصعب أن نحيل على نفس الشّـيء بـ[*house hinge* ⁕ "*مفصّلـة المنزل"] أو [*door screw* ⁕ "*برغيّ الباب"]. فلا تسـتقيم، ببسـاطة، العباراتُ من قبيل [*armnail* ⁕ "*ظفر الذّراع"]، و[*facelash* ⁕ "*رمش الوجه"] و[*body blade** "*عظم كتف الجسد"]، بدائل عن الكلمـات المركّبة [*fingernail* "ظفر أصبع (اليد)"]، و[*eyelash* "رمش العين"]، و[*shoulder blade* "عظم الكتف" (عظم اللّوح)].

ولا يقتصـر التّمييـز بين المدى الأقصى والمدى المباشـر على سـلّميات الكلّ-الجـزء. يوجـد مثال مختلـف في التّبايـن بين فِعلٍ يـدلّ على حدث محدود (مثل، [*examine* "فَحَص"]) والشّكل التّصريفيّ التّدريجيّ الّذي يناسبه [*be examining* "يفحـص" (بصدد الفحص)]، الّذي يتكـوّن بإضافة [*be-…-ing*]. ومجال العناية هنا هو الزّمان، الّذي يشـار إليه في الرّسـم البيانيّ 3. 4 بالسّـهم الّذي يحمل شارة [t].

في ما يتعلّق بالفعل (V) في ذاته، لا داعي إلى التّمييز بين مدى أقصى ومدى مباشـر، ولذلك تحمل الخانة الّتي تحدّد المدى الزّمنيّ في الرّسم التّخطيطيّ (a)، مؤشّـر [MS/IS] ("مدى أقصى/ مدى مباشـر"). يشـير الخطّ الغليظ إلى الحـدث المدلول عليه بلفظ الفعل، منظورا إليه مـن خلال تطوّره عبر الزّمن. فالحـدث المحدود كاملا، بما في ذلك نقاط انتهائه، يظهر "على الرّكح"

ضمن المدى الزّمنيّ. ويظهِر الرّسم التّخطيطيّ (b) الأثرَ الّذي تُحدِثه إضافةُ التّصريف التّدريجيّ [*be*–...*ing*]. ويكمن معناه في الانبناء الّذي يفرضه على المضمون الّذي يوفّره الفعل. وعلى وجه التّحديد، هو «يزوِّم داخلا» ويفرض مدى مباشرا محدودا يلغي نقاط الانتهاء من الحدث المحدود. وتبعا لذلك، يكون لعبارة [*be Ving*] المركّبة، في آن، مدى أقصى ومدى أدنى في المجال الزّمنيّ: يشمل مداها الأقصى الحدثَ المحدود بأكمله، والّذي يقع جزء داخليّ منه، فقط، ضمن المدى المباشر. وبما أنّ المدى المباشر قد جرى تخليفه، يَبرُز هذا الجزء الكائن 'على الرّكح' فقط من الحدث بأكمله، على أنّه مرجع للعبارة المركّبة. وعلى هذا، خلافا للعبارة [*she examined it*] «(هي) فحصَته»] الّتي تشير إلى عمل فحص مكتمل وتُخصّص حدوثه في ما مضى، تكاد لا تشير [*she was examining it*] "كانت (هي) تفحصه"] إلى أنّ عملا كان بصدد الوقوع.



الرّسم البيانيّ 3. 4

3.3 البروز

تعرض البنية اللّغويّة أنواعا متعدّدة من عدم التّناظر تُعتَبَر، على صواب، مسائلَ من البروز. ولا يملك المصطلحان بروز ونتوء (جاريين على أساس التّبادل هنا) تفسيرا ذاتيّا. فبما أنّ شيئا ما يمكن أن يكون ناتئا بطرق كثيرة مختلفة، لا يمثّل وصفه بكونه كذلك توصيفا ملائما بل مجرّد نقطة يبدأ عندها التّحليل.

فما هي بعض الأبعاد في البروز؟ يجد التّبئير موضعا مريحا في هذا الباب، لأنّ كلّ شيء جرى انتقاؤه يُجعَل بارزا مقارنةً بما لم يجرِ انتقاؤه، ولأنّ

الأماميّة ناتئةٌ مقارنةً بخلفيّتها. ويكون للطّراز، في إطار مقولة ما، بروز أكبر من امتداداته المتنوّعة.[9] وللفضاء والإبصار منزلة عرفنيّة ذات حظوة كبيرة إزاء سائر الحقول من التّجربة. وبصفة أعمّ، يبدو التّنوّع الصّميميّ في البروز جليّا جلاء واضحا بين الأطراف في المقابلات المختلفة: محسوس مقابل مجرّد، حقيقيّ مقابل خياليّ، صريح مقابل ضمنيّ، وهلمّ جرّا. ثمّ إنّ النّظر في إمكانيّة تجميع كلّ المظاهر من عدم التّناظر من هذا القبيل، تحت باب مفرد، لأقلُّ شأنا من التّمييز بينها تمييزا مناسبا ومن تحديد المظاهر الّتي تتجلّى منها في الظّواهر المخصوصة.

أركّز النّظر هنا في ضربين مخصوصين من البروز: العرض وتصفيف المنتقل / المَعْلَم. ولئن لم يكن هذان المفهومان متكافئين، فهما متماثلان من حيث يقتضي كلّ واحد منهما تبئير الانتباه (نوعا شديدا من الأماميّة). وكلا البنائين مبرّر تبريرا متينا على أسس دلاليّة. وهما ضروريّان كذلك في الوصف النّحويّ.

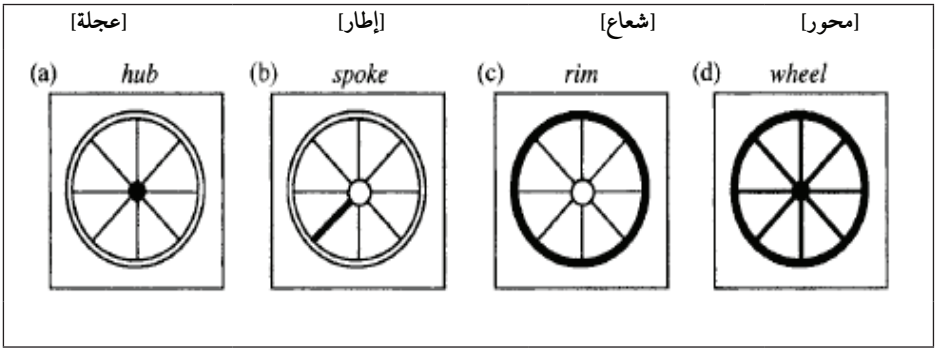
3.3.1 العرض

تنتقي عبارة ما قسما ما من المضمون المفهوميّ ليكون أساسا لمعناها. لنسمِّ هذا أساسَها المفهوميّ. يُعرَّف أساس العبارة المفهوميّ، مأخوذا في معناه الواسع، بكونه المدى الأقصى الّذي يكون لها في جميع المجالات من مولّدتها (أي جميع المجالات الّتي يكون الاهتداء إليها في مناسبة معيّنة). ويعرّف أساس العبارة، مأخوذا في معنى أضيق، بكونه المدى المباشر الّذي يكون لها في المجالات النّشيطة - أي الجزء الماثل «على الرّكح» والوارد في الأماميّة على أساس كونه الموضع العامّ للانتباه. وداخل الجهة الماثلة «على الرّكح»، يُوَجَّه الانتباه إلى بنية فرعيّة خاصّة، تسمّى المعروضَ. فمعروض عبارة ما، حينئذ، هو ما يبرز من حيث كان بؤرة الانتباه المخصوصة ضمن حدود المدى المباشر.[10] ويمكن توصيف المعروض، كذلك، بكونه ما تُتصوّر عبارة ما على أنّها مشيرة إليه أو دالّة عليه ضمن حدود أساسها (أي مرجعها المفهوميّ).

انظر في [«مرفق»]، وقد عُرضت باختزال في الرّسم البيانيّ 3. 2 (a). يكون مداها الأقصى، باعتبار التّشكّل الفضائيّ، شكلَ الجسد البشريّ في كلّيته.[11] وداخل حدود ذلك، يُجعَل تَصوُّر ذراع ما «على الرّكح»، على أنّها المدى المباشر أو الموضع العامّ للانتباه. وداخل حدود المدى المباشر، تنتقي

بنيةً فرعيّة معيّنة وتتّخذها معروضا لها، أو مرجعا لها. والمعروض - المرسوم هناك بخطوط سميكة- هو البؤرة المخصوصة للانتباه داخل حدود المنطقة الماثلة «على الرّكح».

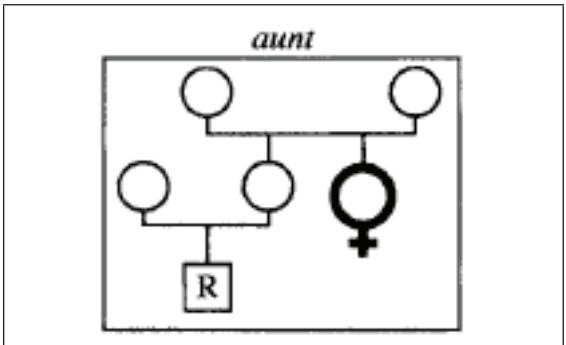
فإذا ما قارنّا بين [مرفق] و[يد]، كما تعرضان باختزال في الرّسم البيانيّ 3. 2 (b)، نرى أنّ [يد] لها المدى الأقصى والمدى المباشر أنفسهما اللّذان لـ[مرفق]، ولكنّ لها معروضا مختلفا. بالفعل، يكون من الشّائع كثيرا، أنّ عبارتين أو أكثر تستحضران المضمون المفهوميّ نفسَه، ورغم ذلك تختلفان في المعنى بحكم ما تعرضان من أبنية فرعيّة مختلفة داخل حدود الأساس الدّلاليّ المشترك بينهما. فعلى سبيل المثال، [الاثنين]، و[الثّلاثاء]، و[الأربعاء]، إلخ، تستحضِر جميعها تصَوُّرَ الدّورة السّباعيّة من الأيّام الّتي تكوّن الأسبوع، والّتي تعرِض منها تلك الأسماءُ مقاطعَ مختلفة. وبطريقة مماثلة، يؤدّي تصوّر [عجَلَة]، كما هو معروض في الرّسم البيانيّ 3. 5، دور الأساس بالنّسبة إلى [*hub* «محور»]، و[*spoke* "شعاع"]، و[*rim* "إطار"]، الّتي تتباين دلاليّا لأنّها تعيّن أجزاء مختلفة. وتعرِض [*wheel* "عجلة"] الكلَّ، بطبيعة الحال.



الرّسم البيانيّ 3. 5

تعرض العبارة إمّا شيئا وإمّا علاقة.[12] والعبارات الّتي نظرنا فيها إلى حدّ الآن تعرض أشياء رغم تَضمُّنها لعلاقات في أساسها الدّلاليّ (وخاصّة علاقات الكلّ- الجزء). وبالفعل، يكون من المتواتر أن تستدعي عبارة علاقةً تتَّخِذ منها مضمونا مفهوميّا أساسيّا، حتّى وإن كان معروضها شيئا. ومن الأمثلة الجيّدة لهذا، كلمة [*aunt* "خالة/ عمّة"]، كما تُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 3. 6. فالمضمون الأساسيّ في هذا العنصر المعجميّ علاقة قرابة بين أنثى وشخص مرجعيّ، [R] (أي الشّخص الّذي بالقياس إليه يكون شخص

آخر خالة له). تلك هي العلاقة الحاسمة في توصيف الأنثى موضوع الحديث. غير أنّ [خالة/ عمّة]، لا تعرض العلاقة بل تعرض الأنثى الّتي تجري لتعيينها - أي مرجعُها شخص، وإن كان شخصا موصوفا بكونه أنثى من ذوي القربى. لاحظ أنّ المعروض ليس معرَّفا بكونه المضمون الأهمّ أو المميِّزَ، ولكن بكونه الوحدة الّتي تعيّنها عبارة ما، بدلا من ذلك، أي مرجعها في حدود المضمون الّذي تستحضره.

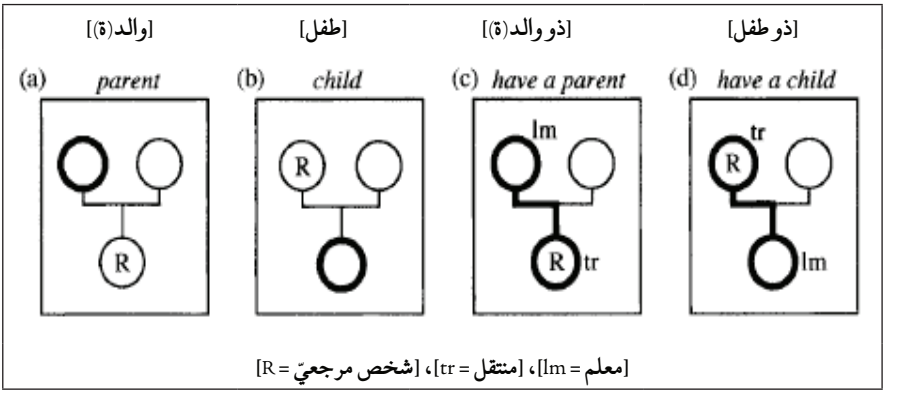


[**خالـــة/ عمّة** = *aunt*]، [**شخص مرجعيّ** = R]

الرّسم البيانيّ 3. 6

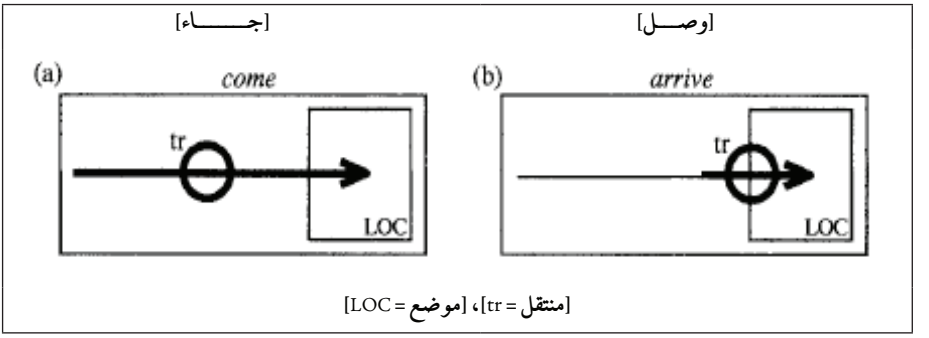
يرد مثال من التّمييز - بين استدعاء علاقة بطريقة حاسمة وعرضها عرضا فعليّا- في الرّسم البيانيّ 3. 7. وتستدعي العبارات الأربع جميعها تصوّرَ علاقة أسريّة نوويّة (مشتملة على نموذج واحد من التّناسل). ويتأتّى عدم تكافئها الدّلاليّ من المعروضات المختلفة الّتي تسلّطها على هذا الأساس المشترك. فـ[*parent* «والد(ة)»] و[*child* «طفل»] (بالمعنى «التّناسليّ» للكلمة) شبيهان بـ[*aunt* «خالة/ عمّة»]، من حيث أنّ كل واحد منهما يعرض شيئا يوصَّف باعتماد دوره في العلاقة؛ ويظلّ الأخير غير معروض بما أنّ مرجع كلّ من [والد(ة)] و[طفل] شخص، وليس علاقة. غير أنّ هذه العلاقة معروضة بالعبارتين المركّبتين [*have a parent* «ذو والد(ة)»] و[*have a child* «ذو طفل»]. فهاتان العبارتان تعيّنان العلاقة في ذاتها، مأخوذة من زاوية كونها وضعيّة ثابتة مستمرّة خلال الزّمن. فالتّباين الدّلاليّ بين [*have a parent* «ذو والد(ة)»] و[*have a child* «ذو طفل»] يكمن في اتّجاهيّتَيْهما المتعاكستين: كلّ واحدة منهما

ترسم العلاقة من حيث هي منبثقة من الشّخص المرجعيّ (R) الّذي تحيل عليه كلمة القرابة الّتي تتضمّنه.[13]



الرّسم البيانيّ 3. 7

رغم التّقابل بين [«ذو والد(ة)»] و[«ذو طفل»] في الاتّجاهيّة، فليس لهما معروضان مختلفان. فمعروض عبارة ما هو مرجعها، والعلاقة المعنيّة هي نفسها من زاوية مرجعيّة، وفي كلّ واحد من الاتّجاهين في الاهتداء الذّهنيّ. غير أنّه من المألوف في العبارات الّتي تعرض علاقات (تماما مثل تلك الّتي تعرض أشياء) أن يكون لها نفس الأساس المفهوميّ وأن تكون، رغم ذلك، متمايزة دلاليّا لأنّها تعرض وجوها مختلفة منه. لتجدَ مثالا نحويّا، انظر في أيّ فعل وفي شكل التّصريف التّدريجي المناسب له (مثل، [*examine* "فحص"] مقابل [*be examining* "كون+ يفحص"])، كما يُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 3. 4. يشير الفعل إلى حدثٍ كامل محدود، في حين لا يقتطع شكلُ التّصريف التّدريجيّ، دون أن يغيّر شيئا من المضمون كلّ، إلاّ جزءا اعتباطيّا داخليّا من ذلك الحدث ليعرضه. ومن الأمثلة المعجميّة على ذلك لنا [*come* «جاء/قدم/أتى»] مقابل [*arrive* "وصل"]، كما يُعرَضان باختزال في الرّسم البيانيّ 3. 8. يستحضر الفعلان، أساسا لهما، تصوّرَ شيء (نمثّل له بدائرة) متنقّل على امتداد مسلك فضائيّ (يشار إليه بسهم) إلى موضع نهاية (يشار إليه بـ[LOC] "موضع"). وكلّ واحد من الفعلين يَستدعي علاقة يحلّ فيها المتنقّل، خلال الزّمن، في جميع المواقع الّتي تحدّد المسلك. ويكمن الفرق بين معنييهما في أنّ [جاء] يعرض حدث التّنقّل بتمامه حيث يَمرّ المتنقّل بالمسلك بأكمله، في حين لا يعيّن [وصل] إلاّ مقطعا يكون فيه المتنقّل، في نهاية المطاف، قد بلغ الهدف.



الرّسم البيانيّ 3. 8

تتجلّى عمليّة العرض بوجه حاسم في ظاهرة غالبة تُعرَف بالمجاز اللّغويّ (المجاز المرسل). ويمكن أن نوصّف المجازَ اللّغويّ، في معنى ضيّق، بكونه تحويلا في المعروض. فالزّبون الّذي يقول الجملة (7) (أ) لنادل، مثلا، لا يدّعي أنّه حلوى إيطاليّة. ففي حين تكون تلك الحلوى المرجع المعهود لكلمة [تيراميسو]، يتحوّل معروضها في مقام المطعم من الحلوى إلى الشّخص الّذي طلبها. وبالمثل، في (7) (ب)، الغائب من دليل الهاتف، ليس لاعب القولف الشّهير في ذاته، بل اسمه وعنوانه ورقم هاتفه، عوضا عن ذلك. فمعروض [تايغر وودس] يتحوّل من الشّخص إلى المعلومات المتعلّقة به (أو إلى تمثيله المرقون في دليل الهاتف).

(7) (أ) *I'm the tiramisu.*

أنا التّيراميسو.

(ب) *She couldn't find Tiger Woods in the phone book.*

هي لم تتمكّن من العثور على تايغر وودس في دليل الهاتف.

تمثّل الوساطة في تحوّل المعروض مجالا عرفنيّا يقيم صلة ما بين الوحدتين: سيناريو المطعم المتمثّل في الزّبائن يُصدِرون الطّلبات، أو سيناريو المعرفةِ بما جُعِل له دليل الهاتف، من جهة أخرى. وبعبارة أدقّ، حينئذ، نتحدّث عن مجاز مرسل عندما تجري عبارة ما في العادة تُستعمَل لعرض وحدة ما، لتعرِضَ، عوضا عن ذلك، وحدة أخرى تترابط معها في مجال ما. فالعبارة الواَحدة قابلة لأيّ عدد من وجوه الاتّساع المجازيّة الّتي تعكس ترابطات مختلفة[14]. فكلمة [*Miro* ميرو]، على سبيل المثال، قد تفهَم في العادة على أنّها تحيل على شخص، كما في (8) (أ). وبما أنّ [ميرو] كان فنّانا شهيرا، تنزع الإحالة

على هذا الشّخص إلى استحضار تَصوُّر لأعماله، كما تنزع إلى استحضار تصوُّرات أكثر تبلورا للمعارض أو للكتب الّتي تُخصَّصُ لأعمال فنّان واحد. وبتوسّط هذه المجالات، تؤوَّل [ميرو]، تأويلا مجازيّا في (8) (ب)-(د) على أنّها تشير إلى عمل فنّيّ، وإلى مجموعة أعمال فنّيّة، وإلى كتاب، تباعا.

(8) (أ) *Miro died in 1983.*

توفّي ميرو في 1983.

(ب) *She bought an original Miro.*

(هي) اشترت ميرو أصليّا.

(ج) *Miro is in Gallery B, at the end of this corridor.*

ميرو في الرّواق ب، عند نهاية هذا الممرّ.

(د) *Miro is at the bottom of the stack, right under Tamayo.*

ميرو في أسفل الكدس مباشرة تحت تامايو.

هناك قوالب تواضعيّة كثيرة للمجاز، مثل الاتّساع من الفنّان إلى الإبداع الفنّيّ. ويمكن لهذه القوالب أن تنطبق انطباقا مثمرا. فلو أنّ تايغر وودس يتحوّل من لعبة القولف إلى النّحت، لأمكننا مباشرة أن نحيل على واحد من إبداعاته بالقول [*this is a Tiger Woods*» هذا (واحد من أعمال) تايغر وودس»]. والمجاز مورد تقليديّ للاشتراك الدّلاليّ الّذي يَنتُج عندما يصير استعمال مجازيّ خاصّ متجذّرا وتواضعيّا. فكلمة [كنيسة]، حينئذ، يمكن أن تعرض بناية تستعمَل للّقاءات الدّينيّة أو تنظيما دينيّا يلتقي أفراده في مثل تلك البنايات:

(9) (أ) *They built a new church just out of town.*

أقاموا كنيسة عند طرف المدينة مباشرة.

(ب) *The church he belongs to has very odd beliefs.*

للكنيسة الّتي ينتمي إليها معتقدات غريبة.

في حين تتّعلّق الأمثلة المعهودة من المجاز المرسل بالأشياء، يمكن أن نلاحظ المجاز في عبارات تعرض العلاقات. انظر في هذين الاستعمالين لكلمة [*come* «أتى»]:

(10) (أ) *They came all the way from Los Angeles.*
لقد أتوا على طول الطّريق من لوس أنجولاس.
(ب) *He came at precisely 7:45 PM.*
أتى بالتّحديد عند 7:45 مساء.

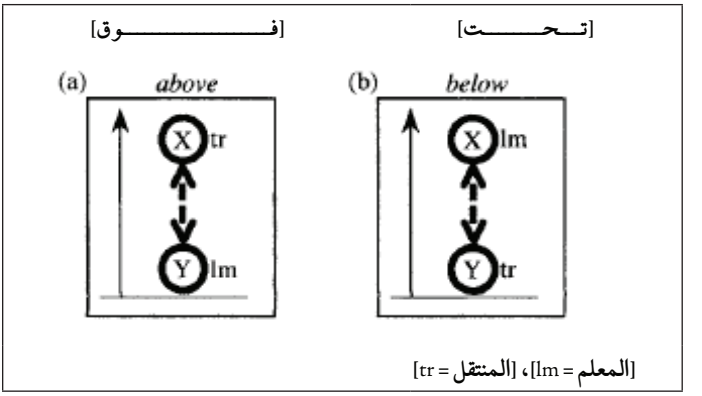
في (10) (أ)، تعرض [أتى] حدث التّنقّل بتمامه، على طول مسلك فضائيّ ممتدّ، كما يظهر في الرّسم البيانيّ 3. 8 (a). غير أنّ [أتى]، في (10) (ب)، لا تشير إلاّ إلى الطّور النّهائيّ من الوصول عند الهدف (وهذا ما يجعلها مماثلة لـ[وصل] في الرّسم البيانيّ 3. 8 (b)). وبما أنّ المعنيين يعرضان بنيتين فرعيّتين مختلفتين، فهما يترابطان ترابطا مجازيّا، وبما أنّ كلا المعنيين قائم تواضعيّا، تكون [أتى] من المشترك الدّلاليّ.

لقد رأينا إلى حدّ الآن حالات متعدّدة ينبثق فيها الفرق في المعنى من خيارات بدائل في المعروض داخل حدود الأساس الدّلاليّ نفسه. وإذ كانت المضامين في تلك الحالات متكافئة بالفعل، تكون هذه الفروق الدّلاليّة مسائل متّصلة بالانبناء - وخاصّة بتوجيه الانتباه إلى شيء أو علاقة يُفرَد الواحد منهما، بمقتضى ذلك التّوجيه، مرجعا مفهوميّا لعبارة ما. غير أنّ العرض ليس البناء النّظريّ الوصفيّ الوحيد الّذي يُحتاج إليه في ما يتعلّق ببؤرة الانتباه. فيمكن للمرء أن يجد بيسر عبارات متمايزة دلاليّا رغم اتّفاقها في نفس الأساس المفهوميّ وعرضِها لنفس العلاقة داخل حدود ذلك الأساس. فتكون، حينئذ، الحاجة إلى بناء نظريّ إضافيّ للتّمييز بين المعاني في العبارات العلائقيّة تمييزا ملائما. يكون ذلك في نوع آخر من البروز، هو تصفيف المعلم/المنتقل.

3.3.2 تصفيف المعلم / المنتقل

عندما تُعرَض علاقة ما، يُمنَح المشاركون فيها درجات متنوّعة من البروز. فأبرز المشاركين، يسمّى المنتقل (مق)، هو الوحدة الّتي تَنبَني على أساس كونها متموضعة، أو مقيَّمة، أو موصوفة. ومن زاوية انطباعيّة، يمكن أن توصَّف بكونها البؤرة الرّئيسيّة داخل حدود العلاقة المعروضة. وكثيرا ما يُجعَل مشارك آخر بارزا على أساس كونه بؤرة ثانويّة. وإن كان الأمر كذلك، يسمّى هذا المشارك معلَما (مع). ويمكن للعبارات أن تكون

ذات مضمون واحد، وتعرض نفس العلاقة، ولكنّها تختلف في المعنى لأنّها تجري خيارات مختلفة في المنتقل وفي المعلم.[15]



الرّسم البيانيّ 3. 9

الحرفان [*above* «فوق»] و[*below* "تحت"] مختلفان بهذا الوجه. وليسا مترادفين بكلّ وضوح. فأين يكمن التّباين بينهما في المعنى، إذن؟ لهما المضمون نفسه: كلّ واحد يعيّن الموضع الفضائيّ النّسبيّ لشيئين، باعتبار المحور العموديّ أساسا. وبالإضافة إلى ذلك، كما يُعرَض في الرّسم البياني 3. 9، يَعرِضان كذلك العلاقة نفسها: من زاوية مرجعيّة، [*X above* ٢ «[س] فوق [ص]»] هي العلاقة نفسها الّتي في [*٢ below X* "[ص] تحت [س]"]. فالتّباين الدّلاليّ يمكن أن يكمن فقط في درجة البروز الّتي تمنَح للمشاركين في العلاقة. نستعمل [*X above ٢*] لنحدّدَ موقع *X* (المشارك الأعلى)، ونستعمل [*٢ below X*] لنحدّد موقع ٢ (المشارك السّفليّ). وهذا يجعل من [*X*] و[*٢*] المنتقلَين فيهما تباعا. وفي كلّ حالة، يؤدّي المشارك الآخر دور معلم فضائيّ لأجل تلك الغاية. وهذا الفرق في تصفيف المنتقل/ المعلم، وهو مسألة انبناء، هو المسؤول، دون غيره، عن كون [فوق] و[تحت] متمايزين دلاليّا.

ولئن تباين [فوق] و[تحت] في اختيارهما للمنتقل، من حيث هو موصَّف بكونه المشارك الّذي تجري موضعته أو تقييمه، فإنّ على الخطاب، في بعض الأحيان، أن يحدّد أيّ واحد من الحرفين يُستَعمَل. هذا التّوقّع تؤيّده معطيات من قبيل ما يلي:

(11)

(أ)	*Where is the lamp?*	أين المصباح؟
	(ا) *The lamp (**tr**) is above the table (**lm**).*	المصباح (**منتقل**) فوق الطّاولة (**معلم**).
	(اا) **The table (**tr**) is below the lamp (**lm**).*	*الطّاولة (**منتقل**) تحت المصباح (**معلم**).
(ب)	*Where is the table?*	أين الطّاولة؟
	(ا) *The table (**tr**) is below the lamp (**lm**).*	الطّاولة (**منتقل**) تحت المصباح (**معلم**).
	(اا) **The lamp (**tr**) is above the table (**lm**).*	*المصباح (**منتقل**) فوق الطّاولة (**معلم**).

فالسّؤال في (11) (أ) يوضّح أنّ المصباح يؤوَّل على أساس كونه الشّيء الّذي تجري موقعته. في هذا السّياق، يكون الجواب صحيحا فقط عندما تخصِّص [مصباح] المنتقل، كما في الجواب (ا)، لا المعلم، كما في (اا). وفي (11) (ب)، حيث تمثّل [طاولة] الوحدة الّتي تجري موقعتها، يكون ذانك الحكمان معكوسين بطبيعة الحال.

ولا يكون لعبارات علائقيّة كثيرة إلاّ مشارك وحيد بؤريّ. وفي حال النّقصان يكون المشارك الوحيد البؤريّ، وجوبا، المشاركَ البؤريّ الرّئيسيّ، وهذا ما يجعل منه المنتقل. وفي الأفعال مثل [*come* «جاء»] و[*arrive* "وصل"]، تكون للمتنقّل هذه المنزلة (الرّسم البيانيّ 3. 8). فالعلاقة الّتي يعرضانها هي تَحوُّلُ المتنقّل خلال الفضاء الّذي يشتمل بوضوح على سلسلة من المواقع المتتالية يحلّ فيها المتنقِّل تباعا. ولئن كانت هذه المواقع المتتابعة تحمل تصوّر التّنقّل في الفضاء، فإنّها تظلّ في الخلفيّة بدل أن تبرُز عناصرَ مبأّرة.[16] وعلى هذا، يكون لهذين الفعلين منتقل ولكن لا معلم لهما.

ومن المهمّ أنّ نتنبه إلى أنّ منتقلا ما ليس من الواجب أن يكون متنقّلا (وليس كلّ متنقّل بالضّرورة منتقلا). وعوضا عن ذلك، يحدّد المنتقل والمعلم باعتبار البروز البؤريّ الرّئيسيّ والثّانويّ، لا باعتبار أيّ دور دلاليّ مخصوص أو أيّ مضمون دلاليّ. فالمفهومان، على هذا، قابلان للانطباق على أيّ نوع من المجالات العرفنيّة. ويمكن أن نرى ذلك في العبارتين اللّتين لا تدلاّن على التّنقّل [*have a parent* "ذو والد(ة)"] و[*have a child* "ذو طفل"]، كما تعرضان باختزال في الرّسم البيانيّ 3. 7. فرغم أنّهما تعرضان العلاقة نفسها، وهي علاقة سكونيّة وتجريديّة، تتمايزان دلاليّا بحكم التّقابل في تصفيفَي المنتقل/المعلم: [ذو والد(ة)] تصف طفلا، في حين تصف [ذو طفل] شخصا والد(ا/ة). لاحظ، بالإضافة إلى ذلك، أنّ البروز البؤريّ ليس

حكرا على الأشـياء - فالعلاقة يمكن أن تكون محلّ تبئير كذلك على أسـاس أنّها منتقل أو معلم. في (12)، على سبيل المثال، تعرض [*before* «قبل»] و[*after* "بعد"] علاقة سَـبْق زمنيّ بين حدثين، يمثّلان، تبعا لذلك، مشاركين علائقيّين؛ ولكن بما أنّ ذينك الحدثين جرى التّعبير عنهما في شكل جمل ذات مضمون تامّ، كانا في ذاتهما عبارتين علائقيّتين:

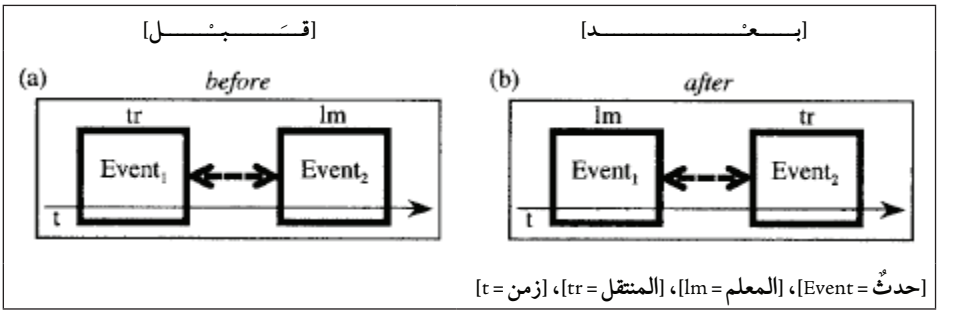
(12) (أ) *The other guests all left before we arrived.*

انصرف الضّيوف الآخرون جميعهم قبل أن نصل.

(ب) *We arrived after the other guests all left.*

وصلنا بعد أن انصرف الضّيوف الآخرون جميعهم.

ومـرّة أخرى، كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 3. 10، تشـير [*before* «قبل»] و[*after* "بعـد"] إلى مـا يمثّل مرجعيّا العلاقةَ نفسَـها. فالتّقابـل الدّلاليّ بينهما يكمن في اختيارهما للمنتقل والمعلم، لا في المضمون ولا في العرْض.



الرّسم البيانيّ 3. 10

وختامـا لمبحث البروز، ننظر في مسـألة الموقع الّـذي يمكننا أن نبحث فيـه عنـه. إذا كان عنصر ما بارزا، إمّـا باعتباره معروضا أو مشـاركا بؤريّا، فأيـن يكمن بروزه بالتّحديد؟ هو لا يكمن فـي العالم الخارجيّ. فإذا نظرنا في محيطنا، لا نرى أشـياء مادّيّة تحيط بها الخطوط الغليظة لتسِـمها بكونها معروضـات، ولا شـيء يكون في ذاته منتقلا أو معلمـا. والبروز، مثل مظاهر الانبناء الأخرى، ظاهرة مفهوميّة تلازم إدراكنا للعالم، لا العالمَ في حدّ ذاته.[17] لكنّ مجرّد التّسـليم بطبيعتها المفهوميّة لا يكفي. وحتّى في المسـتوى المفهوميّ، ليسـت الأشـياء في عالمنا الذّهنيّ ذات منزلة من صميمها تكون بمقتضاهـا معروضـا أو منتقـلا أو معلمـا. فهذه المنـازل مرتبطـة، على وجه التّخصيص، بالتّصوّرات الّتي تستحضَر على أساس أنّها معان للعبارات اللّغويّة.

إلى أيّ مدى تكون وحدة بارزة - سواء أدّت دور المعروض، أو المنتقل، أو المعلم، أو لا شيء ممّا ورد أعلاه- مرتبطة بالانبناء المفروض بالعناصر اللّغويّة المستعمَلة، في ضوء متطلّبات قيمها الدّلاليّة التّواضعيّة.

انظر في [*The lamp is above the table* «المصباح فوق الطّاولة»]. تكون للمصباح منزلة المنتقل فقط بحكم الكيفيّة الّتي بها يجري التّعبير عن الوضعيّة تعبيرا لغويّا. فهي تعكس قرار المتكلّم بأن يقول أين يوجد المصباح، وأن يستعمِل، تبعا لذلك، [فوق] الّتي تجعل البؤرة الرّئيسيّة على المشارك الأعلى عموديّا. ومع ذلك، لا شيء يرغِم المتكلّم على أن يبني المشهد أو يصفه بهذه الطّريقة. وفي سياق خطابيّ آخر (مثلا، في حال النّظر في شأن طاولة بعينها)، يمكن أن يقول المتكلّم عوضا عن ذلك [*The table is below the lamp* «الطّاولة تحت المصباح»]. يكون هنا المصباح نفسه هو المعلم فقط.

وأهمّ شيء يتمثّل في أنّ هذه الأنواع من البروز تستقيم في المستويات الخاصّة من التّنضيد البنيويّ. فعندما نولّف العناصر لنكوّن عبارات أوسع على التّدريج ، يكون للبنية المركّبة في كلّ مستوى معروضها الخاصّ بها، وإن عرضت تلك العبارة علاقة يكون لها تصفيف معلم/منتقل خاصّ بها. فعلى سبيل المثال، كلمة [طاولة]، بمفردها، تعرض شيئا مادّيا كما تفعل [الطّاولة]. ولكن في مستوى بنيويّ أعلى، تعرض [فوق الطّاولة] علاقةً فضائيّة. ولا تؤدّي [الطّاولة] دور المعلَم إلاّ عندما نبلغ هذا المستوى. وفي مستوى أعلى بعد هذا، حيث يحوِّر مركّب حرفيّ اسما، يفرض الأخير معروضه هو، على العبارة المركّبة: عبارةُ [المصباح فوق الطّاولة]، تعرِض المصباحَ، لا الطّاولة أو علاقة [فوق]. وهذا العنصر الإسمائيّ بتمامه يمكنَ أن يُستعمَل في وظيفة الفاعل أو المفعول، كما في [*She hates the lamp above the table* «هي تكره المصباح فوق الطّاولة»]. وفي مستوى الجملة، تكون العلاقة المعروضة [*hate* "كره"] (وليست [فوق])، ويكون المنتقل [هي]، والمعلم [المصباح] (وليس [الطّاولة]). وباختصار، كلّ بنية في تجميعة رمزيّة تُجري عمليّات إسناد البؤرة الخاصّة بها، فلا تحتاج وحدة ما مبؤَّرة في بنية ما إلى أن تكون ذات بروز مماثل في بنية أخرى.

4.3 المنظور

إذا كانت المفهمة (بطريقة استعاريّة) رؤيةَ مشهدٍ ما، يكون المنظور توزيعَ الرّؤية، وهو أجلى مظهر تُتَّخذ منه زاوية النّظر. وتحت تسمية المنظور،

أعتبر كذلك الحركيّة في صلتها بالكيفيّة الّتي تتنامى بها المفهمة خلال زمن المعالجة.

1.4.3 توزيع الرّؤية

يمثّل توزيع الرّؤية العلاقة الشّاملة بين "الرّائين" والوضعيّة الّتي تجري "رؤيتها". وفي ضوء ما نسعى إليه من الغايات يكون الرّائيان مُمَفهِمين يُدرِكان معاني العبارات اللّغويّة: المتكلّم والسّامع.

ويمكن القول إنّ توزيعا واحدا مخصوصا من توزيع الرّؤية مشترَكا في التّفاعلات الحواريّة اليوميّة، ذو منزلة محايدة من حيث يكون مقتضى ما قبليّا ما لم يظهر سبب يثبت العكس. ويكون المتحاورون، في التّوزيع المحايد، معا في موقع ثابت، منه يرصدون الأحداث الحقيقيّة في العالم من حولهم ويصفونها. ويُستدعى هذا التّوزيع المحايد بصفة ضمنيّة في أنواع النّماذج من الجمل الّتي يخترعها اللّسانيّون لغايات تفسيريّة، مثل [المصباح فوق الطّاولة] أو [قبّل جون ماري].

وبسبب كون منزلة هذا التّوزيع محايدة بالتّحديد، فهو ينزع إلى أن يكون غير مرئيّ عند النّاس. ولكن رغم أنّنا نعتبر توزيع الرّؤية المحايد أمرا مفروغا منه، فهو جزء ضروريّ من الأرضيّة المفهوميّة الّتي تدعم معنى عبارة ما وتحدّد شكلها. ويزداد التّوزيع المحايد ظهورا عندما نتأمّل جملة المظاهر الّتي تنحرف عنه ونحن نسجّل التّغيّرات الّتي تنجَرّ عنها في الشّكل والمعنى. ومن أكثرها ظهورا، العبارات الّتي تحقّق أعمالا أخرى ما عدا الوصف، من قبيل الأسئلة والأوامر:

(13) (أ) *Is the lamp above the table?*
هل المصباح فوق الطّاولة؟

(ب) *Kiss her*!
قبّلْها!

ومن زاوية دلاليّة، لا تخبرنا الجملتان عمّا يجري بل تتضمّنان نوعا مخصوصا من التّفاعل بين المتكلّم والسّامع، يسمَّى في العادة عملا لغويّا. وهذا المعنى الخاصّ يشار إليه بأشكال متميّزة (بما في ذلك ترتيب الكلمات، و/أو التّنغيم، و/أو غياب فاعل ظاهر). ولكنّ معاني أنواع الجمل «الخاصّة» مثل الجمل الاستفهاميّة وجمل الأمر الّتي تتضمّن الأعمال اللّغويّة

ليست الوحيدة الّتي يشـار إليها بأشكالها. فالوصف البسيط يمثّل كذلك نوعا من التّفاعل بين المتكلّم والسّـامع، والشّـكل التّقريريّ الأساسيّ (أي غياب الوسـم الخاصّ) يمكن أن يعتبَر طريقة في الإشارة إلى ذلك التّفاعل.[18] ونحن نميل إلى إهمال هذا التّخصيص لسبب وحيد يتمثّل في أنّه يعكس توزيعَ الرّؤية المحايد الّذي يكون الوسـم الصّفر بالنّسبة إليه، طبيعيّا وأيقونيّا في آن (هايمان 1985).

تكشف نظرة خاطفة إلى ملابسـات الرّؤية غير القياسيّة عن المدى الّذي يكون به توزيع الرّؤية المحايد حالة خاصّة، حقيقة. أوّلا، تقصر نسـبة كبيرة ممّا نصِف عن بلوغ منزلة النّماذج الفعليّة الّتي تُلاحَظ أو تعرَف بكونها واقعيّة. فنحن نتحدّث، في الغالب، عمّا لم يقع، وكذلك عمّا يمكن أن يحدث، أو لا يمكن أن يحدث، في المستقبل. ونستدعي بصفة فوريّة وضعيّات افتراضيّة، حتّى ما يعـرف منها بكونه كاذبا، ونرصد تطوّرهـا اللاّواقعيّ (مثلا، [*If you have asked for directions we wouldn't have gotten lost* «لو كنتَ قد سـألتَ عن الطّريق، لما تهنا»»].

وبالإضافة إلى ذلك، نحن نحيل على جميع هيآت الوحدات الّتي تكون افتراضيّـة، و/أو خياليّة، و/أو مزيجـا، و/أو تجريديّة و/أو ذات تناقض داخليّ ([*every flea* "كلّ برغوث"]، [*Santa Claus* "سـانتا كلاوس"]، [*pet rock* "الحجر الأليـف"]، [*compassionate conservative* "محافظ رحيـم"]، [*four-sided triangle* "مثلّث رباعيّ الجوانب"]، [*the square root of minus one* "الجذر التّربيعي لسـالب واحد"]، [*last digit in the decimal expansion of pi* "الرّقم الأخير من الامتداد العشريّ لِـ(*pi*)»]).

فـي الواقع، تكون مظاهر الانحراف الّتي تنطلق من توزيع الرّؤية المحايد والّتي تشـمل موقع الرّائين النّسبيّ، من نوع مختلف. على سبيل المثال، عوض أن يحلّ الرّائي في موقع ثابت، يُتصوَّر غالبا على أنّه متنقّل. في (14) (أ)، تصف العبارة [*through this valley* "خلال هذا الوادي"] مسـلك التّنقّل عند الرّائي الّذي يظلّ، في خـلاف ذلك، ضمنيّا. وفي العبارة (14) (ب) لا يمكن أن يكون الكلام منسـجما إلاّ بالرّحلة المفترضة ما قبليّا بأن توصّف مدّة النّوم باعتماد مسافة فضائيّة.

(14) (أ) *It's pretty through this valley*.
المنظر جميل خلال هذا الوادي.

(ب) *She's been asleep for 30 miles.*

(هي) ظلّت نائمة خلال 30 ميلا.

(ج) *The trees are rushing past at 90 miles per hour.*

تجري الأشجار إلى الخلف بسرعة 90 ميلا في السّاعة.

(د) *The forest is getting thicker.*

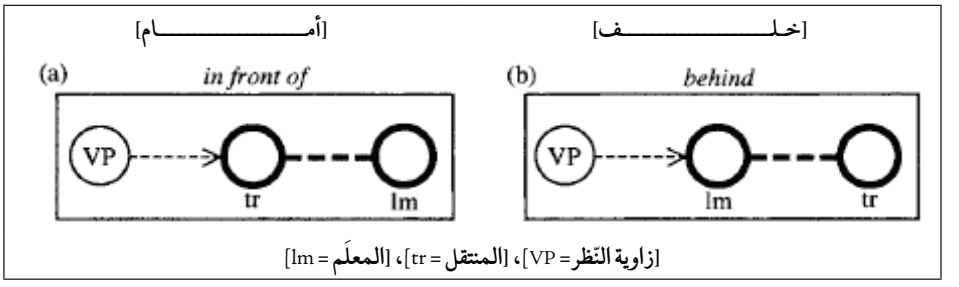
تزداد الغابة كثافة.

ويمكن كذلك أن تولّد حركة التّنقّل الّتي يؤدّيها الرّائي إدراكا للتّغيّر الّذي، وإن كان افتراضيّا في طبيعته، يوصَف كما لو كان حقيقيّا. ففي حين يمكن في (14) (ج) أن تكون الأشجار متنقّلة بالفعل، يكون التّأويل الأرجح في أنّ رائيا متنقّلا (ربّما كان يركب قطارا) يصِف الانطباع البصريّ الّذي يحصل عليه بأن يتخيّل توزيع الرّؤية المحايدَ حيث يكون الرّائي ساكنا. وكذا التّأويل الأرجحُ للعبارة (14) (د)، لا يتضمّن أيّ تغيّر في الغابة. ولكنّ الحركة خلال الغابة تجعل الرّائي يلامس أجزاءها المختلفة الّتي تُرَى - إذا انبنت تخيّليّا على أساس كونها الوحدة نفسها- على أنّ كثافتها تزداد. ورغم أنّ هذه العبارات لا تحيل صراحة على تنقّل الرّائي، فإنّ ذلك يمثّل جزءا من أرضيّتها الدّلاليّة إذ هو ضامن إلى حدّ كبير لانسجامها المفهوميّ واستقامة شكلها، كذلك.

وتكمن إمكانيّة أخرى في كون المتخاطبين منفصلين في الفضاء أو في الزّمان. انظر في التّقرير التّافه [*It's warm here* «الجوّ دافئ هنا»]. في محادثة حضوريّة، تحيل [هنا] على المساحة الّتي يتموضع فيها كلّ من المتكلّم والسّامع. ولكن في سياق مكالمة هاتفيّة بعيدة، تتحدّد الجهة القريبة الّتي تشير إليها، في علاقتها بالمتكلّم دون غيره: [*It's warm here, but it must be cold where you are* «الجوّ دافئ هنا، ولكن ينبغي أن يكون باردا حيث أنت»]. وممّا يصلح مثالا في الانفصام في الزّمان، الرّسالة الصّوتيّة المسجّلة الّتي يسمعها المرء عندما يُجري مكالمة هاتفيّة ويكون المجيب جهازَ الرّدّ الآليّ. وقد تبدأ تلك الرّسالة بالتّقرير [*I'm not here right now* «لستُ هنا الآن]، الّذي يمثّل في ذاته تناقضا إذا سلّمنا بوجود توزيع الرّؤية المحايد (بحكم التّعريف، [هنا] هو حيث أوجَد أنا الآن). غير أنّ المتكلّم، عند تسجيل الرّسالة الصّوتيّة، يؤوِّل [الآن] على أنّها تحيل على الزّمن اللاّحق الّذي سوف يسمعها فيه شخص مهاتف، وفي ذلك الوقت لا يكون المتكلّم في بيته (هنا). فما يجعل الرّسالة

منسجمة وسهلة الفهم هو تمثّلنا للوضعيّة التّواصليّة الشّاملة، جزءا من الأرضيّة المفهوميّة الضّمنيّة. ومن أمثلة الانفصام في الزّمان والفضاء البارزة، نجد علامة أو رسالة تنبيه، من قبيل [*Shake well before using* «خضّ جيّدا قبل الاستعمال»] (صادوك 1974). والوسيط التّعبيريّ، هنا، هو الكتابة عوضا عن الكلام. وبالإضافة إلى ذلك، ليس الكاتب شخصا بعينه، ولكنّه صوت سلطة معمَّم (ربّما كان المصنّعَ)، والقارئُ هو كلّ من يصادف أن يستعمل ذلك المنتَج، ويكون حدث الاستعمال كلّما يقرأ ذلك التّنبيه وحيثما يقرَأ. وزمن الكتابة ومكانها المخصوصان غير معلومين وغير مفيدين.

ومن مكوّنات توزيع الرّؤية، زاوية نظر مفترضة ما قبليّا. وفي توزيع الرّؤية المحايد تتمثّل زاوية النّظر في الموقع الحقيقيّ للمتكلّم والسّامع. ويمكن للوضعيّة المادّيّة نفسها أن تلاحَظ وتوصَف من عدد لا يحصى من زوايا النّظر المختلفة منتجة بذلك وجوها مختلفة من الانبناء تكون ذات تبعات ظاهرة. فالكثير من العبارات تستدعي، بوجه لا يقبل الإنكار، زاوية نظر جزءا من معناها (وعلى الأرجح، جميع العبارات تفعل ذلك). في واحد من استعمالاتهما الأساسيّة، مثلا، تعوّل [*in front* "أمام"] و[*behind* "خلف"] على زاوية النّظر لتحديد موقع المنتقل إزاء المعلم. يُعرَض ذلك باختزال في الرّسم البيانيّ 3. 11، حيث تشير [VP] إلى زاوية النّظر (**ز. ن.**)، ويشير السّهم المتقطّع إلى خطّ الإبصار عند الرّائي. وفي الحالتين كلتيهما يتوسّط مشارك بؤريّ واحد خطَّ الإبصار الّذي يقود من زاوية النّظر إلى المشارك الآخر. ويكمن التّباين الدّلاليّ، كما كان في الأمثلة السّابقة، في اختيار المنتقل والمعلم، وإن لا فرق كبير في المضمون وفي العرض.



الرّسم البيانيّ 3. 11

إذا تخيّلنا مشهدا فيه صخرة عظيمة وشجرة، ترتبط كيفيّة تشفيرها لغويّا بزاوية النّظر الّتي نتّخذها. لنفترض أنّ الصّخرة، والشّجرة، وزاوية النّظر مصفّفة

على خطّ واحد مستقيم في الجملة، كما يشار إليه في (15) (أ). عندئذ، إذا كانت زاوية النّظر قائمة بشكل تتوسّط فيه الصّخرة في خطّ الإبصار (**ز ن**$_1$)، يمكننا أن نستعمل، لحسن الحظّ، أيّا من الجملتين في (15) (ب). وإذا كانت زاوية النّظر قائمة بشكل تتوسّط فيه الشّجرة في خطّ الإبصار (**زن**$_2$)، تكون الجملتان في (15) (ب) مناسبتين، بدل ذلك.

(15) (أ) VP_1 ---› (**rock**)_____(**tree**) ‹--- VP_2

زن$_1$ ---› (**صخرة**)_____(**شجرة**) ‹--- **زن**$_2$

(**ب**) *VP_1: The rock (**tr**)is in front of the tree (**lm**). The tree (**tr**)is behind the rock (**lm**).*

زن$_1$: الصّخرة (**منتقل**) أمام الشّجرة (**معلم**). الشّجرة (**منتقل**) خلف الصّخرة (**معلم**).

(**ج**) *VP_2: The tree (**tr**)is in front of the rock (**lm**). The rock (**tr**)is behind the tree (**lm**).*

زن$_2$: الشّجرة (**منتقل**) أمام الصّخرة (**معلم**). الصّخرة (**منتقل**) خلف الشّجرة (**معلم**).

وليس من الضّروريّ أن تكون زاويةُ النّظر المتّخذة لغايات لغويّة، بطبيعة الحال، موقعَ المتكلّم الحقيقيَّ. فيمكننا بيسر أن نتّخذ زاوية افتراضيّة وأن نتخيّل كيف يكون المشهد، مرئيّا من هناك. وقد يكون ما يلي، حينئذ، مناسبا سريعا فهمُه عندما يُتلفَّظ به من **زن**$_1$:

(16) *VP_1: If you were standing over there* [*at VP_2*], *the tree would be in front of the rock.*

زن$_1$: لو كنت واقفا هناك [عند **زن**$_2$] لكانت الشّجرة أمام الصّخرة.

وهذه القدرة على اتّخاذ زاوية نظر غير واقعيّة بوجه افتراضيّ أو على الأقلّ القدرة على تطويعها، تمكّننا من وصف وضعيّة ما من منظور السّامع أو شخص آخر.

لئن كان مصطلح [زاوية النّظر] موحيا بالفضاء وبالإبصار، فهو أداة نظريّة وصفيّة مفيدة في مجالات أخرى كذلك، وعلى الخصوص، مجال الزّمن. كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 3. 12، يَستحضر المركّب [*nextyear* «العام القادم»]، من حيث كانت أساسا له، سلسلةً من الأعوام تَعرض ضمن حدودها العامَ الّذي يتبع مباشرة العامَ المشتمل على زاوية النّظر الزّمانيّة. وفي الوضعيّة المحايدة، تطابق زاوية النّظر تلك زمنَ التّكلّم، كما في (17) (أ).

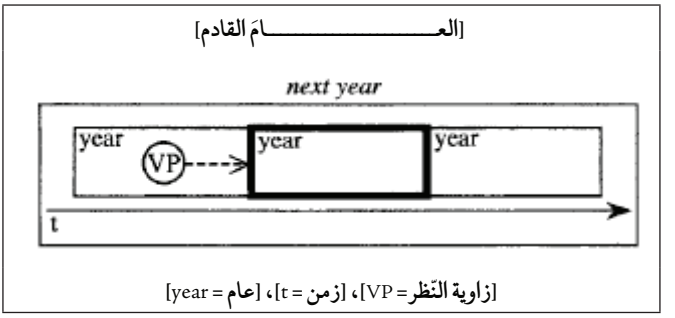
(17) (أ) *Next year will be full of surprises.*

يكون العام القادم مليئا بالمفاجآت.

(ب) *Joe believed that next year would be full of surprises.*

اعتقد دجو أنّ العام القادم قد يكون مليئا بالمفاجآت.

ولكن، يمكننا هنا بيسر كذلك أن نتّخذ زاوية نظر أخرى تختلف عن تلك الّتي يحدّدها حدث الكلام. في (17) (ب)، تستدعي [العام القادم] زاوية نظر زمانيّة تتحدّد بكونها زمن الجملة الرّئيسيّة (النّواة الإسناديّة): العام المقصود هو ذاك الّذي يتبع مباشرة العام الّذي كان فيه لدجو معتقده ذاك (لا العام الّذي أنتِجت فيه الجملة).



الرّسم البيانيّ 3. 12

ويرتبط بزاوية النّظر، ارتباطا وثيقا، مظهر من مظاهر الانبناء لطيفٌ ولكن مهمّ يُعرَف في النّحو العرفنيّ بالذّاتيّة مقابل الموضوعيّة. ولئن كان عامّا جدّا في التّطبيق، فأفضل وجه يمكن تقديمه به يكون باعتماد الإدراك البصريّ. تخيّل نفسك من الجمهور الحاضرين في مسرح ما، تشاهد مسرحيّة خلاّبة. وانتباهك كلّه موجَّه إلى الرّكح، ومركّز، على الأخصّ، على الممثّل الّذي يتكلّم حينها. يكاد لا يكون لك أيّ وعي بنفسك أو بالملابسات المحيطة بك مباشرة، أنت منشغل تمام الانشغال بالمسرحيّة. يزيد توزيع الرّؤية هذا، حينئذ، من درجة اختلال التّناظر بين الرّائي وما هو مرئيّ، يسمّى كذلك، الذّات المدركة وموضوع الإدارك. ويُقال في هذا التّوزيع ذي القطب الثّنائيّ، حيث يكون دور عدم التّناظر في الرّؤية قد زاد إلى أقصى حدّ، عن الذّات الرّائية إنّها منبنية بذاتيّة قصوى، وعن الموضوع إنّه منبن بموضوعيّة قصوى. والانبناء الذّاتيّ سمة من سمات دور الرّائي في ذاته - أي من حيث هو موقع من خارج الرّكح للتّجربة الإدراكيّة الّتي لا تدرَك هي في ذاتها. وعلى خلاف ذلك، يوصِّف الانبناء الموضوعيّ تبئيرَ الانتباه على الرّكح الّذي لا يشارك في الرّؤية (على الأقلّ في هذا المضمار). وبكلّ وضوح، تكون الوحدة الّتي تنبني انبناء موضوعيّا، بحكم كونها محلّ الانتباه، أكثر بروزا منها كائنة في الانبناء الذّاتيّ.[19]

ولغايات لسانيّة، نهتمّ بالنّظير المفهوميّ العامّ لعدم التّناظر الإدراكيّ من هذا القبيل. ويتمثّل فاعِلا التّصوّر في المتكلّم وفي السّامع، اللّذين يدركان معاني العبارات. فعندما يعملان بحكم هذه القدرة فقط، أي من حيث يكون الواحد منهما كيانا حاضرا ضمنيّا لا يتصوَّر في ذاته، يكونان منبنيين انبناء على درجة قصوى من الذّاتيّة. وفي الطّرف المقابل، يكمن موضوع الانتباه المبأَّرُ: الشّيء الذّي تجعله العبارة على الرّكح وتعرضه. فالانبناء الموضوعيّ، إذن، يترابط مع العرْض والذّكر الظّاهر، والانبناءُ الذّاتيّ يترابط مع الموقع الضّمني للوعي. غير أنّ كون الشّيء ضمنيّا لا يعني كونه غائبا. فالتّصوّرُ الّذي يُكوِّن معنى عبارة ما، يتجاوز حدودَ مضمونها الماثل على الرّكح (والّذي لا يوجد منعزلا)، ويشمل، بالإضافة إلى ذلك، نمطَ الإدراك الّذي يكون له من الممفهمين الكائنين خارج الرّكح في سياق توزيع الرّؤية بصورة شاملة.

يكون المتكلّم والسّامع، في دورهما المضمَر من حيث كانا ذاتين متصوّرتين، دائما، جزءا من الأرضيّة المفهوميّة الّتي تحمل معنى عبارة ما.[20] وإن كان ذلك دورَهما الوحيد، فهما دائما ضمنيّان، وينبنيان انبناء ذا ذاتيّة قصوى. لكن يمكن لهما أن يؤدّيا، بدرجات مختلفة، دور موضوعين للتّصوّر، فيكونان في هذه الحالة أكثر بروزا بحكم كونهما منبنيين انبناء ذا موضوعيّة أكبر. وتتمثّل أقصى الحالات في أن يُجعَلا على الرّكح بؤرةً للانتباه: يُعرَض المتكلّم والسّامع بواسطة ضمير المتكلّم وضمير المخاطب وبدائلهما (أنا، أنت، نحن، إلخ) بأن يذكرا ذكرا صريحا، وينبنيان انبناء موضوعيّا. وهناك إمكانيّات وسيطة كذلك. في (15)، لا يكون المتكلّم والسّامع مجرّد ذاتين متصوّرتين، هما كذلك الرّائيان اللّذان تُستحضَر زاوية النّظر وخطُّ الإبصار عندهما بكلمة [*in front of* «أمام»] و[*behind* «خلف»] (الرّسم البيانيّ 3. 11). فهما، إلى هذا الحدّ، ماثلان في المشهد الموصوف، فدورهما، إذن، ليس ذاتيّا بصفة كلّيّة. ولا هو موضوعيّ بصفة تامّة، لأنّهما يظلاّن خارج الرّكح، وغيرَ معروضين، وضمنيّين، حتّى وإن كانت لهما قدرة إضافيّة على الرّؤية.

يجري مصطلح الأرضيّة على المتكلّم، وعلى السّامع، وعلى حدث الكلام الّذي يشاركان فيه، وعلى الملابسات المباشرة المحيطة بهما (مثل زمان الكلام ومكانه). وتساهم الأرضيّة، من حيث كانت «منصّة» لإدراك

المضمون المستحضَر، في بناء معنى كلّ عبارة، حتّى وإن انبنى انبناء ذا ذاتيّة قصوى. ورغم ذلك، تستحضَر عادة وجوه الأرضيّة ذاتها جزءا من ذلك المضمون. وتُعرَض الأرضيّة في الأغلب الغالب؛ وبما أنّنا معنيّون طبيعيّا بأنفسنا وبالملابسات الّتي تحيط بنا، تكون كلمات مثل [أنا]، و[أنت] و[هنا]، و[الآن]، ذات تواتر عال. غير أنّه قد يكون من المألوف بدرجة أكبر أن تكون وجوه الأرضيّة ماثلة خارج الرّكح وأن تكون منبنية بأدنى ما يكون من الموضوعيّة. فهي تنزع إلى أداء دور النّقاط المرجعيّة الضّمنيّة لتحديد موقع الأشياء الّتي تُتَصوَّر بموضوعيّة أكبر إزاء الخلفيّة. وكنّا قد رأينا هذا في (15) و(17) (أ): مثلما يُستحضَر مكانُ التّكلّم بشكل مضمر من حيث هو زاوية نظر فضائيّة في [أمام]، و[خلف]، يؤدّي زمن التّكلّم ضمنيّا دورَ النّقطة الزّمانيّة المرجعيّة في عبارة [العام القادم].

وبالفعل، يكون دور الأرضيّة من حيث هي نقطة مرجعيّة مضمَرة، موجودا بصفة كلّيّة. حتّى إذا ما كانت الأرضيّة ضمنيّة ومنبنية انبناء ذا درجة مهمّة من الموضوعيّة، فهي تشتغل بحكم هذه القدرة، مع كلّ إسمائيّ تامّ وكلّ مركّب جُمَليّ منته (الفصل 9). فيكون التّعرّف على زمن الفعل، مثلا، من الأرضيّة: [*was* «كان»]، [*is* «يكون»] و[*will* «سوف»] هي الماضي والحاضر والمستقبل بالقياس إلى زمن التّكلّم. وفي مجال الإسمائيّات يشتغل معيار مشابه هو التّعيين، كما في المقابلة بين [*a rock* "صخرة"] (نكرة) و[*the rock* "الصّخرة"] (معرفة). يرتبط التّعيين بالمتكلّم والسّامع، لأنّه يتعلّق بما إذا كان المرجع الاسميّ ظاهرا عند كلّ من المتحاورَين، دون غيرهما، في سياق الخطاب الجاري. لاحظ أنّ واسمات الزّمان والتّعيين المنحاةَ تستدعي بعض الوجوه من الخلفيّة ولكنّها لا تذكره صراحة: [الآن] ليست مضمّنة في واسمات الزّمن التّصريفيّ في اللّغة الإنجليزيّة (مثال [*-ed* «ماض»]، و[*-s* "حاضر"]، و[*will* "سوف"])، ولا تتضمّن واسمات التّعيين (مثل [*a*] و[*the*]) الضّميرين [أنا] و[أنت].

3. 4. 2 البعد الزّمنيّ

المفهمة في صميمها حركيّة - وليست شيئا ذا وجود سكونيّ، هي بدل ذلك شيء يجري. هي تكمن في المعالجة الذّهنيّة (أو النّشاط العصبيّ)، وتبعا لذلك، تجري خلال الزّمن. وعندما يُنظَر إلى الزّمن من زاوية هذه القدرة، من حيث هو وسيط حامل للتّصوّر، يحال عليه بكونه زمن المعالجة.

وكلّ مفهمة تقتضي لحدوثها مدى من زمن المعالجة. وحتّى المفهمة الواحدة الّتي نعيشها على أنّها لحَظيّة (مثل الإحساس بوخزة إبرة) تكون ذاتَ مدّة زمنيّة وذاتَ مجرى لتبلورها، عندما تُفحَص على سلّم زمنيّ صغير بما يكفي. وترتبط الحركيّة، من حيث كانت مظهرا من مظاهر الانبناء، بالكيفيّة الّتي تتبلور بها مفهمة ما وتتنامى خلال زمن المعالجة، وخاصّة في سلّم زمنيّ أكبر حيث تكون تبِعاتها متوفّرة عن طريق الاستبطان.[21]

ينبغي تمييز زمن المعالجة من الزّمن المُتَصوَّر- أي الزّمن من حيث هو موضوعُ تَصوُّر. وينبني الزّمن بطريقة أكثر موضوعيّةً عندما يُعرَض مدى زمنيّ ما، على سبيلِ المثال، بعبارات من قبيل [*moment* «لحظة»]، و[*period* «مدّة»]، و[*nextyear* «العام القادم»] (الرّسم البيانيّ 3. 12). وينبني الزّمن كذلك انبناء موضوعيّا، وإن لم يكن بؤرة للانتباه، عندما يؤدّي دورَ المجال العرفنيّ الّذي تتجلّى فيه علاقة معروضة، كما في [قبل] و[بعدَ] (الرّسم البيانيّ 3. 10). والزّمن كذلك ماثل في تصوّر كلّ حدث، بما أنّ الأحداث تجري خلال الزّمن. فالفعل [دخل]، مثلا، يشير إلى علاقة في الفضاء (الرّسم البيانيّ 2. 1)، لكنّ التّغيّر في التّشكّل الفضائيّ لا يمكن أن يتحقّق إلاّ على المحور الزّمني. يمكن أن يكون الفصل بين الزّمن المتصوّر وزمن المعالجة صعبا، لسبب وحيد يتمثّل في أنّ المفهمة تجري بالضّرورة خلال الزّمن. وفوق ذلك، ينبغي أن يكونا مفصولين فصلا واضحا لغايات دلاليّة. ففي فهم جملة مثل (18)، نشترط حيّزا قصيرا من زمن المعالجة (ربّما ثانية واحدة) فقط لنُجري مسحا خلال حيّزٍ من زمن المعالجة مختلفٍ عنه وأكبر منه بكثير (ربّما ساعة واحدة).

(18) *The long procession slowly entered the city*.
«دخل الموكب الطّويل المدينة ببطء».

هناك نزوع طبيعيّ من الزّمن المتَصوَّر وزمن المعالجة إلى أن يكونا متصافّين، بوجه يكون فيه التّرتيب الّذي تُتصوَّر عليه الأحداث جاريةً، مطابقا للتّرتيب الّذي تُمفهَم عليه وتوصَف. وهذه الأيقونيّة الزّمنيّة معروفة جدّا في أمثلة من قبيل (19) (أ) الّذي يمكن أن يؤوَّل في العادة بكونه مشيرا إلى أنّ الاستقالة من العمل سبقت الزّواج، وأنّ الزّواج سبق الولادة، رغم أنّ الجملة لا تقول ذلك قولا فعليّا.

(19) (أ) *I quit my job, got married, and had a baby.*

تركت عملي، وتزوّجت، وأنجبت رضيعا.

(ب) *I had a baby, got married, and quit my job–in reverse order, of course.*

أنجبت رضيعا، وتزوّجت وتركت عملي - في ترتيب معكوس، بطبيعة الحال.

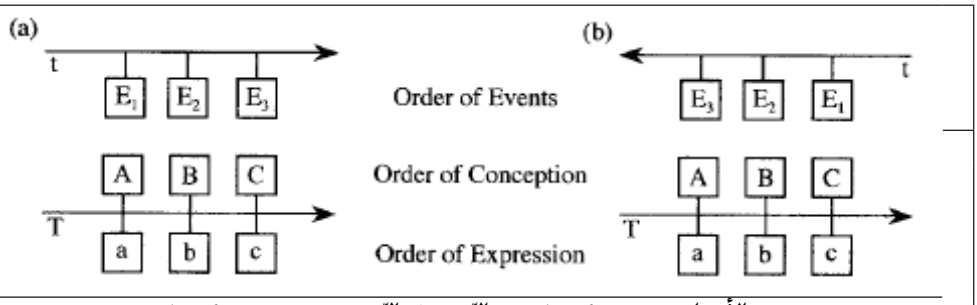
لكنّ هذه الأيقونيّة ليست إلاّ نزعة فقط. فيمكننا الاهتداءُ إلى تلك الأحداث ذهنيّا ووصفُها لغويّا في تعاقبٍ يختلف عن تعاقبها، بل يجري مباشرة عكسَ ترتيبها في الحدوث. وعلى هذا، يمكن أن تُستعمَل الجملة (19) (ب) استعمالا جيّدا مقبولا في السّياق المناسب (أي جوابا عن سؤال: [*What are the most important things that happened to you last year?*" ما هي أهمّ الأشياء الّتي حدثت لك العام الماضي؟"]).

يرد تمثيل الأيقونيّة الزّمنيّة من النّوع الّذي يلاحَظ في (19) (أ)، في الرّسم البيانيّ 3. 13 (a). تشير السّهام العليا والسّفلى تباعا إلى الزّمن المتصوّر (t) وزمن المعالجة (T). (E_1)، و(E_2)، و(E_3) ثلاثة أحداث (مثل ترك العمل، والزّواج، وإنجاب طفل). وترمز [A]، و[B]، و[C] إلى مفهمة كلّ حدث وهي تجري في بناء العبارة الّتي تصف تلك الأحداث وفي فهمها، في حين تشير الأحرف الصّغيرة من جنسها إلى تلك العبارات أنفسها (مثل، [*I*] *got married*, [*I*] *quit my job* and [*I*] *had a baby* «أنا تركت عملي، و[أنا] تزوّجت، و[أنا] أنجبت رضيعا»].

وعندما يكون التّلفّظ بجملة من قبيل (19)(أ)، ينطق بالعبارات المكوّنة لها في ترتيب محدّد ($a > b > c$)، كلّ عبارة منها تعكس أو تقدح ترتيبا في عمليّات المفهمة الّتي ترمز إليها ([A] < [B] < [C]). ويجري كلّ من التّصوّر والتّعبير (ويكونان متصافّين) خلال زمن المعالجة (T). وتكتمل الأيقونيّة عندما يجري تَصوُّر الأحداث، وقد تُصوِّرت على تلك الشّاكلة، زيادة على ذلك، على أنّها حادثة في ذلك التّرتيب عينه ((E_3) < (E_2) < (E_1)) خلال الزّمن المتصوّر (t). فيكون التّنسيق تامّا في سَلسَلة الأحداث، وفي تصوّرات الأحداث، وأوصاف الأحداث.

يرد تمثيل تخطيطيّ للتّصفيف غير الأيقونيّ لجملة مثل (19)(ب)، في الرّسم البياني 3. 13. وكما جرت العادة دائما، يترابط التّعاقب الّذي ترد فيه العبارات المكوّنة ($c > b > a$)، مع ترتيب لعمليّات المفهَمة الّتي ترمّزها ([A] < [B] < [C]). ورغم ذلك، لا يمتدّ، هنا، هذا التّصافّ في قطبي زمن المعالجة على الأحداث

المناسبة في الزّمن المتصوّر. يكون الاهتداء الذّهنيّ، من خلال العبارة اللّغويّة، إلى الأحداث وفق التّرتيب (E_1) > (E_2) > (E_3)، والحال أنّها متصوَّرة على أنّها حادثة حدوثا فعليّا في التّرتيب المعكوس، أي (E_3) > (E_2) > (E_1). ويمكننا أن نحقّق هذا، بكلّ تأكيد، تحقيقا مفهوميّا ولغويّا، لكنّ ذلك يزيد، بالفعل، كلفة في المعالجة. يشار إلى الحاجة إلى مجهود إضافيّ في المعالجة بالتّذييل الوارد في (19)(ب): ["في ترتيب معكوس، بطبيعة الحال."] يوجّه ذلك السّامعَ إلى إعادة مفهمة الأحداث الموصوفة، بالعبور من خلالها ثانية، ولكن بتسلسل معاكس تماما للتّرتيب الّذي وردت عليه في ذِكرها الأوّليّ. فلا يستطيع السّامع بلوغ إدراك مناسب لترتيبها الزّمني الفعليّ إلاّ من خلال هذا النّوع من التعقّب العكسيّ.



[**ترتيب الأحداث** = Order of Events]، [**التّرتيب في التّصوّر** = Order of Conception]،

[**التّرتيب في العبارة** = Order of Expression]،

[**الحدث** = E]، [**زمن التّصوّر** = t]، [**زمن المعالجة** = T]

الرّسم البيانيّ 3. 13

يكون ترتيب الذِّكر من زاوية مفهوميّة ودلاليّة دائما منطقيّا حتّى إذا لم يكن ترتيب الأحداث واَحدا من العوامل المنظِّمة له. ومن أمثلة ذلك الأثر الدّلاليّ الّذي تحدثه الموضعة القبليّة للعبارة الظّرفيّة على النّواة الإسناديّة، كما يظهر ذلك في المقابلة الموالية:

(20) (أ) *A dead rat lay in the middle of the kitchen floor.*

كان جرذ ميّت ملقى في وسط أرضيّة المطبخ.

(ب) *In the middle of the kitchen floor lay a dead rat.*

في وسط أرضيّة المطبخ، كان جرذ ميّت ملقى.

فرغـم تكوّن الجملتين من العناصر نفسـها، كان لهما معنيان مختلفان. فالتّباين الدّلاليّ بينهما لا يَكمُـن في الوضعيّة الموضوعيّة الموصوفة بل في الكيفيّـة الّتي يكون بهـا الاهتداء إليها ذهنيّا. يسـاير ترتيب الكلمات غير المعهـود في (20) (ب) نزعةً خطابيّةً عامّة تتمثّل في ورود المعلومات المعطاة سـابقة على المعلومات الجديدة، وتسـمح في نفس الوقت بإضافة مشارك جديد في موقع الفاعل النّحويّ، أيضا (انظر برنر 1994). فالجملة توجّه الانتباه أوّلا إلـى موضع يكون قابلا لأن يهتدَى إليه من ذي قبل، ثمّ بعد ذلك تأتي بمشـارك جديـد [«جرذ ميّـت»] في الخطـاب بأن تجعله قائمـا في ذلك الموضـع. وتأتـي الحجّة علـى أنّ البناء في (20) (ب) له هـذه القيمة الدّلاليّة الخاصّة، من عدم اسـتقامة عبـارات تتعارض بنيتها الإخباريّـة معها.[22] على سبيل المثال، الجملة (21) (ب) غير مستقيمة لأنّ الفاعل يحيل على المتكلّم، وهـو يعتَبَر دائما معطى، وقائما بصفة مسـبقة في الخطـاب. ومقابل ذلك، لا تستقيم الجملة (21) (ج)، حيث يرد ذكر المستودع في موقع المركّب الأوّل فيكون نتيجة لذلك معطى لغايات في الثّاني.

(21) (أ) *I lay in the middle of the kitchen floor.*
أنا ملقى في وسط أرضيّة المطبخ.
(ب) ** In the middle of the kitchen floor lay I. ?*
؟ * في وسط أرضيّة المطبخ ملقى أنا.
(ج) ** In a garage sat an old truck. ?*
؟ * في مستودع، وقفت شاحنة قديمة.
(د) *There was a garage behind the house, and in this garage sat an old truck.*
كان هناك مستودع خلف المنزل، وفي هذا المستودع وقفت شاحنة قديمة.

وللتّرتيب في الذّكر أثر دلاليّ بيِّن في أمثلة مثل هذه:

(22) (أ) *Your camera is upstairs, in the bedroom, in the closet, on the shelf.*
آلة التّصوير الّتي لك، في الطّابق العلويّ، في غرفة النّوم، في الخزانة، على الرّفّ.
(ب) *Your camera is on the shelf, in the closet, in the bedroom, upstairs.*
آلة التّصوير الّتي لك، على الرّفّ، في الخزانة، في غرفة النّوم، في الطّابق العلويّ.

مرّة أخـرى، تتمايز الجملتـان دلاليّا، رغـم أنّهما تحتويان علـى العناصر نفسـها وتصفان الوضعيّة الموضوعيّة نفسـها. وهما تمثّـلان بديلين اثنين من بنـاء «الظّرفيّ المضمَّن» (انظر لانقاكر 1999a: 60-61) الّذي يخصِّص موقع الفاعل من خلال سلسلة من العبارات الظّرفيّة تتدرّج في حصره على مساحات

فضائيّــة متتابعة يتضمّن بعضها بعضا. يتمثّل الفــرق في أنّ البديل الأوّل «يزوِّم داخلا» انطلاقا من أوســع مســاحة إلى أصغرها على التّتابــع، في حين ينطلق البديــل الثّاني من أصغر مســاحة و«يــزوّم خارجا». ولئن كانــت الجملتان موفّقتين في استحضار نفس التّشكّل الفَضائيّ الشّامل فإنّهما تبنيانه بطريقتين مختلفتين، وتوفّران، بهذا الوجــه، تجربتين مفهوميّتين مختلفتين كثيرا. فهما متباينتــان دلاليّا لأنّ لِكلّ مفهمة ســيرورتَها الزّمانيّــة الخاصّة بها، من حيث تتنامى بطريقة مخصوصة خلال زمن المعالجة.

فالكلمات في عبارة ما تَحدُث في تعاقب زمنيّ معيّن يحيل عليه اللّسانيّون (وهم يســتعملون اســتعارة عن غير قصد)، بـــ«التّرتيب الخطّيّ». يحدّد هذا التّسلســل الزّمنيّ مسلكا بارزا في الاهتداء إلى التّصوّرات الّتي جرى ترميزها. وبما أنّنا نلاقي، بحكم الضّرورة، هذه الكلمات بطريقة متسلســلة في التّكلّم أو الفهم، يكون للتّرتيب الخطّيّ بعض أثر في المعنى - يقتضي فرقٌ في ترتيب الكلمــات، دائمــا، تباينا دلاليّا (وإن أمكن أن يكون مــن زاوية عمليّة طفيفا أو حتّى غير ذي شــأن). ولكنّ التّرتيب الخطّيّ ليس العامل الوحيد الّذي يؤثّر على تسلسل الاهتداء الذّهنيّ، وليست المعالجة العرفنيّة لجملة ما مقصورةً على عبــورٍ مفردٍ من خلالها متّجهٍ من «اليســار إلى اليميــن». فالمعالجة تجري على التّزامنِ في أبعاد بنيويّة متعدّدة، وفي مستويات مختلفة من التّنضيد، وعلى سلالم زمانيّة مختلفة اختلافا شاســعا. وحتّى إذا ما أولينــا عنايتنا بالكلمات المفردة، يجب علينا أن نجري، كذلك، إسقاطات أشمل عند مستويات إعرابيّة وحتّى مستويات خطابيّة شتّى. فقدر كبير من البنية المفهوميّة المفيدة لا يجري التّعبير عنــه مطلقا بالعناصر الظّاهرة الّتــي تمثّل مجرّد قوادح لبنــاء المعنى الضّروريّ. وهــذه الأفكار الّتي يُعبَّر عنها يمكــن أن يعاد الاهتداء إليها وأن تعاد مفهمتها حسب الحاجة، من خلال التّعقّب العكسيّ (كما في (19)(ب)).

فليس التّسلسل في المستوى المفهوميّ، إذن، محكوما دائما بترتيب العناصر الظّاهــرة في الكلام. فيمكننا رؤية ذلك في أزواج من الأمثلة، من قبيل (23)، الّتي تصف التّشكّل الفضائيّ نفسه ولكنّها ذات معان متباينة رغم ذلك:

(23) (أ) *The hill gently rises from the bank of the river.*
ترتفع الهضبة بلطف من حافّة النّهر.
(ب) *The hill gently falls to the bank of the river.*
تنزل الهضبة بلطف إلى حافّة النّهر.

يكمن الفرق في اتّجاه المسح الذّهنيّ. يبني الممفهم، أثناء إقامة تصوّر تامّ، صورة من الهضبة بأن يخطّ مسلكا ذهنيّا على امتدادها إمّا في اتّجاه صاعد أو في اتّجاه نازل. غير أنّ اتّجاه المسح لا يتحدّد بالتّرتيب الّذي تحدث عليه الكلمات، ولكن بمعناها بدلا من ذلك: [ترتفع من] تقدح المسح الذهنيّ الصّاعد، و[تنزل إلى] تقدح المسح الذّهنيّ النّازل. لاحظ، بالإضافة إلى ذلك، أنّ [ترتفع] و[تنزل]، اللّذين يرتبط معناهما الأساسيّ بالتّنقّل في الفضاء، يُستعمَلان هنا لوصف وضعيّة سكونيّة تماما من زاوية موضوعيّة. ولئن كان التّنقّل مساهما، بالفعل، في هذا المعنى، هو في الواقع ذو انبناء ذاتيّ. وفي حال انبناء التّنقّل انبناء موضوعيّا (كما في [*it fell* «سقط (شيء)»]، تتنقّل وحدة ما ماثلة على الرّكح، على امتداد مسلك فضائيّ خلال الزّمن المتصوّر. ومقابل ذلك، يكون المتنقّل في (23) الممفهم الماثل خارج الرّكح يسطّر ذهنيّا مسلكا في الفضاء خلال زمن المعالجة.

ولا يقتصر المسح الذّهنيّ على الفضاء. فيكون المسح الموجَّه خلال مجال غير فضائيّ محوريّا في معنى عبارات كثيرة وغالبا ما ينعكس في شكلها. وفي العادة، يتمثّل في المرور بمجموعة من التّصوّرات البدائل تُوزَّع وفق ترتيب معيّن. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

(24) (أ) *Gestation period varies greatly from one species to the next.*
تختلف مدّة الحمل اختلافا كبيرا من جنس إلى آخر.

(ب) *I'll never get into a size* 8*, and a size* 9 *is probably still too small.*
لن أصل أبدا إلى مقاس 8، ومقاس 9 ربّما يظلّ صغيرا جدّا.

(ج) *Don't mention calculus— elementary algebra is already too advanced for him.*
لا تذكر الحساب الرّياضيّ- دروس الجبر الأساسيّة بالنّسبة إليه شيء متقدّم جدّا.

في (24) (أ)، البدائل مجموعة متخيّلة من الأجناس، والتّنوّع في مدّة الحمل يلاحَظ خلال تنقّلنا من جنس ... إلى آخر موال. وفي (24) (ب) نُجري المسَح في اتّجاه إيجابيّ على امتداد سلّم من المقاسات الممكنة. ويشار إلى هذا المسح الذّهنيّ بعبارة [*still* "ظلّ/ ما زال"]، الّتي تعني في العادة الاستمرار في الزّمن (مثلا، [*Is she still asleep?* «ألا تزال (هي) نائمة؟»]). ولها، هنا، القيمة نفسها، بصرف النّظر عن كونها منبنية انبناء ذاتيّا. فهي لا تصف المقاس الّذي لا يكفي على أنّه مستمرّ خلال الزّمن المتصوَّر، ولكن تصفه خلال زمن المعالجة، والممفهم يمسح على مدى المقاسات البديلة. ينبني الاستمرار في الزّمن انبناء ذاتيّا بحكم كمونه في نشاط المفهمة ذاته. وكذا في (24) (ج)

يتنقّل المَفهِم تنقّلا ذاتيّا على امتداد سلّم تكون فيه موضوعات الرّياضيات مرتّبة حسب الصّعوبة. تشير الكلمة [*already* "لقد..."] إلى أنّ صفة التّقدّم الكبير، ستعترض المرء قبل الأوان المُتوقَّع (انظر [*Are you done already?* «هل أنتهيت قبل الآن؟» (هل أنتهيت؟)]. لكنّ هذا اللّقاء المتخيّل لا يحدث إلاّ خلال زمن المعالجة: يعثر الممفهم، عند المسح خلال قائمة الموضوعات، على تلك الصّفة في مستوى الجبر الأساسيّ، قبل أن يبلغ الحساب الرّياضيّ بكثير.

يمكن للمسح الذّهنيّ أن يتابع مسلكا يكون إمّا مسترسلا أو متفاصلا. في (23)، يسطّر الممفهم مسلكا مسترسلا على طول امتداد الهضبة، وهو يقيم تصوّرا لتشكّلها الكلّيّ. ومقابل ذلك، يتابع المسح في (24) مسلكا يتمثّل في درجات متفاصلة (أجناس، أو مقاسات، أو موضوعات رياضيّة)، ولكن يمثّل هنا الاهتداء الذّهنيّ المتسلسل، كذلك، وسيلة في إقامة تصوّر كلّيّ ذي درجة ما من التّركّب. وهذان شكلان من عمليّة عامّة أطلِقُ عليها تسمية المسح المجمل. فعندما نُجري المسح خلال مشهد مركّب مهتدين إلى وجوه ذلك المشهد المختلفة على التّتابع، تتجمّع، في كلّ طور من ذلك المسح، العناصر المدرَكة أو تتراكب. فبهذه الطّريقة، يُبنى تصوُّر مفصَّل بناء تدريجيّا فيصير نشيطا متوفّرا من حيث هو كلٌّ قابلٌ للاهتداء إليه بصفة متزامنة خلال مدّة محدّدة من زمن المعالجة.[23]

وتكون لنوع مخصوص من المسح يسمَّى «نقطة العلاقة المرجعيّة» أهمّيّة نحويّة عظيمة. يجري المصطلح في أفضل وجوهه على حالات يكون فيها المسلك الذّهنيّ متفاصلا، وكلُّ عنصر مهتدًى إليه بارزا بروزا فرديّا، وتكون الغايةُ الأوّليّة من المسح على امتداد هذا المسلك بلوغَ عنصر هو آخِر ما يمكن الوصول إليه أو تعيينَه. ويمكننا أن نتمثّل هذا الأمر بطريقة أفضل باعتماد مثال إدراكيّ. نوجّه غالبا انتباهنا إلى وحدة بارزة إدراكيّا على أساس أنّها نقطة مرجعيّة تعيننا على العثور على وحدة أخرى يصعب تحديد موقعها في خلاف ذلك. في (25) (أ)، على سبيل المثال، يريد المتكلّم توجيه انتباه السّامع إلى البطّة، ولكن من مسافة يكون فيها التقاط القارب أسهل. حالما يكون السّامع قد حدّد موقع القارب، يمكن العثور على البطّة بالبحث في المنطقة المجاورة له.

(25)

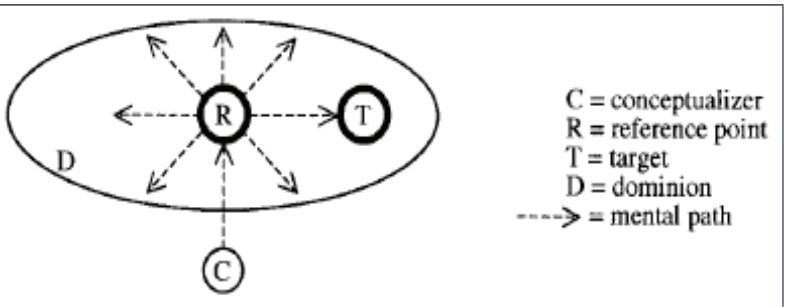
(أ) *Do you see that boat out there in the lake? There's a duck swimming right next to it.*

هل ترى ذلك القارب هناك في البحيرة؟ هناك بطّة تسبح إلى جواره مباشرة.

(ب) *Do you remember that surgeon we met at the party? His wife just filed for divorce.*
هل تذكر ذلك الجرّاح الّذي قابلناه في الحفل؟ تقدّمت زوجته بطلب في الطّلاق.

لهـذه الظّاهرة الإدراكيّة نظير مفهوميّ عامّ، يـرد مثال منه في (25) (ب). يوجِّـه المتكلّـم الانتبـاه أوّلا إلى وحـدة متصـوّرة (الطّبيب الجـرّاح) لغاية مخصوصـة تتمثّل في تحديد موقع وحدة أخرى تكون قابلة لأن يهتدى إليها ذهنيّا في ضوء علاقتها بها (زوجة الجرّاح).

فيتجلّى، على هذا، أنّ لنا القدرة على استدعاء تصوّر ما لوحدة واحدة كي نقيم «تماسّا ذهنيّا» بوحدة أخرى. والوحدة الّتي يجري استدعاؤها أوّلا تسمّى النّقطة المرجعيّة، وتسـمّى الوحدة الّتي يكـون الاهتداء إليها من خلال نقطة مرجعيّة هدفا. وتوفّر نقطة مرجعيّة مخصوصة اهتداء إمكانيّا لأهداف مختلفة كثيرة. وتكوّن هذه الأهداف الإمكانيّةُ، بصفة جماعيّة، منطقة نفوذ للنّقطة المرجعيّة. تضمّ علاقة النّقطة المرجعيّة، حينئذ، العناصر المصوّرة في الرّسـم البيانـيّ 3. 14. في حالة (25) (أ)، تكون النّقطة المرجعيّة [القارب]، والهدف هو [البطّة]، ومنطقة النّفوذ كلّ شيء - بما في ذلك البطّة- موجود في محيط القـارِب. وفي (25) (ب)، تكون النّقطة المرجعيّة [الطّبيب الجرّاحَ]، وزوجته الهدفَ، ومنطقة النّفوذ هي كلّ شـيء يرتبط به ارتباطا مباشـرا (فيكون تبعا لذلك قابلا لأن يهتدَى إليه من خلاله).



[متصوِّر = conceptualizer= C]، **[نقطة مرجعيّة** = reference point= R]،

[هدف = target= T]، **[منطقة نفوذ** = dominion= D]،

[مسلك ذهنيّ = mental path= -->]

الرّسم البيانيّ 3. 14

وليس من قبيل الصّدفة أن يتضمّن الهدف في (25) (ب)، [*his wife*» «زوجته»] ضمير ملكيّـة (مضافا إليه) يحيل على النّقطـة المرجعيّة. وهناك دليل جيّد

على أنّ علاقة النّقطة المرجعيّة تمثّل المعنى الأساسيّ في بنية الملكيّة البسطى (لانقاكر 1999a: الفصل 6). وأكتفي هنا بتقديم ملاحظتين موجزتين. أوّلا، يكون التّوصيف مستقلاّ عن كلّ مضمون مفهوميّ مخصوص. فيكون له، على هذا، ما يحتاج إليه من تجريد ومرونة ليناسب مجموع العبارات المعبّرة عن الملكيّة بتمامها، مثل تلك الواردة في (26) (أ) جميعها.[24]

(26)

(أ) *the boy's shoe*; *Jeff's uncle*; *the cat's paw*; *their lice*; *the baby's diaper*; *my train*; *Sally's job*; *our problem*; *her enthusiasm*; *its location*; *your candidate*; *the city's destruction*.
حذاء الطّفل؛ خال/عمّ دجافّ؛ مخلب القطّ؛ قملهم؛ حفّاظة الرّضيع؛ قِطاري (أنا)؛ عمل سالّي؛ مشكلتنا؛ حماسها؛ موضعه (ــه = شيء)، مرشّحك، هَدْم المدينة.

(ب) ❋*the shoe's boy*; ❋*the paw's cat*; ❋*the diaper's baby*; ❋ *the destruction's city*
*طفل الحذاء؛ *قطّ المخلب؛ *رضيع الحفّاظة؛ *مدينة الهدم.

ثانيا، يفسّر التّوصيف لِمَ يكون، دائما، قلبُ خيار التّرتيب بين المالك والمملوك أمرا غير مستقيم، كما يُرى في (26) (ب). يعكس عدم القابليّة للقلب هذا، عدم التّناظر الصّميميّ في علاقة النّقطة المرجعيّة، حيث يَجعَل تصوّرُ وحدة واحدة الاهتداءَ الذّهنيّ إلى وحدة أخرى ممكنا. وعلى هذا، يُقتَرَح في ما يلي وصف يؤخذ على أنّه خطاطيّ وعامّ تمام العموم، مداره أنّ المالك يؤدّي دور النّقطة المرجعيّة، وأنّ المملوك يؤدّي دور الهدف بالنّسبة إليه.

وغالبا ما يكون الخلط بين علاقة النّقطة المرجعيّة والمضمون المفهوميّ المخصوص، من قبيل القرب الفضائيّ في (25) (أ). وزيادة على ذلك، تكمن إضافته الدّلاليّة الأساسيّة في عمل المسح الذّهنيّ بالذّات: أن يستحضر أوّلا النّقطة المرجعيّة ثمّ يستحضر بعد ذلك هدفا يكون بفضله قابلا لأن يُهتدى إليه. فهو، على هذا، حركيّ في طبيعته وجوهره، لأنّ الكيفيّة الّتي بها يتنامى خلال زمن المعالجة تمثّل بالفعل قيمته. وكما يُعرَض باعتماد السّهام في الرّسم البيانيّ 3. 14، تتضمّن علاقة النّقطة المرجعيّة طورين من الوعي المبأّر، يحدّد تسلسلُهما الزّمنيّ اتّجاهيّةَ ذلك الوعي وعدمَ التّناظر الصّميميّ فيه. يتمثّل الطّور الأوّل في الاهتداء الذّهنيّ إلى النّقطة المرجعيّة الّتي تُجعَل، تبعا لذلك، في البؤرة. وينشئ إنشاطُها الظّروفَ الملائمة للاهتداء إلى العناصر الكائنة في منطقة النّفوذ الّتي تسيطر عليها النّقطة المرجعيّة، حيث يبأّر واحد

منها على أســاس أنّــه الهدف. وإذ تتحــوّل البؤرة إلى الهدف تتلاشــى النّقطة المرجعيّــة - وقد أنجــزَت مهمّتَها- في الخلفيّة. فيكــون، تبعا لذلك، كلّ من النّقطة المرجعيّة والهدف بارزين، كلاّ في طور معيّن من أطوار المعالجة.

وبطبيعة الحال، ما إن يُبأَّر الهدف، حتّى يوفّرَ الاهتداءَ إلى منطقة نفوذه هو، ويمكــن أن يُســتدعَى نقطةً مرجعيّة لبلوغ هدف آخر. فغالبا ما نمســح، بهذه الطّريقة، على امتداد سلسلة من النّقاط المرجعيّة المتتابعة. وعبارات الملكيّة المتسلســلة حالة من هذا القبيل، مثــل، [*Harry's cousin's lawyer's therapist* «معالج محامــي ابن عمّ/خــال هارّي»]. وتتمثّل حالة أخرى في سلســلة من المواضع المتتابعــة الّتي تخصَّص في بنية الظّرفيّة المضَمّنة، كمــا في (22) (أ): [«(آلة التّصويــر الّتي لك)، في الطّابــق العلويّ، في غرفة النّوم، فــي الخزانة، على الرّفّ.»]. فما إن يجرِ إفراد موضِع خاصّ، حتّى يوفّرَ اهتداء مباشــرا إلى كلّ موضع أصغر في داخَله، يُجعَل الواحدُ منها في البؤرة على أســاس أنّه الهدف والنّقطة المرجعيّة الظّرفيّة الموالية.

5.3 حجج الفرضيّات الدّلاليّة

علــم الدّلالة العرفنيّ صناعــةٌ تمكّننا من التّعرّف علــى الكيفيّة الّتي بها تُكوِّن اللّغة المعنى. والموقف المفهوميّ في حدّ ذاته لا يجعل الوصفَ أيسرَ (بــل الأمر على عكس ذلــك تماما). ولا هو يوفّر أيّ ضمان لكوننا نصِف المعاني بطريقة صالحة قائمة على المبادئ. فكيف يمكننا أن نقول إن كان وصف ما مقترحٌ ذا صلاحية ما؟

لا يمكننــا التّعويل فقط علــى الحدس أو الاســتبطان. والرّؤية المفهوميّة للمعنى لا تستلزم كونَ البنية الدّلاليّة قابلة لأن يُهتدَى إليها مباشرة عن طريق الوعي الاســتبطانيّ: البحث فــي المفهمة ليس المعرفــةَ بالكيفيّة الّتي تعمل بهــا المفهمة، تمامــا كما لا يعني الإبصــارُ معرفةً بالكيفيّــة الّتي يعمل بها البصر. فنحن ندرك المعاني (أي نفهم العبارات الّتي نستعملها)، ولكنّ هذا الأمــر يختلف كثيرا عن جعلها موضوعــا للتّحليل الظّاهر. وبالفعل، نكون في مســتوى التّحليل الواعي غافلين، بصفة عامّــة، عن الانبناء - في آن واحد، عــن حقيقة كوننا نبني المضمون المســتحضَر وعن الطّرق المخصوصة الّتي نفعل بها ذلك، أيضا. ويكمن همّنا الأوّل، خلال استعمال اللّغة العاديّ وغير الواعــي، في مــا يقال لا في الآليّــات الكامنة فيه. وهــذه الآليّات، في جميع

الأحـوال، لا يبلغها إدراكنا الواعي، تماما كما تكون آليّات الإبصار ذاتها غير مرئيّة لنا.

فـلا نسـتطيع أن نبلغ توصيفـا للبنيـة الدّلاليّة يكون كاشـفا ومحكوما بالمبـادئ، إلاّ من خلال تحليل لسـانيّ يقظ. والأوصافُ الدّلاليّـة الّتي يقدّمها النّحو العرفنيّ تستخدم مجموعةً من المفاهيم النّظريّة - مفاهيم من قبيل المجال، والمعـروض، والمنتقـل، وزاويـة النّظر، والمسـح، والفضاء الذّهنـيّ، والمدى المباشـر، وعلاقة النّقطة المرجعيّة. وكانت هذه المفاهيم جميعها قد اعتمِدت على أسـاس حجج اختباريّة متنوّعة متينة. تتمثّل الإستراتيجيّة العامّة المتّبعة في البحـث عن الحجـج المتراكزة من كلّ واحد من ثلاثة مصـادر عامّة: (ا) ما نعرف عن العرفنة (بشكل مستقلّ عن اللّغة)، (اا) ما نحتاج إليه لإقامة أوصاف دلاليّة ثابتة، (ااا) قدرة المفاهيم النّظريّة على تقديم تفسير أمثلَ للنّحو.

فـي خصوص النّقطة (ا)، تقوم جميع المفاهيم الوصفيّة المقترَحة في النّحو العرفنيّ على أسـاس الظّواهر العرفنيّـة المعروفة أو تلك الّتي كانت البرهنة عليها بسـهولة. والكثير منها ذو نظائر مباشـرة له في الإبصـار، رغم أنّه يمتدّ بجلاء على مظاهر أخرى مـن العرفنة. فتبئير الانتباه، مثلا، ظاهر في كلّ من الإدراك البصريّ والسّـمعيّ، وكذلك في الفكر غير اللّغويّ. فلا خلاف فـي أنّنا ندرك ما يحيـط بنا من زاوية نظر مخصوصة، وفي أنّ لنا القدرةَ على اتّخـاذ زاوية نظر أخـرى مختلفة عن تلك الّتي تكون لنـا في الواقع. فنحن قادرون على أن نمسـح عبْر مشـهد ما مسـحا بصريّا، بنفـس الطّريقة الّتي بها نقدر على أن نجول ذهنيّا من خلال مجموعة من الخيارات. واسـتعمال النّقاط المرجعيّـة جليّ في الإدراك وأساسـيّ في التّصوّر بصفـة عامّة. وعلى هذا، ليسـت المفاهيـم الوصفيّة المعتمدة فـي النّحو العرفنيّ غريبـة ولا هي محلّ إشكال من زاوية نظر نفسـيّة. وبالفعل، قد يكون من الغريب أن نفترض أنّ هذه الظّواهر غير ذات دور مهمّ في المعنى اللّغويّ.

وأمّا في شأن النّقطة (اا)، فتتمثّل الأداة الأوّليّة في تبرير تلك المفاهيم تبريرا اختباريّا، فـي أن نُرِيَ النّاس أنّنا محتاجون إليها لقيـام أوصاف دلاليّة ملائمة. فمفهوم العرْض، عَلى سـبيل المثال، تدعمه الحاجـة إلى تمييز العبارات الّتي تختلف في المعنى رغم أنّها تستحضر المضمون نفسَه (مثل، [*parent* «والد(ة)»] مقابل [*child* «طفل»]، و[*come* «جاء»] مقابل [*arrive* «وصل»]، و[*examine* "فحص"] مقابـل [*be examining* "يفحص"]). وكذلك، تصفيف المنتقل/ المعلم تدعمه

الحاجة إلى تمييز العبارات غير المتكافئة دلاليّا والّتي تتطابق في المضمون نفسه وعمليّة العرض نفسها (مثل، [*before* «قبْل»] مقابل [*after* «بعْد»]، [*precede* «سبق»] مقابل [*follow* «تبع»]، [*have a parent* "ذو والد(ة)"] مقابل [*have a child* "ذو طفل"]. ويمكنني أن أضيف حجّة مدارها أنّ المفاهيم المعتمدة في النّحو العرفنيّ ذات نجاح كبير في التّمكّن من إقامة تمثيلات متأسّسة على مبادئ لوجوه التّشابه والاختلاف بين العبارات ذات المضمون المتقارب. وثبَت، فوق ذلك، أنّ مجموعة المفاهيم المحدودة نفسَها، قابلة للانطباق بصفة نظاميّة على مجموعة واسعة للغاية من المعطيات اللّغويّة المتنوّعة.

ويتمثّل مورد أخير للحجج في (iii)، في مدى قدرة المفاهيم المعتمدة على تقديم وصف أمثل للنّحو. في الفصول اللاّحقة، أبيّن أنّ مفاهيم النّحو العرفنيّ تسجّل عددا من النّقاط عاليا جدّا في هذا المضمار. فقد اتّضح، على سبيل المثال، أنّ العرض عمليّةٌ حاسمةٌ في توصيف الأقسام النّحويّة الأساسيّة. فالفاعل والمفعول يحدَّدان على أساس تصفيف المنتقل/المَعْلَم. وتشتغل تلك المفاهيم كذلك اشتغالا جيّدا في وصف الأبنية النّحويّة الخاصّة. وكنّا قد أشرنا في ما مضى إلى دور المدى المباشر في كلّ من بنية التّصريف التّدريجيّ (انظر الرّسم البيانيّ 3. 4) وتركّب الجزء-الكلّ (مثل، [*eyelash* "رمش العين"] مقابل [*facelash* * "رمش الوجه"]، و[*shoulder blade* "عظم الكتف" (عظم اللّوح)] مقابل [*body blade* * "عظم كتف الجسد"]).

لننتقل الآن من المفاهيم النّظريّة العامّة إلى توصيف العبارات الخاصّة. فكيف يمكن لوصف دلاليّ مقترح أن يكون مدعوما اختباريّا؟ أقترح، على الأقلّ عند هذا المستوى، أنّ حدْس متكلّم باللّغة الأمّ لا يكون غير ذي فائدة تماما. ولا يمكننا، بكلّ تأكيد، أن نتوقّع أن ينتج المتكلّمون البسطاء أوصافا دلاليّة بله أن يفصّلوا الفويرقات المعنويّة الدّقيقة بين العبارات. وللمتكلّمين، مع ذلك، بالفعل حدوس دلاليّة تتعلّق بالمسائل الوصفيّة وربّما لا يقلّون جدارة بالتّعويل عليهم (أو لا يتفوّقون في عدم الجدارة بالتّعويل عليهم) عن الأحكام المتعلّقة بالمقبوليّة النّحويّة المستعملة تقليديّا في الإعراب الشّكليّ. فقد تُعِين أحكام المتكلّم، مع عيّنات واسعة وتقنيات إحصائيّة ملائمة، مثلا، في تحديد إن كانت [*ring*] «قطعة حليّ دائريّة» و[*ring*] «حلَبة» تمثّلان معنيين بديلين لوحدة معجميّة من المشترك الدّلاليّ (في مقابل كونهما من المشترك اللّفظيّ غير متعالقين)، أو إن كانت [*computer*

«حاسوب»] بالفعل أكثر قابليّة للتّحليل من [*propeller* «مروحة دافعة»]. ويمكن أن تكون كذلك ردود فعل المتكلّم على الأوصاف الدّلاليّة الأكثر تبلورا، مفيدة. فإذا ما لفت توصيف مقترَحٌ انتباهَ المتكلّمين من حيث كان طبيعيّا وكاشفا من زاوية حدسيّة، يمكننا على الأقلّ أن نشعر بأنّ في ذلك تشجيعا ونخيّر ذلك على الحكم المقابل.[25]

ويمكن في بعض الأحيان أن تُستمَدّ الحجج بالنّظر في لغات أخرى (هايمان 1978). تأمّل في مسألة ما إذا كانت [*if* «إن»] الجارية في المركّبات الشّرطيّة ([*If it rains we will stay home* «إن أمطرت، سوف نبقى في البيت»])، و[*if* «إن»] الجارية في المركّبات الاستفهاميّة ([*I wonder if it will rain* «أتساءل إن كانت ستمطر»])، مترابطيتن دلاليّا. ومن دعائم فرضيّة في وجود اشتراك دلاليّ، جريان شكلٍ وحيد في كلّ من الوجهين في لغات أخرى كثيرة (الفرنسيّة، مثلا). لو كان ذلك مجرّد حالة من الاتّفاق اللّفظيّ عن طريق المصادفة، ما كان ليكون منتشرا عبر اللّغات. ويكمن مصدر آخر من الحجج، في التّغيّر اللّغويّ. فمن المعلوم، مثلا، أنّ بعض الأصناف الخاصّة من الواسمات النّحويّة تتطوّر تاريخيّا من أصناف خاصّة من الوحدات المعجميّة. ويمكن أن تخبرنا مسالك الإنحاء من هذا القبيل بشيء عن معاني العناصر المعنيّة. ومن المسالك الشّائعة أن يتطوّر فعل معجميّ مثل [*have*]، جارٍ للتّعبير عن الملكيّة ([*She has a cat* «(هي) لها قطّ»])، إلى فعل يسم المظهر الانقضائيّ ([*She has finished* «كانت (قد) أنهت»]). يوفّر هذا الأمر مقياسَ تثبّتٍ من المقترح القائل بأنّ أبنية الملكيّة أساسها علاقات النّقطة المرجعيّة. فمن الأفكار المقبولة، بصفة عامّة، أنّ أبنية المنقضي تتضمّن إحالة على نقطة في الزّمان. فعلى سبيل المثال، الجملة [*He had left by 3 PM* «كان قد انصرف عند الثّالثة بعد الظّهر»]، تتّخذ من 3 بعد الظّهر، نقطة مرجعيّة زمانيّة وتصوّر الانصرافَ واقعا قبلها. ويحلَّل هذا المسلك الإنحائيّ بأيسر ما يكون إن كان فعل من أفعال الملكيّة بذاته موصَّفا باعتماد علاقة النّقطة المرجعيّة.

ومن الحجج الاختباريّة المتوفّرة بقدر أكبر بكثير، التّوقّعات الّتي يمكّننا وصفٌ دلاليّ ما من إقامتها. وتكون التّوقّعات بأنّ بعض الأنواع من العبارات ينبغي أن تكون ذات بناء جيّد دلاليّا وأخرى ذات بناء شاذّ، ضمنيّة في أيّ وصف من هذا القبيل. تَصَوّر أنّ بعضهم يدّعي أنّ الفاعل الجماد في (27) (أ) ينبني استعاريّا على أساس الجسد البشريّ. وعلى هذا، ينبغي أن يكون الخيار

بيــن [*sit* "جلس/ قعــد"]، و[*stand* "وقف"]، و[*lie* "تمــدّد/ اضطجع"]، مرتبطا - عن طريق القياس على شــخص تكون له هــذه الهيئات- بإمكانيّة كون مرجع الفاعل جسما متضامّا نسبيّا (كما في الجلوس) أو متمدّدا بشكل بارز على المحور العموديّ أو الأفقيّ.[26]

(27) (أ) *The clock is* {*sitting / standing / lying*} *on the table.*

السّاعة {تجلس/ تقف / تضطجع} على الطّاولة.

(ب) *The* {*vase / ? pen / ? football / ? *watermelon / *mat / *peach*} *is standing on the table.*

الــ{مزهريّة/؟ قلم/؟ كرة القدم الأمريكيّة /؟ *بطّيخ / *حصيرة / *خوخة} واقفة على الطّاولة.

وتثبــت بالفعل صحّة هذا التّوقّع، كما يُــرَى من المعطيات من قبيل (27) (ب). ففعــل [وقف] لا يثير مشــكلا مــع [مزهريّة]، بما أنّ الأشــياء من هذا القبيل في العموم طويلة ودقيقة. ويثار التّســاؤل في شأن [القلم] و[كرة القدم الأمريكيّــة]، بما أنّ الاتّجاه العموديّ الّذي توحي به [وقف] يصعب تحقيقه. لكنّهما مقبولان إذا تخيّلنا أنّ القلم واقف على طرف (وهو ممكن من بعض الأقــلام) أو تخيّلنا أنّ كرة القدم الأمريكيّــة واقفة على كومة ركل. وإذ كان للبطّيــخ نهايتان مدوّرتان لا يمكنه إلاّ الاســتلقاء علــى طاولة أو نلفّق سياقا غريبا (مثلا، كأن نغرز فيه مسمارا ذا رأس عريض). فليس للحصيرة ولا للخوخة، الشّــكل المناسب للفِعل الّذي يطلب امتدادا عموديّا بارزا. وبطبيعة الحــال، تخبرنا المعرفة الموســوعيّة بأنّ الحُصُر الملفوفــة في بعض الأحيان يمكــن جعلها واقفة على واحد مــن طرفيها؛ وبهذا التّأويل يمكننا أن نصفها وصفا على غاية من الاستقامة بكونها واقفة. ومن جهة أخرى، يكاد يكون للخوخة شــكل بيضويّ دون أن يكون لها حجم طويل واضح، وعلى هذا، لا يمكنها إلاّ أن [تجلس]، بصرف النّظر عن الاتّجاه.

وتتعلّق التّوقّعات الأخرى بسياق الخطاب الّذي يمكن أن تجري فيه عبارة ما. تذكّر، على سبيل المثال، أنّ توصيف تصفيف المنتقل / المعلم، ووصف [فوق] و[تحت] بكونهما متباينتين في هذا المضمار، قد توقّعا التّوزيع الوارد فــي (11): جملــة مثل [المصباح فوق الطّاولة] جواب مناســب لسؤال [«أين المصباح؟»]، وجملــة [الطّاولة تحت المصباح] جواب عــن [أين الطّاولة؟]، ولكنّ العكس بالعكس لا يســتقيم. وتذكّر أيضــا التّوصيف القائم على الخطــاب لجمل مثل (20) (ب)، [*In the middle of the kitchen floor lay a dead rat.* "في

وسـط أرضيّة المطبـخ، يوجد جرذ ميّت"]. يتوقّع الوصـف توقّعا صحيحا أنّ العبارات من هذا القبيل سـتكون شـاذّة إذا ما مثّل الفاعل الوارد في الموقعة المابعديّـة إخبارا معطى ([*In the middle of the kitchen floor lay I.* ؟*] "؟ * في وسـط أرضيّة المطبخ استلقيت/ ملقى أنا."])، أو إذا ما مثّل الظّرفيّ الوارد في الموقع الماقبلـيّ إخبـارا جديدا ([*In a garage sat an old truck* ؟*] "؟ *في مسـتودع، وقفت شاحنة قديمة."]).

ويمكـن أن نقيم توقّعـات، في بعض الأحيان، ليكـون اختبارها بطريقة تجريبيّـة. فيمكنني أن أفترض، مثلا، أنّ التّبايـن الدّلاليّ بين (28) (أ) و(28) (ب) يكمن في اتّجاه المسـح المجمل. يبني المتصوِّر تصوّرا تامّا لتَشـكُّل الجرح بأن يمسـح مسـحا ذهنيّا علـى امتداده في اتّجاه مـا أو في آخر، كما يتحـدّد ذلـك بالمركّبين ["مـن"] و["إلى/حتّى"]. وبالإضافـة إلى ذلك، يدفعنا ترتيب الكلمات في الكلام إلى الاهتداء إلى التّصوّرات الّتي ترمّزها وفق التّرتيب المماثل له. في (28) (أ) (ب)، يكمن ذانك التّرتيبان المفهوميّان فـي التّصفيف: يعترضنا، أوّلا، مركّب [*from* "مِن"]، معيّنا للموضع الّذي يبدأ عنده المسـح الذّهنيّ، وبعد ذلك، مركّـب [*to* "إلى/حتّى"] معيّنا للموضع الّذي ينتهي عنده المسح. وتَصافُّ المسلكين هذا يكون التّصافّ الأمثلَ من زاوية المعالجة.

(28) (أ) *An ugly scar extends from his wrist to his elbow.*
يمتدّ أثر جرح فظيع من معصمه إلى/ حتّى مرفقه.
(ب) *An ugly scar extends from his elbow to his wrist.*
يمتدّ أثر جرح فظيع من مرفقه إلى/ حتّى معصمه.
(ج) *An ugly scar extends to his wrist from his elbow.*
يمتدّ أثر جرح فظيع إلى/ حتّى معصمه من مرفقه.

غير أنّ المسلكين، في (28) (ج)، يجري الواحد منهما ضدّ الآخر. فالمسح علـى امتداد أثر الجـرح يبدأ من المرفق، لكنّ ترتيـب الكلمات يوجّه أوّلا الانتباه إلى أثر الجرح، عند النّقطة الّتي ينتهي فيها مسلك المسح. وعلى هذا، يتضمّن تفسـير قائم على أساس الحركيّة الحاجةَ إلى التّعقّب العكسيّ: بعد معالجـة العبارة بأكملها أوّلَ الأمر، يحتاج المتصوِّر إلى أن يرجع إلى البداية ويعيدَ تصوُّر مسـلك المسح بتمامه وفق التّسلسـل الملائم ليتمثّل التّشكّل الكلّيّ تمثّلا صحيحا. تنشـئ هـذه الملاحظة توقّعا تجريبيّـا: أعني أنّ (28)

(ج) ينبغي أن تستمرّ معالجتها وقتا أطول وتتطلّب جهدا أكبر ممّا يكون في معالجة العبارتين الأخريين.

فيكون على هذا، نقد اللّسانيّات العرفنيّة المتواتر بأنّها لا تقيم التّوقّعات، نقدا خاطئا. غير أنّ نزوعَ توقّعاتها إلى النّسبيّة بدل الإطلاق، أمر صحيح. على سبيل المثال، لا يمكن للمرء أن يتوقّع بصفة مطلقة أيّ الأسماء بالتّحديد يمكن أن يجري في البناء الوارد في (27) (ب). وبصفة خاصّة، لا يمكن للمرء أن يقيم توقّعا بنَعَمْ/لاَ حول تَوارُدِ اسم مع فعلِ [*stand* "وقف"] بمجرّد أن يفحص سمات المرجع الاسميّ القابلة للتّمييز، فحصا موضوعيّا. وما يعتبَر هي الكيفيّة الّتي تنبني بها وضعيّة ما، والّتي تشمل المعرفة العامّة والسّياقيّة وكذلك دائرة قدراتنا التّخيّليّة والتّأويليّة بتمامها. ولا تتعلّق المسألة بأن نقرّر بصفة قاطعة أنّ توليفةً معيّنةً نحويّةٌ أو ليست كذلك، ولكنّها تتعلّق، عوضا عن ذلك، بالتّحقّق من التّبرير نوعا ودرجة كائنا لتلك التّوليفة في ضوء جميع العوامل المتّصلة بها. وعلى هذا، نشأت القولة المعروفة في اللّسانيّات العرفنيّة: لئن كانت، عمليّا، جميع الأشياء مبرّرة، فإنّ قلّة قليلة منها تخضع للتّوقّع المطلق.

وتتمثّل رؤية معياريّة غلبت طويلا على النّظريّة الدّلاليّة، في أنّ التّفسير الدّلاليّ إمّا مستحيل أو بالضّرورة لا علميّ. ويفترَض أن يكون علم دلالة جديرٌ بالاحترام، موضوعيّا في طبيعته، وخاضعا للشّكلنة المتفاصلة، وقادرا على إنشاء توقّعات صارمة. لكنّني قد حاولت أن أبيّن أنّ مقاربة المعنى هذه ليست المقاربة الوحيدة. وعلم الدّلالة العرفنيّة ممكن، وهو يتطوّر إلى مشروع علميّ دقيق جدّا. والأوصاف الدّلاليّة العرفنيّة الّتي ما انفكّ تطبيقها يتزايد جاريا على أمثل وجه، إنّما تتأسّس على تحليل دقيق، وتدعمها الأدلّة الاختباريّة، وتصاغ باعتماد مفاهيم نظريّة وصفيّة ذات تبرير جيّد. ويستمدّ علم الدّلالة العرفنيّة، إلى حدّ كبير، دعما من نجاعته عندما يُتّخَذ أساسا لتوصيف البنية النّحويّة. وهذا محطّ عنايتنا في الفصول اللاّحقة.

هوامش الفصل

[1]– لم يمنع هذا الواقعُ المعلّقين من غير ذوي الاطّلاع من الإقرار بأنّها تفعل ذلك. ما دام التّصوّر والإدراك البصريّ متناظرين، أستعمِل مصطلح [*viewing* «رؤية»] لكليهما (انظر لانقاكر 1999a: الفصل 7). ويحيل طالمي عليهما باستعمال [*ception* "دِراك"].

[2]- في الكلام العفويّ، توجد نزعة قويّة من جملة فرعيّة مفردة أو "وحدة تنغيميّة" مفردة إلى أن تشتمل على عنصر واحد فقط يضيف قدرا كبيرا من الإخبار الجديد والمهمّ (ديوبويس 1987؛ تشافي 1994: الفصل 5).

[3]- لتوحيد مظاهر التّبئير هذه، لاحظ أنّ المضمون المنتقى جرى تخليفه بالقياس إلى المضمون غير المنتقى. وكذلك، بعض أنواع البروز (مثل العَرض) يمكن تصوّرها على أنّها حالات قصوى من التّبئير/ الأماميّة.

[4]- رغم كون المصطلحات من قبيل [*background* «خلفيّة»]، و[*foreground* «أماميّة»]، و[*baseline* «خطّ قاعديّ»] بصريّةً وفضائيّة في الأصل، فإنّ حالات عدم التّناظر المقصودة، على الأرجح، ذات أساس زمانيّ في المعالجة العرفنيّة. وحتّى في الإبصار، يتمثّل إدراك كون شيء واقفا خارج خلفيّة ما، في تسجيل تناظر يَفترِض مسبقا خلفيّة تتّخَذ أساسا للمقارنة (انظر لانقاكر 1987: § 3. 1).

[5]- ما من داع إلى أن أقول «سيّارتي ليست قرمزيّة» ما لم يكن قد جرى ذكر إمكانيّة كونها كذلك في ما مضى أو طُرِحت بشكل من الأشكال للتّأمّل.

[6]- كذلك، تكون الخانة الّتي تتضمّن[LIPSTICK MAKER] ذات زوايا مستديرة، بما أنّه تصوُّر جديد. تشير الأسهم المتقطّعة والمسترسلة الرّابطة بين الخانات إلى علاقتي المقْوَلة (الاتّساع والبلورة، تباعا). نناقش مبرّرات ذلك في الفصل 6.

[7]- يسمَح بالتّغطية التّامّة (حيث يتطابق المدى والمجال في الامتداد) من حيث كانت حالة خاصّة.

[8]- يحيل اللّسانيّون، لذلك، على عبارات من هذا القبيل بـ"أسماء أجزاء الجسد".

[9]- وكذلك، في التّصنيفيّات، تكون مقولة من مستوى قاعديّ (مثل، مطرقة) ذاتَ بروز عرفنيّ أكبر من مقولة فرعيّة (مثلا مطرقة مخلبيّة (لنزع المسامير)) أو مقولة عليا (أداة) (انظر تايلور 2004: § 3. 3).

[10]- المدى المباشر والمدى الأقصى ليسا بالضّرورة متمايزين (انظر الرّسم البيانيّ 3. 4).

[11]- الفضاء والتّشكّل الفضائيّ ليسا المجالين الوحيدين في مولّدة [مرفق]، ولكنّهما على درجة عالية من المركزيّة، بكلّ وضوح. أؤكّد على أنّ الأوصاف الدّلاليّة المقدّمة هنا لا ترمي إلى أن تكون مستقصية بل هي مجرّد نماذج لتمثيل الظّواهر المطروحة للنّقاش.

[12]- تشير العلامتان [tr]، و[lm] إلى المنتقل والمعلم، اللّذين نتناولهما لاحقا. واختيار المنتقل مسؤول عن الفرق في الاتّجاهيّة.

[13]- بما أنّ المجاز المرسل قائم على التّرابط داخل مجال مفرد، يكون متميّزا من الاستعارة؛ وعوضا عن ذلك تنطوي الاستعارة على شبَه مجرّد بين مجالين (مصدر وهدف).

[15]- في أعمال مبكّرة، كانت كلّ عبارة علائقيّة تُعتبَر ذات منتقل ومعلم، يجري تعريفهما على أساس كونهما وحدتين تنعقد بينهما العلاقة المعروضة (لانقاكر 1987: § 6. 3). وفي هذا التّعريف، لا يكون المنتقل والمعلم بالضّرورة متمايزين أو بارزين بصفة فرديّة. أنا الآن أجعل المصطلحين خاصّين بالوحدات ذات البروز البؤريّ.

[16]- يعني ذلك أنّ المواضع ينظَر إليها على أنّها مجرّد جزء من الوسيط الفضائيّ الّذي يحدُث فيه التّنقّل. وحتّى موقع النّهاية، الّذي يكون له (من حيث هو هدف) درجة ما من النّتوء، يعوزه البروز البؤريّ الّذي يكون لمعلَم ولا يعبَّر عنه في الغالب (*They finally came* "(هم) جاؤوا في نهاية المطاف"؛ *We just arrived* "لقد وصلنا لتوّنا").

[17]- لا يعني هذا أنّنا نرفض الفكرة القائلة بأنّ العالم يفرض نفسه بطرق مخصوصة، وهو بذلك يُضيِّق من إدراكنا إيّاه ويحرّفه. وبالمثل تقيّد قوالب المفهمَة العاديّةُ عمليّاتِ المفهمة الّتي تُستدعَى لغايات لغويّة وتحرِّفها. ورغم ذلك، لنا قدر هائل من المرونة المفهوميّة، ويمكن أن نتجاوز بيسر مظاهر التّحريف الحادثة عند كلّ مستوى.

[18]- يُسمّى في العادة وصف بسيط (ولكن بطريقة مغلّطة) تقريرا. لاحظ أنّ الاستفهام، والأمر، والتّقرير ليست إلاّ القيم الطّرازيّة لأنواع الجمل الاستفهاميّة، وجمل الأمر، والجمل التّقريريّة (مأخوذة من زاوية كونها أشكالا). ويمكن أن تُستعمَل الأشكال أنفسها لأعمال لغويّة أخرى، ويمكن لنفس العمل اللّغويّ أن يعبّر عنه بطرق أخرى. (انظر الفقرة § 13. 2. 3).

[19]- عندما أضع نظّاراتي، على سبيل المثال، تكون جزءا أساسيّا من نظام الإبصار عندي، ولذلك تنبني انبناء ذاتيّا وغير بارز. وهي تساعد على تشكيل تجربتي البصريّة، ولكنّني، نادرا ما أرى النّظارات أنفسها، إن لم يكن مطلقا. لكنّ النّظارات تصير بارزة عندما أبنيها بناء موضوعيّا بأن أنزعها وأنظر إليها.

[20]- إن تناولنا عبارة ما تناولا تجريديّا، أي بصرف النّظر عن كلّ حدث استعماليّ مخصوص، لا يعدو أن يكون دور المتكلّم ودور السّامع إلاّ ذلك الدّور- دورا يتحقّق لاحقا بأفراد مخصوصين حيثما استعملت تلك العبارة استعمالا فعليّا.

[21]- تناسب هذه الرّؤية الحركيّة للمفهمة بشكل جيّد نظريّةً نفسيّة في المعنى تتأسّس على المحاكاة الذّهنيّة (بارصالو 1999).

[22]- قد يقول باحثون كثيرون إنّ التّباين في (20) ليس تباينا دلاليّا بل هو تداوليّ، عوضا عن ذلك. غير أنّني قد أجيب بأنّ البنية الإخباريّة مفهوميّة في طبيعتها، ولا خصوصيّة لها إلاّ من حيث المجال العرفنيّ المفيد الّذي يتمثّل في إدراك الخطاب ذاته.

[23]- إلى حدٍّ ما، يجري هذا النّوع من الجمع التّراكميّ دائما عندما نعالج الكلمات في التّرتيب الّذي تحدث به. وتبين الأمثلة عن أنّ ذلك ظاهرة مفهوميّة عامّة مستقلّة عن ترتيب الكلمات. أناقش في الفصل 4، مظاهر الإفادة النّحويّة في المسح المجمل.

[24]- فكـرة "الحيـازة" ضيّقة جدّا، من حيث هي وصف عامّ، إذ تنطبق فقط على المثال المذكور الأوّل. ولئن بـدت، بالفعل، "الحيازة" (وكذلك "القرابة" و"الجزء-الكلّ") طرازيّة بالنّسبة إلى أبنية الملكيّة، يحتاج توصيف خطاطيّ صالح لجميع التّحقّقات إلى أن يكون خلوا من كلّ محتوى مخصوص.

[25]- ردود الفعـل الإيجابيّـة من هـذا القبيل متواترة كثيرا في اللّسـانيّات العرفنيّة، ومن المفارقات أن يكون هذا سـببا من الأسـباب الّتي تفسِّـر نزوعها إلى أن لا يوفيها النّاس حظّها من التّقدير. فالأوصاف الدّلاليّة الّتي تنجَز من خلال جهد جبّار وببراعة فائقة تكون غالبا على غايـة مـن الطّبيعيّة، وعلى قدرة عاليةٍ من الكشـف، إلـى حدّ أنّها تعطي انطباعـا بكونها بديهيّة جدّا. فيبدو الأمر كما لو أنّها لم تحقّق شيئا.

[26]- تكون الأشياء المادّية أكثر تعقيدا بقليل من حيث تؤدّي [*sit* "جلس"] كذلك دور الكلمة العامّة، أي لها معنى خطاطيّ يتجرّد من الفروق في الهيأة، وذاك ما يجعلها ذات قابليّة للانطباق على مدى أوسع.

القسم الثّاني: الأسس

4. الأقسام النّحويّة

نتكلّم عن قسم (أو مقولة) عندما تُعامَل عناصر مختلفة معاملة واحدة لغايات معيّنة. فدون مقْوَلة، لا نستطيع أن نميّز بين القوالب أو بين مظاهر الانتظام، بحكم ما تشتمل عليه من تواتر متكرّر لتشكّلات تُعتبَر "متماثلة". يمكن أن تقوم المقولات في أيّ وجه من وجوه البنية اللّغويّة. ففي حالة الصّوتميّة، على سبيل المثال، نفترض أقساما من قبيل الحروف والحركات الأماميّة العالية. ونركّز هنا على الأقسام المتعلّقة بالنّحو، من قبيل الاسم، والفعل، والصّفة.

ومن الأسئلة الأساسيّة ما يتعلّق بقابليّة المقولات النّحويّة للتّحديد على أساس المعنى. وبعد أن أُثبتَت قابليّتها لأن تكون كذلك (§ 4. 1)، أقترح معاني مخصوصة لمقولَتي الاسم والفعل (§ 4. 2)، ولسائر المقولات بالاستتباع (§ 4. 3). ثمّ أفحص، في الفصل 5، المقابلة المفهوميّة المهمّة الّتي تنقسم بمقتضاها كلّ من الأسماء والأفعال إلى قسمين فرعيّين رئيسيّين.

4. 1 هل يمكن تصوّر التّوصيفات المفهوميّة؟

عُلِّمْتُ في مرحلة التّعليم الأساسّي أنّ الاسم علَمٌ على شخص أو مكان أو شيء. وفي مرحلة التّعليم الجامعيّ، عُلِّمْتُ المعتقدَ اللّسانيّ الأساسيّ بأنّ الاسم لا يمكن أن يعرَّف إلاّ على أساس سلوك نحويّ، بما أنّ التّعريفات المفهوميّة للأقسام النّحويّة مستحيلة. وهنا، بعد عقود من السّنوات كثيرة، أُظهِر تطوّر النّظريّة النّحويّة الشّديد بأن أدّعيَ أنّ الاسم علَم على شيء.[1]

4. 1. 1 الرّؤى والمغالَطات التّقليديّة

تمثّل الفكرة القائلة بأنّ الأقسام النّحويّة لا يمكن أن تُعرّف دلاليّا، المعتقدَ الأساسيّ في النّظريّة اللّسانيّة الحديثة. فالأحكام من قبيل ما يلي، تلك الّتي تعلِن عاليا عن استحالة التّوصيفات المفهوميّة تُعرَض بشكل بارز في جميع النّصوص المداخل وفي كلّ كتاب موجّه إلى الجمهور من عامّة النّاس:

«لا وجود لأثر دلاليّ ثابت يرتبط بتأدية صرفم ما دورَ اسم أو فعل أو أيّ قسم آخر من أقسام الكلام. (لانقاكر 1968: 83).

لنسألْ عمّا إذا كان كلّ قسم من الكلام يدلّ حقيقة على نوع متماسك من المعنى... والآن، صحيح أنّ كلّ كلمة تسمّي شيئا ستكون اسما. ولكن، من جهة أخرى، لا يسمّي كلّ اسم شيئا. اسم [«زلزال»] يسمِّي، إن كان له أن يُسمّي، عملا، كما يفعل [«حفل موسيقي»]؛ ويسمّي [«حُمرة»] و[«حجم»] خصائص؛ ويسمّي [«مكان»] و[«موضع»] بطريقة جليّة جدّا مواضع. وبالفعل، يوجد لكلّ نوع من الوحدات يمكننا التّفكير فيه، أسماء تسمّي ذلك النّوع من الوحدات. إذن، لا يمكن للمفهوم النّحوي لاسم ما أن يعطَى تعريفا على أساس نوع الشّيء الّذي يسمّيه.... ولا يحتاج نوع مخصوص من الوحدات إلى أن يناسب قسما مفردا من الكلام أيضا.... ونختم بأن نثبت أنّ أقسام الكلام غير قابلة للتّعريف باعتماد المعنى.»

(جاكندوف 1994: 68-69).

لا تستقيم التّعريفات التّقليديّة الّتي تنقَد في مقاطع من نصوص من هذا القبيل، بكلّ تأكيد، بالشّكل الّذي تُعرَض عليه فيها، غير أنّ موقف الصّلَف والوثوقيّة العلميّة الّتي غالبا ما تظهر للعيان في تعليقات المنظّرين اللّسانيّين الرّافضة، ليست مبرّرة بالوضوح الكافي. وأشير بالفعل إلى أن لا وجود لحالة مقنعة وحيدة كانت قد ربحت فعليّا ضدّ التّوصيف الدّلاليّ للأقسام النّحويّة. فعدمُ الملاءمة في التّعريفات الخاصّة (مثل، الاسم ما سمّى شيئا) لا يستلزم أنّ التّوصيفات المفهوميّة مستحيلة من حيث المبدأ- على أساس أنّ توصيفات أخرى يُحتمَل أن تستقيم. وبالإضافة إلى ذلك تكون الحجّة المعياريّة الّتي تقف ضدّ المقاربة المفهوميّة، من النّوع التّبسيطيّ إلى حدّ كبير وتتأسّس على مفترضات قابلة للنّقاش بشكل كبير.

فالمقتطف الّذي أوردناه عن جاكندوف يمثّل عيّنةً من هذا الخطّ المعياريّ في الحجاج. هو تبسيطيّ، مثل التّعريفات المفهوميّة الممكنة، لأنّه لا ينظر إلاّ في قسم محدود من المفاهيم الّتي تمُثّل مستوى خاصّا من التّعميم: مفاهيم مثل ’شيء‘، و’عمل‘، و’خصيصة‘، و’موضع‘. ولئن كانت هذه المفاهيم عامّة جدّا، فليست، بكلّ تأكيد، أقصى التّصوّرات خطاطيّةً نكون قادرين على معالجتها. فكلّ تصوّر منها يشتمل على مضمون مفهوميّ جوهريّ يميّزه عن سائر التّصوّرات (مثلا، يتضمّن الشّيء المادّيّ امتدادا مسترسلا لمادّة ملموسة، في حين يكون العمل، في حدّ ذاته، غير مادّيّ ومتمثّلا، عوضا عن ذلك، في

تغيُّرٍ متنام خلال الزّمن، ومستلزما للقوّة على وجه الخصوص). فهذه المفاهيم تمثّل نماذج بدئيّة مفهوميّة متجذّرة (§ 2، 1، 2)، وهي، من حيث كانت كذلك، صالحة لأن تَجري أطرزة للمقولات اللّغوية. فالأشياء والأعمال، على سبيل المثال، طرازيّةَ، بالنّسبة إلى مقولتي الاسم والفعل، تباعا. غير أنّ مدار المسألة على مدى قابليّة هذه الأقسام لأن تُعرَّف تعريفات خطاطيّة يستجيب لها جميع الأعضاء (لا الأعضاء المركزيّون فقط). ومن البديهيّ أنّ التّوصيفات الصّالحة لجميع الأعضاء في قسم ما، ينبغي أن تكون أكثر تجريدا بكثير من المفاهيم النّموذجيّة البدئيّة الّتي تكون محلّ اعتبار. وتقصر الحجّة المعياريّة المضادّة للتّعريفات المفهوميّة حتّى عن التّفكير في إمكانيّة إنشاء صياغات أكثر تجريدا.

والحجّة المعياريّة تبسيطيّة، من ناحية أخرى، لأنّها تفترض ما قبليّا رؤيةً للمعنى اللّغويّ شائعةً، ومتهافتة فوق ذلك: هي الرّؤية الموضوعيّة الّتي تهمل العرفنةَ وقدرتَنا على تصوير الوضعيّة نفسها بطرق بديلة (انظر الفصل 3). وفي الشّاهد المذكور آنفا، يؤخذ معنى عبارة ما على أنّه قائم بحكم الطّبيعة الموضوعيّة للشّيء المعنيّ - لا بالكيفيّة الّتي تكون بها مفهمته. وممّا يفترَض، على سبيل المثال، أنّ الطّبيعة الموضوعيّة لزلزال ما، من حيث هو عمل (أو حدث)، تقتضي أن يسمِّي اسم [زلزال] بالضّرورة عملا. فالعرفنة لا تُعتبَر ذاتَ دور مهمّ في تحديد معنى العبارة. وممّا يهمّ، على سبيل المثال، قدرتنا المفهوميّة على تصوير الأحداث على أنّها أشياء مجرّدة. فإذا كان الاعتراف بهذه القدرة على التّجريد المفهوميّ، يمكن للمرء أن يثبت أنّ [زلزال] تسمِّي بالفعل شيئا - بعبارة أوضح، حدثا متشيّئا مفهوميّا. يتضمّن المعنى في عبارة ما دائما طريقة مخصوصة في الانبناء مهما كان المضمون المستحضَر.

يمكن لفعل مثل [*explode* «انفجر»] واسم مثل [*explosion* «انفجار»] أن يحيل كلاهما على الحدث نفسه. يقوم ذلك، حسب المعتقد المعياريّ، دليلا على أنّ قسمي الأفعال والأسماء لا يقبلان التّعريف دلاليّا. ولو كانا كذلك لكانت [انفجر] و[انفجار] تنتميان إلى نفس المقولة بما أنّ لهما المعنى نفسَه. هذا المنطق في التّفكير يعتمد على الافتراض المُغالِط القائل بأنّ الإحالة على نفس الحدث تجعل العبارتين متكافئتين دلاليّا. ولكنّهما ليستا كذلك. فلئن كانتا تستحضران المضمون المفهوميّ نفسه، فإنّهما مختلفتان في المعنى، بسبب اختلافهما في الكيفيّة الّتي ينبني بها في

الواحـدة منهما: خلافا لكلمـة [انفجر] الّتي تعكس بطريقة مباشـرة طبيعة العمليّة المتدرِّجة في الحدث، تصوّره كلمة [انفجار]، على أنّه شـيء مجرّد مشـتقّ بواسطة التَّشْـيِيء المفهوميّ. وما انتماء العبارتين إلى مقولتين نحويّتين مختلفتين، إلاّ بحكم هذا التّباين المفهوميّ بالتّحديد.

وباعتبار أسـس المقبوليّـة الظّاهرة والمصلحة ينبغي علينـا أن نبدأ بالتّوقّع القائـم علـى أنّ المفاهيم النّحويّة الأساسـيّة من قبيل الاسـم والفعـل، قابلة للتّعريـف باعتماد المعنى.[2] وقد أوردنا الأسـباب الدّاعيـة إلى رفض الحجّة المعياريّـة - وهي الحجّـة الوحيدة واقعيّا- لأنّها تدّعي أنّهما ليسـا كذلك. وبطبيعـة الحال، لا يُثبت رفضُ الحجّة أنّ التّوصيفات المفهوميّة قابلة للتّحقيق بالفعل. وفي الصّفحـات الموالية تقديم لتعريفات دلاليّة صريحة بوجه معقول للأسـماء والأفعال والمقولات الأخرى. وتبرهن هذه الصّفحات، على الأقلّ، على أنّ التّعريفات من هذا القبيل ممكنة من حيث المبدأ.

2.1.4 طبيعة الفرضيّة

مـا المقصود، بالتّحديد، بما يذهب إليه النّحو العرفنيّ من كون الأقسـام النّحويّة الأساسيّة قابلة لأن تعرّفَ دلاليّا؟ تحتاج نقاط كثيرة إلى التّوضيح.

أوّلا، تتعلّـق الفرضيّـة بمسـتوى الوصف الخطاطيّ عوضا عن المسـتوى الطّـرازيّ.[3] لقـد بات، إلى حـدّ الآن، من المقبول على نطاق واسـع كون التّوصيفـات المفهوميّـة ممكنـة للأعضـاء المركزيّيـن أو الطّرازيّيـن في المقولات الأساسـيّة. فالاسـم الطّرازيّ، إذن، هو اسم يجري عَلَما على شيء مـادّيّ (مثل ملعقة، سـيّارة، كلـب، مَطَريّة). ويكون الأمـر كذلك في الأفعـال الطّرازيّة بأن تعيِّن الأعمـال أو الأحداث (جرى، انفجر، ضرب) وفي الصّفـات بأن تحـدّد الخصائـص (أزرق، طويل، ذكيّ). وأمّـا إمكانيّة قيام التّعريفـات الخطاطيّـة الّتي تقبـل الانطباق على جميع الأعضاء في قسـم ما، فهي ذات درجة من الوضوح أقلّ بكثير ممّا مضى. ففي حالة الأسـماء، على سـبيل المثال، ينبغي أن لا يتضمّن توصيف خطاطيّ الأشـياءَ المادّيّة فقط بل ينبغـي أن يتضمّن كذلك المجموعةَ الخليط من الوحدات الّتي تشـير إليها الأسـماء، مثل هواء، وجَمال، وفريق، وعدد صحيح، وحفل موسيقيّ، وزلزال، ومدار، وانفجار، وفلسـفة. وخلافا للمعتقد المعيـاريّ، يرى النّحو العرفنيّ أنّ التّوصيفات من هذا القبيل يمكن أن تتحقّق بالفعل.

ما هو مدى هذا الافتراض؟ ما هي المقولات النّحويّة الّتي يعتَقَد أن تكون التّعريفاتُ المفهوميّة الخطاطيّة ممكنةً بالنّسبة إليها؟ يتمثّل جواب أوّليّ في أن يكون الافتراض مقتصرا على الأقسام الّتي تعتَبر، على وجه معقول، كونيّةً وأساسيّة (تقاس تباعا بعدد اللّغات وعدد الأبنية الّتي تكون ماثلة فيها). ومن أوضح الحالات الاسمُ والفعلُ. وفي الطّرف المقابل، لا يتوقّع أحد أن يكون قسم متأسّس على تفرّد خاصّ في السّلوك النّحويّ في لغة وحيدة قابلا، وجوبا، للتّعريف دلاليّا. فليس من المتوقّع، على سبيل المثال، أنّ الأفعال في الإنجليزيّة الّتي يتكوّن جدول تصريفها في الزّمن الماضي بـ [*-aught* /*-ought*] ([*bring* "حمل / أحضر / جلب"]، [*seek* "طلب / بحث"]، [*fight* "صارع"]، [*buy* "(ا)شـ(ـتـ)ـرى"]، [*catch* "أمسك / قبض على"]، [*teach* «درَّس»]) يمكن تخصيصها على أساس معناها. وبطبيعة الحال، يثير جعل الافتراض مقتصرا على الأقسام الّتي تكون كونيّة وأساسيّة عددا من القضايا النّظريّة، إن لم يكن من سبب فلأنّ تلك المعايير مسألة درجات.

وحتّى الاسم والفعل، فإنّهما يُحرَمان، في بعض الأحيان، من منزلة المقولات الكونيّة. يقوم الحرمان من هذا القبيل على ما يلاحَظ في بعض اللّغات حيث يمكن أن يُستعمَل، عمليّا، كلّ عنصر معجميّ اسما أو فعلا؛ ولا يكتسب العنصر المعجميّ خصائص شبيهِ الفعل أو شبيهِ الاسم، إلاّ في سياق بناء نحويّ (إسمائيّ أو مركّبيّ جُمَليّ) من مستوى أعلى. لكنّ هذه الملاحظة تتعلّق فقط بمنزلة الاسم والفعل من حيث كانا مقولتين معجميّتين كونيّتين- يعني ذلك، هل العناصر المعجميّة المخصوصة تُتَعلَّم ثمّ تخزَّن مخصَّصةً بكونها أسماء أو بكونها أفعالا. وليس هذا الأمر، بالنّسبة إلى النّحو العرفنيّ الّذي يرى في المعجم والنّحو استرسالا، قضيّة مصيريّة. فالفرضيّة الأساسيّة تتمثّل ببساطة في أنّ للاسم والفعل دورا في الوصف النّحويّ في كلّ لغة. فلا يمتنع أن يتكوّن معنى عنصر معجميّ من مضمون مفهوميّ بمفرده، على أنّ الانبناء المميِّز للمقولات الخاصّة مفروض بالتّشكّلات النّحويّة الّتي يظهر فيها. (لكن يمكنني أن أجيب بأنّ الجريان النّظاميّ المطّرد في نوع معيّن من التّشكّل يقود إلى تجذّر الانبناء الّذي يقدحه ذلك الجريان وإلى جعله تواضعيّا، وبأنّ هذا الأمر في ذاته مساو لأن يكون للعنصر المعجميّ بديل ينتمي إلى القسم المعنيِّ. ويمكن للّغات أن تختلف ببساطة في نسبة الوحدات المعجميّة الّتي تتأسّس في شأنها مفهمةٌ خاصّة، على أساس متين.)

ولا يتشبّث النّحو العرفنيّ البتّةَ بـ«أقسام الكلام» التّقليديّة أو بالأقسام الّتي يوحي بها ضمنيّا الاصطلاح النّحويّ المعياريّ. والمصطلحات التّقليديّة ينقصها التّعريف الدّقيق، وهي غير متماسكة في انطباقها، وغير صالحة بصفة عامّة (بلْهَ أن تكون المُثلى) لوصف النّحو. ومع ذلك، تكون بعض المفاهيم المعياريّة (من مثل الحرف، والظّرف، ومصدر الفاعليّة ومصدر المفعوليّة) مفيدة بما يكفي، وتُستَدعَى بتواتر مرتفع جدّا، إلى حدّ يكون فيه اجتنابها صعبا. وترمي توصيفاتها في النّحو العرفنيّ إلى الإمساك بالأساس المفهوميّ مهما كانت الفائدة الوصفيّة فيها (على الأقلّ في حدود التّقديرات الأوّليّة). ومع ذلك، يرسم النّحو العرفنيّ حدود المقولات بطرق مختلفة معتمدا على مفاهيمه الأساسيّة الخاصّة به. والأقسام، محدّدةً بهذه الطّريقة، ليست مطابقة بوجه دقيق للمقولات التّقليديّة، حتّى وإن جرى الاحتفاظ ببعض المصطلحات المعياريّة.

تتمثّل مشكلة مفصليّة متعلّقة بالمقولات النّحويّة في الكيفيّة الّتي ترتبط بها بالأبنية النّحويّة. وبناءً على أساس ما يفتَرض من استحالة التّعريفات المفهوميّة، تتمسّك العقيدة المعياريّة بأنّ جميع الأقسام - حتّى الاسم والفعل- ينبغي أن تعرّفَ في كلّ لغة في ضوء سلوكها النّحويّ (الأسماء الواردة مقترنة بعلامات التّعيين (التّعريف والتّنكير) وبالصِّفات المحوِّرة، والأفعالُ المصرّفة وفق الزّمان، مثلا). وبما أنّ اللّغات تتنوّع تنوّعا كبيرا من حيث أرصدة الأبنية النّحويّة الخاصّة بالواحدة منها، ينتج عن إقامة التّعريفات فقط على أساس الأبنية الّتي تجري فيها العناصر، أن لا يكون أيّ قسم كونيّا حقيقةً. فقد اقترح بعضهم فعلا أنّ الأبنية (بدل المقولات) هي العناصر الأساسيّة المكوّنة للبنية اللّغويّة (كروفت 2001). فتحدِّد كلّ بنية في لغة ما مقولةً خاصّة بتلك اللّغة تتكوّن من العناصر الّتي تجري فيها فقط. فلا حاجة، من هذا المنظور، إلى افتراض أقسام عامّة شبيهة بأقسام الكلام التّقليديّة.[4]

فالواجب على كلّ إطارِ عمل وصفيٍّ أن يمكّن المرءَ من تحديد مجموعة العناصر الّتي تظهر في بناء بعينه. وبتوفير أداة لتحقيق ذلك (الفصل 8)، يستوعب النّحو العرفنيّ الأقسام الّتي حدِّدت ضمنيّا على أساس الورود في أبنية مخصوصة. فلا يشترَط بالنّسبة إلى هذه الأقسام أن تكون التّوصيفات الدّلاليّة ممكنة ولا يُتوقّع ذلك (والأفعال المصرّفة في الماضي بـ[*-aught* /*-ought*]، مثال على ذلك). وفي الوقت نفسه، لا ينزع الانتماء إليها إلى أن يكون اعتباطيّا بصفة

كلّيّة. والبناء الّذي لا تشترك العناصر الواردة فيه إلاّ في مجرّد ظهورها فيه، بناءٌ غير عاديّ في أفضل الأحوال. وعلى خلاف ذلك، تبدي الأقسام القائمة على أساس الجريان في البناء الواحد درجات متنوّعة من التّماسك الدّلاليّ أو الصّوتميّ. ويمكن أن يكون الشّبه بين أعضاء قسم ما واهيا جدّا (كأن تقتضي أغلب الأفعال المصرّفة بـ[*aught*-/ *ought*-] أن تَتعلّمَ خصّيصا). ويحتمَل أن يوجد تعميم صالح لا يكفي، رغم ذلك، لتمييز الأعضاء من غير الأعضاء (كأن تكون الأفعال المصرّفة بـ[*aught*-/ *ought*-] أحاديّة المقطع، مثلا). وفي أقصى الحالات، تكون العضويّة في القسم- أي القدرة على الجريان في بناء ما- قابلة للتّوقّع على أساس المعنى و/أو الشّكل.

وليست الخصائص الدّلاليّة الماثلة في مظاهر الانتظام هذه تجميعا عشوائيّا. تغلب مجموعة معيّنة من المفاهيم عبر اللّغات، بوجه خاصّ في توصيف السّلوك النّحويّ وتساهم في التّماسك الدّلاليّ في الأقسام القائمة على أساس البناء. ومن البديهيّ أن تكون هناك تصوّرات خاصّة ذات بروز عرفنيّ كاف لأن تُستدعَى غالبا لغايات نحويّة، دافعة بذلك الأقسام إلى أن تتلاحم حولها. وتحدّد درجةُ بروزها العرفنيّ المدى الّذي تكون عليه الأقسام المناسبة لها كونيّةً وأساسيّةً. وتتلاحم أقصى المقولات كونيّة وأساسيّة حول نموذج بدئيّ مفهوميّ ذي درجة من البروز عالية جدّا، وكذلك حول قدرة عرفنيّة أساسيّة (يُحتمَل أن تكون فطريّة) تتجلّى بادئ الأمر في النّموذج البدئيّ وتكون مسؤولة عن انبثاقه. يشتغل النّموذج البدئيّ طرازا للمقُولة، وتوفّر القدرةُ العرفنيّة التّوصيفَ الخطاطيّ لتلك المقولة. ففي حال الأسماء، مثلا، النّموذج البدئيّ هو تصوّرُ شيء مادّيّ ينبثق بفعل قدرة عرفنيّة أساسيّة يطلَق عليها هنا التَّشْيِيءُ المفهوميّ (§ 4. 2).

وبما أنّ البروز العرفنيّ مسألة درجات، لا يفترض النّحو العرفنيّ وجود أيّ مسرد نهائيّ ثابت في المقولات الكونيّة. فمن زاوية البروز، تكون المفاهيم الّتي تنشدّ إليها مقولتا الاسم والفعل شبيهةً بالقمم العليا على امتداد سلسلة من الجبال: لا يمكنها أن تقف بمفردها رغم نتوئها. ويمكننا، زيادة على ذلك، التّعرّف على مقولات ذات درجات أقلّ، ولكن مهمّة، من الكونيّة ومن الأهميّة النّحويّة، كالصّفات مثلا (دِكسون 1977). ويرتبط عدد الأقسام الّتي نتعرّف عليها بمدى نزولنا على تلك السّلالم من الدّرجات. وكلّ قَطْعٍ مخصوص يحدث عند نقطة ما، اعتباطيّ دون شكّ.

لا تُطابق مقولةٌ أساسيّة من هذا القبيل، بالضّرورة، مطابقة دقيقة، قسما قائما على أساس البناء. هب، مثلا، أنّ بناء مخصوصا ينطبق بشكل رئيسيّ على الأسماء، بوجه تكون فيه الإحالة على هذه المقولة ماثلة في أيّ وصف مقنع. قد يتضمّن البناء، رغم ذلك، تخصيصا دلاليّا يكون غير موافق لمعاني بعض الأسماء فيمنع بذلك جريانَها فيه. ومقابل ذلك، يمكن أن يوسَّع البناء إلى حدّ يتجاوز فيه (الأسماء) الأطرزة ليشمل الأعضاء من مقولة أخرى.[5] فالأبنية النّحويّة عموما مركّبة جدّا، بحكم عوامل كثيرة تحدِّد بدقّة مجموع العناصر الّتي تظهر فيها. فيمكن، حينئذ، لمقولة أساسيّة أن تكون مبرَّرة، تبريرا قويّا، بفائدتها في وصف الأبنية المتنوّعة، بصرف النّظر عمّا إذا كان توصيفها المفهوميّ الخاصّ بها - مأخوذا بمفرده- كافيا لتخصيص العضويّة في أيّ قسم قائم على البناء.

3.1.4 التّوصيفات الأوّليّة

إذا كانت المقولات الأساسيّة بالفعل قابلة لأن تعرّف دلاليّا، لِمَ لم يكن ذلك جليّا على امتداد ما مضى من الزّمن؟ ولمَ لم تُقتَرح معان للمقولة قابلةٌ للتّطبيق منذ وقت طويل ولم تكن مقبولة على نطاق واسع؟ يمكننا في العموم أن نلوم علم الدّلالة الموضوعيّ، أي تحديد المعنى باعتماد السّمات الموضوعيّة الّتي تكون للوضعيّة الّتي يجري وصفها. يُقصي هذا الموقف العامّ الّذي سيطر زمنا طويلا ما نحتاج إليه، بالتّحديد، لحلّ المشكل. لا تصير التّوصيفات الدّلاليّة قابلة للتّحقّق إلاّ بالاعتراف بدور العرفنة الحاسم - أي كيف تدرَك الوضعيّات وتُتَصوّر. وممّا يكون مفيدا في ذلك على وجه الخصوص، مظهران من الانبناء: هما العرض ومستوى التّخصيص.

كنت أشرت إلى الفائدة من التّخصيص، وأنا أثبت أنّ المفاهيم الّتي تدرَس دائما (مثل "شيء"، و"حدث"، و"موضع")، تكون على غاية من التّخصيص لتؤدّي دور التّوصيفات الخطاطيّة الصّالحة لجميع الأعضاء في الأقسام الأساسيّة. وإذا ما أمكن، بالفعل، أن توجد تعريفات عامّة، يكون ذلك في مستوى أعلى من الخطاطيّة.

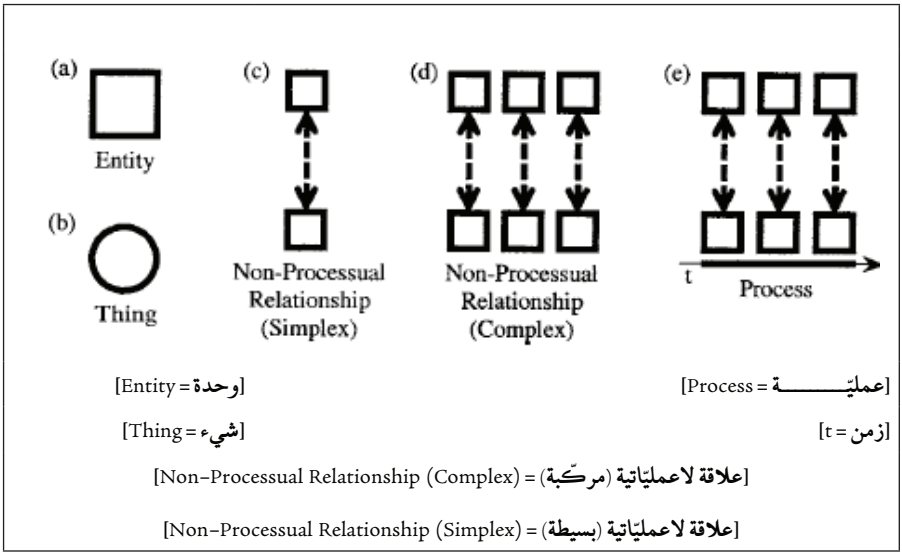
للعرض أهمّيّة قصوى للأسباب التّالية: ما يحدّد المقُولةَ النّحويّةَ لعبارة ما ليس مضمونَها المفهوميّ الشّامل، بل طبيعة معروضها خاصّة. يعني ذلك أن نبرهن على أن يكون للمعروض، وجوبا، دور التّحديد في المَقْوَلة

لأنّــه يمثّل ما تشــير إليه العبارة؛ فالمعروض هو بــؤرة الانتباه داخل المضمون المســتحضَر. فمضمون كلمة [*bat* «مضرب الكــرة»]، مثلا، يتضمّن تصوُّر شــخص ما يُجرِي حركة متمايلة، بقطعة خشــبيّة دقيقة لكي يضرب كرة. فهذا المجال مركزيّ في معناها ســواء شغلت دور الاسم ([*He uses a heavy bat* «(هو) يســتعمل مضربا ثقيلا»]) أو دور الفعل ([*It's your turn to bat* «حان دورك لتضــرب الكرة»]). وترتبط مقْولتُها على أنّها اســم أو فعــل، بما إذا كانت تعرض الأداةَ الخشبيّة أو العملَ الّذي تُستعمَل فيه تلك الأداة.

ولتعريــف المقولات الأساســيّة، يكون من المفيــد أن نتّخذ مصطلحا ذا أقصى الدّرجات مــن العموم في انطباقه. وتُعتَمَد كلمة «وحدة» لهذه الغاية. وهي تنطبق، حينئذ، على كلّ شيء يمكن أن يُتصوّر أو يحالَ عليه في وصف البنية المفهوميّة: الأشــياء، والعلاقات، والكمّيّات، والأحاسيس، والتّغيّرات، والمواضع، والأبعاد، وما إلى ذلك. وليس من المفروض، على وجه التّحديد، أن تكون الوحدة متفاصلة، أو قابلة للتّعرّف عليها بمعزل عن سائر الأشياء، أو بارزة عرفنيّا. تُرسَم الوحدات في شكل مستطيلات، في التّمثيلات الخطاطيّة كما يظهر في الرّسم البيانيّ 4. 1.

يمكن لنا أن نقدّم الآن تعريفات أوّليّة لبعض الأقســام الأساسيّة. تُوَصَّف كلّ مقُولة باعتماد ما تعرِضه عبارة ما. فيعرَّف الاســم، حينئذ، بكونه عبارة تعرض شــيئا. ويجب أن يُفهَم أنّ «شيء» تُســتعمَل هنا مصطلحا تقنيّا يكون الكشف عن مضمونه الدّقيق في الفقرة § 4. 2. 2. أمّا الآن فيمكننا ببساطة أن نشير إلى أنّ توصيفَه ذو طبيعة تجريديّة جدّا (هو كلّ نتاج لتشييءٍ مفهوميّ)، ولذلك، لا تقتصر الأشياء على الأجسام المادّيّة. وفي الرّسوم البيانيّة، يكون تمثيل شيء ما باعتماد دائرة بيضويّة.

وأمّا أعضاء ســائر الأقســام الأساســيّة فتعرض العلاقاتِ. يجري مصطلح «علاقة»، كذلك، في معنى تجريديّ تقنيّ يأتي تفســيره في المقبل من هذا الكتــاب. وتُصوَّر العلاقات، غالبا، في الرّســوم البيانيّــة باعتماد الخطوط أو السّــهام تربط بين الوحدات المشاركة فيها. ومراعاةً لتوصيف الوحدات، لا يكون من المشــروط أن يكون المشــاركون بارزيــن أو متفاصلين أو ممّا يتعرّف عليهم تعرّفا إفراديّا.



الرّسم البيانيّ 4. 1

يمكـــن التّمييز بين أصنـــاف متنوّعة من العلاقات ويمكن اســـتعمالها لتوصيف المقولات الأساسـّية. وأكثرها أهمّيّـــة التّمييز بين عمليّة وعلاقة لاعمليّاتيّة. وفي ضوء ما يعرّف به المصطلح في النّحو العرفنيّ، فإنّ العمليّة تتطوّر خلال الزّمن، كما يجري تمثيلها في الرّســـم البيانيّ 4. 1 (e) بالسّهم الموســـوم بـ(t). ويشـــير الخطّ الغليظ الممتدّ على سهم الزّمن إلى أنّ تطوّر العمليّـــة خلال الزّمن محلّ تبئير عوض أن يكـــون مخلَّفا. والعمليّة أكثر تركُّبـــا، بمعنى أنّ تجلّيها فـــي أيّ واحدة من اللّحظـــات - أي في «مقطع زمنيّ» من العلاقة الشّـــاملة - هو في حـــدّ ذاته علاقة.[6] وكلّ علاقة تفتقر إلـــى هذه الخصائص، تكـــون بحكم ذلك علاقـــة لا عمليّاتيّة. يمكن للعلاقة أن تكون لا عمليّاتيّة بحكم كونها بسـيطة، كامنة في تشكّل يتجلّى بتمامه وكماله فـــي لحظة مفردة. ولئن أمكن للعلاقة اللاّعمليّاتيّة أن تســـتمرّ خلال الزّمن، فإنّ تطوّرها الزّمنيّ لا يكون أساسيّا في توصيفها أو فـــي التّعـــرّف عليها. فعلى ســـبيل المثال، يمكن للعلاقـــة الفضائيّة الّتي تعرضها [*on* "على"] في (1) (أ)، أن تستمرّ إلى ما لانهاية له، ولكنّها تتحقّق بصفـــة تامّة في أيّ لحظة مفردة (وهي لذلك قابلة للتّعرّف عليها في صورة فوتوغرافيّة).

(1) (أ) *She is sitting **on** the roof.*

هي جالسة على السّطح.

(ب) *She climbed up **onto** the roof.*

صعدَت (هي) إلى أعلى السّطح.

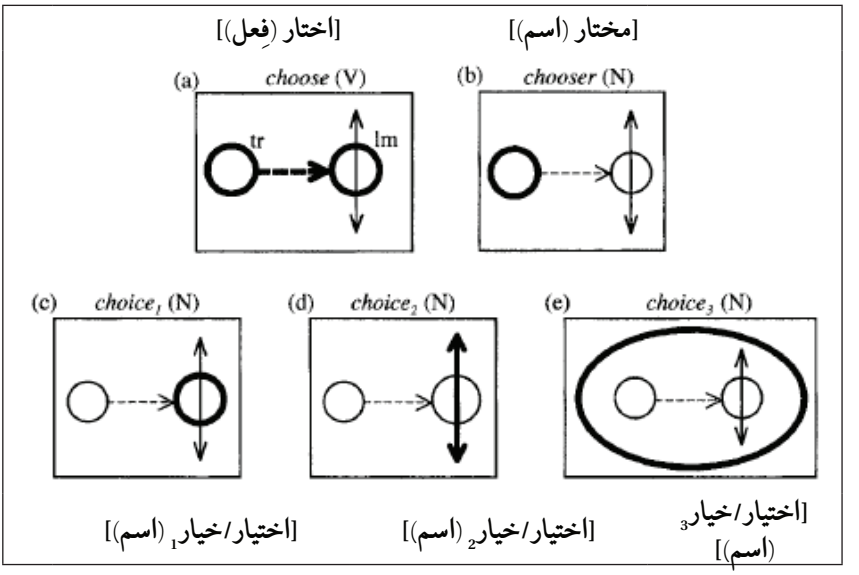
يمكن لعلاقة ما أن تكون لاعمليّاتيّة بحكم كونها منظورا إليها بصفة شموليّة فيجعَل لذلك تطوّرها الزّمني ماثلا في الخلفيّة. في (1) (ب)، على سبيل المثال، تعرض [*onto* "إلى أعلى"] علاقة فضائيّة تتطوّر خلال الزّمن، محدّدة مسلك التّنقّل، وينبني ذلك بالحرف انبناء شموليّا على أنّه جشطلت مفرد (كما يجري في الصّورة الفوتوغرافيّة ذات اللّقطات المتعدّدة). والعلاقة اللاّعمليّاتيّة، سواء كانت بسيطة أو منظورا إليها في شموليّتها، علاقة لازمنيّة بمعنى أنّ تطوّرها خلال الزّمن ليس مركز تبئير.

يمكننا أن نعرّف الفعل، تعريفا خطاطيّا، بكونه عبارة تعرض عمليّة. ويوصَّف عدد من المقولات التّقليديّة الأخرى - بما في ذلك الصّفة، والظّرف، والحرف، ومصدر الفاعليّة ومصدر المفعوليّة- بأنّها تعرض علاقات لاعمَليّاتيّة. ورغم أنّ التّمييز بين هذه المقولات ممكن على أساس خصائص إضافيّة أخرى (انظر الفقرة § 4. 3)، فإنّها تكوِّن، من زاوية التّناول في النّحو العرفنيّ، مقولة شاملة تندرج فيها تلك المقولات على أنّها حالات خاصّة. وهذه المقولة غير ذات تسمية جاهزة لأنّها لم تتبلور في الدّراسات التّقليديّة. ولذلك، أتحدّث ببساطة عن عبارات علائقيّة تكون لاعمليّاتيّة (أو لازمنيّة).

4. 1. 4 الأمثلة الأوّليّة

تعين بعض الأمثلة القليلة، من حيث كانت مقدّمة لنقاش مفصّل، في توضيح هذه التّوصيفات وفي جعلها في المتناول. لنفحص أوّلا كلمة [*choose* «اختار»] مع الاسمين المشتقّين منها [*chooser* «مختار»] و[*choice* «اختيار/خيار»]. تعرض كلمة [*choose* «اختار»]، من حيث كانت فعلا، عمليّة، كما يجري رسمها باختزال في الرّسم البيانيّ 4. 2 (a). فهي تشير إلى العلاقة بين منتقل (tr)، هو ذاك الشّخص الّذي يَختار، ومعلم (lm)

هــو الوحدة الّذي وقع اختيارها. وفي حدود ما ضبطناه من غايات لأنفســنا هنا، يكفي أن نشــير إلى أنّ المنتقل يشرع في نشاط ذهنيّ (يجري التّمثيل له بســهم متقطّــع) يرمي إلى إفراد المعلَم من مجموعــة من البدائل (يجري تقديمها في شكل ســهم عموديّ ذي رأسين). ومن البيّن، أنّ العلاقة الّتي يعرضها [*choose* «اختار»] تتنامــى خلال الزّمن، فهي بذلك عمليّاتيّة، حتّى وإن حُذِف الزّمن من الرّسم البيانيّ.[7]



الرّسم البيانيّ 4. 2

والاســمان [*chooser* «مختــار»] و[*choice* «اختيار/خيار»] مشــتقّان من [*choose* «اختــار»]، ويســتحضران العمليّــة الّتي يــدلّ عليها من حيث هي أساســهما المفهوميّ. هما اسمان لأنّ اشتقاقهما، بالتّحديد، يتمثّل في تحويل المعروض من العمليّة في ذاتها إلى شــيء يجري توصيفه من حيث علاقته بها. وفي حالة [*chooser* «مختار»]، الشّيء المعروض هو ذاك الّذي يقوم بالاختيار (أي منتقل الفعل).[8] ولكلمة [*choice* «اختيار/خيار»] ثلاثة معان أساســيّة. تدلّ في واحد مــن تأويلاتهــا كما يرد في المثال (2) (أ)، على شــيء وقــع اختياره (المعلم العمليّاتــي). وتعــرض، بــدلا من ذلك، مجمــوع الخيارات، كمــا في (2) (ب). وأخيرا، تعرض في (2) (ج) شــيئا مجرّدا كان الحصول عليه بالتّشــييئ المفهوميّ للعمليّة الأســاس. يتمثّل هذا الحدث المشــيّأ في عيّنة من الاختيار، كما يجري عرضه في شكل دائرة بيضويّة في الرّسم البيانيّ 4. 2 (e).

(2) (أ) *Unfortunately their top choice proved incapable of doing the job.*

لسوء الحظّ، تبيّن أنّ أحسن خيار لهم عاجز عن أداء العمل.

(ب) *They offer a wide choice of investment options.*

هم يعرضون خيارا واسعا من إمكانيّات توظيف الأموال.

(ج) *She made her choice in just seconds.*

(هي) قامت بخيارها في ثوان معدودات.

تأمّل بعد ذلك في العبارات الإنجليزيّة المكتوبة بالخطّ الغليظ في (3) (وهي المسطّرة في النّص العربيّ). فمن حيث مضمونها الأساسيّ، تشترك إلى حدّ كبير في الأساس المفهوميّ كما يجري عرضه باختزال في الرّسم البيانيّ 4. 3. ترمز الدّائرة إلى متنقّل، والسّهم المسترسل إلى مسلك التّنقّل، والخانة الجزئيّة إلى حاوية ذات فتحة. بداية من خارج الحاوية، ينتهي المتنقّل إلى الحلول بداخلها. ويمثّل لهذه العلاقة الظّرفيّة النّهائيّة سهم ذو رأسين متقطّع. وتشير الرّسوم (e)-(a)، تباعا، إلى أنماط العرض المسلّطة على هذا المضمون باعتماد الكلمات المكتوبة بالخطّ الغليظ في العبارات الواردة في (3) (أ)-(هـ).

(3) (أ) *The anthropologist is now **in** the tomb.*

عالم الأنتروبولوجيا، الآن، في القبر.

(ب) *The **inside** of the tomb was elaborately decorated.*

كان داخلُ القبر مزيّنا بشكل متقن جدّا.

(ج) *The **entrance** to the tomb is narrow.*

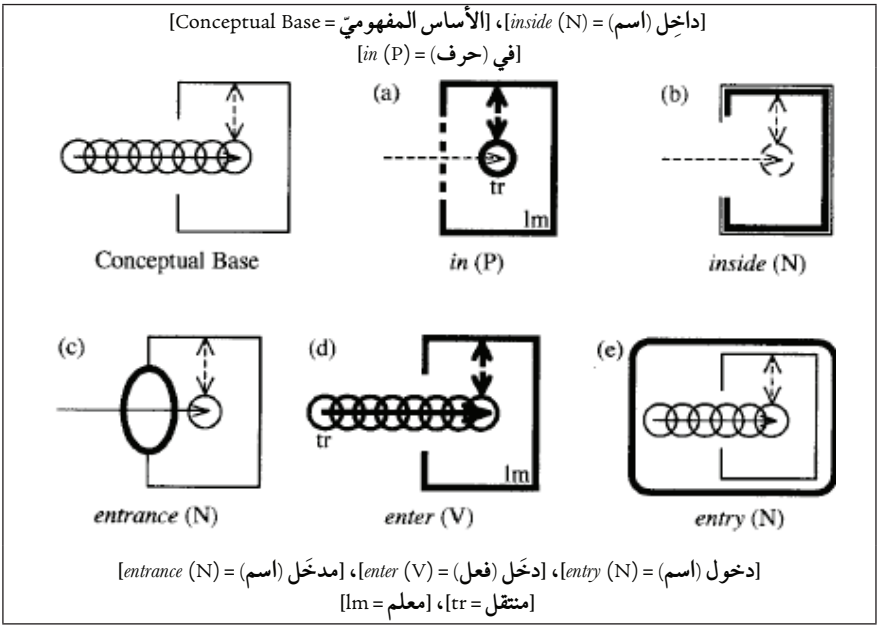
مدخل القبر ضيّق.

(د) *He reluctantly **entered** the tomb.*

دخل (هو) القبر بتردّد.

(هـ) *His **entry** into the tomb took only a few seconds.*

لم يدم دخوله إلى القبر إلاّ ثواني قليلة.

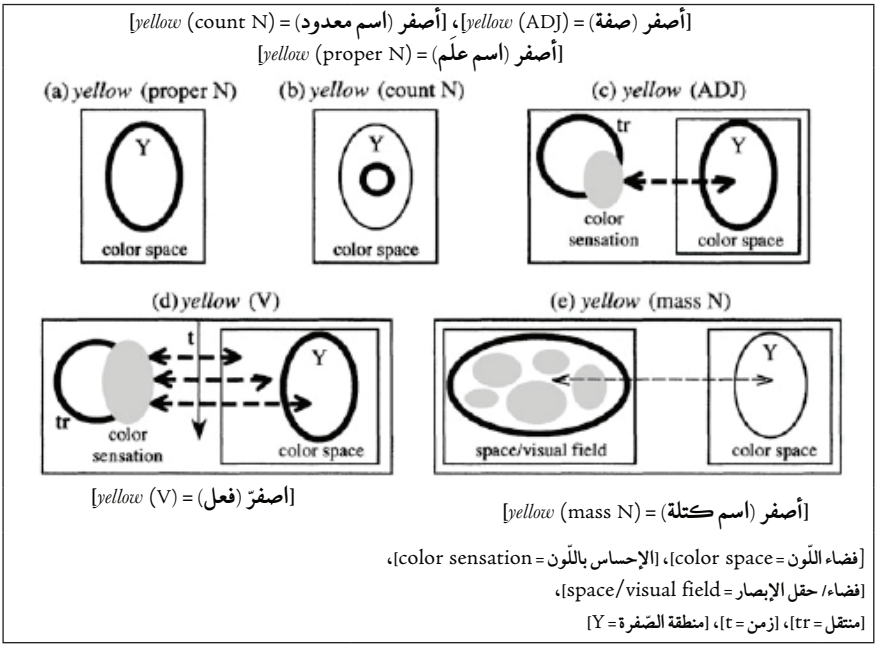


الرّسم البيانيّ 4. 3

تعرِض [*in* «في»]، في (3) (أ) علاقة فضائيّة بسيطة بين منتقل ومعلم، كلاهما موصَّفَ على أساس أنّه شيء. وذاك يجعل منها حرفا، يكون في ذاته لازمانيّا. ولئن كان من المفترض أنّ المنتقل قد تنقّل ليبلغ الموضع المخصّص، فإنّ الحرف في ذاته لا يعيّن (أو حتّى يستحضر بالضّرورة) ذلك التّنقّلَ. وكلمة [*inside* «داخل»] يمكنها أن تكون كذلك حرفا، مرادفا لـ[*in* «في»] تقريبا، ولكنّها في (3) (ب) تتصرّف تصرّف الاسم. وهي، في هذا الاستعمال الخاصّ، تعرض سطحَ الحاوية الدّاخليّ. ورغم أنّ الحاوية توحي بفكرة شيء نكون داخله، تكون هذه الفكرة هنا بعيدة في الخلفيّة. وأمّا كلمة [*entrance* "مدخل"] فهي اسم بطبيعة الحال. وهي ذات معنى تجريديّ (مثل [*entry* «دخول»] في (3) (هـ))، ولكنّها تكاد لا تشير في (3) (ج) إلاّ إلى فتحة في الحاوية يكون من خلالها الولوج إلى الدّاخل. وفي (3) (د)، يعرض الفعل [*enter* «دخل»] عمليّة المنتقل وهو يتنقّل على امتداد مسلك فضائيّ إلى داخل المعلم. وأخيرا، تكون [*entry* «دخول»] في (3) (هـ) اسما دالاّ على شيء مجرّد مشتقّ من الفعل عن طريق التّشييء المفهوميّ. ويتمثّل المعروض في عيّنة من العمليّة التي يدلّ عليها الفعل. انظر في المعاني المختلفة لكلمة [*yellow* «أصفر»]، مثالا أخيرا، ترد منه نماذج في (4)، وهي مرسومة باختزال في الرّسم البيانيّ 4. 4 تباعا.

(4) (أ) ***Yellow**is a nice color.*
الأصفر لون جميل.
(ب) *This **yellow**would look good in our kitchen.*
يمكن أن يبدو هذا الأصفر جميلا في مطبخنا.
(ج) *The ball is **yellow.***
الكرة صفراء.
(د) *Gradually the paper **yellow**ed.*
اصفرّ الورق (بالتّدريج).
(هـ) *There's a lot of **yellow**in this painting.*
يوجد الكثير من الأصفر في هذه اللّوحة.

في (4) (أ)، تسلك [*yellow* «أصفر»] سلوك نوع من الاسم العلم لأنّ مرجعها فريد لا اشتراك فيه. ومعروضها شيء مجرّد يتمثّل في منطقة معيّنة (يشار إليها بحرف [Y]) في المجال الأساسيّ لفضاء الألوان. في (4) (ب)، تشير [*yellow* «أصفر»] إلى مساحة محدودة داخل منطقة [Y]، وهي مناسبة لدرجة مخصوصة من ظلال اللّون الأصفر. وبحكم وجود ظلال كثيرة ممكنة، تكون كلمة [أصفر] في هذا الاستعمال، اسما مشتركا (لا اسما علما). وبالإضافة إلى ذلك تمقوَل كذلك اسما معدودا (بدل أن تكون اسم كتلة) بما أنّ المنطقة المعروضة محدودة.



الرّسم البيانيّ 4 . 4

وفي (4) (ج)، تعرض [*yellow* «أصفر»]، من حيث هي صفة، علاقة لازمانيّة يكون فيها المشارك المبأّر الوحيد (أي المنتقل فيها) شيئا. تكمن طبيعة هذه العلاقة (الّتي تُعرَض في شكل سهم متقطّع) في أنّ إحساسا باللّون مرتبطا بالمنتقل يصادف موقعا ضمن منطقة الأصفر من فضاء اللّون.[9] افترضْ الآن أنّ الإحساس باللّون يتغيّر خلال الزّمن، متدرّجا من لون خارج المنَطقة [Y] إلى لون داخلها، كما يوصف في (4) (د). فعندما تصنَّف كلمة [*yellow* «أصفر»] ضمن الأفعال، تعرض هذه العلاقةَ المركّبة بتمامها وتنقل التّغيّرَ خلال الزّمن إلى الأماميّة. وأخيرا، تجري [*yellow* «أصفر»] في (4) (هـ)، اسم كتلة فيقترن بها مسوّر اسم الكتلة [*a lot of* "كثير من"]. فهي تحيل هنا إحالة كلّيّة على رقاقاتَ لونيّة كثيرة من الأصفر تتجلّى داخل مساحة اللّوحة الفضائيّة. وليس من السّمات الكامنة في الشّيء المعروض باسم كتلة أن يكون محدودا، ولا أن يكون ذا شكل معيّن في صميمه، وليس محتاجا إلى أن يكون مسترسلا في الفضاء (انظر [*There's a lot of mud on this carpet* «هناك الكثير من الوحَل على هذا البساط»]).

2.4 الأسماء والأفعال

يقدّم النّحو العرفنيّ الفرضيّة المثيرة للجدل (إن لم تكن مربكة) والّتي تنصّ على أنّ المفاهيم النّحويّة الأساسيّة يمكن أن توصَّف دلاليّا، لا في مستوى الطّراز فحسب، بل في المستوى الخطاطيّ كذلك. وتتكوّن أطرزة تلك الأبنية من نماذج بدئيّة مفهوميّة متجذّرة في التّجربة. وتحيل توصيفاتها الخطاطيّة (الصّالحة لجميع التّحقّقات) على القدرات العرفنيّة الأساسيّة الّتي تتجلّى بصفة أوّليّة في تلك النّماذج البدئيّة ثمّ تتوسّع لاحقا لتشمل سائر الحالات. ورغم أن مداها الأخير يظلّ في حاجة إلى تحديد، تكون الفرضيّة صالحة على الأقلّ لبعض المفاهيم الّتي تُعتبَر، بصفة معقولة، أساسيّة وكونيّة في آن واحد: الاسم، والفعل، والمفعول، وأبنية الملكيّة. ننظر هنا في الاسم والفعل.

1.2.4 مستوى الطّراز

في ما يتعلّق بالأسماء، يتمثّل النّموذج البدئيّ الّذي يؤدّي دور طراز المقولة في تصوّر شيء مادّيّ. وفي ما يخصّ الأفعال، هو تصوّر المشاركين يتفاعلون تفاعلا نشيطا في حدث ذي «قوّة حركيّة» ما (طالمي 1988a). وكلاهما ماثل ببروز في نموذج بدئيّ مفهوميّ أكثر تبلورا أُطلِقُ عليه منوال كرة البلياردو:

نحن نتصوّر عالمنا مأهولا بأشياء مادّيّة متفاصلة. وهذه الأشياء قادرة على التّنقّل خلال الفضاء وعلى الاحتكاك في ما بينها. والتّنقّل محكوم بالطّاقة الّتي تستمدّها بعض الأشياء من مصادر داخليّة، وتستقبلها أخرى من الخارج. وعندما ينتُج عن التّنقّل تصادم مادّيّ قويّ تنتقل الطّاقة من المتنقّل إلى الشّيء المصطدَم به، هذا الّذي يمكنه، بحكم ذلك، أن يدخُل في حركة ليشارك في المزيد من التّفاعلات. (لانقاكر 1991: 13).

يمثّل هذا المنوال العرفنيّ الطّريقة الجوهريّة الّتي نرى بها العالم. وبذلك يكون الدّور الّذي يؤدّيه فيه النّموذجان البدئيّان للاسم وللفعل موافقا لمنزلتهما من حيث هما المقولتان النّحويّتان الأساسيّتان.

من المعتاد في المقْوَلة أن يكون الفارق الأكبر بين الأعضاء في قسمين قابلا للملاحَظة كذلك بين طرازيهما. فيكون طراز الاسم وطراز الفعل وفقا لذلك متناقضين تناقضا تامّا في ضوء منوال كرة البلياردو، من حيث هما متباينان في جميع خصائصهما الأساسيّة. ويكون النّموذج البدئيّ بالنّسبة إلى الأسماء كما يلي:

1. يتكوّن الشّيء المادّيّ من مادّة ملموسة.

2. نتصوّر شيئا ما على أنّه حالٌّ أساسا في الفضاء، حيث يكون محدودا ويحتلّ موضعا خاصّا به.

3. من ناحية أخرى، يمكن أن يستمرّ وجود الشّيء في الزّمن، استمرارا لا نهاية له، ولا يُتصوَّر على أنّ له موضعا خاصّا في هذا المجال.

4. يكون الشّيء من زاوية مفهوميّة مستقلاّ بذاته، بمعنى أنّه يمكن أن نتصوّرَه بصرف النّظر عن أيّ مشاركة تكون له في أيّ من الأحداث.

وعلى نقيض كلّ نقطة ممّا مضى تكون الأفعال منمذجة:

1. التّفاعل النّشيط لا يكون في ذاته مادّيّا، ويتمثّل، عوضا عن ذلك، في التّغيّر وفي نقل الطّاقة.

2. تبعا لذلك، يكمن الحدث أساسا في الزّمن؛ ويكون محدودا زمنيّا وله موضعه الزّمنيّ الخاصّ به.

3. وبالمقارنة، يكون موضع حدث ما في الفضاء أكثر انتشارا ومشتقّا بحكم توقّفه على مواضع المشاركين فيه.

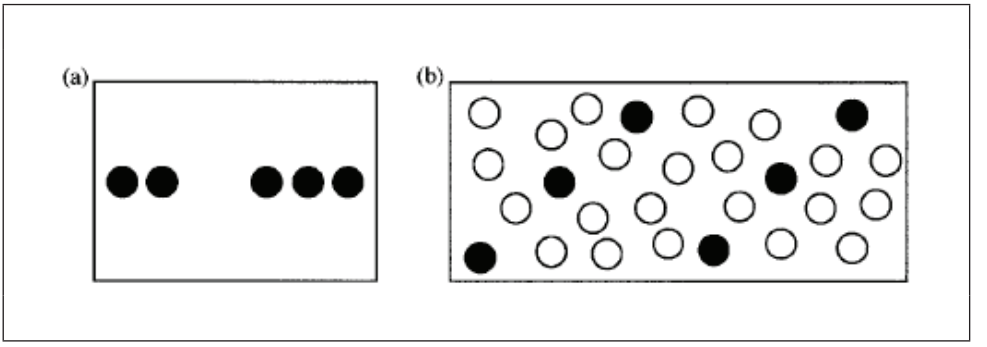
4. يكون ذلك كذلك لأنّ الحدث تابعٌ مفهوميّا؛ فلا يمكن أن يُتصوَّر دون تصوّرِ المشاركين الّذين يتفاعلون لتكوينه.

يتكوّن هذان النّموذجان البدئيّان من عناصر بسطى وهما منتشران في تجربتنا إلى حدّ أنّنا نعتبرهما من المسلّمات في العموم. وبالإضافة إلى ذلك، يُعتَبَر هنا أنّ انبثاقهما المفهوميّ يفترض مسبقا قدرات عرفنيّة أساسيّة معيّنة. أربع منها تبدو ضروريّة على وجه الخصوص: قدرتنا على التّجميع، وعلى التّشييء، وعلى إدراك العلاقات، وعلى متابعة العلاقات خلال الزّمن. ولا يمكن التّشكيك في أنّ لنا هذه القدرات إلاّ في ما ندر. فعندما نعترف بها، تمكّننا من إقامة توصيفات خطاطيّة معقولة لمقولتي الاسم والفعل.

2.2.4 خطاطة الاسم

تكون البرهنة على قدرتنا على التّجميع بصفة فوريّة في مستوى الإدراك الأساسيّ. لنفحص أوّلا الرّسم البيانيّ 4. 5 (a). عند النّظر فيه، ندرك بصفة آليّة مجموعة من نقطتين سوداوين، إلى اليسار، ومجموعة أخرى من ثلاث نقاط إلى اليمين. هذه النّزعة إلى التّجميع على غاية من القوّة تجعلنا لا نقدر على رؤية النّقاط الخمس من حيث هي مجموعة من النّقاط غير ذات تجميعة خاصّة. ولا نقدر كذلك، دون بذل جهد ذهنيّ خاصّ، على رؤيتها متجمّعة بأيّ طريقة أخرى (مثلا على أنّها مجموعة من ثلاث نقاط إلى اليمين، ومجموعة من نقطتين اثنتين إلى اليسار).

وتقوّي عواملُ خاصّة التّجميع، منها عاملان رئيسيّان هما التّجاور والتّماثل.[10] تكوّن النّقاط في الرّسم البيانيّ 4. 5 (a) بوضوح مجموعتين واحدة من نقطتين وأخرى من ثلاث نقاط، على أساس التّجاوُر الفضائيّ. ومن جهة أخرى، تتوزّع النّقاط في الرّسم البيانيّ 4. 5 (b) في مجموعات على أساس التّماثل: رغم اختلاطها الفضائيّ، يمكننا أن ندرك بصفة فوريّة مجموعة من ستّ نقاط سود يفرزها لونها على حدة من المجموعة الأكبر المتكوّنة من النّقاط البيض. ويكون من الأرجح كذلك أن ندرك النّقاط السّود على أنّها تكوّن مجموعتين من ثلاث نقاط على أساس القرب الفضائيّ. يبيّن هذا التّجمّع الإضافيّ أمرا أساسيّا: أعني أنّ التّجميع (مثل الكثير من الظّواهر العرفنيّة الأخرى) يجري في مستويات متعدّدة من التّنضيد المفهوميّ. وفي هذه الحالة، تنبثق مجموعات المستوى الأعلى القائمة على أساس التّجاور، ضمن حدود مجموعة المستوى الأسفل القائمة على التّماثل.



الرّسم البيانيّ4 . 5

ومن الأسس الأخرى في التّجميع، التّعرّف على التّشكّلات المألوفة. يكمن تصوّر أيّ واحد من هذه الأبنية في العمليّات الذّهنيّة الّتي تحزم - أو تربط ما بين- الوحدات الّتي تُؤوَّل على أنّها تكوّنها. تفرِد هذه التّرابطاتُ الوحداتِ المكوّنيّة وتقيمها في شكل مجموعة. في الرّسم البيانيّ 4. 5 (b) على سبيل المثال، تُدرَك النّقاط السّود الثّلاث الواردة إلى اليمين على أنّها تكوّن خطّا مستقيما، تماما كما تكون النّقاط الثّلاث الواردة إلى اليسار. يؤدّي إدراك خطّ ما دورَ عمليّةِ تَرابط ترسِّخ في كلّ مرّة التّجميعَ القائم على أساس التّجاور الفضائيّ. ومن أمثلة المجموعة القائمة بهذه الطّريقة، لكنّه أكثر تبلورا، كوكبة النّجوم. فعندما ننظر إلى السّماء ليلا ونرى الدّبّ الأكبر، لا تنفصل النّجوم الّتي تتضمّنه من النّجوم المتبقّية بحكم أيّ تماثل خاصّ (فجميع النّجوم متشابهة إلى حدّ كبير)، ولا بحكم أيّ تقارب فضائيّ (بما أنّ النّجوم يتخلّل بعضها بعضا). وما يسبّب انبثاقها في شكل مجموعة إنّما هو تأويلها على أنّها نقاط تسطِّر صورة خطاطيّة مألوفة، يتمثّل التّعرّف عليها في عمليّات ذهنيّة من خلالها تترابط النّجوم المكوّنة لها.

وما إن تستو المجموعة قائمةً، يمكنها أن تشتغل اشتغال الوحدة المفردة في مستويات عليا من المفهمة. فالخطّان اللّذان ينبثقان بالتّجميع في الرّسم البيانيّ 4. 5 (b) (كلّ واحد منهما يتكوّن من ثلاث نقاط سود)، على سبيل المثال، إنّما يدرَكان على أنّهما متوازيان بالإضافة إلى ذلك. فهما يشتغلان على أنّهما وحدتان مكتملتان بالنّظر إلى هذا التّقدير من المستوى الأعلى: الحكم بالتّوازي لا يتعلّق بالنّقاط بصفة فرديّة، ولكن بالخطّين اللّذين يتكوّنان منها. فهذه القدرة على معاملة مجموعة على أنّها وحدة مكتملة

لغاية عرفنيّة من مرتبة عليا، هو ما أسمّيه التّشييء. وعلى هذا، يُشيَّأ كلّ واحد من الخطّين المنبثقين في الرّسم البيانيّ 4. 5 (b)، بحكم أنّه يُعامَل معاملة عنصر مفرد في إدراك التّوازي، ويُستدعَى كذلك في أيّ تصوّر آخر (كأن يكون ذلك في عدّهما، أومقارنتهما من حيث الطّول، أو ملاحظة درجة الميلان فيهما).

يمكننا الآن أن نعرّف الشّيء بكونه كلَّ نتاج للتّجميع والتّشييء[11] وبما أنّ هذه ظواهر عرفنيّة عامّة، غير محدودة بالفضاء أو بالإدراك، يمكن للأشياء أن تنبثق من الوحدات المكوّنيّة في أيّ مجال أو في أيّ مستوى من مستويات التّنضيد المفهوميّ. اُنظُر في [*recipe* «وصفة طبخ»]، مثلا. ليست وصفة الطّبخ في ذاتها شيئا يوجد في الفضاء رغم أنّها يمكن أن تُكتَبَ. لكن بحكم تعريفنا التّجريديّ، تكون وصفة الطّبخ شيئا، تمثّل الوحدات المكوّنة له خطوات متتالية تُتّبع في إعداد أكلة ما. تترابط هذه الخطوات وتقوم في شكل مجموعة لمجرّد أنّها تُتصوَّر جاريةً في ترتيب معيّن. فهي خطوات مشيّأة بأن جرت مفهمتها على أنّها عمليّة مفردة موحّدة تكمن غايتها الكلّيّة في إنشاء الأكلة. وبطريقة مماثلة، تكون [*committee* "اللّجنة"] شيئا حتّى وإن لم تجتمع وحداتها المكوّنيّة -أي أعضاؤها- أبدا في مكان واحد. فقد جرى تنفيذ تجميعهم وتشييئهم من خلال جوهر التّصوّر لتعاضُدِهم وعملِهم الجماعيّ في سبيل غاية مشتركة. وممّا يكون شيئا، وإن هو من طبيعة أخرى، مفهوم [*moment* "اللّحظة"]. فوحداتها المكوّنيّة (نقاط في الزّمن) تتجمّع على أساس التّجاور الزّمنيّ من حيث كانت مدى مسترسلا في الزّمان. فهي مجموعة مشيّأة من خلال تصوّرها على أنّها كتلة موحَّدة من التجربة الزّمنيّة ذات مدى قصير جدّا في مدّة زمنيّة مجملة.

يمكن لشيء ناتج عن طريق التّجميع والتّشييء أن يشتغل بدوره وحدة مكوّنيّة في شيء من درجة أعلى. ومن خلال الانطباق المتتابع لهذه العمليّات الذّهنيّة، يمكن الوصول إلى أشياء تنتمي إلى مستوى من مستويات التّنضيد المفهوميّ. فعلى سبيل المثال، يمثّل [*plate* «صحن»] شيئا، وكذلك [*stack* "كومة"] من الصّحون نصل إليها بجعل هذه الأشياء الواحد منها فوق الآخر. وإذا ما كان تصفيف أربع من هذه الكُوَم وفق تشكّل معيّن، يمكن أن تدرَك على أنّها [*square* "مربّع"]. ويمكن لعدد من تلك المربّعات أن يوضع معا ليكوّن [*row* "صفّا"] من المربّعات. وبتخيّل عدد كبير من هذه الصّفوف

قد امتدّت متوازية، ينشأ لدينا تصوّر لـ[*three parallel rows* "ثلاثة صفوف متوازية"] يمكن، زيادة على ذلك، أن تُتَصوَّر على أنّها [*array* "نسق"] مفرد. ويمكن أن يتواصل الأمر كذلك إلى ما لا نهاية له. فالعبارة من قبيل (5) لا تثير مشاكل مفهوميّة مخصوصة رغم تعقّدها. (فقد تجري في واحد من المداخل في دليل مصوَّر يصف عملا فنّيّا حديثا.)

(5) *an array of three parallel rows of squares each consisting of four stacks of plates*
نسق من ثلاثة صفوف متوازية من مربّعات كلّ واحد منها يتكوّن من أربع أكوام من الصّحون.

وبوجه أكثر تجريدا يمكن لـ[*league* "رابطة"] رياضيّة أن تتكوّن من [*conferences* "اتِّحادَيْن"] اثنين، في الواحد منهما ثلاثة [*divisions* "أقسام"] في الواحد منها [*teams* "فِرَقٌ"] كثيرة يتضمّن كلّ واحد منها عددا من [*players* "اللّاعبين"].

نحن الآن مستعدّون للنّظر في مقترح النّحو العرفنيّ القائل بأنّ الاسم يعرِض شيئا (في المعنى التّقنيّ الّذي أشرنا إليه منذ قليل). قد يبدو أنّ لهذا التّوصيف الخطاطيّ حظّا حقيقيّا ليكون قابلا للتّطبيق. لاحظ أوّلا أنّه يستوعب بطريقة مباشرة الأسماء الكثيرة الّتي يتمثّل مرجعها بوضوح في عناصر متعدّدة يمكن التّعرّف عليها تعرّفا فرديّا. وفي ما يلي مجرّد عيّنة بسيطة: فريق، تشكيلة، زوج، مجموعة، كومة، فريق [رياضيّ]، أوركسترا، صفّ، أرخبيل، ثلاثيّ، كوكبة/مجرّة، قائمة، جمعيّة، مكتبة، طاقم أكل فضّيّ، مسرد، قطيع، جزّة صوف، صفّ أعمدة، قبيلة، أسرة، حزمة، ألفبائيّة، لحن موسيقيّ، فرقة، غابة، سداسيّة [عضلات البطن]، حزمة [أوراق اللّعب]، جوقة، طاقم العمل، خطّ [الهجوم]، طاقم الملاحة، مستَعمَرة، لوازم الأكل [لشخص واحد]، حمل [الأنثى من القطط]، أسطول، لوحة ثلاثيّة، قافلة، معجم، جمهور. بالنّسبة إلى مثل هذه الأسماء، لا يبدو الوصف من القبيل الّذي اقترحناه - حيث تكون الوحدات المكوّنيّة متجمّعة ومشيّأة لتكوّن عنصرا موحّدا في مستوى أعلى من التّنضيد- قابلا للتّطبيق فقط، بل هو ضروريّ ضرورة مطلقة كذلك.

وإذا ما استقام التّعريف على وجه جيّد في حالات مثل هذه، فكيف يكون الأمر بالنّسبة إلى الأسماء الّتي تعتبَر طرازيّة والّتي تشير إلى أشياء مادّيّة؟ قد يبدو الأمر هنا مشكلا، بما أنّنا لا نفكّر في صخرة، أو طاولة، أو حَشِيّة، أو قطّ، أو بطاطا على أنّها مجموعة. وليس من البيّن كذلك، أنّ الوحدات الّتي

تكوّنها ينبغي أن تكون كذلك.[12] وزيادة على ذلك، يكمن المشكل في أنّ التّعريف مشكل، لأنّه لو كان صالحا لوجب بكلّ تأكيد أن ينطبق دون إشكال على الطّراز. وما الصّعوبة، مع ذلك، إلاّ ظاهرة. فهناك تبرير جيّد لتجميع الوحدات المكوّنيّة الّتي تبدو، على الأقلّ، جليّة في الطّراز.

فالشّيء هو مجموعة من الوحدات المترابطة تشتغل كما لو كانت وحدة مفردة في مستوى أعلى من التّنضيد المفهوميّ. وتكمن النّقطة الرّئيسيّة في أنّ الوحدة (كما عرِّفَت في الفقرة § 4. 1. 3) لا تحتاج إلى أن تكون متفاصلة، أو ذاتَ بروز عرفنيّ، أو ممّا يتعرّف عليه بصفة فرديّة. وعلى هذا، يمكن أن يوصَف شيء مسترسل ومتجانس مثل [*board* "لوح"]، دون تناقض، بأنّ له وحدات مكوّنيّة. فيمكن أن تحدَّدَ تلك المكوّنات بكونها رقائق الخشب - الّتي لا حصر لها عدّا وتحديدها محض اعتباط- والّتي تحتلّ بصفة جماعيّة الحجم الكامل الّذي يشغله امتدادها التّامّ. فاشتمال [لوح] على امتداد مسترسل من هذه المادّة مركزيّ في تصوّره، بكل جلاء.[13] يُقِيم عملُ إدراك هذا الاسترسال، في صميمه، من حيث هو تسجيل لوجود المادّة في كلّ نقطة، الترابطَ بين الوحدات المكوّنيّة ويجعل منها مجموعة. ولا يتضمّن هذا أنّ هناك إنشاءً لتفاصُلٍ في أيّ مستوى من مستويات المعالجة، بوجه يكون فيه إدراك لوح على أنّه كوكبة من العناصر المتفرّقة. وبالفعل إنّ غياب التّفريد هو بالتّحديد ما يجعل الأشياء المادّيّة طرازيّة. فهي تمثّل الظّرف الخاصّ الّذي يكون فيه التّجميع والتّشييء آليّين إلى حدّ لا يمكن الاهتداء عنده أبدا إلى الوحدات المكوّنيّة اهتداء واعيا. ولا يمكن لنا أن نكون مُعَرِفنين لأثرها إلاّ عندما تُوسَّع هذه العمليّات لتشمل حالات أخرى تكون فيها غير آليّة إن لم تكن غريبة.

فما يغلب في المستوى الواعي، حينئذ، بالنّسبة إلى الأشياء المادّيّة، هو نتاج التّجميع والتّشييء، أي تصوُّر وحدة متكاملة. فالشّيء العاديّ يكون، في آن، مسترسلا وذا حدود فضائيّة محدّدة. وبما أنّ الخصيصتين كلتيهما ليستا محدّدتين بالتّعريف التّجريديّ لشيء ما، تتأهّل المواد الّتي تفتقر إلى تينك الخصيصتين كذلك لأن تكون أشياء. فخطاطة المقولة، إذن، تتّسع للأسماء المعدودة الّتي تشير طرازيّا إلى الموادّ. ورغم أنّ المادّة يمكن أن تتجلّى في الفضاء يكون توصيفها الأساسيّ نوعيّا. وبطبيعة الحال، يمكن أن يكون كلّ تحقّق مخصوص لمادّة ما، مثل بقعة [ماء]، مسترسلا ومحدودا

وذا شـكل معيّن. لكنّ هذه الخصائص الفضائيّة ليسـت حاسمة في تعريف المادّة، ولا هي ممّا يتضّمنه خصّيصا معنى الاسم المعدود. فيمكننا أن نعرّف المـاء بهذا الوجه حتّـى وإن كان يحيط بنا من كلّ جانـب، ولا حدود بيّنة له. وقياسـا على ذلك، تقبل البقع المتفرّقة من المـاء الانبناء على أنّها تَحقُّق مفـرد للمادّة، كما فـي العبـارة [*all that water on the floor* «كلّ هذا الماء على الأرضيّة»]. فالبقع المتفاصلة تكوّن رغم عدم استرسـالها الفضائيّ مجموعةً تقوم على أساس تماثل نوعيّ.[14]

وبطبيعة الحال، ينبغي أن يسـتوعب التّوصيـف الخطاطيّ الأنواعَ الكثيرة مـن الأسـماء الّتي تحيل علـى وحدات تجريديّـة. يكون تنـاول بعض هذه الأسماء في الفصل 5 (انظر لانقاكر 1991: § 1. 2). أكتفي هنا بالإشارة إلى أنّ الخطاطة المقترحة لا تحيل رأسـا على الأشياء المادّيّة، بل تحيل فقط على القـدرات العرفنيّـة بوجه لا تثير فيه قابليّةُ انطباقها على الأشـياء التّجريديّة أيَّ إشكال حقيقيّ. وللتّأكّد من ذلك، لا يمثّل هذا النّقاش بأيّ وجه دليلا على أنّ خطاطة الاسـم، كما هي، شـيء صحيح أو مناسب. وفوق هذا، يكون، في نظر العقيدة السّـائدة القائلة بأنّ المقولات النّحويّة لا تقبل التّعريف دلاليّا، مجرّدُ وجود فكرة مترشّحة معقولة في الظّاهر، أمرا مهمّا، على الأرجح. وفي أدنـى الأحوال، يمكن لهـذه الفكرة أن تبرهن علـى أنّ التّوصيف الدّلاليّ للأسماء ليس شيئا مستحيلا من حيث المبدأ.

3.2.4 خطاطة الفعل

تقتضـي خطاطة الأفعال قدرتين عرفنيّتين أساسـيّتين: القدرة على إدراك العلاقـات والقدرة على متابعة العلاقات خلال الزّمـن. وهاتان القدرتان على غاية من الأساسيّة ومن الجلاء إلى حدّ يبدو عنده الخوضُ فيهما شيئا غيرَ ذي فائدة. فهما تشتملان رغم ذلك على بعض اللّطائف من الأمور الّتي تستدعي البسط والعرض.

وبأبسط ما يكون من العبارة، يمثّل إدراك علاقة ما مسألةً مدارها تصوُّر وحدات متعدّدة على أساس كونها جزءا من التّجربة الذّهنيّة نفسها. فينبغي أن تُجمَّع تلك الوحدات بوجه من الوجوه في «نافذة» للمعالجة وحيدة (سـواء كان ذلـك من خلال الذّاكرة أو التّخيّل، أو الملاحظة المباشـرة). وينبغي أن يكون هناك، بالإضافة إلى ذلك، عمليّة ذهنيّة تضمّ كلتيهما وتُقِيم تبعا لذلـك ترابطا بينهما. انُظر في إدراك نغمتين موسـيقيّتين. إذا ما سـمعناهما

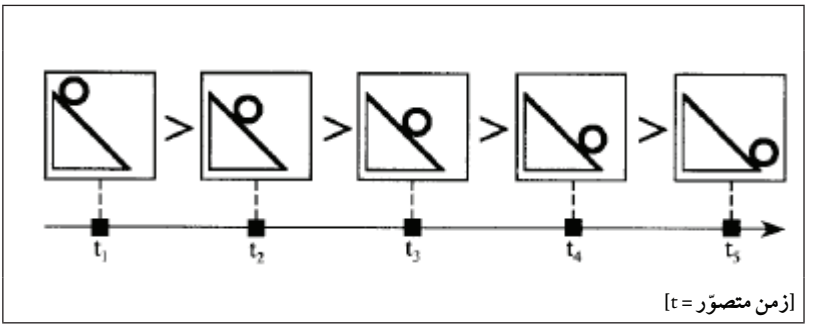
بفاصل ساعة من الزّمن، ستكوّنان، بكلّ تأكيد، تجربتين منفصلتين لا صلة للواحدة منهما بالأخرى.[15] ولكن إذا ما سمعناهما بفارق بينهما يقدّر بثانية فقط، لا يمكننا أن نجتنب الرّبط بينهما من خلال حكم ذهنيّ ما - كأن نلاحظ، مثلا، أنّ النّغمة الثّانية أعلى جرسا من الأولى، أو أنّ لهما نفس المدّة، أو أنّ هناك نغمتين اثنتين متقاربتين ببساطة. فهما لا تُتَصوّران، بذلك، منعزلتين بل في تعالقِ الواحدةِ منهما بالأخرى.

تكون الوحدات الّتي تتَصوَّر في تعالقِ الواحدةِ منها بالأخرى، مترابطة بواسطة العمليّات الذّهنيّة الّتي تربط بينها. فهي، ضمنيّا، تكوِّن جماعة، أي مجموعة من الوحدات المترابطة. وهذه، بطبيعة الحال، نفس المفاهيم الّتي تستعمَل في توصيف شيء ما. فيكون التّساؤل، تبعا لذلك، في قدرة التّفسير الحاضر على التّمييز بين الأشياء والعلاقات تمييزا مناسبا. بالفعل هو قادر على ذلك، لأنّ عاملين إضافيّين يتدخّلان كذلك: التّبئير والتّشييء. عندما تكون الوحدات مترابطة يمكننا أن نركّز البؤرة إمّا على العمليّات الرّابطة بينها أو على المجموعة الّتي تقيمها تلك الرّوابط. فبالتّركيز على التّرابطات نتصوّر علاقة ما. ونتصوَّر شيئا بالتّركيز، عوضا عن ذلك، على المجموعة المنبثقة وعلى انبنائها في شكل وحدة مفردة لغايات من مستوى أعلى.

يمكن أن تدرَك العلاقات، تماما مثل الأشياء، في مستويات من التّنضيد متعدّدة، حيث ينبثق عند كلّ واحد منها مجموعة ذات قابليّة لأن تبأّر وتشيّأ. تذَكَّرْ الرّسم البيانيّ 4. 5 (a) الّذي لا يمكن أن نرى فيه مجرّد مجموعة من النّقاط. ومن خلال تقديراتنا للقرب، نربط ربطا آليّا بين النّقطتين الواردتين إلى اليمين، وكذلك بين النّقاط الثّلاث إلى اليسار، ونقيم منهما مجموعتين. ويمكن أن نلاحظ، في مستوى أعلى من التّنضيد، أنّ تينك المجموعتين غير متساويتين في الحجم أو أنّ لهما نفس الموضع على امتداد المحور العموديّ. في الرّسم البيانيّ 4. 5 (b)، تتجلّى العلاقات في مستويات عديدة: تبرز بعض النّقاط من البقيّة بأن تتماثل في اللّون؛ وداخل هذه المجموعة القائمة بهذا الوجه، تنبثق مجموعات فرعيّة من خلال التّقديرات المتعلّقة بالقرب الفضائيّ؛ وبالمسح خلال كلّ مجموعة فرعيّة يُرَى المسلكُ الرّابط بين النّقاط خطّا مستقيما؛ وفي النّهاية يكون الحكم على الخطوط المدرَكة على هذا النّحو بكونها متوازية.

والعلاقات من هذا القبيل بسيطة، من حيث أنّ كلّ واحدة منها تتكوّن من تشكّل مفرَد يتجلّى تجلّيا تامّا عند نقطة مفردة من الزّمن. ويمكننا كذلك أن ندرك العلاقات الّتي تكون مركّبة، متكوّنة من علاقات فرعيّة كثيرة، تتجلّى عادة بشكل تتابعيّ خلال مدّة زمنيّة مسترسلة (الرّسم البيانيّ 4. 1). ولتصوّرات الحدث هذه الخصيصة. تخيّل حدثا بسيطا (مقابل المركّب)، من قبيل كرة تتدحرج على منحدر، يكون تمثيله باختزال في الرّسم البيانيّ 4. 6. فالحدث يتنامى خلال الزّمن. تحتلّ الكرة، في كلّ لحظة، موضعا ما من الفضاء، ولكنّه موضع مختلف في كلّ حالة؛ وهذه المواضع تحدِّد بصفة جماعيّة مسلك الكرة الفضائيّ. والوضعيّة المحصَّلة في كلّ واحدة من اللّحظات تمثّل علاقة بسيطة: هي تشَكُّلٌ مفرَد تحتلّ فيه الكرة موضعا واحدا مخصوصا. ويتضمّن الحدث في كلّيّته عددا غير محدود من هذه العلاقات فيكون تبعا لذلك مركّبا.

ومن زاوية تجريبيّة، يكون إدراك حدث ما شبيها بمشاهدة شريط من الصّور المتحرّكة، مقابل فحص سلسلة من الصّور الثّابتة. فتَصوُّر حدثٍ ما يكون مسترسلا بدل أن يكون متفاصلا، رغم أنّ كلّ مقطع زمنيّ يمثّل علاقة بسيطة. وهذه العلاقات المكوّنة - الّتي يحال عليها بكونها أحوالا - لا تُفرَّد ولا تُفحَص فحصا منفصلا في مستوى الانتباه الواعي. وبدل ذلك، نحن نتصوَّر حدثا ما على أنّه يتنامى دون انقطاع، كلّ حالة من أحواله تتطوّر تطوّرا عضويّا من سابقتها. تُستعمَل علامة الوتد (>) في الرّسم البيانيّ 4. 6 لتمثيل هذا الاسترسال (وإبطالِ التّفاصل الّذي توحي به الرّسوم البيانيّة الثّابتة).



الرّسم البيانيّ 4. 6

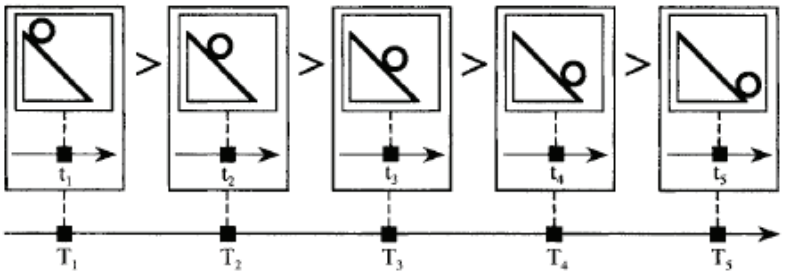
والحالات المكوّنة لحدث ما (أي العلاقات البسيطة)، في استرسالها المتّصل، شبيهة إلى حدّ كبير برقاقات من المادّة الّتي تكوّن شيئا ماديّا. فعدم تفريد الوحدات المكوّنيّة يؤدّي إلى إدراك الأشياء والأحداث على أنّها مسترسلة.[16] يوحي إدراك هذا الاسترسال بنوع من العمليّة الذّهنيّة الّتي تصلح لتسجيل الورود غير المتقطّع للوحدات المكوّنيّة على امتدادها. فيمكننا أن نصف، وصفا معقولا، هذه العمليّة بالمسح. بواسطة المسح - من خلال الفضاء في حال الأشياء، ومن خلال الزّمن بالنّسبة إلى الأحداث- يجري دمج الصّفائح المكوّنيّة في الأشياء أو الأحوال في الأحداث، لإنشاء تصوّر مُوحَّد لاتّساعها. فالمسح الّذي يجري على الأحداث يمثّل قدرتنا على تتبّع علاقة ما خلال الزّمن.

هنا يكون التّمييز الّذي أقمناه قبل هذا (§ 3. 4. 2) بين الزّمن المتصوَّر، وزمن المعالجة، أساسيّا. يمثّل السّهم الوارد في الرّسم البيانيّ 4. 6 الزّمنَ المتصوَّر (t)، أي الزّمن من حيث هو موضوع تصوّر. فنحن نقيم تصوّرا للزّمن كلّما تصوّرنا حدثا ما (ذاك الّذي يتجلّى زمنيّا، بحكم التّعريف). وبطبيعة الحال، تجري المفهمة، بحكم كونها نشاطا ذهنيّا، خلال الزّمن وتكون لها مدّتها الزّمنيّة الخاصّة بها. وتجري الإحالة على الزّمن من حيث اشتغاله وسيطا للتّصوّر، بمصطلح زمن المعالجة (T). يتطلّب كلّ تصوّر - حتّى وإن كان وضعيّة سكونيّة- لجريانه مدى من زمن المعالجة. وبصفة طبيعيّة يؤدّي كلّ من نوعي الزّمن دورا في تصوّر الأحداث. فعندما نتتبّع علاقة ما خلال الزّمن، يجري ذلك التّتبّع في زمن المعالجة، ويجري الحدث نفسه في الزّمن المتصوّر.

لنبلور الآن الرّسم البيانيّ السّابق بوجه يكون فيه تمثيل كلٍّ من الزّمن المتصوَّر (t) وزمن المعالجة (T). وفي الرّسم البيانيّ 4. 7، مرّة أخرى، تمثيلٌ لتصوّر كرة تتدحرج على منحدر. يجري نشاط التّصوّر نفسه على مدى [T_1–T_5] من زمن المعالجة. وكلّ واحد من المستطيلات الأكبر يناسب التّصوّر النّشط في لحظة بعينها، تحتلّ فيها الكرة موضعا بعينه في نقطة من الزّمن بعينها. وتحدّد هذه النّقاط مجتمعةً الفاصل الزّمنيّ [t_1–t_5] الّذي يُتَصوَّر فيه الحدث جاريا.[17]

ومن الطّرق الّتي نتصوّر بها الأحداث، أن نلاحظ جريانها الفعليّ ملاحظة مباشرة. وفي هذا الظّرف، قد يبدو التّمييز بين الزّمن المتصوَّر وزمن المعالجة أمرا غير ذي فائدة، إذ تتطابق الفواصل الزّمنيّة. فإذا ما مثّل الرّسم البيانيّ 4. 7

الملاحظة الفعليّة في الزّمن الحقيقيّ لكرة تتدحرج على منحدر، يكون المدى الزّمني [T_1-T_5] الّذي تجري المفهمة خلاله، هو بالتّحديد نفس الزّمن [t_1-t_5] الّذي يجري فيه الحدث. غير أنّ الملاحظة المباشرة للأحداث الحقيقيّة ليست إلاّ واحدة من ترتيبات كثيرة لزاوية النّظر الّتي توفّر الأرضيّة المفهوميّة للعبارات اللغويّة (§ 3. 4. 1). هب، عوضا عن ذلك، أنّ المفهمة في الرّسم البيانيّ 4. 7 واحد من اثنين: استرجاع لحدث ماض أو تخيّل لحدث مستقبل. في هذه الحال، يكون زمن المفهمة وزمن جريان الحدث متمايزين تمايزا واضحا. وبالإضافة إلى ذلك، عادة ما لا يتماثلان حتّى في المدّة: المدّة الّتي تستغرقها مفهمة حدث ما (بأن نمرّ ذهنيّا بجميع الأحوال المكوّنة له) والمدّة الّتي يستغرقها هو ليجري جريانا فعليّا، مسألتان مختلفتان اختلافا شديدا.



[زمن متصوّر = t]، [زمن معالجة = T]

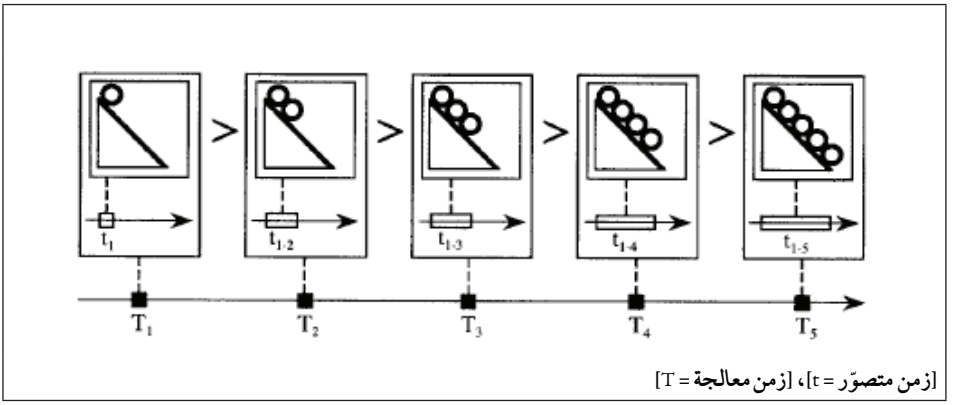
الرّسم البيانيّ 4. 7

فنحن، حينئذ، في حاجة من حيث المبدأ إلى التّمييز بين زمن التّصوّر لحدث ما، وزمن جريانه، حتّى في الحالات الّتي يصادف فيها أن يتطابقا. والمقصود من مجموعة الرّموز الواردة في الرّسم البيانيّ 4. 7 أن تكون محايدة في ما يتعلّق بكون الفواصل [T_1-T_5] والفواصل [t_1-t_5] تمثيلا لنفس المدى الزّمنيّ أو أمدية زمنيّة مختلفة، وكذلك في ما يتعلّق بمدّتها النّسبيّة. وتكمن الفائدة الرّئيسيّة منها في أنّ الأحوال المكوّنيّة يُهتَدى إليها ذهنيّا خلال زمن المعالجة وفق ترتيبها في الجريان خلال الزّمن المتصوّر، وتكمن بالإضافة إلى ذلك، في أنّ حالة مكوّنيّة واحدة هي الّتي تُنشَط إنشاطا شديدا في لحظة معيّنة من المعالجة. وبعبارة تقنيّة أكثر، يكون الاهتداء إلى الأحوال المكوّنيّة بطريقة تتابعيّة خلال زمن المعالجة بوجه تكون فيه الحالة الوحيدة المبأّرة، في لحظة زمنيّة ما (T_i)، هي تلك الحالة الّتي تحصل في اللّحظة المناسبة لها في الزّمن

المتصوَّر (t_i). يساوي ذلك أنّ تتبُّعَنا لحدث تتبّعا ذهنيّا وهو يتنامى خلال الزّمن، هو أن نُجري مسحا تتابعيّا خلاله على امتداد المحور الزّمنيّ. فنحيل عليه، وفقا لذلك، بمصطلح المسح التّتابعيّ.

ولئن بدا المسح التّتابعيّ مفهوما ملغزا، فهو في واقع الأمر مفهوم على غاية من البساطة. وبالفعل، ننشغل بهذا النّمط من المسح كلّما كنّا نلاحظ حدثا بطريقة مباشرة. هب أنّنا نشاهد، فعلا، كرة تتدحرج على منحدر. في زمن الرّؤية الحقيقيّ لهذا الحدث، لا نرى الكرة إلاّ في موضع واحد في كلّ لحظة واحدة، ونهتدي بالضّرورة إلى هذه الأحوال المكوّنات في التّعاقب الدّقيق الّذي يكون عليه تجلّيها الزّمنيّ. فالمسح التّتابعيّ، حينئذ، من صميم هذا الوجه في تنظيم زاوية النّظر (دون أن يكون مقتصرا عليها). فإذا ما كانت علاقة ما متطوّرة خلال الزّمن، تمثّلت أكثر الطّرق طبيعيّة في إدراكها في تتبّعها خلال الزّمن بهذه الطّريقة. وعلى هذا، يكون المسح التّتابعيّ قابلا للانطباق بالدّرجة نفسها سواء كان الحدث ممّا يُلاحَظ أو يتذكَّر أو يتخيّل.

لكنّنا قادرون على رؤية الأحداث بطريقة أخرى، جرى اختزالها في الرّسم البيانيّ 4. 8. وفي نمط المسح هذا، ما عادت حالة مكوّنة واحدة فقط مبأّرة عند لحظة معيّنة من زمن المعالجة. ولئن كان الاهتداء إلى جميع الأحوال في تعاقبها الطّبيعيّ قائما، فإنّها تخضع لعمليّة إجمال: يعني أنّ بعضها يجعل، ذهنيّا، راكبا فوق بعض، وذاك ما ينتُج عنه إنشاطها المتزامن. ولذلك يشتمل التّصوّر المبأّر، عند كلّ لحظة (T_i) من زمن المعالجة، على جميع التّشكّلات الّتي مرّ بها المسح إلى ذلك الحدّ من خلال فاصل الزّمن المتصوَّر ($t_i - t_1$). فتؤول النّتيجة النّهائيّة إلى أن تكون جميع الحالات المكوّنيّة نشطة ومتوفّرة على أساس التّزامن. فهي تكوّن جشطلتا مفردا شبيها بصورة فوتوغرافيّة متعدّدة اللّقطات. فقدرتنا على المسح المجمل ليست محلّ شكّ. فهي تجري، مثلا، كلّما شاهدنا شيئا يتنقّل - لنقُل كرة الغولف تتدحرج على بساط العشب الأخضر حول الحفرة - ثمّ نمثّل لمساره باعتماد خطّ ذي شكل مناسب له. وبالفعل، تُظهِر إعادات المشاهد التّلفزيونيّة في بعض الأحيان الإجمالَ بأن تجعل صور الكرة في كلّ موضع متراكبةً على التّتابع، تماما كما يجري في الرّسم البيانيّ 4. 8، إلى أن تُظهِرَ الصّورة النّهائيّة الكرةَ في جميع المواضع على أساس التّزامن.



الرّسم البيانيّ 4. 8

ولا ينبغي أن يُتصوَّر المسح التّتابعيّ والمسح المجمل متناقضين يلغي الواحد منهما الآخر، بل ينبغي أن يتصوّرا وجهين اثنين من الملاحظة العاديّة للأحداث. فالمسح التّتابعيّ يمثّل الطّبيعةَ الحقيقيّة لتجربة الإبصار الجارية في الزّمن الحقيقيّ، حيث تكون حالٌ مكوّنيّة فقط قابلة للاهتداء إليها في أيّ لحظة معيّنة. عندما نرى حدثا بطريقة تتابعيّة، يجري حفظ الحالات المتعاقبة في الذّاكرة قصيرة المدى، محدثةً بذلك سجلاّ وقتيّا يمكن أن يُهتدَى إليه حينها بطريقة مجملة. على هذا يكون لنا عند تصوّر حدث ما خيار التّركيز الانتقائيّ على أيّ واحد من نمطي المسح. فنستطيع، حسَب النّمط الّذي يغلب، أن نبرز التّعاقبيّة الصّميميّة فيه أو أن نسلط عليه انبناء شموليّا.

يُعتمَد مصطلح عمليّة للعلاقة المركّبة الّتي تتطوّر خلال الزّمن المتصوَّر وتكون ممسوحة تتابعيّا على امتداد هذا المحور. وهذا التّوصيف لا يحيل على المضمون المفهوميّ الخطاطيّ (العلاقة المركّبة الممتدّة خلال الزّمن) فقط بل يحيل كذلك على طريقة مخصوصة في الاهتداء الذّهنيّ إليه (المسح التّتابعيّ). وبناء على ذلك، يمكن للمضمون نفسه أن ينبني إمّا على أنّه عمليّة أو علاقة لاعمليّاتيّة، حسب طريقة الاهتداء إليه من مسح تتابعيّ (الطّريقة الواردة في الرّسم البيانيّ 4. 7) أو مسح مجمل (كما في الرّسم البيانيّ 4. 8). ويتمثّل افتراض أساسيّ في النّحو العرفنيّ في أنّ الفعل يَعرض عمليّةً. فالمسح التّتابعي، تبعا لذلك، تقتضيه مقْوَلة العنصر المعجميّ على أنّه فعل.[18] وعندما يُرَى المضمون نفسه بطريقة مجملة، تكون العبارة النّاتجة منتمية إلى مقولة نحويّة أخرى (مثلا، فعل غير مصرّف أو مصدر فاعليّة أو مفعوليّة).

3.4 أقسام العبارات العلائقيّة

يتمايـز طرازا الاسـم والفعل - من حيـث كان الأوّل شـيئا مادّيّا والثّاني تفاعـلا نشـيطا- تمايزا أقصى إزاء النّمـوذج البدئيّ لكرة البليـاردو (§ 4. 2. 1). تكشـف نظرة خاطفة في الرّسـم البيانيّ 4. 1 عن كون خطاطتي الاسم والفعـل متقابلتيـن كذلك تقابلا تامّـا. فتانك الخطاطتان تتأسّسـان على قدرات عرفنيّة مختلفة (التّجميع والتّشـييء مقابل إدراك العلاقات وتتبّعها). وهمـا متباينتان في طبيعة معروضهما (شـيء مقابل علاقة)، وفي درجة البلورة فيهمـا (بسـيطة مقابل مركّبـة)، وفي نمط المسـح (مجمل مقابـل تتابعيّ). وبين النّقيضيـن تكون عبارات تختلف عن الأسـماء لأنّها تعرض علاقات، وتختلف عن الأفعال لأنّ تلك العلاقات ليست عمليّاتيّة. وعلينا الآن أن ننظر في التّوصيف والتّصنيف اللّذين يكونان لهذه الحالات الوسـيطة الّتي تطابق مقـولات تقليديّة من قبيل الحرف، والصّفـة، والظّرف، والفعل غير المصرّف، ومصدري الفاعليّة والمفعوليّة.

3.4. 1 المشاركون البؤريّون

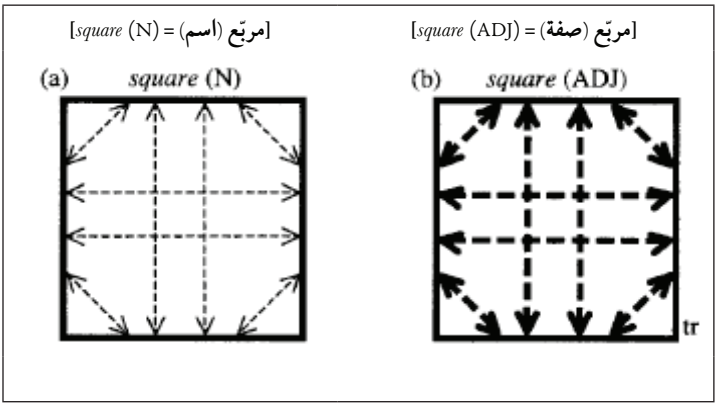
لا وجود لأيّ مخطّط تصنيفيّ قادر على إقامة الفروق الضّروريّة وعلى تحديد مظاهر التّماثل المهمّة كلّها، بين العناصر اللّغويّة. فللمفهمة أرضيّات مختلفة تُوَلِّـد أقسـاما متقاطعة تكـون جميعها صالحة بدرجة واحـدة وفي آن واحد. توحي العوامل المسـتخدَمة لتوصيف الأسـماء والأفعال بعدد من التّجميعات الطّبيعيّة (قياسـا على «الأقسـام الطّبيعيّة» في الصّوتميّـة)، لا تطابقُ أيّ واحدة منها المقولات التّقليديّة. يتمثّل واحد من هذه الأقسام في العبارات الّتي تعرض العلاقـات. وهذه العبـارات العلائقيّـة تتضمّن كلاًّ من الأفعـال الّتي تعرض عمليّـات، والعبارات الّتي تدلّ على علاقات لاعمليّاتيّة. وهذه الأخيرة في ذاتها مقولة طبيعيّة. وممّـا يمكن أن يكون كذلك طبيعيّا من المقولات، مقولة قائمة على أسـاس المسح المجمل (تشـتمل على كلّ شيء ما عدا الأفعال). وسوف نجد بعض الأدلّة الّتي تدعم كلّ واحدة من هذه التّصنيفات.

يكمن أسـاس إضافيّ في التّصنيف، بالنّسـبة إلى العبارات العلائقيّة، في عدد المشاركين البؤريّين فيها وفي طبيعتهم (§ 3. 3. 2). تَبْنِي علاقة معروضةٌ المشاركين فيها على مستويات من البروز مختلفة. ومن المعتاد أن يمثّل واحد من المشاركين البؤرة الرّئيسيّة، من حيث كان الوحدة الّتي تجري موقعتها، أو تقييمها، أو وصفها بأيّ وجه آخر. يسمّى هذا المشاركُ المُنتقِل (مق). وزيادة

على ذلك، يوجد في الأغلب مشارك بؤريّ ثانويّ، يسمّى المَعْلَم (مع).[19] وقد كان ذانك المفهومان النّظريّان قد اعتمِدا في البدء على أسس دلاليّة صِرف. فهما ضروريّان للتّمييز بين أزواج كثيرة من العبارات الّتي تكون، في حال خلاف ذلك، متطابقة دلاليّا، من قبيل [*above* «فوق»] و[*under* «تحت»] (الرّسم البيانيّ 3. 9). فالتّنضيد على أساس المُنتقِل/ المَعْلَم، حينئذ، كامن في معاني العبارات العلائقيّة، حتّى عندما تهمَل العناصر المبأّرة ولا تتحقّق بشكل ظاهر. فللفعل [*swallow* «بلع»]، على سبيل المثال، في آن واحد، منتقِل (هو البالع) ومعلَم (هو المبلوع) من حيث هما جزءان من بنيته الدّلاليّة الدّاخليّة. وفي جملة مثل [*He swallowed it* «(هو) بلعه (شيء)»]، يتخصّص ذانك العنصران بضميري الفاعل والمفعول. ومع ذلك، يستحضر الفعل نفسه ذينك المشاركين استحضارا خطاطيّا ويمنح لهما البروز البؤريّ، حتّى عند غياب الإسمائيّ الفاعل أو المفعول (مثال، [*Swallow it!* "ابلعه (شيء)**!**"]؛ [*the pill he swallowed* «الحُبَيبَة الّتي ابتلعها»].

فيكون على هذا، واحد من أسس التّصنيف في العبارات العلائقيّة متمثّلا في ما إذا كان لها مشارك بؤريّ مفرد (هو المنتقل، بحكم التّعريف) أو اثنان. ولا وجود لأيّ تناقض في أن يكون في علاقة ما مشارك واحد فقط. يكتفي التّوصيف التّجريديّ في الفقرة § 4. 2. 3 بتخصيص العلاقة بمجرّد تمثّلها في التّرابطات. وإذ لم يكن من المفروض أن تكون الوحدات المترابطة بارزة أو ظاهرة، أو حتّى مفرَّدَة، تكون فكرة العلاقة ذات المشارك الواحد منسجمة انسجاما مثاليّا. فالفعل [*rise* «نهض/ ارتفع/ هبّ واقفا»]، يشير إلى العمليّة الّتي يؤدّيها المنتقل وهو يتنقّل خلال الفضاء متّجها إلى فوق. فالعلاقة المعروضة تتكوّن من المنتقل وهو يحتلّ موقعا فضائيّا في أيّ لحظة معيّنة ومن الكيفيّة الّتي تتغيّر بها مواقعه خلال الزّمن. ولكن، خلافا للمتنقّل، لا تفرَّد هذه المواقع ولا تُفرَز لتكون محلّ بؤرة منفصلة. ومن مثل ذلك أنّ صفة من قبيل [*pretty* «جميل»] أو [*tall* "طويل"] أو [*stupid* "أحمق"]، تموقع منتقلها إزاء سُلَّم يمثّل الدّرجة الّتي يحمِل المنتقل الخصيصة الّتي تنقاس بها. هناك مشارك بؤريّ واحد فقط لأنّ الصّفة في ذاتها تحدّد الخصيصة وموقعَ تلك الخصيصة على سلّم مدرّج، في آن واحد. وهو لا ينبني، كذلك، من حيث هو وحدة ذات وجود مستقلّ تقتضي تحديدا منفصلا.

وللعبارة العلائقيّة كذلك مشارك مبأّر واحد فقط عندما تقوم التّرابطات المعروضة بين وجوه مختلفة للمنتقل نفسه (لا بين المنتقل ومعلم متميّز عنه). انظر في الصّفة [*square* «مربّع»] الّتي تصف منتقلها من حيث كان ذا شكل محدّد. يتمثّل تصوّر هذا الشّكل في عدد من العمليّات الذّهنيّة الّتي تقيّم أجزاء فرعيّة مخصوصة الواحد منها إزاء الآخر: أن يكون ذا أربعة جوانب، وأنّ كلّ جانب منها مستو، وأنّ الجانبين المتقابلين متوازيان، وأنّ الجانبين المتجاورين متعامدان، وأنّ جميع الجوانب متساوية في الطّول. تكوّن هذه الخصائص، بصفة جماعيّة، العلاقةَ المعروضة الّتي تتجلّى في إطار مشاركٍ وحيد. هذا المشارك - أي منتقِل الصّفة- هو العنصر نفسه الّذي يكون معروضا عندما يجري استعمال [*square* "مربّع"] اسما. كما يبين في الرّسم البيانيّ 4. 9، يكون للاسم وللصّفة المضمونُ المفهوميّ نفسه، من حيث يشمل كلّ منهما شيئا ما وتخصيصا لشكل ذلك الشّيء. فهما يختلفان في ما يعرضان في إطار هذا الأساس: يعرض الاسم الشّيءَ في حين تعرض الصّفة خصائصَ تشَكُّلِه (يجري تمثيلها باختزال في كليهما باعتماد سهام متقطّعة).



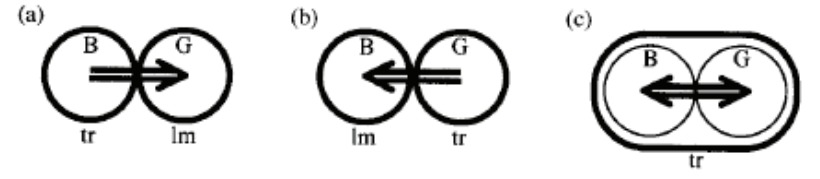
الرّسم البيانيّ 4. 9

ترتبط علاقة ما ارتباطا مفهوميّا بالمشاركين فيها؛ فهي تستحضر المشاركين فيها (وإن كان ذلك بطريقة خطاطيّة ليس غير) من حيث كانوا مظهرا صميميّا في تصوّرها في ذاتها. وبالاستتباع، يكون المبأّر من المشاركين في علاقة معروضة بدوره جزءا من المعروض العلائقيّ، كما يبين من شأن [*square* "مربّع"]، في الرّسم البيانيّ 4. 9 (b). ومن الواجب أن

لا ننسى أنّ البروز البؤريّ بُعْد واحد من أبعاد الانبناء، من حيث هو مسألة مدارُها الكيفيّة الّتي بها تُتصوَّر وضعيّة ما وتوصف، لا من حيث هي شيء قابل للإدراك في إطارها إدراكا موضوعيّا. وعلى هذا يمكن، في الغالب، للوضعيّة نفسها أن توصَف بعبارات تمنح البروز البؤريّ لعناصر مختلفة، بل لعناصر من مستويات مختلفة من التّنضيد المفهوميّ. فالجمل في (6)، مثلا، يمكن أن تستعمل جميعها لوصف الحدث نفسه:

(6) (أ) *The bride hugged the groom.*
عانقت العروس العريس.
(ب) *The groom hugged the bride.*
عانق العريس العروس.
(ج) *The couple embraced.*
تعانق الزّوجان.

ورغم أنّ العروس والعريس يشاركان على التّساوي، يكون للمتكلّم خيار تركيز البؤرة إمّا على ما تفعله العروس فينتج ذلك العبارة (6) (أ)، وإمّا على ما يفعله العريس فينتج ذلك العبارة (6) (ب). ويجري تمثيل التّباين باختزال في الرّسم البيانيّ 4. 10 (b)-(a)، حيث تشير الدّائرتان الموسومتان بعلامتي (B) إلى العروس و(G) إلى العريس، ويمثّل السّهم ذو الخطّ الثّنائيّ ممارسة القوّة. ويكون باختيار أيّ واحد منهما منتقلا (المشارك البؤريّ الرّئيسيّ)، انتقاءُ عملِ ذلك الشّخص ليكون العمليّة المعروضة (الّتي يؤدّي فيها الشّخص الآخر دور المعلم). وفوق ذلك، ليس المتكلّم في حاجة إلى أن يعرّض نفسه لتهم التّمييز على أساس الجنس عندما يُجري هذا الخيار الاعتباطيّ. فيكون له خيار آخر أكثر أمانا في (6) (ج)، كما يجري تمثيلها باختزال في الرّسم البيانيّ 4. 10 (c). هنا، تشتمل العمليّة المعروضة على أعمال كلٍّ من الشّخصين وتصفهما على أنّهما غير متناظرين. ووفقا لذلك، لا تُمنَح منزلة المنتقل إلى أيّ منهما بصفة فرديّة، ولكن تُمنَح إلى المجموعة الّتي تضمّهما، بدل ذلك. وتكون هذه المجموعة - أي الشّيء الّذي ينبثق في مستوى أعلى من التّنضيد المفهوميّ- المشاركَ البؤريّ الوحيد في العلاقة المعروضة.[20]



[معلم = tr]، [منتقل = lm]، [عريس = B]، [عروس = G]

الرّسم البيانيّ 4. 10

وعلى هذا، لا يقتصر المشـاركون المبأّرون في علاقة ما على أيّ مستوى مخصـوص من مسـتويات التّنضيد المفهومـيّ. ولا هم محدودون بالأشـياء: يمكـن أن يكون منتقـلُ عبارةٍ علائقيّة أو معلمُها علاقـةً في ذاته. والعناصر المكتوبـة بالخطّ الغليظ في (7)، نماذج مـن الإمكانيّات المتنوّعة. في (7) (أ) يكـون منتقـل [*in* «في»] عمليّةً، يتحقّـق بالعبارة الجُمَليّـة [*their baby was born* "وُلِـد رضيعهمـا"]. وفي (7) (ب) يجري تخصيص معلـم [*intend* «نوى»] بعبـارة [*to complain* "شـكا"] - أي بعبـارة فعليّة غير مصرّفـة دالّة على علاقة لاعمليّاتيّـة مركّبة. بل يمكـن لكلّ من المشـاركَيْن البؤريّين الاثنين أن يكونا علاقتين. ففي (7) (ج)، يكون منتقل [*before* "قبل"] ومعلمها كلاهما عمليّتيـن، يجري التّعبيـر عنهما تباعا بالمركّبيـن الجُمَليّيـن [*the guests all left* "انصرف الضّيوف كلّهم"] و[*she got there* "أن تصل (هي) هناك"].

(7) (أ) *Their baby was born **in** July.*
وُلِد رضيعهما في جويلية.

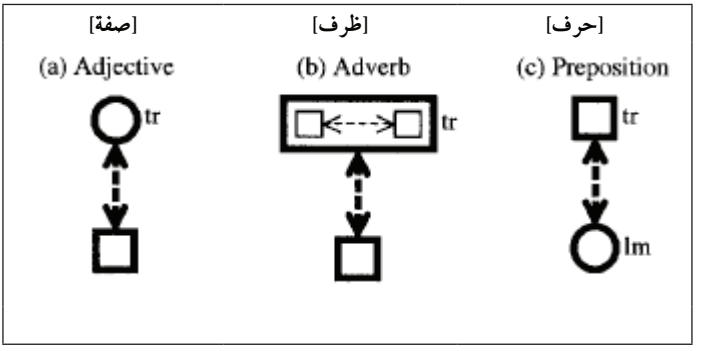
(ب) *I **intend** to complain.*
أنوي أن أرفع شكوى.

(ج) *The guests all left **before** she got there.*
انصرف الضّيوف كلّهم قبل أن تصل (هي) إلى هناك.

يتبيّن أنّ المشـاركين البؤريّين على غاية مـن الأهميّة في توصيف أجزاء عديدة من أقسـام الكلام التّقليديّة - أعني الصّفة، والظّرف، والحرف. فكلّ واحد منها يعرض علاقـة لاعمليّاتيّة. وما يميّز بينها هو تنضيد المعلم/المنتقل في كلّ منها، كما يجري عرضه في الرّسم البيانيّ 4. 11. وتختلف الصّفات والظّروف عن الحروف في أنّ لها مشاركا بؤريّا وحيدا (هو المنتقل وهي غير

ذات معلـم مبأَّر). وهي مختلفة في ما بينها في طبيعة المعلم في كلّ منها: هو شـيء بالنّسبة إلَى الصّفات، وهو علاقة بالنّسبة إلى الظّروف. ومن جهة أخرى، يكـون للحرف مشـاركان بؤريّان اثنان، على أن يكون معلمه شـيئا. وبما أنّ معلم الحرف يمكن أن يكون شـيئا أو علاقة، يجري تخصيصه خطاطيّا بكونه وحدة (نمثّل لها بمستطيل).[21]

تُنعَت الصّفة، في الدّراسـات التّقليديّة، بكونها محوِّرة للاسـم. فيكون على هذا منتقلُها شيئا خطاطيّا يخصِّصه الاسم المحوَّر بتفصيل أدقّ. في عبارة [*square tablecloth* «منديـل طاولة مربّع»]، مثلا، تبلـور [*tablecloth* "منديل طاولة"] المنتقـلَ الخطاطيّ لـ[*square* "مربّع"]. والعلاقة الّتـي تعرضها الصّفة تقوم بين منتقلِ تلك الصّفة ووحدة ما، تقصُر لسـبب من الأسباب عن البروز من حيث هي مَشـارك منفصل مبأّر. ويُحتمَل أن يكون ذلـك لأنّ العلاقة تقوم بين أجـزاء فرعيّة من المنتقل، كمـا في حالة [*square* «مربّع»] (الرّسـم البيانيّ 4. 9). وبـدلا من ذلك، يمكـن أن تكون الوحدة الّتي ليسـت منتقلا مجرّدة وتخصِّصها الصّفة نفسـها تخصيصا تامّا. وتحـدّد واحدة من الصّفات الدّرجيّة مثل [*tall* «طويل»]، موقعا على سلّم يعيّن المدى الّذي يبلغه المنتقل في إظهار خصيصة ما. فالواحدة من صفات الألوان، من قبيل [*yellow* «أصفر»] في الرّسم البيانيّ 4. 4 (c)، تربط شـيئا بمنطقة مخصوصة من فضاء اللّون. وفي الحالات مـن هذا القبيل، حيـث تحدِّد الصّفة في ذاتها الوحدةَ الّتي ليسـت منتقلا دون غيرها (أي منطقة تتوزّعها درجات على سلّم ما، أو خصيصة معيّنة)، لا تكون هذه الوحدة الأخيرة بارزة بروزا مستقلاّ ولا مبأّرة تبئيرا فرديّا.



الرّسم البيانيّ 4. 11

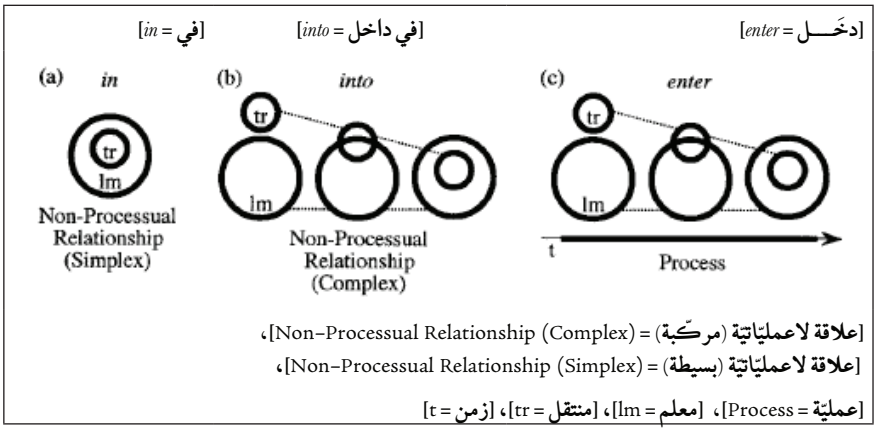
يُعـرَّف الظّرف تعريفا تقليديّـا بكونه محوِّرا لفعل (مثـل [*work fast* "عمل سـريعا/ بسـرعة"])، أو لحـرف ([*directly into the fire* "مباشـرة فـي النّار"])، أو لصفة ([*exceedingly handsome* "وسـيم إلى أبعد الحدود"])، أو لظرف آخر ([*excessively brilliant* "نابغ إلى حدّ الإفراط تقريبا"]). تلك هي بالتّحديد المقولات الأساسـيّة الّتي توصَّف بأنّهـا تعرض العلاقـات (العمليّاتيّـة واللاّعمليّاتيّة)، ولذلـك كوّنت تجمُّعا طبيعيّا في النّحـو العرفنيّ. والمقصود بجملة الرّموز الواردة في الرّسم البيانيّ 4. 11 (b)، الإشارة إلى أنّ العلاقة تؤدّي دورَ المنتقل، والحال أنّها محايدة إزاء نوع العلاقة الّتي تكوّنها. وتتجلّى أدنى مظاهر التّباين بالقياس إلى الصّفات في أزواج مثل [*work fast* "عمل سـريعا/ بسـرعة"] و[*fast worker* «عامل سـريع»]. فـي الحالتين كلتيهما، تموقع الصّفة [*fast* «سـريع/ بسـرعة»] نشـاطا ما عند الطّرف الإيجابيّ من سـلّم تقييميّ للوتيرة في إنجاز ذلك النّشـاط. ويتمثّل الفارق الوحيد في أنّ الظّرف يمنح البروزَ البؤريّ (أي منزلةَ المنتقل) للنّشاط نفسه، في حين تمنح الصّفةُ ذلك البروزَ للفاعل.[22]

وخلافـا للصّفات والظّروف، تكون الحروف محايـدةً إزاء طبيعة المنتقل فيها. تتمثّل الخصيصة المميّزة لهذا القسم في منح البروز البؤريّ الثّانويّ لشيء مـا. ويكـون التّعبير عن هذا المعلَـم بمفعول الحرف (مثـل، [in *August* «في أوت (أغسـطس)»]، [*under the bed* "تحت الفراش"]، [*with a screwdriver* "بمفكّ للبراغـي"]). يجـري نفـس الحرف، بشـكل طبيعيّ، فـي آن واحد، مجرى "الصّفة" حيث يكون منتقله شـيئا ([***the last weekend*** *in August* «نهاية الأسـبوع الأخيـر من أغسـطس»]؛ [***the dust*** *under the bed* «الغبار تحت الفراش»]؛ [***a boy*** *with a screwdriver* «صبيّ ذو مفكّ للبراغيّ»])، ومجرى «الظّرف» حيث يكون منتقله علاقـة ([***They got married*** *in August* «(هما) تزوّجا في أغسـطس»]؛ [***It's hot*** *under the bed* «الحـرارة عالية تحت الفراش»]، [***She opened it*** *with a screwdriver* «(هي) فتَحَتْه (= شـيئا) بمفكّ للبراغـيّ»]). يمثّل هذا التّراكب واحدا من الأسـباب الّتي تجعل المرء يعتبر أنّ المقْوَلـة التّقليديّة - حيث تعتبَر الصّفات والظّروف والحروف أقساما متنافية - دون المستوى الأمثل.

4. 3. 2 العلاقات المركّبة

يمكـن أن تكـون العلاقة المعروضـة بحرف ما بسـيطة أو مركّبة. في حال العبارات الفضائيّة، يحدِّد الحرف البسيط موضعا مفردا: [*in the garage* "في المستودع"]؛ [*under a tree* "تحت شجرة"]؛ [*near the exit* "قرب المخرَج"]. ومقابل

ذلك يصف حرف مركَّب سلسلةً من المواضع تؤلّف مسلكا فضائيّا: [*into* "إلى داخل المستودع"]، [*along the river* "على امتداد النّهر"]، [*through a tunnel* "عبر نفق"]. ومن الأمثلة النّموذجيّة في ذلك، الفرق بين [*in* «في»] و[*into* "إلى داخل/ في داخل"]، كما يُعرَض رسمه التّخطيطيّ في الرّسم البيانيّ 4. 12 (b)-(a). بما أنّ [*in*] تعرض تشكّلا فضائيّا مفردا، تتكوّن من حالة واحدة. ومقابل ذلك، يتكوّن معروض [*into*] من تشكّلات متعدّدة ويتضمّن نتيجة لذلك سلسلة مسترسلة من الأحوال (لا تُعرَض إلاّ ثلاث منها في 4. 12 (b)). تشير خطوط التّناسب المنقّطة إلى أنّ المنتقل هو نفسه على امتداد المسلك بأكمله، وكذا يكون المعلَم. لاحظ أنّ التّشكّل الوحيد المعروض في [*in*] هو نفس الحالة النّهائيّة في [*into*].



الرّسم البيانيّ 4. 12

وبما أنّ العلاقة الّتي يعرضها الفعل مركّبة، ينبغي أن نطرح السّؤال في ما يختلف به الفعل عن الحرف المعبِّر عن المسلك. لا يمكن أن يكون ذلك مسألة مضمون مفهوميّ فقط، لأنّ هذا المضمون يمكن أن يكون أحيانا هو هو في كليهما. في بعض الاستعمالات، مثلا، قد يبدو لفعل [*enter* "دخل"] المضمون نفسه الّذي يكون لحرف [*into*]. يُعرَض ذلك في الرّسم البيانيّ 4. 12 (c)، حيث تكون الأحوال مطابقة لتلك الواردة في 4. 12 (b). وفي التّحليل النّحويّ العرفنيّ، لا يكمن الفرق الجوهريّ في المضمون بل يكمن في الانبناء. وهناك اعتباران يبني فيهما الفعلُ المضمونَ بناء زمانيّا والحرفُ يبنيه بناء لازمانيّا. أوّلا، يستدعي الفعل بوجه خاصّ الزّمنَ المتصوّر (t) ويصف العلاقة المركّبة وهي تتطوّر على امتداد ذلك المحور. ولئن لم

يكن البعد الزّمنيّ مستبعدا من معنى الحرف ولا مبأّرا - فإنّه يظلّ في الخلفيّة بل يمكن أن يكون غائبا تماما.[23] ثانيا، يُظهر الفعل البعدَ الزّمانيّ بالمسح عبر الأحوال المكوّنة مسحا تتابعيّا (يشار إليه بالخطّ الغليظ الذّاهب على امتداد سهم الزّمن)، في حين ينجز الحرف رؤية شموليّة بأن يمسح تلك الأحوال مسحا مجملا (قارن بين الرّسمين 4. 7 و4. 8).

لا تنحصر العبارات الّتي تعرض علاقات مركّبة، في الأفعال وفي حروف المسلك. فلبعض العناصر ممّا يسمّى تقليديّا بمصادر الفاعليّة والمفعوليّة وبالأفعال غير المصرّفة، هذه الخصيصة كذلك.[24] تضمّ هذه العناصر في الإنجليزيّة أنواع العبارات الّتي ترد أمثلةٌ منها في (8): أفعال غير مصرّفة مقترنة بـ[to] (مثل [to enter "دخل غير مصرّف"])، مصادر الفاعليّة ([finding «واجد»])، ومصادر المفعوليّة الّتي تجري في تصريف المنقضي التّامّ ([have painted] "[كون] قد طلِي"])، وتلك الّتي تجري في صيغة الإسناد إلى المفعول ([be demolished] "[كون] قد هُدِم"]).

(8) (أ) *The firemen tried **to enter** the burning building.*
حاول رجال الإطفاء أن يدخلوا إلى البناية المحترقة.

(ب) *They kept **finding** errors in the manuscript.*
ما انفكّوا يجدون الأخطاء في المخطوط.

(ج) *I have already **painted** the fence.*
كنت قد طليت السّياج.

(د) *The building was completely **demolished** by the explosion.*
كانت البناية قد هدِمت تماما بالانفجار.

يمكن أن نقصر انتباهنا، في هذا المستوى، على الأفعال غير المصرّفة. فما هو معنى مركّب فعليّ غير مصرّف مثل [to enter]؟ وعلى وجه الخصوص، كيف يباين دلاليّا الفعلَ [enter]، من جهة، والحرفَ [into]، من جهة أخرى؟ وإذ لا يوجد فرق ظاهر في المضمون المفهوميّ، تكون الأحوال المكوّنة هي نفسها كما يتجلّى في الرّسم البيانيّ 4. 12 (c)-(b). فالتّباين يكمن، حينئذ، وجوبا في الانبناء بما في ذلك البعدُ الزّمنيّ الّذي يطرح نفسَه عاملا مفيدا. وبعد هذا، لا يكفي وصف [to enter] بمجرّد كونه إمّا زمانيّا أو لازمانيّا، إذ يجب أن يُميَّز، في آن واحد، من [enter] (وهو شكل زمانيّ) ومن [into] (لازمانيّ). غير أنّ هناك حلّا جاهزا. بما أنّ الفعل يختلف عن الحرف في مظهرين- أي

باستدعاء الزّمن المتصوَّر خصّيصا وبشكل بارز، وبالمسح تتابعيّا على امتداد هذا المحور- يمكن أن يُعتَبَر الفعل غير المصرّف شيئا وسطا من حيث كان شبيها بالفعل، من مظهر، وبالحرف، من المظهر الآخر. وإذ كان الفعل غير المصرّف مشتقّا من الفعل، فهو، بكلّ يقين، يعرض الأحوال المكوّنة في علاقتها بالزّمن. وعلى هذا، ينبغي أن تكون لازمانيَّتُه عائدةً إلى نمط المسح- تفرض علامة عدم التّصريف [*to*]، بكلّ وضوح، المسحَ المجمل على العمليّة المدلول عليها بالفعل. فالفعل غير المصرّف [*to enter*]، حينئذ، يحافظ على الأحوال المكوّنة لفعل [*enter*]، ولكنّه يمسحها بطريقة مجملة. فيمكن أن يكون تمثيله التّخطيطيّ هو نفس التّمثيل المعروض في الرّسم البيانيّ 4. 12 (c)، بحذف المطّة الدّالّة على المسح التّتابعيّ على محور الزّمن.

وإذ كانت جميع العناصر المتنوّعة الّتي يطلَق عليها الأفعالُ غير المصرّفة ومصادر الفاعليّة والمفعوليّة، مشتقّة من الأفعال، تكون العمليّة الّتي يدلّ عليها جذع الفعل ظاهرة بشكل بارز في معناها. وهي تشترك في خصيصة أخرى تتمثّل في فرض رؤية مجملة على العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل. وتبعا لذلك تكون البنية المشتقَّة- من حيث مثّلت مستوى أعلى من التّنضيد المفهوميّ- لاعمليّاتيّة. ولئن كانت الأفعال غير المصرّفة ومصادر الفاعليّة والمفعوليّة قائمة على أساس فعليّ، فليست أفعالا في ذاتها. فهي تعرض، بصورة نمطيّة، العلاقات اللاّعمليّاتيّة.

وممّا يشيع كثيرا، كذلك، أن تشتغل تلك الأشكال نفسها أسماء من زاوية نحويّة. فعلى سبيل المثال، تجري الأفعال غير المصرّفة المقترنة بـ[*to*] في بعض السّياقات الّتي تكون -(أو يمكن على الأقلّ، أن تكون)- مخصّصة للعبارات الإسمائيّة:

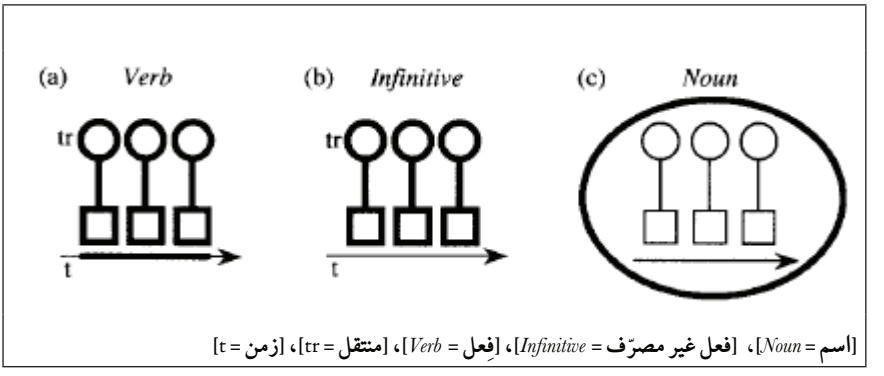
(9) (أ) ***To complain*** *would be futile.*
أن يشكو المرء، أمر لا طائل منه. (لا طائل من الشّكوى)
(ب) *What I really want is* ***to live forever.***
ما أريده حقيقة (هو) أن أعيش إلى الأبد.

فهي مثل الأسماء، تعرض شيئا قابلا للتّحديد من حيث هو تشييء مفهوميّ للعمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل.[25]

وإذا ما اعتمد وصف المقولات الأساسيّة في النّحو العرفنيّ، يكون هذا الخروج إلى الاستعمال الإسمائيّ على قدر كبير من المباشرة. فالأشياء

والعلاقـات اللاّعمليّاتيّة تكـوّن تجميعة طبيعيّة إذ يبنـي كلاهما وضعيّة ما بطريقـة مجملة. ونتيجة لذلك، تكون الرّؤية الشّـموليّة الّتي يفرضها وَسْـم الفعـل غير المصرّف أو وسـم مصادر الفاعليّة والمفعوليّـة، واحدا من عاملين أساسيّين يساهمان في اشتقاق اسم من فعل. ويتمثّل العامل المطلوب الآخر في تحـوُّل المعروض من العلاقة إلى شـيء. هب، على هذا، أنّ فعلا غير مصرّف أو مصدر فاعليّة أو مفعوليّة يخضع لهذا التّحوّل. وإذا ما لم يكن هناك وسم إضافيّ يشـير إلى ذلك التّحوّل، قد يعرض الشّـكل نفسه شيئا ويصنَّف تبعا لذلك على أنّه اسـم. وليس هذا الأمر غير قابل للتّصديق ولا مستبعدا. فليس تحوّل المعروض الضّمنيُّ شـيئا آخر غيـر الظّاهرة اللّغويّة السّـائدة المعروفة بالمجاز (المرسل) (§ 3. 3. 1).

تُعـرَض هذه الخطوات بطريقة تجريديّة في الرّسـم البيانيّ 4. 13.[26] يمثّل الرّسـم التّخطيطـيّ (a) عمليّةً. المعروض فيها علاقة مركّبة، تُمسَـح مسـحا تتابعيّا. ويعرض الرّسم التّخطيطيّ (b) التّعديل الأدنى الّذي حملته عمليّة جعل الشّـكل غيرَ مصرّف أو عمليّةُ جعل الشّـكل مصدرَ فاعليّة أو مفعوليّة: هو فرض المسـح المجمل (يشـار إليه بغيـاب المطّة على امتـداد محور الزّمن). وهـذا الأمـر لا يقتضي في ذاتـه تغيّرا في المعروض. ومـع ذلك، قد يعرض شـكلٌ غير مصرّف أو مصدرُ فاعليّة أو مفعوليّة علاقةً مركّبة تتضمّن جميع الأحـوال المكوّنة للعمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل، كما ترد أمثلة منه في (8). لكنّ الرّؤية المجملة تمثّل خطوة أساسيّة في اتّجاه الإسماء. وتكون الخطوة الأخرى في تحويل المعروض إلى شـيء يمكن أن يكون إمّا مشـاركا في العمليّة الأصليّة أو، بدل ذلك، تشـييئا مفهوميّا لتلك العمليّة نفسها. ويجري رسم الخيار الأخير في الرّسم التّخطيطيّ (c).



[**اسم** = *Noun*]، [**فعل غير مصرّف** = *Infinitive*]، [**فِعل** = *Verb*]، [**منتقل** = tr]، [**زمن** = t]

الرّسم البيانيّ 4. 13

فـي النّحو العرفنيّ، تُعتبَر الواسـماتُ النّحويّة الّتي تَشـتقّ الأشـكال غير المصرّفـة ومصادر الفاعليّة أو المفعوليّة، دالّة على معنى بالضّرورة. يتمثّل وجه من وجوه معناها في تعليق المسح التّتابعيّ الكائن في الفعل. والانبناء الشّموليّ النّاتـج للعمليّـة الّتي يدلّ عليهـا الفعل هو الخصيصة الوحيدة الّتي تشـترك فيها جميع العبـارات من الأفعال غير المصرّفة ومصـادر الفاعليّة والمفعوليّة. وتختلـف الواحدة منها عن الأخرى باعتبار نـوع الأثر الإضافيّ الّذي يكون لها في الأسـاس العمليّاتي. وللعناصر الّتي تعتبر في العادة غير مصرّفة أضعفُ أثـر. وبالفعل، قد يكون تعليق المسـح التّتابعيّ التّغيّـرَ الوحيد الّذي تحدثه. كما يظهر في الرّسـم البيانيّ 4. 13 (b)، يعرض الشّكل غير المصرّف جميعَ الأحوال المكوّنة للعمليّة ويكون له تصفيف المعلم/ المنتقل نفسـه. وإذا ما خضعت، زيادة على ذلك، لخطوة الإسماء، كما يُصوَّر في 4. 13 (c)، تُضَمَّن جميعُ الأحوال المكوّنة في الشّـيء التّجريديّ الّذي تعرضه. يمكن لتلك الرّسـوم التّخطيطيّة، على الأقلّ في تقدير أوّليّ، أن تتّخَذَ توصيفا للشّكل غير المصرّف الإنجليزيّ [*to*] .[27]

وعلى نقيـض ذلك، يكون للعناصـر الّتي يُطلَق عليها مصـادر الفاعليّة والمفعوليّة، أثر جوهريّ أكبر في الأسـاس العمليّاتيّ. فما يلحقه الأثر، ليس نمط المسح فقط، بل عوامل إضافيّة من قبيل العرض والبروز البؤريّ. تستدعي مصـادر الفاعليّة والمفعوليّة، بطريقـة أو بأخرى، زاوية نظـر لرؤية المضمون العمليّاتـيّ. واللّغة الإنجليزيّة تُظهِر ذلك بوضوح كبير. فما يسـمَّى بمصدر الفاعليّة الّذي يتشـكّل بـ[*ing*-]، يأخذ "منظورا داخليّا" إلى العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل. وما يسـمّى مصدر المفعوليّة الّذي يشتقّ بـ[*ed*-] (وعدد متنوّع من التّصاريف غير السّـماعيّة)، يتّخذ زاوية نظر "خلفيّة". ومن جملة الاستعمالات الرّئيسـيّة لمصادر الفاعليّة، أن تكون في الشّكل التّدريجيّ جارية محوّرات للأسماء أو ظروفا جُمَليّة:

(10) (أ) *A monkey* ***is climbing*** *the tree*.

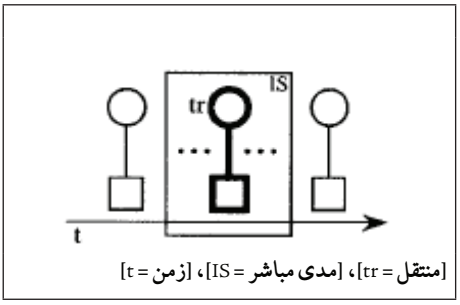
قرد يتسلّق الآن الشّجرة.

(ب) *The monkey* ***climbing the tree*** *is very cute*.

القرد الّذي يتسلّق الشّجرة الآن، جميل جدّا.

(ج) ***Climbing the tree,*** *the monkey lost its grip*.
وهو يتسلّق الشّجرة، أخطأ القرد الإمساك بغصن.
(أخطأ القرد الإمساك بغصن وهو يتسلّق الشّجرة)

في هذه الأبنية، يعرض مصدرُ الفاعليّة علاقةً مركّبة تكمن سمتها المميّزة في أنّها تمثّل قسما داخليّا من عمليّة أطول. وبعبارة نحويّة عرفنيّة، تفرض [*-ing*] مدى مباشرا محدودا في المجال الزّمنيّ (§ 3. 2. 3). وبما أنّ المدى المباشر هو الجهة الماثلة «على الرّكح»، أي موقعُ انتباه الرّؤية، تكون الأقسام المكوّنة للأساس العمليّاتيّ الّتي تقع خارج حدود ذلك الموقع، مطروحة من المعروض. هذا ما يُرَى في الرّسم البيانيّ 4. 14، حيث تقع بداية العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل ونهايتُها خارج المدى الزّمنيّ المباشر الّذي يضبط حدود العلاقة المعروضة بمصدر الفاعليّة. وتشير النّقاط المسترسلة (...) إلى حذف الكثير من أثر [*-ing*]: التّجرّد من أيّ فوارق تكون بين الأحوال المبأّرة، وبذلك تكون رؤيتها على أنّها متكافئة فعلا. وعلى هذا، تنبني العلاقة المعروضة على أنّها شبه كتلة واحدة ومتجانسة.



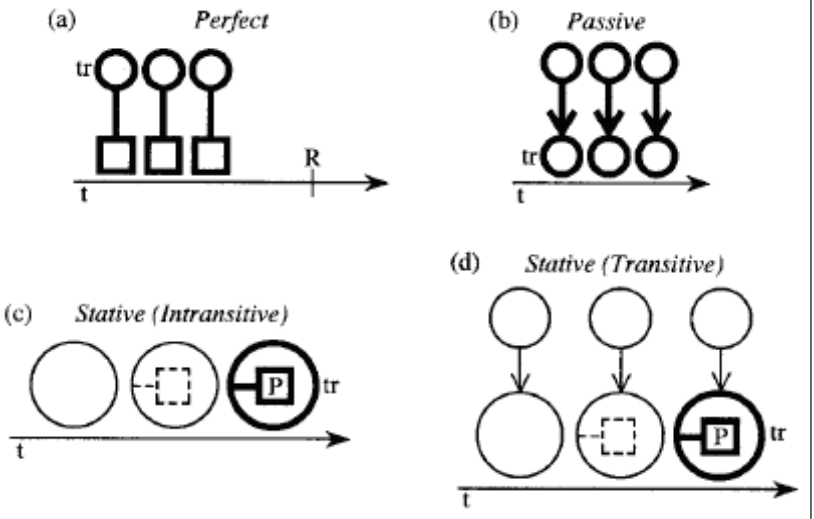
الرّسم البيانيّ 4. 14

تجري مصادر المفعوليّة في أبنية المنقضي التّامّ (مقترنة بـ[*have*])، وفي أبنية المجهول (مقترنة بـ[*be*])، وجريانَ الصّفات الّتي تتكوّن من كلّ من الأفعال اللاّزمة والأفعال المتعدّية:

(11) (أ) *The students* ***had collected*** *a lot of money for the trip*.
كان الطّلبة قد جمعوا مالا كثيرا للرّحلة.
(ب) *This building* ***was designed*** *by a famous architect*.
كانت هذه البناية مصمّمة من قبل مهندس معماريّ مشهور.
(ج) *The pond is* ***frozen***.
جمِّدت البركة (جمدت البركة/ البركة متجمّدة))

(د) *The **demolished** cathedral took a century to rebuild*
استغرقت الكاتدرائيّة المهدّمة قرنا لإعادة بنائها.

يشير المنقضي التّامّ إلى أنّ العلاقة المعروضة سابقة لزمن مرجعيّ ما، يرمز إليه بـ(R) في الرّسم البيانيّ 4. 15(a). ويوفّر إدراكها انطلاقا من زاوية النّظر الخلفيّة هذه، رابطا بالمعاني المعروضة بواسطة [*ed*-] (وبدائلها الصّرفيّة) في الأبنية الأخرى. وجميعها يسيِّطر نهاية العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل وهي تُبئِّر إمّا المشاركَ النّهائيّ أو الحالةَ النّهائيّة. ويمنح المبنيّ للمجهول بـ[*ed*-]، البروزَ البؤريّ الرّئيسيّ للمشارك النّهائيّ. وتمثّل السّهام الغليظة في الرّسم التّخطيطيّ (b) اتّجاه التّأثير: المشارك الّذي يظهر في المستوى الأعلى يفعَل في المشارك الوارد إلى الأسفل أو ينشئ التّفاعل بينهما بوجه من الوجوه. ومن الطّبيعيّ أن يجري اختيار المشارك الأنشط على أنّه منتقل. غير أنّ صرفم المصدريّة المفعوليّة يركب على تصفيف المنتقل/ المعلم المقترنِ بجذع الفعل، ويمنح بذلك منزلةَ المنتقل لأكثر المشاركين سلبيّة، ذاك الّذي يؤدّي دور المعلَم في خلاف ذلك.



[مبنيّ للمجهول = *Passive*]، **[منقض** = *Perfect*]،
[سكونيّ (متعدّ) = (*Transitive*) *Stative*]،
[سكونيّ (لازم) = (*Intransitive*) *Stative*]، **[منتقل** = tr]،
[نقطة زمنيّة مرجعيّة = R]، **[زمن** = t]، **[عمليّة** = P]

الرّسم البيانيّ 4. 15

توصَف الأشكال المصدريّة المفعوليّة في (11) (ج)-(د) وصفا مناسبا بكونها «صفات سكونيّة» لأنّها تقيّد المعروض بحالة وحيدة وتشتغل نحويّا اشتغال الصّفات. يدلّ جذع الفعل على عمليّة يخضع فيها مشارك ما لتغيُّر في الحالة (مثلا، من السّائل إلى الصّلب في حالة [*freeze /frozen* «جمَد/ جامد»]). ونتيجة لذلك، يظهر هذا المشارك - يجري تمثيله بدائرة أكبر في الرّسم التّخطيطيّ (c) و(d)- خصيصةً ما، هي (P)، لم تكن له من قبلُ. وتفرض علامة اشتقاق الصّفة السّكونيّة (*ed-*)، على الأساس العمليّاتيّ معروضا ينحصر في إظهار المشارك لهذه الخصيصة. وبما أنّ هناك مشاركا معروضا واحدا فقط فإنّه يؤدّي دور المنتقل. يكون الأمر كذلك حتّى في الأفعال المتعدّية (مثل [*demolish* «هدم»])، حيث يعمل منتقلُ الفِعل ليحدث تغيّرا في معلمه (منتقل مصدر المفعوليّة). وفي الحالتين كلتيهما، يقتصر معروض مصدر المفعوليّة على وضعيّة ناتجة تتمثّل في مشارك وحيد يُظهر خصيصة ما، بوجه تستجيب فيه العلاقة المعروضة لتوصيف الصّفات في النّحو العرفنيّ (الرّسم البيانيّ 4. 11 (a)).

في جميع ما فحصنا من الحالات، نجد لِتكوُّن مصادر الفاعليّة أو المفعوليّة أو الأشكال غير المصرّفة أثرًا يتمثّل في نزع الزّمن عن العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل الّذي تشتقّ منه تلك المصادر والأشكال. يفقد الأساس العمليّاتيّ زمانيّتَه بطرق شتّى: بالإسماء، أو بحصر معروضه في حال مكوِّنيّة وحيدة، أو بمجرّد فرض المسح المجمل. غير أنّه يحدث أن لا تكون العبارة النّاتجة واحدا من الأفعال، لأنّها لم تعد زمانيّة بمعنى أنّها لم تعد تعرض علاقة مركّبة ممسوحة مسحا تتابعيّا خلال الزّمن المتصوَّر.

3.3.4 التّبرير البنيويّ

تكون للأقسام النّحويّة التّقليديّة فائدة وصفيّة هائلة على مدى طيف واسع من اللّغات المتنوّعة، إن لم يُطلَب منها أكثر ممّا تستطيع. فليس من قبيل الصّدفة أن تُستعمَل مصطلحات مثل الاسم والفعل والصّفة والظّرف والحرف والفعل غير المصرّف ومصدر الفاعليّة أو المفعوليّة، بوجه مستمرّ لا فكاك منه عند اللّسانيّين من جميع الاتّجاهات النّظريّة. فالتّوصيفات المفهوميّة الّتي تقدَّم في شأن هذه المقولات تفسّر نجاعتَها الوصفيّة وتجعلها متوفّرة لتفسير رمزيّ للنّحو، في آن واحد. والنّحو العرفنيّ قادر على استغلالها في حدود ما تكون به صالحة ومفيدة.

غير أنّ تلك المصطلحات لا تُعتَمَد دون فحص نقديّ. فتوصيفاتها النّحويّة العرفنيّة تكشف عن مظاهر المحدوديّة في التّصنيف التّقليديّ الّذي يرى في أقسام الكلام مقولات معجميّة منفصلة. فإذا ما سلّم المرء بأنّ الاسم يعرض شيئا، على سبيل المثال، أمكن لنا أن نبيِّن أنّ الوصف نفسه ينطبق على الضّمائر وأسماء الإشارة وعلامات التّعيين (التّعريف والتّنكير). وعلى هذا، تعتَبَر هذه العناصر، بأقصى ما يكون من المعقوليّة، غير منفصلة عن قسم الأسماء بل منتمية إليه، تُميَّز من الأسماء «المعجميّة» بخصائصها الأخرى الخاصّة بها (انظر الفصلين 9–10). والقسمة التّقليديّة بين الصّفات والظّروف والحروف، مشكِلة أيضا (انظر الرّسم البيانيّ 4. 11). فتكون معاملتها على أساس الانفصال والتّساوي بينها قاصرة عن الإمساك بحقيقة تتمثّل في أنّ الحروف (والمركّبات الحرفيّة) تشتغل إمّا اشتغال الصّفة أو اشتغال الظّرف، حسب ما يكون عليه المنتقِل فيها: شيئا أو علاقة. فبدل أن نفترض أقساما منفصلة، يكون من الأفضل أن نقِرّ مقولةً أوسع تشمل العبارات الّتي تدلّ على العلاقات اللاّعمليّاتيّة. فيمكن عندئذ أن تُحدَّد الأقسام الفرعيّة المتراكبة (حسب ما تدعو إليه الحاجة) على أساس الخصائص المتقاطعة من قبيل درجةِ التّركّب وطبيعةِ المنتقل وحضورِ معلم ما.

يستجيب تفسير المقْوَلة في النّحو العرفنيّ للشّروط الّتي تقتضي أن يكون التّفسير مرِنا، يسمح بتقاطع التّصنيفات، ويشمل في آن واحد الأقسامَ القائمة على أساسِ البنية والأقسامَ القائمة على أساس المعنى (انظر الفصل 8). ورغم ذلك يكون التّصنيف في حدّ ذاته أقلّ أهمّيّة من الكشف عن العوامل المفهوميّة الّتي تكمن فيه. وخلال وصف الأقسام الأساسيّة، كنّا قد ركّزنا العناية على الظّواهر المفهوميّة الّتي تُعتبَر بشكل معقول أساسيّة. تلك الظّواهر نفسها تسمح بتوصيف المقولات الأخرى الّتي يمكن أن تَبين أهمّيّتُها بشكل واضح من زاوية نحويّة، حتّى وإن لم يكن الاعتراف بها في الدّراسات التّقليديّة. ويبدو أنّ ثلاثا منها بالخصوص تستحقّ الفحص: العبارات الّتي تعرض العلاقات (عوضا عن الأشياء)؛ والعبارات الّتي تعرض العلاقات اللاّعمليّاتيّة؛ والعبارات القائمة على المسح المجمل (مقابل التّتابعيّ). فيمكن العثور على بعض عناصر التّبربر، على الأقلّ، لكلّ واحدة من هذه التّجميعات الجارية في مستوى أعلى.[28]

فأفضل ما يكون أنّ المقولة الإمكانيّة الأولى - أي العبارات الّتي تعرض العلاقات- تسمح بإقامة توصيف مقتضَب للظّروف: الظّرف ما عرَض علاقة يكون فيها المنتقل علائقيّا كذلك (انظر الرّسم البيانيّ 4. 11 (b)). والأرجح أنّ هذا التّوصيف ضعيف بكلّ يقين، وليس هناك ما يضمن قيام الدّليل على أنّ هذا التّجميع ذو حظّ قويّ من التّبرير. فقد يتمثّل الأمر في مجرّد كون قسم العبارات العلائقيّة، مأخوذا في كلّيّته، متنوّعا تنوّعا كبيرا يمتنع له ظهور سلوك مشترك يميّزها من الأسماء.

والتّجميعان الآخران مدعومان بالسّمات العامّة لتنضيد الإسمائيّات والمركّبات الجُمَليّة. لننظر أوّلا في العبارات الإسمائيّة الّتي يُطلَق عليها غالبا (بوجه سيّء) تسمية «المركّبات الاسميّة». يعرض المركّب الاسميّ شيئا، يكون التّعبير عنه خاصّة باسم يطلَق عليه رأسُ المركّب. تصلح العناصر مثل علامات التّعيين ([*a* «علامة النّكرة»]، [*the* "الـ"]،)، وأسماء الإشارة ([*this* "ذا"]، [*that* "ذاك"]، [*these* "هؤلاء"]، [*those* "أولئك"]) لتجذير الشّيء المعروض بربطه بسياق الكلام (انظر الفصل 9). ويمكن كذلك أن تضمَّن فيها أنواع مختلفة من المحوِّرات. في (12) ترد المحوّرات بالخطّ الغليظ.

(12) (أ) *an* ***expensive*** *dress*

فستان باهظ (الثّمن)

(ب) *the box* ***on the top shelf***

العلبة (الّتي) على الرّف العلويّ

(ج) *the only student* ***to hand in her assignment***

الطّالبة الوحيدة في تسليم عملها المنزليّ

(د) *that man* ***complaining to the waiter***

ذاك الرّجل المحتجّ عند النّادل

(هـ) *the brand* ***preferred by most customers***

الصّنف التّجاريّ المحبّذ عند أغلب الزّبائن

(و) *this* ***broken*** *cup*

هذا الكوب المكسور

(ز) ✻*the* ***break*** *cup*

*هذا كسر الكوب

(ح) ✻*that man* ***complain to the waiter***

*ذاك الرّجل احتجّ (غير مصرّف) عند النّادل

يتجلّى ممّا مضى قالَب ما: أنواع العناصر القادرة على تحوير الأسماء هي بالتّحديد تلك الّتي توصَف بأنّها تعرض علاقات لاعمليّاتيّة. وتتضمّن عبارات ترأسها صفات ([*expensive* «باهظ»])، وحروف ([*on* "على"])، وأفعال غير مصرّفة ([*to hand in* "سلّم"])، ومصادر الفاعليّة ([*complaining* "محتجّ"])، ومصادر المفعوليّة (المبنيّ للمجهول [*preferred* "محبّذ"]، والصّفة السّكونيّة [*broken* "مكسور"]). لكنّ الاسم لا يمكن أن يحوَّر مباشرة بفعل [*break* "كسر"] أو بعبارة عمليّاتيّة مركّبة رأسها فعل ([*complain to the waiter* "احتجّ عند النّادل"])؛ والعبارتان الواردتان في (12) (ز)-(ح) لاحنتان بشكل واضح. فيمكننا، بناء على ذلك، أن نقيم تعميما يتعلّق ببنية المركّبات الإسمائيّة الإنجليزيّة: أعني أنّ محوّرات الاسم تدلّ على علاقات لاعمليّاتيّة. يشير دور هذا القسم في تحديد الانتظام إلى أنّه يكوّن تجميعا طبيعيّا.[29]

توحي المعطيات نفسها بطبيعيّة التّجميع القائم على أساس المسح المجمل. هذه المقولة من المستوى الأعلى تتكوّن من الأسماء مع محوّراتها الممكنة - يعني العبارات العلائقيّة الّتي ليست بأفعال. فإذا ما أمكن للأسماء أن تُحوَّر بأنواع غفيرة من العبارات العلائقيّة، لمَ وجب أن تُقصَى الأفعال؟ فبين الأسماء ومحوّراتها، على ما يبدو، نوعٌ من الانجذاب، هو شيء مشترك بينهما يجعلهما منفصلين عن الأفعال. هذا الشّيء هو نمط المسح المجمل فيهما. يعرض المركّب الاسميّ شيئا ينزع- من حيث هو بؤرة رئيسيّة- إلى فرض منظوره الشّموليّ على انبناء العناصر الإسمائيّة الأخرى. فيكون، على هذا، التّصوّرُ الإسمائيّ الشّامل منسجما إلى أقصى حدّ (وأيسرَ في المعالجة) عندما تقاسِمه العناصر الأخرى ذلك المنظورَ لتبدأ به. وبما أنّ التّتابعيّة الّتي للأفعال لا تناسِب الرّؤيةَ المجملة، لا تسمح اللّغات، في العموم، للأفعال بأن تحوِّر الأسماء مباشرة.[30] ولكي تجري الأفعال في هذه المهمّة، وجب أن تُصيَّر لازمانيّة بأن تُجعَل غيرَ مصرّفة أو تُجعَل مصدرًا للفاعليّة أو للمفعوليّة.

تُوازي العلاقة بين اسم ومركّب اسميّ تامّ، من نواح كثيرة، العلاقةَ بين فعل ومركّب جُمَليّ "منته" تامّ. ويمكننا أن نوصّف، في هذا المستوى من البحث، المركّب الجُمَليّ المنتهي (في الإنجليزيّة) بكونه مركّبا جُمَليّا قد تحدّد من حيث زمن التّصريف (الحاضر مقابل الماضي). وفي النّحو العرفنيّ، تعميم وصفي أساسيّ يتمثّل في أنّ المركّب الجُمَليّ المنتهي يعرض عمليّة. في أمثلة بسيطة مثل ما يرد في (13)، الفعل المعجميّ هو الرّأس، بما أنّ العمليّة

الّتي يدلّ عليها تُعرَض كذلك بالمركّب الجُمَليّ ككلّ. ويجذّر وسمُ الزّمن العمليّةَ بأن يربطها بزمن التّكلّم.

(13) (أ) *His new hairstyle **resembles** a porcupine.*
تسريحة شعره الجديدة تشبه النّيصَ.
(ب) *My cup **broke**.*
انكسر كأسي.

لا يمكن للفعل في ذاته أن يحوّر اسما، بحكم كونه لا عمليّاتيّا، كما رأينا في (12) (ز)-(ح). وعلى خلاف ذلك، لا يمكن لأنواع العناصر الّتي تحوّر الأسماء أن تجري رؤوسا مركّبيّة جُمَليّة، لأنّها تعرض علاقات لاعمليّاتيّة. ولذلك تكون الجمل الموالية لاحنة:

(14) (أ) ❋*Her dress **expensive(s)**.*
* فستانها يبهظ.
(ب) ❋*The box **on(s) the top shelf**.*
* العلبة تعلو الرفّ العلويّ.
(ج) ❋*The students **to hand in their assignments**.*
* الطّلبة في سَلَّم أعمالهم المنزليّة.
(د) ❋*That man **complaining to the waiter***
* ذاك الرّجل محتجّ عند النّادل.
(هـ) ❋*This brand **preferred by most customers**.*
* هذا النّوع التجاريّ يحبَّذ بأغلب الزبائن.
(و) ❋*The cup already **broken** when I found it.*
* الكوب قد مكسّر عندما وجدته.

لاحظ أنّنا يمكن أن ننتج جملة مقبولة في كلّ حالة بزيادة الفعل [*be*].

(15) (أ) *Her dress **is expensive**.*
فستانها (يكون) باهظ(ـــا).
(ب) *The box **is on the top shelf**.*
العلبة (تكون) على الرفّ العلويّ.
(ج) *The students **are to hand in their assignments***
الطّلبة (يكونون) مطالبون (مطالبين) بتسليم أعمالهم المنزليّة.

(د) *That man **is complaining to the waiter**.*
ذاك الرّجل (يكون) يحتجّ عند النّادل.
(هـ) *This brand **is preferred by most customers**.*
هذا النّوع التجاريّ (يكون) محبّذ(ا) عند أغلب الزّبائن.
(و) *The cup **was** already **broken** when I found it.*
كان الكوب مكسّرا عندما وجدته.

فـ[*be*] فعل، ولذلك يعرض عمليّة، وإن كانت واحدة من أعلى ما يكون من الخطاطيّة. في (15) يشتغل [*be*] رأسا مركّبيّا جُمَليّا - أي أنّ العمليّة الخطاطيّة الّتي يدلّ عليها، معروضة بالمركّبات الجُمَليّة ككلّ. وعندما يزاد [*be*] على عبارة لازمانيّة، يضفي معروضَه العمليّ على مضمون هذه العبارة الجوهريّ الّذي يمكن نتيجة لذلك أن يقدَّم في شكل مركّب جُمَليّ. فالاشتراك في خصيصة الورود في هذا البناء يدعم إلى حدّ بعيد قيام مقولة من مستوى أعلى تضمّ العبارات الّتي تعرض علاقات لاعمليّاتيّة.

وتتمثّل النّقطة الإضافيّة الّتي تكون لصالح هذه التّوصيفات النّحويّة العرفنيّة، في أنّها تسمح لنا بأن نعطي معنى لنظام «الفعل المساعد» الإنجليزيّ. ففي مركّب جُمَليّ منته، يمكن أن يكون الفعل المعجميّ مصحوبا بعمليّات وسم للبناء للمجهول، أو الشّكل التّدريجيّ، أو المنقضي، أو أيّ توليفة تكون من ذلك. يتكوّن كلّ وسم من عنصرين: فعل خطاطيّ (إمّا [*have*] أو [*be*])، وعلامة تصريف المصدريّة الفاعليّة أو المفعوليّة ([*–ing*] أو[*–ed*]) تلحق الفعل الموالي.

(16) (أ) *The child **was** frighten**ed** by a loud noise*. [passive: *be* + *–ed*]
الطّفل كان أُخيف بضجيج مرتفع. [البناء للمجهول: *be* + *–ed*].
(كان الطّفل قد أخافه ضجيج مرتفع.)
(ب) *My father **is** contemplat**ing** retirement*. [progressive: *be* + *–ing*]
أبي يكون يفكّر مليّا في التّقاعد. [التّدريجيّ: *be* + *–ing*].
(يفكّر أبي في التّقاعد.)
(ج) *They **have** silenc**ed** all their critics*. [perfect: *have* + *–ed*]
هم كانوا قد ألجموا كلّ نقّادهم. [المنقضي: *have* + *–ed*].
((هم) ألجموا كلّ نقّادهم.)

ورغم الانتباه إلى هذا الوسم الثّنائيّ منذ أمد بعيد (شومسكي 1957، مثلا)، كان يؤخذ في العموم على أنّه اعتباطيّ ولا يخضع لمبدإ، أي أنّه حالة

من حالات التّفرّد النّحويّ الصِّرف. وبالفعل، غالبا ما تُعتَبَر العناصر المكوّنيّة ([*have*, *be*, *–ing*, *–ed*])، غيرَ دالّة على معنى بصفة فرديّة. وهذه الآراء غالطة إلى حدّ بعيد. فالتّحليل النّحويّ العرفنيّ لا يضع معاني مخصوصة مبرّرة لكلّ واحد من تلك العناصر فقط، بل يوفّر كذلك تفسيرا قائما على المبادئ لسبب جريانها في شكل أزواج.

كانت معاني [*ing*–] و[*ed*–]، قد وصِفت في ما سبق (الرّسمان البيانيّان 4. 14 و4. 15 (b)–(a)). فكلّ واحد منهما يرى العمليّة من منظور معيّن ويمسح الأحوال المكوّنة بطريقة مجملة. فيكون أثرهما حينئذ متمثّلا في نزع الزّمانيّة عن العمليّة الّتي يعبّر عنها الفعل، وفي اشتقاق عبارة مصدريّة فاعليّة أو مفعوليّة تدلّ على علاقة لاعمليّاتيّة مركّبة. ويمكن لهذه العبارة، من حيث هي لاعمليّاتيّة، أن تحوِّر اسما، كما في [*a child frightened by thunder* "طفل أخيف من الرّعد"] أو [*a person contemplating retirement* «شخص يفكّر مليّا في التّقاعد»].[31] غير أنّ مصدر الفاعليّة أو المفعوليّة لا يمكنه، للسّبب نفسه، أن يقوم بمفرده رأسا لمركّب جُمَليّ منته. المركّب الجُمَليّ يعرض عمليّة. فإذا ما لم يكن بدّ من أن يرأس مصدرُ الفاعليّة أو المفعوليّة مركّبا جُمَليّا منتهيا، وجب تبعا لذلك أن يُصَيَّر عمليّاتيّا. والفعلان [*have*] و[*be*] يخدمان هذه الغاية. ورغم كونهما خطاطيّين بقدر كبير من حيث المضمون، فإنّهما يتضمّنان الزّمانيّة (المسح التّتابعيّ خلال الزّمن المتصوَّر) المميّزَة للأفعال والمركّبات الجُمَليّة. وعندما تتوالف [*have*] أو [*be*]، مع مصدر فاعليّة أو مفعوليّة، يفرض الأوّل زمانيّته على مضمون الثّاني الأكثر تخصيصا. تعرض العبارة المركّبة النّاتجة عمليّة مخصوصة ويمكنها بناء على ذلك أن تشتغل رأسا مركّبيّا جُمَليّا.

وفيم الانزعاج؟ بما أنّ مصدر الفاعليّة أو المفعوليّة مشتقّ من الفعل في المقام الأوّل، لمَ لا نستعمل ببساطة ذلك الفعل بمفرده ليرأس مركّبا جُمَليّا منتهيا؟ ننزعج لأنّ جَعْل الفعل مصدرَ فاعليّة أو مفعوليّة يفرض منظورا خاصّا على العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل. فالبناء [*X frightened Y* «[س] أخاف [ص]»] ليس هو نفسه البناء [*X was frightening Y* "كان [س] يخيف [ص]"] الّذي يأخذ منظورا داخليّا إلى الحدث، ولا هو نفس البناء [*Y was frightened by X* «[ص] أخِيف من قبل [س]»] الّذي يبثّر عائش تجربة الخوف عوضا عن مثير الخوف. ولاتّخاذ هذه المناظير الخاصّة، نعمد تبعا لذلك إلى استعمال العبارات المركّبة الّتي تتدخّل فيها مستويات متعدّدة من التّنضيد المفهوميّ

والنّحويّ. فالفعل يستحضر أوّلا نوعا من العمليّة ([*frighten* "أخاف"]، مثلا). وفي مستوى أعلى من التّنضيد، يفرض تصريف مصدر الفاعليّة أو المفعوليّة منظورا معيّنا على تلك العمليّة ويراها بطريقة لازمانيّة ([*frightened* "أخيف/ خائف"]). يمكن حينئذ من خلال التّوليف مع [*have*] أو [*be*]، لعبارة مصدر الفاعليّة أو المفعوليّة، أن "يعاد تزمينها"، فتولِّد بذلك عمليّة أخرى في أعلى مستويات التّنضيد ([*be frightened* "كون خائفا/ أخيف"]). لكنّ هذه العمليّة من المستوى الأعلى ليست العمليّة الأصليّة نفسَها. فرغم أنّ المضمون واحد، تختلف العمليّة المشتقّة إمّا في العرض أو في تصفيف المنتقل/ المعلم.

يمكن للمبنيّ للمجهول والشّكل التّدريجيّ وأبنية الانقضاء أن تجري في أيّ توليفة، لأنّ المناظير الّتي تتجسّد فيها يوافق بعضها بعضا. وعندما تجري معا، تنطبق الواحدة منها وفق التّرتيب الّذي يكون لها في المستويات العليا من التّنضيد، وكلّ واحدة منها تشتغل على العمليّة الأساسيّة أو على تلك الواردة في المستوى الأعلى الّتي كانت قد جُمِّعت. وتتمثّل كلّ واحدة منها، بالإضافة إلى ذلك، في نزع الزّمانيّة (بواسطة صرفم المصدريّة الفاعليّة أو المفعوليّة) ثمّ، بعد ذلك، في إعادة التّزمين (بواسطة [*have*] أو [*be*]). وتُعرَض مسلسلة التّتابع الأقصى في (17)، حيث تشير الكتابة بالخطّ الغليظ إلى العنصر الّذي أضيف عند كلّ مستوى.

(17) *criticize* (processual) > *criticiz**ed*** (atemporal) > ***be****criticized* (processual) > *be**ing*** *criticized* (atemporal) > ***be****being criticized* (processual) > *be**en*** *being criticized* (atemporal) > ***have****been being criticized* (processual)

نقَد (عمليّاتي) > منقود (لازمانيّ) > كان منقودا (عمليّاتي) > كون منقودا (لازمانيّ) > كان كون منقودا (عمليّاتي) > كان كون كون منقودا (لازمانيّ) > كان قد كون كون منقودا (عمليّاتي)

فالعمليّة الواردة في أعلى مستوى يمكن حينئذ أن تُجذَّر (بالزّمن)، وأن يحدَّد المشاركون فيها، لتكوين مركّب جُمَليّ منته تامّ:

(18) *The disgruntled employee had been being criticized by his coworkers.*
الموظّف المستاء كان قد كان بصدد يُنتَقَد من العاملين معه.
[كان الموظّف المستاء لا يفتأ يُنتقَد دون تَوقُّفٍ من زملائه.]

والخلاصة، لقد تبيّن أنّ التّوصيفات المفهوميّة الّتي قدّمناها في شأن المقولات النّحويّة الأساسيّة، ناجعة في الكشف عن مظاهر الانتظام المهمّة

فـي البنية المركّبيّة الجُمَليّة والبنية الإسـمائيّة، وفي وصفها وتفسـيرها. وهي تسـمح، على وجه الخصـوص، بصياغة تعميمين واسـعين (وربّما كونيّين): محوّرات الاسـم تدلّ على علاقات لاعمليّاتيّـة، والمركّب الجُمَليّ يعرض عمليّة. وتُظهر تلك التّوصيفات، زيادة على ذلك، أنّ الوسـم الثّنائيّ الجاري في البنـاء لِلَمجهول وفي التّصريـف التّدريجيّ وفي المنقضي التّـامّ في اللّغة الإنجليزيّة خاضع لمبادئ تسيّره؛ وهي تفسّر لمَ كانت الأشكال غير المصرّفة ومصـادر الفاعليّـة أو المفعوليّة لا تتوالف إلاّ مع [*be*] أو [*have*] في اسـتعمالها المركّبيّ الجُمَليّ (لا عندما تُحوَّر الأسماء).

تتعلّق النّقطة الأخيرة بمظهر يشذّ عن التّعميم الّذي ينصّ على أنّ محوّرات الأسـماء لاعمليّاتيّة. وما يخرق بوضوح وبشـكل عائق ذلـك التعميمَ (في ضوء ما تجري عليـه صياغته الآن) المركّبات الجُمَليّـة الموصولة المنتهية. والمركّـب الجُمَليّ الموصـول هو مركّب جُمَليّ يحوّر اسـما. وفي لغات كثيـرة، يمكن أن تكون المركّبات الجُمَليّـة الموصولة منتهية، لتكون تبعا لذلك (شـريطةَ احتـرام التّعميم الثّاني) عمليّاتيّـة. فالمركّبات الجُمَليّة الموصولة في (19)، على سـبيل المثال، تُجذَّر بواسطة ما يرد فيها من علامات التّصريف في الزّمن الماضي والزّمن الحاضر:

(19) (أ) *the documents* ***that I shredded***
الوثائق الّتي مزّقتـ(ها)

(ب) *a woman* ***who loves adventure***
امرأة تحبّ المغامرة

فيمكـن أن تعاد صياغة التّعميم ليسـتوعب هذا الشّـذوذ كما يلي: تدلّ محوّرات الاسـم غير المجذّرة على علاقـات لاعمليّاتيّة. وبما أنّ المركّبات الجُمَليّة المنتهية متجذّرة، فهي مقصاة من مدى هذا الحكم.

يتبيّن أنّ إقصاء المركّبات الجُمَليّة المنتهية قائم على أسـاس مبدئيّ، بدل أن يكون مشـكلا. يكون محوّر اسـم ما لاعمليّاتيّا لأنّ الشّيء المعروض بالاسـم- أي البؤرة الرّئيسيّة في العبارة الإسمائيّة- يفرض رؤيته الشّموليّة على العلاقـات المدلول عليها بالعناصر المحوِّرة. والمركّبات الجُمَليّة الموصولة المنتهية شـاذّة، من هذا الاعتبار، بالتّحديـد لأنّها مجذّرة تجذيرا داخليّا (على خلاف المحوّرات الأخرى). فهي، من خلال وسـم الزّمن، تتضمّن تخصيصَها هـي من حيـث الكيفيّة الّتي ترتبط بهـا العلاقة المعروضة بسـياق الكلام،

وبالمتكلّم والسّامع تبعا لذلك. وبما أنّ التّجذير يوفّر نقطة اهتداء مستقلّة إلى المضمون المركّبيّ الجُمَليّ، ينظَر إلى العمليّة المعروضة، بشكل رئيسيّ في ذاتها، من حيث هي مركّب جُمَليّ مجذَّر، ثمّ بشكل ثانويّ فقط، في علاقتها بالاسم المحوّر. فالتّجذير الدّاخليّ يعزلها من الرّؤية الشّموليّة الّتي يفرضها الاسم، جاعلا إيّاها مستقلّة بدرجة كافية لتُمْسَح مسحا تتابعيّا.

هوامش الفصل

[1]- يكون تعريفي لـ[شيء] على غاية من التّجريد، فهو يتضمّن النّاس والأماكن من حيث هي حالات خاصّة، وليس محدودا بالأشياء المادّيّة.

[2]- للمزيد من الحجج النّفسيّة المتعلّقة بهذه المسألة، انظر غنتنر 1981، 1982 وكلّوغ 1994، 1996.

[3]- يكون تقديم منوال موحّد في المقْوَلة يستوعب الخطاطات والأطرزة في آن، في الفصل 9 (وانظر كذلك لانقاكر 1987: الفصل 10). وانظر في مقْوَلة الطّراز: تايلور 2004، ولايكوف 1987، وروش 1978.

[4]- إذا ما كانت مقولات من هذا القبيل مفترَضة، يمكنها أن تكوّن تجريدات تشمل مجموعة من الأبنية. ولا يعارض هذا رؤية النّحو العرفنيّ الّتي ترى، كذلك، أنّ الوحدات المعجميّة تشتقّ عضويّتها في المقولة من المشاركة في الأبنية النّحويّة (الفصل 8؛ لانقاكر 1999a: الفصل 4؛ 2005b).

[5]- تتمثّل حالة من الأوّل، في أنّ إحالة الأسماء الأعلام على شيء وحيد يمكن أن يمنع جريانها مع المعيِّنات (التّعريف والتّنكير). وتتمثّل حالة من الأخير في أنّ وسم الجمع لا يكون في الأسماء فقط بل يكون في الصّفات، كذلك.

[6]- تُرسَم في الرّسم 4. 1 مكوّنات علائقيّة ثلاثة فقط. ولكن بما أنّ العمليّة تتنامى خلال مدّة مسترسلة من الزّمن، يكون عدد المقاطع الزمنيّة الّتي تُعرَض في الرّسم البيانيّ عرضا ظاهرا أمرا اعتباطيّا (فهي مسألة راحة في الرّسوم البيانيّة).

[7]- لتسهيل التّمثيل يحذَف في الغالب سهم الزّمن عندما لا يكون أساسيّا في توضيح النّقطة موضوع الحديث، وخاصّة عندما تكون- كما هو الحال هنا- العلاقات المكوّنة (مقاطع الزّمن) مجملة كلّها في رسم بيانيّ وحيد. وينبغي أن نتخيّل أنّ العمليّة المعروضة تتنامى خلال الزّمن، كما يشار إلى ذلك في الرّسم 4. 1 (e).

[8]- يمكن أن يذكر بعض القرّاء استعمال كلمة [*chooser* «مختار»] في الإحالة على مكوّن من مكوّنات المكتب على شاشة حاسوب الماكنتوش، حيث كانت تدلّ على مكان جرى فيه الاختيار.

[9]- ليس من المفروض أن يتطابق المنتقل والإحساس باللّون، إلاّ إذا كانا مترابطين. على سبيل المثال، القسم الأصفر من كرة الكريكيت يمكن أن يكون مقتصرا على حزام دائريّ حولها. وفي هذه الحالة، يعتبر ذاك الشّريط الأصفر المنطقة النّشيطة من كرة الكريكيت باعتبار علاقة الصّفرة.

[10]- يمكن أن يؤخذ التّماثل على أنّه نوع تجريديّ من التّجاور (المتاخَمة في فضاء النّوعيّة، كما يأتي نقاشه في الفصل 5).

[11]- كنت قد عرّفت، بطريقة مكافئة لهذا، الشّيء بكونه منطقة، تُوصَف تجريديّا بكونها مجموعة من الوحدات المترابطة (انظر لانقاكر 1987: 5. 2). وبالعدول عن هذا المصطلح الوسط (والاستعارة الفضائيّة الّتي يتضمّنها)، يكون التّعريف الّذي يقدَّم هنا أقلّ ثقلا إلى حدّ ما.

[12]- لا يمكن أن تحدّد الوحدات المكوّنيّة على أنّها أجزاء. فالكثير من الأشياء تفتقر إلى أجزاء تقبل التّمايز والفصل، فيكون من الأفضل، على أيّ حال، توصيفها باعتماد العلاقة بالكلّ بدل العكس (§ 3. 2. 3).

[13]- يمكن أن نخمّن أنّ هذا المظهر في تصوّرها يكمن في نوع من المسح الذّهنيّ (كائن تحت مستوى الإدراك الواعي) صالح لتسجيل الوجود المسترسل للمادّة على مدى اتّساع الطّاولة (لانقاكر 1987: § 3. 1).

[14]- نظير ذلك مباشرة، معنى الاسم المعدود في [*yellow* «أصفر»]، كما في [*There's a lot of* ***yellow*** *in this painting* "يوجد الكثير من الأصفر في هذه اللّوحة"] الّذي يُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 4. 4 (e). تمثّل الوحدات المكوّنيّة عددا غير محدّد من رقاقات اللّون الّتي تنبثق في شكل مجموعة على أساس التّماثل (فهي تسقَط جميعا على نفس المنطقة من فضاء اللّون).

[15]- بطبيعة الحال، يمكن أن تكون النّغمتان موضوع تجربة بالجمع بين كلتيهما إن جرت إعادة إنشاط الأولى منهما عن طريق الذّاكرة. عادة ما يحدث ذلك في سياق التّجريب المخبريّ في علم النّفس فقط.

[16]- هذه التّعاليق ذات صلة بالمعالجة من المستوى السّفليّ، حيث تكون العناصر المكوّنيّة من أبسط ما يكون. وليس من المرفوض أن يكون لأشياء كثيرة أجزاء قابلة للتّمييز أو أن يكون لأحداث كثيرة أطوار قابلة للتّعرّف عليها. ويفترَض أنّ هذه تنبثق في مستويات عليا من التّنضيد المفهوميّ.

[17]- مرّة أخرى، يكون عدد الحالات المكوّنيّة اعتباطيّا، ويشار إلى المواضع الزّمنيّة باختزال، ذلك أنّ المفهمة مسترسلة في الحقيقة.

[18]- في الرّسوم المختزلة من قبيل الرّسم البيانيّ 4. 1 (e)، تمثّل المطّة الذّاهبة على امتداد قوس الزّمن المسح التّتابعيّ. ويسمّى المقطع الزّمنيّ الّذي من خلاله تُتتبَّع العلاقة بصفة تتابعيّة المعروض الزّمنيّ. (وأعترف بأنّ هذا المصطلح يحتمل أن يكون مُغلَطا، لأنّ

الفعل لا يعرض المقطع الزّمنيّ في ذاته بل يعرض العلاقة الّتي يجري مسحها مسحا تتابعيّا من خلاله).

[19]- بما أنّ توصيف العلاقات لا يخصّص البروز البؤريّ في الوحدات المترابطة، يمكن أن توجد عبارات علائقيّة يكون أفضل وجه في تحليلها على أنّ لها أكثر من عنصرين بؤريّين أو لا شيء من ذلك البتّة. ومن الحالات الممكنة في الأولى أفعال من قبيل [*give* «أعطى»] الّذي يجري بإسمائيّين شبيهين بالمفعول: [*She gave us a kitten* "(هي) أعطتنا قطيطا"] (§ 11. 3. 3). ويمكن أن نمثّل للأخيرة ببعض الأفعال من لغة الكورا (لغة مكسيكيّة من الأسرة الأوتو-أزتيكيّة) الّتي تجري في جمل لا فاعل لها: [*n'eer'i* "كان جميع مضاء/ شعّ"]، [*suuna* "سكب [ماء]"]، [*t'ee* "كان طويل"]، [*kun* "كان مجوّف"] ((انظر لانقاكر 1990: الفصل 2).

[20]- هذا نوع آخر من الملابسات حيث تقوم علاقة معروضة بين أجزاء صغرى من مشارك مبأّر وحيد.

[21]- ليست هذه المقولات التّقليديّة، مرّة أخرى، أساسيّة ولا ضروريّة بالنّسبة إلى النّحو العرفنيّ، الّذي يقدِر، رغم ذلك، على الكشف عن الانسجام المفهوميّ المسؤول عن نفعها الجليّ في وصف النّحو. فالتّوصيفات مصمّمة لأمثلة معجميّة أساسيّة، ولذلك لا تنطبق دون تعديل على جميع الظّواهر الّتي كانت تُستعمَل لها التّسميات التّقليديّة.

[22]- لنكون على يقين من ذلك، لا يمكن للفاعل أن يقيَّمَ من حيث السّرعة النّسبيّة في بعض الأنشطة الّتي ينشغل بها. وهذا النّشاط الّذي يكون وسيطا لتحديد موقع الفاعل على السّلّم، هو منطقته النّشيطة بالقياس إلى العلاقة المعروضة.

[23]- في عبارات مثل [*the road into the forest* «الطّريق إلى داخل الغابة»]، يحتلّ المنتقل الممتدّ فضائيّا (أي الطّريق) على أساس التّزامن جميعَ المواضع المخصّصة إزاء المعلم. ولا وجود هنا لتطوّر خلال الزّمن، بما أنّ التّشكّل الفضائيّ بتمامه يستوي قائما في كلّ لحظة. (فالعبارة لا تنزع إلى استحضار فكرة شيء متنقّل على طول الطّريق، ولكنّ هذا الأمر لطيف وغير معروض).

[24]- تتنوّع مصادر الفاعليّة أو المفعوليّة والأشكال غير المصرّفة في الواقع تنوّعا كبيرا، ويكون للشّكل الواحد غالبا استعمالات تمثّل مقولات مختلفة. ولذلك لا ينطبق هذا النّقاش على كلّ شيء يحمل التّسميات التّقليديّة.

[25]- تكون مصادر الفاعليّة أو المفعوليّة الموسومة بـ[*-ing*] الّتي يمكن أن تقترن بعبارات الملكيّة، إسمائيّة بدرجة أكثر وضوحا: [***Your being so stubborn*** *really complicates matters* «كونك عنيدا جدّا، يعقّد المسائل حقّا.» (عنادك الشّديد يعقّد المسائل)]؛ [*The judge's leniency was attributed to* ***his having a clean prior record***. «أُسنِدَ تسامحُ القاضي إلى كون سجلّ نظيف سابق له» (يعود تسامح القاضي لما للمتّهَم من سجلّ نظيف من السّوابق)]. هاتان العبارتان تعرضان شيئا تجريديّا حصل عن طريق التّشييء. فالأسماء القائمة على أساس مصادر الفاعليّة أو المفعوليّة، بدل أن تكون تشييئا للعمليّة،

إنّما تعرض في الغالب مشاركا عمليّاتيّا. وتستغلّ اللّغة الإنجليزيّة هذا الخيار بشكل محتشم (مثل، [*the damned* "الملعون"]؛ [*his betrothed* "خطيبته"]).

[26]– كما نفعل غالبا في هذا الكتاب، نحذف خطوط التّناسب لتسهيل الرّسوم التّخطيطيّة. يفتَرَض أن يظلّ المشاركون العلائقيّون هم أنفسهم في جميع الأحوال المكوّنة.

[27]– بكلّ تأكيد، يساهم في هذا أمور أخرى كثيرة. ويبين بأجلى ما يكون أنّ للأشكال غير المصرّفة المقترنة بـ[*to*] توجُّها إلى الزّمن المستقبل بالنّسبة إلى الحدث الوارد في الجملة الرّئيسيّة (انظُر: فيرزبيكا 1988: الفصل 1).

[28]– لا أملك دليلا يستحقّ الذّكر في شأن تجميع قائم على أساس التّركّب (بسيط مقابل مركّب). يمكن أن يكون هذا العامل غير بارز بطبيعته.

[29]– هذا ليس مجرّد انتظام في اللّغة الإنجليزيّة بل يمثّل نزعة كونيّة شديدة. ولكن، تذكّر دائما، أنّ تحوير الاسم مسألة معقّدة تساهم فيها عوامل عديدة، فلا يمكن لتعميم وحيد أن يصلح لوصف محوّرات الاسم وصفا تامّا، في أيّ لغة من اللّغات.

[30]– لمَ يمكن، إذن، للأفعال والجمل أن تُحوَّر بالعبارات العلائقيّة القائمة على أساس المسح المجمل؟ أتَصوّر أنّ هذا الأمر يعكس عدم تناظر صميميّ في المعالجة. يكون من الممكن جدّا أن يُستَحضَر تصوّر شموليّ في أيّ لحظة خلال جريان المسح التّتابعيّ. ومقابل ذلك لا يمكن أن تتحقّق تتابعيّة فعل أو جملة في الرّؤية التّزامنيّة المعتمدة في المسح المجمل.

[31]– مصادر الفاعليّة أو المفعوليّة المنقضية حالة استثنائيّة في هذا الصّدد (لانقاكر 1991: 232).

5. الأقسام الفرعيّة الكبرى

بيــن المقولتين النّحويّتين الجوهريّتين، الاســم والفعل، تقابل تامّ من حيث توصيفاتهمــا المفهوميّــة. ففي المســتوى النّموذجيّ البدئــيّ، تُباين الجزيئاتُ المتضامّــة الّتي تكوّن الشّــيء المادّيّ التّفاعــلَ الممتدّ علــى الزّمان والّذي يكــوّن حدثــا ذا قوّة حركيّــة. وفي مســتوى الخطاطة حيث يُحدَّد الشّــيء والعمليّة على أساس العمليّات الذّهنيّة، يباين أثرُ التّوحيد الّذي يكون لعمليّة التّجميع والتّشــييء الطّبيعةَ الانتشاريّةَ الّتي تسم إدراك علاقة ما وتتبّع تطوّرها خلال الزّمن.

ورغم هذا التّقابل التّامّ، يكون للأفعال والأســماء أشياء مشتركة كثيرة. تُبيــن الأبنيةُ النّحويّة من المســتويات العليا الّتي يرأســها الواحــد منهما تباعا، الإســمائيّات والمركّبــات الجُمَليّة المنتهية، عن مظاهر واســعة من التّشــابه (تكون مناقشــتها في الفصول اللاّحقة). وفوق ذلك، تنقسم كلّ مقولة إلى قســمين فرعيّين رئيســيّين، ويُبينان كذلك عن شــبه كبير بينهما. فالنّوعان الأساسيّان من الأســماء اللّذان يُعرَفان تقليديّا بالاسم المعدود واسم الكتلة، يناسبان النّموذجين البدئيّين موضوع وجوهر. والنّوعان الأساسيّان في الأفعال اللّذان يسمّيان هنا الانقضائيّ وغير الانقضائيّ يناسبان المفهومين النّموذجيّين البدئيّيــن حــدث وحالة. وســوف نــرى أنّ التّمييز بين المعــدود/ الكتلة في الأسماء والتّمييز بين الانقضائيّ / غير الانقضائيّ في الأفعال هما الشّيء نفسه بشكل أساسيّ.[1]

5. 1 الأسماء: المعدود والكتلة

لِمَ تنقسم الأســماء إلى قسمين فرعيّين أساســيّين؟ يقيم النّحاة التّمييزَ، في البدء، على أساس التّقابل بين سلوكهما النّحويّ. غير أنّ التّسميتين التّقليديّتين "معــدود" و"كتلة" توحيــان بإمكانيّــة التّمييز بينهما على أســس مفهوميّة. أستكشِــف في هذه الجزء، المكوّنات في توصيــف دلاليّ ما والكثيرَ من اللّطائــف فــي تطبيقها. ويتبيّــن أنّ الخصائص النّحويّة المختلفة بين الأســماء المعدودة وأسماء الكتلة مجرّد تجلّيات عرَضيّة لمقابلة مفهوميّة جوهريّة.

1.1.5 الأسس النّحويّة

تقبَل الأسماء الإنجليزيّة القسمة، على واحد من المحاور، إلى مقولتين واسعتين ترد بعض الأمثلة منها في (1).[2] فمن الجاري في الأسماء المعدودة أن تكون أشياء مادّيّة (مثل: ماس، كتاب، كوب)، وفي أسماء الكتلة أن تكون جواهر مادّيّة (ذهب، لحم، ماء). ويتضمّن، بالإضافة إلى ذلك، كل قسم أسماءً لأنواع أخرى من الوحدات. فعلى سبيل المثال، تجري الأسماء المعدودة على المخلوقات (قطّ)، وعلى الأجزاء من كلٍّ أكبر (ذيل)، وعلى النّواحي الجغرافيّة (إقليم)، وكذلك على وحدات تكون ضبابيّة (سحاب) أو مجرّدة (فكرة). وتعيّن أسماءُ الكتلة، كذلك، وحداتٍ تكون طبيعتها الجوهريّة لطيفة (هواء، كهرباء) أو شيئا لا مادّيّا في كلّيته (هراء، استقامة).

(1) (أ) الأسماء المعدودة: ماس، كتاب، كوب، قلم، منزل، شجر، تفّاح، قطّ، ذيل، بنكرياس، حافّة، إقليم، بحيرة، سحابة، سؤال، فكرة، عدد صحيح، شكوى ...

(ب) أسماء الكتلة: ذهب، لحم، ماء، خشب، فحم، لصاق، جعة، جلد، فولاذ، هواء، رطوبة، كهرباء، هراء، غضب، استقامة، شكوى ...

وعلى هذا، لا يتجلّى أبدا أنّ أيّ واحدة من المقولتين تكون قابلة لوصف دلاليّ صالح لجميع الأعضاء فيها (أي توصيفا خطاطيّا). فالتّسميتان الوصفيّتان اللّتان تبدران إلى االذّهن مباشرة، موضوع وجوهر، تنطبقان بصفة مباشرة على الأعضاء الطّرازيّين فقط، لا على جميع الأعضاء. وتتمثّل الخاتمة المستخلصة عامّة، في أنّ التّمييز بين المعدود والكتلة لا يمكن أن يقوم ويُوصَف إلاّ على أساس السّلوك النّحويّ. ومن ناحية عمليّة، لقد قام القسمان - وجرى توزيع الأعضاء عليهما- بالفعل، على أساس خصائصهما النّحويّة المميّزة.

تُعرض بعض هذه الخصائص في (2)، حيث يُتّخذ [ماس] و[ذَهبٌ] نموذجين ممثّلين لمقولتي الاسم المعدود واسم الكتلة. نرى أوّلا، في (2) (أ)، أنّ الاسم المعدود فقط يمكن أن يقوم برأسه عبارةً إسمائيّةً تامّة، دون علامة تعيين (تعريف وتنكير). وتتعلّق الخصائص التّقابليّة الأخرى بأنواع المخصِّص الّتي يسمح بها كلّ واحد منهما. فالاسم المعدود هو القسم الوحيد الّذي يسمح بأن تجري معه علامة التّنكير. ومقابل ذلك، لا يجري عدد من المخصِّصات - بما في ذلك المسوّرات [*most* «جُلّ»]، و[*all* "كلّ"]، [*a lot*

of "كثير من"]- إلاّ مع أسماء الكتلة. والأحكام نفسها تستقيم في جميع الأمثلة الواردة في (1).

(2) (أ) *They're looking for* {❋*diamond* / *gold*}.
(هم) يبحثون عن {*الماس / الذّهب}.
(ب) a {diamond / *gold}
{ماسة/ * ذهبة}.
(ج) most {*diamond / gold}
جلّ {*الماس / الذّهب}.
(د) all {*diamond / gold}
كلّ {*الماس / الذّهب}.
(هـ) a lot of {*diamond / gold}
الكثير من {*الماس / الذّهب}.

سُمّيت الأسماء المعدودة كذلك لأنّها تدلّ على الوحدات الّتي يمكن عدّها: ماسة واحدة، ماستان، ثلاث ماسات، إلخ. وترتبط قابليّة العدّ بإمكانيّة تكوين الجمع (مثل، [ماسات])، الّذي يدلّ على نماذج متعدّدة من النّوع الّذي يخصّصه الاسم المفرَد ([ماس]). ومقابل ذلك، لا تُكوَّن الجموع من أسماء الكتلة ([*golds** «* ذهاب»]، [*three golds*❋ «*ثلاث ذهبات»]. ويفتقر المرجع الّذي يحيل عليه اسم كتلة نموذجيّ، كما يوحي به الاسم، إلى التّفاصل اللاّزم للتّعرّف على العيّنات المتعدّدة ولعدّها.

فما هي، إذن، منزلة الجموع بالنّظر إلى التّمييز اسم معدود/ اسم كتلة؟ لا يقبل الجمعَ إلاّ الاسُم المعدود. غير أنّ الجمع، بشكل لافت، يشتغل نحويّا اشتغال اسم الكتلة. باستعراض الخصائص الواردة في (2) نجد في كلّ حالة، أنّ [*gold* "ذهب"] و[*diamonds* "ماسات"] يشتغلان اشتغالا واحدا متشابها، مقابل [*diamond* "ماس"]:

(3) (أ) *They're looking for* {❋*diamond* / *gold* / *diamonds*}.
(هم) يبحثون عن {*الماس / الذّهب/ الماسات}.
(ب) *a* {*diamond* / ❋*gold* / ❋*diamonds*}
{ماسة/ * ذهبة/ * ماسات}.
(ج) *most* {❋*diamond* / *gold* / *diamonds*}
جلّ {*الماس / الذّهب/ الماسات}.

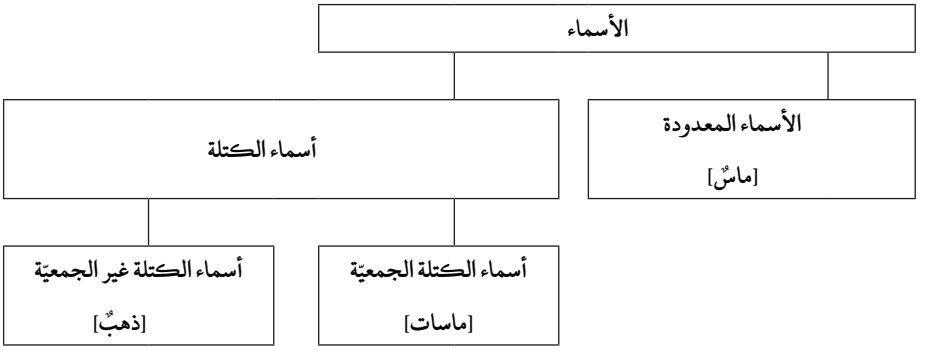
(د) *all* {*diamond / gold / diamonds}
كلّ {*الماس / الذّهب/ الماسات}.
(هـ) *a lot of* {*diamond / gold / diamonds}
الكثير من {*الماس / الذّهب/ الماسات}.

فالجمع [ماسات] أشبه بـ[ذهب] منه بـ[ماس]، من حيث لا يمكن أن يخضع لعمليّة صوغ الجمع: [*diamondses**«*ماساتات»]. فالسّلوك النّحويّ، حينئذ، حجّة تدعم التّصنيف الوارد في الرّسم البيانيّ 5. 1. تتضمّن مقولة اسم الكتلة - في معنى واسع للكلمة- كلاًّ من الجموع وأسماء الكتلة «الحقيقيّة» (من قبيل [ذَهب]).

لكنّ الجموع وأسماء الكتلة الأخرى لا تسلك السّلوك نفسه. فالجمع، (مثل [ماسات])، بحكم طبيعته الصّميميّة، يحيل على عيّنات متعدّدة من النّوع نفسه ([ماس]). فهي لذلك تصِف الكتلة الّتي تدلّ عليها من حيث تتكوّن من «جزيئات» فرديّة ذات بروز كاف لتكون قابلة للعدّ. ونتيجةً لذلك، تجري الجموع مع الأعداد، في حين لا تفعل ذلك سائرُ أسماء الكتلة ([*eight diamonds* «ثماني ماسات»] مقابل [*eight golds** "* ثماني ذهبات"]). وتتأثّر أسماء الإشارة وبعض المسوّرات كذلك بهذه المقابلة بين الكتلة "الجزيئيّة" والكتلة "المسترسلة":

(4) (أ) *those diamonds* vs. *that gold*
«تلك الماسات» مقابل «هذا الذّهب»
(ب) *these diamonds* vs. *this gold*
«هذه الماسات» مقابل «هذا الذّهب»
(ج) *many diamonds* vs. *much gold*
«ماسات كثيرة» مقابل «ذهب كثير»
(د) *few diamonds* vs. *little gold*
«ماس قليل/ قليل من الماس» مقابل «ذهب قليل/ قليل من الذّهب»
(هـ) *several diamonds vs.* **several gold*
«ماسات عديدة» مقابل «* ذهب عديد».
(و) *numerous diamonds vs.* **numerous gold*
«ماسات غفيرة العدد» مقابل «* ذهبات غفيرة العدد»

بناء على هذا، يوجد أساس نحويّ لتمييز الجموع من سائر أسماء الكتلة، ولتجميعها في مقولة من مستوى أعلى، أيضا.

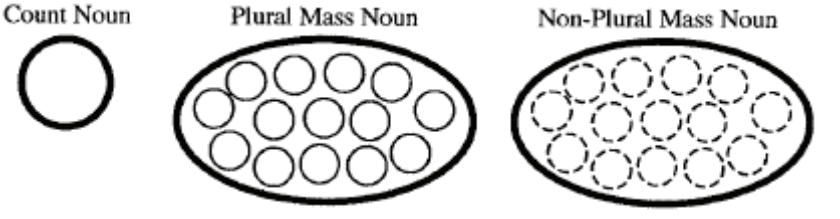


الرّسم البيانيّ 5. 1

ورغم ذلك، أنا أثبتُ، بصفة جوهريّة، أنّ تلك الخصائص النّحويّة تجلّيات ظاهريّة لاختلافات مفهوميّة كامنة. وقد نجمت عن النّقاش التّوصيفات الدّلاليّة المعروضة بشكل مختزل في الرّسم البيانيّ 5. 2. يعرِض الاسم المعدود شيئا ينبني من حيث هو محدود حدّا متفاصلا بوجه من الوجوه، في حين يكون مرجع اسم الكتلة غيرَ ذي شكل وغير محدود بطبيعته. وأستعمل الدّائرة لتمثيل الأوّل، والشّكل البيضويّ لتمثيل الأخير، أداتين ملائمتين في التّرميز. وضمن مقولة اسم الكتلة، تقابل الجموعُ الأسماءَ غير الجمعيّة بأن تبرِز الطّبيعة الجزيئيّة في الكتلة المعروضة. وليس من المستبعد أنّ يكون للكَتلة غير الجمعيّة جزيئات قابلة للتّمييز - نحن نعرف، على سبيل المثال، أنّ [رمْل] يتكوّن من جزيئات، ولها عندنا حتّى الاسم ([حبيبات]). يتمثّل محطّ العناية هنا في أنّ الأسماء من هذا القبيل تؤمِّم استرسال الكتلة المدرَك على حساب الوحدات المكوّنيّة. هي تفعل ذلك بأن تسمِّي الكتلةَ مباشَرة، من حيث كانت كلاّ غير قابل للتّمييز، في حين يقوم الجمع على أساس الاسم الّذي يجري على جُزَيْءٍ فرديٍّ.

ولا حاجة إلى التّأكيد بشكل أشدّ من اللاّزم على أنّ المقْوَلة ترتبط بالكيفيّة الّتي تكون بها مفهمة الأشياء، والّتي تكون مستقلّة إلى حدّ ما عن طبيعتها الموضوعيّة. فنحن قادرون تماما على بناء الوحدة المتصوَّرة نفسها بطرق بديلة، كلّ واحدة منها تبرِز بعض المظاهر فيها وتقلّل من

شـأن المظاهر الأخرى. فبعض القطع الخشـبيّة المستطيلة يمكن أن يحال عليهـا، بصفة جماعيّـة، إمّا من حيث هي [*boards* "ألـواح"] أو من حيث هي [*lumber* «خشـب منشـور»]. ورغـم أنّهما متطابقـان إحاليّـا، يجعل الجمع [*boards*] الوحـدات المكوّنيّـة الفرديّة بارزة، في حين يزيل الاسـم [*lumber*] سـمةَ التّفريد فيها ليكـون إدراك تلك الوحدات مـن حيث هي كتلة متجانسـة فعليّـا: [*three boards* "ثلاث لوحات"] مقابـل [*three lumber* «*ثلاثة خشـب»]، [*these boards* "هذه اللّوحات"] مقابل [*this lumber* "هذا الخشـب"]، إلخ. وهذان الانبناءان المختلفان يندرجان جزءا من المعاني القائمة لذينك الشّـكلين، وهي مسألة تواضع لغويّ مشترك. فلنا المرونة المفهوميّة لبناء الوضعيّـة الواحدة بأيّ وجه منهما وأن ننتقي الشّـكلَ الّذي يناسـب معناه غايتَنا التّواصليّة بأحسن وجه.



الرّسم البيانيّ 5. 2

ومـن التّبعات الأخـرى لبراعتنا المفهوميّة، المرونـة الكبيرة الّتي تكون للتّمييز بين المعدود والكتلة. هي كلّ شيء ما عدا أن تكون تقابلا معجميّا ثابتا بوجه يكون فيه اسـم ما منتميا بصفة قَطعيّة إلى مقولة أو أخرى. يكفي تعديل طفيف في الكيفيّة الّتي بها نبني المضمون الّذي يسـتحضره شـكل لغويّ ما، لتغيير مقْوَلته وسلوكِه النّحويّ بالاستتباع. نرى في (5) (أ)، مثلا، أنّ [*diamond* "ماس"] يشتغل اسمَ كتلة عندما لا نبالي إن كان الجوهر المكوّن لـه متحقّقا بصفـة متفاصلة، ولكن نركّـز على خصائصه النّوعيّة بشـكل حصريّ. وفي (5) (ب)، من ناحية أخرى، يشـتغل [*gold* "ذهب"] اسما معدودا لأنّه يحيل على نوع من الذّهب (وحدة متفاصلة وإن كانت تجريديّة) لا على الجوهر في ذاته.

(5) (أ) *Diamond is a very hard substance.*

الماس مادّة صلبة جدّا.

(ب) *I'm looking for a gold that is just the right color for a ring.*

أبحث عن ذهبٍ يكون له اللّون الصّالح بالتّحديد لأن يكون خاتما.

تكون الأشكال الخاصّة، بدرجات متنوّعة، راسخة وثابتة ثباتا تواضعيّا من حيث هي اسم معدود أو اسم كتلة - أو كلاهما في الغالب. ويكون تعلّم مواضعات من هذا القبيل جزءا من إتقان لغة ما. وبعد هذا، يظلّ خيار الانبناء الجديد قائما، هذا الّذي ينتُج عنه إمكان نحويّ مغيَّر. وبالفعل، تضمن القوالب العامّة لتوسيع الأسماء المعدودة إلى اسم كتلة في الاستعمال، والعكس كذلك، أنّ كلّ واحد من غالبيّة الأسماء يمكن، مبدئيّا، أن يُستعمَل في أيّ واحد من الوجهين.

وينبغي أن لا نغفل عن أنّ كلّ اسم يندرج بسهولة في المخطّط التّصنيفيّ المعروض في الرّسم البيانيّ 5. 1.[3] فعلى سبيل المثال، ليست كلمة [*cattle* "ماشية"] جمعا من حيث شكلها (ولا يوجد مفرد مناسب لها)، وهي زيادة على ذلك، تسلك نحويّا سلوك الجمع: [*those cattle* "تلك الماشية"]، [*few cattle* "ماشية قليلة"]، [*several cattle* "ماشية عديدة"]، إلخ. وعلى عكس ذلك، تكون أسماء كثيرة جموعا من حيث الشّكل ولكنّها تختلف عن الجموع القياسيّة في المعنى والسّلوك النّحويّ (انظر فيرزبيكا 1985). ومن الأمثلة المشهورة [*oats* «الشّوفان»]، وهو جذع يجري بالفعل ([*oatmeal* "دقيق الشّوفان"]، مثلا). ولكنّ هذا الجذع لا يمكن أن يُستعمَل اسما معدودا مفردا ليدلّ على جزيئات مكوّنيّة بارزة ([*an oat* ✻«شوفانة»]، [*this oat* ✻"هذه الشّوفانة"])، ولا الجزيئات قابلة للعدّ ([*five oats* ✻"خمس شوفانات"]، [*numerous oats* ✻"شوفانات كثيرة"]). وهناك كلمات أخرى تختلف عنها اختلافا طفيفا، مثل [*scissors* "مقصّات" (مقصّ)]، و[*pliers* "كمّاشات" (كمّاشة)]، و[*tweezers* "ملاقيط" (ملقط، ملقاط)]، و[*binoculars* "ثنائيّ الحدقات" (مجهر ثنائيّ العدسة)"]، و[*shorts* "سراويل قصيرة" (تبّان)]، تدلّ على شيء مفرد ذي جزأين بارزين. تُظهِر هذه الأسماء، نحويّا، أنماطا من السّلوك خليطا بين الاسم المفرد والاسَم الجمع (مثل [*a scissors* "مقصّات واحد" (مقصّ)]، ولكن نقول [these scissors *are broken* "هذه المقصّات مكسورة (هذا المقصّ مكسور)"]. وعلى هذا، لئن أمكن أن يشير تصريف الجمع دائما إلى أنّ

المرجع الإسـمائيّ مركّب داخليّا، فإنّ طبيعة هـذا التّركّب لا تقتصر فقط علـى الحالـة النّموذجيّـة البدئيّة لأفـراد متعدّدين يقبـل كلّ واحد الوصف بالجذع غير الجمعيّ.

5. 1. 2 الأسس المفهوميّة

يُظهـر التّمييز النّحويّ بين الاسـم المعدود واسـم الكتلـة تمييزا مفهوميّا أساسـيًّا. فقد وَصفتُ، إلى هذا الحـدّ، هذا التّقابل بطريقة غائمة، بأنّه مسـألة تتعلّق بكون المرجع الاسـمائيّ إمّا "محدودا حدّا متفاصلا بوجه ما" أو، بدل ذلك، "غيرَ ذي شـكل ولا محدودا بطبيعته". ومن الجليّ أنّ هذا التّوصيف في حاجة إلى الصّقل والتّوضيح.

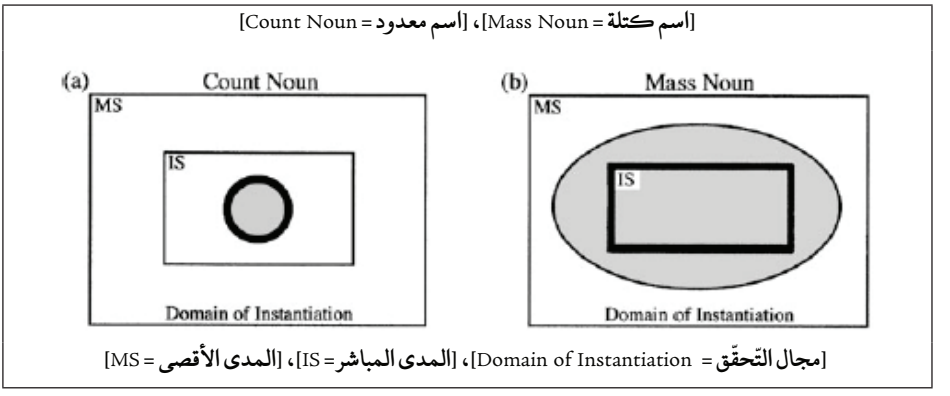
يجري تعريفٌ أدقّ كما يلي. يعرض الاسـم شيئا، يعرَّف بكونه أيَّ نتاج للتّجميع والتّشـييء (§ 4. 2. 2). في حالة الاسـم المعدود، ينبني ذلك الشّيء محدودا داخل المدى المباشـر في مجال التّحقّق. ومعروض اسـم الكتلة لا ينبني محدودا بهذه الطّريقة. فالمفاهيم المفاتيح، حينئذ، هي التّحديد، والمدى المباشر، والمجال، والتّحقيق. وكلّ مصطلح منها يتطلّب تفسيرا.

كانت فكرة المدى المباشـر قد قُدِّمت في الفقرة § 3. 2. 3. بالنّسبة إلى مجال معطى، المدى المباشـر (مد مب) لعبارة ما هو القسـم المفيد من مداها الأقصى (مد أق) إفادة مباشـرة لبلوغ غاية ما. وبطريقة استعاريّة في التّعبير، هو الجهة الماثلة "على الرّكح"، أي الموقع العامّ للانتباه. فيكون معروض عبارة ما، بحكم كونه بؤرة الانتباه المخصوصة، مقتصرا على المدى المباشر.

يتوقّف التّمييز بين المعـدود والكتلة على ما إذا كان التّحديد جاريا في المدى المباشـر، كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 5. 3. بقصـر انتباهنا، بصفة وقتيّـة، على الوحـدات المادّيّة (حيث يكون الفضاء مجـال التّحقيق)، تمثّل المنطقـة المظلّلة في كلّ رسـم تخطيطيّ رقعة يمتدّ فيهـا جوهر مادّيّ. وفي حال الاسـم المعدود، تكون هذه المنطقـة محدودةً ويقع الحدّ داخل المدى المباشـر. فالاسـم [*board* «لوح»]، يعرض امتدادا ما من الخشـب محدودا في كلّ بعد فضائيّ ليعطي الشّـكل المسـتطيل المميّز الّذي تمليه المسـاحات المستوية، والحَوافّ المستقيمة، والزّوايا القائمة. ووجود الحدّ (والشّكل الّذي يمليـه) جزء ممّا ينبغي أن يدرَك حتّى يكـون التّعرّف على المادّة من حيث هي نموذج متحقّق لـ[*board* «لوح»]. يُجعَل حضور حدود ما «على الرّكح»

بكلمة [*board*]، من حيث هي شيء ينبغي الانتباه إليه. ولذلك تكون مضمَّنة في المدى المباشر للاسم.

ولكنّ تمييز الحدود ليس ضروريّا للتّعرّف على شيء من حيث هو عيّنة من [*wood* "الخشب"]. لنفترض أنّك تزيل قسما من الجصّ من على جدار وتكشف عن مساحة مصقولة تحته. فلا حدود ظاهرة؛ والمادّة الّتي تُرى من خلال الثّقب ممتدّة إلى ما بعده في جميع الاتّجاهات. ويمكنك برؤيتها وتلمّسها، رغم ذلك، أن تحكم - بناء على القسم الوحيد الّذي نفذت إليه - أنّ المادّة خَشَبٌ [*wood*]. فاسم الكتلة، مثل خشب، يسمّي نوعا من المادّة تتميّز عن سائر الموادّ بعوامل نوعيّة. فالصّفات المميّزة ظاهرة في أيّ قسم يمكن لنا أن نستمدّ منه عيّنةً، بصرف النّظر عن الشّكل أو الحجم. والقسم القابل للملاحظة في مدى مباشر محصور (مثل الثّقب المحدث في الجصّ) يمكن حينئذ أن يُتعرّف عليه من حيث هو عيّنة من نوع المادّة المعنيّة.



الرّسم البيانيّ 5. 3

وتبعا لذلك، يكون لاسم الكتلة التّنضيدُ المعروض في الرّسم البيانيّ 5. 3 (b). في حين تكون الكتلة، بكلّ تأكيد، محدودة، ولا يكون ذلك مطلوبا للتّعرّف عليها. فاسم الكتلة، في ذاته، لا يستدعي حدودا على أنّه عنصر ماثل "على الرّكح" ينبغي الانتباه إليه. وعلى هذا، لا وجود لتحديد داخل مداه المباشر. وزيادة على ذلك، لا تكون الرّؤية المبأّرَة ممكنة إلاّ داخل حدود المدى المباشر (الموقع العامّ للانتباه). فمعروض عبارة ما- أي بؤرة الانتباه الخاصّة بها- حينئذ، منحصر في هذه المنطقة. في حين يمكن أن تكون المادّة الّتي يسمّيها اسم الكتلة ذات امتداد غير محدّد، لا يعرض

إلاّ مـا جعِل "على الرّكح" على أنّه بؤرة للرّؤيـة. حتّى وإن نظرتَ من خلال الثّقـب وقلـتَ: [*I see wood*! "أرى خشـبا"]، لن تكون محيلا إلاّ على القسـم الظّاهر للعيان.

يسـمِّي الاسـم نوعا من الأشـياء ويحدِّد الخصائص الّتي يجب أن تكون لوحدة ما لتتأهّل لتكون تحقّقا من ذلك النّوع. وعادة ما يسـتدعي تخصيصُ النّوع عددا من المجالات العرفنيّة يحال عليها في كلّيتها بكونها مولّدته (§ 2. 2. 2). وفي داخل المولّدة، يبرز مجال بعينه من حيث هو مجال يعتَقَد بصفة رئيسـيّة أنّ تحقّقـات ذلك النّوع ماثلة فيه. فيمكن أن نسـمّيه، تبعا لذلك، مجـال التّحقّق. ومن زاوية تصوّريّة، ما يميّز بين التّحقّق والنّوع، هو أنّ التّحقّق يُعتَقَـد بالتّحديد أنّه حالٌّ في موضع خاصّ من المجال. وتتمايَز تحقّقات النّوع نفسه في ما بينها بحكم احتلالها لمواضع مختلفة.[4] ويتوصّف مجال التّحقّق بطريقـة أدقّ بكونه المجـال الّذي يوجِّه فيه حضور الحـدود أو غيابها مَقْوَلة الاسم على أنّه اسم معدود أو اسم كتلة.

لنتأمّل، مرّة أخرى، الاسم المعدود [*board*]. فكما هو معتاد في شأن الأشياء المادّيّـة والجواهر، يكون الفضـاء مجالَ التّحقّق. فلقطعـة لوح وجود زمنيّ وفضائيّ في آن: تشـغل حيّزا فضائيّا، وتستمرّ خلال الزّمن. ومن البديهيّ، رغم ذلك، أنّنا نتصوّر بصفة رئيسـيّة، اللّوح على أنّه موجود في االفضاء، ونسـلّم ضمنيّا باسـتمراره خـلال الزّمان. فالسّـؤال: [*Where is the board?* "أين اللّوحة؟"] يكون ذا معنى معقول بدرجة كبيرة، ولكن [*when is the board?* «متى يكون اللّوح؟»] شيء لا نفكّر أبدا في طرحه.[5] فالنّوع من قبيل [لوح] له تحقّقات في عيّنات كثيرة، وفي لحظة معيّنة، تحتلّ كلّ عيّنة موضعا متميّزا (في حين يكون النّوع نفسه، من حيث يمثّل التّجريديَّ المشتركَ بين تلك التّحقّقات جميعهـا، وحدة «عائمة» لا يمكن أن يحدّد موضع لها). وحتّى إذا كان من المفروض أن تكون لوحتان متطابقتين، فإنّهما تكوّنان في موضعين مختلفين عيّنتين مختلفتين للنّوع نفسه - وإن احتلّتا نفس الموضع على التّحديد يمكن أن تكونا اللّوح نفسَه. ومقابل ذلك، يمكن للوحة تحتلّ نفس الموضع في أزمنة مختلفة أن يُتعرّف عليها رغم ذلك من حيث هي العيّنة نفسها (حتّى وإن تغيّرت). وإذ كان الفضاء مجالَ التّحقّق، تشـتغل [*board* «لوح»] اسما معدودا لأنّ تخصيـص نوعها يتضمّن مفهوم التّحديـد الفضائيّ. وتقصر في تخصيص

التّحديد الزّمنيّ، ولكن بما أنّ الزّمن ليس مجال التّحقّق، لا يجعل ذلك من [*board* «لوح»] اسم كتلة.

لكنّ مجال التّحقّق يتنوّع، بالفعل، في حالة الأسماء، وأمّا الزّمن فهو واحد من الخيارات. فمن جملة الأسماء الكثيرة الّتي تستدعي الزّمن بحكم هذا الأمر، يكون [*time* "زمن"] نفسه، وكذلك أسماء دالّة على أقسام من الزّمن ذات أمدية مختلفة، من قبيل [*moment* "لحظة"]، و[*minute* "دقيقة"]، و[*hour* "ساعة"]، و[*year* "عام"]، و[*century* "قرن"]. تشتغل كلمة [*time* "زمن"]، في واحد من معانيها، اسم كتلة ([*We have a lot of time* «لنا الكثير من الزّمن (عندنا وقت كثير)»]، [*Time passes slowly* "يمرّ الزّمن ببطء"]، مثلا). يُتصوَّر مرجِعها التّجريديّ على أنّه يتمطّط دون نهاية في الاتّجاهين- ومنه على أنّه لا محدود في صميمه. ويمكن كذلك أن تستعمل [*time* "زمن"] اسما معدودا، وهي تدلّ في هذه الحالة، على نقطة فقط من الزّمن ([*what time is it?* «ما هو الزّمن الآن؟» (كم السّاعة الآن؟)]، أو على مقطع ذي مدّة محدودة ([*a short time* «زمن قصير»]. وبطبيعة الحال، تكون الأسماء الكثيرة الجارية على أمْدية خاصّة من الزّمن، أسماءً معدودةً. فالمدى الزّمنيّ الّذي تعرضه [لحظة] ينبني على أنّه قصير إلى حدّ بعيد ولكنّه ليس مقيسا بدقّة. ومقابل ذلك، تفترض كلمات من قبيل [دقيقة، وساعة، وشهر، وعام، وقرن]، مسبقا أطرا عرفنيّة متبلورة في ضوئها نقيس مرور الزّمن ونحدّد المواضع الزّمنيّة (انظر الرّسم 3. 12). فكلّ واحد من هذه الأسماء يحيل على وحدة محدودة في مثل هذه الشّبكة. وتستدعي الأسماء الّتي تحيل على الأحداث، كذلك، الزّمنَ على أنّه مجال تحقيق لها، من قبيل [*beep* «تزميرة»]، و[*flash* «لمعة»]، و[*shout* "صيحة"]، و[*birth* "ولادة"]، و[*sneeze* "عطسة"]، و[*bath* "استحمام"]، و[*explosion* "انفجار"]، و[*earthquake* "زلزال"]. هذه أسماء لأنّ الأحداث الّتي تعرضها تنبني، من خلال التّشييء المفهوميّ، على أنّها أشياء تجريديّة. وهي أسماء معدودة لأنّ المجريات الّتي تدلّ عليها محدودة في الزّمن. فعلى سبيل المثال، يكون الصّوت المستمرّ الّذي يصدره منبّه سيّارة لا يشتغل بشكل جيّد، مزعجا إلى حدّ كبير، ولكن [*beep* «تزميرة»] ليست كذلك. ولا يمكن لصوت ما أن يحدَّد بكونه «تزميرة» إلاّ إذا كان قصيرا جدّا في مدّته، وإذا ما لوحِظ انطلاقه وتوقّفه.[6]

ورغم غلبة الأسماء الّتي تستدعي الزّمان مجالا لتحقّقها، تتوفّر أعداد أخرى من الخيارات الكثيرة. ومن أمثلة ذلك فضاء الألوان، وهو مجال أساسيّ آخر. تذكّر أنّ لاسم من أسماء الألوان، من قبيل [*yellow* "أصفر"]، استعمالين اثنين يجري فيهما اسما معدودا. وهو يعرض، باعتباره اسما علما (مثل [*Yellow is a soothing color* "الأصفر لون مريح"])، منطقة وحيدة من فضاء الألوان محدودة بكونها متميّزة من الألوان الأخرى (الرّسم البيانيّ 4. 4 (a)). ومن حيث هو اسم عامّ (مثل، [*We need a brighter yellow for the kitchen* "نحتاج إلى أصفر أكثر إشراقا للمطبخ"])، يدلّ على أيّ مقطع محدود من منطقة الأصفر، تناسب درجة مخصوصة من الأصفر (الرّسم البيانيّ 4. 4 (b))[7]. وممّا يمدّنا بأمثلة من قبيل آخر، الأسماء مثل [*chapter* «فصل»]، و[*paragraph* «فقرة»]، و[*introduction* "مدخل"]، و[*conclusion* "خاتمة"]، و[*preface* "مقدّمة"]، و[*preamble* "تمهيد"]، الّتي تدلّ على أجزاء محدّدة من بحث مكتوب. ولئن كان للكتابة تجلّ فضائيّ في العادة (على الورق أو على شاشة حاسوب)، لا يمثّل ذلك المظهر الأساسيّ في هذه الكلمات، لأنّ الكتاب، وإن حُفِظ عن ظهر قلب واستحضِر شفويّا، يظلّ دائما ذا فصول وفقرات. فهذه الكلمات متّصلة بصفة رئيسيّة بالوحدات الوظيفيّة الجارية في تحرير لغويّ، وهي أسماء معدودة لأنّها تعرض أقساما محدودة من النّصّ في كلّيّته. فيكون على هذا مجال التّحقيق، تصوّرُ التّحرير على أنّه وحدة نصّيّة تجريديّة، إلاّ أنّها يمكن أن تتجلّى بشكل ما.

يثير تحديد مجال التّحقّقات لاسم ما عددا من المسائل اللّطيفة. ينبثق جميعها من كون معنى الاسم سليلا لمجالات عرفنيّة متعدّدة، يندرج بعضها في بعضها الآخر جزءا منه ويجري إنشاطها على درجات متنوّعة في مناسبات مختلفة (§ 2. 2. 2). فعلى سبيل المثال، نهمل في الغالب دور "فقرة" من حيث هي وحدة نصّيّة، ونتصوّرها، بدل ذلك، على أنّها وحدة ذات تجلّ فضائيّ، بصريّ، تتحدّد بفراغ مسنّن من اليمين إلى اليسار في سطريها الأوّل والأخير. وبالمثل، يمكن أن يوصّف [كتاب] بكونه إمّا وحدة مادّيّة أو نصّيّة ([*Her book took five years to write and weighs two pounds* "استغرق كتابها خمسا من السّنوات ويزن رطلين"]). ويمكننا أن نستعمل كلمة [*walk* "مشى"] على مسلك فضائيّ محدود ([*It's a five-mile uphill walk* "هي مسافة خمسة أميال من المشي صعودا في الهضبة"])، أو على حدث ([*I took a walk* «أخذت مشية» (تمشّيت)])، أو طريقة في المشي تتميّز من سائر الطّرق في المشي ([*His walk*

is peculiar «مشيته مختلفة»]). ففي حالات مثل هذه، كلّ تأويل يفترض مسبقا مجالَ تحقّق مختلف حيث تُتصوَّر التّحقّقات على أنّها تحتلّ مواضع تميّزها عن سائر التّحقّقات.

يكون تعيين مجال تحقّق وحيدٍ مشكلا عندما يكون واحد من المجالات مندرجا في مجال آخر جزءاً منه. تأمّل اسما من أسماء أعضاء الجسد، من قبيل [*arm* «ذراع»]. المجال الحاسم في تحديد معناها هو تصوّر لشكل الجسد البشريّ في كلّيّته. وتتأهّل [ذراع] لتكون اسما معدودا لأنّها تعرض منطقة محدودة داخل ذلك الكلّ. لكن بما أنّ الجسد موجود في الفضاء، لا ينقِص ذلك من صحّة كون الذّراع تحتلّ فضاء وكونها ذات حدود فضائيّة. فهل يجب أن يُعتبَر الفضاء مجالا للتّحقّق؟ إذا كان الأمر كذلك، توصَف الذّراع، رغم ذلك، وتُحَدّ بموقعها في تشكّل الجسد في كلّيّته. وتثير عبارة زمنيّة، من قبيل [ساعة]، مشكلا شبيها بهذا. فهل ينبغي أن يُعيَّن مجالُ الزّمان الأساسيُّ مجالا لتحقّقها، أو يعيّن، عوضا عن ذلك، الإطارُ المفهوميّ المفروض على الزّمن لإجراء تقطيعه وقيسه؟ قد يكون الاختيار اعتباطيّا، لأنّ القطعة الزّمنيّة المقيسة محدودة في كلّ من المجال الأساسيّ والإطار المفهوميّ الّذي يشتمل عليها. وبطريقة مماثلة، تكوّن كلمة [*octave* «ثُمانيّة»] قطعة محدودة باعتبار السّلّم الموسيقيّ ومجال الجرس الأساسيّ، في آن واحد. وفي هذه الحالات، لا يوجد أساس جليّ لإفراد مجال واحد أو آخر، على أنّه مجال التّحقّق الحصريّ.

3.1.5 التّحديد

قد يبدو مفهوم «التّحديد»، مقارنةً بالمدى المباشر ومجال التّحقّق، واضحا في ذاته، ولكنّه يتطلّب الكشف عن محتواه أيضا. يكون الشّيء المعروض، بالنّسبة إلى الكثير من الأسماء المعدودة، محدودا في المعنى المباشر للكلمة بأن يكون ذا حدود بيّنة قابلة للتّمييز. فكلمة [بحيرة]، مثلا، جسم من الماء محدود بالبرّ من كلّ الجهات. وبالإضافة إلى ذلك، تعطيها حدودها - أي الخطّ الفاصل بين الماء والبرّ- شكلها الخاصّ. غير أنّه ليس من الثّابت أنّ كلّ مرجع لاسم معدود يكون ذا حدود أو ذا شكل بأيّ معنى معهود لتينك الكلمتين. فوجب أن يكون التّعريف الأوسع للتّحديد أمضى في التّجريد.

لا نتكلّم عادة عن الشّكل إلاّ بالنّظر إلى الوحدات الّتي تتجلّى فضائيّا. فما هو شكل [ساعة]، أو [مدخل]، أو [تزميرة] أو [ثُمانيّة] أو [أصفر]؟ يستعمَل مصطلح «تحديد» بطريقة أكثر مرونةً ولكنّه ما يزال غير ملائم للأشياء اللاّفضائيّة. فلـ[ساعة] بداية ونهاية، ولكن هل هي ذات حدود؟ ورغم أنّ الفجر يمكن أن يوصَف (استعاريّا) بكونه الحدّ الفاصل بين اللّيل والنّهار، يكون من غير الطّبيعيّ أن نقول إنّ [ليل] ذو حدود. وليس من الجليّ أنّ يكون لـ[فريق] يمكن أن ينتشر لاعبوه على كامل مساحة الملعب، حدود أو شكل. وماذا عن [ألفبائيّة]؟ فرغم أنّ لها حرفا بدئيّا وآخر نهائيّا، يصعب جدّا اعتبارهما حدّين. ثمّ عن أيّ شيء تكون [الألفبائيّة] محدودة؟ فمفهوم الحدود مشكل حتّى بالنّسبة إلى الأشياء المادّيّة مثل [لوح]. وقياسا على [بحيرة]، يمكن أن نفترض، بشكل معقول، أنّ [لوح] كتلة مسترسلة من الخشب محدودة من جميع الجوانب بـ...، بماذا؟ ليست محدودة بالهواء، إذ يمكننا أن نتخيّل بيسر لوحا راسبا في الماء أو سابحا في الفراغ من الفضاء الخارجيّ. فلا نملك، في العموم، إلاّ أن نقول بأنّها محدودة بغياب الخشب. ربّما يكون ذلك أقصى ما في متناولنا. فنحن نتصوّر [لوح] من حيث كان ذا مساحة وشكل، ولكن لا حدود له.

بتعريف أمضى في التّجريد، يكون الشّيء محدودا عندما تكون هناك نهاية ما لمجموعة الوحدات المكوّنة له. ما يعنيه ذلك، بعبارات مفهوميّة، شيء شبيه بما يلي. تذكَّر أنّ الشّيء يوصَف، خطاطيّا، بكونه مجموعة من الوحدات المترابطة، تُجمَّع وتُشيَّأ لتكوِّن وحدة موحّدة لغايات عرفنيّة من مستوى أعلى (§ 4. 2. 2). لنتخيّل، إذن، عمليّة المسح الذّهنيّ من خلال مجموعة الوحدات المكوّنيّة- أي الاهتداء إليها بنوع من التّعاقب الطّبيعيّ- أثناء بناء التّصوّر التّامّ لنموذج من النّوع المَعنيّ. يكون الشّيء محدودا، إذا كانت مجموعةُ الوحدات الضّروريّةُ قد استقصِيت في نهاية المطاف خلال إنجاز عمليّة المسح تلك. فيكون على هذا، قد استوى تصوُّر النّموذج تامّا، بمعنى أنّ المَزيد من المسح من خلال الوحدات المكوّنيّة يكافئ تصوُّرَ نموذج آخر من النّوع نفسه. وباختصار، ثمّة فكرة تتمثّل في أنّ بلوغ الحدود الّتي تكون لنموذج مفرد، يجعل البدء في تصوّر نموذج آخر مختلف أمرا ممكنا.

وثمّة طرق متنوّعة نهتدي بها إلى أنّ الحدود قد بُلِغت. ومن أوضح الأسس في التّحديد المقارنةُ بالمحيط. يكمن واحد من المظاهر الكائنة في تصوّر

[لوح]، مثلا، في المسح الذّهنيّ الّذي يصلح لتسجيل الامتداد المسترسل للجوهر المادّيّ الّذي يكوّنه. والوحدات المكوّنيّة هي رقاقات خشبيّة (ذات عدد غير معلوم ومحدّدة اعتباطيّا). وقد نبلغ في نهاية المطاف، بالمسح خلالها في أيّ اتّجاه كان، نقطةً لا يمكن لهذه المادّة أن تتجلّى فيها. فالحدّ (في أيّ واحد من الاتّجاهات) يُعيَّن بنقطة التّباين حيث ينكشف لنا انتقال من الخشب إلى اللاّخشب. وقياسا على ذلك، تمثّل [تزميرة] جريان نوع مخصوص من الضّجيج محدود بالصّمت من كلتا النّهايتين. وعند سماع تزميرة أو عند تخيّلها، يعترضنا أوّلا انتقالٌ من غياب الصّوت إلى حضوره، ثمّ بعد ذلك من حضوره إلى غيابه. وإذا ما كشف المزيد من المسح خلال الزّمن عن صوت إضافيّ، فهو يمثّل مطلع تزميرة أخرى (لا مواصلة للتّحقّق السّابق).

ويمكن أن يُنجَز التّحديد، كذلك، على أساس التّشكّل الدّاخليّ. فـ[درّاجة]، مثلا، تتكوّن من مجموعة معيّنة من الأجزاء المترابطة بشكل خاصّ لتكوّن كلاّ ذا بنية. للتّعرّف على نموذج من هذا النّوع، يكفي أن نلاحظ الأجزاء الضّروريّة في التّشكّل المناسب - وإن بدت المقارنة بالمحيط (الانتقال من الدّرّاجة إلى ما ليس بدرّاجة) غيرَ ضروريّة. وزيادة على ذلك، إذا كانت كلّ الأجزاء حاضرة وذات تشكُّل مناسب، يكتمل تصوّر النّموذج. وزيادة أجزاء إضافيّة (مقعد ثان، دوّاسة ثالثة، إلخ.) قد لا تصلُح لازدياد تصوُّر لذلك النّموذج أو لتحسينه إلاّ في ما يندر؛ ومن الأرجح أن تؤخذ على أنّها قادحة لتصوُّر نموذج آخر مختلف. توفّر كلمة [أبجديّة] مثالا من التّحديد بالتّشكّل أمضى فيً التّجريد. تتكوّن الأبجديّة من مجموعة من الحروف نحفظ أسماءها لنستحضرها في تسلسل تدرَّبنا عليه بشكل جيّد (أ > ب > ج ..... > ض > ظ > غ). فالحروف منتهيّة في العدد ومحدودة بالعنصرين الأوّل والأخير من السّلسلة. وبالمسح ذهنيّا خلال الأبجديّة، نتوقّع أنّنا سننهيها تماما: نبدأ من [أ]، ونحن نعلم علم اليقين أنّنا نكون قد انتهينا حالما نبلغ [غ].

وثالث الأسس في التّحديد، الوظيفةُ الّتي يؤدّيها مرجع الاسم المعدود. أُنظُر في مضرب كرة خشبيّ (البيسبول). لا يكشف الفحص المادّيّ عن حدودٍ ظاهرة بين القسمين اللّذين يسمَّيان [مقبض] و[برميل]. يزداد المضرب سمكا ونحن نُجري المسح من المقبض في اتّجاه البرميل، ولكن بصفة مسترسلة، ودون نقطَة انتقال جليّة. فتعيين خطّ التّماسّ يرتبط أساسا بالوظيفة المؤدّاة: المقبض هو حيث نمسك بالمضرب، والبرميل هو الجزء الّذي يضرِب

الكرةَ. وبالمثل، قد تكون [مقدّمةُ] مقالٍ مسترسلة مع الباقي فيه، من ناحية بصريّة وغير قابلة للتّمييز من ناحية طباعيّة. ولكنّها، رغم ذلك، قابلة لأن تعيَّن وتحدَّد باعتماد الوظيفة النّصّيّة الّتي تؤدّيها. وماذا عن [فريق]؟ تُجمَّع الوحدات المكوّنة له (أعضاء الفريق) على أساس التّعاون بينهم في العمل قصد تحقيق هدف مشترك. ولا حاجة مطلقا إلى وجود شيء يجعل منهم قسما منفصلا عن غير الأعضاء، ما عدا تشاركهم في هذا المسعى.

وليست وسائل التّحديد المتنوّعة - بالمقارنة مع المحيط، والتّشكّل الدّاخليّ والوظيفة- متناقضة بأيّ وجه من الوجوه. فـ[الأبجديّة] ليست محدودة بالتّشكّل (سلسلة ثابتة ذات حرفين بدئيّ ونهائيّ) فقط، بل هي محدودة كذلك بالوظيفة: تتضمّن المجموعة الكاملة من الحروف الّتي تُستعمَل معا لتمثيل الأصوات في لغة معيّنة. والشّكل والوظيفة مترابطان بطبيعة الحال. فتَشَكُّل [درّاجة] هو بالتّحديد ما يُحتاج إليه لأداء وظيفتها من حيث كانت شيئا يُركَبُ؛ ولو كانت الدّرّاجات تُستعمَل بدل ذلك لتجفيف الثّياب، لكان لها شكل آخر. وإلى حدّ ما، يمكن أن نرى في درّاجة ما شيئا محدودا مقارنة بمحيطها. فامتدادها الفضائيّ محدود في جميع الاتّجاهات بنقاط انتقال بين حضور الموادّ الّتي تكوّن أجزاءها المختلفة، وغيابها.

لا يرتبط تصوّر شيء على أنّه محدود بقدرته على أن يفرض خطّ تماسّ دقيق في أيّ مكان مخصوص. فالحدود، غالبا ما تكون "غائمة"، ولكنّ الوحدات المحدودة بطريقة غائمة، محدودة رغم ذلك. فلا وجود لحدّ دقيق بين [مقبض] المضرب و[برميل]ـه، ورغم ذلك، يكون كلّ واحد منهما منطقة محدودة متميّزة عن الأخرى. ونحن نتصوّر [مقدّمةَ] مقالٍ ما على أنّ لها امتدادا محدودا حتّى وإن امتزجت، دون أن ندرك ذلك، بالجزء الرّئيسيّ من النّصّ. وأين تريد أن تسطِّر بالضّبط خطّا فاصلا يحدّ [الكتف] من باقي جسدك؟ ففي حين لا يوجد مكان مخصوص يفسح فيه الكتف المجال لما هو غير الكتف، تظلّ المنطقة محدودة بوضوح - على امتداد الذّراع، مثلا، دون أن تبلغ المرفق.

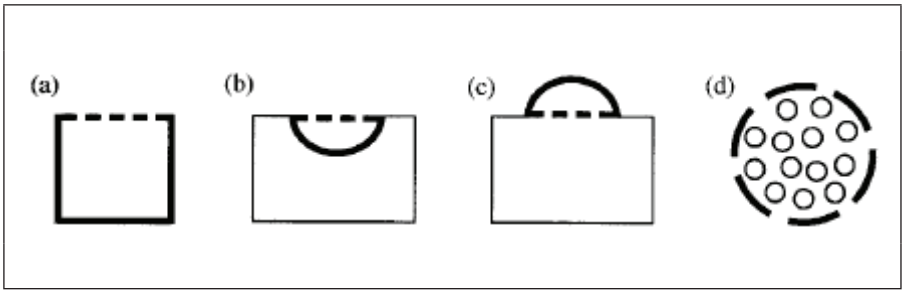
تمثّل ضبابيّة الكثير من الحدود علامةً على أنّها لا تحتاج إلى أن تكون قابلة للتّمييز. وفي نهاية الأمر، يكون التّحديد الّذي "يُعتبَر" لغايات لغويّة دائما مفروضا مفهوميّا. لا يعني ذلك أنّنا نجول في الكون فارضين الحدود الاعتباطيّة فقط من أجل القيام بذلك. فالتّحديد الّذي يُنسَب إلى مرجع اسم معدود يكون دائما ذا تبرير مادّيّ لأنّنا، في خلاف ذلك - إن لم يكن

للتّحديد أيّ أســاس طبيعيّ - لا نملك سببا للحديث عنه. وأقوى الأرضيّات للتّحديــد تُقدِّمها مظاهرُ الانقطاع المادّيّة الّتــي يمكننا إدراكها بصفة فوريّة خاصّة عندمــا تكون الوحدة المحدودة، مأخوذة مــن حيث هي كلّ، ذاتَ وظيفــة ثقافيّــة أو قيمة معترف بها (مثل [ســكّين]، أو [بحيــرة]، أو [معزاة]). وجميع ذلك مســألة درجات، دون أن يوجد عامــل وحيد يكون غير متبدّل أو ضروريّا.

وحتّى الوحــدات المادّيّة، يكون فيها التّحديد مفروضا بصفة مشــتركة على أســس وظيفيّــة أو اجتماعيّــة ثقافيّة في غيــاب انقطاع قابــل للإدراك. فالغالــب، مثــلا، أنّ الحدود التّرابيّة القائمة على أســاس اتّفاق سياســيّ (مثلا بيــن [*nations* «أمّتين»] أو[*states* "دولتيــن"]، أو [*counties* "مقاطعتين"]، أو [*districts* "إقليميــن/ منطقتين"]، أو [*precincts* "دائرتين"]) غير ذات أســاس مادّي كامن فيهــا، فتكون لذلــك غير مرئيّــة (إذ لا وجود في الطّبيعــة لتكرار خطوط التّمــاسّ المرســومة على الخريطة، أو للألــوان المتباينة المســتعملة للمناطق المختلفة). وهــذا لا يمنعها من أن تكون محدودة تحديدا دقيقا وذات وجود فعلــيّ من حيث قيمتها القانونيّة وتبعاتُها الاجتماعيّة. وممّا يُفرَض علينا بدرجة أوضح ويكون، زيــادة على ذلك، ذا وجود حقيقيّ بنفس الدّرجة في حياتنا الذّهنيّــة والاجتماعيّة، التّحديدُ الّذي تنجزه وحدات قيس الزّمن. فـ[ســاعة]، على سبيل المثال، يمكن أن تبدأ أو تنتهي عند أيّ نقطة، بما أنّ الزّمن ومروره متجانســان في صميمهما. ورغم هذا الاعتباط يمكن أن تقاس السّــاعة قيسا دقيقا، وأن تصيَّر قابلة للملاحظة من خلال "مشدّات مادّيّة" (من قبيل العدّادات والسّــاعات اليدويّة أو الجداريّــة)، وأن تؤدّي العديد مــن الوظائف في تنظيم الحياة اليوميّة للواحد منّا.

وممّا يشير، زيادة على ذلك، إلى أنّ التّحديد مفروض مفهوميّا حتّى عندما يكون مبرَّرا بصفة موضوعيّة تبريرا قويّا، حالات عديدة تكون فيها قطعة من الحدود افتراضيّة بطبعها. تتمثّل واحدة من تلك الحالات في الحاوية، من قبيل [*tub* "حــوض"]، أو[*bin* "خزّان/ ســلّة"]، أو[*pitcher* "قنّينــة"]، أو[*cup* "كــوب"]، أو[*fish tank* "حوض ســمك"]، والّتــي يُعتَقَد أنّها تحدث تســييجا فضائيّا رغم كونهــا مفتوحة من فوق. نحن بالفعل نتصــوّر الحاوية على أنّ لها حدودا من الجهــة العليا، رغــم أنّ بعضها لامادّيّ، ولذلك يكــون تمثيلها بخطّ متقطّع في الرّســم البيانــيّ 5. 4 ([8].[a]) ولا يختلــف عنه التّحديــد الافتراضيّ في [*hole*

"حفرة"]، و[*dent* "غور/ ثلمة"]، و[*depression* "منخفض"]، و[*pit* "هوّة"]، و[*cavity* "تجويف"]، كما يجري تمثيلها التّخطيطيّ في الرّسم البيانيّ 5. 4 (b). ونحن نفرض حدودا على جانب واحد من الحاوية بأن نقدِّر عن طريق الاستقراء الذّهنيّ المساحةَ الّتي يُتوقَّع أن توجد هناك، إن لم يكن استقراء "للتّحدّب". ويحدّد استقراء مماثل "تحدّبا" من قبيل [*bump* "نتوء"]، أو [*welt* "حاشية"]، أو [*hump* "حدبة /سنام"]، أو [*mound* "تلّ/ كومة"]، أو [*swelling* "ورم"]، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ (c). وفي الطّرف المقابل، يمكن أن تكون الحدود افتراضيّة تماما. ومن أمثلته، في الرّسم التّخطيطيّ (d)، الحدّ الفضائيّ المحيط بمجموعة من الوحدات المتمايزة المتلاصقة، مثل [*swarm* "سِرب"]، أو [*herd* "قطيع"]، أو [*forest* "غابة"]، أو [*mob* "حشْد"]، أو [*archipelago* "أرخبيل"].



الرّسم البيانيّ 5. 4

وتكون مجموعة محدودة حدّا افتراضيّا بهذه الطّريقة نتاجا لعمليّة ذهنيّة أخرى: التّجميع المفهوميّ القائم على أساس التّجاور (§ 4. 2. 2). يمكن أن يكون هذا التّجاور الفضائيّ في حدّ ذاته افتراضيّا بطبيعته: يجري إنشاؤه ذهنيّا بدل أن تجري ملاحظته فعليّا. فيمكننا الحديث عن [قطيع من الماشية]، على سبيل المثال، حتّى عندما تكون جميع عناصره المكوّنيّة (الأبقار المفردة) منتشرة على كامل الحقل. وبالفعل، يمكننا أن نفعل ذلك حتّى وإن لم يجرِ لمُّها في مكان واحد قطّ ولن يجري ذلك أبدا، شريطة أن يكون هناك أساس يقوم عليه تجميعها (مثلا، وظيفة الأبقار الجماعيّة من حيث كانت الماشيةَ الوحيدة في ضيعة مفردة). ولنا، رغم ذلك، نزوع قويّ إلى تبصُّرها على أنّها تكوّن شيئا محدودا افتراضيّا، متجاورا فضائيّا، كما يصوَّر باختزال في الرّسم البيانيّ 5. 4.[9] يتجلّى نزوعنا إلى التّجميع الافتراضيّ وإلى التّحديد عندما نعالج الوحدات التّجريديّة من قبيل الأعداد. فالأعداد الأوّليّة، مثلا، توصف عادة بأنّها تكوّن مجموعة تُكتَب في صيغة تعرِضها متجاورةً عرضا

فضائيّا ومحدودة بمعقوفتين: {1، 2، 3، 4، 5، 7، 11، ...}. ورغم الفائدة البيّنة في هذا التّمثيل البصريّ، فهو تخيّليّ من كلّ ناحية. فليس للأعداد الأوّليّة موضع فضائيّ ولا يمكن رؤيتها. وليست متجاورة في سلسلة العدّ. وإذ كان منها ما لا نهايــة له، كانت في الحقيقة لا محدودة. والتّحديد الّذي تمثّله المعقوفتان افتراضــيّ، مفروض بحكــم اعتبارها [مجموعة]. ومن زاويــة دلالته اللّغويّة، يعرض الاسم المعدود [مجموعة] وحدةً محدودة منبنية بطريقة استعاريّة، على أنّهــا حاوية لأعضائها (لايكوف 1987). فتكون حينئذ، [مجموعة] محدودة في هذا المســتوى من التّنضيد المفهوميّ حتّــى عندما يجري التّنصيص، زيادة على ذلك، (في مستوى آخر) على أنّ هذه العضويّة لا نهائيّة.[10]

5. 1. 4 الجوانب الأخرى في التّحديد

لا يجري التّحديد بمفرده في مهمّة التّمييز بين الأســماء المعدودة وأســماء الكتلة. فهو يقاسم هذا العبء مع ثالوث آخر من العوامل المفهوميّة: التّجانس، وقابليّــة التقلّص، وقابليّة التّكرار. وهذه العوامل ذات صلة وثيقة فيما بينها إلى حدّ يحلو لي عنده أن أعتبرها جوانب أربعة من نفس القطعة النّقديّة.

تنبني كتلة ما على أنّها متجانســة داخليّا. ويدلّ اســم الكتلة النّوعيّ، من قبيل [مــاء]، على مادّة تتميّز بعدد من الخصائص: ســائل ذو لزوجة منخفضة، شــفّاف إلى حــدّ بعيد، غير ذي طعم، غير ذي رائحــة، غير كحوليّ، وما إلى ذلك. وفي الحالات المثلى، يكفي أن تؤخَذ عيّنة من الكتلة للكشف عن هــذه الخصائص. ويتمثّل التّجانس في أن يكون الشّــيء هو نفســه من حيث الخصائص النّوعيّة على الدّوام. قارن هذا باسم معدود نموذجيّ، من قبيل [*pencil* "قلم رصاص"]. فلا وجود هنا لافتراض تشــاكُلٍ في الصّفات. وبدل ذلك، مــن العاديّ أنّ الأجــزاء المختلفة (الرّصاص، الاسطوانة، الممحاة) تتكوّن من موادّ مختلفة (الغرافيت، الخشــب، المطّاط). فباعتبار الخصائص النّوعيّة، يكون مرجع الاسم المعدود غير متجانس داخليّا.

ومــا يهمّ من ناحية لغويّة، بطبيعة الحال، هو التّجانس المتصوَّر لا التّجانس الفعلــيّ. فموضوعيّــا، لا وجود لكتلة متجانســة حقيقة. وإذا مــا فُحِصَت أيُّ عيّنتين مــن الماء، فحصا مفصّلا دقيقا كافيا، فإنّهما تظهران بعض الاختلاف النّوعــيّ (مثلا، نســب التّركيز من المبيدات الحشــريّة الّتــي تقاس بجزء من المليــار). ونحن نســتعمل رغم ذلك كلمة [ماء] كلّ يوم، ولا نشــعر بأيّ ضــرورة للمبادرة بإجــراء تحليل كيمياويّ. وإذ نُهمِــل التّنويعات الطّفيفة في

الخصائص، نبني تصوّرنا لمادّة ما على أنّها بالفعل متجانسة لغايات التّعريف والتّسمية اللّغويّة.

كيف يعمل ذلك مع أسماء من قبيل [*sand* "رمل"]، و[*corn* "ذرة"]، و[*grass* "عشب"]، و[*gravel* "حصى"]، و[*lumber* "خشب"]؟ تتكوّن الكتل الّتي تدلّ عليها من جزيئات متفاصلة قابلة للتّمييز بيسر، نطلق عليها أسماء من قبيل [*grain* "حبّة رمل"]، و[*kernel* "حبّة ذرة"]، و[*blade* "شفرة" (نبتة، مسلّة)]، و[*piece* "قطعة حصى" (حصاة)] و[*board* "لوح(ة)"]. فالقول بأنّ كتلة ما متجانسةٌ قد يكون مشكِلا عندما يكون الإقرار بشكل واضح، بأنّها غير مسترسلة وذات فجوات فاصلة بين الوحدات المكوّنيّة. ولكن، تذكّر أنّ المفهمة ذات وجوه متعدّدة ومرونة عالية جدّا. ففي معنى كلّ عنصر لغويّ تكمن طريقة مخصوصة في انبناء مضمون مفهوميّ، بوجه تكون فيه بعض الجوانب مبأّرة في حين تبقى سائرها في الخلفيّة. فيمكن، حينئذ، أن تُرَى كتلةٌ جسيميّة على أنّها متجانسة أو غير متجانسة، حسب المظاهر الّتي يجري تبئيرها، من هذا المفهوم المركّب. وتشير منزلة اسم الكتلة الّتي تكون لأشكال من قبيل [رمل]، و[ذرة]، و[عشب]، و[حصى]، و[خشب]، إلى أنّ معانيها التّواضعيّة تؤكّد على مظاهر التّجانس.

تُظهر الكتلة الجسيميّة أنماطا عديدة من التّجانس. أوّلا، الجُزيئات المكوّنيّة لا تدرَك غالبا بصفة فرديّة أو على أنّها مهمّة من ناحية وظيفيّة. فعند المشي على شاطىء نرى ما يبدو لنا امتدادا مسترسلا من المادّة؛ ولا ننتبه إلى حبيبات الرّمل الفرديّة إلاّ عند الفحص عن كثب. ويكون لنا كذلك في حال العشب، انطباع بصريّ بالاسترسال. وإذا كانت المسلاّت النّباتيّة الفرديّة ظاهرة عند اللّمحة الواحدة، كان المرج عندك على غاية من التّناثر. وتكون الكتلة الجزيئيّة أمضى في التّجانس من حيث عَادَل بالضّرورة القسمُ الواحد منها أيَّ قسم آخر منها. تأمَّلْ أيّ شبر من الرّمل على شاطئ أو أيّ رقعة من العشب في مرج، وما ستجده هو الشّيء نفسه بالأساس: مجموعة من الجزيئات معبّأة بشكل كثيف ذات عدد مرتفع ارتفاعا يجعلك لا تريد أن تُرغَم على عدّها. وبالإضافة إلى ذلك، تكون تلك الجزيئات متطابقة في كلّ الأحوال. فنحن نغفل كثيرا عن اختلافاتها الفرديّة ولا معرفة لنا بها إلاّ في علاقتها بالكتلة الّتي تكوِّنها. وهي لا تبدي الخصائص النّوعيّة والوظيفيّة المميّزة للكتلة إلاّ بصفة جماعيّة. فمن الصّعب أن نمشي على

حبيبة رمل وحيدة أو على مسلّة عشب وحيدة، ويصعب أن نبني منزلا بلوحة وحيدة. وإن أُخِذت بصفة فرديّة، تفتقر الحصيّة الواحدة إلى إشعارنا بملمس الحصى الحُبيبيّ؛ ولا تستطيع حبيبة ذرة أن تعطينا فكرة بيّنة جدّا عن مذاق الذّرة وتركيبتها النّسيجيّة.

والتّطابق الفعليّ بين الجزيئات المكوّنيّة أقلّ ظهورا بكثير في حال الأسماء من قبيل [*silverware* "طاقم الأكل"]، و[*furniture* "أثاث"]، و[*equipment* "تجهيز" (تجهيزات)]. فنحن لا نستعمل عناصرها المكوّنيّة بصفة فرديّة فقط، بل نجمّعها كذلك في مقولات مختلفة: [طاقم الأكل]، مثلا، يتكوّن من سكاكين وشوكات وملاعق. ورغم ذلك تسلك نحويّا سلوك أسماء الكتلة، وبالفعل سلوكَ أسماء كتلة غير جمعيّة حيث لا تُمنَح أيُّ جزئيّة من الكتلة أيَّ درجة من البروز. ورغم ذلك، نحن قادرون على إدراك القواسم المشترَكة التّجريديّة الّتي تجعلها متكافئة من زاوية نظر وظيفيّة. فالسّكاكين والشّوكات والملاعق متساوية في كونها أدوات أساسيّة (متشابهة في الحجم وفي مادّة الصّنع) تُستَعمَل في الأكل. فالكراسيّ والطّاولات والفُرش والأرائك والمناضد والفوانيس، تتقاسم الخصائصَ المتمثّلة في كونها ذاتَ حجم عريض نسبيّا وقابلةً للنّقل بنوع من الصّعوبة تبعا لذلك، وصالحةً بصفة جماعيّة لتكون [أثاثـ]ـا في المنزل ولجعله مكانا صالحا للعيش. ولئن انطبق الاسم [تجهيز(ات)] على مجموعة أكبر من الوحدات المتنوّعة، هي في العموم مصنوعات مادّيّة تُستعمَل بصفة جماعيّة في أداء مهمّة ما. وهكذا يفرض اسم من هذا النّوع، رغم انتماء العناصر المكوّنيّة إلى مقولات مختلفة، انبناءً على أساس التّجانس بتبئير مظاهر التّماثل العامّة، بما في ذلك الوظيفة المشتركة بينها. وليست درجة التّجريد المتطلّبةُ أكبرَ من تلك الّتي تُتطلَّب في مقولة من مستوى أعلى، من قبيل [حيوان]. فلئن اختلف [قرد] و[فيل] و[تمساح] اختلافا كبيرا، فإنّها تظلّ رغم ذلك متكافئة عندما تؤخذ في مستوى معيّن من التّجريد. فتصفها كلمة [حيوان] عند هذا المستوى، وتعوِّل صيغة الجمع [حيوانات] على هذا التّوصيف الخطاطيّ المشترَك لتبنيَها على أنّها كتلة متجانسة.

إذا ما بنت أسماء الكتلة بصفة منتظمة مراجعَها على أنّها متجانسة، هل يصحّ كذلك أنّ مرجع الاسم المعدود يكون دائما غير متجانس؟ قد يبدو هذا الأمر محلّ شكّ في البداية. فـ[بحيرة]، على سبيل المثال، تتكوّن

مـن الماء في جميع أجزائها، دون الإيحاء بأيّ شـيء من الاختلافات النّوعيّة. ولكنّ البحيرة ليسـت مجرّد رقعة من الماء. ولها سـمة أساسيّة أخرى تتمثّل في أن يكون الماء محوطا بالبرّ- فـ[بحيرة] اسـم معدود بفعل هذه الإحاطة، علـى وجـه التّحديد. يكون من الواجب، تبعا لذلـك، على تصوُّر بحيرة ما بوجـه يكفي للتّعرّف عليها من حيث هي بحيرة، أن يتضمّن الحدودَ في مداه المباشـر. ولكنّ الحدود، نوع من الوحدة مختلف تمام الاختلاف عن المادّة الّتي تحدّها. إنّما هي انقطاع، بعبارة أصحّ: أي نقطة الانتقال بين حضور المادّة وغيابها. فحدود بحيرة ما ليسـت الماء، ولكنّهـا ماثلة في تصافُح الماء والبرّ. ويضيف حضور حدود ما، حينئذ، مقياسـا للتّجانس إلى التّصوّر الشّامل، رغم أنّ المادّة يمكن أن تكون متجانسـة. ويمثّل اسـمٌ من قبيـل [بحيرة] الحالةَ القصـوى الّتي يكون فيها المظهر الوحيد لعدم التّجانس هو الحدود نفسـها. وهناك أسماء كثيرة من هذا القبيل: [”مرج“]، [”بركة“]، [”لحم مفروم“]، [”قرميد“]، [”بقعة“]، [”تزميرة“]، [”سـاعة“]، [”حفرة“]، [”اسـتراحة“]، إلخ. تعـرض كلّ كلمـة منها وحدة محـدودة تكون غير متجانسـة في خلاف ذلك، سواء كان ”الجوهر“ الّتي تحويه ماديّا أو أكثر تجريدا (مثل صوت، أو وقت، أو غياب شيء ما).

يرتبط، حينئذ، تجانس كتلـة ما بافتقارها إلى التّحديد الصّميميّ. وهذان العامـلان بدورهما مسـؤولان عن خصيصة ثالثـة، أعني قابليّـة التّقلّص. وما أعنيـه بهذا هو ببسـاطة أنّ كلّ قسـم مـن كتلة من نوع معطـى يكون في ذاتـه نموذجا صالحا من ذلك النّوع. فـإن بدأنا بـ[ماء] في بحيرة، يمكن أن يكون كلّ قسـم ننتقيه للفحص الفـرديّ، في ذاته موصوفـا بكونه [ماء]. ويمكن أن تكون العيّنة من أيّ حجم كان: سـواء كانت مترا مكعّبا، أو غالونا، أو قطرة وحيدة، فهي دائما [ماء].[12] ولا يستقيم هذا الأمر على الأسماء المعـدودة. فالجزء من البحيرة ليس فـي ذاته [بحيرة]، لأنّه يفتقر إلى خصيصة كونـه محوطا في كلّيّته بالبرّ. فليس المِدوس والمقعد في ذاتيهما [درّاجة]، وسلسلة [ن س ع ف] ليست [أبجديّة]، وذيل القطّ ليس [قطّ]ـا.

فالتّجانس ونقص التّحديد تانك السّمتان المميّزتان للكتلة، يؤدّيان أيضا إلى الخصيصـة المقابلة، وهي قابليّة التّمدّد: الكتلـة الحاصلة بالتّوليف بين نموذجيـن من نوع ما، تكـون تحقّقا صالحا من ذلك النّـوع، أيضا. فبزيادة بعض الدّقيق إلى دقيق موجود من قَبْلُ في الإناء، نحصل على كتلة أكبر تُعتَبَر

كذلك تحقّقا وحيدا من [دقيق] - ويمكننا وصفها بكونها [ذاك الدّقيق] أو [الدّقيق الّذي في الإناء]، ولكن لا يمكن وصفها بـ[*ذانك الدّقيقان اللّذان في الإناء]. ومن جهة أخرى، لا يؤدّي التّوليف بين تحقّقين لنوع من الاسم المعدود، من قبيل [إناء]، إلى تحقّق أكبر وحيد، بل إلى نماذج متعدّدة: [ذانك الإناءان]. وإذ كان الاسم المعدود يخصِّص عمليّة التّحديد ونهايةً ما للوحدات المكوّنيّة بالاستتباع، وفَّر طريقةً يُتبيَّن بها متى ينتهي تحقّقٌ ومتى يبدأ تحقّقٌ آخر. وأحيل على هذه الخصيصة - المقابلة لخصيصة قابليّة التّمدّد- بمصطلح قابليّة التّكرار. ويشار إلى هاتين الخصيصتين المتقابلتين في مراجع الأسماء المعدودة وأسماء الكتلة، تباعا، بـ[مزيد] مقابل [آخر]: عندما يجري التّوليف بين تحقّقين، تكون النّتيجة [مزيد من الدّقيق]، ولكن [إناء آخر].

وبما أنّ الكتلة توصَّف توصيفا نوعيّا، لا يتطلّب التّعرّف على عيّنة ما تحديدا أو شكلا مخصوصا، أو تجاورا فضائيّا. تأمّل البلاد ذات الآلاف العشر (10.000) من البحيرات (وهي تسمّى كذلك مِنّيسوتا). فما يُعدُّ عيّنة من [ماء]، باعتبار تلك البحيرات، هو كلّ ما نريد إفراده وبناءه على أنّه كذلك. وكما يعرض في (6)، يمكن أن تكون العيّنة المعروضة بالعبارة الإسمائيّة لبحيرة وحيدة، أو لأكثر من بحيرة واحدة، أو لجميعها؛ ويمكن أن يتضمّن جميعَ الماء الّذي في البحيرة أو قسما منه فقط؛ أو أيَّ توليفة من هذه العوامل. فيبين بوضوح أنّ الإمكانيّات غير ذات نهاية:

(6) (أ) *the water in that lake*
الماء في تلك البحيرة.

(ب) *the water near the surface of that lake*
الماء القريب من السّطح في تلك البحيرة.

(ج) *the water in those two lakes*
الماء في تينك البحيرتين.

(د) *the water in the lakes in the northern part of Minnesota*
الماء في البحيرات من الجزء الشّماليّ من مِنّيسوتا.

(هـ) *the water in all the lakes of Minnesota*
الماء الّذي في جميع البحيرات من مِنّيسوتا.

(و) *the water near the surface in most of the lakes in the southern part of Minnesota*
الماء القريب من السّطح في أغلب البحيرات في الجزء الجنوبيّ من مِنّيسوتا.

5.1.5 الانبناء المتغيّر

يعكس التّمييز بين المعـدود والكتلة، من حيث كان مفهوميّا بطبيعته، قدرتَنـا على تصـوُّر وضعيّة وعلى وصفها بطرق بديلـة. فينتج عن البراعة الّتي نُظهِرها في هذا المضمار أنّ المفهَمة عمليّة مائعة إلى درجة ما. ومن المحتمَل، بطريقة أو بأخرى، أن يُستعمَل كلّ اسم في أيّ واحد من الوجهين.

ولا يعني هذا أنّ كلّ شيء عشوائيّ أو هو مسألة هوًى ليس غير. وعمليّات المفهمـة الخاصّة مألوفة تماما عند المتكلّمين، وقائمة على نحو راسـخ في المواضعة اللّغويّة. في اسـتعمال [بحيرة] اسـما معدودا، أو [ماء] اسمَ كتلة، أنـا لا آتي عمـلا ابتكاريّا أو غيـر متوقّع. ولئن كانت اسـتعمالات كثيرة تخرج عن عمليّات المفهمة الأساسيّة، فهي تتّبع عادةً القوالب القائمة بحكم المواضعة. ويُظهِر استعمال [بحيرة] اسمَ كتلة في (7) (أ)، رغم كونه جديدا، قالبـا عامّا في بناء وحدة محدودة على أنّهـا كتلة لامحدودة. وعلى عكس ذلك، يتّبعُ استعمال [ماء] اسما معدودا في (7) (ب)، قالبا عامّا في بناء كتلة على أنّها وحدة محدودة. فيكون، كذلك، في هذه الحالة، المعنى الموسَّع والمقولةُ الّتي يحدثها متجذّرين وتواضعيّين.

(7) (أ) *You need* **a lot of lake** *for a speedboat race*.
أنت في حاجة إلى الكثير من البحيرة لسباق المراكب السّريعة .
(أنت في حاجة إلى بحيرة كبيرة لإجراء سباق بين المراكب السّريعة.)

(ب) *I want two lemonades and* **a water**
أريد اثنين من عصير الليمون وماء واحدا.
(أريد كأسين من عصير اللّيمون وكأسا من الماء.)

وبالنّسبة إلى عدد كبير من الأسماء، يكون بديلُ الاسم المعدود وبديلُ اسـم الكتلة، في آن، راسـخين بشـكل ثابت على أنّهما وحدتـان لغويّتان تواضعيّتـان. ويمكـن أن يكـون واحد مـن البديلين متجذّرا بشـكل تامّ فيدرَك لذلك على أنّه أساسيّ في حين يمثّل البديل الآخر توسيعا دلاليّا له. وبالنّسـبة إلى [ماء]، يمثّل معنى اسـم الكتلة معنى رئيسيّا فيه بكلّ وضوح. ومقابل ذلك، يكون [ماس] اسـما معدودا بصفة رئيسيّة، ويستعمَل بشكل ثانويّ اسـمَ كتلة (مثل، الماس واحدة من أصلب الموادّ المعروفة). وهناك كذلك، أسـماء كثيرة يكون فيها البديلان متماثليـن تقريبا في المنزلة:

[*rock* "صخـر"]، [*stone* "حجـر"]، [*tile* "لبن (البنـاء)"]، [*brick* "قرميد"]، [*glass* "زجاج"]، [*hair* "شَـعر"]، [*fur* "فرو"]، [*cloth* "قمـاش"]، [*rope* "حبل"]، [*string* "خيـط"]، [*cake* "حلوى"]، [*squash* "قَرع"]، [*steak* "شـريحة لحـم"]، [*meatloaf* "هبـرة لحم"]، [*thought* "فكـرة"]، [*insight* "فطنة"]، [*pain* "ألم"]، [*rest* "راحة"]، [*law* "قانـون"]، [*principle* "مبدأ"]، إلخ. يسـمِّي كلّ واحد منها، من حيث هو اسـم كتلة، "جوهرا" مادّيّا أو مجرّدا، في حين يشـير الاسم المعدود البديل إلى وحدة محدودة تتكوّن من ذلك الجوهر.

يحقّق اسـتعمالُ [بحيرة] اسـمَ كتلة في (7) (أ)، قالبا عامّا قابلا للانطباق عندما يكون شكل المرجع وحدوده غير مفيدين:

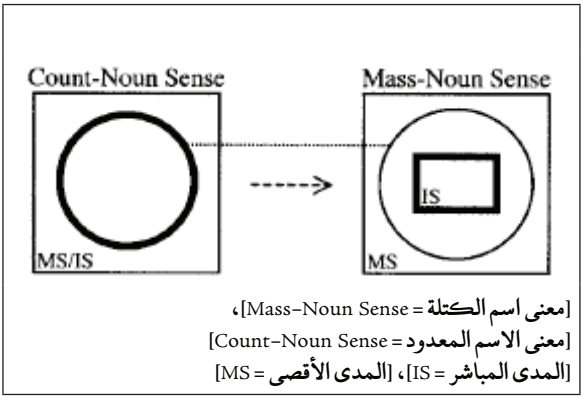
(8) (أ) *In my dream I attempt the winning shot and hit nothing but* ***net****.*
في حلمي، أسعى إلى قذفة الفوز ولم أفلح في إصابة شيء ما عدا الشّبكة.

(ب) *You'll have to stand— there's not enough* ***bench*** *for another big person.*
عليك أن تظلّ واقفا- لم يبق من الأريكة شيء يسع شخصا ضخما آخر.

(ج) *After he dug through the wall with his knife, there was very little* ***blade*** *left*
بعد أن حفر عبر الحائط بسكّينه، بقي فيه من الشّفرة جزء يسير.

(د) *With pre-owned vehicles, you get a lot of* ***car*** *for your money.*
بالعربات المسبقة الملكيّة، يكون لك الكثير من السّيّارة مقابل نقودك.

يتمثّل أثر هذا القالب في تحويل الانتباه بعيدا عن الملامح الشّـاملة لوحدة محدودة وفي تركيزه، بدلا عن ذلك، على مسـاحة قابلة للعدّ تجعلها قادرة على أداء وظيفة ما. فهو، من زاوية مفهوميّة، عمليّة «تزويم داخل»، بوجه تختفي فيه الحدود من مسـتوى الوعـي المركّز. ويُعرَض تمثيـل أكثر تجريدا في الرّسـم البيانيّ 5. 5. فانطلاقا من معنى الاسم المعدود، يكون الحصول على معنى اسـم الكتلة بفرض مدى مباشر محدّد يقصي الملامح الشّاملة المقترنة بمعـروض الاسـم المعـدود. يكون معروض عبـارة ما، بحكـم التّعريف، مقتصرا على مداها المباشر (المنطقة الماثلة على الرّكح). فيكون معروض اسـم الكتلة، حينئذ، منحصرا في قطعة داخليّة (منبنية على أنّها متجانسة) من مرجع الاسم المعدود.



الرّسم البيانيّ 5. 5

يعكس قالب آخر من قوالب نَقْل (الاسم) المعدود إلى (اسم) الكتلة نشاطا يوميّا من طحن واحد أو أكثر من الأشياء المتفاصلة، أو هرْسِه أو حطمه أو سحقه، وتحويله بفعل ذلك إلى مادّة متجانسة. كما يُرى في (9)، يكون الحصول على اسم معدود يسمِّي الكيفيّة الّتي بها يجري استعمال شيء عوضا عن اسم الكتلة بتحطيم شكله وتماسكه البنيويّ:

(9) (أ) *By mashing a dozen potatoes, you get enough **potato** for this recipe.*
بطحن دزينة من البطاطا، تُحصِّلُ ما يكفي من البطاطا لإعداد هذه الوصفة.

(ب) *After a cat got in the way of our SUV, there was **cat** all over the driveway.*
بعدما ارتمى قطّ تحت عجلات سيّارتنا ذات الدّفع الرّباعيّ، كان القطّ منتشرا على كامل الممرّ.

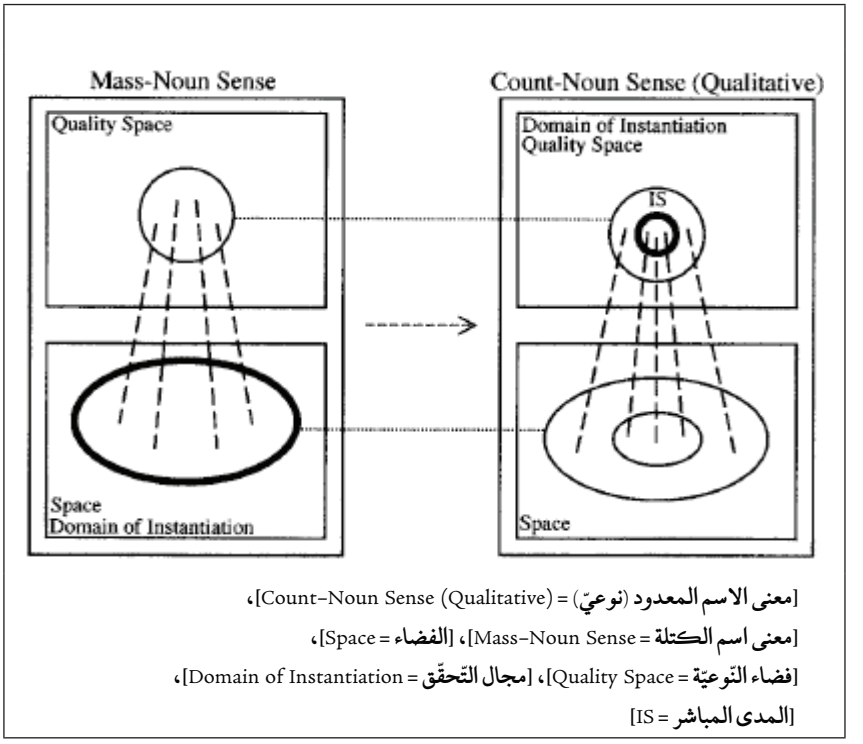
(ج) *Putting powdered **rhinoceros horn** on his cereal failed to enhance his virility.*
وَضْعُ مسحوق قرن الكركدنّ في فطوره من الحبوب، لم يفلح في زيادة فحولته.

ويعكس أبسط قالب في توسيع الاستعمال من اسم الكتلة إلى الاسم المعدود أيضا نشاطا يوميّا، نشاطَ الأكل والشّرب. هو بالتّحديد مسألة تقييد كتلة معروضة بكمّيّة محدودة، وعادة ما يتعلّق بالقدر الّذي يمثّل حصّة شخص واحد من الطّعام، كما يجري تمثيل ذلك في استعمال [ماء] اسما معدودا في (7) (ب). هذا المعنى الموسَّع يكون راسخا بشكل قويّ لبعض الأطعمة (وخاصّة الحلويّات منها) والمشروبات الكثيرة: [*an ice cream* "واحد كريم مثلّج"]، و[*a crème brûlée* "واحد كريم محروق"]، و[*a tiramisu* "واحد تيرامسيو"]، و[*a cherries jubilee* "واحد كرز اليوبيل"]، و[*a clam chowder* "واحد

حساء الحلزون الصّدفيّ"]، و[*a beer* "واحدة جعة"]، و[*a coke* "واحد كوكا"] و[*a soda* "واحدة صودا"]، و[*a lemonade* "واحد عصير ليمون"]، و[*an iced tea* "واحد شاي مثلّج"]، و[*a whiskey* "واحد ويسكي]، و[*a Grand Marnier* "واحد جران مارنياي"]، و[*a gin and tonic* "واحد دجين وطونيك"]، إلخ.

هناك قالب مشترك آخر من قوالب تحويل الكتلة إلى المعدود يتعلّق بالنّوعيّة لا بالكمّيّة. فإذا ما تكلّمتُ عن [*a dry wine* "خمرة جافّة"]، أو [*a hard steel* "حديد صلب شديد"] أو عن [*a good glue* "لاصق جيّد"]، فلست أحيل على أيّ كميّة مخصوصة من تلك المادّة. وما اهتمامي إلاّ بالخصائص النّوعيّة الّتي تميّز نوعا من آخر أو ماركة من أخرى. وبعبارة تقنيّة، يشتمل تحويل المعنى على تغيُّرٍ في ما يؤخذ على أنّه مجال التّحقّق -أي المجال الّذي تكمن فيه التّحقّقات بصفة رئيسيّة وتكون متميّزة بمواضعها. فبالنّسبة إلى عبارات مثل [*a dry wine* «واحد خمرة جافّة»]، لا يتميّز النّموذج المعروض من سائر النّماذج بموضعه في الفضاء (أي المجال المعهود في تحقّق الجواهر المادّيّة) بل يتميّز بالاختلافات النّوعيّة. فيكون على هذا مجالُ التّحقّق ذاك المجال الّذي يمكن أن نصفه وصفا استعاريّا بكونه فضاء النّوعيّة. يتكوّن هذا «الفضاء» ذو الأبعاد المتعدّدة من جميع الخصائص النّوعيّة المفيدة في توصيف الموادّ المتنوّعة. فتتميّز مادّة مخصوصة ما بمجموعة نوعيّة من القيم باعتبار كلّ واحد من تلك الأبعاد.

تَحُدّ هذه القيمُ منطقةً محدودة في فضاء النّوعيّة، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 5. 6. يمثّل الرّسم التّخطيطيّ الوارد إلى اليسار المعنى الأساسيَّ لاسم الكتلة الّذي يدلّ على جوهر مادّيّ. ورغم كونه مميّزا بمنطقة محدودة في فضاء النّوعيّة (تصلح لتمييزه من الجواهر الأخرى)، إنّما تجري التّحقّقات في الفضاء المادّيّ - مجال التّحقّق، ولا يُفرَض أيّ تحديد في هذا المجال. فيمكننا حينئذ أن نتعرّف على تَحقُّقٍ ما، دون أن يكون له حدود بيّنة، أو شكل معيّن، أو حتّى استرسال فضائيّ (تَذكَّر الأمثلة الواردة في (6)). وبدل ذلك، يكون التّعرّف عليه تعرّفا نوعيّا، كما يُعرَض بالخطوط المتقطّعة الّتي تشير إلى أنّ كلّ عيّنة متّخذة من قسم يجري إسقاطها على منطقة في فضاء النّوعيّة.



[**معنى الاسم المعدود** (**نوعيّ**) = Count–Noun Sense (Qualitative)]،

[**معنى اسم الكتلة** = Mass–Noun Sense]، [**الفضاء** = Space]،

[**فضاء النّوعيّة** = Quality Space]، [**مجال التّحقّق** = Domain of Instantiation]،

[**المدى المباشر** = IS]

الرّسم البيانيّ 5. 6

يصوَّر في الرّسم البيانيّ 5. 6 إلى اليمين، المعنى الموسّع الّذي يلاحَظ في عبارات مثل [*a dry wine* "واحد خمرة جافّة"]، و[*a tasty beer* "واحد جعة جيّدة المذاق"]. ويتمثّل التّغيّر الأساسيّ في تحويل مجال التّحقّق من الفضاء المادّيّ إلى فضاء النّوعيّة. فتجري لذلك التّحقّقات في مجال النّوعيّة وتكون لها مواضع تُميِّز بينها. ويمثّل كلّ تحقّق نوعا خاصّا يجري انتقاؤه من مجموع الأنواع الممكنة من المادّة المعنيّة، فتعرض تبعا لذلك جزءا فرعيّا من المنطقة الّتي تعرِّف تلك المادّة تعريفا نوَعيّا. وإذ تضمّنت تلك المنطقة المعروضَ، مثّلت المدى المباشر. وبناء على هذا، يستجيب المعنى النّوعيّ لاسم الكتلة تماما للتّعريف التّقنيّ للاسم المعدود: يكون الشّيء الّذي يعرضه محدودا داخل المدى المباشر في مجال التّحقّق.

ويستقيم نفس النّوع من العلاقة بين معنيي اسم الكتلة والاسم المعدود في أمثلة أمضى في التّجريد. وقد لاحظنا ذلك في ما تقدّم في شأن الأسماء الّتي تجري على الألوان:

(10) (أ) ***Yellow****is a cheerful color*.

الأصفر لون مبهج [اسم علم؛ الرّسم البيانيّ 4. 4 (a)]

(ب) *We need a bright* ***yellow****for the baby's room*.

نحن في حاجة إلى أصفر مشرق لغرفة الرّضيع [اسم (معدود) مشترك؛ الرّسم البيانيّ 4. 4 (b)]

(ج) *There's a lot of* ***yellow****in this picture*.

هناك الكثير من الأصفر في هذه الصّورة [اسم كتلة؛ الرّسم البيانيّ 4. 4 (e)]

بالنّسبة إلى أسماء الألوان، يكون فضاء النّوعيّة ببساطة فضاءَ اللّون (مجموع الألوان الّتي يمكننا إدراكها). عندما يستعمَل [الأصفر] اسما علما، يعرض منطقة محدودة في هذا المجال تشتغل مجالا للتّحقّق. ويتّخذ استعمال [أصفر] اسما مشتركا، وهو ما يناسب التّمثيل التّخطيطيّ إلى اليمين من الرّسم البيانيّ 5. 6، من تلك المنطقة مدى مباشرا له ويعرض جزءا منها. ولذلك يدلّ [أصفر مشرق] على طيف من الصّفرة، تماما كما تدلّ [واحد خمرة جافّة] على نوع من الخمر. ويوافق معنى اسم الكتلة الرّسم التّخطيطيّ الوارد إلى اليسار من الرّسم البيانيّ 5. 6. مجال التّحقّق هنا، هو الفضاء (أو لعلّه حقل الإبصار). فالمعروض كتلة متمدّدة فضائيّا - ومن المحتمل أن تكون متقطّعة- تتمثّل في جوهر تجريديّ يتميّز فقط بنوع الانطباع البصريّ الحاصِل.

تُبين أسماء المشاعر مثل [قلق]، و[كره]، و[غضب]، و[سعادة]، و[اكتئاب]، عن ثالوث من المعاني المماثلة تماما، تُعرَض نماذج منها في (11). وفي هذه الحالة، يتمثّل فضاء النّوعيّة في كلّ بُعْد يُتّخَذ موصِّفا ومميّزا للأنواع المختلفة من التّجربة الشّعوريّة، مهما كان نوعه. يشتغل الفضاء والمكان معا مجالين للتّحقّق: تجري رقعة من «المادّة» الشّعوريّة حيثما يعيش شخص تجاربَ من الشّعور المعنيّ وكلّما كان ذلك. فيمكن أن تمثّل رقع كثيرة متقطّعة من هذا القبيل تحقّقا مفردا لهذا النّوع من الجوهر المجرّد.

(11) (أ) ***Anxiety****is one of the hardest conditions to treat*.

القلق من أصعب الحالات معالجة. [اسم علم]

(ب) *I feel a very intense* ***anxiety***.

أشعر بقلق شديد. [اسم (مشترك) معدود]

(ج) [*There's a lot of **anxiety** around here.*]
هناك الكثير من القلق هنا. [اسم كتلة]

وشبيه بذلك أيضا الأسماء الواردة تباعا في (12)، كلّ واحد منها مشتقّ من الفعل [«مشى»] باعتماد قالب مختلف من الإسماء. يضمّ فضاء النّوعيّة هنا المقاييس المتنوّعة الّتي تصلح للتّمييز بين الأنواع المختلفة من الأعمال ولتوصيفها، وبعبارة أدقّ ما كان من أنواع التّنقّل المختلفة. يعرض الاسم العلم الّذي يسمّي الوسائلَ العامّة في التّنقّل منطقة محدودة في هذا المجال، يكون جزء محصور منها مدلولا عليه بالاسم المشترك الّذي يدلّ على أسلوب خاصّ من المشي. وأمّا بالنّسبة إلى اسم الكتلة، فيشتغلُ الفضاءُ والزّمان معا، مرّة أخرى، مجالا للتّحقّق. يجري لون من «جوهر» [المشي] حيثما أنجز شخص هذا العمل وكلّما كان ذلك. ويمكن أن يمثّل أيّ عدد من هذه الألوان، وقد يكون متقطّعا، تحقّقا مفردا من هذا النّوع.

(12) (أ) ***Walking** is very good exercise.*
المشي تمرين جيّد جدّا [اسم علم]
(ب) *He has a peculiar **walk**.*
له مشي(ة) غريب(ة). [اسم (معدود) مشترك]
(ج) [*There's a lot of **walking** going on in this neighborhood.*]
هناك الكثير من المشي في هذا الحيّ. [اسم كتلة]

لا تمثّل هذه الأمثلة إلاّ ثالوثا من قوالب الإسماء الّذي يمكن أن يخضع له فعل من قبيل [مشى]. فهو يعرض، من حيث كان فعلا، عمليّة تتنامى خلال الزّمن (مجال التّحقّق) حيث يتحرّك المنتقل على امتداد مسلك فضائيّ بطريقة عاديّة من الحركة باعتماد القدمين. يُشتقّ الاسم بتحويل المعروض إلى شيء يساهِم بوجه من الوجوه في هذه العمليّة. والأشياء المعروضة في (12) تجريديّة، أو بالأحرى غائمة (مناطق من أحجام مختلفة من حيث «فضاء النّوعيّة»؛ «جوهر» يتضمّن ألوانا من النّشاط تُسقَط على المنطقة الأكبر). ومع ذلك يتحوّل بصفة عامّة المعروض إلى شيء ملموس أكثر وأشدّ بروزا. ويمكن أن يكون، كما يُعرَض في (13)، المحدِثَ أو أداةَ المشي أو المسلكَ المتّبع. ويمكن كذلك أن يعرِض حدثا يتمثّل في عيِّنة واحدة من العمليّة (انظر الرّسمين البيانيّين 4. 2 (d) و4. 2 (c))، كما يكون حدثا اجتماعيّا منظّما يتضمّن عيّنات عديدة.

(13) (أ) *Tell that **walker** to keep off the grass.*

قل لذلك الماشي أن يبتعد عن العشب.

(ب) *My **walker** is broken again.*

انكسرت مشّايتي مرّة أخرى.

(ج) *It's a very difficult **walk**— 7 miles and uphill all the way*

هي مشية صعبة جدّا- سبعة أميال صعودا على كامل الطّريق.

(د) *Did you enjoy your **walk**?*

هل تمتّعت بمشيك؟

(هـ) *We're organizing a 5 K run and **walk** to support cancer research.*

ننظّم تظاهرة جري ومشي على مسافة خمسة كيلومترات لدعم البحوث في مرض السّرطان.

2.5 الأفعال الانقضائيّة واللاّانقضائيّة

تنقسم الأفعال في الإنجليزيّة، مثل الأسماء، إلى قسمين فرعيّين يتميّزان أساسا بالسّلوك النّحويّ. ولن تُصْدَمَ عندما تعلم أنّ تينك المقولتين الفرعيّتين قابلتان للتّعريف دلاليّا. وربّما تزداد المفاجأة بالفرضيّة الإضافيّة المتمثّلة في كون التّقابل الدّلاليّ بينهما هو بالضّبط نفس التّقابل القائم بين قسمي الأسماء. فالعوامل المفهوميّة الّتي يقوم عليها التّمييز بين الأسماء المعدودة وأسماء الكتلة تنطبق على العمليّات انطباقها على الأشياء.

1.2.5 المَقْوَلَة المرنة

يعرض الفعل عمليّة، تُعرَّف خطاطيّا بكونها علاقةً يجري مسحها مسحا تتابعيّا في تطوّرها خلال الزّمن. يسمَّى القسمان الفرعيّان الرّئيسيّان في النّحو العرفنيّ الأفعال الانقضائيّة والأفعال اللاّانقضائيّة.[13] يعكس المصطلحان التّوصيف المفهوميّ للانقضائيّة من حيث هي محدودة في الزّمان، في حين تكون اللاّانقضائيّة لامحدودة على وجه مخصوص. وبالإضافة إلى ذلك، تبني الانقضائيّات العلاقةَ المعروضة على أنّها غير متجانسة داخليّا تقوم على نوع من التّغيّر خلال الزّمن، في حين تبنيها اللاّانقضائيّات على أنّها متجانسة تقوم على استمرار وضعيّة مستقرّة خلال الزّمن. ترد قائمة في بعض الأمثلة النّوعيّة في (14).

(14) (أ) الأفعال الانقضائيّة: سقط، قفز، ضرب، لسع (قضم)، رمى، كسر، سأل، أخبر، أقنع، تعلّم، قرّر، طبخ، ذاب، تبخّر، مات، قتل، خلق، حسَب....

(ب) الأفعال اللاّانقضائيّة: [*be* «كان»]، [*have* «ملك»]، عرف، شكّ، اعتقد، ظنّ، أعجب، أحبّ، كره، استحسن، تمنّى، جزع، شابه، احتوى، قطن، وُجِد...

يتجلّى التّمييز المفهوميّ تجلّيا تامّا. فالأفعال في (14) (أ) تدلّ على أحداث ذات بداية ونهاية. يحدث شيء ما - نلاحظ تغيُّرا ما في الوضعيّة الموصوفة. على سبيل المثال، [سقط] هو تغيير الموضع بصفة سريعة على امتداد المحور العموديّ، و[تعلّم] شيئا هو التّغيّر من عدم المعرفة بالشّيء إلى حال المعرفة به. ومقابل ذلك، تعرض الأفعال في (14) (ب) وضعيّات مستقرّة ذات مدّة غير منتهية. لا يتغيّر شيء، ولا يحدث شيء. ولا يعني هذا أنّ العلاقة المعروضة غير ذات بداية أو نهاية، كلّ ما يعنيه أنّ الفعل ذاته يُقصِيهما ممّا يضعه على الرّكح ليكون محطّ التّبئير. فقولنا إنّ شيئا يـــ[وجد]، لا يقتضي أنّه كان موجودا دائما أو أنّه سيوجد دائما بل يصف حقيقةً الوضعيّةَ بأنّها مستمرّة خلال ما يُعتبَر مقطعا زمنيّا مفيدا من أيّ نوع كان (المدى الزّمنيّ المباشر). وفي حين يُمثِّل تَعلُّمُ شيء تغيّرا، يُمثِّل فِعلُ [عرف] وضعيّة ثابتة غير ذات نقطة نهائيّة في صميمها.

ورغم الأساس المفهوميّ الّذي يقوم عليه التّمييز بين الانقضائيّ واللاّانقضائيّ، يجلب هذا التّمييز أوّلا الانتباه إليه من خلال مقارنة السّلوك النّحويّ. ومن التشّخيصات المعهودة، ورود الفعل في تصريف الزّمن الحاضر البسيط (يحمل لاحقة [-*s*] في تصريفه مع الضّمير الغائب المفرد) وفي التّصريف التّدريجيّ (موسوما بـــ [*be*-... -*ing*]). كما يُعرَض في (15)، يُظهِر الفعل الانقضائيّ (من قبيل [عرف]) سلوكا مقابلا.[14] وسوف نرى أنّ هذه الخصائص النّحويّة نتيجة للكيفيّة الّتي يجري بها توصيف الانقضئيّات واللاّانقضائيّات توصيفا مفهوميّا.

(15) (أ)	*He learns the poem	(أ،)	*He is learning the poem.
	*هو يتعلّم القصيدة		هو بصدد تعلّم القصيدة
(ب)	He knows the poem	(ب،)	*He is knowing the poem
	هو يعرف القصيدة		*هو بصدد معرفة القصيدة.

يشتغل الكثير من الأفعال الّتي تبدو دالّة على وضعيّات مستقرّة، نحويّا، اشتغال الانقضائيّات. وعلى هذا، لا تقبل الأفعال في (16)، إزاء شيء بصدد

الجريان في زمن التّكلّم، تصريفَ الزّمن الحاضر وتأخذ بدل ذلك تصريف التّدريجيّ:

(16)

(أ) *She {sleeps / swims / dreams / perspires / meditates / wears a very expensive gown}.
هي { تنام/ تسبح/ تحلم/ تتعرّق/ تتأمّل/ تلبس ثوبا باهظ الثّمن}.

(ب) *She is {sleeping / swimming / dreaming / perspiring / meditating / wearing a very expensive gown}.
هي الآن { نائمة/ سابحة/ حالمة/ متعرّقة/ متأمّلة/ لابسة ثوبا باهظ الثّمن}.

فالعمليّات المعنيّة تنبني انبناء فوريّا على أنّها متجانسة داخليّا. يكون الأمر كذلك حتّى بالنّسبة إلى فعل مثل [سبح]، الّذي يشتمل على نشاط وقوّة وتنقّل: العمليّة متجانسة بمعنى أنّ كلّ طور من السّباحة شبيه بأيّ طور آخر منها، بما في ذلك من حركة الذّراعين والسّاقين المتكرّرة الّتي ينتج عنها تقدّم مستمرّ خلال الماء. غير أنّه من الثّابت كذلك أنّنا نتصوّر، عادة، تلك العمليّات على أنّها جارية في حلقات ذات حدود. فهي لذلك شبيهة بالأشياء الّتي تعرضها الأسماء المعدودة من قبيل [بحيرة] و[مرج] و[قرميد] و[تزميرة] و[حفرة] الّتي تكون كذلك متجانسة ومحدودة. وفي كلتا الحالتين، توفّر الحدود في ذاتها مقياسا لعدم التّجانس. وفي كلتا الحالتين، يكون تضمين الحدود في مدى العبارة المباشر كافيا لإجراء مقوَلَتها على أنّها اسم معدود أو فعل انقضائيّ.

والمقابلة بين الفعل الانقضائيّ والفعل اللاّانقضائيّ، مثل التّمييز بين الاسم المعدود واسم الكتلة، ليست إلاّ مجرّدَ تخصيص معجميّ جامد. ولئن كان في العادة لكلّ فعل تصنيف أوّليّ إمّا إلى انقضائيّ أو لا انقضائيّ، يمكن أن تُستعمَل أفعال كثيرة بيسر في الوجهين في آن واحد. فالمقْوَلَة مرِنة وعُرضَة لتأثيرات مفهوميّة لطيفة من شتات من الموارد.

ومن الأفعال الرّاسخة في كلّ من الاستعمالين الانقضائيّ واللاّانقضائيّ، تلك الواردة في (17). في كلّ حالة، يَعرِض المثال الأوّل حدثا محدودا ويعرِض الثّاني وضعيّةً قارّة. والأفعال الوَاردة في الجدول الثّاني، بحكم كونهَا لاانقضائيّة، قادرة على الجريان في الزّمن الحاضر البسيط. ولا تقدر على ذلك الانقضائيّاتُ الواردة في الجدول الأوّل، ولذلك يُستعمَل الماضي

للتّوضيح. لوصف نفس الأحداث الجارية في الزّمن الحاضر، قد يجب على المرء أن يستعمل الشّكل التّدريجيّ (مثل، [*The SWAT team is surrounding the house* «تحيط قوّات الشّرطة الخاصّة الآن بالمنزل»])

(17) (أ) *The SWAT team surrounded the house*.
طوّقت قوّات الشّرطة الخاصّة المنزل.

(أ،) *A hedge surrounds the house*.
يطوّق المنزلَ سياج.

(ب) *She covered the hole with a picture*.
(هي) غطّت الثّقب بصورة.

(ب،) *A picture covers the hole*.
تغطّي صورةٌ الثّقب.

(ج) *He demanded my resignation*.
(هو) طلب استقالتي.

(ج،) *That problem demands attention*
ذاك المشكل يتطلّب الاهتمام.

(د) *We connected the wires*
وصلنا الأسلاك.

(د،) *A tunnel connects the two buildings*
يربط نفَقٌ بين البنايتين.

(هـ) *I realized the enormity of the problem*.
أدركتُ جسامة المشكلة.

(هـ،) *I realize the enormity of the problem*.
(أنا) أُدرِك جسامة المشكلة.

تتوضّح المقْوَلة المرنة بطريقة جيّدة باعتماد أفعال الهيأة الأساسيّة [جلس]، و[وقف]، و[اضطجع / اَستلقى]. يمكن لكلّ واحد منها أن يستعمَل استعمالا انقضائيّا ليعرض عمل اتّخاذ الهيأة المعنيّة، كما في (18) (أ)، حيث تجري تلك الأفعال في العادة مقترنة بـ[*down*] أو [*up*]. ويجري كلّ واحد منها كذلك بمفرده معبّرا عن معنى انقضائيّ آخر، يُعرَض في (18) (ب)، حيث يدلّ على حلقة محدودة من كون المرء على تلك الهيأة. مثل الأفعال الواردة في (16)، يتطلّب هذا الاستعمال التّصريفَ التّدريجيَّ لوصف وضعيّة حاضرة،

رغم أنّ العمليّة المعروضة متجانسة داخليّا. ويمكن أن تستعمَل أفعال الهيأة كذلك في اللاّانقضائيّ، كما في الجملة (18) (ج) الّتي توحي بأنّ الحديقة العموميّة موضِعُ التّمثال الدّائمُ. هب أنّ التّمثال وُضِعَ هناك إلى حين فقط، بينما يجري إعداد موضعه الدّائم. فيمكن أن يكون الانتصاب منبنيا على أنّه يتكوّن من حلقة محدودة - ومنه التّصريف الانقضائيّ- ولذلك يستعمَل في (18) (د) الشّكل التّدريجيّ. وعندما يكون الفاعل بشريّا، مثل [سامْ] في (18) (هـ)، ينبني فعل هيأة في العادة انبناء انقضائيّا لسبب بسيط يتمثّل في كون البشر متنقّلين بوجه يكون له كلّ تشكّل مخصوص للهيأة محدودا في المدّة. ومقابل ذلك، يظلّ البلد الّذي يقع بين بلدين آخرين كذلك دون نهاية، فيسلك لذلك فعل [*lie* "وقع"] في (18) (و) سلوكا لاانقضائيّا.[15]

(18) (أ) *Rebecca sat* (*down*), *then she stood* (*up*) *again*.
جلست ريبكّا ثمّ وقفت ثانية.

(ب) *He is* {*sitting / standing / lying*} *on the couch*.
«هو بصدد {يجلس/ يقف/ يضطجع} على الأريكة»
(هو {جالس/ واقف/ مضطجع} على الأريكة).

(ج) *A statue of the president stands in the middle of the park*.
«تمثال للرّئيس يقف في وسط الحديقة.»
(ينتصب تمثال للرّئيس في قلب الحديقة).

(د) *A statue of the president is standing in the middle of the park*.
«تمثال للرّئيس بصدد يقف في وسط الحديقة»
(تمثال للرّئيس منتصب في قلب الحديقة).

(هـ) *Sam* {**lies / is lying*} *on the beach right now*.
سام {*يضطجع/ بصدد يضطجع} على الشّاطئ الآن.
(سام مضطجع الآن على الشّاطئ)

(و) *Belgium* {*lies / *is lying*} *between Holland and France*
«بلجيكا { تقع/ *بصدد تقع} بين هولندا وفرنسا»
(تقع بلجيكا بين هولندا وفرنسا).

توضّح هذه الأمثلة الفكرةَ العامّة المتمثّلة في أنّ المشاركين في فعل (أي الوحدات المشاركة في العلاقة المعروضة) يؤثّرون على مَقوَلته إلى انقضائيّ أو لاانقضائيّ. ففي (18) (هـ) - (و) يعكس الخيار المقبول طبيعةَ الفاعل. وتتوفّر حالة يمارس فيها المفعول به التّأثيرَ، في أفعال الإدراك الأساسيّة.

لاحظ، أوّلا، أنّ هذه الأفعال يمكن أن تُستعمَل استعمالا لاانقضائيّا: أرى النّور، أسمع الموسيقى، أحسّ بالألم. هذا الأمر في ذاته مهمّ، لأنّ الأحاسيس تكون عادة قصيرة جدّا، على عكس المعهود عندكم من "الوضعيّات النّوعيّة المستقرّة ذات المدّة غير المحدودة". غير أنّ الاستقرار والمدّة، من زاوية لغويّة، ليسا مطلقين بل نسبيّان من بعض النّواحي. فما يهمّ هو ما إذا انبنت الوضعيّة على أنّها مستقرّة لغاية مقصودة (دون أن تتطلّب الثّبات المطلق) أو استمرّ هذا الاستقرار خلال مدّة من الزّمن تعتبر مفيدة. يكوّن مدى العناية هذا المدى الزّمنيّ المباشر للفعل - أي مقطع الزّمن الّذي جُعِل على الرّكح ليكون محطّ التّبئير. فطوله المطلق حينئذ يكون متغيّرا إلى حدّ بعيد ومرتبطا بنوع الحدث الّذي يجري الحديث عنه (مثلا، تكوّن النّظام الشّمسيّ، أو نشأة إمبراطوريّة وسقوطها، أو ذهاب إلى متجر). وإذا كان الإدراك مسألة لحظة بلحظة، يكون بالنّسبة إلى الأفعال مثل [رأى] و[سمع] و[شعر]، إطارُ الزّمن لتقديرِ التّغيّر أو الاستقرار، قصيرا جدّا.

تستلزم أسماء الأشياء من قبيل [ضوء]، و[موسيقى]، و[ألم]، تجربة مفهوميّة يمكن لها الاستمرار مدّة من الزّمن إن لم تكن مسألة ثوان فقط. فيمكن حينئذ أن تُعرَض على أنّها مستقرّة خلال المدى الزّمنيّ القصير الّذي يتعلّق بوصف الأحاسيس الفوريّة. يسمح ذلك لأفعال الإدراك أن تُستَعمَل استعمال اللاّنقضائيّات. لكن يكون، في بعض الأحيان، الانبناء الانقضائيّ مرفوضا: [*I see a flash* ✻"*أرى ومضة"]؛ [*I hear a shot* ✻"*أسمع طلقة"]؛ [*I feel a twinge of pain* ✻"*أشعر بوخزة ألم"]. تفرض هنا الإسمائيّات الواردة مفعولا به تأويلا نُقْطيّا. وإذا كانت تلك الأسماء في ذاتها تكاد تكون نقطيّة في طبيعتها، وكانت التّجربة الإدراكيّة الّتي تولّدها نقطيّة كذلك، تَمثّل ذلك التّأويل في مطلع ومنتهى فقط، ولا شيء بينهما. فالشّعور، حينئذ، قصير جدّا ليُرَى على أنّه مستقرّ، وإن على مدّة مقيّدة. لكنّها تكوّن بالفعل حدثا محدودا، ينتج عنه تأويل انقضائيّ: [رأيت ومضة]؛ [سمعت طلقة]؛ [شعرت بوخزة ألم].[16]

ويمكن أن تؤثّر عواملُ مختلفة أخرى على انبناء فِعل انبناءً انقضائيّا أو لاانقضائيّا. على سبيل المثال، يصف الفعل [*like* "عجب/ أحبّ"]، في العادة، موقفا ثابتا فيكون لذلك لاانقضائيّا، كما في (19) (أ). ولكن كما يُرى

في (19) (ب)، يسـهّل الظّرف [*more and more* "أكثر فأكثر"] انبناء لاانقضائيّا بأن يقحِم مفهوم التّغيّر.

(19) (أ) *She likes her new teacher*.
«هي تحبّ أستاذها الجديد»
(هي معجبة بأستاذها الجديد).

(ب) *She's liking her new teacher more and more*.
«هي تحبّ أستاذها الجديد أكثر فأكثر»
(هي معجبة بأستاذها الجديد أكثر فأكثر).

ويتمثّـل عامـل آخر في المدى. والمسـؤول عـن المقابلة بين الاسـتعمال اللاّانقضائيّ لفعل [*wind* "تلوّى"] في (20) (أ)، والاستعمال الانقضائيّ في (20) (ب)، هو كون التّشـكّل الفضائيّ مدرَكا بطريقة شاملة كما يكون عند النّظر في خريطة، أو بطريقة محلّيّة من منظور شخص مسافر على امتداد الطّريق. من جهة أولى، يكون باعتماد رؤية شـاملة، تَشـكُّلُ الطّريقِ والغابةِ بكامله ظاهرا على أسـاس التّزامن في إطار المدى الفضائيّ المباشر. وهذا التّشكّل مستقرّ خلال الزّمن فيكون، تبعا لذلك، الفعل الّذي يصفه لاانقضائيّا جاريا فـي الزّمن الحاضر البسـيط. ومن جهة أخـرى، يكون باعتمـاد رؤية محلّيّة يوفّرها التّنقّل بالسّـيّارة على امتداد الطّريق، قسـمٌ صغير من التّشكّل الشّامل ظاهـرا في أيّ لحظة من اللّحظـات. في (20) (ب) ينبني هذا القسـم على أنّه المدى المباشر للإسـمائيّ الوارد فاعلا - فما يكوّن [*this road* "هذا الطّريق"] هـي تلك القطعة من الطّريق بأكمله الّتـي يراها المتنقّل في أيّ وقت. فأثناء التّنقّـل خلال الجبال، حينئذ، ما يُعدُّ أنّـه [*this road* "هذا الطّريق"] يدرَك وهو متحرّك، وهو [*winding* "يتلوّى"] خلال الجبال بالفعل (كما يكون إدراك الحيّة وهي تتلوّى خلال الأعشـاب). فيكون الفعـل [*wind* "تلوّى"] انقضائيّا تبعا لذلك، ويأخذ تصريفَ التّدريجيّ، لأنّه يعرض تغيّرا يتنامى خلال الزّمن، بدل أن يكون تشكّلا ثابتا.

(20) (أ) *According to the map, this road winds through the mountains*.
حسب الخريطة، يتلوّى هذا الطّريق خلال الجبال.

(ب) *The way this road is winding through the mountains, we'll never get there on time*.
نظرا إلى الوجه الّذي يتلوّى به هذا الطّريق خلال الجبال، لن نكون هناك في الوقت المحدّد أبدا.

والاختيار بين انبناء انقضائيّ وانبناء لاانقضائيّ لا يقرّره بالضّرورة شيء كامن في المشهد الموصوف. إنّما يرتبط في الأغلب بالمعرفة العامّة أو السّياقيّة، أو يمكن أن يكون ببساطة مسألةَ ما يقرّره المتكلّم من كيفيّة في وصف الوضعيّة. فلو أنّك صادفت تمثالا في حديقة عموميّة، فكيف تصفه؟ الخيار بين (18) (ج) و(18) (د) يرتبط بمعرفة غاية الشّخص الّذي جعله هناك، أيّا كان هو. أو هب أنّ أستاذك، وقد بدا عليه بوضوح أنّه غارق في التّفكير، صادف أن اتّخذ نفس الهيأة الّتي تكون لتمثال "المفكّر" الشّهير لرودان. لوصف ذلك، يمكنك أن تقول بشكل مستقيم العبارةَ في (21) (أ). والانبناء الانقضائيّ يعكس معرفتنا العامّة بأنّ الجلوس والتّأمّل اللّذين يأتيهما النّاس يجريان في حلقات محدودة. لكن، بالنّسبة إلى التّمثال في ذاته، تكون الجملة في (21) (ب) أنسب.

(21) (أ) *Our prof is sitting and meditating.*
[أستاذنا يجلس+ تدريجيّ + و+ يفكّر+تدريجيّ]
(أستاذنا جالس يفكّر.)
(ب) *Rodin's Thinker sits and meditates perpetually.*
يجلس مفكّر رودان ويتأمّل مؤبّدا.

تمثّل المقابلة في (22) حالة يكون فيها الانبناء الانقضائيّ مقابل الانبناء اللاّانقضائيّ، مسألةَ اختيار للمتكلّم بوجه صرف. تذكّر أنّ [رأى] تسمح بالخيارين في آن واحد، حسب طبيعة مفعوله: [*I see light* "أرى النّور" مقابل [*I see a flash** "أرى ومضة"]. يكون الانبناء اللاّانقضائيّ ممكنا مع [نور] ولكن يكون كذلك بصعوبة مع [ومضة]، لأنّ الأوّل فقط ذو مدّة كافية لنشوء تجربة إدراكيّة ثابتة حتّى للمدّة القصيرة الّتي تكوّن المدى الزّمنيّ المباشر. فيكون على هذا [*see a flash* "رأى ومضة"]، في العادة، انقضائيّا، رغم أنّ طبيعته النّقطيّة تستبعد التّصريف التّدريجيّ: [*I'm seeing a flash** "*أنا بصدد رؤية ومضة"]. لكن، يتمثّل جزء ممّا نعرف عن الومضات في أنّها تترك في بعض الأحيان انطباعا متخلّفا بعد الصّورة، خلافا للومضة في ذاتها، قد يدوم بضع لحظات. فيمكننا حينئذ أن نقول (22) (أ) أو (22) (ب)، حيث تفهَم [ومضة] فهما مجازيّا. وكلا الخيارين مسموح به، بما أنّ الانطباع المتخلّف بعد الصّورة غير ذي طول ثابت في علاقته بالمدى الزّمنيّ المباشر. يصف الانبناء الانقضائيّ في (22) (أ)، على وجه الدّقّة، هذه التّجربة البصريّة على أنّها حلقة محدودة. وفي (22) (ب)، يقرّر المتكلّم عوض ذلك أن يركّز

على استمرارها خلال المقطع الزّمنيّ المناسب لها. ورغم أنّ المتكلّم من المفروض أن يكون غير جاهل بطبيعتها الزّمنيّة، فإنّه يختار تجاهلها.

(22) (أ) *I'm still seeing that blinding flash which occurred a moment ago.*

ما زلت أرى إلى حدّ الآن تلك الومضة المبهرة الّتي حدثت منذ لحظة.

(ب) *I still see that blinding flash which occurred a moment ago.*

أرى إلى حدّ الآن تلك الومضة المبهرة الّتي حدثت منذ لحظة.

5. 2. 2 تناظر المعدود/الكتلة والانقضائيّ/اللاّانقضائيّ

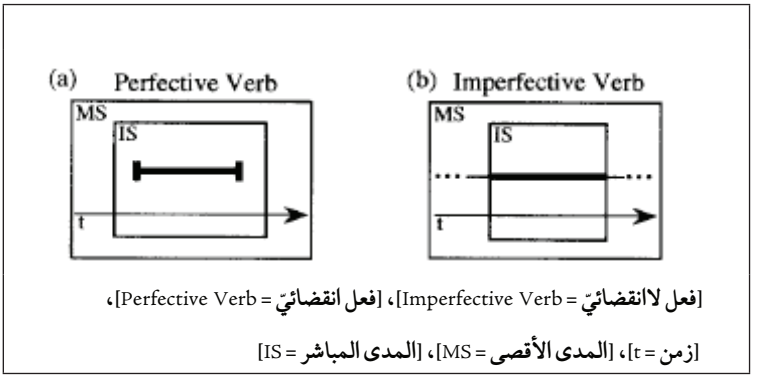
يعرِض الاسم شيئا، يعرَّف تجريديّا بكونه أيّ نتاج لعمليّة تجميع وتشييء. ويعرِض الفعل عمليّة تعرّف تجريديّا بكونها علاقة يجري مسحها مسحا تتابعيّا في تطوّرها خلال الزّمن. ورغم التّعارض المفهوميّ الكبير بينهما، تُبين الأسماء والأفعال عن عدد من وجوه التّشابه، يتمثّل واحد منها في قبول القسمة إلى قسمين فرعيّين رئيسيّين. ويتوفّر، بشكل لافت، في كلّ مقولة منهما الأساس المفهوميّ نفسه لهذه القسمة الكبرى: التّمييز بين المعدود والكتلة في الأسماء مماثل بالتّحديد للتّمييز بين الانقضائيّ واللاّانقضائيّ في الأفعال. وفي كلتا الحالتين، يشتمل التّمييز على عوامل مترابطة من التّحديد والتّجانس وقابليّة التقلّص وقابليّة التّكرار.

يتمفصل التّمييز بين المعدود والكتلة حول ما إذا كان الشّيء المعروض بالاسم منبنيا من حيث هو محدود داخل المدى المباشر في مجال التّحقّق. وبالنّسبة إلى الأشياء المادّيّة (المقولة الطّراز)، يمثّل الفضاء مجالَ التّحقّق، ويُنجَز التّحديد في الحدود الفضائيّة الّتي تضبط شكل الشّيء. ولكن بالنّسبة إلى الأسماء، في العموم، يتنوّع مجال التّحقّق ويحتاج التّحديد إلى توصيف أمضى في التّجريد: يكون الشّيء محدودا عندما تكون لمجموع الوحدات المكوّنيّة نهاية ما.

وأمّا الأفعال، فمجال التّحقّق هو الزّمن دائما. والتّقابل بين الانقضائيّ واللاّانقضائيّ، حينئذ، يتمفصل حول ما إذا كانت العمليّة المعروضة محدودة داخل المدى الزّمنيّ المباشر، وهذه العمليّة تكون محدودة إن كان لمجموع الوحدات المكوّنيّة نهاية ما. ولكن ما هي هذه الوحدات؟ وما هي مظاهرُ العمليّة الّتي يجب علينا أن نعتبرها مماثلة لشرائح المادّة المكوّنة للشّيء المادّيّ، أو الجزيئات المتفاصلة في مجموعة ما (مثل [*stack* "كومة"]) أو

جمع الكتلة؟ يكمن الجواب في توصيف العمليّة على أنّها علاقة مركّبة، تتكوّن من علاقات مكوّنيّة موزَّعَة على مقطع مسترسل من الزّمن (انظر الرّسم البيانيّ 4. 6). ومقاطع الزّمن هذه - أي الأحوال المكوّنة للعمليّة- تُعتبَر، بصفة طبيعيّة، عناصرَها المكوّنيّة. وفي أغلب الحالات، لا ندرك، بطبيعة الحال، تلك العمليّات الواحدة منفصلة عن الأخرى بل على أنّها وجوه لشيء كلّيّ مسترسل يتحوّل فيه شكلُ كلٍّ واحد منها، بسلاسة، إلى شكل لاحقِه. ومن هذه النّاحية، تكون شبيهة بما يحدَّد تحديدا اعتباطيّا من رقائق المادّة المكوّنة لشيء ماديّ، والّتي تدرَك، أيضا، على أنّها مسترسلة. تَذكَّرْ أنّ الوحدة، كما جرى تعريفها، لا تحتاج إلى أن تكون متفاصلة، أو ذات بروز، أو ممّا يُتعرّف عليه بصفة فرديّة.

يصوّر الفارق الأساسيّ بين الانقضائيّات واللاّانقضائيّات في الرّسم البيانيّ 5. 7. ويمثّل الخطّ في الصّيغة المبسّطة المعتمَدة، علاقةً تتطوّر خلال الزّمن. وعلى هذا، تكون كلّ نقطة على ذلك الخطّ مناسبة لحالة مكوّنية - أي للعلاقة الحاصلة في لحظة مفردة.[17] وفي الرّسم التّخطيطيّ (a)، في ما يهمّ الأفعال الانقضائيّة، تشير المطّتان العموديّتان إلى أنّ العلاقة المعروضة محدودة في امتدادها الزّمنيّ. تانك نقطتا عبورٍ تعيّنان من العلاقة بدايةَ تجلّيها ونهايتَه. وأهمّ شيء أنّ التّجلّي الكامل للعلاقة يقع في المدى الزّمني المباشر. فتكون العمليّة المعروضة، تبعا لذلك، محدودة داخل المدى المباشر في مجال التّحقّق (الزّمن). ولا يكون هذا التّحديد من صميم توصيف الأفعال اللاّانقضائيّة. وفي الرّسم التّخطيطيّ (b)، تشير نقاط الحذف (...) إلى أنّ العلاقة ممتدّة بشكل لا نهائيّ. يقتطع المدى الزّمني المباشر جزءا ما من الوضعيّة الجارية ويجعله ماثلا على الرّكح ليكون محطّ التّبئير. فينحصر معروض الفعل في ذلك الجزء دون غيره. ورغم أنّ العلاقة المعروضة محصورة في المدى المباشر، فهي ليست محدودة بمعنى أن يكون لتجلّيها بداية ونهاية - فالعلاقة في ذاتها تتجاوز المدى المباشر في كلّ من الاتّجاهين. ولا يكمن هذا التّحديد في الوضعيّة الموصوفة بل هو خارجيّ عنها، يتّصل بالكيفيّة الّتي تُرَى بها. فتكون العلاقة المعروضة، بناء على ذلك، غير محدودة خصّيصا داخل المدى المباشر في مجال التّحقّق.

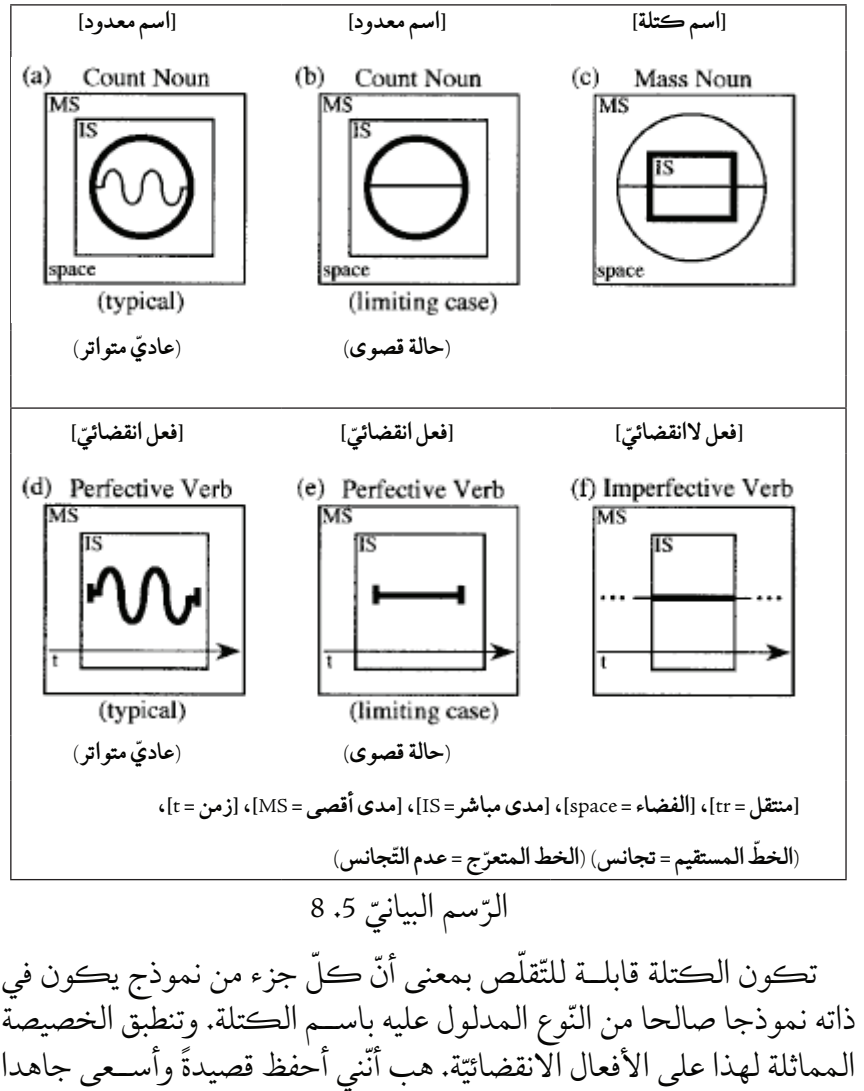


الرّسم البيانيّ 5. 7

وتكشف المقارنة بين الرّسم البيانيّ 5. 3 المتعلّق بالمعدود مقابل الكتلة، والرّسم البيانيّ 5. 7 المتعلّق بالانقضائيّ مقابل اللاّانقضائيّ، عن كون التّمييزين شيئا واحدا بالأساس. والفوارق الوحيدة في الرّسمين البيانيّين تعكس انطباق ذلك التّمييز على الأشياء في النّموذج الأوّل، وعلى العمليّات في الثّاني. ويتواصل هذا التّوازي الّذي نلاحظه باعتبار التّحديد، عندما نقلب القطعة النّقديّة لنفحص جوانبها الأخرى: التّجانس، وقابليّة التّقلّص، وقابليّة التّكرار.

تنبني العمليّة الانقضائيّة، مثل المرجع المقترن بالاسم المعدود، على أنّها غير متجانسة داخليّا. وتنبني العمليّة اللاّانقضائيّة مثل المرجع المقترن باسم الكتلة، على أنّها متجانسة داخليّا. فطبيعة الفعل التّكوّنيّة الدّاخليّة (متجانس مقابل غير متجانس) مسألةُ ما إذا كانت الأحوال المكوّنة للعمليّة مدرَكة على أنّها متطابقة تطابقا فعليّا. فتكون الانقضائيّات، على هذا، غير متجانسة لأنّ العلاقة المعروضة تتغيّر خلال الزّمن. وتكون اللاّانقضائيّات متجانسة لأنّها تعرض استمرار وضعيّة ثابتة خلال الزّمن. ويمكنك أن تعاين التّوازي بالمقارنة بين الرّسمين التّخطيطيّين الواردين في أقصى اليسار وأقصى اليمين من الرّسم البيانيّ 5. 8، حيث يشير الخطّ المتموِّج إلى عدم التّجانس ويشير الخطّ المستقيم إلى التّجانس. ويظهِر الرّسمان التّخطيطيّان الواردان في الوسط أنّ التّوازي بين الاسم والفعل يتجاوز هذا الحدّ. فقد أثبتنا لكلّ مقولة أمثلة منبنية على أنّها محدودة رغم كونها متجانسة تجانسا شاملا: الأسماء المعدودة من قبيل [بحيرة] و[مرج] و[تزميرة]؛ والأفعال الانقضائيّة من قبيل [نام] و[سبح] و[تأمّل]. تمثّل هذه النّماذج الحالة القصوى من عدم التّجانس

حيث يكون الشّـيء متجانسـا أو تكون العمليّة متجانسـة بصرف النّظر عن عدم التّجانس الّذي تحدثه عمليّة التّحديد بذاتها.



الرّسم البيانيّ 5. 8

تكون الكتلة قابلـة للتّقلّص بمعنى أنّ كلّ جزء من نموذج يكون في ذاته نموذجا صالحا من النّوع المدلول عليه باسـم الكتلة. وتنطبق الخصيصة المماثلة لهذا على الأفعال الانقضائيّة. هب أنّني أحفظ قصيدةً وأسـعى جاهدا إلى تذكّرها مدّة تزيد عن الشّـهر. يكون خـلال هذه المدّة الزّمنيّة الحكم [«أنـا أعرف القصيدة»] صالحا على كلّ المقاطـع الزّمنيّة مهما كان طول الواحد منها («عرفت القصيدة الأسـبوع الماضي، وأعرفها الآن، وسوف أظلّ أعرفها غدا»). وما من حاجة إلى اعتبار الوضعيّة الممتدّة على شهر - بمعنى أيّ مقطع يُنتقَى ليجعَل موطن التّبئير (أي على أنّه المدى الزّمنيّ المباشر)- كافية

لإظهـار نموذج من العمليّـة المعروضة. فقابليّة التّناقض ليسـت من خصائص الأسـماء المعدودة أو الأفعال المنقضية. فالجزء من [بحيرة] ليس بذاته بحيرة. وقياسا على ذلك، إذا ما استغرق حفظ القصيدة منّي شهرا كاملا، لا يكون الحكم [«حفظـت القصيدة»] صالحـا لوصف التّقـدّم الحاصل خلال يوم واحد أو أسبوع.

وبالإضافـة إلى ذلك، تكون الكتلة قابلة للتّمدّد بمعنى أنّ التّوليف بين نموذجين يؤول إلـى نموذج واحد أكبر. وتفتقر الأسـماء المعدودة إلى هذه الخصيصـة، بحكم التّحديد الّذي يَحُدّ من امتداد نموذج ما. وهي تظهر، بدل ذلك، خصيصة تسـمّى قابليّـة التّكرار، الّتي تعني ببسـاطة أنّ وضع نماذجَ معـا يؤول إلى نمـاذج متعدّدة. وتبعا لذلك، لا تسـتدعي عبارة [«الماء الّذي فـي تينك البحيرتين»] عيّنة واحدة مـن [ماء] بل نموذجين من [بحيرة]، رغم تطابقهمـا في المرجع. وتبعـا لذلك، تكـون اللاّانقضائيّات قابلـة للتّمدّد وتكـون الانقضائيّات قابلـة للتّكرار، كما هو متوقّع. فلـو عرفتُ قصيدة في شـهر مارس (آذار) وعرفتها كذلك في شـهر أفريل (نيسـان)، يصحّ في الحالتيـن أن أقول إنّني عرفـت القصيدة خلال شـهرين كاملين. ولكن إن جرى نموذج تامّ من حفظها في مارس، وواحد آخر منه في أفريل، فهما يمثّلان نموذجين منفصليـن من الحفظ: «عرفت القصيدة» مـرّة، ولكنّني «حفظت القصيدة» مرّتين.

ومن أمـارات التّكرار الخاصّة، المركّب الظّرفـيّ [*again and again* "مرارا وتكـرارا"]. وهو لا يجـري إلاّ مع الانقضائيّات، كما هـو متوقّع. في حين يمكن لشخص نسّـاء أن يقول ["حفظت القصيدة مرارا وتكرارا"]، يكون مـن الغريب أن يقال: [*??I knew the poem again and again* "؟؟ عرفت القصيدة مرارا وتكرارا"] في شأن نفس السّلسلة من الفترات المتناوبة من المعرفة بالقصيدة وعـدم المعرفة بها. ففعـل [*learn* "حفظ"] يتكـرّر لأنّ حدث الحفظ محدود فـي صميمه، ولكنّه (وأسـفاه!) لا يضمن أنّ المعرفة النّاتجة ستسـتمرّ- فقد يكون من الواجب حفظها في مناسبات عديدة. ولكن بما أنّ [*know* "عرف"] لاانقضائـيّ، فهو يحدث توقّعا للاسـتمرار اللاّمتناهـي. فلكي يصير [عرف] قابـلا للتّكرار، نحتاج إلى إجراء تعديـل دلاليّ وإلى انبناء العلاقة المعروضة علـى أنّها جارية في حلقات محدودة. ولنا المرونة المفهوميّة لإجراء ذلك إن أمكننـا أن نتخيّل سـيناريو مقبولا، وهنا نكون قادرين على ذلك، بسـبب

ضعف في الذّاكرة البشريّة. وبطريقة مشابهة، تفاجِئُنا عبارة [*??She resembled her mother again and again*] "؟؟هي شابهت أمَّها مرارا وتكرارا"]، من حيث كانت مختلّة دلاليّا حتّى نبدأ في التّفكير في تأويلات مقبولة. فلا نحتاج إلاّ إلى أن نتخيّل سيناريو تكون فيه مشابَهةُ شخصٍ ما متكوّنة من حلقة محدودة قادرة على التّكرّر. وبالفعل، بما أنّ النّاس يتبدّلون، يمكننا أن نتخيّل فتاة تشبه أمّها خلال فترات كثيرة من حياتها تتخلّلها فترات من عدم التّشابه. وبدلا من ذلك، يحتمل أن تشبه أمّها في مظهر واحد فقط يتجلّى في مناسبات متعدّدة، كنبرة صوتها عندما تكون غاضبة.

توضّح الأمثلة من هذا القبيل عددا من النّقاط العامّة. أوّلا، لا يمكن الحكم على البناء النّحويّ الجيّد للجمل (أي "النّحويّة") دون اعتبار ما يكون عليه تأويلها على مستوى المعنى. وزيادة على ذلك، ليس التّأويل الدّلاليّ لغويّا بصفة حصريّة ولكنّه يرتبط بما نعرفه عن العالم أو بما يمكن أن نتخيّله عنه. وأخيرا، تكون المقوَلة مرنة لأنّها تتأثّر بهذه العوامل.

5. 2. 3 التّفاعل مع الزّمن والمظهر

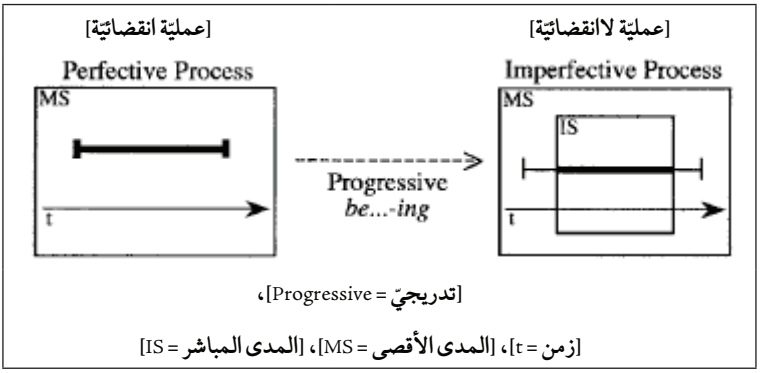
يتمثّل الأساس المعهود في التّمييز بين الأفعال الانقضائيّة واللاّانقضائيّة في المقارنة بين السّلوك النّحويّ، وبصفة أوّليّة في تعاملهما مع الزّمن والمظهر: تأخذ الانقضائيّات الإنجليزيّة تصريف الشّكل التّدريجيّ ولكنّها ترفض شكل الزّمن الحاضر البسيط؛ وتفعل اللاّانقضائيّات العكس. ومن زاوية النّحو العرفنيّ، لا يعدو سلوك الانقضائيّات واللاّانقضائيّات أن يكون تجلّيا ظاهريّا لتوصيفاتها المفهوميّة. لا تسمح لنا تلك التّوصيفات بأن نفسّر القالب التّوزيعيّ الأساسيّ فقط، بل تسمح كذلك بتفسير بعض الشّواذّ الظّاهريّة.

للتّوصّل إلى إقامة التّفسيرات الدّلاليّة، علينا أوّلا أن نصف معاني العناصر النّحويّة المتّصلة بها: المظهر التّدريجيّ (الموسوم بـ[*be…-ing*]) والزّمن (كلّ من الماضي والحاضر). يولّف التّصريفُ التّدريجيّ، كما يوحي بذلك شكله، بين المعنيين في [*-ing*] و[*be*]. وكانت الأُولى قد نوقشت باقتضاب في الفقرة § 4. 3. 2. وهي واحد من عناصر متعدّدة (اثنان منها هما صرفم مصدر المفعوليّة [*-ed*]، وصرفم عدم التّصريف [*to*]) تبنِي العمليّةَ بصفة شموليّة، جاعلةً من العلاقة المعروضة تبعا لذلك لاعمليّاتيّة. وبالإضافة إلى ذلك، يأخذ الصّرفم [*-ing*] "منظورا داخليّا" إلى تلك العلاقة. وما يعني هذا،

بعبارة تقنيّة، أنّ صرفم [*ing*–] يفرض مدى زمنيّا مباشرا يحدّد جزءا داخليّا من العلاقة الكلّيّة وينتقي ذلكَ الجزءَ لتبئير الرّؤية. وعلى هذا، لا يعرض إلاّ ذلك الجزء، كما يظهر في الرّسم البيانيّ 4. 14 الّذي يشير كذلك إلى خصيصة ثالثة من خصائص [*ing*–]: أعني أنّ العلاقة المعروضة منبنية على أنّها متجانسة. يكون ذلك كذلك حتّى عندما يصف الفعل الّذي تلتصق به [*ing*–]، تغيّرا ما. ولئن أمكن أن تكون الحالات المكوّنة مختلفة تبعا لذلك، فهي، رغم ذلك، متكافئة عندما تؤخذ في مستوى ما من التّجريد. فجميعها، على وجه التّخصيص، صالح لأن يكون حالات داخليّة ممثّلة للعمليّة الأساس نفسها.[18]

انطلاقا من فعل مثل [*climb* «تسلّق»]، يشتقّ الصّرفم [*ing*–] عبارة مصدريّة فاعليّة، [*climbing* "متسلّق"]، تعرض علاقةً تتضمّن جزءا داخليّا من العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل، وتبنيها على أنّها متجانسة. والعلاقة المعروضة لاعمليّاتيّة بحكم كونها تُمسَح بطريقة مجملة (بدل الطّريقة التّتابعيّة). وهذا الانبناء الشّموليّ يجعلها قادرة على تحوير اسم ما، كما في [*the monkey climbing that tree* "القرد الّذي هو بصدد تسلّق تلك الشّجرة" (القرد الّذي يتسلّق الآن تلك الشّجرة)]. وبصورة بديلة، تتولّف مع [*be*] لتكوين الشّكل التّدريجيّ [*be climbing* "كون متسلّقا"]. وإذ كان [*be*] فعلا خطاطيّا، فإنّه يعير طبيعته العمليّاتيّة إلى العلاقة المعروضة بمصدر الفاعليّة. فيمكن لشكل تدريجيّ، تبعا لذلك، أن يؤدّي دور الرّأس في جملة تامّة (§ 4. 3. 3): [*the monkey climbing that tree* "القرد بصدد تسلّق تلك الشّجرة" (القرد الّذي يتسلّق الآن تلك الشّجرة)].

وعلى هذا، يتمثّل الأثر الشّامل الّذي يكون لشكل تدريجيّ في أن يحوِّل عمليّة انقضائيّة إلى عمليّة لاانقضائيّة، كما يُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 5. 9. فالنّموذج المحدود الّذي يعرضه الشّكل الانقضائيّ يشتغل أساسا مفهوميّا للشّكل اللاّانقضائيّ الّذي يعرض جزءا داخليّا تسقط منه نقطتا النّهاية. وثمّة مسألتان لطيفتان تستوجبان التّركيز. أوّلا، عندما يكون كلّ من الفعل وشكله التّدريجيّ عمليّاتيّا، فإنّهما يعرضان عمليّتين مختلفتين، تتوصّف الواحدة منهما في علاقتها بالأخرى. ثانيا، عندما يشير شكل تدريجيّ إلى أنّ الفعل الّذي اشتقّ منه انقضائيّ، تكون العبارة، من حيث هي كلّ، لاانقضائيّة.[19]



الرّسم البيانيّ 5. 9

يفسّر هذا التّوصيف الدّلاليّ لمَ لا يرد الشّكل التّدريجيّ إلاّ مع الانقضائيّات. بكلّ بساطة، لأنّ وظيفته تتمثّل في جعل الفعل لاانقضائيّا، فلا معنى لاستعماله مع فعل هو في أصله لاانقضائيّ. فيكون على هذا من المعقول أنّ مواضعات اللّغة الإنجليزيّة تُسقِط هذا الخيار. فقد لا تخدم زيادة التّعقيد بشكل لاانقضائيّ تدريجيّ غاية صريحة، والحال أنّه لا يمكن للمرء أن يدّعي أنّ اللّغات ناجعة إلى أقصى حدّ وأنّها تتجنّب الإطناب دائما.[20]

وممّا يفسّر أيضا لِمَ لا يرد الشّكل التّدريجيّ مع الانقضائيّات الّتي تكون نُقْطيّة، من مثل [*I'm seeing a flash* ❋"*أنا بصدد رؤية ومضة"]. فالحدث النّقطيّ يكون على غاية من القِصَر ليسمح باتّخاذ منظور داخليّ. فهو يتكوّن أساسا من مطلع ونهاية ولا شيء بينهما، بوجه لا يترك فيه إقصاء نقطتي النّهاية شيئا للرّؤية وللعرض في داخل المدى الزّمنيّ المباشر. هناك بطبيعة الحال، حالات شاذّة عن هذا الشّذوذ، وهذه الحالات يمكن أن تفسّر كذلك. أثبتُّ في (22) (أ) أنّ العبارة [*see a flash* "رأى ومضة"] تسمح بالتّدريجيّ عندما تستعمَل دالّة على أثر ما بعد الصّورة. ولنا مثال آخر في [*blink* "رمش"]. فلا يمكن للمرء أن يقول [*He is blinking* ❋«*هو بصدد الرّمش» (*هو يرمش الآن)] بالنّسبة إلى رمشة واحدة تُرَى بالطّريقة العاديّة. فلا وجود لوقت كاف، ببساطة، لقول ذلك أو لملاحظة الطّور الدّاخليّ من الحدث. ورغم ذلك يكون القول [*He is blinking*]، عبارة مستقيمة نحويّا وعاديّة تماما. فعادة ما تُفهَم على أنّها تحيل لا على رمشة واحدة بل على سلسلة من الرّمشات، تنبني على أنّها تكوّن حدثا شاملا مفردا ذا مدّة محدودة. وبناء على هذا التّأويل التّكراريّ، تعرض [رمش] عمليّة انقضائيّة من درجة عليا ذات طول يكفي

لجعلها تدريجيّـة. فالجملة، حينئذ، تعرض جزءا داخليّا ما من هذه السّلسـلة المحدودة. أو تَخيَّل أنّ رمشـة واحدة كانت قد صُوِّرت باستعمال آلة تصوير ذات سـرعة فائقة وهي الآن بصدد العرض على شاشـة وفق الوتيرة العاديّة في الرّؤية. فنلاحظ، بناء على ذلك، رمشة وحيدة ترد على مقطع زمنيّ يمتدّ على ثـوان عديدة. وبما أنّ [رمش] لـم تعد نقطيّة، تكون [*He is blinking* "هو يرمش الآن"] مقبولة جدّا.

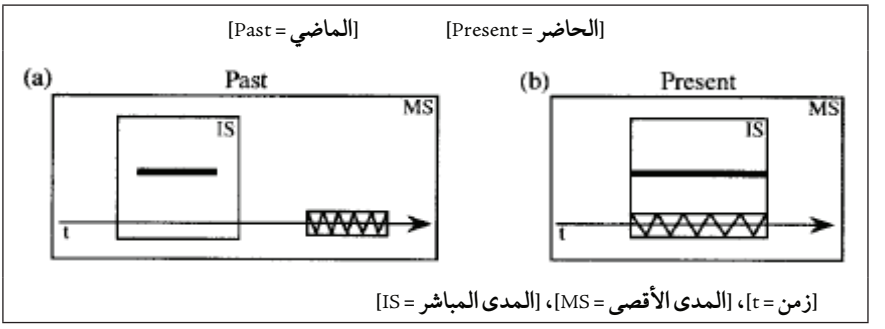
والسّـؤال المتبقّي هو: لِم لا تجري الانقضائيّات في الزّمن الحاضر البسيط. وبالفعل، مـن توليفات الزّمان والانقضائيّات الأربـع كلّها، يكون الحاضر الانقضائيّ مشكلا:

(23) (أ) *He learned the poem*.
هو حفظ القصيدة. [ماض انقضائيّ]
(ب) **He learns the poem*.
*هو يحفظ القصيدة. [حاضر انقضائيّ]
(ج) *He knew the poem*.
عرف القصيدة. [ماض لاانقضائيّ]
(د) *He knows the poem*.
هو يعرف القصيدة. [حاضر لاانقضائيّ]

لِم نجد هذا التّوزيع الخاصّ عوضا عن توزيع آخر؟ وممّا يحتاج إلى تفسير، كذلك، شواذّ متنوّعة يجري فيها، بالفعل، انقضائيّ في الحاضر.

علينـا أوّلا أن نفحص معاني تصاريف الزّمن في الإنجليزيّة.[21] في التّصوّر التّقليـديّ (وهـو كاف في حدود الغايـات الفوريّة هنا) يربـط الزّمنُ جريانَ حـدث ما بلحظة التّكلّـم. وبترجمة هذا إلى المصطلحـاتِ النّحويّة العرفنيّة يمكننـا القـول إنّ الزّمن التّصريفيّ يفرض مدى زمنيّا مباشـرا، يتموضع إزاء حدث القول الّـذي ينبغي أن تتجلّى العمليّة المعروضـة داخله. وفي ما يتعلّق بالزّمن الماضي يكون المدى المباشر، بصفة جليّة، سابقا على حدث القول. وأمّـا في ما يهـمّ الزّمن الحاضر فـي الإنجليزيّة، فهو يوافـق، ربّما بدرجة من الجـلاء أقلّ، بالتّحديد زمن القول (لانقاكر 2001 a). يُعرَض هذا في الرّسـم البيانيّ 5. 10، باسـتعمال خانة ذات خطوط متعرّجة إشـارة إلى حدث القول. ويشـار إلى العمليّة المعروضة باعتماد خطّ بسـيط (دون مطّة ولا حذف) لأنّ هـذه الأبنية في ذاتها محايدة بالنّظر إلـى التّقابل بين الانقضائيّ واللاّانقضائيّ.

ويشـير الزّمن الماضي إلى أنّ عيّنة من العمليّة تجري قبل زمن التّكلّم، ويشير الزّمن الحاضر إلى أنّ عيّنة توافق بالضّبط زمن التّكلّم.

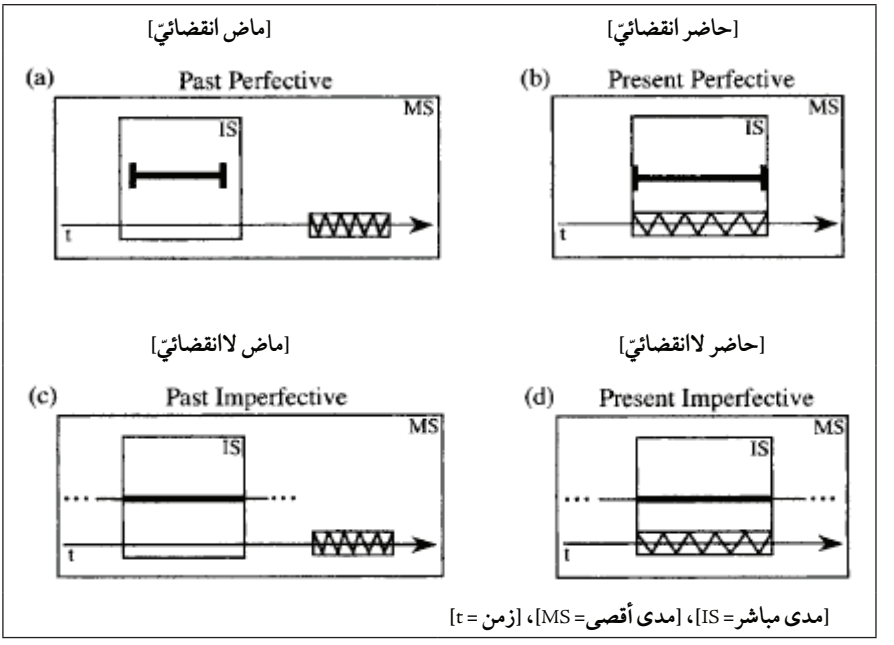


الرّسم البيانيّ 5. 10

تأمّـل، الآن، النّتيجـة الحاصلـة من تطبيـق صرافم الزّمن هـذه على فعل انقضائـيّ أو لاانقضائيّ. مـع الزّمن الماضي، يمكـن أن تكون مدّة المدى الزّمني المباشـر من أيّ طول كان - كلّ ما يحتاج إليه أن يجري سابقا زمن التّكلّم. فيمكن، تبعا لذلك، أن يكون دائما طويلا بما يكفي ليشمل عيّنة من عمليّة انقضائيّة، بما في ذلك نقطتا نهايتها، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 5. 11 (a). ولا تثير اللاّانقضائيّات الماضية مشكلا كذلك لأنّ الانقضائيّات شـبيهة بالكتلة في طبيعتها، ولذلك تكون قابلـة للتّقلّص. افترض وضعيّة مسـتقرّة تسـتمرّ مدّة لا نهاية لها، فتجـاوز، تبعا لذلك، المدى المباشـر في كلّ من الاتّجاهين، كما يُعرَض في الرّسـم التّخطيطيّ (c). وبحكم قابليّة التّقلّـص، يتأهّل هذا الجزء الّذي يقع في داخل المدى المباشـر ليكون عيّنة صالحة من نوع العمليّة اللاّانقضائيّ. ويسـتجيب هذا الجزء الّذي يقتَطَع لتبئير الرّؤية لشـرط جريان العيّنة في زمن سـابق على حدث القول. ويسـتقيم الأمر نفسه في ما يهمّ اللاّانقضائيّات الحاضرة، كما يرى في الرّسم التّخطيطيّ (d). فزمن القول قصير جدّا (يستغرق التّلفّظ بجملة تامّة ثانية أو بضع ثانية)، بحيث أنّ الوضعيّة الحاضرة المستقرّة تتجاوزه بصفة طبيعيّة في كلّ من الاتّجاهين. ولكـنّ قابليّة التّقلّص في عمليّـةٍ لاانقضائيّة تضمن أن تكون العيّنة الموافقة لزمن القول عيّنة صالحة من نوع العمليّة.

يبقـى بعد هذا تصريـف الانقضائيّـات في الزّمـن الحاضر، كمـا يُعرَض تخطيطها في الرّسم البيانيّ 5. 11 (b). قد يبدو أن لاشيء خاطئ في هذا التّشكّل؛ فممّا ينسـجم تمام الانسجام بالنّسبة إلى حدث محدود أن يزامن بالتّدقيق حدثَ

القــول، من زاويــة مفهوميّة. إذن، لــمَ تعطي الانقضائيّــات المصرّفة في الحاضر الانطباعَ بكونها شــاذّة دلاليّا؟ ليست كذلك لأنّها ذات تكوين داخليّ غير متماســك، بل لأنّ التّشــكّل الوارد في الرّســم التّخطيطيّ (b) يصعب تحقيقه في اســتعمال اللّغة العاديّ. أحيل بكلمة "اســتعمال عــاديّ" على توزيع الرّؤية المحايــد الّذي يرصد فيه المتكلّم الأحــداثَ والوضعيّات الحقيقيّة ويصفها (§ 3. 4. 1). وفــي ما يخصّ هذا التّنضيد، يمثّل الرّســم التّخطيطيّ (b) وصفا لحدث محدود يلاحَظ بصفة فعليّة. هذا الأمر مشكل من ناحيتين. أوّلا، يندر كثيرا أن يســتغرق حدثٌ مُلاحَظ نفسَ المدّة الزّمنيّة الّتي يستغرقها التلفّظ بالعبارة اللّغويّة الّتــي تصفه. فقولنا [*He learns the poem* "هــو يحفظ القصيدة"] أو [*She changes the tire* "هي تغيّر إطار العجلة"] يستغرق مجرّد ثانية من الزّمن، ولكنّ قلّة قليلة من ورود تلك الأحداث تكــون على هذا القصر. ويمكن أن يطرح المشــكل الثّاني في شــكل ســؤال: ماذا يعرف المتكلّم، ومتى يعــرف ذلك؟ لوصف حدث ملاحَــظ، يجب على المتكلّم أوّلا أن يلاحظه، أو على الأقلّ يلاحظ شــيئا منه كافيا ليعرف ما هو. ولكن عندما يكون المتكلّم قد أنهى ذلك، يكون قد فات أوان الشّروع في ملفوظ واصف للحدث يزامنه مزامنة دقيقة.



الرّسم البيانيّ 5. 11

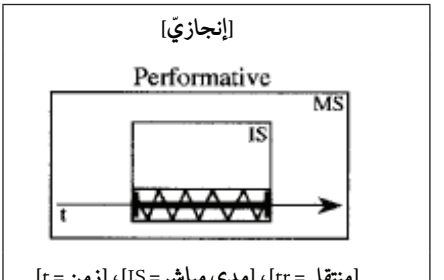
بنـاء على ما تقدّم، لا تكون انقضائيّات الزّمن الحاضر مشـكلة بحكم أيّ ضرب من ضروب عدم الانسـجام المفهوميّ الصّميميّ. إذ يكمن السّبب في أنّ التّشـكّل الوارد في الرّسـم البيانيّ 5. 11 (b) غير ملائم لتوزيع الرّؤية المحايـد. وبالإضافـة إلى ذلك، هناك أشـكال كثيرة أخـرى في توزيع الرّؤيـة لا تثار فيها نفس المشـاكل. فقد تبيَّن، في الواقـع، أنّ الانقضائيّات الحاضرة شـائعة كثيرا. فإذا ما اعتُبِرت في العادة شـاذّة، فذلك ببساطة لأنّ التّوزيع المحايد يؤخذ على أنّه أساس مسلّم به في تأويلها.

وانطلاقا من واحد من أَضـرُبِ التّوزيع المحايد، لا يصف المتكلّم عملا فقط بل ينجزه في الواقع بحكم حدث القول نفسـه. تسمّى العبارات الواردة فـي (24) الأعمال اللّغويّة (أوسـتن 1962؛ سـيرل 1969). فالفعـل، مثل [*order* "أمَر"]، أو [*promise* "وعَد"] أو [*sentence* "حَكَم/ قضى"]، يسـمّي نوعا من عمل القـول وهو لذلك انقضائـيّ. ولكي يُعتبَر ملفوظ ما إنجـازا لذلك العمل اللّغـويّ، يجب أن يكون الفعل مصرّفا في الزّمـن الحاضر، وأن يكون في العبارة ما يدلّ على أنّ المتكلّم فاعل. وبالإضافة إلى ذلك، وجب أن يقصد المتكلّـم إلى إنجـاز العمل الّذي يعرضه الفعل، وأن تتحقّق جميع الشّـروط الّتـي يقتضيها نجاح الإنجاز (مثلا، يجب أن يكـون للمتكلّم في (24) (ج) السّلطة المطلوبة).

(24) (أ) *I order you to leave at once.*
آمرك بالانصراف في الحال.
(ب) *I promise to stop smoking.*
أعد(ك) بالكفّ عن التّدخين.
(ج) *I hereby sentence you to 30 days in the county jail.*
أحكم عليك بالسَّجن ثلاثين يوما في السّجن المحلّي.

وفـي الاسـتعمال الإنجازيّ، تجـري الأفعال الانقضائيّة بكثـرة فائقة في الزّمن الحاضر. وتغيب المشـاكل الّتي تظهر في توزيع الرّؤية المحايد عندما ينجز المتكلّم في الواقع العملَ الّذي يسـمّيه. فلا مشـكلة تطرح في شـأن المدّة الزّمنيّة. وبالفعل، ينبغي أن يتسـاوى حدث القـول والحدث المعروض فـي طول المدّة الزّمنيّة، بمـا أنّ الفعل الإنجازيّ الواحـد - كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 5. -12 يمثّـل الحالة الخاصّة الّتي يكـون فيها الحدث الّذي تعرِضه الجملة هو حدث القول نفسـه. ولا وجود لأيّ مشـكل يتعلّق بمعرفة

المتكلّم. وبما أنّ المتكلّم ينجز العمل الموصوف، ويقصد إلى أن يفعل ذلك بالضّرورة، لا يكون مطالبا بأن يعاينَ حدوثه ليتعرّف عليه. فهو ينجز ببساطة العمل الّذي يقصد إلى إنجازه. وبما أنّه ينجزه بالتّكلّم، يوافق العملُ بالتّدقيق زمنَ التّكلّم.



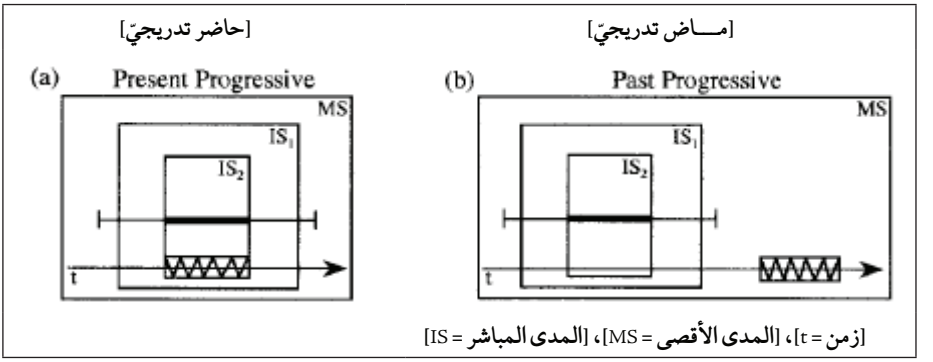
الرّسم البيانيّ 5. 12

وللانقضائيّات المصرّفة في الزّمن الحاضر غلبة كبيرة في نمط «ضربة بضربة» المعتمد في كلام المعلّقين الرّياضيّين:

(25) *He hits a high fly to left. Jones comes in a few steps… he shades his eyes… he grabs it for the final out.*
يقذف ضربة عالية إلى اليسار، يتقدّم جونز بخطوات قليلة... يظلّل عينيه... يمسك بها للخرجة النّهائيّة.

بكلّ تأكيد، يشابه هذا كثيرا توزيعَ الرّؤية المحايد، من حيث يلاحظ المعلّق الرّياضيّ الأحداث ويصفها. وزيادة على ذلك، هو حالة خاصّة من حيث يلغي (أو يخفّف على الأقلّ) مشاكل المدّة الزّمنيّة ومعرفة المتكلّم. يكون ذلك لسبب أوّل يتمثّل في أنّ الأحداث المنقولة ذات مدّة زمنيّة نوعيّة تساوي تقريبا مدّةَ وصفها.[22]

ولسبب آخر، يتمثّل في كون هذه الأحداث على درجة عالية من التّنميط يتمكّن بها المعلّق من استباقها أو التّعرّف عليها افتراضيّا منذ استهلالها. وعلى هذا، يمكن أن يتعقّب النّقل الرّياضيّ من نمط «ضربة بضربة»، عادة، الأحداثَ الموصوفة بفارق زمنيّ قصير جدّا. والعماد في إدراك هذا النّمط من الكلام، الموقف الضّمنيّ الّذي نتجاهل به كلّ ما قد يكون من فارق زمنيّ. وبطريقة مكافئة، يمكن أن يقال إنّ تصوّرنا لهذا النّوع من الخطاب يشتمل على تخيّل التّزامن في الوصف.



الرّسم البيانيّ 5. 13

يأتـي وصف المظاهر الأخرى من التّوزيع غير المحايد الّتي تجيز تصريف الانقضائيّات فـي الزّمن الحاضر، في اللاّحق من هذا العمل (الفقرة § 9. 4. 2 والفقـرة § 14. 2. 2). ولكـن مـاذا عن توزيع الرّؤية المحايد؟ وكيف نصف عمليّـة انقضائيّة حقيقيّة نلاحظها وهي تجري في اللّحظة الحاضرة؟ نسـتعمل لذلك شـكلَ الفعل التّدريجيّ، مـن مثـل [*He is learning the poem* "هو بصدد حفظ القصيدة"]، كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 5. 13 (a). فنحن ننطلق من عمليّة محدودة ([حفظ]) يتضمّـن ورودها في كلّيّته زمن التّكلّم. ومن هذه العمليّة الانقضائيّة يشتقّ التّصريف التّدريجيّ شكلا لاانقضائيّا (الرّسم البيانيّ 5. 9). هو يفعل ذلك بأن يفرض مدى زمنيّا مباشرا (IS_1)، يُقصي نقطتي النّهاية في الحدث المحدود، وبأن يبني الجزء الماثل على الرّكح على أنّه متجانس. فمن العمليّة الانقضائيّة الأصليّة، يعرض اللاّانقضائيّ النّاتجُ ([*be learning* "كان + يحفـظ"])، القطعةَ المحدودة بالمدى الزّمنيّ المباشـر$_1$ (IS_1) الّذي يتضمّن كذلك زمن التّكلّم. وهذه هي العمليّة اللاّانقضائيّة الّتي ينطبق عليها الزّمن الحاضـر. فالحاضر يفرض مداه هو الزّمنيَّ المباشـر$_2$ (IS_2) الّذي يزامن حدث القول (انظر الرّسـم البيانيّ 3. 3 (b)). وبناء على هذا، تعرِض العبارةُ المركّبة ([*is learning* "كـون + يحفظ"]) تلك القطعـةَ فقط، تلَك الّتي تكون عيّنة صالحـة من نوع العمليّة اللاّانقضائيّة ([*be learning* "كان + يحفظ"])، بحكم قابليّة التّقلّص.

وبالنّسـبة إلى الأحداث المحدودة في الزّمن الماضي، لا يكون الشّكل التّدريجـيّ مطلوبـا ([*He learned the poem* «حفظ القصيـدة»]). لا نحتاج إلاّ إلى أن نفرض مدى مباشـرا واسـعا بقدر كاف ليشـتمل على الحدوث بأكمله

(الرّسم البيانيّ 5. 11(a)). ورغم ذلك يمكن الحصول على شكل تدريجيّ ماض: [*learning the poem He was* "كان يحفظ القصيدة"]. فالشّكل التّدريجيّ الماضي، كما يرد رسمه التخطيطيّ في الرّسم البيانيّ 5. 13(b)، يسمح لنا بأن نبثّر من الحدث الشّامل الجزءَ الّذي كان قابلا للملاحظة في لحظة ما سابقة.

هوامش الفصل

[1]– رغم أنّ المناقشة الموالية قائمة على أساس اللّغة الإنجليزيّة، بصفة رئيسيّة، يحتمل أن توجد مظاهر من التّمييز شبيهة في جلّ اللّغات (إن لم تكن كلّها).

[2]– وممّا يتقاطع مع هذا التّصنيف التّمييزُ بين الأسماء المشتركة والأعلام (الفصل 9). فجميع الأمثلة الواردة في (1) أسماء مشتركة. ويمكن للأسماء الأعلام، كذلك، أن تمقْوَل إمّا أسماء معدودة (مثل وولمارت، كونّاكتيكوت، تايغر وودس) أو أسماء كتلة (كوكا كولا، كلوروكس، تايلنول).

[3]– رغم أنّه من الواجب أن نهمل بصفة واسعة الكثير من مظاهر التّفرّد في السّلوك النّحويّ لهذه الأسماء ذات القياسيّة المحدودة، لا يكون وصفها مُشْكِلا إشكالا ذاتيّا في النّحو العرفنيّ الّذي يستوعب الظّواهر العامّة وظواهر التّفرّد في آن واحد (الفصل 8).

[4]– لا يستلزم هذا أنّنا قادرون على تعيين مواقعها. بتخيّل صخرتين، نحن نتخيّلهما منفصلتين فضائيّا (وفي موقعين متمايزين بالاستتباع)، بصرف النّظر عن المكان الّذي يمكن أن تكونا فيه.

[5]– يمكن أن يكون السّؤال معقولا إن جرى تأويل [*board* «اللّوحة»] تأويلا مجازيّا على أنّها تحيل على موعد تسليم منتظر لذلك الشّيء (عن طريق البريد أو غيره).

[6]– إذ كان الزّمن مجال التّحقّق لكلمة [*beep* "تزميرة"]، تكوّن الأصوات المتشابهة المسموعة في أوقات مختلفة تحقّقات مختلفة لهذا النّوع.

[7]– تشغل المنطقة المعروضة بالاسم العلم مدى مباشرا للاسم المشترك (انظر الرّسم البيانيّ 3. 3). فيكون تبعا لذلك معروض هذا الأخير محدودا (مضيّقا) داخل المدى المباشر (منطقة الأصفر) في مجال التّحقّق (فضاء اللّون)– ذاك هو بالتّحديد تعريف الاسم المعدود.

[8]– تُستدعَى هذه الحدود الافتراضيّة لحوسبة حجم الحاوية، وكذلك لتحديد المنطقة الّتي يعتبَر شيء ما [فيـ]ـها.

[9]– قد يكون هذا التّكتّل الفضائيّ المتخيَّل ضروريّا لتصوّرها على أنّها وحدة موحّدة.

[10]– هذا التّحديد الاستعاريّ للمجموعات اللاّنهائيّة مفهوم مؤسِّس للرّياضيّات الحديثة (لايكوف ونونياز 2000). ولا يناقض وصفِي للأسماء باعتماد العمليّات الذّهنيّة وصفا قائما على أساس الاستعارة الفضائيّة.

[11]– يسود التّجانس كذلك في حالة الجمع (مثل الألواح، الحصى، مسلاّت العشب)، ولكن بنسبة أقلّ، إذ يكون الوعي بطبيعتها الجزيئيّة أكبر.

[12]– ينبغي أن تكون العيّنة كبيرة بما يكفي لتحافظ على خصائصها النّوعيّة التّعريفيّة. ربّما عُدَّت رغم ذلك هباءةُ الماء تحقّقا من هذا النّوع ولكنّ ذرّة من الأوكسجين لا تُعدُّ كذلك. وفي حالة الجموع، تكون الحاجة إلى عنصرين على الأقلّ لتحقيق النّوع.

[13]– يجري استعمال مصطلحات أخرى في الغالب، مثل [نشيط] مقابل [سكونيّ]. باعتبار تصنيف آخر مشترَك – إلى أفعال 'إنجاز" وأفعال "إنهاء"، وأفعال "نشاط"، وأفعال "سكونيّة" (فندلار 1967)– تتضمّن فيه الانقضائيّات الأصنافَ الثّلاثة الأولى، في حين توافق اللاّانقضائيّات الأصناف الأربعة الأخيرة.

[14]– لهذه الغاية التّشخيصيّة، ينبغي على المرء أن ينظر، فقط، في الزّمن الحاضر "الصّحيح" الّذي يشير إلى حدوث العمليّة المعروضة في زمن التّكلّم. وتُقصى من ذلك استعمالات "خاصّة" متنوّعة تساهم فيها عوامل مفهوميّة أخرى، مثل استعمالها للأجناس (*A cat chases birds* "القطّ يطارد الطّيور")، والتّعوّديّات ([*She works out every day* "تعمل خارج البيت كلّ يوم"])، والأحداث المقبلة المبرمجة ([*We leave next week* "ننصرف الأسبوع القادم"]).

[15]– قد يشير استعمال التّصريف التّدريجيّ إلى انبناء انقضائيّ ويوحي لذلك بأنّ بلجيكا يمكن أن تلتقط وتنقل إلى موضع آخر. (بطبيعة الحال، يكون ذلك مقبولا تماما عندما يكون العمل على أحجية الصّورة المقطّعة حيث تمثّل كلّ قطعة شعبا من أوروبا).

[16]– رغم أنّ هذه العبارات انقضائيّة من زاوية مفهوميّة (بحكم كونها تعرض أحداثا محدودة)، فهي لا تسمح بالتّصريف التّدريجيّ: [**I'm seeing a flash* "*أنا بصدد رؤية ومضة"]. وطبيعتها النّقطيّة تجعلها غير موافقة دلاليّا للشّكل التّدريجيّ الّذي يعرض وضعيّة راهنة جارية داخل إطار حدث محدود (وتلغي نقطة البداية ونقطة النّهاية فيه).

[17]– قارن هذا بالصّيغة الأقلّ تبسيطا بنسبة قليلة في الرّسم البيانيّ 4. 13 (a)، حيث تُعرَض الأحوال المكوّنيّة الممثّلة بوضوح على أنّها علاقات. ولغاياتنا الرّاهنة لا حاجة إلى وصف البنية الدّاخليّة لكلّ حالة. وقد حذِفت كذلك على امتداد سهم الزّمن المطّة الّتي تشير إلى المسح التّتابعيّ.

[18]– ليس مستوى التّجريد المطلوب لبنائها على أنّها متجانسة أكبر من ذاك الّذي تقتضيه أسماء الكتلة من قبيل [أثاث]، و[تجهيز(ات)]، و[طاقم أكل]، أو الجمعُ [حيوانات] المستعمل في الإحالة على قرد، وفيل، وتمساح (انظر في الفقرة § 5. 1. 4).

[19]– تسلك التّدريجيّات نحويّا سلوك الانقضائيّات: تجري في الزّمن الحاضر ([*A monkey is climbing that tree* "قرد يتسلّق الآن تلك الشّجرة"])، ولا تأخذ في ذاتها تصريف التّدريجيّ ([**A monkey is being climbing that tree* "*قرد كائن يتسلّق تلك الشّجرة"]).

[20]– رغم أنّ التّدريجيّ ككلّ منحصر في الانقضائيّات، تجري [*-ing*] بنفسها مع النّوعين كليهما من الفعل: [*the monkey* ***climbing*** *that tree* "القرد الّذي يتسلّق تلك

الشّجرة الآن"]؛ و[*a monkey* ***resembling*** *my uncle* "قرد يشبه عمّي/ خالي"]. يخدم هذا غاية ما، إذ ينبغي أن ترى عمليّة انقضائيّة أو لاانقضائيّة بشكل شمموليّ عندما تستعمَل لتحوير اسم (§ 4. 3. 3).

[21]– بما أن صرفم الاستقبال [*will* "سـ/ سوف"] غير تصريفيّ (ينتمي عوضا عن ذلك إلى النّظام الوُجهيّ)، يجري عادة تحليل الإنجليزيّة على أنّها لغة ذات زمنين نحويّين فقط. يجري دعم الوصف الوجيز الذّي يقدَّم في هذا السّياق بوجه أكمل في الفصل 9. وحتّى ذلك الموضع، نحن لا نهتمّ إلاّ بالحاضر "الحقيقيّ" المتعلّق بالأشياء الجارية في لحظة التّكلّم (انظر الهامش 14).

[22]– إن ضربة الدّائرة الكاملة في البيسبول لا يمكن أن تلاحظ في ثانية واحدة، إذ وجب أن تقطع الكرة مسافة طويلة ووجب أن يلاحظ المرء كامل طيرانها حتّى يتأكّد من أنّها تخرج من السّياج. وهنا لا يقول المعلّق الرّياضيّ [*He homers to left!* *"هو يرمي بالكرة يسارا خارج الميدان"]، ولكن بدل ذلك يقول شيئا من قبيل: [*He hits a long fly to left...* *(not *It goes!) it's going, going, gone!* "يضرب ضربة طويلة طائرة إلى اليسار....الكرة ذاهبة الآن، ذاهبة الآن، لقد ذهبت! (ولا يقول، *تذهب الكرة (خارج الميدان))].

6. الأبنية: توصيف عامّ

أغلب العبارات الّتي نستعملها عبارات مركّبة من النّاحية الرّمزيّة، وهي قابلة للتّحليل، إلى حدّ ما، إلى عناصر رمزيّة أصغر. والنّحو هو القوالب الجارية لبناء تلك العبارات. ومن ثمّ، يطلق على العبارات والقوالب تسمية أبنية. أنظُر في هذا الفصل وتاليه، في طبيعة الأبنية ثمّ أفحصُ بعد ذلك بعض المظاهر الأساسيّة في وصفها.

1.6 التّجميعات الرّمزيّة

يقيم النّحو العرفنيّ الفرضيّة الأساسيّة الّتي تمثّل محلّ جدل كبير، وهي أنّ النّحو رمزيّ بطبيعته. وعلى وجه أخصّ، يدافع عن كون النّحو والمعجم استرسالا كامنا في تجميعات من الأبنية الرّمزيّة دون غيرها. فالأبنية تجميعات رمزيّة. والهدف من التّحليل النّحويّ هو وصف تلك التّجميعات بتفصيل واضح ودقيق.

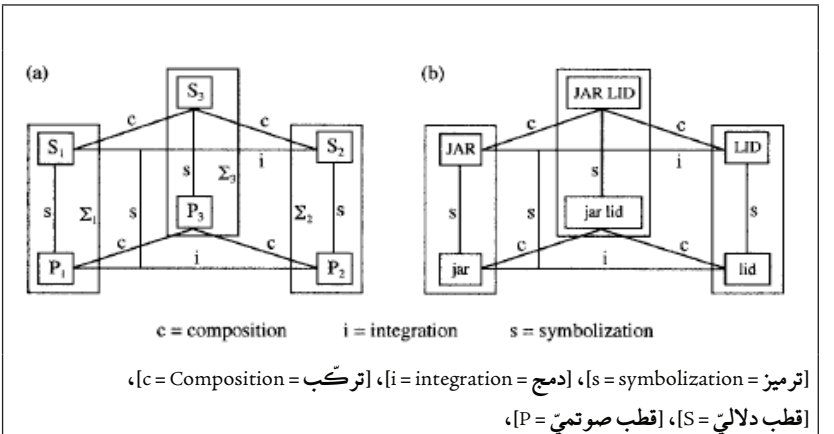
1.1.6 التّركيب والدّمج والتّرميز

تتكوّن بنيةٌ رمزيّة (Σ) من تقارن زوجيٍّ بين بنية دلاليّة (S) وبنية صوتميّة: (P): $_{\Sigma}[[P]/[S]]$. فتكون، على هذا، بنيةٌ ثنائيّة القطب، حيث يكون (S) قطبَها الدّلاليّ و(P) قطبَها الصّوتميّ. وكما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 1. 2، تتوالف الأبنية الرّمزيّة الواحدة منها مع الأخرى لتكوّن أبنية رمزيّة أكثر تبلورا: $[\Sigma_3] = [\Sigma_2] + [\Sigma_1]$. وتكوّن هذه الأبنية الثّلاث تجميعة رمزيّة. وفي مستوى أعلى من التّنضيد، يمكن أن تتوالف $[\Sigma_3]$ نفسها مع بنية رمزيّة أخرى لتكوين بنية أمضى في درجة التّبلور: $[\Sigma_5] = [\Sigma_4] + [\Sigma_3]$. وهكذا دواليك إلى ما لانهاية له. وبهذه الطّريقة، يمكن للعبارات الّتي تظهِر أيّ درجة من درجات التّركّب الرّمزيّ أن يجري تجميعها على التّدريج: الكلمات، والمركّبات، والجمل الفرعيّة، والجمل، وحتّى الخطابات.

وباعتبار مستوى مخصوص من التّنضيد، يمكننا أن نقول إنّ البنيتين المكوّنيّتين $[\Sigma_1]$ و$[\Sigma_2]$ يجري دمجهما لتكوين البنية المركّبة $[\Sigma_3]$.

فالعبارتان المكوّنيّتان [*jar* "إناء"] و[*lid* "غطاء"]، على سبيل المثال، يمكن أن تُدمَجا لتكوين عبارة مركّبة [*jar lid* "غطاء إناء"]. والأبنية الثّلاث جميعها رمزيّة. فيمكن على هذا أن يكون تمثيل البناء كاملا كما يلي، حيث يشير الحرفان التّاجيّ والعاديّ إلى القطبين الدّلاليّ والصّوتميّ تباعا: [[JAR LID]/[jar lid]] = [[JAR]/[jar]] + [[LID]/[lid]] [[**غطاء**]/[غطاء]] + [[**إناء**]/[إناء]] = [[**غطاء إناء**]/[غطاء إناء]].[1] وتمثّل هذه الأبنية والعلاقات بينها تجميعةً رمزيّة.

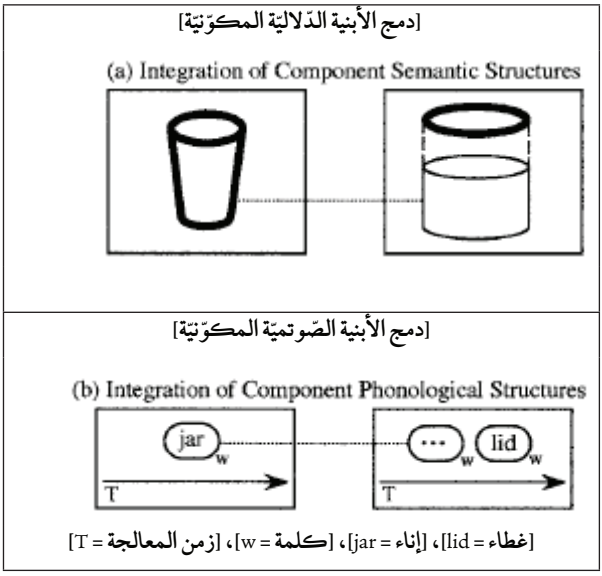
تُعرَض الأبنيةُ والعلاقاتُ الكامنة في بناء بسيط عرضا تجريديّا في الرّسم البيانيّ 6. 1(a). تتكوّن كلّ واحدة من الأبنية الرّمزيّة المكوّنيّة [Σ_1] و[Σ_2]، وكذلك البنية المركّبة [Σ_3]، من بنية دلاليّة وبنية صوتميّة تترابطان بعلاقة ترميز (s). وعند كلّ قطب، تشارك البنيتان المكوّنيّتان في علاقتي الدّمج (i) بينهما، وفي علاقتي التّركيب (c) إزاء البنية المركّبة. وبالإضافة إلى ذلك، يرمز دمجُ (P_1) و(P_2) إلى دمج (S_1) و(S_2). تُعرَض نفس الأبنية والعلاقات في الرّسم التّخطيطيّ (b) الّذي يتعلّق بحالة ([*jar lid* "غطاء إناء"]) المخصوصة. وبطبيعة الحال، ما يزال هذا التّمثيل على درجة عالية من التّجريد. فالتّحليل الجادّ لهذه البنية أو لأيّ بنية أخرى يقتضي أن توصَف كلّ بنية وكلّ علاقة وصفا مفصّلا ظاهرا.



الرّسم البيانيّ 6. 1

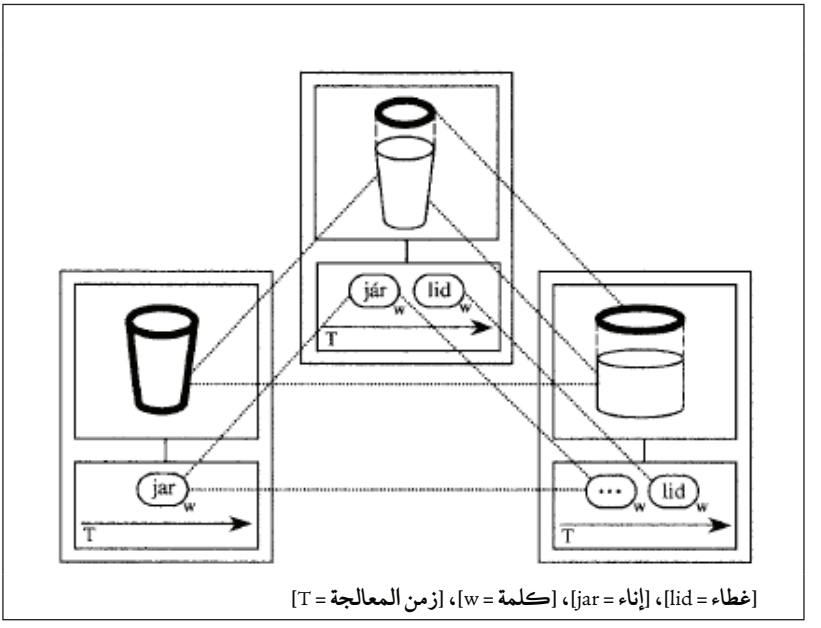
انظر، أوّلا، في البنيتين المكوّنتين [JAR] و[LID]. يشمل الوصف التّامّ لكلّ من المكوّنين عمليّات تخصيص دلاليّة في عدد غفير من المجالات العرفنيّة

مرتّبةً حسب مركزيّتها (تذكّر النّقاش في شأن [*glass* "كوب"] في الفقرة § 2. 2. 2). ينبغي علينا، حينئذ، ضمانا للمظهر العمليّ، أن نقصر عنايتنا على ما يكون من تلك المعاني المركّبة من وجوه تؤدّي دورا ما في البناء المدروس؛ وحتّى هنا، يصعب أن نتجنّب الإفراط في التّبسيط. وفي حالة [JAR]، تتضمّن عمليّات التّخصيص المفيدة على حقيقة كون هذه الكلمة تعرض شيئا، يتحدّد في مستوى أدقّ بكونه حاوية مادّيّة مفتوحة من فوق. والتّمثيل المصوَّر الوارد إلى اليسار من الرّسم البيانيّ 6. 2 (a)، مجرّد اختصار تبسيطيّ يذكّر بتينك الخصيصتين وبسائر الخصائص - نحن لا ندّعي أنّ معنى [*jar* "إناء"] صورة. وكذلك الرّسم التّخطيطيّ الوارد إلى اليمين في الرّسم البيانيّ 6. 2 (a)، يختصر الخصائص المفيدة في [LID "غطاء"]. فهي تعرض كذلك شيئا يتحدّد في مستوى أدقّ بكونه ستارا يُجعَل على فتحة في الجانب العلويّ من حاوية ما. ولا تخصّص [LID] في ذاتها أيَّ نوع من الآنية (انظر في [*pot lid* "غطاء أصيص"]، [*box lid* "غطاء علبة"]، [*coffin lid* "غطاء تابوت"]) وتستحضرها بطريقة خطاطيّة تبعا لذلك. ويعرض الخطّ المنقّط في 6. 2 (a) الكيفيّة الّتي يجري بها دمج [JAR] و[LID]. ويشير إلى أنّ الحاوية الّتي تعرضها [JAR] تناسب الحاويةَ الخطاطيّةَ الّتي تستحضرها [LID]: أي أنّ ذينك المكوّنين تمثيلان لنفس الوحدة المتصوّرة. فتتراكب العناصر المتناسبة وتدمج خصائصهما خلال تكوين التّصوّر المركّب.



الرّسم البيانيّ 6. 2

وقياسا على ذلك يعرِض الرّسم البيانيّ 6. 2 (b) دمج البنيتين الصّوتميّتين [jar] و[lid]. والتّمثيلات هنا، على غاية من الاختصار كذلك. فبدلا من الأوصاف الصّوتميّة الشّاملة (انظر لانقاكر 1987: § 9. 1)، تكون الإشارة إلى مجرّد كون [jar] و[lid] كلمتين (wك)، ترد كلّ واحدة منهما في نقطة معيّنة من دفق الكلام. والسّهم الّذي يحمل علامة (T) هو زمن المعالجة - وبوجه خاصّ، زمن القول. ويتمثّل مظهر من توصيف كلمة ما في ما يكون للكلمات الأخرى من إمكانِ السّبق أو اللّحاق عليها على امتداد هذا المحور. يوفّر ذلك أساسا للدّمجِ الصّوتميّ. وفي 6. 2 (b)، يحدّد خطّ التّناسب كلمة [jar] بالكلمة الواردة قبل [lid] مباشرة في التّسلسل الزّمنيّ.[2] فيُنتِج تبعا لذلك اندماجُ العنصرين المتناسبين سلسلةَ الكلمات [*jar lid*] في مستوى البنية المركّبة.



الرّسم البيانيّ 6. 3

يكون التّركّب، إلى حدّ كبير، مسألة توليف بين الأبنية المكوّنيّة وفقا للتّناسبات القائمة بين عناصرها في القطبين الدّلاليّ والصّوتميّ. والعناصر المتناسبة في الأبنية المكوّنيّة تناسِب نفس العنصر في مستوى البنية المركّبة. وبهذه الطّريقة، تؤدّي الأبنية والتّناسبات المعروضة في الرّسم البيانيّ 6. 2، إلى التّشكّل الوارد في 6. 3، من حيث يمثّل البناءَ ككلٍّ. فالبنية الدّلاليّة

المركّبة تعرض الغطاء لحاوية لم تتحدّد خطاطيًا فقط، بل تحدّدت على أنّها إنـاء مخصوص. والبنيـة الصّوتميّة المركّبة هي سلسـلة الكلمتين [*jar lid*]، حيث تكون أولاهما حاملة للنّبـرة: [*jár lid*]. وتقيم هاتان البنيتان علاقةَ ترميز بيـن الواحدة منهما والأخرى، وعلاقةَ تركيب إزاء الأبنية المكوّنيّة الخاصّة بكلّ واحدة منهما.

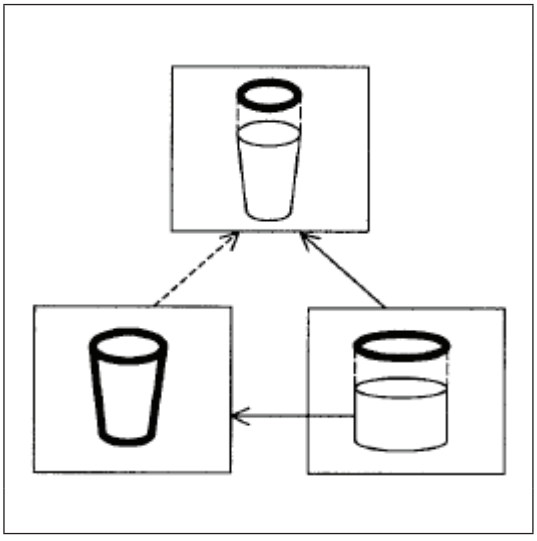
6. 1. 2 التّركيب مَقْوَلَةً

تتمثّـل نقطـة جوهريّة في أنّ البنية المركّبة ليسـت مجـرّد مجموع الأبنية المكوّنـة الّتي تتركّب منهـا، في كلّ من القطبين. فالبنيـة المركّبة وحدة قائمـة بذاتها، تكون في العادة ذات خصائص منبثقة لا موروثة أو قابلة للتّوقّع على نحو صارم من المكوّنات ومن التّناسبات القائمة بينها. ولا يمكن للمرء، انطلاقـا من الرّسـم البيانيّ 6. 2 (a) بمفرده، أن يتوقّـع أنّ العبارة المركّبة [*jar lid*] تعرض الغطاء بدل الوعاء. وعلى نحو مماثل، لا يمكن للمرء، انطلاقا من الرّسم البيانيّ 6. 2 (b)، أن يتوقّع أنّ النّبرة تقع على الكلمة الأولى من المركّب عوض الكلمة الثّانيـة. فتلك خصائص العبارة من حيث هي كلّ، تنبثق في مسـتوى البنية المركّبة فقـط. وفي العموم، يجب أن تُعتَبَـر الأبنية المكوّنيّة مـواردَ - من جملـة موارد أخرى- تُعتَمَد للوصول إلـى العبارة المركّبة. وفي حين تبرِّر تلك الأبنية البنيةَ المركّبةَ بدرجات متنوّعة وقد تُوفِّر القسم الأعظم من محتواها، لا ينبغي أن تُتصوَّرَ على أنّها قوالب بناء تحتاج فقط إلى أن تكوَّم معـا لتكوين الـكلِّ المركّب. وكما عُرض في الفقـرة § 2. 1. 3، تكون العلاقة بينها علاقةً تركّبيّة جزئيّة (بدل أن تكون تامّة).

وبمـا أنّ البنيـة المركّبة وحـدة متميّزة بذاتهـا، غير قابلـة للاختزال إلى مكوّناتهـا، فهي تكوّن معا تجميعة من الأبنيـة الرّمزيّة. هي تكوّن تجميعة (خلافـا لكونها منفصلا بعضها عن بعض وغير مترابطة)، على وجه التّحديد، بحكم كونها مترابطة بالتّناسـبات. تمثّل "التّناسـباتُ" الأفقيّة علاقة الدّمج الّتي تربط بين الأبنية المكوّنيّة. وتمثّل التّناسبات "العموديّة" علاقةَ التّركيب، تلك الّتي تربـط الأبنية المكوّنيّة بالبنية المركّبـة. ويُرَمِّز الدّمجُ الصّوتميّ الدّمجَ المفهوميّ، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 6. 1. وفي حالة [*jar lid*]، يرمُز ورود [*jar*] مباشـرة قبل كلمة [*lid*] في التّسلسـل الزّمنيّ، إلى أنّ الحاوية الّتي تسـتحضرها كلمة [*lid*] هي بالتّحديد تلك الّتي تعرضها [*jar*]. ورغم سهولة التّسليم بهذه العلاقة المُرمِّزة بين الدّمج الدّلاليّ والدّمج الصّوتميّ، فإنّها تمثّل

مظهرا حاسما في المعنى البنائيّ. وتضمن أن يكون الدّمج في القطبين منسّقا، فهي مسؤولة، تبعا لذلك، عن الرّبط الدّلاليّ بين [S_3] و[P_3] في مستوى البنية المركّبة. ودون هذه العلاقة، لا شيء يضمن أن يكون في جملة مثل [*They found a jar lid under the coffin* "(هم) عثروا على غطاء إناء تحت التّابوت"]، تأويلُ [*lid* "غطاء"] على أنّه تابع للإناء بدل التّابوت.

فالأبنية في تجميعة رمزيّة ما لا تترابط بالتّناسبات فقط، بل تترابط كذلك بعلاقات المَقْوَلة (§ 1. 3. 1). فعند القطب الدّلاليّ من [*jar lid*]، مثلا، تظهر البنيتان المكوّنيّةُ والمركَّبةُ علاقاتِ المقولَة المعروضة في الرّسم البيانيّ 6. 4. أوّلا، تكون [LID] خطاطيّةً إزاء [JAR LID]، كما يشار إلى ذلك بسهم مسترسل: في حين يكون كلاهما متّسقا من حيث التّخصيصات، يكون الأخير أكثر تخصيصا. تقوم هذه العلاقة العموديّة المبلورة بفضل علاقة أفقيّة تُوفِّر، بمقتضاها، [JAR] وصفا أكثر تفصيلا للجزيئات في الحاوية الخطاطيّة الّتي تستحضرها [LID]. وأخيرا، يشير سهم منقّط إلى أنّ [JAR LID]، مأخوذةً من حيث هي كلّ، تمثِّل توسيعا دلاليّا إزاء [JAR]: يعني ذلك، أنّهما غير متّسقتين من حيث تخصيصاتهما. ويكمن التّنافر في عمليّة العرض الّتي تؤدّيانها. فرغم أنّ [JAR] تعرض الحاوية، ترث البنيةُ المركّبةُ معروضَها من [LID]، فتدلّ، بهذا الوجه، [JAR LID] على الغطاء.



الرّسم البيانيّ 6. 4

في علاقة مقْوَلة ما، تظلّ البنية المُمقولة في الخلفيّة. وما يحتلّ الأماميّة - من حيث كان البنية الّتي تمثّل محطّ العَناية- هو هدف المقْوَلة (أي البنية الّتي تجري مقْوَلتها). ويمكن أن نلاحِظ عدمَ التّناظر هذا في التّجميعات الرّمزيّة الّتي يجري فيها تأميم بنية مركّبة مقارنةً بمكوّناتها (الرّسم البيانيّ 3. 1). والبنية المركّبة هي ما نُعنَى به بصفة أوّليّة ونجريه في عمليّة التّركيب من درجة أكبر في مستويات عليا من التّنضيد. ولا تُستحضَر الأبنيةُ المكوّنيّة لذاتها وفي ذاتها بل تُستحضَر من حيث هي «حجارة عبور» لبلوغ التّصوّر المركّب. وزيادة على ذلك، لا تستقصي البنيةُ الممَقولةُ، في العادة، هدفَها في شموله بل تُوفِّر مجرّد طريقة في إدراكه.[3] ونجد في هذا أساسا عامّا يدعم الفكرة القائلة بأنّ البنية المركّبة أكبرُ من مجرّد مجموع مكوّناتها. ولئن كانت الاستعارة الكامنة في مصطلحات مثل «بناء» و«تركيب» نموذجيّة وممّا لا مهرب منه، ينبغي أن لا نمضي بها إلى حدّ بعيد جدّا. ورغم أنّ الأبنية المكوّنيّة تصلح لاستحضار بنية مركّبة وتوفّر طريقة في إدراكها، وجب أن لا تُتصوّر هذه البنية المركّبة- بأيّ معنى ضيّق أو حرفيّ- على أنّها مبنيّة بتلك الأبنية المكوّنيّة. فحجارة العبور مختلفة عن قوالب البناء.

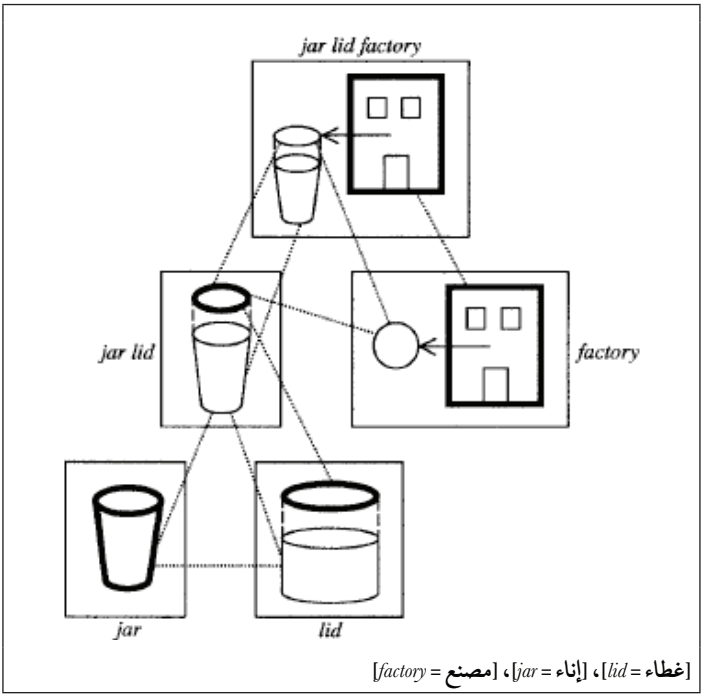
يمثّل إمكان الغلَط بسبب الاستعارة في كلمة «بناء» واحدا من مبرّرات الحديث عن أنّ الأبنية المكوّنيّة والأبنية المركّبة تكوّن «تجميعة» رمزيّة. فالبنية المركّبة، داخل تجميعة ما، تحُلّ في الأماميّة بحكم كونها هدفا للمقْولَة.[4] وإلى هذا الحدّ، لم ننظر، بطبيعة الحال، إلاّ في التّجميعات الرّمزيّة الّتي تمثّل مستوى مفردا من التّركّب. ولكن يمكن للتّجميعات أن تكون من أيّ حجم ممثِّلة بذلك مستويات عديدة من التّنضيد النّحويّ. ففي تجميعة مركّبة، يكون من المتواتر بالنّسبة إلى بنية مركّبة واردة في مستوى ما من التّنضيد، أن تشتغل بنيةً مكوّنيّةً إزاء مستوى آخر أعلى في مستويات التّنضيد. وإذا كانت الأبنية المكوّنيّة حجارةَ عبور لبلوغ البنية المركّبة، يمكن لهذه البنية أن تكون بدورها حجر عبور لبلوغ بنية مركّبة أخرى، وهكذا دواليك إلى ما لانهاية له. وبناء على هذا، تُحدِّد الأبنيةُ الواردة في تجميعة رمزيّة مركّبة مسلكا تركّبيّا يمكن أن يبلغ طوله أيّ حدّ (§ 3. 2. 2).

ومن نماذج التّجميعة الّتي يكون لها مستويان فقط من التّركّب النّحويّ، مركّب [*jar lid factory* "مصنع غطاء الإناء" (مصنع أغطية الأواني)]. وعند

المستوى الأوّل ("الأدنى") من التّنضيد، تُدمَج البنيتان المكوّنيّتان [*jar*] و[*lid*] لتكوين البنية المركّبة [*jar lid*]. وفي المستوى الأعلى، تشتغل [*jar lid*] بنيةً مكوّنيّةً، متوالفة مع [*factory*] لتكوين العبارة الكاملة. ويمكن أن يتواصل الأمر - مثلا، بزيادة [*supervisor* "مراقب/ ناظر"] لاشتقاق عبارة أكثر تركّبا هي [*jar lid factory supervisor* "مراقب مصنع أغطية الأواني"]. ويمكن لهذه البنية بدورها أن تتوالف مع العبارة المركّبة [*training school* "مدرسة (الـ)تكوين"]، منتجةً بنية أمضى في التّركّب هي [*jar lid factory supervisor training school* "مدرسة تكوين مراقب مصنع أغطية الأواني"]. وهكذا دواليك.

لنقصر انتباهنا على [*jar lid factory*]، لإبقاء الأشياء يسيرة في المعالجة. يُرسَم قطبها الدّلاليّ باقتضاب في الرّسم البيانيّ 6. 5، حيث لا يُعرَض منه إلاّ التّناسبات (لا العلاقات الممقولة).[5] وتكون تجميعة [*jar lid*] بالضّبط كما توصَف في الرّسم البيانيّ 6. 3. وتكون بنيتُها المركّبة واحدةً من بنيتين مكوّنيّتين واردتين في المستوى الأعلى من التّنضيد. والمكوّن الآخر، [*factory*]، يعرض بناية أو منشأة تُستخدَم لتصنيع منتوج ما، يجري تمثيله بدائرة. ويمثّل إنجازُ الدّمج بين [*jar lid*] و[*factory*]، إقامةَ تناسب بين معروض الكلمة الأولى والمنتوج الخطاطيّ الّذي تستحضره الثّانية: فـ[*jar lid factory* "مصنع أغطية الأواني"] هو منشأة تصنع أغطية الأواني. والنّتيجة هي البنية المعروضة إلى أعلى الرّسم البيانيّ، وهي البنية المركّبة للعبارة ككلّ. فما تعرضه هي المنشأة، بما أنّ [*jar lid factory*] نوع من المصانع (لا نوع من أغطية الأواني).

تكوّن الأبنية الخمس المشار إليها في الرّسم البيانيّ 6. 5 تجميعة رمزيّة ذات تركّب متواضع. وفي هذه التّجميعة، تصلح الأبنية المكوّنيّة حجارةَ عبور لبلوغ الأبنية المركّبة على مستويين من التّنضيد متتابعين. ويشتمل الهدف الأخير، وهو معروض إلى أعلى الرّسم البيانيّ، على شكل العبارة التّامّة ومعناها المركّبين. ويظهر ذانك في الأماميّة. وتحدِّد الأبنية الأخرى، عند كلّ من القطبين، مسلكَ تَركُّب يقود إلى الهدف الأخير. ورغم أنّ هذا المسلك حالّ في الخلفيّة، فهو غير ذي أهمّيّة. والمسلك المُتّبَع لبلوغ البنية المركّبة النّهائيّة مظهر ثانويّ، لكنّه مهمّ، من شكل العبارة ومن معناها.



الرّسم البيانيّ 6. 5

6. 2 الخطاطات البنائيّة

يمكن للتّجميعات الرّمزيّة أن تكون مخصوصة أو خطاطيّة. وتُكوِّن التّجميعات المخصوصة العباراتِ اللّغويّةَ (مثل الكلمات والمركّبات الجزئيّة والمركّبات الجُمَليّة والجمل). وفي النّحو العرفنيّ، يطلَق على التّجميعات الأكثر خطاطيّة الخطاطات البنائيّة. توفّر هذه الخطاطات أسس التّركّب الدّلاليّ والنّحويّ.

6. 2. 1 دور الخطاطات البنائيّة في التّركّبيّة

تُعتبَر عبارة ما تركّبيّةً إذا كانت بنيتها المركّبة مشتقّة من أبنيتها المكوّنيّة بطريقة منتظمة قابلة للتّوقّع. فالتّركّبيّة سمة جوهريّة في اللّغة، تجعلنا قادرين على إنشاء رصيد لا نهاية له من العبارات الجديدة وعلى فهمه. وعلى هذا، وجب أن نكون واضحين في شأن طبيعتها وكذلك في شأن مظاهر محدوديّتها.

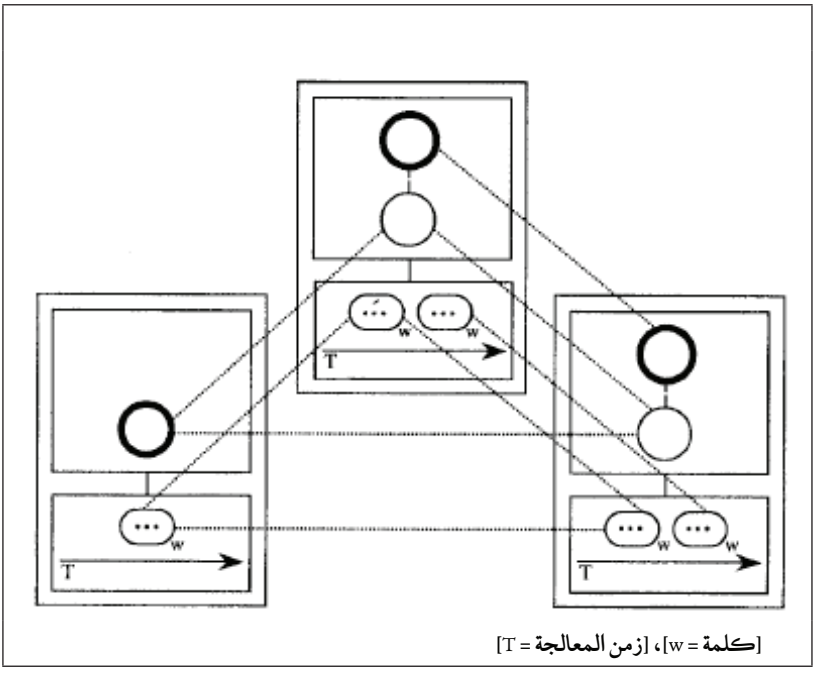
وقد تُحدِّد أبسطُ فرضيّة معنى عبارة مركّبة بمجرّد كونه مجموعةَ المعاني المكوّنة له. فيكون التّركّب، على هذا، مسألة رؤية للمعاني المكوّنيّة

رؤيــة جماعيّة. وفي هذا التّفسـير، يكون المعنى المركّب فـي [*jar lid factory* "مصنع أغطية الأواني"] مجموعة غير مرتّبة العناصر {[FACTORY "مصنع"]، [LID "غطاء"]، [JAR "آنية"]}. ولكن يبين بصفة فوريّة، أنّ هناك أمورا أخرى ناشئة عن التّركّب بدل مجرّد الجمع الحسابيّ. أو تكون، في خلاف ذلك، العبارات المتمايزة ذاتُ المكوّنات نفسـها، متكافئـةً دلاليّا دائما. ولكنّها ليسـت كذلك. فلا يمكننا، على سبيل المثال، أن نتجاهل الفروق الدّلاليّة بين [*jar lid factory* "مصنع غطاء إناء"] (مصنع لصناعة أغطية الأواني)، و[*lid factory jar*] (إناء مسـتعمَل في مصنع أغطيـة الأوانـي)، و[*jar factory lid*] (غطاء لمصنع الأواني الّذي لا سقف له). فالمعنى المركّب لعبارة ما ليس مجرّد كومة من االمعانـي بل هو بنية مدمَجة تترابط فيهـا العناصر بطرق مخصوصة جدّا. هذه العلاقات البنيويّة تكشـفها التّناسبات، وعمليّات المقْوَلَة، وعمليّة العرض في القطـب الدّلاليّ من التّجميعات الرّمزيّة، كما يظهر في شـأن [*jar lid factory*]، في الرّسـم البيانـيّ 6. 5. وعندما يجري تنضيد العناصر المكوّنيّة نفسـها في تشكّلات أخرى تنشأ عنها معان أخرى.[6]

فما هو الشّـيء الّذي يقودنا خلال تأليف التّجميعات الواحدة مع الأخرى؟ وكيف نعرف أيَّ العناصر مناسب، أو ما هو الشّيء الّذي يُعرَض ضمن حدود التّصوّر المركّب؟ وما هو الشّـيء الّـذي يخبرنا بأن التّجميعة الدّلاليّة الواردة في الرّسـم البيانيّ 6. 5 ليسـت ممكنة فقط، بل إنّها تمثّل كذلك السّلسـلةَ الصّوتميّة [*jar lid factory*] (مقابل [*lid factory jar*] أو [*jar factory lid*])؟ نحن نعرف هذه الأشـياء بحكم معرفتنـا بالنّحو في لغتنا. فالنّحو يتمثّـل في قوالب قائمة على أساس المواضعة تحكم تأليف التّجميعات الرّمزيّة معا. وكما رأينا في النّحو العرفنيّ، تكون هذه القوالب في ذاتها تجميعات رمزيّة تشبه على وجه التّحديد العباراتِ المركّبةَ الّتي توصِّفها، ما عدا شيئا وحيدا يتمثّل في كونها خطاطيّة بـدل أن تكون مخصوصة. وإذ كانـت تلك القوالب أبنية وخطاطيّة في آن، سُمّيت بصفة طبيعيّة، الخطاطات البنائيّة. وتُكتَسَب هذه الخطاطات من خلال عمليّة التّجريد الخطاطيّ، بأن تُجرَّد من العبارات الجارية في الاسـتعمال على أنّها تمثيلات هيكليّة للسّـمات التّنظيميّة المشـتركة. وما إن تُتعلَّم الخطاطة حتّى تشتغل نمطا يوجّه التّعاملَ مع العبارات الجديدة ذات القالب نفسه.

تشكّل الأمثلة المدروسة إلى حدّ الآن تحقّقا لقالب في التّركيب أساسيّ فـي اللّغة الإنجليزيّة. تُعرَض الخطاطـة البنائيّة الّتي تصف هذا القالب، عرضا

مختزلا في الرّسم البيانيّ 6. 6. وبصرف النّظر عن الخطاطيّة الأكبر في العناصر الدّلاليّة والصّوتميّة، يكون هذا الرّسم التّخطيطيّ بالضّبط نفس الرّسم الوارد في الرّسم البيانيّ 6. 3. وعند القطب الصّوتميّ، يحيل هذا الرّسم ببساطة على الكلمات (لا على [*jar*] و[*lid*] بالخصوص). ومن ناحية دلاليّة، تكون الأبنية المكوّنيّة والمركّبة خطاطيّة على التّساوي: هي تعرض الأشياء، ليس غير (وذاك ما يجعل منها أسماء). ويتمثّل التّخصيص الإضافيّ الوحيد- العامّ بما يكفي ليكون فارغا تقريبا- في أنّ الشّيء الّذي يعرضه المكوّن الثّاني يرتبط، بوجه ما، بشيء آخر من أيّ نوع كان. ويحدِّد تناسب ما، هذه الوحدةَ المرتبطةَ بالوحدة الّتي يعرضها المكوّن الأوّل.



الرّسم البيانيّ 6. 6

تَقُود هذه الخطاطةُ البنائيّة تكوينَ المركّبات الجديدة وتأويلَها، بحكم كونها تُتعلَّم بالتّعرّض لعدد من المركّبات من هذا القبيل لا حصر لها ([*toothbrush* "فرشاة أسنان"]، [*alarm clock* "ساعة تنبيه/ منبّه"]، [*pear tree* "شجرة كمثرى"]، [*peanut butter* "زبدة الفول السّودانيّ"]، [*tablespoon* "ملعقة طاولة (ملعقة أكل)"]، [*baby sitter* "حاضنة (الرّضّع)"]، [*belly button* "زرّ البطن" (سرّة)]، [*can opener* "فاتح علبة" (مفتاح العلبة المعدنيّة)]، [*cowboy* "راعي

بقر"]، [*fingernail* "ظفر أصبع اليد"]، [*pie crust* "قشـرة فطيرة"]، [*ski–plane* "طائرة مزلاج" (طائرة ذات مزلاج)"]، [*birthday party* "حفل يوم ميلاد" (عيد الميلاد)]، [*football* "كرة قدم"]، إلخ).[7] وكنّا لاحظنا في ما سبق أنّ بعض السّمات من هـذه العبارات المركّبة لا تتجلّى فقط من الأبنية المكوّنيّة ومن التّناسـبات الّتـي تربط بينها: لا يسـتطيع المرء أن يعرف انطلاقا مـن[*jar*] و[*lid*] بمفردهما أنّ العبـارة المركّبة، في كلّيتها، تعـرض الغطاء بدل الوعاء، أو أنّ الكلمة الأولـى تحمل النّبرة الرّئيسـيّة: [*jár lid*]. ولكنّ هذه السّـمات مطّردة كثيرا. وبـدلَ أن تكـون من المظاهر الّتي تتفـرّد بها هذه العبـارة الواحدة، إنّما هي مميّزة لقالب التّركّب العامّ. فالقالب في ذاته يحدِّد أنّ المكوّن الأوّل يحمل النّبـرة ([*péar tree*] ،[*alárm clock*] ،[*tóothbrush*]، إلـخ)، وأنّ المكوّن الثّاني يحدّد عمليّـة العرض (فيكون على هذا [*toothbrush*] نوعا من الفرشـاة، و[*alarm clock*] نوعا من السّاعات، إلخ.). وعلى هذا، تندمج تلك التّخصيصات في الخطاطة البنائيّة الّتي تحقّقها العبارات جميعها.

هـل يمكننا القول، بناء على هـذا، إنّ [*jar lid*] عبارة تركّبيّة؟ هل يكون شـكلها ومعناها المركّبان قابلين للتّوقّع من المكوّنين [*jar*] و[*lid*]؟ يرتبط ذلك بما يُفترَض كونُه متوفّرا على أنّه أساس للتّوقّع. وبما أنّ التّركّب أكثرُ مـن مجرّد الجمع الحسـابيّ، تكون الأبنية المكوّنيّـة بمفردها غير كافية. فينبغي أن يتضمّن أساسُ التّوقّع كذلك قالبا تركّبيّا تواضعيّا راسخا. وعلى هذا وجب أن تصاغ مسألة التّركّبيّة بناء على كون البنية المركّبة مشتقّةً من الأبنيـة المكوّنيّة بالطّريقة الّتي تحدّدها خطاطـة بنائيّةٌ أو لا. وبهذا التّعريف، تقارِب [*jar lid*] درجةَ التّركّبيّة التّامّة.[8] والمفترَض في النّحو العرفنيّ، بطبيعة الحـال، أنّ التّركّبيّة مسـألة درجـات. وإن اقتربـت [*jar lid*] و[*tabletop* "أعلى الطّاولة" (طاولة)] من أن تكونا تركّبيّتين بصفة تامّة، لا يمكن للشّيء نفسه أن يقـال عـن [*laptop*] الّتي يرتبط معناها المتوقَّع (وهـو تقريبا 'أعلى الحضن') ارتباطـا مجازيّا فقط بمعناها الحقيقيّ ('حاسـوب محمـول'). وعلى النّقيض يمكن أن لا يوجد البتّة أيُّ ترابط بين المعاني المكوّنيّة والمعنى المركّب. فمعنـى [*under* "تحت"] ومعنى [*stand* "وقف"]، مثلا، لا يؤدّيان البتّة دورا ظاهرا فـي المعنى المركّـب لـكلمة [*understand* "فهـم"]. ورغم كون هذا الفعل مركّبا من النّاحية الصرفيّة، فهو غير قابل للتّحليل دلاليّا (§ 3. 2. 2).

تنشأ مظاهر التّناقض بين معنى العبارة المتوقَّع ومعناها الحقيقيّ لأنّ الأبنية المكوّنيّة والخطاطة البنائيّة لا تمثّلان الموارد الوحيدة المتوفّرة في إنشائها أو في فهمها. فمن المتوفّر، كذلك، المعرفة العامّة، وإدراك السّياق، والقدرات التّخييليّة مثل الاستعارة والمجاز والتّخيّليّة والمزج. ويمكن أن يمتدّ أثرها من أبسط درجة تتمثّل في مجرّد تكميل لما به تساهم الأبنية المكوّنيّة، إلى تعديلات أعمق مثل التّحوّل المجازيّ (§ 3. 3. 1)، حتّى تبلغ الحالات الّتي يختلف فيها التّصوّر المركّب اختلافا كبيرا عن التّصوّر الكائن في أيّ من المكوّنات. ونتيجة لذلك لا تكون أغلب العبارات تركّبيّة إلاّ بصفة جزئيّة، حيث يشذّ معناها الحقيقيُّ في مظهر ما، عن أيّ شيء يقبَل الاشتقاق بالأدوات التّركّبيّة الصِّرف. ورغم ذلك، يكون بصورة طبيعيّة للمعنى التّركّبيّ نصيب أكبر في تحديد القيمة الدّلاليّة الحقيقيّة، ويمكن في الغالب لغايات كثيرة إهمالُ التّناقضات. وعلى هذا، وجب أن يكون التّركّب والقوالب التّركّبيّة، رغم مظاهر المحدوديّة، محطّ العناية المركزيّة في البحث اللّسانيّ. ولذلك، اهتممنا بمظاهر المعنى التّركّبيّة، بصفة رئيسيّة في هذا الفصل وفي الفصل الموالي له.

يقيم اللّسانيّون في العموم، وفقا للرّؤية المعياريّة القائلة بأنّ الإعراب مستقلّ بذاته (§ 1. 2. 1)، تمييزا واضحا بين قوالب التّركّب النّحويّ ("قواعد النّحو")، وقوالب التّركّب الدّلاليّ ("قواعد التّأويل الدّلاليّ"). ويرى النّحو العرفنيّ، من ناحية أخرى، أنّ النّحو رمزيّ بطبيعته وذو دلالة بالاستتباع. فهو، بذلك، يقترح تنظيما مختلفا اختلافا جوهريّا، يتكوّن فيه النّحو (جنبا إلى جنب مع المعجم) من التّجميعات الرّمزيّة ليس غير. ووفق هذا التّفسير، توصَّف قوالبُ التّركّب النّحويّ بالتّجميعات الخطاطيّة، أي بالخطاطات البنائيّة (مثل تلك الواردة في الرّسم البيانيّ 6. 6). وتكون قوالب التّركّب الدّلاليّ، ببساطة، الأقطاب الدّلاليّة في هذه التّجميعات. فليست، بناء على ذلك، متميّزة من النّحو بل هي وجه منه كامن فيه وضروريّ.

6. 2. 2 مقْوَلة العبارات

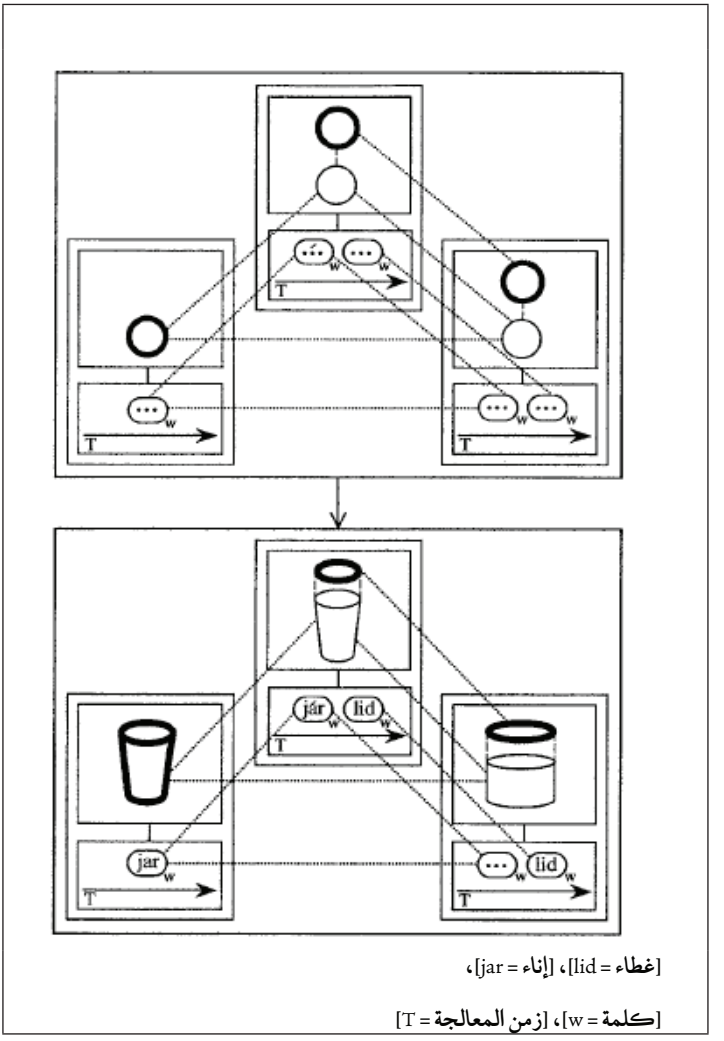
تقيم خطاطة بنائيّة تُستدعى لإنتاج عبارة ما أو لفهمها علاقةَ مقوَلة مع تلك العبارة. وإذا ما طابقت هذه العبارة خصائصَ الخطاطة مطابقة تامّة لكي تحقّق تلك الخطاطةَ بوجه تامّ، تكون العلاقة علاقةَ بلورة: [EXPRESSION] → [SCHEMA] "[خطاطة] ← [عبارة]". وإذا

كان بعض الخِلاف في خصائصهما، تكون العلاقة علاقة توسيع: [EXPRESSION] ›-- [SCHEMA] "[خطاطة] --› [عبارة]». وفي الحالتين، تمثِّل المقْوَلَة تأويلَ العبارة في ضوء المواضعة اللّغويّة القائمة، كما هي متجسّدة في الخطاطة. وتمثّل علاقة البلورة حكما على درجة التّواضعيّة (يسمّى غالبا «النّحويّة»). ولئن كانت العبارة الّتي تخالف خطاطة ما، غير تواضعيّة («لا نحويّة») في حدود ذلك الأمر، فإنّ ذلك لا يحتاج إلى أن يكون عيبا. فلَذَّة التّجديد وضغط الاستعمال الفعليّ للّغة قويّان إلى حدٍّ يجعلنا نوسّع دائما من رصيد المواضعة القائمة. فيكون على هذا، الخروجُ إلى حدّ ما عن المواضعة معتادا ومقبولا بشكل بديهيّ.

على سبيل التّوضيح، توافق عبارة [*jar lid*] قالب التّركّب، ونتيجةً لذلك، تبلور الخطاطةَ البنائيّة الّتي تصفها. تُعرَض هذه العلاقة الممقولة، متضمّنةً لكلّ التّجميعات الواردة في الرّسمين البيانيّين 6. 3 و6. 6، في الرّسم البيانيّ 6. 7. وبطبيعة الحال، يمثّل هذا التّشكّل الشّامل بذاته نوعا من التّجميعة الرّمزيّة متّصلا ببعد مختلف من التّنظيم اللّغويّ. ومن زاوية داخليّة، تصف كلّ من التّجميعات الخطاطيّة (الخطاطات البنائيّة) والتّجميعات المخصوصة (العبارات)، التّوليفَ بين الأبنية الرّمزيّة البسطى لتكوين بنية رمزيّة أمضى في التّركّب. وهذه العلاقات - أي الدّاخليّة في الأبنية- يشار إليها تقليديّا بالعلاقة النّسقيّة. يجري هذا المصطلح مقابل العلاقة الجدوليّة، الّتي تتعلّق بعلاقات المقْوَلة. والعلاقات الجدوليّة تقوم بين الخطاطات وتحقّقاتها المختلفة، فهي لذلك خارجيّة في الأبنية.[9]

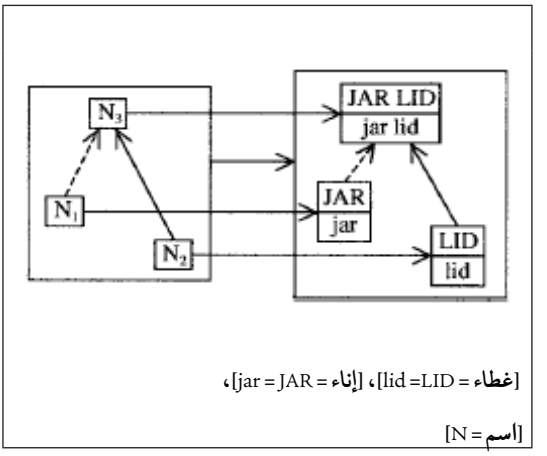
ورغم أنّ جميع التّفاصيل الواردة في الرّسم البيانيّ 6. 7 مهمّة من ناحية وصفيّة، يمكننا في الغالب أن نتدبّر أمرها بتمثيلات ذات درجة أقلّ تعقيدا. ففي واحدة من الصّيغ المختصَرة، ترسَم التّجميعة نفسها باختزال في الرّسم البيانيّ 6. 8. وتكون الإشارة إلى مكوّنات الخطاطة البنائيّة وإلى الأبنية المركّبة بعلامات [N_1]، و[N_2]، و[N_3] (بما أنّ كلّ واحدة منها تعرض شيئا، فهي لذلك اسم). ولا توجد إشارة إلى التّناسبات لأنّ العناصر المتناسبة لا يجري تمثيلها بصفة فرديّة. غير أنّ علاقات المقْوَلة تُعرَض في داخل الأبنية وفي ما بينها في آن واحد. وداخلَ كلّ من الخطاطة البنائيّة والعبارة المحقّقة

لهـا، تُمَقول البنيتـان المكوّنيّتان الأولى والثّانية البنيـةَ المركّبة في علاقتي التّوسيع والبلورة، تباعا (انظر الرّسم البيانيّ 6. 4). وهذه العلاقات نسقيّة. وعلى المسـتوى الجدوليّ، تُمَقول التّجميعةُ الكاملة الّتي تكـوّن البنية الخطاطيّة التّجميعـةَ الكاملـة الّتي تكوّن العبـارة. وتتحلّـل علاقةُ المقوَلة الشّـاملة هـذه، بذاتها إلى علاقات مقوَلة محلّيّة حيـث تمقول بِنيتا الخطاطة المكوّنيّةُ والمركّبةُ بنيتَيْ [*jar lid*].



الرّسم البيانيّ 6. 7

وإذا مـا اعتمدنـا بدل ذلـك تمثيلا صياغيّـا رياضيّا، حيث تتـرَك البنية المركّبـة ضمنيّة، يمكـن أن تُقـدَّم المقوَلة الشّـاملة كما يلـي:]-[N_1]] [[[LID]/[lid]]-[[JAR]/[jar]]]→[N_2].[1] وتتضمّـن هـذه العلاقة الشّـاملة عمليّـات المقوَلة المحلّيّة: [jar] / [JAR] → [N_1]، و[lid]/[LID] → [N_2] ، و [jar lid]/[JAR LID] → [N_3].[2] وبطبيعـة الحـال، يمكـن لأيّ واحدة من هذه العلاقات أن تتحلّل تحلّلا أدقّ إلى علاقات مقْوَلة على مسـتوى القطبين الدّلاليّ والصّوتميّ. على سـبيل المثـال، إذا كان تمثيل [N_1 "س$_1$"] على أنّه [[...]/[THING]] ([**شـيء**]/[...]) (خطاطة الاسم)، تنقسـم المَقْوَلة المحلّيّة الأولى إلى [JAR]→[THING] مع [jar]→[...].[3]



الرّسم البيانيّ 6. 8

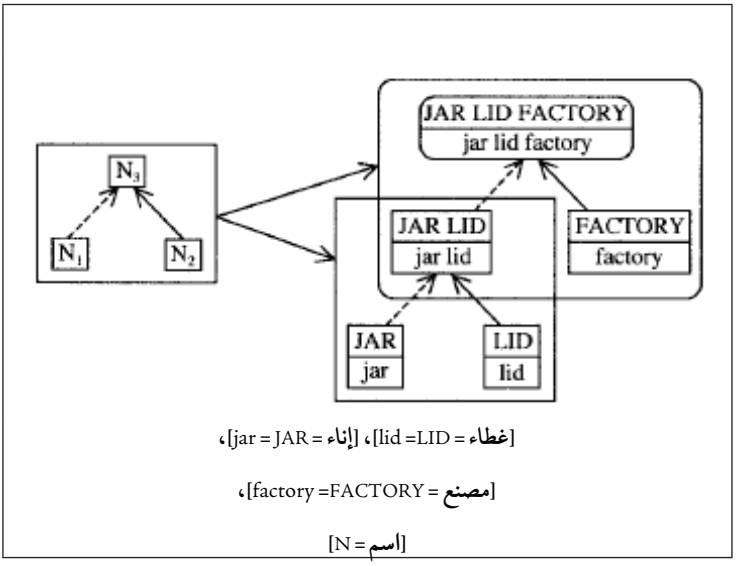
عندمـا تحقِّـق البنيـة المركّبة نفسَ المقولـة النّحويّة علـى أنّها بنية مكوّنيّـة لهـا، يمكن لتلك البنية المركّبة أن تشـتغل بنيـةً مكوّنيّةً في نفس البناء، في مسـتوى أعلى من مسـتويات التّنضيد. وتستغلّ اللّغة الإنجليزيّـة هذا الإمـكانَ بوجه متواتر في ما يخـصّ العنصر الأوّل من قالب التّركّب الأساسـيّ: بما أنّ العبارة المركّبة [*jar lid*] اسم، يمكن أن تشـتغل مكوّنـا أوّلَ في العبـارة المركّبة من الدّرجـة العليا [*jar lid factory*]. يظهِر الرّسم البيانيّ 6. 9 أنّ نفس الخطاطة البنائيّة تمقوِل العبارات

1 ـ ([[س1]-[س2]] ← [[[**غطاء**]/ [غطاء]]-[[**إناء**]/ [إناء]]]).

2 ـ ([س1]←[**غطاء**]/ [غطاء])، و([س2]←[**إناء**]/ [إناء]) و([س3]←[**غطاء إناء**]]/ [غطاء إناء]]).

3 ـ ([شيء]←[إناء]) مع ([...]←[إناء]).

المركّبة في مستويي التّنضيد كليهما.[10] ويمكن، مبدئيّا، أن نواصل إلى ما لا نهاية له إجراءَ كلّ بنية مركّبة لاحقةٍ عنصرا أوّل في بنية مركّبة أخرى: فمن يملك [*jar lid factory* "مصنع أغطية الأواني"] هو [*jar lid factory owner* "مالك مصنع أغطية الأواني"]؛ ويمكن لعدد من هؤلاء المالكين أن يكوّنوا [*jar lid factory owner association* "جمعيّة مالكي مصانع أغطية الأواني"]؛ وإذا ما كان الكثير من هذه الجمعيّات، يكون من الضّروريّ تجميع [*jar lid factory owner association list* "قائمة جمعيّات مالكي مصانع أغطية الأواني"]؛ والشّخص الّذي يجمع تلك القائمة هو [*jar lid factory owner association list compiler* "جامع قائمة جمعيّات مالكي مصانع أغطية الأواني"]، وهكذا، إلى حدود ما يسمح به الخيال. وإن كان يصعب أن يمثّل هذا من الأمثلة أحسنها، فهو يوضّح النّقطة العامّة المتعلّقة بكون مجموعة محدودة من الخطاطات البنائيّة (وهي واحدة فقط في هذا الحالة) قادرةً على إجازة مجموعة ذات نهاية مفتوحة من الإمكانات في العبارات المحقّقة لتلك الخطاطات.

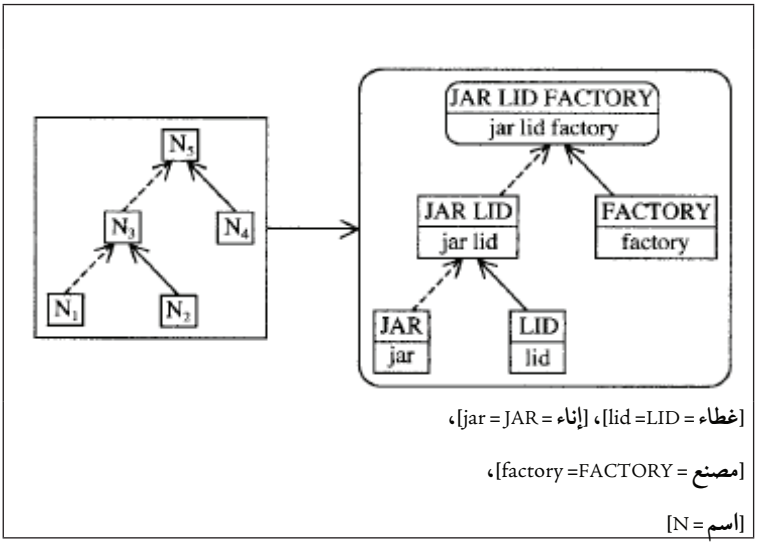


الرّسم البيانيّ 6. 9

ومن زاوية عمليّة، نبلغ سريعا، بطبيعة الحال، نقطة تكون فيها المركّبات من هذا القبيل غاية في التّخصّص وفي الثّقل إلى حدّ يكون فيه استعمالها غير ذي فائدة. (ما هي آخر مرّة احتجت فيها إلى الإحالة

على شخص يجمَع القوائم في جمعيّات مالكي المصانع الّتي تصنع أغطية الأواني؟). ونادرا ما تتجاوز المركّبات في الإنجليزيّة مستويين من التّنضيد، فأغلب تلك المركّبات الّتي ترسّخت وحداتٍ معجميّةً لا يُظهِر إلاّ مستوى واحدا من التّركّب. ففي حين تكون [*jar lid*]، إلى حدّ ما، عبارة مألوفة وتواضعيّة، لا تكون [*jar lid factory*] كذلك بكلّ تأكيد. يرد تمثيل هذا الفارق في درجة التّرسّخ وتثبيت التّواضعيّة في الرّسم البيانيّ 6. 9 باعتماد الصّندوقين المتضمّنين للبنيتين. وعندما يبدو التّمييز مفيدا، تُستعمَل الصّناديق ذات الزّوايا المنحنية للإشارة إلى الأبنية الجديدة، والصّناديق العاديّة للإشارة إلى الأبنية الحائزة على منزلة العناصر التّواضعيّة.

المركّبات ثنائيّة المستويات ذات انتشار واسع في اللّغة الإنجليزيّة، وقد استقرّ عدد كبير منها في شكل عبارات جامدة (مثل [*baseball bat* "مضرب كرة البيسبول"]، [*toothpaste tube* "أنبوب معجون الأسنان"]، [*birthday party* "حفلة عيد ميلاد"]، [*pancake batter* "خلطة بنكايك (عجينة الفطائر)"]، [*football helmet* "خوذة كرة القدم (الأمريكيّة)"]، [*laptop user* "مستعمل حاسوب محمول"]). وعلينا، تبعا لذلك، أن نعترف بوجود قالب تركُّب ثنائيِّ المستويات ضمن الوحدات المعهودة في اللّغة، يجري عرضه إلى اليسار من الرّسم البيانيّ 6. 10. تشتمل الخطاطة البنائيّة الّتي تمثّل هذا القالب على تحقّقين من الخطاطة الأساسيّة حيث تشتغل البنية المركّبة لتحقُّقِ واحدٍ منهما مكوّنا أوّل في البنية الأخرى. والأساس المعهود لشكلٍ مثل [*jar lid factory*] لا يقتصر، حينئذ، على العناصر الفرديّة وأبنية المستوى الوحيد الواردة في المستطيل ذي الزّوايا المنحنية في الرّسم البيانيّ 6. 9 – عند استعمال هذه العبارة المركّبة، يتّبع المتكلّم العمليّة السّابقة الّتي بموجبها كان إقحام عبارة مركّبة مكوّنا أوّل في عبارة مركّبة من مستوى أعلى. وفي حدود ما كانت العبارات المركّبة مطابقة لقوالب التّركّب الشّاملة لمستويات التّنضيد العديدة، يمكننا أن نفترض أنّ الخطاطات البنائيّة تحيط بمظاهر الانتظام هذه. ومبدئيّا، يمكن أن تُبديَ الخطاطات البنائيّة، مثلما تفعل العبارات، أيّ درجة من درجات التّركّب الرّمزيّ.



الرّسم البيانيّ 6. 10

لأختمْ هذا القسم بملاحظة أسوقها بحذر. لكلّ مجموعة من الرّموز التّمثيليّة حدودها قد تكون مغلّطة بوجه من الوجوه. يكمن واحد من مظاهر المغالطة المحتمَلة في هذه الرّسوم البيانيّة، في تمثيل الخطاطات وتحقّقاتها (والأبنية الممثَّولة وأهداف المثَّولة، بصفة أعمّ) في شكل صناديق غير متراكبة منفَصل بعضها عن بعض. ولئن كان هذا الأمر ضروريّا لغايات تحليليّة، ينبغي أن لا تُتصوَّر هذه العناصر على أنّها متفاصلة، أو مستقلٌّ بعضها عن بعض، أو حاويات محدودة مخزّنة في أجزاء مختلفة من الدّماغ. وبالفعل، ليست «مخزّنة» من حيث هي عناصر، بل هي كامنة في قوالب من المعالجة العصبيّة. وعلى هذا، ليس من المعقول أن نفترض أنّ الخطاطات مكتفية بذاتها أو متميّزة في كلّيتها من تحقّقاتها. فمن الأفضل تصوّر الخطاطات على أنّها متأصِّلة في تحقّقاتها (أي «ثاوية في داخلها»). وما أعني بهذا هو أنّ الخطاطات تكمن في بعض المظاهر من نشاط المعالجة الّتي تكمن فيها تحقّقاتها.

3.6 التّنضيد أحاديّ القطب مقابل ثنائيّ القطب

تقتصر الوحدات التّواضعيّة المفترضة في النّحو العرفنيّ، باعتماد شرط المضمون (§ 1. 3. 4)، على الأبنية الدّلاليّة والصّوتميّة والرّمزيّة. وتنخزل البنية الرّمزيّة إلى تقارن زوجيّ بين بنية دلاليّة وبنية صوتميّة (وهما قطباها الاثنان).

وإذ تترابط الأبنية الرّمزيّة معا في تجميعات، فإنّها توفّر تفسيرا سلسا للمعجم والصّرف والإعراب. وبهذه الطّريقة، يحقّق النّحو العرفنيّ تصوّرا للانتظام اللّغويّ طبيعيّا مقيّدا وموحّدا يعكس مباشرة وظيفة اللّغة العلاميّةَ: أي السّماح للمعاني بأن تُرمَّز بواسطة الأصوات.

وإذا ما تضمّنت كلّ بنية رمزيّة بنية دلاليّةً وبنية صوتميّة، فإنّ العكس لا يستقيم. فلا تتوفّر حالة تُشارِك فيها كلّ بنية دلاليّة أو صوتميّة مباشرة في علاقة رمزيّة. فبالنّسبة إلى كلّ من الدّلالة والصّوتميّة، علينا أن نميّز بين نوعين من الأبنية ومن أبعاد التّنضيد: نوع الأبنية القائم على أساس الاعتبارات الرّمزيّة (فهو لذلك ثنائيّ القطب) ونوع الأبنية القائم على أساس دلاليّ أو صوتميّ صِرف (أحاديّ القطب).

1.3.6 حدود الأبنية

لا تنحصر الوحدات الصّوتميّة في لغة ما في تلك العناصر الّتي تجري أقطابا صوتميّة للأبنية الرّمزيّة. فوجب أن نعترف بأنّ لعدد كبير من العناصر دورا صوتميّا صِرفا- تشارك في تكوين الأبنية الصّوتميّة ولكنّها لا تشارك بذاتها في علاقات التّرميز. والأمثلة من هذه العناصر أصوات مفردة ([n] ،[e] ،[k] ،[i] ،[p]، إلخ)، وكذلك توليفاتٌ جائزةٌ من الأصوات مثل التّجمّعات الحرفيّة ([str] ،[mp] ،[bl])، والمقاطع [niks] ،[bley] ،[pɪk]. وممّا يتضمّنه ذلك، الخطاطات الصّوتميّة الّتي تمثّل وحَدات مجرّدة من قبيل أقسام الأصوات ([الانحباسيّ المهموس]، [الحركة الأماميّة المرتفعة])، وما يُسمَح به من أنواع المقاطع [CCVC] ،[CV])، وقوالب النّبر (مثل [$_{w}$(σ^{i}σ)...)]، حيث تقع النّبرة على المقطع قبل الأخير من الكلمة).

انظر في كلمة [*picnics* "نزهات في الهواء الطّلق"]، عل سبيل المثال. يمكننا أن نصفها، على أسس صوتميّة صرف، بأنّها كلمة من مقطعين، الأوّل منهما منبور: $_{w}$(σ)(pík)σ(nɪks)) . فكلّ مقطع يحقّق خطاطةً مقطعيّة ([CV] و[CCVC])، تتكوّن من سلسلة من الأصوات تنتمي إلى أقسام مختلفة، وهلمّ جرّا. لاحظ أنّ باحثا لسانيّا ما، يمكنه أن يتوصّل إلى هذا الوصف دون أن يعرف معنى الكلمة أو تحليلها النّحويّ. والعناصر البنيويّة المعنيّة هنا، مفترضة على أساس صوتميّ بالمعنى الدّقيق، دون الإحالة على العلاقات الرّمزيّة أو على القطب الدّلاليّ. وتُنعَت العناصر من هذا القبيل، بكونها 'أحاديّة القطب' بما أنّ قطبا وحيدا حاضر في تحديدها وفي توصيفها.

تقبل الكلمة [*picnics*]، حينئذ، القسمةَ على أسس أحاديّة القطب إلى قسمين رئيسيّين [*pic*] و[*nics*]. ولكنّها تقبل كذلك، بصفة جليّة، أن تحلّل إلى العنصرين الأساسيّين [*picnic*] و[*s*]. ولكنّ المعيار، هنا، ليس صوتميّا. رغم أنّ [*picnic*] و[*s*] تتضمّنان بالفعل بنيتين صوتميّتين، يكون المبرّر الوحيد لقسمة الشّكل إلى ذينك القسمين متّصلا بالمعنى: هذان هما الجزآن اللّذان يرمِّزان المضمونين الدّلاليّين [PICNIC "نزهة"] و[PLURAL "جمع"]. وإنّما يُعترَف بكون هذين القسمين من الكلمة دالّين من زاوية بنيويّة، بحكم اشتغالهما قطبين صوتميّين. وإذ يحضر قطبان في تحديدهما وتوصيفهما، يوصَف هذان العنصران بكونهما من ثنائيِّ القطب.

ويمكننا، على هذا، أن نميّز في القطب الصّوتميّ بين التّنضيد ذي القطب الأحاديّ والتّنضيد ذي القطب الثّنائيّ، حسب ما يكون به تحديد العناصر البنيويّة من اعتبارات قائمة على أسس صوتميّة صرف (مثل [*pic*] و[*nics*]) أو على أساس وظيفتها التّرميزيّة ([*picnic*] و[*s*]). وهناك نزعة ثابتة في الأبنية الصّوتميّة ذات التّبرير الثّنائيّ القطب إلى التّطابق مع الأبنية الصّوتميّة ذات التّبرير الأحاديّ القطب.[11] وزيادة على هذا، يمكن أن تُتَناسى هذه النّزعة بسهولة بما أنّ الأبنية الصّوتميّة أحاديّة القطب وثنائيّة القطب ذاتُ وظائف مختلفة ومبرّرات مختلفة. وكذلك البنية الصّوتميّة الّتي تشارك بالفعل في علاقة ترميزيّة لا تفعل ذلك بالضّرورة في جميع استعمالاتها. فيكون للمقطع [pɪk]، على سبيل المثال، تبرير ثنائيّ القطب في [*pick* "لقط، اختار"]، ولكن ليس من حيث هو جزء من [*picnics*] أو [*picture* "صورة"]. وبنفس الطّريقة، يكون لـ[nɪks] وظيفة ترميزيّة في [*nix* "لا شيء"]، و[*nicks* "شقوق"]، و[*Nick's* "لـ نِيك(ولا)"]، ولكن ليس من حيث هي جزء من [*Phoenix* "فينيكس/العنقاء"]. والمقاطع في ذاتها وبذاتها أبنية أحاديّة القطب، فيكون بذلك استغلالها لغايات رمزيّة مصادفة صرفا. فرغم ورود [bley] مقطعا في [*blatant* "صارخ، وقح"] و[*blazon* "رنْك، شعار"]، و[*blazing* "لامع، مشتعل"] فإنّها لا تساهم بذاتها في معانيها (أي ليست صرفما).

يجب أن يجري التّمييز بين التّنضيد أحاديّ القطب والتّنضيد ثنائيّ القطب، في القطب الدّلاليّ أيضا. والأبنية الدّلاليّة ذات التّبرير ثنائيّ القطب، هي تلك الأبنية الّتي تشارك مباشرة في العلاقات الرّمزيّة (أي تشتغل أقطابا دلاليّة في البنية الرّمزيّة). ومن جهة أخرى، يكون للأبنية الرّمزيّة تبرير أحاديّ القطب

عندما تُسْتغَلّ بطريقة تواضعيّة في بناء المعاني اللّغويّة، ولكن تفتقر إلى التّرميز الفرديّ.[12] ومن أمثلة ذلك مفهوم الجزء المباشر، أي العلاقة القائمة بين مستويين متتابعين في سلّميّة ينتظم فيها الكلّ والأجزاء (الرّسم البيانيّ 3. 3). فالرّأس، على سبيل المثال، جزء مباشر من الجسد، والأذنان جزءان مباشران من الرّأس، وهكذا دواليك. تؤدّي هذه العلاقة دورا صغيرا، ولكنّه مهمّ، في بنية اللّغة الإنجليزيّة. فهي توفّر، على نحو فائق، علاقة التّجميع بين [N_1]، و[N_2] في الكثير من العبارات الاسميّة المركّبة: [*fingernail* "ظفر أصبع اليد"]، [*tabletop* "أعلى الطّاولة"]، [*tree branch* "غصن الشّجرة"]، [*bicycle seat* "مقعد الدّرّاجة"]، [*window pane* "زجاج النّافذة"]، [*weekend* "نهاية الأسبوع"]، إلخ. وعندما لا تكون علاقة الكلّ بالجزء مباشرة، بوجه لا تستقيم له العبارة المركّبة، نقول: [*ear lobe* "شحمة الأذن"]، و[*doorknob* "مقبض الباب"]، و[*book chapter* "فصل (من) الكتاب"]، ولكن لا نقول [*head lobe** "*شحمة الرّأس"]، و[*house knob** "*مقبض المنزل"]، و[*book paragraph** "*فقرة كتاب"]. وبالإضافة إلى ذلك، مفهوم المباشرة في علاقة الكلّ بالجزء ليست مرمّزة على وجه التّحديد في هذه العبارات. فهي تظلّ مخفيّة رغم دورها في هذا القالب وفي سائر القوالب.

6. 3. 2 أبعاد التّركّب

يهتمّ المعجم والنّحو، من حيث كانا رمزيّين بطبيعتهما، بالتّنضيد ثنائيّ القطب بصفة رئيسيّة. وتتضمّن مظاهر هذا التّنضيد كلاّ من الأبنية الرّمزيّة الدّنيا وانتظامها في تجميعات رمزيّة من أيّ درجة من درجات التّركّب. وعند كلّ من القطبين، لا ينطوي التّنضيد على الأبنية المكوّنيّة الصّغرى فقط بل على الأبنية المركّبة في أيّ مستوى من مستويات التّنضيد، كذلك. ويتجلّى الفارق بين التّنضيد أحاديّ القطب وثنائيّ القطب في أقصى درجات التّجلّي عندما نتأمّل مسلك التّركّب الّذي تتّبعه تلك الأبنية، أي حجارة العبور الّتي تمرّ بها لبلوغ الشّكل والمعنى المركّبين لعبارة مركّبة رمزيّا.

يبدأ هذا الفارق من الصّرافم، تلك الصّرافم الدّنيا من ناحية رمزيّة، بمعنى أنّها لا يمكن أن تنقسم إلى عناصر رمزيّة أصغر. ورغم كونها دنيا من زاوية ثنائيّة القطب، بحكم مشاركتها في علاقة رمزيّة غير قابلة للاختزال، يكون قطبا الصّرفم الدّلاليّ والصّوتميّ، في العادة، مركّبين من حيث أحاديّة القطب. وعلى سبيل المثال، تتكوّن [*picnic*]، في المظهر الصّوتميّ، من مقطعين،

يشتمل كلّ واحد منهما على ثلاث قطع صوتيّة، ولكن هذه البنية المركّبة لا تدخل في علاقة رمزيّة إلاّ من حيث هي كلّ. والقطب الدّلاليّ لكلمة [*picnic*] كذلك متبلور بعض الشّيء، من حيث تَضمُّنه لتصوّرات عديدة (من مناسبة اجتماعيّة، ومن أنواع مخصوصة من الأطعمة، ومن تناول الطّعام خارج المنزل في أحضان الطّبيعة، إلخ) لا يُرَمَّز الواحد منها بمفرده. ويكمن واحد من الموارد الرّئيسيّة للطّاقة التّعبيريّة في اللّغة، بالتّحديد، في أنّ الأبنية المرمِّزة لا تقف عند حدود الأصوات المفردة (لأنّ ذلك قد يقتضي قائمة ضيّقة) وفي أنّ تلك البنية الواحدة من هذا القبيل يمكن أن تستحضِر تصوّرا ذا درجة من التّركّب غير محدودة.

يعود الفارق في العبارات المركّبة من زاوية رمزيّة إلى مسالك التّركّب الدّلاليّ أو الصّوتميّ. فما هو الشّيء الّذي يمكن أن نعيّنه على أساس أنّه مسلك التّركّب في حالة بنية أحاديّة القطب؟ يتمثّل أبرز المرشّحين في توليف العناصر الأصغر في عناصر أكبر فأكبر. فعند القطب الصّوتميّ، تُجمَّع القطع الصّوتيّة في مقاطع، والمقاطع في كلمات، والكلمات في جمل.[13] ولهذا نظير دلاليّ جليّ، في تصوّر الوحدات المكوّنيّة الّتي تنشِئ مجموعات على مستويات عليا متتابعة من التّنضيد. ففي كرة القدم الأمريكيّة المحترفة، مثلا، يكوّن اللاّعبون فرقا، يجري تجميعها في أقسام، تكوّن دوائر، تؤلّف رابطة. وهناك طرق طبيعيّة أخرى في بناء تصوّرات "أكبر" علَى التّدريج. فنحن في الأغلب نقيم تصوّرا لمسلك مركّب بأن نستدعي القطع منه الواحدة في المرّة الواحدة وفق التّتابع الصّحيح (تَخيَّل أنّك تنظّم رحلات بالطّائرة من سان ديغو إلى كانزاس سيتي إلى شيكاغو إلى ميلْوُوكي). ويمرّ تدرّج طبيعيّ آخر من خلال سلّميّة تنتظم الكلَّ والأجزاء (من الجسد إلى السّاق إلى الرّكبة، مثلا) حيث توفّر كلّ وحدة متصوَّرة التّشكّلَ الّذي يتطلّبه تصوُّر الوحدة الموالية، الّتي تندرج فيها تبعا ذلك.

وعند القطب الدّلاليّ، غالبا ما يكون تركّب العناصر ثنائيّة القطب معاكسا للجزيئات المكوّنة للمسالك أحاديّة القطب الطّبيعيّة من هذا القبيل. فوصف رحلة، على سبيل المثال، لا يحتاج إلى إظهار التّتابع في مراحلها الكامنة فيها تتابعا شبيها بالسّلسلة. فخلافا للعبارة (1) (أ) الّتي تعرض الرّحلة عرضا أيقونيّا، تفرض العبارة (1) (ب) تجميعات مفهوميّة للمدن يعارض التّتابعَ الكائن في الاهتداء الذّهنيّ إلى تلك المدن في التّصوّر المركّب.

(1) (أ) *I traveled from San Diego to Kansas City to Chicago to Milwaukee.*
سافرت من سان ديغو إلى كانزاس سيتي إلى شيكاغو إلى ميلووكي.
(ب) *I traveled between San Diego and Milwaukee via Chicago and Kansas City.*
سافرت بين سان ديغو وميلْوُوكي عبر شيكاغو وكانزاس سيتي.

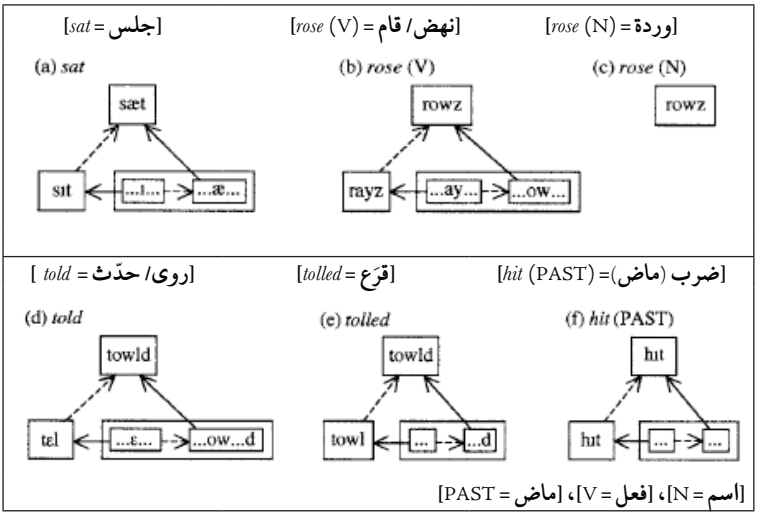
ويتعلّق مثال ثان بالتّوليف بين عناصر أصغر لتكوين عناصر أكبر. يعكس الاسم المجموع، في بنيته ثنائيّة القطب، التّنضيد الكامن في تصوّر الوحدات المكوّنيّة الّتي تؤلّف مجموعة ما. فالمسلك التّركّبيّ من [*pea* "بازلاء، جلبان (مفرد)"] إلى [*peas* "بازلاء، جلبان (جمع)"]، يتابع التّدرّج المفهوميّ الطّبيعيّ من جزيء مفرد إلى كتلة من تلك الجزيئات. ولكنّ هذا التّصافّ بين المسلكين لا يلاحَظ في حالة [*corn* "(حبّة/حبوب) ذرة"]. ورغم أنّ الكتلتين اللّتين تعيّنهما [*peas*] و[*corn*] متشابهتان إلى حدّ ما من حيث أحاديّة القطب، إذ تتضمّن كلّ واحدة منهما جزيئات ذات حجم متقارب نسبيّا، يسير مسلك ثنائيُّ القطب في الواحد منهما في الاتّجاه المعاكس لمسلك الآخر. فمسلك التّركّب، بالنّسبة إلى [*peas*]، يذهب من الجزيء (*pea*) إلى الكتلة (*peas*)، ولكنّ (*corn*) تتّخذ من الكتلة منطلقا لها. وللحديث عن جزيء مفرد، نلجأ إلى عبارة مركّبة تكون [*corn*] واحدا من مكوّناتها- على سبيل المثال، [*corn kernel* "حبّة ذرة"]. والفارق بين التّنضيد أحاديّ القطب وثنائيّ القطب، ظاهر كذلك في حالات تؤدّي فيها مسالك تركّبيّة مختلفة إلى تصوّرات مركّبة تكون -من زاوية أحاديّة القطب- هي نفسها بالأساس. والجمل الواردة في (1) مثال على ذلك. أو خذ [*corn kernel* "حبّة ذرة"] مقابل [*kernel of corn* "حبّة من الذّرة"]. وعلى خلاف الأولى، تستحضر الثّانية على وجه التّحديد مفهوم 'العلاقة الدّاخليّة' خطوةً في مسلك تركّبها. فالتّرميز الفرديّ بواسطة [*of*] يصلح لتقوية هذا الوجه من التّصوّر المركّب (انظر لانقاكر 1999a: الفصل 3).[14]

وباعتبار التّركّب الصّوتميّ، كان الفارق بين التّنضيد أحاديّ القطب وثنائيّ القطب قد عُرض عندما نظرنا في حالة [*picnics*]. يبدأ مسلك التّركّب أحاديّ القطب بالقِطَع الصّوتيّة، ويتواصل بالمقطعين [*pic*] و[*nics*] من حيث هما حَجَرتا عبور وسيطتان، وينتهي بالشّكل المركّب، أي الكلمة التّامّة [*picnics*] [15]. ومقابل ذلك، يبلغ المسلك ثنائيّ القطب الشّكلَ المركّب نفسه في خطوة وحيدة فقط، انطلاقا من البنيتين الرّمزيّتين غير القابلتين

للاختـزال [*picnic*] و[*s*]. ويتجلّـى الفارق بدرجة أوضح في حـالات يُنتِج فيها مسـلكان في التّركّب الرّمزيّ مختلفان شـكلين مركّبيـن متطابقين (أي لا يمكـن التّمييز بينهما بالنّظـر إلى الخصائص الصّوتميّـة الذّاتيّة مثل القطع الصّوتيّة وتجمّعها في مقاطع). على سـبيل المثـال، تُنطَق [*tolled* "قرَع (ناقوس، جرس،...)"] و[*told* "روى/ حدّث"]، نطقا واحدا بالتّحديد. كلّ واحدة منهما، مـن زاويـة أحاديّة القطـب، كلمة تتكوّن مـن مقطع وحيـد: $_{w}(_{\sigma}(\text{towld}))$. وتركّبهما الصّوتميّ مختلف تماما من زاوية ثنائيّة القطب. ففي حين تنقسـم [*tolled*] مباشـرة إلى [*toll*] مـع [*-ed*]، يكون التّنضيد الرّمـزيّ لكلمة [*told*] أكثـر تجريدا. فواحد من مكوّناتها هو [*tell*] الّذي لا يلاحَظ مباشـرة على أنّـه جزء من [*told*]. والمكوّن الآخر- أي ترميز الزّمن الماضي- لا يتمثّل في المكـوّن النّهائيّ [*-d*] فقط، ولكن يتمثّل كذلـك في ذلك المكوّن مـع المقابلة بين النّواة الحركيّـة [ow] والحركة [ɛ] الّتي يمكن أن تظهر في خلاف ذلك. وما يسـم الزّمن الماضي في هذا الشّـكل هو الاختلاف الكلّيّ بين البنية المكوّنيّة $_{w}(_{\sigma}(\text{tɛl}))$ والبنية المركّبة $_{w}(_{\sigma}(\text{towld}))$.

يوضّـح هذا الأمر نقطةً عامّة مهمّة - أعني أنّ الأبنية ثنائيّة القطب أكثر تنوّعا في طبيعتها وأكثر تجريدا في الغالب من الأبنية أحاديّة القطب. لا تنحصر الأبنية ثنائيّة القطب، أثناء أداء وظيفتها التّرميزيّة، في توفير "مادّة" صوتميّة ظاهرة تكون منهـا ولكن يمكن أن تتمثّـل في "عمليّات" تجـري على المـادّة الّتي يوفّرها مكـوّن آخر. فيمكـن أن يمثّل التّحويرُ الّذي يجري علـى هذا المكوّن - أي الاختلاف بين الشّـكل المركّب وما ينبغي أن يكون عليه الشّكل في خلاف ذلـك- في ذاته بنية مرمّـزة.[16] فالفعل [*sat* "جلَس (زمن ماض)"]، على سـبيل المثال، لا ينقسـم طبيعيّا إلى جزء يدلّ علـى [SIT "جلوس"] وإلى جزء يدلّ على [PAST "الماضـي"] (بالوجه الّذي تنقسـم فيه [*tolled*] إلـى [*toll*] مع [*-ed*]). فنحن لا نعـزل [s...t] على أنّهـا ترميز لـ[SIT]، وليسـت [PAST] مرمَّزة بالحركة [æ] فـي ذاتهـا. فما نريد قوله هـو أنّ [sæt] تتكوّن صرفيّا مـن [sɪt] مع قالب تحوير حركـيّ: [[...æ...]<---[...ɪ...]]. فيكون القطـب الصّوتميّ من كلمة [*sat*]، حينئـذ، كما يجـري عرضه باختـزال في الرّسـم البيانـيّ 6. 11 (a). يحيل هذا البديل من واسم الزّمن الماضي (الّذي يجري كذلك في [*sang* "غنّى"]، و[*began* "بدأ"]، و[*swam* "سـبَح"]، و[*rang* "دقّ (الجرسَ)"]، و[*spat* "بصق"]) إحالة خطاطيّة علـى كلّ من الجذع والشّـكل المركّـب: [[...ɪ...]] و[...æ...]]. يُمَقول هذان العنصـران الخطاطيّـان تباعا الشّـكلين [sɪt] و[sæt] اللّذيـن يبلورانهما. تصلح

المَقْوَلة المعروضة (وكذلك التّناسبات الّتي لم تُعرَض) للرّبط بين هاتين البنيتين المرمِّزتين في تجميعة صوتميّة، هي القطب الصّوتميّ في التّجميعة الرّمزيّة.



الرّسم البيانيّ 6. 11

تقدَّم تجميعة شبيهة، تتعلّق بفعل [*rose*] (الماضي من فعل [*rise*])، في الرّسم البيانيّ 6. 11 (b). قارن هذا بالرّسم التّخطيطيّ (c) الّذي يمثّل القطب الصّوتميّ من الاسم المشارك له صوتيّا. فمن حيث هما بنيتان أحاديّتا القطب، يكون شكلاهما المركّبان الشّيء نفسَه بالتّحديد، ولكن إن أُخِذا من زاوية ثنائيّة القطب، يمرّ المسلك المؤدّي إلى [rowz] عبر [rayz] في حالة الفعل، ولكنّه يذهب إليها رأسا في حالة الاسم.[17] ويعرض الرّسمان التّخطيطيّان (d) و(e) المسلكين ثنائيّي القطب المتقابلين في [*told*] و[*tolled*] اللّتين لا يمكن التّمييز بين شكليهما كذلك. والمقصود بمجموع الرّموز المستعملة في تمثيل [*tolled*] الإشارة إلى أنّ التّلصيق الصّرفيّ يمكن أن يعتَبَر حالة خاصّة من عمليّة التّحوير حيث يتمثّل التّحوير الوحيد في زيادة قطع صوتيّة في بداية جذع أو في نهايته. ومن الحالات الخاصّة الأخرى التّحوير الصِّفر كما يتمثّل في شكل الفعل الماضي من [*hit* "ضرب"]. وعند النّقيض من ذلك حيث لا يوجد تعارض بين البنية المكوّنيّة والبنية المركّبة، يعادل التّحوير الّذي يحدثه المكوّن الآخر إسقاطا مطابقا.

يمكن أن نتصوّر، بوجه مفيد، التّركّب أحاديّ القطب وثنائيّ القطب جاريين على محورين مختلفين. يُعرَض هذا بالنّسبة إلى كلمة [*picnics*] في الرّسم البيانيّ 6. 12، حيث يشير السّهمان الأفقيّ والعموديّ إلى ذينك البعدين

مـن التّنظيم الصّوتميّ، تباعا. وعلى امتداد المحور العموديّ، يمقول المكوّنان [*picnic*] و[*s*] المحدَّدان رمزيّا الشّـكلَ المركّب [*picnics*]. وعلى طَريقة الرّسـم البيانـيّ 6. 11 (e)، تحدِث لاحقـة الجمع [*-s*] تحويرَ جـذعِ مخصّص خطاطيّا بزيـادة [*s*] على أنّها قطعة صوتيّـة نهائيّة فيه. ويمكن أن تحلّل كلّ واحدة من هاتين البنيتين - من منظور داخليّ- كذلك، من زاوية أحاديّة القطب؛ يشـمل ذلك تركّبهما القطعيّ الصّوتيّ وتجميع القطع في مقاطع والمقاطع في كلمة. وبهـذا، تكون كلّ بنية مركّبـةً من وجهة نظرٍ أحاديّة القطب. وبالنّسـبة إلى البنيـة المكوّنيّة [*picnic*] والبنية المركّبة [*picnics*]ً، يجري التّمثيل لهذا التّركّب أحاديّ القطب تمثيلا جزئيّا على امتداد المحور الأفقيّ: تنقسـم الكلمة [*picnic*] إلى (pɪk)$_{\sigma}$ و(nɪk)$_{\sigma}$، وكلمة [*picnics*] إلى (pɪk)$_{\sigma}$ و(nɪks)$_{\sigma}$. وبطبيعة الحال، ينقسم كلّ واحد من ذينك المقطعين قسمة أمضى إلى قطع صوتيّة.

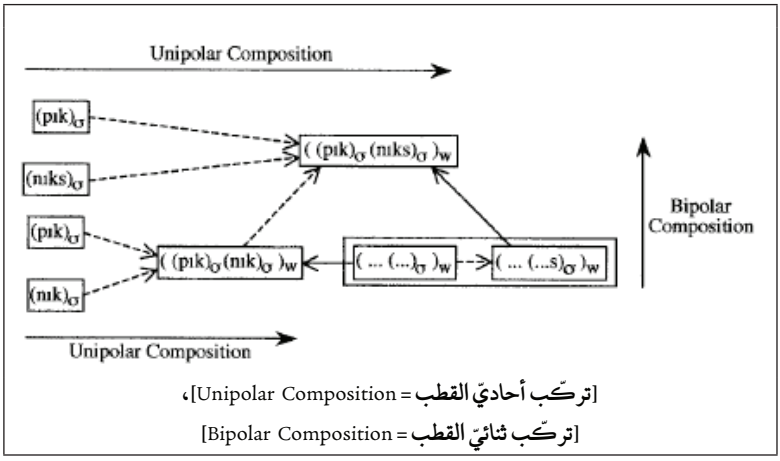
وعلـى هذا، يمضي التّركّب ثنائيّ القطـب من الأبنية المكوّنيّة إلى الأبنية المركّبة على مستويات من التّنضيد متدرّجة أعلى فأعلى، وتتشكّل كلّ بنية على مدى المسـلك التّركّبيّ تشـكّلا فرديّا على أساس أحاديّة القطب وفق ما تنصّ عليه القوالب "التّكتيكيّةُ" في اللّغة. يعني ذلك أنّ كلّ بنية منضَّدةٌ داخليّـا كما تحدِّده الخطاطات الّتي تصف الجائـزَ تواضعيّا من العناصر ومن توليفـات العناصر (مثل القطع الصّوتيّـة، والمقاطع والكلمات). وهذا التّنضيد في حاجة إلى أن يكون متماسـكا من مستوى إلى آخر لاحقٍ عليه، لأنّ زيادة عنصر ترميزيّ آخر يمكن أن تقدح إعادة تشـكيل للبنية أحاديّةِ القطب. تظهر إعـادة تشـكيل من هذا القبيل في الرّسـم البيانيّ 6. 12 مـن التّنضيد المقطعيّ المختلـف بيـن [*picnic*] و[*picnics*]. وعلى وجـه التّدقيق، تكوّن سلسـلةُ القطع الصّوتيّـة [nɪk] مقطعا بأكمله في الكلمـة الأولى ولكنّها لا تفعل ذلك في الكلمـة الأخيرة حيث تكون مجرّد جـزء من (nɪks)$_{\sigma}$. وتسـبّب زيادةُ [*s*] في الموضع النّهائيّ تشكّلا مقطعيّا بديلا في مستوى البنية المركّبة.

6. 3. 3 مشكلة عدم التّطابق الزّائفة

يكشـف النّحـو العرفنيّ، باعترافه بشـكل واضح بالتّمييـز بين التّنضيد أحاديّ القطب وثنائيّ القطب، عن الطّبيعة المباشرة في ظواهر تُعتبَر في الغالب مشكلة. انظر في بنية معبّرة عن الملكيّة مثل [*the king of Denmark's castle* "ملك قلعةِ الدّانمارك"]. يتعلّق المشكل الظّاهريّ الّذي تثيره بموقع العلامة النّهائيّة المعبّـرة عن الملكيّة [*'s*]، الّتي تظهر على كلمـة [*Denmark*] حتّى وإن كان

المالك الحقيقيّ للقلعة هو الملك. وعلى هذا، يبدو أنّ هناك "عدم تطابق" بين شكل العبارة وما تعنيه حقيقة. ويشتمل ضرب آخر من الأمثلة على علامة التّعريف في عبارات مثل [*the big dog* "الكلب الكبير"]. في الكلام العاديّ، تفقد [*the*] استقلالها الصّوتميّ وتوصَل (أي تتّصل بأخفّ ما يكون) بالكلمة الموالية لها: [*th'big dog*]. ونجد مرّة أخرى، عدم تطابق بين الشّكل والمعنى: في حين ترتبط [*the*] صوتميّا بكلمة [*big*]، تتعلّق دلاليّا بكلمة [*dog*].

ولكن، لا وجود لمشكل حقيقيّ. فحالات عدم التّطابق الظّاهريّة ببساطة تجلّياتٌ لتركّب أحاديّ القطب وثنائيّ القطب يمثّلان محورين مختلفين من البنية الصّوتميّة. وبالفعل، يختلف المثالان المذكوران، في الدّرجة فقط، عن حالةٍ مثل [*picnics*] (تلك الّتي لا تُعتبَر في العادة مشكلة). نرى في الرّسم البيانيّ 6. 12 أنّ العلامة النّهائيّة المعبّرة عن الجمع [*s*]، من زاوية صوتميّة دقيقة، تتوالف مع [*nic*] لتنتج المقطع المزيد [*nics*]. هذا المظهر من التّنضيد أحاديّ القطب متماسك إلى حدّ ما مع حقيقة كون علامة الجمع [*s*] تتوالف، لغايات دلاليّة ونحويّة، مع [*picnic*] في كلّيّتها. وبما أنّ هذه العناصر محدودة باعتبارات رمزيّة، تُدمَج على امتداد المحور "العموديّ" للتّركّب ثنائيّ القطب. وعلى وجه الخصوص، تبلور [*picnic*] الجذعَ الخطاطيّ الّذي يستدعيه صرفم الجمع الّذي يحوّره بزيادة [*s*] قطعةً صّوتيّة نهائيّة. فيكون على هذا، إدراج [*s*] في المقطع النّهائيّ من الجذع نتيجةً لتشكّل البنية في كلّ مستوى وفقَ القوالب أحاديّة القطب العامّة.

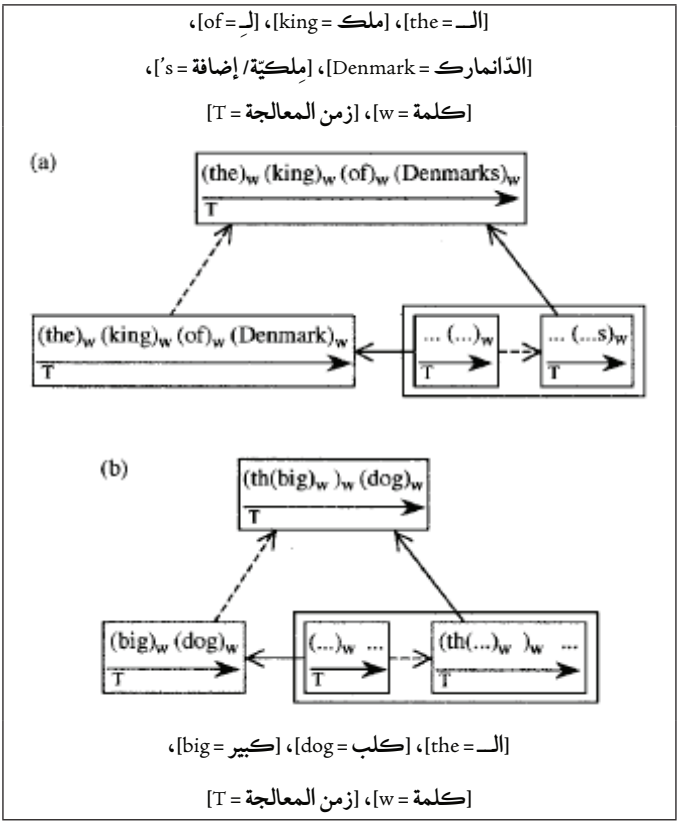


[تركّب أحاديّ القطب = Unipolar Composition]،

[تركّب ثنائيّ القطب = Bipolar Composition]

الرّسم البيانيّ 6. 12

وقياسا على ذلك، تتعيّن المكوّنات الرّمزيّة في [*the king of Denmark's*] دون إشكال على أنّها [*the king of Denmark*] و[*s*]، رغم اختلافها من حيث الحجم (وهي مسألة بنية أحاديّة القطب). فدمجهما دمجا ثنائيّ القطب يحقّق قالبا تُزاد بمقتضاه [*'s*] إلى الموقع النّهائيّ من الكلمة في الإسمائيّ المالك. يكون تقديم القطب الصّوتميّ في هذه البنية باختزال في الرّسم البيانيّ 13.6 (a) [18].
ويمكن بالنّسبة إلى [*th'big dog*]، بالمثل، أن نأخذ المكوّنات الرّمزيّة على أنّها المكوّنات المتوقّعة على أساس دلاليّة وإعرابيّة: [*the*] و[*big dog*]. وعدم التّطابق الظّاهريّ ينتج عن التّوصيف أحاديّ القطب لعلامة التّعريف من حيث هي وُصلَة تتّصل بالكلمة اللاّحقة عليها مباشرة، حتّى عندما يكون المكوّن الآخر عبارة متعدّدة الكلمات. ولأجل النّقاش ليس غير، أصف وُصلَة ما، بكونها عنصرا يتوالف مع كلمة ليكوّن بنية أكبر تُحلَّل كذلك على أنّها كلمة. فالقطب الصّوتميّ لـ[*th'big dog*]، حينئذ، هو كما يُعرَض في الرّسم التّخطيطيّ (b).



الرّسم البيانيّ 13. 6

والتّركّب الّذي يلاحَظ في السّلّميّة أحاديّة القطب (قطعة صوتيّة > مقطع > كلمة > إلخ) هو بالأساس تراكميّ في طبيعته. تتوالف، عند كلّ مستوى، العناصرُ الصّوتميّة ذات الحجم المتقارب نسبيّا لتكوين بنية أكبر تظلّ فيها تلك العناصر ظاهرةً بأقلّ ما يكون من التّحريف. ويمكن أن تكون هذه الخصيصة للتّركّب ثنائيِّ القطب، كذلك. فغالبا ما يحدث هذا التّراكب بأن تُجعلَ ببساطة بنيتان متساويتان تقريبا في الحجم وفي التّركّب متجاورتين، كما في [*jar lid*] (الرّسم البيانيّ 6. 2 (b)). وفي العموم، يكون التّركّب ثنائيُّ القطب، رغم ذلك، أكثرَ مرونة وأمضى في التّجريد. فالتّجاور البسيط ليس النّوعَ الوحيد من العمليّات الّتي تشتقّ الأبنية الصّوتميّة المركّبة من الأبنية المكوّنيّة. وغالبا ما تكون المكوّنات مختلفة إلى درجة ما من حيث الحجم، ولا يمكن التّمييز بينها في شكلٍ غير محرّف عند مستوى البنية المركّبة. فكلمة [*sit*]، مثلا، ليست ظاهرة فيِّ [*sat*]، إلاّ بصفة جزئيّة.

وليست هذه الاختلافات ومظاهر التّحريف منحصرة في الصّرف. انظر في مثال من اللّغة اللّويزينيّة.[19] من الشّائع أن ترد، في المركّبات في اللّويزينيّة، الوُصْلَةُ لاحقةً على الكلمة الأولى أو المركّب الأوّل. في (2)، تظهَر الوصلة [*nil=*] لاحقة على الكلمة الأولى من المركّب الّذي يكون على شكل [*Noo ʾowo ʾaquṣ*]، في خلاف ذلك (وهو شكل ممكن أيضا في هذه اللّغة). وتوفّر الوصلَة إشارة أساسيّة إلى الكيفيّة الّتي ترتبط بها العمليّة الّتي يُعبِّر عنها المركّب ومنتقلُها، بوضعيّة الخطاب. وتحدّد الوصلة هنا أنّ المنتقل هو الشّخص المتكلّم المفرد وأنّ العمليّة المعروضة تقع في الزّمن الماضي. وفي هذه الحالة (وإن لم يكن الأمر كذلك دائما) يتبيّن أنّ الإخبار إطنابيّ، بما أنّ الخبر نفسَه يقدّمه الضّمير الفاعل [*noo* "أنا"] ولاحقة الماضي الاستمراريّ [*-quṣ*].

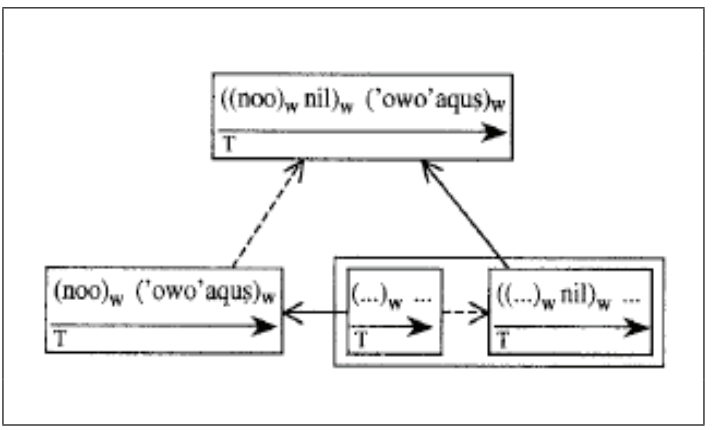
Noo=nil ʾowoʾa-quṣ. (2)

I=1s:PAST work-PAST:DUR

I was working.
عمل-**ماض:استمرار** أنا=متكلّم:**ماض**
‹(أنا) كنت أعمل›

كيف ينبغي علينا أن نصف هذه البنية؟ من ناحية دلاليّة ونحويّة، نقول إنّ البنيتين المكوّنيّتين هما المركّب الجُمَليّ الأساسيّ [*noo ʾowo ʾaquṣ*] والوُصلَة [*nil=*] الّتي تستدعي مركّبا جُمَليّا بطريقة خطاطيّة. لكن، من زاوية صوتميّة،

تظهر الوصلة على الضّمير الفاعل. وبعبارة أعمّ، تجري الوصلة داخل المركّب الجُمَليّ، لاحقةً على كلّ ما يصادف أن يكون الأوّلَ، كلمةً كان أو مركّبا جزئيّا. ويبدو أنّ هناك عدمَ تطابق، حيث تتوالف الوُصلة مع عنصر آخر غير العنصر الّذي تتعلّق به دلاليّا وتتوالف معه نحويّا. ومن المفروض أن يكون الآن قد اتّضح أنّ هذا انطباع خاطئ لا ينشأ إلاّ عندما نفشل في التّمييز بطريقة مناسبة بين التّنضيد أحاديّ القطب وثنائيّ القطب. فالبنيتان المكوّنيّتان هما بالفعل [*noo ’owo ’aquṣ*] و[*nil=*]، المدمجتان كما يجري عرضه في الرّسم البيانيّ 6. 14. ولكن، في حين تتوالف [*nil=*] مع مركّب جُمَليّ بأكمله بحكم ثنائيّة القطب، تتمثّل العمليّة التّوليفيّة في وضع تلك الوصلة بعد الكلمة الأولى، بوجه ينتهي فيه المطاف بها إلى الحلوَل داخل المركّب الجُمَليّ بحكم التّنضيد أحاديّ القطب. وتختلف البنيتان المكوّنيّتان باعتبار مضمونهما الصّوتيّ الظّاهر، اختلافا هائلا من حيث الحجم، وعوضا عن كونهما متجاورتين، تُدرَج واحدة منهما في الأخرى. ونتيجة لذلك، لا تكون المحافظة على المكوّن الجُمَليّ الفرعيّ [*noo ’owo ’aquṣ*] دون تحريف في مستوى البنية المركّبة، إذ تَقطَع الوصلةُ استرساله. ورغم ذلك، توصف هذه البنية، وصفا مباشرا، في النّحو العرفنيّ.



الرّسم البيانيّ 6. 14

هوامش الفصل

[1]- في التّمثيلات الصّياغيّة الرّياضيّة، يكون من المريح الاختصار بحذف البنية المركّبة. فتكون صيغة [*jar lid*] كما يلي: [[lid]/ [LID]] - [[jar]/ [JAR]] [[[غطاء]-

[غطاء]]–[[إناء]–[إنـاء]]]. ورغم هذه الرّموز المبسّـطة، تكون البنيـة المركّبة وحدة متميّزة يجب أن يُعتبر حضورُها دائما.

[2]– تسـتحضِر [lid] في ذاتها هذه الكلمةَ بوجه إمكانيّ فقط، وبشـكل خطاطيّ (يشـار إليـه بعلامات الحذف). ودورها في البناء يحملهـا إلى الموقع الأماميّ. والرّموز هنا اعتباطيّة بمعنى أنّ المرء يمكنه كذلك أن يَعرِض [lid] على أساس أنّها تناسب الكلمة الّتي تلحق على [jar] مباشرة.

[3]– فـي حيـن تمقـول [DOG "كلـب"]، على سـبيل المثـال، [POODLE "بودل"]، يكون هذا الأخير، من ناحيَة دلاليّة، أكثر تبلورا: [POODLE] → [DOG].

[4]– بحكـم محدوديّـة صفحـة ورقيّة مطبوعة ثنائيّـة الأبعاد، يُعرَض هـذا التّخليف، في العادة، بوضع البنية المركّبة فوق الأبنية المكوّنيّة.

[5]– سـعيا إلـى ضمان المظهر العمليّ، يقوم كلّ رسـم تخطيطيّ على انتقـاء المادّة الّتي يصفهـا، من حيث اقتصاره على الأساسـيّ فـي النّقطة الّتي بين أيدينا. والمقصود بالتّسـميات الواردة في الرّسم البيانيّ 6. 5 ([*jar lid*] ،[*lid*] ،[*jar*]، إلخ) أن توحي بمادّة القطب الصّوتميّ، لا أن تصفهـا وصفـا فعليّـا وإن بأقلّ مـا يكون، مقارنة بالرّسـم البيانيّ 6. 3. ولئـن كان تمثيل القطـب الصّوتميّ بتفصيل ظاهـر نادرا جدّا، فمن الواجب أن يُتصـوَّر دائما جزءا جوهريّا من التّجميعات الرّمزيّة.

[6]– تُـرِك وصـف الأقطـاب الدّلاليّـة مـن [*lid factory jar*] و[*jar factory lid*] (باعتماد الرّسوم التّخطيطيّة المماثلة لما ورد في الرّسم البيانيّ 6. 5)، تمرينا للقارئ.

[7]– لا يهـمّ أن تُكتـب بعـض الوحدات المركّبة في شـكل كلمات مفـردة، وبعضها في كلمتين اثنتين، وزيادة على ذلك، تكتب مركّبات أخرى في شـكل كلمات تفصل بينها مطّات وصل. هذه ببسـاطة مسـألة تَعوُّدٍ على نمط في الكتابة لا يترابط بشـكل وثيق مع الاختلافات الصّوتميّة الحقيقيّة.

[8]– يُحتمَـل أن لا تكـون [*jar lid*] ذات تركّبيّـة تامّـة لأنّ الخطاطـة البنائيّة لا تضمن أن يكـون الرّبـط بيـن [*jar*] و[*lid*] الرّبطَ الجَلِيَّ الّذي بـه يكون الغطاء واقيا صالحـا للإناء. وممّا يمكن أن يُتصوَّر، مثلا، أن تؤوَّل [*jar lid*] على أنّها غطاء تزيّنه صورة لإناء.

[9]– تكـون، علـى هذا، جميع الأبنية رمزيّة، ولكن هـذا الأمر لا ينعكس، بما أنّ الأخيرة تتضمّن كلاّ من العلاقات النّسقيّة والعلاقات الجدوليّة.

[10]– لمعالجـة هذه الحالة وغيرها، ينبغي على الخطاطة البنائيّة أن تكون، بالفعل، أعمَّ قليلا من الصّيغة المعروضة باختزال في الرّسـم البيانيّ 6. 6. ويجب عليها، خاصّة، أن تجيز لأيّ بنية مكوّنيّة بأن تتألّف من كلمات متعدّدة عوض كلمة وحيدة.

[11]– تتطابق في حالة [*toothless* "غير ذي أسنان (أدرد)"]، و[*unhelpful* "غير ذي إعانة (عاجز)"]، و[*jar lid* "غطاء الإناء"]، وتتطابق فعلا في أغلب العبارات ذات الكلمات المتعدّدة. ويسهّل تطابقها، دون شكّ، المعالجة اللّغويّة.

[12]– التّمييز بين التّنضيد أحاديّ القطب والتّنضيد ثنائيّ القطب ليس مكافئا للتّمييز المرسوم بين الصّوتيّات والصّوتميّة أو بين المفهمة والدّلالة. فالصّوتميّة والدّلالة تمثّلان الاستخدام التّواضعيّ للإمكان التصوّريّ والصّوتيّ وفق ما تنصّ عليه بنية لغة ما. والتّنضيد أحاديّ القطب والتّنضيد ثنائيّ القطب مظهران من تلك البنية اللّغويّة، عند كلّ قطب.

[13]– من المفروض أن يثبت وصفٌ أشمل أنواعا أخرى من الأبنية ومن أبعاد التّنضيد الصّوتميّ أحاديّ القطب (مثل، الظّواهر العروضيّة). وكذلك، لا تتضمّن السّلميّة أيّ فرضيّة في شأن التّرتيب الّذي يكون به انبثاق الأبنية في تطوّر اللّغة أو يكون به الاهتداء إليها في المعالجة اللّغويّة.

[14]– ممّا يوفّر مثالا أمضى في التّبلور، ثالوث العبارات [*triangle* "مثلّث (الزّوايا)"]، و[*three-sided polygon* «مضلّع ثلاثيّ الجوانب»]، و[*three-angled polygon* «مضلّع ثلاثيّ الزّوايا»]. فجميعها يقود، في نهاية المطاف، إلى التّصوّر المركّب نفسه (الرّسم البيانيّ 1.1 (b))، ولكنّها تبلغه من خلال مسالك مختلفة جدّا.

[15]– لاستعارة المسلك حدودها، مثل أيّ استعارة أخرى. فلا ينبغي أن تفهَم على أنّها تتضمّن كون حجارة العبور منتظمة بالضّرورة انتظاما خطّيّا في المعنى الدّقيق، إذ يجب عند كلّ مستوى أن تكون واحدة أو اثنتان منها قد اهتدِي إليها اهتداء متزامنا لبلوغ الحجر الموالي. هذه الاستعارة تمسك بالاتّجاهيّة في التّركّب (من الأبنية الممقولِة إلى أهداف المقوَلة المتتابعة) ولكنّها لا تمسك بمفهوم التّراكز من موارد متعدّدة.

[16]– يمكن أن يتمثّل التّحوير في تغيير القطع الصّوتيّة أو تبديل ترتيبها أو حذفها أو زيادة سمات عروضيّة أو تغييرها (مثل النّبرة والنّغمَة)، أو في أيّ توليفة من هذه التّحويرات (انظر لانقاكر 1987: §3.1.9). وترمِّز التّغييرات من هذا القبيل، بصفة عامّة، معاني غاية في الخطاطيّة (هي تلك الّتي تتميّز بها العناصر "النّحويّة").

[17]– يمكن الحديث رغم ذلك عن مسلكٍ تركُّبيٍّ – فهو ببساطة مهترئ. وفي الحالة الّتي يكون فيها المسلك غير مهترئ، تكون البنية المركّبة القصوى تلك البنية الّتي نُطِق بها فعليّا. ولئن كانت أبنية أخرى ضمنيّةً، فإنّها تمثّل على امتداد المسلك مظهرا ثانويّا من قيمة العبارة الصّوتميّة. وبهذه الطّريقة، يتمايز الاسم [*rose* "ورد"] والفعل [*rose* "رفع/ ارتفع"] تمايزا صوتميّا، تماما كما يتمايز [*pork* "خنزير"] و[*pig meat* "لحم الخنزير"] دلاليّا بحكم بلوغهما التّصوّر المركّب نفسَه من طريقين بديلين.

[18]– لتيسير الأمر، تُستعمَل طريقة الرّسم في الكتابة العاديّة وتُحذف حدود المقاطع. ولكي أوضّح أنّ ترتيب الكلمات مفيد، عدت إلى إدخال السّهم الّذي يشير إلى زمن الكلام (T). يكون بُعدُ الفضاء الصّوتميّ هذا دائما حاضرا حتّى وإن لم يكن معروضا بصفة ظاهرة.

[19]- اللّويزينيّـة لغـة أمريكيّة أصيلة، كانت جارية في ما مضى فـي كاليفورنيا الجنوبيّة، تنتمي إلى العائلة الأوتو-أزتيكيّة.

7. الأبنية: العوامل الوصفيّة

يتمثّل وصف لغة ما، بصفة رئيسيّة، في وصف أبنيتها. وعلينا، حينئذ، لفهم النّحو بأيّ درجة من درجات العمق، أن ننظر في الأبنية بتفصيل أكبر. تفحص الأقسام اللاّحقة أربعة عوامل أساسيّة في وصف تلك الأبنية: التّناسبات والعرض والبلورة والمكوّنيّة. ورغم أنّ القطب الصّوتميّ سوف يُهمَل أمره في أغلب الأحيان (وفي هذا دون شكّ راحة لك أيّها القارئ!)، تذكّر أنّ الأبنية الدّلاليّة موضوع النّقاش لا تمثّل إلاّ قطبا واحدا من التّجميعات الرّمزيّة.

7. 1 التّناسبات

لعلّ التّناسبات تمثّل أهمّ عامل من العوامل الوصفيّة الأربعة الّتي ننوي النّظر فيها. فهي تبيّن كيف تتوافق الأبنية المكوّنيّة والأبنية المركّبة في تجميعة متجانسة (مقابل أن تكون جمعا اعتباطيّا لعناصر لا رابط بينها). فهي تخصِّص، عند القطب الدّلاليّ، التّراكبَ المفهوميّ بين الأبنية المكوّنيّة، موفّرة بذلك أساسا للدّمج بينها. وهي تخصّص كذلك كيف تتراكب كلّ بنية مكوّنيّة مع البنية المركّبة، معيّنةً بذلك ما تساهم به تلك البنية في التّصوّر الموحَّد الّذي ينبثق من ذلك الدّمج. وتمثّل هذه التّناسبات "العموديّة"، إن رُصدت من المنظور المقابل، انتقاءً لبعض الوجوه من التّصوّر المركَّب لكي يجري ترميزها ترميزا فرديّا بالأبنية المكوّنيّة.

في ما يلي كلمة في شأن الرّموز المستعملة. الخطوط المنقّطة الّتي يجري استعمالها هنا، إشارةً إلى التّناسبات، ليست في أقصى الحالات إلاّ أداة وصفيّة بسيطة. ورغم أنّ هذه الرّموز كافية لتحقيق الغايات الحاضرة، فهي (وكذلك الرّسوم البيانيّة الّتي تحويها) مفتقرة إلى الدّقّة الشّكليّة. ولكي يُفهَم معناها فهما صحيحا، وجب على المستعمل الذّكيّ أن يعوِّل على بعض المبادئ الضّمنيّة، ولكنّها طبيعيّة في التّأويل. على سبيل المثال، المراد من خطّ التّناسب في الرّسم البيانيّ 6. 2 (a) أن يشير إلى أنّ الإناء من حيث هو كلّ، يطابق الحاوية الخطاطيّة من حيث هي كلّ. ومن المحتمَل أنّك لا تجد مشكلا في تأويله على هذا النّحو، حتّى وإن ربط

الخـطّ، في الواقع، جانبَ الإناء بجانـب الحاوية (وهو بالفعل، لا يربط إلاّ بين موقعين مخصوصين مـن كلّ واحد منهما). وهناك بعض الاعتباط، كذلك، في الكيفيّة الّتي يُعرَض بها الكثير من التّناسبات عرضا ظاهرا. على سـبيل المثال، كان يمكن أن يفكّك التّناسب الشّامل في الرّسم البيانيّ 6. 2 (a) إلى أيّ عدد من التّناسبات المحلّيّة يساوي الأجزاء المختلفة من الحاويتين (الأسـفلان، والجانبـان، والفتحتان من فوق، مثلا). وعادة ما يكـون عدد التّناسـبات المعروضة أدنى ما يُحتاج إليـه للتّأويل الصّحيح. وعندمـا تكـون الكيفيّة الّتي بهـا تتراكب الأبنية واضحـة، يمكن أن تحذَف التّناسـبات جميعا (كما كان ذلك في الرّسوم البيانيّة من 6. 11 إلى 6. 14).

7. 1. 1 التّناسبات المتعدّدة

يمكن الاكتفاء في الغالب بالإشارة إلى تناسب شامل وحيد بين عناصر الأبنيـة المكوّنيّة (مثل الرّسـم البيانـيّ 6. 5). والواجب فـي أبنية أخرى، أن تُفترَض تناسـبات متعدّدة. فمن زاوية التّمثيل الرّمزيّة، لا يكون خطّ التّناسب غيـر واضـح إلى حدّ ما، ثـمّ إنّ لزيادة خطّ واحـد إلى بنية ما، تبعـاتٍ دلاليّة ونحويّة يمكن أن تكون جوهريّة. لننظر في مثالين اثنين بإيجاز.

تتعلّق الحالة الأولى ببنية مشـهورة في اللّغة الفرنسيّة (وفي اللّغات الرَّوْمنيّة الأخـرى)، من نماذجهـا الجملتـان الواردتان فـي (1). فهما تصفـان جعليّة الحركـة الّتـي يكـون فيها الشّـيء المحـرَّك عضوا من الجسـد. يجري التّعبير عن العضو المحرَّك بواسـطة إسـمائيّ يتكوّن من علامة تعريف مع اسـم العضو من الجسـد. فتكون، إذن، ترجمة الجملتين الحرفيّة: [*I raise the hand* "(أنـا) أرفـع اليدَ"]، [*She closes the eyes* "(هي) تغمـض العينين"]. وفي اللّغة الإنجليزيّـة تؤوّل الجملتان في العادة بأنّهما تشـيران إلى أنّ العضو المحرَّك يعود إلى شـخص آخر مختلف عن محدث التّحريك.[1] ولكنّهما تُفهَمان، في الفرنسـيّة، فهما عاديّا، على أنّهما تدلاّن علـى أنّ العضو المعنيَّ، بالفعل، جزء صميميّ من جسـدِ محدثِ التّحريك. ولكنّ الجملتين لا تحملان هذا بشـكل صريح. ففي حين تخصّص الإنجليزيّة صاحب العضو بواسطة ضمير مثـل [*my* "ـــــي"] أو [*her* "ـــها"]، يكتفي المرء في الفرنسـيّة بأن يقول ما يكافـئ [*the hand* "اليـد"] أو [*the eyes* "العينيـن"]. فكيف يعـرف النّاس أنّ العضو يعود للشّخص المدلول عليه بلفظ الفاعل؟

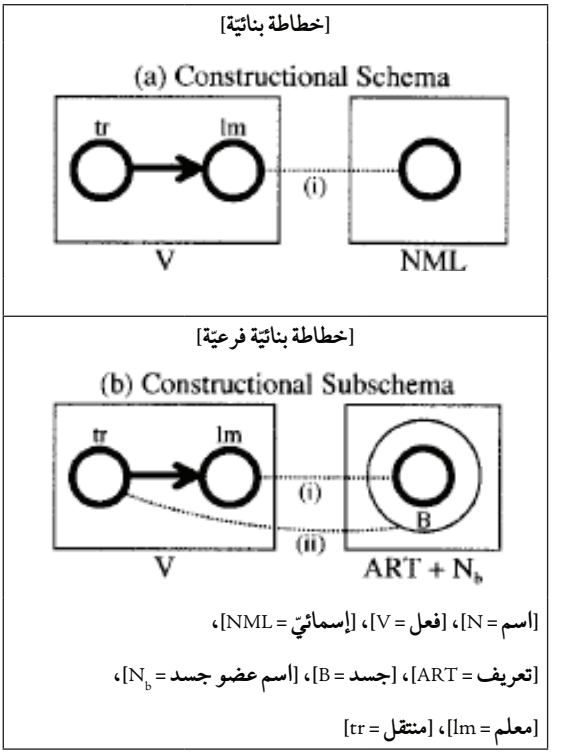
	الجملة الفرنسيّة	التّرجمة الحرفيّة	التّرجمة الإنجليزيّة/العربيّة
(1) (أ)	*Je lève la main.*	(*I raise the hand*)	'*I raise my hand.*'
		(أرفع اليد)	‹أرفع يدي.›
(ب)	*Elle ferme les yeux.*	(*she closes the eyes*)	*'She closes her eyes.'*
		(هي تغمض العينين)	‹هي تغمض عينيها.›
(ج)	*Il ouvre la bouche*	(*he opens the mouth*)	*'He opens his mouth'.*
		(هو يفتح الفم)	‹هو يفتح فمه.›

ينبغي أوّلا أن نشير إلى أنّ ذلك لا يمثّل التّأويل الوحيد الّذي يمكن تصوّره. يمكن بالفعل أن تدلّ الجملتان، في السّياق المناسب، على أنّ الفاعل يؤثّر على عضو ينتمي إلى جسد شخص آخر. ففي هذا الحدث، يحقّق المتكلّمون ببساطة بنيةَ المفعول المباشر العامّة في الفرنسيّة، ويصادف أن يكون المفعول به عضوا قابلا للتّعرّف عليه مقاميّا. غير أنّ الجملتين تتضمّنان أنّ المحدِث هو صاحب العضو، بناء على كون هذا المعنى محايدا ذا أفضليّة قويّة. ويمكننا أن نفسّر ذلك بأن نفترض أيضا للفرنسيّة، على أساس حالة خاصّة من بنية المفعول به العامّة، بنيةً أكثر تخصيصا يندرج فيها التّأويل المحايد. فتمثّل الخطاطة البنائيّة الّتي تصف هذه البنية الأخيرة بَلْورةً خاصّة ذات أساس تواضعيّ للخطاطة الّتي تصف القالب العامّ. يجري عرض الخطاطة العامّة والخطاطة الفرعيّة الأكثر تخصيصا، باختزال في الرّسمين التّخطيطيّين (a) و(b) من الرّسم البيانيّ 7. 1 (حيث لا تظهر إلاّ الأبنية المكوّنيّة ودمجها).

فعناصر الخطاطة العامّة هي فعل (V) وإسمائيّ مفعول به (NML)[1]. يعرض الفعل تفاعلا (يجري تمثيله في شكل سهم) بين منتقله ومَعْلَمه. ويعرض الإسمائيّ شيئا. والسّمة المحوريّة لبنية المفعول هي التّناسب الّذي يحمل شارة (i)، والّذي يطابق بين معلم الفعل ومعروض الإسمائيّ. وهذه العناصر كلّها حاضرة كذلك في الخطاطة البنائيّة الفرعيّة الّتي تكون، مع ذلك، أكثر تخصيصا. ويُوصَّف الإسمائيّ، على وجه الخصوص، بتكوّنه من علامة التّعريف (ART) مع اسم عضو من أعضاء الجسد [N_b].[2] وتمثّل الدّائرة الكبيرة الّتي تحمل شارة (B) الجسدَ ككلّ باعتبار المعروض جزءا منه. ويمثّل التّناسب (ii)، سمةً أخرى لهذه الخطاطة الفرعيّة – هي

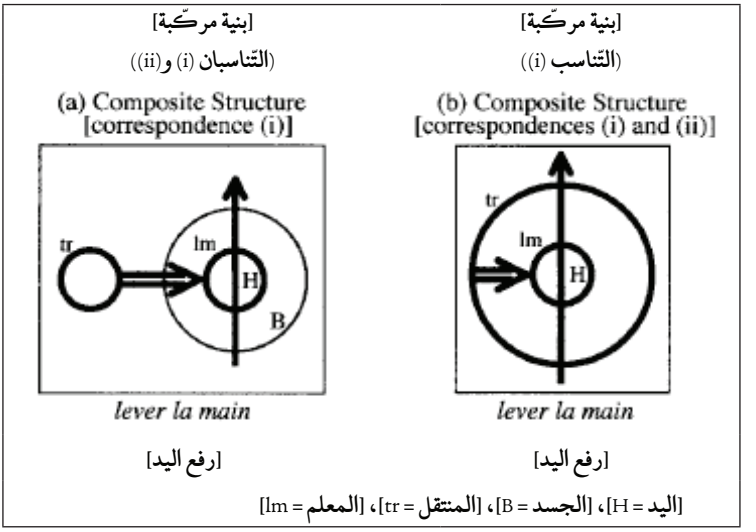
1 ـ اختصار لكلمة [Nominal].

السّـمة الجوهريّة فيها. وهذا التّناسـب الثّاني يسـوّي منتقلَ الفعل بالجسـد الّذي يسـتحضره الإسمائيّ المفعول به. فهذا التّناسب الإضافيّ هو ما يفرض التّأويل المحايد.



الرّسم البيانيّ 7. 1

تظهـر التّبعات الدّلاليّة لهذا التّناسـب الثّاني بصورة ملموسـة أكثر في الرّسـم البيانـيّ 7. 2، الّذي يقـارن الأبنيـة المركّبة النّاتجة عن اسـتدعاء الخطاطـة العامّة والخطاطة الفرعيّة. فهي تمثّـل العبارة المخصوصة [*lever la main* "رفع اليـد"]، الّتي يمكنها أن تحقّق القالبَ العامّ أو (في حال الحياد) القالبَ الفرعيّ. والفعل [*lever* "رفع"] يعرض حدثا يتمثّل في المنتقل يسـلّط قـوّة (هي ما يشـار إليه بالسّـهم المضاعف) لكي يتحرّك المعلَم (يشـار إليه بالسّـهم المفرد) صعودا. ويختزل الحرف (H) الخصائص الدّلاليّة ذات الوجوه المتعدّدة لكلمة [*main* "يد"]. وقد حذِف معنى علامة التّعريف رغم كونه مفيدا (انظر الفصل 9).



الرّسم البيانيّ 7. 2

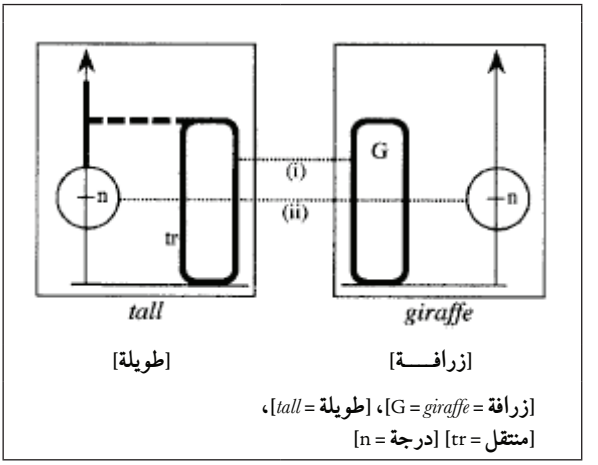
تشير العبارة [*lever la main*]، وقد انبنت وفق الخطاطة العامّة على أساس التّناسب (i) بمفرده، إلى أنّ المنتقِل يحدِث حركة صاعدة من يد قابلة للتّعرّف عليها مقاميّا. فلا حاجة إلى صلة أخرى بين المحدث واليد، ما عدا المساهمة المشتركة بينهما في العلاقة. يُعرَض ذلك في الرّسم التّخطيطيّ (a). تظهِر المقارنة بالرّسم التّخطيطيّ (b) الأثرَ الّذي يكون لإضافة التّناسب (ii)، وفق ما تقتضيه الخطاطة الفرعيّة. هذا الدّمج الشّديد بين الفعل والمفعول ينشئ تصوّرا مركّبا أشدّ كثافة يكون فيه نفس الشّخص محدِثا وصاحبَ العضو في آن واحد. تتضمّن هذه البنية أنّ المنتقل يحدث حركة صاعدة ليده هو.

ويزداد الدّمج، في الواقع، شدّة. يحدّد التّأويلُ المحايد، إضافة إلى ذلك، أنّ القوّة الجعليّة تنقَل داخليّا، وأنّ المعلَم يتحرّك حركة تكون من طبائع العضو المعنيّ. على هذا، لا يمكن أن تستعمَل (1)(أ)، مثلا، لو أنّ المتكلّم أمسك اليد اليسرى باليمنى ورفعها إلى فوق.[3] لاحظ أنّ هذه التّخصيصات الإضافيّة لا تَنتُج بصفة آليّة عن زيادة التّناسب (ii). وبعبارة أدقّ، تمثّل تلك التّخصيصات تناسبا آخر، تكون فيه القوّة الّتي يعرضها الفعل مطابِقةً للقوّة الكامنة في المنوال العرفنيّ للعضو المعنيّ عندنا وللكيفيّة الّتي نحرّكه بها في العادة. وتندرج كلّ هذه التّخصيصات بشكل خطاطيّ في الخطاطات

البنائيّة الفرعيّة الّتي تصف التّأويل المحايد. فهي مظاهر من المعنى البنائيّ تفرضها هذه الخطاطة على العبارات الّتي تحقّقها.

وممّا يوضّح كذلك الأثرَ الّذي يكون لزيادة تناسب ما، مركّباتٌ من قبيل [*tall giraffe* "زرافة طويلة"]، و[*intelligent ape* "قرد ذكيّ"]، و[*honest politician* "سياسيّ صادق"]. هي مركّبات تتألّف من اسم تحوّره صفة "ذات درجات موزّعة على سلّم"، تسنِد إلى منتقلها خصيصةً يكون حضورها فيه مسألة درجات. والنّقطة المعنيّة هنا تتمثّل في أنّ مركّبا مثل [*tall giraffe*] له معنيان مختلفان غاية الاختلاف. فمن جهة، يمكن أن يدلّ على أنّ الزّرافة طويلة بالقياس إلى السّلّم المتعارف عليه في التّجربة البشريّة العاديّة. في حديقة الحيوانات، مثلا، قد يقول أب لطفله: [*Look at that tall giraffe*! "انظر إلى تلك الزّرافة الطّويلة!"]، يعني فقط أنّ الزّرافة طويلة بالنّسبة إلى الأشياء الّتي تعترض الطّفل عادة. ويمكن أن تكون الزّرافة قصيرة شيئا ما بالقياس إلى ما تكون عليه الزّرافات بصفة نوعيّة، ولكنّها قد تبدو طويلة نسبيّا عند الطّفل. ومن جهة أخرى، يمكن أن تكون "الزّرافة الطّويلة" زرافة طويلةً بالقياس إلى الزّرافات الأخرى (نوع الزّرافة الّذي يمكن أن يلعب كرة السّلّة بيسر!).

يجري عرض الأبنية المكوّنيّة في عبارة [*tall giraffe*]، عرضا مختزلا في الرّسم البيانيّ 7. 3. وتعرض كلمة [*tall*]، من حيث كانت صفة، علاقةً لاعمليّاتيّة مُنتقلُها شيء ولا معلَمَ لها. يتميّز منتقلها، بصفة خطاطيّة، بكونه وحدة مادّيّة ذات بعد عموديّ بارز عندما يكون في هيأة انتصابه العاديّة. وعلى هذا، نستعملها باعتبار الوحدات ذات التّصفيف العموديّ مثل النّاس، والبنايات، والجبال، والأشجار، والصّواري (ولكن لا نستعملها للأفاعي، مثلا). يشير السّهم إلى سلّم يقيس درجة الامتداد على المحور العموديّ انطلاقا من سطح أفقيّ (هو سطح الأرض، عادة). وعلى امتداد هذا السّلّم، تتضمّن الجهة المشار إليها بعلامة (n) مجموعة القيم الّتي تُعتبَر قيما عاديّة. والعلاقة الّتي تعرضها [*tall*]، هي علاقة المنتقل (عندما يكون منتصبا) مسقَطا على موضع ما يتجاوز المعيار السّلّميّ. وأمّا في ما يخصّ الاسم [*giraffe*]، فلم أعرضه بالأساس إلاّ من حيث هو شيء ذو تصفيف عموديّ. وممّا يُعرَض كذلك، سهم يمثّل معرفتَنا بكون الزّرافات واقعة في العادة في حيّز ما من مجموع الدّرجات (n)، من ذلك السّلّم باعتبار ارتفاعها. ويرمز الحرف التّاجيّ (G) إلى جميع الخصائص الأخرى الّتي تؤلّف المعنى الموسوعيّ المقترن بذلك الاسم.



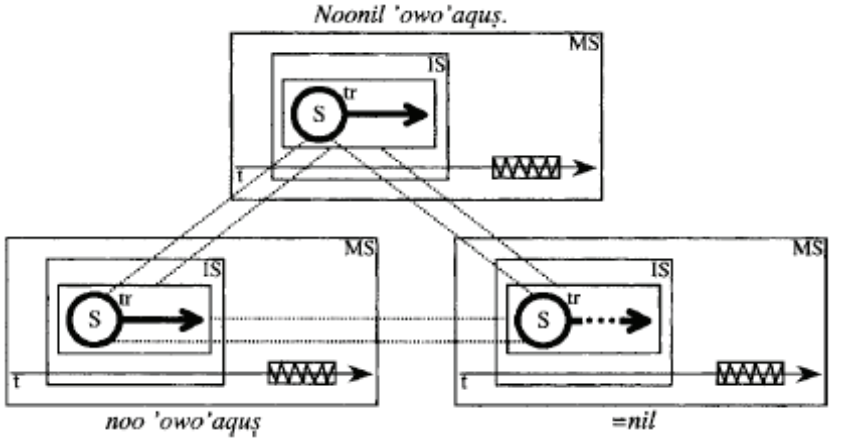
الرّسم البيانيّ 7. 3

لا ينبـع التّأويـلان المقترنان بعبـارة [*tall giraffe*] من أيّ فـارق بين المعنيين المقترنيـن بالبنيتيـن المكوّنيّتين، بل هما، عوضا عن ذلك، مسـألة مدارها كيفيّة الدّمج بينهما، كما يُرى من خلال الرّسـم التّخطيطيّ. يمثّل التّناسـب (i) التّراكبَ المفهوميّ الأساسيّ الّذي يحدّد بنية [ADJ + N، "صفة + اسم"]. وإن كان هذا التّناسـب التّناسـبَ الوحيـدَ، لا يجري ربط بين السّـلّم الّذي تسـتحضره الصّفة وذاك الّذي يستحضره الاسم. فيمكن، لذلك، أن يؤوّل الارتفاع الّـذي تخصّصه الصّفة [*tall*]، على أسـاس أيّ معيار يبدر إلى الذّهن من تلقاء نفسـه، إذ التّأويل المحايد من طبائع التّجربة البشريّة. والأرجح، رغم ذلك، أن يُجعَل المعيارُ المقترن بالصّفة مطابقا لارتفاع الزّرافات النّوعيّ على وجـه الخصوص. وتحدث المطابقة بين ذينك المعيارين بواسـطة التّناسـب (ii). يعكس هذا التّناسبُ الإضافيّ قالبا راسخا رسوخا عميقا، ثابتا تواضعيّا، يحكُـم التّوليف بين الصّفات ذات الدّرجات الموزّعة على سـلّم، من جهة، والأسماء، من أخرى. هو جزء من الخطاطة البنائيّة الفرعيّة الّتي تحقّق الخطاطةَ الّتي تصف بنية [ADJ + N] بصفة عامّة.

2.1.7 الإطناب وعدم التّماسك

تمثّل خطوط التّناسب إشـارة تصويريّة إلى التّراكب المفهوميّ. فيمكن أن تتراكـب الأبنية المكوّنيّة والمركّبـة تراكبا من أيّ درجة كانت، بل تبلـغ درجة التّراكب الكلّيّ. ومن حالات ذلك المثـال المأخوذ من اللّغة

اللّويزينيّة في الفصل السّابق، [*noonil ’owo’aquṣ* "كنت أعمل"]. لا تستدعي الوُصلة [*nil=*]، هنا، عنصرا لم يجرِ تخصيصه تخصيصا بتفصيل يساوي أو يفوق ما خصّصه به المكوّن المركّبيّ الجُمَليّ [*noo ’owo’aquṣ*]. يُعرَض قطب البنية الدّلاليُّ عرضا إجماليّا تقريبيّا في الرّسم البيانيّ 7. 4 (وقد قُدِّم قطبها الصّوتميّ في الرّسم البيانيّ 6. 14). ويَعرِض المكوّن المركّبيُّ الجُمَليّ عمليّة ’العمل‘ المخصوصة الّتي يجريَ تمثيلها في شكل سهم صلب. ويتحدّد منتقِلها بالضّمير الفاعل [*noo*] من حيث كان المتكلّمَ (S)، وتضعها لاحقة الماضي المستمرّ [*-quṣ*] في زمن سابق على زمن التّكلّم. وتستحضر كذلك الوصلةُ [*nil=*] عمليّةً، ولكن بشكل خطاطيّ (ولذلك تضمّن السّهم الّذي يمثّلها نقاطا مسترسلة علامة على الحذف). وهي تصلح لتعيين المنتقل على أنّه المتكلّم، وتصلح لوضع العمليّة في الزّمن الماضي. فيكون، بهذا الوجه، لجميع العناصر الأساسيّة في المكوّن الواحد نظائرُ في المكوّن الآخر. فالعمليّة المخصوصة الّتي يعرضها المركّب الجُمَليّ تناسب، على وجه التّحديد، العمليّةَ الخطاطيّة الّتي تعرضها الوُصلَة.[4] ينجرّ عن ذلك أنّ منتقلَيْ العمليّتين متناسبان أيضا. غير أنّ الوصلة لا توفّر أيّ معلومة لا يمدّنا بها المركّب الجُمَليّ أيضا، ولذلك عندما يتراكب العنصران المتناسبان لتكوين التّصوّر المركّب، يتبيّن أنّ هذا الأخير مطابق للمكوّن المركّبيّ.



الرّسم البيانيّ 7. 4

الوُصلَة إذن عنصر إطنابيّ. فينبغي أن لا يُنتقَص قدر الإطناب لأنّ كلّ لغة تستخدمه استخداما واسعا بوجه أو بآخر. وهو أداة مساعدة تضمن أن تظلّ الرّسالة المهترئة اهتراء جزئيّا قابلة للفهم بما تمُدّ به السّامع من أدلّة إضافيّة. ويمكّن الإطناب المتكلّمَ من إبراز فكرة معيّنة باعتماد التّكرار أو من وصفِها من زوايا نظر متعدّدة. والوصلات ذات الموضع الثّاني من الجملة مثال على الإستراتيجيّة العرفنيّة الطّبيعيّة القائمة على «التّزويم الدّاخل» من العامّ إلى الخاصّ. فهي بالتصاقها بالعنصر البدئيّ في العبارة، «تؤطّر» المركّب الجُمَليّ بأن تضيف صورةً خطاطيّة للعمليّة المعروضة، والمشاركِين المركزيّين فيها، وعلاقتَهم بوضعيّة الكلام. وإذ تضيف الوصلات تمثيلا هيكليّا للوضعيّة الشّاملة، فإنّها تُسهّل إدراكَ العناصر المتبقّية من المركّب الجُمَليّ الّتي تجسِّدها تبعا لذلك.

يسمّى الإطناب الّذي توفّره العناصر النّحويّة في الدّراسات التّقليديّة «المطابَقة» النّحويّة. فيمكن على هذا أن توصف الوصلات في اللّويزينيّة بأنّها تطابق الفاعلَ في الشّخص وفي العدد، وتطابق الفعلَ المصرّف في الزّمن. لكنّ مفهوم المطابقة التّقليديّ يثير إشكالا كبيرا؛ فغالبا ما لا يكون للعناصر المطابِقة شيء تطابقه أو تختلف عنه في المعلومات الّتي تقدّمها عن الوحدة الّتي يجري توصيفها (بارلو 1992). وللنّحو العرفنيّ مقاربة أخرى. فلا تفسَّر أنواع الإطناب المعنيّة هنا بـ«نسْخ» المعلومات من جزء من العبارة إلى جزء آخر منها، بل تفسَّر ببساطة بكونها مسائل ترميز متعدِّد. يعني ذلك أنّ المعلومات المتعلّقة بوحدة ما يجري ترميزها بأكثر من بنية مكوّنيّة واحدة داخل التّجميعة الرّمزيّة نفسها فيكون لها تبعا لذلك تجلّيات متعدِّدة داخل عبارة مركّبة واحدة. فتُناسب تمثيلاتُ تلك الوحدة (مثل المنتقل في الرّسم البيانيّ 7. 4) الواحدةُ منها الأخرى، ويجري إسقاطها على نفس العنصر من التّصوّر المركّب.

وعلى هذا، يُحلَّل ما يسمّى بالعناصر المتطابقة على أنّ الواحد منها يقدّم مساهمات دلاليّة مستقلّة يصادف أن تتراكب مع معلومات واردة في مكان آخر. وزيادة على ذلك، يتنوّع هذا التّراكب من حيث المدى، ويكون العنصر «المطابِقُ» أحيانا المصدرَ الوحيد للمعلومات المعنيّة. في اللّغة اللّويزينيّة، مثلا، يمكن للفاعل أن يُحذَف، فتكون لذلك الوصلةُ في جملة من قبيل (2) العنصرَ الوحيد الّذي يصلح لتحديد المنتقل. فتستحضِر، في

هذه الحالة، كلُّ بنية مكوّنيّة وحدةً على غاية من الخطاطيّة تُخصِّصها البنيةُ الأخرى تخصيصا علـى غاية من التّفصيل. فالمكوّن المركّبيّ [*waxaam ʾowo ʾaquṣ*] يستحضر منتقلا خطاطيّا تحدّده الوصلة [*nil*=] على أنّه المتكلّم. وعلى عكس ذلك تستحضر الوصلة عمليّةً خطاطيّة يحدِّدها المركّب الجُمَليّ على أنّها عمليّة العمل. فتوفّر البنيتان المكوّنيّتان، عند الجمع بينهما، توصيفا تامّا للحدث المعروض.

Waxaam=nil *ʾowoa–ʾquṣ*. (2)
yesterday=1s:PAST work–PAST:DUR
استمراريّ:ماض-عمل **ماض:**أنا=أمـــس
Yesterday I was working.
أمس، كنت أعمل. (كنت أعمل بالأمس).

عندما تتناسب العناصر من بنيتين مكوّنيّتين، يناسب كلّ واحد منها نفسَ العنصر من البنية المركّبة، وتوفّر كلّ بنية مكوّنيّة بعض المعلومات عنه. فغالبا ما يكون التّوصيف الواحد خطاطيّا، ويكون الآخر مخصوصا. ويكون كلاهما في العادة متناسقين، وبوجه من الوجوه متكاملين. ولكن لا شيء يضمن ذلك. فبدل أن يكمّل الواحد منهما الآخر، يمكن أن يكون التّوصيفان متكافئين، كما هو الأمر في شأن المنتقل في حالة [*noo*] و[*nil*=] في [*noonil ʾowoʾaquṣ*]. ولا يمكن لأيّ قوّة غيبيّة أو لغويّة أن تمنع توصيفين من أن يكونا غير متناسقين. فيمكن لمتكلّم باللّويزينيّة، على سبيل المثال، أن ينتج جملة من قبيل (3)، سواء كان عن طريق السّهو، أو القصد، أو المشاكسة الصّريحة. فهنا، يحمل الضّميرُ الوارد فاعلا والوصلةُ توصيفين متناقضين في ما يتعلّق بالمنتقل. ففي حين تصفه [*noo*] على أنّه ضمير الشّخص المتكلّم المفرد (I "أنا")، تخصّصه الوصلة [*chamil*=] بأنّه ضمير المتكلّم الجمع (we "نحن"). فهذه ليست جملة جيّدة في اللّويزينيّة. ولكن ما معنى "جيّدة" بالتّحديد؟

**Waxaam=chamil* *noo* *ʾowoʾa–quṣ*. (3)
yesterday=1p:PAST I work–PAST:DUR
استمراريّ:ماض-عمل أنا **ماض:**أنا=أمـــس
Yesterday {I / we} {was / were} working.
أمس {أنا / نحن} {كنت/ كنّا} {أ/نـ}ـعمَل.

يؤشِّر اللّسانيّون على جملة من هذا القبيل بنجمة ويصفونها بكونها «لانحويّة» أو «مختلّة التّكوين». وفي أغلب العبارات الّتي تسمَّى كذلك، يتبيّن أنّ المشكل يتعلّق بضعف التّماسك الدّلاليّ. والآن، يبين أنّ لعدم التّماسك (تماما مثل الإطناب) استعمالاته. يمكن للمرء أن يتخيّل ملابسات خاصّة يُحتمَل أن تستعمل فيها جملة من قبيل (3) استعمالا حقيقيّا ناجحا.[5] ولكنّ المواضعات في لغة ما، تتشكّل وهي تتطوّر من خلال الاستعمال لضمان النّجاعةِ التّواصليّةِ في الوضعيّات المألوفة، فتتجنّب لذلك بصفة عامّة أن تعرض بشكل بارز التّخصيصات المتناقضةَ تناقضا صارخا. فمواضعات اللّغةَ اللّويزينيّة تعكس بصفة طبيعيّة الوضعيّةَ المعهودة الّتي يكون فيها السّعي إلى توصيف المنتقِل في المركّب الجُمَليّ بطريقة مفردة متماسكة. وهناك خطاطات بنائيّة تصِف المركّبات الجُمَليّة الّتي يكون فيها الفاعل والوصلة متوافقين بالنّظر إلى ضمير المنتقل وعدده. ولا وجود لخطاطات بنائيّة تتعلّق بالحالات الّتي يكونان فيها غير متوافقين. وعلى هذا، تُعتبَر جملة مثل (3) غير معهودة (أي «لا نحويّة») لأنّها تتناقض مع الخطاطات الوحيدة المتوفّرة لإجازتها.

7. 1. 3 حجّة الاستقلال الواهية

لا تضمن مطابقة الخطاطات البنائيّة المناسبة، في ذاتها، أن تكون العبارة متماسكة في داخلها دلاليّا. ومن الأمثلة الشّهيرة ما يرد في (4):

(4) *Colorless green ideas sleep furiously*.
تنام الأفكار الخضراء عديمةُ الألوان بكلّ عنف.

ذكر شومسكي (1957: 15) هذه الجملة في معرض حجاج يثبت استقلال الإعراب (§ 1. 2. 1)- أي استقلاله عن المعنى. فلقد ذهب إلى أنّ الجملة (4) ذات بناء نحويّ جيّد تمام الجودة رغم عدم انسجامها الدّلاليّ. فمن زاوية النّحو فيها، تكون الجملة (4) نظيرة للجملة (5) (أ). وعلى عكس ذلك، نرى من خلال الجملة (5) (ب) أنّ عبارة لا غبار عليها دلاليّا يمكن رغم ذلك أن تكون لا نحويّة تماما:

(5) (أ) *Friendly young dogs bark harmlessly*.
تنبح الكلاب الصّغيرة الصّديقة دون ضرر.

(ب) ✻*Dogs harmlessly young bark friendly*.
*الكلاب دون ضرر الصّغيرة تنبح بطريقة صديقة. [المراد معنى الجملة (5) (أ)]

وكانت الخلاصة، بناء على ذلك، أنّ النّحو يوصف وصفا مناسبا دون عود بالضّرورة إلى المعنى.

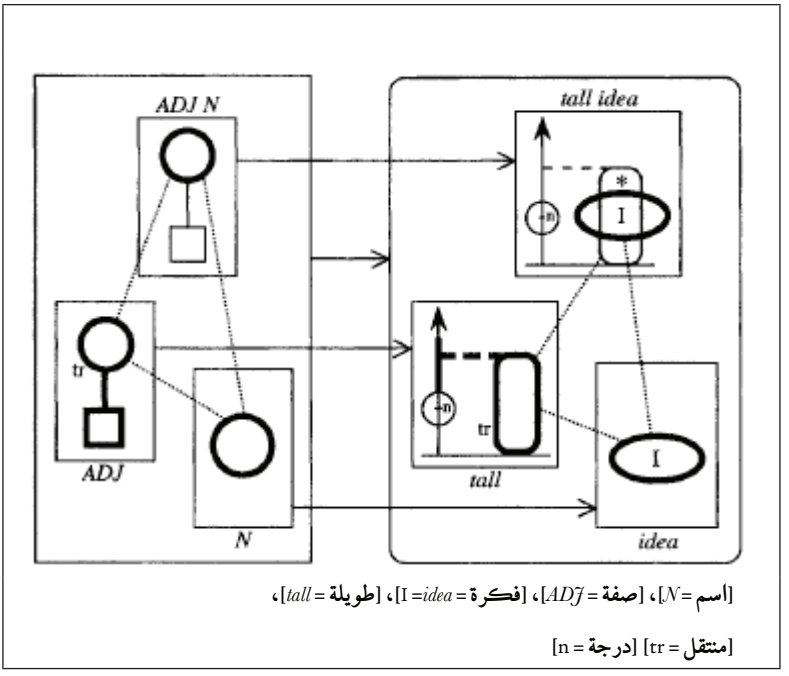
وقد حاول نقّاد أطروحة الاستقلال أن يدحضوا كون الجملة الواردة في (4) مختلّة دلاليّا. ويشيرون، على صواب، إلى أنّ المتكلّمين يحاولون إقامة المعنى من عبارات تبدو غير منسجمة، وأنّ هذا الأمر ليس مستحيلا، حتّى في الأمثلة القصوى من هذا القبيل. فيمكن، مثلا، أن تؤوّل كلمة [*green* "أخضر"] بأنّها تدلّ على "جديد، غير مجرّب، غير راشد" (انظر [*greenhorn*، "غرّ/ قليل الخبرة"]، و[*green banana* "موز أخضر"])، وتؤوَّل كلمة [*colorless*] على معنى "باهت، غير مهمّ" (انظر [*colorless personality* "شخصيّة غير ذات لون"]. ويمكن، كذلك، أن تصف عبارة [*sleep furiously* "نامَ بعنف"]، على وجه معقول، شخصا يتشبّث بالنّوم بكلّ إصرار إلى حدّ أنّ جميع المحاولات في إيقاظه تكون غير مجدية. فيمكن للمرء عندئذ أن يبني الجملة بناء استعاريّا تدلّ فيه على أنّ الأفكار الجديدة غير المهمّة تظلّ نائمة تقاوم جميع الجهود الّتي ترمي إلى جعلها ذائعة الصّيت.

ولكنّني أعتقد أنّ وجوه هذا النّقد مجانبة للصّواب. لا شكّ أنّ شومسكي محقّ في اعتبار جملة مثل (4) مختلّة دلاليّا إذا ما أعطِيَت كلّ كلمة فيها تأويلها المحايد، العاديّ. في حين لا تنسبك الكلمات انسباكا واحدا لتعطي معنى منسجما، يمكننا رغم ذلك أن نسلّم بأنّ الجملة قد رُكِّبت كلماتُها وفق القوالب الإعرابيّة القياسيّة. ويخطئ شومسكي في ادّعائه بأنّ ذلك يبرهن على استقلال النّحو. يمكن أن نرى ذلك بملاحظة الوقائع الّتي يستوعبها بصفة فوريّة النّحُو العرفنيّ الّذي يمثّل - من حيث هو تفسير رمزيّ للنّحو- نقيضا لأطروحة الاستقلال.

تتمثّل الخطيئات الدّلاليّة المُقترَفة في الجملة (4)، في خرق قيود الانتقاء. فكلمة [*green*]، مثلا، تنتقي للاسم الّذي تحوّره شيئا ماديّا قادرا على إظهار اللّون، ولكنّ [*ideas* "أفكار"] قاصرة عن الامتثال لهذا القيد. يكفي، إذن، أن نفحص حالة واحدة من هذا القبيل (بدل أن نعالج الجملة (4) في جميع مظاهر التعقّد فيها). انظر في المركّب [*tall idea* "فكرة كبيرة"]. يمكن الآن بكلّ يقين أن نعطيها تأويلا منسجما. فيحتمل أن تؤخذ على أنّها تحيل على فكرة "كبيرة"، جريئة (قارن [*tall tale* "حكاية كبيرة"]. ولئن كان،

هنا، المعنى الحرفيّ مفيدا حيث تفهَم كلّ كلمة في معناها الأساسيّ الدّقيق. وإذ تؤوّل بهذا الوجه، تكون عبارة [*tall idea*] شاذّة دلاليّا.

تحدّد الصّفة [*tall*]، في معناها الحرفيّ الضّيّق، منتقلَها بكونه وحدة توجد في الفضاء، وذات تمدّد بارز عموديّ عندما تكون في اتّجاهها القياسيّ. فعندما تحوّر الصّفةُ [*tall*] الاسمَ [*idea*]، يسوّي تناسبٌ ما منتقلَ الصّفة بالشّيء الّذي يعرضه الاسم، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 7. 5. ولكنّ الفكرة (I)، ذات طبيعة تجريديّة، فلا توجد تبعا لذلك في الفضاء ولا يكون لها شكل أو اتّجاه فضائيّ (ومن زاوية علاميّة رمزيّة، تشير الأشكال البيضويّة إلى طبيعتها من حيث هي غير ذات شكل ولا مادّة). فعلى هذا، تكون عبارة [*tall idea*] شاذّة، لأنّ الاسم يقصر عن الاستجابة للقيود الّتي تفرضها الصّفة على منتقلها. فعندما تتراكب العناصر المتناسبة لتكوين البنية الدّلاليّة المركّبة، تتصادم تخصيصاتها بدل أن تنصهر في مفهوم منسجم - فيكون السّعي إلى التّوحيد بينها شبيها بمحاولة إدخال وتد بيضويّ في ثقب مستطيل. تزاد نجمة إلى الرّسم التّخطيطيّ لإبراز عدم التّماسك المفهوميّ هذا.



الرّسم البيانيّ 7. 5

ورغم هذا الشّذوذ الدّلاليّ، تكون عبارة [*tall idea*] "نحويّة". فهي تحترم القالب القياسيّ الّذي تحوّر بمقتضاه الصّفاتُ الأسماءَ في اللّغة الإنجليزيّة. (مثل [*tall giraffe* "زرافة طويلة"]، [*good idea* "فكرة جيّدة"]، [*green apple* "تفّاحة خضراء"]). يساوي ذلك، في عرف النّحو العرفنيّ، أنّ عبارة [*tall idea*] تحقّق الخطاطة البنائيّة الّتي تصف ذلك القالب. فالصّفة تعرض علاقة لاعمليّاتيّة يكون منتقلها شيئا، ولكن دون مَعلَم مُبَأَّر. وكما يُعرَض إلى اليسار من الرّسم البيانيّ 7. 5، يحدِّد خطّ التّناسب منتقلَ الصّفة بالاسم الّذي يكون معروضا في مستوى البنية المركّبة كذلك. ويتألّف الدّمج الصّوتمي من الصّفة واردةً مباشرة قبل الاسم (في الإنجليزيّة). يشير الرّسم التّخطيطيّ إلى أنّ عبارة [*tall idea*]، مطابقة تماما لهذه الخطاطة. وعند الفحص الفرديّ، تكون جميع تخصيصات الخطاطة قد لبِّيَت: [*tall*] صفة، [*idea*] اسم، والشّيء الّذي تعرضه كلمة [*idea*] يناسب منتقلَ [*tall*]، وهو كذلك معروض بالبنية المركّبة، وتأتي [*tall*] مباشرة قبل [*idea*]. وبالإضافة إلى ذلك، لا يضمن الدّمج ذاته بين صفة واسم على الطّريقة الّتي تشير إليها الخطاطة أنّ الوحدات المعجميّة المختارة ستكون متوافقة دلاليّا. وتمثّل الخطاطات البنائيّة، من حيث هي مواضعات لسبك العبارات المركّبة، مواردَ رئيسيّةً للتّكلّم والفهم. ولكنّها ليست الموارد الوحيدة المستعملة، ولا يمكن بالضّرورة أن نثق بأنّ المتكلّمين يستعملونها بطريقة منسجمة مفهوميّا.

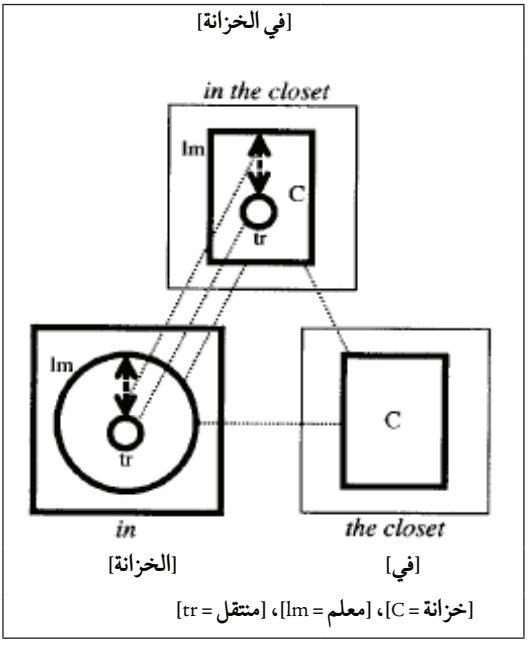
ولنعد الآن إلى الأمثلة الأصليّة. فالجملة (5) (أ) نحويّة تماما ومنسجمة دلاليّا. هي مطابقة للخطاطات البنائيّة المناسبة، عند كلّ من القطبين الدّلاليّ والصّوتميّ، ويُنتِج الدّمج الدّلاليّ وفق تلك الخطاطات مفهوما مركّبا متماسكا. والجملتان الأخريان "شاذّتان" وإن بطرق مختلفة. فمن جهة، الجملة (4) شبيهة بعبارة [*tall idea*]: هي نحويّة بمعنى أنّها مطابقة نحويّا ودلاليّا في آن للخطاطات المجيزة، وهي، فوق ذلك، غير منسجمة دلاليّا عندما تُدمَج العناصر المكوّنيّة بالطّريقة الّتي تحدّدها تلك الخطاطات. ومن جهة أخرى، الجملة (5) (ب) ذات تكوّن جيّد دلاليّا، على افتراض أنّها تستعمل الخطاطة البنائيّة نفسها الّتي تستعملها الجملة (5) (أ)، وأنّ لها المعنى المركّبَ نفسَه. وتنبع لانحويّتها الصّارخة من الكيفيّة الّتي تُدمَج بها الأبنية المكوّنيّة دمجا صوتميّا. فالكلمات لا ترد في التّرتيب الّذي تحدّده الخطاطات البنائيّة في ترميز الدّمج الدّلاليّ بينهما (مثال، الصّفات لا تجري فيها قبل الأسماء الّتي تحوّرها).[6]

أختم بالقول إنّ إمكانيّة التّمييز بين الشّذوذ الدّلالي و'اللاّنحويّة" قاصرة عن تأسيس استقلال الإعراب. ويعالَج التّباين بصفة مباشرة في تفسير رمزيّ للنّحو.

2.7 تحديد المعروض

من المألوف في الأبنية النّحويّة أن تعرِض البنيةُ الدّلاليّة المركّبة نفسَ الوحدة على أنّها واحدة من الأبنية المكَوّنيّة. فعلى سبيل المثال، تعرض عبارة [*jar lid* "غطاء إناء"]، باعتبارها كلاّ مركّبا، نفسَ الوحدة على أنّها [*lid* "غطاء"]: فـ[*jar lid*] نوع من الغطاء، وليس نوعا من الآنية (انظر الرّسم البيانيّ 6. 3). ويكون، بطريقة مماثلة، لعبارة [*jar lid factory* "مصنع غطاء الأواني"] نفسُ المعروض الّذي يكون لـ[*factory* "مصنع"] (انظر الرّسم البيانيّ 6. 5)، وتشير عبارة [*tall idea*]، رغم الشّذوذ الدّلاليّ فيها، إلى الفكرة، لا إلى العلاقة الّتي تعرضها الصّفة (انظر الرّسم البيانيّ 7. 5). ويمكننا أن نقول، بطريقة استعاريّة، إنّ البنية المركّبة "ترث" في العموم معروضَها من بنية مكوّنيّة. والبنية المكوّنيّة الّتي تورِّث معروضَها للبنية المركّبة يشار إليها في النّحو العرفنيّ بمصطلح محدِّد المعروض.

غالبا ما يشار إلى محدِّد المعروض باستعمال خطوط غليظة للخانة الّتي تحتوي عليه. وهذه الطّريقة الرّمزيّة جرى استعمالها أوّل مرّة في الرّسم البيانيّ 7. 6، الّذي يظهِر الدّمج بين الحرف [*in* "في"] والإسمائيّ [*the closet* "الخزانة"]، لتكوين المركّب الحرفيّ [*in the closet* "في الخزانة"]. يعرض المكوّن الإسمائيّ شيئا يُرسَم في شكلٍ مستطيل، إشارةً إلى منزلتِه من حيث هو موضع وتمثيلا له بمحاكاة شكلِه المعهود، في آن واحد. ويختصر الحرف [C] جميع خصائصه الدّلاليّة الأخرى (العلاقة بغرفة ما، حجم تقريبيّ، وظيفة الخزن، وما إلى ذلك). ولا أسعى في هذه المرحلة إلى إدراج معنى علامة التّعريف (انظر الفصل 9). يعرض الحرف [*in*] علاقة لاعمليّاتيّة بسيطة بين شيئين، تلك الّتي يحتلّ فيها، على وجه الخصوص، المنتقِل حيّزا فضائيّا في المعلَم.[7] يُدمَج الحرف والإسمائيّ من خلال التّناسب بين معروض الأوّل ومعلَم الثّاني. وتشير الخانة ذات الأسطر الغليظة إلى أنّ الحرف يشتغل مُحدِّدا للمعروض في هذه البنية. وتعيّن عبارة [*in the closet*]، من حيث هي كلّ، علاقةَ تضمّنٍ فضائيّ، لا الخزانةَ نفسها.



الرّسم البيانيّ 7. 6

تثبُت الفائدة من الخانات ذات الخطوط الغليظة في معالجة الرّسوم التّخطيطيّة المعقّدة بأن تجلب الانتباه إلى محدِّدات المعروض. ولكنّ تخصيص رموز منفصلة لهذه الغاية، يمثّل في الواقع، إطنابا. يقوم تحديد المعروض على أساس سمات أخرى للتّجميعات الرّمزيّة يجري تخصيصها بطريقة منفصلة، أعني العرضَ والتّناسبات. فيمكن، على هذا، أن نعيّن محدِّدَ معروض ما بفحص الأبنية المكوّنيّة والمركّبة، والتّناسبات الّتي تربط بينها كذلك. فمحدّد المعروض، بحكم التّعريف، هو البنية المكوّنيّة التي يناسب معروضُها معروضَ البنية المركّبة. فيكون على هذا [*lid*] محدّدَ المعروض في [*jar lid*]، لأنّ معروضَي [*lid*] و[*jar lid*] متناسبان، كما يُرى في الرّسم البيانيّ 6. 3 (في حين لا يناسب أيّ منهما معروضَ [*jar*]). ويمكن أن نقول، من خلال الرّسم البيانيّ 7. 6، إنّ الحرف [*in*] يشتغل محدّدَ معروض لأنّ العلاقة الّتي يعرضها تُناسِب العلاقةَ المعروضة بعبارة [*in the closet*].[8] فالخانات ذات الخطوط الغليظة، إذن، جارية لمجرّد إبراز مظهر للأبنية يمكن التّأكّد منه بصرف النّظر عنها.

يعادل محدِّدُ المعروض لبنية ما، تقريبا، ما تطلق عليه تقليديّا تسمية الرّأس. والرّأس (في مستوى معيّن من التّنضيد)، كما يعرَّف في المشترك الغالب،

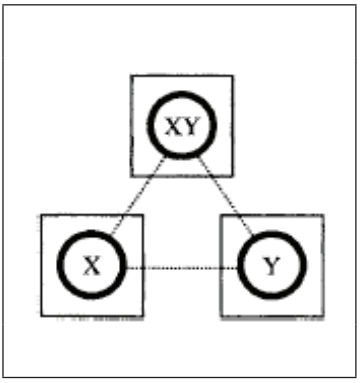
هــو العنصر المكوّنيّ الّــذي يمثّل نفس المقولة النّحويّــة الّتي تكون للبنية المركّبة.[9] فالتّعادل بين الرّأس ومحدِّد المعروض مســتلزَم بفرضيّة أساســيّة في النّحو العرفنيّ: تتحدّد المقولة النّحويّة لعبارة ما بطبيعة معروضها. ويستتبع من هذا أنّ العنصــر المكوِّنيّ الّذي يورِّث معروضَه لعبــارة مركّبة، يُحدِّد، بحكم ذلــك، مقولتَها النّحويّة. فمفهوم الــرّأس، إذن، يعرّف مفهوميّا، وفق مبادئ النّحو العرفنيّ العامّة، بالنّظر إلى القطب الدّلاليّ من التّجميعات الرّمزيّة (بــدل أن يكــون مفهومــا نحويّا غير قابــل للخزل، كما يجــري ذلك في أطروحة استقلال الإعراب).

ولئــن جرت العادة بأن تشــتغل بنيةٌ مكوّنيّة مفردةٌ محــدِّدا لمعروض ما، فليســت كلّ بنية مطابقةً لهذا الطّراز. وتنقسم أنماط الخروج عن هذا التّنضيد النّموذجيّ إلى ثالوث من الأصناف الواســعة: حالات المعروضات المتناسبة، والمعروضات المجمّعة، والمعروضات خارجيّة المركز.

فمــن حــالات المعروضــات المتناســبة المركّبــات الجُمَليّة مــن اللّغة اللّويزينيّة الّتــي تتضمّن عددا من الوصلات، مثل [*Noonil ʻowoʼa-quṣ* "أنا كنت أعمل"]. نرى في الرّســم البيانيّ 7. 4 أنّ كلاّ من المركّب الجُمَليّ والوصلة يعــرض عمليّة - العمليّة المخصوصة المتعلّقة بالمتكلّم وهو يعمل في الزّمن الماضي، والعمليّة الخطاطيّة الّتي تســتحضرها الوصلَة، تباعا. وتكمن ســمة محوريّة لهذه البنية في التّطابق بين العمليّتين: يوفّر المركّب الجُمَليّ والوصلة توصيفاتٍ خطاطيّة لما يكون، من زاوية إحاليّة، الحدثَ نفسَــه بالتّحديد. وإذ يتناســب المعروضان في البنية المكوّنيّة يناســب كلّ واحد منهما معروضَ البنية المركّبة. ولذلك لا يوجد أســاس يمكن بناءً عليه أن يُفْرَد أيّ واحد منهما بكونه محدِّد المعروض بوجه ينتفي به الآخر.

ومن الأمثلة الأخرى، ظاهرة البدَليّة الاســميّة بما تشمل من تجاور لعبارتين كلّ واحدة منهما تعرض شــيئا. وهناك قوالب متنوّعة من البدليّة الاســميّة. فيمكن أن تكون البنيتان المكوّنيّتان اســمين بســيطين، كما في [*pussycat* "قطيط(ـة)"]، أو إســمائيّين تامّين كما فــي [*Billy the Kīd* "بيلّي الصّبيّ"]، [*my son the doctor* "ابنــي الطّبيــب"]، و[*our good friend Hillary Clinton* "صديقتنــا العزيزة هيــلاّري كلينتون"]. وفي واحد من قوالب ذلــك، ومنه مثال [*his strange belief that chickens are immortal* "معتقده الغريب أنّ الدّجاج لا يموت"]، يمثّل الإسمائيّ الثّاني تشــييئا مفهوميّا للمركّب الجُمَليّ. تُمثِّل القضيّةُ المشــيّأة هنا الّتي يعبِّر

عنها المكوّنُ الثّاني ([*that chickens are immortal* "أنّ الدّجاج لا يموت"]) المعتقدَ الصّميميَّ المعروضَ بالمكوّن الأوّل ([*his strange belief* "معتقده الغريب"]). ولا تعنينا في الوقت الحاضر التّفاصيل الّتي تميّز بين هذه الأبنية المتنوّعة. فما يهمّنا يتمثّل في أنّ تلك الأبنية جميعها تُحقّق التّشكّلَ التّجريديّ الوارد في الرّسم البيانيّ 7. 7: كلتا البنيتين المكوّنيّتين تعرض شيئين، ومعروضاهما متناسبان، ولذلك يناسب كلاهما معروضَ البنية المركّبة. وعلى هذا، تعيّن العبارة المركّبة وحدةً مفردة تتوصّف بمجموعتين من الخصائص الدّلاليّة (X وY). ولكن بما أنّ كلاّ من معروضَي البنيتين المكوّنيّتين يناسب تلك الوحدة، فأيّ مكوّن منهما هو الرّأس؟



الرّسم البيانيّ 7. 7

القضيّة الّتي تثيرها المعروضات المتناسبة، مصطلحيّةٌ إلى حدّ بعيد. ويمكن أن القول، عندما نواجَه بالتّشكّل الوارد في الرّسم البيانيّ 7. 4 أو في الرّسم البيانيّ 7. 7، إنّ البنتين كلتيهما رأس، بما أنّ كلّ واحد من معروضَيْهما يناسب معروض البنية المركّبة. أو بدلا من ذلك، بما أنّ لا أحد من معروضي البنية المكوّنيّة يفعل ذلك بصفة حصريّة، يُحتمَل أن نقول إنّ المكوّنين كليهما ليس رأسا. والاختيار عشوائيّ. وبنوع من الاعتباط، أتبع الطّريق الثّاني وأجعل مصطلح «محدِّد المعروض» حكرا على التّحقّقات الّتي يكون فيها لبنية مكوّنيّة وحيدة، نفسُ المعروض الّذي للبنية المركّبة.

وينشأ تساؤل مصطلحيّ نظير لهذا في حالات المعروضات المتمازجة. هذه حالات لا يطابق فيها معروضُ البنيةِ المركّبة معروضَ أيّ بنية مكوّنيّة مفردة، إن أُخِذَت على حدة، ولكن بدل ذلك يطابق الوحدةَ ذات التّركّب

الأكبر الّتي يكون الحصول عليها بالمزج بين تلك المعروضات جميعا. ففي حين يناسب معروضُ كلّ بنية مكوّنيّة وجها ما من وجوه المعروض في البنية المركّبة، لا تطابقه تلك المعروضات من حيث هو كلّ إلاّ مطابقة جماعيّة. فهل ينبغي علينا، إذن، أن نقول إنّ جميع المكوّنات تشتغل محدّدات للمعروض، أو أن لا واحد منها يفعل ذلك؟ وأعمد مرّة أخرى إلى الخيار الثّاني.

من أمثلة ذلك بنية المحلّيّة المضمَّنة (نوقشت سابقا في الفقرة § 3. 4. 2). تُموقِع الجملة (6) منتقلها «بالتّزويم الدّاخل» من مساحات أصغر إلى أخرى أصغر منها بطريقة تتابعيّة. فكلّ عنصر محلّيّ يضع المنتقل داخل محلّ مضيّق، يتّخذه العنصر المحلّيّ الموالي مدى مباشرا له يقوم عليه تأويله. وفي مسلك البحث هذا، تحصر عبارة [*upstairs* "في الطّابق العلويّ"] المنتقل في الطّابق العلويّ من منزل ما. ويجري تأويل العنصر المحلّيّ الموالي [*bedroom* *in the* "في غرفة النّوم"] على أساس هذا الموضع -أي أنّ غرف النّوم بالطّابق العلويّ هي المفيدة دون غيرها- وتستلزم علامة التّعريف أن لا وجود إلاّ لغرفة نوم واحدة. ولا تُستحضَر إلاّ غرفة النّوم هذه لتأويل عبارة [*in the closet* "في الخزانة"]، ولا تُستحضَر إلاّ خزانة غرفة النّوم لتأويل [*on the shelf* "على الرّفّ"].

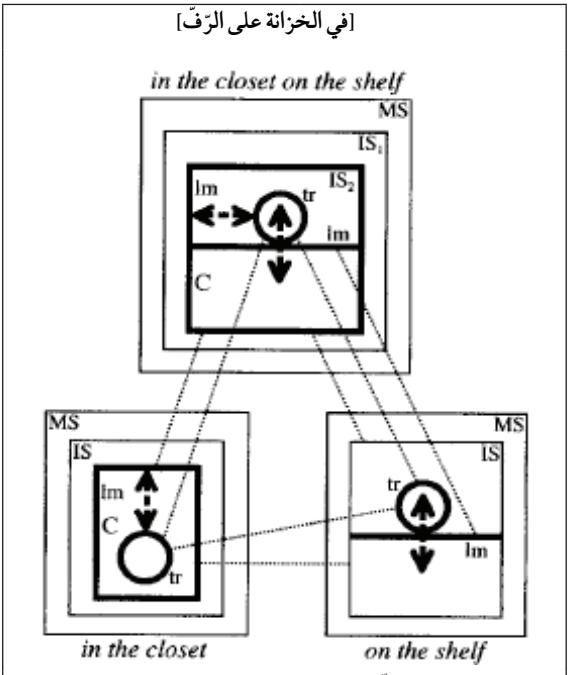
(6)

Your camera is upstairs, in the bedroom, in the closet, on the shelf.

آلة التّصوير الّتي لك، في الطّابق العلويّ، في غرفة النّوم، في الخزانة، على الرّفّ.

للمحافظة على الأمور في بساطتها، سوف نقصر عنايتنا على العنصرين المحلّيّين الأخيرين. وتبعا لذلك، ننظر في الكيفيّة الّتي بها تدمَج [*in the closet*] و[*on the shelf*] لتكوين عبارة محلّيّة مركّبة. يُعرَض هذا باختزال في الرّسم البيانيّ 7. 8، حيث تكون البنيتان المكوّنيّتان البنيتين المركّبتين الخاصّتين بالمركّبين الحرفيّين. تعرِض عبارة [*in the closet*] علاقةَ تضمُّنٍ فضائيّ (الرّسم البيانيّ 7. 6). وتعرض [*on the shelf*] علاقةً يلامس فيها المنتقلُ المسّطحَ العلويّ من الرّفّ الّذي يحمله. ففي سياق عبارة شاملة من قبيل (6)، يكون من المفيد أن يَجري تمثيلُ كلّ من المدى الفضائيّ المباشر (IS) والمدى الأقصى (MS). وبالنّسبة إلى كلّ مركّب حرفيّ، تتجلّى العلاقة المعروضة في مدى ضيّق من الانتباه (المنطقة الماثلة "على الرّكح") يُنتقَى من إطار فضائيّ أكبر.

ويكون تناسُبان اثنان مسؤولين عن دمج البنيتين المكوّنيّتين. أوّلا، يتناسب منتقلاهما. الوحدة نفسها - في (6)، أي آلة التّصوير- تتموقع في آن واحد في الخزانة (في غرفة النّوم في الطّابق العلويّ) وعلى الرّفّ. ويفسّر تناسب ثان أثرَ "التّزويم الدّاخل" المتعلِّق بالعناصر المحلّيّة المضمَّنة. وهو في حاجة إلى أن يحدّد أنّ المساحة الّتي يحبس فيها المكوّنُ الأوّل منتقلَه تشتغل مدى مباشرا لتأويلِ العنصر المحلّيّ الثّاني. والعنصر المحلّيّ الأوّل [*in the closet*]، يحبس المنتقلَ في داخل الخزانة الّذي يساوي الخزانة نفسها في الامتداد. وبهذا تكون هذه المنطقة مرتبطة بخطّ تناسب يقرنها بالخانة الّتي تمثّل المدى الفضائيّ المباشر لعبارة [*on the shelf*]. ونتيجةً لذلك، تُظهِر البنية المركّبة مدَيين مباشرين مضمَّنين يعكسان موضعي الانتباه المتتابعينَ للبنيتين المكوّنيّتين. فالمدى المباشر الأوّل [IS_1] هو المدى المباشر الّذي تفرضه [*in the closet*]، وفي داخله هو، يكون المدى المباشر الثّاني [IS_2] المدى المباشر لعبارة [*on the shelf*].

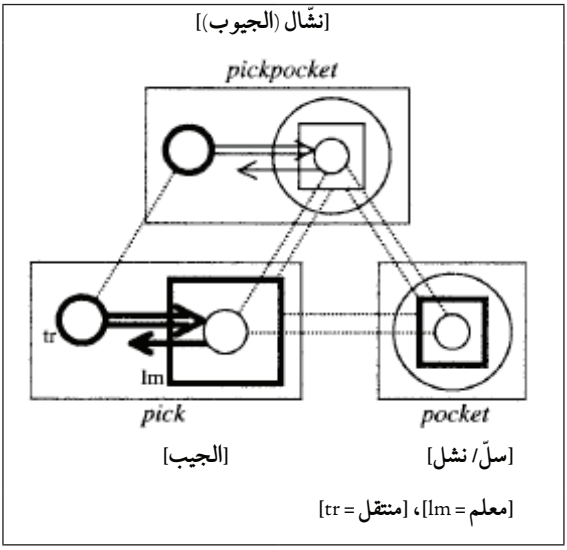


الرّسم البيانيّ 7. 8

مـاذا تعرض البنية المركّبة فـي عنصر محلّيّ مركّب من هذا القبيل؟ قد يكـون من الاعتباطيّ ومن غير الحدسـيّ فـي آن، أن نذهب إلـى أنّها تعيّن واحدة مـن البنيتين المكوّنيّتين العلائقيّتين وتَسـتَبعدُ الأخرى. وبدل ذلك، تكون العلاقة المعروضة نفسـها مركّبة، ممثّلةً بذلك المزجَ بين العلاقات المكوّنيّـة. فيتموقـع المنتقل تموقعا متزامنا إزاء معلَميـن اثنين، هما الخزانة والرّفّ.[10] فلا يكون، على هذا، لأيّ واحد من المكوّنين، مأخوذا في ذاته، المعروضُ نفسـه الّذي للعبارة المركّبة. فمعروض كلّ بنية مكونيّة يناسب وجهـا واحدا من المعروض المزيج الّذي يتجلّى في مسـتوى البنية المركّبة. ولذلك، لا تفرَد أيّ واحدة من الأبنية المكوّنيّة على أنّها محدِّد المنتقل.

هنـاك نـوع آخر مـن الوضعيّـات لا يمكن فيهـا التّعرّف علـى محدّد المعـروض. هذه حالـة الأبنية الّتي لا يناسـب فيها أيّ واحـد من معروضات البنية المكوّنيّة معروضَ البنية المركّبة. في المصطلحات التّقليديّة، تسـمّى العبارات من هذا النّوع، عبارات ذات مركز خارجيّ. والتّسـمية مناسبة لأنّها تشـير إلى أنّ "المركـز" (أي معروض العبارة المركّبـة) "خارجيّ" (أي لا يُعرَض في أيّ واحد من المكوّنات).

ومن نماذج ذلك العبارة المركّبة [*pickpocket* "سلاّل الجيب (نشّال)"]. هي نموذج من قالب تركّب (ومن سائر النّماذج نجد [*scarecrow* "فزّاعة الغربان"]، و[*breakwater* "كاسـر(ة) الأمـواج"]، و[*killjoy* "هادم اللّـذّات"]، و[*cureall* "دواء لكلّ داء"]، و[*turnkey* "سـجّان؛ تسليم الشّـيء بمفاتيحه جاهزا للاستعمال"]، و[*spoilsport* "معكّر الفرحة"]) حيث يكون المكوّنان فعلا واسـما يناسـبان المعلـمَ فيـه (انظر طاغّـي b3200). لعبـارة [*pick*] معان متنوّعـة، ولكنّها في هـذا المركّب تعرض عملا يتمثّل في نزع شـيء من موضع مـا (انظر عبارة [*pick up* "نقل، حمل"]). يعرض الرّسـم البيانيّ 7. 9 المنتقلَ يسـلّط قوّةً (يشار إليها بالسّـهم المضاعـف) ليحدث ذلك النّقلَ (السّـهم المفرد). والمفيد هنا معنـى أخصُّ يكون فيه الموضعُ الأصليّ (يشـار إليها بخانة) محلَّ تبئير على أساس أنّه المعلَم.[11] ومفهوم [*pocket* "جيب"] نوع من الموضع. تشير الدّائرتان الصّغيرة والكبيرة، في الرّسـم التّخطيطيّ، تباعا إلـى محتويات الجيب وإلى قطعة اللّباس الّتي هو جزء منه. وتطابق التّناسبات بين الجيب ومعلم الفعل [*pick* "نقل"] وبين محتوياته والشّيء المنقول.



الرّسم البيانيّ 7. 9

والعاديّ في اللّغة الإنجليزيّة أن يشتغل العنصرُ الثّاني من العبارة المركّبة محدّدا للمعروض. يصحّ ذلك على المركّبات [[N_2]-[N_1]] الّتي نظرنا فيها سابقا (مثل [*jar lid*])، من حيث مثّلت القالب الأساسيّ، وكذلك على المركّبات [[ADJ]-[N]] (مثل [*blueberry* "توت"]، [*happy face* "وجه سعيد"]، [*Big Bird* "، طائر كبير، دمية كارتونيّة في شكل طائر من سيسمي ستريت"]). والمركّبات [[V]-[N]] (فعل-اسم) متميّزة في هذا المضمار: [*pickpocket* "نشّال الجيب"] ليس جيبا، و[*scarecrow* "فزّاعةُ الغربان"] ليست غرابا. ولا هما يشيران إلى العمليّة الّتي يعرضها الفعل. ولذلك لا تفرض أيّ بنية مكوّنيّة منهما معروضَها في مستوى البنية المركّبة. وعوضا عن ذلك، تشير العبارة المركّبة إلى المحدث: [*pickpocket*] شخص ينشل الجيوب، في حين يُفترَض أنّ [*scarecrow*] تفزع الغربان. ورغم أنّ معروض البنية المركّبة لا يورَث من أيّ من البنيتين المكوّنيّتين، يخضع اختيارُه لقالب قياسيّ يناسب بشكل متّسق فعلَ المنتقل. وبناء على ذلك، يتحدّد التّناسب بينهما في الخطاطة البنائيّة الّتي تحكم مركّبات [[V]-[N]] (فعل-اسم). لا يعني ذلك أنّ هذه العبارات تركّبيّة تماما. وبالفعل، تَشتقّ الأشكالُ المركّبة مضمونَها الخصوصيّ من المجالات العرفنيّة (مثل ممارسة نشل الجيوب) الّتي لا تستحضرها أيّ واحدة من الأبنية المكوّنيّة بمفردها.

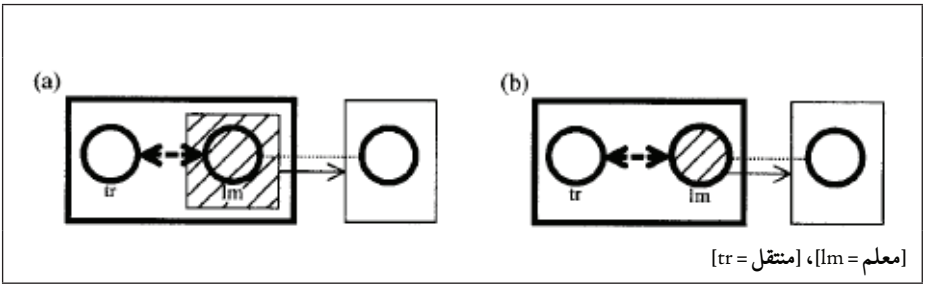
3.7 البلورة

تترابط الأبنية الّتي تكوّن تجميعةً رمزيّة بواسطة كلّ من التّناسبات وعلاقات المقوَلة. وقد أبرزنا إلى حدّ الآن التّناسباتِ بصفة رئيسيّة، وعلاقاتِ المقوَلة بين الأبنية المكوّنيّة والمركّبة بصفة ثانويّة. وتحدِّد هذه الأخيرة مسلكَ التّركّب في عبارة ما في واحد من القطبين. وما لم ننظر فيه بأيّ تفصيل كان، هو علاقات المقوَلة الّتي تربط الأبنيةَ المكوّنيّة الواحدة منها بالأخرى.

1.3.7 مواقع البلورة

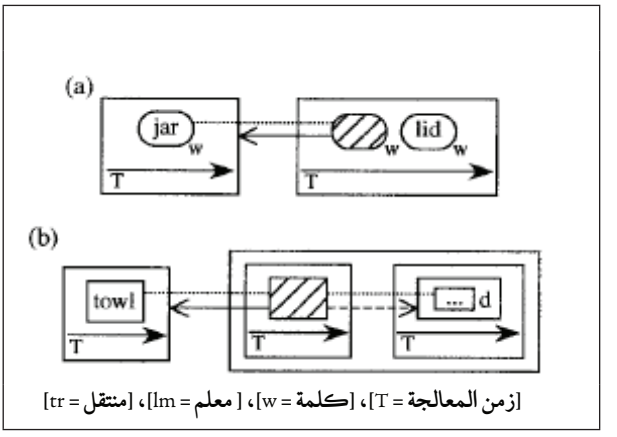
من العاديّ في بناء ما أن تتضمّن بنيةٌ مكوّنيّة واحدة بنيةً فرعيّة خطاطيّة يصلح المكوّن الآخر لبلورتها، أي لتوصيفها بتفصيل أكثر تدقيقا. في عبارة [*jar lid*]، مثلا، تستحضِر [*lid*] حاويةً خطاطيّة تتخصّص بتفصيل أدقّ بكلمة [*jar*] (انظر الرّسمين البيانيّين 3. 6 و6. 4). وبالمثل تبلور [*giraffe*] المنتقلَ الخطاطيّ للصّفة [*tall*] في عبارة [*tall giraffe*] (الرّسم البيانيّ 7. 3)، وتبلور كلمة [*pocket*] معلم [*pick*] في عبارة [*pickpocket*] (الرّسم البيانيّ 7. 9). ويسمّى العنصر الخطاطيّ الّذي يبلوره مكوّن آخر موقعَ البلورة أو موقع-ب، اختصارا.

مثلما يجري في حالة محدِّدات المعروض، يكون من المفيد وسْمُ مواقع البلورة وسما ظاهرا، حتّى وإن كان هذا الوسم، في الواقع، إطنابا في التّجميعات ذات الوصف التّامّ. وتتمثّل الطّريقة المعتمدة هنا في التّظليل بالخطوط المتوازية، كما يظهر في الرّسم البيانيّ 7. 10. يمثّل الرّسم التّخطيطيّ (a) البنيتين المكوّنيّتين في بناء مركّب حرفيّ، من قبيل [*in the closet*] (انظر الرّسم البيانيّ 7. 6). يعرِض الحرف علاقة لا عمليّاتيّة بين شيئين، ويعادل تناسبٌ معلَمَها بمعروضِ الإسمائيّ الوارد بعدها. وتحدِّد الخانةُ المظلَّلة بالخطوط المتوازية المعلَمَ موقعا للبلورة. ويتخصّص هذا العنصر بتفصيل أدقّ بالمكوّن الإسمائيّ، وقد كان خطاطيّا فقط داخل الحرف نفسه. ويشير السّهم الصّلب إلى أنّ البنية الفرعيّة الخطاطيّة تُمَقوِل المكوّن الآخر في علاقة بلورة.



الرّسم البيانيّ 7. 10

لاحِظ أنّ خطّ التّناسب في الرّسم التّخطيطيّ (a) يربط بين دائرتين، في حين يجري السّهم الّذي يشير إلى البلورة بين خانتين. يكمن سبب الاختلاف في أنّ التّناسب يتعلّق بالإحالة المفهوميّة، في حين تكون البلورة مسألة توصيف. فمن جهة، يشير خطّ التّناسب إلى أنّ معلَمَ الحرف ومعروضَ الإسمائيّ يحيلان على الوحدة نفسها: هما تجلّيان لوحدة مفردة في التّصوّر المركّب. ومن جهة أخرى، تمثّل الخانات المعلومات الشّاملة المتوفّرة عن الوحدات المتناسبة - أي الأساس المفهوميّ المستحضَر لتوصيفها، والّذي في داخله تستوي معروضاتٍ قائمةً. ومن زاوية إحاليّة، تجري المطابقة بين معروض الإسمائيّ خصّيصاً، ومعلم الحرف، ولكنّ الأساس المفهوميّ للإسمائيّ بأكمله يساهم في وصفَ المعلَم. غير أنّه يُستثقَل، من زاوية الوضوح في الرّسم التّخطيطيّ، في بعض الأحيان أن تُضافَ خانة مستقلّة تمثّل موقع البلورة. فالرّموز في الرّسم التّخطيطيّ (b) جارية لغايات الاختصار.



الرّسم البيانيّ 7. 11

ويمكن كذلك التّعرفّ على البلورة ومواقع البلورة عند القطب الصّوتميّ. يرد مثالان على ذلك في الرّسم البيانيّ 7. 11. يعرض الرّسم التّخطيطيّ (a) الدّمجَ الصّوتميّ بين [*jar*] و[*lid*] في [*jar lid*] (انظر الرّسم البيانيّ 6. 2 (b)). يتمثّل جزء من التّوصيف الشّامل لكلّ كلمة في الإمكان الّذي لها في سبق الكلمات الأخرى أو في اللّحاق عليها، والّتي يمكن استدعاؤها، تبعا لذلك، مواقعَ للبلورة. في هذه البنية تشتغل الكلمة السّابقة على [*lid*] موقعَ بلورة، وذاك ما تبلوره كلمة [*jar*]. ويصوّر الرّسم التّخطيطيّ (b) الدّمجَ بين [*toll*] و[*-ed*] في شكل الفعل الماضي [*tolled*] (انظر الرّسم البيانيّ 6. 11 (e)). يعكس تمثيلُ [*-ed*] سمةً أساسيّة في توصيف لاصقة ما: هي تحيل بصفة كامنة إحالةً خطاطيّة على جذع ما وتحدِّدُ الكيفيّةَ الّتي يكون بها تحويرُ ذلك الجذع بزيادة مادّة قطعيّة صوتيّة. فالجذع الخطاطيّ الّذي تستحضره [*-ed*]، هنا، هو موقع بلورة تُبلوِره [*toll*].

7. 3. 2 الاستقلال والتّبعيّة

تشير مواقع البلورة إلى مظهر أساسيّ من التّنظيم اللّغويّ. فقد تبيّن أنّ بعض الأبنية، بحكم طبيعتها، لا تقوم بنفسها بل تتطلّب أن تسندها أبنية أخرى- أي هي تابعة لأبنية أخرى أكثر استقلالا في تجلّيها الذّاتيّ. على هذا، لا يمكن للأبنية التّابعة أن توصف بصفة مستقلّة، باعتماد خصائصها في ذاتها، ولكن في علاقتها فقط بالأبنية المستقلّة الّتي تسندها. ونتيجة لذلك، تحيل بنية تابعة إحالةً خطاطيّة على بنية مستقلّة ساندة من حيث هي مظهر صميميّ في توصيفها الذّاتيّ. فتشتغل هذه البنية الفرعيّةُ الخطاطيّة موقعَ بلورة عندما تتوالف بنيةٌ تابعة مع بنية مستقلّة.

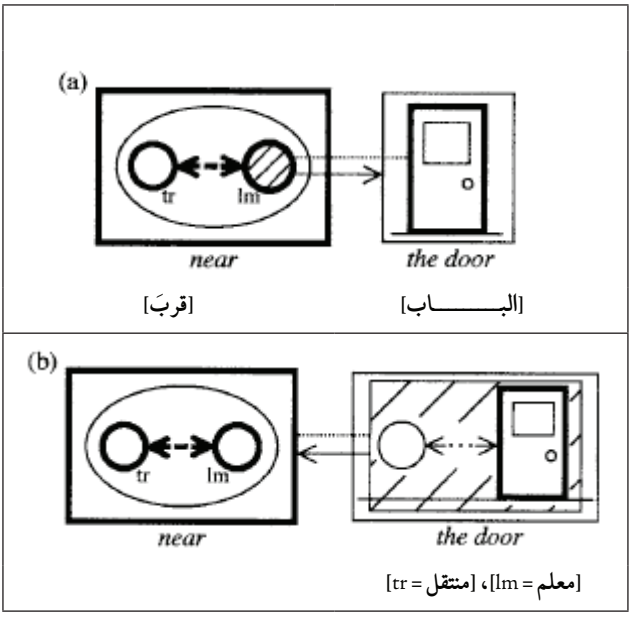
ويمثّل عدم التّناظر بين المكوّنين المستقلِّ والتّابع، الّذي يحال عليه بمصطلح تصفيف المستقلّ/ التّابع، سمةً عامّة في تصميم اللّغة. فهو موجود في كلّ من التّنضيد أحاديّ القطب والتّنظيم ثنائيّ القطب، عند كلّ من القطبين الدّلاليّ والصّوتميّ. وفي حالة التّنضيد الصّوتميّ أحاديّ القطب، يوجد مثال واضح في عنصر عروضيّ مثل النّغمة أو النّبرة الّذي يتطلّب سندا من المادّة القطعيّة الصّوتيّة في تجلّيه (فالمرء لا يمكن أن يضع نغمة عالية أو نبرة رئيسيّة على الصّمت). وفي المستوى القطعيّ الصّوتيّ، تكون الحركات مستقلّةً والحروفُ الواردة في نفس المقطع تابعةً لها. فالحركات تمكّنها طبيعتها المستقلّةُ والمكتفيةُ بذاتها، من الجريان مستقلّة في شكل مقاطع تامّة.

والحروف، من ناحية أخرى، تتكوّن بصفة رئيسيّة من تلوين الجهر الّذي توفّره الحركات أو من قَطعه، فتتطلّب لذلك سندا من الحركات لتتجلّى تجلّيا تامّا وتُدرَك بوضوح. والتّمييز بين الجذع واللاّصقة مثال على تصفيف المستقلّ/التّابع في حالة التّنضيد ثنائيّ القطب. يتكوّن كلّ من الجذوع واللّواصق من قطع صوتيّة، ويمكن أن تشتغل نفس القطعة أو سلسلة القطع في أيّ من الوجهين الممكنين. وما يميّز بينهما يتمثّل في أنّ الجذع مستقلّ، وله إمكان القيام بنفسه، في حين تستدعي اللّاصقة جذعا بحكم طبيعتها، كما يُرَى في الرّسم البيانيّ 7 ،11 (b).[12] وتتجلّى بدرجة أكبر التّبعيّة في الصّرافم الّتي تغيّر فعليّا تركيبة الجذع القطعيّةَ الصّوتيّة، مثل ترميز الزّمن الماضي بتغيير [*sit*] إلى [*sat*] (الرّسم البيانيّ 6. 11 (a)). ولا يمكن أن تكون للحركة في [*sat*] وظيفة ترميزيّة إلاّ بالنّظر إلى الحركة الّتي يُتَوقّع ظُهورُها مكانها.

عند القطب الدّلاليّ، يكمن مثال أوّليّ من تصفيف المستقلّ/التّابع أحاديّ القطب، في التّمييز بين الأشياء والعلاقات. وفي الحالات النّوعيّة (وبكثير من التّبسيط المبالغ فيه)، يمكننا أن نقول إنّ الأشياء مستقلّة مفهوميّا وإنّ العلاقات تابعة. فيمكن لوحدة مادّيّة (مثل، حجر، أو طاولة، أو قطّ) أن تُتَصوَّر بذاتها وفي ذاتها، بصرف النّظر عن علاقتها بسائر الأشياء الّتي تستدعى بأيّ وجه من وجوه الأهمّيّة أو البروز. ومقابل ذلك تكون علاقةٌ ما تابعةً مفهوميّا للمشاركين فيها. فلا يمكننا، على سبيل المثال، أن نتصوّر علاقة فضائيّة (مثل، [*on* "على"]، أو [*under* "تحت"] أو [*near* "قربَ"]) دون أن نستدعي إلى حدّ ما (إن لم يكن ذلك إلاّ بطريقة خطاطيّة) الوحدات الّتي تشارك فيها. وكما توحي به تسميتها، يكمن إدراك علاقة ما في تصوّر الوحدات في علاقة الواحدة منها بالأخرى. فالعلاقة، إذن، لا توجَد مستقلّةً عن تلك الوحدات.

تقع عنايتنا الرّئيسيّة جنبا إلى جنب مع تصفيف المستقلّ/التّابع في التّنضيد الدّلالـيّ ثنائيّ القطب، في القطب الدّلاليّ من الأبنية النّحويّة. وهنا، يقال إنّ بنية مكوّنيّة ما تبلور أيّ جزء خطاطيّ كان، من المكوّن الآخر الّذي يناسبه منتقلُها. وعلى هذا، يبلور المكوّنُ الإسمائيّ، في الرّسم البيانيّ 7. 10 الّذي يمثّل بناءَ مفعول الحرف، معلَمَ الحرف. وبما أنّ المعلمَ بارز بحكم تعريفه، والإسمَائيَّ الوارد مفعولا يخصّصه بتفصيل أدقّ، يكون الحرف تابعا إزاء مفعوله. فيكون هذا المكوّن الإسمائيّ عامّة مستقلاّ إزاء الحرف. فلا يبدو "ناقصا" مفهوميّا إن استُعملَ بوجه يختلف عن استعماله مفعولا للحرف.

وعلى هذا، يكون، في مركّب حرفيّ مثل [*near the door* "قرب الباب"]، المكوّنُ [*near* "قربَ"] تابعا إزاء المكوّن [*the door* "الباب"] الأكثر استقلالا والّذي يبلور معلمَه الخطاطيّ. ولكن ألا يمكننا أن نقول إنّ [*near*] تبلور [*the door*]، بما أنّ [*near the door*] تمثّل تصوّرا أكثر تفصيلا وتبلورا من مجرّد كلمة [*the door*]؟ يمكننا ذلك بكلّ تأكيد. يتمثّل قسم من معرفتنا بالأبواب في أنّها تشارك، من حيث هي وحدات ماديّة، في علاقات فضائيّة مع وحدات أخرى من هذا القبيل. فيمكن، تبعا لذلك، أن تؤخذ على أنّها تحقّق ذلك التّخصيص الخطاطيّ. تُصوّر هاتان العلاقتان المبلورتان في الرّسم البيانيّ 7. 12. فكلمة [*near*] تموقِع منتقلَها في موضع ما من محيط المعلم، الّذي يشار إليه بشكل بيضويّ. ويعرِض الرّسم التّخطيطيّ (a) معلمَها وهو يتبلوَر بعبارة [*the door*]. ومقابل ذلك، يعرِض الرّسم التّخطيطيّ (b) عبارة [*near*] وهي تبلور علاقة محلّيّة خطاطيّة واردة بشكل ضمنيّ في معنى الإسمائيّ.



الرّسم البيانيّ 7. 12

لكنّ تينك العلاقتين المبلورتين لا تتساويان في المنزلة. فهما مختلفتان في آن في درجة البروز لموقع البلورة وفي المدى الّذي يبلغه المكوّن الآخر في بلورته. فموقع بلورة [*near*] ذو درجة عالية من البروز (بما أنّ المعلم مشارِك مُبَأَّر)، وخطاطيّ نسبيّا إزاء [*the door*]. ومقابل ذلك، يكون موقع

البلورة المسند إلى [*the door*] طرَفيّا في توصيفه الدّلاليّ. والعلاقات الفضائيّة الّتي تكون لـ[*door* "باب"] ما مع الأشياء الأخرى ليست جزءا من معروض الإسمائيّ، بل لا يمكن أن تبدر إلى الذّهن عند استعمال هذه العبارة. وبالإضافة إلى ذلك، تكون درجة البلورة الّتي تحدِثها [*near*] محدودة نوعا ما. ورغم أنّ علاقةَ [*near* "القربِ"] في ذاتها أكثرُ تخصيصا من تلك الواردة ضمنيّا في الإسمائيّ، يكونَ هذا الإسمائيّ أكثرَ تخصيصا إزاء المعلَم. والمثال ليس غريبا. فيمكن في العادة لكلّ بنية مكوّنيّة أن تُعتبَر مُبلورةً لشيء يستحضره شيء آخر استحضارا إمكانيّا على الأقلّ. وبناء على ذلك، تكون كلّ بنية مكوّنيّة تابعةً للأخرى، إلى حدّ ما. غير أنّه توجد نزعة إلى حالة من عدم التّناظر موسومةٍ، بوجه تكون فيه التّبعيّة في اتّجاه ما أقوى وأجلى ممّا تكون في اتّجاه آخر. ففي الحالة الّتي بين أيدينا، تكون [*near*] تابعة بدرجة أقوى لـ[*the door*].

إذن، يكون تصفيف المستقلّ/التّابع مسألةً نسبيّة. تكون بنية ما تابعة لأخرى إلى حدٍّ ما تبلور به الأخيرة بنيةً فرعيّة بارزة في داخل تلك البنية. فالمفهومان المفتاحان هَنا هما البروز والبلورة، اللّذان يكون كلاهما مسألة درجات. عندما تكون درجة التّبعيّة، وقد أقيمت على هذين العاملين، أكبر بكثير في اتّجاه دون آخر، يمكننا أن نبسّط الأشياء على وجه معقول بأن نركّز على ذلك الاتّجاه دون غيره. فلو أنّ بناء ما كان محلّ محاكمة، لحكمت هيأة المحلّفين الّتي تُمَكَّن من هذه التّعليمات بـ"تابع" على [*near*] وبـ"مستقلّ" لـ[*the door*]، على أساس رجحان الدّليل. ولكنّ بعض المحاكمات تؤول إلى انقسام في هيئة المحلّفين لا تتوفّر فيه أغلبيّة. ففي حالات كثيرة، تُظهِر البنيتان المكوّنيّتان قليلا من عدم التّناظر بين الاستقلال والتّبعيّة أو لا شيء منه، إمّا لأنّ كلّ واحدة منهما تابعة للأخرى إلى درجة كبيرة أو لأنّ كلتيهما مستقلّة استقلالا كبيرا.

وممّا تتجلّى فيه التّبعيّةُ ثنائيّةُ الاتّجاهِ، جُمَلٌ من اللّغة اللّويزينيّة، مثل (2)، [*waxaamnil ʾowo ʾaquṣ* «أمس، كنت أعمل»]. في اتّجاه أوّل، يكون المكوّن الجُمَليّ المركّبيّ [*waxaam ʾowo ʾaquṣ* «أمس... كون يعمل»] تابعا للوصلة في تحديد منتقله الخطاطيّ. وهو محدَّد بكونه المتكلّم باعتماد القطعة الصّوتيّة البدئيّة [*=nil*]. غير أنّ الوصلَة في ذاتها، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 7. 4، تستدعي عمليّة خطاطيّة تُبلوَر بالمكوّن المركّبيّ (ما عدا باعتبار منتقله).

وفي حين تكون الوصلة متأرجحة تزداد تبعيّتها بدرجة أكبر فتكون بلورتها للمنتقل المركّبيّ بلا أهمّيّة أو تكاد.[13]

ومن الحالات الّتي يكون الحكم فيها معلّقا على أساس التّساوي، إذ لا رجحان لدليل، القطبُ الصّوتميّ من عبارة مركّبة مثل [*jar lid* "غطاء إناء"]. وفي الرّسم البيانيّ 7. 11 (a)، عُرِضت [*jar* "إناء"] مُبلورةً للكلمة الّتي استحضرتها [*lid*] استحضارا خطاطيّا مِن حيث كانت الكَلمةَ الواردةَ قبلها مباشرة. ورغم ذلك، يكون الاختيار اعتباطيّا. إذ كان من الممكن أن تُعرَض كذلك [*lid*] مبلورَةً للكلمة الخطاطيّة الواردة بعد [*jar*] مباشرة. ورغم أنّ درجة البلورة متساويَة في الاتّجاهين ومتماسكة بوجه ما، لا يكون أيّ واحد من المكوّنين تابعا للآخر تبعيّة قويّة، بسبب عامل البروز. فالكلمة تكون مستقلّة صوتميّا، قادرة على أن تُنطَقَ بشكل منعزل من حيث هي كلّ مكتف بذاته. وزيادة على ذلك، بما أنّ الكلمات، مثل [*jar*] و[*lid*]، لا تقتصر على أيّ بيئة نحويّة مخصوصة، تكون مستقلّة صوتميّا كذلك من حيث ثنائيّة القطب. وعلى هذا، لا يمكن أن يقال إنّ كلمة سابقة أو لاحقة عليها تمثّل سمة بارزة من وصفها الصّوتميّ. يعكس موقعُ البلورة المعروضُ في الرّسم التّخطيطيّ مظهرا من توصيف الكلمات توصيفا "موسوعيّا": المعرفة الحاصلة بأنّ الكلمات تنتظم معا في سلاسل ويمكن تبعا لذلك أن تسبق كلمات أخرى وتلحق عليها. ويستتبع من عدم بروزِ موقع البلورة، أنّ المدى الّذي تبلغه [*jar*] أو [*lid*] في التّبعيّة للآخر ثانويّ تماما. فَكلاهما مستقلّ استقلالا كبيرا.

7. 3. 3 المتمّم والمحوّر

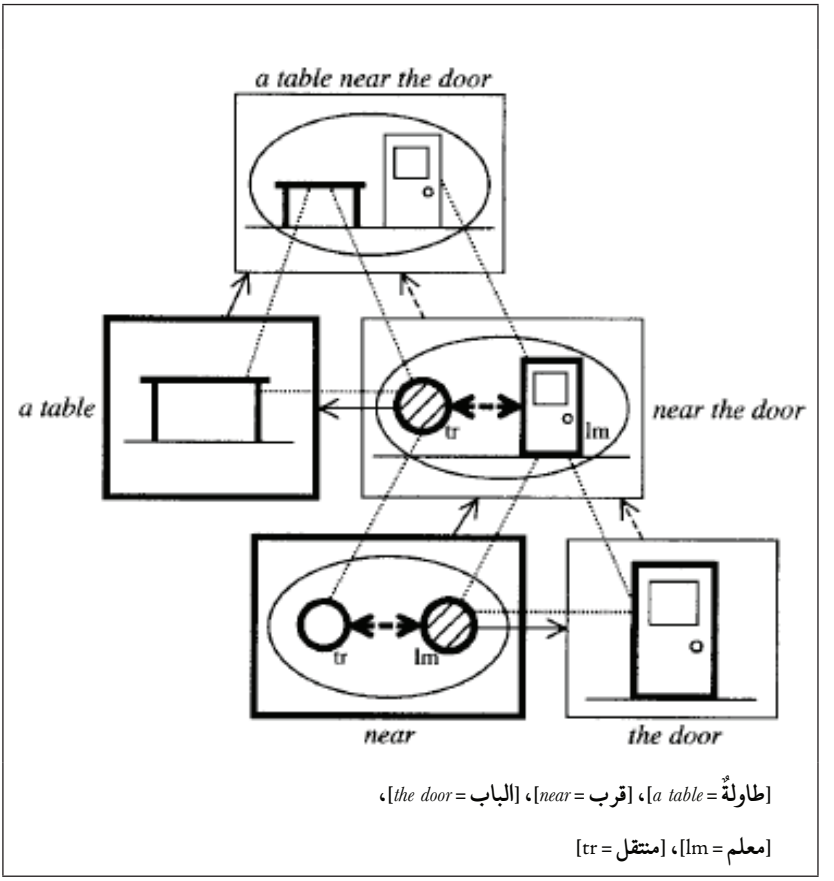
لندرك أهمّيّة تصفيف المتمّم/المحوّر، يحسن أن نبدأ بالنّظر في مثال نموذجيّ. يصوّر الرّسم البيانيّ 7. 13 القطب الدّلاليّ من العبارة الإسمائيّة [*a table near the door* "طاولة قرب الباب"] (وما نزال نهمل علامات التّعيين (تعريفا وتنكيرا)، في الزّمن الحاضر).[14]

عند المستوى الأدنى من التّنضيد، تبلور [*the door* "الباب"] معلمَ [*near* "قربَ"] لتكوين المركّب الحرفيّ [*near the door* "قرب الباب"]. فتكون على هذا [*the door*] مستقلّة، و[*near*] تابعة. وبما أنّ البنية المركّبة ترث معروضَها، تكون [*near*] محدِّدَ المعروض. وفي المستوى الأعلى من التّنضيد، تبلور [((*a table*] منتقلَ [*near the door*] لاشتقاق العبارة التّامّة. فتكون العبارة الأولى حينئذ

مستقلّة والأخيرةُ تابعة. وتشتغل في هذا المستوى [*table*] محدّدا للمعروض، إذ تشير العبارة الشّاملة إلى الطّاولة (بدل العلاقة الفضائيّة).

وفي الاصطلاح التّقليديّ، يشتغل [*near*] و[*table*] رأسين كلاّ في مستواه من التّنضيد. وفي المستوى الأدنى، تعتبر [*the door*] متمّما لـ[*near*]؛ وفي المستوى الأعلى تكون [*near the door*] محوّرا إزاء [*table*]. تستلزم الفائدة الوصفيّة لهذين المفهومين، من منظور النّحو العرفنيّ، أنّ لهما توصيفين مفهوميّين وجوبا. وقد رأينا أنّ الرّأس يكون محدِّدا لمعروض ما موصَّفا باعتماد سمة جوهريّة للتّجميعات الرّمزيّة: هي سمة التّناسب بين معروض بنية مكوّنيّة ما ومعروض البنية المركّبة. وبالمثل، يكون مفهوما المتمّم والمحوِّر قابلين للتّعريف بالنّظر إلى التّجميعات الرّمزيّة. فكلّ واحد منهما يمثّل تشكّلا يتواتر باطّراد يشارك فيه الرّأس في علاقة بلورة مع البنية المكوّنيّة الأخرى. ويكمن الفرق بينهما في اتّجاه البلورة، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 7. 14. والمتمّم بنية مكوّنيّة تُبَلور بنيةً فرعيّة للرّأس بارزةً. فيكون، على هذا، الرّأسُ تابعا والمتمّمُ مستقلاّ. وعلى عكس ذلك، يكون المحوِّر بنية مكوّنيّة تحتوي على بنية فرعيّة بارزة يبلورها الرّأس. في هذه الحالة يكون الرّأس مستقلاّ، والمحوِّر تابعا.

وبحكم هذه التّعريفات، تكون [*the door*] متمّما في الرّسم البيانيّ 7. 13، بما أنّ [*near*] هي الرّأس و[*the door*] تبلور معلمَها. وفي المستوى الأعلى، تكون [*near the door*] محوِّرا لأنّ منتقلَها مبلوَر بالرّأس الاسميّ [*table*]. وتتوسّع التّعريفات مباشرة إلى نماذج قياسيّة أخرى من أبنية المتمّم والرّأس. في مركّب جُمَليّ مثل [*tall giraffe* "زرافة طويلة"] (الرّسم البيانيّ 7. 3)، تعتبر [*tall*] محوّرا لـ[*giraffe*]. فيكون الأمر كذلك لأنّ الاسم هو الرّأس وهو يبلور منتقلَ الصّفة. ومثل المفعول المتعلّق بصفة ما، يكون المفعول المتعلّق بفعل ما متمّما، إذ يشتغل الفعل رأسا والإسمائيّ يبلور معلمه (الرّسم البيانيّ 7. 1). ولا إشكال في أن تتوسّع التّعريفات مباشرة إلى حالات لا تنطبق عادة أحكامها فيها.[15] فإستراتيجيّة النّحو العرفنيّ لا تتمثّل في تبنّي المفاهيم التّقليديّة دون نقد، بل تكمن، بدلا من ذلك، في تقديم توصيفات مفهوميّة ظاهرة تحافظ على كشوفها الصّالحة وفي الآن نفسه تجتنب مظاهر المحدوديّة فيها.



الرّسم البيانيّ 7. 13

لمنزلــة العنصر من حيث هو متمّم أو محوِّر، دور في ظواهر نحويّة كثيرة. انظر في المقابلة التّالية، واحدةً من الحالات البسيطة:

(7) (أ) *He tried to annoy his mother*.
(هو) حاول أن يزعج أمّه. [بنية المتمّم]
(ب) *He cried to annoy his mother*.
(هو) بكى ليزعج أمّه. [بنية المحوّر]

رغــم أنّ الجملتين تبــدوان متوازيتيــن نوعا ما، هناك فــرق جوهريّ بينهما: يشــتغل المركّب الفعليّ غير المصــرّف [*to annoy his mother* "ليزعج أمّــه"] متمّما إزاء [*try* "حاول"]، ولكنّه يشــتغل محوّرا إزاء [*cry* "بكى"].

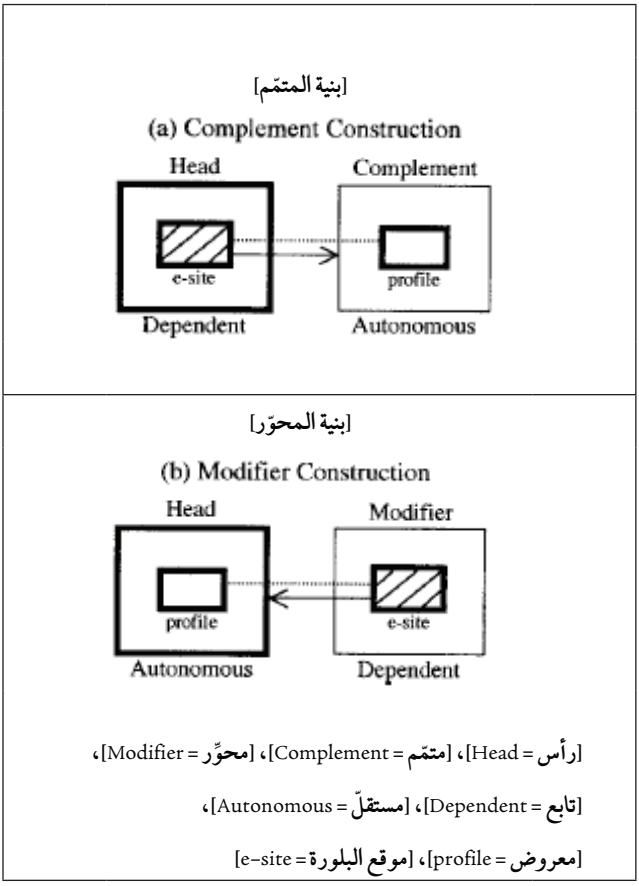
هو متمّم لـ[*try*] لأنّه يخصّص نشاطا خطاطيّا ضروريّا لمعنى هذا الفعل، أي الهـدف الّذي يُوجَّه إليه مجهود الفاعـل. ومقابل ذلك، يحيل الفعل [*cry*] على ردّ فعل انفعاليّ عفويّ أساسـا لا يكـون بذلُ جهد واع لتحقيق غاية ما، سـمةً كامنة في معناه. والجملة (7) (ب) تشـير حقّـا إلى أنّ البكاء يقصَد به إزعاج الأمّ، ولكنّ هذا لا يعكس معنى الفعل؛ بل يُظهِر، عوضا عـن ذلك، بنيةً نحويّة يُعبِّـر فيها مركّب فعليّ غير مصرّف عن الغاية من عمـل ما. فتكون على هذا، العبـارة [*to annoy his mother*] محوّرا ظرفيّا لنواة الجملـة [*he cried*] الّتي تخصّـص ذلك العملَ. وتتعلّـق واحدة من تبعات التّمييز بيـن المتمّم والمحوِّر في مثل هذه الأمثلـة، بترتيب الكلم. كما يُـرَى في (8)، يمكن للمركّب الفعليّ غير المصرّف أن يجري بسـهولة فـي الموضع البدئيّ من الجملة عندما يشـتغل محوِّرا، ولكن يصعب أن يجري كذلك عندما يشتغل متمّما.

(8)

(أ) *To annoy his mother he tried.* [متمّم في موقع قبليّ]
*أن يزعج أمّه هو حاول.

(ب) *To annoy his mother he cried.* [محوِّر في موضع قبليّ]
ليزعج أمّه (هو) بكى.
(ليزعج أمّه بكى.)

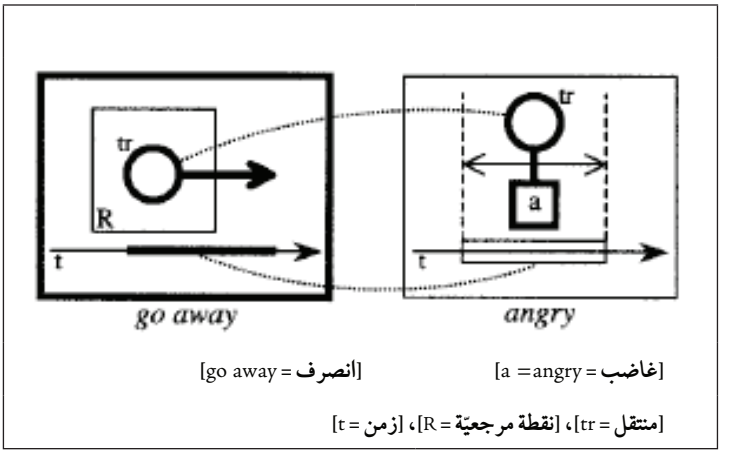
ما كلّ بنية تشتمل على متمّم أو محوِّر. وليس التّشكّلان الواردان في الرّسـم البيانيّ 7. 14، رغم كونهما قياسيّين، إلاّ نموذجين من الأشكال المتنوّعة الّتي يمكـن أن تأخذها التّجميعات الرّمزيّة. فحسـب التّعريف السّـابق، لا تكـون تلك المنزلة، مثـلا، إلاّ لمتمّم أو محـوِّر في علاقته بـرأس ما. والأحكام غير قابلة للانطباق، حينئذ، في الأبنية الّتي تفتقر إلى محدِّد للمعروض، من قبيل البدليّة الاسـميّة (الرّسم البيانيّ 7. 7) والعناصر المحلّيّة المضمّنة (الرّسـم البيانيّ 7. 8). وهي كذلك غير قابلة للانطباق عندمـا لا تحتوي أيّ بنية مكوّنيّة على بنية فرعيّة بارزة تناسـبُ معروضَ الأخـرى. ولنا حالة من هـذا القبيل فـي [*go away angry* "انصرف غاضبا"]، حيـث يتَولّف فعـل مركّب مع صفة. ويُعرَض الدّمـج بينهما باختزال في الرّسم البيانيّ 7. 15.



الرّسم البيانيّ 7. 14

تشــير [*go away*] إلى حدث يخرج فيــه المنتقل من موضع أصليّ يتَّخَذ نقطة مرجعيّة (R). وتشــير المطّة الغليظة على امتداد ســهم الزّمن إلى مسح العمليّة المعروضة مســحا تتابعيّا. وتعــرض [*angry*] علاقة لازمانيّة يُبــدِي فيها المنتقل حالــة انفعاليّة معيّنــة (a). وإذ كانت هذه العلاقــة لاعمليّاتيّة، فهي لا تُعرَض في تطوّرها خلال الزّمن. غير أنّ الأســاس المفهوميّ لـ[*angry*]، يتضمّن بالفعل تخصيصا يتمثّل في أنّ هذا الانفعال يحدُث أساسا على حلقات ذات مدّة زمنيّة محدودة. وتمثّل العارضة غير المملوءة، في الرّسم البيانيّ، المدى الزّمنيّ الّذي تستغرقه الواحدة من تلك الحلقات. وتدمَج [*go away*] و[*angry*] بواسطة تناسبين اثنين. أوّلا، يتناســب منتقلاهما: الشّــخص الّذي ينصــرف بعيدا هو كذلك الشّــخصُ الغاضب. ثانيا، تتناســب الأمدية الزّمنيّة: حلقة الغضب تســاوي من

حيث الامتداد (أو تتضمّن على الأقلّ) الزّمن الّذي يستغرقه الانصراف. فعبارة [*go away*] هي الرّأس، بما أنّ العبارة المركّبة عمليّاتيّة.



الرّسم البيانيّ 7. 15

في هذه العبارة، ليست [*angry*] متمّما ولا محوِّرا إزاء [*go away*]، لأنّ الواحدة منهما لا تبلور بنية فرعيّة بارزة داخل الأخرى. ولئن كنّا نعلم أنّ شخصا منصرفا، يمكن أن يفعل ذلك وهو في حال انفعاليّة معيّنة، فهذا أمر جانبيّ إلى حدّ كبير في معنى الفعل الّذي يمكن أن لا يستحضره بصفة مستقلّة في العموم. وليس التّنقّل في الفضاء مركزيّا في معنى [*angry*]، رغم أنّنا نعلم بكلّ يقين أنّ شخصا ما في هذه الحالة يكون قادرا على إحداثه. تسمّى البنية المكوّنيّة مثل [*angry*]، الّتي تقصُر عن بلورة الرّأس أو عن أن تُبلوَر به ملحَقا.

رغم أنّ النّحو العرفنيّ قادر على توصيف المفاهيم النّحويّة التّقليديّة مثل رأس وملحق ومتمّم ومحوّر، ليست هذه المصطلحات في ذاتها من الوحدات الأساسيّة في الوصف النّحويّ العرفنيّ. إنّما تؤخذ، بوجه أكثر تدقيقا، على أنّها تسميات مناسبة لبعض الأنواع من التّشكّلات الّتي تتواتر كثيرا في القطب الدّلاليّ من التّجميعات الرّمزيّة. فلا يُتوقَّع، بناء على ذلك، أنّ كلّ بنية ستكون ذات رأس، أو أنّ كلّ بنية مكوّنيّة تتوالف مع رأس ستكون قابلة للتّعرّف عليها بصفة واضحة قاطعة على أنّها متمِّم أو محوِّر. فهذه المفاهيم الأخيرة، مثل العوامل الّتي تحدّدها، مسألة درجات وليست متنافية.

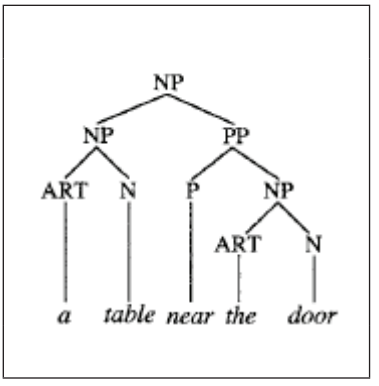
4.7 المكوّنيّة

المكوّنيّة بناء نظريّ أساسيّ في كلّ من النّحو التّقليديّ ونظريّة الإعراب الحديثة. وهو معترف به لذلك في النّحو العرفنيّ وتستوعبه النّظريّة بكلّ سهولة. ولكنّ للنّحو العرفنيّ مدخلا آخر في الإمساك بطبيعة المكوّنيّة وكذلك بدورها في البنية اللّغويّة.

1.4.7 تصوّران للمكوّنيّة

يصف علماء الإعراب في العموم المكوّنيّة بافتراض أبنية سلّميّة ثابتة تُتَصوّر استعاريّا على أنّها "أشجار" مقلوبة. تتغيّر الأساليب وتتنوّع التّفاصيل، ولكن يمكن أن يكون للعبارة الإسمائيّة [*a table near the door*]، في صياغة تمثيليّة تقليديّة، التّمثيلُ الشّجريّ الوارد في الرّسم البيانيّ 7. 16.[16]

في النّظريّات الّتي تفترِض أنّ النّحوَ مستقلّ، تُتصوَّر تلك الأبنية الشّجريّة على أنّها أشياء إعرابيّة صِرف غير ذات مضمون دلاليّ أو صوتميّ صميميّ فيها. ولئن كان للأشجار دور مهمّ في "التّأويل" الدّلاليّ والصّوتميّ على أساس المضمون الّذي توفّره الوحدات المعجميّة الّتي يجري إقحامها فيها، تُعتبَر البنية الإعرابيّة مستوى متميّزا من كلّ من الدّلالة والصّوتميّة. والنّحو العرفنيّ أكثر تقييدا من ذلك؛ بحكم ما ينصّ عليه شرط المضمون (§ 1. 3. 4)، فلا يمكنه أن يفترض أشياء إعرابيّة مستقلّة من هذا القبيل. ولا هي ضروريّة. فلا يتبيّن أنّ وصف نحو ما قائما على التّجميعات الرّمزيّة لا غير، مناسب فقط بل هو أكثر قدرة على الكشف، كذلك.



الرّسم البيانيّ 7. 16

وتمثّل أبنية الشّجرة الإعرابيّة ثالوثا من أنواع المعلومات: المقولة النّحويّة (من خلال شارات مثل [N "اسم"]، [P "حرف"]، [NP "مركّب حرفيّ"]، إلخ)، و"التّرتيب الخطّيّ" (من اليسار إلى اليمين على الصّفحة أو العكس)، والمكوّنيّة (التّجمّع وفق السّلّميّة). وجميع ذلك توفّره التّجميعات الرّمزيّة أيضا في النّحو العرفنيّ.

تكون المعلومات المتعلّقة بالانتماء إلى مقولة ما صميميّة في القطب الدّلاليّ من كلّ بنية رمزيّة في تجميعة ما. فهي كامنة في طبيعة المعروض. وحسَب المعروض، تحقِّق بنيةٌ رمزيّةٌ ما قسما خطاطيّا أو آخرَ يقوم تعريفُه بصفة رئيسيّة على هذا الأساس، مثلا [[[THING]/[...]]] ← [[[JAR]/[jar]]]، [[[**شيء**]/[...]]] ← [[[**إناء**]/[إناء]]]. تذكَّر أنّ الخطاطات كامنة في تحقّقاتها وإن عرِضت بشكل منفصل لغايات تحليليّة.

المعلومات المتعلّقة بالتّرتيب الخطّيّ صميميّة في القطب الصّوتميّ من كلّ بنية رمزيّة. "التّرتيب الخطّي" في الواقع هو التّرتيب الزّمنيّ، أي تتابعُ العناصر في دفق الكلام. والزّمن بُعْد أساسيّ في البنية الصّوتميّة وهو لذلك كامن في توصيفها حتّى وإن تُرِك ضمنيّا في الرّسوم البيانيّة. وعندما يُعرَض الزّمن بجلاء ظاهر، كما يجريَ في الرّسم البيانيّ 6. 3، يكون تمثيله بسهم يحمل شارة (T)[17].

تدرَك المكوّنيّة في التّجميعات الرّمزيّة عندما تشتغِل بينةٌ مركّبة في مستوى ما من التّنضيد بدورها بنيةً مكوّنيّةً بالنّظر إلى مستوى أعلى منه. ورغم أنّ المكوّنيّة تؤدّي دورا في النّحو، يكون من الخاطئ أن نفترض أنّها ليست إلاّ مجرّد ظاهرة نحويّة أو أنّها كذلك بصفة رئيسيّة. هي ببساطة تَجلٍّ للتّنضيد السّلّميّ الّذي يظهر فعلا في مجالات العيش البشريّ كلّها. يبين ذلك، على سبيل المثال، في التّجميع الإدراكيّ (الرّسم البيانيّ 4. 5)، وفي تمثّل السّلّميّات في انتظام الكلّ-الجزء (جسد > ذراع > يد > أصبع > ظفر)، وفي المَقوَلَة القائمة على السّلّميّة (مادّة > شيء > عربة > شاحنة > شاحنة نقل)، وفي التّخطيط لعمل مركّب (بما فيه من الأهداف الكبرى، والأهداف الصّغرى، والأهداف الفرعيّة في الصّغرى، إلخ)، وفي معالجة المجموعات ذات الأحجام المختلفة (جيش > لواء > فرقة > فوج > كتيبة > كوكبة > جنديّ)، وحتّى في الأعمال الحركيّة الرّوتينيّة المركّبة (الّتي تقبل الانقسام إلى أعمال حركيّة روتينيّة فرعيّة وإلى فروع الفروع، وهلمّ جرّا). وما

تشترك فيه هذه الأعمال إنّما هو القدرة على الاشتغال في مستويات متعدّدة من التّنضيد حيث تنشأ وحدة مفردة في مستوى ما، بوجه ما، من الوحدات المتعدّدة الواردة في مستوى آخر.

فجميع المعلومات الّتي توفّرها الأبنية الشّجريّة، على هذا، كامنة في التّجميعات الرّمزيّة. ومن منظور النّحو العرفنيّ، لا يمثّل استخراج تلك المعلومات وعرضها على حدة على أنّها شيء شكليّ مستقلّ بنفسه، حشوا فقط، بل هو كذلك نوع من الضّجّة الانتخابيّة. وبطبيعة الحال، تشبه بالفعل التّجميعاتُ الرّمزيّة من قبيل ما يرد في الرّسم البيانيّ 7. 13، في تنضيدها السّلّميّ، الأبنيةَ الشّجريّة الإعرابيّة. غير أنّ الاثنتين مختلفتان إلى حدّ ما في طبيعتهما الجوهريّة: في حين يكون لكلّ بنية في تجميعة ما قطبٌ دلاليّ وقطب صوتميّ في آن، تعتَبَر "العُجَر" ([NP "مركّب اسمي"]، [P "حرف"]، [PP "مركب حرفيّ"]، إلخ.) في بنية شجريّة عناصرَ نحويّةً صِرفا غير ذات قيمة دلاليّة أو صوتميّة صميميّة فيها. ويكمن فارق آخر في أنّ المكوّنيّة الإعرابيّة تُعتبَر مظهرا أساسيّا لازما في الوصف النّحويّ بوجه تُسنَد فيه وجوبا إلى كلِّ نوع مخصوص من العبارات دائما نفسُ البنية الشّجريّة المحدَّدة. ومن جهة أخرى، تعتبَر المكوّنيّة، في النّحو العرفنيّ، مرنةً متغيّرةً غير ضروريّة. فبدل أن تكون أساسيّة في الوصف النّحويّ، تنبثق سلّميّاتُ المكوّنيّة "الكلاسيكيّة" من قبيل ما يرد في الرّسم البيانيّ 7. 16، من ظواهر أخرى، ولا تمثّل إلاّ واحدا من التّشكّلات الّتي يمكن أن تأخذها التّجميعات الرّمزيّة (انظر لانقاكر 1999a: الفصل 5).

وعلى وجه الخصوص، تمثّل «المكوّنات الكلاسيكيّة» الوضعيّةَ الخاصّة الّتي يُرَمَّز فيها نوع من التّجميع المفهوميّ باعتماد نوع خاصّ من التّجميع الصّوتميّ. فالتّجميع المفهوميّ تجميع لبنيتين مكوّنيّتين تُدمَجان من خلال تناسبات تشارك فيها أبنية فرعيّة بارزة (خاصّة المعروض والمنتقل والمعلم). ويقوم التّجميع الصّوتميّ على أساس المتاخمة الزّمنيّة، إذ الأبنية المكوّنيّة متجاورة في دفق الكلام. ويمكن للتّجميع ذاته - البنيتين المركّبتين الدّلاليّة والصّوتميّة- المنبثق بهذه الطّريقة أن يشارك في تجميع أكبر يرد في مستوى أعلى من التّنضيد. وعندما يَحدُث ذلك في مستوياتٍ متعدّدة، والتّجميع الصّوتميّ في كلّ حالة يرمّز التّجميع الدّلاليّ، تَنتجُ عنه

تشـكّلاتٌ من نوعِ ما يجري تمثيله في الأبنية الشّـجريّة الإعرابيّة النّموذجيّة مثل ما يرد في الرّسمَ البيانيّ 7. 16.

7. 4. 2 حدود الرّؤية الكلاسيكيّة

قد تكون للمكوّنات الكلاسيكيّة حظوة كبيرة بفضل غلبتها والطّبيعة البديهيّة للعوامل الّتي تُستدعَى أساسا للتّجميع. وإن كان الأمر كذلك، وجب أن يكون الاعتراف رغم ذلك بأنّ هناك أبعادا عديدة من التّنضيد الدّلاليّ والصّوتميّ، وأرضيّات متنوّعة لتجميع العناصر ولتحديد الأبنية ذات الأحجام المختلفة. يمكن للمضمون الدّلاليّ والصّوتميّ نفسه إذن أن يُجمَّع ويُنضَّد بطرق بدائل لا تكافؤَ بينها بل لا يكون جميعها صالحا في آن واحد. فيكون، على هذا، لبنيةِ عبارةٍ مركّبةٍ ما وجوهٌ أكثر ممّا يمكن تمثيله في أيّ سلّميّة مكوّنيّة واحدة.

وكنّا قد رأينا، مثلا، أنّ التّنضيد أحاديَّ القطب وثنائيَّ القطب يعرضُ بعدَين من التّركّب لا يمكن أن يختلطا في بنية سلّميّة واحدة (الرّسم البيانيّ 6. 12). وفي ما عدا هذا، يكون للتّنضيد الأحاديّ القطب والثّنائيّ القطب في ذاتهما وجوه كثيرة. وبالنّسبة إلى البنية الأحاديّة القطب، أشير مجرّد إشارة عابرة، إلى الحاجة إلى التّمييز، عند القطب الصّوتميّ، بين التّركّب العروضيّ والتّركّب القِطْعيّ الصّوتميّ. لننظر بإيجاز، في ما يهمّ التّنضيد ثنائيّ القطب، في مظهرين من البنية اللّغويّة يجري إقصاؤهما عادة من «النّحو» في مفهومه الضّيّق: الوحدات المعجميّة والبؤرة. فهما يمثّلان رمزيّا تجميعين مبرَّرين يعارضان في الأغلب السّلّميّات المكوّنيّة الّتي تُفترَض في التّحليل الإعرابيّ.

الوحدات المعجميّة عبارات ثابتة، ومألوفة عند المتكلّمين، وتواضعيّة عند المجموعة اللّغويّة. أشير في الفقرة § 1. 3. 2 إلى أنّ الوحدات المعجميّة لا تحتاج إلى أن تكون موافقة للمكوّنات الإعرابيّة، وبالفعل لا تحتاج العناصر الّتي تكوّنها إلى أن تكون حتّى متجاورة. ومن أمثلة ذلك السّلسلة [*take it for granted that* "أخذ شيئا مسلّما به أنّ (أخذه مسلّمة)"] الّتي تمثّل بكلِّ يقين وحدةً قائمة بذاتها بما لها من معنى شامل خاصّ بها.[18] لئن أمكن القول إنّ هذه الوحدة المعجميّة مكوّن إعرابيّ في (9) (أ)، لا يمكن أن تكون مكوّنا إعرابيّا في الجملة (9) (ب)، إذا ما اعتبرناها متضمّنة للإحالة الخطاطيّة على الجملة المبدوءة بأداة الوصل [*that*]، حيث لا تكون عناصرها متجاورة:

(9)

(أ) *Most commentators* ***take it for granted*** [***that*** *money is the primary source of political influence*].
أغلب المعلّقين يأخذون الأمر مسلّما به [أنّ المال هو المصدر الرّئيسيّ للتّأثير السّياسيّ]. (يسلّم أغلب المعلّقين بأنّ المال هو المصدر الرّئيسيّ للتّأثير السّياسيّ).

(ب) It *has been* ***taken*** *more or less* ***for granted*** *by most commentators* [***that*** *money is the primary source of political influence*].
لقد كان أخِذ بدرجة تزيد أو تنقص عند أغلب المعلّقين الأمر على أنّه مسلّم به [أنّ المال هو المصدر الرّئيسيّ للتّأثير السّياسيّ].
(كان أغلب المعلّقين يسلّمون بدرجات متفاوتة بأنّ المال هو المصدر الرّئيسيّ للتّأثير السّياسيّ).

تُمثِّل هذه الوحدة المعجميّة تجميعا مفهوميّا منسجما تترابط مكوّناته بالتّناسبات عند القطب الدّلاليّ وتُرمَّز ترميزا فرديّا بالعناصر الصّوتميّة. فهي بذلك تجميعة رمزيّة تتحدّد بكاملها بالأبنية الدّلاليّة، وبالأبنية الصّوتميّة وبالرّوابط الرّمزيّة بين الاثنتين، حتّى وإن لم تكوّن- في وصفها الأعمّ- المكوّناتُ الصّوتميّة مجموعةً تقوم على أساس التّجاور الزّمنيّ. ولئن كانت هذه الوحدة المعجميّة رمزيّة في طبيعتها، فهي محدَّدة على أساس الرّسوخ والتّواضعيّة بوجه يعارض السّلّميات المكوّنيّة الكلاسيكيّة.

والبؤرة شبيهة بذلك في هذا المجال، من حيث هي مظهر من مظاهر البنية الإخباريّة (§ 3. 2. 1). وبعبارة تقريبيّة جدّا (وأغلب الأوصاف تقريبيّة بوجه ما)، تكون البؤرة في عبارة ما القسمَ الّذي يريد المتكلّم أن يجعله في الأماميّة منها من حيث مثّل خروجا هامّا عمّا كان قد أُقِيمَ في الخطاب السّابق عليها مباشرة. ففي اللّغة الإنجليزيّة، تنزع العناصر غير المبأّرة إلى الانخزال في النّبرة، بوجه تبرز فيه البؤرة بروزا صوتميّا بحكم ما يكون لها من نبرة تامّة غير مخزولة (يشار إليها هنا بالحروف التّاجيّة الصّغيرة). فعلى سبيل المثال، توفّر الجملة الأولى في (10) سياقا خطابيّا تكون فيه (أ) و(ب) مواصلَتين ممكنتين. محطّ البؤرة في (أ) هي [*likes* "تحبّ"]، إذ ليست الكلمات الأخرى إلاّ مجرّد إثبات ثان لما كان قد قيل قُبَيلَ ذلك. وفي العبارة (ب)، تتمثّل البؤرة في [*sister* "أخت"] و[*coffee* "قهوة"]، لأنّ العنصرين كليهما يبرزان على أنّهما جديدان ومهمّان.

(10) *My mother puts orange juice on her cereal.*

تصبّ أمّي عصير البرتقال على وجبتها من الحبوب الكاملة.

(أ) *She LIKES it that way.*

هي **تحبّـــها** بهذه الطّريقة.

(ب) *My SISTER puts it in her COFFEE.*

أختي تصبّه في **قهوتـــها**.

ليست البؤرة في حالات مثل (ب)، مكوّنا إعرابيّا بالمعنى الكلاسيكيّ. وهـي رغم ذلك بنية رمزيّـة يُعترَف بها فـي النّحو العرفنـيّ وجها من وجوه التّنضيد النّحويّ لعبارة ما. وعند القطب الدّلاليّ، تُشكِّل عناصرها المكوّنيّةُ جماعةً تدرَك كذلك لأنّها تؤلّف بشـكل جماعيّ الشّيء الجديدَ والمهمَّ في الخطاب. وعند القطب الصّوتميّ، تُجمَّع تلك العناصر على أساس النّبرة غيـر المخزولة. تُرمِّز هـذه الخصيصةُ الصّوتميّة المميِّزة (المتعلّقة بالمسـتوى العروضـيّ) الخصيصةَ المفهوميّةَ المميِّزة (المتعلّقة بالبنية الإخباريّة).[19] ولئن كانـت الأبنية المحدَّدة بهذه الطّريقة تنزع إلـى موافقة المكوّنات الإعرابيّة من النّمط الكلاسيكيّ، لا يوجد سبب لأن نتوقّع أنّها ستفعل ذلك دائما.

فعلى هذا، لا تخبرنا الأبنية والعلاقات الّتي تُرصَد في سـّلميّة مكوّنيّة من القبيل المرسـوم في الرّسـمين البيانيّين 7. 13 و7. 16، إلاّ بقسم من الحكاية. ورغـم أنّها مركزيّة وضروريّة، لا تسـتقصي، بأيّ حال مـن الأحوال، جميعَ الأبنية الدّلاليّة والصّوتميّة والرّمزيّة الّتي تحتاج إلى الوصف في تفسـير شامل للبنيـة اللّغويّة. وجميع ذلك يمكن أن يسـتوعبه النّحو العرفنيّ، في الحدود الّتي يفرضها شـرط المضمـون. وممّا يجيزه هذا الشّـرط التّجميعاتُ الدّلاليّة والصّوتميّـة مهمـا كان حجمها، ومهما كان الأسـاس الّـذي أقيمت عليه ومهمـا كانت الطّريقـة الّتي جرى تحديدهـا بها. ويمكـن أن تُربَط الأبنية الدّلاليّـة والصّوتميّة الّتي تمثّل أيّ مسـتوى أو بُعد من التّنضيد، بعضها ببعض لتكويـن الأبنية الرّمزيّة. وممّا يسـمَح به زيادةً على ذلـك علاقاتُ المَقوَلة (النّسـقيّة والجدوليّة، في آن) الّتي تنشأ لها تجميعات من الأبنية. وخارج طيف الأبنية والعلاقات الواسِـع الّذي يكون قد أمكنت الإحاطة به بهذه الطّريقة، تنبثق السّلّميّات المكوّنيّة الكلاسيكيّة ممثّلةً حالة خاصّة.

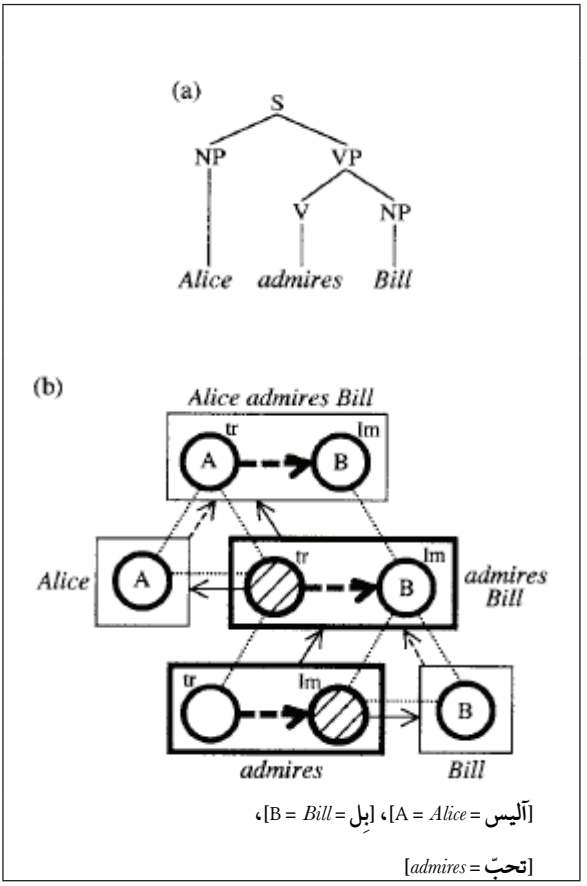
وعندما تنبثق تلك السّـلّميّات بالفعل، لا تتضمّن بذاتها كلَّ بنية دلاليّة وصوتميّـة ورمزيّة تكـون ماثلة في توصيـف تامّ لعبارة مـا. فهي لا تمثّل

البؤرة، مثلا. وتقصر كذلك عن استيعاب الأبنية الدّلاليّة الّتي يصادف أن لا ترمّزَ ترميزا فرديّا. فعلى سبيل المثال، رغم أنّ الجملتين في (9) تستدعيان المعنى الكلّيّ للوحدة المعجميّة [*take it for granted that*]، لا توجد في (9) (ب) بنية صوتميّة تصلح لترميز ذلك المعنى المعجميّ في شكل وحدة كلّيّة. ويزداد الإشكال الّذي تطرحه السّلّميّات المكوّنيّة الكلاسيكيّة، في الحالات الّتي لا يجري فيها الدّمج الصّوتميّ على أساس الجوار في التّسلسل الزّمنيّ. والمثال على ذلك، من اللّغة اللّويزينيّة، في الدّمج بين وُصْلَةٍ ومركّبٍ جُمَليّ حيث لا تسبق الوصلةُ الجملةَ ولا تلحقها، بل تجري في ثناياها (الرّسم البيانيّ 6. 14).

7. 4. 3 العلاقات النّحويّة

تُستَدعَى المكونيّةُ، في نظريّات الإعراب المستقلِّ، في العادة، لتمثيل العلاقات النّحويّة الأساسيّة. ومن الأمثلة الأوّليّة علاقتا الفاعل والمفعول. كان هذان المفهومان، في تفسير قديم وشهير (شومسكي 1965)، يُعرّفان باعتماد تشكّلات شجريّة خاصّة. وكانت التّعريفات تفترض مسبقا المكوّنيّةَ المعروضة في الرّسم البيانيّ 7. 17 (a)، حيث تعني [S] جملة، و تعني [VP] "مركّبا فعليا". وكان الفاعل يعرّف بكونه مركّبا اسميّا [NP]، يُربَط في شكل عجرةٍ هي بنتٌ للجملة [S]، وأختٌ للمركّب الفعليّ [VP]، في حين تكون عجرة المفعول بنتا للمركّب الفعلي [VP]، وأختًا للفعل [V]. وعلى هذا، تكون [*Alice* "آليس"] الفاعلَ ويكون [*Bill* "بِل"] المفعولَ، في الجملة [*Alice admires Bill* "آليس تحبّ/ تعشق بِل"]. والتّعريفات نحويّة صِرف، لا إحالة صميميّة فيها على المعنى.

قارن هذا بالتّفسير النّحويّ العرفنيّ، حيث يكون للفاعل والمفعول توصيف مفهوميّ. فهما يعرَّفان باعتماد عوامل عديدة تُرصَد عند القطب الدّلاليّ من التّجميعات الرّمزيّة: التّناسبات، والعرض، وتصفيف المنتقل/ المعلم. يُعرَض ذلك في شأن العبارة [*Alice admires Bill*] في الرّسم البيانيّ 7 .17 (b). [20] يُوصَّف الفاعل بكونه عنصرا إسمائيّا يناسب معروضُه منتقلَ علاقة معروضة، ويوصّف المفعول بكونه عنصرا إسمائيّا يناسب معروضُه معلَما (الفصل 11). ولا تُستدعَى في هذين التّعريفين إلاّ العوامل المفهوميّة.

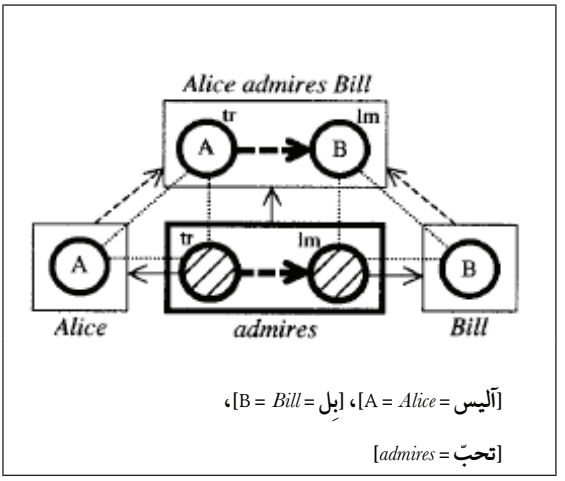


الرّسم البيانيّ 7. 17

يعـرض الرّسـمان التّخطيطيّان الـواردان في الرّسـم البيانـيّ 7. 17، البنيةَ المكوّنيّة نفسَها، تؤلّف فيها [*admires*] و[*Bill*] تجميعةً تتولّف مع [*Alice*]. ويُحتَمَل أن تمثّل هذه حالةَ التّجميـع المحايد الّتي تنعكس في الموقعة الطّبيعيّة لتردُّدٍ طفيف في نمط النّطق: [*Alice / admires Bill* "آليس / تحبّ بِل"]. ولكنّ هناك فارقـا جوهريّا بين التّعريفـات الإعرابيّـة للفاعل والمفعـول وتعريفات النّحو العرفنـيّ: تُعوِّل الأولى على هـذه المكوّنيّة، في حين تكون الثّانية مسـتقلّة عنها تماما. ويَجعَل التّعويل على الأبنية الشّجريّة الإعرابيّة في تحديد العلاقات النّحويّة، افتراضَ بنية شجريّة ثابتة لا تتغيّر لنوع معطى من العبارة، أمرا ضروريّا. ولا وجود لضرورة من هذا القبيل في النّحو العرفنيّ لأنّ العلاقات المعنيّة، بدل أن تكـون "إعرابيّة صرفا"، تكون مأخوذةً على أنّها مفهوميّة في طبيعتها. فلا

يتطلّب تجلّيها في تجميعة رمزيّة أيَّ مكوّنيّة خاصّة. ونتيجة لذلك، يجيز النّحو العرفنيّ مكوّنيّاتٍ متغيّرةً للعبارات الّتي تُظهِر العلاقاتِ النّحويّة نفسَها. ورغم أنّ هذه العلاقات تتلازم دائما مع تشكّلاتٍ مكوّنيّة مخصوصة، فإنّ توصيفَها لا يرتبط بهذه التّشكّلات. فلا حاجة، بناءً على هذا، إلى إجبار العبارات على الامتثال لسلّميّات مكوّنيّة جامدة لا يبدو أنّها تظهِرها.

انظر في نُطْقٍ بديلٍ في عبارة [*Alice admires Bill*]، ممكنٍ في كلام واعٍ بطيء: [*Alice* / *admires* / *Bill*]. يوحي التّنغيم بمكوّنيّة "مسطّحةً" - أي أنّ المكوّنات الثّلاثة يتوالف الواحد منها مع الآخر في مستوى وحيد من التّنضيد، خُلْوٍ من كلّ تجميع داخليّ. يُعرَض ذلك في الرّسم البيانيّ 7. 18، حيث يبلور [*Alice*] و[*Bill*] تباعا المنتقلَ والمعلَمَ للفعل [*admires*] في نفس المستوى. وبحكم التّناسبات، تظلّ [*Alice*] محدَّدة بكونها الفاعل، ويظلّ [*Bill*] محدَّدا بكونه المفعول، رغم غياب التّجميع المكوّنيّ. والتّعريفان الإعرابيّان للفاعل والمفعول يمنعان هذا الخيار. وإذ تكون [*Alice*] الفاعلَ و[*Bill*] المفعولَ في التّنغيمين كليهما، وجب أن تُفترَضَ المكوّنيّة الواردة في الرّسم البيانيّ 7. 17 (a) لكليهما.



الرّسم البيانيّ 7. 18

شريطة أن يبلور لفظ [*Alice*] المنتقلَ ويبلور [*Bill*] المعلَم، يتأهّل الأوّل ليكون فاعلا، والثّاني ليكون مفعولا، حتّى في المكوّنيّة الثّالثة الممكنة، حيث يتوالف [*Alice*] أوّلا مع [*admires*] لتأليف [*Alice admires*] الّتي تتوالف بعد

ذلك مع [*Bill*] في مستوى أعلى من التّنضيد. ويلاحَظ بالفعل تجميع الفاعل والفعل لتأليف مكوّن يقصي المفعول، في اللّغة الإنجليزيّة، على الأقلّ في سياق بعض الأبنية الكبرى. نجد ذلك، مثلا، في أبنية المركّبات الجُمَليّة ذات الموضوع الدّاخليّ في مثل (11) (أ)، وكذلك في بعض حالات العطف، كما في (11) (ب). يؤلّف كذلك الفاعلُ والفعلُ مكوّنا في المركّبات الجُمَليّة الموصولة مثل المركّب الوارد في (11) (ج).

(11) (أ) *Bill Alice admires* (*Harvey she doesn't*).

بِل آليس تحبّ(ــه) (هارفي لا تحبّ(ــه)).

(ب) *Alice admires, but Sharon detests, their new teacher*.

آليس تحبّ، ولكن شارون تكره، أستاذهما الجديد.

(ج) *The teacher* [*Alice admires*] *speaks fluent Arabic*.

الأستاذ [الّذي تحبّه آليس] يتكلّم العربيّة بطلاقة.

بالإضافة إلى ذلك، تبيِّن المركّبات الجُمَليّة الموصولة الفوائدَ الحاصلة من المكوّنيّة المرنة الّتي يوفّرها توصيف مفهوميّ للعلاقات النّحويّة. وعادة ما يتبع المركّب الجُمَليّ الموصول، في الإنجليزيّة، مباشرةً الاسمَ الّذي يحوّره، كما في (12) (أ). وهما، في هذه الحالة، يؤلّفان بوضوح مكوّنا إعرابيّا من النّوع الكلاسيكيّ. فماذا نقول، إذن، عن جمَل مثل (12) (ب)، حيث يرد المركّب الجُمَليّ الموصول، منفصلا عن الرّأس؟

(12) (أ) ***The package [that I was expecting]*** *arrived*.

الطّرد [الّذي كنت أنتظره] وصل.

(ب) ***The package*** *arrived* ***[that I was expecting]***.

الطّرد وصل [الّذي كنت أنتظره].

في المقاربات القائمة على استقلال الإعراب، يُفترَض عادة أنّ جملة مثل (12) (ب) «تُشتقّ» من «بنية كامنة» مثل (12) (أ) باعتماد قاعدة «تَنقُّل» المركّب الجُمَليّ الموصول إلى موضع النّهاية. ينجرّ هذا التّحليل من الافتراض القائم على أنّ العلاقات النّحويّة تُمثَّل تمثيلا صحيحا باعتماد تشكّلات خاصّة في الأبنية الشّجريّة الإعرابيّة. وإذ كان للمركّب الموصول نفس العلاقة النّحويّة بالرّأس الّذي يسيطر عليه في (12) (أ) وفي (12) (ب)، وجب أن يؤلّف كلاهما مكوّنا إعرابيّا في كلتا العبارتين. وهذه هي الحالة الظّاهرة في المركّب الأوّل، ولكن ليست كذلك في الثّاني حيث

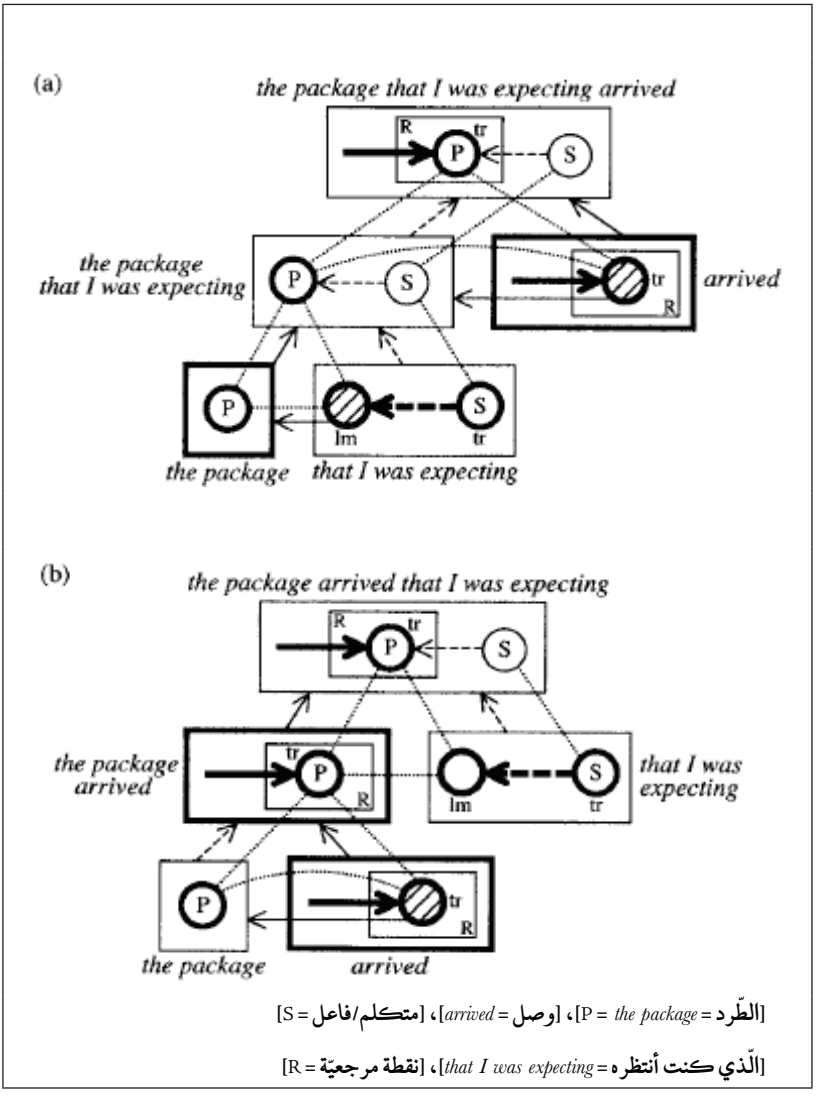
يكونـان منفصلين. وللحفاظ على الافتراض، وجب تبعا لذلك التّمسّـك بأنّ للجملة (12) (ب) نفسَ البنية الشّـجريّة الإعرابيّة الّتي للجملة (12) (أ) في بنية كامنة مفترضَة. ولذلك تُفتَرَض قاعدة تنقُل المركّبَ الموصول لتفسير الواقـع المتمثّل فـي أنّ المركّب الموصولَ لا يؤلّف مـع الرّأس مكوّنا في مستوى «البنية السّطحيّة».

يسـتوعب النّحو العرفنيّ، إذ يقرّ الأسـاسَ المفهومـيّ للعلاقات النّحويّة، المعطيات دون اللّجوء إلى المفاهيم النّظريّة المشكوك فيها من أبنية كامنة وعمليّات تحويـل. فالعبارتان الواردتان في (12) لا تُشـتَقّ الواحدة منهما من الأخـرى. وهما، بدل ذلـك، تمثّلان طريقتيـن بديلتين فـي تجميع العناصر المكوّنيّـة على التّوالي للوصول إلى نفـس التّصوّر المركّب. يُعرَض هذان المسـلكان التّركّبيّان تباعا في الرّسـمين التّخطيطيّين (a) و(b) من الرّسـم البيانـيّ 7. 19. وقـد حُذِفت كالعـادة التّفاصيلُ الزّائـدة (أي الزّمن، وعلامة التّعريف، والمظهر التّدريجـيّ، وأداة التّعليق [*that*]). وفي ما يتعلّق بالمركّب الموصـول، لا تُمثَّل إلاّ البنية المركّبة. فهي تعرض علاقة ذهنيّة (يشـار إليها بالسّـهم المتقطّع) يتحدّد منتقِلها بالمتكلّم (S) من خلال البلورة في مسـتوى أدنى من التّنضيد، ولكن يبقى معلمُها خطاطيّا.

في الرّسـم التّخطيطيّ (a) يتبلور المعلَم بـ[*the package* "الطّرْد"]، الّذي يؤدّي دور محـدِّد المعروض. والبنية المركّبة النّاتجة، [*the package that I was expecting*]، مثال قياسـيّ لرأس اسـميّ يجري تحويره بمركّب موصـول. لاحِظ أنّ [*the package*] تشـتغل، مـن زاوية دلاليّة، مفعولا للمركّـب الجُمَليّ لأنّ معروضَها يناسـب معلـمَ [*I was expecting*]. وفـي المسـتوى الأعلـى من التّنضيـد، يبلور الإسمائيّ المركّب [*the package that I was expecting*]، معلمَ الفعل [*arrived*] فيكون تبعا لذلـك فاعلَه. ويكون [*arrived*] محدّدَ المعروض في هذا المسـتوى، إذ تشـير (12) (أ)، من حيث هي كلّ، إلى عيّنة من الوصول (لا من الطّرد أو من عمليّة الانتظار).

في الرّسـم التّخطيطيّ (b)، نجـد المكوّنات الثّلاثة نفسـها: [*the package*]، و[*arrived*]، و[*that I was expecting*]. لاحِـظ كذلك أنّ العناصر نفسَـها متناسـبة كمـا فـي الرّسـم التّخطيطـيّ (a)، وأنّ أبنيتهـا الدّلاليّة المركّبـة متطابقة. ويكمـن الفارق الوحيـد في ترتيـب التّركّب، أي فـي المكوّنيّة. تتوالف هنا، وفـق بناء الفاعل العامّ، [*the package*] مـع [*arrived*] لتأليف العبارة المركّبة

[*the package arrived*]. وفي المستوى الأعلى من التّنضيد، يجري الدّمج بين [*the package arrived*] والمركّب الجُمَليّ الموصول بحكم التّناسب ين منتقل الأوّل (الطّرد) والمعلم الخطاطيّ للثّاني. يضمَن هذا التّناسبُ أن يُفهَم الطّرد دلاليّا على أنّه مفعول للمركّب الجُمَليّ الموصول، حتّى وإن لم تكن (12) (ب) بنية مركّبيّة موصولة كَلاسيكيّة (بما أنّ [*the package*] و[*I was expecting*] لا يتوالفان مباشرة لتأليف عنصر إسمائيّ من مستوى أعلى).



الرّسم البيانيّ 7. 19

توفّر كلتا التّجميعتين الواردتين في الرّسم البيانيّ 7. 19، رغم الاختلاف بينهما في المكوّنيّة، جميعَ المعلومات الدّلاليّة والنّحويّة الأساسيّة. وإذ كانت البنيتان الدّلاليّتان المركّبتان متطابقتين، يكون للجملتين الواردتين في (12) نفس المعنى أساسا. ويكمن الفرق الدّلاليّ الوحيد في بعد ثانويّ للمعنى، أي المسلك التّركّبيّ الّذي يقود إلى البنية المركّبة النّهائيّة: تتمثّل في (12) (أ)، خطوة من هذا المسلك في العبارة الإسمائيّة [*the package that I was expecting*]، ونجد في (12) (ب) بدل ذلك العبارة المركّبيّة الجُمَليّة [*the package arrived*]. وكلاهما يمثّل تجميعين مفهوميّين طبيعيّين. يؤلّف [*the package*] مجموعةً مفهوميّة مع [*that I was expecting*] لأنّهما يوفّران معا توصيفا تامّا للمشارك المركّبيّ المركزيّ. وبنفس الطّريقة، يؤلّف [*the package*] مجموعة مفهوميّة مع [*arrived*] لأنّهما يوصِّفان معا الحدث المعروضَ. وكلّ جملة تختار واحدا من هذين التّجميعين الطّبيعيّين للتّرميز الظّاهر باعتماد التّجاور، فينتجان بذلك مكوّنا بالمعنى الكلاسيكيّ. ولكن لا يمكن أن يرمَّز بهذه الطّريقة إلاّ واحد فقط، فمهما يكن ما يُختار منهما، يظلّ الآخر ضمنيّا. ولئن أمكن لبقاء تجميع غيرَ مرمّز أن يقلّص من بروزه، فذلك لا يستلزم غيابَه كلّيّا في المستوى المفهوميّ. أُذْكِّر نقطة كنّا قد أشرنا إليها في ما مضى: يكون لبنيةِ عبارةٍ مركّبة ما، وجوه أكثرُ ممّا نقدر على تمثيله في سلّميّة مكوّنيّة وحيدة.

هوامش الفصل

[1]– على سبيل المثال، يمكن أن يقول طبيب معالِج: [*I raise the hand* "أرفعُ اليدَ"]، بالنّظر إلى المرضى الّذين يبلغ بهم الضّعف درجة العجز عن رفعها بأنفسهم. ويمكن أن تحيل الجملة، بدلا عن ذلك، على اليد من تمثال لعرض الأزياء تحتاج إلى رفع.

[2]– يتشكّل هذا التّوصيف في مستوى أدنى من التّركّب (لا يشار إليه في الرّسم البيانيّ). وتشتغل البنية المركّبة النّاتجة بنيةً مكوّنيّة في هذه الخطاطة الفرعيّة.

[3]– قد يقول المرء في هذه الحالة [*Je me lève la main*] (حرفيّا، [*I raise me the hand* "أنا أرفع بنفسي اليد، (أنا أرفع يدي بنفسي)].

[4]– الخانات الدّاخليّة الّتي تضمّ هذه العمليّات لن تُضمَّن إلاّ من حيث هي طريقة في الإشارة إلى أنّ الواحدة من العمليّات تشارك، من حيث هي كلّ، في هذا التّناسب.

[5]– على سبيل المثال، يُحتمَل أن تسمح لمتكلّم ما بأن يقرّ ضمنيّا بأنّه مصاب بمرض تعدّد الشّخصيّة النّفسيّ.

[6]– لاكتمال الأمر، يمكن أن نشير إلى نوع آخر من الشّذوذ، تخرق فيه عبارة التّخصيصاتِ الّتي تقيمها خطاطة بنائيّة عند قطبها الدّلاليّ. ومن أمثلة ذلك [*happily girl «*طفلة بسعادة»] عوض [*happy girl* "طفلة سعيدة"]. يُستعمَل هنا ظرف بدل الصّفة المخصَّصة بالخطاطة البنائيّة في الرّسم البيانيّ 7. 5.

[7]– هذا تبسيط مبالغ فيه، في أحسن الأحوال، لأنّ الحروف "الفضائيّة"، في النّهاية، ذات أبعاد أخرى في توصيفها الدّلاليّ، منها الوظيفة على وجه الخصوص. ويمكن القول في حالة [*in*]، إنّ اشتغال المعلَم حاويةً للمنتقل أساسيّ بدرجة أكبر من العلاقة الفضائيّة الصِّرف (فاندولواز 1991، وخاصّة الفصل 13).

[8]– يُعرَض ذلك باعتماد خطوط التّناسب الّتي تربط بين منتقليهما، ومعلميهما، وباعتماد السّهام الّتي تمثّل العلاقات. وللحفاظ على الرّسوم التّخطيطيّة بسيطةً، يحذَف التّناسب الأخير في الأغلب (مثلما كان ذلك في الرّسمين البيانيّين 7. 5 و7. 8). والتّناسب بين المشاركين من تبعات التّناسب بين العلاقتين فيمكن لذلك أن يستغَلَّ طريقةً مختزلة في الإشارة إلى ذلك التّناسب.

[9]– من بدائل ذلك، أن يُعرَّف الرّأس بكونه عنصرا معجميّا يوفّر المضمون الدّلاليّ الأساسيّ للعبارة الشّاملة. ويتعارض التّعريفان في بعض الأحيان. في التّصريف التّدريجيّ [*be playing* "كون (شخص) يلعب]، مثلا، تحدّد [*be* "كان"] مقولةَ العبارة الشّاملة (فعل لاانقضائيّ)، ولكنّ "الرّأس المعجميّ" هو [*play* «لعب»] (فعل انقضائيّ).

[10]– في الجملة (6) ككلّ، يتحدّد موقع آلة التّصوير بعنصر محلّيّ مركّب ذي رباعيّ من العلاقات المكوّنيّة ورباعيّ من المعالم.

[11]– يتوفّر معنى [*pick*] هذا، كذلك، في عبارات من قبيل ما يلي: [*Buzzards had picked the bones clean* "التقطت النّسور كلّ ما على العظام وتركتها نظيفة" (عرَقت النّسور العظام)]؛ [*He was picking his teeth with a knife* "كان يلتقط ما على أسنانه بسكّين (كان يتخلّل بسكّين)"]؛ [*Don't pick your nose!* "لا تجعل أصبعك أنفك!"]؛ [*There wasn't much left on the bargain shelf— shoppers had pretty much picked it over* "لم يبق شيء كثير على رفوف المغازة– لقد لقط الزّبائن كلّ ما عليها."]. يتمثّل هذا العمل عادة في إمساك شيء بطرف أداة طويلة (مثل المنقار، أو الأصابع، أو عود الأسنان).

[12]– يتمثّل العامل الحاسم في ما إذا كان عنصر واحد يحيل إحالة صميميّة على الآخر، لا في ما إذا كان يجري بالفعل مستقلاّ. على هذا الأساس، يمكن أن يميّزَ جذعٌ من لاصقةٍ حتّى عندما لا يجري أبدا في شكل غير ذي لاصقة. وبالمثل تكون الحركات مستقلّة إزاء الحروف حتّى في اللّغات الّتي يكون فيها [CV] الشّكلَ المقطعيّ الأدنى، بوجه تقوم فيه حركة ما مقطعا برأسها.

[13]– تكون الوصلة تابعة بدرجة عليا لأنّ المركّب الجُمَليّ يبلور العمليّة الخطاطيّة إلى مدى أكبر يفوق فيه المدى الّذي تبلغه الوصلة في بلورة المنتقل الخطاطيّ (أي أنّ المركّب الجُمَليّ يوفّر معلومات ذات تفصيل أكثر). وكذلك المنتقل المركّبيّ يخصَّص فقط بالعنصر

الأوّل من الوصلة (علامة [*n*] تسم الشّخص المتكلّم المفرد)، في حين يَتوالف المركّب الجُمَليّ توالفا نحويّا مع الوصلة ككلّ.

[14]– لا موقف لي في شأن ما إذا كانت علامة التّنكير تتوالف مباشرة مع [*table* "طاولة"] (كما يُعرَض هنا) أو مع العبارة المركّبة [*table near the door* "طاولة قرب الباب"].

[15]– في [*jar lid*]، على سبيل المثال، [*jar*] متمّم لـ[*lid*] (الرّسم البيانيّ 6. 3). لِمَ؟ الآنَ من المفروض أن يكون ذلك واضحا.

[16]– هذا هو المقابل للرّسم البيانيّ 7. 13، الّذي لا يعرض انقسام [*a table*] و[*the door*] إلى علامة تعيين مع اسم. وتشير علامة [NP] إلى [**noun phrase** "مركّب اسميّ"]، وهو مصطلح نموذجيّ ولكنّه غير مناسب، يستعيض عنه النّحو العرفنيّ بكلمة [**nominal** "إسمائيّ"].

[17]– لاحظ أنّ السّهام من هذا القبيل وضِعت في القطب الصّوتميّ من كلّ بنية رمزيّة في تجميعة ما، في كلّ من الأبنية المكوّنيّة البسيطة والمركّبة. والزّمن والتّسلسل الزّمنيّ مظهران من التّوصيف الدّاخليّ للبنية الرّمزيّة في أيّ مستوى من المستويات. وعلى هذا، يجري في مستوى البنية المركّبة، تحديد التّرتيب الزّمنيّ بالنّسبة إلى العناصر في عبارة مركّبة. وللتّأكّد من ترتيبها من خلال رسم بيانيّ يجب على المرء تبعا لذلك أن ينظر إلى القطب الصّوتميّ من البنية المركّبة – لا يشار إليه بوضع الأبنية المكوّنيّة الواحدة منها إزاء الأخرى على الصّفحة المكتوبة. وبطبيعة الحال، تسهُل قراءة الرّسوم التّخطيطيّة بالفعل، لو أنّ الأبنية المكوّنيّة صُفَّت من اليسار إلى اليمين بطريقة تعكس تتابعَها الصّوتميّ. ولكنّ ذلك ليس ضروريّا، وفي بعض الأحيان تُملي الرّاحة في الرّسوم التّخطيطيّة (رسما وقراءة) خلافَ ذلك. ففي الرّسم البيانيّ 6. 13 (b)، على سبيل المثال، يَنتُج رسم تخطيطيّ أبسط بوضع [*big dog*] إلى اليسار، ووضع [*the*] إلى اليمين، رغم نطقهما بالتّرتيب المعاكس: [*th'big dog* "الكلب الكبير"].

[18]– تقبل هذه العبارة، بطبيعة الحال، القسمة إلى أبنية صغرى ذات معنى– وخاصّة إلى [*take ... for granted* "أخذ ... مسلّمة/ مضمونا"] (انظر [*You've been taking me for granted!* "كنت تعتبر موقفي مضمونا!"]، وإلى بنية مستقلّة تشتمل عليها مع مركّب موصوليّ يقترن بـ[*that*] (مثل، [*I resent it that he treats us so badly* "أنا مستاء لأنّه يعاملنا معاملة سيّئة جدّا"]. هذا الأمر موافق تمام الموافقة للسّلسلة الكاملة الّتي تجري إقامتها في شكل وحدة قائمة بذاتها.

[19]– العلاقة بينهما أيقونيّة ورمزيّة في آن، لأنّ العناصر المبأّرة، عند كلّ قطب، تبرز من الخلفيّة باعتبار بُعْدِ البروز الطّبيعيّ (ارتفاع الجرس الصّوتيّ أو ارتفاع درجة الإخباريّة). ولئن كانت الظّواهر العروضيّة والبنية الإخباريّة دائما مرفوضة أو مهمّشة، يعتبرهما النّحو العرفنيّ جزءا لا يتجزّأ من الصّوتميّة والدّلالة. وبالمثل، تكون الأبنية الرّمزيّة الّتي تتأسّس عليهما جزءا لا يتجزّأ من النّحو.

[20]– يهمّ ذلك الزّمنَ، ويجري التّمثيل للعمليّة المعروضة بفعل [*admire*] بسهم متقطّع يستعمل دائما للإشارة إلى العلاقات الذّهنيّة.

8. القواعد والقيود

تمكِّن اللّغـةُ المتكلّمين بها من بناء كمّ لانهائيّ من العبارات الجديدة ومـن فهمه. فيمكن أن نقول إنّها تجيـز تكوينَها أو تصادق عليه. ولكنّها لا تجيـز للمتكلّميـن أن يفعلوا كلّ ما يريدون. فلكي تُعتبَـر العبارات عاديّة أو صحيحـة، وجب أن تركَّب معا بطرق معيّنة دون أخرى. ولذلك يتحدّث اللّسـانيّون عن "قواعد" لغة ما وعن "قيـود" على العبارات الممكنة. ولكن ماذا يعني هذا بالفعل؟ تكون مصطلحات من قبيل "قاعدة" و"قيد" اسـتعاريّةً عندمـا تطبّق على اللّغة، فيمكن أن تكون لذلك مغلِّطة. وعلى هذا نحتاج إلـى النّظـر في الكيفيّة الّتي ينبغـي أن تُؤوَّل بها تأويلا واقعيّـا. فما هي طبيعة القواعد والقيود اللّغويّة؟ ومِن أين أتت؟ وكيف يمكن أن نصفَها؟ وكيف ترتبط باستعمال اللّغة الفعليّ؟

8.1 الشّبكات والخطاطات

لقد تقـدّم الجواب بشـكل أوّليّ، عن الأسـئلة الّتي طرحـت قبيل هذا. تكمن قواعد لغة ما وقيودُها في عدد كبير من الخطاطات تنتظم في شكل شـبكات. والخطاطات تُجرَّد من العبارات الجارية ويمكن أن تُستعمَل بعد ذلـك في بناء العبـارات الجديدة وفـي فهمها. وعلينـا الآن أن نفحص هذه المسـائل بتعمّق أكبر وتفصيل أكثر. ومن الطّرق الجيّدة للشّروع في ذلك، أن يطرحَ سؤال جوهريّ آخر.

8.1.1 ما اللّغة؟

في الحقيقة، لا وجود لشـيء بعينه اسـمه "لغة"، علـى الأقلّ في حدود ما يُفهَـم به هذا المصطلح في العـادة عند كلّ من اللّسـانيّين والنّاس العاديّين. يتكـوّن هذا الفهم إلى حدّ كبير بطريقة اسـتعاريّة. هي اسـتعارة عامّة جدّا، مطبَّقـة على اللّغة بطرق كثيرة، تنبني بها الوحدات اللّغويّة على أنّها وحدات مادّيّـة. فيمكننا أن نلتقِـط لغة (مثل ما تلتقط ثيابُنا وبر القطط) أو نكتسـبها (بالطّريقة الّتي بها نكتسب مجموعة من الأعمال الفنّيّة). ويتحدّث اللّسانيّون عـن بنيـة لغويّة وعن بنـاء الجمل. فعندمـا نتحدّث عن "أقـوال جوفاء" وعن

"وضع الأفكار في الكلمات"، وعن "استخراج شيء ممّا يقوله شخص ما"، إنّما نتصوّر العبارات حاويات والمعانيَ محتوى لها (رادّي 1979). واللّغة، كذلك، تُتصوَّر على أنّها حاوية، حاوية متطوّرة ذات عدد من الحُجُرات تتضمّن كلّ واحدة منها مجموعة من الأشياء المنفصلة. على هذا، يمكن أن يتساءل اللّسانيّ (تساؤلا لا فائدة منه إلى حدّ ما من منظور النّحو العرفنيّ) إن كانت القواعد قائمة "في المعجم" أو "في الإعراب". وثمّة استعارة أخرى تقيم شبها بين معرفة اللّغة ومعرفة مجموعة من الوقائع. يُولِّد هذا الأمر الافتراضَ الشّائع بأنّ اللّغة تقبل أن توصف وصفا تامّا باعتماد كتاب في النّحو وقاموس، فتكون تبعا لذلك مهيّأة للفحص حالَما تجهَز تلك الموادّ. ويُقِرّ اللّسانيّون هذه الاستعارة عندما يتحدّثون عن "المعرفة اللّغويّة" (كما لو أنّ معرفة اللّغة الفنلنديّة شبيهة بمعرفة تاريخ الولايات المتّحدة الأمريكيّة) أو عن "النّحو المضمَر" في لغة ما (هو المقابل الذّهنيّ للنّحو الّذي يمكن أن يكتبه لسانيّ ما لوصفه).

تعكس هذه الاستعارات تصوُّر اللّغة على أنّها وحدة متميّزة، محدودة حدّا متفاصلا، ذات حدود مكانيّة بيّنة تكون مستقرّة أساسا ومتجانسة داخل مجموعة من المتكلّمين. فيحيل اللّسانيّون، وفقا لذلك، على "نحو لغة ما"، على أنّه "مكوّن" ذهنيّ منفصل، ويمثّلونه غالبا تمثيلا تخطيطيّا في شكل خانة تحمل شارة [L "ل"]. وليس التّجريد والتّشييء الكامنان في هذه المفاهيم ممّا يمكن اجتنابه، بل لعلّهما مفيدان إن لم يُحمَلا على محمل الجدّ. وبالفعل، أنا أواصل هنا الحديث عن "لغة" أو "نظام لغويّ"، مستعمِلا في بعض الأحيان خانة تحمل شارة [L] لتمثيلها. ولكنّ هذا التّصوّر مجرّد خيال مُريح يجب الاعتراف به من حيث هو كذلك. فاللّغة لا تكمن في كتب النّحو وفي القواميس، والنّظرُ في دماغ متكلّم ما لا يكشف عن خانة تحمل شارة [L]. [1]

تتمثّل الحقيقة الأساسيّة في أنّ النّاس يتكلّمون بطرق متشابهة بدرجات متفاوتة. فالكلام نشاط معقّد، ولذلك وجب أن ينظَر إلى اللّغة نظرة حركيّة، من حيث هي شيء يفعله النّاس بدل أن تكون شيئا يملكونه. والوجوه المختلفة لهذا النّشاط - الحركيّة العضليّة، والإدراكيّة، والذّهنيّة- إمّا محكومة بالمعالجة العصبيّة أو متكوّنة منها، فيكون على هذا، الكلامُ، في معناه الواسع، نشاطا عرفنيّا. وزيادة على ذلك، يكون النّشاط

اللّغويّ اجتماعيّا ثقافيّا في طبيعته، بحكم كون اللّغة مكتسَبة ومستعمَلة عن طريق التّفاعل مع الآخرين في سياق اجتماعيّ وثقافيّ. فيمكن، على هذا، أن يوَصَّف الكلام بأنّه نشاط عرفنيّ متجذِّر اجتماعيّا وثقافيّا.

هو نشاط، مثل أيّ نشاط معقّد (تشييد منزل، مثلا، أو تسيير مشروع اقتصاديّ، أو لعب البيسبول)، يستمدّ مظاهره من طيفٍ كبير من الموارد ويتطلّب مجموعة متطوّرة من القدرات العامّة والمخصوصة. ومن القدرات الأكثر خصوصيّة به قوالبُ الأنشطة المتكرّرة الّتي تتزايد متانتها ونحن نطوّرها ولا نفتأ نصقلها على مرّ الزّمن. ومن هذه القوالب تلك الّتي نشيّئها ونعيّنها وحدات من اللّغة. فهذه الوحدات، عندئذ، تتمثّل في المظاهر المتكرّرة من نشاط المعالجة. وقد التحمت قوالب المعالجة العصبيّة هذه بعضها ببعض، بدرجات متفاوتة، في شكل روتينات عرفنيّة راسخة يمكن إنشاطُها كلّما عنّت الحاجة إلى ذلك. فيمكن تصوّرها على أنّها مهارات ذهنيّة أو محكومة ذهنيّا تُستعمَل في التّوليفات المختلفة خلال عمل التّكلّم المعقّد. فمعرفة لغة ما مسألةٌ تتعلّق بالتّحكّم في مجموعة شاسعة من المهارات الّتي تُستعمَل استعمالا جماعيّا للتّكلّم في بعض المقامات الاجتماعيّة الثّقافيّة.

فإذا ما سلّمنا بأنّ الوحدات اللّغويّة حركيّة في طبيعتها، كامنة في مظاهر من المعالجة العرفنيّة، وجب علينا أن ننظر بعد هذا في منزلتها إزاء الوجوه الأخرى من العرفنة. ومن المهمّ أن لا يغلّطنا التّصوّر الاستعاريّ للُغة ما على أنّها حاوية محدودة تضمّ أشياء متفاصلة ومتمايزة. ويكاد الكثير من التوقّعات الّتي تَنتُج عن هذه الاستعارة يكون غير صحيح بكلّ تأكيد. فمن خصائص الحاويات المادّيّة الّتي لا يمكننا أن نسندها إلى وحدات اللّغة - بصفة فرديّة أو جماعيّة- أن تحتلّ موقعا محدّدا معلوما. ولئن كانت بعض المناطق من الدّماغ مشاركة بدرجة قويّة في اللّغة، لا يمكن أن يكون نشاط المعالجة الّذي يكوّن الوحدات اللّغويّة متموقعا بصفة مدقّقة في أيّ منطقة بعينها. ولا الأبنية اللّغويّة المتميّزة أو المستقلّة عن الظّواهر غير اللّغويّة، يمكن أن تكون كذلك. فهي، عوضا عن ذلك، تستدعي وتستوعب من المعرفة، وتستخدم من القدرات الّتي ليست لغويّة بوجه خاصّ، ما لا يمكن بدونه أن تتجلّى.[2] ولا يمكنها أن تنبثق إلاّ في سياق مولِّدة للمعالجة أوسع، عندما تتضافر جدائل من النّشاط الواحدة منها مع الأخرى لتكوين نتاج متماسك. وأخيرا، لا تنفصل الوحدات اللّغويّة بعضها عن بعض ولا الواحدة منها مستقلّة عن

الأخرى؛ فبعض الوحدات يتراكب بعضها فوق بعض أو يتضمّنه مكوّناتٍ له. فعِوض أن تكون الخطاطات متميّزة عن تحقّقاتها، يكون من الأفضل أن تُتصوّر على أنّها مظاهرُ كامنة في نشاط المعالجة الّذي تتمثّل فيه. فهي متأصّلة في تحقّقاتها، بوجه أشبه ما يكون بتأصّل الشّكل الخطاطيّ لحرف من حروف الكتابة في الأشكال المخصوصة الّتي يحتملها ذلك الحرف في مختلف أنواع الخطّ.

يتكلّم كلّ شخص باختلاف عن الآخرين بقدر يسير. فلن تعثر على أيّ متكلّمَيْن، على سبيل المثال، يتحكّمان في نفس القدر من المفردات، ويسندان المعنى نفسه إلى كلّ عنصر معجميّ، بالتّدقيق. فلو أنّنا شيّأنا المهارات المستعرضة في التّكلّم، هي ما يشار إليه بصفة فرديّة على أنّها وحدات لغويّة، وبصفة جماعيّة على أنّها نظام لغويّ، يكون من الواجب علينا أن نقِرّ بأنّ النّظام اللّغويّ عند أيّ شخص يختلف عن النّظام الّذي يكون عند أيٍّ شخص آخر. فعندما يكون نظامان متماثلين بقدر كاف، لا تعوق الاختلافاتُ التّواصلَ بل لا يُنتبَه إليها في العادة. المتكلّمون ببساطة يتكلّمون، وينجح الواحد منهم في فهم الآخر فهما مقبولا. فهم يركّزون انتباههم، دون أن يكون لهم أيّ اهتداء واع إلى النّظام في ذاته، على العبارات وعلى السّياقات الّتي تحتضن جريانها. ولكن، إذا كان لكلّ شخص نظام لغويّ مختلف، ما هو الشّيء الّذي نعرّفه، حينئذ، بكونه "لغة"، من قبيل الإنجليزيّة (لو اخترناها اختيارا عشوائيّا)؟

فمن زاوية موضوعيّة، لا وجود لأيّ وحدة مفردة يمكن تعريفها بكونها كذلك. هناك بكلّ بساطة، الكثير من النّاس- مئات من الملايين منهم- يتكلّمون بطرق متشابهة تقريبا (وفي بعض الأحيان تقريبيّة جدّا، بالفعل). وبعبارة دقيقة، يكون لكلّ فرد نظام لغويّ متميّز (أو لهجة فرديّة). ولكنّ هذه النّظم الفرديّة تُظهِر بالفعل تشابها أسريّا كبيرا؛ فكما يتشابه الأفراد في أسرة ممتدّة الأطرافَ، تتشابه بعض النّظم تشابها قريبا جدّا، وبعضها الآخر تشابها أبعد من ذلك. وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نجمّعها في "لهجات" من أحجام متنوّعة ودرجاتِ تماسكٍ مختلفة. وزيادة على ذلك، لا يمكننا أن نفعل ذلك إلاّ بتجريدها من الاختلافات الفرديّة وبفرض حدود اصطناعيّة. فإذا ما تصوّرنا لهجة أو لغة على أنّها وحدة ذات حدود واضحة، فإنّها لا توجد في الفراغ، ولكن توجد في شكل افتراض ذهنيّ - نتاج الأَمْثَلَة والتّشييء

والاستعارة. والبناء الذّهنيّ للّغة، في ذاته، متجذّر في التّفاعل الاجتماعيّ وفي المواقف الثّقافيّة. فعمليّاتُ الأَمثَلة والاستعاراتُ ذات الاستعمال الشّائع في التّفكير في اللّغة وفي الكلام عنها، جزء من المعرفة الثّقافيّة الّتي تُتَناقَل تناقلا اجتماعيّا. وفكرة انتماء عنصر ما إلى "لغة"، بمعنى أنّه يُستعمَل استعمالا صميميّا متواترا في التكلّم بها، تمثّل في حدّ ذاتها بعدا واحدا من الأبعاد الّتي تكون لقيمتها اللّغويّة التّواضعيّة.

وما من فائدة في أن نطرح سؤالا يتعلّق بكون اللّغة عرفيّة أو اجتماعيّة ثقافيّة في طبيعتها، لأنّها جميع ذلك بكلّ وضوح. يشتمل النّظام اللّغويّ على طيف واسع من المهارات المستعملة في الكلام. وتكمن تلك المهارات، في النّهاية، في القوالب المتكرّرة من نشاط المعالجة الموجَّه عصبيّا توجيها محايدا. هي مهارات لا تتطوّر تطوّرا معزولا، ولكنّها تتطوّر من حيث كانت نتاجا للتّفاعل الاجتماعيّ في سياق ثقافيّ ما (طوماسلّو 2003). فخلال تعلّم الكلام، يتراكز النّظام اللّغويّ عند فرد ما مع النّظم اللّغويّة عند الأفراد الآخرين الّذين يتفاعل معهم ذلك المتعلّم. فالاكتساب لا يكتمل اكتمالا حقيقيّا أبدا، لأنّ النّظام الّذي يكتسبه شخص يتواصل صقلُه وتعديلُه وتوسيعُه على امتداد الحياة اللّغويّة. وتتحقّق مظاهر التّكيّف هذه من خلال التّفاعل الاجتماعيّ الثّقافيّ أيضا، وهي بذلك محلّ تنسيقٍ إلى حدّ ما بين الأفراد الّذين يتفاعل الواحد منهم مع الآخر.

ففي غمرة الأفراد المتكلّمين، حينئذ، تنزع البنية نزوعا ثابتا إلى الانبثاق وإلى الحفاظ على نفسها بنفسها. وينزع الأفراد إلى الانتظام في شكل مجموعات تحافظ على ديمومتها بنفسها، ويكون الكلام فيها متشابها إلى حدّ كبير، ويتصوّرون أنفسهم يتكلّمون اللّغة أو اللّهجة نفسَها. وهذه "المجموعات اللّغويّة" تتفاوت تفاوتا كبيرا في الحجم، وفي اللُّحمة الاجتماعيّة، وفي الدّرجات الّتي يقتربون فيها من التّشاكل اللّغويّ. والكلمة المفتاح، بطبيعة الحال، هي "يقتربون"، إذ تظهر الجماعات اللّغويّة، حتّى أشدّها تماسكا، التّنوّعَ اللّغويّ. ويمكن أن تُحجَب الفوارقُ بين النّظم اللّغويّة الفرديّة بالقاسم المشترَك الكبير الّذي يمكِّن الأفرادَ في مجموعة لغويّة ما من التّواصل بحرّيّة. وإلى حدود ما يكون به الأمر كذلك، يميل كلّ من المتكلّمين واللّسانيّين إلى التّخلّص من الفوارق والتّركيز على مظاهر التّشابه الكبرى.

فمن خلال عمليّة الأمثَلة والتّشييء هذه تنبثق اللّغات واللّهجات من حيث هي منشآت ذهنيّة واجتماعيّة ثقافيّة.

2.1.8 الخطاطات

وجب أن يُعتبَر تجاهل هذه العوامل، بدعوى أنّ اللّغات والوحدات اللّغويّة متفاصلة بتمامها وكمالها، أمرا مضلِّلا. ويكون كذلك مضلّلا اعتناقُ الموقف الضّديد لهذا واعتبار اللّغة والوحدات اللّغويّة مسترسلة بتمامها وكمالها - أي بحرا من التّنوّع اللاّنهائيّ الخلو من كلّ بنية قابلة للإدراك. والواقع أنّ الأبنية تنبثق بالفعل على درجات مختلفة من القوّة والتّحديد والاستقرار. فاللّغة مقَوْلَبة، وهي نشاط منظّم يُظهِر كمًّا واسعا من مظاهر الانتظام الّتي تحتاج إلى أن يُكشَف عنها وتُوصَف. ولكن يجب أن يستوعب توصيفُها الحركيّةَ الكامنة فيها والتّنوّعَ في البنية اللّغويّة.

تتألّف مظاهر الانتظام الّتي نُشَيِّئُها ونحيل عليها إحالة جماعيّة على أنّها "لغة"، من الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة. هي "وحدات" بمعنى أنّها روتينات عرفنيّة راسخة، وهي "تواضعيّة" بحكم أنّها تمثّل ممارسة لغويّة قائمة في مجموعة لغويّة ما. هذه الوحدات التّواضعيّة تجسّد القواعد في لغة ما والقيود المفروضة على العبارات فيها. وبما أنّ هناك أشكالا متنوّعة يمكن أن تحتملها تلك الوحدات، علينا أن ننظر في الطّبيعة الأساسيّة للقواعد اللّغويّة وفي مصدر التّقييد فيها.[3]

يتصوّر اللّسانيّون القواعدَ بواحدة من طرق عامّة ثلاث: من حيث هي قواعد بنائيّة، أو مَصافٍ، أو خطاطات. والقواعد البنائيّة شبيهة بالتّعليمات الّتي يجب أن تُتّبَع، خطوة خطوة، في سبك العبارات (منتجةً إيّاها في شكل "خَرْج" نهائيّ). ومن الأمثلة الأوّليّة "قواعد البنية المركّبيّة" و"التّحويلات" في النّحو التّوليديّ الكلاسيكيّ (شومسكي 1957، 1965). فقواعد البنية المركّبيّة تعليمات لبناء الأبنية الإعرابيّة الشّجريّة مثل ما يرد في الرّسمين البيانيّين 7. 16 و7. 17 (a). وتحدِّد التّحويلات الكيفيّةَ الّتي يجري بها تحويل الأبنية "الكامنة" الّتي بنيت إلى هذا الحدّ بتلك القواعد، على مراحل متتابعة - بعمليّات من قبيل الإقحام، والمحو، والنّقل- لإنتاج الشّكل "السّطحيّ" لعبارة ما. وبناء على هذا، تُتصوّر القواعد والعبارات على أنّهما مختلفتان بالأساس في طبيعتهما. ولإجراء قياس، نقول: إذا كانت القواعد خطوات في برمجيّة حاسوبيّة، تكون العباراتُ الصّورَ الّتي تولّدها على الشّاشة. وعلى

هذا، لا داعي إلى أن نتوقّع أنّ القواعد الفرديّة تشبه العبارات الّتي تساعد على إنتاجها. فالشّـرط الوحيد يتمثّل في أنّ القواعد تشتغل اشتغالا جماعيّا لتُعطِي العبارات ذات البناء الجيّد فقط، في الخَرْج.

ويمكن للقواعد اللّغويّة أن تصاغ في شـكل سلبيّ، من حيث هي أحكام تنصّ على ما ليس مسـموحا به في العبـارات ذات البناء الجيّد. فيمكن لقاعدة مـن هذا القبيل، على سـبيل المثال، أن تَسِـم بالشّـذوذ كلَّ مركّب جُمَليّ لا يتطابق فيه الفعل والفاعل في العدد ([*it are* ✻ "*هو (شـيء) يكونون"]، [*they is* ✻ "*هم يكون"]). وقد سـعى المنظّرون في مناسـبات كثيرة إلى أن يثبتوا أنّ النّحـو بتمامه ينبغي أن يتكوّن من مَصافٍ من هذا النّوع. يتّخذ هذا التّفسـيرُ منطلقَـه من المجموعة الشّـاملة لكلّ "السّلاسـل" الممكنة من الكلمات المسـتمدّة من معجم اللّغة. وأغلب هذه السّلاسـل ببسـاطة غير منسجم - لا يمكن أن تقبل إلاّ نسـبة منها ضئيلة جـدّا (ولكنّها تعتبَر رغم ذلك كثيرة لانهائيّة عند أصحاب هذا الموقف!) على أنّها عبارات صحيحة نحويّا. يكون هذا الحكم بفحص السّلاسـل المترشّحة في ضوء قائمة الممنوعات الطّويلة الّتي يتألّف منها نحو اللّغة. فتُقصى أغلبُ السّلاسـل بحكم كونها موصومة بمخالفـة تلك الممنوعـات. والعبـارات الّتي لا تحمل وصمـةً يحكم لها بكونها نحويّة.[4]

وخلافا للقواعد البنائيّة (الّتي لا تحتاج إلى أن تشـبه العبارات) وللمصافي (الّتي لا تسـتطيع ذلك بحكم تعريفها)، تشـبه الخطاطاتُ وجوبا العبارات الّتـي توصّفهـا. فالخطاطـات تنبثق من العبارات من خلال ترسـيخ القواسـم المشـتركة الّتـي تُظهِرها في مسـتوى ما من مسـتويات التّجريـد. أو بعبارة أدقّ، تنشـأ الخطاطات من صميم العبـارات، من حيث كانت مظاهرَ تتكرّر في نشـاط المعالجـة الّذي يكوّنها. وتختلف الخطاطات عـن العبارات الّتي توصِّفها في درجة التّخصيص فقط، إذ تمثّل مظاهرَ التّماثل الإجماليّة الكبرى الّتي يكشف عنها التّجرّد من التّفاصيل الدّقيقة.

تأخذ القواعد، في النّحو العرفنيّ، شـكل الخطاطات. فالقوالب ومظاهر الانتظـام من أيّ نوع كانت، تكمن في الوحـدات الخطاطيّة الّتي تُجرَّد من العبـارات الجاريـة. وحتّى العناصـر المعجميّة، تكون لها هـذه الخصيصة. فيكون من الأفضل أن تُتَصوّر العناصر المعجميّة على أنّها مظاهر انتظام ذات مدى محـدود، رغم أنّها تُعتبَر فـي الغالب متفرّدة دلاليّـا ونحويّا.[5] فالوحدة

المعجميّة ["قِطّ"]، على سبيل المثال، تجسّد التّعميمَ المتعلّق بأنّ المخلوقات من نوع معيّن تسمّى تواضعيّا بهذا الشّكل. فلا تَناقُض في وصف العناصر المعجميّة بكونها عبارات ثابتة، من جهة، وخطاطاتٍ، من جهة أخرى. فالوحدة المعجميّة، من قبيل ["قِطّ"]، مخصَّصة بكلّ تأكيد مقارنةً بالخطاطة الّتي تصف الأسماء المعدودة أو الأسماء من حيث هي قسم عامّ. وهي، رغم ذلك، خطاطيّة مقارنةً بأيّ تحقّق مخصوص لـ["قِطّ"] في الاستعمال اللّغويّ الفعليّ. ويمكن أن يكون جريانٌ خاصّ لكلمة ما، على درجة عالية من التّخصيص (إن لم يكن الأوحد) من زاوية معناها المحدَّد بالسّياق، وتفاصيلِ نطقها الدّقيقة، في آن واحد. ولكنّ الوحدة المعجميّة، من حيث هي وحدة ثابتة - راسخة نفسيّا وتواضعيّة في المجموعة اللّغويّة- تبطِل السّمات التّفصيليّة الدّقيقة الّتي تتنوّع من مناسبة إلى أخرى لاحقة عليها.

تسمّى العيّنة الحقيقيّة من الاستعمال اللّغويّ، في تمام تعقّدها وتخصيصها، "حدث استعمال". ويتمثّل المظهر الأساسيّ من حدث استعمال ما في الكيفيّة الّتي تُدرَك بها العبارة المستعمَلة عند المتكلّم والسّامع - أي الفهم السّياقيّ التّامّ لمضمونها وجميع التّفاصيل في مظهرها الصّوتيّ النّطقيّ، عند كلّ منهما. والأهمّ من ذلك، أنّ السّياق يشتمل على ما يجاوز بقدر كبير مجرَّد الملابسات المادّيّة المباشرة. وتتنامى مظاهر التّفاعل الكلاميّ في جميع المستويات من وعي المتحاورين: المادّيّ والذّهنيّ والاجتماعيّ والثّقافيّ والانفعاليّ والتّقييميّ. وبناء على ذلك، يتمثّل جزء من المضمون السّياقيّ لعبارة ما في تقييم كلّ واحد من المتحاورين لما يعرفه الآخر وما هو منتبِه إليه زمن الكلام، وكذلك لمواقفه ومقاصده ورغباته. ويتضمّن، بالإضافة إلى ذلك، وعيَهما بالخطاب في ذاته وهو يجري، وبالكيفيّة الّتي تندرج بها العبارة الجارية فيه.

النّحو العرفنيّ منوال في البنية اللّغويّة متأسّس على الاستعمال (بارلو وكمّار 2000؛ بايبي وهوبّر 2001؛ لانقاكر 1999a: الفصل 4). ومن مبرّرات هذه التّسمية، القول بأنّ أحداث الاستعمال مورد لجميع الوحدات اللّغويّة. والعلاقة بين الوحدات وأحداث الاستعمال الّتي تنتِجها مقيَّدة تقييدا محكما بشرط المضمون (§ 1. 3. 4). وحسب شرط المضمون، تقتصر الوحدات على الأبنية الّتي تنشأ من أحداث الاستعمال من خلال عمليّتين عرفنيّتين أساسيّتين: التّجريد الخطاطيّ والمقْوَلة. ويجري تجريد

الوحـدات الدّلاليّـة من الفهم السّـياقيّ للعبـارات الجاريـة، والوحدات الصّوتميّـة من إدراك خصائصها الصّوتيّة، والوحدات الرّمزيّة من التّقارن الزّوجـيّ بيـن الاثنيـن. وفـي كلّ حالة، تنبثـق الوحدات عبر التّرسـيخ التّدريجيّ للتّشكّلات المتواترة في عدد من الأحداث كافٍ لها لتستويَ روتينات عرفنيّة.[6] وبما أنّ السّمات المتكرّرة هي الّتي تتقوّى دون غيرها، تكون الوحدات الّتي تنبثق منها أقلّ شـمولا وتفصيلا بكثير من أحداث الاسـتعمال الّتي تنتجها. فالوحدة لا تناسـب إلاّ المظاهـر الّتي تُنتقَى من الأحداث المصدر، والقاسـم المشـترك الّذي تعكسـه لا يظهر إلاّ في مستوى ما من مستويات التّجريد.

فالوحدات، حينئذ، خطاطيّة بالنّسـبة إلـى كلّ من الأحداث المصدر والأحـداث الأخرى الّتي تظهر فيها. وما إن تترسّـخ، حتّى تشـتغل قوالب لبناء العبارات الجديدة ولتأويلها. وتتمثّل العلاقة الّتي تكون لها بالمظاهر المناسـبة لها من أحداث الاسـتعمال اللاّحقة، في المقْوَلة. تكون علاقةُ المقوَلـةِ علاقةَ بلورة إذا كانت الخطاطة متجلّية في الهدف بشـكل تامّ دون تشـويه. أو تكـون، في خلاف ذلـك، علاقةَ توسـيع. وزيادة على ذلك، يكون كلا النّوعين من المقوَلة قادرا بنفسـه على التّكرّر وعلى أن يصير راسـخا على أنّه وحدة لغويّة تواضعيّة. وسـوف نرى، كذلك، أنّ علاقات المقوَلَة تكون بدورها عرضة للتّجريد الخطاطيّ وللمقْوَلَة.

تقتصر الوحـدات اللّغويّة بحكم شـرط المضمون، علـى التّمثيلات المجـرّدة خطاطيّـا للتّشـكّلات الكامنة فـي أحداث الاسـتعمال. وإذ كانت الخطاطاتُ القواسمَ المشـتركة المرسّخَة من العبارات الجارية، فهـي تعادِل التّوصيفـات الإثباتيّة لما يجري فعلا في الاسـتعمال اللّغويّ. وتوفّر هذه العلاقة المباشـرة بين البنية والاسـتعمال تفسـيرا للاكتساب اللّغـويّ يكون مبدئيّا مباشـرا.[7] ومقابل ذلـك، تكون بعض الأدوات المسـتعمَلة فـي نظريّات أخرى - من قبيـل المصافي، والقواعـد البنائيّة، والأبنية الكامنة- مشـكِلةً من هذه الزّاوية لأنّ الصّلة بينها وبين العبارات الحقيقيّة غير مباشـرة إلى حدّ بعيد. وشـرط المضمـون يمنع اعتمادها في النّحو العرفنيّ.

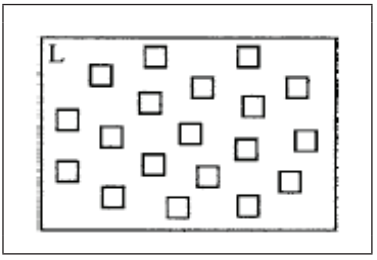
لقـد عُرض إلى حدّ الآن تعريفان للخطاطة وقد يبدوان متناقضين. فمن جهـة، قيل عنها إنّها تجسِّـد القواعد والقيود في لغة مـا. وتتمثّل الصّعوبة

الظّاهـرة فـي أنّ «قاعدة» و«قيد» مصطلحان سـلبيّان، يحيلان على ما لا يجـب أن يُفعَـل أو على ما يجـب أن يُفعَل إن لم يُرِد المرء تعريض نفسـه للخَطيّة. فالسّؤال، إذن، هل تكون الخطاطات، من حيث هي تخصيصات إثباتيّة، قادرة على تحقيق التّقييد الّذي يُنسَـب إلـى النّظام اللّغويّ. فلو أنّ الخطاطـات كانت الأمرَ المفترض الوحيد، كيف يمكن للمتكلّمين أن يعرفوا أنّ بعض العبارات غير مسـموح بهـا، حتّى ما كان منها مطابقا للقوالـب العامّـة (مثل، [*mans*] جمعـا للمفرد [*man*])؟ فعلى أيّ أسـاس يمكـن أن تقصى مجموعـة لانهائيّة مـن العبارات الممكنـة على أنّها "لاحنة"؟

تقدَّم الأجوبة المفصّلة عن أسـئلة من هذا القبيل في الأقسـام اللاّحقة مـن هذا الكتاب. وأمّا الآن، فيمكن ببسـاطة أن نلاحظ أنّ التّحديدات لا تحتـاج إلى أن تتجلّى في شـكل تعليمات بالمنـع ظاهرة. يمكن أن يكـون في اللّغة، وكذا الحـال في الحياة، منوال إثباتـيّ مفرد أنجعَ في التّحكّم في السّـلوك وفـي توجيهه، من أيّ عـدد كان من التّعليمات المانعـة. يكون ذلك كذلك على وجه الخصوص، بحكم أنّ الأبنية الجائزة تواضعيّا لا تمثّل إلاّ جيوبا صغيرة في الفضاء الواسع للإمكانيّات البنيويّـة. فالخطاطات، من حيث كانت موارد جاهزة متاحة للاسـتغلال، تشـتغل أقطابَ جذْب فـي داخل هذا الفضاء، مانعةً بذلك استكشـافَ المناطـق الأخرى. وبهذه الطّريقـة، يمكن للتّوصيـف الإثباتيّ للقوالب التّواضعيّة أن يشير ضمنيّا (وبنجاعة كبيرة) إلى أنّ الخيارات خارج مداها غيرُ تواضعيّة وسوف يُحكَم عليها بالشّذوذ عن القاعدة.

3.1.8 شبكات الخطاطات

تضمّ اللّغة مسردا هائلا من الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة، جميعها جرى تجريده من أحداث الاسـتعمال. يُعرَض هذا باختزال في الرّسـم البيانيّ 8. 1، حيث تشـير الخانات الصّغيرة إلى الوحدات المفردة، والخانة الكبيرة الموسـومة بحـرف [L] إلى اللّغـة ككلّ. وعند هذا الحـدّ، تكون قد صـرتَ على وعي، بـكلّ تأكيد، بمظاهر التّشـويه الكبير الكامن في هـذا التّمثيل الّـذي يظلّ رغم ذلك مفيدا لغايات محـدودة. فينبغي أن لا يُحمَـل التّفاصل الّذي يوحي به الرّسـمُ التّخطيطيّ واسـتعارةُ الحاوية الّتي يقوم عليها، على محمل الجدّ.

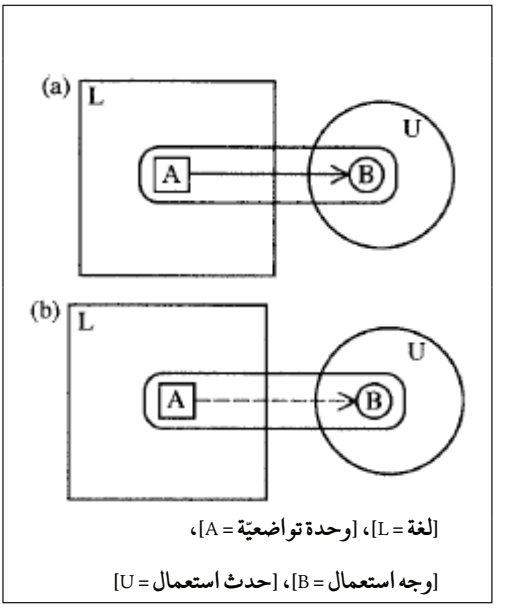


الرّسم البيانيّ 8. 1

وعلى وجه الخصوص، لا تشبه الوحدات اللّغويّة جملةً من كرات الطّاولة المجموعة في صندوق. وحتّى إذا ما كانت كرات الطّاولة مربّعة، تظلّ الوحدات اللّغويّة مختلفة كثيرا بحكم طبيعتها الحركيّة الصّميميّة فيها. ومن الفروق الأخرى الّتي تفيد هنا إفادةً مباشرة أنّ الواحدة من كرات الطّاولة منفصلة عن سائرها غير متّصلة بها، في حين لا تكون الوحدات اللّغويّة كذلك. وكنّا رأينا، على سبيل المثال، أنّ الوحدات تتوالف الواحدة منها مع الأخرى في تجميعات تكون في ذاتها تواضعيّة (الرّسم البيانيّ 6. 6). وتكون بعض الوحدات خطاطيّة إزاء الأخرى، والخطاطات متأصّلة في تحقّقاتها بدل أن تكون مختلفة عنها. وبصفة أعمّ، تترابط الوحدات بعلاقات المقوَلَة بنوعيها البلورة والتّوسيع في آن. فتكون لذلك قادرة على إنشاء شبكات من أيّ حجم كانت (كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 2. 2 في شأن المعاني البديلة في [*ring*]).

يمكننا، على هذا الأساس، أن نصف لغة ما بأنّها مسرد ذو بنية من الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة. هذه البنية - أي انتظام الوحدات في شبكات وتجميعات- مرتبطة ارتباطا وثيقا باستعمال اللّغة، من حيث كانت مشكِّلة إيّاها ومتشكّلة بها في آن واحد. ولنعرف الكيفيّة الّتي يكون بها ذلك لمجرّد المعرفة، نحتاج إلى أن نفحص اَلتّفاعلَ بين العبارات الجارية والنّظام اللّغويّ المعتمَد في بنائها وفهمها. فالعبارات لا توجد مستقلّة بنفسها، ولكنّها لا توجد إلاّ من حيث هي تجلّيات للّغة. فلا يكوّن تصوُّرٌ ما وسلسلةٌ ما من الأصوات عبارةً في ذاتهما وبذاتهما، بل لا يكون ذلك إلاّ من خلال تأويلِهما في ضوء نظام لغويّ ما. فالعبارات أشياء لغويّة تقوم بنيتها ومنزلتها على الوحدات التّواضعيّة الّتي يستعملها المتكلّم والسّامع في إدراكها. والعلاقة الّتي تكون لها بتلك الوحدات تُساوي المَقوَلَة.

انظـر، بعـد ذلك، في العلاقة بين لغة (L "ل") وحدث اسـتعمال (U "ع") يُـؤوَّل علـى أنّه ملفـوظ من تلـك اللّغة. وتأويلـه على أنّه كذلك مسـألة مقوَلَـة: تكمن في اسـتدعاء وحدات مخصوصة من اللّغـة (L) لمقوَلَة وجوه محدَّدة من حدث الاسـتعمال (U). ويمكن أن يُستدعَى عدد كبير نسبيّا من الوحـدات، الّتي تمثّل عناصـرَ من البنية اللّغويّـة ذاتَ أحجام مختلفة وأطوال متنوّعة. وبحكم عمليّات المقوَلة هذه، بالتّحديد، يُعَدّ هذا الملفوظ عبارةً من تلـك اللّغة. فعمليّات المقوَلَة توفّر، بصفـة جماعيّة، الوصفَ البنيويّ للعبارة وتوصيفَها بالنّسبة إلى اللّغة (L).



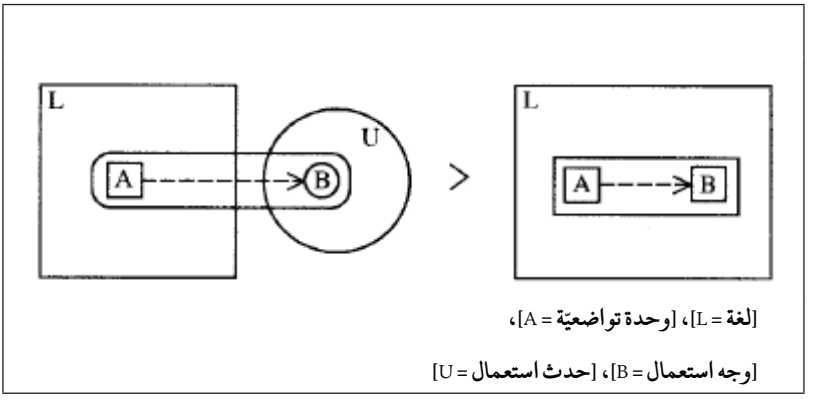
الرّسم البيانيّ 8. 2

تصوَّر واحدة من عمليّات المقولة تلك في الرّسم البيانيّ 8. 2. تمثّل [A] وحـدة تواضعيّة من اللّغة [L]، وتكون (B) وجها من الاسـتعمال [U] الّذي تمقولُه. يمكن أن يكون ذانك العنصران أبنية من أيّ حجم أو من أيّ نوع كان (مثلا، أصوات، وحدات معجميّة، أبنية نحويّة). وتكون العلاقة بينهما إمّا علاقة بلورة (→) أو علاقة توسيع (←---). تُدرَج [A] في خانة إشارةً إلى أنّ لهـا منزلةَ الوحدة. وتدرَج (B) في دائـرة، على افتراض أنّها جديدة عندما تـدرَك في جميـع تفاصيلها من حيـث هي جزء من حدث اسـتعمال. فإذا

كانت (B) جديدة، وجب أن تكون مقْوَلتُها بـ[A] جديدة أيضا. يُعرَض ذلك بجعلها في خانة ذات زوايا مستديرة. وبطريقة صياغيّة رياضيّة، يمكن أن تقدَّم العلاقة الممقولة، باستعمال المعقّفات والأقواس للوحدات ولغير الوحدات، في شكل ((B)→[A]) أو في شكل ((B)<---[A]).[8]

وعلى هذا، تُؤوّل (B) بأنّها تَجَلٍّ لـ[A] في حدث استعمال ما. وعندما تكون (B) تجلّيا تامّا لـ[A] دون تحريف، كما يظهر في الرّسم التّخطيطيّ (a)، تدرَك العبارة على أنّها تواضعيّة (أي "ذات بناء جيّد") باعتبار هذا الوجه المخصوص من بنيتها. وعندما لا تكون (B) إلاّ تجلّيا جزئيّا أو محرّفا لـ[A]، كما يظهر في الرّسم التّخطيطيّ (b)، تدرَك العبارة على أنّها غير تواضعيّة (أي "شاذّة") باعتبار ذلك الوجه المخصوص. وعلى هذا، يرتبط المدى الّذي يكون فيه الحكم على عبارة ككلّ بكونها ذات بناء جيّد، بجميع عمليّات المقوَلة الفرديّة الّتي تَظهَر في وصفها البنيويّ. وبما أنّنا نوسّع دائما من دائرة الاستعمال اللّغويّ ممطّطين بذلك الموارد المتاحة للاستجابة للتّحدّيات اللّغويّة الحادثة، نقبَل كلّ قدر من اللاّتواضعيّة قبولا فوريّا، حتّى إذا ما انتبهنا إليه. ولعلّ التّحريف الحادث في أقصى الدّرجات فقط، هو ما يجلب الانتباه ويسبّب الحكم على عبارة ما بكونها "شاذّة" أو "لاحنة".

لا تحتاج مَقْوَلةُ [A] لـ(B)، سواء قامت على البلورة أو على التّوسيع، إلى أن تَحدُث مرّة واحدة. فإذا كان من المفيد لـ[A] أن تُستدعَى وتُحقَّق في شكل (B) في سياقِ حدث استعمالٍ واحد، يمكن أن يكون الأمر نفسه مفيدا في أحداث أخرى من هذا القبيل. وعلى هذا، يجري كلّ من (B) ومقْوَلةُ [A] لـ(B)، في مناسبات متعدّدة. فإن حدث أن تجريَ بما يكفي من التّواتر فإنّها تخضع للتّرسيخ وتكتسب منزلة الوحدات: [[B]<--- [A]] < ([B] <--- [A])[9]. افترض الآن أنّهما تكتسبان منزلة الوحدة في نهاية المطاف، لا عند متكلّم واحد فقط بل عند أغلب الأفراد في مجموعة لغويّة ما أو حتّى عند جميعهم كذلك. في هذه الحالة، ليست كلّ من [B] وعمليّة المقوَلة [[<--- [A B]]]، إلاّ وحدتين لغويّتين تواضعيّتين. فيكون إذن، بحكم التّعريف، قد تمّ إدراجهما في اللّغة. يُعرَض هذا التّطوّر الشّامل عرضا مجملا في الرّسم البيانيّ 8. 3.

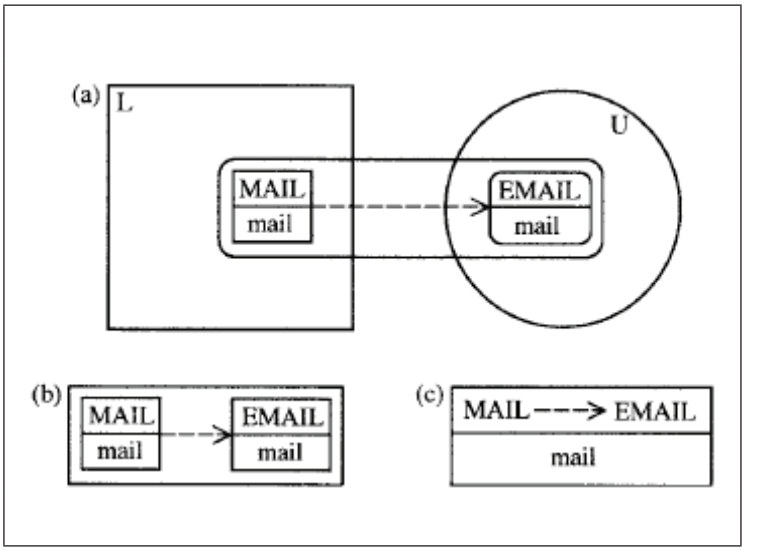


الرّسم البيانيّ 8. 3

لنأخذْ بعض الأمثلة الملموسة. تخيَّل أوّلا أنّ [A] تكون المقطعَ [ma]، وهي وحدة صوتميّة تجري جزءا من كلمات كثيرة. قد لا يكون من المستبعَد أنّ متكلّما يمكنه أن ينطق بها، في مناسبات قليلة، بحركة مؤنّفة (وهو تطوّر صوتيّ طبيعيّ، يتمثّل أساسا في تخفيف توقيت الغلقين الفمويّ والغشائيّ). ففي حدث استعمال مخصوص، قد تتحقّق [ma] نتيجة لذلك بتحريف طفيف، على أنّها (mā). ورغم هذا الاختلاف (الّذي يحتمل أن لا ينتبِه إليه أحد)، يؤوّل الأخير على أنّه تحقيق للأوّل: ((mā) <--- [ma]). ويمكن أن يجري بالفعل هذا النّطق البديل في مناسبات كثيرة عند متكلّمين كثر. وبهذه الطّريقة يمكن أن تقوم برأسها، في نهاية المطاف، وحدة تواضعيّة من اللّغة: [[mā] <--- [ma] < ((mā) <--- [ma]]). فتتمثّل نتيجة هذا التّغيّر اللّغويّ الطّفيف في أنّ [mā]، الآن، نطقٌ متوقّع بصفة منتظمة لـ[ma].[10]

انظر بعد ذلك في حالة من التّوسيع الدّلاليّ. فالاسم [*mail* "بريد"]، الّذي يحيل في الأصل على الرّسائل الّتي تتجسّد في حوامل ماديّة وتُسلَّم عن طريق النّظام البريديّ، استقرّ الآن، بشكل راسخ، دالاّ على ما يُعرَف كذلك بكلمة [*email* "بريد إلكترونيّ"] - وهي الرّسائل الّتي تسلّم إلكترونيّا بواسطة الحاسوب. ففي طور ما، كان هذا الاستعمال لكلمة [*mail*] تجديدا. فالوحدة المعجميّة [*mail*]، وقد كانت في ذلك الوقت محدودة بما يسمّى في أيّامنا [*snail mail* "بريد الحلزون (البطيء)"] أو [*hard mail* "البريد الورقيّ"]- كانت تستدعَى للدّلالة على نظيرها الإلكترونيّ. ويستلزم هذا التّوسيعُ عمليّة المقوَلَة الواردة في الرّسم البيانيّ 8. 4 (a). يؤوَّل جريان [*mail*]

فـي الملفوظ على أنّه تجلٍّ للوحدة الرّمزيّة [MAIL/ mail]، رغم أنّها تفهَم، في سياق حدث الاستعمال، دالّة على الرّسائل الإلكترونيّة: (EMAIL/mail). وهذا الاسـتعمال راسـخ تماما في أيّامنـا، بوجه يكون به لكلٍّ مـن البنية الرّمزيّة [EMAIL/mail] ومقْوَلتهـا بـ[MAIL/mail]، منزلةُ الوحـدات التّواضعيّة. يُعرَض هذا في الرّسـم التّخطيطيّ (a)، الّذي يمكن أن يقدَّم بشـكل أكثر كثافة فـي (c) بدمج التّمثيلين المقترنيـن بكلمة [mail]. وبما أنّ الوحدة الأصليّة لم تندثر، تكون [*mail*] الآن من المشـترك الدّلاليّ، يقترن بها "البريد الورقيّ" و"البريد الإلكترونيّ" معنيين راسـخين فيها رسـوخا شديدا. وإلى حدّ ما، ما يـزال المعنى الأخير مفهوما على أنّه توسـيع من الأوّل، بالضّبط كما يشـار إليـه في الرّسـم التّخطيطيّ (c). ولكـنّ هذا التّبرير أخذ طريقه إلى النّسـيان، فـ[EMAIL/mail] تقـوم بمفردها، بشـكل متزايد، وحدة رمزيّـة يهتدَى إليها بصفة مستقلّة.[11]



الرّسم البيانيّ 8. 4

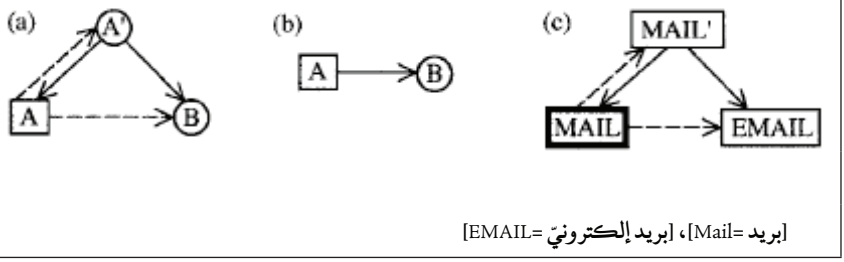
تمثّل المقْوَلة الواردة في الرّسـم البيانيّ 8. 4 حالة من التّوسيع، لا حالة من البلـورة، لأنّ البعض من سـمات البنية المُبلورة غائبة أو محرّفة على مسـتوى الهـدف. فعوضـا عن كون الرّسـائل مخطوطـة على ورق، تكـون فكرةُ ظهورها على شاشـة حاسـوب. ويعوِّض التّبليغ الإلكترونيّ التّسليمَ المادّيّ من طرف أعوان البريد. ولكـنّ التّوسـيع يكون مباشـرا، بل هو جليّ إذ يظلّ

قـدر كبير من المشـترك بين [MAIL "**البريـد الكتابـيّ**"] و[EMAIL "**البريد الإلكترونـيّ**"]، قائما: الدّور المركزيّ للرّسـائل، من حيث صياغتها صياغة لغويّة بصفة رئيسـيّة؛ وتتابع كتابتها فإرسـالها فاسـتلامها فقراءتها؛ وإيصالها عبـر شـبكة توزيع ثابتـة. وبناء على هـذا، نحصـل بتعليق بعض السّـمات المخصوصة بـ[MAIL "**البريد**"]، علـى تَصوُّر أمضى في التّجريد يتجلّى تجلّيا تامّا في [EMAIL "**البريد الإلكترونيّ**"]. هذا القاسـمُ المشـترك يبرّر توسـيع كلمة [*mail* "البريد"] لتشـمل البريد الإلكترونيّ ويضمن فهمَها الفَوريّ، في آن واحـد. وبالفعل، يمكن للمرء أن يدلِّل بشـكل معقول على أنّها تكوّن الآن معنـى خطاطيّا قابلا لأن يُهتدَى إليه بصفة مسـتقلّة لكلمة [*mail*] يندرج فيه [البريد الكتابيّ] و[البريـد الإلكترونيّ] حالتين خاصّتين. لاحظ الحوار القصير التّالي:

A: *I got a lot of mail this morning*. **B:** *Email or hard mail?* (1)

أ: وصلني الكثير من البريد هذا الصّباح. **ب:** بريد إلكترونيّ أو بريد ورقيّ؟

يعوِّل التّوسـيع، من حيث هو مسألة عامّة، على إدراك شيء مشترك بين المصـدر والهدف إدراكا ضمنيّـا. هب أنّنا نتصوَّر المقوَلة على أسـاس بنية ممقولِة يجري التّعرّف عليها في الهدف. لا يمثِّل التّعرّف عليها مشكلا عندما تكـون في كلّيتها متأصّلة فـي الهدف، حيث تكون العلاقة بينهما في هذه الحالـة علاقة بلـورة: ((B) → [A]). وعندما يتضارب الهـدف لاعتبار ما مع البنية الممَقولة، يُولّد التّعرّف قدرا من "التّوتّر". ولا يمكن أن يأتي التّعرّف إلاّ بتعليق سـمَاتِ [A] أو بجعل بعضهـا متراكبا مع بعض على الأقلّ، للحصول على بنية مستخرَجة، (A')، قابلة للملاحظة في الهدف: ((B)→[A'])). وبذلك، تكون (A')، كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 8. 5 (a)، توسـعةً من [A] (ناشئة على أسـاس كونها نسخة فقيرة منها)، وخطاطيّةً كذلك إزاء كلّ من [A] و(B). فيمكننـا، تبعا لذلك، أن نفترض علاقة وثيقة بين التّوسـيع والتّجريد الخطاطيّ: يسهّل التّوسيع من [A] إلى (B) انبثاقَ بنية أمضى في الخطاطيّة، هي (A')، يكـون بالقياس إليها كلّ من [A] و(B) شـكلين يبلورانها. وبالإضافة إلى ذلك، توفّر العلاقات الواردة في الرّسم البيانيّ (a) منوالا عامّا في المقوَلَة. وتمثّـل البلورة حالة خاصّة من التّوسـيع، حيث تكـون [A] قابلة لأن يُتعرَّف عليهـا في (B) دون تحويـر. فتتطابق بذلك [A] و(A')، كما يرى في الرّسـم التّخطيطيّ (b).

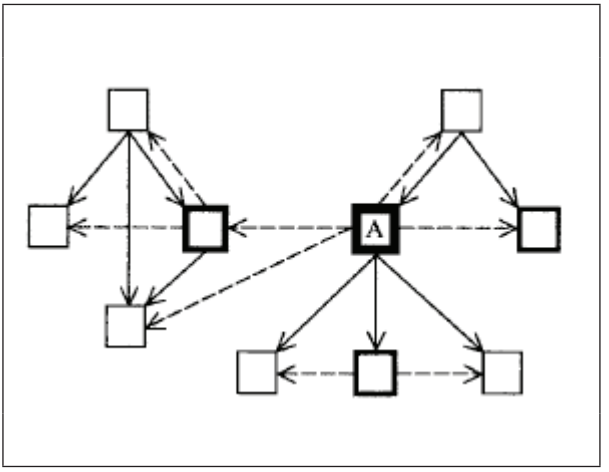


الرّسم البيانيّ 8. 5

ولا شـكّ في تنوّع المدى الّذي تصير عنده ('A) راسـخةً وتنبثق فيه على أنّها وحدة قابلة لأن يُهتدَى إليها بصفة مسـتقلّة. في حالة [*mail*]، تكون جميع المعاني الأصليُّ والموسّعُ والخطاطيُّ راسخةً رسوخا تامّا وقابلةً لأن تستحضَر على أنّها معنى له، حسب السّـياق. ولذلك تكون مترابطةً كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 8. 5 (c)، حيث تشـير الخانة ذات الخطّ الغليظ إلى أنّ المعنى الأصلـيّ [MAIL **"البريـد"**] (أي *hard mail* 'البريد الورقيّ') معنى طرازيّ يُثار في الذّهن بأيسـر ما يكون. فهذه الشُّبَيكَة جزء من شبكة أوسع بعض الشّيء، تمثّل القيمةَ الدّلاليّة التّواضعيّة لكلمة [*mail*]. فعندما يتعلّم متكلّم ما كيفيّة اسـتعماله استعمالا صحيحا، يكون مسـيطرا على الشّبكة كاملة (لا على الخطاطة أو الطّراز فقـط). وينزع العنصر المعجميّ مهما كانت درجة تواتره إلى أن يكون مشـتركا دلاليّـا، ذا معان متعدّدة مترابطة بعلاقـات المقْوَلَة. وتكون معانيه المختلفة عناصرَ في مقولة تنتظِم بنيتُها بتلك العلاقات. ويقال عنهـا بالإضافة إلى ذلك إنّها مقولة مركَّبة لأنّ الانتماء إليها وتشُـكلَها لا يقبـلان التّقليص إلى أيّ عنصـر مفرد (أو يكونان قابلين للتّوقّع من خلال أيّ عنصر مفرد).

تَمثُّـل المقولات المركّبـة، عمليّا، خصيصة تعـمُّ كلّ مظهر من مظاهر البنيـة اللّغويّة: المعاني القائمة لعنصر معجميّ ما، والتّحقّقات الصّوتيّة لصوتم ما ("الصّواتم البدائل")، والتّحقّقات الصّوتميّة لصرفم ما ("الصّرافم البدائل")، وأُسَـر الأبنيـة النّحويّة، وهلمّ جرّا. وهـي تعكس التّنوّعَ الّـذي يحدِثه التّغيّرُ اللّغويّ الجاري والجهـدُ المتواصلُ في تطويع الوحدات الموجودة لمضامين إضافيّة ولملابسات متبدّلة. فانطلاقا من وحدة مفردة، [A]، تُنتِج الاستعمالاتُ

المتكرّرة للأشكال المتّطوّرة الّتي تُعرَض باختزال في الرّسوم البيانيّة 8. 2، و8. 3، و8. 5، شبكاتٍ من البدائل المترابطة، كما يوحي بذلك الرّسم البيانيّ 8. 6. يمكن أن تكون العُجَرُ الفرديّة في شبكة من هذا القبيل، أبنيةً من أيّ نوع كان أو على أيّ درجة من التّركّب كانت (إلى حدّ الأبنية ذات المستويات المتعدّدة وبما فيها هذه الأبنية نفسها). وكلّ واحدة من علاقات المقوَلة في مثل هذه الشّبكة، تكون في ذاتها وحدة لغويّة تواضعيّة، كما يبيَّن في الرّسمين البيانيّين 8. 3 و8. 4. ويتمثّل مبدئيّا واحد من الأبعاد المهمّة لتوصيف الشّبكة - وهو ما يوحي به غلَظ الخطّ في الخانات مجرّد إيحاء- في مقدار التّرسّخ لكلّ وحدة لغويّة وفي سهولة إنشاطها. فتكون أكثرُ الوحدات رسوخا وأكبرُها استعدادا للإنشاط الفوريّ، بصفة عامّة، البنيةَ الأصليّة، [A]، الّتي يكون إقرارها تبعا لذلك على أنّها المقولة الطّرازيّة.[12]



الرّسم البيانيّ 8. 6

لا تنسَ أنّ منوال الشّبكة في المقولات المركّبة، مجرّد استعارة. ومثل كلّ استعارة، تكون هذه الاستعارة مفيدة من زاوية، ولكنّها يمكن أن تكون مغلّطة من أخرى. فمن جهة، يكون منوال الشّبكة مفيدا لأنّه يمسك ببعض الخصائص الأساسيّة من المقولات المركّبة: أنّ هناك بدائل متعدّدة، وأنّ هذه البدائل مترابطة بطرق معلومة، وأنّ بعضها أكثر مركزيّة (أو أسهل إثارة) من أخرى. ومن جهة أخرى، يتبيّن أنّ المنوال مغلّط إذا ما أُخِذ التّفاصُل الّذي يتضمّنه مأخذَ الجدّ الكبير. فهو يوحي بأنّ للمقولة عددا محدّدا من العناصر المتمايزة تمايزا واضحا، وبأنّها تظهِر تشكّلا وحيدا يتحدّد

بمجموعة مخصوصة من علاقات المقْوَلة، وبأنّ هدف مقوَلةٍ يمكن أن يسنَد دائما إلى عنصر مخصوص من المقولة. وزيادة على ذلك، لا ينبغي أن تنسَب مستلزمات الاستعارة هذه إلى الظّاهرة الفعليّة - إن كنتَ تبحث عن المقولة في الدّماغ، لن تجد خانات مترابطة بسهام. فقد تكون الاستعارة قد عاشت أكثر من فائدتها. وفي أدنى الحالات، وجب أن توازنها استعارة مضادّة تؤكّد الاسترسال عوضا عن التّفاصل.[13]

هب أنّنا نقارن مقولة مركّبة بسلسلة من الجبال تُناسِبُ القِممُ فيها عناصرَ المقولة. فبدل أن تكون الجبال متفاصلة متمايزة تمايزا صارما، يتدرّج الواحد منها إلى الآخر مرتفعا من أرضيّة مسترسلة حتّى يبلغ درجات من الارتفاع مختلفة. فلا يمكن أن تحصَى القمم بدقّة مطلقة- فعددها مرتبط بمدى البروز الّذي نقرّر أنّ على المرتفَع بلوغه ليتّصف بكونه قمّة. وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن أن تُسنَد الكثير من المواضع في السّلسلة الجبليّة إلى أيّ قمّة مخصوصة ولكنّها ببساطة جزء من الأرضيّة الّتي تنبثق منها جميعا. ورغم هذا الاسترسال الأساسيّ، يكون من الخطل أن نلحّ على غياب التّفاصل غيابا مطلقا. فهناك بالفعل قمم في السّلسلة تُظهِر تشكّلا معيّنا (إذ لا وجود لقمّتين تتطابقان طوبوغرافيّا). وقد يكون منَ العبث أن ننكِر هذه البنية أو نمنع استعمال الكلمات المتفاصلة (الأسماء المعدودة مثل [*peak* "قمّة"]، [*valley* "وادٍ"]، [*ridge* "تلّة"]، إلخ) في وصفها. فينبغي، بطبيعة الحال، أن تستعمَل أيّ منَ الكلمات استعمالا حصيفا، مع الوعي التّامّ بمظاهر المحدوديّة فيها.

2.8 تقييم التّواضعيّة

يميّز اللّسانيّون بين عبارات تكون "نحويّة" (أو "ذات بناء جيّد")، وأخرى تكون "لا نحويّة" ("ذات بناء مختلّ"). وعندما يفعلون ذلك، لا يعطون وصفة في الكيفيّة الّتي ينبغي بها أن يتكلّم النّاس، بل يَصِفون الأحكام الّتي يفترَض أنّ المتكلّمين ينشئونها بأنفسهم. فالحدود بين العبارات ذات البناء الجيّد والعبارات ذات البناء المختلّ، غائمة في أحسن الأحوال، ويجري تعديلها دائما كلّما وسّع المتكلّمون من حدود الاستعمال اللّغويّ العاديّ. ورغم ذلك، لا يمكنهم أن يوسّعوا من الحدود إلاّ إذا كان هناك حدود تُوسَّع. ففي زمن معيّن، في مجموعة لغويّة معيّنة، تكون مجموعة كبيرة من المواضعات قد استوت ثابتة بما يكفي ليستدعيها المتكلّمون متخّذين

إيّاها أساسا لإدراك العبارات. تُقبَل عبارة ما على أنّها تواضعيّة، ما كانت مطابقة للوحدات المستدعاة لهذا الغرض. وحريٌّ بنا أن نفهَم تلك العمليّة بقدر كبير من التّفصيل. كيف يجري استدعاء الوحدات؟ وكيف تنشأ منها الأحكام باللاّتواضعيّة؟ وهل يمكن لمخطّط من هذا النّوع أن يفرض القيود المناسبة (لإقصاء العبارات الّتي لا يُسمَح بها)؟

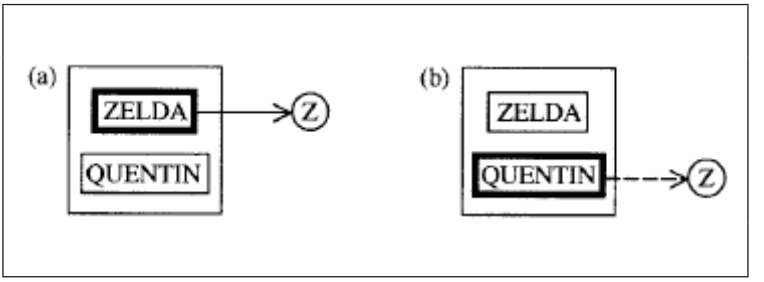
8.2.1 الإنشاط التّفاعليّ

تساوي عمليّةُ تقييم التّواضعيّة المقْوَلةَ. يتحلّل التّقييم الشّامل لعبارة ما إلى علاقات مقْوَلَة غفيرة تَقوم الواحدة منها بين وحدة لغويّة [A]، ووجهٍ (B) من حدثِ استعمالٍ ما (الرّسم البيانيّ 8. 2). فتكون العبارة تواضعيّة (ذات بناء جيّد) ما كانتْ هذه العلاقات علاقات بلورة: ((B)→[A]). ولكنّنا نواجه الآن مشكلة أساسيّة. بالنّسبة إلى هدف معيّن (B)، كيف تُنتقَى الوحدةُ المُمقولة؟ ومن جملة ما لا يُحصى من الوحدات الّتي تتضمّن النّظام اللّغويّ، لمَ تُستدعَى وحدةُ [A]، على وجه الخصوص، لمَقْوَلَة (B)؟ والخيار حاسم لأنّ منزلة (B) مرتبطة به. انظر في المركّب [*tall giraffe* "زرافة طويلة"]. فهو من جهة، يُحكَم عليه بكونه تواضعيّا إن جرى تأويلُه على أنّه يُظهِر الخطاطة البنائيّة الجارية لتحوير الأسماء بالصّفات:((*tall giraffe*) → [ADJ N] "[اسم مع صفة] ← (زرافة طويلة)"). ومن جهة أخرى، يكون مختلّ البناء إن بُنِي في شكل مركّب حرفيّ، بما أنّ [*tall*] ليست حرفا و[*giraffe*] اسم بسيط وليس عنصرا إسمائيّا تامّا: ((*tall giraffe*) <--- [P NML] "[حرف مع إسمائيّ] ---> (زرافة طويلة)"). سوف تَعترض، دون شكّ، على هذا بأنّ المرء لا يستدعي أبدا خطاطة المركّب الحرفيّ لمقْوَلة السّلسلة المتكوّنة من صفة مع اسم. ولئن كان ذلك صحيحا، فهو داع إلى طرح السّؤال: لِمَ تُستدعى [ADJ N]، بالتّحديد، لمقْوَلة [*tall giraffe*]، ولا تُستدعى [P NML]؟ ومع ذلك، تقوم كلّ واحدة من الخطاطتين وحدة تواضعيّة.

قد يكون من المشروع أن نردّ، جدلا، بأنّ اللّسانيّين لا يجيبون عن هذا السّؤال. فانتقاء الخطاطة لا يثير مشكلا في شأن اللّغة فقط بل يثيره في شأن العرفنة بصفة عامّة. فيكون، بذلك، مسألةَ بحثٍ تَهُمّ علماء النّفس. فمهما كان الحلّ الّذي يصلون إليه، يكون من المفترض أنّه صالح للّغة كذلك. ويمكننا أن نرى العموم في هذا المشكل بالنّظر في تجلّيه في مجال غير لغويّ، أعني التّعرّف على الوجه.

يمكنني أن أميّز أفرادا كثيرين وأن أتعرّف عليهم باعتماد وجوههم. فبالنّسبة إلى كلّ فرد من هؤلاء، جرَّدتُ صورةً خطاطيّة تكوِّن معرفتي بما يبدو عليه ذلك الشّخص من قسمات. فعندما أرى شخصا وأتعرّف عليه، إنّما أفعل ذلك بإنشاط الخطاطة المناسبة وباستعمالها في تمثّل الانطباع البصريّ الجاري. ولكن كيف أفعل ذلك على الوجه الصّحيح؟ هب أنّ لي خطاطتين لوجهين، واحدة لـ[Zelda "زلدا"] (وجه مدوّر، شعر أسود، أنثى) وواحدة لـ[Quentin "كوانتِن"] (وجه ذو طول، شعر خفيف، ذكر). أنا أعرف الشّخصين كليهما معرفة جيّدة ولا أخفق أبدا في التّعرّف عليهما. فعندما تدخل زلدا الغرفة ويعرض لي منها انطباع بصريّ مخصوص لوجهها (Z)، أنجح في إنشاط خطاطة [ZELDA] الّتي عندي وفي استعمالها لإجراء المقوَلَة الصّحيحة: (→ [ZELDA] (Z)). يُعرَض ذلك باختزال في الرّسم البيانيّ 8. 7 (a). ولكن ماذا يمنع المقْوَلَة البديلة الواردة في الرّسم التّخطيطيّ (b)؟ في هذه الحالة يمكن أن أنشِطَ خطاطة [QUENTIN] الّتي عندي وأؤوّل بطريقة خاطئة الانطباع الّذي عندي بزلدا على أنّه تجلّ محرّف لكوانتن: (<--- [QUENTIN] (Z)). عندئذ، لِمَ أردّ الفعل عند رؤية زلدا قائلا:[*Hello, Zelda* "أهلا زلدا"]، بدل أن أقول:[*Gee, Quentin, you sure have changed?* "آه، يا كوانتِن، لقد تغيّرت بكلّ تأكيد؟"]

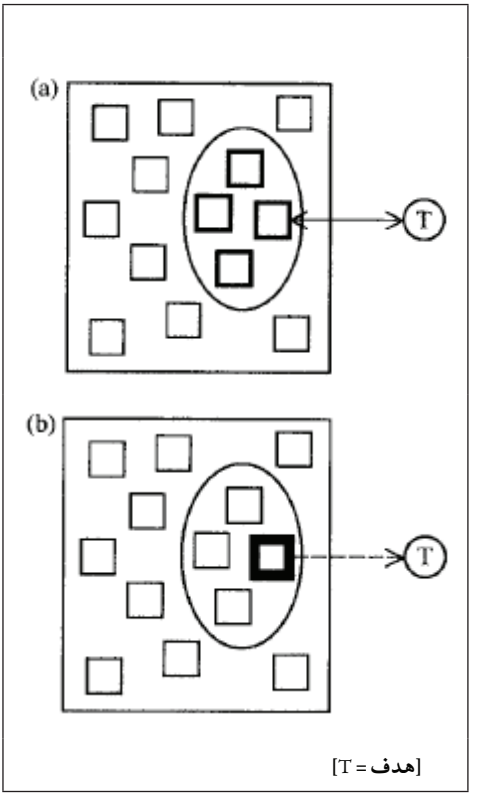
ورغم أنّ المشكل لا يمكن حلّه بالطّرق اللّسانيّة بمفردها، تبدو بعض المظاهر من تفسير عامّ بالفعل ظاهرةً بشكل معقول. فالوحدات اللّغويّة تكمن في قوالب من الإنشاط العصبيّ. وإذ كان الدّماغ على غاية من التّرابط الشّبكي، يُسهِّل جريانُ قالب بعينه جريانَ قوالب أخرى كثيرة أو يعطّله. وبالإضافة إلى ذلك، بما أنّ المعالجة العصبيّة تجري في مستويات مختلفة وتتنامى خلال الزّمن، تكون باستمرار عرضة للتّأثر بما يحدث في المستويات الأخرى وفي الأطوار السّابقة. فالتّفسير المحتمَل يكون، على هذا، حركيّا وتفاعليّا، بما في ذلك من العوامل الكثيرة الّتي تعين على تجلّي نشاط المعالجة الّتي تكوّن تجربة ذهنيّة ما.[14]



الرّسم البيانيّ 8. 7

فلكي تستدعى وحدةٌ ما على أساس أنّها بنية ممقْولة، ينبغي أن تكون المعالجة الأوّليّة للهدف ذاتِه واحدا من تلك العوامل. فعنَدما أرى وجها، على سبيل المثال، قد تسجِّل معالجةُ الانطباع البصريّ الجاريةُ في المستوى الأدنى السّماتِ الكبرى من قبيل الاستدارة وسواد الشّعر المحيط بالوجه، وبما أنّ هذه السّمات جزء من خطاطة زلدا الّتي عندي، فإنّها تنزع إلى إثارة تلك الخطاطة. فإنشاط هذه الوحدة يوفّر الأساسَ لإدراك مفصَّل للهدف البصريّ الّذي فيه أتعرّف على زلدا بأن أرى في ذلك الوجه وجهها هي. أو هب أنّ الهدف هو [*tall giraffe*] وأنّ [*tall*] يتعرّف عليها في الطّور الأوّل من المعالجة. وبما أنّ [*tall*] صفة، وهي لذلك تجسّد خطاطة الصّفة، ينزع إنشاطها إلى إثارة الخطاطة البنائيّة [ADJ N]. فاستدعاء هذه على أنّها البنية الممقولَة يسهّل التّعرّف على الاسم الوارد بعدها (ولذلك يكون ما يُستبَق اسمًا) ويؤول ذلك إلى فهم العبارة بتمامها على أنّها تحقّق لبنية [ADJ N].

وعلى هذا، يمكن أن يوصف انتقاء الخطاطة في خطوطه العريضة كما يلي. ينزع هدف مخصوص ما (T "هـ")، إلى إنشاط مجموعة من الوحدات تكون كلّ واحدة منها قادرة بالقوّة على مقْوَلته. في البدء، تُنشَط جميع هذه الوحدات درجةً من الإنشاط. يُعرَض ذلك باختزال في الرّسم البيانيّ 8. 8 (a)، حيث تشير سماكة الخطوط إلى درجة الإنشاط. فتتنافس الأبنية المُمقولة الممكنة في أداء تلك الوظيفة. والأرجح أنّ الواحدة منها تعطِّل الأخرى، بوجه تنزع فيه الواحدة منها عندما تبلغ درجة عليا من الإنشاط، إلى محو الأخرى. وفي نهاية المطاف، (وإن كان الأمر يجري في بعض المليّثواني) يفوز عنصر واحد بالسّباق، بأن يبلغ درجة عليا من الإنشاط على حساب منافسيه جميعا. فيجري عندئذ لمقْوَلة الهدف (T)، كما يُعرَض في الرّسم التّخطيطيّ (b).



الرّسم البيانيّ 8. 8

يساعد عدد من العوامل على انتقاء وحدة ما لتكون بنية ممَقْولة. أوّلها درجة الرّسوخ الّتي تُترجَم إلى سهولة في الإنشاط ذاتيّة فيها. يكون هذا، مبدئيّا (وإن كان من الصّعب قيس ذلك في الواقع)، واحدا من الأبعاد في توصيف كلّ وحدة لغويّة. والعامل الثّاني هو تأثير السّياق ("الأوّليّة السّياقيّة"). فإن كنّا نتناقش في أمر زلدا منذ حين، مثلا، ستُنشَط خطاطة وجهها عندي بدرجة طفيفة ولذلك تكون إثارتها أسهلَ ممّا هي عليه في العادة. فإذا صادف أن مرتّ بالقرب منّا امرأة تشبه زلدا شبها بعيدا قد أظنّ خطأ أنّها زلدا إلى أن أتبيّن الأمر عن كثب. والعامل الثّالث درجة التّراكب مع الهدف. فكلّما زاد عدد الخصائص الّتي تشترك فيها وحدة ما مع الهدف (كما تتحدّد بالمعالجة الأوّليّة)، زادت نزعة الهدف إلى إنشاط تلك الوحدة. ومن النّتائج المهمّة لهذا العامل الأخير، أنّ الأولويّة خلال المنافسة بين الوحدات ذات

التّخصيص الأكثر والوحدات الأكثر خطاطيّة على أن تُنتقَى بنيةً ممقولةً، تكون للوحدات ذات التّخصيص الأكثر بحكم خصائصها الذّاتيّة. فيكون للوحدة المخصَّصة بحكم كونها موصَّفة توصيفا مفصّلا دقيقا خصائصُ أكثر يمكن أن تتراكب مع خصائص الهدف لترفَع مستوى إنشاطها.

لا يُشترط في الوحدة المُنشَطَة لمقْوَلة هدف ما أن تكون موافقة له تمام الموافقة. فيمكن، بالفعل، أن تكون الوحدة المستدعاة أقلَّ موافقة له من الوحدات المترشّحة الأخرى، بحكم أنّ انتقاءها عائد إلى الأوّليّة السّياقيّة أو سهولة الإنشاط الذّاتيّة فيها. يعكس هذا الأمر نقطة جوهريّة: أعني أنّ المقوَلة تتشكّل جزئيّا بالتّوقّعات (الجارية بطريقة تنازليّة) بدل أن تكون موجَّهة فقط بطبيعة الهدف (بطريقة تصاعديّة). وبالفعل، غالبا ما يتكوّن الهدف ذاته في جزء كبير منه، بمقوَلته. تفرض الوحدة الممقولة، حالما يستدعيها الهدف على أساس المعالجة الأوّليّة (الّتي يمكن أن تكون معالجة غفلا)، مضمونَها وتنضيدَها اللذّين يمكن أن يقوّيا مضمونَ الهدف وتنضيدَه الذّاتيّين فيه أو يكمِلاهما، أو يبطلاهما. فيجري الإكمال، مثلا، عندما نربط ذهنيّا بين مجموعة من النّقاط لندرك شكلا مألوفا (كما يكون في مشاهدة مجموعات النّجوم). ويمثّل إبطال الهدف فخّا شائعا في تصحيح بروفات الطّباعة حيث نرى الكلمة على الشّكل الّذي ينبغي أن تكتب به، لا كما هي في الحقيقة. ومهما كانت التّفاصيل، لا يدرَك الهدف أبدا بطريقة محايدة أو موضوعيّة تامّة؛ فهناك دائما أساس يقوم عليه إدراكه. والوحدة الممقولة توفّر ذلك الأساس. ويؤول تفاعُلها مع الهدف إلى تجربة موحَّدة -لا تساوي أيّ واحد منهما بمفرده- يكون فيها الهدف مدرَكا على أنّه عيّنة من المقُولة. فالتّجربة المتمثّلة في رؤية وجه زلدا على أنّه وجهها، لا تساوي رؤيةَ وجهها دون التّعرّف عليه ولا استدعاءَ صورة وجهها دون رؤيتها حقيقة. يعني ذلك أنّ ((Z) ⟵[ZELDA]) مختلفة عن (Z) و[ZELDA] في آن واحد.

8.2.2 التّقييد

يكوّن الملفوظ الّذي يجري في حدث استعمالٍ عبارةً لغويّة بمقتضى عدد مهمّ من عمليّات المقوَلة (كما يصوَّر في الرّسم البيانيّ 8. 2). وتمثّل عمليّاتُ المقوَلة هذه البنيةَ المسندةَ إلى العبارة، أي تأويلَها في ضوء النّظام اللّغويّ.

وبطبيعة الحال، لا يعكس هدفٌ يجري تأويلُه على أنّه تجلّ لوحدة لغويّة مخصوصة، بالضّرورة، تلك البنيةَ دون تحريف. تكون عبارة ما لا تواضعيّة ما انحرفت الأهدافُ عن الوحدات الّتي تُستدعَى لمقولتِها.

لا يشتق التّقييد في نظام لغويّ ما، حينئذ، من الوحدات التّواضعيّة الّتي يتضمّنها فقط، بل يُشتقّ كذلك من الكيفيّة الّتي بها يكون الاهتداء إليها وتطبيقُها في أحداث الاستعمال. وبحكم هذه العوامل الأخيرة، تلغى عبارات كثيرة لامتناهية من حيث كانت مختلّة البناء رغم أنّ الوحدات في ذاتها إثباتيّة في طبيعتها، من حيث هي تمثيلات لما يجري بالفعل في اللّغة. وبطبيعة الحال، تقصَى أغلب العبارات الّتي يمكن تصوّرها منذ البدء لأنّها لا تحمل أيّ شبه كبير باللّغة المعنيّة. فوحدات اللّغة الإنجليزيّة، مثلا، لا توفِّر أيّ أساس حتّى لبداية فهم لعبارات من اللّغة الهوبيّة أو لغة التّاغالوغ؛ فهذه مختلفة عن قوالب الإنجليزيّة في ما عدا بعض التّشابه الكائن عن طريق الصّدفة، اختلافا كبيرا إلى حدّ أنّها تعجز عن إثارة الوحدات الإنجليزيّة على أنّها أبنية ممقولَة لها. وإذ لا تقبل تأويلا بنيويّا باعتبار اللّغة الإنجليزيّة، لا تعدُّ حتّى مجرّد عبارات (جيّدة البناء أو سيّئة البناء) من تلك اللّغة. فيمكن أن يحكم على العبارات الّتي تَقبل بالفعل تأويلا بنيويّا، بمعنى تثير وحدات من اللّغة لمقولَتِها، بكونها مختلّة البناء رغم ذلك عندما تكون بعض عمليّات المقولَة علاقاتِ توسيع لا علاقاتِ بلورة.

هذا المنوال لتقييم البناء الجيّد منوال مرِن حركيّ تفاعليّ. فالقيود على العبارات الجائزة لا تُعلَن مباشرة (أي في شكل موانع ظاهرة) ولكن تنبثق من عوامل تكون مسألة درجات: الرّسوخ، ومدى التّراكب، ومستوى الإنشاط. إنّ نظاما من هذا القبيل، لقادرٌ، رغم ذلك، على تفسير القوالبِ المتينة والقيودِ الصّارمة والأحكام الواضحة الّتي تتجلّى على الأقلّ في بعض المظاهر من البنية اللّغويّة. يمكننا أن نشير في البداية إلى أنّ هذا النّظام، من حيث هو حالة خاصّة، يسمح بانبثاق قوالب عامّةٍ تمام العموم مطّردةٍ بصفة أساسيّة. يحدث هذا عندما تترسّخ وحدةٌ ما بدرجة كافية من التّرسّخ المتين وتثار بسهولة مقارنةً بكلّ الوحدات الّتي يُحتمَل أن تنافِسها، بوجه تُستدعَى به عمليّا بصفة دائمة على أنّها بنية مُمقولِة. وزيادة على ذلك، تكون وحدة من

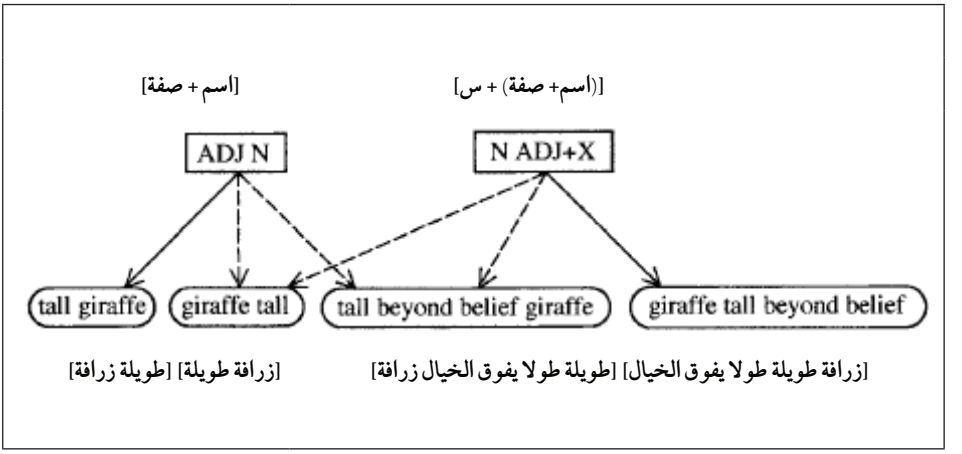
هــذا القبيل، من زاوية داخليّة، مخصَّصةً جدّا بالنّظر إلى الخصائص الّتي ينبغي لهدف ما أن يمتلِكها ليُجازَ بها إجازة تامّة.

في إســمائيّ إنجليزيّ، مثلا، ترد الصّفة البســيطة مباشــرة قبل الاسم الّذي تحــوّره: [*tall giraffe* "زرافــة طويلة"]، [*elegant dress* "فســتان أنيــق"]، [*sharp knife* "ســكّين حادّ"]، [*serious misgivings* "شكوك خطِرة"]، إلخ.[15] ويُرصَد هذا الانتظام في خطاطة بنائيّة، يشــار إليها اختصارا بـ[ADJ N] هنا، يخصِّص قطبُها الصّوتمــيّ التّرتيبَ الزّمنيّ والتّجاورَ. فالقالب عــامّ جدّا، والأحكام واضحة: عبارة [*tall giraffe*] ذاتُ بناء جيّد، وليست [*giraffe tall** "*طويلة زرافة"] كذلك. ورغــم أنّ الأمر قــد يبدو بديهيّا، نحن في حاجة إلــى أن نكون صريحين في شــأن الكيفيّة الّتي توصّلنا بهــا إلى تلك الأحكام. هب أنّ إســمائيّا هدفا يحدَّد في معالجة أوّليّة بكونه يتضمّن كلاّ من الصّفة [*tall*] والاســم [*giraffe*] بعــدَه، والأوّل منهما جــارٍ لتوصيف الأخيــر. وبناء على هــذه التّخصيصات، كيف نتحقّق من أنّ [*tall giraffe*] طريقة مناســبة في التّعبير عن ذلك، في حين تكون [*giraffe tall**] مختلّة البناء؟[16]

تُوفِّر الخطاطــة البنائيّة [ADJ N] خيارا متاحا لإجــراء ذينك التّحديدين. فهي راســخة رســوخا متينا وتثار بســهولة. وفوق ذلــك، تتراكب تراكبا واســعا مع الهــدف، إذ [*tall*] صفة بســيطة، و[*giraffe*] اســم، والعلاقة الدّلاليّة بينهما هي بالضّبط كما تحدّده الخطاطة. فإذا ما أنشِطت [ADJ N]، بالفعل، لتمقول الإســمائيّ الهدفَ، سيكون الحكم على [*tall giraffe*] فقط بكونها تواضعيّة بالنّظر إلى موقَعة الاسم والصّفة: ((*tall giraffe*) → [ADJ N]). وتخرِق العبارة البديلــة [*giraffe tall**] ترتيب الكلِم الّذي تفرضه الخطاطة عند قطبها الصّوتمــيّ: ((*giraffe tall*) <--- [ADJ N]). فهــل يكــون هــذان الحكمان معقولين؟ يتعلّق ذلك بما يمكن أن يتوفّر في ســائر الوحدات من إمكان انتقائهــا لتكون بنيــة ممقولة. ولا وجود لمنافس جادّ بالنّســبة إلى الصّفات البســيطة. عند تعلّم الإنجليزيّة، لا نتعــرّض بانتظام لعبارات من قبيل [*giraffe tall**] و[*knife sharp**]، ولذلــك لا نجرّد خطاطة يمكن أن تجيزهما. فإن أنتج بعضهــم عبارة من هذا النّوع، تُمقوَل، بناء علــى ذلك، بـ[ADJ N] ويحكَم عليها بكونها ذات بناء مختلّ.

ومـا من خلل صميميّ في العبارات مثـل [*giraffe tall]- فقد صادف بكلّ بسـاطة أنّها لاتواضعيّة، باعتبـار الكيفيّة الّتي بها تطـوّرت اللّغة. وكان من الممكـن أن تـؤول الأمور إلى وجه غيـر ذلك. تخيّل لغةً تشـبه الإنجليزيّة الحديثة شـبها تامّا، ماعدا أنّ الصّفة البسـيطة يمكن أن تسـبق الاسـم الّذي تحـوّره أو تأتي بعده: [*tall giraffe] و[*giraffe tall] مقبولتان بالتّسـاوي. فالمتعلّمون لهذا النّوع الخياليّ من الإنجليزيّة، عندما يتعرّضون للقالبَين كليهما، يجرّدون كلاّ مـن [ADJ N] و[N ADJ] وحدتين تواضعيّتين. وعلى افتراض أنّ كليهما راسـخ رسوخا متينا وسهلُ الإنشـاط، فإنّ الواحد الّذي يتراكب منهما بقدر أكبـر مع الهدف يفوز في المنافسـة ليُنتقى وحدةً ممَقولِـة. ومن الاعتبارات الّتـي يمكن لوحدة ما أن تتراكب فيها مع هدف مـا، ترتيبُ الكلم. فعلى هذا الأسـاس، يثير هـدف مثـل [*tall giraffe] الخطاطـةَ [ADJ N] لتمقولِه (على أن يكون التّسـاوي في جميع المظاهر الأخرى)، في حين تُنشِـط [*giraffe tall] الخطاطـةَ [N ADJ]. وكلاهما يُحكَم عليه بجـودة البناء: (*tall*) → [ADJ N] (*giraffe*؛ (*giraffe tall*) → [N ADJ]). ونـرى مـن خـلال هذا المثـال أنّ تواضعيّة عبـارة ما لا يمكن التّحقّق منها باعتبار وحدة مفردة فقط. فالواجب أن تؤخذ بعيـن الاعتبار المجموعة التّامّة من الوحدات الّتي يمكن تطبيقها والدّرجات النّسبيّة في الاهتداء إليها.

عندما تكون للغة ما وحدات بديلة تؤدّي الوظيفة الأساسـيّة نفسَها، تنزع تلك الوحدات إلى التّخصّص بوجه تُسـتعمَل فيه الواحدة في ملابسات معيّنة (عوض أن تكون متبادلة بشـكل حرّ). ويتبيّـن أنّ للإنجليزيّة - الحقيقيّة لا تلـك المتخيّلة- بالفعـل قالب تأتي فيه الصّفة بعد الاسـم الّذي تحوّره. غير أنّ هـذا القالب يقتصر على الصّفـات الّتي تبدي أنواعا معيّنـة من التّركّب، وخاصّـة بتضمّنها لمركّب حرفيّ أو لمركّب فعليّ غير مصرّف: [*a giraffe **tall** ***beyond belief*** "زرافـة طويلة طولا يفوق الخيـال"]، [*students **anxious about their** ***grades*** "طلبة قلقون عن أعدادهم"]، [*anyone **ready to confess*** "أيّ شخص مستعدّ للاعتراف"]. وعلينا، تبعـا لهذا، أن نفترض خطاطتين بنائيّتين، واحدة ترد فيها صفة بسـيطة (ADJ) قبل الاسـم الّذي تحوّره، وواحدة تـرد فيها صفة مركّبة (ADJ + X) بعد الاسم. ترسَم هذه الوحدات البديلة في الرّسم البيانيّ 8. 9 جنبا إلى جنب مع أربع عبارات أهداف.



الرّسم البيانيّ 8. 9

وبما أنّ الوحدتين كلتيهما متاحة، تحدِّد درجةُ التّراكب مع الهدف اختيارَ البنية الممقولة. وبما أنّ جميع الأهداف تتضمّن اسما وصِفة محوِّرةً، يتوقّف الانتقاء على ترتيب الكلم وعمّا إذا كانت الصّفة بسيطةً أو مركّبة. ففي حالة [*tall giraffe*]، يتضافر ذانك العاملان لإنشاط [ADJ N] وحدةً ممقولةً؛ وهما، في حالة [*giraffe tall beyond belief*]، يُنشِطان [N ADJ + X]. ومقابل ذلك، يتراكب كلّ من [*giraffe tall**] و[*tall beyond belief giraffe**] مع كلّ هدف من زاوية واحدة ولكنّهما يتعارضان معه من زاوية أخرى. فرغم أنّ كلّا من العبارتين يمكن أن تثير أيَّ وحدة لمقوَلتها، تؤدّي كلّ توليفة إلى حكم باللاّتواضعيّة. فيمكن أن تؤوّل [*giraffe tall**]، مثلا، إمّا على أنّها تَحقُّقٌ لخطاطة [ADJ N] بترتيب خاطئ للكلم، أو على أنّها تحقّقٌ لخطاطة [N ADJ + X] بنوع خاطئ للصّفة.

لأسباب كثيرة تكون الأحكام في الغالب أقلّ صلابة ووضوحا. ومن الحالات الشّهيرة، تصريف الأفعال الإنجليزيّة "غير القياسيّة" في الزّمن الماضي، حيث يكون المتكلّم في الغالب غير واثق من الشّكل الصّحيح. فأنا شخصيّا، لست واثقا من صيغة الماضي من [*dive* "غطس"]: أهي [*dove*] أو [*dived*]؟ وأعلم أنّ كليهما جار في الاستعمال، ولئن كنت قد عُلِّمت الشّكلَ الأوّل في المدرسة، يبدو أنّ الأخير أكثر تواترا. ورغم أنّني أقبل الخيارين، إذ لا واحد منهما يبدو صحيحا، ولو أُجبِرت على أن أنتجَ تصريف الماضي من [*dive*] لأمكن أن أتردّد فعلا. ينشأ المشكل لأنّ هناك وحدتين

مَقْولتيــن إمكانيّتين، لا تقدر الواحدة منهما على محو الأخرى تماما وتفوز بالمسابقة لتجري في تلك المهمّة. واحدة من تينك الوحدتين هي الخطاطة البنائيّة الّتي تمثّل القالبَ القياسـيّ فـي تكوين صيغة الماضي. تخصِّص هذه الخطاطة، بحكم العمق في رسوخها والسّهولة في إثارتها، تلحيقَ علامة [*-d*] لوسـم الزّمن الماضي.[17] والوحـدة الأخرى هي البنية الرّمزيّة [*dove*] نفسـها. هذه الوحدة، عندي، راسـخة بدرجة كافية بوجه تُنشَط له حتّى عندما أسمع الشّـكل [*dived*] وأُقِـرُّ بأنّه تَحقُّق للقالب القياسـيّ. ولذلك، لا أتجنّب تماما المقوَلة الثّانويّة لـ[*dived*] على أنّها تجلٍّ محرَّف من [*dove*]. ورغم ذلك، ليسـت [*dove*] ذات تواتر كبير إلى حدّ يجعل منزلتها مضمونة تماما. فلا هي تقفز قفزا مباشـرا إلى الذّهن كما يفعل شـكل الزّمن الماضي من [*drive*] "قاد (سيّارة، وما شابه)"]، ولا إنشاطها قويّ بما يكفي ليمحو القالب القياسيّ محوا تامّا.

ينشـأ هذا التّذبذب في شـأن [*dived*] مقابـل [*dove*] لأنّ العاملَين المحدّدين لاختيار البنية الممقولة على طَرَفَيْ نقيض. وللقالب القياسيّ أولويّة كبيرة من حيث الرّسوخ وسهولَة الإنشاط. فهو يستعمَل بتواتر كبير، وبنسبة مائويّة عالية جدّا من الأفعال الإنجليزيّة، إلى حدّ أنّه يشتغل بنية محايدةً تُنشَط في تصريف الأفعال في الزّمن الماضي إلاّ إذا ما كان هناك مبرّر قويّ يمحو هذا الخيار. يوفِّر ذلك التّبريرَ وجودُ بديل محدَّد راسـخ - هو في هذه الحالة [*dove*]. فمن حيث كانت [*dove*] وحدة قائمة، يمكنها أن تُستدعَى لتُجيز استعمالَ شكل الفعـل الماضي مـن [*dive*]. وهي، مقارنة بالقالب العـامّ، تتمتّع بأولويّة كبيرة جدّا من حيث التّراكب مع الهدف: إذا ما أخِذ الهدف على أنّه شكل الزّمن الماضـي مـن [*dive*]، فإنّه يتراكـب لذلك مع [*dove*] (الّتـي تدلّ على ذلك المعنـى بالتّحديد) من اعتبارات أكثر بكثير من دلالة خطاطةٍ بنائيّة لا تُحيل علـى الفعل إلاّ إحالة عامّة. ففـي النّظام اللّغويّ الّذي عنـدي، يتراجح هذان العاملان المتعارضان على قدر كبير، وذاك مصدر التّردّد عندي.

وتتمثّـل النّقطـة العامّة فـي أنّ العوامل المتعلّقـة باختيار البنيـة الممقولة تختلـف من حالة إلى أخرى من حيث قوتّها النّسـبيّة ومن حيث أنّها تنزع إلَى إنشـاط الوحدات نفسـها أو الوحدات المختلفة لتحقيق هذه الغاية. وليسـت البنيـة المنتقـاة بالضّرورة أكثر الوحدات رسـوخا، أو أكثرها تخصيصا، أو أكثرهـا موافقة للهدف. ولا يكون الخَرْج بالضّرورة هو هو من مناسـبة إلى أخرى تليها. فجميع ذلك يتعلّق بتشكّل الشّبكة المخصوص (عند متكلّم

بعينه، في لحظة زمنيّة بعينها) وبمختلف العناصر والعوامل الّتي تتفاعل تفاعلا حركيّا في السّياق الّذي يتضمّن حدث استعمال مخصوص.

تتّبع [*dive*]، عندما تأخذ [*dove*] شكلَ تصريفٍ في الزّمن الماضي، نفسَ القالب الّذي تأخذه أفعالٌ أخرى أحاديّة المقطع: [*write /wrote* "كتَب"]، [*break / broke* "كسَر"]، [*drive /drove* "قاد (عربة)"]، [*freeze / froze* "جمد"]، [*rise /rose* "رفع"]، [*strive /strove* "سعى جاهدا"]. وما يسم الماضي في كلّ حالة، إنّما هو الاستبدال التّالي: [$_{\sigma}$(...ow...)] <--- [$_{\sigma}$(...Vy...)]، أي ورود النّواة الحركيّة [ow] مكان [ay] أو [ey] أو [iy] الّتي تكون متوقَّعة في خلاف ذلك (انظر الرّسم البيانيّ 6. 11 (b)). ومن المفترض أنّ المتكلّمين يجرّدون خطاطة بنائيّة لرصد هذا القياس المحدود. وإن فعلوا ذاك، تكون للخطاطة أضعف درجات الرّسوخ فلا تُستدعَى لإجازة العبارات الجديدة. فعندما نخترع فعلا جديدا - [*fease*] "جعل الشّيء قابلا لأن يُفعَل"، على سبيل المثال- وجب أن يكون شكل الزّمن الماضي منه [*feased*]، لا [*fose**]. فالقالب العامّ على غاية من الرّسوخ إلى حدّ أنّ الاهتداء إليه عمليّا يكون مطلقا في جميع الأفعال. وإذ كانت الخطاطات الّتي تمثّل القوالب الأخرى غير قادرة على المنافسة بنجاح، لا يمكن الاهتداء إليها في الأغلب في إجازة العبارات الجديدة. فتحافظ هذه القوالب "الثّانويّة" على وجودها بنفسها لأنّ التّحقّقات المخصوصة (مثل [*drove*] ،[*broke*] ،[*wrote*]، إلخ) تُتَعلّم خصّيصا على أنّها وحدات تواضعيّة. وهي، من حيث كانت كذلك، قادرة على منافسة القالب العامّ بحكم تراكبها مع الهدف تراكبا أكثر بكثير من ذلك القالب العامّ. وبالفعل، تفوز في المنافسة فوزا مطّردا، في مجال الأفعال الجارية بأيّ درجة من التّواتر كانت. ولذلك لا نأخذ شكلا مثل [*writed**] على أنّه تحقّق ذو بناء جيّد للقالب القياسيّ بل على أنّه تحقّق محرّف من [*wrote*].

يوفّر هذا المنوال التّفاعليّ الحلّ لعدد من المسائل الشّهيرة، أوّلها المشكل الّذي تطرحه القوالب الصّغرى من قبيل: [$_{\sigma}$(...ow...)] <--- [$_{\sigma}$(...Vy...)]. وإذ يمكن لقالب ما أن يكون قابلا للتّمييز، يشعر اللّسانيّون بأنّهم مجبرون على وضع قاعدة تصفه. ولكن إن كانت هذه القاعدة موجودة، لمَ لا يمكنها أن تنطبق على الأفعال الأخرى، حتّى الجديدة منها؟ يستوعب المنوال هذا الأمرَ بالتّمييز بين مجرّد وجود خطاطة ما (أي قاسم مشترك مرسّخ) وقدرتها على الفوز في المسابقة في الإنشاط على أنّها وحدة مَقولِة. وممّا يفسّر كذلك،

النّزعــةُ التّاريخيّــة الواضحة للقوالب الصّغرى إلى الاســتمرار بقدر أكبر في الكلمــات ذات التّواتــر الأعلــى. فالجريــان المتواتر لأشــكال مخصوصة تعلّمهــا المتكلّمون كما هي، مثــل [*wrote*]، و[*broke*]، و[*drove*]، يجعلها قابلة لأن يهتــدى إليها بدرجة كافية تَصمُد بها أمام التّوسّــع التّدريجيّ من القالب العامّ. والأشكال ذات التّواتر الأقلّ، مثل [*dove*] و[*strove*]، والشّكل [*hove* "تنهّد (ماض)"] الّذي صار الآن من المهجور، تكون أقلّ إثارة بشكل فوريّ فتنزع بذلك إلى أن يســتعاض عنها بغيرها بمرور الزّمن.[18] وأخيرا، يفسِّــر المنوال بطبيعتــه الظّاهــرة الغالبة الّتي تعرَف بالسَّــدّ، وهي جارية فــي جميع الميادين من البنية اللّغويّة. يعني مصطلح "السَّــدّ" أنّ قالبــا عامّا يخفق في الانطباق في وضعيّة معيّنة لأنّ وحدة ذات تخصيص أوســع ســبقته إليه. فعلى سبيل المثال، يُســدّ تصريفُ الزّمن الماضي شــكلَ [*writed**] من الورود، بالشّكل البديل منه [*wrote*] ذي الرّســوخ المتين، ويســدُّ الاسم المجموع شــكلَ [*mans**] من الورود بالجمع [*men*]، رغم كونهما قياســيّين. وبالمثل تسبق الكلماتُ ذات الإنشاط الفوريّ [*thief* "سارق"] و[*rapist* "مغتصب"] و[*arsonist* "مشعل الحريق"] و[*assassin* "قاتــل"] فتمنَــع ورودَ [*stealer**] و[*raper**] و[*burner**] و[*assassinator**]، تباعا (انظر [*killer* "قاتل"]، [*murderer* "ســفّاك"]، [*hijacker* "قرصان"]، [*embezzler* "مختلس"]، [*smuggler* "مهرِّب"]، [*kidnapper* "مختطِف"]). تعكس ظاهرة السّدّ الأولويّــةَ الصّميميّة الّتي تكون لبعض الوحــدات المخصَّصة بدرجة أكبر، علــى الوحــدات الأكثر خطاطيّة، في مجــال التّنافس على الإنشــاط. فتتميّز وحــدة ذات تخصيص أكبر بعدد كبير من الخصائص، تمثّل كلّ خصيصة منها موردا ممكنا للإنشاط من خلال التّراكب مع الهدف.

بنــاء على ذلك، يمكن لمنوال تفاعليّ أن يفسّــر الفراغات الّتي تعترضنا في حالات القوالب غير القياســيّة. انظر في حالــة إضافيّة أخرى تهمّ مجموعة محــدودة من العناصر ذات الموقعة البعديّــة في اللّغة اللّويزينيّة. وكما يوحي به المصطلح، تشــبه هذه العناصــر ذات الموقعة البعديّة العناصرَ ذات الموقعة القبليّة، في كلّ شــيء ما عدا أنّها ترد بعد الاســم الّذي يعبِّر عن معلَمها (في شكل لواحق) بدل أن ترد قبله (في شكل كلمات منفصلة). ومن العبارات الممثّلة لذلك ما يرد في (2). أوّلا، تلتصق العناصر ذات الموقعة البعديّة مباشرة بالأســماء الّتي تكون مراجعُها من الجماد. والخطاطة البنائيّة الّتي تصف هذا القالب يكون تمثيلها بالصّياغة المختصرة [N_{inan}-P "اسم$_{جماد}$- عنصر ذو موقعة بعديّــة"]. ثانيا، تجري هذه اللّواحق علــى الضّمائر الّتي تكون مراجعها عادة

مــن الأحياء. ويُقدَّم هذا القالب الثّاني في شــكل [N_{pron}-P "اســم ضمير -عنصر ذو موقعة بعديّة"]، إذ الضّمير في النّحو العرفنيّ نوع من الأســماء (بحكم أنّه يعرض شــيئا). غيــر أنّنا نرى في (2) (ج) أنّ العناصــر ذات الموقعة البعديّة لا تلتصق مباشرة بالأسماء الحيّة الّتي تكون "معجميّة" (أي لا ضميريّة). حينئذ، عوض أن نجد شــكلا مثل [*hunwu-yk]، حرفيّا [bear- to "دُبّ-إلى"]، نجد العبارة ذات التّبلور الأمضى [*hunwut po-yk*] الّتي تعني [bear it-to "دُبّ شــيء-إلى"]، حيث يلتصــق العنصر البعديّ بضمير ذي إحالة مشــترَكة.[19] لاحِظ أنّ خطاطة هذا القالب [[N_{pron}-P]N_{an}]، تتضمّن الخطاطة الواردة في (2) (ب).

(2)

(أ)	*ki-yk*	*paa-ngay*	*too-tal*	[N_{inan}-P]
	‘to (the) house’	‘from (the) water’	‘with (a) rock’	
	«إلى (الـ)منزل»	«من (الـ)ماء»	«بـ حجر»	
(ب)	*po-yk*	*chaamo-ngay*	*poomo-to*	[N_{pron}-P]
	‘to him’	‘from us’	‘by them’	
	«لـ هو»	«مِن نحن (منّا)»	«بـ هم»	
(ج)	*hunwu-yk	*nawitma-ngay		*[N_{an}-P]
	‘to (the) bear’	‘from (the) girl’		
	«إلى (الـ) دبّ»	«من (الـ) بنت»		
(د)	*hunwut po-yk*	*nawitmal po-ngay*,		[N_{an}[N_{pron}-P]]
	‘to (the) bear’	‘from (the) girl’		
	«إلى (الـ) دبّ»	«من (الـ) بنت»		

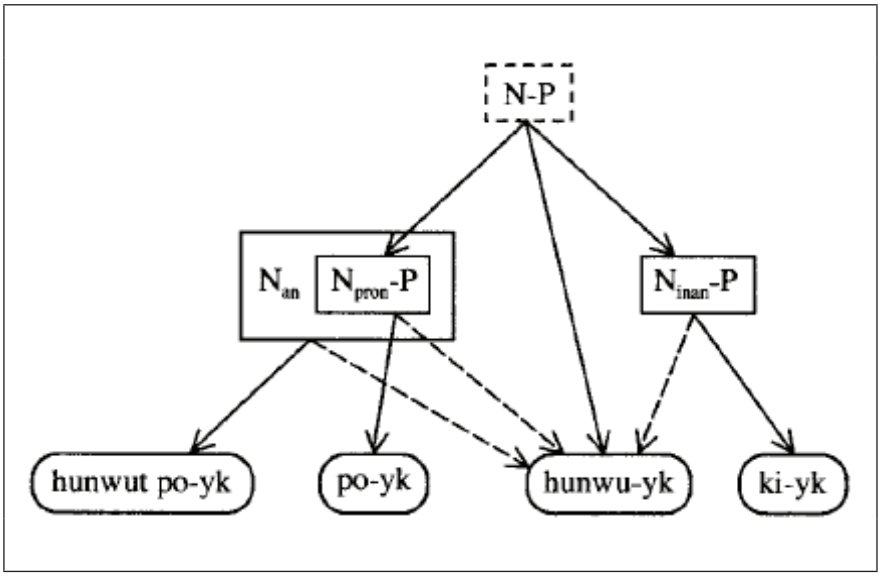
بما أنّ العناصر ذات الموقعة البَعديّة تجري على الأســماء المعجميّة (إن كانــت من الجماد) وعلى الأســماء الحيّة (إن كانت مــن الضّمائر)، ربّما يكون من غير المتوقَّع عدمُ جريانِها مع الأســماء المعجميّة الحيّة. وبالفعل، يمكن أن يُتوقّع انبثاق الخطاطة البنائيّة الأمضى في التّجريد [N-P]، قاسَــما مشــتركا متينا مــن [N_{inan}-P] و[N_{pron}-P]، من حيث لا تمييــز فيها بين أنواع الأســماء. ولكــن إن كان ذلك، فما هــو العامل الّذي يُقصــي العبارات الواردة في (2) (ج)، الّتي تطابق هذه الخطاطةَ المنتمية إلى المستوى الأعلى؟ والجــواب مرتبط بالكيفيّــة الّتي نتصوّر بها القواعد. بإمــكان نظريّة تتبنّى القواعــدَ البنائيّــة (§ 8. 1. 2) أن تســمح بتكوين جميع العبــارات المطابقة

لخطاطة [N-P] في مستوى البنية الكامنة. ثمّ يمكن أن تنطبق قاعدة إجباريّة على العبارات الّتي يكون فيها اسم معجميّ حيّ، مُقحِمةً ضميرا يحمِل الموقعةَ البعديّة: [[$P-N_{pron}$] N_{an}] ⇒ [$P-N_{an}$] . هذا التّحويل قد يفسّر في آن واحد غيابَ عبارات مثل (2) (ج) وجريانَ تلك العبارات في (2) (د)، بقاعدة مَلء الفراغ. لكنّه يفعل ذلك مقابل تكلفة نظريّة مرتفعة إذ يسمح باشتقاقات من أبنية كامنة مفترضة. ومقابل ذلك، بإمكان نظريّة تتبنّى المصافي أن تفترض مصفاة تغربل الأبنية الّتي لا تجري أبدا: [$P-N_{an}$]*. فيجب، على هذا، أن يُناقَشَ أمر القالب الوارد في (2) (د) بطريقة أخرى.

ولا يتوفّر أيّ واحد من ذينك الخيارين في النّحو العرفنيّ.[20] فلا يمكننا بحكم شرط المضمون إلاّ أن نفترض خطاطات تُماثِل العباراتِ الجارية مماثلة مباشرة. يجرّد متعلّمو اللّغة اللّويزينيّة الخطاطات [$P-N_{inan}$]، و[$P-N_{pron}$]، و[[$P-N_{pron}$]N_{an}]، لا الخطاطةَ [$P-N_{an}$]، إذ ليست العبارات الّتي من قبيل ما في (2) (ج)، جارية. لنفترض جدلا، بالإضافة إلى ذلك، أنّهم يجرّدون كذلك الخطاطة [N-P] الكائنة في المستوى الأعلى، ممثّلةً لما هو مشترَك بين القالبين الأوّليْن. يمكننا عندئذ أن نفسّر المعطيات بافتراض أنّ الخطاطات من المستوى الأدنى، فقط، متاحة لإجازة العبارات الجديدة. وهذا أمر معقول جدّا إذ القوالب من المستوى الأدنى راسخة رسوخا شاملا، يعيش تجربتَها النّاسُ في مناسبات لا عدّ لها، وهي ذات أولويّة صميميّةٍ فيها مصحوبة بكونها أكثر تخصيصا من خطاطة [N-P]. يشار إلى ما ينتج عن ذلك من كون قالب المستوى الأعلى غير قابلٍ لأن يكون متاحا، في الرّسم البيانيّ 8. 10، بجعله في خانة ذات خطوط متقطّعة.

يعرض الرّسم التّخطيطيّ كيف تنطبق الخطاطات على مختلف الأنواع من الأهداَف. فعلى أساس سهولة الإنشاط ودرجة التّراكب مع الهدف، تُنشَط خطاطات المستويات الدّنيا [$P-N_{inan}$]، و[$P-N_{pron}$]، و[[$P-N_{pron}$]N_{an}]، تباعا، لمقوَلَة العبارات الأهداف مثل تلك الواردة في (2) (أ)، و(2) (ب)، و(2) (د). وهي عبارات تعتبَر جيّدة البناء. فماذا عن (2) (ج)؟ قد يجد المرء عبارة من قبيل [*hunwu–yk*] مقبولة بالفعل من حيث كانت قادرة على إثارة [N-P] لمقْوَلَتها. لكنّ خطاطة المستوى الأعلى غير متاحة إذ تُحجَب بالوحدات ذات التّخصيص الأدقّ. فيمكننا أن نخمّن أنّ خطاطة [[$P-N_{pron}$]N_{an}] قد تفوز في المنافسة، إذ توافق كلمةُ [*hunwut*] تمامَ الموافقة خطاطةَ [N_{an}]، ولكنّها لا توافق [N_{inan}] أو

[N_{pron}]. ولكــن، بمــا أنّ [*hunwu-yk*] تتعارض مع كلّ خطاطة من المســتوى الأدنى بوجه من الوجوه، فإنّ أيّ واحدة منها تُختار تكون لاتواضعيّةً.



الرّسم البيانيّ 8. 10

3.8 شبكات الأبنية

من السّــمات العامّة في التّنظيم اللّغويّ وجود مقولات مركّبة تترابط فيها بدائل متعدّدة في شــكل شــبكات. يمكــن أن تكون العُجــرُ الفرديّة في شــبكة من هذا القبيل أبنيةً من أيّ حجم كان أو أيّ نوع كان. تتألّف كلّ عجرة، من حيث كانت حالة خاصّة، من تجميعة رمزيّة بأكملها. فعلى هذا، تحدِّد الشّبكة مقولةً تكون عناصرها أبنية مترابطة. والمقولات المركّبة من هــذا القبيــل مهمّة في وصف كلّ من المعجم والنّحــو اللّذين يمكن اعتبار العلاقة بينهما قائمة على الاسترسال.

1.3.8 من المنظور النّحويّ

لا يكفي توصيف القوالب العامّة لوصف النّحو في لغة ما وصفا كاملا. فينبغــي أن يُضمَن كذلــك أن تجري فيهــا العناصر المناســبة. فمن جميع العناصر الّتي يمكن أن تســتعمَل في قالب بعينه، تقتصر العناصر الّتي تُستغَلّ تواضعيّا، دائما، على مجموعــة بعينها أو حتّى مجموعة فرعيّة اعتباطيّة. ذاك هو مشكل التّوزيع.

يتحـدّد التّوزيع في ظواهر نحويّة كثيرة بواسـطة خطاطات بنائيّة فرعيّة – أبنيـة ذات درجة وسـطٍ من العموم – يجب أن تُفتـرضَ بالإضافة إلى خطاطة من مسـتوى أعلى تصف القالب العامّ أو عوضا عن هذه الخطاطة. رأينا ذلك في حالـة العناصـر ذات الموقعة البعديّة في اللّغـة اللّويزينيّة (الرّسـم البيانيّ 8. 10). حتّـى وإن جـرّد المتكلّمون القالب العامّ [N-P]، فإنّهم لا يسـتغلّون جميـع الخيارات الّتي يسـمح بها. ولتحديـد التّوزيع الفعلـيّ، يجب علينا أن نفترض الخطاطتين البنائيّتين الفرعيّتين [N_{pron}-P] و[N_{inan}-P] ولكن لا نفترض [N_{an}-P]*. ويجب علينا زيـادة على ذلك أن نفترض الخطاطة ذات التّركّب الأمضى [[N_{pron}-P] N_{an}] الّتي تملأ الفراغ في القالب العامّ. فهذه الخطاطات من المستوى الأدنى، هي الّتي تحدّد ما يجري وما لا يجري، لا الخطاطةُ [N-P].

تُستدعَى خطاطات المستوى الأدنى باطّراد بفضل الأولويّة التّنافسيّة الذّاتيّة فيها، وهي لذلك أساسيّة في البنية اللّغويّة. فعندما يكون قالب من المستوى الأعلى قابلا للتّمييز، يمكن رغم ذلك أن ينجَزَ تحقُّقه الفعليّ في الاستعمال التّواضعـيّ بوحدات ذات تخصيص أمضـى. تكون هذه الوحدات على غاية من التّخصيص إلى حدّ أنّها تضمّ وحدات معجميّة أو واسـمات نحويّة محدّدة. وإلـى جانـب الخطاطات المذكـورة، يمكننا أن نفترض بشـكل مقبول، بالنّسبة إلى اللّغة اللّويزينيّة، مجموعة من الوحدات ذات تخصيص أمضى تضمّ عنصرا ذا موقعة بعديّة بعينه أو اسـما بعينه. نعرض في ما يلي وحدتين من هذا القبيل، إلى جانب العبارات الّتي تحقّقهما:

(3) (أ) [N-yk] *ki-yk* *too-yk* *po-yk*
'to (the) house' 'to (the) rock' 'to him'
«إلى (الـ)بيت»، «إلى (الـ)حجر»، «إلى هو»

(ب) [too-P] *too-yk* *too-ngay* *too-tal*
'to (the) rock' 'from (the) rock' 'with (a) rock'
«إلى (الـ) حجر» «من (الـ) حجر» «بـ حجر»

وعلينـا أن نفتـرض بالإضافـة إلى ذلـك أنّ عـددا غفيرا مـن العبارات المخصوصـة الّتي تطابق تلـك القوالب، تجري دائما بوجه كاف لتسـتقرّ وحـدات تواضعيّة. فيسـتطيع المتكلّمون، عندئذ، أن يسـتدعوها من حيث هي وحدات مألوفة، وكلٌّ جاهزٌ للاسـتعمال، بدل أن يسـتأنفوا تجميعها من العناصـر المكوّنة لهـا وفق الخطاطـات البنائيّة. فيُحتمَـل أن يكون تحقّق

عبارتين من قبيل [*kiyk* "إلى (الـ)منزل"] و[*tootal* "بحجر"] متواترا بشكل كاف لتتلاحم مكوّناتهما في شكل وحدات. ويمكننا بكلّ تأكيد أن نسند منزلة الوحدة إلى كلّ توليفة من عنصر ذي موقعة بعديّة وضمير شخص، في الأغلب، كما هو شأن الأشكال الواردة في (2) (ب).

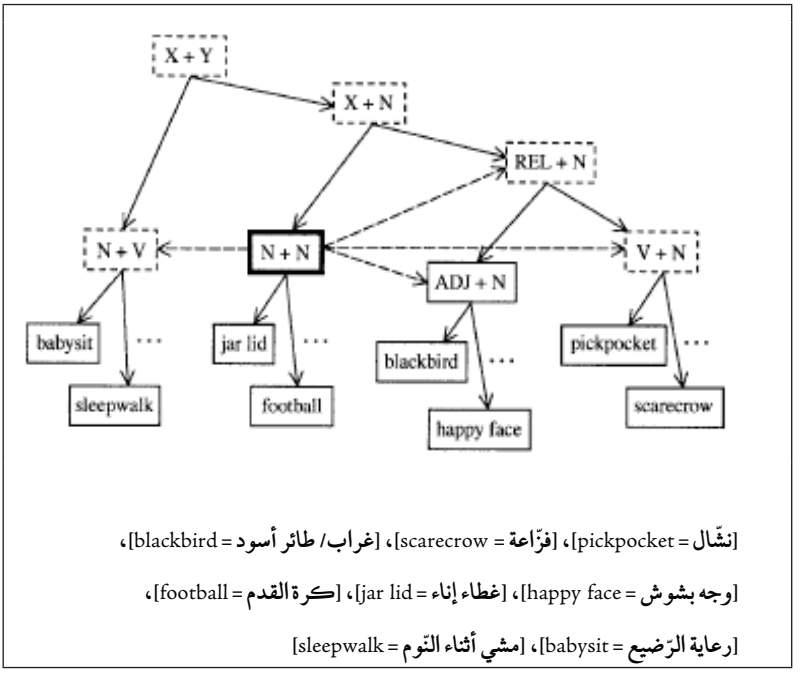
من زاوية عمليّة، لا يمكننا في العادة أن نعرف ما إذا كانت عبارة بعينها قد استقرّت وحدة أو لا. ولئن أمكن أن يكون ذلك غيرَ ذي أهمّيّة كبيرة (في المخطّط العامّ للأشياء)، يمكن أن تحدَّد درجة الرّسوخ تحديدا اختباريّا. ويمدّنا التّواتر المرصود بأساس لتقديرها. ومن زاوية مخبريّة، يمكن للمرء أن يبحث عن الفوارق الّتي تقبل القَيسَ في معالجة العبارات الجديدة مقابل الوحدات العباريّة (هارّيس 1998). ونجد دليلا، بصفة مباشرة أكثر، على منزلة الوحدة عندما تُظهِر عبارةٌ ما بعض التّفرّد في السّلوك النّحويّ لا ينجرّ من أيّ قالب قياسيّ. فلوَ لم تكن وحدة قائمة، على سبيل المثال، ما كان لنا من سبيل إلى أن نعرف أنّ [′to me′ "إليَّ/ لي"] يعبَّر عنها في اللّويزينيّة بعبارة [*neyk*]، عوضا عن العبارة المتوقّعة [*noyk**] (انظر [*noo* "أنا"]). وعلينا كذلك أن نفترض وحدات تجري في قالب ثانويّ عندما لا يمكن أن نتوقّع أيَّ العناصر يشارك فيه. فعلى سبيل المثال، ينبغي أن تُتعلَّم الأفعالُ المصرّفة في الزّمن الماضي [*wrote* "كتَب"]، و[*broke* "كسَر"]، و[*drove* "قادَ (عربة)"]، و[*froze* "جمَد"]، و[*rose* "رفَع"]، و[*dove* "غطَس"]، و[*strove* "سعَى جاهدا"]، في شكل وحدات كما هي. فلا يمكننا أن ندّعي أنّها تُبنَى ببساطة عند الحاجة بواسطة خطاطة بنائيّة تصف القالب [$_{\sigma}$(...ow ...)] <--- [$_{\sigma}$(...Vy...)]. قد يستلزم ذلك أن تكون الخطاطة متاحة لإجازة العبارات الجديدة، ولكن لو كانت متاحة لما قدرنا على تفسير قصورها عن الانطباق على الأفعال الأخرى (مثلا، [*fose**] شكلا ماضيا من [*fease* "جعل الشّيء قابلا لأن يفعَل"]، أو [*sote**] شكلا ماضيا من [*sight* "رأى"]).

ولكي يشير لسانيّ ما إلى أنّ الماضي من [*write*] هو [*wrote*]، عليه أن يؤشّر الجذعَ بعلامة كتابيّة مميّزة (أو "قاعدة سِماتيّة") المقصود منها تحديد كونه خاضعا لقاعدة التّناوب الحركيّ الصّرفيّة الّتي بها تحُول [Vy] إلى [ow]. وبدلا من ذلك، يمكن للمرء أن يفترض على أساس هذه الخصيصة الصّرفيّة قسما فرعيّا خاصّا من الأفعال، مثبِتا [*write*] واحدا في قائمة عناصره. وبعد هذا، يبدو أنّه ليس من المحتمَل أن يكون أيُّ شيء مماثل مباشرة لعلامة كتابيّة مميّزة أو لرمز على قسم فرعيّ، جزءا من التّمثيل الذّهنيّ الحقيقيّ للبنية اللّغويّة.[21] وفي

تفسير نحويّ عرفنيّ، يمدّنا الإدراجُ الخصوصيّ لكلمة [*write*] في الوحدات التّواضعيّة من اللّغة الإنجليزيّة، عوضا عن ذلك، بالمعلومات المتعلّقة بأنّ [*write*] تأخذ شكلَ [*wrote*] في تصريفها في الماضي. فالقاعدة الصّرفيّة ببساطة خطاطةٌ بنائيّة - أي تجميعة خطاطيّة من أبنية رمزيّة - والعبارات الّتي تحقّقها ([*drove*] ،[*broke*] ،[*wrote*]، إلخ) تكمن في التّجميعات الخصوصيّة.

ويتمثّل مظهر مهمّ للتّصوّر المتأسّس على الاستعمال في أنّ عددا كبيرا من العبارات المركّبة تُتعلّم وتُخزَّن في شكل وحدات، بما في ذلك الكثير من الوحدات الّتي تطابق القوالب القياسيّة (بايبي 2006). وعلى هذا، يمكن أن تشتمل الشّبكة الّتي تصف البناء النّحويّ الشّامل، على وحدات عباريّة تُحقّق الخطاطات البنائيّة الّتي تُوصَف في مستويات مختلفة من التّجريد. يوجد في العادة في بنيةِ شبكةٍ من هذا القبيل علاقات أخرى أكثرُ من علاقات البلورة. فبالإضافة إلى هذه التّرابطات "العموديّة" يمكن أن نتعرّف كذلك على نوع "أفقيّ" من علاقات التّوسيع لمقولة طرازيّة. فيمكن في الغالب لخطاطة بنائيّة معيّنة أن تُعتبَر طرازيّة بحكم أنّها تُحقَّق بتواتر كبير وتُستدعَى بسهولة في العبارات الجديدة. فهي بذلك، تحدِّد "مركز" المقولة الّذي بالنّظر إليه تمثّل البدائلُ البنائيّةُ الأخرى ذات الاستغلال الأقلّ في العادة، مظاهرَ انحرافٍ تواضعيّة.

يمثّل الرّسم البيانيّ 8. 11 عرضا جزئيّا مختزَلا لشبكة الوحدات الإنجليزيّة المركّبة. وغالبيّتها العظمى عبارات مركّبة من شكل [N + N "اسم + اسم"] الّذي يمكن أن يُعتَبَر، تبعا لذلك، طرازيّا. تُعرَض القوالب الأخرى، بما فيها [ADJ + N "صفة + اسم"]، و[V + N "فعل + اسم"]، و[N + V "اسم + فعل"]، على أنّها توسيعات إزاء القالب الأساسيّ. وتكون كذلك جزءا من الشّبكة خطاطاتٌ بنائيّةٌ فرعيّة متنوّعة (ليست معروضة في الرّسم البيانيّ)، وكذلك عباراتٌ مخصوصة كثيرة لها منزلةُ الوحدة. ويشار في الرّسم التّخطيطيّ، إضافة إلى ذلك، إلى أنّ بعض الخطاطات من المستوى الأعلى يمكن أن تُجرَّد كما يُجرّد القاسمُ المشترك المتين بين القوالب من المستوى الأدنى من قبيل [REL + N "موصول + اسم] فيما يتعلّق بالمركّبات الّتي يَعرِض فيها العنصر الأوّل (صفة أو فعل) علاقةً. ولا تستغَلّ من الخطاطات المعروضَة، استغلالا شائعا، إلاّ خطاطة [N + N]، وبدرجة أقلّ خطاطة [+ ADJ N]، في تكوين العبارات الجديدة. وجعِلت الخطاطات الأخرى في خانات ذات خطوط متقطّعة إشارةً إلى أنّها غير متاحة نسبيّا.



الرّسم البيانيّ 8. 11

وممّا يناسب خطاطةً من مستوى أعلى مجموعةٌ واسعة ممّا يمكن لنا تخيّله من العبارات المحقِّقة. وفي العادة، لا يكون هذا الفضاء الرّحب من الإمكانيّات البنيويّة مأهولا، إلا بصفة جزئيّة، بل بصفة متفرّقة، بعبارات (ثابتة أو جديدة) يمكن أن تقبَل على أنّها تواضعيّة. وفوق ذلك، يكون هذا الفضاء «مختلّ التّوازن» بمعنى أنّ العبارات الجديدة ربّما نَبَتَت بكثافة في بعض المناطق المأهولة أكثر من مناطق أخرى. وما يحقّق هذه التّحديدات إنّما هي شبكة الخطاطات مثل تلك الواردة في الرّسم البيانيّ 8. 11. فإلى الحدّ الّذي تكون عنده خطاطة من المستوى الأعلى (مثل [X + Y]) قابلة للانبثاق إن كان ذلك، كانت الشّبكة في كلّيتها هي ما يحدِّد تفاصيل تنفيذها في الاستعمال اللّغويّ الفعليّ.

8. 3. 2 من المنظور المعجميّ

تبدو الوحدة المعجميّة، عند نظرة أولى، بسيطةً مباشِرة. فهناك شكل ([cat] مثلا)، وهو ذو معنى ([CAT])، وكلاهما مقترن بالآخر اقترانا رمزيّا: [[CAT]/[cat]]. ولكن عند نظرة ثانية، أي عندما تُفحَص بعناية أكبر،

يُتبيّـن أنّ الوحدات المعجميّـة ذات تركّب رمزيّ مهمّ في عدد من الأبعاد. ويمكننا الآن أن نهمِل التّركّب الدّلاليّ الدّاخليّ في وحدة من قبيل [CAT]، من حيث هي بنية مفهوميّة متبلورة تستدعي مجموعة ذات نهاية مفتوحة من المجالات العرفنيّة (§ 2. 2. 2). ومن الواجب أن نميّز بين التّعدّد الدّاخليّ (هو ما يتّصف به كلّ معنى مفرد) والاشتراك الدّلاليّ، حيث لا يكون للوحدة المعجميّة معنى واحد فقط بل عائلة من المعاني المترابطة (انظر الرّسم البيانيّ 2. 2).[22] ويختلف الاشتراك الدّلاليّ بدوره عن التّركّب الرّمزيّ من حيث هو مدى قابليّة الوحدة المعجميّة للتّحليل إلى أبنية رمزيّة صغرى (انظر الرّسم البيانيّ 1. 2).

وبالإضافة إلى ذلك، يتعلّق بُعد آخر من التّركّب بجريان وحدة معجميّة في سياقات بنيويّة أكبر. ومن المعهود أن تقوم الوحدة المعجميّة على أساس تواضعيّ في سياقات متنوّعة تقبل الوصف من زاوية مخصوصة أو زاوية خطاطيّة. فيكون من النّموذجيّ، على سبيل المثال، في كلمة [*cat*] أن تكون مسبوقة مباشرة بعلامة تعيين أو بصفة، أو تكون متبوعة بمحوِّر مركّب من قبيل مركّب حرفيّ. فمن حيث كانت هذه وحداتٍ تواضعيّة، يمكننا أن نفترض حينئذ التّشكّلات الخطاطيّة التّالية [DET cat "علامة تعيين + قطّ"]، و[ADJ cat "صفة + قطّ] و[cat PP "قطّ + مركب حرفيّ"]، وكذلك عددا هائلا من العبارات المألوفة الّتي تحقّق تلك التّشكّلات الخطاطيّة (مثل [*my cat* "قطّي"]، [*the cat* "القطّ"]، [*any cat* "أيّ قطّ"]، [*lazy cat* "قطّ كسول"]، [*black cat* "قطّ أسود"]، [*cat with kittens* "قطّة ذات صغار"]، [*cat on a hot tin roof* "قطّ فوق سطح صفيح سخن]). فالفعل ذو التّواتر المرتفع جدّا، من قبيل [*give* "أعطى"] يكون راسخا رسوخا متينا من حيث كان مكوّنا في أبنية تحدّد مختلف تحقّقاته الصّرفيّة: [*gave*]، [*gives*]، [*to give*]، [*giving*]، [*given*]]. ومن زاوية إعرابيّة، هو راسخ رسوخا متينا من حيث كان رأسا معجميّا في نوعين من المركّبات الجُمَليّة، من أمثلتهما ما يرد في (4). وهما يتميّزان بأن يكون الفعل متبوعا بإسمائيّين متمِّمين كما في (أ)، أو بإسمائيّ ومركّب حرفيّ مقترن بـ[*to*]. وفي العادة يطلَق عليهما بناء "التّعدية إلى مفعولين" وبناء "الحركة المسبّبة".[23] يكون تمثيل جريان [*give*] في هذين القالبين بالصّياغات الرّياضيّة الواردة إلى اليسار:

(4)

(أ)- **التّعدية إلى مفعولين**

She gave her boyfriend a new Mercedes [give NML NML]

(هي) أعطت صديقها سيّارة مرسيدس جديدة [أعطى إسمائيّ إسمائيّ]

(ب)- **الحركة المسبّبة**

She gave a new Mercedes to her boyfriend [give NML[toNML]]

(هي) أعطت سيّارة مرسيدس جديدة لصديقها [أعطى إسمائيّ [لـ إسمائيّ]]

يمكننا أن نقول إنّ الوحدات المعجميّة تُستعمَل تواضعيّا في أطر بنيويّة خاصّة (مثل [ADJ cat] و[give NML NML]) وإنّ مجموعة من تلك الأطر تكون مظهرا من الوصف الشّامل للوحدة المعجميّة. ويمكن أن يظهر العنصر المعجميّ في أطر كثيرة أو قليلة. هذه الأطر يمكن أن تكون من أحجام مختلفة (بوجه يتضمّن فيه بعضها أطرا أخرى). وهي معادِلة للخطاطات البنائيّة الّتي تحتوي على وحدة معجميّة تكون عنصرا مكوّنا لها.[24]

تمثّل المعرفة بعدد كبير من العناصر المعجميّة في الأطر البنيويّة مظهرا مهمّا من تملّك المتكلّم للغة ما. وهذه الأطر، من حيث مثّلت طرقا متواترة في استعمال الوحدات المعجميّة، مسؤولةٌ إلى حدّ لا يستهان به عن الطّلاقة في الكلام العاديّ وعن سهولته. يؤدّي هذا إلى إثارة نقطة دقيقة ولكن حاسمة مدارها العلاقة بين عنصر معجميّ وأطره. فالخطأ الكبير أن نتصوّر أنّ العنصر المعجميّ موجود بصفة مستقلّة عن أطره، وإن كان هذا الرّأي شائعا. واللّسانيّون مذنبون في نشر هذا الاعتقاد الخاطئ عندما يتحدّثون عن العناصر المعجميّة وهي "تُدرَج" في الأبنية الإعرابيّة. فما يغفل عنه أصحاب هذا المعتقد هو الكيفيّة الّتي بها تُكتسَب العناصر المعجميّة في المقام الأوّل: إنّما يكون ذلك بتجريدها من أحداث الاستعمال حيث تجري في سياقات بنيويّة مخصوصة. وهذه السّياقات توفّر الأساسَ البدئيّ لإدراك عنصر معجميّ ما، وهي بذلك باقية - في شكل خطاطيّ- وقد صار المتعلّم ماهرا في استخدامها استخداما تواضعيّا. فمعرفة الكيفيّة الّتي بها يُستعمَل عنصر معجميّ ما، أساسيّة في معرفة المتكلّم به. فهذه المعرفة، بدل أن يكون الحصول عليها بَعْد أن يكون العنصر المعجميّ قد اكتُسِب، إنّما هي مظهر كامن في عمليّة اكتسابه.[25]

من هذا المنظور المتأسّس على الاستعمال، لا تتمثّل المسألة الّتي سنخوض فيها في الكيفيّة الّتي يحدث بها أن يُستعمَل عنصر معجميّ في أطر معيّنة، بل تتمثّل في المدى الّذي يبلغه ذلك العنصر المعجميّ في تحقيق أيّ منزلة مستقلّة إزاء تلك الأطر. فإخراج الوحدات اللّغويّة من أحداث الاستعمال، يسيرُ بالتّوازي مع عمليّة نزع السّياق. فالوحدة المعجميّة يجري تجريدها من خلال تقوية تدريجيّة للقاسم المشترك الّذي يتكرّر عبر سلاسل من أحداث الاستعمال. ويُقصَى من الوحدة، من خلال غياب التّقوية، العددُ الهائل من التّفاصيل الّتي تختلف من حدث إلى حدث آخر موال له. فعلى هذا، يؤول انبثاقُ وحدة ما إلى انفصالها إلى حدّ ما عن السّياقات الأصليّة الّتي حضنتها. ويرتبط المدى الّذي تبلغه عمليّة نزع السّياق بمدى التّنوّع في السّياقات. أُنظُر في التّحقّقات الصّرفيّة لكلمة [*too* "حَجَرٌ"] في اللّغة اللّويزينيّة. بما أنّ الأشكال الواردة في (3) (ب) لا تختلف إلاّ في اختيار الموقعة البعديّة، فهي تدعم بمفردها انبثاق الخطاطة [too-P]. فإذا أضفنا إلى ذلك شكلَ الفاعل [*too-ta*]، نحصل على الأساس الّذي تقوم عليه [too-X]، وهي إطار أمضى في درجة الخطاطيّة يشير إلى أنّ [*too*] تجري مقترنة بلاحقة صرفيّة. ولكنّها تجري كذلك مقترنة بسوابق صرفيّة تدلّ على المالك (مثل [*no-too*] 'حَجَري (أنا)']، الّذي ينشأ منه الإطار البديل [POSSR-too]. حينئذ، لا يمثّل هذا الحالةَ الّتي تظهر فيها [*too*] بشكل مستمرّ مقترنةً بلاحقة أو بسابقة. فالسّياقات الصّرفيّةُ الّتي تجري فيها [*too*]، متنوّعة تنوّعا كافيا لتستقرّ وحدةً قائمة برأسها مستقلّة عن أيّ إطار مخصوص.[26]

يَتشَكَّل معنى العنصر المعجميّ، إلى حدّ ما، بالأطر الّتي يجري فيها. ولئن كان الأثر في الغالب طفيفا - يُحتَمَل أنّ [*too*] في اللّغة اللّويزينيّة تعني الشّيء نفسَه تقريبا في [*too-ta* "حجر"]، وفي [*too-tal* "بِحجَر"]، وفي [*no-too* "حجَري (أنا)"]- فإنّه ليس دائما غير ذي قيمة. فلكلمة [*send*]، مثلا، معان بينها فويرقات لطيفة، حسب ما تستعمَل فيه من بنية التّعدية إلى مفعولين، أو فعلا دالاّ على الحركة المسبَّبَة، أو جزءا من المحمول المركّب [*send for*]:

(5)

(أ) *They sent me another brochure.* [send$_1$ NML NML]

(هم) أرسَلوا إليّ دليلا آخر. [أرسل$_1$ إسمائيّ إسمائيّ]

(ب) *We sent the new letter to all the applicants*. [send$_2$ NML[to NML]]

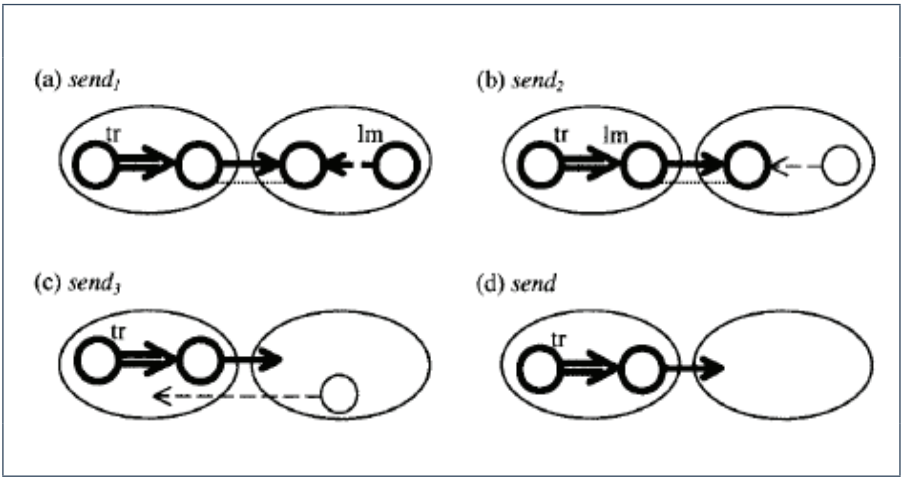
أرسلنا الرّسالة الجديدة إلى جميع المترشّحين. [أرسل$_2$ إسمائيّ [إلى إسمائيّ]]

(ج) *You can send for more information at any time*. [send$_3$ for[NML]]

يمكنك أن تراسلنا (طلبا) للمزيد من المعلومات في أيّ وقت. [أرسل$_3$ (طلبا) لـ[إسمائيّ]]

للفعل [*send*] معلَم من نوع مختلف في كلّ بنية، وإذ كان البروز البؤريّ مظهرا مهمّا من المعنى، تكون القيم الدّلاليّة الّتي يحملها في هذه السّياقات متمايزة.

تُعرَض معاني [*send*] المختلفة هذه، باختزال في الرّسم البيانيّ 8. 12. وتشير الدّوائر الصّغيرة إلى المشاركين. ويمثّل الشّكل البيضويّ مجالَ النّفوذ أو دائرة المراقبة الّتي تكون لمشارك ما (الرّسم البيانيّ 3. 14). وتتمثّل الخصيصة الّتي تتقاسمها المعاني الثّلاثة جميعها في أنّ المنتقِل يَجعَل (السّهم المضاعف) وحدة أخرى تتحرّك (السّهم المفرد) من مجال نفوذه إلى داخل مجال نفوذ مشارك آخر.[27] والخصيصة المميّزة الرّئيسيّة هي درجة البروز الّتي تُسنَد إلى هذا المشارك الآخَر، أي "المتقبّل"، الّذي يراقب مجال النّفوذ الهدف. ففي حالة [*send*$_1$]، يجري تبئير المتقبِّل على أنّه معلَم، بما ينتج عن ذلك من كون العلاقة المعروضة متضمِّنةً للتّوصّل اللاّحق عند المتقبّل (يشار إليه بسهم ذي خطوط متقطّعة) إلى الشّيء المتنقِّل. ومقابل ذلك، تمنح [*send*$_2$] منزلةَ المعلَم للمتنقِّل، بوجه يقع به التّركيز أكثر على مسلك التّنقّل. وإذ لم يكن المتقبِّل مبأرا بلفظ الفعل، فإنّه لا يؤتى به إلاّ بطريقة غير مباشرة، على أساس أنّه معلم للمركّب المقترن بـ[*to*-] الّذي يُستخدَم لتحديد ذلك المسلك. وأمّا في [*send*$_3$]، فلا ذكر للمتقبّل. والفعل المركّب [*send for*] يحوِّل الانتباه من الشّيء الّذي يُرسَل ومن الشّخص الّذي يتقبّله، ويبئّر عوضا عن ذلك النّتيجةَ المستَبَقَة لشيء متنقِّل في الاتّجاه المعاكس، إلى داخل مجال نفوذ المنتقل. هذا المتنقِّل الثّاني يشتغل معلَما للفعل المركّب ككلّ، لا للفعل [*send*$_3$] بمفرده.[28] بالإضافة إلى ذلك، فإنّ تصوّرا ما لهذا التّنقّل المستبَق (السّهم المتقطّع) يلوِّن قيمة [*send*$_3$] نفسَها. وإذ كانت [*send*$_3$] مقتصرة على هذا السّياق الأكبر، وجب أن يُنشِط استحضارُها، إلى حدّ ما، ذلك السّيناريو برمّته.

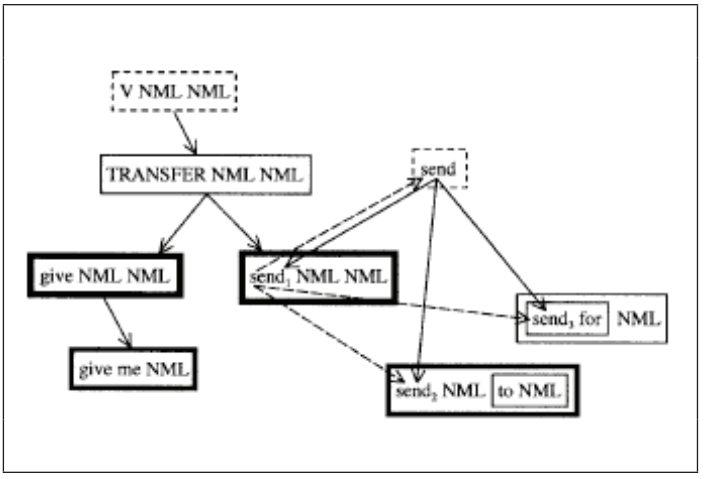


الرّسم البيانيّ 8. 12

يشير الرّسم التّخطيطيّ (d) إلى ما هو مشترك بين [$send_1$]، و[$send_2$]، و[$send_3$]. فهذا المعنى الأمضى في الخطاطيّة، حينئذ، هو المعنى الّذي يكون لـ[*send*] بصرف النّظر عن أيّ إطار إعرابيّ مخصوص. فإذا ما انبثق هذا المعنى المجرّد، فهو لا يكون إلاّ ثانويّا. فمن زاوية الاكتساب اللّغويّ، يمثّل ذلك تطوّرا لاحقا فيه تمضي عمليّة نزع السّياق الّتي أنتجت [$send_1$] و[$send_2$] و[$send_3$]، إلى أقصاها. ومن زاوية المعالجة الذّهنيّة، يُحتمَل أن يكون ذلك المعنى الخطاطيّ أقلَّ قابليّة للاهتداء إليه من المعاني المخصّصة أكثر منه. فيمكن لهذه المعاني البدائل المقترنة بـ[*send*]، أن تصاغ في منوال له شكل الشّبكة يُعرَض إلى اليمين من الرّسم البيانيّ 8. 13. ويُعطَى مع كلّ معنًى مخصوصٍ الإطارُ البنيويُّ الّذي يقدَحُه.

ويُعرَض إلى اليسار من الرّسم البيانيّ 8. 13 قطعة من شبكة الإنجليزيّة في أبنية التّعدية إلى مفعولين.[29] وأفعال النُّقلة مركزيّة في هذا القالب، مثل [*give* "أعطى"]، و[*send* "أرسل"]، و[*mail* "أرسل بريدا"]، إلخ. يمكننا، بناء على ذلك، أن نفترض الخطاطة البنائيّة [TRANSFER NML NML]، وكذلك خطاطات فرعيّة منها، مثل [give NML NML] و[send$_1$ NML NML]. وتترسّخ كذلك مجموعة من الخطاطات أكثر تخصيصا، من قبيل [give me NML]، وحدات قائمة برأسها. ولئن كان قالب النّقلة طرازيّا، تستعمَل الأفعال المتعدّية إلى مفعولين كذلك في عدد آخر من الحالات، مثلا مع أفعال

دالّة على النّقلة المَنْويّة ([promise "وعد"]، [owe "دان"]، [grant "وهب"]، [bequeath "ورّث/ منح"]، وأفعال الإباحة والمنع ([permit "سمح"]، [allow "أجاز"]، [deny "منع"] [refuse "رفض"])، وأفعال الأعمال الكائنة لفائدة شخص ما ([make "صنع"]، [cook "طها"]، [build "بنى"]، [bake "طبخ"]). فخطاطة المستوى الأعلى الّتي تشمل هذه الإمكانيّات جميعا، والّتي نمثّل لها بـ[V NML NML]، ليست في ذاتها قابلة لأن يهتدى إليها لإجازة العبارات الجديدة. فالتّوزيع التّواضعيّ للأبنية المتعدّية إلى مفعولين تخصّصه الشّبكة بكاملها، بدل أن تخصّصه أيّ عجرة مفردة.



الرّسم البيانيّ 8. 13

تَحلّ في وسط الرّسم البيانيّ 8. 13، في شكل عجرة في كلّ من الشّبكتين، البنيةُ الخطاطيّة جزئيّا [send$_1$ NML NML]. فهي منتمية إلى كلّ من الشّبكة المعجميّة الّتي تمثّل الأطر البنيويّة للفعل [send] (والمعاني الّتي تنقدح بها)، والشّبكة النّحويّة من الأبنية المتعدّية إلى مفعولين. وليس هذا مشكلا بأيّ وجه من الوجوه، بل هو بالتّحديد ما ينبغي أن نتوقّعه. فالعناصر المعجميّة والأبنية النّحويّة مستخرَجة من العبارات الجارية من خلال تقوية القواسم المشتركة المتكرّرة. وفي كلتا الحالتين، تكون النّتيجة المثلى شبكةً من البدائل المترابطة موضَّفة على مستويات مختلفة من الخطاطيّة. ويرتبط المدى الّذي تبلغه عمليّة التّجريد الخطاطيّ، والاتّجاهُ الّذي تأخذه، بما تشترك فيه العبارات الّتي ينطلق منها ذلك التّجريد. فانطلاقا من مجموعات متمايزة ولكن متراكبة، يمكن أن تنبثق كلّ من الخطاطات البنائيّة (الّتي

تُستخرَج من العناصر المعجميّة العينيّة) والبدائل المعجميّة (الّتي تنقدح أوّل الأمر بالأطر البنيويّة المخصوصة). فالبنية من قبيل [send$_1$ NML NML]، تمثّل خطوة بَدْئِيَّة باعتبار مسلَكَيْ التّجريد كليهما. فما عساها تكون: معجميّة أو نحويّة؟ والجواب لا يمكن أن يكون إلاّ "نعم"، لأنّها معجميّة ونحويّة في آن. فهذه واحدة من أمارات كثيرة على أنّ المعجم والنّحو يكوّنان مدرّجة (§ 1. 3. 2).

8. 4 الانتظام

من الأفكار الّتي تُدافع عنه بعض النّظريّات في بعض الأحيان أنّ المعجم والإعراب متمايزان تمايزا واضحا ومختلفان اختلافا كبيرا في طبيعتهما. يتميّز الإعراب، في هذا التّصوّر، بالانتظام وهو لذلك قابل لأن يوصف باعتماد عدد من القواعد، في حين يمثّل المعجم رصيدا من العناصر الّتي لا تخضع لانتظام - أي هو كتلة من الخصائص الفراديّة غير قابلة للتّوقّع. وللنّحو العرفنيّ موقف مختلف تمام الاختلاف في هذه المسائل. ويقدّم تفسيرا موحَّدا للمعجم والنّحو (اللّذين يتضمّنان الإعراب والصّرف في آن)، تمثّل فيه كلّ وحدة لغويّة قالبا راسخا رسوخا متينا، وتجسِّد بذلك نوعا من الانتظام. ولرؤية ذلك بوضوح أكبر، نحتاج إلى فحص مفهوم الانتظام في صميمه وإلى النّظر في بعض تجلّياته الّتي تخفى أحيانا.

8. 4. 1 المعنى البنائيّ والتّركّبيّة

رغم أنّ اللّسانيّين لا يأبهون إلاّ في ما ندر بتفسير مفهوم الانتظام، فإنّ هذا المفهوم يكون كلّ شيء ما عدا أن يحمِل تفسيره في ذاته. يندرج في هذا المصطلح على الأقلّ ثالوث من العوامل المنفصلة: العموم والإنتاجيّة والتّركّبيّة.

1. يتعلّق العموم بمستوى الخطاطيّة الّذي يتوصَّف عنده قالب ما. فالقالب الّذي يُوصَّف بكونه إسمائيّا (دون حصره من حيث النّوع)، على سبيل المثال، يكون ذا درجة من العموم أوسعَ من ضمير بعينه. وبالمثل، تكون خطاطة المستوى الأعلى الّتي للتّعدية إلى مفعولين [V NML NML] أعمَّ من خطاطة [TRANSFER NML NML] (الّتي تقتصر على أفعال النّقلة)، والّتي تكون بدورها أعمَّ من [give NML NML] (الرّسم البيانيّ 8. 13). وتمثّل

العبارة الثّابتة ذات التّخصيص التّامّ، من قبيل [*Give me that*! "أعطني ذاك!] أو [*cat* "قطّ"]، قالبا في أدنى درجات العموم.

2. تتعلّق الإنتاجيّة بما يكون عليه القالب من درجة الدّوران في إجازة العبارات الجديدة. وكنّا رأينا أنّ أعمّ الخطاطات البنائيّة، مثل [V NML NML] في الإنجليزيّة، أو [N-P] في اللّغة اللّويزينيّة، لا تكون دائما متاحة لذلك الغرض. وعلى عكس ذلك، يمكن أن يكون قالب ذو درجة من العموم أقلّ، منتجا إنتاجيّة تامّة في حدود المدى الّذي يشغله تعميمه. فقالب [N_{inan}-P] في اللّغة اللّويزينيّة، مثلا، يقبل الانطباق بحرّية على توليفات جديدة من الأسماء الدّالّة على الجوامد والعناصر من ذوات الموقعة البعديّة. ولكنّ الدّرجة المحدودة من العموم لا تضمن الإنتاجيّة. رأينا ذلك في أشكال التّصريف في الزّمن الماضي من أفعال مثل [*write* "كتب"]، و[*break* "كسر"] و[*freeze* "جمد"]. والخطاطة البنائيّة الّتي تصف هذا القالب محدَّدة تماما بالنّظر إلى القطب الصّوتميّ من الفعل: [$_{\sigma}$(...vy...)]. ورغم ذلك لا يمكن أن تُنشَط لإجازة عبارات جديدة (مثل [**fose*] من الشّكل [*fease*] الّذي صُنِع لهذه المناسبة). ورغم درجة العموم الواسعة الّتي يتّسم بها القالبُ المحايد (الّذي يعطي [*feased*])، فإنّه أكثر رسوخا ودائمُ الفوز في مسابقة الإنشاط. والقوالب المناسبة للتّصوّر التّقليديّ للإعراب، من حيث كانت عامّة إلى أقصى حدّ وذات إنتاجيّة تامّة في آن واحد، إنّما هي في الواقع قوالب شاذّة إلى حدّ كبير. ويتمثّل المترشّح الواعد، في الخطاطات الّتي تصف ترتيب الكلم الأساسيّ، من قبيل خطاطة [V NML] الّتي تشير إلى الفعل ومفعوله.

3. التّركّبيّة هي مدى قابليّة بنية مركّبة لأن تكون متّوقّعةً انطلاقا من الأبنية المكوّنة لها جنبا إلى جنب مع الخطاطة البنائيّة الّتي تجيزها. ويتمثّل الموقف الّذي يُتَّخذ في النّحو العرفنيّ، في أنّ الدّلالة ليست تركّبيّة إلاّ بصفة جزئيّة (§ 6. 2. 1). فلئن قاربت بعض العبارات (مثل [*jar lid*]) التّركّبيّة االتّامّة، فإنّ بعضها الآخر (مثل [*laptop*]) يختلف اختلافا شاسعا عمّا ينبغي أن يدلّ عليه من المعنى. فالمألوف أن يوجَد قدر من الاختلاف - وإن كان في شكل تخصيص أدقّ- في كلّ من العبارات الثّابتة والجديدة. وعلى هذا، تقصر التّركّبيّة، كما كان الأمر مع العامِلَيْن الآخرين، عن دعم النّظرة

الثّنائيّة القائمــة على إعراب منتظم انتظاما تامّا مقابل معجم غير منتظم بتمامه وكماله.

والتّركّبيّــة لا تكون إلاّ جزئيّة لأن المعاني اللّغويّة تتعلّق بأمور أخرى تتجــاوز مجرّد الأبنية المكوّنيّة والخطاطات البنائيّة. فهناك موارد إضافيّة أخرى يُســتمَدُّ منها ما يكون به الوصول إلــى الأبنية الدّلاليّة المركّبة (§ 2. 1. 3). فالمعنــى في عبارة ما إنّمــا يقتضي أرضيّة مفهوميّة متبلورة تدعمه وتشكّله. وبالإضافة إلى ذلك، يستخدم مستعملو اللّغة مجموعة ثريّة من القــدرات التّخيّليّة والتّأويليّة. وبعبارة صريحة، لا يمكن إذن أن يُحَوْسَــب المعنــى في عبــارة مركّبة انطلاقــا من المعانــي المعجميّة ومــن قوالب التّركّب (الأقطاب الدّلاليّة من الخطاطات البنائيّة)، بل يكون من الأصحّ اعتباره منقدحا بها.[30]

ومــع ذلك، يكــون للخطاطــات البنائيّــة معنى وهي ذات مســاهمة دلاليّــة أساســيّة في العبــارات المركّبة. فإذا مــا لم تَرْوِ هــذه الخطاطات كامــلَ الحكاية المتعلّقة بالكيفيّة الّتي يكون بها الوصول إلى المعاني المركّبة، فهي تمدّنا، على الأقلّ، بالمعلومات الأساسيّة عن الكيفيّة الّتي بها تنْسَــبِك المفاهيم المكوّنيّــة وعن الكيفيّة الّتي ينبنــي بها مضمونُها المُدمَــجَ (مثلا، فــي ما يتعلّق بعمليّــة العرض). وهــي ذات تأثير في تأويل الوحدات المعجميّــة المركّبة ويمكن أن تســاهم بمضمونها المفهوميّ الّذي لها، بالإضافة إلى ذلك. فتلك مظاهر المعنى البنائيّ جميعها. فبهذه الطّــرق المتنوّعة، يكون للنّحو في ذاته دور جوهــريّ ونظاميّ في تحديد معاني العبارات المركّبة.

لم يهتدِ اللّســانيّون إلى تقدير المدى الّذي تُقــوِّي به الخطاطات البنائيّة المضمونَ المفهوميّ الّذي توفّره الوحدات المعجميّة المكوّنيّة، وتكمّله به بل تبطله به أحيانا، إلاّ في السّــنوات الأخيــرة (غولدبارغ 1995، 2006). فالخطاطــة الّتــي لا تتضمّــن أيّ عنصر معجميّ مخصــوص يمكنها رغم ذلك أن تُكتَسَب أوّلَ الأمر على أساس عدد صغير من العناصر المعجميّة تتقاســم مضمونا أساســيّا يكون الحفاظ عليه، تبعا لذلــك، عندما تنبثق الخطاطــة (طوماســلّو 1992؛ ســيثورامن 2002). ويقوّى هــذا المظهرُ من معانيها، حينئذ، بالخطاطة عندما تُســتعمَل العناصرُ المعجميّة في البنية الّتي

تحدِّدهـا تلك الخطاطة. فبنية المتعدّي إلى مفعولين، على سـبيل المثال، تتأسّـس في المنطلق على أفعال النّقلة المتواترة، مـن قبيل [*give* "أعطى"]، و[*bring* "أحضر"]، و[*send* "أرسل"]، و[*tell* "قصّ، أخبر"]. وعلى هذا، تحافظ الخطاطـة البنائيّة البدئيّـة، [TRANSFER NML NML]، على المشـترَك بين تلك الأفعال (هُوَ تقريبا ما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 8. 12 (a)). وبالاستتباع، يوفِّر كلّ مـن العنصر المعجميّ والخطاطة ذلـك المضمونَ في الجمل القائمـة على التّعدية إلـى مفعولين مثـل [*She gave him an apple* "(هي) أعطته تفّاحة] أو [*Tell me a story* "قصّ عليّ حكاية"].

وفي استعمال الكهول، يتوسّع استعمال قالب التّعدية إلى مفعولين ليشمل أنواعـا من الوضعيّات تتضمّن شـيئا آخـر مختلفا عن النّقلة البسـيطة. يجري التّمثيل لقسم من الحالات بالجمل الواردة في (6):

(6) (أ) *She made him a kite*. (هي) صنعت له طائرة ورقيّة. [إنشاء]
They built us a porch. (هم) بنوا لنا شرفة.
I knitted her a sweater. نسجتُ لها قميصا صوفيّا.
(ب) *He wrote me a check*. (هو) كتب لي صكّا. [إعداد]
She baked them a pie. (هي) طهت لهم فطيرة.
Peel me another orange. قشِّر لي برتقالة أخرى.
(ج) *I bought him a clock*. اشتريتُ له ساعة (جداريّة). [اقتناء]
Find us some old rags. ابحَثْ لنا عن خرق قماش.
She got you a fancy car. (هي) اقتنت لك سيّارة فاخرة.

تختلف هذه المظاهر عن النّقلة البسيطة في أنّ المتقبّل يحصل على شيء لم يكن في البدء خاضعا لرقابة الفاعل، على الأقلّ بأيّ شكل قابل للاستعمال. وعـوض ذلك، يعمل الفاعل علـى أن يجعله متوفّرا لاسـتعمال المتقبّل بأن يصنعـه أو يعدّه أو يقتنيه له. لاحظ أنّ لجميع هذه الأفعال اسـتعمالات أخرى أساسيّة أكثر فيها، لا تستدعي متقبّلا بأيّ شكل بارز:

(7) (أ) *She made a kite*. (هي) صنعت طائرة ورقيّة. [إنشاء]

They built a porch. (هم) بنوا شرفة.

I knitted a sweater. نسجت قميصا صوفيّا.

(ب) *He wrote a check*. (هو) كتب صكّا. [إعداد]

She baked a pie. (هي) طهت فطيرة.

Peel another orange. قشِّر برتقالة أخرى.

(ج) *I bought a clock*. اشتريت ساعة. [اقتناء]

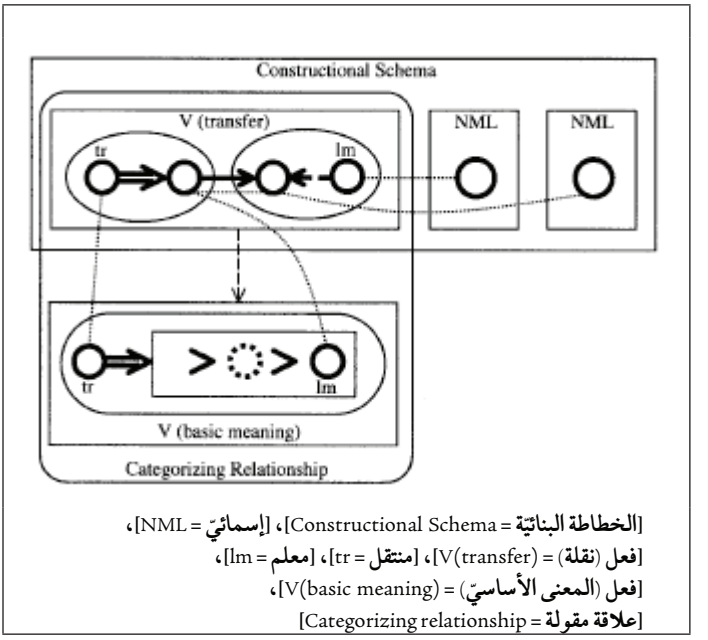
Find some old rags. ابحَثْ عن خرق قماش.

She got a fancy car. (هي) اقتنت سيّارة فاخرة.

فالمسألة ليست، حينئذ، في أن يكون لهذه الأفعال في الأصل معنى النّقلة الّذي يمكّنها من أن تستعمَل في البنية المركزيّة من التّعدية إلى مفعولين. وعوضا عن ذلك، إنّما تستعمَل في هذه البنية رغم افتقارها إلى هذا المضمون المخصوص الّذي ينبغي أن توفّره البنية في ذاتها تبعا لذلك. فالمعاني المركّبة الواردة في (6) تولّف بين مفهوم الإنشاء أو الإعداد أو الاقتناء - الّتي يؤول جميعها إلى توفّر شيء للاستعمال- ومفهوم النّقلة إلى متقبّل، ذاك الّذي تساهم به الخطاطة البنائيّة.

يُعرَض هذا التّحليل باختزال في الرّسم البيانيّ 8. 14. في الخانة العليا تمثيل جزئيّ للخطاطة البنائيّة [TRANSFER NML NML]، يظهِر الأبنيةَ المكوّنيّة والتّناسباتِ الّتي تصل بينها. والخانة الواردة أسفل ذلك تمثّل فعلَ الإنشاء، أو الإعداد أو الاقتناء كما في (7). والمراد بمنظومة الرّموز أن تشير إلى أنّ المنتقِل يفعل شيئا يُصيِّر المعلَم متوفّرا في مجال نفوذ المنتقِل. ويمثّل الرّسم التّخطيطيّ الاستعمالَ البدئيّ لفعل من هذا القبيل في البنية الأساسيّة في التّعدية إلى مفعولين، قبل أن يكون القالبُ الوارد في (6) قد استوى قائما برأسه. وفي هذا الطّور، يمثّل استعمال فعل من أفعال الإنشاء أو الإعداد أو الاقتناء، لتحقيق فِعل نقلةٍ خطاطيّ، توسيعا إزاء الخطاطة الّتي تجيزه لا مجرّدَ بلورة. لذلك يُستخدَم سهم متقطّع إشارةً إلى علاقة البلورة هذه بين أفعال الخطاطة البنائيّة والعبارة الهدف؛ فهذا واحد من مظاهر التّأويل البنيويّ للعبارة بالرّجوع إلى

الخطاطة. وبما أنّنا نفترض أنّ هذا الاستعمال غير مألوف في ما مضى، تُجعَل عمليّة المقوَلَة في خانة ذات زوايا مستديرة.

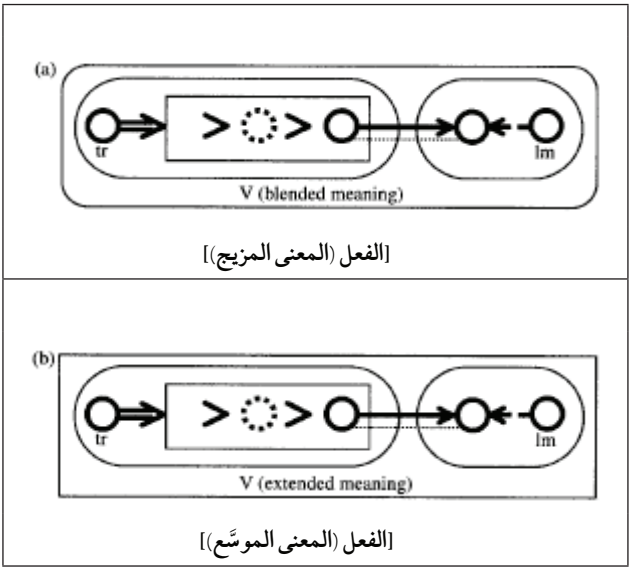


[**الخطاطة البنائيّة** = Constructional Schema]، [**إسمائيّ** = NML]،
[**فعل** (**نقلة**) = V(transfer)]، [**منتقل** = tr]، [**معلم** = lm]،
[**فعل** (**المعنى الأساسيّ**) = V(basic meaning)]،
[**علاقة مقولة** = Categorizing relationship]

الرّسم البيانيّ 8. 14

تتمثّل نتيجة هذه المقوَلَة في أنّ الأفعال في عبارات من هذا القبيل (مثل [*She made him a kite*]) تدرَك على أنّها أفعالُ نُقْلة. ويمثّل الحكم المُمقول تجربةً موحَّدة ليست مكافئة لتجربة إدراك الخطاطة والهدف كلاً على حدة (§ 8. 2. 1). ترتبط الأفعال الواردة في (6)، في سياق هذا الاستعمال، إذن، بالتّصوّر الموحَّد الّذي يُعرَض في الرّسم البيانيّ 8. 15 (a). فهذا المعنى المزيج يتضمّن كلاّ من الخطاطة والهدف، ويتّبع الخطاطة في اختياره للمعلَم. وعندما يجري استعمال هذا الفعل لأوّل مرّة في هذه البنية، يكون المعنى المزيج - تماما مثل المقْوَلَة الّتي تقدَحه- معنى جديدا. ولكنّ الحكم المَمقول بتمامه، يُرسَّخ بفعل الاستعمال المتكرِّر فيستوي وحدة قائمة بذاتها تتضمّن المعنى المزيج، كما يُعرَض في الرّسم التّخطيطيّ (b). وعند هذه النّقطة، يمكننا أن نقول بوجه معقول إنّ الفعل قد اكتسب معنى موسَّعا - معنى يتضمّن مفهوم النّقلة وكذلك مضمونَه الأساسيّ من إنشاء أو إعداد أو اقتناء. وللتّثبّت من ذلك، لا يتحمّل هذا الفعلُ ذلك المعنى إلاّ في سياق

التّجميعات الرّمزيّة الّتي تُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 8. 14. لكن يصحّ في العموم أنّ المعاني المقترنة بفعلٍ ما يجري تجريدها من وروده في أطر بنيويّة مخصوصة تكون جزءا من توصيفه (الرّسم البيانيّ 8. 13). فأن نقول إنّ فعلا ما "له" معنى معيّن، هو ببساطة أن نقول إنّ اقترانه بهذا التّصوّر، في السّياق البنيويّ المناسب، قد استوى وحدة تواضعيّة قائمة.



الرّسم البيانيّ 8. 15

كما رأينا في (6)، لا يجري هذا النّوع من التّوسيع مع فعل واحد فقط بل يجري مع الكثير أيضا. ويؤدّي الاستعمال المتكرّر لهذه العبارات إلى رسوخ التّشكّل الوارد في الرّسم البيانيّ 8. 14 بأكمله، رسوخا في شكل خطاطيّ. يعادل ذلك خطاطةً بنائيّة جديدة للأفعال المتعدّية إلى مفعولين يستعمَل فيها ويدرَك فعلُ إنشاءٍ أو إعداد أو اقتناء، على أنّه فعلُ نقلةٍ. فإذا كانت الخطاطة [TRANSFER NML NML] طرازيّة، يكون هذا النّوع الجديد طرفيّا أبعد ما يكون من المركز في المقولة، أي توسيعا للطّراز. وهو، رغم ذلك، قائم تواضعيّا متاحٌ لإجازة العبارات الجديدة، بما فيها العبارات ذات الأفعال القليلة التّواتر الّتي لا تُستَعمَل هذا الاستعمالَ بوجه شائع. وعلى هذا الأساس، يمكن أن نؤوّل الجمل الواردة في (8)، ونحكم عليها بكونها ذات بناء جيّد. وبصفة طبيعيّة، تكون تلك الأفعال كذلك، بحكم الاستعمال المتكرّر في هذه البنية، قادرةً على اكتساب معنى النّقلة الّذي

يقدحه هذا الاستعمال. فمن خلال هذه التّطوّرات تبنى المقولات المركّبة بناء تدريجيّا انطلاقا من أطرزتها.[31]

(8) (أ) *She sculpted him an elephant*. [إنشاء]
(هي) نحتت له فِيلا.
(ب) *Skin me another cat*. [إعداد]
اسلخ لي قطّا آخر.
(ج) *I stole her a diamond ring*. [اقتناء]
اختلستُ لها/منها خاتما ماسيّا.

8. 4. 2 التّعميمات من المستويات العليا

تمثّل المقوَلَة الواردة في الرّسم البيانيّ 8. 14 واحدا من مظاهر العلاقة بين عبارة وخطاطة بنائيّة تُستدعَى لتأويلها البنيويّ. وفي العبارات مثل تلك الواردة في (6)، يحقّق فعلٌ من قبيل [*make* "صنع"]، [*peel* "قشر"]، أو [*find* "وجد"]، فِعلَ نقلَة خطاطيّا رغم عدم التّناسب الدّلاليّ بينهما. فبحكم هذه المقْوَلَة، يُدرَك فعلٌ من هذا القبيل على أنّه فِعلُ نقلَة في سياق هذه البنية. ويمكن للمدلول المزيج الّذي ينتج أن يقوم برأسه معنى جديدا موسَّعا للفعل من خلال الورود المتكرّر في هذا الإطار (الرّسم البيانيّ 8. 15).

وإذ لا يحدث ذلك مع فعل وحيد فقط، بل يحدث مع أفعال كثيرة أيضا، يكون التّشكّل الوارد في الرّسم البيانيّ 8. 14، بما في ذلك المعنى المزيج المنبثق، خاضعا للتّجريد الخطاطيّ. يعني ذلك، أنّ هذا التّوسيع الدّلاليّ المنقدح بالسّياق يكوّن قالبا متكرّرا يمكن أن يستوي بذاته وحدةً قائمة في مستوى من التّجريد تحدّده مجموعة الأفعال الّتي تنشئه. وما إن تستقرّ هذه الوحدة، حتّى تكون قادرة بذاتها على أن تُستدعَى لإجازة التّوسيع الدّلاليّ لأفعال إضافيّة أخرى من قبيل تلك الواردة في (8). ومحطّ عنايتنا في هذا القسم النّهائيّ يتمثّل في طبيعة وحدة من هذا القبيل وفي منزلتها داخل نظام لغويّ ما. هي نموذج ممثّل لقسم مهمّ ولكن قلّما يولى العناية الكافية، أحيل عليه بتسمية "التّعميمات من المستويات العليا".

نحن مقيّدون في وصف نظام لغويّ ما بحكم شرط المضمون (§ 1. 3. 4)، من حيث أنواع الوحدات الّتي يمكننا أن نفترضها. فالوحدات المسموح بها تنحصر في الأبنية الدّلاليّة والصّوتميّة والرّمزيّة الّتي تكون (ا) أجزاءً من

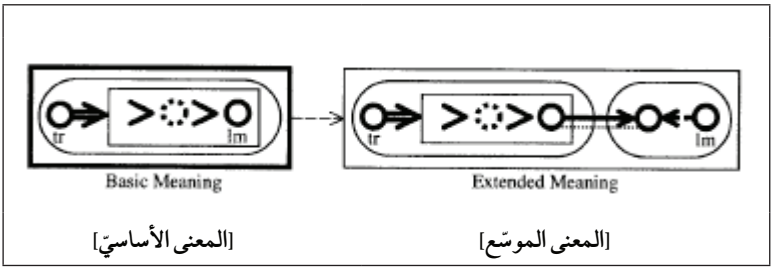
عبارات جارية، أو (II) عمليّاتِ تجريد خطاطيّ للأبنية الجائزة، أو(III) علاقاتِ مقوَلَـة بين الأبنيـة الجائزة. فالأبنيـة الرّمزيّة الجائزة بحكم (I)، على سـبيل المثال، هي العبارات الثّابتة من قبيل [*lazy cat* "قطّ كسـول"]، و[*clean air* "هواء نقيّ"]، و[*valid argument* "حجّة صالحة"]، في حين تكون الخطاطة البنائيّة [ADJ N] جائزةً بحكم (II)، وتكون المقوَلَة [[lazy cat]→[ADJ N]] جائزةً بحكم (III). وعلـى هـذا، تنبثق خطاطة مثل [ADJ N] الّتي تمثّل الجزءَ (II) من شـرط المضمون، في شـكل تعميم يسَـع جميعَ العبارات المُحقِّقة للخطاطة ممثّلةً للجزء (I)، وتُناسِـبُ العلاقة بينها الجزءَ (III). ولكنّ هذه ليسـت الإمكانيّةَ الوحيدة. فالتّجريد الخطاطيّ يمكن أن ينطبق كذلك على عمليّات المقوَلَة لأنّ علاقـات المقْوَلة جائزة من حيث هي وحداتٌ بحكم (III)، ويسـمح (II) بعمليّـات تجريد خطاطيّ للأبنية الجائـزة.[32] وبما أنّ الخطاطة النّاتجة ترصد ما هو مشـترك بيـن مجموعة من عمليّات المقوَلَة، فهـي تكوّن تعميما من مستوى أعلى.

والبنيـة الواردة في الرّسـم البيانيّ 8. 14 جائزة في ضوء شـرط المضمون. ويمكننا النّظر إليها بطرق مختلفة عديدة جميعها صالح. يكون ذلك لسبب وحيـد هو أنّها تمثّل خطاطة بنائيّة مزيدة. هـي خطاطة بنائيّة لأنّها تحدِّد إدماج فعـلٍ مـا والمفاعيـل المتعلّقة بغيرِ فاعلـه، في جمل من قبيل مـا يرد في (8)، حيثُ يكون الفعل المستعمَل فعلَ إنشاء، أو إعداد، أو اقتناء.[33] وفوق ذلك، تتطـوّر البنيـة، في السّـيناريو الّذي عُرِض أعـلاه عرضا مجمـلا، بالزّيادة في الخطاطة المركزيّة الّتي تحكم ما يقوم على أساس أفعال النّقلة من العناصر المتّعدية إلى مفعولين. وهي تنبثق من خلال تطبيق هذا القالب المركزيّ على وضعيّات لا يشـتمل فيها العمل المعروض على النّقلة إلاّ من حيث هي نتيجة ثانويّة. ولئن تعارض هذا الاسـتعمال مع الخطاطة الأساسـيّة فهو مسـتقيم في حدود المقبوليّة العاديّة، ثمّ بتكرّره ينتج عن تقوية سـماته المشتركة ترسيخُ التّشـكّل بأكمله وتجريدُه خطاطيّا. وبهـذا، تنبثق خطاطة بنائيّة جديدة تقوم على الخطاطـة الأصليّة (الّتي تظلّ متاحة بصفة مسـتقلّة وطـرازا للتّعديّة إلى مفعولين) وتتضمّنها.

ويمكـن أن يُنظَـر إلى هذا التّشـكّل كذلك من حيـث هو توصيف جزئـيّ للأفعال الواردة في (6). فبالنّسـبة إلى كلّ واحـد من تلك الأفعال ([*make*]، [*find*]، [*peel*]، إلـخ)، يمثّل ذلك التّشـكّلُ المدلـولَ المزيجَ الّذي

استقرّ واحدا من معانيها، ويمثّل كذلك الإطارَ البنيويَّ الّذي يقدح هذا التّوسيعَ انطلاقا من قيمتها الدّلاليّة الأساسيّة. ويمثّل ذلك التّشكّلُ في صيغة مجرّدة خطاطيّا، المشتركَ بين تلك الأفعال، محدّدا بذلك قسما فرعيّا من المحمولات المتعدّية إلى مفعولين.

وفي النّهاية، يمكن أن يُنظَر إلى التّشكّل الوارد في الرّسم البيانيّ 8. 14، على أنّه قالب توسيع دلاليّ. فهو يمثّل، بالنّسبة إلى كلّ فعل على حدة، كلاّ من المعنى الأساسيّ (القيمة الدّلاليّة الطّرازيّة) والمعنى الموسّع المنقدح في هذا السّياق من خلال إدراكه على أنّه فِعلُ نُقلَة. يُعرَض هذا المظهر من التّشكّل عرضا مستقلاّ في الرّسم البيانيّ 8. 16. فهو يصف، في المستوى الدّلاليّ (من حيث هو جزء من الخطاطة البنائيّة المزيدة)، قالبا تجريديّا يَكتسب بمقتضاه فعلٌ غيرُ دالّ على النّقلَة معنى من معاني النُّقلة. ورأينا في (8) أنّ هذا القالب يقبل الانطباق على أفعال إضافيّة أخرى في نفس السّياق البنائيّ. فهو يمثّل تعميما من مستوى أعلى، من حيث كان تجريدا خطاطيّا لمقْوَلة ما.

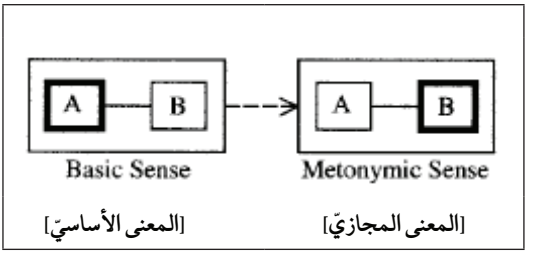


الرّسم البيانيّ 8. 16

يعكس تعميمٌ من هذا النّوع مظهرا مهمّا من مظاهر القدرة الذّهنيّة عندنا. فالانتظام المجرَّد لا يتّعلّق بطبيعة أبنية المضمون الفرديّة (هي المعاني، في هذه الحالة) بل يتعلّق، عوضا عن ذلك، بالكيفيّة الّتي بها تترابط تلك الأبنية الواحدة منها بالأخرى. هذه القدرة التّجريديّة من المستوى الأعلى ذات تجلّيات لغويّة غفيرة. وبالفعل، إذ كانت الأبنية المكوّنيّة مترابطة بعلاقات المقوَلة، تمثّل كلّ خطاطة بنائيّة التّجريدَ الخطاطيّ لعمليّات المقوَلَة. وتوجد تجلّيات إضافيّة أخرى لهذه القدرة في القوالب المجازيّة وفي التّوسيع الصّوتميّ.

فرغم أنّ مصطلح «مجاز» مستعمل بطرق مختلفة، يمكن أن يوصَّف، للغايات الّتي رسمناها لأنفسنا هنا، بكونه تحويلا في المعروض (§ 3. 3. 1).

فعبارة تعرِض شيئا، هو (A)، في معناها الأساسيّ تُفهَم بدلَ ذلك على أنّها تعيّن وحدة أخرى، هي (B)، تترابط بوجه من الوجوه مع (A)، فيمكن لذلك الاهتداءُ إليها ذهنيّا عن طريقها. يُعرَض ذلك عرضا مجرّدا في الرّسم البيانيّ 8. 17.



الرّسم البيانيّ 8. 17

تتمثّل النّقطة المفيدة، هنا، في أنّ المجاز يتبع دائما القوالب القائمة تواضعيّا. ولنأخذ مثالا واحدا فقط، الاسم الجاري على مكان ما يوسَّع عادة ليشير، عوضا عن ذلك المكان، إلى حدث بارز (أو مأساويّ في الغالب) جرى هناك: فْيِتْنام، تشِيرنُوبِل، أوكْلاهُوما سيتي، وُونْدِد نِي، هيروشيما، وَاترلو، وهلمّ جرّا. فيمثّل الاستعمال المجازيّ توسيعا مخصوصا من المكان إلى الحدث (توسيع مكان - حدث) تُرسَّخ وحدةً قائمةً برأسها، مثل [[VIETNAM—WAR] <--- [VIETNAM—WAR]] ([[**حرب**-فيتنام] ---> [حرب-**فيتنام**]])،[34] وكلّ واحدة من هذه الوحدات تحقّق التّوسيع المجرّد خطاطيّا [[PLACE—EVENT] <--- [PLACE—EVENT]] ([[**مكان**-حدث] ---> [مكان-**حدث**]])، الّذي يصف القالب العامّ. وبالإضافة إلى ذلك، تُستدعى هذه الخطاطة في العادة لإجازة العبارات الجديدة. فإثر كارثة الانتخابات الرّئاسيّة سنة 2000 في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ما كان من الممكن، عمليّا، أن نتَجنّب تحوّل "فلوريدا" إلى الدّلالة على الإخفاق الذّريع في احتساب الأصوات الانتخابيّة هناك (كما في [*Florida must never happen again* "يجب أن لا تحدث فلوريدا ثانية أبدا."]).

وممّا يُمثِّل التّجريدَ الخطاطيّ لعمليّات المقْوَلَة، قالب من قوالب التّوسيع الصّوتميّ. تذكّر المثال الخياليّ الّذي وضعناه (في الفقرة § 8. 1. 3) متعلّقا بالحركة [a] الّتي يجري تأنيفها بعد [m]. فحالما يستوي هذا النّطق البديل قائما على أنّه جريان عاديّ، يكون تخصيصُه بالوحدة التّواضعيّة الممَقوِلة [[mā] <--- [ma]] . فيمكن للقالب أن

يوسّع كذلك إلى الحركات الأخرى، منتجا بذلك وحدات من قبيل [[mẽ] <--- [me]]، و[[mũ] <---[mu]]، إلخ. وأثناء حدوث ذلك، تُنتِج تقويَةُ الخصائص المشتركة بينها التّوسيعَ المجرّد خطاطيّا [[mṼ] <--- [mV]]، ممثّلا للتّعميم الّذي ينصّ على أنّ كلّ حركة يمكن أن تؤنَّف بعد [m]. وبطبيعة الحال، يمكن أن يوسَّع القالبُ كذلك ليشمل حروفا خيشوميّة أخرى، فيُنتِج وحداتٍ مثل [[nã] <--- [na]]، و[[ŋã] <--- [ŋa]]، والخطاطة [[Nã] <--- [Na]]، الّتي تحيل على الحروف الخيشوميّة من حيث كانت قسما بحاله. وأثناء تعميم النّطق البديل عبْر الحركتين والحروف الخيشوميّة، يمكن أن تنبثق في نهاية المطاف خطاطة [[NṼ] <--- [NV]] على أنّها تعميم من مستوى أعلى.[35]

والتّجريدات الخطاطيّة لعمليّات المقوَلَة جديرة بالملاحظة لأنّ التّعميمات الّتي تجسّدها تتّصل بالعلاقة بين أبنية المضمون الّذي يتجلّى في العبارات المختلفة. التّعميم الّذي يعبّر عنه قالب المجاز [[PLACE—EVENT] ---> [PLACE—EVENT]] ([[**مكان**-حدث] ---> [مكان-**حدث**]])، على سبيل المثال، يتعلّق بالقيمة الدّلاليّة لاسم واحدٍ من الأمكنة (مثل، فيتنام) في العبارات المختلفة، من حيث هَو جزء من أحداث استعمال مختلفة. وبالمثل، يتعلّق القالب الصّوتميّ الّذي يعبِّر عنه القالب [[mṼ] <--- [mV]]، بالبدائل النّطقيّة لمقطع معطى ما في المناسبات المختلفة. فلنا القدرة، بعبارة أخرى، على التّعميم تعميما يشمل علاقات أخرى لا تتجلّى في أيّ عبارة وحيدة أو حدث استعمال مفرد، بوجه يتّسع به مدى التّجريد الخطاطيّ ليشمل عبارات متعدّدة. ولهذه القدرة تجلٍّ لغويّ آخر مهمّ في انبثاق أقسام معجميّة فرعيّة تخضع عناصرها لقالب واحد عبْر مجموعة من الأبنية النّحويّة. تكوِّن هذه الأقسام الفرعيّة تعميماتٍ من المستوى الأعلى بمعنى أنّ الخصائص المحدِّدة تتوزّع على أبنية متعدّدة، يكون للعناصر في كلّ قسم فرعيّ منها سلوك متشابه.

ولئن كان لهذه الفكرة مدى شاسعٌ للانطباق، فإنّ نوع الحالة الّتي تدور في ذهني الآن، هي "أقسام التّصريف"، أي مجموعة الأفعال الّتي تتّبع، بالتّحديد، نفسَ القالب التصريفيّ في الزّمن والشّخص والعدد، وهلمّ جرّا. ويجدر بنا أن نستعرض مثالا واقعيّا واحدا استعراضا مفصّلا، بما أنّ مظاهر التّفرّد في الجداول التّصريفيّة تعتبَر غالبا مشكِلةً في النّظريّات النّحويّة

المتأسّسة على الدّلالة. وهي لا تكون مشكلة إلاّ في ضوء الافتراض الخاطئ المجانيّ بأنّ نظريّة من ذلك القبيل مطالَبة بتوقّع مظاهر التّفرّد تلك على أساس المعنى. ولكن لا ادّعاء، في النّحو العرفنيّ، بأنّها قابلة للتّوقّع، وكلّ ما قيل هو إنّها قابلة للوصف من حيث هي تجميعات رمزيّة وفقَ ما ينصّ عليه شرط المضمون. وإذ يطول جدولُ فعل كامل طولا يتعذّر له استقصاؤه هنا، تكفي شذرة صغيرة منه لعرض المقَاربة الأساسيّة.

والمختار للتّمثيل، هنا، أبسط قسم تصريفيّ في الإسبانيّة، يتكوّن من الأفعال "القياسيّة" المنتهية بـ[a]. وهناك قسمان رئيسيّان آخران، وعدد قليل من الأقسام الصّغرى، ولكنّ عناصر القسم المنتهي بـ[a] هي الأكثر عدّا. يشتغل هذا القسم تصريفا محايدا بوجه تتبع فيه الأفعال الجديدة المنتهية بـ[a] هذا القالبَ، بطريقة آليّة. فإذا ما عُرِض على متكلّم ما جذع فعليّ موافق لهذا القسم لم يسبق له قطّ أن اعترضَه، عرف مباشرة الشّكل الّذي يحتمله في جميع التّوليفات بين الشّخص والعدد والزّمن والجهة، إلخ. والسّؤال المطروح هنا مداره الكيفيّة الّتي يحدُث بها ذلك. فما هو الشّيء الّذي يتيح للمتكلّم الاهتداءَ الفوريّ إلى جميع الأشكال المصرّفة لكلّ فعل من هذا القسم؟

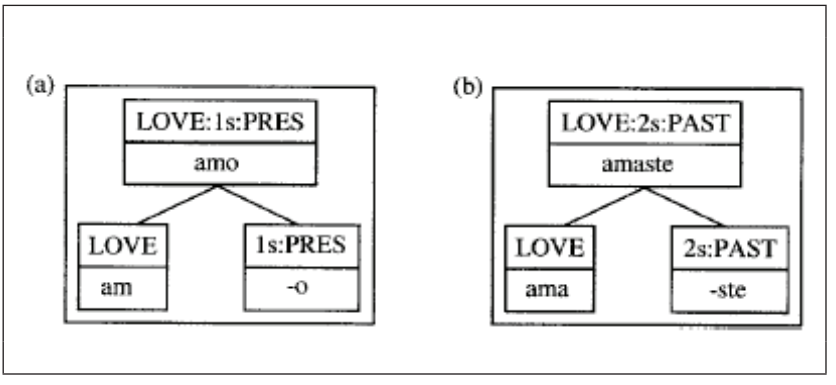
تُعرَض المعطيات الّتي ننوي النّظر فيها في الرّسم البيانيّ 8. 18. هي مجموعة جزئيّة من الأشكال المصرّفة من ثالوث من الأفعال الشّائعة، تعني 'أحَبّ'، و'غنّى'، و'عمِل'. وسنقصر عنايتنا على الأشكال المصرّفة مع المفرد في الزّمن الحاضر وفي الماضي الإشاريّ. ولكلّ جذع فعليّ ستّة أشكال: المتكلّم المفرد، والمخاطب المفرد، والغائب المفرد، في الزّمن الحاضر وفي الزّمن الماضي. تكتَب الجذوع بالخطّ الغليظ لتسهيل الاهتداء إليها. لاحِظ أنّ [a] الواردة في الموضع النّهائيّ لا تظهر قبل علامات التّصريف النّهائيّة الّتي تتمثّل في [-o] "متكلّم مفرد: زمن حاضر"، و[-é] 'متكلّم مفرد: ماض'، و[-ó] ' غائب مفرد: ماض". لاحظ، زيادةً على ذلك، أنّ الشّكل الدّالّ على الشخص الغائب المفرد في الزّمن الحاضر، هو الصّفر (ϕ)، أي يجري الجذع دون تحوير. والعناصر المكوّنيّة - أي الجذوع وعلامات التّصريف النّهائيّة - تُعرَض تباعا في الصّفّ الأخير (أفقيّا) وفي الجدول الأخير (عموديّا).

[عمل]، [غنّى]، [أحبّ]

	'love'	'sing'	'work'	
1s:PRES	amo	canto	trabajo	-o
2s:PRES	amas	cantas	trabajas	-s
3s:PRES	ama	canta	trabaja	Ø
1s:PAST	amé	canté	trabajé	-é
2s:PAST	amaste	cantaste	trabajaste	-ste
3s:PAST	amó	cantó	trabajó	-ó
	am(a)	cant(a)	trabaj(a)	

الرّسم البيانيّ 8. 18

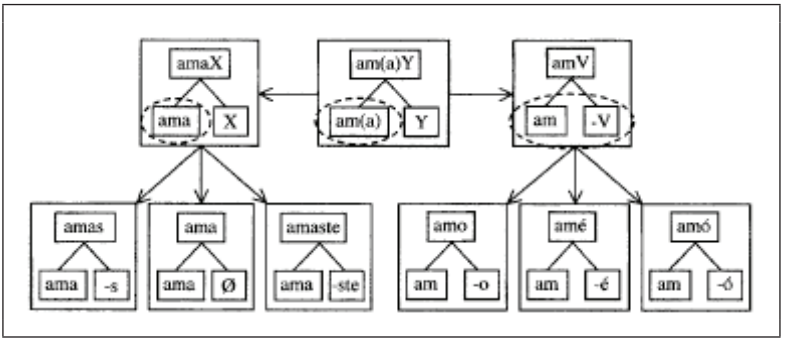
يكوّن كلّ شكل فرديّ بنية نحويّة. وتُعرَض اثنتان من تلك الأبنية عرضا مختزلا في الرّسم البيانيّ 8. 19. ويَعرض الجذع، [*am*] أو [*ama*]، نوعا خاصّا من العمليّة. وتستحضر علامة التّصريف النّهائيّة [*-o*] أو [*-ste*]، عمليّةً خطاطيّة وتربطها بمقام الخطاب من اعتبارين أساسيّين اثنين: يحدَّد منتقلها إمّا بكونه المتكلّم (متكلّم، مفرد) أو المخاطَب (مخاطب، مفرد)؛ وتحدَّد العمليّة في ذاتها إمّا بكونها مزامنة لحدث الكلام أو سابقة عليه (انظر الرّسم البيانيّ 5. 10). والبنيتان المكوّنيّتان تُدمَجان دلاليّا وصوتميّا في آن، لتُنتِجا البنية المركّبة. وعند القطب الدّلاليّ، تعادل العمليّةُ المخصوصة المعروضة بالجذع، العمليّةَ الخطاطيّة الّتي تستحضرها علامة التّصريف النّهائيّة. فتكون، على هذا، عمليّة [LOVE "**حبّ**"] المخصوصة، هي الّتي ترتبط بوضعيّة الكلام. وعند القطب الصّوتميّ، يتحدّد الجذع المخصوص [*am*] أو [*ama*] بكونه الجذع الّذي تلتصق به علامة التّصريف النّهائيّة (انظر الرّسم البيانيّ 6. 11).



الرّسم البيانيّ 8. 19

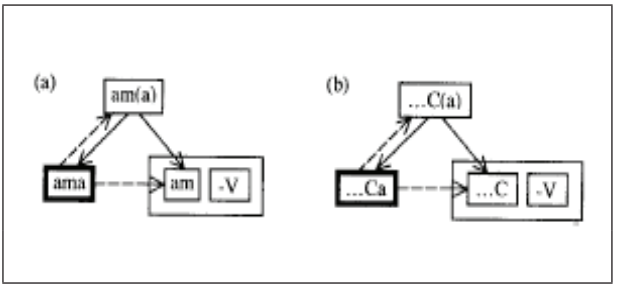
يمكن لفعل متداوَل مثل [*am*(*a*)]، أن ترتقي جميع أشكاله المدروسة إلى منزلة الوحدات، وفي هذه الحالة يمكننا أن نفترض الأبنية الّتي تكون عليها تلك الوحدة في الصّف السّفليّ من الرّسم البيانيّ 8. 20.[36] فتلك تجميعات من الأبنية الرّمزيّة، لكلّ واحدة منها قطب دلالـيّ وقطب صوتميّ، ولكن للمحافظة على بساطة الرّسم التّخطيطيّ، لا يُعرَض فيه إلاّ القطب الأخير. ويمكن أن تفترَض للأفعال الشّائعة الأخرى وحدات أخرى مماثلة، بما في ذلك [(*a*) *cant* "غنّى"] و[(*a*) *trabaj* "عمل"].

تكون مجموعة التّجميعات الرّمزيّة هذه عرضةً لتجريد خطاطيّ من أنواع مختلفة، يعكس القواسم المشتركة الكامنة في مجموعات الأشكال المختلفة. على امتداد محور أوّل يؤول ذلك إلى التّجميعات الخطاطيّة الواردة في الصّفّ الأعلى من الرّسم البيانيّ 8. 20. تظهر الخطاطات الواردة إلى اليسار وإلى اليمين، تباعا، أنّ الجذع في بعض الأشكال المصرّفة يتجلّى في صورة [*ama*] وفي بعضها الآخر في صورة [*am*]. وترد في الوسط خطاطة من المستوى الأعلى تمسك بما تشترك فيه تانك الصّورتان. وتشير الأقواس إلى أنّ الجذع المجرّد خطاطيّا محايد (غير مخصَّص) من حيث حضور [*a*] في الموقع النّهائيّ أو غيابها. وتوفّر هذه الخطاطات من المستوى الأعلى معلومات توصف عند اللّسانيّين غالبا بطرق أخرى تستعمل مفاهيم نظريّة أخرى. وبالتّركيز على الجذع فقط، يقال إنّ هناك تناوبا بين [*ama*] و[*am*]، حيث تكون [*ama*] المناوبَ الأساسيّ. ويقال كذلك إنّ الحركة "المحوريّة" [*a*] "تسقُط" قبل اللاّحقة الّتي تكون حركة. وبتعميم ذلك على جميع الجذوع، يمكن للمرء أن يفترض كذلك قاعدة صوتميّة "تحذف" الحركة الأخيرة من الجذع قبل تلك اللاّحقة. وليست هذه الأحكام خاطئة تماما من منظور النّحو العرفنيّ. فهي تناسب ببساطة وجوها مخصوصة من شبكات من قبيل ما يرد في الرّسم البيانيّ 8. 20.



الرّسم البيانيّ 8. 20

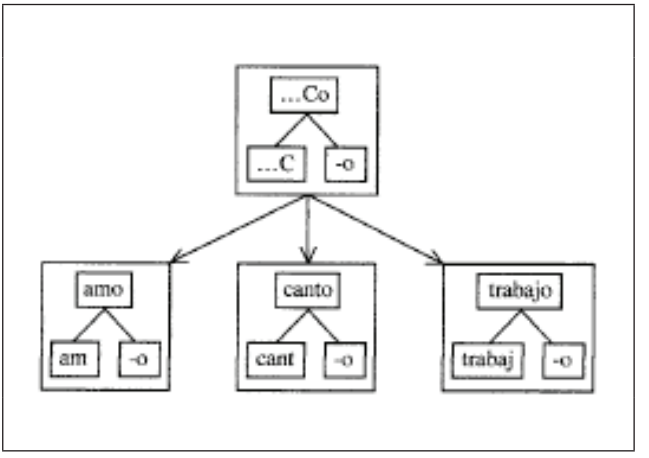
لنُلْقِ نظرة على هذا عن كثب. تُستخرَج، من الصّفّ الأعلى في الرّسم البيانيّ 8. 20، العناصر الواردة في دوائر بيضويّة وتُعرَض على حدة في الرّسم البيانيّ 8. 21 (a). يُظهِر هذا الرّسم التّخطيطيّ المجرَّد بعضَ العوامل الّتي بقيت ضمنيّة في الرّسم التّخطيطيّ السّابق؛ ويبيّن على وجه الخصوص أنّ الخطاطات تحدّد مقُولة مركّبة تضمّ أشكالا بدائل يكون عليها الجذع. يجري الشّكل البديل [*ama*] في أوسع مجموعة من السّياقات، فيمكن أن يعتَبَر طرازيّا. وباعتبار هذا الطّراز، تُمثّل [*am*] توسيعا يَحدُث في سياق تكون فيه اللاّحقة حركة. هذا الأمر يساوي القولَ إنّ [*ama*] و[*am*] متناوبان، وإنّ [*ama*] هي المُنَاوِب الأساسيّ، وإنّ الحركة المحوريّة [*a*] تسقُط عندما ترد قبل حركة أخرى. وتنبثق مقولات مركّبة مماثلة للجذوع الأخرى، من قبيل [*cant* (*a*)] و[*trabaj* (*a*)]، قائمةً على أساس شبكات من نظائر تلك الواردة في الرّسم البيانيّ 8. 20. وتكون هذه المجموعة من المقولات المركّبة المتوازية بدورها مادّة للتّجريد الخطاطيّ الّذي يُنتِج التّشكّلَ الوارد في الرّسم البيانيّ 8. 21 (b). وتُمثِّل هذه الشّبكة الخطاطيّة قالبا عامّا في تناوب الجذع. وبالإضافة إلى ذلك، تكون البنيتان السّفليّتان – اللّتان تمثّلان الطّراز وتوسيعه المنقدح بالسّياق– مكافئتين لقاعدة صوتميّة تحذف حركة [*a*] الأخيرة من الجذع عندما ترد قبل حركة أخرى.



الرّسم البيانيّ 8. 21

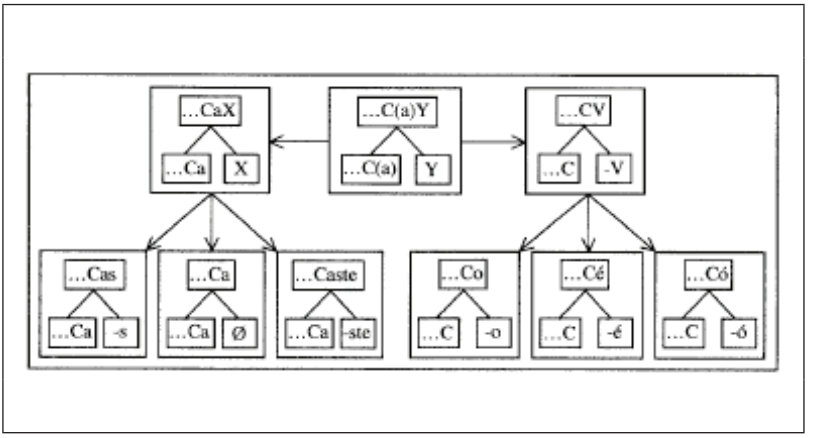
تحتمل مجموعة الشّبكات مثل تلك الواردة في الرّسم البيانيّ 8. 20، من حيث مثّلت كلّ واحدة منها تصريف جذع وحيد، تجريدَ خطاطات أخرى تعكس القاسم المشترك بين مجموعات أخرى من الأشكال. لنأخذ مثالا وحيدا، يصوّر الرّسم البيانيّ تجريدا خطاطيّا متأسِّسا على الأشكال الواردة في الصّفّ العلويّ من الرّسم البيانيّ 8. 18 (الأشكال المصرّفة مع المتكلّم المفرد في الزّمن الحاضر). ومن المفروض أن يتبيّن أنّ أيّ عدد

مـن القوالب القابلة للتّمييز داخلَ الجـداول التّصريفيّة أو عبرها، يمكن أن يُمسَـك بها باعتماد الخطاطات، بالطّريقة نفسها. وتكمن معرفة متكلّم ما بهذه الجداول في مجموعة شاسـعة من التّجميعات الخطاطيّة والمخصوصة الّتي تتنضّد في شـبكات متداخلة النّسـيج. وتُمثِّل التّجميعات المخصوصة الأشـكالَ المتعلَّمَة الّتي مرّت بجميع المراحل منـذ كانت منتظمة داخل النّظـام وصولا إلى كونها ذات تفرّد سـلوكيّ نحويّ بصفة كلّيّة. وتُمثِّل التّجميعات الأكثر خطاطيّة النّظاميّةَ الكامنة في المعطيات مأخوذة عند أيّ مستوى من مستويات التّجريد.



الرّسم البيانيّ 8. 22

تُجرَّد خطاطةٌ شـبيهة بتلك الواردة في الرّسم البيانيّ 8. 22، لكلّ موضع فـي جدول تصريفـيّ، أي لكلّ صفّ في الرّسـم البيانيّ 8. 18، على سـبيل المثـال. وتكوِّن هـذه الخطاطاتُ والخطاطـاتُ من المسـتوى الأعلى الّتي تحمِلهـا، الشّـبكةَ المعروضةَ في الرّسـم البيانيّ 8. 23. وهـي مُجتمِعةً توفّر التّوصيف لقسم تصريفيّ ما. وتمثّل الشّبكة الخطاطيّة بكاملها (ولم ننظر إلاّ في قطعة منها بطبيعة الحال) تعميما من مسـتوى أعلى يتعلّق بتصريف الفعل. وباسـتدعائها، يهتدي متكلّم يَعرَض له فعـل جديد منتهٍ بحركةِ [*a*]، اهتداء مباشـرا إلى أيّ شـكل مصرَّف ويمكنه أن يسـتعملَه بثقة تامّة في أنّه سوف يكون مقبولا على أنّه تواضعيّ.



الرّسم البيانيّ 8. 23

تتمثّل الرّسالة في نهاية المطاف في أنّ المفاهيم المركزيّة في النّحو العرفنيّ قادرة على معالجة قدر كبير جدّا من الظّواهر اللّغويّة. وتستوعب الأبنية القليلة الّتي يسمح بها شرط المضمون والجاريةُ في توليفات متنوّعة ذات أبعاد متعدّدة عند مستويات مختلفة من التّنضيد، بطريقة مباشرة، ظواهر شتّى في ظاهر الأمر، وهي غالبا ما تعالَج الواحدةُ منها بمعزل عن الأخرى في الأطر النّظريّة الأخرى. وبالإضافة إلى ذلك، يكون التّفسير الّذي تقدّمه تلك الأبنية، وفقَ المبادئ الأساسيّة في النّحو العرفنيّ، تفسيرا موحَّدا ومقيِّدا ومقبولا من زاوية نفسيّة.

هوامش الفصل

[1]- إن كان بالفعل في رأس الواحد منّا نَحوٌ، فمن ذا الّذي يرجع إليه هناك؟

[2]- تذكّر مناقشة الدّلالة الموسوعيّة (§ 2. 1. 3) والنّماذج البَدْئِيّة المفهوميّة (الفصل 4). وممّا يُستغَلّ لغايات لغويّة كذلك ظواهر ذهنيّة أساسيّة من قبيل الإدراك والتّداعي والتّجريد والمقْوَلة والتّشييء والإيقاع والتّتابع الزّمنيّ والتّحكّم الحركيّ العضليّ.

[3]- أَستعمِلُ مصطلح "قاعدة" في معنى محايد، إشارة إلى كلّ ما يكون مسؤولا عن القوالب ومظاهر الانتظام في لغة ما. ويستعملها المنظّرون في الغالب استعمالا أضيق، في ما يُطلَق عليه هنا "القواعد البنائيّة".

[4]- هذه المقاربة القائمة على التّصفية من بقايا النّكتة القديمة المهترئة الّتي تتعلّق بكيفيّة نحت الفيل: تبدأ بكتلة عظيمة من المرمر، ثمّ تزيل بالمطرقة كلّ شيء لا يشبه الفيل.

[5]- الوحداتُ المعجميّةُ تعتبَر كذلك عند المنظّرين الّذين يزعمون وجود فصل واضح بين المعجم والإعراب، على افتراض أنّ هذا الأخير يتكوّن من القواعد العامّة. وبما أنّ النّحو العرفنيّ يقرّ بوجود القوالب النّحويّة في جميع المستويات من التّعميم، يُعتبَر المعجم والنّحو استرسالا.

[6]- في بعض الظّروف، يمكن لوحدة ما (مثلا، عنصر معجميّ جديد) أن تُتعلَّم منذ وهلة التّعرّض الأولى. ولذلك، قد يكون العدد الهائل من أحداث الاستعمال أقلَّ أهمّيّة من مقدار يسير من الأثر النّفسيّ التّراكميّ (بما يشتمل عليه من عوامل إضافيّة من قبيل البروز العرفنيّ).

[7]- يوفّر طوماسلّو 2003 وصفا شاملا (وإن كان بالضّرورة أوّليّا) للاكتساب اللّغويّ من منظور متأسِّس على الاستعمال.

[8]- على كلّ من المتكلّم والسّامع إنجاز هذه المقوَلَة، إذ يُؤوِّل كلاهما حدثَ الاستعمال [U] على أنّه عيّنة من اللّغة [L]. ويطلَق على العلاقة بين اللّغة [L] وحدث الاستعمال [U]، في النّحو العرفنيّ تسمية الشّفرة لأنّها متوفّرة في آن واحد في مهمّة المتكلّم في "تشفير" الوضعيّات ومهمّة السّامع في "فكّ شفرة" العبارات.

[9]- بعبارة دقيقة، تكون الوحدة [B] خطاطيّة في علاقتها بنسخة من (B) الّتي تَجري في أيّ حدث استعمال مخصوص (إذ يكون كلّ حدث من هذا القبيل متفرّدا عندما يُفحَص بما يكفي من التّفصيل).

[10]- هذا لا يستلزم بالضّرورة أنّ [*ma*] لم تَعُد ممكنة. يمكن أن يوجد النّطقان وجودا متزامنا إلى ما لانهاية له، ربّما في شكل بديلين أحدهما مألوف عفويّ والآخر رسميّ متكلّف.

[11]- يمكن أن تؤخذ العلاقة بين المعنيين على أنّها عيّنة من الاستعارة، تتعلّق [MAIL] بالمجال المصدر و[EMAIL] بالمجال الهدف. ويمثّل فقدان التّبرير ("اهتراء" الاستعارة) حالة خاصّة يكون فيها النّقص التّدريجيّ في قابليّة التّحليل (§ 3. 2. 2) الّذي تتميّز به الوحدات المعجميّة.

[12]- ليست بنيةُ مقُولة مركّبةٍ ما، في نقطة زمانيّة ما، بالضّرورة، انعكاسا مباشرا للكيفيّة الّتي بها تتطوّر في التّاريخ أو في الاكتساب اللّغويّ. فخلال عقدين أو يكاد من الزّمن، على سبيل المثال، يعاد تشكيل الشّبكة الدّلاليّة المقترنة بـ[*mail*]، فلم تعد فيها [MAIL] طرازا ذا حدود بيّنة (ولذلك ظهرت كلمة [*hard mail*] لتجنّب الخلط). ويمكن أن نستبق غلبةَ [EMAIL]، في نهاية المطاف، لتكون المعنى الطّرازيّ، فتصير وقتها [MAIL] توسيعا له. ولعلّ ذلك قد حدث، بالفعل، في بعض الدّوائر.

[13]- قدّم منوالُ الشّبكة، في الأصل، تفسيرا بديلا عن الفكرة الغالبة وقتها والقائلة بأنّ بنية مفردة تكفي لتحديد مقولة. للاطّلاع على مناقشة عامّة في الاسترسال مقابل التّفاصُل، انظر لانقاكر 2006.

[14]- بعبارة عامّة، هذه الخصائص من مميّزات منوال المعالجة "الترابطيّة" (أو "الشّبكة العصبيّة") الّذي يقوم على انتشار الإنشاط وإبطاله (كولينس ولوفتوس 1975؛ إلمان وماكللاّند 1984؛ ماكونّاي 1987؛ ريجياي 1996).

[15]- يتعلّق هذا الحكم بالبنية الدّاخليّة للإسمائيّات، لا بالحالات الّتي تكون فيها صفةٌ خارج عنصر إسمائيّ توصِّفه (مثل، [*The giraffe is tall* "الزّرافة طويلة"]. والمعنِيُّ بصفة "بسيطة" وجب التّصريح به؛ فهي تتضمّن على سبيل المثال الصّفات المسبوقة بظروف (كما في [***very tall****giraffe*]) لا تلك المتبوعة بمركّب حرفيّ ([***tall beyond belief****giraffe*]). وعلينا كذلك أن نسمح بتعدّد الصّفات (كما في [*big, bad wolf* "ذئب شرس، كبير"] حيث لا يمكن أن تسبق الاسمَ مباشرةً إلاّ صفةٌ واحدة. ومبدئيّا، وجب أن تقدَّم هذه التّوضيحات وهذه الأوصاف لكلّ مثال تقريبا. لكنّ النّاحية العمليّة تفرض حذفها عندما لا تؤثّر على استقامة الأساس في النّقطة الّتي نكون بصدد دراستها.

[16]- يواجه المتخاطبان كلاهما هذا المشكل، وإن بشكلين مختلفين اختلافا طفيفا. فالمتكلّم يقصد إلى أن تكون [*tall*] محوّرة لـ[*giraffe*] ويحتاج إلى أن يجد أدوات تواضعيّة للتّعبير عن ذلك. والأبنية نفسها وعمليّات المقولة نفسها ماثلة في فهم السّامع لتلك العبارة وتحدِّد إن كانت مقبولة على أنّها عاديّة أو مدرَكة على أنّها شاذّة. وكلّ واحد من المتخاطبَين، إلى حدّ ما، يؤدّي دور الآخر كذلك: يتخيّل المتكلّم ما يواجهه السّامع وهو يحاول فهمَ العبارة، ويتخيّل السّامع ما يُحتمَل أن يكون المتكلّم قد قصد إليه في إنتاجها.

[17]- بعبارة أدقّ، تحدّد تلحيق [d] أو [t]، أو[ɘd] حسب خصائص الجذع الصّوتميّة. فيكون على ذلك لخطاطة القالب العامّ ثالوث من الخطاطات الفرعيّة ذات الرّسوخ المتين تصف البدائل الخصوصيّة.

[18]- لهذا السّبب، تستمرّ الأشكال غير القياسيّة بوجه صارخ- مثل الأشكال المتنوّعة من [*were*] ،[*was*] ،[*are*] ،[*is*] ،[*am*]) [*be*])- على وجه جيّد في الكلمات ذات التّواتر الأعلى.

[19]- يحيل الضّمير [*po*-] على الغائب المفرد، ولذلك يُتَرْجَم إمّا بـ [*him*] أو [*her*] أو [it]. والحروف في نهاية الكلمة من [*hunwut*] و[*nawitmal*]، هي نهايات أسماء تُحذَف مع عناصر الموقعة البعديّة وفي الأشكال المشتقّة وعندما يكون الاسم مملوكا.

[20]- اقتصار النّحو العرفنيّ على الأحكام الإثباتيّة (الّتي تقصي المصافي) ليس عقيدة متحجّرة بل هو فرضيّة عمل. فلا يتغيّر إطار العمل تغيّرا كبيرا لو تبيّن أنّ المتكلّمين يتعلّمون أحيانا موانع مخصوصة كذلك. يبيِّن هذا المثال كيف يمكن أن تُجتنَب المصافي في بعض الحالات الّتي تبدو، في الوهلة الأولى، أنّها مقتضية إيّاها.

[21]- هذه الأدوات مقصاة في النّحو العرفنيّ بـ"شرط المضمون"، بحكم افتقارها إلى أيّ مضمون ذاتيّ صوتميّا كان أو دلاليّا. ولا يقتضي استعمالها في بعض المناسبات لغايات الاختصار أنّ لها نظيرا مباشرا في العرفنة.

[22]- يمكن لعنصر معجميّ ما أن يشتمل على عائلة من الأشكال المتنوّعة (انظر لانقاكر 1987: § 10 . 3. 3).

[23]- يمكن العثور على معالجة مستفيضة في غولدبارغ 1995. يُسمّى المركّب الجُمَليّ "متعدّيا إلى مفعولين" لأنّه ليس متعدّيا فقط بل يكون له متمّمان اثنان شبيهان بالمفعول به. ويشير مصطلح "التّنقّل المسبَّب" إلى علاقة بجمل من قبيل [*He threw the cat over the fence* "(هو) رمى القطّ من على السّياج"]، حيث يَجعل الفاعلُ المفعولَ به يتنقّل على امتداد المسلك الّذي يبيّنه المركّب الحرفيّ.

[24]- في حدود ما تكون به المكوّنات الأخرى مخصَّصة بدل أن تكون خطاطيّة، فإنّها تُؤلِّف المتلازماتِ اللّفظيّة النّموذجيّة. فعلى سبيل المثال، تظهر الوحدة العباريّة [*burnt toast* "شريحة (خبز) محروقة"] في التّوصيف الشّامل لكلّ من [*burnt* "محروق"] و[*toast* "شريحة خبز"]، ممثّلة بذلك أنّ كلّ واحد منهما يجري في العادة (متلازما) مع الآخر.

[25]- هذا صحيح، بوجه خاصّ، مع الأفعال الّتي تُتعلّم أوّلا في سياقات بنيويّة مخصوصة، ثمّ لا تُعمَّم إلاّ لاحقا (طوماسِلّو 1992، 2003). وبطبيعة الحال، لا ننفي أنّ بعض العناصر المعجميّة يمكن أن تتعلَّم بطريقة مستقلّة عن الأطر (مثلا، بالنّظر في قاموس)، أو أنّ الأشكال المتعلَّمة في إطار بعينه يمكن أن تُوسَّع إلى سياقات أخرى يتميّز بها القسمُ النّحويّ الّذي تنتمي إليه. والنّقطة هنا، تتمثّل ببساطة في أنّ وضع الوحدات المعجميّة في الأطر البنيويّة المناسبة أمر زائف إذ تُمثّل أيّ ثنائيّة ضيّقة أمرا مصطنعا منذ البداية.

[26]- إضافة إلى ذلك، تجري [*too*] دائما جزءا من كلمة أكبر، جاعلة منها أقلّ استقلالا صرفيّا من الكلمة الإنجليزيّة [*rock*]. وتجري اللاّحقة [*-ta*] في المطلق عندما يستقيم الاسم بمفرده في ما عدا ذلك. مثل نهايتي الكلمة [*-t*] في [*hunwut*]، و[*-l*] في [*nawitmal*] (انظر الهامش 19)، تقبل [*-ta*] التّحليلَ على أنّها مكافئة دلاليّا لخطاطة الاسم.

[27]- يكون من المناسب إظهار المتنقّل في كلّ من موضعيه البدئيّ والنّهائيّ. يشير خطّ التّناسب المنقّط إلى أنّ الوحدات الّتي تحلّ في ذينك الموضعين هي نفسها.

[28]- ممّا يدعم هذه التّوصيفات من الأدلّة، أنّ الإسمائيّ الّذي يُعيَّن معلما للفعل (أو مفعولا به)، يشتغل في كلّ حالة فاعلا للفعل المبني للمجهول المناسب له: [*I was sent another brochure* "أرسِل إليّ دليل آخر"]، [*The new letter was sent to all the applicants* "أرسِلَت الرّسالةُ الجديدة إلى جميع المترشّحين"]، [*More information can be sent for at any time* "يمكن أن يُرسلَ في طلب معلومات إضافيّة في أيّ وقت"].

[29]- انظر غولدبارغ 1995. في فحص رسوم تخطيطيّة من هذا القبيل، تذكّر دائما حدود استعارة الشّبكة (نوقشت في نهاية الفقرة § 8. 1. 3).

[30]- تبرهن سويتسر 1990 على أنّ الأمر كذلك حتّى في الحالات الّتي تبدو واضحة بصفة مباشرة مثل توليف صفة مع اسم في بنية [ADJ N].

[31]- لا أدّعي أنّ السّيناريو الّذي وُصِفَ قبيل هذا يمثّل بالضّرورة مجريات التّطوّر الفعليّ للأشكال المتعدّية إلى مفعولين. فالغاية منه تتمثّل فقط في بيان أنواع العمليّات الّتي تستدعى بصفة معقولة لازدياد المقولات المركّبة والتّفاعل بين المعاني المعجميّة والبنائيّة.

[32]- بالإضافة إلى ذلك، تكون العلاقة بين المقوَلَة المجرّدة خطاطيّا وأيِّ مقوَلَة مخصوصة، في ذاتها علاقة مقوَلَة يجيزها البند (iii).

[33]- تذكّر دائما أنّ الرّسم البيانيّ 8. 14 مبسّط من نواح مختلفة. فهو لا يعرض المكوّنيّة أو الأبنية المركّبة أو القطبَ الصّوتميّ. ولا هو يعرض المعنى المزيج النّاتج عن مقولَة الفعل بفعل النّقلَة الخطاطيّ (يرد ذلك على حدة في الرّسم البيانيّ 8. 15). ورغم الخانة ذات الزّوايا المَستديرة، فإنّنا ننظر إلى الطّور الّذي يكتسب فيه التّشكّل بتمامه منزلة وحدة ما.

[34]- يحدث التّوسيع عند القطب الدّلاليّ من العبارة الدّالّة على المكان. لاحظ أنّ المعنى الأساسيّ ليس بالضّرورة أكثر المعاني تواترا ولا أبرزها عرفنيّا. لئن استحضرت كلمة [تشيرنوبيل] الكارثة النّوويّة عوضا عن المكان الّذي حدثت فيه، يظلّ الاسم، رغم ذلك، مفهوما على أنّه مجاز من المكان الأصليّ. فلا حاجة، على هذا، إلى أن يكون المعنى الأساسيّ (كما يحدّده اتّجاه قالب مجازيّ) والمعنى الأسهل إنشاطا، معنى واحدا. وفي حالة [فيتنام] يبدو المعنيان راسخين رسوخا متينا بدرجة واحدة.

[35]- تمسك الخطاطات من المستوى الأعلى، من هذا القبيل، بأنواع الانتظام الّتي عالجتها الصّوتميّة التّوليديّة بواسطة قواعد تشتقّ التّمثيلات الصّوتيّة من الأبنية الكامنة. للاطّلاع على مقارنة بينهما، انظر لانقاكر 1987: 443 - 444؛ 1999a: الفصل 4.

[36]- في نهاية المطاف، لا يتغيّر شيء إن كانت الحالة كذلك. الخطاطات الّتي تحدّد القسم التّصريفيّ قادرة على الانبثاق بصرف النّظر عن كون الأشكال المصرّفة من أيّ فعل مفرد كان، جميعا، ذات منزلة الوحدة. وبصفة أعمّ، لا يتطلّب تجريد خطاطة ما إلاّ جريان تحقّقات لها متنوّعة بما يكفي من الكثرة لتنفيذ تقوية السّمات المشتركة. فهو لا يتعلّق بأيّ تحقّق وحيد جار، جريانا كافيا في الأغلب ليرسُخ على أنّه وحدة.

القسم الثّالث: الأبنية

9. التّجذير

أُنْظُر فـي هيكل مركّب جُمَليّ لا يتكوّن إلاّ مـن الوحدات المعجميّة [*girl* "بنت"]، و[*like* "حَبّ"]، و[*boy* "فتى"]، حيث تبلور [*girl*] منتقلَ الفعل [*like*]، وتبلـور [*boy*] معلمَـه: [*boy girl like* "بنت حبّ فتى"]. ولئن كان هذا المركّب الجُمَلـيّ منسـجما مفهوميّا، فهو غيـر ذي فائدة كبيـرة. فالعلاقة المعروضة مشـترَكة بيـن ما لا يحصى مـن الوضعيّات الّتـي لا تختلف فـي التّفاصيل فقـط، بل تختلف كذلك وبوجه أهمّ، فـي الكيفيّة الّتي بها ترتبط بوضعيّة الكلام. فهي ماثلة، على سـبيل المثال، في جميع العبارات التّالية: [*the girl likes* "البنـت تحـبّ ذلك الفتـى"]؛ [*this girl may like some boy* "قد تحبّ هذه الفتاة فتى ما"]؛ [*some girl liked this boy* "فتاة ما أحبّت هذا الفتى"]؛ [*each girl likes a boy* "كلّ فتاة تحبّ فتى"]؛ [*a girl will like the boy* "سوف تحبّ الفتى فتاة"]؛ [*every girl should like some boy* "كلّ فتـاة ينبغـي أن تحبّ فتى"]؛ [*no girl liked any boy* "لم تحبّ أيُّ فتاة أيَّ فتى"]؛ وما إلى ذلك. ورغم المضمون المعجميّ المشترك بين هذه الجمَل، فهي متمايزة دلاليّا إلى حدّ كبير، من حيث تقول عن العالم أشياء مختلفة كثيرا. وتتعلّق الاختلافات بمراجع الإسمائيّات وبمنزلة العمَليّة المعروضـة باعتبار الزّمن والواقع. وفي الحالتين، ينشـأ ذلك التّقييم في ضوء التّفاعل بين المتكلّم والسّامع في سياق الخطاب الجاري.

ومـا يرتق الفجوة بين [*girl like boy*] والعبـارات التّامّة المذكورة قبيل هذا، إنّما هي عناصر التّجذير. يُستعمَل مصطلح التّجذير في النّحو العرفنيّ للإشارة إلى حدث الكلام، وإلى المشاركين فيه (المتكلّم والسّامع)، وإلى التّفاعل بينهما، وإلى الملابسـات المباشرة (زمان الكلام ومكانه، خاصّة).[1] يحدِّد العنصرُ المجذِّر منزلةَ الشّيء الّذي يعرضه إسمائيّ أو منزلةَ العمليّةِ الّتي يعرضها مركّـب جُمَليّ منتـه، إزاء الأرضيّة. فمن خلال التّجذير الاسـميّ (مثلا، [*the* "الـ"]، [*this* "هذا"]، [*that* "ذلك"]، [*some* "بعض"]، [*a* "علامة النّكرة"]، [*each* "كلّ واحـد"]، [*every* "كلّ واحد"]، [*no* "لا"]، [*any* "أيُّ"])، يوجّه المتكلّم

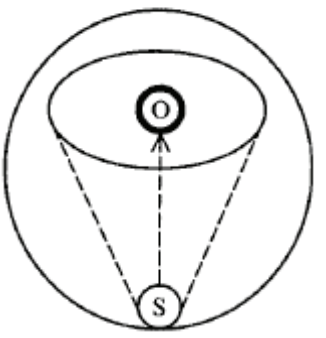
انتباهَ السّامع إلى المرجِع المقصود في الخطاب الّذي قد يطابق فردا حقيقيّا وقد لا يطابقه. ويُمَوضِع التّجذيرُ الجُمَليُّ (مثل [*-s* "زمن حاضر، تصريف مع الغائب المفرد"]، [*-ed* "علامة تصريف الفعل الماضي"]، [*may* "يمكن"]، [*will* "سوف"]، [*should* "ينبغي؛ قد"])، العلاقةَ المعروضة باعتبار التّصوُّر الجاري عند المتكلّم للواقع. وبهذه الطّريقة، يقيم التّجذيرُ رابطا أساسيّا بين المتحاورَين والمضمونِ الّذي يُستحضَر بإسمائيّ أو بمركّب جُمَليّ منته. وإن تُرِكَ هذا المضمون غيرَ مُجذَّر، لا يكون له موضع قابلٌ للتّمييز في عالمهما الذّهنيّ ولا يمكن له أن يُجعَل متّصلا بوضعيّتهما. فيظلّ ببساطة طافيا غير مربوط كما لو كان شيئا لا طائل منه.

9. 1 الانبناء الذّاتيّ والانبناء الموضوعي

لا تحيل عناصر التّجذير بذاتها على الأرضيّة إحالة صريحة رغم أنّها تؤدّي الوظيفة المخصوصة المتمثّلة في ربط شيء معروض أو عمليّة معروضة بالأرضيّة. فعلى سبيل المثال، يصف اسم الإشارة [*this* "هذا"]، في وجه من وجوه معناه، الشّيءَ الّذي يشير إليه على أنّه "قريب من" المتكلّم (وليس من الضّروريّ أن يكون ذلك القرب في المعنى الفضائيّ). ولكن بالمقارنة مع العبارات غير المُجذِّرَة، مثل [*close to me* "قريب منّي"] أو [*near me* "بالقرب منّي"]، الّتي تَذكُر المتكلّمَ خصّيصا وتبئّره على أنّه المعلَم، يتركه اسم الإشارة ضمنيّا. وبالفعل، لا توجد طريقة مباشرة لذكره صراحة - إذ يمكن أن نقول [*this person* "هذا الشّخص"]، ولكن لا يمكن أن نقول [*the person this me* "*الشّخص هذا ـني"] (انظر [*the person near me* "الشّخص الّذي بالقرب منّي"]). وقياسا على هذا، يكون صرفم الزّمن الماضي [*-ed*]، قابلا للمقارنة بصفة مجملة مع المركّب الجُمَليّ غير المجذِّر [*before now* "قبل الآن"]، ولكنّه لا يذكر زمنَ التّكلّم ذكرا صريحا. فمن خصائص العبارات الّتي حُدِّدت بكونها عناصر مجذِّرَةً، أنّ الأرضيّة فيها تظلّ خفيّة، بالتّحديد. فالأرضيّة كامنة في الأساس المفهوميّ الّذي يحمل معانيها دون أن تَمثُل على الرّكح موضوعًا للتّصوّر مُبأّرا.

يعكس التّجذيرُ، بهذه الطّريقة، عدمَ التّناظر بين الذّات المتّصوِّرة وموضوع التّصوّر. أي المتَصوِّر وما يجري تصوُّره.[2] فدور الذّات ودور الموضوع وجهان من علاقة تَصَوُّرٍ تُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 9. 1. تنهضُ الذّات (S)، بنشاطِ التّصوُّر فتكون موطنَ التّجربة التّصوّريّة، ولكنّها لا تُتصَوَّر هي

بنفسها من حيث نهضت بدور الذّات المتصوِّرة. ويكمن واحد من المظاهر الأساسيّة في نشاط الذّات، في توجيه الانتباه. تنتبه الذّات المُتَصوِّرة [S]، داخل مدى الوعي التّام، إلى منطقة معيّنة - هي بعبارة استعاريّة، المنطقةُ الماثلة "على الرّكح" - ثمّ تُفرِد في مستوى ثان عنصرا ماثلا على الرّكح متّخذةً إيّاه بؤرة للانتباه. هذا هو، بأخصّ ما يكون، موضوعُ التَّصَوُّر (O). وإلى حدود ما تكون فيه الوضعيّة منقسمة إلى قطبين بوجه تتمايز فيه الذّات المتصوّرة (S) وموضوع التّصوّر(O)، تمايزا واضحا، يمكننا أن نقول إنّ الذّات المتصوِّرة (S) منبنية انبناء ذاتيّا، وإنّ موضوع التّصوّر (O) منبن انبناء موضوعيّا. تنبني الذّات المتصوّرة (S) انبناء في أقصى درجات الذّاتيّة عندما تشتغل ذاتا متصوِّرة، بوجه حصريَّ: بحكم الافتقار إلى الوعي بالذّات لا يكاد يكون حضور الذّات المتصوِّرة إلاّ حضورا تصوّريّا يستغرقه إدراك موضوع التّصوّر (O) استغراقا كاملا. وعلى عكس ذلك، ينبني موضوع التّصوّر (O) بموضوعيّة قصوى عندما يُرصَد رصدا واضحا ويُحدَّد تحديدا بيّنا باعتبار الأشياء المحيطة به والذّات الملاحِظة، في آن.



[موضوع التّصوّر = O]، [فاعل التّصوّر = S]،

[توجيه الانتباه = السّهم المتقطّع]،

[الشّكل البيضويّ الخارجيّ = مدى الوعي التّامّ]

[الشّكل البيضويّ الدّاخليّ = المنطقة الماثلة على الرّكح]

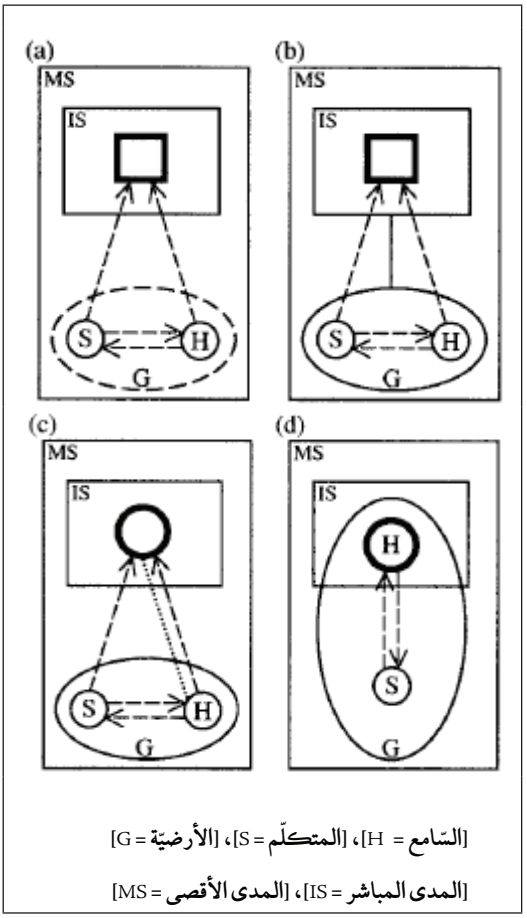
الرّسم البيانيّ 9. 1

تُتمثَّل هذه الأفكار بأيسر وجه عندما تتعلّق بالإدراك البصريّ. ففي الإبصار، تكون الذّات المدركة هي الرّائي - جهاز الإبصار (العينان، إلخ)، على وجه الخصوص، وكذلك موقع التّجربة الذّاتيّ داخل الرّأس (زاوية النّظر الّتي تُبنَى بناء ذهنيّا ومن خلالها «نُطِلّ» على ما يحيط بنا). فعند لحظة معيّنة، يتكوّن المدى التّامُّ للوعي من كلّ شيء يقع في حقل الإبصار، والمنطقةُ الماثلة على الرّكح هي الجزء الّذي يتركّز فيه الانتباه في تلك اللّحظة. فموضوع الإدارك، حينئذ، هو بؤرة الانتباه البصريّ - يعني الوحدة الماثلة على الرّكح الّتي يكون النّظر إليها خصّيصا. والعينان منبنيتان بأقصى ما يكون من الذّاتيّة لأنّهما تريان ولكنّهما لا تُريَان في ذاتهما. وينبني ما تريانه، عندما يُفحَص عن كثب وبكلّ وضوح بصريّ، بأقصى ما يكون من الموضوعيّة. وينبني بدرجة من الموضوعيّة أقلّ، كلُّ ما عدا ذلك من الأشياء الّتي تُرَى في تلك اللّحظة ما كان منها ماثلا على الرّكح وما كان ماثلا خارجه. بل يتضمّن مدى الوعي أجزاءً من جسد الرّائي نفسِه تكون قابلة للإدراك بصفة غائمة في التّخوم القصيّة من حقل الإبصار.

يشتمل التّصوّر، في ضوء التّعريف الجامع المعتمَد في النّحو العرفنيّ، على الإدراك من حيث مثّل هذا حالةً خاصّة من ذاك. وبناءً على مظاهر التّماثل الكثيرة الّتي يمكن ملاحظتها بين الإبصار والتّصوّر غير البصريّ (طالمي 1996؛ لانقاكر 1993، 2001b؛ 1999a: الفصل7)، يجري المصطلحان الرّؤية والرّائي، بالفعل، على كليهما في النّحو العرفنيّ. وتنصبّ عنايتنا هنا على التّصوّرات الّتي تُستحضَر معانيَ للعبارات اللّغويّة. وفي ما يخصّ المعاني اللّغويّة، يكون المتصوِّران الرّئيسيّان المتكلّمَ والمخاطَب اللّذين يمثّل التّفاعلُ بينهما خلال إنتاج عبارة ما وفهمها الأرضيّةَ. وبهذا الشّكل، يشتغل كلاهما منفصلين ومجتمعين في آن، ذاتين متصوّرتين. وعلى هذا، يمكن أن يطابقَ معروضُ عبارة ما والمدى المباشرُ والمدى الأقصى، تباعا، بؤرةَ الانتباه والمنطقةَ الماثلة على الرّكح ومدى الوعي التّامَّ. وينبني المعروض، من حيث كان موضوعَ التّصوّر المُبأّرَ، بأقصى درجات الموضوعيّة.

يمكن أن يُقدَّم الرّسم البيانيّ 9. 2 (a) على أنّه مخطّط أساسيّ لمعاني العبارات. تتكوّن الأرضيّة (G)، مبدئيّا، من المتكلّم (S)، ومن السّامع (H)، ومن التّفاعل بينهما في مقام الكلام.[3] وإذ كانت المعاني تصوّراتٍ يكون فيها المتكلّم (S) والسّامع (H) ذاتين متصوِّرتين، تكون الأرضيّة

ماثلة، بدرجة دنيا على الأقلّ، في معنى كلّ عبارة. يشير الشّكل البيضويّ ذو الخطوط المتقطّعة الّذي يتضمّن الأرضيّة (G)، إلى هذا الحضور الأدنى. وتمثّل السّهام المتقطّعة توجيه الانتباه الّذي يحدث في قناتين مختلفتين. أوّلا، يعتني المتحاوران، الواحد منهما بالآخر، يكون ذلك جزءا من التّفاعل الكلاميّ. ثانيا، يوجّهان انتباههما إلى الوحدة المبأَّرة الماثلة على الرّكح - أي معروض العبارة - الّتي يمكن أن تكون شيئا أو علاقة.



الرّسم البيانيّ 9. 2

وعادة ما تتجاوز مشاركةُ الأرضيّة هذا الحضورَ الأدنى. ففي الاستعمال الفعليّ، تستحضِر كلّ عبارة تقريبا، وجها من وجوه الأرضيّة بالإضافة إلى المتكلّم والسّامع في دور الذّاتين المتصوَّرتين. فيقوم، بذلك، رابط آخر بين

الأرضيّة والوضعيّة الماثلة على الرّكح، كما يشار إلى ذلك بالخطّ الصّلب في الرّسم البيانيّ 9. 2 (b). ولا يحتاج هذا الرّابط إلى أن يكون بارزا، فهو في الغالب، يترك الأرضيّـةَ على هامش الوعي. فكلمة [*tomorrow* "غدا"]، مثلا، تَستحضِر زمنَ التّكلّم من حيث كان نقطةً زمنيّة مرجعيّة، ولكنّها لا تحيل عليه إحالة صريحة. ورغم أنّ لحظة التّكلّم قد اُستُدعِيَت لتحديد الوحدة المعروضة (وهي اليومُ الموالي)، فإنّها تظلّ خارج الرّكح وتبقى ضمنيّة، فتنبني بذلك انبناء ذاتيّا إلى حدّ كبير. ويكمن كذلك رابط بالأرضيّة في كلّ عبارة يتضمّن مدلولُها موقفَ المتكلّم إزاء عنصر ماثل على الرّكح (مثل شحنة التّهجين المقترنة بكلمة [*commie* "شيوعيّ" (أسلوب تهجين)] مقارنة بكلمة [*communist* "شيوعيّ"]) أو اقتصارَها على مقامات اجتماعيّة مخصوصة (مثل درجة الشّكليّة المتناقصة من [*urinate* "تبوّل"]، فـ[*pee* "تبوّل (أقلّ شكليّة)"]، فـ[*piss* "تبوّل" (استعمال فظّ، أدنى درجات الشّكليّة)]).

يتمثّل الرّابط بين الأرضيّة والوضعيّة الماثلة على الرّكح، من حيث كان حالة خاصّة، في انتقاء وجه من الأرضيّة (G) واتّخاذه بؤرة للانتباه ينبني بها على أنّه ماثل على الرّكح انبناء موضوعيّا. فالضّمير [*you* "أنت"]، على سبيل المثال، يجعل السّامعَ ماثلا على الرّكح من حيث كان معروضا له. يُعرَض ذلك، في الرّسم البيانيّ 9. 2 (c)، بواسطة خطٍّ تَناسبٍ يسوّي بين السّامع (H) والشّيء المعروض. ولهذا الرّمز مزيّة في الإشارة بوجه صريح إلى دور السّامع المزدوج من حيث كان ذاتا متصوِّرة وموضوعا للتّصوّر في آن. فنحصل على التّمثيل المناوب في الرّسم البيانيّ 9. 2 (d) بالمطابقة بين العناصر المتناسبة. ولهذا الرّمز مزيّة في الإشارة بوجه مباشر إلى دور السّامع الماثل على الرّكح من حيث كان مرجعَ الإسمائيّ. ولكن يخفَى نوعا ما دورُ السّامع المزامنُ من حيث هو ذات متصوِّرة.

وعلى هذا، تكون الأرضيّة ماثلة بطرق كثيرة جدّا وبدرجات متفاوتة من الوعي الصّريح. فتكون الأرضيّة، عند أدنى درجات الحضور الّتي تُعرَض في الرّسم البيانيّ 9. 2 (a)، مجرّدَ جزء من الأساس المفهوميّ فتنبني لذلك بأقصى درجات الذّاتيّة. وعند الطّرف المقابل، كما تمثّله أشكال من قبيل [*I* "أنا"]، و[*you* "أنت"]، و[*we* "نحن"]، و[*here* "هنا"] و[*now* "الآن"]، يُجعَل وجه من الأرضيّة ماثلا على الرّكح موضوعا مُبَأَّرا للتّصوّر. فالوحدة المعروضة حينئذ منبنيـة بأقصى درجات الموضوعيّة الممكنة في تلك الوحدة. ولا يمكن

أن يكـون انبناؤها موضوعيّا تمـام الموضوعيّة أبدا، إذ تُمثِّل قابليّةُ التّميّزِ عن الأرضيّةِ عاملا يسـاهم في الموضوعيّة. وبسـبب الدّور المزدوج الّذي يكون لمتكلِّم معروض أو لمخاطَب معـروض، ينبني الواحد منهما بموضوعيّة من درجة أقلّ ممّا ينبني به شيء يكون متميّزا تميّزا كلّيا، وبذاتيّة من درجة أقلّ ممّا لو كان يؤدّي دور الذّات المتصوّرة فقط.[4]

وفي تعريف أوسـع، يمكن لكلّ بنية يكون فيها للأرضيّة حضور يفوق مجـرّدَ الحضور الأدنى، أن تُعتبَر ذات وظيفـةٍ تجذيريّة. ولئن كان هذا الأمر معقـولا، فقد يسـتتبع عنـه أنّ كلّ وحدة أو عبارة لغويّـة، عمليّا، يمكن أن توصَف بكونهـا عنصرا مجذِّرا (انظر الفصل 13). فقـد تكون الحاجة إلى مصطلـح متميّـز للتّعبير عن أنـواع مخصوصة من العناصـر المفصليّة في بنية الإسـمائيّات وفي المركّبات الجُمَليّـة المنتهية. يخصَّص مصطلح "التّجذير" فـي النّحو العرفنـيّ، للدّلالة على هذه العناصر الأخيـرة وعلى العلاقات الّتي تقيمهـا. ولا يؤخذنّ هذا على أنّه تلميح بأنّ العناصر المجذِّرَةَ يمكن دائما أن تُميَّز بوضوح، أو بأنّها تقيم بمفردها الرّوابط بالأرضيّة.

فكيف يكون تحديدها، إذن؟ تتدخّل معايير عديدة في هذا الأمر. أوّلا، رغم أنّ للأرضيّة حضورا يتجاوز المستوى الأدنى، تكون ماثلة خارج الرّكح وتنبنـي انبناء ذاتيّا، كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 9. 2 (b). فالعنصر المجذِّر لا يعـرِض وجها من الأرضيّة ولا ارتباطَها بالوحدة الّتي يجري تجذيرُها. فهذه الوحدةَ الأخيرة، أي الشّـيءُ الّذي يحال عليه بالإسمائيّ أو العمليّةُ الّتي يحال عليها بالمركّب الجُمَليّ المنتهي، هي ما يُجعَل ماثلا على الرّكح ومعروضا بالعنصر الّذي يجذّرها. ونتيجة لذلك، يكون للإسـمائيّ التّامّ أو للمركّب الجُمَلـيّ المنتهي، نفـس المرجع الّذي يكون للعنصر الّـذي يجذّره والّذي يمكـن أن يجري في الأغلب بمفرده ليدلّ عليه. فعند القراءة، مثلا، يمكنني أن أحيـل على الكتاب الّذي في يدي إمّا بقولـي [*this novel* "هذه الرّواية"] أو [*this* "هذا"] ببسـاطة. وتقصى من قسـم العناصر المجذِّرة (في تعريفها الضّيق) العباراتُ الّتي تعرض جزءا مـن الأرضيّة (مثل، [*before now* "قبل الآن"]، و[*near me* "بالقـرب منّي"]). فهذه العناصر تخرق الشّـرط الّذي ينصّ على أنّ الأرضيّة تنبني انبناء ذاتيّا.

يتعلّق معيـار ثان بالمضمون المعجميّ. فمعاني العناصر المجذِّرة خطاطيّةٌ إلى حدّ كبير ومقصورة على مقابلات أساسـيّة ذات طبيعة "إبسـتيميّة". فهي

توفّر إشارات دنيا ورغم ذلك أساسيّة إلى ما يعرفه المتكلّم والسّامع في خصوص منزلة الأحداث وتعيين المشاركين في الأحداث. ففي مركّب جُمَليّ منته في اللّغة الإنجليزيّة، يشير حضور عنصر جِهِيّ ما مقابل غيابِه إلى أنّ الحدوثَ يتبنّاه المتكلّم على أنّه حقيقيّ (مثل [*She is angry* "هي غاضبة"]) أو على أنّه مجرّد احتمال ([*She might be angry* "قد تكون/ لعلّها غاضبة"]). وتوفّر أسماء الإشارة في الإنجليزيّة، إذ تقسم عالمنا الذّهنيّ إلى منطقتين كبيرتين: "القريب" مقابل "البعيد"، أساسا يُعتقَد أنّه يكفي السّامعَ ليتأكّد من مرجع الإسمائيّ المقصود (مثل [*this novel* "هذه الرّواية"] مقابل [*that novel* "تلك الرّواية"]). قارن بين هذه العناصر والعبارات غير المجذِّرة من قبيل [*tomorrow* "غدا"]، [*several miles away* "على بعد أميال كثيرة"]، و[*indisputably* "بشكل غير قابل للدّحض (مسلَّم به)"]. فرغم أنّ هذه العناصر تستدعي كذلك الأرضيّةَ بصفة ظاهرة، يكون مضمونها المفهوميّ أكثرَ ثراء وأقلّ أساسيّة بكثير. فهي تفترض مسبقا مناويلَ عرفنيّة متبلورة: منوال الأيّام الّتي تجري في تسلسل، أو منوال قيس المسافة، أو منوال الجدل بين النّاس في صحّة قضيّة ما. والخيارات الّتي تحدّدها مستمَدّة من مجموعات ذات نهاية مفتوحة، عوض أن تكون مستمدّة من أزواج تقابليّة.[5]

ويهمّ معيار أخيرٌ المنزلةَ النّحويّة للعناصر المجذِّرة. فهي من زاوية دلاليّة تقع قريبا من القطب النّحويّ من مسترسل المعجم والنّحو. وتكمن معانيها المجرّدة خطاطيّا في الانبناء أكثر من كمونها في أيّ مضمون مفهوميّ مخصوص. وهي تنزع إلى الانتظام في مجموعات مغلقة من الأشكال المتضادّة تتحدّد بصفة جزئيّة باعتماد التّقابل بين الواحد منها والآخر. فتجذير المركّب الجُمَليّ في الإنجليزيّة، على سبيل المثال، يتمثّل بصفة رئيسيّة في التّقابل بين الحاضر ([ϕ] ،[*-s*]) والماضي ([*-ed*])، وفي التّقابل بين حضور عنصر جِهيّ وغيابه ([*may* "يحتمل/ يمكن"]، [*can* "يمكن/ يقدر"]، [*will* "سوف"]، [*shall* "سوف"]، [*must* "وجب"]). وهي تنزع كذلك إلى أن تكون منحصرة نوعا ما في الكيفيّة الّتي يكون بها توالفها مع العناصر الأخرى. فالعنصر المجذِّر، من حيث كان أساسيّا في تكوّن إسمائيّ أو مركّب جُمَليّ منته، غالبا ما يُدرَج باعتماد خطاطة بنائيّة تحصره في موضع بنيويّ مخصوص.

عندما يكون التّجذير ظاهرا وتتراكز هذه العوامل جميعها، تكوِّن العناصرُ المجذِّرة مجموعة واضحةَ المعالم بيّنةَ الحدود. وكذا الحال في الإنجليزيّة على نطاق واسع. غير أنّ الوضعيّة ليست كونيّة، بل يُحتمَل أن لا تكون نمطيّة. ولئن كان التّجذير وظيفة كونيّة، فإنّ تحقّقه يتنوّع تنوّعا كبيرا من لغة إلى أخرى. فلكلّ لغة رصيدها من الأدوات الّتي تخدم تلك الوظيفة. فبعضها مخفيّ أحيانا أو ذو منزلة وسطى من حيث اشتغاله عنصرا مجذِّرا. ولكنّ كلّ لغة توفّر، بوجه أو بآخر، وسائل تواضعيّة لبيان المكانة الإبستيميّة الّتي تكون لشيء معروض أو لعمليّة معروضة إزاء الأرضيّة.

2.9 النّوع مقابل النّموذج

التّجذير من مميّزات الأبنية الّتي يطلق عليها في النّحو العرفنيّ الإسمائيّات والمركّبات الجُمَليّة المنتهية. وبعبارة أدقّ، يعرض الإسمائيّ أو المركّب الجُمَليّ المنتهي نموذجا متجذِّرا من نوع الأشياء أو نوع العمليّات. فلفهم التّجذير، حينئذ، علينا أوّلا أن نفحص التّمييز بين النّوع والنّموذج من ذلك النّوع.

1.2.9 التّنظيم الإسمائيّ والمركّبيّ الجُمَليّ

الاسم والفعل مقولتان كونيّتان أساسيّتان في البنية النّحويّة. ويتمايز توصيفاهما المفهوميّان إلى أقصى حدّ، بالنّظر إلى كلّ من طرازيهما (أشياء ماديّة مقابل تفاعل ذي قوّة حركيّة) وخطاطتيهما (شيء مقابل عمليّة). ولكنّ الأفعال والأسماء، رغم التّقابل المطلق بينها، متشابهة كثيرا في مظاهر عديدة. ولكلّ واحد منهما، كما طرح في الفصل 5، قسمان فرعيّان أساسيّان (المعدود مقابل الكتلة، الانقضائيّ مقابل اللاّانقضائيّ) يتمايزان بطريقة مشابهة على وجه التّحديد. فالشّبه الكائن بين الاسم والفعل يتجاوز ذلك إلى دورهما في الأبنية النّحويّة من المستويات العليا. وعلى وجه الخصوص، للاسم بالإسمائيّ نفس العلاقة الّتي للفعل بالمركّب الجُمَليّ المنتهي.

تشبه الإسمائيّات والمركّبات الجُمَليّة المنتهية الأسماءَ والأفعالَ في أنّها كونيّة وأساسيّة من زاوية نحويّة. فكما يفعل الاسم يعرِض الإسمائيُّ شيئا؛ وكما يفعل الفعل يعرض المركّبُ الجُمَليّ عمليّة. وإذ كانت الإسمائيّات والمركّبات الجُمَليّة المنتهية تعرض بأنفسها الأشياءَ والعمليّات، فهي أسماء وأفعال، كما تعرَّف تعريفا واسعا في النّحو العرفنيّ. وهي متميّزة من الأسماء والأفعال في المعنى الضّيّق المعهود - الأسماء والأفعال "المعجميّة"-

بخصائص دلاليّة أخرى تتعلّق بوظيفتها الخطابيّة والعرفنيّة. والوظيفة الرّئيسيّة للعناصر المعجميّة وظيفة تصنيفيّة. فهي توفّر، من حيث كانت عبارات ثابتة، مخطّطا قائما لفهم العالم في ضوء مقولات قد أجيزت ثقافيّا على أنّها ذات فائدة ومناسَبة مجرّبتين. ومقابل ذلك، تكون الوظيفة الرّئيسيّة لإسمائيّ أو لمركّب جُمَليّ منته وظيفةً إحاليّةً. فهي توجّه الانتباه إلى شيء مخصوص أو إلى عمليّة ذات منزلة إبستيميّة معيّنة إزاء الأرضيّة. فمن خلال التّجذير يكون توصيفها للوحدة المعروضة سبيلا إلى تمييز هذه الوحدة من سائر العناصر في مقولتها، ولتعيينها لغايات الخطاب الحِينيّة.

تؤدّي العناصر المعجميّة وظيفتها التّصنيفيّة بإقامة تخصيصات للنّوع. فالاسم يشير إلى نوع من الأشياء والفعل يشير إلى نوع من العمليّات. ومن خلال الأسماء والأفعال في اللّغة، يكون للمتكلّمين الاهتداء الفوريّ إلى مخزونات هائلة من أنواع الأشياء والعمليّات الّتي يكون التّعرّف عليها عامّا والتّعبيرُ عنها سهلا. وتسمح تلك الأسماء والأفعال بتصنيف أوّليّ للوحدات المتصوَّرَة يكون لغايات لغويّة. فتكون بذلك نقطة البداية المعهودة بالنّسبة إلى عبارة إسمائيّة أو مركّبيّة جُمَليّة، اسما معجميّا أو فعلا معجميّا يحدّدان أيّ نوع تجري الإحالة عليه من الأشياء أو من العمليّات. ولكن، بما أنّ القسم الأعظم من عنايتنا يكون بأفراد معيّنين عوضا عن المقولات العامّة- نريد أن نتحدّث عن أشخاص بعينهم، أو عن أحداث مخصوصة، وهلمّ جرّا. نحن قادرون على فعل ذلك بواسطة الإسمائيّات والمركّبات الجُمَليّة المنتهية. وبالإضافة إلى اسم معجميّ أو فعل معجميّ، تتضمّن هذه الأبنية من المستوى الأعلى عناصرَ تتجاوز بنا تخصيصَ نوع ما إلى إفرادِ نموذج من ذلك النّوع. وعلى رأس هذه العناصر، العناصرُ المجذِّرة الّتي تقيم علاقة إبستيميّة بين الأرضيّة والنّموذج المعروض من الشّيء أو من العمليّة.

لننظر مرّة أخرى في العبارة الهيكليّة [*girl like boy* "فتاة حب فتى"]. فما يجعلها مختلّة، من منظور اللّغة الإنجليزيّة، هو غياب التّجذير.[6] تخصّص [*girl*]، بحكم كونها مجرّد اسم معجميّ، نوعا من الأشياء - نوعا ذا نماذج كثيرة لانهائيّة- ولكنّها تقصر عن إفراد نموذج خاصّ يكون مرجعا مقصودا. ويصحّ الشّيء نفسه، بطبيعة الحال، على [*boy*]. ففي حين تستدعي تلك الكلمات الثّلاث جميعُها النّوعَ الّذي تحقّقه، لا توجِّه [*boy*] الانتباهَ خصّيصا إلى أيّ واحد من الفتيان الّذين لا عدّ لهم (حقيقيّين كانوا أو خياليّين) والّذين

يمكــن أن تتوفّر لنــا فرصةُ تَصوُّرِهم أو الحديث عنهــم. وبالمثل، لا يخصِّص الفعل المعجميّ من قبيل [*like*] شيئًا ما عدا نوعا من العمليّة تكون له تحقّقات كثيرة. ومع ذلك، يكون الفعل تابعا مفهوميّا: تَصوُّرُ عمليّة ما يقتضي تصوّرَ المشاركين فيها ويشتمل عليهم. وعلى هذا، يتحدّد نوع العمليّة بدرجة أكبر من التّخصيص عندما يتبلور المشــاركون فيها في مستويات عليا من التّنضيد. فالفعل [*like*]، بمفــرده، يخصّص نوعا من العمليّة ذا درجة عالية من الخطاطيّة، إذ لا يوجــد وصْفٌ لمنتقلها ولمعلمها. ويُنتِج تبلورُهمــا بكلمتي [*girl*] و[*boy*] العبارةَ المركّبة [*girl like boy*]. وهذه العبارة بدورها، تســتحضر نوعا من العمليّة ذا تفصيل أكثر، بكلّ وضوح. وبما أنّ المشــاركين البؤريّين، بالإضافة إلى ذلــك، لا يوصَفــان إلاّ من حيــث هما نوعان (أي لا يتحــدّدان من حيث هما شخصان معيّنان)، يكون نوع العمليّة هذا، رغم ذلك، متحقّقا بما لا يُحصى من الوضعيّات المختلفة الّتي تشتمل على فتيات مختلفات وفتيان مختلفين.

ومقابــل [*girl like boy*] الّتي تصف مجرّد نوع من الوضعيّة، تحيل [*the girl likes this boy* "الفتاة تحبّ هذا الفتى"] على وضعيّة مخصوصة من هذا القبيل، تشتمل على فرديــن مخصوصين. والفرق يعود إلى التّجذيــر. يوجِّه المتكلّمُ بتجذير كلمة [*girl*]، بواســطة علامة التّعريف، انتباهَ السّــامع إلــى نموذج خاصّ من هذا النّــوع، يُفترَض أنّه قابل للتّعرّف عليه دون غيــره بحكم كونه النّموذجَ الوحيد البيّنَ بشــكل واضح في مقام الخطاب الجاري. ويفرد اســم الإشارة [*this*]، كذلك، نموذجا مخصوصا من [*boy*]، قابلا للتّعرّف عليه على أساس التّفرّد أو القربِ أو الإشــارة بالجارحة المصاحبة. وإن ورد هذان الخياران في تجذير الإسمائيّ مستقلّين (أي في غياب تجذير للمركّب الجُمَليّ)، يمكن أن تُفصَّــل [*girl like boy*] بوجــه أوضــح فــي [*the girl like this boy* "الفتاة حب هذا الفتــى"].[7] يوفّر ذلك وصفا لنوع على درجــة عالية من التّخصيص، مقتصرا على العلاقات بين الشّــخصين المعيّنين المذكورين. وهو رغم ذلك ما يزال نوعا فقط لم يبلغ بعد درجة النّموذج. فنفس الفتاة يمكن أن تحبّ نفس الفتى فــي الأطوار المختلفة من حياتهما. ويمكن أن تمثّل هذه المظاهر المتكرّرة تحقّقــات مختلفة لنــوع العمليّة، تتمايز بمواقعها الزّمنيّــة. ومن خلال التّجذير المركّبــيّ الجُمَليّ، يُفرَد تحقّق مخصوص وتمنحُ له منزلة إبســتيميّة محدّدة: [*the girl likes this boy* "الفتــاة تحــبّ هذا الفتى"]، [*the girl liked this boy* "الفتاة أحبّت هذا الفتى"]، [*the girl might like this boy* "قد تحبّ الفتاة هذا الفتى"]، إلخ.

إن عرّفنا عالمنا الذّهنيّ بكونه مشتملا على كلّ شيء نكون قادرين على تصوّره، كان مكانا فسيحا جدّا. تُعيننا أوصافُ النّوع على معالجة هذا الامتداد الشّاسع بأن ندخِل عليه نسبة معيّنة من التّنظيم. فكلّ واحد منها يمثّل تعميما يكون بمقتضاه الحكم على وحدات بعينها متصوَّرَة، بأنّها متكافئة من بعض النّواحي. ولكنّ المراقبة الّتي تُقدَّم بهذا الوجه، تحمل معها قيدا كامنا فيها: إذا ما ناسب نوع في العادة مجموعةً ذات نهاية مفتوحة من النّماذج الحقيقيّة أو المتخيَّلة، لا يكفي استدعاؤه في ذاته لإفراد الوحدة المخصوصة الّتي نريد الحديث عنها. والتّجذير يوفّر طريقة في تجاوز هذا التّقييد. فمن مجموعة الوحدات الّتي ينتقيها تخصيصُ النّوع، يوجِّه التّجذيرُ الانتباهَ إلى النّموذج المراد من خلال إشارة إلى علاقته بالأرضيّة. فالأرضيّة تشتغل نقطةً مرجعيّة، تسمح بالاهتداء الذّهنيّ إلى الأفراد المخصوصين.

غير أنّنا لا نستفيد دائما من هذا الخيار. فغالبا ما نهتمّ بالعامّ بدل الخاصّ وبالأنواع بدل النّماذج بالاستتباع. فأوضح الطّرق المتنوّعة في التّعامل مع ذلك لغويّا، أن نترك اسما أو فعلا غير مجذَّر، بكلّ بساطة. يجري ذلك في الإنجليزيّة بشكل شائع من خلال التّركيب بين الوحدات أو الاشتقاق الصّرفيّ. فعلى سبيل التّوضيح، قارن بين العبارتين الواردتين في (1):

(1) (أ) *Jennifer loves her cat.*
تحبّ جنّيفار قطّها.
(ب) *Jennifer is a cat–lover.*
جنّيفار محبّة للقطط.

تعرض الجملة (1) (أ) نموذجا مخصوصا من [*love*] (مجذَّرا بـ[*-s*]) يشتمل على نموذج مخصوص من [*cat*] (تجذّره كلمة [*her*]). وتستعمل الجملة (أ) (ب) العنصرين المعجميّين أنفسهما، وتستدعي لذلك النّوعين أنفسهما، ولكنّها لا تُفرِد أيّ نموذج. فعوض أن تكون [*cat*] متجذّرة، تندرج في مركّب [*cat–lover*]، حيث تكاد لا تشير إلاّ إلى نوع من الأشياء تتعلّق به عمليّة الحبّ. وكذا يجري فعل [*love*] غير مجذَّر جزءا من [*lover*]، صالحا فقط لتخصيص نوع العمليّة الّتي يكون في ضوئها توصيفُ نوع من الأشياء. والوحدتان المجذَّرتان هما تانك المعروضتان بالبنيتين من المستوى الأعلى [*cat–lover*] (اسم مركّب) و[*be a cat–lover*] (فعل مركّب).

فما يشير إليه المركّب الجُمَليّ، حينئذ، هو نموذج من نوع عمليّةِ [*be a cat–lover*]، يصلح لمعادلة منتقلِها بنموذج من نوع الشّيء [*cat–lover*]. فيمكن أن نستنتج من الجملة (1) (ب)، بشكل مقبول، أنّ جنّيفار تشارك فعلا في تحقّقات من [*love* "الحبِّ"] تشتمل على تحقّقات من [*cat* "القطّ"]. غير أنّ (1) (ب) لا تحيل على ذينك التّحقّقين مباشَرة، إذ تبقى الإحالة على [*love* "الحبّ"] و[*cat* "القطّ"] في مستوى النّوع.

9. 2. 2 تحقّق النّوع

أرجو أنّك قد اقتنعت الآن بأنّ التّمييز بين النّوع والنّموذج يوفّر أساسا دلاليّا للتّمييز النّحويّ بين اسم معجميّ أو فعل معجميّ، من جهة، وإسمائيّ أو مركّب جُمَليّ منته، من أخرى. ولكن ماذا يعني ذلك بالتّدقيق؟ وما هي الإضافة المفهوميّة الحقيقيّة عند قولنا، مثلا، إنّ [*cat* "قطّ"] تكاد لا تخصّص إلاّ نوعا، في حين تشير [*the cat* "القطّ"]، أو [*some cat* "قطّ ما"]، أو [*a cat* "قِطّ"]، إلى نموذج من ذلك النّوع؟ ومن المفترَض أنّ تصوُّرَ نموذج يشتمل على تصوّر النّوع الّذي يتأسّس عليه ذلك النّموذج. فالمسألة المطروحة، إذن، هي طبيعة التّحقيق، أي العمليّة الذّهنيّة الّتي يتحوّل بها تَصوُّرُ نوعٍ إلى تصوُّرِ نموذجٍ.

وعمليّة العرض واحدة من العمليّات المترشّحة بكلّ وضوح. فمعروض عبارة ما هو ما تشير إليه تلك العبارة أو تحيل عليه. وكذا يُقال إنّ الإسمائيَّ يُفرِد نموذجا من النّوع الّذي يخصِّصه متّخذا منه مرجعا له. فيمكن حينئذ للمَرء أن يقترح أنّ التّحقيق يتمثّل في فرض معروض ما على تخصيص نوعٍ يفتقِر إلى ذلك التّخصيص. ولكن رغم هذا الشّبه، يكشف التّأمّل البَسيطُ عن وجوب التّمييز بين التّحقيق والعرض. يكمن السّبب، بكلّ بساطة، في أنّ العرض مكوِّن أساسيّ من تخصيصات النّوع. تذكّر مثال [*hub* «محور»] و[*spoke* "شعاع"] و[*rim* "إطار"] (الرّسم البيانيّ 3. 5). فهي تمثّل، بكلّ وضوح، أنواعا مختلفة من الأشياء. وبالإضافة إلى ذلك، تستحضِر تلك الكلماتُ كلّها تصوّرَ العجلة أساسا مفهوميّا لها- على أنّ التّباين الدّلاليّ بينها يكمن بصفة رئيسيّة في اختيار المعروض في الواحدة منها. فدون عمليّة العرض، لا يمكن للأنواع الثّلاثة أن توصَف توصيفا مناسبا ولا أن تتمايز.

وإذا ما لم يكن التّمييز بين النّوع والنّموذج ماثلا في عمليّة العرض، يحتمل أن يكون في الخصوصيّة. بما أنّ النّوع يمثّل القاسم المشترك المجرَّد من نماذجه، وجب أن يكون أمضى في الخطاطيّة من أيّ واحد منها. يكون، بكلّ تأكيد، تصوّري أنا لأيّ قطّ بعينه (مثل هرشال أو راكيل، أو ميتاثيزس) أدقَّ وأثرى من حيث التّفاصيل، من تصوّر النّوع الّذي تستحضره كلمة [*cat*] الجارية جزءا من الكلمة المركّبة [*cat–lover*]. غير أنّ هناك سببا للشّكّ في أنّ التّحقيق ببساطة مسألةُ جعلِ التّصوّرِ المتعلّق بنوعٍ ما أكثرَ تخصيصا. فغالبا ما نحيل إحالة لغويّة علَى نموذجَ دون أن يكون لنا في أذهاننا نموذج بعينه أو دون أن نعرف أيّ شيء عنه. ففي الجملة (2) (ب)، مثلا، لا يحيل المركّب الإسمائيّ [*a cat*]، على أيّ واحد من القطط، ولكنّه يحيل على مجرّد قطّ يُستحضَر لوصف أمنية سَامَنتا. فلا يحتاج هذا النّموذج المتخيَّل إلى أن يوصَّف بأيّ تفصيل أدقّ من تخصيص النّوع. وفي الجملة (2) (ب)، يحيل الإسمائيّ الوارد مرّتين، فعلا، على قطّين حقيقيّين ولكنّه لا يقدّم أيّ وصف إضافيّ. ونفهم رغم انعدام التّخصيص أنّ نموذجين مختلفين معنيّان بتلك العبارة.

(2) (أ) *Samantha wishes she had* ***a cat****.*
تمنّت سامنتا لو كان لها قطّ.

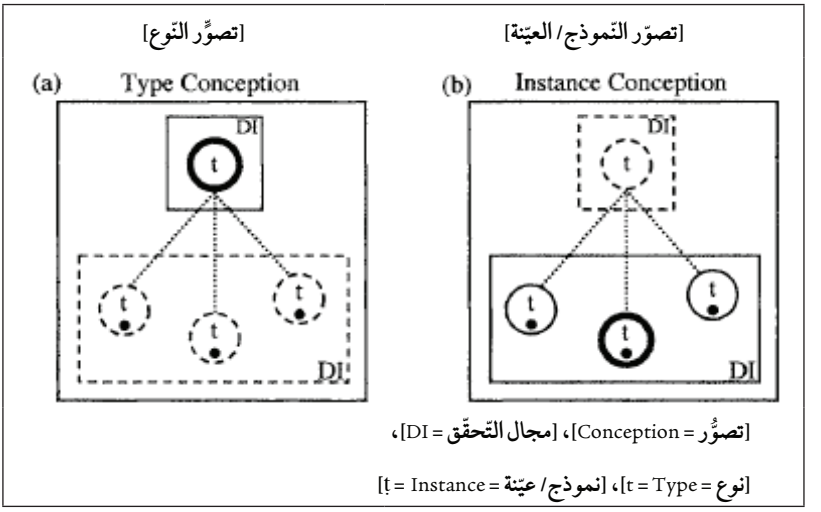
(ب) *Since Jennifer had* ***a cat****, Julie also got* ***a cat***
بما أنّ لجنّيفار قطّا، اقتنت جولي كذلك قطّا.

يمكن، حينئذ، أن تنحصر خصوصيّة نموذج ما في أدقّ درجاتها بالمقارنة مع نوع ما، بالضّبط في حقيقة كونه متصوَّرا على أنّه نموذج. وبما أنّ التّحقيق لا يقبل الاختزال إلى عامِل مستقلّ (مثل العرض أو البلورة)، وجب أن يتكوّن من عمليّة ذهنيّة منفصلة. يوحي بطبيعته الممكنة تلك، زوج من الملاحظات. تتمثّل الأولى ببساطة في أنّ التّمييز بين النّوع والنّموذج لا يكون غير ذي فائدة إلاّ عندما يكون للنّوع نماذج متعدّدة.[8] وتتعلّق الملاحظة الثّانية بالمجالات العرفنيّة الّتي تكوِّن مولّدةَ عبارةٍ ما. ففي حالة الأسماء والأفعال، يكون لهذا المجال - وليس من قبيل الصّدفة أن يسمّى مجال التّحقّق- منزلة خاصّة. وقد وُصِفَ بصفة رئيسيّة في الفقرة § 5. 1. 2 بأنّه المجال الّذي يضبط فيه حضورُ التّحديد أو غيابُه مقْوَلَةَ الأسماء إلى معدودة مقابل كتلة، ومَقْوَلةَ الأفعال إلى انقضائيّة مقابل لاانقضائيّة. ولكنّه

وُصِّف، كذلك، توصيفا جوهريّا، بكونه المجالَ الّذي يُعتقَد بشكل رئيسيّ أنَّ النّماذج من نوع ما ماثلةٌ فيه وأنّها متمايزة بمواقعها فيه. وبالنّسبة إلى الأفعال، يكون هذا المجال الزّمنَ دائما. ولذلك، يكون حدثان متماثلان، يشتملان على نفس المشاركين في نفس المواضع، تحقّقين مختلفين من نوع الحدث نفسه بحكم جريانهما في زمنين مختلفين. يختلف مجال التّحقّق مع الأسماء، لكنّ مجال التّحقّق بالنّسبة إلى الأشياء المادّيّة والجواهر عادة ما يكون الفضاء. ولذلك يكون قطّان متماثلان نموذجين من نوع القطّ، بحكم حلولهما في موضعين فضائيّين مختلفين (عند لحظة زمنيّة بعينها)، في حين أنّ قطّا يُرَى في أوقات مختلفة يمكن التّعرّف عليه على أنّه النّموذج نفسه.

يتمثّل المقترَح، إذن، في أن يُتصوَّر نموذج ما (مقابل نوع ما) على أنّه حَالٌّ في موضع مخصوص من مجال التّحقّق يصلح لتمييزه من سائر النّماذج. فانطلاقا من تصوُّر نوعٍ ما، يكون التّحقّق فقط مسألةَ تصوُّرٍ للوحدة المعروضة على أنّها حالّة في ذلك الموضع. وعلى عكس ذلك ينبثق تصوُّرُ نوع ما انطلاقا من التّحقّقات، بالتّخلّص من فكرة الحلول في ذلك الموضع. ولذلك يتمثّل الفرق الأساسيّ بين تصوّرِ نوع وتصوّر نموذج ما في أنّ الأوّل منهما يُخفِي (أو على الأقلّ يجعل في الخلفيّة) فكرةَ كَون الوحدة المعروضة حالّة في موضع مخصوص مميِّز لها.

في الرّسم البيانيّ 9. 3، محاولة لتمثيل هذا التّقابل تمثيلا بصريّا. تشير [DI] إلى مجال التّحقّق، وتُمثِّل النّقاطُ المواضِعَ المميِّزة، وتختصِر علامةُ [τ] تخصيصَ النّوع. وكما يُرَى بالمقارنة بين الرّسمين التّخطيطيّين (a) و(b)، يكون لتصوُّرِ النّوع وتصوُّرِ النّموذج المضمونُ الأساسيُّ نفسه. يتمثّل جزء من توصيف [*cat* "قطّ"]، على سبيل المثال، في صميم الفكرة المتعلّقة بأنّ لهذا النّوع تحقّقات متعدّدة. وبالمثل، يحمل تصوّر نموذج ما معه فكرةَ وجود نماذج أخرى من النّوع الّذي يحقِّقه. فتَصوُّر النّوع وتصوّر النّموذج يختلفان من حيث ما يَجعَله الواحد منهما في الأماميّة من المظاهر الواردة في ذلك التّشكّلِ الشّامل: أي القاسم المشترك المجرَّد في تصوُّر النّوع، أو التّعدّد الّذي يُبأَر على ضوئه نموذج مفرَد على أنّه المعروض، في تصوُّر النّموذج. وفي كلتا الحالتين يكون القاسم المشترك المجرَّد متأصّلا في تصوُّر أيّ نموذج، كما يُعرَض بخطوط التّناسب في الرّسم البيانيّ 9. 3.



الرّسم البيانيّ 9. 3

لا يستلزم القولُ إنّ لنموذج ما موضعا مخصوصا في مجال التّحقّق أنّ المتكلّم يعرف ذلك الموضع أو أنّ هذا الموضع يمكن مبدئيّا أن يحدَّد تحديدا موضوعيّا. فالتّحقيق عمليّة ذهنيّة، ولغايات لغويّة تُتَصوّر النّماذج نماذجَ يمكن أن تمثّل الأشياء الحقيقيّة أو الأحداث الحقيقيّة، أو لا يمكن أن تفعل ذلك. وإذ كان القطّ الّذي يحال عليه في الجملة (2) (أ) افتراضيّا فقط، لا معنى للسّؤال عن مكان وجوده. وتوصف القطط في الجملة (2) (ب) على أنّها مخلوقات فعليّة موجودة في العالم الواقعيّ، بوجه يكون من المفترض أنّها ذات مواضع فضائيّة فعليّة موجودة في العالم الواقعيّ. ومع ذلك، يمكن للجملة أن تُستعمَل حتّى إذا ما لم يكن للمتخاطبين أيّ فكرة عن مكان وجود القطط الآن أو عن أيّ مكان يُحتمَل أنّها قد وجدت فيه في ما مضى. فعندما يقال إنّ للنّماذج مواضعَ مخصوصةً، إنّما يتعلّق هذا التّوصيف بفكرة النّموذج في ذاتها لا بفكرة النّوع. فهو لا يتعلّق مباشرة بمعرفة المتكلّم الجارية بالواقع الموضوعيّ.

نحن قادرون على الحديث عن أيّ شيء يمكن تخيُّله. فلا يخلص للوضعيّات الفعليّة الموجودة في العالم الواقعيّ (رغم منزلتها المفضّلَة) إلاّ جزء محدود من خطابنا. وعندما نتحدّث فعلا عن الوضعيّات الحقيقيّة، تكون أوصافنا انتقائيّة خطاطيّة. فالمعاني اللّغويّة لا تعكس الوضعيّات الموصوفة فقط بل تنبثق من خلال عمليّة انبناءِ تلك الوضعيّات انبناء تفاعليّا

ووصفِهـا لغايات تواصليّة وتعبيريّة. وبتقـدّم الخطاب، يتعاون المتحاورون في بناء الأبنية المفهوميّة الّتي تسـاوي في أحسن الأحوال تمثيلاتٍ جزئيّة جدّا ممّا يجري الخـوض فيه، ويتعاونون في بلورتها وفي تحويرها. وما يوفّر الأسـاسَ المباشر لمعاني العبارات، إنّما هي تلك التّمثيلات المفهوميّة للوضعيّات، لا طبيعتُهـا الفعليّة. وبناء على هذا، تكون النّماذج الّتي تُفرَد ويحال عليها إحالةً لغويّة، نماذجَ مُتصـوَّرة من الأنواع الّتي تتحقّق فيها، حتّى وإن جرى تحديدها تحديـدا أدقّ بأنّهـا وحدات مخصوصـة بعينها من العالـم الواقعيّ. وبذلك، تكون المواضع الّتي تُميِّز بينها مواضعَ متصوَّرَةً موجودةً في داخل التّمثيلات المفهوميّة الّتي تُبنَى في الخطاب. وعادة ما تنسَـب النّماذج ببساطة إلى مواضع اعتباطيّةٍ داخل تلك التّمثيلات الخطابيّة.[9] ففي الجملة (2) (ب)، على سبيل المثـال، نتخيّل قططـا مختلفة في مواضـع متفرّقة دون أيّ معرفـة بالمواضع الحقيقيّة الّتي يُحتمَل أن تحلّ فيها في أيّ زمن.

3.2.9 المراجع الافتراضيّة

يُسـتعمَل الفعـل [أحال] ومشـتقّاته - المحـال عليه (المرجـع)، الإحالة، التّشـارك الإحاليّ، الإحاليّ- مثل الكثير من المصطلحات اللّسانيّة، بطرق متنوّعة غير متناسـقة في بعض الأحيان.[10] وهذا التّنوّع مصدر لخلط ممكن وواقـع في آن، لا يمكن تبرئة النّحو العرفنيّ منه تبرئـة تامّة. تذكّر التّناقض الظّاهر في قولنا إنّ معروض عبارة ما هو ما تحيل عليه تلك العبارة، من جهة، وإنّ الاسـمائيّ يفرِد نموذجا من نوع ما مرجعا له، من جهة أخرى، والحال أنّنا نرفض في الآن نفسَـه، (من جهة ثالثة؟) أن يختزَل التّحقّقُ في عمليّة العرض. وللحفاظ على الأشـياء مسـتقيمة لا نُغفِل نقطة أساسـيّة تتمثّل في أنّ مفاهيم الإحالة الكثيرة المتمايزة المتعلّقة بمسـتويات التّنظيـم المفهوميّ المختلفة، مفيدة من زاوية لغويّة. فنحن نحيل بوسـائل لغويّـة متنوّعة على الوحدات في المستوى المفهوميّ، وفي مستوى الخطاب، وفي «العالم».

فقـد اعتمِد مصطلح «العرض» خصّيصا للتّعبير عن الإحالة في المسـتوى المفهومـيّ. ومعروض عبارة ما هو مرجعها الّذي تحيل عليه في السّـياق الّذي يتضمّن أساسَـها المفهوميّ فقط- هـو البنية الفرعيّة الّتي تُفـرَد على أنّها بؤرة الانتباه مقابلَ الوجوه الأخرى الّتي تكون لذلك التّصوّر نفسه. فباعتبار مفهوم ‹العجَلة›، مثلا، تحيل كلمة [*hub* "محوَر"] على الجزء المركزيّ منها، فقط، بمعنـى أنّها توجّه الانتبـاه إلى ذلك الجزء بدل الأجـزاء الأخرى. فالعَرض،

في حدّ ذاته، مستقلّ عن أيّ استعمال مخصوص في الخطاب: كلمة [*hub*] تعرِض الجزء المركزيّ من العجلة حتّى وإن جرى تناولها معزولة عن كلّ شيء. وليس للأرضيّة أيّ دور يتجاوزُ حضورَها الكلّيّ في درجاته الدّنيا. فمقياس استقلال الخطاب، هو ما يبرّر وصفَ العرض بكونه مجرّد إحالة "مفهوميّة" (أو "إحالةً في داخل تصوّر ما").

وبطبيعة الحال، تكون الأبنية المفهوميّة الّتي تبنى في الخطاب بناء تفاعليّا، مفهوميّةً كذلك (لا "مجرّد أبنية مفهوميّة" فقط). فقولنا إنّ إسمائيّا يعرض من النّوع نموذجا مجذَّرا يفردُه على أنّه مرجع له، إنّما يتعلّق بهذا المستوى من الخطاب. ولئن كانت عمليّة العرض جارية في الإحالة في مستوى الخطاب فهي لا تمثّل إلاّ مكوّنا واحدا من مفهوم الإحالة الأوسع من حيث درجة البلورة (والمكوّنان الآخران هما التّحقيق والتّجذير). فالإسمائيّان كلاهما في (3) (أ) يستدعي معرفتنا بأنّ [*hub* "محور"] تشير إلى الجزء المركزيّ من عجلة ما. ورغم ذلك، يكون لهما مرجعان مختلِفان في سياق الخطاب ذاك، إذ يدور الحديث عن شيئين متمايزين. ومستوى الخطاب هو، كذلك، المستوى الّذي يشار إليه عندما يقال إنّ إسمائيّين متشاركان إحاليّا: يعني أنّهما منبنيان على أنّ لهما المرجعَ نفسه في الخطاب. وفي (3) (ب)، مثلا، يحيل الضّمير [*it*] إحالة رجعيّة إلى المرجعِ الّذي يحيل عليه مفسِّرُه [*this hub*] [11].

(3) (أ) ***This wheel's hub*** *is cracked. What about* ***the hub of that other wheel****?*

محور هذه العجلة مشقوق. ماذا عن محور تلك العجلة الأخرى؟

(ب) ***This hub*** *is cracked, and I don't think we can fix* ***it****.*

هذا المحور مشقوق، وأظنّ أنّنا لن نستطيع إصلاحه.

تُفهَم الإحالة، في الفلسفة، وفي اللّسانيّات بصفة غالبة، على أنّها علاقة بين العبارات والأشياء في العالم. وبالفعل يكون للكثير من الإسمائيّات، بطبيعة الحال، مراجع من هذا القبيل. فالإسمائيّات في (3)، مثلا، يُحتمَل أن تؤخَذ بشكل طبيعيّ على أنّها تحيل على محاور للعجلات حقيقيّة من العالم الواقعيّ. ولكنّ مفهوم الإحالة الكلاسيكيّ هذا، ليس مناسبا لتوصيفٍ عامّ يتعلّق ببنية الإسمائيّ. فمراجع الكثير من الإسمائيّات مجرّدة ومشكِلة من زاوية وجودها الموضوعيّ (مثل قولنا [*the putative irrelevance of moral considerations* "عدم الفائدة المزعومة من الاعتبارات الأخلاقيّة"]، وليست مقتصرة على

وحـدات العالـم الحقيقيّ. فنحن نسـتطيع أن نتحـدّث عن العوالـم الخياليّة بالسّـهولة (وبنفس الطّريقة) الّتي نتحدّث بها عن العوالم الّتي تُعْتبَر "حقيقيّة". ونحن نسـتعمل عبارات إسمائيّة شـبيهة بها في الإحالة على الفتيات والفتيان والقطـط والكلاب، أو على العنقاء والتّنّين وسـكّان المرّيخ من الكائنات الفضائيّة.

لوصف الإسمائيّات وصفا لسانيّا، يكون محطّ العناية الرّئيسيّ تبعا لذلك في الإحالة جاريةً في مستوى الخطاب. والأهمّ في جميع ذلك أنّ المراجع في الخطاب لا تنحصر في الوحدات الّتي توجد فعلا في عالم واقعيّ أو متخيَّل أو ممكن. ومهما كان العالم الّذي نختاره للحديث عنه، فإنّنا لا نحيل عادة إلاّ علـى الوحدات الّتي تكون افتراضيّة أو (تخيّليّة) لا على الوحدات الموجودة بالفعل. وهذه عيّنة بسيطة من الإسمائيّات ذات المراجع الافتراضيّة:

(4) (أ) *If she had* ***a Porsche*** *she would learn to drive.*
لو كانت لها (سيّارة) بورش، لتعلّمتْ قيادة السّيّارات.

(ب) ***A hub*** *is part of* ***a wheel.***
محور ما جزء من عجلة ما. (المحور جزء من العجلة.)

(ج) ***Every hobbit*** *owns* ***a unicorn.***
كلُّ كائن من المرّيخ يملك عنقاء.

(د) *I don't have* ***any pets***
ليس لي أيّ حيوان أليف.

لا توجـد سـيّارة البورش الّتي يحال عليها فـي (4) (أ)، في الواقع، بل إنّها لا توجـد إلاّ من حيث هي جـزء من وضعيّة مفترَضة جرى عرضها في الجملة علـى أنّها ضديـدة للواقع. ولا تذكـر الجملة (4) (ب)، مـن حيث كانت تقريرا عامّا، أيَّ محور مخصوص أو أيّ عجلة بعينها. فالمرجعان اللّذان يحيل عليهما ذانك الإسـمائيّان لا «يُسـتحضَران» إلاّ من حيـث هما عنصران من وضعيّة افتراضيّة تستدعى على أنّها توصيف عامّ لذينك الشّيئين. وكذلك الجملـة الموالية تثبت حكما عامّا حول العالَم الّـذي تتعلّق به- فقد صادف أن كان عالـمٌ خيالـيّ مأهولٌ بكائنات المرّيخ وبطيـر العنقاء، في آن واحد. ومرّة أخرى، لا تحيل تلك الإسـمائيّات على أيّ نماذج مخصوصة من تلك الأنـواع. وردّا على الجملة الواردة في (4) (ج)، لا يُعقَل أن يطرح السّـؤال في شـكل الجملتين (5) (أ) أو (5) (ب)، ولا تسـمَح الجملة (4) (د) بأن يكون

الجـواب عنها بالجملة (5) (ج). فالجملـة (4) (د) لا تذكر أيّ واحد حقيقيّ من الحيوانات الأليفة لأنّها تنفي وجودها.

(5) (أ) ❋*Which hobbit is it who owns a unicorn?*
*أيّ كائـن من المرّيخ هو ذاك الّـذي يملك عنقاء؟ [ردّا على الجملة (4) (ج)]

(ب) ❋*Which unicorn is it that every hobbit owns?*
*أيّ عنقاء هي تلك الّتي يملكها كلّ كائن من المرّيخ؟ [ردّا على الجملة (4) (ج)]

(ج) ❋*Which pets don't you have?*
*أيّ الحيوانات الأليفة لا تملكُ (أنت)؟ [ردّا على الجملة (4) (د)]

توصف الإسمائيّات من هذا القبيل في الغالب بكونها «لا إحاليّة». لكنّ المصطلـح ليس موفّقا كثيـرا، لأنّ تلك الإسـمائيّات تعوزها المراجع في العالـم، فهي تقيم رغم ذلك مراجع في مسـتوى الخطـاب. يمكننا أن نرى ذلك في (6) حيث تشـتغل تلك الإسمائيّات مفسّـراتٍ لضمائر تعود عليها في الإحالة:

(6) (أ) *If she had* ***a Porsche*** *she would drive* ***it*** *to church.*
لوكانت تملك (سيّارة) بورش، لقادتـها إلى الكنيسة. (لذهبت بـها إلى الكنيسة)

(ب) ***A hub*** *lies at the center of the wheel* ***it*** *is part of.*
يقع محور ما في مركز العجلة الّتي هو جزء منها.

(ج) ***Every hobbit*** *who owns* ***a unicorn*** *believes* ***he*** *takes good care of* ***it.***
يعتقد كلّ كائن من المرّيخ يملك عنقاء أنّـه يحسن رعايتـــــــــها.

(د) *I don't have* ***any pets****, so I don't have to feed* ***them.***
ليس لي أيّ (واحد) من الحيوانات الأليفة، لذلك لست مجبرا على إطعامـها.

من وجهة نظرٍ لسـانيّة، تكون هذه الإسمائيّات بالفعل إحاليّة بحكم أنّها تفرد نموذجا مجذَّرا من نوع ما على أنّه مرجع لها. فالسّـمة الخاصّة بها تتمثّل في أنّها تعرض نموجا افتراضيّا لا نموذجا فعليّا.

وسـوف يتجلّى انتشـار الافتراضيّة وأهمّيّتها علـى التّدريج (في الفصل 14 خاصّة). ويصعب أن يكون لها توصيف عامّ، لسبب وحيد يتمثّل في أنّ الخطّ الفاصل بين ما هو فعليّ وما هو افتراضيّ يمكن أن يرسَم في مواضع مختلفة. وفـي ما يهمّنا الآن، تتمثّل النّقطة الأساسـيّة في أنّ النّماذج من نوع ما يمكن

أن تكـون فعليّة أو افتراضيّة (فـي حين تكون الأنواع بطبيعتهـا افتراضيّة). ويتوقّـف التّمييز علـى الفضاء الذّهنيّ الّذي يحلّ فيه نمـوذج ما. فيمكننا أن نقول، بإجمال كبير، إنّ نموذجا افتراضيّا «يُسـتحضَر» لغاية خاصّةٍ محدودة ولا منزلـةَ له خارج الفضـاء الذّهنيّ الّذي يرتبط بتلـك الغاية. والمثالان (أ) من (4) و(6) يسـتدعيان فضاء ذهنيّا يمثّل الكيفيّة الّتي بها يتطوّر الواقع بداية مـن وضعيّة تكون فـي آن مفترَضة ولا واقعيّة. فسـيّارة البـورش الّتي يحال عليها ليسـت إلاّ سيّارة افتراضيّة بحكم كونها منحصرة في ذلك السّيناريو الوهميّ. وترمـي الأمثلة (ب) و(ج) إلى وصف طبيعة العالم الأساسـيّة. وهي تفعل ذلك بالإشـارة إلى وضعيّات افتراضيّة تكوِّن القاسَـم المشترك بين الوضعيّـات الفعليّة الّذي جرى تجريده. فالأشـياء الّتي يحـال عليها (محور، عجلة، كائن مـن المرّيخ، عنقاء)، بحكم كونها جزءا من هذه الوضعيّات الافتراضيّة، إنّما هي نماذج افتراضيّة من أنواعها - أي القاسـم المشترك بين النّماذج الفعليّة الّذي جرى تجريده. وفي المثالين الواردين في (د)، لا تُستدعى الوضعيّـةُ الّتي أكون فيها صاحـب حيوانات أليفـة إلاّ لإقصائها من الواقع. فالحيوانات الأليفة الّتي يحال عليها لا توجد إلاّ في الفضاء الذّهنيّ الّذي يمثّل تلك الوضعيّة.

تظهر الأمثلة نفسُـها أنّ التّمييز بيـن الفعليّ والافتراضيّ يمكن أن يكون كذلـك في النّماذج من نوع عمليّة مـا. فكلّ مركّب جُمَليّ منته في (4)، يعرض نموذجا من عمليّة مجـذَّرة هي افتراضيّة عوض أن تكون فعليّة. وفي كلّ حالة، يشـغل جريـانُ العمليّة المعـروضُ فضاء ذهنيّا خاصّا يُسـتحضَر لغاية محدودة ولا وجود له خارج ذلك الفضاء. وتُوسَـم الافتراضيّة في بعض الأحيـان وسـما ظاهرا. ففـي (4) (أ)، تقيم [*if* "لو"] فضاء ذهنيّـا يمثّل وضعيّة مفترضَة.[12] وبالمثل يجعل النّفيُ الوارد في (4) (د)، موضعَ العلاقة المعروضة في فضاء يختلف عن الواقع الفعليّ. وإذ كان لِـ[*every* "كلّ"] و[*any* "أيّ"]، مرجعان افتراضيّان بشكل ثابت، يستلزم استعمالُهما في (ج) و(د) أنّ نموذجَ العمليّة الّتي يشـارك فيها مرجِعاهما افتراضيّ أيضا. ورغم ذلك، لا توسـم الافتراضيّة دائما وسـما ظاهرا (مثلا، لا يشـار إليها خصّيصا بأيّ شيء حاضر بشكل ظاهر في (4) (ب)). وبالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يكون نموذجُ عمليّـة ما افتراضيّا، حتّـى إذا ما لم يكن المشـاركون فيها كذلك. ففي الجملة (7)، على سبيل المثال، لا تكون الوضعيّة الّتي تصفها العبارة [***she** liked*

her Porsche "هي أحبّت سيّارتها البورش"]، إلاّ افتراضيّة، رغم أنّ الإسمائيّات تحيل على أفراد حقيقيّين.

(7) *If* ***she*** *liked* ***her Porsche*** *she would drive it to church*
لو (هي) أحبّت سيّارتها البورش لقادتها إلى الكنيسة.

3.9 تجذير الإسمائيّات

لعلّه من نافل القول (ورغم ذلك سأقول على كلّ حال) إنّ لكلّ لغة نظامَ التّجذير الخاصّ بها الّذي ينبغي أن يوصف لذاته وبذاته. ولئن كان نظام الإنجليزيّة غير ذي منزلة مبجّلة ولا هو بالضّرورة مثاليّ، فهو يتميّز بكونه متاحا ومدروسا درسا عميقا. وبالكشف عن دقائقه الكثيرة - في ما يهمّ تجذير الإسمائيّ في هذه الفقرة، وتجذير المركّبات الجُمَليّة في الفقرة القادمة- يمكننا أن نأمل في التّوصّل إلى رؤى عميقة ذات صلاحيّة عامّة.

1.3.9 نحوُ العناصر المجذِّرة

ليس التّجذير مقولة نحويّة (مثل الاسم أو الفعل أو الحرف). إنّما هو وظيفة دلاليّة، عوضا عن ذلك، أي مظهر من مظاهر التّنضيد المفهوميّ الّذي تتأهّل به عبارة ما لتكون إسمائيّا أو مركّبا جُمَليّا منتهيا. ففي كلّ لغة، تؤدّي عناصر ظاهرة معيّنة، خصّيصا، هذه الوظيفة التّجذيريّة. ولكنّها يمكن أن تُحقَّق بوسائل أخرى يجري التّمثيل لها بالإسمائيّات الإنجليزيّة. ويمكن أن تكون خفيّة. وفي صنف من التّجذير الخفيّ، يعتبَر «الصّفر» (يشار إليه بالرّمز ϕ) عنصرا من مجموعة من المقابلات الثّنائيّة. وهذا خيار متواتر مع أسماء الكتلة في الإنجليزيّة ((مثل [*They drank* {*the* / *some* /ϕ} *beer*] "(هم) شربوا {الـ/ بعض/ ϕ} جعة"]). ويمكن أن يكون التّجذير كذلك كامنا، كما هو الأمر في ضمائر الشّخص (نحن، أنتم، هم، إلخ) وفي الأسماء الأعلام (أبراهام لينكولن، كاليفورنيا). وإذ كانت معاني هذه العبارات، بالتّحديد، تستلزم أن تكون مراجعها قابلة لأن يُتعرَّف عليها، فإنّها لا تتطلّب عنصرا مجذِّرا منفصلا. والخيار الثّالث في التّجذير، أن يكونَ غير مباشر، وخاصّة مع الوحدات المعبّرة عن الملكيّة. ففي عبارة [*Sheila's camera* "آلة تصوير شيلا"]، على سبيل المثال، لا يرتبط نموذج آلة التّصوير المعروض مباشرة بالأرضيّة، بل هو لا يرتبط بها إلاّ بصفة غير مباشرة عبر التّجذّر الذّاتيّ في الاسم العلم [شيلا].

لنركِّزْ النّظر في العناصر الظّاهرة الّتي تؤدّي وظيفة التّجذير مباشرة. يمكننا أن نحدّد نواة نظاميّة تشتمل على أدوات التّعيين ([*the* "الـ"]، [*a* "علامة (الواحدة) النّكرة "])، وأسماء الإشارة ([*this* "هذا"]، [*that* "ذاك"]، [*these* "هؤلاء"]، [*those* "أولئك "])، وبعض المسوّرات ([*all* "كلّ، جميع"]، [*most* "أغلب"]، [*some* "بعض"]، [*no* "لا النّافية للجنس"]، [*every* "كلّ+ اسم"]، [*each* "كلّ+ اسم"]، [*any* "أيّ"]). تتنوّع هذا العبارات تنوّعا هائلا من حيث خصائصها النّحويّة المميّزة، بل تتنوّع حتّى في الإستراتيجيّة المعتمدة في إفراد مرجع إسمائيّ. ولها، رغم ذلك، ما يكفي من الخصائص المشتركة لتبرير معاملتها على أنّها عناصر تجذير بديلة. فمن السّمات المشتركة بينها، خصائص دلاليّة تُعتبَر مميّزة لهذه العناصر: (ا) دورها في إفراد مرجع إسمائيّ ما؛ و(اا) الطّبيعة الإبستيميّة الدّنيا لعلاقة مرجعها بالأرضيّة، و(ااا) انبناء الأرضيّة نفسِها انبناء ذاتيّا. وتُظهِر هذه العناصر بالإضافة إلى ذلك خصائص نحويّة تدعم هذا التّوصيف الدّلاليّ.

تتمثّل الخصيصة النّحويّة الأولى في أنّ هذه العناصر لا تَذكُر الأرضيّة ذكرا صريحا.[13] وحتّى أسماء الإشارة الّتي تعيِّن القرب أو البعد إزاء المتكلّم، لا توفِّر أيّ طريقة مباشرة لذكرها بشكل ظاهر: نقول [*this chair* "هذا الكرسيّ"] ولا نقول [*this me chair** "*هذا أنا الكرسيّ"] أو [*this chair me** "*هذا الكرسيّ أنا"].[14] فأن تَترُك هذه العناصر الأرضيّةَ ضمنيّة، مؤشِّر على كونها خارج الرّكح ومنبنية انبناء ذاتيّا.

وتتمثّل الخصيصة الثّانية في أنّ أغلب العناصر المجذِّرة للإسمائيّ يمكن أن تقوم برأسها إسمائيّات تامّة.[15] فهي تؤدّي في (8)، مثلا، وظيفة الفواعل للمركّبات الجُمَليّة:

(8) (أ) ***{This / That / These / Those}*** *should satisfy the inspectors*.
ينبغي على {هذا/ ذاك / هؤلاء/ أولئك} إرضاء المتفقّدين.

(ب) ***{All / Most / Some}*** *were badly damaged*.
تضرّر {الكلّ/ الأغلب/ البعض} ضررا كبيرا.

(ج) ***Each*** *was more impressive than the previous one*.
كان كلّ (واحد) أكثر إثارة للإعجاب من سابقه.

(د) ***Any*** *will be OK*.
أيّ (واحد) يكون جيّدا.

يستلزم ذلك أنّ هذه العناصر في ذاتها إسمائيّات خطاطيّة، وأنّها تبعا لذلك تعرض الأشياء رغم أنّ العلاقات ماثلة بشكل حاسم في معانيها. وتتضمّن أسماء الإشارة، بشكل أكثر جلاء، العلاقات الّتي تخصّ المسافة والتّعيين. وبإجمال كبير، تدلّ [*this chair* "هذا الكرسيّ"]، مثلا، على أنّ الكرسيّ قريب من المتكلّم وهو قابل للتّعيين عند كلّ من المتحاورَين لا غير. ويمكن للمرء، حينئذ، أن يقترح لشرح [*this* "هذا"]، العبارةَ العلائقيّة التّالية [*to us near me and identified* "قريب منّي ومعيَّن عندنا"]. غير أنّها تستجيب، نحويّا، لقالب إسمائيّ، كما رأينا في (8) (أ). ولا تسلك سلوكا شبيها بعبارة [*near me* "قريب منّي"] أو [*identified to us* "معيَّن عندنا"] اللّتين تعرضان علاقتين لاعمليّاتيّتين:

(9) (أ) *The chair was **near me and identified to us**.*
كان الكرسيّ قريبا منّي ومعيّنا عندنا.
(ب) ❋*The chair was **this**.*
*كان الكرسيّ هذا.
(ج) *An attractive chair, **near me and identified to us**, was next to be auctioned off.*
بيع كرسيّ جذّاب، قريب منّي ومعيّن عندنا، إثر ذلك في المزاد العلنيّ.
(د) ❋*An attractive chair, **this**, was next to be auctioned off.*
*بيع كرسيّ جذّاب، هذا، إثر ذلك في المزاد العلنيّ.

تدعم هذه الخصائصُ النّحويّة الفرضيّةَ القائلة بأنّ العنصر المجذِّر يعرض الوحدة المجذَّرة من حيث كانت مقابلةً للأرضيّة أو لعلاقة التّجذير. وبعبارة أخرى، يُظهِر العنصرُ المجذِّرُ التّنضيدَ المعروضَ بشكل تجريديّ في الرّسم البيانيّ 9. 2 (b)، حيث تكون الأرضيّة خارج الرّكح ومنبنية انبناء ذاتيّا. فلا يمكنها، من حيث كانت كذلك، أن تبأّرَ على أنّها معروض أو معلَمٌ لعلاقة معروضة. فلا يبقى بعد ذلك إلاّ الشّيء المجذَّر أو العلاقة المجذَّرة – على الرّكح ومنبنيين انبناء موضوعيّا– معروضا لعنصر مجذِّر.

تدلّ الأمثلة في (8) على أنّ المسوّرات المجذِّرَة تعرِض كذلك الأشياء بدل العلاقات. وممّا يثبتُ هذه النّقطةَ سلوكُها في ضَوء تعميم أساسيّ في النّحو الإنجليزيّ. نلاحظ، في (10) (أ)، أنّ [*be*] تتوالف مع شتات من العناصر لتكوين محمول جُمَليّ مركّب: الصّفات (مثل، [*beautiful* "جميل"])، والمركّبات الحرفيّة ([*in a pretty vase* "في مزهريّة جميلة"])، ومصادر الفاعليّة

([*drooping* "منحنية"])، ومصادر المفعوليّة ([*wilted* "ذابلة"])، والأفعال غير المصرّفة ([*to cheer her up* "لإبهاجها"]). ويتمثّل ما تشترك فيه جميع هذه العناصر في أنّها تعرض علاقات لاعمليّاتيّة (§ 4. 3). ويمكننا أن نلاحظ، بعد ذلك، في (10) (ب)، أنّ المسوّرات المختلفة يمكنها كذلك أن تتوالف مع [*be*] لتكوين محمول مركّبيّ جُمَليّ. تعرض هذه المسوّرات كذلك علاقاتٍ لاعمليّاتيّة يكون فيها المنتقل في موضع ما من سلّم الكمّيّة. ولكنّ الملاحَظ أنّ المسوّرات الّتي تُحدَّد على أنّها عناصر تجذير لا تظهر في هذا البناء - فالأمثلة الواردة في (10) (ج) لاحنة إلى حدّ ما:

(10)

(أ) *The flowers were* ***{beautiful/ in a pretty vase/ drooping/ wilted/ to cheer her up}***.
كانت الزّهور {جميلة / في مزهريّة جميلة / منحنية / ذابلة / لإبهاجها}.

(ب) *The problems we face are* ***{three / few / many / several / numerous}***.
المشاكل الّتي نواجهها {ثلاث/ قليلة / كثيرة / عديدة / غفيرة}.

(ج) ❋*The politicians who can be bought are* ***{all / most / some / no / every / each / any}***.
*السّاسة الّذين يمكن شراؤهم {الجميع / الأغلب / البعض/ لا أحد/ كلّ / أيّ}.

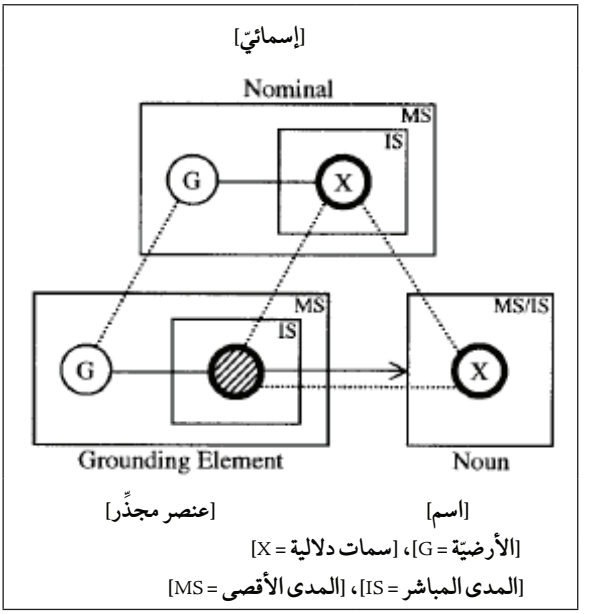
ولئن كانت الوقائع معقّدة، توجد إشارة نحويّة أخرى إلى أنّ المسوّرات المجذِّرة تأتلف في مجموعة مع علامات التّعيين وأسماء الإشارة، من حيث كان كلاهما ضديدا للمسوّرات غير المجذِّرة من قبيل تلك الواردة في (10) (ب). أوّلا، نرى في (11) (أ) أنّ علامات التّعيين، وأسماء الإشارة والمسوّرات المجذِّرة متنافية.[16] يعكس هذا وظيفتَها التّجذيريّة المشتركة بينها - إن جرى واحد منها، يكون الآخر زائدا عن الحاجة (وعادة ما يكون غير موافق له دلاليّا). ومقابل ذلك، نرى في (11) (ب) أنّ بعض التّوليفات بين العناصر المجذِّرة والمسوّرات غير المجذِّرة ممكنةٌ بالفعل. فتواردها النّحويّ يوحي بأنّ للمجموعتين وظائف دلاليّة مختلفةً.

(11)

(أ) ❋***that every*** *dog*; ❋***an any*** *lawyer*; ❋***those most*** *politicians*; ❋***the all*** *computers*
*أنّ كلّ كلب؛ *ما أيّ محام؛ *أولئك أغلب السّاسة؛ *الـ جميع حواسيب

(ب) ***those three*** *cats*; ***the many*** *teachers I have known*; ***all seven*** *hummingbirds*; ***any three*** *ballerinas*
تلك القطط الثّلاثة؛ الأساتذة الكثيرون الّذين عرفتهم؛ كلّ الطّيور الطّنّانة السّبعة؛ أيّ ثلاث من راقصات الباليه

ولا ترد هـذه العناصر في الموضع البدئيّ في هذه التّوليفات، من غير فائدة. يكون العنصر المجذِّر، كما هو الأمر في لغات كثيرة، بصفة عامّة المكوّنَ الوارد في أقصى اليسار من إسمائيّ في الانجليزيّة: [*the three broken chairs* "الكراسيّ الثّلاثة المكسّرة"] ولكن لا يستقيم [*three the broken chairs* ❋ "*ثلاثة المكسّرة الكراسيّ"] أو [*three broken the chairs* ❋ "*ثلاثة مكسّرة الكراسيّ"]. وإذا ما أخذنا الاسم المعجميّ على أنّه "نواة" في إسمائيّ مركّب، كوّن العنصر المُجذِّر أقصى ما يكون خارجا من الطّبقات البنيويّة: (*the* (*three* (*broken* (*chairs*)))) ("الـ(ثلاثة (مكسورة (كراس))))).[17] وعلى هذا، توجد نزعة قويّة عند العنصر المجذِّر إلى الحلول في موضع طرفيّ من بنية الإسمائيّ. ولهذه النّزعة تبرير أيقونيّ واضح. يعكس الموضعُ الطّرفيّ لعنصر مجذِّر منزلته المفهوميّة من حيث كان أقصى المكوّنات في الإسمائيّ خارجيّةً. فمقارنةً بالمكوّنات الأخرى -مثل مسوّر غير مجذِّر (ثلاثة)، أو صفة (مكسور)، أو الاسم المعجميّ (كَـرَاس)- يوفّر العنصر المجذِّر أقلّ قدر من المعلومات المتعلّقة بالمرجع الإسمائيّ في ذاته. وفي [*the three broken chairs*]، مثلا، لا تخبرنا علامة التّعريف بشيء عن الكراسيّ في ذاتها. فهي تكاد لا تشير إلاّ إلى منزلتها من حيث كانت مرجعا خطابيّا (مسألة الكيفيّة الّتي بها يوجّه المتخاطبان انتباههما إليه).



الرّسم البيانيّ 9. 4

يمكن، تبعا لذلك، أن يُعتبَر العنصر المُجذِّر (على الأقلّ من زاوية وظيفيّة) الخطوةَ النّهائيّة في سبك إسمائيّ أو مركّب جُمَليّ منته. وباعتباره أقصى المكوّنات خارجيّةً، إنّما يخصّص علاقة إبستيميّة بين الأرضيّة والشّيء المعروض أو العمليّة المعروضة، كما توصَّف بما تبقّى من العبارة الإسمائيّة أو المركّبيّة الجُمَليّة. يُعرَض هذا، في ما يتعلّق بالإسمائيّات، في الرّسم البيانيّ 9. 4. فالعنصر المجذِّر يعرِض شيئا لا يُخصَّص إلاّ تخصيصا خطاطيّا، ولكنّه يجعله ماثلا على الرّكح محلاّ لبؤرة الانتباه داخل المدى المباشر. والأرضيّة ماثلة خارج الرّكح ومنبنية انبناء ذاتيّا، فتظلّ بذلك العلاقة المجذِّرة (الّتي يجري تمثيلها بخطّ) غير معروضة. ومهما كان حجم البنية المكوّنيّة الأخرى أو درجة تركّبها الدّاخليّ فإنّها تتأهّل لتكون اسما لأنّها تعرض شيئا (حيث تختصر [x] السّمات الدّلاليّة الإضافيّة).[18] ويشير خطُّ التّناسب إلى التّطابق بين الأشياء الخطاطيّة والأشياء المخصوصة الّتي تعرضها البنيتان المكوّنيّتان. ونتيجة لذلك تحقِّق الوحدةُ المجذَّرة عند مستوى البنية المركّبة، النّوعَ الّذي يخصِّصه الاسم وتتضمّن خصائصه الدّلاليّة الأخرى.

9. 3. 2 إستراتيجيّات التّجذير الأساسيّة

يشتمل "عالمنا الذّهنيّ" على كلّ شيء (أو أيّ شيء) نحن قادرون على تصوّره. ومن الجليّ أنّ هذا يمثّل مجموعة كبيرة جدّا - يحسن أن نتجنّب ضبط قائمة في عناصرها. وفوق ذلك، كلُّ شيء يمكن أن نتصوّره، هو كذلك شيء يمكن أن نريد الحديث عنه، وإن أردنا الحديث عنه نحتاج إلى طريقة في الإحالة عليه. والمشكل الّذي يسبّبه ذلك، بما عليه حجم عالمنا الذّهنيّ، أبعد ما يكون عن البساطة. ويمثّل الإسمائيّ من أيّ نوع كان، حلاّ مطلوبا لهذا المشكل. ويشير تجذيرُ إسمائيّ ما إلى أنّ الإحالة قد تحقّقت بما يتضمّن ذلك (صوابا أو خطأ) من أنّ المتحاورين يوجّهان انتباههما إلى نفس الوحدة المتصوَّرة.

يمكن أن يتخيّل المرء إستراتيجيّات متنوّعة لتحقيق الإحالة الإسمائيّة. فمن الإستراتيجيّات البديهيّة أن تكون لكلّ عنصر في عالمنا الذّهنيّ ولكلّ شيء فيه، شارة تواضعيّة متميّزة (مثل اسم العلم). ولكن يتجلّى أنّ هذه الإستراتيجيّة البديهيّة ليست عمليّة. فمهما كان عدد الشّارات الّتي نتعلّمها، لن يكون لنا ما يكفي ليعمّ جميع المراجع الإمكانيّة.[19] وبالإضافة إلى

ذلـك، أغلب الوحدات الّتي يمكـن أن نريد مبدئيّا الحديث عنها لم يفكّر فيها أحد من قبل، بوجه نكاد لا نملك شارات لها.

وبطبيعة الحال، نتعلّم بالفعل عددا هائلا من الأسماء الأعلام. ورغم ذلك نعـوِّل، في الجزء الأعظم منها، على التّوليف بين إسـتراتيجيّات أخرى. تتمثّل واحـدة من تلك الإسـتراتيجيّات في اسـتعمال الأوصاف (مقابل اسـتعمال شـارات مجرّدة). هي ما أسـمّيه الإسـتراتيجيّةَ الوصفيّة. فنحـن قادرون، من خلال الموارد المعجميّة والنّحويّة في لغة ما، على بناء عدد لا ينتهي من الأبنية يمكنها وصف أيّ ضرب من الأشـياء القابلة للتّخيّل. فتخصيص بسيط لنوع معجميّ ما (ببّغاء، مثلا) يكوّن وصفا في حدوده الدّنيا. وعندما تعنّ الحاجة، نسـبك أوصافـا جديدة، يمكن أن تكـون من أيّ حجـم ويمكن لها أن توصِّف تبعا لذلك مراجعَها عند أيّ مستوى من مستويات التّخصيص: ببّغاء> ببّغـاء برازيلي > ببّغـاء برازيليّ ثرثار > ببّغـاء برازيليّ ثرثـار ذو لثغة > ببّغاء برازيليّ ثرثار ذو لثغة حرمنا من النّوم اللّيلة الماضية بسيل مستمرّ من العبارات الفاحشة. ومهما كان حجم الوصف، فهو عادة ما يكون قابلا للانطباق على مجموعـة ذات نهاية مفتوحة من المراجـع الإمكانيّة. وحتّى التّوصيف الّذي يبـدو فريدا مثل "ببّغاء برازيلـيّ ثرثار ذو لثغة حرمنا من النّـوم اللّيلة الماضية بسيل مسـتمرّ من العبارات الفاحشة" يقبل مبدئيّا الانطباق على أفراد متعدّدين - إذ يمكن أن نصاب بكارثة تتمثّل في سرب كامل من هذه المخلوقات.

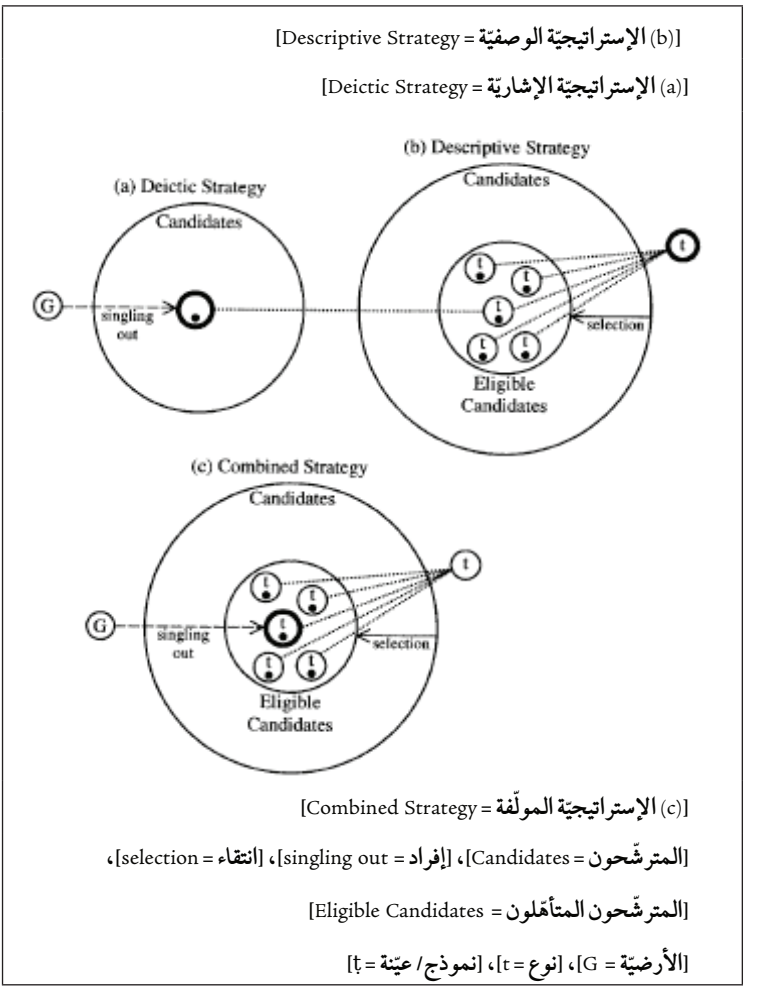
ولهذا السّـبب، يُسـتعمَل الوصـف عادة مقترنـا بإسـتراتيجيّة أخرى. هي إسـتراتيجيّة تحديد المراجع لا بطريقة مطلقة (أي بالإحالة في العالم) ولكن بطريقة نسـبيّة - أي بالإحالة في سـياق خطاب ما. أسـمّي هذه الإسـتراتيجيّةَ الإشاريّةَ. فليس للضّميرين [أنا] و[أنت]، على سبيل المثال، أيّ إحالة ثابتة على شيء في العالم الحقيقيّ. فهما يحيلان، بناء على مَن يكلِّم مَن، على شخصين مختلفين في سـياق أحداث الاسـتعمال المختلفة. ولكنّ لهما بالفعل، إحالة ثابتة تتعلّق بوضعيّة الكلام، بأن يحيلا على المتكلّم والمخاطَب وعلى كلّ من ينهض بهذين الدّورين في مناسبة معيّنة. ورغم أنّ اسم الإشارة يفرِد مرجعا مخصوصا في سـياق الخطاب، فهو، بالمثـل، غير ذي مرجع وحيد في العالم. وحتّـى إحالتـه الخطابيّة يمكـن أن تختلف، بالفعل، من لحظـة إلى أخرى. فالصّبـيّ الّذي يُترَك له العنان في مغـازة الحلويّات يمكن أن يقول بالفعل: "أريد هذا وهذا وهذا وهذا وهذا"، يشير كلّ مرّة إلى واحد من أنواع الحلوى

الخمسة المختلفة. ورغم إحالة لفظ [هذا] المختلفة في العالم، فهو ذو إحالة ثابتة بمعنى أنّه يعيّن، في كلّ حالة، البضاعةَ الّتي يشير إليها الصّبيّ بالجارحة في اللّحظة الّتي يجري فيها النّطق به.

تعمل هاتان الإستراتيجيّتان - الوصف والتّعيين متعلّقين بسياق الخطاب- معا في الإسمائيّات ذات البنية القياسيّة الّتي تُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 9. 4. فالاسمُ يوفّر الوصفَ. ورغم أنّه يتمثّل، في أدنى حدّ، في اسم معجميّ يخصِّص نوعا أساسيّا (من قبيل "ببّغاء")، يمكن أن يكون له، عند الضّرورة، أيُّ درجة مطلوبة من التّركّب البنيويّ ومن التّخصيص الدّلاليّ (مثل "ببّغاء برازيليّ ثرثار ذو لثغة حرمنا من النّوم اللّيلة الماضية بسيل مستمرٍّ من العبارات الفاحشة"). فالتّعيين في علاقته بالخطاب، يتحقّق بالعنصر المُجذِّر. يمكن أن نتصوّر هذا على أنّه "إشارة" لغويّة بالجارحة يوجّه المتكلّمُ من خلالها انتباه السّامع إلى مرجع ما، هي نظير تجريديّ للإشارة الحسّيّة الّتي ترافق، في بعض الأحيان، العناصرَ اللّغويّة الإشاريّة: "أريد هذا [←]". ولكن بما أنّ الوصف يكون مجرّد عمل تصنيفيّ (لا إحاليّ)، وبما أنّ الإشارة اللّغويّة لا تكاد تعيّن شيئا تعيينا دقيقا، فإنّ الواحد منهما في معزل عن الآخر، لا يكفي عادة لانتقاء المرجع المناسب. ونتغلّب على هذا المشكل بالتّوليف بين الإستراتيجيّتين. وتتمثّل الإستراتيجيّة الثّنائيّة في توفير وصف، تتقلّص بحكمه مجموعة المراجع الممكنة بوجه يمكن به حتّى لحركة بالجارحة غيرِ دقيقة أن تفرِد المرجعَ المقصود.

يكمن مشكل الإحالة الإسمائيّة في توجيه انتباه مخاطَب ما إلى شيء مخصوص من بين مجموعة من المترشّحين الإمكانيّين تكون عادة ذات نهاية مفتوحة. فإذا ما لم تكن مجموعة المترشّحين هذه محدودة سياقيّا تكون مطابِقة لعالمنا الذّهنيّ من حيث الامتداد ومشتمِلة على كلّ شيء يمكننا في حدود التّصوّر أن نرغب في الحديث عنه (هو كلّ شيء قابل للتّصوّر). تمثّل الدّائرة الكبيرة مجموعةَ المترشّحين هذه في الرّسم البيانيّ 9. 5، حيث يختزل الرّسمان التّخطيطيّان (a) و(b) الإستراتيجيّتين الإشاريّة والوصفيّة. والتّجذيرُ يستعمل الإستراتيجيّةَ الإشاريّةَ. يتمثّل تنفيذ التّجذير، بذاته ولذاته، في تركيز الانتباه على مترشّح لا يُعيَّن إلاّ في ضوء منزلته في الخطاب، دون اعتبار أيّ نوع من الأنواع قد جرى تخصيصه تخصيصا لغويّا. أقول إنّ التّجذير يُفرِد مرجعا ما. ويتمثّل تأثير الوصف - إمّا بتخصيص بسيط

للنّوع (يشـار إليـه بحرف (t) في 9. 5) أو بتوصيف أكثـر تبلورا تقدّمه عبارة مركّبـة – فـي تقليص مجموعة المترشّـحين الّذين يؤخـذون بعين الاعتبار. وأقول إنّ وصفا ما، ينتقي مجموعة من المترشّحين المؤهَّلين بحكم مطابقتهم له. وعندما تعمل الإسـتراتيجيّتان معا، كما يُعرَض في الرّسم التّخطيطيّ (c)، يُفرِد التّجذير مترشّحا مؤهّلا على أنّه مرجع للإسمائيّ.



الرّسم البيانيّ 9. 5

تعادل الرّسـوم التّخطيطيّة الثّلاثة الواردة في الرّسم البيانيّ 9. 5، تمثيلا آخر لبنية مجذِّرة، ولكنّها ذات تفصيل أكثر من الرّسم البيانيّ 9. 4. يمثّل الرّسمان

التّخطيطيّان (a) و(b) البنيتين المكوّنيّتين. ويجري دمج هاتين البنيتين بعلاقة تَناسُب تُطابق نموذجَ الّشيء الّذي أُفرد بالعنصر المجذِّر، بنموذج من النّوع الّذي يخصّصه الاسم.[20] ويَجري تمثيلَ البنية المركّبة في الرّسم التّخطيطيّ (c)، الّذي يشير إلى دور الإستراتيجيّتين كلتيهما في تحديد المرجع الإسمائيّ.

وهناك إستراتيجيّة عامّة أخرى تستدعي النّظر. وهي أهمّ بالنّسبة إلى المسوّرات المجذِّرة: [*all* "كلّ، جميع"]، [*most* "أغلب"]، [*some* "بعض"]، [*no* "لا النّافية للجنس"]، [*every* "كلّ+ اسم"]، [*each* "كلّ+ اسم"]، [*any* "أيّ"]. فيكون مع هذه المسوّرات، دورُ المتحاورَين أقلَّ ظهورا ممّا يكون عليه مع علامات التّعيين وأسماء الإشارة الّتي تستدعيهما خصّيصا لإرساء علاقة التّجذير. تستحضر أسماء الإشارة المتحاورَين لتحديد المسافة - فعبارة "هذا الببّغاء"، مثلا، تشير إلى أنّ المتكلّم يعتبر أنّ المرجع المقصودَ ظاهرٌ للسّامع، دون شيء آخر، في تلك النّقطة الجارية من الخطاب. ولكن ماذا عن المسوّرات؟ وما هو الدّور الّذي يكون للمتحاورَين في معاني عبارات من قبيل [*most parrots* "أغلب الببّغاوات"]، [*no parrot*(*s*) "لا ببّغا(وات)"]، و[*every parrot* "كلّ ببّغاء"]؟

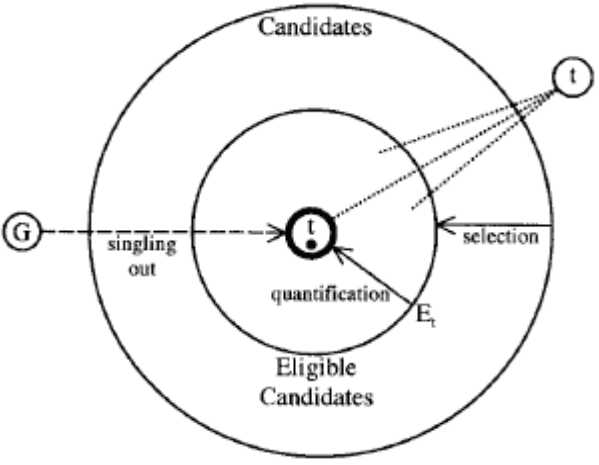
يحتمل أن يكون لهذه المسوِّرات درجة من الحضور الأدنى أكثر ممّا يكون لها دائما. وحتّى في هذه الحال، تظلّ هذه المسوِّرات مؤهَّلة لتكون عناصر مجذِّرة بحكم وظيفتها. فهي تبقى صالحة لإفراد نموذج من نوع ما على أنّه مرجع خطابيّ، يهتمّ به كلّ من المتكلّم والسّامع اهتماما مؤقّتا. وهي، بالإضافة إلى ذلك، ذات مضمون إبستيميّ أساسيٍّ مقابلَ المضمون المعجميّ المخصوص، حتّى بالمقارنة بالمسوّرات غير المجذِّرَة. فهذه الأخيرة تتراوح من الخصوصيّة التّامّة إلى الضّبابيّة، (مثل، [*seven*>*several*>*numerous*>*many* "سبعة > عديد / عدّة > متعدّد > كثير"]، بل إنّ أكثر المسوّرات خطاطيّةً تحمل فكرةً محدّدة من الكمّيّة. ولكنّ الأمر ليس كذلك بالنّسبة إلى المسوّرات المجذِّرة (باستثناء [*no*] بطبيعة الحال). فما هو المضمون الكمّيّ الفعليّ لـ[*most* "أغلب"]، أو [*every* "كلّ+ اسم"]، أو [*any* "أيّ"]؟ هي لا تتضمّن أيّ كمّيّة محدّدة أو عدد مخصوص. فهل مجموعة [*all unicorns* "كلّ الخيول وحيدة القرن"] أكبر أو أصغر من مجموعة [*most angels* "أغلب الملائكة"]؟ وكيف تفعلون في إحصاء العناصر في أيّ مجموعة منهما؟ فإذا بدت عبارة [*every parrot* "كلّ ببّغاء"] على أنّها دالّة على الكثير من الببّغاوات، لمَ كان

هذا الإسـمائيّ مفردا لا جمعا؟ وماذا عن قولنا [*all months between March and April* "جميع الأشهر بين مارس وأفريل"] مقابل [*any month between March and April* «أيّ شهر بين مارس وأفريل»]؟ وما هو الفرق بينهما إن وُجِد؟

لإسـتراتيجيّة التّجذير الّتي تتّبعها هذه العناصر عاملان أساسـيّان: النّسـبيّة والافتراضيّـة. فمقابل المسـوّرات غير المجذِّرة الّتي تحـدّد الكمّيّةَ تحديدا مطلقا (وإن بضبابيّة ومرونة)، تحدّد المسوّرات المجذّرة الكمّيّة تحديدا نسبيّا - أي في علاقة بوحدة أخرى. وبالإضافة إلى ذلك، يكون مرجع الإسـمائيّ دائمـا افتراضيّا مع المسـوّرات المجذِّرة. ولئن أمكن أن تحيـل [*seven parrots* "سـبعة ببّغاوات"] أو [*several angels* "ملائكة عديدة"] على أفراد حقيقيّين، فإنّ عبارات من قبيل [*every parrot* "كلّ ببّغاء"] و [*most angels* "أغلب الملائكة"] لا يمكن أن تدلّ إلاّ على وحدات افتراضيّة.

والوحدة الّتي على أساسـها يكون تحديد الكمّيّـة افتراضيّة كذلك. فمـا هي هذه الوحـدة الّتي تمثّل النّقطـة المرجعيّة؟ هـي لا تعدو أن تكون مجموعـة المترشّـحين المتأهّلين، أي كلّ شـيء طابقَ وصْفَ النّوع بسـيطا كان أو متبلـورا. ففي حالة [*every parrot* "كلّ ببّغاء"]، هي مجموعة الببّغاوات كلّهـا. وفي حالة [*most whiskey* "معظم الويسـكي"] هي جميع الويسـكي. وسـوف تكون الإحالة عليها، بالنّسبة إلى نوع معطى (t)، بمصطلح الامتداد الأقصى لذلك النّوع، يشـار إليه اختصارا بـ[E_t]. فهـذه وحدة افتراضيّة، هي منتوج لتصوُّرٍ ما، لا شـيءٌ موجود في العالـم.[21] ويعكس هذا البناءُ الذّهنيّ عددا من الظّواهر المفهوميّة نوقشت في ما سبق. ومن خلال التّجميع والتّشييء (§ 4. 2. 2) "تُحزَم" النّماذج المتصوَّرَة معا وتعتَبَر وحدة صمّاء. وبالإضافة إلى ذلك، يمثّل الامتداد الأقصى مزيجا مفهوميّا (§ 2. 2. 3)، يولّف بين خصائص لا يمكن أن توجَد معا - وخاصّة تلك المتعلّقة بمراجع كلّ من الأسـماء المعدودة وأسـماء الكتلة. فهو، من جهـة، يُتصوَّر على أنّه كتلة ذات امتداد غيـر محدَّد. ونحن نـدرك أنّه ما من كتلة مخصوصة مـن الببّغاوات أو من الويسـكي يمكن أن تكون أكبر كتلة ممكنة تستقصي جميع العيّنات مـن هذا النّوع. وفي نفـس الوقت، نتصوّره وحدة محـدودة، وحدة منتهية من حيث امتدادها، بوجه من الوجوه. فهذا الحدّ الافتراضيّ يشـتغل نقطة مرجعيّة في تقييم الكمّيّة المقترنة بمرجع إسمائيّ.[22]

وتتمثّل إستراتيجيّة التّجذير الأساسيّة الّتي تتّبعها المسوّرات النّسبيّة في توصيف المرجع الإسمائيّ في علاقته بالامتداد الأقصى. ورغم أنّ المتحاورين يفردان المرجع بكلّ تأكيد، بمعنى أنّهما يوجّهان انتباههما إليه، فإنّ الأساس الأوّليّ لتحقيق ذلك يتمثّل في علاقة لا يرسيها المتحاوران أنفسهما. وعوضا عن ذلك، يرتبط النّموذج المعروض بالامتداد الأقصى (E_t) من ناحية الكمّيّة، كما يظهر في الرّسم البيانيّ 9. 6. وإذ تتّخذ هذه الكمّيّة من الامتداد الأقصى نقطة مرجعيّة لها، فهي لا تكون إلاّ نسبيّة، بحكم أنّ قيمتها المطلقة مرتبطة بحجم الامتداد الأقصى (E_t). وبصفة مطلقة، تتضمّن [*most days of the year* «أغلب أيّام السّنة»] عددا أكبر من [*most months of the year* "أغلب أشهر السّنة"]، الّتي تفوق بدورها عددَ [*all days of the week* "جميع الأيّام من الأسبوع"] (دون أن نذكر [*all months between March and April* "جميع الأشهر بين مارس وأفريل"]).



[**المترشّحون** = Candidates]، [**إفراد** = singling out]، [**انتقاء** = selection]

[**المترشّحون المتأهّلون** = Eligible Candidates]، [**الأرضيّة** = G]

[**امتداد أقصى** = E_t]، [**تسوير** = quantification]، [**نوع** = t]، [**نموذج/ عيّنة** = ⊠]

الرّسم البيانيّ 9. 6

ولئن كان لإستراتيجيّة التّسوير هذه مظاهر شتّى في تنفيذها (§ 9. 3. 5)، فإنّ هذه المظاهر جميعها تستتبع الافتراضيّةَ: بما أنّ الامتداد الأقصى

(E_i) وحـدة افتراضيّة، وبما أنّ المعروض محـدَّد في علاقته بالامتداد الأقصى فقـط، وجب أن يكون المعروضُ كذلك افتراضيّا. فمن الواضح أنّ عبارة [*every parrot*]، لا تحيل على أيّ ببّغاء مخصوص بل تحيل على نموذج افتراضيّ يُسـتحضَر لغاية وحيدة هي إنشـاء حكم عامّ (واحد يمتدّ على جميع النّماذج مـن المقُولـة). وبالمثل، لا تفرد عبـارة [*most parrots*] أيَّ نموذج مخصوص من الببّغاوات ولكن تفرد نموذجا لا يتحدّد إلاّ بكونه ممثّلا لنسـبة من الامتداد الأقصى. وعبارة [*Most parrots are talkative* "أغلب الببّغاوات ثرثارة"] لا تخبرنا عن طلاقـة تكون لأيّ طائر بعينه. وحتّى فـي حالة [*all parrots* "كلّ الببّغاوات"]، لا نحيـل مباشـرة على نماذج حقيقيّـة من الببّغاء، أو على نمـوذج حقيقيّ من الببّغـاوات. إنّما نشـير، عوضا عن ذلـك، إلى نموذج متخيّل مـن الببّغاوات موصّفا فقط بكونه مطابقا للامتداد الأقصى.

تمثّل الإسـمائيّات المجذَّرَة بالمسوّرات النّسـبيّة، رغم مراجعها المتخيّلَة، وسيلة مهمّة في التّفكير والكلام في الوضعيّات الحقيقيّة. فهي تَنزع، بطبيعتها، إلى الورود فـي العبارات الدّالّة على الأحكام العامّـة، إذ تقابل مراجعُها أيَّ عدد من الأفراد الحقيقيّين. فهي توفّر، بذلك، وسـيلة أساسيّة في التّعامل مع العالـم. وبكلّ تأكيد، لعبارة من قبيل [*Polly is loquacious* "بولّي ثرثارة"]، مزيّة الإخبار بشـيء محدَّد عن وضعيّة مخصوصة. ومن جهة أخرى، رغم أنّ عبارة [*Most parrots are talkative* "أغلـب الببّغـاوات ثرثـارة"] أقـلّ تخصيصا من تلك العبارة، فهي تحتمل أن تكون أكثر فائدة منها لأنّها تتعلّق بوضعيّات تكوِّن مجموعة ذات نهاية مفتوحة.

9. 3. 3 أسماء الإشارة

يجري وصف الإسـمائيّات تقليديّا بكونها معرفة أو نكرة. ورغم أنّ هذا التّمييز ضبابيّ، فهو متعلّق بمنزلة مراجع الإسمائيّات في الخطاب. ويمكن أن نبلغ أساسه المفهوميّ بفحص معاني العناصر الإسمائيّة المجذّرة. وهذه متعلّقة كذلك بالخطاب الّذي يمثّل بالنّسبة إليها الموضِع والمرساة الإشاريّة في آن واحد. فكيفيّة التّفاعل بين المتكلّم والسّامع في إفراد المراجع الخطابيّة هي المفتاح لتوصيفها الدّلاليّ.

وعناصـر التّجذير المعارفُ خصّيصا، في الإنجليزيّة، هي أسـماء الإشـارة ([*this* "هـذا"]، [*that* "ذاك"]، [*these* "هـؤلاء"]، [*those* "أولئـك"]) وعلامـة التّعريف ([*the* "الـ"]). وأسـماء الإشـارة بوجه خاصّ شـاهد علـى الطّبيعة

التّفاعليّة والحركيّة الّتي للتّجذير الإسـمائيّ. وليس من النّادر أن يكون اسم الإشارة مصحوبا بإشـارة تعيين حسّيّة تكون بالجارحة. فالجملة (12)، مثلا، كان ينطق بها منذ القديم في مناسبات لا تحصى (عادة ليضمن بها المتكلّم ما يبدو أنّه أكبر قطعة من مرطّبات عيد الميلاد):

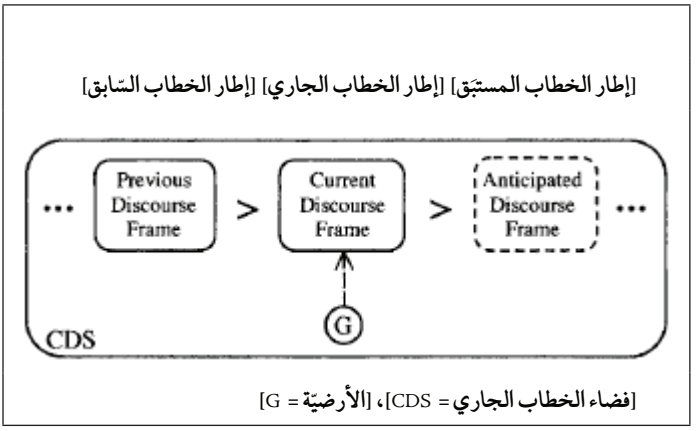
(12) *I want this* [→] *piece*
أريد هذه [←] القطعة.

مـن خلال هذا الملفوظ، يوجّـه المتكلّم انتباهَ السّـامع توجيها إيجابيّا إلى مرجع مخصوص يكون حاضرا حضورا حسّـيّا فـي مقام الخطاب. فإن كان هـذا العمل ناجحا، قـدح حالة ظرفيّة مـن الوعي البين ذاتيّ يتشـارك خلاله المتحـاوران (ويعلمان أنّهما يتشـاركان) في تلك البـؤرة الإحاليّة. وحركة الجارحة الحسّيّة نظيرٌ ظاهر للعمليّة الذّهنيّة الّتي نطلق عليها هنا تسمية «الإفراد»، الّتي يتميّز بها التّجذير الإسـمائيّ بصفة عامّة. وتجسّد أسماء الإشارة المصحوبة بحركة التّعيين بالجارحة، «أقوى» الأشـكال في الإفراد - من حيث كانت فاعلـة، وذات تجلّ مـادّيّ، ومنبنية انبناء موضوعيّـا؛ وتضعف بدرجات مختلفة عندما تجري مع عناصر التّجذير الأخرى (انظر ديسّال 1999، 2006).

ولذلك، تكون أسـماء الإشـارة المصحوبة بحركـة التّعيين بالجارحة الموضـع الطّبيعيّ الّذي يبدأ عنـده فحصُ عناصر التّجذيـر الفرديّة. فكيف يمكننا أن نصفهـا وصفا ظاهرا؟ وجب، أوّلا، أن تكون لنا طريقة في تمثيل دفَق الخطاب الجاري. ومن المفاهيم المفيدة في هذا المضمار، مفهوم «فضاء الخطاب الجاري» الّذي يُعرّف بكونه كلّ شـيء يُفترَض أنّه مشـترك بين المتكلّم والسّامع أساسا يقوم عليه الخطاب في لحظة زمنيّة ما. يكون فضاء الخطاب الجاري، مستقرّا في مظاهر عديدة (يندرج فيها كمّ هائل من الخلفيّة المعرفيّة)، ولكن بتقدّم الخطاب، يكون تحيينه بشكل مستمرّ عندما يعالَج كلُّ ملفـوظ لاحق. فعند أيّ نقطة من الخطاب، يوفّر فضاء الخطاب الجاري الأساسَ لتأويل الملفوظ اللاّحق الّذي يحوِّر في آن واحد مضمونَ هذا الفضاء وما يكون محلّ تبئير في داخله.

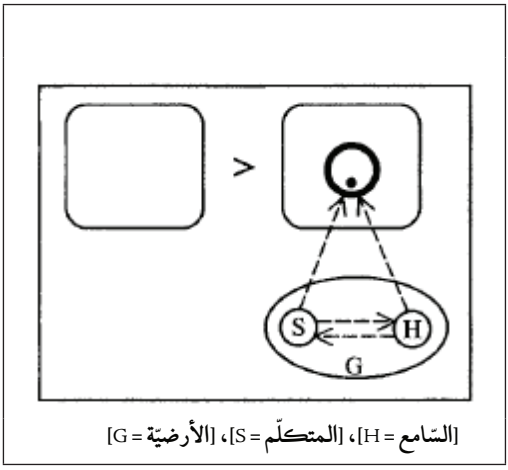
لا تستدعى خصّيصا إلاّ أجزاء معيّنة من فضاء الخطاب الجاري، ولا تجعل إلاّ بعض الأجزاء منه متعلّقة بتأويل أيّ ملفوظ مخصوص. تكوِّن هذه الأجزاء - باعتبارهـا محطّ العناية في طور معيّن من الخطاب- إطارا خطابيّا. ولذلك، يتعامل المتحاوران، بتنامي الخطاب، مع سلسـلة مـن الأطر الخطابيّة، يجري

إنتاج الواحد منها بتحيين سابقه. يُعرَض ذلك بشكل تجريديّ في الرّسم البيانيّ 9. 7. فإطار الخطاب السّابقُ هو ذاك الّذي يُستدعَى لتأويل العبارة الجاريّة حاليّا. وإطار الخطاب الجاري هو ذاك الّذي يكون الحصول عليه بتحيين الإطار السّابق وفق المعنى في تلك العبارة. وبطبيعة الحال، تمثّل الأرضيّة جزءا من فضاء الخطاب الجاري، وكذلك الخطاب الجاري نفسه بما فيه من سلسلة الأطر ومضمونها.[23]



الرّسم البيانيّ 9. 7

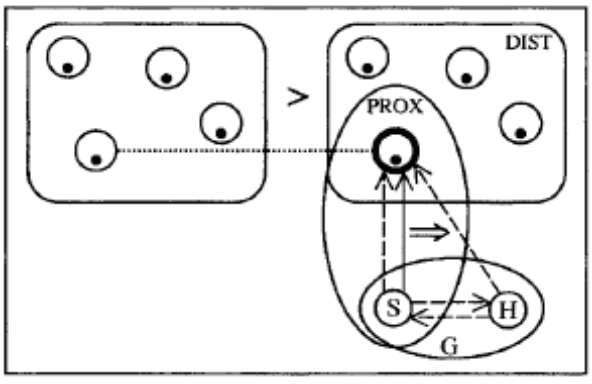
ومن الاعتبارات المهمّة في وصف العبارات اللّغويّة، الكيفيّةُ الّتي بها ترتبط تلك العبارات بهذا المخطّط العامّ. فمعنى عبارة ما، مأخوذا من هذه الزّاوية، هو ما به تساهم تلك العبارة في بناء الخطاب: أي هو، في آن واحد، البنيةُ الّتي تفرضها على إطار الخطاب الجاري، وأيّ واحد من التّوقّعات الّتي تقدحها في ما يتعلّق بالأطر الأخرى. ومن البيّن، على وجه الخصوص، دورُ العناصر المجذِّرة في الخطاب. وإذ كانت ذات مضمون ذاتيّ ضئيل، كان معناها ماثلا بصفة رئيسيّة في لبّ العَمل الّذي تؤدّيه في إفراد مرجع إسمائيّ ما. يُعرَض هذا باختزال في الرّسم البيانيّ 9. 8 الّذي يعادل توصيفا خطاطيّا للتّجذير الإسمائيّ. والنّتيجة المرجوّة، في جميع الحالات، هي الإحالة الذّهنيّة المنسَّقة حيث يوجّه المتكلّم والسّامع انتباههما توجيها مؤقّتا إلى نفس العيّنة من الأشياء. وتختلف العناصر المجذِّرة في الوسائل الخاصّة بالواحد منها في تحقيق هذا التّوجيه، إذ يتمثّل عامل رئيسيّ في ما كان للوحدة المفرَدة في الإطار الجاري، من منزلة في الإطار السّابق.



الرّسم البيانيّ 9. 8

وفي حالة أسماء الإشارة الإنجليزيّة، تتدخّل عناصر أخرى. فنحن نُجري تمييزا رباعيّ المداخل - بين [*this*]، و[*that*]، و[*these*]، و[*those*]- على أساس زوجين من التّقابل الثّنائيّ. يتعلّق الأوّل بطبيعة المرجع الإسمائيّ. ففي حين تصفه [*these*] و[*those*]، خصّيصا، على أنّه جمع كتلة ([*these pens* "هذه الأقلام"]، [*those pencils* "تلك الأقلام الرّصاصيّة"])، تشتغل [*this*] و[*that*]، عنصرين محايدين يُستعملان في آن واحد مع الأسماء المعدودة ([*this pen* "هذا القلم"]، [*that pencil* "ذاك القلم الرّصاصيّ"]) ومع أسماء الكتلة غير الجمعيّة ([*this ink* "هذا الحبر"]، [*that graphite* "ذاك الغرافيتي"]). ويتقاطع مع هذه المقابلة، التّمييزُ بين القريب والبعيد، حيث تتقابل [*this*] و[*these*] مع [*that*] و[*those*] ([{*that*/*this*} *pen*] "{هذا / ذاك} القلم"]، [{*that*/*this*} *ink* "{هذا/ ذاك} الحبر]، [{*those*/*these*} *pens* "{هذه/ تلك} الأقلام]). والواجب أن تكون المسافة المعنيّة هنا فضائيّة، بوجه مهمّ. فإذا قال بعضهم [*I really like this pen* "يعجبني هذا القلم حقّا"]، يمكن أن يكون القربُ الّذي تعبّر عنه [*this*]، قربا فضائيّا (والمتكلّم ممسك بالقلم)، أو زمانيّا (والمتكلّم يمسك الآن بالقلم)، أو وظيفيّا (المتكلّم يستعمل القلم)، أو موقفيّا (المتكلّم معجب به) أو أيَّ توليفة من جميع هذه الأنواع. ولهذا، يمكن أن يوصف التّقابل وصفا أوسع بأنّه يَقسم حقلَ الاهتمام إلى منطقة قريبة متمركزة على المتكلّم، ومنطقة بعيدة مكمّلة لها، باعتبار أبعاد الوعي المختلفة (انظر يانسان 1995).

يمكن أن تستعمَل أسماء الإشارة جميعها مصحوبة بحركة تعيين بالجارحة: [*pen* [→] *this* [←] "هذا القلم"]، [*pen*[→] *that* [←] "ذاك القلم"]، [*pens*[→] *these* [←] "هذه الأقلام"]، [*pens*[→] *those* [←] "تلك الأقلام"]. يعرِض الرّسم البيانيّ 9. 9 الاستعمالَ التّعيينيّ بالجارحة لاسم الإشارة [*this*]، حيث يوجد المعروض قريبا من المتكلّم. ويفترِض اسم الإشارة المصحوب بحركة تعيين بالجارحة وجودَ مجموعة منَ الأهداف الممكنة قابلة لأن يهتدَى إليها بصريّا انطلاقا من الأرضيّة. تُعرَض أربعة منها في الرّسم التّخطيطيّ. وهي تمثّل عددا من المترشّحين القابلين للتّأهّل الّذين يقعون في داخل المدى المباشر للاهتمام.[24] يكوّن هذا التّشكّل إطارَ الخطاب السّابقَ الّذي يُستحضَر "دَخْلا" باعتماد اسم إشارة تعيينيّ. وبناء على هذا الدّخل، يفرد اسم الإشارة مرجعَه، أساسا، بواسطة حركة التّعيين الحسّيّة الّتي نمثّل لَها بسهم صلب. وتشير السّهام المضاعفة إلى أنّ لهذه الحركة قوّةً توجيهيّة: يشير المتكلّم بالجارحة وهو يقصد خصّيصا إلى جعل السّامع يركّز انتباهه على الوحدة المشار إليها. والنّتيجة، إن سار كلّ شيء على ما يرام، هي الإحالة الذّهنيّة المنسّقة.[25]



[**منطقة قريبة** = PROX]، [**منطقة بعيدة** = DIST]

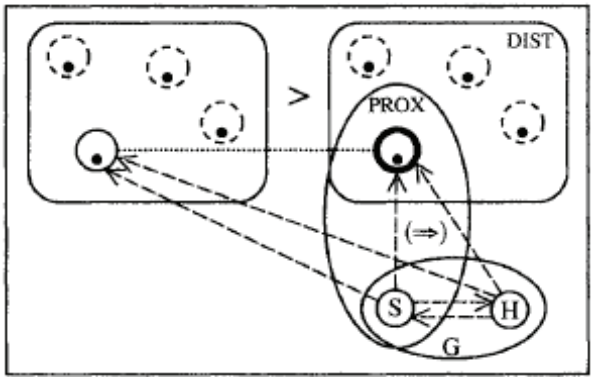
[**السّامع** = H]، [**المتكلّم** = S]، [**الأرضيّة** = G]

الرّسم البيانيّ 9. 9

في ثقافتنا، تحظى الإشارة التّعيينيّة بالجارحة - الّتي تنجَز والذّراع مبسوطة والأصبع مطلوقة- بمنزلة نموذج بدئيّ مفهوميّ. وهي تستعمَل في

الغالب مستقلّة عن الكلام، وتوفّر منوالا في علامات التّوجيه وأيقوناته (☞). ويُنتِج اندماجها في الضّمائر الإشاريّة، عناصرَ تجذير تكون طرازيّة بمعنى أنّها تمثّل، على الأقلّ، "أقوى" شكل من أشكال الإفراد وأبرزَها، تتشعّب منه إستراتيجيّات التّجذير الأخرى بطرق متنوّعة وبدرجات متفاوتة. وتكون حركة الجارحة الحسّيّة في ذاتها، عرضة للتّخفيف. فعوض مدّ الذّراع، يمكننا ببساطة أن ندير المعصم بوجه يشير به الأصبع إلى الاّتجاه المطلوب. وممّا يختلف اختلافا هائلا عن النّموذج البدئيّ في الإشارة بالجارحة، الإشارة بإيماءة من الرّأس. وربّما أمكننا أن نفعل ذلك بمجرّد توجيه النّظر إلى شيء ما.

وبطبيعة الحال، تتمثّل أقصى الحالات من التّخفيف في غياب الإشارة بالجارحة غيابا تامّا. فإذا ما قيلت العبارة [*I really like this restaurant* "يعجبني هذا المطعم حقّا"]، أثناء تناول العشاء خارج المنزل، مثلا، قد لا تكون مصحوبة بإشارة تعيين بالجارحة. وفي الرّسم البيانيّ 9. 9 رسم تخطيطيّ ممكن لاسم الإشارة [*this*]، بفارق بسيط يتمثّل في حذف السّهم الصّلب منه. وتبقى في هذا الاستعمال لاسم الإشارة القوّة التّوجيهيّة، من حيث مثّل أمرا بالبحث عن المرجع المقصود (كيرسنار 1993). إذا كان المتحاورون قد خاضوا قُبَيل ذلك في مطاعم مختلفة على وجه الخصوص، فإنّ الافتراض بأنّ الإحالة الذّهنيّة المنسَّقَة لم تتحقّق بَعْدُ يظلّ قائما، بوجه يكون فيه المطعم المقصود في حاجة إلى أن يميّزَ من المطاعم المترشّحة الأخرى. وفي غياب الإشارة التّعينيّة بالجارحة، يتحوّل الثّقَل إلى المقابلة بين القريب والبعيد. فيمكن أن يُعتبَر اختيار [*this*] مقابل [*that*] إشارةً تعيينيّة باللّغة يوجّه بها المتكلّم انتباه السّامع إمّا إلى المنطقة القريبة أو إلى المنطقة البعيدة. يكون ذلك في الغالب كافيا لإفراد المرجع الصّحيح - شريطة أن تشتمل تلك المنطقة على مرشّح وحيد قابل للتّأهّل. ولذلك يكون الصّبيّ الّذي يجد نفسه أمام قطعة الحلوى في حفلة عيد الميلاد، مجبرا بالضّرورة على أن يعيّن بالإشارة. فبمجرّد قوله [*I want this piece* "أريد هذه القطعة"]، دون إشارة تعيين بالجارحة، لا أمل له في الحصول على أكبر القطع.



[**منطقة قريبة** = PROX]، [**منطقة بعيدة** = DIST]

[**السّامع** = H]، [**المتكلّم** = S]، [**الأرضيّة** = G]

الرّسم البيانيّ 9. 10

وعندما تكون إشارة التّعيين مجرَّد كلمات لا يحتاج هدفها إلى أن يكون حاضرا حضورا ماديّا. فغالبا ما لا يكون حاضرا إلاّ حضورا ذهنيّا، بمعنى أنّه قد ذُكِر في الخطاب السّابق. ينجم عن ذلك استعمال أسماء الإشارة استعمالا إحاليّا عائديّا، يسمّى كذلك لأنّها - مثل الضّمائر العائديّة- تحيل إحالة رجعيّة على شيء مذكور من قبل. في (13) تحيل [*this project* "هذا المشروع"] إحالة رجعيّة على المشروع الّذي جرى ذكره في المركّب الجُمَليّ السّابق:

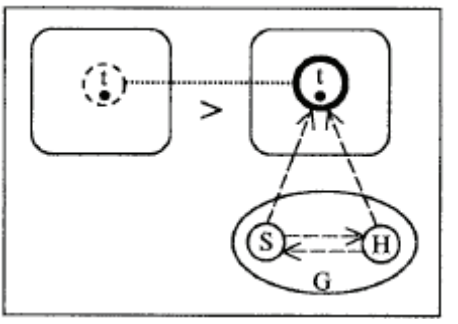
(13) *We've started* ***a major research project.*** *The goal of* ***this project*** *is to prove the existence of phlogiston.*

لقد بدأنا في مشروع بحث كبير. غاية هذا المشروع إثبات وجود اللاّهوب.

يجري عرض اسم إشارة عائديّ عرضا مختزلا في الرّسم البيانيّ 9. 10. والقوّة الاتّجاهيّة فيه ضعيفة جدّا، لأنّ السّامع، عوض أن يبحث وجوبا عن مرجع خطابيّ جديد، يطلَب منه مجرّد توجيه انتباهه ثانية إلى مرجع كان قد أُفرد في حلقة سابقة من التّجذير الإسمائيّ. وتشير الدّوائر ذات الخطوط المتقطّعة إلى أنّ حضور المترشّحين الآخرين غير ضروريّ.

9. 3. 4 علامات التّعيين: التّعريف والتّنكير

تكون أسماء الإشارة ذات الإحالة العائديّة قابلة للتّبادل مع علامة التّعريف. فإذا ما عُوِّضت هذه بعلامة التّعريف [*the*] في (13)، لا يكاد يدرَك الفرق في المعنى. ورغم ذلك، ثمّة فارق. فمن جهة، تُحيِّد علامة التّعريف [*the*]، التّمييزَ بين البعيد والقريب (غير أنّ ذلك يُتَوَصَّل إليه عن طريق التّأويل وجوبا). وهي تمثّل كذلك إضعافا شديدا من القوّة التّوجيهيّة - يكون أساسا بمحوها تماما. وهي تستلزم، كما يُعرَض بإجمال شديد في الرّسم البيانيّ 9. 11، أنّ مدى الاعتبار المفيد لا يحتوي إلاّ على نموذج واحد جليٍّ من النّوع المخصوص (انظر هاوكِينس 1978؛ إيبستاين 2001، لانقاكر 1991: § 3. 1. 1). وإذ كان هناك مترشّح قابل للتّأهّل وحيد، لا يكون من الضّروريّ تمييزه من سائر النّماذج باعتماد الإشارة التّعيينيّة الحسّيّة أو اللّغويّة. ولذلك، تمثّل [*the*] الحالة المهترئة من التّعيين الذّهني، تكون فيها مجرّدُ الإشارة إلى النّوع كافية لتحقيق الإحالة الذّهنيّة المنسَّقَة.



[السّامع = H]، [المتكلّم = S]، [الأرضيّة = G]

[نموذج/عيّنة = !]

الرّسم البيانيّ 9. 11

وخلافا لأسماء الإشارة ذات الإحالة العائديّة (وللضّمائر، كذلك)، لا تستلزم علامة التّعريف أن يكون المرجع قد أفرِد بل لا تتضمّنَ حتّى أن يكون بارزا بوجه خاصّ في الإطار السّابق. فهي لا تحتاج، ما مثّلت النّموذجَ الوحيد في داخل المدى المفيد، إلى أن تكون موضعا لبؤرة الانتباه في ما سبق. ففي

(14) (أ)، على سبيل المثال، يحتمل أن يكون المتحاوران غير واعيين بوجود مكيّف الهواء قبل إقفاله. وغالبا ما لا يستدعَى المرجعُ استدعاء صريحا في الإطار السّابق ولكن يمكن رغم ذلك أن يكون مستلزَما. ولا يستدعي المركّب الجُمَليّ الأوّل في (14) (ب) جهازَ المودیم خصّيصا، ولكن يرد فيه ذكر حاسوب، منشِطا بذلك المنوالَ العرفنيّ الّذي لنا عن الحاسوب وأجزائه. وهذا يوفّرُ الإطارَ السّابق بغاية تأويل المركّب الجُمَليّ الثّاني، وبما أنّ المنوال المؤمثَل يشتمل على حضور موديم وحيد، كان نموذج وحيد من هذا النّوع قابلا لأن يهتَدَى إليه في ذلك السّياق. وبهذه الطّريقة، يحدَّد الموديم الّذي يحال عليه في المركّب الجُمَليّ الثّاني، بكونه الموديمَ الّذي يشتمل عليه الحاسوب الّذي كان قد ذكِر في المركّب الجُمَليّ الأوّل.

(14) (أ) *The air conditioner just went off.*
انطفأ مكيّف الهواء منذ لحظة.

(ب) *She has a computer, but the modem isn't working.*
(هي) لها حاسوب، ولكنّ الموديم لا يعمَل.

(ج) *the best way to skin a cat*; *the only person to have hit a golf ball on the moon*
أفضل طريقة لسلخ قطّ؛ الشّخص الوحيد الّذي ضرب كرة قولف على القمر.

(د) *the month between April and June*; *the nation that shares a border with Canada*
الشّهر الّذي بين أفريل (نيسان/إبريل) وجوان (حزيران/ يونيو)؛ الشّعب الّذي يشترك في واحد من حدوده مع كندا.

يمرّ النّموذج الوحيد الّذي أفردَ بعلامة التّعريف [*the*]، باعتبار منزلته في الإطار السّابق، عبر درجات السّلّم كلّها- بداية من كونه بارزا صريحا، فكونه كامنا لكن قابلا لأن يهتدَى إليه مباشرة عن طريق الاستدلال، فكونه غائبا لجميع المقاصد والغايات. ولذلك يُدرَج أو يجعَل محلاّ للوعي، في الغالب، بواسطة الإسمائيّ المجذَّر نفسه. والشّرط الوحيد في ذلك أن يكون وصفُ النّوع المتوفّرُ كافيا لتعيين مرجع وحيد في السّياق المباشر للخطاب. وفي بعض الأحيان، يضمن وصفُ النّوع التّفرّدَ بحكم طبيعته المركوزة فيه. يمكن أن يضمنَ ذلك كما يلاحَظ في (14) (ج)، لأنّه يشتمل على صيغة تفضيل مطلق مثل [*best* "الأفضل / الأحسن]، أو على كلمة مثل [*only* "فقط / لا غير"]، تَقصُر النّوع خصّيصا على نموذج واحد ليس غير. وبدلا من ذلك، يمكّننا من استنباط الفرادة على أساس المعلومات

الأخرى، كما في (14) (د). وغالبا ما يكون المرجع الّذي تفرده [*the*]، فريدا في المعنى العمليّ للعبارة وإن لم يكن ذلك في المطلق. يحدث ذلك عندما يكون نموذج مخصوص على غاية من البروز يكون بها النّموذجَ الوحيدَ الّذي يعتبَر في الملابسات العاديّة. ولذلك نتكلّم عن [*the moon* "القمر"] رغم أنّ هناك نماذج كثيرة من [*moon* "قمر"] في نظامنا الشّمسيّ.

ولئن مثّلت أسماء الإشارة المصحوبة بالتّعيين بالجارحة أقوى الأشكال في الإفراد، فإنّ علامات التّعريف تمثّل أضعف شكل ضمن عناصر التّجذير المعرفة. غير أنّه من الشّائع في علامات التّعريف أن تتولّد من أسماء الإشارة خلال التّاريخ. وكما يجري بصورة مثاليّة في عمليّة الإنحاء، يشتمل تطوّر أسماء الإشارة على إضعاف تدريجيّ لكلّ من القطبين الدّلاليّ والصّوتميّ (هوبّر وتروغوت 2003). فمن زاوية صوتميّة، آل ذلك إلى أن صارت علامة التّعريف غيرَ منبورة وذاتَ حركة محايدة وظهرت عليها نزعة قويّة إلى الالتصاق بالكلمة الّتي ترد بعدها (الرّسم البيانيّ 6. 13 (b)). ومن زاوية دلاليّة، آل ذلك إلى غياب القوّة التّوجيهيّة: بما أنّه لا يوجد إلاّ نموذج واحد فقط من النّوع المحدّد، لا تكون الحاجة إلى بذل جهد خاصّ للعثور عليه. ولذلك لا يمكن لعلامة التّعريف الإنجليزيّة، خلافا لأسماء الإشارة، أن تقوم برأسها عنصرا إسمائيّا ([*I like* {*this* /**the*} "أحبّ {هذا/ *الـ}"]). فعلامة التّعريف قاصرة عن تحقيق الإشارة التّعيينيّة عن طريق الإشارة الحسّيّة بالجارحة أو عن طريق التّمييز بين القريب والبعيد. فتعوّل علامة التّعريف لبلوغ الإحالة الذّهنيّة المنسَّقَة، بدل ذلك، على مرجعها منَ حيث كان النّموذجَ الوحيد الجليّ من النّوع المحدَّد. وبالإضافة إلى ذلك، لا يفعل تحديدها للنّوع من حيث كان تحديدا على غاية في الخطاطيّة (إذ هو "شيء")، شيئا على الإطلاق لتحديد المرجع. وعلى هذا، تتطلّب [*the*]، حتّى لا يكون استعمالها خلوا من المعنى، وصفا أكثر تخصيصا للنّوع لا يمكن أن توفّره إلاّ العناصر الّتي تتوارد معها.

تفتقر لغات كثيرة إلى كلّ شيء شبيه بعلامة التّعريف الإنجليزيّة، ولكن يبدو أنّها لا تشكو من غيابها. وهي تغطّي مجالَ تلك العلامة تغطية جزئيّة من خلال استعمالٍ أوسعَ لأسماء الإشارة. ومن الوسائل الأخرى في تحقيق الإحالة على المَعرفة، أن يقبل الاسم الورود عاريا من أيّ عنصر تجذيريّ ظاهر. فكيف يمكن لاسم "عار" أن يكون معرفة؟ ليس للّغة موارد لبناء العبارات فقط بل لها كذلك موارد لتطبيق تلك العبارات على الخطاب الجاري

(انظر الفصل 13). ومن وحداتها التّواضعيّةِ قوالبُ مخصوصة لاستعمال العبارات الإسمائيّة ولتأويلها في مقامات خطابيّة مخصوصة. فيمكننا، حينئذ، أن نتخيّل قالبا يطابق فيه اسمٌ غير مجذَّر إطارا خطابيّا كان قد أُفرِد فيه نموذجٌ من النّوع الّذي يدلّ عليه ذلك الاسم على أنّه مرجع خطابيّ. فإذا ما طابق القالبُ، آنئذ، ذلك المرجعَ بالشّيء الّذي يعرضه الاسم، كان صالحا في آن واحد لتحقيق ذلك الاسم ولربط النّموذج المعروض بالأرضيّة. فيكون، بذلك، معادلا لنوع ظاهر من التّجذير.

ويكون مع الأسماء المعدودة، النّظير النّكرة لعلامة [*the*]، علامةَ [:[*a*(*n*) *an apple*] "تفّاحةٌ"]، [*a banana* "موزةٌ"]. وتوحي السّابقة [*in-*] في كلمة [*indefinite*] الإنجليزيّة، بأنّ علامة التّنكير موصَّفَة بأنّها ليست معرفة. وهذا بالفعل وصف معقول. فالعلامتان تكوّنان زوجا تقابليّا بوجه تُستعمَل فيه [*a*] عندما لا تتوفّر شروط استعمال [*the*]. وتقتضي [*the*] أنّ وصف النّوع بذاته كاف، في سياق الخطاب الحاضر، للتّعرّف على المرجع. هي قادرة على فعل ذلك لأنّ وصف النّوع يقتضي وجودَ نموذج واحد فقط (أي هناك مترشّح واحد فقط قابل للتّأهّل). وبعبارة بديلة، يمكنها أن تفعل ذلك لأنّ المدى المباشر الّذي يُستدعَى لتأويل الإسمائيّ يشتمل على مترشّح قابل للتّأهّل وحيد فقط (أي لا يتوفّر إلاّ مترشّح وحيد). وعلى هذا، تشير علامة التّعريف إلى أنّ مترشّحا واحدا فقط قابلا للتّأهّل متوفّر، وتشير علامة التّنكير إلى أنّ الأمر ليس كذلك.

ولذلك، يُتوقّع أن تكون علامة التّنكير غير متوافقة مع كلمةٍ مثل [*only*] أو لصيغ التّفضيل المطلق الّتي تدلّ بالتّحديد على أنّه لا وجود لمترشّح قابل للتّأهّل ما عدا واحدا. فهذه تتطلّب علامة التّعريف:[26]

(15) (أ) *The United States is* {*the* /**an*} *only nation that shares a border with Canada.*
الولايات المتّحدة هي (البلد/ *بلدٌ) الوحيدُ الّذي يشترك في واحد من حدوده مع كندا.

(ب) *Your daughter easily solved* {*the* /**a*} *toughest problem in the chapter.*
حلّت ابنتك بسهولة المسألة (الأصعب / *أصعبَ) في الفصل من الكتاب.

تجري المقابلة بوجه مفيد بين صيغ التّفضيل المطلق (الموسومة بلاحقة [*-est*]) وصيغ المقارنة (الموسومة بلاحقة [*-er*]). إذا كان هناك مسألة وحيدة فقط يمكن أن تكون الأصعبَ في المطلق، كان بالنّسبة إلى مسألةٍ بعينها

عددُ المسائل الّتي هي أصعب منها غيرَ مضبوط. وعلى هذا تقبل صيغ المقارنة علامةَ التّنكير، كما في (16) (أ). ولكنّ صيغةَ المقارنة تقبل علامةَ التّعريف في (16) (ب) - كما هو متوقَّع - إذ قَصَر السّياقُ الاعتبارَ على مترشّحَين اثنين فقط، فلا يمكن إلاّ لواحد منهما أن يكون **أصعبَ** من الآخر.

(16) (أ) *This is definitely a tougher problem.*
هذه، بكلّ تأكيد، مسألةٌ أصعبُ.

(ب) *Of the two, this is definitely the tougher problem.*
من الاثنتين، هذه المسألة، بكلّ تأكيد، هي الأصعب.

وفي العموم، نعوِّل على المعرفة العامّة لنتبيّن إن كان مترشّح وحيد قابلٌ للتّأهّل متوفّرا. فيخبرنا في (17)، على سبيل المثال، منوالنا العرفنيّ عن الحواسيب وأجزائها، بأنّ لوحةَ مفاتيح وحيدةً هي ما يقع في مدى الاعتبار المفيد (ولذلك كانت [*the keyboard* "لوحة المفاتيح"])، ولكنّنا نملك الكثيرَ من المفاتيح (ولذلك كانت [*a key* "مفتاح"]).

(17) (أ) *I can't use my computer—{the /*a} keyboard is malfunctioning.*
لا أستطيع استعمال حاسوبي، {*لوحة مفاتيح/ لوحة المفاتيح} لا تعمل كما ينبغي.

(ب) *I can't use my keyboard—{a /*the} key is malfunctioning.*
لا أستطيع استعمال لوحة مفاتيحي - {مفتاحٌ /*المفتاح} لا يعمل كما ينبغي.

وتتفاعل الخلفيّة المعرفيّة مع معاني الأبنية النّحويّة. انظر، على سبيل التّوضيح، في الأبنية الظّرفيّة المُضمَّنة:

(18) (أ) *The body was in the suspect's house, in {a /*the} closet.*
كانت الجثّة في منزل المتّهم، في {خزانة/ *الخزانة}.

(ب) *The body was in the suspect's house, in {the/*a} master bedroom, in {the/?a} closet.*
كانت الجثّة في منزل المتّهم، في {غرفة النّوم الرّئيسيّة/ *غرفة نوم رئيسيّة}، في {؟خزانة/الخزانة}.

في هذه البنية، يمثّل الموضع الّذي يحدّده المركّب الظّرفيّ الواحد المدى المباشرَ الّذي يصلح لتأويل المركّب الظّرفيّ اللاّحق عليه (انظر الرّسم البيانيّ 7. 8). وعلى هذا، يجعل المركّبُ الظّرفيّ الأوّل [*in the suspect's house* "في منزل المتّهم"] من المنزل مدى مفيدا لتأويل ما يليه. ولذلك يكون المركّب

الظّرفـيّ الموالي [*in the closet* ✻"*فـي الخزانة"]، غريبا لأنّ للمنزل، وفقَ منوالنا الثّقافيّ النّموذجيّ، عددا من الخزائن يفوق الواحدة. ومن جهة أخرى، يعكس المركّب الظّرفيُّ [*in the master bedroom* "في غرفة النّوم الرّئيسيّة"] التّوقّع الثّقافيّ بـأنّ للمنزل غرفة من هذا القبيل واحدة فقط. ثمّ يحدِّد، في المركّب الظّرفيّ النّهائـيّ فـي الجملة (18) (ب)، اختيـارُ [*the*] مقابـل [*a*] إن كان لغرفة النّوم الرّئيسيّة خزانة واحدة (كما جرت العادة) أو أنّ المتّهم ثريّ جدّا.

غالبا ما يتوفّر مترشّـح وحيد قابل للتّأهّل عن طريق المصادفة الصِّرف، يرتبط إمّا بسـياق الخطاب أو بمضمون الخطاب السّـابق. ففـي (19) (أ)، يرتبط اختيار علامة التّعيين بعدد حيوانات الحلزون المتوفّرة في المقام بمعنى الّتي تكون قابلة لأن تُرى بالعين رؤية واضحة. ويسـتلزم اختيار علامـة التّعريف [*the*]، أنّ حلزونا واحدا فقط ظاهر بصريّا. ويسـتلزم اختيارُ علامة التّنكير [*a*]، أنّ ظروف استعمال [*the*] لـم تتحقّـق، وهو ما يمكن أن يحدُث بطريقتيـن مختلفتين: إمّا أنّ حلازين كثيرة ظاهرة أو لا أحد منهـا ظاهر.[27] وهذان وضعان، بطبيعة الحال، مختلفان جدّا. والمشترك بينهما عدم قبولهما استعمالَ علامة التّعريف [*the*]، بالتّحديد.

(19) (أ) *Be careful not to step on* {*the* /*a*} *snail*.

انتبه إلى أن لا تدوس على {الـحلزون/ حلزونٍ}.

(ب) *In the room were a puppy and three kittens*. *She picked up the* {*puppy* /✻*kitten* / ✻*frog*}.

كان فـي الغرفة جـرو وثلاثة قطيطات. فأخذت (هـي) {الجرو/ *القطيط/ *الضّفدعة}.

يتعلّق اختيار علامة التّعيين، عندما يكون محدَّدا بالخطاب السّـابق، بعدد النّماذج من النّوع المخصَّص الّتي كانت قد ذُكِرت واستحضِرت قبيل ذلك على أنّها مشـاركة في المضمون الخطابيّ. فالجملـة الأولى في (19) (ب)، تقـدّم نموذجا واحدا من [*puppy* "جـرو"]، وثلاثة نماذج مـن [*kitten* "قطيط"]. يصلح ذلك لجعل تلك النّماذج مراجعَ قائمة في الخطاب، في وضعيّة تؤدّي دورَ الإطار السّـابق لتأويل الجملة الموالية. وفي هذا السّـياق، تُستعمَل علامة التّعريف [*the*] استعمالا موفّقا مع كلمة [*puppy*]، إذ لا يوجد إلاّ نموذج وحيد فـي الإطار. ولكنّها لا يمكن أن تسـتعمَل مـع [*frog* "ضفدعة"] (إذ لا يتوفّر مترشّح قابل للتّأهّل)، ولا مع [*kitten*] (إذ لا يوجد منها واحد فقط).

وتكون النّتيجة النّهائيّة، مع علامة تعريف أو علامة تنكير، مرجعا خطابيّا قائما يمكن أن تجري الإحالة عليه لاحقا باعتماد ضمير ذي إحالة عائديّة:

(20) (أ) *In the room were* ***a puppy*** *and three kittens.* ***The puppy*** *was shaking, so she picked* ***it*** *up.*
كان في الغرفة جرو وثلاثة قطيطات. كان الجرو يرتعش، ولذلك أخذتْـــه.

(ب) *In the room were a puppy and three kittens.* ***A kitten*** *was shaking, so she picked* ***it*** *up.*
كان في الغرفة جرو وثلاثة قطيطات. كان قطيط يرتعش، ولذلك أخذَتـْـه.

وإذ يتّخذ الضّمير [*it*]، من الإسمائيّ [*the puppy*] مفسِّرا له في (20) (أ)، ومن الإسمائيّ [*a kitten*] مفسّرا له في (20) (ب)، يوفَّق كلا الإسمائيّين في إفراد نموذج من النّوع الّذي يدلّ عليه الواحد منهما. ولكنّهما يختلفان في الكيفيّة الّتي بها يحقّقان الإحالة الذّهنيّة المنسَّقَة. هما مختلفان، خصّيصا، في الحاجة إلى المركّب الجُمَليّ الّذي يشتمل على الإسمائيّ، لتحديد المرجع. وفي (20) (أ)، يمكننا أن نحدّد الجروَ بصرف النّظر عن ارتعاشه، في حين يمثّل الارتعاشُ في (20) (ب) الشّيءَ الوحيد الّذي يميّز النّموذج المعروض من [*kitten* "قطيط"] من سائر النّماذج الموجودة في الغرفة. وإن سأل شخص أيَّ جرو أخذَت (هي)، كان لتحديده وسيلتان ممكنتان: إمّا الجرو الّذي كان يرتعش، أو الجرو الّذي كان في الغرفة. ولكن إن سأل شخص أيَّ قطيط أخذت (هي)، فلا يمكن تحديده إلاّ بكونه ذاك الّذي كان يرتعش (بحكم وجود الكثير منها في الغرفة).

لا يقتصر الفرق بين المعرفة والنّكرة على الإسمائيّات المجذَّرة بعلامات التّعيين (التّعريف والتّنكير). فالإسمائيّ المعرفة من أيّ نوع كان، يُفترَض أنّه قادر على تحديد مرجعه بصرف النّظر عن المركّب الجُمَليّ الّذي يشتمل عليه. وتبعا لذلك يمكن في طور ما من أطوار الخطاب لأيّ وحدة من الوحدات الموالية أن تفرِد واحدا بعينه حتّى وإن لم تجرِ ضمن مركّب جُمَليّ: [*the puppy* "الجرو"]، [*that kitten* "ذاك القطيط"]، [*your house* "منزلك"]، [*Richard Nixon* "رتشارد نيكسون"]، [*the person who sold me this car* "الشّخص الّذي باع لي هذه السّيّارة"]. ولهذا السّبب، يمكن للمعارف أن تشتغل موضوعات خارجيّة عن المركّب الجُمَليّ:

(21) (أ) {*The puppy* / *That kitten* / *Your house*}, *it's shaking.*
{الجرو/ ذاك القطيط / منزلك}، هو يرتعش.

(ب) {*Richard Nixon /The person who sold me this car*}, *he was not to be trusted*.
{رتشارد نيكسون/ الشّخص الّذي باع لي هذه السّيّارة}، هو ممّن لا يُؤتمنون.

في كلّ حالة، يحدِّد الإسمائيّ الأوّلُ فردا بعينه يجري بالاعتماد عليه تأويلُ المركّب الجُمَليّ الموالي بعد ذلك.[28] ولكنّ النّكرة الجارية بمفردها تقصر عن تحديد فرد بعينه على أساس أنّه مرجعها: [*a kitten* "قطيطٌ"]، [*some jello* "شيء من الحلوى الهلاميّة"]، [*no house* "لا منزلَ"]، [*each president* "كلّ رئيس"]، [*any salesman* "أيّ بائع"]. ولئن كانت هذه الإسمائيّات تُقِيم بالفعل المراجعَ في الخطاب، فهي ترغِمنا على استحضار واحد منها لهذه الغاية - إذ لا تُوجِّه الانتباه إلى أيّ نموذج بعينه من النّوع المخصّص. فهي لا يمكن أن تشتغل موضوعا لمركّب جُمَليّ متعلّق بذلك النّموذج:

(22) (أ) ❋{*A kitten /Some jello /No house*}, *it's shaking*.
*{قطيطٌ/ شيء من الحلوى الهلاميّة/ لا منزل}، هو يرتعش.
(ب) ❋{*Each president /Any salesman*}, *he was not to be trusted*.
*{كلّ رئيس/ أيّ بائع}، هو ممّن لا يُؤتمنون.

يقال عن مرجع يكون من الواجب أن «يستحضَر»، إنّه افتراضيّ (§ 9. 2. 3). فهل يمكن اختزال التّباين بين الإسمائيّات المعرفة والإسمائيّات النّكرة في كون مراجعها حقيقيّة أو افتراضيّة؟ الأمر ليس بهذه البساطة، إذ يكون لكلّ من الإسمائيّين النّوعان من المراجع كلاهما. ولكنّ التّمييز بين الحقيقيّ والافتراضيّ يوفّر توصيفا مستقيما إن فُهِم على أنّه منطبق انطباقا محلّيّا ومؤقّتا. أعني بعبارة «محلّيّا»، أنّه ينطبق على الإسمائيّ نفسِه، مأخوذا بمعزل عن المركّب الجُمَليّ الّذي يشتمل عليه، وبمعزل كذلك عن الأبنية الأوسع الّتي تتضمّن هذا المركّب. وأعني بعبارة «مؤقّتا» أنّ منزلة المرجع من حيث كونه حقيقيّا أو افتراضيّا، تكون عرضة للإلغاء في تلك المستويات العليا من التّنضيد. والمقترَح، بناء على هذا، أنّ الإسمائيّات المعرفة والإسمائيّات النّكرة تصف مراجعَها على أنّها حقيقيّة أو افتراضيّة، تباعا، عندما يُنظَر إليها محلّيّا وعلى أساس مؤقّت.

وبالنّسبة إلى الأسماء المعرفة، تتمثّل حالة الحياد في أن يكون مرجعها نموذجا حقيقيّا من نوعه يمكن أن يحدَّد تبعا لذلك بمعزل عن المركّب الجُمَليّ الّذي يشتمل عليه. فالمركّب [*the puppy* "الجرو"]، مثلا، عندما يؤخذ

فـي ذاته، يقـدح التّوقّعَ المحايدَ بكـون مرجعه مخلوقا حقيقيّـا (لا مخلوقا يسـتحضَر لغاية خاصّة). ويتواصل هذا التّوقّع إلى مستوى المركّب الجُمَليّ فـي (23) (أ)، حيث يُتصوَّر الجرو على أنّه موجـود بمعزل عن كونه مرغوبا فيه. غير أنّ التوقّع المحايدَ يمكن أن يُلغَى في سـياق أوسـع كما في (23) (ب). فالجرو هناك افتراضيّ، يُستحضَر جزءا من وضعيّة مفترَضَة، ولا يُتصوَّر على أنّه موجود في الواقع.

(23) (أ) *She wants the puppy.*

(هي) تريد الجرو.

(ب) *If a girl sees a puppy and she wants the puppy, she can usually find a way to get it.*

إن رأت بنـت جـروا وأرادت الجروَ، تكون فـي العادة قادرة على أن تجد سبيلا إلى الحصول عليه.

فالتّوقّع المحايد، بالنّسـبة إلى الأسـماء النّكرة، هو الافتراضيّة. وبالفعل، يكون المرجع مع المسـوِّرات المجـذِّرة، افتراضيّا دائما. فالعبارات من قبيل [*no house* "لا منزل"]، أو [*each president* "كلّ رئيس"] أو [*any salesman* "أيّ بائع"]، لا يمكنها أن تدلّ على نماذج حقيقيّة من أنواعها. وحتّى مع علامات التّنكير، هنـاك إمكانيّة ليكون المرجع حقيقيّـا. فعبارة [*a puppy*] في (24) (أ)، على سـبيل المثال، تحيل على كلب مخصوص رغم كونها نكرة. والمركّب الجُمَليّ الّذي يشـتمل على هذا الإسـمائيّ مسـؤول عن كونـه حقيقيّا (فما كان بإمكانهـا أن تجد حقيقـة كلبا بمجرّد اسـتحضاره بالكلام). قارن هذا بالجملة الواردة في (24) (ب). فالفعل [*want* "أراد"] موافق لمفعوله سـواء كان حقيقيّا أو افتراضيّا، والتّأويل هنا هو الافتراضيّة (هي تريد جروا فقط، لا جروا مخصوصا بعينه). ورغم ذلك، يمكن للمقام الأوسع أن يفرض التّأويل المناقض، كما يفعل في (24) (ج).

(24) (أ) *She found a puppy.*

(هي) وجدت جروا.

(ب) *She wants a puppy.*

(هي) تريد جروا.

(ج) *She wants a puppy. She saw it at the animal shelter.*

(هي) تريد جروا. لقد رأته في ملجإ الحيوانات السّائبة.

ومن الوقائع الّتي تثبت الأهمّيّة اللّغويّة للوحدات الافتراضيّة أنّ للإنجليزيّة عـددا من العناصـر المجذّرة النّكـرة يفوق بكثير عـدد العناصر المعارف. فنحن نكتفي بعلامة تعريف واحدة وأربعة من أسماء الإشارة، ولكن هناك علامات تنكيـر عديدة وعدد لا يقلّ عن السّـبعة من المسـوّرات المجذّرة. فعلامة التّنكير [*a*] تقتصر على الأسماء المعدودة. وبالنّسبة إلى أسماء الكتلة (بما فيها الجموع)، لنا الخيار بين [ϕ] (الصّفر) أو [*sm*] (وهو نطق كلمةِ (*some*) غيـرَ منبورة)).[30] وفي بعض الحالات، يبدو أنّ [ϕ] و [*sm*] يقبلان التّبادل فيما بينهما، مثال ذلك في (25). ولكنّهما مختلفتان كثيرا من زاوية دلاليّة.

(25) (أ) *I saw* {*sm* / ϕ} {*fruit* / *apples*} *on the counter.*
رأيت {بعض/ ϕ} {الفاكهة/ التّفّاحات} على منضدة المتجر.

لتقديـر الفارق الدّلالـيّ بينهما، نحتاج إلـى التّذكير بالسّـمات الخاصّة بمراجع أسماء الكتلة (§ 5. 1. 4). تُظهِر كتلةٌ ما في آن واحد قابليّةً للتّقلّص وقابليّةً للتّوسّع: كلّ جزء فرعيّ من عيّنة ما يكون بذاته عيّنة من النّوع، تماما كما يكون الاتّحاد بين عيّنتين. فعلى هذا، ليست أيّ كتلة مخصوصة- من قبيل الماء في بركة سباحة- مبدئيّا، عيّنةً من نوعها فقط، بل تشتمل كذلك فـي داخلهـا على عيّنات أخـرى لا تُحصَى (هي بُقَع من المـاء أو مجموعات من بقع الماء محـدّدة تحديدا اعتباطيّا). وبالإضافة إلى ذلك، يتأهّل الامتداد الأقصى للنّـوع (E_t) ليكون كذلك عيّنةً، هي الأشـمل بحكم التّعريف. فيكـون على هذا الامتدادُ الأقصى لنوع مـا (الماء، مثلا) هو العيّنة القصوى. وليـس الأمر كذلك فـي حالة مراجع الأسـماء المعـدودة، حيث تكون العّينات في العادة متفرّقة متفاصلة. فهي، لذلك، لا تشتمل في المألوف، على عيّنـات أخرى أجزاءً فرعيّة منهـا ولا يتأهّل امتدادها الأقصى لأن يكون عيّنة منها (فمجموعة القطط كلّها ليست في ذاتها قطّا).

تسـهل صياغة الفـرق بين علامات التّنكيـر الدّاخلة على اسـم الكتلة: لكلمة [*sm*] قوّة إفراديّة، في حين يكون [ϕ] (أيقونيّا) غيرَ مقيّد. والعيّنة الّتي تفردها [*sm*] صغيرة جدّا وتمثّل "حزمة" موحّدة أو وحدة باعتبار وظيفة ما. فمن الطّبيعيّ أن نقول [*I see sm water* "أرى بعض ماء (شـيئا من الماء)"] ونحن ننظر إلـى بقعة ماء على الأرضيّة (والبقعـة كافية لجعل الرّجل تنزلق فيها) ولكن من النّـادر أن يكون ذلك عند النّظر إلى واحد مـن المحيطات. فهذه القوّة الإفراديّة تقيّد اسـتعمال [*sm*] باعتبار الامتداد الأقصى: [*The formula for sm water*]*

"الصّيغة الكيمياويّة لشيء من الماء هي H_2O" [H_2O *is*"]. ومقابل ذلك، لا يفرض [ϕ] أيَّ قيد على الحجم الّذي تكون عليه أيّ عيّنة، كبيرا كان أو صغيرا، فتكون عبارة [*I see water* "أرى الماء"] صالحة لبقعة أو لمحيط. ويكون التّجذير الصِّفر، بحكم طبيعته غير المقيَّدَة، طيّعا للجريان في عبارات الأحكام العامّة: [*The formula for water is* H_2O "صيغة الماء الكيمياويّة هي H_2O"]. ولعلّه من الواجب أن تُعتبَر الإحالةُ على الامتداد الأقصى التّأويلَ المحايد، الّذي ينبثق ما لم يتبيّن من السّياق ما يخالف ذلك. ففي (25)، على سبيل المثال، تقتصر العيّنة المعروضة من [*fruit* "فاكهة"] أو [*apples* "تفّاحات"] على كمّيّة تتّسع لها منضدة في متجَر.

في حين تستعمل الإنجليزيّة التّجذيرَ الصّفر للامتداد الأقصى، تستعمل بعض اللّغات الأخرى علامة التّعريف، مثل العبارة الفرنسيّة: [*Elle aime le vin* "(هي) تحبّ الخمر"]. والإجراء الصّحيح يتحدّد بالمواضعة، ويجب أن يُتعلّم خلال اكتساب أيّ من اللّغتين. غير أنّ كلا الخيارين مبرّر تبريرا مفهوميّا ومنسجم مع المعنى الأساسيّ في العنصر المجذِّر. وإذا كان [ϕ] الإنجليزيّ غيرَ مقيّد، ويستعمَل مع عيّناتِ اسم الكتلة من أيّ حجم كانت، كان استعماله مع العيّنة القصوى حالة قصوى. وفي نفس الوقت، يكون للعيّنة القصوى التّفرّدُ الّذي تقتضيه علامات التّعريف. فإذا كانت عيّنة الخمر الّتي يحال عليها متصوَّرةً على أنّها العيّنة القصوى - أي تشتمل على جميع الخمر- فلا توجد عيّنة أخرى نميّزها منها. ولتأكيد ذلك، يكون أيّ جزء فرعيّ من الامتداد الأقصى عيّنةً كذلك من النّوع. ولكن، كما رأينا، لا يكون التّفرّد الّذي تحمله علامة التّعريف، تفرّدا مطلقا في الغالب. فنتحدّث عن [*the moon* "القمر"] لأنّ نموذجا مخصوصا من هذا النّوع بارز بروزا كافيا (تخسِف له جميع اَلنّماذج الأخرى، إن جاز القول) إلى حدّ أنّه يمثّل النّموذج الوحيد الّذي يُعتبَر. وبطريقة مماثلة، وفق المبدإ العامّ الّذي ينصّ على أنّ الكلّ أكثر بروزا من الأجزاء، يكون للعيّنة القصوى لنوع ما منزلةٌ عرفيّة خاصّة تجعلها بارزة بروزا ملازما لها إزاء العيّنات الأخرى. وتبعا لذلك، إذا ما حدث أن استدعيت، تنزع إلى أن تستدعَى دون غيرها.[31]

9. 3. 5 المسوّرات

الخطّ الفاصل بين علامات التّنكير والمسوّرات المجذِّرة ليس خطّا صارما. فأنا أرسمه على أساس الإمكان الّذي يكون لها للدّلالة على

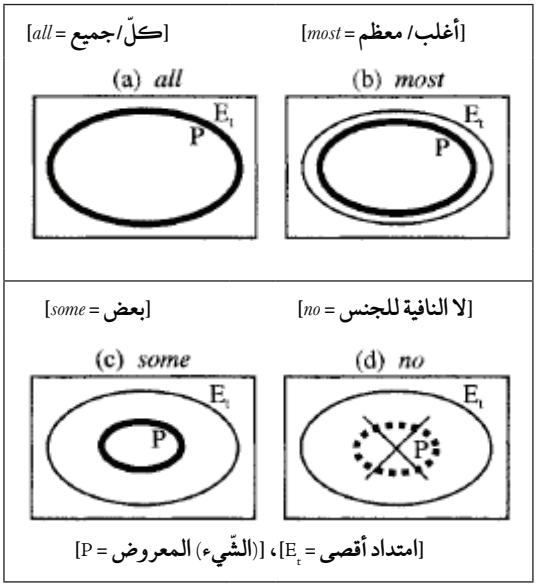
نمـاذج حقيقيّة من نوع ما. وإذ كانت المسـوّرات المجذِّرة لا توصِّف مراجعَهـا إلاّ فـي علاقتهـا بالامتداد الأقصـى، وهو وحـدة افتراضيّة، كانت مراجعُها افتراضيّة دائما.[32] وللسّـبب نفسه، يمكن أن توصَف كذلك بكونها مسـوِّرات نسـبيّة. وهي تنقسم إلى قسمين كبيرين: مسوّرات تناسـبيّة ([some]، [most]، [all]، [no]) ومسوّرات العيّنة التّمثيليّة ([any]، [each]، [every]). ويختلف القسمان في الإستراتيجيّة الأساسيّة المتّبعة في إفراد الوحدة المعروضة في علاقتها بالامتداد الأقصى (E_t).

تسـمّى المسوِّرات التّناسبيّة تناسـبيّة لأنّها توصِّف الوحدة المعروضة بأنّها حصَّـة ما من الامتداد الأقصـى. وإذ كان الامتداد الأقصـى كتلة، وكوَّن المعـروضُ (P) حصّةً منها، وجب أن يكون المعروض (P) كتلة كذلك. ولذلك يكون من المتوقَّع أن تجري المسوِّرات التّناسبيّة مع أسماء الكتلة:

(26) (أ) {*All* / *Most* / *Some* / *No*} *whiskey is beneficial for your health.*
{كلّ/ أغلب/ بعض/ لا} (الـ)ـويسكي مفيد لصحّتك.

(ب) {*All* / *Most* / *Some* / *No*} *alcoholic beverages are beneficial for your health.*
{كلّ/ أغلب/ بعض/ لا} (الـ)مشروبات (الـ)ـكحوليّة مفيدة لصحّتك.

يكوِّن المعروض (P)، مثلما يكوّن الامتداد الأقصى (E_t) وحدةً تخيّليّة ناشئة مـن خلال عمليّتي التّجميع والتّشـييء الذّهنيّتين (فأيـن يجب عليك أن تبحث بالفعل لتجد "أغلب الويسكي"؟). والمضمون المفهوميُّ لهذه المسوِّرات مشتقّ مـن عمليّتين ذهنيّتيـن أخريين هما المراكبةُ بين المعـروض والامتداد الأقصى والمقارنـةُ بينهما في الحجم - أي مطابقة المعروض على الامتداد الأقصى لرؤية مدى القرب الّذي يبلغه الأوّل في تغطية الثّاني. والرّسـوم التّخطيطيّة في الرّسـم البيانيّ 9. 12، محاولة لبيان ذلك. ففي حالة [all]، ينجح المعروض (P) في تغطية الامتـداد الأقصـى (E_t)- يعني ذلك أنّ حدودهما متطابقـة. ومع [most]، تقارب حـدودُ المعروض (P) حدودَ الامتداد الأقصى (E_t)، ولكنّها لا تبلغ ملامسـتها. وتسـتعمَل [some] للتّعبير عن حصص أصغر. ومن الطّبيعيّ أن يصعب الإمساك بمضمون [no]، في رسم تخطيطيّ. ويراد بالرّموز المعتمَدةِ الإيحاءُ بعمليّة الإلغاء الذهنيّـة: رغـم أنّ المعروض (P) قد اسـتُحضِر على أنّه وحـدة افتراضيّة، يلغَى وجـوده إلغاء فعليّا من خلال التّنصيص على أنّ الحصّةَ من الامتداد الأقصى (E_t) الّتي يمثّلها ذلك المعروض، تساوي الصّفر.[33]



الرّسم البيانيّ 9. 12

ويمكن التّعرّف على العمليّات المفهوميّة الّتي تستدعَى لوصف هذه المسوِّرات، على أنّها نظائر تجريديّة للأعمال المادّيّة اليوميّة: تجميع عدد من الأشياء، جعل شيء فوق شيء آخر، استعمال شيء لقيس شيء آخر، الاقتراب من حدودٍ وبلوغها، الإبعاد أو المحو. يمكن على هذا أن نقترح أنّ معاني المسوِّرات ماثلةٌ في عمليّات المحاكاة الذّهنيّة الجارية خارج الرّكح لتلك الأعمال. يشتمل تصوّرُ عمل ما على محاكاة ذهنيّة له، واحدا من وجوهه (بارصالو 1999). وما يعنيه ذلك، هو الحدوث «المنفصل» للعمليّات الذّهنيّة الّتي تجري عندما نؤدّي بالفعل ذلك العملَ أو نعيش تجربته في خلاف ذلك (§ 14. 2. 1). يقبل نشاط المعالجة هذا، عندما يكون منفصلا، الانطباقَ على الوحدات المجرّدة أو التّخيّليّة، مثل تلك الوحدات الّتي تستحضرها المسوِّرات. وبطبيعة الحال، لا نفكّر عند استعمال مسوِّر تناسبيّ، تفكيرا صريحا في أعمال من قبيل التّجميع، أو القيس، أو الإزالة، حتّى في المطلق المجرّد. يكون ذلك لأنّ عمليّات المحاكاة الذّهنيّة تكوّن العلاقةَ المجذِّرَة، ولأنّ السّمة المميّزة لعلاقات التّجذير تتمثّل في كونها خارج الرّكح ومنبنية انبناء ذاتيّا (الرّسم البيانيّ

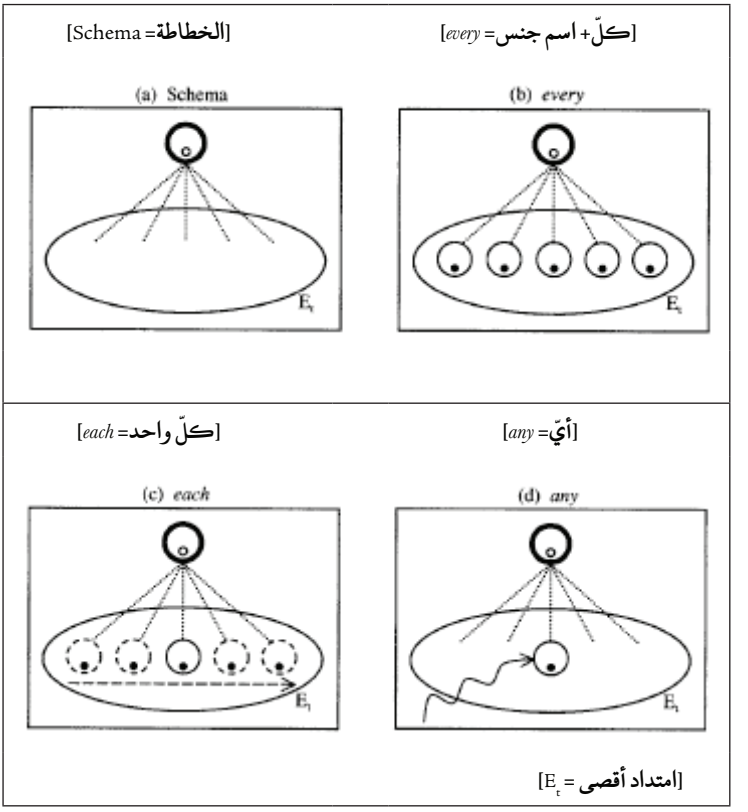
9. 4). وعلى هذا، لا تكون الأعمالُ المحاكاةُ ماثلةً في مدلولِ واحد من المسوّرات إلاّ بشكل ضمنيّ، من حيث هي طريقة في الاهتداء إلى الوحدة المعروضة على الرّكح، اهتداء ذهنيّا.[34]

ومن الوقائع اللاّفتة في خصوص مسوّرات العيّنة التّمثيليّة أن تجري مع الأسماء المعدودة المفردة، حتّى عندما تستعمَل في الأقوال العامّة المتعلّقة بجميع العيّنات من نوع ما:

(27) {*Every /Each /Any*} *culture can teach us something of value.*
{كلّ/ كلّ واحد(ة)/ أيّ} ثقافة يمكن أن تعلّمنا شيئا ذا قيمة.

فكيف لهذه الأدوات أن تشتغل «مسوِّرات كونيّة» إن كانت لا تشير إلاّ إلى عيّنة واحدة؟ يمكنها أن تفعل ذلك لأنّ العيّنة منبنية على أنّها تمثيليّة. فكلّ شيء يسنَد إلى هذه العيّنة صالح، عن طريق الاستلزام، لجميع العيّنات.

والعيّنة التّمثيليّة المعروضة، بطبيعة الحال، ليست أيّ عيّنة حقيقيّة. هي عيّنة افتراضيّة تُستحضَر لتكون ممثّلةً للعيّنات الحقيقيّة. يُعرَض هذا القدر- السّمة المشتركة بين [*every*] و[*each*]، و[*any*]- في الرّسم البيانيّ 9. 13 (a). وكما كان في ما قبل هذا، تشير النّقطة إلى موضع مميِّز، وهو العامل ذاتُه الّذي يجعل من العيّنة عيّنة. تُستعمَل، هنا، نقطة فارغة عوضا عن نقطة مليئة للتّصريح بأنّ العيّنة لا تعدو أن تكون إلاّ افتراضيّة. وممّا يسمها كذلك بكونها افتراضيّة، جعلُها في موضع فوق الشّكل البيضويّ الدّالّ على الامتداد الأقصى (E_t). وليس المقصود بهذا، أن ننفي أنّها تتأهّل لتكون عيّنة، بل لنُظهِر منزلتها الخاصّة، بدل ذلك - فلقد جرى تجريدها من العيّنات الأخرى، بالتّحديد، لتمثيل الخصائص المشتركة بينها من حيث كونها عيّنات من النّوع. وهي مناسبة، من حيث كانت كذلك، لجميع الأعضاء في الامتداد الأقصى (E_t) (ومتأصّلة فيها). وبالمثل، يناسب الموضع المميِّز الافتراضيُّ (النّقطة الفارغة) مواضعَ الأعضاء الحقيقيّين ولكنّه لا يمكنه أن يطابق أيّ واحد مخصوص منها.[35]



الرّسم البيانيّ 9. 13

العيّنة المعروضة، إذن، بنية ذهنيّة، هي مزيج مفهوميّ يكثِّف تَعدّدَ العيّنات من النّوع في تَفاصُل عيّنة وحيدة تُستحضَر لتُمثّلها جميعا. والبنية الواردة في الرّسم البيانيّ 9. 13 (a)، معادلة لخطاطة تمثّل معاني [every] و[each]، و[any]. وهي تندرج في أبنية ذهنيّة متبلورة أكثر تكوِّن المعاني المتمايزة لهذه المسوّرات. وكما هو الأمر مع المسوّرات التّناسبيّة، يكمن هذا المضمون الإضافيّ في ما يكون للأعمال والتّجارب اليوميّة من عمليّات المحاكاة الذّهنيّة الماثلة خارج الرّكح. تشتمل هذه العمليّات، بشكل طبيعيّ جدّا، (بما أنّ العيّنة المعروضة تناسب جميع العناصر الكائنة في الامتداد الأقصى)، على الطّرق المختلفة في الاهتداء إلى عناصر فريق ما بوجه يضمَن تغطيتَه بتمامه وكماله. ولنا ثلاث وسائل أساسيّة في فعلٍ ذلك: الرّؤية المتزامنة، والفحص التّتابعيّ، والانتقاء العشوائيّ. تستدعي [every] التّجربة اليوميّة في

رؤية جميع الأعضاء من فريق رؤيةً واحدة شـاملة ولكن بإدراكهم في الآن نفسـه علـى أنّهم أفراد متمايـزون- تماما مثل الأفراد في جوقـة أو الألوان في صندوق للأقلام الملوّنة. وتعكس [*each*] إسـتراتيجيّة فحص الأعضاء فحصا تتابعيّـا، واحدا فواحدا، إلى أن يكون الفحص قد شـملهم جميعا. والاهتداء التّتابعيّ الّذي يجري تمثيله بسهم منقّط في الرّسم البيانيّ 9. 13 (c)، يستتبع أن تفحَصَ عيّنة واحدة فقط في لحظة واحدة. وأخيرا، تتأسّـس [*any*] على الانتقاء العشوائيّ، كما يشار إلى ذلك بالسّهم المتموّج في الرّسم البيانيّ 9. 13 (d). ورغـم أنّ الاختيار العشـوائيّ يؤول إلى الاهتداء إلى عنصـر وحيد ليس غير، تكـون التّغطية مسـتقصية للجماعة رغم ذلك، بمعنـى أنّ لجميع الأعضاء إمكانيّةَ الانتقاء.

لا يقتضي اسـتعمال [*every*] و[*each*]، و[*any*] أنّ هذه الأنشطة اليوميّة - الرّؤية المتزامنة، والفحص التّتابعيّ، والانتقاء العشوائيّ - تحدث بالفعل في الوضعيّة الّتي يجري وصفها.[36] فهي، ببسـاطة، توفّر أساسا تجريبيّا لتَصوُّرِ العلاقة بين المعـروض الافتراضيّ والعيّنات الّتي يمثّلها هـذا المعروض. وهي، من حيث كانت مظهرا من معنى مسـوِّر ما (أي جزءا من الأبنية الذّهنيّة المسـتدعاة)، تخيّليّـةٌ ومجـرّدةٌ ومنبنيةٌ انبنـاء ذاتيّا. غيـر أنّ هذه العمليّات مـن المحاكاة الكائنة خارج الرّكح تؤثّر بالفعل على اختيار المسوِّر وعلى معاني العبارات الّتي تشـتمل عليها. وفي هذا يكون الوقوف على السّبب الّذي له تنزع [*every*] و[*each*] و[*any*]، إلى أن تُستعمَل للتّعبير عن وضعيّات تُظهِر النّشاط الّذي تستدعيه افتراضيّـا (وهي في هذه الحال مقوّية لحضوره) أو يُتخيَّل أنّها تظهره (وهي في هـذه الحـال موحية بحضوره). هـذا الأثر واضح بجلاء فـي (28): نتخيّل مع [*every*] إمكانيّة رؤية النّجوم جميعا رؤية متزامنة؛ ومع [*each*]، يمكننا أن نراها بنقلـة النّظر من واحدة إلى أخرى تالية لها؛ ومع [*any*] يمكننا أن نرى أيّ نجم يصادف أن نختاره.

(28) *Tonight you can see* {*every /each /any*} *star in the Milky Way*.
هذا المسـاء، يمكنك أن ترى {كلّ/ كلّ (واحد مـن النجوم)/ أيّ} نجم في درب اللّبّانة.

وفـي (29)، يكون اسـتعمال [*each*] طبيعيّا جدّا، بحكـم ما لنا من منوال عرفنـيّ يتعلّق بمراسـم التّخرّج الجامعـيّ، حيث يظهر الطّلبـة النّاجحون عل المنصّة واحدا فواحدا:

(29) *Each student came up on stage and got her diploma.*
وقف كلّ طالب على الرّكح وتسلّم شهادته.

ولنكون على يقين، ليس ورود [*every*] هنا مستحيلا، ولا تلغي [*each*] بصفة مطلقة السّيناريو المتمثّل في وقوف جميع الطّلبة معا على الرّكح (انظر[*in the air Each student threw her cap* "رمى كلّ طالب بقبّعته في الهواء"].[37]

تكشف نظرة خاطفة إلى الرّسم البيانيّ 9. 13 عن أنّ [*any*] تقف على الحياد إزاء [*every*] و[*each*]. وخلافا للفحص المتزامن أو التّتابعيّ، يشتمل الانتقاء العشوائيّ على الاهتداء إلى عيّنة واحدة فقط- ولسائر العيّنات مجرّد إمكانيّة مساويةٍ لها في أن يهتدَى إليها. فتسنِد هذه العشوائيّةُ والإمكان إلى [*any*] درجةً من التّخيّليّة أكثر بكثير. وبالفعل، نجد أنّ [*any*] تمتنع عن الاستعمال في وصف الأحداث الواقعيّة وصفا مباشرا:

(30) (أ) *On the show they interviewed {every /each /??any} candidate.*
في العرض سألوا {كلّ/كل (واحد)/ ؟؟ أيّ} مترشّح.
(ب) *{Every /Each /??Any} contestant is smiling.*
{كلّ/كل (واحد)/ ؟؟ أيّ} متسابق يبتسم.

وعوضا عن ذلك، تُفضِّل الجريانَ في سياقاتٍ - مثل الاستفهام أو النّفي أو الجهة أو الشّرط- تبعِد الوضعيّةَ بوجه أو بآخر عن الحقيقة الجارية في الواقع:

(31) (أ) *Did you see any movie stars?*
هل رأيت أيّ نجم سينمائيّ؟
(ب) *I don't see any meat in the freezer.*
لا أرى أيّ لحم في الثّلاّجة.
(ج) *Any child can assemble this toy.*
يمكن لأيّ طفل أن يركّب هذه الدّمية.
(د) *If you have any questions, don't hesitate to ask.*
إن كان لكم أيّ أسئلة، لا تتردّدوا في طرحها.

توضّح هذه الأمثلة خصيصة إضافيّة تميّز [*any*] من [*every*] و[*each*]- بعبارة أوضح، هي جريانها مع أسماء الكتلة الجمعيّة وغير الجمعيّة. يعكس هذا توصيفها باعتماد الانتقاء العشوائيّ. فإذا ما مددت يدي إلى صندوق الحلوى لأجري اختيارا عشوائيّا، يمكنني أن أخرج قطعة وحيدة أو حفنة منها. وإذا ما

ذابت الحلوى لتصير كتلة مسترسلة من الشّيكولاتة، يمكنني أن أستخرج عشوائيّا كتلة من أيّ حجم.

9. 4 التّجذير (المركّبيّ) الجُمَليّ

يعرِض المركّب الجُمَليّ المنتهي، مثلما يفعل الإسمائيّ، نموذجا مجذَّرا من نوعَ ما. وفي الحالتين كلتيهما، تنبني الأرضيّة وعلاقة التّجذير انبناء ذاتيّا. فلا يكون شيء ماثلا على الرّكح بؤرةً للانتباه ماعدا الوحدةَ المجذَّرة- شيئا كانت أو عمليّة (الرّسم البيانيّ 9. 4). وسوف يكشف هذا العرض الموجز عن مظاهر التّماثل مع التّجذير الإسمائيّ وعن الفوارق الهامّة بينهما في آن واحد.

9. 4. 1 نُظُم التّجذير الجُمَليّ

قلّة قليلة من النّماذج البدئيّة المفهوميّة الّتي تعين على تنضيد عالمنا الذّهنيّ، إن لم نقل لا شيء غيرها، تكون أساسيّة أكثر من الأشياء المادّيّة والأحداث، اللّتين تمثّلان طرازا لمقولة الاسم وطرازا لمقولة الفعل، على التّوالي. وتطرح الأشياءُ والأحداثُ مسائل إبستيميّة مختلفة تتعلّق بالكيفيّة التي نعيش بها تجربتها في المعهود.

وأمّا الأشياء فهي ذات نزوع أساسيّ إلى الاستمرار. ورغم وجود الحدود والاستثناءات الظّاهرة فإنّ توقّعنا المحايد يتمثّل في أنّ وجود الأشياء من حولنا مستمرّ دون نهاية، ما لم يحدث شيء يغيّر هذه الوضعيّة الثّابتة أو إلى أن يحدث ذلك. وتعترضنا كذلك أشياء عديدة جدّا من نوع ما. فمن السّمات الأساسيّة في عيشنا اليوميّ الوجودُ المتزامن لأعداد كبيرة من السّيّارات والنّاس والبنايات والأشجار والكتب والملاعق والكلاب والحواسيب وحبّات الأسبيرين، وهلمّ جرّا. وعند الحديث عن العالم، لا يتمثّل بصفة عامّة ما نحتاج إلى معرفته عن شيء ما في "هل هو موجود؟" بل في "أيّ شيء هو؟"، بدل ذلك. فالمشغل الإبستيميّ الرّئيسيّ ليس في الوجود بل في التّعرّف على الأشياء. يركِّز التّجذير الإسمائيّ وفق ذلك على مسألة توجيهِ الانتباه إلى مرجع بعينه من جملة جماعة من المترشّحين القابلين للتّأهّل (الامتداد الأقصى (E_t)).

وأمّا الأحداث، فيصحّ عليها عكس ذلك بالتّحديد. فالأحداث لا تستمرّ بحكم طبيعتها الصّميميّة - بل تحدث، ويكون حدوثها عادة مقتضَبا بوجه من الوجوه. وليس من الشّائع أن يكون لأغلب الأنواع من الأحداث الّتي

تسنح لنا فرصة الحديث عنها، عددٌ كبير من النّماذج الّتي تحتاج إلى التّمييز بينها.[38] فعندما نتكلّم عن حدث، ما نحتاج إلى معرفته في العموم هو معرفة ما إذا كان يحدث أو لا، لا معرفة أيّ واحد هو؛ فالمسألة المطروحة متعلّقة بوجود الحدث، لا بالتّعرّف عليه. ونتيجة لذلك، يكون التّجذير الجُمَليّ معنيّا، بشكل رئيسيّ، بمنزلة الأحداث من حيث جريانها الفعليّ أو الإمكانيّ.

يعكس التّجذير الجُمَليّ افتقارنا إلى عِلم كلّيّ. فنحن لا نملك عينا إلهيّة نبصر بها العالم، ولا نعيش بمنظورنا المحلّيّ بشكل مباشر إلاّ تجربةَ جزءٍ صغير جدّا منه.[39] فالقدر الكبير ممّا نعلم (أو نعتقد أنّنا نعلمه) عن العالم يُكتسَب عن طريق وسائل غير مباشرة: السّماع والوثائق والاستنتاج والإسقاط الذّهنيّ، وما شابه. ومنظورنا محلّيّ كذلك بالمعنى الزّمنيّ. فلا شيء قابل للاهتداء المباشر ما عدا الحاضر الفوريّ، ولا يبقى من الماضي الّذي كان إلاّ مجرّد فتات (على أنّها لحظات واردة قُبَيل الزّمن الحاضر). ورغم ذلك نفكّر ونتحدّث في امتداد التّاريخ بكامله وفي مدى المستقبل الّذي لا ينتهي، اللّذين تتردّد المعرفة بهما بين عدم الثّبات والتّخمين المطلق. وهذا التّناقض الشّاسع بين ما نعلمه علم اليقين من جهة، وما نتأمّل فيه ونعبّر عنه لغويّا من أخرى، هو مورد التّجذير الجُمَليّ. فكلّ وضعيّة نَصِفها، محتاجة إلى تحديد منزلتها الإبستيميّة - حيث تقوم في علاقة بما نعرفه حاليّا وبما نحاول التّحقّق منه.

نحن نسعى دائما جاهدين إلى أن نجعل لتجربتنا معنى وإلى أن نبني رؤية متناسقة للعالم. ينضاف ذلك إلى كوننا كائنات حيّة وواعية - وهو أمر لا نملك منه فكاكا. فيبلور كلّ واحد منّا، ونحن نسعى جاهدين إلى ضمان "الرّقابة الإبستيميّة"، مفهوما للواقع يجري تعريفه هنا (لغايات وصفيّة) بكونه تاريخ ما جرى خلال اللّحظة الحاضرة. ومن الطّبيعيّ، أن يكون لكلّ واحد منّا صورته الخاصّة به من هذا التّاريخ وأن لا يعرف الواحد منّا الشّيء الكثير في ما يتعلّق به في كلّيّته. وعلى هذا، يقدّم المتحاورون في الخطاب تصوّراتهم للواقع ويناقشونها ويعدّلونها. ورغم أنّ تصوّراتهم للواقع لا تكون متطابقة أبدا، يكون لها، في العادة، نصيب مشترك كاف لقيام التّفاعل النّاجح. يتركّز التّراكب بينها على الواقع الفوريّ للأرضيّة نفسها - أي الآن وهُنا من وضعيّة الكلام. فالأرضيّةُ وتصوُّرُ الواقع تشتغلان نقطتين مرجعيّتين أساسيّتين للأحكام الإبستيميّة الّتي تعبِّر عنها العناصر المجذِّرة.

فما يُعتبَر "واقعا" لهذه الغاية، هو كلّ شيء يمكن أن يقدَّم على أنّه مضمونُ مركّبٍ جمَليٍّ مجذَّرٍ. يتضمّن "الواقع" كلاّ من الأحداث

والوضعيّات الثّابتة الّتي تحصل في أيّ طور. وإلى جانب الأحداث المادّيّة، يشمل كذلك الظّواهرَ الاجتماعيّة والذّهنيّة الّتي تكوّن الكثير الكثير من العالم الّذي نعيش تجربته ونتحدّث عنه. وإذ يشمل الواقعُ الظّواهر الذّهنيّة، يكون له الكثير من المستويات ومن الأبعاد. ويتمثّل واحد من الأشياء الّتي نقبلها على أنّها واقع، في وجود ذوات متصوِّرة أخرى يختلِف تصوُّرُها للواقع عن تصوُّرنا له. وبالإضافة إلى ذلك، بما أنّنا نتصوّر مضمون التّصوّرات الأخرى، يجب الإقرار بأنّ طبقات من التّصوُّر - كلّ واحدة منها تمثّل مضمون الطّبقة الموالية لها- واقعيّةٌ كذلك.[40]

وتوجد كذلك في المستوى الذّهنيّ العوالمُ الخياليّةُ الّتي تُستَحضَر بالأشرطة السّينمائيّة والرّوايات والأساطير وما شابهها. وغالبا ما توصف الأحداث والكائنات في هذه العوالم بأنّها واقعيّة (مثل، [*Santa Claus has eight reindeer* "لسانتا كلاوس ثمانية من حيوان الرّنّة"])، تماما مثل تلك الواردة في "العالم الواقعيّ". وليس الواقع محرّما على ما تنتجه القدرات التّخيّليّة من قبيل الاستعارة والمزج والافتراضيّة. فما يعتبَر واقعا للغايات اللّغويّة هو ما يتصوّره المتكلّم واقعا، وعلى هذه القدرات يعوِّل تصوُّرنا للأحداث تعويلا ليس باليسير. ولذلك يمكن للحدث الّذي ينبني انبناء تخيّليّا أن يُتصوّر عند المتكلّم ويقدَّمَ على أنّه واقع من خلال التّجذير الجُمَليّ. يمكن أن يقول متكلّم بنيّة صادقة، على سبيل المثال: [*The thought just flew right out of my head* "لقد طارت الفكرة من رأسي تماما"] (انظر الرّسم البيانيّ 2. 9)، ليصف ما حدث حقيقة. ولا يراد بالواقع الّذي يُستدعى في مركّب جُمَليّ منته أساسا للحكم الإبستيميّ، أن يطابق "العالم الواقعيّ" أو الأشياء الّتي تعتبَر "واقعيّة" في المعنى العاديّ غير اللّغويّ. فهو يشمل كامل المجموعة المتصوَّرة من الأحداث الّتي تتعلّق بها الأحكام، كما يجري التّعبير عنها في المركّبات الجُمَليّة المنتهية.

فالواقع المتصوَّر هو ما يقبله المتصوِّر في اللّحظة الرّاهنة على أنّه معرفة قائمة. يشير التّجذير الجُمَليّ إلى منزلة حدث ما معروض بالنّظر إلى تَصوُّر ما للواقع. فيمكن أن يُقدَّم على أنّه واقع، كما في [*Jill is pregnant* "جِلّ حامل"]. أو يمكن أن يكون له منزلة أخرى، كما في [*Jill could be pregnant* "يحتمل أن تكون جِلّ حاملا"]، حيث يُعترَف بكون الحمل إمكانيّة. ولكن تصوّرُ مَن للواقع يكون محلّ سؤال؟ ومعرفة أيِّ شخص تُستدعَى على أنّها الأساس للحكم الإبستيميّ؟ وللإجابة عن ذلك بسرعة، يمكن أن نعيِّن المتكلّم على أنّه المتصوِّرُ المفيد. فإذا ما أنشأتُ العبارة [*Jill is pregnant* "جِلّ حامل"]، أشير إلى أنّ حملَها جزء من تصوّري أنا للواقع، لا مِن تصوُّر المخَاطَب أو أيِّ

شـخص آخر. وبالفعل، سأخوض في التّجذير من حيث هو مسألة تقييم يُجرِيه المتكلّـم. ولكن لا تنسَ أنّ هناك أيضـا جوابا آخر طويلا أدقّ بكثير مِن هذا. فالعبارة (الّتي يكون المتكلّم مسـؤولا عنها) ليست نفسَ الشّيء مقارنة بمركّب جُمَليّ منته - هي، بدل ذلك، نوع من العمَل يمكن أن يُستعمَل له مركّب جُمَليّ منته. يمكن في سياق هذا العمَل دون غيره، أن يكون تصوّرُ الواقع الّذي يستدعيه التّجذير الجُمَليّ مطابقا تمامَ المطابقة لتصوُّر الواقع عند المتكلّم الفعليّ. فالمركّبات الجُمَليّة المنتهية تجري في استعمالات كثيرة أخرى لا يكون فيها الأمر كذلك. وفي ما يلي قليل منها ليس غير:

(32) (أ) *According to Jack, Jill is pregnant.*
حسَب جاك، جِلّ حاملٌ.
(ب) *I suspect Jill is pregnant, but we're not sure yet.*
أظنّ أن جِلّ حامل، ولكن لسنا على يقين من ذلك بعد.
(ج) *It's not the case that Jill is pregnant.*
ليس الحال أنّ جِلّ حامل.
(د) *Jill is pregnant — sure, tell me another one.*
جِلّ حامل - بالتّأكيد، أخبرني بشيء آخر.

فيكـون المتكلّـم، على هذا، في أفضـل الأحوال المتصـوِّرَ المحايد، لتحقيق غايـات التّجذير. فلو نظرنا في مركّب جُمَلـيّ منتهٍ على حدة، دون سياق أكبر لتحديده، لم يكن المتصوِّر الّذي يُستدعَى للتّجذير الجُمَليّ إلاّ افتراضيّا.

لئـن كان لكلّ لغة مركّبـات جُمَليّة تصف الأحـداث وتحتاج إلى طريقة ما لتشـير إلى منزلتها الإبسـتيميّة، فإنّ للواحـدة منها نظامها الخاصّ بهـا في التّجذير الجُمَلـيّ. ومن الطّبيعيّ، أن تتنـوّع النّظُم من حيث المنوال المفهوميّ الّذي تفترضه مسبقا، ومن حيث عمليّات التّمييز الّتي تقوم بالنّظر إلى تلـك المناويل، ومن حيث مدى الظّهور الّـذي يكون عليه التّجذير. وأمّا التّجذير الظّاهر، فتختلف فيه اللّغات من حيث الكيفيّة الّتي بها يتجلّى بنيويّا. ولا هو يعبَّر عنه، بالضّرورة، بنوع وحيد من العناصر أو في أيّ موضع بنيـويّ. يجري في اللّغـة اللّويزينيّة، تجذير مركّب جُمَلـيّ، في آن واحد، بواسطة تصريف الفعل وبالوُصْلَة اللاّحقة على الكلمة الأولى أو المركّب الأوّل فيه:

(33) (أ) *'owo'a–quṣ.* *Waxaam=chamil*

work–PAST:DUR yesterday=1p:PAST

استمراريّ:ماض-عمل **ماض:**نحن=أمـــــــس

«بالأمس، كنّا نعمَل»

(ب) *'owo'a–an.* *'exngay* *Noo=nupo*

work–FUT tomorrow I=1s:FUT

مستقبل-عمل غدا **مستقبل:**متكلّم مفرد=أنا

«سوف أعمل غدا»

في هاتين العبارتين، يدلّ الجزء الأوّل من [*chamil*=] على أنّ منتقل المركّب الجُمَليّ هو 'نحن'، ويدلّ الجزء الأوّل من [*nupo*=] على أنّه 'أنا'. يمثّل هذان المثالان سمة شائعة في التّجذير الجُمَليّ: أعني، الإحالة الخطاطيّة على المنتقل باعتماد الخصائص الأساسيّة - مثل الشّخص والعدد- الّتي تظهر كذلك في التّجذير الإسمائيّ. وهذا طبيعيّ، بحكم التّبعيّة المفهوميّة الّتي تكون عليها العمليّة المجذَّرَة (لا يمكن أن نتصوّر عمليّة دون استحضار المشاركين فيها) وبروز المنتقل في داخلها (من حيث كان المشارك البؤريّ الرّئيسيّ). فالعنصر المجذِّر من هذا القبيل حينئذ هو تمثيل خطاطيّ، يدلّ على المنزلة الإبستيميّة لكلّ من العمليّة المعروضة والمشارك الّذي ينشدّ إليه تصوّر تلك العمليّة.[41]

التّجذير الجُمَليّ في اللّغة الإنجليزيّة فقير جدّا من حيث تخصيص المنتقل. فباستثناء ما يجري بالفعل المساعد [*am*]) [*be*] مقابل [*are*] مقابل [*is*]؛ و[*was*] مقابل [*were*])، تتمثّل لفتته الوحيدة إلى هذا الاتّجاه في علامات تصريف الأفعال الدّالّة على الزّمن الحاضر عندما يكون المنتقل شخصا غائبا مفردا: [*she know**s***] مقابل [*they know*]. يمكن أن يعامَل هذا على أنّه حالة خاصّة من التّجذير في الزّمن الحاضر الّذي يجري تشفيره عادة بعلامة التّجذير الصّفر. ولنظام التّجذير في الإنجليزيّة، رغم بعض الحدود الغائمة، نواة بيّنةُ المعالم تضمّ الزّمن والجهيّات. فللإنجليزيّة زمنان أساسيّان: "الحاضر" و"الماضي". ولها خمس جهيّات أساسيّة: [*may* "أمكن"]، و[*can* "استطاع"]، و[*will* "سـ"]، و[*shall* "سوف"]، و[*must* "وجب"]. ولهذه الجهيّات أنفسها نصيب في التّقابل "الزّمنيّ"، من حيث كانت أشكال "الزّمن الماضي" منها تباعا [*might*] و[*could*] و[*would*] و[*should*] و[*must*].[42] والمضمون الدّلاليّ الفعليّ لمفاهيم

من قبيل "الحاضر" و"الماضي" و"الزّمن"، يستوجب التّوضيح بطبيعة الحال. ولكن لنوضّحْ أوّلا المنزلة النّحويّة للعناصر المجذِّرة.

غالبا ما توصَف الجهيّات، جنبا إلى جنب مع [*have*] و[*be*]، بأنّها "أفعال مساعدة" (مقابل الأفعال "الرّئيسيّة" أو المعجميّة). وبطريقة أشمَل، تؤخَذ الجهيّات والزّمن والشّكل التّصريفيّ التّامّ (*have* + *-ed*) والتّدريجيّ (*be* + *-ing*) والمبنيّ للمفعول (*be* + *-ed*)، في مجملها بأنّها تكوِّن نظام الفعل المساعد في الإنجليزيّة (شومسكي 1957). ولكن لا تبرير، بنيويّا كان أو وظيفيّا، لهذا التّجميع (لانقاكر 1991: § 5. 1). تشترك [*have*] و[*be*] والجهيّات (والزّمن كذلك)، اشتراكا فعليّا في خصيصة دلاليّة مهمّة: كلّ واحد منها يعرض عمليّة ذات درجة عالية من الخطاطيّة. ولذلك كانت جميعها أفعالا بأتّم معنى الكلمة (بحكم ما تعرضه)، وأفعالا "مساعدة" بمعنى أنّها ليست معجميّة (بفضل خطاطيّتها). غير أنّ القسمة الأساسيّة، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 9. 14، ليست بين فعل "رئيسيّ" (V)، وأفعال مساعدة (يحال عليها بصفة مجملة بـ"AUX")، ولكن بدل ذلك بين عناصر مُجذِّرة (الزّمن والجهيّات)، من جهة، وكلّ ما تبقّى منها، من أخرى.

Grounding Elements	Grounded Structure			
Tense Modals	Perfect (*have* + *-ed*)	Progressive (*be* + *-ing*)	Passive (*be* + *-ed*)	Lexical Verb (V)
Auxiliary System ("AUX")				"Main" Verb

[**عناصر التجذير** = Grounding Elements]، [**البنية المجذَّرة** = Grounded Structure]،

[**الزمن** = Tense]، [**الجهيّات** = Modals]، [**المنقضي** = Perfect]،

[**التّدريجي** = Progressive]، [**مبني للمفعول** = Passive]،

[**فعل معجميّ** = Lexical Verb]، [**نظام الأفعال المساعدة**= Auxiliary System]،

[**فعل ‹رئيسيّ›** = 'Main' Verb]،

الرّسم البيانيّ 9. 14

هـذا التّجميـع (الّذي يشـار إليه بالخطـوط المزدوجة) مدعـوم بالمعنى، وبالوظيفة الدّلاليّة، وبالسّـلوك النّحويّ. فمن زاوية دلاليّة، للزّمن والجهيّات قيم إبسـتيميّة مترابطة، وتسـتدعيان الأرضيّـة خصّيصا، وتحقّقـان معا وظيفة التّجذير. ومقابل ذلك، ليس للأرضيّة دور مخصوص (إلاّ في حدود الحضور الأدنـى) فـي توصيف الشّـكل التّامّ، والتّدريجيّ، والمسـند إلـى المفعول، والفعل المعجميّ. تخدم هذه الأشكال، بصفة جماعيّة، وظيفة تحديد العمليّة المجذَّرَة. فعوض أن يدلّ الشّـكل التّامّ، والتّدريجيّ، والمسـند إلى المفعول علـى المنزلة الإبسـتيميّة، تفرض طرقا خاصّة في رؤيـة العمليّة بتعديل البروز النّسـبيّ لوجوهها (§ 4، 3، 3). ومـن زاويـة نحويّة، يكـون كلّ من الزّمن والجهة إجباريّين في مركّب جُمَليّ منته،[43] في حين يكون الشّـكلّ التّام، والتّدريجـيّ والمسـند إلى المفعـول اختياريّة. وزيادة علـى ذلك، يظهر هذا الثّالـوث الأخير فـي المركّبات الجُمَليّة غير المنتهيـة بنوعيها غير المصرّف والمصدريّ، الّتي يُقصَى منها الزّمن والجهيّات:

(34) (أ) *I would prefer for my proposals to* ***have*** *already* ***been being*** *discuss* ***ed*** *for a while.*

أحبّذ لمقترحاتي لو كانت قد كانت تنوقش فيها لمدّة.

(أحبّذ لو أنّ مقترحاتي قد نوقشت مدّة من الزّمن).

(ب) *He resents* ***hav****ing* ***been being*** *criticiz* ***ed*** *for so long.*

هو يستاء لكونه قد كان يكون يُنتقد لمدّة طويلة

(هو مستاء لما تعرّض له من الانتقاد الطّويل في ما مضى).

(ج) **I would really like her to* {*examine* ***s*** */ examin* ***ed*** */* ***will*** *examine* */* ***might*** *examine*} *my proposals.*

*أودّ حقيقة منها أن {تفحص/ فحصت/ ستفحص/ قد تفحص} مقترحاتي.

(د) **He really dislikes* {*criticize* ***s*** *ing / criticizing* ***ed*** */* ***will*** *criticizing / might* ***ing*** *criticize*} *others.*

(الجملة فيها من الأشـكال التّصريفيّة ما لا يقبل ترجمة إلى العربيّة لأنّه غير موافق للنّحو الإنجليزيّ، وقد وضعه المؤلّف جدلا.)

تتكـوّن البنية المجـذّرة من الفعل المعجميّ وقد زيد فيه، في مسـتويات أعلى متتابعة مـن التّنضيد، بإضافة المبنيّ للمجهول، والتّدريجيّ، والشّـكل التّام. ويفرض كلّ واحد من هذه العناصر الأخيرة معروضَه العمليّاتيَّ الخاصّ بـه على البنية الّتي كانت قد جُمِّعت (انظـر الفصل 4، المثال (17)). وبما أنّ هـذه العناصر اختياريّة وتجـري في أيّ توليفة، تكون لأربعـة أفعال مختلفة فرصة لفرض معروضها عند المسـتوى الأعلى: الفعل (v)، والمبنيّ للمجهول

من (*be*)، والتّدريجيّ من (*be*)، والشّكل التّامّ من (*have*). والعمليّة المجذَّرَة هي العمليّة الّتي تعرِضها البنية المركّبة عند المستوى الأعلى من التّنضيد. فالفعل المجذَّر في العبارة المركّبة [*have been being criticized* "كان قد كان ينتقد"]، حينئذ، هو [*have*]، لا [*criticize*]، ويكون الفعل المجذَّر في عبارة [*be criticizing* "كان ينتقِد"] الفعلَ المساعد [*be*].

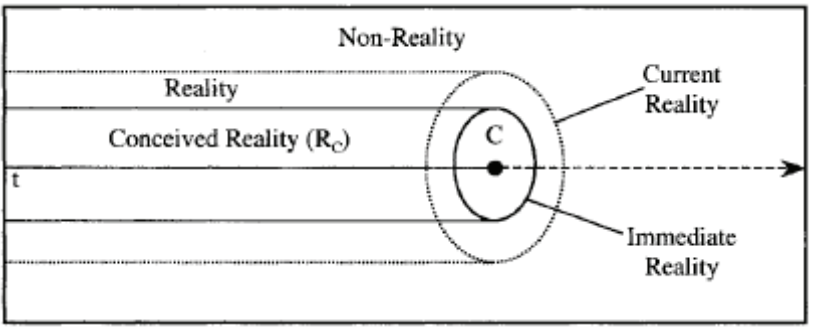
9. 4. 2 الزّمن

قد يعترِض القليل من اللّسانيّين على كون الزّمن والجهة مترابطين ترابطا حميما. يتمَثّل مورد التّرابط بينهما، بشكل واضح إلى حدّ ما، في أنّنا نعيش تجربة العالم بشكل تتابعيّ، لحظةً فلحظةً، بوجه تكون فيه اللّحظة الحاضرة فقط قابلة للاهتداء إليها اهتداء مباشرا. أمّا الماضي فلا يمكن أن تُعاش تجربته مباشرة بل تعاش من خلال التّذكّر. والمستقبل لا يمكن أن تعاش تجربته وإن بصفة غير مباشرة لأنّه لم يحدث بعد- فلا يمكننا إلاّ أن نخطّط له أو نخمّن فيه أو نتخيّله. وبهذه الطّريقة الأساسيّة، تتعالق درجة اليقين الّتي لنا من الأحداث مع موقعها في الزّمن بالنّسبة إلى الحاضر.

ترافق سلسلة من الأحداث مرورَ الزّمن أو تُكوِّنُه حسَب الكيفيّة الّتي ينظر بها المرء إليها. وتاريخُ الأحداث يحدّد الواقعَ الّذي يتبلور خلال الزّمن أو يتنامى فيه تبعا لذلك. فعند لحظة معيّنة من الزّمن، يكون الجزء من الواقع الّذي نسميّه الماضيَ قد حُدِّد، ويظلُّ الحاضر في طور التّحديد، والمستقبَل لم يتحدّد بعدُ. والدّفق أحاديّ الاتّجاه لا رجعة فيه - فلا يمكننا أن نعود إلى ما مضى من الزّمن، وإن كان شيءٌ قد حدث فلا يمكن أن نجعله لا حادثا. يمكن أن نرسم الواقع بطريقة استعاريّة، في شكل اسطوانة "لا تنفكّ تكبر"، تتّوسّع باستمرار خلال الأحداث الجديدة. يُعرَض ذلك بشكل مختزَل في الرّسم البيانيّ 9. 15. ومقدَّم الاسطوانة، الّذي يحمل شارة الواقع الرّاهن، هو الموضع الّذي يحدث عنده الازدياد في الكبر. وفي هذا الموضع تظلّ المـوادُّ متدفّقة، في حين يكون الماضي ثابتا والمستقبل حرّا يتّخذ أيّ شكل يمكنه أن يتّخذه.

ثمّة شيء نعرفه عن العالم وعن الكيفيّة الّتي بها يتطوّر، هو أنّنا لا نستطيع أن نعرف كلّ شيء. وبهذا الوجه، يبلور كلّ واحد منّا تصوّرا للواقع خاصّا به نعرف أنّه جزئيّ ونعرف أيضا - في لحظات الصّدق- أنّه ليس دقيقا بوجه لا يحتمل الخطأ. ومع ذلك، عند لحظة معيّنة، يوجد قدر كبير من الأشياء

الّتي نعتبرها معروفة (لا مجرّد شـيء مشكوك فيه أو مفترض). فلا نخوض صراعا في منزلتها الإبسـتيميّة بل نقبلها ببساطة على أنّها معرفة قائمة. يكوّن ذلك عند متصوّر مخصوص (C)، واقعا متصوَّرا (R_C). والواقع المتصوَّر هو ما يقبله المتصوِّر (C) على أنّه واقع. ومثلما كان الأمر مع الواقع، بكلّ بساطة، يمكن أن يُرسـم الواقع المتصوَّر في شكل اسطوانة لا تنفكّ تكبر، تزداد باسـتمرار خلال التّجربة الرّاهنة. ومقدَّم الاسـطوانة، الّذي سنطلق عليه تسمية "الواقع المباشِر"، هو الجزء من الواقع الرّاهن الّذي يقبله المتصوِّر (C) على أنّه واقع. والواقع المباشر هو بالأساس الواقع الّذي نعيش فيه إبستيميّا، هو موضعُ ما نعيش تحربتَه عيشا مباشرا من لحظة إلى أخرى.



[**اللاّواقع** = Non-Reality]، [**الواقع** = Reality]،

[**الواقع الجاري** = Current Reality]، [**الواقع المتصوّر** = R_C]،

[**المتصوّر** = C]، [**زمن** = t]، [**الواقع المباشر** = Immediate Reality]

الرّسم البيانيّ 9. 15

على هذا، يكون الزّمن والحكم الإبستيميّ مترابطين في مستوى أساسيّ عميق جدّا. وينسحب هذا بصورة طبيعيّة، على تجلّياتهما اللّغويّة في منظومتي الزّمن (النّحويّ) والجهة. يعتبَر الزّمن النّحويّ، في العادة، محدِّدا لموقع حدث ما فـي الزّمن بالنّسـبة إلى زمن التّكلّم، فـي حين تتعلّـق الجهيّات باحتمال حدوثـه. ولكنّ هذا التّمييز يمكن أن يكون كلّ شـيء ما عدا أن يكون واضحـا، ومـا الإنجليزيّـة إلاّ مثال اسـتعراضيّ. وبعد هذا وذاك، تسـتعمل الإنجليزيّـة العنصرَ الجهـيّ [*will*] للدّلالة على الزّمن المسـتقبَل. وتسـتعمل كذلـك "الزّمن" لإقامة الأحكام الإبسـتيميّة: التّقابل بيـن [*it may rain* "قد

ينزل المطر"] و[*it might rain* "ربّما/ (يحتمل أن) ينزل المطر"]، لا يعكس زمن حدوث الحدث بـل يعكس تقديرَ المتكلّم لاحتمال حدوثه. وفي مجموعة كبيرة من الحالات، يستقيم التّوصيف القائم على أساس الزّمن بشكل جيّد بالنّسبة إلى "الماضي" و"الحاضر" في الإنجليزيّة (§ 5. 2. 3). غير أنّ هاتين القيمتين الزّمنيّتين تُعتبَران، في هذا التّحليل الأخير بوجه أفضل، تحقّقات طرازيّة للمعاني الخطاطيّة الّتي تكون إبستيميّة بطبيعتها.

يتكوّن نظام التّجذير الإنجليزيّ، في مستوى النّواة منه، من تقابلين ثنائيّين. شكليّا، يكون واحد من الطّرفين في كلّ منهما صفرا، ويكون الطّرف الآخر موسوما وسما ظاهرا. وهذا النّظام أيقونيّ لأنّ الصّفر يدلّ، في كلّ حالة، على نوع من المباشرة الإبستيميّة أو القربِ من المُتصوَّر (C)، في حين يدلّ الوسم الظّاهر على مسافة إبستيميّة أكبر. وفي حال الزّمن، يكون "الحاضر" صفرا (في تبادل مع علامة المفرد الغائب (*-s*))، والماضي موسوما وسما ظاهرا. والتّقابل الدّلاليّ بينهما، وهو شبيه إلى حدّ كبير بالتّمييز بين القريب والبعيد في أسماء الإشارة، مسألةُ ما إذا كانت العمليّة المعروضة بالنّسبة إلى المتصوَّر مباشرةً أو غير مباشرة، من زاوية إبستيميّة. وفي حالة الجهيّات، يتمثّل الطّرَف الصّفر في غياب [*may*]، و[*can*]، و[*will*]، و[*shall*] و[*must*]. يدلّ غياب الجهيّ على أنّ المُتصوَّر(C) يقبل العمليّة المعروضة على أنّها واقعيّة، أي على أنّها جزء من الواقع المتصوَّر (R_C). فالعنصر الجهيّ يجعل العمليّةَ المعروضة في موضع خارجَ الواقع المتصوَّر، في منطقة يمكن أن نسمّيها اللاّواقع (هي تكملة للواقع المتصوَّر(R_C)). يقال عن العمليّة المجذَّرة بعنصر جهيّ، والّتي لا يقبلها المتصوِّر على أنّها واقعيّة تبعا لذلك، إنّها عمليّة لاواقعيّة.

وعندما لا يتوفّر أيّ عنصر جهيّ، تعود العمليّة المجذَّرة إلى تصوُّر المتصوِّر للواقع. وبذلك، يخصِّص "الزّمن" الموضعَ الّذي يوجد فيه الحدث داخل الواقع المتصوَّر (R_C). وهناك خياران أساسيّان لا غير. يحتلُّ الحدثُ، مع الوسم الصّفر (أو مع لاحقة التّصريف (*-s*))، الواقعَ المباشر، هو ما يرسَم في الرّسم البيانيّ 9. 15 على أنّه مقدّم الاسطوانة الّتي لا تنفكّ تكبر. وإذ كان ذاك هو الموضع الّذي توجد فيه الأرضيّة، كانت العمليّة المعنيّة مطابقة لزمن التّكلّم (مثل، [*they like it* "هم معجبون به (شيء)"])]. ومقابل ذلك، تضع علامة التّصريف [*-ed*] وتنويعاتُها العمليّةَ المعروضةَ في الواقع غير المباشر - أي في أيّ موضع من الواقع المتصوَّر ما عدا مقدَّم الاسطوانة.

وبالفعل، تكون بذلك، قبل زمن التّكلّم (مثل، [*they liked it* "(هم) أعجِبوا بها"]). وعندما يكون الواقع محطّ الاعتبار بمفرده، تتعالق المباشرة وعدم المباشرة الإبستيميّتان مع الموضعين الحاضر والماضي في الزّمن، تباعا. وبهذه الكيفيّة، تتبدّى الخصيصتان الزّمنيّتان "الحاضر" مقابل "الماضي"، قيمتين طرازيّتين لذينك العنصرين المجذِّرين. وكنّا رأينا في الفقرة § 5. 2. 3 كيف تفسِّر هذه التّوصيفاتُ الزّمنيّة قالبَ ورودهما مع العمليّات الانقضائيّة والعمليّات اللاّانقضائيّة.

يذهب بعضهم أحيانا إلى أنّ الزّمن الوارد في مركّب جُمَليٍّ تابع "يطابق" الزّمنَ الوارد في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. يضمن قيدُ "تتابع الأزمنة" هذا أنّ الفعل التّابع يتغيّر من [*is*] إلى [*was*]، عندما يتغيّر الفعل [*says* "يقول"] في (35) (أ) إلى [*said* "قال"]، لكي يطابقه. تبرهن الأمثلة الواردة في (35) بوضوح على تهافت هذا التّحليل التّقليديّ. فلا تكاد تكون هناك مطابقة بين الزّمن في المركّبين الجُمَليّ الفرعيّ والجُمَليّ الرّئيسيّ، عندما تجري جميع التّوليفات بين الماضي والحاضر. والجمل ذات بناء جيّد، ولكلّ واحدة منها معنى يختلف اختلافا طفيفا عن الأخرى. وتتمثّل نقطة مفتاح في أنّ العمليّة [*be pregnant* "كون (جِلّ) حاملا"]، تستمرّ مدّة زمنيّة كافية ليكون عملُ قولٍ سابق وحدثُ القول الجاري مطابقين في آن واحد لبعض الأجزاء من تلك المدّة. وللفعل [*say*]، كذلك، استعمال لا انقضائيّ يصف فيه وضعيّةً مستقرّة لشخص يتشبّث فيها بموقف ما (موقف يعبَّر عنه في بعض الأحيان بواسطة الكلام). وبذلك، يمكن للعبارات أن تشرَح كما تشير إلى ذلك المادّة الواردة بين معقوفتين، حيث تجعَل العمليّة المعروضة، في كلّ حالة، في موضع إزاء زمن التّكلّم الجاري.[44]

(35) (أ) *Jill* ***says*** *she* ***is*** *pregnant.* [هي تدّعي الآن أنّها حامل الآن]
«تقول جلّ هي (تكون) حامل»
(تقول جِلّ إنّها حامل.)

(ب) *Jill* ***said*** *she* ***was*** *pregnant.* [قالت قبل الآن إنّها كانت حاملا وقتها]
«قالت جلّ هي (كانت) حاملا»
(قالت جلّ إنّها كانت حاملا)

(ج) *Jill* ***says*** *she* ***was*** *pregnant.* [هي تدّعي الآن أنّها كانت حاملا في ما قبل الآن]
«تقول جِلّ هي (كانت) حاملا.»
(تقول جِلّ إنّها كانت حاملا.)

(د) *Jill **said** she **is** pregnant.* [هي قالت قبل الآن إنّها حامل الآن]
«قالت جِلّ (هي) (تكون) حامل.»
(قالت جِلّ إنّها الآن حامل)

ليست القيم الزّمنيّة الّتي لهذه العناصر المجذِّرة إلاّ حالات خاصّة باعتبار دلالتها الخطاطيّة على المباشرة وعدم المباشرة الإبستيميّتين. والحاجة إلى توصيفٍ أكثر تجريدا جلِيّةٌ من خلال استعمالات «الزّمن الحاضر» للدّلالة على «غير الحاضر»، مثل الأحداث في المستقبل وفي العبارات الحِكَميّة المتضمّنة «للحقائق الأبديّة»:

(36) (أ) *They leave next week for Venezuela.*
(هم) يسافرون الأسبوع القادم إلى فينيزويلا.

(ب) *The square of the hypotenuse equals the sum of the squares of the other two sides.*
يساوي مربّعُ وترِ المثلّثِ ذي الزّاوية القائمة، مجموعَ المربّعين للجانبين الآخرين.

تتأسّس استعمالات الحاضر هذه للتّعبير عن غير الحاضر، على أبنية ذهنيّة مخصوصة تكون في الأغلب ضمنيّةً ولكنّها ذات أهمّيّة بالغة رغم ذلك في دعم الأرضيّة المفهوميّة. فالعبارات مثل تلك الواردة في (36)، تستحضر مخطّطا أو جدولا زمنيّا ضمنيّا أي نوعا من «الوثيقة» الذّهنيّة الّتي تصف الأحداث المتوقّعة في المستقبَل. وإذ يكون الجدول الزّمنيّ حاليّا نافذ المفعول، يكون للشّخص الّذي يعرفه الاهتداءُ المباشر إلى الأحداث الّتي يتضمّن قائمتَها. وبهذه الطّريقة، يكون للحدث سمة المباشَرة الإبستيميّة عند المتكلّم الّذي يطّلع على الجدول الزّمنيّ و«يقرأ قبالة» مدخل ما. وتفترض العبارات من قبيل (36) (ب)، مسبقا بنية ذهنيّة أخرى، هي وثيقة افتراضيّة تصف طبيعة العالم الجوهريّة فيه- أي بنيته الأساسيّة (في مقابل الأحداث «العارضة»). ومرّة أخرى، يكون مدخل ما في هذه الوثيقة واقعا مباشِرا إبستيميّا للمتكلّم الّذي يطّلع عليه. ليُسمَحْ لي بأن أؤكّد على أنّ الوثائق الّتي تُستحضَر في تلك الأمثلة، تعتبَر رغم كونها افتراضيّة مظاهرَ من الواقع بالمعنى اللّغويّ المفيد (§ 9. 4. 1). وعلى هذا، تكون الأحداث الموصوفة قابلة لأن يَهتدِيَ إليها المتكلّم جزءا من الواقع المباشر، حتّى وإن كان حدوثها الفعليّ لا يطابق زمن التّكلّم.[45]

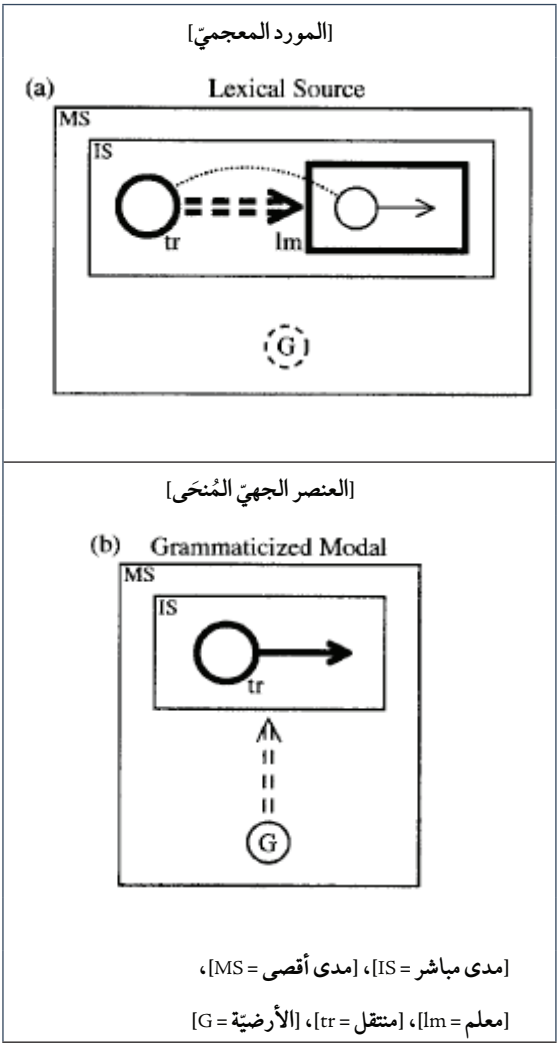
وممّا يُظهِر الحاجةَ إلى توصيف خطاطيّ، عبارات من قبيل ما يرد في (37):

If I knew what their plans are, I would tell you. (37)
لو علمت بمخطّطاتهم، لأخبرتك بها.

لا يحيل الفعل [*knew* "علم"]، رغم تصريفه في الماضي، على حدوث سابق. فمضمونه، بدل ذلك، هو أنّ الوضعيّة المفترضة الّتي تقدّمها [*if* "لو"]، ضديدة للواقع: يشير المتكلّم إلى أنّه بالفعل لا يعلم بالمخطّطات. ولئن أمكن لوضعيّة مفترضة أن يُتبيَّن أنّها حقيقيّة، يستبعِد استعمالُ [*knew*] ذلك الأمر استبعادا صريحا بأن يسم إقصاءه من الواقع المباشِر. ويمكن أن يتجلّى المضمون الإبستيميّ لعدم المباشَرة حتّى إذا ما لم تقبل تأويلا زمنيّا. يكون ذلك جليّا من خلال الجهيّات غير المباشرة أيضا: [*might*]، و[*could*]، و[*would*]، و[*should*]. فمضمون [*would*] في (37) لا يتعلّق بالزّمن. إنّما يشير، بدل ذلك، إلى أنّ المتكلّم حاليّا غير قادر على إنشاء تخطيط في المستقبل الّذي تحمله عبارة [*I will tell you* "سأخبرك"] (في هذه الحال، لأنّ شرط حدوث ذلك – وهو معرفة المخطّطات – مقصى من الواقع المباشِر). والقيم الزّمنيّة الّتي تتعالق مع الواقع المباشِر مقابل الواقع غير المباشِر، لا تنتقِل إلى الجهيّات الّتي تضَع العمليّة المجذَّرة في اللاّواقع.

9. 4. 3 الجهيّات

تطوّرت الجهيّات الإنجليزيّة تاريخيّا من الأفعال المعجميّة الدّالّة على معان من قبيل [want to V "أراد أن يفعل"]، و[know how to V 'عرف كيف يفعل']، و[have the power to V "له القوّة (القدرة/ الطّاقة) على أن يفعل']. وللعلاقات المعروضة بهذه الأفعال شيء مشترك بينها. أعني أنّها تنسب إلى منتقلها نوعا من النّزوع الطّبيعيّ، أو "القدرة" الّذي يمكن أن يقود، عندما يُطلَق له العنان، إلى تنفيذ عمل ما (هو الفعل (V)). ولئن كانت الوضعيّات الّتي تصفها هذه الأفعال ثابتة (إذا ما أردتُ أن أفعل شيئا، فأنا لست بصدد فِعله الآن)، فهي تشتمل على نوع من القوّة الّتي تنزع إلى حدوث الفعل. ويجري التّمثيل لهذه القوّة الكامنة بواسطة السّهم المنقّط في الرّسم البيانيّ 9. 16(a). يشير خطّ التّناسب إلى أنّ المنتقل (أي موضع النّزوع الطّبيعيّ) هو كذلك من يحقّق العمل. ولئن ظهرت الأرضيّة في التّمثيل لغاية المقارنة، فهي غير ذات دور مخصوص (ما عدا مجرّد حضورها الكلّيّ في درجته الدّنيا).



الرّسم البيانيّ 9. 16

وإذ كانت هذه الأفعال الموارِدُ تعرِض القوّةَ في نزوعها نحو عمل ما، كانت في آن دالّة على القوّة الحركيّة ومتّجهة إلى المستقبَل. وهذه الخصائص الأصوليّة مفتاح لفهم الجهيّات الإنجليزيّة الحديثة الّتي يمثّلُ تطوّرُها العمليّةَ الزّمانيّة المعروفة بالإنحاء. وكما هي الحال في العادة، تكون العناصر النّحويّة النّاتجةُ خطاطيّة أكثر من الأشكال الّتي كانت موارد لها. وإذ كانت الجهيّات عناصر مجذِّرة، كان مضمونها الأساسيّ خارج

الرّكح ومنبنيا انبناء ذاتيّا. يعكس هذا المضمون فكرةَ القدرة الأصليّة وهي تتّجه صوب حدوث الحدث. وإذ انبنت هذه القدرة انبناء ذاتيّا، لم تعد ماثلة في منتقل المركّب الجُمَليّ (وهو بحكم التّعريف بؤرة الانتباه الماثلة على الرّكح)، بل هي كائنة بدل ذلك في الأرضيّة. فهي تكوِّن علاقة التّجذير، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 9. 16 (b). وبما أنّ العناصر المجذِّرة لا تدلّ على الأرضيّة ولا على علاقة التّجذير، تبقى العمليّة المجذَّرة - أي هدف القوّة - فقط ماثلة على الرّكح من حيث كانت المعروضَ.

الكيفيّة الّتي بها تكون القدرة كامنة بالتّدقيق في الأرضيّة، هي الأساس في التّمييز بين معنيين يكونان لكلّ عنصر جهيّ، يطلَق عليهما في العادة المعنى الأصليُّ والمعنى الإبستيميّ. تتعلّق الجهيّات الأصليّة بمفاهيم من قبيل الإلزام، والإباحة، والقصد، والقدرة. وتتجلّى القوّة الجهيّة، في معظمها، في مجال التّفاعل الاجتماعيّ. فالإلزام، مثلا، يتمثّل في قوّة اجتماعيّة توجِّه المرء إلى تحقيق عمل ما، والإباحة تعني إزالة القوّة الاجتماعيّة الّتي تحول دون ذلك العمل. وتختلف الجهيّات الواحد منها عن الآخر، في كلّ من نوع القوّة المعنيّة وفي شدّتها. يحمل العنصر الجهيّ [*must*] إلزاما أقوى ممّا يحمله [*should*]، وتحمل [*might*] إلزاما ضعيفا جدّا (هو مجرّد اقتراح):

(38) (أ) *Rules must always be obeyed.*
وجب أن تحترَم القوانين دائما.
(ب) *I really should write to my mother.*
عليّ أن أراسل أمّي حقّا.
(ج) *You might help me with the dishes for a change.*
أرجو أن تعينني في غسل الأواني هذه المرّة.

تعبّر [*will*] عن القصد، وفي حين تستعمَل [*may*] و[*can*] للإباحة، تجري ثانيتهما كذلك للتّعبير عن القدرة:

(39) (أ) *She absolutely will not sign the waiver.*
(هي) لن (لا تنوي أن) تمضي على وثيقة التّنازل بكلّ تأكيد.
(ب) *Passengers may not congregate in the aisles or outside the lavatories.*
لا يمكن للمسافرين التّجمّع في الممرّات أو خارج المراحيض.
(ج) *The prisoner can leave now—I just received authorization from the warden.*

يمكن للسّجين أن يغادر الآن - وصلني منذ قليل الإذن من آمر السّجن.

(د) *OK, so you can leap tall buildings at a single bound. How are you at flipping burgers?*

نعم، إذن، أنت تقدر على القفز على البنايات العالية في وثبة واحدة. كيف حالك في تقليب رقائق البورغر؟ (عبارة سخرية تعني: الأَوْلى أن تعمل في سبيل بعض المال وإن في مطعم البورغر).

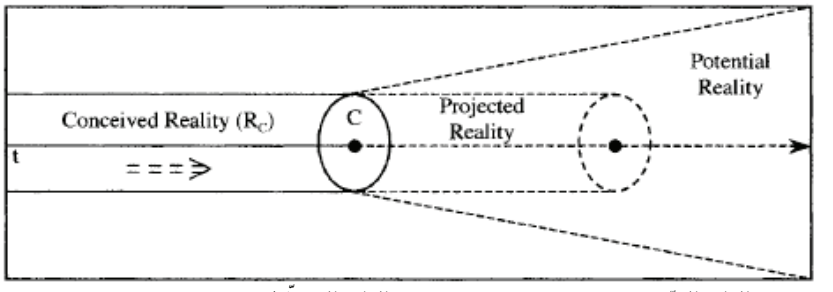
إنّ مجرّد القول إنّ قوّة الجهيّ الأصليّة كامنة في الأرضيّة لَقولٌ غائم. والمرء يريد أن يكون الأمر أكثر تخصيصا. فما هو مورد هذه القدرة؟ وإلى من تتوجّه القوّة لكي يجري تحقيق الحدث المعروض؟ ولكن هيهات، ليس هناك جواب واحد لهذين السّؤالين. ربّما كان القالب الأكثر شيوعا أن يوجِّه المتكلّم القوّة إلى السّامع [مثلما يجري في (38) (ج)]. في هذه الحالة، تمثّل ممارسة القوّة الاجتماعيّة مظهرا واحدا من التّفاعل بين المتكلّم والسّامع. وبالإضافة إلى ذلك، لا يكون المتكلّم باستمرار مصدرا لتلك القدرة، ولا السّامع دائما هدفا لها. فقد يكون المتكلّم ببساطة معبِّرا عن إلزام أو إباحة تنشأ في موضع آخر[(39) (ب)-(ج)]. ولا يكون المصدر بالضّرورة شخصا بعينه. فيمكن أن يكون سلطة غير ذات وجه [(39)(ب)]، أو شيئا غالبا من قبيل التّوقّعات الاجتماعيّة [(38) (أ)-(ب)].[46] ويظهر الهدف الّذي تُوجَّه إليه القوّة تنوّعا شبيها بذلك. فيمكن أن يكون الهدفُ، عوضا عن السّامع [(38) (ج)]، شخصا آخر[(39) (ج)]، بل يكون المتكلّمَ [(38) (ب)]. فليس في حاجة إلى أن يكون فردا بعينه ولكن يمكن أن يكون كذلك قسما عامّا [(39) (ب)] أو مجتمعا بكامله [(38) (أ)].

وعلى هذا، لا يسعنا أن نقول، في العموم، إلاّ إنّ القدرة في عنصر جهيّ أصليٍّ موجَّهةٌ بطريقة ما إلى تنفيذ العمليّة المجذَّرة. فسواء أمارس المتكلّم القوّة، أم عبّر عنها، أم قدّر قوّتها مجرّد تقدير، فهي تنصبّ على العمليّة من زاوية السّعي إلى تنفيذها. ومقابل ذلك، تتعلّق المعاني الإبستيميّةُ للجهيّاتِ بالمعرفة. فالقوّة الجهيّة، بدل أن تنزع إلى إحداث العمليّة المعروضة، إنّما تعكس جهود المتكلّم الرّاميةَ إلى تقدير الاحتمال في حدوثها. والقدرة موجَّهة إلى إدراج العمليّة المقصودة في الواقع المتَصوَّر عند المتكلّم. فهي تمثّل تجربة القوّة الحركيّة الّتي يعيشها المتكلّم بأن يستقريَ ذهنيّا التّصوُّرَ الجاري للواقع - أي يتخيّل تطوّرها المستقبليّ- بوجه يجعل الواقعَ المتصوّر متضمّنا إيّاها. فهي بذلك تؤثّر على العمليّة المجذَّرة لا من حيث جعلها نافذةً

بــل من حيث جعلها مقبولةً على أنّها واقع، بــدل ذلك. فإذا ما كانت الغاية من الجهيّات الأصليّة المراقبةَ الإنفاذيّة للأحداث، كانت الغاية من الجهيّات الإبستيميّة المراقبة الإبستيميّة.

تشبه الجهيّاتُ الإبستيميّةُ الجهيّاتِ الأصليّةَ من حيث كونها بالأساس قوّة حركيّة (طالمي 1988a؛ سويتسر 1990: الفصل 3). غير أنّ مفهوم القوّة الّذي تستدعيه مجرّدٌ أكثرَ ومنبن انبناء بدرجة من الذّاتيّة أكبر. فإن أعطَيتُ الإذن بقولــي: [*You may leave now* "يمكنك أن تنصرف الآن"]، يكون للقوّة الجهيّة الّتــي تحملها العبــارة تأثير ما على الكيفيّة الّتي تتطوّر بها الأشــياء في العالم خارج ذهني: يُحتمَل أن تنصرف. ولكن إن عبّرتُ عن حكم إبستيميّ بقولي: [*It may rain this afternoon* "يمكن أن تمطر هذه العشيّة"]، لا يكون لهذا الحكم أيّ تأثير علــى احتمال نزول المطر بالفعل. فموضع القدرة وتبعاتها المباشــرة كائنــان داخــل الذّات المتصــوِّرة، متعلّقتين بحــال المعرفة عنــد المتكلّم وبالكيفيّة الّتي يحتمل أن تتطوّر بها. فالقدرة كامنة في محاكاة ذهنيّةٍ جاريةٍ خــارج الرّكح لتَصوُّر الواقع عند المتكلّم وهو يتطوّر على امتداد مســلك معيّــن. هي ماثلة في المجهود الذّهنــيّ الّذي يُبذَل ويعيش صاحبُه بطريقة ذاتيّة تجربتَه في محاكاة التّنامي الّذي يكون للواقع المتصوّر على امتداد مسلك يصل به إلى الاشتمال على العمليّة المعروضة.

تُعرَض بعض المظاهر من هذه المحاكاة الذّهنيّة عرضا مختزلا في الرّسم البيانــيّ 9. 17. ويمكــن أن نصف الواقع المتصوّر، وصفا اســتعاريّا، بكونه ذا دفْع تطوّريّ يمثِّل له السّــهم المــزدوج المتقطّع. وينقل تطوّرُه خلال اللّحظة الرّاهنَــة دافعــا معيّنا ينزع إلى جــرّه إلى بعض الاتّجاهــات عوضا عن أخرى. "يشــعر" المتصوِّر بهذا الدَّفع عندما يُجري المحاكاة الذّهنيّة - أي في تعقّب الواقع المتصوَّر (R_c) واســتقراء مساره المَســتقبليّ. وبعض المسالك ممنوعة بكلّ بســاطة: بحكم الكيفيّة الّتي بها تتطوّر الأشــياء لا يمكن أن نتابعها بأيّ وجه معقول من المحاكاة. وتكوّن المســالكُ الّتي لا تكون ممنوعة الواقعَ الإمكانيّ. وفي داخل الواقع الإمكانيّ، تبدو بعض المســالك بوجه خــاصّ أرجــحَ من غيرها لأن تُتَبَــع: يكون الدّفْع فيها بوجــه يمكّننا من أن نتخيّــل الواقع المتصوَّر وهو يتطوّر على امتــداد تلك الخطوط ما لم يحدث شيء غير متوقّع ينحرف به عن مساره. هذه المسالك تمثّل الواقعَ المخطَّط.



[**الواقع المتّصوّر** = Conceived Reality = R_c]، [**الواقع المخطّط** = Projected Reality]،

[**الواقع الإمكانيّ** = Potential Reality]، [**المتّصوِّر** = C] [**زمن** = t]

الرّسم البيانيّ 9. 17

يوفِّر هذا المخطّط أساسا يقوم عليه وصف الجهيّات الإبستيميّة. فالوقائع الدّلاليّة معقّدة، لأنّ كلّ شكل جهيّ (مباشر وغير مباشر في آن) كان قد تطوّر بطريقته الخاصّة ونحت لنفسه بيئة خاصّة به. ولا يتّسع المجال هنا إلاّ لعرضٍ وجيز عامّ، بدءا من أشكال الأساس الّتي تُستعمَل في الإحالة على الأحداث المستقبليّة.

فمن الأشكال الأساسيّة الخمسة ([*may*]، و[*can*]، و[*will*]، و[*shall*]، و[*must*])، نتبيّن أنّ اثنين منها فقط يستعمَلان استعمالا مُريحا بهذه الطّريقة. ونادرا ما تستعمَل [*shall*] في الإنجليزيّة الأمريكيّة، ثمّ إنّها لا تستعمَل إلاّ في شكل جهيّ أصليّ (مثل، [*Shall we go?* "هل (سوف) نذهب؟"]). وأمّا [*can*] فهامشيّة في استعمالها جهيّا إبستيميّا. وهي تنزع، حتّى مع الفواعل من الجماد، كما في (40)، إلى أن تنبني على أنّها تعبِّر عن القدرة (وهو معنى جهيّ أصليّ): توحي الجملة (40) (أ) بأنّ اللّعبة واهية إلى حدّ أنّها تنكسر بسهولة، وتوحي (40) (ب) بأنّ ظروف المناخ ما تزال قادرة على إحداث المطر.

(40) (أ) *This toy can certainly break.*

هذه اللّعبة يمكن أن تنكسر بكلّ تأكيد.

(ب) *It can still rain.*

يمكن أن تمطر ثانية.

ولئن كان للجهيّ [*must*] استعمالات إبستيميّة واضحة، فإنّها لا تتعلّق بالحدوث في المستقبل. فلو أوّلنا (41) تأويلا إبستيميّا، لتعلّقت بوضعيّة حاضرة بدل وضعيّة مستقبليّة. وإن أوّلناها على أنّها متعلّقة بالمستقبل، كان لها المعنى الجهيّ الأصليّ المتمثّل في فرض إلزام ما.

(41) *They must be completely satisfied.*
وجب أن يكونوا راضين تمام الرّضى.

ولا يبقى بعد هذا إلاّ [*may*] و[*will*] اللّتان يسهل وصفهما: تجعل [*may*] العمليّة المجذَّرَة في الواقع الإمكانيّ، وتجعلها [*will*] في الواقع المسقَط. وبذلك، لا تدلّ الجملة (42) مع [*may*] إلاّ على أنّ الانتخاب القريب ممكن ولكنّها بمثابة توقُّع مع [*will*]:

(42) *This election* {*may /will*} *be very close.*
هذا الانتخاب {يمكن أن/ سوف} يكون قريبا جدّا.

كنّا قد لاحظنا أنّ (41)، عندما تؤوَّل إبستيميّا، تتعلّق بالحاضر بدل المستقبل. فكيف يستقيم ذلك مع الفكرة القائلة بأنّ الجهيّات متّجهة إلى المستقبل؟ والتّمييز بين زمن حدوث الأحداث وزمن معرفتنا بذلك الحدوث، تمييز حاسم هنا. فبمرور الزّمن، نحن لا نعلم فقط بالأحداث الجديدة الّتي تعترضنا في الطّريق - بل نعلم كذلك أكثر بكثير عن الملابسات الّتي كانت موجودة بالفعل. فعند لحظة معيّنة، تتعلّق الأحكام الإبستيميّة، حينئذ، إمّا بالأحداث المستقبليّة أو بالأوضاع الحاضرة. ولكن في الحالتين كلتيهما يشير العنصر الجهيّ إلى أنّ العمليّة المجذَّرَة لم تُقبَل بعدُ على أنّها واقعيّة. فهي مستقبَليّة بمعنى أنّ اندراجها في تصوّر المتكلّم للواقع ينتظر التّحقّقَ. فلئن كانت الجهيّات متّجهة إلى المستقبل في العادة باعتبار العمليّة نفسها واندراجها في الواقع المتصوَّر في آن واحد، فهي كذلك دائما بحكم هذا الأخير.[47]

وفي ما يهمّ الوضعيّات الحاضرة، تدلّ [*may*] على القبول الإمكانيّ للعمليّة المجذَّرة في الواقع المتصوَّر، وتكون إمّا [*will*] أو [*must*] قبولها المخطّط:

(43) *They* {*may /will /must*} *be home now — they left three hours ago.*
{يمكن/ سوف/ وجب} (أن) يكونو(ن/ا) الآن في المنزل- لقد انصرفوا منذ ثلاث ساعات.

في الإنجليزيّة الأمريكيّة، تُفضَّلُ [*must*] على [*will*] في هذا الغرض. ورغم أنّ الشّكلين كليهما يسقِطان تطوُّرا للواقع المتصوَّر يؤول فيه هذا الواقع المتصوَّر إلى الاشتمال على العمليّة المعروضة، تكون [*must*] أقوى لأنّها توحي بأنّ الدّفْعَ التّطوّريّ يجعل ذلك محتوما.

ولنعد الآن إلى الأشكال الجهيّة غير المباشرة: [*might*]، و[*could*]، و[*would*]، و[*should*]. ما تزال كلّ واحدة منها، إلى حدّ ما، قابلة للتّحليل على أنّها توليفة بين الشّكل الأساس ((*may*]، و[*can*]، و[*will*]، و[*shall*]) والعنصر المجذِّر غير المباشِر ("الزّمن الماضي" في حال غياب عنصر جهيّ). ولكنّ معانيها المركّبة تركّبيّة بصفة جزئيّة فقط تماما كما كانت أشكالها المركّبة ([*might*] عوضا عن [*mayed**]، و[*could*] عوضا عن [*canned**]، إلخ).

وفي بعض السّياقات، يبدو أنّ الشّكل غير المباشر دالّ على موقع في الزّمن سابق:

(44) (أ) *Your sister said that she might drop by this evening.*
قالت أختك إنّها يمكن أن تحلّ بيننا هذا المساء (دون موعد).

(ب) *The painters claimed that they would finish the job next week.*
ادّعى الدّهّانون أنّه بإمكانهم أن ينهوا العمل الأسبوع القادم.

غير أنّ الحدث المتموضع في الماضي ليس ذاك الحدثَ الّذي جرى تجذيره بالعنصر الجهيّ (أي [*drop by* "حلّ (دون موعد)"] أو [*finish* "أنهى"])، هو الحدث الّذي يدلّ عليه الفعل الوارد في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ ([*say* "قال"] أو [*claim* "ادّعى"]، عوضا عن ذلك. ويتجلّى من خلال الظّرفين ([*this evening* "هذا المساء"] و[*next week* "الأسبوع القادم"]) أنّ الحلول والانصراف واقعان في المستقبل. فهاتان الجملتان تصفان حدثي قول سابقين كان يمكن فيهما للمتكلّم الأوّل أن يستعمل شكلا جهيّا مباشرا. فلعلّ الأخت قالت [I may drop by this evening "يمكن أن أحلّ بينكم هذا المساء (دون موعد)"]، ولعلّ الدّهّانين قالوا: [We will finish the job next week "سوف ننهي العمل الأسبوع القدم"]. فماذا يجري هنا؟

يكمن مفتاح هذه الجهيّات في أنّ وسمَ عدم المباشرة فيها يحمله الشّكل الجهيّ نفسه لا الفعلُ المجذَّر. وهو لا يشتغل، وفق ذلك، لموْضعة العمليّة المعروضة، بل ليشير إلى عدم المباشرة الّتي تكون للحكم الإبستيميّ نفسه.

فعند استعمال [*might*] عوضا عن [*may*]، مثلا، يلمّح المتكلّم إلى أنّ التّقدير الّذي تحمله [*may*] لا تجيزه الملابسات المباشرة الّتي تكتنفه هو. تنشأ واحدة من الوضعيّات الّتي تشتمل على عدم المباشرة لحكم إبستيميّ، من نقل مضمون لحدث كلاميّ سابق كان قد جرى فيه ذلك الحكم. ففي (44) (أ)، كان استعمال [*may*] صالحا بالنّسبة إلى الأخت، يعكس حكما كان لها قبل زمن التّكلّم. وباختيار [*might*] لحكاية قولِها، يشير المتكلّم الحاليّ إلى عدم المباشرة في ملابسات الإجازة هذه.

ولا تقتصر أشكال عدم المباشرة على الكلام المنقول. إذ يمكن أن تجري [*might*]، و[*could*]، و[*should*] جميعها للتّعبير عن تقدير المتكلّم نفسه للحدوث في المستقبل أو للظّرف الرّاهن:

(45) (أ) *The painters* {*might* /*could* /*should*} *finish the job next week.*
الدّهّانون {يمكن/ قادرون على/ من المفروض} أن ينهوا العمل الأسبوع القادم.

(ب) *They* {*might* /*could* /*should*} *be home by now — they left three hours ago.*
هم {يمكن/ قادرون على/ من المفروض} أن يكونوا في المنزل الآن - لقد انصرفوا منذ ثلاث ساعات.

يصلح استعمال [*might*] بدل [*may*] للتّعبير عن إبعاد المتكلّم من الملابسات الّتي تبرّر اختيار [*may*]. ومن خلال تخصيص عدم المباشرة هذا يُجعَل تقدير الإمكان واهيا أكثر. لاحظ أنّ [*could*] و[*should*] يجريان جريانا طبيعيّا في هذا السّياق وإن كان كلّ من [*can*] و[*shall*] مشكلين في الاستعمال الإبستيميّ. فالعنصر الجهيّ [*could*] يشبه إجمالا الجهيَّ [*might*]. ويكمن الفرق في أنّ [*could*] تقدّم حكما إيجابيّا بالإمكان الواهي، في حين تستعمِل [*might*] (مثل [*may*]) الإستراتيجيّة السّلبيّة في الإشارة إلى أنّ تطوّر الواقع المتصوَّر ليشمل العمليّة المعروضة ليس ممتنعا. فمضمون [*should*] هو بالضّبط ما يمكن أن يتوقّعه المرء من شكل [*shall*] الدّالّ على عدم المباشرة، إن استُعمِلت هذه استعمالا إبستيميّا. فالعنصر الجهيّ [*shall*] يمكن أن يضع العمليّة المعنيّة في الواقع المسقَط. وتشير [*should*]، كما يفعل شكلها الدّالّ على عدم المباشرة، إلى أنّ الظّروف الّتي يستقيم فيها ذلك التّقدير ليست مكتملة حاليّا. فيكون الإسقاط، بذلك، واهيا أكثر: يكون الحدوث محتمَلا نوعا ما ولكنّ توقّعَه لا يمكن أن يكون بشكل موثوق منه تمام الوثوق.

وفي الختام، ترتبط [*would*] ارتباطا مطّردا بـ[*will*] في سياق الكلام المنقول، كما رأينا في (44) (ب). غير أنّها لا تكون، خارج هذا السّياق، مجرّدَ صيغة مخفّفة من [*will*] (كما هو حال [*should*] مقارنة بـ[*shall*]). نرى ذلك في العبارة الواردة في (46)، الّتي لا تشير إلى أنّ الدّهّانين يُحتمَل أن ينهوا العمل، بل إلى العكس تماما:

(46) *The painters would finish the job next week* ...
يحتمَل أن ينهيَ الدّهّانون العملَ الأسبوع القادم...

تبدو الجملة ناقصة - فنحن نتوقّع تتمّة تسِم الوضعيّة بكونها مفترضَة وضديدة للواقع في آن (مثل، [*if you paid them more* "لو أعطيتهم أجرة أكبر"]). فالظّروف الّتي تبرّر استعمال [*will*]، بطبيعة الحال، غير مباشِرة، بحكم كونها مفترضَة ولا واقعيّة.

هوامش الفصل

[1]- يُستعمَل المصطلح نفسه استعمالا أكثر شيوعا للإحالة على المقابلة الإدراكيّة المعروفة بين الرّسم والأرضيّة. ورغم الاتّصال بينهما، وجب أن يميّز الاستعمالان بوضوح.

[2]- لا ينبغي الخلط بين الذّات والموضوع في التّصوُّر، من جهة، والفاعل والمفعول من حيث هما مفهومان نحويّان على وجه التّخصيص، من أخرى. فالمتكلّم والسّامع هما الذّاتان الرّئيسيّتان في التّصوّر، حتّى وإن كانا ضمنيّين، في حين تكون الفواعل والمفاعيل النّحويّة عبارات إسمائيّة ظاهرة تحيل في العموم، على وحدات أخرى.

[3]- كان الحرف [S]، في الرّسم البيانيّ 9. 1، يشير إلى الذّات المتصوِّرة، ولكنّه يمثّل هنا (كما يفعل في أغلب الرّسوم التّخطيطيّة) المتكلّمَ. يشتغل كلّ من المتكلّم والسّامع ذاتا في إدراك المعاني اللّغويّة.

[4]- بطريقة مكافئة لتلك، يمكن أن نصف واحدا من المتحادثين بأنّه ينبني ذاتيّا في دوره متصوِّرا، وينبني موضوعيّا في دوره معروضا إسمائيّا. ويكمن توصيفه التّامّ في المزيج من تينك الوظيفتين وذينك المنظورين.

[5]- تقصر كذلك عن التّأهّل لتكون عناصر مجذِّرةً، العباراتُ الّتي تشتمل على موقف شعوريّ للمتكلّم (مثل [*commie*]) أو تنحصر في مقامات اجتماعيّة معيّنة (مثل [*urinate*] مقابل [*pee*] مقابل [*piss*]). فرغم أنّ هذه الإشارات تستوعب الأرضيّةَ استيعابا فعليّا، فليست إبستيميّة في طبيعتها.

[6]- في بعض اللّغات، تكون العبارات ذات الشّبه المباشر بعبارة [*girl like boy*]، تامّة وذات بناء جيّد. يعود ذلك إلى قوالب التّجذير الظّاهر (وهي ذات انتشار أوسع ممّا هي عليه

في الإنجليزيّة) يفهَم بواسطتها اسم أو فعل وارد في سياق الخطاب على أنّه يمثّل نموذجا مجذَّرا من النّوع الّذي يخصّصه.

[7]– في ما يلي بنية يكون فيها الإسمائيّ المجذِّر جاريا، حقّا، دون تجذير جُمَليّ: [*My daughter marry that moron? Impossible!* "ابنتي تتزوّج ذلك الأبله؟ مستحيل!"].

[8]–تمثّل الأسماء الأعلام الحالة المهترئة الّتي يكون فيها لنوع ما نموذج وحيد، وذاك ما يجعل أيّ تمييز خلوا من الفائدة.

[9]– يشابه هذا الإستراتيجيّةَ المتّبعة في تمثيل مراجع الخطاب في لغة الإشارة الأمريكيّة: يعيّن المتكلّم بالإشارة موضعا اعتباطيّا في الفضاء الإشاريّ ليقيم هناك مرجعا ثمّ يشير إلى الموضع نفسه في ما يأتي بعد ذلك، طريقةً من طرق الإحالة العائدة على ذلك المرجع. أعتبر هذا الأمر تجلّيا ظاهرا لما نفعله مفهوميّا في اللّغة المنطوقة.

[10]– تكاد اللّسانيّات تستجيب لتعريف كان يطلَق على الفلسفة في ما مضى: الاستعمال السّيّء النّظاميّ لمصطلح تقنيّ اختُرِع لتلك الغاية.

[11]– لا توصف في العادة إلاّ الإسمائيّات بكونها ذات مراجع خطابيّة، ولكن من منظور النّحو العرفنيّ يكون من المعقول القول بأنّ للمركّبات الجُمَليّة المنتهية مراجع أيضا. فكما تحيل [*this hub* "هذا المحور"] في السّياق إلى نموذج مخصوص من نوع الشّيءِ [*hub*]، يحيل المركّب الجُمَليّ المنتهي [*this hub is cracked* "هذا المحور مشقوق"] في السّياق على نموذج مخصوص من نوع الوضعيّة [*this hub be cracked* "كون هذا المحور مشقوقا"].

[12]– تكون على هذا، [*If*] بانية للفضاء (فوكونياي 1985). وممّا يجعل الوضعيّة افتراضيّة أيضا تصريفُ الزّمن الماضي [*had* "كان قد"] الّذي يصلح في الأعمّ ليدلّ على المسافة انطلاقا من الأرضيّة. وإذ كانت الأرضيّة حقيقيّة وفعليّة (على الأقلّ في المطلق المفترض)، تقوم وضعيّةٌ لاواقعيّةٌ على مسافة معيّنة منها إبستيميّا.

[13]– بعبارة أدقّ، لا تذكر تلك العناصرُ المتكلّمَ أو السّامعَ أو أيّ وجه آخر من الأرضيّة، ذكرا صريحا. ولضمان الوضوح في التّمثيل، أحيلُ في الغالب على الأرضيّة (أو على (G)) من حيث هي كلّ غير قابل للتّمييز، دون تدقيق لأيّ وجه يكون معنيّا. (هذا الأسلوب يمثّل المجاز القائم على علاقة الكلّ النّائب عن الجزء).

[14]– لا ننفي بهذا أنّ الإحالة على المتكلّم يمكن أن تكون بطريقة شرحيّة (مثل [*this chair next to me* "هذا الكرسيّ الّذي إلى جانبي"] أو [*this chair which is near me* "هذا الكرسيّ الّذي هو قريب منّي"]. وكذلك، تقوّي بعض الأشكال من الكلام العامّيّ أسماءَ الإشارة باعتماد ظروف الإشارة [*here* "هنا"] و[*there* "هناك"]: [*this here chair* "هذا الكرسيّ الّذي هنا"]، [*that there chair* "ذاك الكرسيّ الّذي هناك"]. ورغم أنّ هذه العناصر متجذّرة بصفة ذاتيّة فيها، يظلّ المتكلّم – الّذي يرسي تخصيص المسافة– ضمنيّا. ويمثّل نوع التّقوية هذا موردا لعناصر تجذير جديدة.

[15]– لِمَ لا يكون ذلك ممكنا بالنّسبة إلى [*the* "الـ"]، أو [*a* "النّكرة"]، أو [*no* "لا النّافية للجنس"]، أو [*every* "كلّ"]؟ يمكن أن تذكَر عوامل تبرير متنوّعة، من قبيل البدائل الرّاسخة رسوخا ثابتا (بدائل إشاريّة من [*the*]، و[*one* "واحد"] بديلا من [*a*]، و[*none* "لا أحد"] بديلا

من [*no*]). وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن أن يكون التّوزيع متوقّعا بشكل تامّ ومن الواجب أن يُتعلَّم من حيث كان مسألة مواضعة قائمة.

[16]– لهذا استثناء واحد يتمثّل في أنّ المسوِّر [*all*]، يمكن أن يسبق اسم إشارة أو علامة التّعريف: [*all the(se) oranges* "كلّ (هذا) البرتقال"]. والأفضل اعتبار هذه البنية بديلا مكثّفا من عبارات من قبيل [*all of the(se) oranges* "ثمار البرتقال هذه جميعها"]، بالتّوازي مع [*most of these oranges* "أغلب ثمار البرتقال هذه"]، [*each of the oranges* "كلّ واحدة من ثمار البرتقال"]، إلخ. (انظر: لانقاكر 1968: § 1. 5؛ 1999a: الفصل 3.)

[17]– مع أسماء الكتلة (بما في ذلك الجموع)، يمثّل الصّفر (ϕ) عنصرا من نظام التّجذير في الإنجليزيّة. على هذا، يكون لهذا الخيار نفس التّبعات الّتي تظهر بوضوح في موضع المكوّن البدئيّ، مثل ((((*chairs*) *broken*) *three* ϕ)، (((*chairs*) *broken*) ϕ)، أو ((*chairs*) ϕ).

[18]– قد يميِّز هذا المكوّن، وقد لا يميِّز، بين المدى الأقصى والمدى المباشر. ولضمان البساطة، لا تُعرَض الأرضيّة (G) في هذا المكوّن (رغم أنّ ذلك واجب مبدئيّا) على افتراض أن لا شيء لها في ما يجاوز حضورها الأدنى. ولا وجود لمحدّد المعروض لأنّ المعروضين متناسبان (§ 7. 2).

[19]– ماذا عن استعمال الأعداد، الّتي يوجد منها ما لا نهاية له؟ لسوء الحظّ، لا يكفي ذلك. فالأعداد كذلك يجب أن تُسَمّى، وإن نحن استعملنا جميع الأعداد لتسمية الأعداد، لا يبقى عدد لتسمية أيّ شيء آخر.

[20]– هذه نقطة خلافيّة مدارها هل يفرض هذا الاسم معروضَه عند مستوى النّوع (كما هو مبيّن) أو عند مستوى النّموذج. وبما أنّ وصف النّوع يتضمّن تخصيص المعروض وهو كذلك ملازم لتصوّر أيّ نموذج، يكون الفرق متعلّقا بمسألة بقاء التّحقيق في الخلفيّة أو حمله إلى الأماميّة (الرّسم البيانيّ 9. 3). والتّجذير يحمله إلى الأماميّة في أيّ حال.

[21]– أين تنظرُ للبحث عن جميع البَغاوات أو كلّ الويسكي؟ فالمفهومان لا يتضمّنان تحديدا ذاتيّا يقتصران بمقتضاه على العالم الواقعيّ أو على الزّمن الحاضر – فالبَغاوات أو الويسكي يمكن أن توجد في أيّ عالم متخيّل أو ممكن، وفي أيّ زمن ماضيا كان أو مستقبلا. (ولئن كانت بعض الحدود بيّنة في سياق خطابيّ مخصوص، فهي لا تحلّ المشكل العامّ).

[22]– لهذا السّبب، يسمَّى المدى الأقصى "الكتلة المرجعيّة" في لانقاكر 1987. وما من شكّ في أنّنا قادرون على أداء هذه الرّياضات الذّهنيّة. فنحن نؤدّي نفس العمليّات المفهوميّة، مثلا، عندما نتكلّم عن مجموعة الأعداد الزّوجيّة ونمثّل لها في شكل {2، 4، 6، 8، ...}. ورغم أنّ الأعداد الزّوجيّة ليست متجاورة في العدّ، تُحزَم وتجعل بين قوسين يشتغلان حدّا افتراضيّا حتّى وإن كانت المجموعة لا نهائيّة.

[23]– ما يُعدُّ إطارا خطابيّا مرتبط بظاهرة بنيويّة مخصوصة أو مستوى ما من التّنضيد ولا يمكن بالضّرورة أن يكون محدَّدا بأيّ درجة من درجات الدّقّة. ففي كلّ طور يحدِّد المدى المباشرُ للعبارة الجارية مركزَه. ورغم أنّ إثبات الرّمز[G] خارج إطار الخطاب مفيد من ناحية الوضوح في الرّسوم التّخطيطيّة، فإنّ الأرضيّة – وإن كانت خارج الرّكح– جزء منه في الواقع.

فجَعْل [G] في الرّسم التّخطيطيّ، يمكن أن يؤخَذ على أنّه يعكس موضعَ الأرضيّة إزاء المدى المباشر.

[24]- يمكن أن تنتقَى هذه النّماذج من المترشّحين إمّا بواسطة تخصيص النّوع تخصيصا ظاهرا ([→] *piece* "أريد هذه [←] القطعة"]) *I want this*، أو يمكن أن يُترَكَ النّوع غيرَ مخصّص بدل ذلك ([→] *I want this* "أريد هذه [←]"). وتتضافر عوامل كثيرة لتحديد المدى المباشر لغايات التّجذير الإسمائيّ. وبالنّسبة إلى أسماء الإشارة المصحوبة بحركة تعيين بالجارحة، تكون قابليّة الاهتداء البصريّ واحدا من تلك العوامل.

[25]- بحكم الطّبيعة السّكونيّة لصفحة مطبوعة، لا يمكن الإمساك بالطّبيعة الحركيّة لأسماء الإشارة في هذا التّمثيل ذي الإطارين. لاحظ أنّ السّهام الّتي تشير في آن واحد إلى العمل (عمل التّعيين بالجارحة) وإلى نتيجته (الإحالة الذّهنيّة المنسَّقَة)، مصمَّمة باعتبار الإطار الخطابيّ الجاري. وثمّة تمثيل أنسب ولكنّه ذو جدوى عمليّةٍ أقلّ، يمكنه أن يَعرِض مباشرة العملَ كما هو كامن في عمليّة التّحيين الّتي تنشئ تلك النّتيجة.

[26]- نتحدّث عن شخص بكونه [*an only child* "طفلا وحيدا"]، ولكن [*only child*] تشتغل هناك رأسا معجميّا مركّبا. والنّوع الّذي يخصّصه يمكن أن يكون لـه أيّ عدد من النّماذج:

Jill is not the only ***only child*** *in her class — Jack is another* ***only child.***

«جِلّ ليست الطّفل الوحيد الوحيدة - جاك طفل وحيد آخر.

[27]- عندما لا يكون أيّ حلزون ظاهرا، يوحي استعمال علامة التّعريف [*the*]، بأنّ حلزونا بعينه ذو منزلة خاصّة تجعله العنصر الوحيد الّذي يكون اعتباره (مثلا، يمكن أن يكون حيوانا أليفا في أسرة ما- انظر عبارة [*Don't step on the cat* "لا تدس على القطّ"].

[28]- رغم أنّ الإسمائيّ الموضوع يتوارد مع مركّب جُمَليّ، لا يشتمل هذا الأخير عليه أو يساهم في تأويله. بل يوفّر الموضوع، بدل ذلك، أساسا لتأويل المركّب الجُمَليّ.

[29]- يمكن للنّكرات أن تشتغل أحيانا موضوعات للمركّبات الجُمَليّة الّتي لا تتعلّق بأفراد معيّنين: [*A kitten, I really want one* "قطيط، أنا أريد واحدا حقّا"]؛ [*Most houses, they need a lot of work* "أغلب المنازل، هي في حاجة إلى أشغال كثيرة"].

[30]- عندما تكون [*some*] منبورة نبرا تامّا، تشتغل مسوِّرا (مثل، [*Some unicorns are lazy* "بعض الخيول وحيدة القرن كسولة"]. وفي حال النّبرة العالية، تصاحب الأسماءَ المعدودة ويمكن أن تحلَّل على أنّها علامة تعيين: [*Some guy is here to see you* "هنا رجل يريد رؤيتك (حضر بعضهم لرؤيتك)"]. تتميّز [*Some*] من [*a*] بأن تركّز على أنّ المرجع مجهول من قبلُ.

[31]- تظهر اعتبارات شبيهة في استعمال علامات التّعريف للكتل ذات الحجم المحدود. عندما تفرَد كتلة ما، تنتقي الإحالةُ المعرفةُ المستتبَعَةُ الكتلةَ بأكملها عوضا عن جزء فرعيّ منها. في المثال الموالي، تحيل [*the cats* "القطط"] إحالة محايدة على جميع القطط السّبعة عشر، لا على أيّ مجموعة أصغر:

She has seventeen cats and a vicious dog. The cats are very much afraid of the dog.]
«لها سبعة عشر قطّا وكلب شرس. القطط تخاف الكلب كثيرا»].

[32]– انظر الرّسم البيانيّ 9. 6. ومقابل ذلك، تستعمَل المسوّرات غير المجذِّرَة (أو المطلقة) دائما للتّعبير عن الوحدات الحقيقيّة (مثل، [*I saw {many/numerous/seventeen} cats in the room* "رأيت {كثيرا/ عديدا/ سبعة عشر} من القطط في الغرفة"].

[33]– تكون للمعروض [P] درجة من الافتراضيّة مع [*no*]، أكبر ممّا تكون له مع المسوّرات التّناسبيّة الأخرى. غير أنّ [*no*]، تستدعي عيّنة معروضة من النّوع وتقيمها مرجعا خطابيّا: [*No whiskey tastes as good as it looks* "لا ويسكي مذاقه مثل منظره"].

[34]– ليس وصف [*some*] و[*no*] بكونهما تناسبيّتين بطبيعتهما بديهيّا بداهة الوصف المتعلّق بـ[*all*] و[*most*]. وقد يربطهما توصيف بديل بالتّجربة اليوميّة الّتي تتمثّل في النّظر داخل حاوية لرؤية ما إذا كان شيء بداخلها. وبما أنّنا نجد في الغالب شيئا وحيدا داخلها، يفسِّر هذا البديل استعمال [*some*] و[*no*] مع أسماء الكتلة المفردة: [*There must be some lawyer we can trust* "وجب أن يوجد محام يمكن الوثوق به"، [*No reputable lawyer would touch this case*. "لا محاميَ شريف يدافع عن هذه القضيّة"].

[35]– هذا الموضع الافتراضيّ هو ما يميّز عيّنة تمثيليّة من تصوّر النّوع. فكلاهما ينشأ من عيّنات حقيقيّة من خلال عمليّات التّجريد المختلفة: تنشأ الأولى عبر التّحييد (بوجه يمكن فيه للعيّنة الافتراضيّة أن تطابق أيّ عيّنة حقيقيّة)، وينشأ الثّاني بالتّجرّد من مفهوم العيّنة في ذاته (انظر الرّسم البيانيّ (a)).

[36]– لذلك لا تقتضي (27) أنّ أيّ شخص ينجز بالفعل تلك الأنشطة بالنّظر إلى (جميع؟) الثّقافات.

[37]– كما هو الأمر في هذه الأمثلة، لا تُستعمَل [*each*]، في العادة، إلاّ عندما يكون الامتداد الأقصى حدود بيِّنَة (الطّلبة المعنيّون هنا هم أولئك الموجودون في قسم واحد). ويمكن أن يرتبط ذلك بتوصيفها باعتماد الفحص التّتابعيّ: من الصّعب أن نتخيّل فحصا لجميع العناصر في مجموعة ذات نهاية مفتوحة، واحدا بواحد.

[38]– بما أنّ العمليّة تابعة مفهوميّا للمشاركين فيها، تتضمّن هذه الأنواع المطابَقةَ بين المراجع الإسمائيّة. فإذا ما كنّا نرى في عيشنا اليوميّ عيّنات كثيرة من نوع معجميّ من قبيل [*eat* "أكل"]، هناك قلّة إن لم نقل لا شيء من ذلك، من جريان نوع متبلور من قبيل [*Jeremy's dog eat my porkchop* "أَكْلُ كلبِ جيريمي لشريحتي من لحم الخنزير"].

[39]– إن كان الرّبّ يتكلّم لغة، وجب أن يكون نظامه في التّجذير الجُمَليّ مختلفا كثيرا عن نظامنا.

[40]– لو أنّ حدثَ روايةِ جورج لكذبة ما لم يَجْر، ولكنّ مَارْثا قالت إنّه جرى، يكون حدثُ قولِ مارثا ذلك جزءا من الواقع. وإن عرفت لويزا أنّ مارثا قالت ذلك، تكون وضعيّة معرفةِ لويزا بذلك جزءا من الواقع أيضا. ويمكن أن يتواصل ذلك إلى ما لا نهاية له. يمثّل هذا التّراكبُ الجاري على طبقات نوعا من تشكّل الفضاء الذّهنيّ.

[41]- يجري في العادة تحليل هذا القبيل من الإشارات باعتماد "المطابقة" النّحويّة للفاعل. ولهذه المقاربة نقطةُ ضعف أساسيّة تتمثّل في القصور عن الإمساك بأساس المطابقة المفهوميّ ووظيفتها الإبستيميّة. (وهي تصطدم أيضا بمشاكل وصفيّة، بما فيها غياب أيّ شيء في (33) (أ) يمكن أن تطابقه الوُصلَة.)

[42]- لا تعطي [*must*] أيّ إشارة صرفيّة إلى هذا التّقابل. فهناك حجج تثبت أنّ هذا المنوال يفتقر ببساطة إلى شكل لا حاضر (انظر لانقاكر 1991: 260).

[43]- ينزع هذا إلى أن يُحجَب لأنّ لكلّ واحد منها عنصرا صفرا: إمّا الزّمن الحاضر أو غياب عنصر جهيّ (يحمل مضمونا إبستيميّا مخصوصا).

[44]- في (35) (د)، يفترَض أنّ جِلّ قالت [*I am pregnant* "أنا حامل"]، محيلة على حالة تمتدّ حتّى اللّحظة الحاضرة، بوجه يمكن للمتكلّم أن يقول الآن [*she is pregnant* "هي حامل"]. فجِلّ والمتكلّم الحاليّ ينتقيان جزأين زمنيّين مختلفين من نفس الوضعيّة الموضوعيّة لجعلهما ماثلين على الرّكح على أنّهما العيّنة المعروضة من العمليّة.

[45]- وبطريقة معادلة لذلك، يمكننا القول إنّ ما يعدّ جريانا للحدث هو إدراكهما لدى المتكلّم عند إنتاج العبارة؛ هذا الجريان الافتراضيّ يطابق فعلا زمن التّكلّم (لانقاكر 1999b، 2001a). يكون النّظر في استعمالات الحاضر للتّعبير عن غير الحاضر بوجه أعمق في الفقرة § 14. 2. 2.

[46]- يكون المورد، مع القصد [(39) (أ)] ومع القدرة [(39) (د)]، في العادة فاعلَ المركّب الجُمَليّ الّذي ينفّذ العمل. تشبه هذه الحالات شبَهَا قريبا البنيةَ الأصوليّة (انظر الرّسم البيانيّ 9. 16 (a)). فيمكن أن تحلَّل على أنّها حالات خاصّة من تشكّل التّجذير (الرّسم البيانيّ 9. 16 (b)): العبارة [*she can swim* "هي تستطيع أن تسبح"]، مثلا، تعرض العمليّة [*swim* "سبح"]، لا القدرة على عمل السّباحة.

[47]- عندما تُستعمَل الجهيّات للإحالة على نماذج من الحدوث في الماضي، تلجأ الإنجليزيّة إلى بنية المنقضي حيث يكون الفعلُ المجذَّر [*have*]: [*She may have already mailed it* "يمكن أن تكون (هي) قد أرسلته عن طريق البريد"]. يتعلّق، حينئذ، تقدير العنصر الجهيّ بوضعيّة حاضرة – هي وضعيّة حدثٍ سابق يوجَد في مجال الإفادة الرّاهن.

10. البنية الإسمائيّة

يجري مصطلح 'اسم' في النّحو العرفنيّ على كلّ عبارة تعرض شيئا.[1] فيندرج فيه بحكم هذا التّعريف كلّ من الأسماء المعجميّة والعبارات الإسمائيّة مهما كان حجمها سواء أكانت راسخة أم جديدة. فالعبارة الإسمائيّة التّامّة عبارة تشتمل على التّجذير فتُفرد تبعا لذلك مرجعا خطابيّا. وبطريقة أكثر اختزالا، يحال عليها بعبارة "إسمائيّ تامّ" أو بعبارة "إسمائيّ" فقط. وفي هذا الفصل، أتناول وجوه البنية الإسمائيّة المختلفة.

10. 1 البنية والوظيفة

يوافق "الإسمائيّ" ما يطلق عليه اللّسانيّون في الغالب "المركّب الاسميّ". وقد اختير هذا المصطلح على أساس غير سليم، إذ الإسمائيّات لا تكون دائما مركّبات ولا تتضمّن دائما اسما (كما يفهَم ذلك من التّسمية التّقليديّة). ولا تتأهّل عبارة ما لتكون إسمائيّة لمجرّد أنّها تُظهِر أيّ تشكّل بنيويّ مخصوص. وعوضا عن ذلك، يتمثّل العاملان الحاسمان في الدّلالة وفي الوظيفة. يحيل التّوصيف الخطاطيّ لإسمائيّ ما - أي أنّه يعرض نموذجا مجذَّرا من نوع شيء ما - على وظائف دلاليّة عديدة: التّجذير، والتّحقّق وتخصيص النّوعَ. فيكون الإسمائيّ، بفضل هذه الخصائص الدّلاليّة، قادرا على أن يشتغل اشتغاله المعهود في أبنية نحويّة أكبر.

10. 1. 1 البنية القياسيّة

يوجد نزوع طبيعيّ في البنية الدّاخليّة للإسمائيّات إلى أن تعكس بشكل مباشر الوظائف الدّلاليّة الّتي تتميّز بها. فيكون من العاديّ، بالنّسبة إلى نوع ما أن يجري تخصيصه باسم معجميّ يُنتقَى من رصيد كبير جدّا، وبالنّسبة إلى التّجذير أن يشار إليه بواسطة عنصر منفصل يُختَار من مجموعة محدودة من الخيارات. وليس من البيّن أنّ التّحقّق يكون دائما موسوما بشكل منفصل، بل يكون ذلك أيضا طبيعيّا بالنّظر إلى الاختلاف الطّفيف بين تصوّر النّوع وتصوّر تحقّقِه (الرّسم البيانيّ 9. 3). وإذ تساعد جميع مكوّنات الإسمائيّ المختلفة - أي العنصر المجذِّر، والرّأس المعجميّ، والمحوِّرات المتنوّعة

- على تخصيص مرجع خطابيّ مفرد، فهي تنزع إلى التّجاور وإلى تشكيل مكوّن ما بالمعنى الكلاسيكيّ (§ 7. 4. 1). وبالإضافة إلى ذلك، يكون التّجذير عادة المكوّنَ الوارد في أقصى المواضع الطّرفيّة من زاوية بنيويّة (§ 9. 3. 1)، يعكس ذلك منزلتَه من زاوية مفهوميّة من حيث هو المكوّن الإسمائيّ الأكثرُ عرَضيّة. فمن الشّائع، إن لم يكن من القياسيّ، أن يمثّل التّجذيرُ العنصرَ البدئيّ من حيث التّرتيبُ الخطّيّ، والطّبقةَ الواردة في أقصى الحدود الخارجيّة من حيثُ المُكوّنيّة: ((((*those*) (*two*) (*lazy*) (*cats*)).

رغم الأهمّية الّتي تكون لهذه العوامل، فهي لا تملك إلاّ أثرا تشكّليّا عامّا. ولئن برّرت الاعتباراتُ الوظيفيّةُ النّزعات الشّاملة، فهي لا توفّر أيّ أساس لتوقّع التّفاصيل المخصوصة والتّنوّع الشّامل للبنية اللّغويّة. فكلّ لغة تطوِّر مجموعةً متنوّعةً كبيرة من الأبنية الإسمائيّة المخصوصة الّتي تخدم غايات مختلفة وتستجيب لمتطلّبات وظيفيّة متباينة. ورغم خضوع الإنجليزيّة لتلك النّزعات الّتي لاحظناها قبيل هذا، يكون لها كذلك إسمائيّات عارية من التّجذير الظّاهر (مثال، [*nominals without overt grounding* "إسمائيّات دون ظاهر تجذير (إسمائيّات غير ذات تجذير ظاهر)]، وأخرى تفتقر إلى رأس معجميّ (مثل [*some that lack a lexical head* "بعض الّتي ينقص معجميّ رأس (بعض الإسمائيّات الّتي تفتقر إلى رأس معجميّ")]. وتختلف لغات أخرى اختلافا أساسيّا أكبر في الإستراتيجيّات الإسمائيّة الّتي تكون، وفق طريقتها الخاصّة بها، طبيعيّةً إلى حدّ ما. ففي بعض اللّغات، مثلا، يمثّل التّجذير الظّاهر القاعدةَ لا الاستثناءَ. فما كلّ لغة تتطلّب أن يتجاور الاسم ومحوّراتُه جميعا. وفي اللّغات الّتي تستخدم المصنِّفات استخداما نظاميّا (§ 10. 3)، لا يكون الاسم المعجميّ بالضّرورة الرّأسَ الإسمائيّ لأنّه واقع في أقصى درجات الطّرفيّة من النّاحية البنيويّة (انظر: لانقاكر 1991: § 4. 3. 1).

فما يُعيَّن على أنّه "رأس" إسمائيّ، مَحلُّ جدال بوجه ما. وكما هو الحال في الغالب في الخصومات النّظريّة، تكون المسألة اصطلاحيّةً بدل أن تكون اختباريّة. فمصطلح "رأس" بطبيعة الحال، استعاريّ. فهو يوحي بأنّ كلّ عنصر يعيَّن كذلك وجب أن يكون العنصرَ المراقب أو عنصرا يحظى بأهمّيّة الرّئيس.[2] ولكن يوجد في الإسمائيّ النّموذجيّ، مثل [*those lazy cats* "تلك القطط الكسولة"]، مكوّنان اثنان للواحد منهما إمكانيّة مشروعة لأن يكون صاحب تلك المنزلة. فالأوّل منهما هو العنصر المجذِّر

الّـذي يكون رئيسـيّا بمعنى أنّـه العنصر الوحيـد الّذي يتطلّبه إسـمائيّ ما (يمكن أن تشـتغل [*those*] بمفردها في هذه الوظيفة). وعندما يتولّف العنصرُ المجذِّر مباشَرةً مع محوِّر ما، كما في [*those with fleas* "تلك (القطط) ذوات البراغيث"]، يمارس كذلك مراقبةً بمعنى أنّه يفرض معروضه الإسـمائيّ على العبارة في كلّيتها. والثّاني منهما هو الاسـم المعجميّ ([*cats* "قطط"])، ذو الأهمّيّـة المركزيّة بحكم ما في مضمونه الدّلاليّ من شـمول يسـتوي به نوع الشّـيء الّـذي يدلّ عليه الإسـمائيّ. فالمسـألة إذن لا تتعلّق بمن هو الصّحيح، بل بالكيفيّة الّتي بها نقرّر استعمال المصطلح. في النّحو العرفنيّ، يجري مصطلح "رأس" بصفة رئيسـيّة على محدِّد المعروض في أيّ مستوى من مسـتويات التّنضيد (لا باعتبار الإسمائيّات فقط). وتبعا لهذا الاستعمال، يمكن أن تكون [*those*] رأسـا فـي [*those with fleas*].[3] ومع ذلك، يكون مـن المفيد السّـير على نهج الدّرس التّقليديّ أيضـا بالإحالة على المكوّن المركزيّ في إسمائيّ ما - أي المكوّن الّذي يوفّر وصف النّوع الّذي يدلّ عليه- بكونه رأسه الاسميّ (أو رأسه باختصار).

ورغم أنّ الرّأس الاسـميّ يسمّى في الغالب رأسـا معجميّا، فهو لا يكون دائما وأبـدا عنصرا معجميّا. فإلى جانب العناصـر المعجميّة الثّابتة يمكن أن تشـتغل العبارات الجديـدة من أيّ حجم كانت، في هـذه الوظيفة. فيمكننا أن لا نحيـل علـى [*a cat*" قطّ"] أو [*a cat–lover* "محـبّ للقطط"] فقط، بل نحيل كذلك على [*a cat–lover psychiatric examination* "فحص نفسـيّ لمحبّ للقطط"]، و[*a cat–lover psychiatric examination manual* "كتيّب فحص نفسيّ لمحبّ للقطط"]، و[*a cat–lover psychiatric examination manual cover designer* "مصمّم غلاف كتيّب فحص نفسـيّ لمحـبّ للقطط"]، وهكذا إلى مـا لا نهاية له. فالرّؤوس الاسـميّة في الإنجليزيّـة، تبنَى كما تشـير إلى ذلك هذه الأمثلة، بواسـطة التّركيب بين الكلم وبالاشـتقاق الصّرفيّ، بصفة رئيسـيّة. فتكون الأسـماء والأفعال الّتي تشـتمل عليهـا، تبعا لذلك، فـي صيغة المفـرد وغير مجـذَّرة.[4] فلا يخضع للاشتقاق الجمعيّ إلاّ الرّأسُ الاسميّ ككلّ: [*cat–lovers* "محبّو القطط"]، [*cat–lover psychiatric examinations* "فحوص نفسـيّة لمحبّي القطط"]، و[*cat–lover psychiatric examination manuals* "كتيّبات الفحوص النّفسـيّة لمحبّ(ـي) القطط"]، و[*cat–lover psychiatric examination manual cover designers* "مصمّمـو أغلفة كتيّبات الفحوص النّفسـيّة لمحبّي القطط"]. ورغم أنّ الرّأس الشّـامل هو البنية الواردة في صيغة الجمع، تتحقّق علامة الجمع صرفيّا على الكلمة الأخيرة منه دون غيرها.

بنـاء على هذا، تتحدّد الرّؤوس الإسـمائيّة، بالنّسـبة إلـى الإنجليزيّة على الأقـلّ، بخصائص عديدة متراكزة. فهي، من زاوية داخليّة، تتكوّن بواسـطة تركيب الكلمات والاشـتقاق الصّرفـيّ (*cat–lover*)، مقابل التّوليف الإعرابيّ الّـذي يُلاحَظ في المسـتويات العليا مـن التّنضيد بين الكلمـات المنفصلة والمركّبـات (مثـل [*intelligent cat–lover from Vermont* "محـبّ للقطط ذكيّ من فيرمونت"]. ومسـتوى الرّأس الاسميّ كذلك هو الموضع الّذي تجري فيه عمليّة صوغ الجمع لاشتقاق نوع من مستوى أعلى ((*cat–lover › cat–lovers*) (محبّ القطـط > محبّـو القطط)). وزيادة على ذلك، يكون النّـوعُ الّذي يُحدَّد في هذا المسـتوى النّوعَ الأساسـيّ الّذي يتحقّق بالمرجع الإسمائيّ. فمهما كان النّوع الّذي يوصّفه الرّأس الاسـميّ الشّامل، يكون النّموذج من ذلك النّوع مجـذَّرا ومعروضا بالإسـمائيّ ككلّ. وعلى هذا، لا يكـون مرجع العبارة [*intelligent cat–lover from Vermont* "محـبّ للقطط ذكيّ مـن فيرمونت"]، قطّا بل محبّا للقطط. وبالمثل، تدلّ عبـارة [*most intelligent cat–lovers from Vermont* "أذكى محبّي القطط من فيرمونت"] على نموذج (تخيّليّ) واحد من جمع النّوع [*cat–lovers* "محبّو القطط"].

ينزع الانتظام الشّامل للإسمائيّ في الإنجليزيّة إلى أن يكون كما يلي:

(1) [Grounding [(Modifiers) [Head Noun] (Modifiers)]]
[تجذير [(محوّرات) [رأس اسميّ] (محوّرات)]]

يُبنى الرّأس الاسـميّ، إذا لم يكن صرفما واحدا بسـيطا، من خلال توليفة بين تركيب الكلم والاشـتقاق الصّرفيّ. وتكون عمليّة صوغ الجمع خيارا في المستوى الأعلى، وإن اختيرت فإنّها تتحقّق بعلامة تحملها الكلمة الأخيرة في الرّأس. فمهما يعرِضْ الرّأسُ يعرِضْه الإسمائيّ الشّامل. لكن يمكن لأيّ عدد من المحوّرات أن يتوالف إعرابيّا مع الرّأس، ويدقّقَ تبعا لذلك (بل يغيّر تغييرا جذريّا) النّوعَ الأساسيّ الّذي يخصّصه. وفي النّهاية، بما أنّ التّجذير يوفّر أقصى توصيف عرَضيّ للمرجع الإسمائيّ، ينزع إلى الحلول في الطّبقة البنيويّة الواقعة إلى أقصى الحدود الخارجيّة.

أدنى المكوّنات في إسـمائيّ ما، من زاوية قياسـيّة، هي رأس اسميّ يوفّر وصفـا للنّوع، مع عنصر مجذِّر منفصـل. غير أنّ هاتيـن الوظيفتين الدّلاليّتين يمكن أن يؤدّيهما عنصر واحد ليس غير. وما من حاجة، في بعض الحالات، إلى تخصيص مفصَّل للنّوع. ومن الأمثلة الأوّليّة في ذلك الضّمائرُ، تلك الّتي

يكمن مضمونها الرّئيسيّ في التّجذير. وفي حالات أخرى تُتجنّبُ أيّ حاجة إلى تجذير منفصل بوصف النّوع. والأمثلة الرّئيسيّة هنا، إنّما هي الأسماء الأعلام.

10.1.2 الضّمائر

تسمّى الضّمائر، في الإنجليزيّة، [pronouns] لأنّها تنوب عن الأسماء [nouns] ([*pro*]= لـ، عوضا عن). وينطبق المصطلح في الدّراسات التّقليديّة على أشكال كثيرة متنوّعة - هي كذلك بالفعل إن جرى تعريف الأسماء تعريفا واسعا، كما هو الأمر في النّحو العرفنيّ. وهي تضمّ كلاّ من العبارات المعرِفة والنّكرة، وكذلك تلك العبارات الّتي تشتغل إمّا إسمائيّات تامّة أو رؤوسا اسميّة فقط. ويمكننا أن نبدأ بنظرة موجزة في عبارة [*one* "واحد(ة)/ أحد/ مرء"] الإنجليزيّة ذات الاستعمالات العديدة والمعاني المترابطة.

في عبارات من قبيل ما يرد في (2) (أ)، تشتغل [*one*] رأسا اسميّا. ويكون وصف النّوع الّتي تدلّ عليه غاية في الخطاطيّة إلى حدّ أنّ الإسمائيّ الّذي ترأسه محتاج إلى التّعويل على شيء خارجيّ ليجري تأويله تأويلا ذا معنى. فهي بذلك تتطلّب أن يتوفّر لها، في الإطار الخطابيّ السّابق (الرّسم البيانيّ 9. 7)، تخصيصٌ للنّوع أدقّ يمكن أن تجري مطابقتها به. ففي (2) (أ)، يعادل نوعُ الشّيء الّذي تدلّ عليه نوعَ ما يدلّ عليه الإسمائيّ السّابق [*an expensive car* "سيّارة باهظة"]. ذاك هو مضمون قولنا إنّ [*one*]، ضمير "ينوب عن" [*car* "سيّارة"]. وفي (2) (ب)، نلاحظ أنّ صيغة الجمع [*ones* "آحاد"] تستعمل استعمالا مماثلا (نائبةً عن الحواسيب). فالوصف الخطاطيّ لنوع الشّيء الّذي تدلّ عليه معادلٌ لخطاطة أسماء الكتلة المجموعة. فـ[*one*] و[*ones*] في هذه البنية، اسمان ببساطة، لا إسمائيّان تامّان.[5]

(2) (أ) *My boss has an expensive* ***car,*** *but I just have a cheap* ***one.***
لرئيسي في العمل سيّارة باهظة، ولكنّني لا أملك إلاّ واحدة بَخْسَةَ الثّمن.

(ب) *The faculty have fast* ***computers,*** *but the students still have slow* ***ones.***
للمدرّسين حواسيب سريعة، ولكن ما زال للطّلبة آحاد منها بطيئة.

تكون [*one*] كذلك اسما ببساطة عندما تتوالف مباشرة مع عنصر مجذِّر: [*this one* "هذا الواحد"]، [*that one* "ذاك الواحد"]، [*each one* "كلّ واحد"]، [*every one* "كلّ واحد"]، [*any one* "أيّ واحد"]. وفي حالات عديدة

(في الإنجليزيّة)، التحم العنصران في كلمة واحدة يكون وصف النّوع الّذي تدلّ عليه أكثرَ تخصيصا، أعني "الشّخص": [*someone* "بعض واحد/ واحد من النّاس/ بعضهم"]، [*everyone* "كلّ واحد/ كلّ شخص"]، [*anyone* "أيّ واحد/ أيّ شخص"] و[*no one* "لا أحد"] (وهي تكتَب كذلك [*none*]) . يطلَق عادة على هذه العبارات المركّبة الّتي تمثّل إسمائيّات تامّة، الضّمائر النّكرة. فبدل أن تكون تابعة لإسمائيّ آخر تستمدّ منه تخصيصا مفصّلا للنّوع، تُستعمَل بالتّحديد في مناسبات لا يكون فيها أيّ تخصيص ضروريّا: إمّا نائبة عن شخص غير محدَّد في حالة [*someone*]، أو في عبارات دالّة على حقائق عامّة حيث يكون "الشّخص" نفسه النّوعَ المعنيَّ. وكما يصحّ في الكثير من اللّغات، تنضوي الضّمائر النّكرة في جداول جزئيّة أساسها الأسماءُ الخطاطيّة النّائبة عن 'الشّخص'، وعن 'الشّيء' (من غير العاقل)، وعن 'المكان'، وعن 'الزّمان'، وعن 'الكيفيّة': [*something* "شيء ما"]، [*everything* "كلّ شيء"]، [*anything* "أيّ شيء"]، [*nothing* "لا شيء"]، [*somewhere* "مكان ما"]، [*everywhere* "حيثما/ كلّ مكان"]، [*anywhere* "أيّ مكان"]، [*nowhere* "لا مكان"]، [*sometime* "في وقت ما"]، [*every time* "كلّ وقت"]، [*anytime* "أيّ وقت"]، [*notime* ✻"لا وقت"]، [*somehow* "بطريقة ما"]، [*everyhow* ✻"بكلّ طريقة"]، [*anyhow* "أيّ حال"]، [*?nohow* "؟ لا طريقة"]. وتوفّر هذه العناصر واسطةً مرنة في الإحالة بطريقة عامّة على معظم الأنواع من أيّ وحدة افتراضيّة.

يمكن أن تقوم [*one*] برأسها إسمائيّا تامّا، جارية في بديلين أساسيّين. يستعمَل الأوّل، كما يرد مثال منه في (3) (أ)، في إنشاء الأحكام المتعلّقة بالأشخاص عامّة. فهي تشبه بذلك [*someone*]، على أنّ تخصيص النّوع الّذي تدلّ عليه يكون 'شخصا'، ولكنّ مرجعها، خلافا لـ[*someone*]، يكون بالضّرورة افتراضيّا. وكما يكون الأمر مع [*every*]، و[*each*]، و[*any*]، يؤخذ الفرد الافتراضيّ الّذي تعيّنه على أنّه عنصر ممثّل للمجموعة بوجه يكون به ما يسنَد إليه هو، صالحا لجميع النّماذج. وبهذا التّمثيل تجتَنَب الحاجة إلى تجذير منفصل. وإذ كان النّموذج الافتراضيّ يُجرّد من النّماذج الحقيقيّة ومتأصِّلا في تَصوُّرها، لا يوجد أيّ نموذج آخر يستدعي تمييزه منه. فمجرّد استحضار النّموذج المعروض كاف لإفراده.

(3) (أ) *One can never be too thin, too rich, or too well-connected.*

لا يمكن للواحد أن يكون نحيفا جدّا، أوثريّا جدّا، أو ذا علاقات كثيرة.

(ب) *My friends all have **yachts.** Tom has **several,** Alice has **two,** so I at least want **one***

جميع أصدقائي يملكون يخوتا. يملك طوم عددا منها، آليس لها اثنان، ولذلك أريد على الأقلّ واحدا.

وتُستعمَل [*one*] كذلك في الإحالة العائديّة، تابعة في تأويلها لإسمائيّ سابق. ومثال ذلك (3)(ب)، حيث يُعيَّن نوعها الخطاطيّ تعيينا أكثر تخصيصا بكونه [*yacht* "يخت"]. في هذا الاستعمال، تندمج في [*one*] بشكل واضح وظيفتا المسوِّر وعلامةِ التّنكير. هي مسوّر بحكم اختلافها من سائر الأعداد في سلسلة العَدّ: [(*yacht*) *one* "(يخت) واحد"]، [(*yachts*) *two* "(يختان) اثنان"]، [(*yachts*) *three* "ثلاثة (يخوت)"]، إلخ. وفي الوقت نفسه، يتنافى وجودها مع وجود علامة التّنكير[*a*] (المشتقّة تاريخيّا من [*one*]) الّتي تتطلّبها الأسماء المعدودة الجارية في صيغة المفرد، في خلاف ذلك: [*the yacht* "اليخت"]، [*a yacht* "يختٌ"]، [*the one yacht* "اليخت الواحد"]، [*a one yacht* ✻"*واحد يخت"]، [*one yacht* "يخت واحد"]. يمكن أن توصَف [*one*]، في هذا النّوع من الاستعمال- أي في إسمائيّ مثل [*one yacht*] أو في معوّضه الإحاليّ العائديّ - بكونها عنصرا مجذّرا نكرة ذا تخصيص للكمّيّة صريح.

يبدر إلى الذّهن عند ذكر مصطلح "الضّمير"، أوّلا وقبل كلّ شيء، ضمائر "الشّخص". تعكس هذه التّسمية منزلة مراجع هذه الضّمائر باعتبار المشاركين في حدث الكلام: المتكلّم ("ضمير المتكلّم") والسّامع ("ضمير المخاطب")، في مقابل سائر الأشياء ("ضمير الغائب"). فيكون على هذا واحد من وجوه التّجذير، أي تحديد موضع المرجع الإسمائيّ إزاء الأرضيّة، من صميم ضمائر الشّخص. ويكون وجه إضافيّ، أي إفراد المرجع، صميميّا في ضميرَي المتكلّم والمخاطب ([*I* "أنا"]، [*we* "نحن"]، [*you* "أنتَ/ أنتِ/ أنتما / أنتم / أنتنّ)، إذ تعيّن هذه الضّمائر إمّا شخصا محاورا أو مجموعة تتضمّنه. ولكنّ المسألة متشعّبة مع ضمائر الغيبة ([*he* "هو"]، [*she* "هي"]، [*it* "الغائب المفرد غير العاقل"]، [*they* "هما/ هم/ هنّ"]. تنتقي تخصيصاتها الدّنيا للنّوع، من قبيل 'حيّ أنثى' بالنّسبة إلى [*she* "هي"]، مجموعات ذات نهاية مفتوحة من المترشّحين القابلين للتّأهيل. إذ يُحتمَل أن يتوفّر عدد كبير من المترشّحين في مقام خطابيّ معيّن. ورغم ذلك، تكون ضمائر الغيبة إسمائيّات تامّة، يُفترَض أنّها قادرة على إفراد المرجع المقصود. فكيف تُنجِز هذه الضّمائرُ ذلك؟

لضمائر الشّخص علاقة متينة بعلامات التّعريف وبالعناصر الإشاريّة العائديّة كذلك. فهي تقتضي، مثلما تفعل علامة التّعريف (الرّسم البيانيّ 9. 11)، أن يكون نموذج واحد من النّوع المخصَّص قابلا لأن يهتدى إليه اهتداء فوريّا في إطار الخطاب السّابق. وبذلك يكون الضّمير [*she* "هي"] صالحا في (4) (أ)، حيث تقدّم الجملة السّابقة له مترشّحا واحدا قابلا للتّأهّل فقط، ولكنّه ليس كذلك في (4) (ب)، حيث يتوفّر كثير من المترشّحين على أساس التّساوي:

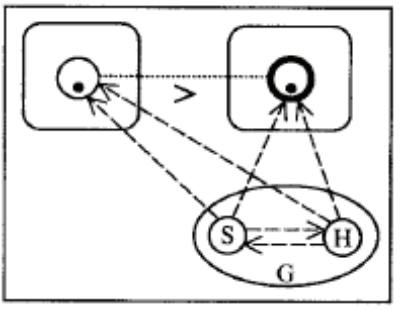
(4) (أ) *I was talking to* ***an interesting woman. She*** *heads a major corporation.*

كنت أحادث امرأة مثيرة للإعجاب. هي تدير شركة كبيرة.

(ب) **I was talking to* ***several interesting women. She*** *heads a major corporation*

*كنت أحادث عددا من النّساء المثيرات للإعجاب. هي تدير شركة كبيرة.

وعلى خلاف علامات التّعيين، تقوم الضّمائر إسمائيّات برأسها، فتعوّل، تبعا لذلك، على ما يتوفّر فيها من التّخصيص الخطاطيّ للنّوع الّذي تحيل عليه، في اختيار مجموعة المترشّحين المؤهّلين. وخلافا لعلامات التّعيين كذلك، تقتضي الضّمائر أن يكون المرجع قد أُفرِد ليكون موضعا للانتباه المشترَك عند المتحاورين في الإطار الخطابيّ السّابق، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 10. 1. فهي شبيهة، في هذا المضمار، بأسماء الإشارة العائديّة (الرّسم البيانيّ 9. 10). وتختلف عن أسماء الإشارة هذه في افتقارها إلى القوّة التّوجيهيّة، وللتّمييز بين القريب والبعيد كذلك.



[السّامع = H]، [المتكلّم = S]، [الأرضيّة = G]

الرّسم البيانيّ 10. 1

فبـدل القرب، يعوِّل ضمير الغائب على البروز السّـياقيّ ليعيّن مرجعَه. فهو لا يفترض مسـبقا أن يكون نموذج مخصوص مـن نوعه قد جرى إفراده في الإطـار الخطابيّ فقـط، بل يفترض كذلـك أن يكون بـارزا بما يكفي ليكون النّمـوذجَ الوحيد الّذي يعتبَـر لغايات الإحالة العائديّـة. في (5) (أ)، مثلا، تفرد كلّ من [*the yacht* "اليخت"] و[*the car* "السّيّارة"] مرجعين يستجيبان لتخصيص النّوع المدلول عليه بـ[*it*] ('شـيء جماد'). غير أنّ للأوّل، من حيث كان مفعـولا به لفعل المركّب الجُمَليّ، درجـةً من البروز كافية ليحجب الأخير ويقيم نفسَه مفسِّرا للضّمير.[6] وعلى هذا، يستمدّ الضّمير [*It*] إحالته من عبارة [*the yacht*] – فيُؤوَّلان بكونهما متقارنين إحاليّا.

(5) (أ) ***The yacht*** *is more impressive than* ***the car,*** *but I probably can't afford* ***it.***

اليخت يثير الإعجاب أكثر من السّيّارة، ولكن يُحتمَل أن لا أقدر على شرائـه.

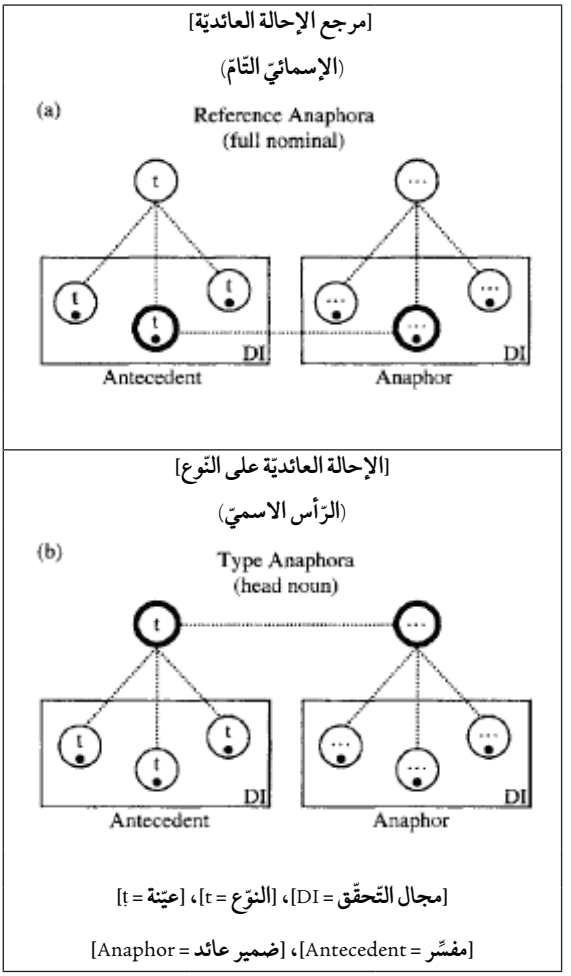
(ب) *That* ***yacht*** *is certainly impressive, but I can't afford even this cheap* ***one.***

يثير ذلك اليخت الإعجاب دون شـكّ، ولكنّني لا أقدر حتّى على شـراء هذا الواحد البخس.

وبالمقارنة، يعتمد الاسـتعمال الإحاليّ العائديّ لكلمة [*one*] في (5)(ب) على الإسـمائيّ المفسِّـر لتخصيص نوعه فقط، لا على مرجعه: في حين ينبني [*it* "ضميـر المحايد الغائب"] و[*the yacht* "اليخت"] على أنّهما داليّن على نفس النّمـوذج من هذا النّوع، يعرض [*one* "واحـد"] و[*the yacht* "اليخت"] نموذجين مختلفين. ويكمن أسـاس هذا التّقابل في أنّ العناصر العائديّة تمثّل مستويات مختلفة من التّنظيم الوظيفيّ. تكون [*one*] في (5) (ب) رأسـا اسميّا بالتّحديد، فلا يكون إلاّ النّوع مفيدا في تأويلها. ومن جهة أخرى، تمثّل ضمائر الشّخص إسمائيّات تامّة، ولذلك تكون الإحالة أيضا في صلب الموضوع.

يرسَـم هذان النّوعان من الإحالة العائديّة باختزال في الرّسـم البيانيّ 10. 2 حيث يشير حرف (t) إلى نوع مخصوص، وعلامات الحذف (...) إلى نوع أكثر خطاطيّة (انظر الرّسـم البيانيّ 9. 3). ويكون مع ضمير من ضمائر الشّـخص، كلّ من المُفسِّـر والعنصر العائد إسـمائيّين تامّين، فيعرض كلّ واحد منهما نموذجا من نوعه. ويحقِّق العلاقةَ الإحاليّةَ العائديّةَ بينهما تناسبٌ يصلح لتعيين ذينـك النّموذجين المعروضيـن. ويقتضي تعيين مرجعيهمـا أنّ وصف النّوع المدلول عليه بالمفسِّر يقبل كذلك الانطباق على مرجع الضّمير. وفي النّوع الآخر من الإحالة العائديّة، يكون المفسِّـر والعنصر العائديّ ببساطة اسمين،

أي رأســين، كلاّ في داخل الإسمائيّ الّذي يشتمل عليه. فيعيّن خطُّ التّناسب حينئذ نوعيهما ولكنّه لا يقدّم أيّ إشارة تخصّ المرجعين الإسمائيّين. فنعلم، علــى هذا، في (5) (ب) أنّ [*this cheap one* "هذا الواحد البخس"] يختُّ، وإن لم يكن النّموذج الّذي يعرضه الإسمائيّ الوارد فاعلا.



الرّسم البيانيّ 10. 2

تذكّــر أنّ عنصرَ تجذيرٍ إســمائيٍّ ما، يكون بذاته إســمائيّا خطاطيّا، لأنّه يعرض شــيئا ويربطــه بالأرضيّة (الرّســم البيانيّ 9 .4). فعندمــا يكون عنصرُ التّجذير إســمائيّا قائما برأســه، يكون خطاطيّا أكثر مــن الضّمير بالنّظر إلى النّــوع. وفي هذه الحــالات، يكون تحديد النّوع في الغالــب تحديدا عائديّا.

وبهذا، نعرف في (6) أنّ [*those*] تحيل على شـرائح اللّحم، و[*most*] على الطّلبة، و[*each*] على شاهد (تخيّليّ):

(6)

(أ) *I left some steaks out to thaw. You can have those for dinner.*
تركت بعض شرائح اللّحم خارج الثّلاّجة لتذوب. يمكنك إعداد تلك للعشاء.

(ب) *We admitted* ***a thousand new students last fall. Most were deficient in reading and math.***
قبلنا ألفا من الطّلبة الجدد في الخريف الماضي. كانت الأغلبيّة ضعيفة في القراءة وفي الرّياضيّات.

(ج) ***Numerous*** *witnesses claimed to have seen the robber's face.* ***Each*** *gave a different description, however.*
ادّعى عدد كبير من الشّهود أنّهم رأوا وجه السّارق. ولكن قدّم كلّ واحد منهم وصفا مختلفا.

وبالفعل، تشتغل هذه العناصر هنا ضمائر. لاحظ أنّ [*those*] يمكن أن تعوَّض بـ[*them*]. وتماما كما هو الأمر في الرّسم البيانيّ 10. 2 (a)، تترابط [*those*] و[*some steaks*] بواسطة الإحالة العائديّة- فهما متقارنان إحاليّا. والعلاقة العائديّة مختلفة قليلا مع [*most*] و[*each*]. وإذ يدلّ هذان المسوِّران على وحدات افتراضيّة، فليسا متقارنين إحاليّا، بالمعنى الدّقيق للكلمة، مع الإسمائيّين المفسّرين [*a thousand new students*] و[*numerous witnesses*] اللّذين يؤوّل مرجعاهما على أنّهما حقيقيّان. وبدل ذلك، يدلّ هذان الإسمائيّان على المجموعة الّتي باعتبارها تخصِّص [*most*] و[*each*] كمّيّةً ما. وبعبارة تقنيّة أكثر، تعيّنان الامتداد الأقصى (E_t) وتضبطان حدوده ضبطا سياقيّا يتوصّف المسوِّران في ضوئه (الرّسمان البيانيّان 9. 12 و9. 13).

10. 1. 3 الأسماء الأعلام

غالبا ما تُعتبَر الأسماء الأعلام غيرَ ذات وصف للنّوع. وهي تعتبَر، بالفعل، غير ذات معنى، ويكمن مضمونها الوحيد في إحالتها على شيء في العالم. ولكنّ هذه النّظرة الكلاسيكيّة لا يمكن أن تستقيم. فالكثير من الأسماء الأعلام تستعمَل تواضعيّا لأنواع مخصوصة من الكيانات (مثلا، [*Jack* "جاك"] لتسمية 'إنسان ذكر'، و[*Jill* "جِلّ"] لتسمية 'إنسان أنثى'). وتستحضِر أسماء أعلام أخرى مجموعاتٍ مهمّة من المعلومات المشتركة بين أعضاء مجموعة لغويّة على نطاق واسع. فالاسم 'جورج واشنطن'، لا

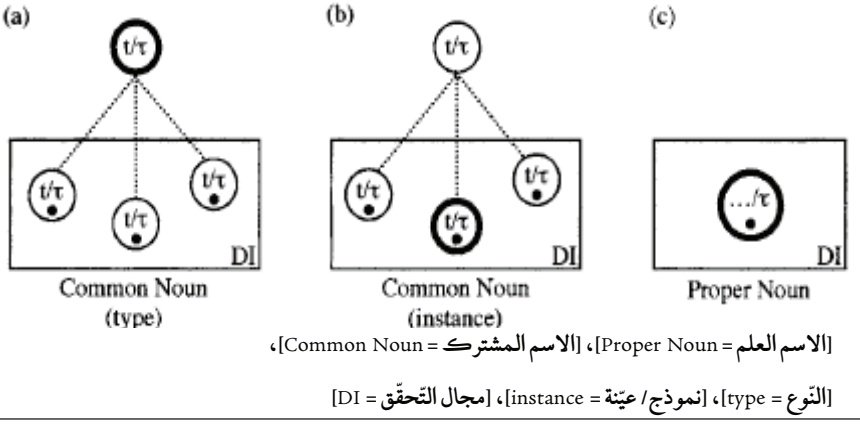
يحيل على شخص فقط، بل ينزع إلى إنشاط كتلة من المعلومات الموسوعيّة التّقليديّة (جنرال في الجيش، أوّل رئيس أمريكيّ، اسم زوجته مارثا، يُعتقَد أنّه نزيه، وما إلى ذلك). وكذلك 'شيكاغو' لا يسمّي مدينة ببساطة، ولكنّه يستحضر مجموعة من الخصائص ومن الجمعيّات المعروفة على نحو واسع. والواجب أن تُضمَّنَ هذه التّخصيصات في معاني العبارات من هذا القبيل، وفقَ ما يكون لها فيها من رسوخ وتواضعيّة.

والسّمة المميّزة للأسماء الأعلام ليست في كونها غير ذات معنى، ولكن توجَد، بدل ذلك، في طبيعة معانيها. فالاسم العلم يشتمل على منوال عرفنيّ يتعلّق بالكيفيّة الّتي بها يُستعمَل في المجموعة الاجتماعيّة المعنيّة، واحدا من مكوّنات المعنى فيه (أي مجالا في مولّدته).[7] فيكون لكلّ عضو من المجموعة، وفق هذا المنوال المؤمثل، اسم مختلف بما يستتبع ذلك من أن يكون الاسم العلم بذاته كافيا لتعيينه. فالاسم العلم 'جاك'، مثلا، يحمل معه افتراضا مداره أنّه لا يوجد في تلك المجموعة المعنيّة (أسرة، مثلا) إلاّ شخص واحد يحال عليه بتلك الطّريقة. إذن يمكن أن يُعتبَر الاسم العلم محدِّدا لنوع - نوع 'شخص يسمّى جاك'- يخصّصه المنوال (في سياق تلك المجموعة) بأنّ له نموذجا واحدا فقط. وإذ يفرد الاسم ذاته النّموذجَ الوحيد، تنتفي الحاجة إلى التّجذير المنفصل.

يستلزم هذا المنوال العرفنيّ المؤمثل أن يكون لفظ الاسم في ذاته - أي قطب العبارةِ الصّوتميّ- ظاهرا في وصف النّوع المدلول عليه، في القطب الدّلاليّ. فالمكوّن المركزيّ في معنى 'جاك'، هو التّخصيص الّذي ينصّ على أنّه 'شخص يُسمَّى جاك'. ولكنّ هذه الخصيصة لا تقتصر على الأسماء الأعلام. يتمثّل المكوّن المركزيّ في اسم عامّ، ليكن "اليخت" مثلا، في التّخصيص الّذي ينصّ على أنّ وحدات كثيرة متمايزة تحمل ذلك الاسم. ويتمثّل واحد من مجالات مولّدته، في المعرفة بأنّ أفراد المجموعة اللّغويّة يحيلون بالمواضعة على تلك الوحدات بهذه الكيفيّة. وبذلك يتضمّن وصف النّوع بالنّسبة إلى "يخت" التّخصيصَ الّذي ينصّ على كونه "شيئا يسمّى يختا".[8]

وتوضيحا لهذه المفاهيم، لنفترض أنّ [τ] تمثّل القطب الصّوتميّ من اسم ما، و[τ] تخصيصاتِه الدّلاليّة. يمكن بناء على ذلك أن يصاغ الوصف الشّامل للنّوع الّذي يدلّ عليه في τ/τ: يعني أنّه يتضمّن تنصيصا على أنّ

الأشـياء من هذا القبيل يجري ترميزها بعلامة [τ]. يُعرَض ذلك في الرّسـم البيانـيّ 10. 3 (وهو صيغة منقّحة من الرّسـم البيانيّ 9. 3). فالاسـم العامّ هو ذاك الّـذي يكون للنّوع المدلـول به عليه نماذج متعـدّدة، يمكن لكلّ واحد منها أن يوسَـم بعلامة [τ] أيضا. ومن جهة أخرى، لا يسـم الاسم العلم إلاّ وحدة واحدة، بوجه لا يتوفّر فيه أيّ أسـاس لتجريد نوع منفصل. فيمكن أن نقـول إنّ التّمييـز بين النّوع والنّموذج قد أبطِل، أو بطريقة أخرى مسـاوية، إنّ للنّـوع نموذجا واحدا فقط. وفي حالة الأسـماء الأعلام، تنجرّ هذه الفرادة من المنوال العرفنيّ المؤمثل المتعلّق بالتّسـمية داخـل مجموعة اجتماعيّة.[9] وإذ مثّل الاسـم في ذاته خصيصة محدِّدة مركزيّة في التّخصيصات الدّلاليّة، كان مـا تبقّى من تلك التّخصيصات، فـي الغالب، خطاطيّا إلى حدّ كبير (مثل 'إنسـان ذكر' بالنّسـبة إلى 'جاك')، كما يُعرَض باستعمال علامات الحذف عوضا عن (τ).



الرّسم البيانيّ 10. 3

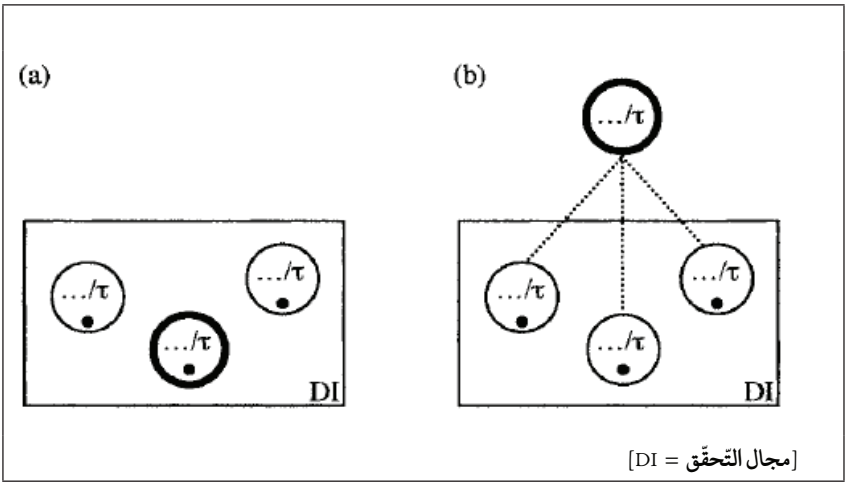
ولكن يحدث في بعض الأحيان أن لا تتحقّق توقّعات منوال عرفنيّ مؤمثل فـي الواقع العمليّ. فليس من النّادر، على وجه الخصوص، أن يحمل الاسـمَ نفسَه أفرادٌ متعدّدون في مجموعة اجتماعيّة ما. ولذلك نجد عبارات من قبيل ما يلي:

(7) (أ) *There were four Davids on the soccer team I coached.*
كان فـي فريق كرة القـدَم الّذي درّبته أربعة ديفيدات. (أشـخاص يحملون اسم «دايفيد»)

(ب) *Are you the **Hank Barnes** who owns the liquor store, or the **one** who ran for mayor?*

هـل أنت الهانـك بارنز الّذي يملك متجر الكحول أو ذاك الّذي ترشّـح لمنصب العمدة.

فـي أمثلـة من هذا القبيل، يشـتغل الاسـم العلم، نحويّا، اشـتغال الاسـم المشـترك- إذ يمكـن أن يُجمعَ، وأن يجري دون تجذيـر ظاهر، وأن يقترن بمركّب موصوليّ يقيّده، وأن يشـارك في الإحالـة الضّميريّة العائديّة على النّوع، وهلمّ جرّا. تُعالج الإنجليزيّة هذا التّناقض بين المنوال المؤمثل والوضعيّة الواقعيّة بأن تعلّق ما يتطلّبه الاسم من حيث إسناده إلى شخص واحد ليس غير. وبذلك يمكن أن يُسـتعمَل اسـم مخصوص [τ]، لتعيين فرد يشـترك في ذلك الاسـم مع آخرين، كما يُعرَض في الرّسـم البيانـيّ 10. 4 (a). لاحظ، الآن، أنّ هذه الوضعيّة تدعم عمليّة تجريد لنوع ما، هو إجمالا 'شخص يُسمَّى [τ]' (.../τ)، يتَّخِـذ من كلّ واحد من تلك الأفراد نموذجا له. والتّشـكّل النّاتج، كما يُعرَض في الرّسـم التّخطيطـيّ (b)، مطابق مطابقة تامّة لتوصيف اسـم معدود مشـترك (الرّسـم البيانيّ 10. 3 (a)). فالأسـماء الأعلام في (7) تسلك سلوك الأسماء المشتركة لأنّها أسماء مشتركة.



الرّسم البيانيّ 10. 4

2.10 محوّرات الأسماء

يمكن أن تكون الإسمائيّات من أيّ حجم، وهي ذات تنوّع بنيويّ كبير. يعود قدر كبير من ذلك إلى المحوّرات الّتي تكون كثيرة ومتنوّعة وجارية

كذلك في توليفات مختلفة. ولا متّسع هنا إلاّ لنظرة وجيزة في محوّرات الأسماء وفي الأبنية المحوِّرة.

10.2.1 التّنوّع الدّلاليّ والشّكليّ

تختلف المحوّرات في الحجم، وفي مقولتها النّحويّة وفي طبيعة مساهمتها الدّلاليّة. وأمّا باعتبار الحجم، فهي تمرّ بجميع الدّرجات من السّلّم: بدءا من الكلمات ([”ببّغاء برازيليّ“])، فالمرّكبات الجزئيّة ([”ببّغاء ذو لثغة“])، فالمركّبات الجُمَليّة ([”ببّغاء حرمنا من النّوم اللّيلة الماضية“]). وإذ يمكن للمحوّرات المركّبيّة والجُمَليّة أن تشتمل بذاتها على الإسمائيّات بمحوّراتها، يمكن أن تُبنى عبارات محوِّرة من أيّ طول كان: ذاك الببّغاء الّذي حرمنا من النّوم اللّيلة الماضية > ذاك الببّغاء الّذي حرمنا من النّوم اللّيلة الماضية بسيل مستمرّ من العبارات الفاحشة > ذاك الببّغاء الّذي حرمنا من النّوم اللّيلة الماضية بسيل مستمرّ من العبارات الفاحشة الّتي صدمتنا حقّا > ذاك الببّغاء الّذي حرمنا من النّوم اللّيلة الماضية بسيل مستمرّ من العبارات الفاحشة الّتي صدمتنا حقّا بمستوى البذاءات فيها...

يمكن أن تُستعمَل في تحوير الأسماء عباراتٌ تنتمي إلى عدد من المقولات المختلفة: الصّفات، والمركّبات الحرفيّة، ومصادر الفاعليّة ومصادر المفعوليّة (بنوعيها السّكونيّة والمسندة إلى المفعول)، والأفعال غير المصرّفة. ومن موقف النّحو العرفنيّ، يكون لجميع هذه المقولات شيء مشترك بينها (§ 4. 3. 3). يمكننا أن ننشئ تعميما مداره أنّ محوّرات الاسم تعرض علاقات لاعمليّاتيّة.[10] وإقصاء الأفعال الّتي تعرض العمليّات، نتيجة طبيعيّة لعلاقات التّحوير من حيث بناؤها بطريقة شموليّة. فالمحوِّر لا يدرَك إلاّ في علاقته بالاسم المحوَّر الّذي يفرض - من حيث كانَ محدّدَ المعروض- رؤيته المجمَلَة على العبارة المركّبة. والأفعال ذات حظّ ضعيف في التّرشّح لتحوير الأسماء تحويرا مباشرا لأنّ المسح التّتابعيّ الّذي تتميّز به العمليّة لا يمكن أن يتجلّى في رؤية مجملة. وبطبيعة الحال، تحوّر المركّبات الموصولة المنتهية الأسماءَ تحويرا فعليّا، رغم معروضها العمليّاتيّ. وخلافا لسائر المحوّرات، يكون المركّب الجُمَليّ المنتهي مجذَّرا. وإذ مثّلت الأرضيّة زاويةَ النّظر في إدارك المضمون المركّبيّ الجُمَليّ، يكون النّظر إلى العمليّة المعروضة في ذاتها إلى حدّ ما (لا في علاقتها بالرّأس، فقط). والاهتداء الذّهنيّ المنفصل الّذي توفّره الأرضيّة يجعل من التّتابعيّة في تصوّر عمليّة ما أمرا ممكنا.

في الإنجليزيّة، يتحدّد الرّأس الاسميّ، سواء أكان المحوّرُ سابقا له أم لاحقا عليه، تحديدا جزئيّا، بدرجة التّركّب الدّاخليّ فيه. وغالبا ما تتمثّل الصّفات، ومصادر الفاعليّة، ومصادر المفعوليّة السّكونيّة، في كلمة مفردة بسيطة تسبق الاسم الّذي تحوّره في هذه الحال: [*anxious woman* "امرأة قلقة"]، [*sleeping child* "طفل نائم"]، [*disfigured statue* "تمثال مشوّه"]. وهي تسبق الاسم حتّى إذا ما كانت في ذاتها مسبوقة بظرف محوِّر: [*very anxious woman* "امرأة قلقة جدّا"]، [*soundly sleeping child* "طفل نائم نوما عميقا"]، [*completely disfigured statue* "تمثال مشوّه تماما"]. ولكن عندما يشتمل محوّر الاسم على مادّة لغويّة مركّبة ترد بعده وقد تفصله عن الرّأس الاسميّ، يأتي المحوّر المركّب بأكمله بعد الاسم عوضا عمّا كان قُبيل هذا بأسطر: [*children anxious about her* "امرأة قلقة على أطفالها"]، [*child sleeping too soundly to wake up* "طفل نائم نوما عميقا يمتنع له إيقاظه"]، [*statue disfigured beyond recognition* "تمثال مشوّه إلى حدّ يمتنع له التّعرّف عليه"]. وممّا يرد بعد الرّأس كذلك المركّباتُ الحرفيّة، والمركّباتُ المصدريّة المفعوليّة، والأفعال غير المصرّفة، والمركّبات الجُمَليّة الموصولة المنتهية. وتكون هذه عبارات متعدّدة الكلمات: [*house with a view* "منزل يطلّ على منظر جميل"]، [*fire started by vagrants* "نار أشعلها متشرِّدون"]، [*person to watch out for* "شخص يُنصَح بالحذر منه"]، [*lawyer who has never lost a case* "محام لم يخسر قضيّة قطّ"].

ويكون في تحديد موقع المحوّر، لنوع المساهمة الدّلاليّة الّتي تكون له، على الأقلّ، نفس القدر من الأهمّيّة الّتي تكون لدرجة التّركّب فيه. ففي الإنجليزيّة، ينزع المحوّر الّذي يسبق الرّأس مباشرة، نزوعا ثابتا، إلى تحديد خصيصة جوهريّة أو دائمة فيه، في حين تنزع المحوّرات الواردة بعد الرّأس إلى التّعبير عن خصائص ذات طبيعة محتملة أو مؤقّتة. وعلى سبيل المثال، قد تكون [*an anxious woman* "امرأةٌ قلقةٌ"] قلقةً بطبعها، من حيث كان ذلك سمة قارّة من شخصيّتها، في حين قد تكون [*a woman anxious about her children* "امرأةٌ قلقةٌ على أطفالها"] تنتظر ببساطة وصولَ الحافلة المدرسيّة. ويصف مصدر المفعوليّة السّكونيُّ خصيصةً (أي "حالة" ناتجة عن تغيّر ما) يُحتمَل أن تستمرّ: [*a broken watch* "ساعة معطّبة"]، [*toasted almonds* "لوز مقليّ"]، [*his sullied reputation* "سمعته الملوّثة"]. ومقابل ذلك، يعرض مصدر المفعوليّة حدثا يكون في الغالب غير ذي نتيجة دائمة. فيمكننا بذلك أن نحيل على [*leaves rustled by the wind* "أوراق محرّكة بالرّيح"]، لا على [*rustled leaves* ✱"أوراق

محرّكة"]، ونُحيل على [*an error caught by the proofreader* "خطأ ممسك به من قبل المُراجِع"] لا على [*a caught error* "*خطأ ممسك به"]، ونحيل على [*that fire started by vagrants* "ذاك الحريق المشعَل من متشرّدين"] لا على [*that started fire* "ذاك الحريق المشعَل"]. وبصفة أعمّ، تكون الصّفات الّتي تتوفّر فيها أقصى درجات الطّرازيّة، متعلّقة بالخصائص الصّميميّة ذات الاستمرار غير المحدود: [*big* "كبير"]، [*red* "أحمر"]، [*strong* "قويّ"]، [*flat* "مسطّح"]، [*smart* "ذكيّ"]، إلخ. وتستعمَل المحوّرات الواردة بعد الرّأس باطّراد في الملابسات المحتملة، من قبيل المواضع (مَثال [*the flowers on her desk* "الأزهار الّتي على مكتبها"]، والأحداث المخصوصة [*a man I insulted* "رجل شتمتُه"]، والوضعيّات المؤقّتة [*that spider climbing up your leg* "تلك الرّتيلاء الّتي تصعد على ساقك"].

نلاحظ، حتّى إذا ما قصرنا انتباهنا على المحوّرات الّتي كانت تصنَّف تقليديّا من الصّفات، تنوّعا دلاليّا هائلا ومظاهر خروج غفيرة عن الطّراز القائم على وصف الخصائص الكامنة. مثلا، تحدّد بعض الصّفات موضِعا في سلسلة أو موقعا في الزّمن: [*my first teacher* "أستاذي الأوّل"]، [*our next president* "رئيسنا القادم"]، [*a prior commitment* "التزام سابق"]، [*future events* "الأحداث المستقبليّة"]، [*a former girlfriend* "صديقة سابقة"]. وتقيّم بعض الصّفات الأخرى صلاحيةَ تحديد النّوع المدلول عليه بالإسمائيّ: [*genuine leather* "جلد أصيل"]، [*fake Rolex* "(ساعة) رولاكس مقلّدة"]، [*putative expert* "خبير مزعوم"]، [*real gold* "ذهب حقيقيّ"]، [*counterfeit tickets* "تذاكر مزوّرة"]، [*true patriot* "وطنيّ صادق"]. وتصطبغ هذه الصّفات بقيم دلاليّة تشير إلى منزلة المرجع إزاء مقولة ما: [*typical doctor* "طبيب نموذجيّ"]، [*perfect circle* "دائرة مثاليّة"]، [*complete idiot* "أحمق تماما"]، [*canonical example* "مثال قياسيّ"]، [*ordinary member* "عضو عاديّ"]، [*representative instance* "هيأة تمثيليّة"]. وتصف صفات كثيرة كيف يعيش النّاس الآخرون تجربة شيء ما، عوضا عن خصائص ذلك الشّيء الذّاتيّة: [*comfortable chair* "مقعد مريح"]، [*scary movie* "شريط سينمائيّ مرعب"]، [*welcome break* "عبارة جارحة"]، [*pleasant evening* "أمسية رائقة"]، [*offensive statement* "استراحة ترحيب"]، [*unsatisfactory answer* "جواب غير مرض"]. وتصطبغ هذه الصّفات بدورها بأحكام تقييميّة يمكن أن تكون قائمةً على أساس ذاتيّ صرف: [*marvelous report* "تقرير عجيب"]، [*charming couple* "زوجان فاتنان"]، [*horrible person* "شخص رهيب"]. وتُحدِّد بعض الصّفات، عوضا عن خصيصة ما، المجالَ

الّذي يرتبط به شـيء ما: [*electrical engineer* "مهندس كهربائيّ"]، [*mental hospital* "مستشـفى نفسـيّ"]، [*corporate executive* "مدير (تنفيذيّ لـ) شـركة"]، [*medical textbook* "كتاب دروس طبّيّة"]، [*culinary institute* "مدرسة طبخ"]. وبالإضافة إلى ذلك، هناك صفات أخرى تتعلّق بالكمّيّة: [*abundant resources* "موارد وفيرة"]، [*rare coins* "قطع (نقديّة) نادرة"]، [*countless opportunities* "فرص لا عدّ لها"]، [*infinite patience* "صبـر لا حدّ لـه"]، [*meager allowance* "منحة (ماليّـة) هزيلة"]. وبالفعل، تتأهّل المسـوّرات المطلقة ([*many* "كثيـر"]، [*few* "قِلّـة"]، [*much* "كثير"]، [*little* "قليل"]، [*several* "عديد"]، [*nine* "تسعة"]، إلخ) لتكون صفات من زاوية نحويّة وزاوية دلاليّة في آن.

يمثّـل ما يجـوز من التّوليفات فـي الصّفات وفي تتابعها، مسـألةً معقّدة لا يسَـعُني أن أقدّم في شأنها إلاّ بعض الملاحظات الجزئيّة. والمرجَّح أنّ هناك نزعة شـاملة إلى أن تَجري الصّفات بجوار الـرّأس لتوافق درجة اللّصوق الّتي تكـون للخصيصـة المعنيّة بصاحبها. وتجري المسـوّرات عـادة في أبعد ما يكون عن الرّأس: [*nine black cats* "تسعة سود قطط (تسعة قطط سود)"]، [*black nine cats* "*سود تسعة قطط"]، [*several important visitors* "عديد مهمّ زائرون (زائرون مهمّون كثيـرون)"]، [*important several visitors* "*مهمّـون كثيرون زائرون"]. والصّفاتُ الّتي تتعلّق بالنّوع مباشـرة، أقربُ مـن الرّأس. والواجب أن تكون الصّفات المتعلّقة بالمجال متاخمة للرّأس: [*excellent culinary institute* "مدرسة طبخ ممتازة"]، [*culinary excellent institute* "*مدرسـة ممتازة طبـخ"]، [*electrical engineer young* "مهندس كهربائيّ شـابّ"]، [*electrical young engineer* "*كهربائيّ شـابّ مهندس"]. وبما أنّ هذه الصّفات لا تقبل كذلك الاسـتعمال الخبريّ (مثلا، [*The engineer is electrical* "*المهنـدسُ كهربائيٌّ"])، قد يحسُـنُ أن تحلّل على أنّهـا جزء من الرّأس. وما يكون أيضا قريبـا من الرّأس، المحوّرات الّتي تقيّم صلاحيـة تخصيص نوع من الأنواع: [*large fake diamond* "ماسـة مزيّفة كبيرة"]، [*fake large diamond* "*ماسـة كبيـرة مزيّفـة"]، [*cheap imitation leather* "جلد مقلّد رخيـص"]، [*imitation cheap leather* "*جلـد رخيص مقلّـد"]. وهناك عدد من القوالب المخصوصة راسـخة على درجـة كبيرة، من قبيـل الصّفات الدّالّة على الجنسـيّة الّتي تجري بعد الصّفات الّتي تقيّم الصّلاحيّة ولكنّها تأتي قبل الصّفـات المعبّرة عن المجـال: [*true American patriot* "وطنيّ أمريكيّ صادق"]، [*fake Moroccan leather* "جلـد مغربـيّ مقلّـد"]، [*British mental hospital* "مستشـفى نفسـيّ بريطانـيّ"]، [*German corporate executive* "مدير شـركة تنفيذيّ ألمانيّ"]،

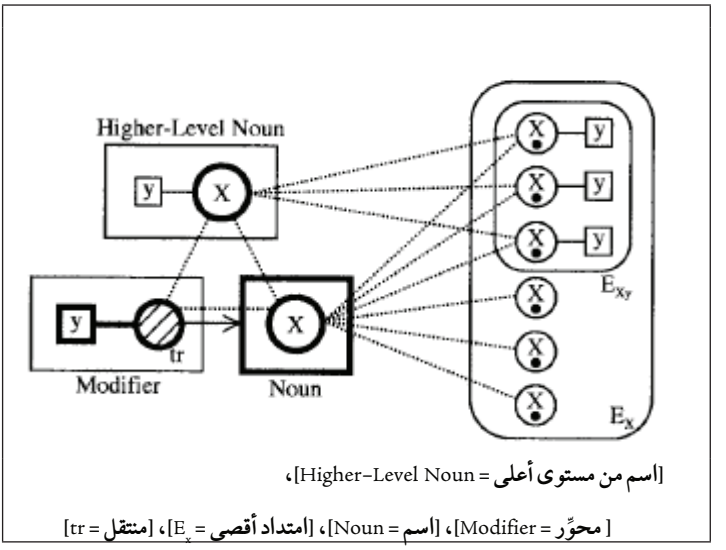
[genuine French culinary institute "مدرسة طبخ فرنسيّ أصيل"]. والمحوّرات الّتي تصف الحجم، واللّون، ومادّة الصّنع تجري في العادة وفق ذلك التّرتيب: [large black woolen coat "معطف صوفيّ أسود كبير"]، [small red cardboard box "صندوق كرتونيّ أحمر صغير"]، [big blue wooden sign "لافتة خشبيّة زرقاء كبيرة"] (ولكن لا يقال: [*blue big wooden sign "*لافتة خشبيّة كبيرة زرقاء"]، أو [*wooden big blue sign "*لافتة زرقاء كبيرة خشبيّة"]، أو [*blue wooden big sign "*لافتة كبيرة خشبيّة زرقاء"]).

وليست مختلف القوالب والنّزَعات الّتي لاحظناها ممّا لا استثناء فيه ولا هي موفية بجميع المظاهر في بنية الإسمائيّات في اللّغة الإنجليزيّة. ولئن كانت وقائع تحوير الاسم معقّدة نوعا ما، فهي تُظهر قدرا كبيرا من الانتظام أيضا. فظاهريّا، يتطلّب وصفها منوالا نظريّا متأسّسا على الاستعمال مرِنا من نوع المنوال الّذي قدّمنا خطوطه العريضة في الفصل 8. وسوف يكون رَصيد كبير من الأبنية والخطاطات البنائيّة، الموصّفة على مستويات مناسبة من التّخصيص، صالحة لضبط التّعميمات المحلّيّة والشّاملة في آن واحد. وإذ تتنوّع الوحدات من حيث درجة الرّسوخ وسهولة الإنشاط في إجازة العبارات الجديدة، يستوعب المنوال، بالإضافة إلى جميع ذلك، كلاًّ من الاستثناءات والمظاهر المطّردة الّتي لم تبلغ بعد درجة اليقين من حيث هي نزعات ذات درجات من القوّة مختلفة.

10.2.2 الأبنية القياسيّة

يرتبط التّمييز التّقليديّ بين المتمّمات والمحوّرات بالاتّجاه الّذي يكون لها في البلورة إزاء الرّأس البنائيّ (أي محدِّد المعروض): يبلور المتمِّم من الرّأس بنيةً فرعيّة بارزة، في حين يحتوي المحوِّر على بنية فرعيّة بارزة يبلورها الرّأسُ (الرّسم البيانيّ 7. 14). وباعتبار التّنوّع في المحوّرات، يجدر أن نلاحظ أنّ هذه البنية الفرعيّة (أي موقع البلورة) هي المنتقل في الأغلب الغالب.[11] ففي عبارة [table near the door "طاولة قرب الباب"]، على سبيل المثال، تناسب [table] منتقل [near "قربَ"] بدل معلَمها. ويبلور الرّأسُ كذلك منتقلَ الصّفةِ أو منتقلَ مصدرِ الفاعليّة أو المفعوليّة: [small table "طاولة صغيرة"]، [table sitting by the door "طاولة (منتصبة) عند الباب"]، [broken table "طاولة مكسورة"]، [table polished every morning "طاولة تُلمَّع كلّ صباح"].[12]

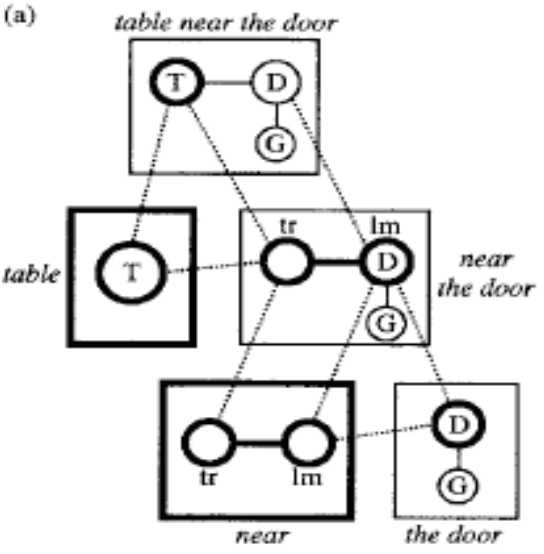
تَظهَر بنية محوِّرة قياسيّة إلى يسار الرّسم البيانيّ 10. 5. الاسم يعرِض شيئا ويصف نوعه الأساسيّ (x). ويعرض المحوِّر علاقة لا زمانيّة (أي لا عمليّاتيّة)؛ ويسند باطّراد خصيصة (y) إلى منتقِله. ويجري تنفيذ الدّمج بينهما بتناسبٍ بين هذا المنتقل الخطاطيّ ومعروض الاسم الّذي يبلوره تبعا لذلك. فالاسم هو الرّأس البنائيّ، من حيث كان معروضه موروثا في مستوى البنية المركّبة. وإذ كانت هذه العبارة المركّبة تعرض كذلك شيئا، كانت في ذاتها اسما مركّبا.



الرّسم البيانيّ 10. 5

يسمح المُحوِّر بأن يوصف الشّيء المعروض بتفصيل أكبر. انطلاقا من النّوع الأساسيّ (x)، يُحدِث التّحوير وصفا لذلك النّوع أكثر تبلورا يتكوّن من النّوع (x) تزاد له الخصيصة (y). لِنطلقْ على هذا شارة (x_y). وعند كلّ مستوى، تقترن بالنّوع بنية ذهنيّة تسمّى هنا الامتداد الأقصى لذلك النّوع، أي المجموعة الّتي تضمّ جميع العيّنات (المفيدة سياقيّا) من ذلك النّوع. يُعرَض الامتدادان الأقصيان (E_x) و(E_{xy})، في الرّسم البيانيّ 10. 5 إلى اليمين. ومن الواضح أن ليست كلّ عيّنة من (x) عيّنةً كذلك من (x_y) - إذ تنتقي (x_y) مجموعة أصغر من المترشّحين القابلين للتّأهّل بحكم كونها مفصَّلَة أكثر. ويقلّص كلّ تحوير إضافيّ من هذه المجموعة أكثر فأكثر.

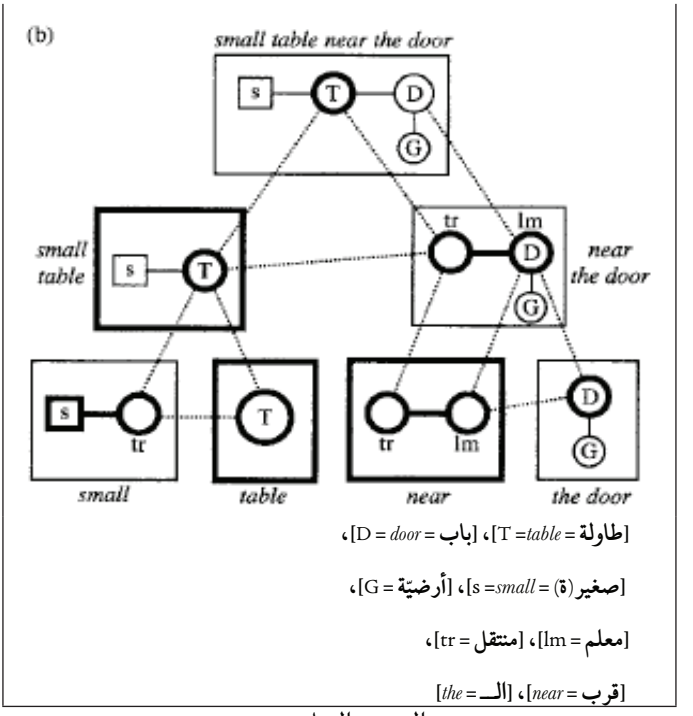
وعندما يكون المُحوِّر عنصرا واحدا ليس غير، يشتغل نفس الاسم في آن رأسا بنائيّا ورأسا اسميّا. فلكلمة [*table*] هذا الدّور الثّنائيّ في [*a table near the door* "طاولة قرب الباب"]: فهي رأس بنائيّ في تَولُّفها مع المركّب الحرفيّ، وهي رأس اسميّ للإسمائيّ برمّته. تُعرَض البنية المجذَّرة (أي جميعها ما عدا علامة التّنكير) باختزال في الرّسم البيانيّ 10. 6 ([13]a).[] وباعتبار البنية المحوِّرة، تكون [*table*] الرّأسَ لأنّها تفرض معروضها في مستوى البنية المركّبة. وباعتبار الإسمائيّ في كلّيته، تكون [*table*] الرّأسَ لأنّ معروضها يناسب الوحدة المجذَّرَة، أي معروضَ البنية المركّبة (الّتي تجذّرها علامة التّنكير (*a*) في مستوى التّنضيد الأعلى). فهذان توصيفان متمايزان، رغم أنّهما يعيّنان نفس العنصر رأسا في بعض الحالات.



[طاولة = *table* = T]، **[باب** = *door* = D]،

[أرضيّة = G]، **[معلم** = lm]، **[منتقل** = tr]،

[قرب = *near*]، **[ألـ** = *the*]



الرّسم البيانيّ 10. 6

ويصير التّمييز بين الرّأس البنائيّ والرّأس الاسميّ أوضح في الإسمائيّات ذات التّحوير الجاري على مستويين، من مثل [*a small table near the door* "طاولة صغيرة قرب الباب"]. تُعرَض البنية المجذَّرَة عرضا تخطيطيّا في الرّسم البيانيّ 10. 6 (b). في المستوى الأوّل من التّنضيد، تتوالف [*small* "صغيرة"] مع [*table* "طاولة"] لتكوين [*small table* "طاولة صغيرة"]. وإذ تعرِض العبارة المركّبة الطّاولةَ، يكون الرّأس البنائيّ كلمةَ [*table*]. وفي المستوى الثّاني، تتوالف [*small table*] مع [*near the door*] لتكوين [*small table near the door*]. وتدلّ، مرّة أخرى، على الطّاولة (لا على العلاقة الظّرفيّة)، ليكون الرّأسُ البنائيّ في هذا المستوى، عبارة [*small table*]. فالرّأسان البنائيّان مختلفان ([*table*] مقابل [*small table*])، من حيث كانا محدَّدين في سياق كلّ بنية. ومقابل ذلك، يُحدَّد الرّأس الاسميّ تحديدا شموليّا بالنّسبة إلى الإسمائيّ ككلّ. فالرّأس الاسميّ يخصِّص النّوعَ الأساسيَّ المدلولَ عليه بالإسمائيّ، والّذي تفرَد عيّنة منه ليجريَ تجذيرها، وتُمثّل البنيةَ الواردة في أدنى المستويات الّتي يناسب معروضُها معروضَ

الإسـمائيّ. ففي عبارة [*a small table near the door*]، الرّأس الاسميّ هو[*table*]، الّذي تُجذَّر منه عيّنة بعلامة التّنكير في مستوى التّنضيد الأعلى.

فالأسماء في كلّ مستوى لاحق - [*table*]، و[*small table*]، و[*small table near the door*]- توصِّف الشّيء المعروض توصيفا يزداد تفصيلا بالتّدريج. فإذا قلنا، (سعيا إلى ضمان الاتّساق في التّحليل)، إنّ كلّ واحد منها يصف نوعا من شـيء، وجب أن تؤوَّل كلمة "شـيء" تأويلا مرنا. فـلا يمكن أن تكون مقتصرة على ما تستدعيه الأسماء المعجميّة من الأنواع النّموذجيّة المتعارف عليها ثقافيّا، أو على ما يسـمّى "أنواعا" في الاسـتعمال العاديّ: لئن كانت [طاولة]، بكلّ تأكيد، نوعا من شيء، ليس من المفروض أن تعتبَر [طاولة صغيـرة] بطريقة معهودة نوعـا من الطّاولة، ولا يمكـن أن تكون [طاولة صغيرة قرب الباب] نوعا مـن الطّاولة أبدا. نحن نلجأ إلى المحوّرات، على وجه التّحديد، لأنّ الأنواع النّموذجيّة المشـفرة معجميّا ليست صالحة لأداء المهمّـة الّتي بين أيدينـا، ولأنّ الوصف الّذي نحتاج إليـه في الغالب يُحيل على خصائص غير نموذجيّة أو على ملابسات غير متوقّعة بصفة كلّيّة.

وبالإضافـة إلـى ذلك، تسـاهم المحـوِّرات دلاليّـا بطـرق متنوّعة، لا بمجرّد زيادة خصيصة إلى الخصائص الّتي تحدّد النّوع الأساسـيّ (سويتسر 1999). وهي، فـي بعض الأحيان، ذات أثر عميق في إبطال مظاهر من النّوع الأساسـيّ، أو فـي التّعبير عن موقـف إزاء صلاحيّتها، أو في الإشـارة إلى مـدًى ضيّقٍ لانطباقهـا: [*flightless bird* "طير لا يطيـر"]، [*nonalcoholic beer* "جعة دون كحـول"]، [*fake diamond* "ماسـة مزيّفـة"]، [*so-called conservative* "مدَّعي المحافظـة"]، [*imaginary kingdom* "مملكـة خياليّـة"]، [*hypothetical situation* "وضعيّة مفترضة"]، [*future president* "رئيس قادم"]. في هذه الحالة، ينبني النّوع الأساسيّ في علاقته بسـيناريو أوسع يسمح بقيام تلك الأحكام. فكلمة [*fake* "زائف / مزيّف"]، مثلا، تسـتدعي المجال العرفنيّ المتعلّق بأشخاص يصنعون أشياء ذات خصائص ظاهريّة ترمي إلى جعل النّاس يمقْولونها خطأً على أنّها عيّنات من النّوع المعنيّ. ولكن يظلّ المرجع الإسمائيّ، رغم هذه الخصائص، يُعامَل لغويّا على أنّه عيّنة من النّوع الأساسـيّ. فالجمل من قبيل ما يلي مقبولة إلى حدّ كبير:

(8) (أ) *These fake diamonds are the only diamonds I have.*
هذه الماسات المزيّفة هي كلّ ما عندي من الماس.
(ب) *Nonalcoholic beer is better than no beer at all.*
الجعة بدون كحول أحسن من انعدام الجعة مطلقا.

10. 2. 3 المكوّنات الإسمائيّة

عندما يوجد من المحوّرات ما يتجاوز الواحد، تكشّر مشكلة المكوّنيّة عن أنيابها. فكيف لنا أن نعرف، على سبيل المثال، أنّ لعبارة [*small table near the door* "طاولة صغيرة قرب الباب"] المكوّنيّةَ الّتي تُعرَض في الرّسم البيانيّ 10. 6 (b)؟ فعوضا عن ((*small table*)(*near the door*))، لمَ لا تكون ((*small table near the door*))، أو ((*small*) (*table*) (*near the door*))؟ فلا يوجد اتّفاق في المكوّنيّة الدّاخليّة للإسمائيّات، يعود ذلك في جزء منه إلى تعقّد المادّة بوجه ما. ولكنّني سأقترح سببا أساسيّا أعمق: لا توجد مكوّنيّة ثابتة. المكوّنيّة، في رؤية النّحو العرفنيّ، ليست ضروريّة ولا أساسيّة في النّحو (§ 7. 4). ففي حين تكون بعض الأنماط من تنضيد السّلّميّات ثابتة وراسخة رسوخا جيّدا، تكون التّجميعات المكوّنيّة في الغالب مرنة ومتغيّرة، إن لم تكن غير محدّدة. فما من سبب يجعلنا نعتقد أنّ كلّ الأبنية الّتي تكوِّن تجميعة رمزيّة يجب أن تتنضّد بطريقة سلّميّة صارمة، ولا أنّ أيّ سلّميّة وحيدةٍ موفيَةٌ بمظاهر الانتظام النّحويّ جميعها.

والواجب، من منظور النّحو العرفنيّ، أن تُعالَج مسائل المكوّنيّة من حيث هي جزء من تناول أشمل للتّجميعات الرّمزيّة. والتّجميعة الرّمزيّة تتكوّن من أبنية دلاليّة، وأبنية صوتميّة، وعلاقاتٍ رمزيّة بينهما. ويمكن أن تكون الأبنية الدّلاليّة والصّوتميّة من أيّ حجم كان. تنشأ عند كلّ من القطبين، الأبنية المركّبة عن طريق التّركّب، حيث تتجمّع الأبنية (المكوّنيّة) الأبسطُ وتُدمَج الواحدة منها في الأخرى لتكوين أبنية ذات درجة من التّركّب والبلورة أكبر. وتتكوّن البنية الرّمزيّة بالرّبط بين بنية دلاليّة وبنية صوتميّة (بصرف النّظر عن حجمهما). فلا يمكن أن نفترض أنّ التّجميعات عند أيّ واحد من القطبين مضمَّنة تضمينا تامّا (بدل أن تكون متقاطعة) تكون به منضّدةً في سلّميّة واحدة متماسكة، ولا أن نفترض أنّ أيّ تجميعة تشارك في علاقة رمزيّة.[14]

وباعتبار هذا المخطّط العامّ، يمكننا أن نوصّف المكوّنيّة النّحويّة بأنّها مسألة تجميع يُنسَّق عند القطبين الدّلاليّ والصّوتميّ. هب أنّ لنا ثلاثا من الأبنية الرّمزيّة: [[A]/[a]]، و[[B]/[b]]، و[[C]/[c]]. يستلزم الادّعاء بأنّ [[A]/[a]]، و[[B]/[b]]، مكوّنيّتان أنّ كلاّ من [A] و[B] يجمَّعان (باستثناء [C]) عند القطب الدّلاليّ، ويستلزم كذلك أنّ كلاّ من [a] و[b] يجمَّعان (باستثناء [c]) عند القطب الصّوتميّ. ويكون الخرجان لذينك التّجميعين على التّوالي تصوُّرا مركّبا هو [AB]، وشكلا مركّبا هو [ab]، ينتج تنسيقُهما، بناءً على ذلك، البنيةَ الرّمزيّة من المستوى الأعلى [[AB]/[ab]]. وعلى هذا، يكون العامل الحاسم في تقييم فرضيّة المكوّنيّة، منزلةَ [AB] و[ab]. ويمكن أن نبرّر افتراضَ تلك الأبنية بأنّ لها، بالفعل، تجلّيا لغويّا ما. ولئن لم تكن قابلة للملاحظة بشكل مباشر، يمكن أن تتجلّى بشكل غير مباشر من خلال ضرورة الإحالة عليها لغايات وصفيّة مخصوصة.

يكون التّجميع الصّوتميّ أكثرَ قابليّة للملاحظة المباشرة. لدعم نمط المكوّنيّة المعروض في الرّسم البيانيّ 10. 6 (b)، يمكن أن نشير إلى إمكانيّة إجراء وقف صوتيّ خفيف (علامته: /) عند حدود المكوّن المحتملة: (*near the door* / *small table*). إذن، تمثّل [*small table*] تجميعةً صوتميّة، لهذا السّبب على الأقلّ. فهل تمثّل تجميعةً دلاليّة كذلك؟ يمكن أن ننتبه هنا إلى دورها في الإحالة العائديّة على النّوع:

(9) *Do you prefer the* ***small table*** *near the door, or the* ***one*** *next to the kitchen?*

هل تخيّر الطّاولة الصّغيرة قرب الباب أو الواحدة القريبة من المطبخ؟

في (9) يمكننا أن نؤوّل [*one* "واحدة"] على أنّها تحيل على [*table* "طاولة"] أو على [*small table* "الطّاولة الصّغيرة"]. ويشير الخيار الأخير إلى التّجميع المفهوميّ بين [*small*] و[*table*]، لأنّ النّوع الّذي تحدّدانه معا يكون قابلا لأن يُهتدى إليه لغايات الإحالة العائديّة. فإذا ما مَثّلت [*small table*] تجميعا صوتميّا ودلاليّا في آن، دلّ ذلك على أنّها تجميع رمزيّ، أي مكوّن نحويّ.

لكنّ الأمور ليست بهذه البساطة. فيمكن أن ندافع عن البنية "المسطّحة" التّالية: ((*small*) (*table*) (*near the door*))، حيث لا يتوالف أيّ واحد من المحوِّرين بمفرده مع الرّأس. ومن زاوية صوتميّة، يتميّز التّجميع التّنغيميّ بنطق متأنٍّ متعمَّد: [*small* / *table* / *near the door*]. وعند القطب الدّلاليّ، لا تحيل [*one*] إلاّ على [*table*] في (10) (أ):

(10) (أ) *Do you prefer the small* ***table*** *near the door, or the big* ***one*** *next to the kitchen?*
هل تختيّر الطّاولة الصّغيرة قرب الباب أو الواحدة الكبيرة القريبة من المطبخ؟
(ب) *A SMALL* ***table near the door*** *is preferable to a BIG* ***one.***
طاولة صغيرة قرب الباب أفضل من واحدة **كبيرة.**

يشير الشّكل والمعنى في (10)(ب)، بالمثل، إلى التّجميعة ((*small*) (*door*)). يمكن هنا تأويل [*one*] على أنّها تحيل على [*table near the door*]. ولئن كان تنفيذ هذا التّجميع بواسطة الوقف (*?small/table near the door*)، متصنَّعا، فهو يتجلّى صوتميّا في بعد آخر، أعني النّبرَ. وفي سياق خطابيّ تكون فيه (10) (ب) مناسِبةً، يكون من المناسب كذلك للإسمائيّات أن تُنطَقَ بنبر ضعيفٍ على جميعها ما عدا الصّفات.[15] وبذلك، يجري التّجميع بين [*table*] و[*near the door*] على أساس بروزهما النّبريّ المنقوص.

هذه البدائل المتضاربة لا تمثّل مشكلا بالنّسبة إلى النّحو العرفنيّ الّذي يتجنّب التّسليم الشّائع بمكوّنيّة وحيدة ثابتة. فبدل أن تكون المكوّنات متأصّلة، إنّما تنبثق في داخل التّجميعات الرّمزيّة على أنّها حالة خاصّة (بل حالة نموذجيّة) من التّشكّلات الّتي يمكن أن تتحمّلها عناصرها. والأمر المتوقّع الوحيد هو أنّ نفس المكوّنات الرّمزيّة، في بعض الأحيان، يمكن أن تُجمَّع بطرق بدائل، دون تأثير كبير على البنية المركّبة النّهائيّة. فيحتمل أن يصادف كذلك أن لا تنبثق المكوّنات النّحويّة مطلقا. فإذا ما كان لنا ثلاثة عناصر مكوّنيّة، مثل [*small*]، و[*table*]، و[*near the door*]، لا شيء يمنعها من التّوالف في مستوى واحد من التّنضيد دون تجميع داخليّ: ((*near the door*) (*table*) (*small*)). وإن حدث تجميع عند قطب واحد، لا ضرورة لأن يكون متناسقا مع التّجميع الجاري في القطب الآخر. في الجملة الواردة في (9)، على سبيل المثال، يمكن أن تؤوّل [*one*] على أنّها تحيل على [*table*] أو على [*small table*]، بصرف النّظر عن مخطّط التّنغيم سواء كان [*small* / *table* / *near the door*] أو [*near the door* / *small table* /]. وإن جرى تجميع [*small*] و[*table*] عند قطب واحد فقط، لا يوجد أساس واضح لافتراض مكوّن نحويّ. وإذ كان النّحو ثنائيَّ القطب بطبيعته، يستلزم افتراض المكوّنيّة أنّ التّجميع يحدث بالتّوازي عند القطبين.

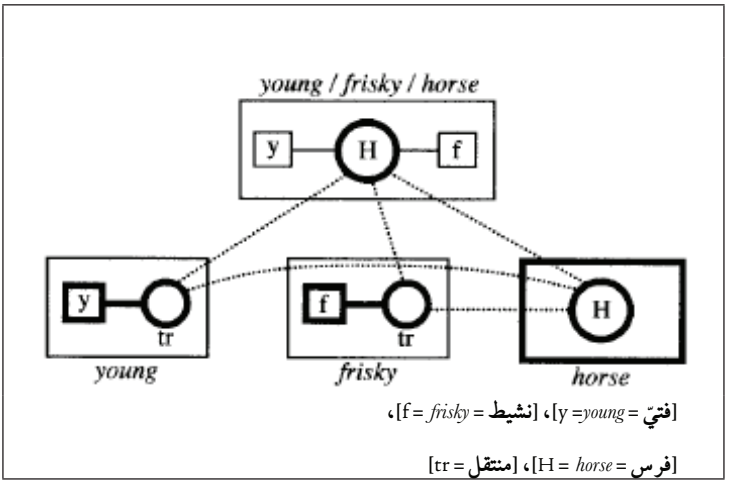
في غياب الحجّة القاطعة، يمكن أن يكون التّحليل الصّحيح، ببساطة، غير محدَّد – عند المحلِّل اللّسانيّ بكلّ يقين، وعند المتكلّمين بوجه محتَمَل. انظر في السّسلسة [*frisky young horse* "فرس فتيّ نشيط"]. هل توجد

أرضيّة يقوم عليها الافتراض بأنّ [*young*] و[*horse*] يشكّلان مكوّنا، ثمّ بعد ذلك تتوالف [*frisky*] مع [*young horse*] في مستوى أعلى من التّنضيد؟ يتوفّر لنا دليل على التّجميع المفهوميّ في (11)، حيث يكون [*young horse*] مفسِّرا محتملا لكلمة [*one*]:

(11) *She wants to ride a frisky* ***young horse,*** *not a lazy* ***one.***

(هي) تريد أن تمتطي فرسا فتيّا نشيطا، لا واحدا كسولا.

وبالإضافة إلى ذلك، يمكننا أن نقول، بكلّ صواب، إنّ [*young*] و[*horse*] مجمَّعان صوتميّا على أساس التّجاور في دفَق الكلام. ومع ذلك، يظلّ المشكل قائما. تضمحلّ الحجّة الّذي تدعم التّجميع الدّلاليّ عندما تؤوَّل [*one*] على أنّها تحيل على [*horse*] فقط، أوفي استعمالات تكون فيها [*frisky young horse*] غير ذات ارتباط إحاليّ عائديّ. ولئن كان التّجاور متّسِقا مع كون [*young*] و[*horse*] مكوّنا واحدا، فهو كذلك متّسق مع المكوّنيّة الثّلاثيّة ((*frisky*) (*young*) (*horse*)). ولعلّ التّحليل المناسب يكمن في أن لا نفرض مطلقا تحليلا بعينه.



الرّسم البيانيّ 10. 7

لكنّني أميل، على أساس اعتبارات أعمّ، ميلا فعليّا، إلى معاملة [*young horse*] على أنّها مكوّن في [*frisky young horse*]. فالتّجميعُ ظاهرة على غاية من الطّبيعيّة والانتشار، والتّجاورُ الزّمنيّ عاملُ تجميع على غاية من القوّة، إلى حدٍّ تُعتبَر فيه الأبنيةُ الثّنائيّة في الغالب (اعتبارا لا يخلو من الحكمة) الحالةَ المحايدة.[16]

إذا أخذنا سلسلة يتتابع فيها محوّران اثنان، يكون للرّأس وللمحوِّر المجاور له نزوع قويّ إلى تشكيل مكوّن واحد يُحتمَل أن يتوالف عندئذ- على أساس التّجاور كذلك- مع المحوِّر الآخر. ويكون انتظام المحوّرات على طبقات من هذا القبيل، في بعض الأحيان، قائما بشكل واضح على مقتضيات دلاليّة. ومن أمثلة ذلك زوج العبارات المتقابلة [*counterfeit American money* "عملة أمريكيّة مزيّفة"] مقابل [*American counterfeit money* "عملة مزيّفة أمريكيّة"]. فلو لم يكن هناك تنضيد على طبقات، أي لو حَوّرت الصّفتان كلتاهما الرّأسَ الاسميّ تحويرا مباشرا، لكان من المتوقّع أن تكون العبارتان متكافئتين دلاليّا. ورغم ذلك، لهما بالفعل معنيان مختلفان يعكسان تجميعين مفهوميّين بديلين. فمن جهة، يتجمّع في عبارة [*counterfeit American money* "عملة أمريكيّة مزيّفة"] ، كلّ من [*American*] و[*money*]، إذ تمثّل [*money*] مكوّنا مفهوميّا أساسيّا (أي الوحدة الّتي يجري تقليدها). ومن أخرى، تستحضر عبارة [*American counterfeit money* "عملة مزيّفة أمريكيّة"]، التّجميعةَ المفهوميّة [*counterfeit money* "عملة مزيّفة"]، واصِفةً إيّاها بأنّها إنتاج أمريكيّ (يحتمل أن يكون تقليدا للعُملة اليابانيّة).

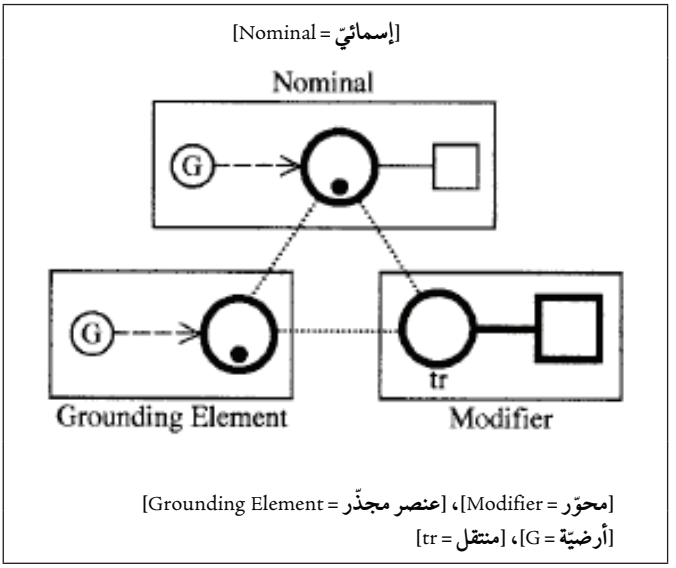
في حالة [*frisky young horse*]، لا فرق ظاهر سواء حوّرت الصّفةُ [*frisky*]، الاسمَ [*horse*] تحويرا مباشرا (مستلزمة بنية ثلاثيّة الأجزاء)، أو حوّرت عبارةَ [*young*] بدلَ ذلك. يُنتِج كلُّ واحد من المسلكين التركّبيّين البنيةَ المركّبة نفسَها الّتي يزداد فيها تخصيص النّوع الأساسيّ ([*horse* "فرس"]) بخصيصتين متمايزتين هما ([*frisky*] و[*young*]). ورغم ذلك، نجد هنا حجّة ممكنة تدعم المكوّنيّةَ بأن نلاحظ التّعالق بين التّنغيم وترتيب الكلمات. فعبارة [*frisky young horse*] تُنطَق في العادة دون أيّ وقف ودون ترتيب وحيد جامد للصّفتين - فالعبارة [*??young frisky horse*] هامشيّة في أحسن الأحوال. لكنّ التّرتيب المعكوس يظلّ طبيعيّا جدّا، عندما تضاف مواطن الوقف: [*horse* / *young*/*frisky*]. [17] يوحي هذا التّنغيم ببنية مسطّحة، غير ذات تجميع داخليّ، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 10. 7. فيمكننا، تبعا لذلك، أن نفترض وجود بنية محوِّرة متميّزة تدلّ مَواطن الوقف فيها على أنّ الصّفات المتعدّدةَ تحوِّر مباشرةً الرّأس في مستوى وحيد من التّنضيد النّحويّ. فإن دلّت هذه البنية على غياب التّنضيد على طبقات، يمكننا أن نفترض بشكل مقبول أنّ القالب البديل ([*frisky young horse*]، مثلا) ينتج عن مستويات متتابعة من التّحوير.

10. 2. 4 الأبنية غير القياسيّة

التّشـكّل الوارد في الرّسم البيانيّ 10. 7، غير قياسيّ في الأبنية المحوِّرة لأنّه يسـمح بتعدّد المحوِّرات في مسـتوى واحد من التّنضيـد النّحويّ. ربّما أمكنـك أن تتكهّن (بحكم العنوان الّذي يحمله هذا القسـم) أنّ الأبنية من هذا القبيل يمكن أن تنحرف إلى طرق أخرى كما تنحرف عن التّوزيع المطّرد (الرّسم البيانيّ 10. 5).

تمثّل العبارات المحوِّرة الّتي لا وجود لرأس اسـميّ فيها، خروجا كبيرا فـي الظّاهر عـن القياس. وتحدث هـذه الظّاهرة بالفعل فـي الإنجليزيّة وإن كانـت محـدودة فيها أكثـر ممّا هي عليه فـي لغات كثيـرة. في ما عدا عبارات جامدة معيّنة (من مثل [*the poor* "المسكين"])، تكون منحصرة إلى حـدّ كبير في المحـوِّرات المركّبة الّتي تجري مقترنة بالعناصر الإشـاريّة (وخاصّة [*those* "أولئك"])، وببعض المسـوّرات: [*all who qualified* "جميع من تأهّل"]، [*any with valid complaints* "أيّ واحد ذو شكاوى صالحة"]، [*that which he fears the most* "ذاك الّذي يخاف منه أكثر (من كلّ شـيء)"]، [*those ready to leave* "أولئك المسـتعدّون للانصـراف"]، [*those arriving late* "أولئك الّذين (وصلوا/يصلون/الواصلـون) متأخّـرا"]، [*those offended by my remarks* "أولئك الّذيـن أغضبتهـم ملاحظاتي"]. تنحصـر عنايتنا هنا في الطّبيعـة العامّة لهذه الأبنيـة. لمَ هي ممكنة أصلا؟ وكيف لمحوِّر اسـميّ أن يُحوِّر اسـما غير موجود؟

مبدئيّا، هذه الأبنية لا غبار عليها في النّحو العرفنيّ، إذ توصَّف الإسمائيّات توصيفا دلاليّا لا باعتماد أيّ تشـكّل بنيويّ مخصوص. فما عرضت العبارة عيّنةً مجذَّرة من نوع شـيء (حتّـى وإن كان نوعا على غاية من الخطاطيّة)، عُدَّت إسمائيّا. وكنّا رأينا أنّ عنصرَ التّجذير الإسمائيّ يكون في ذاته إسمائيّا خُطاطيّا بحكم هذا التّعريف. وبما أنّ الإسمائيّ يعرض شيئا، لا يوجد سبب كامـن يمتنع له أن يكون لعنصـر تجذير ما بدوره محوّرٌ اسـميّ. وكما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 10. 8، لا نحتاج إلى شـيء ما عَدا أن نخصّص أنّ العيّنة المجذَّرة من الشّيء تناسب منتقلَ المحوِّر، وأنّ العنصر المجذِّر يشتغل محـدِّدا للمعروض. وفي غياب رأس اسـميّ معجميّ، يظلّ النّوعُ الأساسـيّ الّـذي تحقّقه العيّنـة المجذَّرَةُ خطاطيّا. غير أنّ الوصف الشّـامل للنّوع يزداد تفصيلا من خلال مضمون المحوِّر.



الرّسم البيانيّ 10. 8

ويشمل خروج آخر عن القياس المحوّراتِ الّتي لا دور لها في تعيين المرجع الإسمائيّ. ومن الحالات الشّهيرة في هذا، التّقابل بين «التّقييديّ» و«اللاّتقييديّ» في المركّبات الجُمَليّة الموصولة. يصلح المركّب الجُمَليّ الموصول التّقييديّ للحدّ من مجموعة المترشّحين القابلين للتّأهّل، بأن يقيّدها بمجموعة فرعيّة من الامتداد الأقصى الّذي يكون للنّوع الأساسّي. في (12) (أ) – حيث يكون المترشّحون حقيقة «مترشّحين»– تحصر الخصيصة المحدّدة (أي الأهليّة الحقيقيّة للفوز) المجموعة في مترشّح وحيد، وفق ما تقتضيه علامة التّعريف:

(12) (أ) *The candidate who really deserves to win ran a positive campaign.*
المترشّح الّذي يستحقّ الفوزَ حقيقة خاض حملة ناجحة.
(ب) *The candidate, who really deserves to win, ran a positive campaign.*
المترشّح، ذاك الّذي يستحقّ الفوز حقيقة، خاض حملة ناجحة.

يكون الخبر الّذي يقدّمه مركّب جُمَليّ لا تقييديّ قاصرا عن طواعية الاستخدام بهذا الوجه. وتتحدّد العيّنة المعروضة من [*candidate* "مترشّح"] في (12) (ب)، تحديدا سياقيّا بصرف النّظر عن استحقاق الفوز (لا على أساس هذه الخصيصة).

ولتمثيل ذلك التّمييز، تُحلَّل المركّبات الجُمَليّة الموصولة التّقييديّة، عادة، على أنّها جزء من الإسمائيّ المعنيّ، وتحلّل المركّبات الجُمَليّة اللاّتقييديّة على أنّها خارجيّة عنه. وممّا يدعم هذا التّحليلَ، مواطنُ الوقفِ ("فاصل التّنغيم") الّتي ترتبط بالموصولات اللاّتقييديّة. غير أنّ هذا الفرق البنيويّ، بذاته ولذاته، لا يكفي لتفسير التّقابل الدّلاليّ. يبين ذلك من خلال ما به يقوم التّقابل نفسه مع الصّفات المحوِّرة حيث لا يوجد اختلاف في المكوّنيّة. تستعمَل الصّفة [*tiny* "صغير"]، من حيث كانت جزءا من [*the tiny mouse* "الفأر الصّغير"]، استعمالا تقييديّا في (13) (أ)، ولاتقييديّا في (13) (ب). فهي لا تساعد على تحديد المرجع الإسمائيّ إلاّ في هذه الجملة الأخيرة. ولكن في الاستعمالين كليهما، تكون الصّفة [*tiny*] داخليّة في الإسمائيّ بشكل واضح.

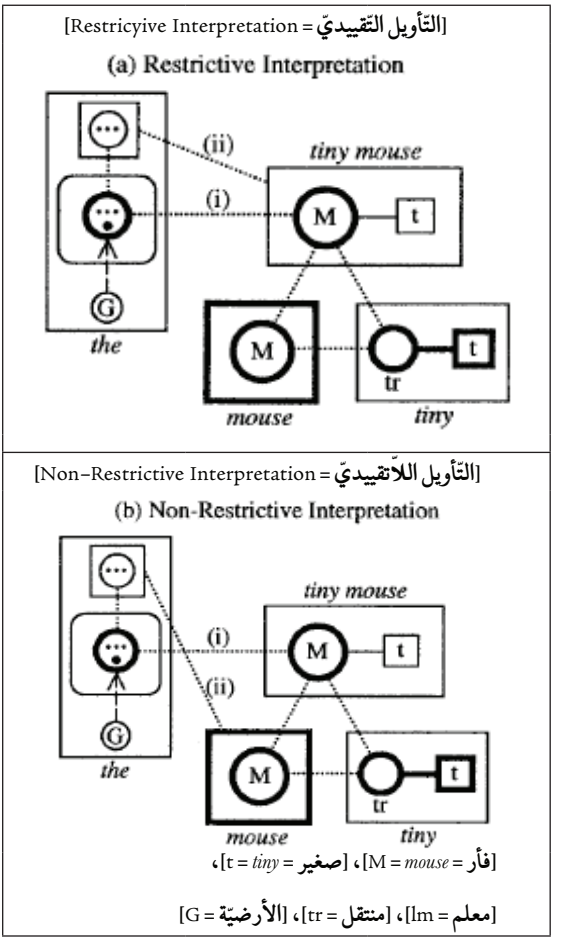
(13) (أ) *In the cage she saw a big mouse and a tiny mouse. The tiny mouse was shaking.*
في القفص (هي) رأت فأرا كبيرا وفأرا صغيرا. كان الفأر الصّغير يرتجف.

(ب) *In the cage she saw a mouse. The tiny mouse was shaking.*
في القفص (هي) رأت فأرا. كان الفأر الصّغير يرتجف.

على هذا، يجب أن يكون التّفسير العامّ للمقابلة بين التّقييديّ واللاّتقييديّ مستقلاّ عن الفرق البنيويّ الّذي يلاحَظ في الأبنية الجُمَليّة الموصولة. في حال الصّفات، يتبيّن أنّ هذه المقابلة لا تكمن في البنية المحوِّرة ذاتها، ولكن تكمن بدل ذلك في الكيفيّة الّتي بها يكون الاهتداء الذّهنيّ إلى التّجميعة الرّمزيّة الّتي تكوّنها، لغايات من مستويات عليا. فسواء أكان تأويل [*the tiny mouse*] تأويلا تقييديّا أم لا تقييديّا في (13)، يكون للصّفة [*tiny*] في ذاتها، نفسُ المعنى. ويصحّ الشّيء نفسه على العبارة المركّبة [*tiny mouse*]. فالتّقابل الدّلاليّ، بدل ذلك، مسألة تتعلّق بالكيفيّة الّتي بها تُدمَج هذه العبارة المركّبة مع علامة التّعريف في مستوى أعلى من التّنضيد النّحويّ. فعلامة التّعريف تعرض عيّنة من نوع ما وتشير إلى منزلتها في الخطاب. فالسّؤال هو: أيُّ نوع؟ كَما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 10. 5، يظهر نوعان اثنان من الأشياء في توصيف مركّب نحويّ مثل [*tiny mouse*]، واحد يخصّصه الرّأس (*mouse*)، والآخر تخصّصه العبارة بتمامها (*tiny mouse*). ويرتبط الفرق بين تأويل تقييديّ وتأويل لا تقييديّ بأيّ واحد من ذينك النّوعين يستدعَى، في سياق الخطاب، في المستوى الأعلى من البنية.

لننظر بتفصيل في الكيفيّة الّتي بها يعمل ذلك. يعرض الرّسمان التّخطيطيّان (a) و(b) في الرّسم البيانيّ 10. 9، كيف تتوالف [*the*] مع [*tiny*

mouse] في (13) (أ) و(13) (ب) تباعا. وقد حُذِفت البنيتان المركّبتان لأنّ الفرق الحاسم يكمن في الكيفيّة الّتي بها يجري الدّمج بين البنيتين المكوّنيّتين. البنية الدّاخليّة في [*tiny mouse*]، الّتي يفترض الآن أنّها تفسّر نفسَها بنفسها، هي البنية نفسها في الرّسمين التّخطيطيّين. وكذلك علامة التّعريف هي نفسها في كليهما، وهي تعرض شيئا قد جرى إفراده بحكم كونه العيّنة الوحيدة من النّوع الّتي تكون قابلة للاهتداء إليها في إطار الخطاب الجاري. والنّوع الّذي تستدعيه بطريقة خطاطيّة، يجري تمثيله في أعلى الرّسم البيانيّ. ولضمان الوضوح، تُقدَّم إشارات متفرّقة من الوصف الشّامل للنّوع (يمثّله الشّكل المستطيل) والوحدة المعروضة (تمثّلها الدّائرة).[18]



الرّسم البيانيّ10 . 9

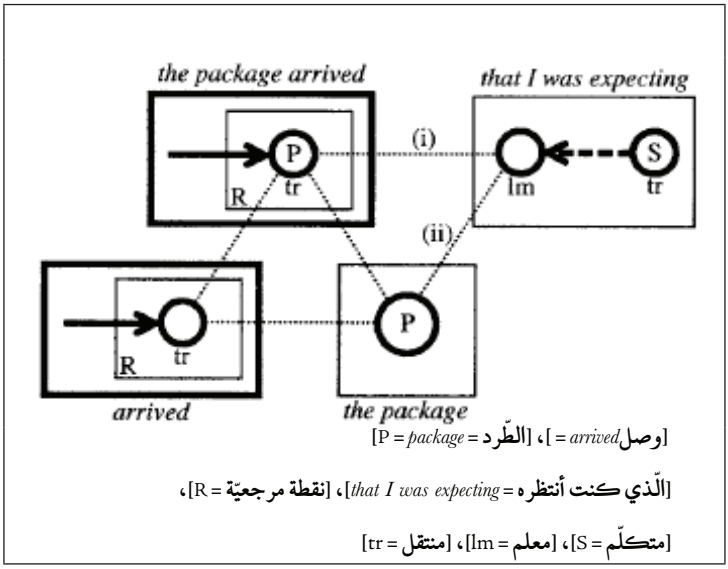
في التّأويلين كليهما، يجري تجذير [*tiny mouse*] بعلامة التّعريف [*the*]، لتكوينِ إسمائيّ. وكما جرت العادة بالنّسبة إلى الأبنية المجذِّرة، يشتمل دمجها على تناسب بين معروض العنصر المجذِّر ومعروض البنية المجذَّرة. يحمل التّناسبُ الأساسيّ - وهو نفسه في الرّسمين التّخطيطيّين كليهما- شارة (i). ويتأتّى الفرق بين تأويل تقييديّ وتأويل لا تقييديّ من تناسب إضافيّ يحمل شارة (ii). يقيم هذا التّناسب الثّاني مطابقةً بين النّوع الخطاطيّ المقترن بعلامة التّعريف، ونوع أكثر تخصيصا كامن في البنية المجذَّرة. هذا النّوع هو [*tiny mouse* "فأر صغير"] في الرّسم التّخطيطيّ (a). يؤول ذلك إلى التّأويل التّقييديّ، إذ تكون الخصيصة الّتي تدلّ عليها الصّفة ماثلة في تحديد المرجع. والنّوع في الرّسم التّخطيطيّ (b)، بدلا من ذلك، هو [*mouse* "فأر"] بكلّ بساطة. يؤول ذلك إلى التّأويل اللاّتقييديّ، إذ الخصيصة الّتي تدلّ عليها الصّفة لا توجد في عمليّة التّجذير.[19]

ورغم أنّ التّأويلين كليهما ممكن في الغالب، يكون التّأويل التّقييديّ، بكلّ تأكيد، أكثر تواترا من التّأويل اللاّتقييديّ. والسّبب جليّ من خلال الرّسمين التّخطيطيّين. في الرّسم التّخطيطيّ (a)، يقوم التّناسب (ii) بين العنصرين اللّذين يتوالفان مباشرة من البنيتين المكوّنيّتين: [*the*] و[*tiny mouse*]. ومقابل ذلك، للرّسم التّخطيطيّ (b) السّمةُ غير القياسيّة الّتي تتمثّل في وجود واحد من العنصرين المتناسبين في مستوى أدنى من المكوّنيّة. أعني، أنّ توالُف [*the*] مع [*tiny mouse*] قائم في جزء منه على أساس تناسب لا يقرنها بـ[*tiny mouse*] من حيث هي كلٌّ مركّب، بل بواحدة من بنيتيها المكوّنيّتين (*mouse*)، عوضا عن ذلك. ولئن كان هذا التّوليف شاذّا، فليس التّوليفَ الوحيد ولا هو مشكلٌ بأيّ وجه من الوجوه في النّحو العرفنيّ. إنّما هو واحد فقط من التّشكّلات الّتي يمكن أن تحتملها التّجميعات الرّمزيّة.[20]

نلاحظ تشكّلا شبيها في بنية محوِّرة تكون كذلك غير قياسيّة من مدخل آخر- أعني مركّبا جُمَليّا موصولا يرد غيرَ متاخم للاسم المحوَّر. وكنّا قد عرضنا تخطيطا لمثال سابق هو [*the package arrived that I was expecting* "الطّرد وصل الّذي كنت أنتظر"] في الرّسم التّخطيطيّ 7. 19 (b). تُعرَض الأساسيّات في هذه البنية (إذ حذِفت البنية المركّبة الشّاملة) مرّة أخرى

فـي الرّسـم البيانيّ 10. 10. والمسـألة المطروحة هنـا مدارها كيف يجري الدّمج بين المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ (*the package arrived*) والمركّب الجُمَليّ الموصـول (*that I was expecting*). فمن زاوية دلاليّة، يحـوّر المركّب الجُمَليّ الموصول عبارةَ (*package*) الّتي يناسـب معروضُهـا معلمَه. ومن زاوية نحويّة، تتوالف رغـم ذلك مع كامل المركّب الجُمَليّ الرّئيسـيّ الّذي تشـتغل عبارة (*package*) بالنّسبة إليه واحدةً من البنيتين المكوّنيّتين. وقد عَرض الرّسمُ التّخطيطـيّ الأوّل الدّمجَ بينهما بواسـطة التّناسـب (i) الّذي يطابـق المعلَمَ الخطاطـيّ بمنتقِل المركّب الجُمَليّ الرّئيسـيّ. هذا الأمر غير قياسـيّ لأنّ العنصر المبَلوَر يناسـب عـادة المعروضَ الكامل للبنيـة المبلورة (لا جزءا فرعيّا منها فحسـب). غير أنّ البنية المبلورة القياسيّةَ بهذا الاعتبارَ، متوفّرة في مستوى أدنى من التّنضيد – أعني، عبارة (*the package*) (بل تكون (*package*) فقط في مسـتوى أدنى من ذلك الأوّل). فيمكننـا، بناء على هذا، أن نفترض أنّ التّناسـب (ii) هو الأسـاسُ الّذي يقوم عليه الدّمج بين المركّبين الجُمَليّين الرّئيسـيّ والتّابع. وهذا الأمر غير قياسـيّ لأنّ البنية المبلورة مكوِّن وارد في مسـتوى أدنى. فالتّحليلان متماسكان وهما متكافئان بالفعل، ولذلك لا فائدة من السّعي إلى الخيار بينهما.

ومع التّناسـبين كليهما، تكون البنية غير قياسيّة من زوايا أخرى عديدة: لأنّ المحـوِّر خارجيّ عـن الإسـمائيّ، ولأنّ الاثنين غيـر متتاخمين، ولأنّ التّناسب المفصليّ يشتمل على معلَم المحوِّر (بدلا عن مُنتقِله). فهل يمكننا بعـد هذا أن نصف بشـكل مقبول هذه البنية بكونها محـوِّرَة؟ يحتمل أن يكـون الجواب بالنّفي فـي إطار تعريف ضيّق (الرّسـم البيانـيّ 7. 14 (b) والرّسـم البيانـيّ 10. 5)، ولكنّه يكون كذلك بـكلّ تأكيد في معنى أضعـفَ يُبرِز العلاقاتِ الدّلاليّةَ. فرغم عـدم المتاخمة بين [*the package*] و[*that I was expecting*]، يبـدو بجلاء أنّهما يمثّلان تجميعا مفهوميّا. وهذان العنصران، من حيث كانا مظهرا من معنى العبارة الشّامل، إنّما ينبنيان خصّيصا الواحد منهما في علاقته بالآخر لتعيين المرجع الإسمائيّ. ولكن بما أنّ هذا التّجميع المفهوميّ لا يرمِّزه أيّ تجميع صوتميّ، لا يشـكل الإسـمائيُّ والمركّبُ الجُمَليّ الموصول مكوّنا نحويّا.



الرّسم البيانيّ 10. 10

يجدر أن نذكّر بأنّ الأبنية الواردة في تجميع رمزيّ لا تنتظم إلاّ بصفة جزئيّة في سلّميّات أساسها التّجميع المنسَّق عند القطبين الصّوتميّ والدّلاليّ. فلا توجد سلّميّة مكوّنيّة واحدة تستوفي بنية العبارات المركّبة، ولا يرمَّز كلّ تجميع مفهوميّ مهمّ ترميزا مباشرا وفرديّا باعتماد تجميع صوتميّ (بله تجميعا متأسّسا على المتاخمة الخطّيّة). فعلى هذا، يمكن أن يندرج في تجميعة ما مكوّن مفهوميّ غير مرمَّز، يكون له تشكّله الدّاخليّ الخاصّ به، دون اعتبار الكيفيّة الّتي بها تتوزّع مكوّناته المفهوميّة المرمَّزة ترميزا فرديّا توزّعا سلّميّا في المكوّنات النّحويّة من النّمط الكلاسيكيّ. ولئن لم تكن التّجميعة معروضة بشكل صريح في الرّسم البيانيّ 10. 10، فهي تضمّ مكوّنا مفهوميّا يقيمه التّناسب (ii) مشتملا على العنصرين المتقطّعين صوتميّا (*the package*) و(*that I was expecting*).[21] فبسبب التّشكّل الدّاخليّ للمكوّن غير المرمَّز (المماثل للرّسم البيانيّ 10. 9 (a))، يكون تأويل المركّب الجُمَليّ الموصول تأويلا تقييديّا.

10. 2. 5 المناطق النّشطة

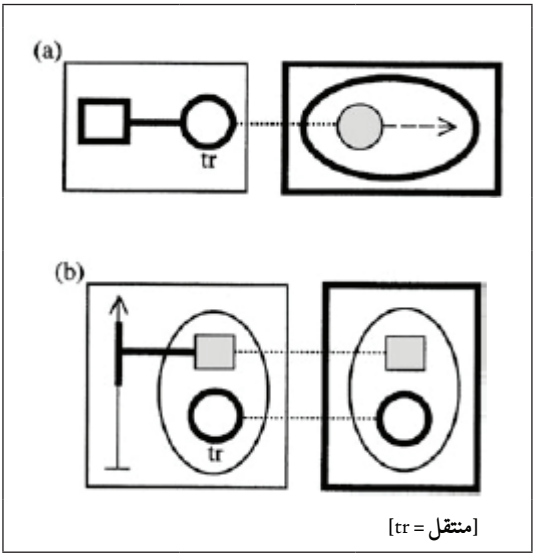
كنّا رأينا أنّ تحوير الاسم يتعلّق بأشياء أكثر بكثير ممّا عين رأت أو أذن سمعت. وحتّى الحالات الواضحةُ في الظّاهر، مثل التّحوير التّقييديّ المباشر

الّذي يكون للاسم بالصّفة، يتبيّن أنّها ذات مظاهر دقيقة متنوّعة عندما تفحَص بتفصيل. ويتعلّق الكثير من هذا التّعقيد الخفيّ بالدّمج المفهوميّ. يمكننا أن ننتهز هذه الفرصة للنّظر في التّعميم الأساسيّ الّذي ينصّ على أنّ معروض الاسم يناسب منتقِل الصّفة نظرا أكثر تفصيلا. ولئن كان هذا التّعميم صالحا تمام الصّلاحية من حيث هو وصف إجماليّ، هناك الكثير ممّا نتعلّم من التّفاصيل الجزيئيّة الدّقيقة الّتي تتوفّر في أمثلة مخصوصة.

انظر أوّلا في الدّمج المفهوميّ في عبارات من قبيل: [*reluctant agreement* "موافقة (/اتّفاقيّة) متردّدة"]، و[*informed consent* "قبول عالِم (/ مبنيّ على معرفة)"]، و[*conscious awareness* "إدراك واع (/ عن وعي)"]. وبما أنّ الصّفة تصف موقفا عقليّا أو حالة ذهنيّة، يتوقّع المرء أن يكون منتقلُها شخصا (أو كائنا واعيا على الأقلّ). ولكنّ الأسماء المحوَّرَة في هذه العبارات تعرض بدل ذلك وحدةً تجريديّة لا تكون بذاتها قادرة على أن تعيش تجربة ذهنيّة. ولذلك يكون التّوصيفان الدّلاليّان لمنتقِل الصّفة ولمعروض الإسمائيّ متنافرين.[22] ورغم ذلك لا ندرِك هذه العبارات على أنّها مختلّة دلاليّا- إذ تنسجم معانيها بشكل تامّ. فكيف تفلت هذه العبارات من الحكم عليها بالخلل؟ يكمن الجواب في التّفاصيل المخصوصة بالمعنيين المكوِّنيّين وبالدّمج المفهوميّ بينهما.

تمثِّل الأسماء المحوَّرة، كما يُعرَض إلى اليمين من الرّسم البيانيّ 10. 11 (a)، نماذج من عمليّات الإسماء. وهي متأسّسة على جذوع من الأفعال والصّفات ([*agree* "وافق"]، و[*consent* "قبِل"]، و[*aware* "مُدرِك"]) تصف حالات ذات طبيعة ذهنيّة في قسم كبير منها. فمنتقلها، إذن، فَرد عاقل ينجز نشاطا ذهنيّا (يجري تمثيله بسهم متقطّع). ومن زاوية دلاليّة، تتمثّل عمليّة الإسماء في التّشييء المفهوميّ لهذا النّشاط، الّذي ينتجُ شيئا تجريديّا يعرضه الاسم (يمثّله في الرّسم البيانيّ الشّكل البيضويّ الغليظ). نجد في هذا التّوصيف الدّلاليّ أساسا منسجما لدمج الاسم مع الصّفة. فمنتقلُ الصّفة، كما يشير إلى ذلك الرّسم التّخطيطيّ، لا يطابق النّشاطَ المشيّأ على أنّه كلٌّ لا تمايز بين أبعاضه، ولكنّه يطابق خصّيصا الفرد العاقل الّذي يؤدّي ذلك النّشاط. فنحن نؤوّل عبارة [*reluctant agreement* "اتّفاقيّة متردّدة"] على أنّها تنسب التّردّد إلى الشّخص الّذي يوافق، لا إلى الموافقة في ذاتها. وبالمثل، يكون [*informed consent* "قبول عالِم"] قبولا من جهة فرد عالِم، ويكون [*conscious awareness* "إدراك واع"]

الإدراكَ الّـذي يكون من فـرد واع. والفرد المعنيّ هنا، وقد وُسِـم بالدّائرة المظلّلَة في الرّسـم التّخطيطيّ، هو المنطقة النّشطة من الاسم باعتبار دمجه مع الصّفة. والمنطقة النّشـطة هي الوحدة الّتي ينشدّ إليها التّناسب مع منتقل الصّفة وتتجلّى فيها مباشرة الخصيصة الّتي تحدّدها تلك الصّفة.



الرّسم البيانيّ 10. 11

بنـاء على هذا، نلاحظ تعارضا بين معروض الاسـم ومنطقته النّشـطة، في التّوالف مـع الصّفة. ولا يبين عندما ينظَر إلى البنية نظرة عامّة لا تفاصيل فيها، الموضـعُ الّذي ترتقـي فيه إلى درجة الوعي العناصـرُ المبأّرة (مثل المعروض والمنتقل) دون غيرها. ولذلك، يسـتقيم في وصف إجماليّ أن نفترض وجود تناسب بين منتقل الصّفة ومعروض الإسمائيّ. وينكشف التّناقض عندما ننظر فـي التّفاصيل الجزيئيّـة الدّقيقة. فنجد في وصف ذي دقّة عالية، أنّ التّناسـب منشـدّ إلى عنصر مفهوميّ مخصوص، هو منطقة الاسـم النّشطةُ، الّتي تكون مهمّـة لتوصيفه دون أن تكون مرجعه رغم ذلك. فالمنطقة النّشـطة، حينئذ، هي الوسيط الّذي من خلاله تشارك الوحدة المعروضة في العلاقة الّتي تعبّر عنها الصّفة. فلا يُنعَت، مثلا،أيّ اتّفاق بكونه متردّدا إلاّ في علاقته بالشّـخص الّذي يوافق.

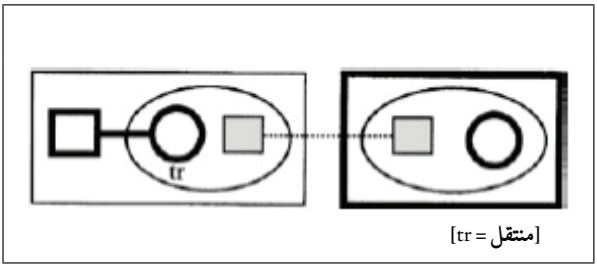
وممّا يمثّل التّناقضَ بين المعروض والمنطقة النّشـطة، توليفات من قبيل [*car fast* "سيّارة سريعة"]، و[*loud parrot* "ببّغاء (ذو صوت) عال"]، و[*unhealthy diet* "غذاء

غيـر صحّـيّ"]. نتصوّر بالفعل، في هـذه الأمثلة، مرجعَ الاسـم على أنّه يحمل الخصيصـة الّتـي تعبّر عنهـا الصّفة.[23] وعلى هـذا، لا نخطئ، حتّـى في نظرة تفصيليّـة جزيئيّة، إنْ وَصَفْنا منتقِلَ الصّفة بأنّه يناسـب معروضَ الإسـمائيّ. غير أنّ الدّمـج المفهوميّ بينهمـا يرتبط بعناصر أخرى مسـكوت عنها. فالصّفات "متدرِّجَة". وتجعل الصّفاتُ [*fast* "سريع"]، و[*loud* "رفيع الصّوت"]، و[*unhealthy* "غيـر صحّيّ"] تباعا، منتقلها - ومعروضَ الإسـمائيّ تبعا لذلك- في درجة ما على سلّم السّرعة، والارتفاع، والصّحّة.

ولكنّ وضعَه في درجة من السّـلّم، فـي كلّ واحدة من الحالات، يكون بتوسّـط وحدة أخرى (يجري تمثيلها بالخانة المُظلّلة)، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 10. 11 (b). هذه الوحدة هي ما يقيسـه السّـلّم قيسـا مباشـرا: هي نشاط بالنّسـبة إلى [*fast*]، وهي صوت بالنّسـبة إلى [*loud*]، وحالة جسـديّة لشخص ما بالنّسـبة إلى [*unhealthy*]. ومع ذلك، هذه الوحدات أنفسـها لا يعرضها الاسـم المحوَّر. فالسّـيّارة (*car*) ليست نشاطا، والببّغاء (*parrot*) ليس صوتا، والغذاء (*diet*) ليس حالة جسـديّة لشـخص ما. ولكنّ هذه الوحدات الّتي لـم تُعرَض، قابلةٌ للاهتداء إليها ذهنيّا من حيث هي جزء من المعنى الموسـوعيّ المقترن بالاسم: السّيّارة تتنقّل وفق وتيرة معيّنة، والببّغاء يحدث صوتا، والتّغذية تحدّد حالة الفرد الصّحّيّة. وبهذا الوجه، تُسـتدعَى هذه الوحـدات الضّمنيّة من حيث هي مناطق نشطة يشارك بها الاسم في العلاقة الّتي تدلّ عليها الصّفة.

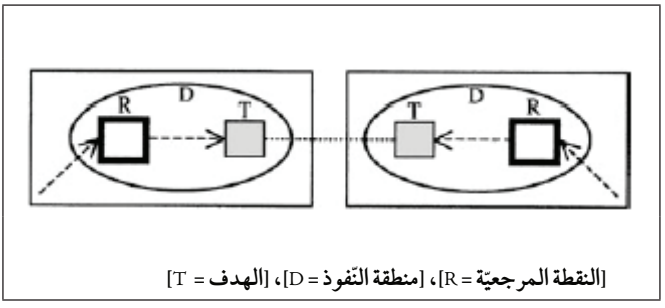
ليـس التّناقض بين المعروض والمنطقة النّشـطة غريبا ولا هو مشـكل بأيّ وجه كان. إنّما هو الحالة العاديّة، بالفعل: هو طريقة ناجعة في استيعاب التّعقُّدِ ذي الوجـوه المتعـدّدة في المعاني اللّغويّـة، والبروزِ العرفنـيّ الخاصّ لعناصر معيّنـة. فلئن مثّلـت العناصرُ المبأَّرة (مثـل المعروضَ والمنتقِـل) العناصرَ الّتي نريـد التّكلّم عنها بدرجة أوّليّـة، فهي تُتصوَّر وتوصَّف فـي علاقتها بعدد غير محدود من الوحدات المترابطة بها، والتي توفّر كلّ واحدة منها أساسا إمكانيّا للدّمـج. فيمكن بناء على هذا أن نقدّم الرّسـم البيانـيّ 10. 12 على أنّه وصف عـامّ للتّحوير باعتماد الصّفة. تؤخذ الصّفة والاسـم، في نظـرة إجماليّة حيث لا يظهر بوضوح إلاّ العناصر المبأَّرة، على أنّهما مندمجان بواسـطة التّناسـب بين منتقل الصّفة ومعروض الاسم. ولكن عندما نتوسّل بنظرة ذات دقّة عالية حيث تشـرَع التّفاصيل في الظّهـور، نجد أنّ العناصر المبأَّرة تُلقِي بنا في حيّ شاسـع مـن المفاهيم المترابطة، لا في عنوان بريديّ مخصوص. يعني ذلك أنّ المنتقل

والمعلم يستحضِران مجموعات من الوحدات المترابطة - يشار إليها بالأشكال البيضويّة- يمكن لأيّ واحد منها أن يُستدعى ليكون نقطة الرّبط المخصوصة. ولا تطابق نقاطُ الرّبط هذه (أي المناطق النّشطة) بالتّحديد العناصرَ المبأّرة الّتي من خلالها يكون الاهتداء إليها، إلاّ من حيث كانت حالة خاصّة.



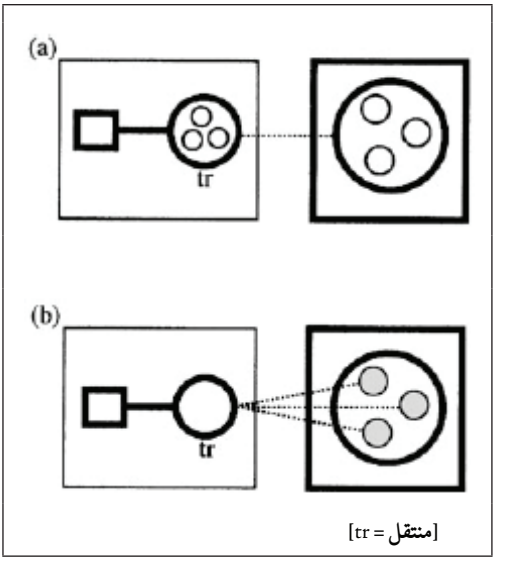
الرّسم البيانيّ 10. 12

لا يكون هذا النّوع من التّناقض من خواصّ الصّفات أو محوّرات الاسم، ولكنّه مطّرد في الأبنية النّحويّة بصفة عامّة. فعندما تتطابق وحدتان بارزتان، توفّر كلّ واحدة منهما اهتداء ذهنيّا إلى مجموعة من العناصر المترابطة يمكن لأيّ واحد منها أن يَشتغِل منطقة نشطة لغاية ذلك الاهتداء. نعاين ذلك في الرّسم البيانيّ 10. 13، حيث تمثّل السّهام المتقطّعة مسلكَ الاهتداء الذّهنيّ عند الذّات المتصوِّرة. ويمكن أن نثبت أنّ هذا الاهتداء الذّهنيّ التّتابعيّ يمثّل حالة خاصّة من انتظام النّقطة المرجعيّة (انظر الرّسم البيانيّ 3. 14): يمكن للذّات المتصوِّرة، بتوجيه الانتباه إلى نقطة مرجعيّة بارزة (R)، أن تهتدي بصفة فوريّة إلى أيّ شيء في منطقة نفوذ (D) النّقطة المرجعيّة، بوجه يكون به هذا العنصرُ الهدفَ (T). وهذه الإستراتيجيّة الطّبيعيّة النّاجعة سمةٌ أساسيّة في المعالجة العرفنيّة بيِّنةٌ في مظاهر غفيرة من البنية اللّغويّة (انظر الفصل 14).



الرّسم البيانيّ 10. 13

يجري نوع خاصّ من التّناقض بين المعروض والمنطقة النّشـطة في تحوير الأسماء المجموعة. وبعض الصّفات، بحكم طبيعتها المركوزة فيها، تجري مـع الجمـوع بصفة رئيسـيّة: [*equal portions* "حصـص متسـاوية"]، [*parallel lines* "خطوط متوازية"]، [*identical descriptions* "أوصاف متطابقة"]، [*adjacent lots* "مقاسم متجـاورة"]، [*various possibilities* "إمكانيّـات متنوّعـة"]، [*similar faces* "وجـوه متشابهة"]، [*numerous commentators* "معلّقون غفيرون"]. وإذ حدّدت هذه الصّفات خصائـص تتطلّب وحداتٍ متعدّدة في تجلّيها، كانت ذات منتقل متعدّد يضمّ مجموعـة من العناصـر المكوّنيّة. ولذلك يكون دمجها مع اسـمٍ مجموع دمجا مباشرا. ذاك ما يجري تمثيله في الرّسم البيانيّ 10. 14 (a).



الرّسم البيانيّ 10. 14

لكنّ الأسماء المجموعة تحوَّر كذلك بصفات تحدّد خصائص تتجلّى بطريقة فرديّة: [*sharp knives* "سـكاكين حادّة"]، [*even numbers* "أعداد زوجيّة"]، [*intelligent women* "نسـاء فطنـات"]، [*long novels* "روايـات طويلـة"]، [*bananas ripe* "موزات ناضجة (موز ناضـج)"]، [*single mothers* "أمّهـات عزباوات"]، [*abstract concepts* "مفاهيم مجرّدة"]، [*frisky horses* "أفراس نشـطة"]، [*white kittens* "قطيطات بيض"]، [*flimsy houses* "منازل متداعية"]. كيف يكون هذا ممكنا؟ إذا كان منتقل الصّفة أحاديّ التّكوّن، وكان معروض الاسـم متعدّد التَّكوُّن لِـمَ لا يؤول التّناسـب بينهما إلى عدم التّماسك الدّلاليّ؟ والجواب، بكلّ وضوح،

هو أنّ التّناسب الشّامل بين العناصر المبأّرة يترك باب الوسائل المخصوصة في إجراء الدّمج المفهوميّ بينها مفتوحا على مصراعيه. يمكن لمعروض الاسم، بدل أن يناسِب منتقلَ الصّفة بشكل مباشر، أن يوفّر بكلّ بساطة الاهتداءَ الذّهنيّ إلى ما يفعل ذلك من العناصر- أي إلى منطقته النّشطة باعتبار الدّمج بينهما. وفي الحالة الّتي بين أيدينا، تكمن نقطة الرّبط في العناصر الفرديّة الّتي تكوّن كتلة الجمع.[24] فكلّ عنصر مكوّنيّ، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 10. 14 (b)، منطقة نشطة تُطابق منتقلَ الصّفة. وفي التّصوّر المركّب، تُنسَب الخصيصة الّتي تعبّر عنها الصّفة إلى كلّ واحد من هذه العناصر بطريقة فرديّة، لا إلى مرجع الإسمائيّ ككلّ.

10. 3 التّصنيف والتّسوير

هناك مظهران من مظاهر الانتظام الإسمائيّ يستحقّان الفحص عن كثب هما أقسام الاسم وأبنية المسوّرات. والعلاقة الحميمة بينهما جليّة في مصنِّفات الاسم، وهي ظاهرة كبرى في لغات كثيرة.

10. 3. 1 أقسام الأسماء

للأقسام النّحويّة درجات مختلفة من التّبرير الدّلاليّ. فعند طرف تكمن المقولات الأساسيّة والكونيّة، خاصّة منها الاسم والفعل اللّذان يعتبران قائمين على أساس مفهوميّ متماسك تمام التّماسك (وإن كان خطاطيّا). وفي الطّرف المقابل تقع أقسام تُعرَّف فقط بورودها في بنية نحويّة مخصوصة دون توصيف دلاليّ ممكن. ومن الأمثلة الأوّليّة هنا العناصر الّتي تُبين عن خصوصيّة صرفيّة، من قبيل الأسماء الّتي تتغيّر فيها [*f*] واردة في النّهاية، إلى [*v*] في صيغة الجمع: [*wife*/*wives* "زوجة/زوجات"]، [*leaf*/*leaves* "ورقة/ورقات"]، إلخ. وتقع أغلب الأقسام الأخرى في ما بين ذينك الطّرفين.

تعكس الحالتان الطّرفيّتان مبرّرات مختلفة للتّصنيف. فقسما الاسم والفعل قائمان على القدرات العرفنيّة الأساسيّة (مثل التّجميع والمسح التّتابعيّ) المتأصّلة في تصوّر النّماذج البدئيّة المتجذِّرة في التّجربة الجسديّة (الأشياء والأحداث). ولئن كانت هاتان المقولتان متاحتين للاستغلال النّحويّ، فهما لا تتحدّدان على أساس أيّ سلوك نحويّ مخصوص، ولا حاجة لهما إلى وجود أيّ بناء واحد تشارك فيه جميع العناصر من قسم ما. فلا يمكننا، مثلا، أن نحدّد الاسم بكونه عنصرا يجري مع علامات التّعيين (التّعريف والتّنكير)، إذ لا تجري

الكثير من الأسماء كذلك (مثلا الأسماء الأعلام والضّمائر). ورغم ذلك، تكون الإحالة على اسم جزءا من توصيف قوالب نحويّة لا تحصى، حتّى وإن كان ذلك بمفرده غير كاف لتحديد مجموعة العناصر المشاركة. وبالإضافة إلى ذلك، يكون من الواضح أنّ قدرا كبيرا من البنية اللّغويّة مسخَّر لتلبية الحاجة إلى عبارات تعرض الأشياء متراوحة بدءا من الأسماء المعجميّة حتّى الإسمائيّات التّامّة (الّتي تصنّف أيضا من الأسماء في النّحو العرفنيّ).

وعند الطّرف الآخر، تنشأ الأقسام الّتي تنتمي إليها العناصر انتماء اعتباطيّا، من خلال الحوادث عبر التّاريخ وتقلّبات الاستعمال. وهي تعكس، بالفعل، القوّة القاهرة المتمثّلة في أنّ طرقا مخصوصة كانت قد تأسّست عن طريق المواضعة، وأنّ من الواجب تعلُّمَها خلال عمليّة الاكتساب اللّغويّ. فعند المتكلّمين المعاصرين، يكمن السّبب في جمع [*wife*] على [*wives*]، عوضا عن [**wifes*]، ببساطة في أنّ النّاس يتكلّمون بتلك الطّريقة. ويجب عليهم، بالطّريقة نفسها، أن يتعلّموا - عن ظهر قلب أساسا - أنّ حفنة من الأسماء الأخرى مُنقَاسَة على قالب [*wife*] (بما فيها [*leaf* "ورقة"]، و[*knife* "سكّين"]، و[*thief* "سارق"]، و[*calf* "عجل"]، و[*life* "حياة"]، و[*loaf* "رغيف خبز"]، و[*half* "نصف"])، ولكنّ أسماء أخرى كثيرة ليست كذلك (مثل [*fife* "ناي"]، و[*puff* "نفخة"]، و[*reef* "شِعب"]، و[*safe* "خَزْنة"]، و[*belief* "معتقَد"]، و[*whiff* "نفحة"]، و[*cuff* "صفعة/ كُمّ"]، و[*cliff* "منحدر صخريّ"]، و[*staff* "طاقم"]، و[*waif* "لقيط"]، و[*chief* "قائد"]، و[*plaintiff* "مدّع"]). يحدّد هذا البديل الثّانويّ لبنية الجمع، حيث تتبادل [*f*] مع [*v*]، بصفةٍ ضمنيّة، قسما يتكوّن من تلك الأسماء الّتي تشترك فيه. ولا يمكن لنا أن نتوقّع عناصر هذا القسم على أساس معناها. فليس لها توصيف دلاليّ منسجم يميّزها من سائر الأسماء المنتهية بصوت [*f*].

تحدّد كلّ بنية قسما يتكوّن من العناصر الّتي تظهر فيها. وإذ تعلّقت العناصر بمشكل التّوزيع - أي مشكل تحديد أيّ العناصر تجري في أيّ القوالب- سمّيت الأقسام المحدَّدة بهذه الطّريقة الأقسامَ التّوزيعيّة. والبيِّن أنّ معرفة هذه الأقسام حاسمة في التّكلّم بلغة ما تكلّما صحيحا. فكيف يكون تمثيل هذه المعرفة، إذن؟ عند بلوغ مرحلة التّحكّم في هذا المظهر من المواضعة اللّغويّة، ما هو الشّيء الّذي يجب على المتكلّم أن يتعلّمه خصّيصا؟ يمكننا أن نتخيّل أجوبة بسيطة في ما يتعلّق بالطّرفين. فيحتمل أن

يكــون الجواب بأنّه ما من واحدة من الوضعيّتين الطّرفيّتين تتحقّق دائما وأبدا في شكلها الخالص.

هــب، أوّلا، أنّ قســما توزيعيّــا ما يطابق تمامــا مقُولة محــدَّدة دلاليّا (مثل الاســم، أو الاسم الجماد، أو الفعل الانقضائيّ). فيمكن للعناصر الّتي تجري في البنية، إذن، أن تتحدّد بمجرّد اســتدعاء تلك المقولة. وما يعنيه ذلك، في النّحــو العرفنيّ، يتمثّل في أنّ خطاطة تلك البنيــة تتضمّن الخطاطة المحدِّدة للمقولة واحدةً من الأبنية المكوّنة لها. بهذه الطّريقة، تصف الخطاطة البنائيّة الوقائع التّوزيعيّة وصفا مســتقيما، وتمســك بالتّعميمات الصّالحة. وحتّى في هذه الحال، ربّما يكون ذاك غيرَ مســتوف للمعرفة التّوزيعيّة عند المتكلّم. رأينــا فــي الفصل 8 أنّ الخطاطــات البنائيّة الّتي تصف القوالــب العامّة توجد مزامنــةً لأبنيــة ذات تخصيص أكثر تعكــس تنفيذَها التّواضعــيّ. وغالبا ما تكــون الخطاطــات البنائيّة من المســتوى الأدنى، حتّى تلــك الّتي تتضمّن وحدات معجميّة مخصوصة، أهمَّ عامل في تحديد الاستعمال التّواضعيّ.

هب، ثانيا، أنّ قســما توزيعيّا يكون عشــوائيّا تماما: لا يوجد أساس دلاليّ (أو من نوع آخر) لنتوقّع العناصر المنتمية إليه، ولو بصفة جزئيّة. في هذه الحالة، وجب ببســاطة أن تُتعلّم عناصره بصفة فرديّة، من حيــث مثّلت قائمة اعتباطيّة. يترجَم ذلك، بعبارات النّحو العرفنيّ، إلى أنّ ورود كلّ عنصر في القالب يُتعلَّم خصّيصا من حيث كان وحدة تواضعيّة متميّزة. فعلى ســبيل المثال، العبارات مــن قبيــل [*wives*] و[*leaves*]، و[*knives*]، وما إلى ذلك، يجب أن تُتَعلّم كما هي، بالإضافــة إلى الخطاطة البنائيّة الفرعيّة الّتي تمثّل القاسَــم المجرّد المشــترك بينها. ولكن، نادرا ما يكون إن لم يكن أبدا، قســم ما عشوائيّا بصفة مطلقة. ورغــم أنّ قائمة الأعضــاء يمكن أن تكون اعتباطيّــة، بوجه يجب فيه لكلّ واحــد أن يُتَعلَّم كما هو، فإنّها تنزع مع ذلك إلى التّكدّس في مناطق بعينها من الفضاء الدّلاليّ والصّوتميّ. ويمكن أن يكون بعض الأعضاء متشــابهين، دلاليّــا أو صوتميّا، بما يكفي ليقوِّي بعضُها انضمامَ بعضِها الآخر إلى القالب. فيمكن أن تنبثق عندئذ الخطاطاتُ لتمسك بمظاهر الانتظام المحلّيّة هذه (إذ ليس التّجريد الخطاطيّ إلاّ مجرّد تقوية للقاسم المشترك المتواتر). وإذا كان الأمر كذلك، كان في مقوِّمات القِســم ما يجاوز مجرّد قائمة في الأعضاء. فالقسم يُبين عن قدر ما من الانسجام والتّنظيم.

حتّى قسم الأسماء الّتي يتناوب فيها صوتا [*f*/*v*] في الإفراد والجمع، يساوي أكثرَ من مجرّد قائمة غير منظّمة. ولئن كان من الصّعب أن نثبت تجميعا لتلك العناصر على أساس دلاليّ، فإنّ توزيعها في الفضاء الصّوتميّ أبعد ما يكون عن العشوائيّة. أوّلا، كلّ العناصر أحاديّة المقطع. وفوق ذلك، ينـدرج أغلبها في عدد من الكتل المتقاطعة: (ا) [*wife* "زوجة"]، [*life* "حياة"]، [*knife* "سكّين"]؛ (اا) [*leaf* "ورقة"]، [*thief* "سارق"]، [*sheaf* "حزمة سنابل"]؛ (ااا) [*life* "حياة"]، [*leaf* "ورقة"]، [*loaf* "رغيف"]؛ (اااا) [*calf* "عجل"]، [*half* "نصف"]. تتأسّس المجموعتان (ا) و(اا) على النّواة الحركيّة. والعضو في كلّ واحدة منهما عضو من المجموعة (ااا) كذلك على أساس الحرف البدئيّ فيه. وأمّا المجموعة (اااا)، فالكلمتان [*calf*] و[*half*] لا تشتركان فقط في الحركة بل تشتركان كذلك في الخصيصة الكتابيّة المتمثّلة في حرف [*l*] الصّامت. ولا تَجتنِب مظاهر الانتظام المحلّيّة هذه، بأيّ وجه، الحاجةَ إلى أن يُتعلَّمَ كلُّ جمع على حدة. ولكنّ مظاهر الانتظام هذه تسهّل بالفعل عمليّة الاكتساب، من حيث تنبثق منها خطاطات من المستوى الأدنى تساعد على الحفاظ على قسم ما، بل تجتذب إليه في بعض الأحيان أعضاء جددا.

تتنوّع الأقسام التّوزيعيّة تنوّعا كبيرا من حيث طبيعة الانتظام في الانتماء إليها ومن حيث امتداده. ويمكن أن يتأسّس ذانك المظهران إمّا على الخصائص الدّلاليّة أو الصّوتميّة، أو على توليفة بينهما. ويمكن أن يستخرَج تعميم وحيد أو أيّ عدد من التّعميمات المحلّيّة. والتّعميمات مختلفة في مستوى التّخصيص فيها، وفي النّسبة الّتي تتضمّنها من مجموع الأعضاء، وفي قابليّة الاهتداء إليها لإجازة العبارات الجديدة. ويستوعب النّحو العرفنيّ الأقسام التّوزيعيّة رغم تنوّعها، استيعابا مباشرا وبطريقة موحّدة بأن يفترض افتراضا صالحا وجود شبكات متشكّلة من الخطاطات البنائيّة (§ 8. 3). والخطاطات المشتملة على شبكة موصَّفةٌ على مستويات متنوّعة من التّجريد وهي مختلفة زيادة على ذلك في درجة الرّسوخ وسهولة الإنشاط. وترصد كلّ واحدة منها تعميما محلّيّا أو شاملا يهمّ العناصر الّتي يُسمَح بوجودها في البنية. ويرتبط توسُّعُ تعميم ما ليشمل حالات جديدة، بقدرة الخطاطة الّتي تجسّده على الفوز في التّنافس في سبيل أن تُنتقَى بنيةً ممقولِة (§ 8. 2. 1).

يتطلّب، في هذه المقاربة المتأسّسة على الاستعمال، الانتماءُ إلى قسم توزيعيّ مسردا في الأعضاء منفصلا. بل يكون بالأحرى متأصّلا في وصف

تامّ للبنية يتحدَّد القسمُ في ضوئه. فالقوالب النّحويّة لا تُتعلّم معزولةً، ولكن يجري تجريدها من العبارات الّتي تتكوّن من عناصر مخصوصة تَحُلّ في كلّ موضع. وفي الشّبكة الّتي تصف قالبا ما، تُجري كلّ خطاطة بنائيّة تخصيصا يتعلّق بالعناصر المشاركة فيها. وتتضمّن خطاطاتُ المستوى الأدنى الوحداتِ المعجميّة المخصوصة الّتي كانت قد استقرّت في القالب. فمن خلال هذا التّوليف بين الانتظام والفرادة (بأيّ نسبة كانت)، تُخصَّص العناصر المناسبة بكونها جارية في ذلك القالب.

وعلى عكس ذلك، تُتَعلّم الوحدات المعجميّة في سياق عباراتٍ أكبر تشتمل عليها. فتكون على هذا، مجموعةُ الأطر البنيويّة الّتي تمثّل الأبنيةَ الّتي يجري فيها العنصر المعجميّ، جزءا من توصيفه. وليست هذه الأطر إلاّ خطاطات المستوى الأدنى البنائيّة الّتي تُحدِّد القوالبَ المعنيّة (انظر الرّسم البيانيّ 8. 13). ففي منظور متأسّس على الاستعمال، لا يتطلّب انتماء عنصر معجميّ ما إلى قسم توزيعيّ توصيفا منفصلا ولكنّه متأصّل في وصفه التّامّ. فالخطاطة البنائيّة الفرعيّة [send NML NML] "[أرسل **إسمائيّ إسمائيّ**]، على سبيل المثال، توفّر معلومات تنصّ على أنّ [*send* "أرسل"] تَجري في بنية التّعدية إلى مفعولين (§ 8. 3. 2)- دون أن يتطلّب ذلك وسما خاصّا. وبالمثل، يشير وجود الوحدة التّواضعيّة [*wives* "زوجات"] في ذاتها إلى مشاركة [*wife* "زوجة"] في قالب التّبادل الجمعيّ [*v /f/ v*].[25]

ورغم الأهميّة الّتي تكتسيها الأقسام التّوزيعيّة، فهي لا توجد في ذاتها موضوعا للوعي ظاهرا أو حتّى في شكل وحدات لغويّة متميّزة. وعوضا عن ذلك، تعتبَر في تفسير النّحو العرفنيّ من صميم التّوصيف التّامّ المناسب للأبنية وللعناصر المعجميّة. ويصحّ الكثير من ذلك على الأقسام الّتي تحدَّد دلاليّا. فما يجعل من شيء ما اسما، على سبيل المثال، لا يتمثّل في أنّه حامل لأيّ شارة خاصّة، أو في كونه موجودا ضمن قائمة في أعضاء مقولة ما تُتعلّم كما هي وجوبا. وما يجعل منه اسما، عوضا عن ذلك، هو مظهر صميميّ في معناه: أي أنّه يَعرِض شيئا. وبطريقة مماثلة، يرتبط التّمييز بين المعدود والكتلة في الأسماء بما إذا كان هذا الشّيء منبنيا على أنّه محدود، ويرتبط التّمييز بين الاسم المشترَك والاسم العلَم بما إذا كان النّوع المخصَّص متصوّرا على أنّه ذو نماذج متعدّدة (انظر الرّسم البيانيّ 10. 3). وعندما نتحدّث عن خطاطةٍ لقسم من هذا القبيل، أو عن علاقاتِ مقْوَلةٍ بين الخطاطة وأعضائه، لا يستلزم ذلك

أنّ هذه المفاهيم منفصلة ومتمايزة. والخطاطات، على عكس ذلك، متأصّلة في تحقّقاتها وهي تبعا لذلك كامنة في تصوّرها.

كنّا إلى هذا الحدّ ننظر في نوعين من الأقسام: الأقسام التّوزيعيّة، والأقسام الّتي تُحدَّد على أساس المعنى. يتضمّن القسم التّوزيعيّ العناصر الّتي تجري في قالب مخصوص أو في بنية بعينها. وتتحدّد عناصره بهذه الخصيصة الوحيدة، دون اعتبار لأيّ واحد من مظاهر الانتظام الدّلاليّ الّذي يمكن أن تُظهرَه. ومن جهة أخرى، يُعتبَر في النّحو العرفنيّ، أنّ للمقولات الأساسيّة مثل الاسم والفعل، تعريفا دلاليّا. ورغم كونهما مركزيّين في التّنظيم النّحويّ ومشاركة عناصرهما في أبنية كثيرة، لا تستدعى أيّ بنية خاصّة لتوصيفهما. وليس هذان الضّربان الأساسيّان من الأقسام الإمكانيّتين الوحيدتين. فاللّغات تقدّم لنا، كذلك، حالات وسطى، أي أقساما تتحدّد دلاليّا بصفة جزئيّة لا بصفة مطلقة، ولا يجري التّعرّف عليها من خلال جريانها في بنية واحدة فقط بل في عدد من الأبنية كذلك.

أفكّر في أقسام "الجنس" في اللّغة، الّتي تسمّى كذلك لأنّ الأمثلة الأوّليّة منها تتكوّن من أقسام الاسم الّتي تحمل تسميات تقليديّة من قبيل "مذكّر" و"مؤنّث"، و"محايد". واللّسانيّون مغرَمون بالتّشهير بعدم الملاءمة في تلك التّسميات، إن لم يكن بالحمق في تلك التّسميات. فعلى أيّ أساس عقلانيّ، يمكن للمرء أن يقول، على سبيل المثال، إنّ الكلمة الألمانيّة [*Löffel* "ملعقة"] مذكّر، و[*Gabel* "شوكة"] مؤنّث، و[*Messer* "سكّين"] محايد؟ لَم تُوضَعْ هذه الأقسام لأنّ العناصر فيها تعبّر عن معنى متماسك، بل لأنّها تدخل نحويّا في قالب واحد من حيث علامات التّصريف في أواخرها، ومن حيث شكل العناصر الّتي تتوارد معها (مثل: علامات التّعيين الّتي للتّعريف والتّنكير، والعناصر الإشاريّة، والصّفات)، بدلا من ذلك. وفوق ذلك، لم تُختَر التّسميات التّقليديّة اختيارا اعتباطيّا. فهي بالفعل مناسبة دلاليّا لمجموعة مهمّة من المفردات اللّغويّة تعكس فيها تلك التّسمياتُ حقيقةً الجنسَ البيولوجيّ. فعلى سبيل المثال، تشتغل [*Mann* "رجل"] نحويّا اسما مذكّرا، و[*Frau* "امرأة"] مؤنّثا، و[*Kind* "طفل"] محايدا (إذ يمكن أن يكون الطّفل ذكرا أو أنثى).[26]

ومن الدّارج كثيرا أن تنقسم الأسماء في لغة ما إلى مقولات من هذا النّوع العامّ. واللّغات مختلفة في عدد الأقسام الّتي تظهرها، وفي درجة الانسجام الدّلاليّ فيها، وفي الخصائص الدّلاليّة الّتي تتأسّس عليها تأسّسا جزئيّا.

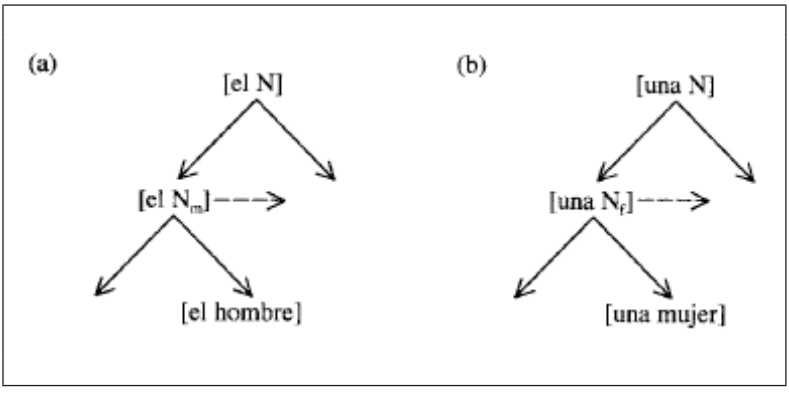
وبالإضافة إلى الجنس، يمكن للأقسام أن تنشدّ بمجموعة واسعة من المفاهيم البارزة ثقافيّا: 'شخص'، "حيوان"، 'آلهة'، 'مصنوع"، 'أداة'، 'شجر'، 'نبت'، 'غلال'، 'مجموعة'، 'سائل'، 'غذاء'، وما إلى ذلك. وتختلف اللّغات أيضا في مجموعة الأبنية النّحويّة الّتي تُوضَع الأقسامُ على أساسها. ورغم أنّ هذه الأقسام معقّدة نوعا ما من النّاحية الوصفيّة (من زاوية الانتماء، والتّشعُّبات النّحويّة، والتّطوّر التّاريخيّ)، يمكن أن تعتبَر خرجا طبيعيّا لعمليّات ذهنيّة عامّة. أوّلا، تعكس هذه الأقسام انبثاق المقولات المعقّدة (الّتي تقبل الوصف على أنّها شبكات) متوسِّعة من طراز. ثانيا، تُتعلَّم العناصر المعجميّة من خلال جريانها في أطر بنيويّة مخصوصة يُحتفَظ بها تبعا لذلك مظهرا من مظاهر توصيفها.

لتوضيح الأمر بمثال يكون في المتناول، يمكن أن نجري إطلالة سريعة على الأسماء في الإسبانيّة الّتي تنقسم بوضوح إلى مقولتين كبريين. فالتّمييز الدّلاليّ الّذي ينشدّان إليه هو الجنس: الأسماء مثل [*hombre* "رجل"]، و[*hijo* "ابن"]، و[*tío* "عمّ/خال"]، مذكّرة، في حين تكون [*mujer* "امرأة"]، و[*hija* "بنت"]، و[*tía* "عمّة/خالة"]، مؤنّثة.[27] لكنّ هذا التّمييز بين المقولتين ينسحب في المعجم على كامل الأسماء الّتي يكون بالنّسبة إلى بعضها مفهوم 'المذكّر' والمؤنّث' غيرَ مفيد. على سبيل المثال، تكون [*tenedor* "شوكة"]، و[*mes* "شهر"]، و[*techo* "سقف"] من المذكّر، في حين تكون [*cuchara* "ملعقة"]، و[*semana* "أسبوع"]، و[*casa* "منزل"] من المؤنّث. وبذلك يكون أساس المقولة، في العموم، نحويّا لا دلاليّا. يتمايز المذكّر والمؤنّث من الأسماء بسلسلة كاملة من الخصائص النّحويّة، لا نذكر منها إلاّ ثلاثا: يختلفان في شكل علامة التّعريف ([*el hombre* "الرّجل"] مقابل [*la mujer* "المرأة"])، وفي علامة التّنكير ([*un hombre* "رجل"] مقابل [*una mujer* "امرأة"])، وفي بعض الصّفات المحوِّرة ([*hombre simpático* "رجل لطيف"] مقابل [*mujer simpática* «امرأة لطيفة»]).

بناء على مجموعة المعطيات هذه، ما هي أنواع الوحدات اللّغويّة الّتي يمكننا أن نضعها، في ضوء ما ينصّ عليه شرط المضمون؟ أوّلا، يمكن أن تنصهر العبارات المخصوصة لتكوين وحدات إن جرت في الاستعمال بأيّ وتيرة كانت. يكون هذا الأمر محتمَلا خاصّة في حالة علامات التّعيين (التّعريف والتّنكير)، بوجه يمكّننا من أن نضع، بصفة مقبولة، عددا كبيرا من الوحدات التّواضعيّة من قبيل ما يلي: [un hombre "رجل"]، [la mujer "المرأة"]، [un tenedor «شوكة»]، [el techo «سقف»] ، [una semana «أسبوع»]، إلخ. وممّا يسمَح به كذلك شرط المضمون التّجريداتُ

الخطاطيّة للعبارات الجارية. فعلى أساس عبارات من قبيل [*el hombre*]، و[*el hijo*]، و[*el tío*]، يمكننا تبعا لذلك أن نضع الخطاطة البنائيّة [el N_m] حيث تشير [N_m] إلى اسم يحيل على شخص ذكَر. تمثّل هذه الخطاطة تعميما هامّا يتعلّق باستعمال [*el*]. ولكنّه لا يروي الحكاية كاملة. بما أنّ [*el*] تُستعمَل بالإضافة إلى ذلك مع أسماء من قبيل [*tenedor*]، و[*mes*]، و[*techo*]، وأسماء أخرى لا تحصى، تخصَّص الخطاطة من المستوى الأعلى ببساطة جريانها مع اسم: [el N]. وقياسا على ذلك، تنشئ عبارات مثل [*la mujer*]، و[*la hija*]، و[*la tía*]، الخطاطةَ البنائيّة [la N_f] (حيث يكون [N_f] اسما يحيل على أنثى)، في حين يدعم الاستعمال الآخر لـ[*la*] مع [*cuchara*]، و[*semana*]، و[*casa*]، إلخ، الخطاطةَ من المستوى الأعلى [la N].

وبالمثل، تنبثق الخطاطات في مستويات مختلفة من التّجريد انطلاقا من عبارات تشتمل على علامة تنكير أو صفة محوِّرة. فالخطاطات الّتي تشتمل على علامة تنكير تحتوي على [un N_m]، و[un N]، و[una N_f]، و[una N]. ويمكن أن نضع للصّفات [N_m ... o]، و[N ... o]، و[N_f ... a]، و[N ... a] (حيث تمثّل (*o* ...) و(*a* ...) صفات تنتهي بـ[*o*] و[*a*]). وبطبيعة الحال، هذه الخطاطات المتنوّعة لا توجد معزولة الواحدة منها من الأخرى. وما يربط بينها هي علاقات المقْوَلة (وهي ممّا يسمح به شرط المضمون كذلك)، من قبيل [[el N] → [el N_m]]، و[[el N_m] → [el hombre]]، و[[una N_f] → [una mujer]]. وبهذه الطّريقة، تنتظم الخطاطات البنائيّة، والعبارات المحقِّقة لها في شبكات تمثِّل القوالبَ النّحويّة العامّة وتنفيذَها المخصوص في الاستعمال التّواضعيّ، في آن. يُعرَض جزآن من هذه الشّبكات في الرّسم البيانيّ 10. 15.



الرّسم البيانيّ 10. 15

وتترابط شبكات الأبنية بدورها بطرق متنوّعة. يوفّر، بوجه خاصّ، العنصر المعجميّ الّذي يظهر في أبنية متعدّدة نقطةَ تراكبٍ بينها. فلا شكّ في أنّ اسما متواترا مثل [*hombre*]، مثلا، راسخ رسوخا جيّدا في عدد من الأطر البنيويّة: [hombre ... o]، [un hombre]، [el hombre]، إلخ. وكلّ واحدة من هذه الوحدات المركّبة جزء من الشّبكة الّتي تصف قالبا عامّا. ولا تنفصل الأطر بعضها عن بعض لأنّها تشترك في المكوّن [*hombre*]. وبما أنّ الأطر تتقاطع بهذه الطّريقة، تتقاطع كذلك الشّبكات الّتي تمثّلها بالطّريقة عينها. وبالفعل، يكون كلُّ عنصر معجميّ يظهر في القوالب الثّلاثة جميعها نقطةَ التّقاطع بالنّسبة إليها.

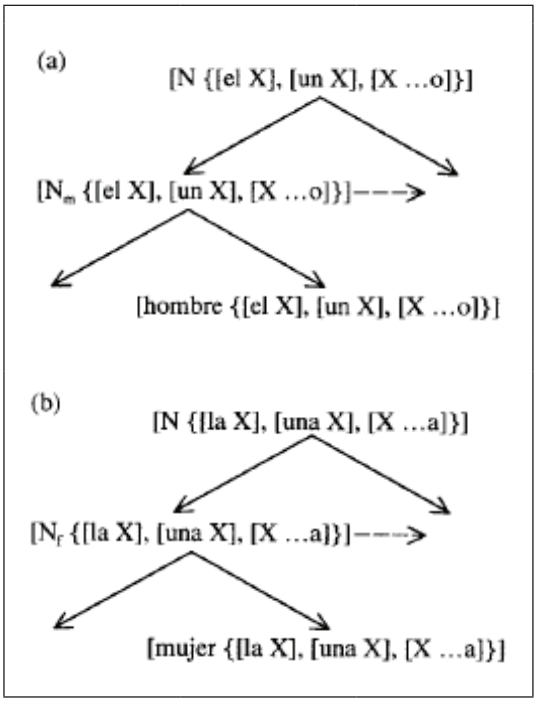
يعود ظهور كلمة [*hombre*] ظهورا منعزلا في كلّ واحدة من الصّياغات إلى قصور في هذه الصّياغة. فمن المفروض أنّ هذا الأمر لا يحجب تطابق هويّتها الحقيقيّة في الأطر الثّلاثة، أو حقيقة كونها تربط بين تلك الأطر ربطا واحدا لتكوين تجميعة رمزيّة على المستوى الجدوليّ. ولعرض هذه الهويّة بطريقة أكثر مباشرة، يمكننا أن نعتمد صياغة بديلة: [{ [X ... o], [[un X], [el X]} hombre]. المقصود بهذه الصّياغة أن تشير إلى أنّ [*hombre*] تجري في محلّ العنصر [X] في الأطر الثّلاثة جميعها. وتمثّل المعقوفتان الخارجيّتان كامل التّجميعة الجدوليّة الّتي تكوّنها تلك الأطر الثّلاثة. ويمكن أيضا أن تؤخَذ على أنّها تشير إلى التّوصيف الشّامل لكلمة [*hombre*]– لا لشكلها ومعناها الأساسيّين فقط بل للأطر البنيويّة الّتي تجري فيها كذلك.

[[el hombre] [un hombre] [hombre ... o]] = [hombre { [el X], [un X], [X ... o]}] (14)

وبطبيعة الحال، تنشئ العناصر المعجميّة الأخرى تجميعات جدوليّة مماثلة[1]: [hijo {[el X], [un X], [X ... o]}], [techo {[el X], [un X], [X ... o]}] ، إلخ. وطالما كانت هذه التّجميعات متشابهة، تكون بذاتها عرضة للتّجريد الخطاطيّ. فنحصل تبعا لذلك من الأسماء الدّالّة على الأحياء، على التّجميعة الخطاطيّة التّالية: [N_m {[el X], [un X], [X ... o]}]. ومن مجموعة الأسماء الّتي تنقاس على هذا القالب بأكملها، نحصل على تجميعة أمضى في الخطاطيّة من سابقتها: [N {[el X], [un X], [X ... o]}]. وتحدث نفس التّطوّرات مع الأسماء المؤنّثة، حدوثا طبيعيّا، منتجة التّجميعتين الرّمزيّتين

1 ـ تقرَأ التّمثيلات الرّمزيّة المكتوبة بالحروف اللاّتينيّة من اليسار إلى اليمين.

التّاليتين: [N {[la X], [una X], [X ... a]}]؛[N_f { [la X], [una X], [X ... a]}] يُعرَض ذلك عرضا مختزلا في الرّسم البيانيّ 10. 16.



الرّسم البيانيّ 10. 16

تكوّن الشّبكات الّتي تتضمّن هذه الخطاطات وتحقّقاتها وصفا للأسماء المذكّرة والمؤنّثة في الإسبانيّة.[28] تصف الخطاطتان من المستوى الأعلى [N {[el X], [un X], [X ... o]}]، و[N {[la X], [una X], [X ... a]}]، المقولات من زاوية سلوكِها النّحويّ فقط. والخطاطتان من المستوى الأدنى [N_m {[el X], [un X], [X ... o]}]، و[N_f {[la X], [una X], [X ... a]}]، اللّتين تحيلان خصّيصا على الخصيصتين الدّلاليّتين 'ذكر' و'أنثى'، تمثّلان طرازَي المقولة. نتوصّل بهذه الطّريقة إلى رصد العمليّة الّتي بها تنشدّ المقولات، وإلى تحديد طبيعتها النّحويّة أساسا كذلك. تقيّد هذه الشّبكات، كما عرضنا بإجمال في الفصل 8، السّلوكَ التّواضعيّ الّذي يكون للأسماء المعهودة، وتُستحضَر بصفة فوريّة لتُتّخذ قوالب للجديد من لأسماء. ولئن كان تصنيف الكثير من الأسماء أمرا اعتباطيّا صرفا (أي مسألة مصادفة تاريخيّة)، فإنّ الوصف المناسب للمقولات لا يتطلّب أكثرَ من تجميعات من الأبنية الرّمزيّة.

10. 3. 2 أبنية المسوّرات

عندما تنقسم الأسماء في لغة من اللّغات إلى أقسام منشدّة إلى أطر دلاليّة، تتجلّى غالبا هذه الأسماء في شكل مصنِّفات. تكون مصنِّفات الأسماء الّتي تتراوح عدّا بين قلّة قليلة إلى عدد من العشرات، في ذاتها أسماءً خطاطيّة. ومعانيها خطاطيّة باعتبار الأسماء الّتي تصنِّفها أو الأسماء الّتي تمثّل طراز المقولة، على الأقلّ.[29]

تتّصل مصنّفات الأسماء، من زاوية نحويّة، اتّصالا وثيقا بالتّسوير، والتّجذير، والإحالة العائديّة. وتتولّف بوجه خاصّ توليفا مباشرا مع مسوّر، أو عنصر إشاريّ أو عنصر دالّ على الملكيّة لتكوين إسمائيّ خطاطيّ. هذا الإسمائيّ يتوالف مع اسم معجميّ ليشتقّ إسمائيّا من مستوى أعلى أكثر تخصيصا من حيث النّوع الّذي يدلّ عليه. وفي ما يلي بعض الأمثلة من اللّغة التّايلنديّة:

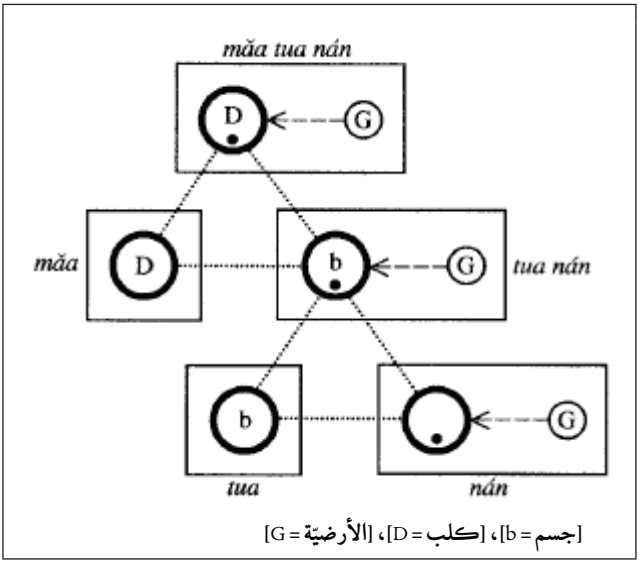
(15)

(أ)	(ب)	(ج)
khruu lâaj khon	*măa tua nán*	*sôm hâa lûuk*
teacher three person	dog body that	orange five fruit
‹شخص ثلاثة أستاذ›	‹ذاك جسم كلب›	‹غلّة خمسة برتقال›
‘three teachers’	‘that dog’	‘five oranges’
«ثلاثة أساتذة»	«ذاك الكلب»	«خمس برتقالات»

في (15) (ب)، مثلا، يتوالف المصنِّف [*tua*] مع العنصر الإشاريّ [*nán*] لتكوين الإسمائيّ الخطاطيّ [*tua nán* ”ذاك الجسم“]. ويمكن حينئذ أن يُبلوَر النّوعُ الخطاطيّ ’جسم‘ باسم من قبيل [*măa* ”كلب“]، عند مستوى أعلى في البنية. ويمكن للإسمائيّ الخطاطيّ، بدل ذلك، أن يستويَ وحدة قائمة بذاتها وأن يستعمَل استعمالا إحاليّا عائديّا. في هذه الحالة، تكون [*tua nán*] مشابهة لعبارة [*that one* ”ذلك الواحد“] الإنجليزيّة، باستثناء أنّ [*tua*] تشير إلى مقولة المرجع العامّة.

ومقارنةً بالبنية القياسيّة الموصوفة في الفقرة § 10. 1. 1، يكون للإسمائيّات القائمة على المصنِّفات تنظيم مختلف اختلافا أساسيّا. فالمطّرد في لغة مثل الإنجليزيّة، أن يقع الاسم المعجميّ في النّواة من البنية الإسمائيّة عندما تقترن بأدوات التّسوير والتّجذير الّتي تمثّل بذلك الطّبقات البنيويّة الخارجيّة

القصوى: ((((*oranges*)) *rotten*) *five*) *those*) [(تلك (خمس (فاسدة (برتقالات))))، "تلك البرتقالات الخمس الفاسدة"]. ومقابل ذلك، يكون الاسم المعجميّ في عبارات من قبيل (15)، طرفيّا بل يكون اختياريّا. تتكوّن النّواة البنيويّة من مصنِّف مسوَّر، من قبيل [*măa* "كلب"] الّذي يمكن أن يزاد عليه اسم معجميّ: ((*măa* (*tua nán*). يُعرَض هذا التّنضيد في الرّسم البيانيّ 10. 17، حيث يكون (b) النّوعَ الخطاطيّ (الّذي يشرح هنا بكلمة [body "جسم"]) المخصَّصَ بالمصنِّف، ويكون (D) النّوعَ المخصوص [dog "كلب"]. لاحِظ أنّ المصنِّف هو في الواقع الاسُم المجذَّر. فما يفرده العنصر الإشاريّ على أنّه مرجعُ الإسمائيّ، إنّما هو عيِّنة من [*tua* "جسم"]. والاسم المعجميّ [*măa* "كلب"] لا يُجذَّر تجذيرا مباشرا ولكنّه ببساطة يبلور وحدة مجذّرة من النّوع. وبطبيعة الحال، يُفرِد الإسمائيّ في كلّيّته، بصفة غَير مباشرة، عيّنةً من النّوع المخصَّص معجميّاَ ويجذِّرها.



الرّسم البيانيّ10 . 17

والاسم المعجميّ نفسه غالبا ما يكون قادرا على الجريان مع مصنِّفات بديلة، كلّ واحد منها يفرض انبناء مختلفا على مضمونه. ففي الصّينيّة المندرينيّة، مثلا، يجري الاسم [*shéngzi* "حبل"] مع [*tiáo* "شيء رقيق، طويل"]، أو [*juǎn* "لفافة"]، أو [*duàn* "قطعة"]، واصفا على هذا النّحو المرجعَ بكونه حبلا، أو لفافة حبل، أو قطعة من حبل: [*yī-tiáo shéngzi* "حبلٌ"]، [*liǎng-juǎn*

shéngzi "لفافتا حبل"]، [*shéngzi zhè–duàn* "قطعة الحبل هذه"]. نرى في المثالين الثّاني والثّالث بوادر الانتقال بين التّصنيف البسيط وظاهرة ذات صلة به ترتبط عادة بالشّكل النّحويّ نفسه. ومن المعقول أن نقول إنّ الحبل ينتمي إلى قسم الأشياء الدّقيقة الطّويلة. ولكن هل يمكننا أن نقول إنّ حبلا ملفوفا ينتمي إلى قسم اللّفائف؟ أو إنّ حبلا قصيرا ينتمي إلى قسم القِطَع؟ هنا، تكون مقارنة العبارات الصّينيّة المندريّنيّة بنظيراتها من الإنجليزيّة، مفيدة. فالمستعمَل في الإنجليزيّة [*coil* "لفافة"] و[*piece* "قطعة"] لترجمة [*juǎn*] و[*duàn*]، ولكن لا شيء لترجمة [*tiáo* "لفافة حبل، قطعة حبل، حبل"].

هذه الظّاهرة الأخرى الّتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمصنِّفات عبر اللّغات، هي ظاهرة صوغ الواحد(ة) من الكتلة.[30] تتمثّل هذه الظّاهرة، من زاوية دلاليّة، في تصوُّرِ جزء ما من كتلة ما على أنّه وحدة متفاصلة الأبعاض محدودة. وهذه الوحدة، رغم أنّها تتألّف من "مادّة" تكوّن الكتلة، توجَد مستقلّة بذاتها من حيث هي كيان متميّز منفصل. فاللّفافة [*coil*]، مثلا، ليست مجرّد حبل أو سلك، ولكنّها شيء يمكننا التّعرّف عليه من خلال شكله بصرف النّظر عن مادّته. وبالمثل، لا تكون [*stack of plates* "كومة الصّحون"] مجرّد صحون - هي كومة أيضا، أي وحدة من مستوى أعلى ذات شكل ووظيفة خاصّين بها. ومن زاوية نحويّة، يتحقّق صوغ الواحدة باعتماد الأسماء المعدودة الّتي تعرض المجموعات، أو التّشكّلات، أو العناصر المكوّنيّة، أو الحاويات: [*flock* "سرب، قطيع، جزّة صوف، فوج"]، [*pack* "حزمة، رزمة، علبة"]، [*cluster* "عنقود، جماعة، لمّة"]، [*pile* "كومة، كدس"]، [*grain* "حبّة"]، [*speck* "نقطة، بقعة"]، [*drop* "قطرة"]، [*slice* "شريحة"]، [*chunk* "جزلة، جزء كبير"]، [*cup* "كأس، كوب، طست، فنجان"]، [*bottle* "قارورة، زجاجة، قنينة"]، [*bag* "كيس"]، إلخ. يعكس صوغ الواحدة نزوعا طبيعيّا عندنا إلى تصوّر العالم على أساس الأشياء المتفاصلة الّتي لا يمكننا أن نتمثّلها في كلّيتها أو أن نعالجها معالجة فرديّة. يسمح صوغ الواحدة بأن ينطبق على الكتل، الجهازُ الدّلاليّ والنّحويّ المتأسّس على الأسماء المعدودة.

فالواحدة والجزء الّذي تضبط هذه الواحدةُ حدودَه من الكتلة الشّاملة، متطابقان في الامتداد بصفة أساسيّة. وباعتبار المرجع في العالم الواقعيّ، تكون [*drop of water* "قطرة من الماء"] نفسَ الشّيء والماء الّذي يكوّنها، ولا يتكوّن [*flock of geese* "سرب من الإوزّ"] من شيء ما عدا الإوزّ. وتتميّز الحاوية عن محتوياتها

تميّـزا أوضح ممّـا مضى- فإن أزلْـتُ الخمرة من قـارورة الخمر، تظـلّ القارورة موجودة دائما. والحجم الّذي تضمّه الحاوية، إضافة إلى ذلك، مطابق في الامتداد الفضائـيّ للكتلة الّتي تملأها. ويحكم التّطابـق بينهما، قد يكون من غير البيّن إن كانت العبارة المركّبة محيلةً على الواحدة أو على الكتلة الّتي تحدّها فقط. والأمر دائما محلّ جدال: إذا ما رأيتُ سـربا من الإوزّ، أرى في آن واحد السّـربَ (الّذي يتكوّن من الإوزّ) وطيورَ الإوزّ (الّتي تكوِّن السّرب). ومع ذلك، يكون التّمييـز في بعض الأحيان بوسـائل لغويّـة. في (16) (أ)، ينعكس البروز النّسـبيّ للواحـدة وللكتلة المحدودة في اختيار الضّمير العائـد ([*it*] مقابل [*they*])، كما يكون كذلك في وسـم العدد فـي تصريف الفعل ([*was*] مقابـل [*were*]). ومع أسـماء الحاويـة تحيل العبارة المركّبـة إمّا على توليفة بيـن الحاوية والمحتوى، كما في الجملة (16) (ب)، أو بدل ذلك على المحتوى فقط، كما في الجملة (ج). وليس من الجائز للعبارة أن تحيل على الحاوية دون غيرها، كما في (د).

(16) (أ) *I saw a flock of geese. {It was / They were} clearly visible against the blue sky.*
رأيت سربا من الإوزّ. {كان/ كانت} ظاهر(ا/ة) بوضوح في زرقة السّماء.

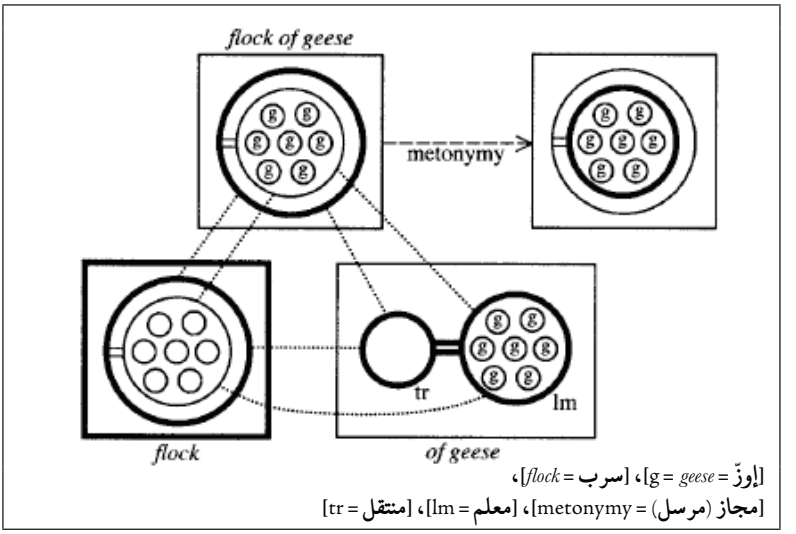
(ب) *She stacked three bags of mulch in the wheelbarrow.*
عبّأت (هي) ثلاثة أكياس من النّشارة في العربة اليدويّة.

(ج) *She spread three bags of mulch around the roses.*
نشرت (هي) ثلاثة أكياس من النّشارة حول الورود.

(د) **The bags of mulch were plastic.*
*الأكياس من النّشارة كانت بلاستيكيّة.

تُعـرَض بنية هذه العبارات، باعتماد المثال [*flock of geese* "سـرب من الإوزّ]، عرضا مختزلا في الرّسم البيانيّ 10. 18. ويمثّل معنى الحرف [*of*]، عاملا مفتاحا فـي جميع ذلـك.[31] تعرض [*of*]، فـي خطوطها العامّة، علاقـة صميميّة بين شـيئين. وعلى سـبيل المثَال، يكون معروضها، من زاوية طرازيّة، جزءا فرعيّا صميميّـا من معلَمها (مثل قولنـا [*finger the tip of my* "طرف أصبعي"]).[32] يدلّ، تبعـا لذلك، المركّـب [*of geese* "من الإوزّ"] على علاقـة صميميّة (يمثَّل لها بالخطّ المضاعف) تكون لمنتقلِها بكتلة تتحدّد بكونها إوزّا(ت). فيناسب منتقلُها، وفق القالب العامّ لتحوير الاسـم، الشّيءَ الّذي تعرضه [*flock* "سرب"]. ويسـتدعي اسـم الواحدة من قبيل [*flock*] كذلك علاقة صميميّة: هي علاقة التّطابق في الامتداد بين الواحدة المعروضة (الّتي يشار إليها بالدّائرة الخارجيّة في الرّسم البيانيّ) وكتلة مكرّرة (الدّائرة الدّاخليّة). وبذلك، يتحقّق الدّمج بين البنيتين المكوّنيّتين من خلال التّحديد الّذي تقوم عليه كلّ من العلاقتين

الصّميميّتين. ينعكس ذلك بطريقة تخطيطيّة في خطٍّ تناسبٍ ثان يربط معلَم الحرف بالكتلة الّتي تصوغ [*flock*] الواحدةَ منها.



الرّسم البيانيّ 10. 18

تعيِّن الخطاطة الأساسيّة لتحوير الاسم الاسَم المحوَّر بكونه رأسا بنائيّا (محدِّد المعروض). ووفقا لذلك، نتوقّع أن تعرض البنية المركّبة [*of geese* *flock* "سرب من الإوزّ"] الواحدةَ المحدودة [*flock*] عوضا عن كتلة الإوزّ الّتي تضبط حدودها. ولكن كنّا رأينا أنّ الانبنائين ممكنان. فالتّأويلان كلاهما مترابطان عن طريق المجاز (المرسَل)، وهذه مسألةٌ تتعلّق بمعروضين بديلين قائمين على نفس الأساس المفهوميّ. فإمكانيّة عرض الواحدةِ أو الكتلة الّتي تعادلها في الامتداد، تَحقُّقٌ لقالب مجازيّ (مرسَل) عامّ في الإنجليزيّة.

تكون أبنية صَوْغ الواحدة من الكتلة مصدرا لعبارات أمضى في درجة الإنحاء الّتي تزداد مركزيّة في نظام التّسوير في الإنجليزيّة. يمثّل [*a lot of* "كمّ كبير من/ كمّيّة كبيرة من»]، [*a bunch of* " مجموعة من»]، على وجه الخصوص، بديلين راسخين جيّدا للمسوِّرين المطلقين [*many* "(الـ)كثير (من)"]، و[*much* "مقدار كبير"]:

(17) (أ) *We invited* {*many* / *a lot of* / *a bunch of*} *people to the party.*
(نحن) دعونا {الكثير من/كمّا كبيرا من/مجموعة كبيرة من} النّاس إلى الحفل.
(ب) *They drank* {*??much* / *a lot of*} *beer.*

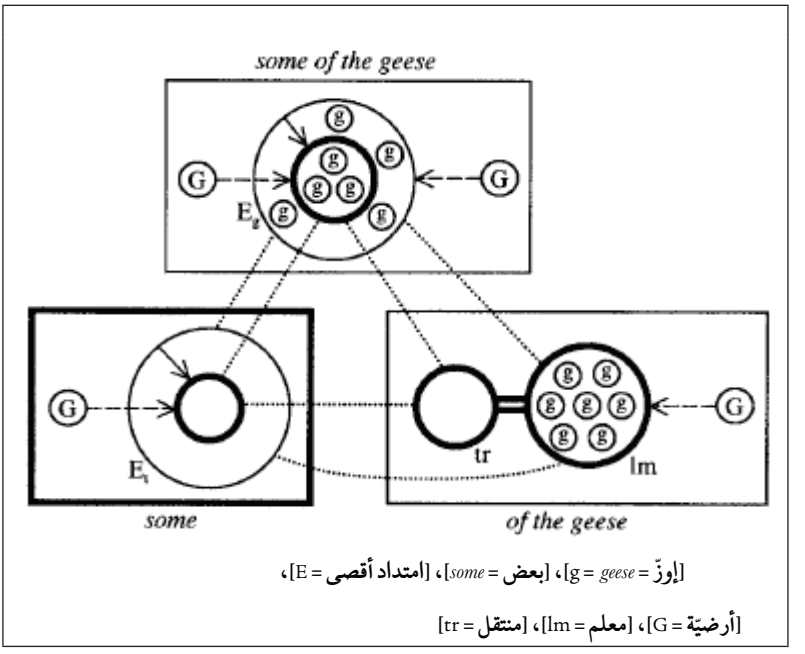
(هم) شربوا {؟؟ مقدارا كبيرا/ كمّيّة كبيرة من} الجعة.

ومن العوامل المفصليّة في إنحاء تلك العبارات أن تلاشى من الوعي المعنى الحسّيُّ الأصليّ في [*lot*] و[*bunch*]، حيث تدلّ [*lot*] على مجموعة (متجانسة) من الأشياء (خاصّة ما تعلّق بالبيع في المزاد العلنيّ)، وتدلّ [*bunch*] على باقة من الأشياء تحزَم في كتلة واحدة (مثل [*bunch of grapes* "عنقود العنب"]. وقد بلغ ضياع المضمون هذا تقريبا حدّا صار فيه [*lot*] و[*bunch*] مجرّد علامتين على الكمّيّة تدلاّن على امتدادٍ ما على سلّم ما من الكمّيّة. وكلّ ما بقي من المعنى الأصليّ في الواحدة منهما، هو وظيفة تحديد الكتلة من زاوية كمّيّة. وإذ لم تعد هناك واحدة حسّيّة تكون عليها الإحالة، تصير النّقلة المجازيّة الواردة في الرّسم البيانيّ 10. 18 أمرا إجباريّا. وممّا يمثّل مظهرا صميميّا في توصيف العبارات المركّبة ذات الشّكل [*a* {*lot* / *bunch*} *of N*] أنّها لا يمكن أن تعرض إلاّ الكتلة المسوَّرة (*N*)، لا الواحدة المسوِّرة ([*lot*] أو [*bunch*]). يتجلّى ذلك من الإحالة العائديّة ووسم العدد في تصريف الفعل في آن، كما يُرى في المقارنة بين (18) و(16) (أ):

(17) (أ) *I saw a* {*lot* /*bunch*} *of geese*. {**It was* /*They were*} *clearly visible against the blue sky*.
رأيت {كمّا كبيرا / مجموعة} من الإوزّ. {كان / كانت} ظاهر(ا/ة) بوضوح في زرقة السّماء.

وممّا يجري أيضا في البنية المقترنة بـ[*of*]، المسوِّرات الّتي ناقشناها في الفصل 9: [*all of those geese* "جميع تلك الإوزّات"]، [*some of the geese* "بعض من الإوزّات"]، [*many of these geese* "الكثير من هذه الإوزّات"]، [*three of his geese* "ثلاث من إوزّاته"]، إلخ. وممّا تختلف به عن العبارات المقترنة بأسماء الواحدة، أن يكون مفعول الحرف معرفةً مجذَّرا تجذيرا ظاهرا. وبذلك يكون المعلَمُ كتلة محدّدة تحديدا سياقيّا قائمة بذاتها بصرف النّظر عن عمليّة التّسوير. ويكمن فرق آخر في كون الاسم الّذي يحوّره المركّب المقترن بـ[*of*] مُنحًى إنحاء تامّا من حيث هو مسوِّر،[33] ولا أثر لمعنى الواحدة فيه من مثل [*flock* "سرب"]، أو [*drop* "قطرة"]، أو [*bunch* "مجموعة من"]. وبالاستتباع، لا تَنتُج الإحالة على الكتلة المسوَّرَة عن النّقلة المجازيّة ولكنّها تعكس مباشرة معنى المسوِّر. وبذلك، تعيّن العبارة في شمولها جزءا مسوَّرا قد أُفرد بالمفعول المتعلّق بالحرف. وتتحدَّد العلاقة الّتي تكون للجزء الفرعيّ بالكَلّ بكونها العلاقة الصّميميّة الّتي يعرضها الحرف [*of*].

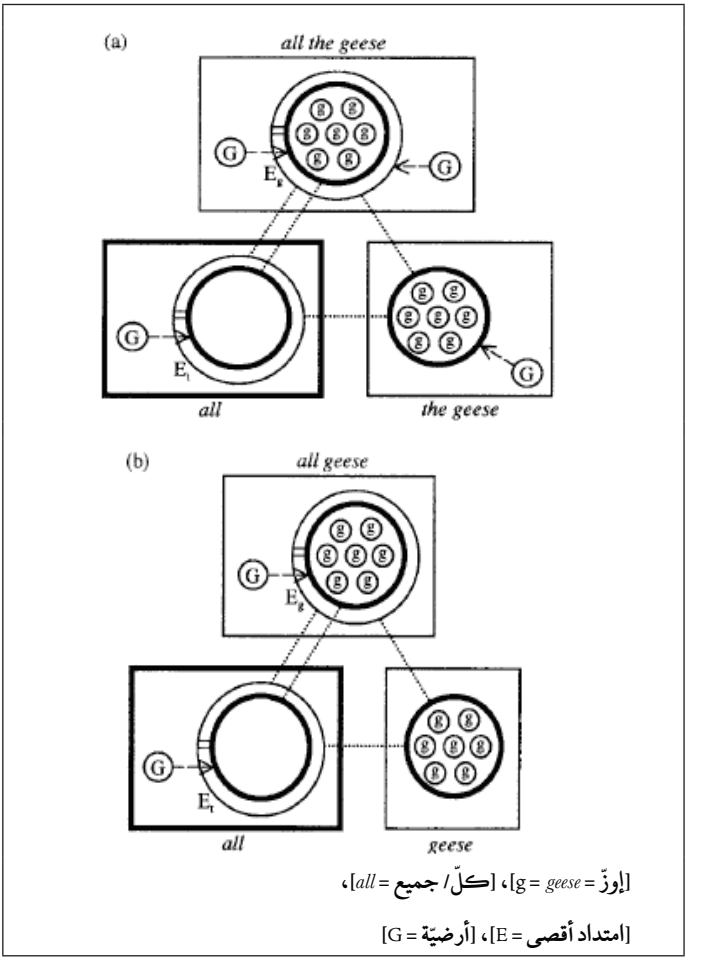
يرد رسم تخطيطيّ لحالة [*some*] في الرّسم البيانيّ 10. 19. تفرد [*some*]، من حيث كانت مسوِّرا مجذِّرا، عيّنةً معروضة من شيء ما باعتماد إستراتيجيّة التّسوير (انظر الرّسم البيانيّ 9. 6). ويمثّل معروضها، خصّيصا، حصّة غير فارغة من الامتداد الأقصى (E_t) الّذي يكون لنوع ما (انظر الرّسم البيانيّ 9. 12 (c)). ففي عبارة [*some of the geese* "بعض من الإوزّات"]، ما يعَدّ امتدادا أقصى للإوزّ (E_g) هي الكتلة الّتي حُدِّدت سياقيّا وأفردت بعلامة التّعريف [*the*]. والجزء الّذي تعرضه [*some*] يناسب منتقِلَ [*of*]، ويناسب الامتدادُ الأقصى للإوزّ (E_g) معلَمَها. وتبعا لذلك، تعيّن العبارة المركّبة حصّةً غير فارغة من الكتلة الّتي تُحدَّد في الخطاب بكونها [*the geese* "الإوزّات"].



الرّسم البيانيّ 10. 19

يشير السّهم الصّلب في الرّسم البيانيّ 10. 19 إلى أنّ الكتلة المعروضة تمثّل جزءا محدودا من الامتداد الأقصى. في هذه البنية، تجري مطابقة العلاقة الّتي تكون للمعروض بالامتداد الأقصى (E_t) بالعلاقة الصّميميّة الّتي يستحضرها [*of*] استحضارا أكثر خطاطيّة. ومن بين المسوِّرات المنحاة، تتفرَّد [*all* "كلّ/ جميع"] من حيث كانت لها الخصيصة المميّزة بأن تكون الكتلةُ المعروضة والامتدادُ الأقصى متطابقين. فإذا ما تصوّرنا مسّورا ما على أنّه إفراد للمعروض بتقليص الامتداد الأقصى، يكون التّقليص المفروض بـ[*all*] صفرا. فتكون

[*all*]، حينئـذ، فارغـة بالمقارنة مع علاقةِ طرازيّة تعبّـر عنها [*of*]، حيث يكون المنتقـل جـزءا فرعيّا صميميّا مـن المعلَم. تنعكس هذه الخصيصـة الدّلاليّة المميّزة في سـلوك نحـويّ خاصّ. تجـري [*all*]، بمفردها دون المسـوِّرات جميعهـا، في بنية بديلة تفتقر إلى الحرف الّـذي تمحو معناه: يمكننا أن نقول [*all of the geese* "جميع الإوزّات"] أو [*all the geese* "كلّ الإوزّات"] فقط، (ولكن لا نقول ([*most* /*some* / *any* / *each* / *many* / *three*} *the geese*}*])). [34] تُعرَض هذه البنية عرضا تخطيطيّا في الرّسـم البيانيّ 10. 20 (a). تتعلّق المسـألة ببساطة بالتّوليف المباشـر بين [*all*] و[*the geese*] على أسـاس نفس التّناسـب الّذي يربط الامتداد الأقصى بمعلم الحرف [*of*] في الرّسم البيانيّ 10. 19.



[إوزّ = *geese* = g]، [كلّ/ جميع = *all*]،

[امتداد أقصى = E]، [أرضيّة = G]

الرّسم البيانيّ 10. 20

فـي عبارة [*all the geese*]، يتولّف المسـوِّر المجذِّر مـع بنية مكوّنيّة تكون بدورها إسـمائيّا مجذَّرا. فتكون بذلك العبارة المركّبة إسـمائيّا من درجة عليـا يعرِض كتلـة تتطابق في الامتـداد مع كتلة قد أفرِدت إفرادا مسـتقلاّ لتكـونَ مرجعا خطابيّا. وبهذا الاعتبار، تقابِل العبـارةُ [*all the geese*] عبارةَ [*all geese*]، كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 10. 20 (b). والفرق الوحيد بين البنيتين (a) و(b) يكمن في أنّ [*geese*] غير مجذّرة في البنية الأخيرة. فالتّأويل المحايد، بالاسـتتباع، لعبـارة [*all geese*] يكمن فـي أنّ الكتلة الّتي تعيّنهـا مطابِقة في الامتداد للإوزّ بصفة عامّة، عوضا عن أيّ مجموعة فرعيّة منه.

4.10 التّصريف والمطابقة

يتمثّـل البُعد الأخير من أبعاد البنية الإسـمائيّة، وهو بُعْد ذو انتشـار واسـع في لغات كثيرة، في وسـم الأسـماء للتّعبير عن مقولاتها، أو عن خصائصها الدّلاليّـة، أو عن علاقتهـا بالعناصر الأخـرى. وتتنوّع مظاهر هذا الوسـم من حيث المدى الّذي به تكون داخليّة أو صميميّة في اسـم من الأسـماء باعتبار مضامينها الدّلاليّة وتجلّياتها الشّكليّة في آن.

1.4.10 ماذا يوجد في الاسم؟

أكثر علامات الوسم داخليّة هي تلك الّتي تشتقّ الأسماءَ من مقولات أخـرى، ومن أمثلتها العلامـات الجارية في نهاية الكلم مـن قبيل [*-ness*]، و[*-er*]، و[*-ion*] و[*-ty*]: [*sadness* "حزن"]، [*firmness* "صلابة"]، [*emptiness* "فراغ"]، [*driver* "سـائق"]، [*boiler* "مغلاة"]، [*teacher* "مدرِّس"]، [*demonstration* "مظاهرة"]، [*persuasion* "إقناع"]، [*digression* "استطراد"]، [*laxity* "تقاعُس"]، [*diversity* "تنوُّع"]، [*stativity* "سـكونيّة"]. تكون علامات الوسـم هذه داخليّة في الاسم بالمعنى الحقيقيّ للكلمة من حيث أنّ الاسم لا يوجد إلاّ من خلال وجودها فيه. فمن زاوية دلاليّة، تنشـئ علامات الوسم هذه اسـما بأن تنقلَ المعروضَ إلى شيء مرتبط بالعلاقة الّتي يدلّ عليها الفعل أو الصّفة الّتي تلحق بهما. فهي داخليّة في الاسـم من النّاحية الصّرفيّة لأنّ العبارة المركّبة الّتي تشتقّها فقط تمقوَل على أنّها اسم: $[[\text{sad}]_{\text{ADJ}}\text{-ness}]_{\text{N}}$.

تسـمّى علامات الوسـم الّتي تشـتقّ الأسـماءَ من مقولات أخرى، تقليديّا اشـتقاقيّة. وممّا يمثّل مركزَ العناية الفوريّة، علامات الوسـم غيرُ الاشتقاقيّة، الّتي يحال عليها عادة بكونها تصريفيّة. ولم يُسَـل من الحبر القليلُ في شـأن

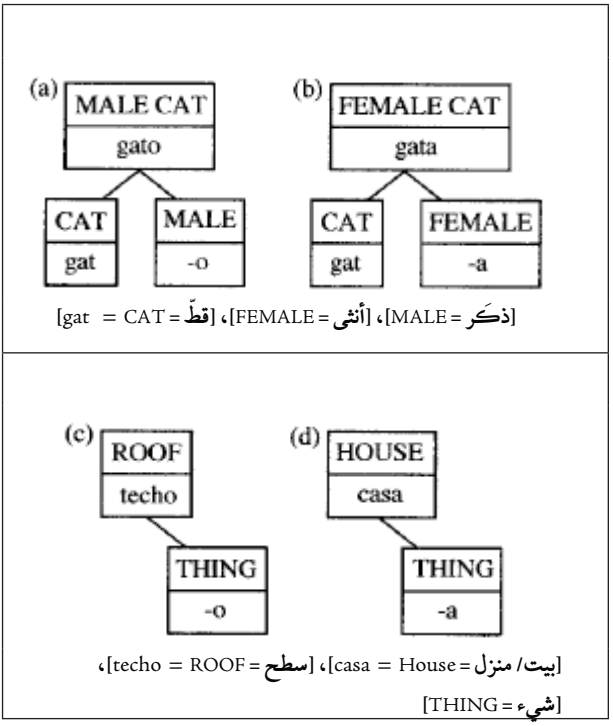
هذه المسألة من حيث الكيفيّة الّتي يُرسَم بها الخطّ الفاصل ومن حيث موضع ذلك، ولكنّ هذا النّقاش، من منظور النّحو العرفنيّ، مجانب للصّواب بشكل كبير. تنهض الفكرة القائلة بوجود خطّ فاصل مخصوص، على افتراضات نظريّة (مثل، الفصل القاطع بين المعجم والنّحو) الّتي تعتبَر في النّحو العرفنيّ مجانيّة ومشكلة من ناحية اختباريّة في آن واحد. ففرض ثنائيّة صارمة أقلُّ من أن يكون مفيدا في حالة العدد والجنس اللّذين يُعتبران عادة تصريفيّين ولكنّهما يشتغلان أيضا في اشتقاق الأسماء.

انظر في صَوْغ الجمع. يُعتبَر في العموم أنّه تصريفيّ لأنّه ينطبق على الاسم بدل أن يشتقّه، وينزع إلى أن يوسَم بوسائل خارجيّة عن الجذع (مثل اللاّحقة (*s*-))، وغالبا ما يشارك في ظاهرة "المطابقة" (حيث يتطلّب الاسم المجموع فعلا مصرَّفا مع الجمع أو صفة مجموعة). ثمّ إنّ هذه الحقائق يمكن أن تكون كلّ شيء ما عدا نهائيّة. ورغم أنّ صوغ الجمع ينطبق حقيقة على الاسم، فهو يشتقّ اسما كذلك - اسما من درجة أعلى يخصِّص نوعا متميّزا يمثّل مقولةً أخرى (هي اسم الكتلة عوضا عن الاسم المعدود). ومن زاوية صرفيّة، لا يحتمل موضعُه إزاء الجذع أن يكون داخليّا أو خارجيّا لا غير، لأنّه يوسم في الغالب بقاعدة التّناوب الحركيّ (مثل [*man* «رجُل»] مقابل [*men* "رجال"])، أو بقاعدة التّكرير (من اللّغة الهوبيّة، [*saaqa* «سُلَّم»] مقابل [*saasaqa* «سَلالِم»]، أو حتّى بتعويض الجذع تعويضا تامّا (من اللّغة الهوبيّة [*wuuti* «امرأة»] مقابل [*momoyam* «نساء»]). ولا تُعتبَر المطابقة، في النّحو العرفنيّ، «نسْخا» للسّمات التّصريفيّة أو ذاتَ قيمة تشخيصيّة خاصّة. هي ببساطة مسألة مدارها أنّ نفس المعلومات يجري ترميزها في مواضع متعدّدة. فهي، من حيث كانت كذلك، مجرّد حالة خاصّة من التّراكب المفهوميّ الّذي تتميّز به جميع الأبنية النّحويّة.

وممّا يعتبَر تصريفيّا أيضا، لسبب رئيسيّ يتمثّل في مساهمته في ظاهرة المطابقة، علامات الوسم الدّالّة على الجنس وعلى المقولات المشابهة لها. غير أنّ هذه العلامات، بالنّسبة إلى اسم ما، تكون في الغالب داخليّة واشتقاقيّة، حتّى في المعنى الضّيق للكلمة من حيث كانت مسؤولة عن مقْوَلته كذلك. لنعد إلى مسألة الجنس في الإسبانيّة بعض لحظات (§ 10. 3. 1)، بأن نركّز العناية هذه المرّة على اللاّحقتين [*-o*] و[*-a*]، وهما العلامتان العامّتان في وسم "المذكّر" و"المؤنّث". بالنّسبة إلى الأسماء

الدّالّة على الأحياء، تكون تانك التّسميتان صالحتين دلاليّا: [*hijo* «ابن»] مقابل [*hija* «بنت»]؛ [*amigo* «صديق»] مقابل [*amiga* «صديقة»]؛ [*gato* «قطّ»] مقابل [*gata* «قطّة»]؛ إلخ. تقبل هذه الأمثلة، من خلال التّحليل الصّرفيّ المعياريّ، القسمة إلى جذع الاسم الّذي يخصّص نوعا أساسيّا ([*hij-* «طفل»]؛ [*amig-* «صديق»]؛ [*gat-* «قط»]). ورغم ذلك، لا تستقيم هذه القسمة بالنّسبة إلى العدد الكبير من الأسماء الدّالّة على الجوامد حيث يوسم الجنس كذلك بعلامتي [*o-*] و[*a-*]. فعلى سبيل المثال، تشتغل [*techo* «سطح»]، و[*vaso* «زجاج»]، و[*año* «عام»]، نحويّا أسماء مذكّرة، وتشتغل [*casa* «منزل»]، و[*mesa* «طاولة»] و[*semana* «أسبوع»] أسماء مؤنّثة. ولكن لا يوجد مع هذه الأسماء جذع منفصل تلتصق به اللاّحقة. فالكلمة [*techo*] لا تدلّ على 'السّطح'، ولا [*casa*] على 'البيت'، إلاّ من حيث هي كلّ، وهكذا دواليك. ففي حالات من هذا القبيل علينا أن نقول إنّ وسم الجنس جزء من الاسم في ذاته.

كيف يمكن أن تحلَّل هذه اللّواحق؟ هي مشكلة مطروحة في التّحليل الصّرفيّ الكلاسيكيّ حيث تُتصوّر الصّرافم تصوّرا استعاريّا على أنّها لبناتٌ في البناء. ومن تبعات هذه الاستعارة أن تكون الكلمة وجوبا قابلةً للقسمة إلى صرافم مكوّنيّة متفاصلة. ونتيجة لذلك لا يمكن للاّحقتين [*o-*] و[*a-*] في اسمين من قبيل [*techo*] و[*casa*]، أن تُعتبرا من الصّرافم، لأنّ ذلك قد يترك فضْلة لاصرفميّة ([*cas*] ،[*tech*]). لكنّ الوصف الصّرفيّ في النّحو العرفنيّ يتجنّب استعارة لبنات البناء. ويقوم بدل ذلك على التّجميعات الرّمزيّة الّتي تكون فيها الأبنية المركّبة وحدات قائمة برأسها، تبرِّرها الأبنية المكوّنيّة دون أن تكون مبنيّة منها بالمعنى الحرفيّ. فلا مشكل تبعا لذلك في أن تتضمّن عبارة مركّبة مادّة لا ترثها من أيّ واحد من مكوّناتها، ولا في أن تكون بنيةٌ ما مختلّةً بمعنى أنّ لها مكوّنا واحدا فقط يناسب جزءا واحدا فقط من البنية المركّبة. فيمكن لذلك أن توصفَ الأسماء من قبيل [*techo*] و[*casa*]، وصفا يُعرَض تمثيله في الرّسم البيانيّ 10. 21. فهما، خلافا للأسماء الدّالّة على الأحياء مثل [*gato* /*gata*] "قطّ/قطّة]، يتضمّنان تجميعة ذات بنية مركّبة ومكوّن رمزيّ واحد فقط. ورغم أنّ هذا التّشكّل غير قياسيّ، هو واحد من التّشكّلات الّتي يمكن أن تحتملها التّجميعات الرّمزيّة.



الرّسم البيانيّ 10. 21

وماذا عن المعنيين المقترنين بـ[*-o*] و[*-a*]؟ هما يساهمان عندما يجريان مع الأسماء الدّالّة على الأحياء بمعنيي 'ذكر' و'أنثى' اللّذين يرسيان مقولتي الجنس. وأمّا إمكانيّة نسبة معنى مخصوص إليهما في حالات من قبيل [*techo*] و[*casa*]، فهي مسألة موكولة للتّقصّي الدّقيق، لكن لنفترض أنّ ذلك غير ممكن. وفي صورة ما إذا كان ذلك غير ممكن، يظلّ كلّ من [*-o*] و[*-a*] دالّين على معنى في منظور النّحو العرفنيّ. فمعنياهما ببساطة على درجة كبيرة من الخطاطيّة، ربّما كانا مطابقين للأسماء من حيث كانت قسما برأسه (أي أنّهما يعرضان الأشياء). وإذا كان الأمر كذلك، فهما يمثّلان ظاهرة ثابتة في لغات غفيرة: وجود عناصر صرفيّة تجري لوسم الأسماء من حيث هي أسماء دون أن يكون لها أيّ إضافة من حيث المضمون أو الوظيفة.[35] وبطبيعة الحال، تكون منزلتها من حيث هي واسمات نحويّة صرف متّسقة اتّساقا كلّيّا في النّحو العرفنيّ مع معاملتها معاملة العناصر الرّمزيّة الدّالّة على معنى.

وعلى هذا، يمكن للعدد والجنس، من حيث كونهما داخليّين أو خارجيّين من اسم ما، أن يعتبرا في منزلة وسطى. وممّا يكون خارجيّا في أوضح الدّرجات، علاماتُ الوسم الّتي يتّصل مضمونها الدّلاليّ والنّحويّ بالعلاقات مع العناصر الأخرى في تشّكل أكبر. فباعتبار رأس معجميّ ما، تكون للتّجذير هذه الخصيصة: فهو من زاوية دلاليّة، يخصّص الكيفيّة الّتي بها يرتبط مرجع الإسمائيّ بالأرضيّة؛ ومن زاوية نحويّة يكون خارجيّا عن الرّأس الاسميّ وينزع في الآن نفسه إلى الظّهور عند الطّبقة الطّرفيّة القصوى من تنضيد الإسمائيّ.[36] وممّا يكون في أقصى الطّبقات الخارجيّة علاماتُ الوسم الّتي تعيّن الدّورَ الإعرابيّ لإسمائيٍّ ما. والأمثلة الرّئيسيّة في ذلك هي واسمات الملكيّة، وواسمات الحالة الإعرابيّة، وحروف التّعدية. تتعلّق هذه الواسمات بإسمائيّ مجذَّر (لا برأس اسميّ فقط) وتخصِّص الكيفيّة الّتي بها يرتبط بالعناصر الأخرى في التّجميعات الرّمزيّة الأكبر.

يشتغل الإسمائيّ المعبّر عن الملكيّة عنصرا مجذِّرا بالقياس إلى إسمائيّ وارد في مرتبة عليا (انظر الفصل 14). على سبيل المثال، تجري عبارة [*the man's*] لتجذير الرّأس الاسميّ [*dog* "كلب"] في تكوين الإسمائيّ من المرتبة العليا [*the man's dog* "كلب (لِـ) الرّجل"]. ورغم أنّ واسم الملكيّة [*'s*] داخليّ في هذه العبارة الأخيرة، فهو خارجيّ بجلاء بالنّسبة إلى الإسمائيّ الوارد في المرتبة الدّنيا [*the man*]. ورغم أنّ الجمع من [*man* "رجُل"] موسوم داخليّا بقاعدة التّناوب الحركيّ (*men* "رجال")، تتكوّن بنية الملكيّة بإلصاق [*'s*] بالإسمائيّ في كلّيّته.[37] وبالفعل، ليست علامة الملكيّة لاحقةً بالمعنى الدّقيق للكلمة، ولكنّها وُصْلَة تلتصق بالكلمة الأخيرة من الإسمائيّ. ونلاحظ الفرق في عبارة مركّبة من قبيل [*the king of Denmark* "ملك الدّانمارك"]: الجمع [*the kings of Denmark* "ملوك الدّانمارك"] مقابل الملكيّة [*the king of Denmark's* "...+ مَلِكِ الدّانمارك"] (الرّسم البيانيّ 6. 13 (a)). ومن زاوية دلاليّة كذلك، تهمّ الملكيّة الإسمائيَّ بكامله، لا الرّأس الاسميّ منه فقط. ولخدمة وظيفتها التّجذيريّة، وجب أن يُفرَد المالك في ذاته من حيث هو عيّنة مجذَّرة من النّوع الّذي ينتمي إليه.

مثلما يعيّن وسمُ الملكيّة دورَ إسمائيّ ما في إسمائيّ من مرتبة عليا، تحدِّد واسماتٌ أخرى دورَ إسمائيّ ما في مركّب جُمَليّ ما. يمكن أن تسِم منزلتَه النّحويّة من حيث هو فاعل أو مفعول به للمركّب الجُمَليّ. وبطبيعة الحال،

تكون هذه المفاهيم ذات معنى في النّحو العرفنيّ، هي مسألة البروز البؤريّ الرّئيسيّ مقابل البروز البؤريّ الثّانويّ (المنتقِل مقابل المعلَم). وللأدوار الأخرى مضمون مفهوميّ ملموس بدرجة أكبر. فممّا ينبغي تحديده، مثلا، أن يشتغل مرجع إسمائيّ ما محدِثا أو وسيلة أو متحمّلا أو متقبّلا أو مستفيدا أو موضِعا، إزاء العمليّة الّتي يتضمّنها المركّب الجُمَليّ. ومن زاوية شكليّة، يمكن أن توسم هذه الأدوار بواسطة التّصريف، أو الإلصاق، أو بواسطة كلمة مستقلّة أو حرف مستقلّ. تتنوّع مواضعها من مدخل أحاديّ القطب. فالحرف مثلا، يسبق عادة الإسمائيَّ بكامله، في حين يظهر تصريف الحالة الإعرابيّة في داخله أو على الرّأس الاسميّ أو على مكوّنات متعدّدة من الإسمائيّ. ومن مدخل التّركّب ثنائيّ القطب (§ 6. 3)، تتوالف هذه العناصر، زيادة على ذلك، مع الإسمائيّ في كلّيّته.

تختلف هذه الواسمات، دلاليّا، من حيث المدى الّذي به تستدعي الواحدة منها علاقةً قابلة للتّميّز من العمليّة الّتي يعرضها المركّب الجُمَليّ. فعند طرف منه تقع الحروف الواردة في (19)، والّتي تسم السّكّين بكونها وسيلةً في عمليّة القطع، وتسم سارّةَ بكونها مُحدِثا، وأخاها بكونه مستفيدا. وكما يكون الأمر في سائر الاستعمالات، تعرِض هذه الحروف علاقات فيكون لها تبعا لذلك تنضيد للمنتقل وللمعلم خَاصٌّ بها. فهي تصلح لتحديد الدّور الّذي يكون في المركّب الجُمَليّ للمشارك الّذي يقدَّم على أنّه معلم لها (أي مفعول الحرف). والعلاقات الّتي تعيّنها في هذا الاستعمال النّحويّ، بالتّحديد، هي تلك العلاقات الّتي تقوم بين عمليّةٍ يعبّر عنها الفعل الرّئيسيّ في الجملة (أي منتقلُها) ومشارك فيها. وتنزع هذه الواسمات إلى الجريان للتّعبير عن المشاركين الّذين تكون مساهمتهم طرَفيّة أكثر، والّتي تعتبَر أنّها تقدّمها تقديما "إطنابيّا":

The meat was cut ***with*** *a knife* ***by*** *Sarah* ***for*** *her little brother*. (19)

قُطِع اللّحم بـــــسكّين من قِبل سارّة لأخيها الصّغير.

وتقع في الطّرف الآخر الواسمات الّتي لا تستدعي أيّ علاقة ما عدا العمليّة في ذاتها، ولكنّها تسجِّل ببساطة منزلة مشارك بؤريّ كما هي. ومن أمثلة ذلك البسيطة، لاحقة وسم المفعول [*-i*] في اللّغة اللّويزينيّة، كما يرد في (20). فهي لا تعرض علاقة، وليس لها تنضيد للمنتقل والمعلم خاصّ بها، ولا تقدّم مشاركا، ما عدا المشاركين اللّذين يستدعيهما الفعل - كلّ ما تفعل أن تعيّن [*'awaal* "كلب"] على أنّه معلمُ المركّب الجُمَليّ. يسمّى [*'awaal*]

مشـاركا "مباشرا" في [*'ari* "ركل"] لأنّه لم يقدَّم بطريقة إطنابيّة، أي بواسطة علاقة تُشفَّر تشفيرا مستقلاّ.[38]

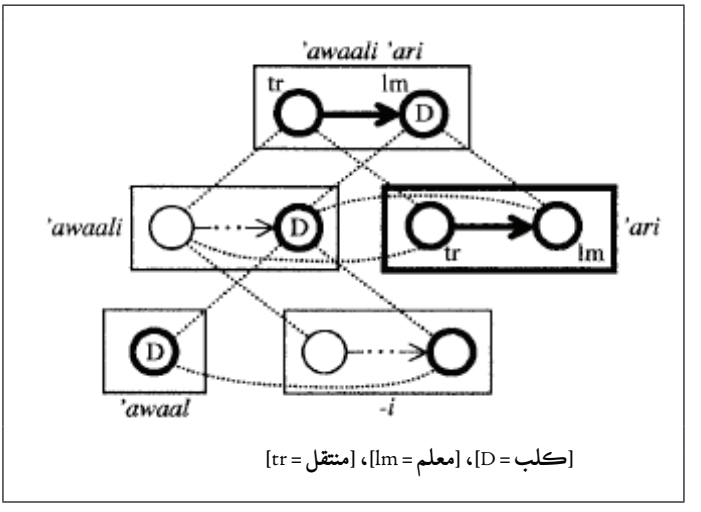
(20) Nawitmal= upil 'awaal–i *'ar–ax*.

girl=3s:PAST dog–OBJ kick–PAST

ماض-ركَل **مفعول**-كلب **ماض**:هي= بنت

البنت ركلت الكلبَ (ركلت البنت الكلب)

إذا ما لم يعرض واسمٌ مثل [*–i*] علاقةً، فما عساه يعيّن؟ بما أنّه لا يغيّر شيئا مـن الطّبيعة الإسـمائيّة الّتي للعنصر الّذي يلتصق بـه، يُحتمَل أن يعرض بذاته شـيئا. هذا الشّـيء لا يخصَّص إلاّ بكونه معلما لعمليّة ما، كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 10. 22 (حيث يمثّل السّهمُ المشتمل على نقاط الحذف الثّلاث عمليّةً خطاطيّة). ويطابق خطٌّ تَناسـبٍ بين معروض الاسـم ومعروض اللاّحقة بوجه تـدلّ به العبارة المركّبـة [*'awaali*] على كلب يكون لـه دورُ المعلَم للعمليّة. وعند مسـتوى أعلى مـن التّنضيد، تجري مطابقـة العمليّة الخطاطيّة الّتي تستحضرها [*–i*]، بالعمليّة المخصوصة الّتي يعرضها الفعل، وهي في هذه الحالة [*'ari* "ركل"].[39] بهذه الطّريقة، يوسَـم الاسـم وسما صريحا بكونه مفعولا به للفعل وللمركّب الجُمَليّ الّذي يرأسه.



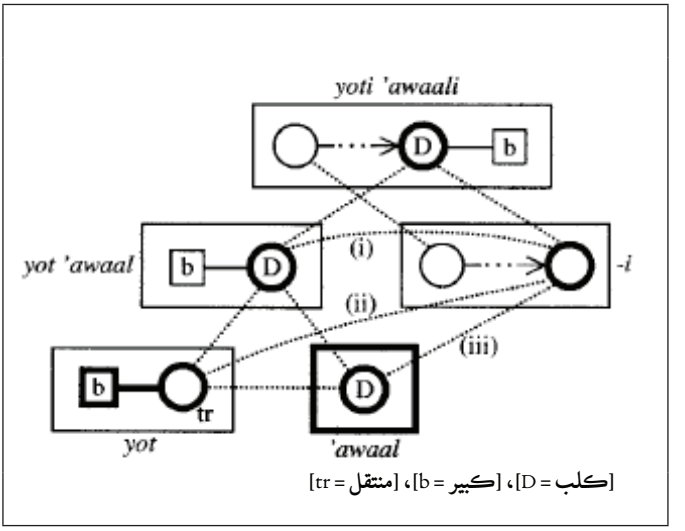
الرّسم البيانيّ 10. 22

10. 4. 2 التّحقّق الصّرفيّ

تمثّل اللاّحقة [*-i*] في اللّغة اللّويزينيّة نموذجا ممّا يُطلَق عليه تقليديّا وَاسِمُ الحالة الإعرابيّة: واسِم يعرض شيئا ويتوالف مع إسمائيّ في كلّيّته، ويحدّد دورَه الإعرابيّ في الأبنية الكبرى. وهذا، بطبيعة الحال، ليس تعريفا معياريّا، بما أنّ الحالة الإعرابيّة تعتبَر، عادةً، غير ذات معنى (فهي نحويّة خالصة في طبيعتها). وممّا يكون ذا فائدة أكبر في هذا السّياق، السّؤال المتعلّق بما إذا كانت هذه اللاّحقة حقيقةً تتوالف مع إسمائيّ في كلّيّته. فمن زاوية الشّكل، لا يبدو الأمر جليّا غاية الجلاء. فالحالة الإعرابيّة غالبا ما توسَم على الرّأس الّذي يمكن أن يكون داخليّا في الإسمائيّ أو على مكوّنات متعدّدة بما في ذلك المحوّرات وعنصر التّجذير بوجه خاصّ. وبالنّسبة إلى اللّويزينيّة الّتي تسمح بالتّجذير الخفيّ، تكون [*'awaali*] حقيقة إسمائيّا تامّا في (20). ولكنّ الصّفة المحوِّرة توسَم أيضا بحال المفعوليّة - مثلا [*yot–i 'awaal–i*] «كلب كبير **مفعول به**»]- وكذلك يوسَم العنصر الإشاريّ: [*wunaal–i yot–i 'awaal–i*] «ذاك الكلب الكبير **مفعول بـه**»]. ومع ذلك، لا نريد أن ندّعي أنّ هذه العناصر تشتغل، من زاوية دلاليّة أو نحويّة، مفاعيل اشتغالا فرديّا. هنا، تبدو المقاربات التّقليديّة على الطّريق الصّواب عندما تقول إنّ الحالة الإعرابيّة موسومة وسما إطنابيّا. فهذه "المطابقة" في الحالة الإعرابيّة تساعد على تحديد العناصر الموسومة بأنّ جميعها ينتمي إلى نفس المكوّن الإسمائيّ.

لنرَ كيف يعمل ذلك بالنّسبة إلى عبارة [*yoti 'awaali* «كلب كبيرٍ **مفعول به**»]. يُظهِر الرّسم البيانيّ 10. 23 أنّ كلمة [*yot* "كبير"] تكون الأولى في التّوالف مع [*'awaal*» «كلب»] في البنية العاديّة المعبّرة عن التّحوير بالصّفة.[40] وباعتبار التّركّب ثنائيّ القطب، تكون العبارة المركّبة [*yot 'awaal*] المكوّنَ الّذي يوسَم بحال المفعوليّة. ومن زاوية دلاليّة، يكون ذلك على قدر كبير من المباشرة: تجري مطابقة الشّيء الّذي تعرضه [*yot 'awaal*] عن طريق التّناسب (i) بالشّيء الّذي يخصِّصه واسِم المفعول بكونه معلمَ العمليّة. وما يجعل من هذه البنية غير قياسيّة إنّما هو طبيعة الدّمج الصّوتميّ بينهما. فهي غريبة، أوّلا، من زاوية أحاديّة القطب، لأنّ اللاّحقة تتجلّى مرّتين، إذ تَظهَر على كلّ مكوّن إسمائيّ بدل أن تظهر في موضع واحد فقط. وبالإضافة إلى ذلك، هي شاذّة لأنّ الأبنية الّتي تتوالف معها صرفيّا توجد في مستوى أدنى من مستويات التّنضيد (انظر الرّسم البيانيّ 10. 10). والشّيء الّذي تسِمه [*-i*] بأنّه معلم، لا

يستوي من زاوية دلاليّة معروضا لـ[*yot 'awaal*] فقط، بل يستوي كذلك منتقِلا لـ[*yot*] ومعروضا لـ[*'awaal*]. هاتان البنيتان المكوّنيّتان الواردتان في المستوى الأدنى، اللّتان جرت المطابقة بينهما بالتّناسبين (ii) و(iii)، هما البنيتان اللّتانِ تلتصق بهما [*-i*] التصاقا صوتميّا. فيرمِّز دمجُها الصّوتميُّ الموازي بكلٍّ واحد من المكوّنين، معا وبطريقة إطنابيّة، دمجَها الدّلاليَّ مع بنيةِ [*yot 'awaal*] الكائنةِ في المستوى الأعلى.



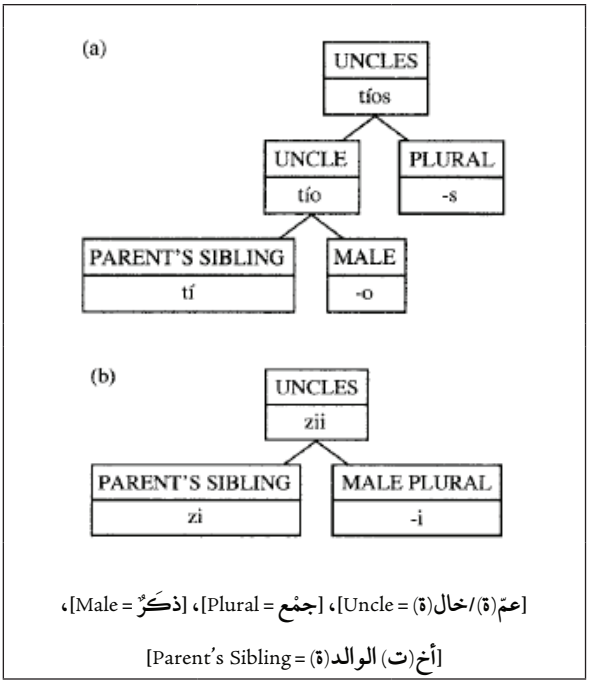
الرّسم البيانيّ 10. 23

إذا كان لنفس العنصر الدّلاليّ في بعض الأحيان تجلّيات صوتميّة متعدّدة، يحدث العكس كذلك: يمكن أن يكون لمفاهيم دلاليّة متعدّدة تحقّقٌ صرفيّ وحيد. فبدل أن توسم مقولتان أو أكثر بواسطة صرافم متمايزة تمايزا واضحا، يمكن أن تتحقّق تانك المقولتان معا من خلال شكل تصريفيّ وحيد غير قابل للتّحليل. ولنا مثال بسيط في وسم الجنس والعدد في اللّغة الإيطاليّة، مقارنةً باللّغة الإسبانيّة. نواة النّظام في الإسبانيّة شفّافة واضحة: يوسَم الجنس بزيادة [*-o*] و[*-a*] إلى جذع الاسم، ويوسَم الجمعُ بتلحيق [*-s*] على النّاتج من وسم الجنس. أمّا الإيطاليّة، من جهة أخرى، فيوجد فيها ثلاث لواحق مختلفة، كلّ واحدةَ منها تسِم توليفةً مخصوصة بين الجنس والعدد: [*-o*] للمذكّر المفرد، [*-a*] للمؤنّث المفرد، [*-i*] للمذكّر الجمع، [*-e*] للمؤنّث الجمع. وما من سبيل واضح إلى تفكيك هذه العلامات إلى جزء يعيّن الجنس وآخرَ يعيّن العدد.

(21)

	«عمّ»	«عمّة»	«عمومة»	«عمّات خالات»
(أ) الإسبانيّة:	tío	tía	tíos	tías
(ب) الإيطاليّة:	zio	zia	zii	zie

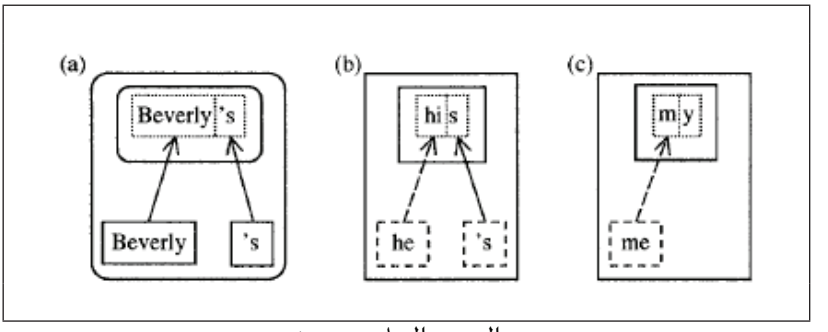
من منظور رمزيّ، لا يوجد سبب ضمنيّ يفسّر لمَ لا يمكن لواسم وحيد أن يحقّق تخصيصات دلاليّة متعدّدة. ولا يختلف هذا الأمر عن عنصر معجميّ يستدعي مجالات عرفنيّة متنوّعة متّخذا منها أساسا يقوم عليه معناه، إلاّ اختلافا في الدّرجة. وبكلّ تأكيد، تكون التّخصيصات من قبيل الجنس والعدد ذات إفادة نحويّة نظاميّة (في ظاهرة «المطابقة» بوجه خاصّ). غير أنّهما لا يستوجبان أن يرمّزا ترميزا فرديّا ليجريا لغايات نحويّة.[41] وفي النّهاية، توفّر العبارة المركّبة نفس المعلومات المتعلّقة بما إذا كانت التّخصيصات جارية بصفة فرديّة على المستويات المتتابعة أو بصفة متزامنة في مستوى وحيد. يُعرَض ذلك بالنّسبة إلى عبارة [*tíos*] الإسبانيّة، وعبارة [*zii*] الإيطاليّة، في الرّسم البيانيّ 10. 24.



الرّسم البيانيّ 10. 24

تكـون قابليّة التّفكيـك إلى صرافم متمايزة يُتَعرّف عليهـا تعرّفا فرديّا، بطبيعة الحال، مسألةَ درجات. وطبيعتها المتدرّجة مشكلة بالنّسبة إلى استعارة لَبنات البناء ولكنّها يسـيرة التّنـاول في التّجميعات الرّمزيّة. وتَجعَل سـمتان مِن سـمات هـذه التّجميعات الرّمزيّةِ معالجتَها مباشـرة نوعا مـا. أوّلا، الأبنية المركّبة وحدات قائمة برأسها، لا هي محدودة بما تساهم به الأبنية المكوّنيّة ولا هي محكوم عليها بأن تعكس تلك الأبنية بكلّ أمانة. ثانيا، العبارات المركّبـة متنوّعة من حيث قابليّتها للتّحليل (§ 3. 2. 2)- أي احتمال إنشـاط المكوّنات بواسطة إدراك الكلّ المركَّب أو مدى ذلك الإنشاط.

ترد ثلاثة أمثلة من درجات قابليّة التّفكيك وقابليّة التّحليل (اللّتين تنزعان إلـى التّعالق) في الرّسـم البيانيّ 10. 25. على افتراض أنّ الإسـمائيّ [*Beverly's*] المعبّرَ عن الملكيّة جديد، يكون قابلا للتّحليل التّامّ إلى صرفمين مكوّنيّين [*Beverly*] و[*'s*]، كلّ واحـد منهما ينعكس دون تشـويه في العبارة المركّبة. وكلّ بنيـة مكوّنيّة تمقول الجزء المناسـبَ من الكلّ المركَّب، وفي هذه الحالة ينتهي الأمر بالمقولَتين كلتيهما إلى أن يتعرّف عليهما تعرّفا تامّا (يشار إلى ذلك بالسّهام المسترسلة في الرّسم البيانيّ). ومقابل ذلك، يكون ضميرا المالكَين [*his*] و[*my*] وحدتين راسـختين تمام الرّسـوخ، تُتعلّمان وتستعملان مـن حيث هما كلّ بكاملـه. ولا تتطلّب هذه الغاية قابليّـةَ التّفكيك إلى مكوّنـات صرفميّة قابلة للتّعرّف عليهـا، وإلى أن يجري ذلك إن حدث، لا تكـون العبارات قابلـةً للتّحليل إلاّ بصفة جزئيّة. ففـي حالة [*his*]، يحتمل أن يكون المكوّنان الضّميرَ [*he*] وواسمَ الملكيّة [*'s*]، حيث يكون هذا الأخير منعكسا بأمانة، والأوّل منعكسا بتشويه (يشار إليه بالسّهم المتقطّع في الرّسم البيانـيّ) في نمط الحركة. وأخيرا، رغم أنّ [*my*] تَسـتدعِي المقْوَلة بـ[*me*]، لا يوجد تطابق بينهما إلاّ في الحرفين. والبنية مختلّة كذلك من حيث لا شيء يُرمِّز عند القطب الصّوتميّ مفهومَ الملكيّة ترميزا فرديّا.



الرّسم البيانيّ 10. 25

يكون تصريف الاسم والمطابقة بما فيهما من تفاصيل مخصوصة بهما، على درجة كبيرة من التّعقيد، في بعض الأحيان. غير أنّ هذا التّعقيد ناشئ عن التّكاثر والتّفاعل في العوامل الّتي تكون طبيعيّة جدّا وسهلة الإدراك إن أُخِذ الواحد منها بمفرده. فلقد رأينا كيف يمكن أن تُعالَج في إطار النّحو العرفنيّ أنواعٌ شتّى من الظّواهر الأساسيّة. ويبدو أنّ هناك شكّا قليلا في أنّ النّظم التّصريفيّة الحقيقيّة تكون مبدئيّا قابلة للتّحليل تحليلا تامّا باعتماد التّجميعات الرّمزيّة.

هوامش الفصل

[1]- يجتنِب هذا التّعريف عمليّات التّمييز الاعتباطيّةَ والمسائل النّظريّة الزّائفة. وإذ كانت [*nominal* "اسميّ"] صفةً من [noun "اسم"]، وُصِف الاسم كذلك بكونه [*nominal structure* "بنيةً اسميّة"] أو [*nominal expression* "عبارةً اسميّة"].

[2]- المعذرة عن اللّعب بتأثيل الكلمات (إن لم تدرك ذلك انظر في معاني [chief "رئيس/ شيخ/ زعيم"] في القاموس.)

[3]- قياسا على ذلك، يمكن أن تكون [*those*] كذلك رأسا لـ[*those lazy cats* "تلك القطط الكسولة"]. لكن تذكّر أنّ للعنصر المجذِّر، في العبارات القياسيّة، نفسَ المعروض الّذي للاسم المجذَّر (الرّسم البيانيّ 9. 4). وفي مثل هذه الحالات لا يعتبَر كلاهما محدِّدا للمعروض (وفق قرار مصطلحيّ آخر).

[4]- هناك استثناءات لهذا، من قبيل [*arms dealer* "مروّج الأسلحة"]، و[*Clinton hater* "كاره كلينتون"].

[5]- في حالة أسماء الكتلة اللاّجمعيّة، لا تقوم أيّ صيغة إفراديّة قياما تامّا في هذه البنية. يكفي في بعض الأحيان الوسم الصِّفر: [*She bought some wine, and I bought more* "(هي) اشترت بعض الخمر، وأشتريت المزيد (منه)."]. ويجري في بعض الأحيان إدخال [*stuff* "شيء من"] في الاستعمال:[*She bought good wine, and I bought cheap stuff* "(هي) اشترت خمرا جيّدا، واشتريت شيئا (منه) رخيصا"]. ولكن هناك أيضا حالات لا يستقيم فيها أيّ منهما: [*They don't want just partial freedom, they're holding out for total {stuff/ ϕ}* "*(هم) لا يريدون حرّيّة جزئيّة فقط، بل يطالبون بالكلّ {من الشّيء/ ϕ}.

[6]- كما وُصِف في الفصل 14، تمثّل الإحالة الضّميريّة العائديّة ظاهرة مرجعيّة: تشتغل [*the yacht*] نقطة مرجعيّة لتأويل الضّمير الهدف [it] (الرّسم البيانيّ 3. 14). لا يكون، في بعض الأحيان، اختيار النّقطة المرجعيّة، من حيث كانت محدَّدة بعوامل متنوّعة متفاعلة (فان هوك 1997)، اختيارا وحيدا. على سبيل المثال، يمكن أن تحيل [*she*]، في ما يلي على [*Jill*] أو [*When I saw **Jill** talking to **my sister**, **she** was quite agitated* : [*my sister* "عندما رأيت جِلّ تكلّم أختي، كانت (هي) مضطربة بعض الشّيء"].

[7]- يمكن أن يكون هذا الفريق من أيّ حجم: عائلة، والطّلبة في قسم من الأقسام، وفئة مهنيّة، وأفراد ثقافة ما، وهلمّ جرّا.

[8]- بصفة أعمّ، يعتبَر القطب الصّوتميّ في عبارة ما، في النّحو العرفنيّ، واحدا من مظاهر معناها الشّامل (لانقاكر 1987: 2. 2. 1). ولا يثير هذا الأمر مشكلا أبدا، ولكنّه مفتاح لفهم عدد من الظّواهر المتنوّعة (المحاكاة الصّوتيّة، مثلا).

[9]- يمكن أن يكون لهذه الفرادة مصادر أخرى كذلك. ففي الواحدة من دورات التّقويم الزّمنيّ، على سبيل المثال، يسم الاسم الّذي يطلق على كلّ شهر (جانفي، فيفري، ...) وحدةً مفردة ليس غير. وبالمثل تدلّ الأسماء الجارية على الألوان الأساسيّة (أصفر، أحمر، أزرق، إلخ) على مناطق فريدة من فضاء اللّون (الرّسم البيانيّ 4. 4 (a)). ورغم أنّ هذه الأسماء ليست أعلاما (في المعنى الضّيّق للكلمة)، فهي تجري دون تجذير منفصل ويمكن تبعا لذلك أن تعتبَر أسماء أعلاما (انظر كوُوتس 2006).

[10]- يوجد استثناء ظاهر في الأسماء البدئية الواردة في عبارات من قبيل: [*stone wall* "جدار حجريّ"]، [*tile floor* "أرضيّة قرميد"]، و[*paper bag* "كيس ورقيّ"]. ويحتمَل أنّها تعرض علاقات في هذه البنية. وممّا يوحي بانبناء علائقيّ، المركّبات من قبيل [*completely tile floor* "أرضيّة قرميد بتمامها"]، حيث [*tile*] يحوّرها الظّرف [*completely*]، وكذلك استعمالها في مركّبات جُمَليّة خبريّة، مثل [*The floor is tile* "الأرضيّة قرميد"].

[11]- في ما عدا المركّبات الجُمَليّة الموصولة المنتهية (وهي ذات خصوصيّة بحكم تجذيرها المستقلّ)، يتمثّل الاستثناء الوحيد في الإنجليزيّة، في محوّرات الأفعال غير المصرّفة الموسومة بـ[to]. ومع هذه الأفعال، يناسب الرّأسُ الاسميّ إمّا المتقِلَ ([*the first person to arrive* "أوّل شخص وصل"]، أو المعلَم [*a woman to admire* "امرأة تستحقّ الإعجاب"]، أو حتّى معلَم حرف ([*something to stir the soup with* "شيء ما يحرّك الحساءُ به"].

[12]- للعثور على حجّة تبين بها المنزلة الّتي لموقع بلورة المنتقل، لاحظ أنّ نفسَ المشارك يشفّره الفاعل النّحويّ عندما يشتغل المحوِّر خبرا في المركّب الجُمَليّ:

The table is {near the door/small/sitting by the door/broken/polished every morning}.

الطّاولة {قرب الباب/ صغيرة/ منتصبة عند الباب/ مكسورة/ تلمَّع كلّ صباح}.

[13]- يعادل الرّسم البيانيّ 10. 6 (a)، رغم صياغته الخطاطيّة - وهي عمليّة أكثر، بشكل جليّ- التّمثيلَ التّصويريَّ الوارد في الرّسم البيانيّ 7. 13. ينوب الحرفان التّاجيّان (T) و(D) عن [*table*] و[*door*]، في حين يشير حرف [G] إلى أنّ [*door* "باب"] مجذّرة. ويمثّل (s) في الرّسم التّخطيطيّ (b)، الخصيصةَ الّتي تحدّدها عبارة [*small* "صغيرة"].

[14]- الأبنية المحدّدة على أساس الأحاديّة القطبيّة (§ 6. 3) لا تشارك بذاتها في العلاقات الرّمزيّة. يُنتِجُ كذلك تجميعُ الأبنية المحدَّدة على أساس الثّنائيّة القطبيّة، في بعض الأحيان، بنيةً من مستوى أعلى لا تحقّق بذاتها الرّبطَ الرّمزيّ. تذكّر مثالا سابقا:[*The package arrived that I was expecting* "الطّرد وصل الّذي كنت أنتظر"] (الرّسم البيانيّ 7. 19 (b)). ورغم أنّ [*the package*] و[*that I was expecting*] يكوّنان تجميعة دلاليّة طبيعيّة، يظلّ التّصوّر المركّب غير مرمَّز.

[15]– تشير الحروف التّاجيّة الصّغيرة إلى نَبْرها المخفّف. (على أنّ الحروف المكتوبة بالخطّ الغليظ ليست مستعمَلة هنا للإشارة إلى النّبر ولكن إلى العلاقات الإحاليّة العائديّة).

[16]– التّجاور الزّمنيّ عنصر معياريّ في التّصوّر "الكلاسيكيّ" للمكوّنيّة (§ 7. 4). والتّوصيف الوارد أعلاه أشمل منه من حيث لا يحدّد أيّ أساس مخصوص يقوم عليه التّجميع.

[17]– يكتب ذلك كما يلي: [*young, frisky horse*]. ورغم أنّ الفاصل يمثّل موطنَ الوقف الأوّل، يهمل نظام الكتابة الشّائعة الوقفَ المشابه بين [*frisky*] و[*horse*].

[18]– كانت هذه العناصر قد مزجت في الرّسوم التّخطيطيّة السّابقة. والمقصود بتمثيل [the] هذا، هو أن يكون مكافئا للتّمثيل الوارد في الرّسم البيانيّ 9. 11 لكنّه يختلف عنه في تفاصيله لأنّ بعض العوامل الأخرى أكثر إفادة الآن. وزيادة على عرض النّوع عرضا صريحا، تصوّر الرّسوم التّخطيطيّة الحاضرة الأرضيّةَ بشكل أبسط وتحذف إطارَ الخطاب السّابقَ.

[19]– هل يكون من الواجب أن يعادِل التّناسبُ (i) معروضَ [*the*] بمعروض [*mouse*]، بطريقة مماثلة؟ ما من فرق بينهما حقيقة، إذ يتناسب معروض [*mouse*] ومعروضُ [*tiny mouse*] في جميع الأحوال. والتّناسب المعروض في الرّسم البيانيّ هو ذاك التّناسب المتوقَّع على أساس الخطاطة البنائيّة العامّة للتّجذير الإسمائيّ.

[20]– لا ينبغي أن نضخّم درجة الخروج عن القياس. بما أنّ [*mouse*] خطاطيّة إزاء [*tiny mouse*] – وبذلك تكون متأصّلة في تصوّرها– يمكننا كذلك القول إنّ نوعَ [the] الخطاطيَّ يناسب هذه البنية الفرعيّة المتأصّلة. والتّوصيفان متعادلان تماما.

[21]– توافق بنيةُ المكوّن المفهوميّ الدّاخليّةُ، في المفترض، القطبَ الدّلاليّ من الخطاطة البنائيّة الّتي تصف الإسمائيّات ذات السّلوك المقبول (أي المسترسلة) مثل [*the package that I was expecting*] "الطّرد الّذي كنت أنتظر(/ انتظره)"].

[22]– يكون من الغريب، في أفضل الأحوال، أن نقول: [*??The agreement was reluctant*] "؟؟كان الاتّفاق متردّدا"]، أو [*?*The consent was informed*] "؟ *كان القبول عالِما"] أو [**The awareness is conscious*] "*يكون الإدراك واعيا"].

[23]– على هذا، تكون العبارات التّالية عاديّة جدّا: [*That car is fast*] "تلك السّيّارة سريعة"]، و[*The parrot is very loud*] "الببّغاء ذو صوت عال جدّا"]، و[*His diet is unhealthy*] "غذاؤه غير صحّيّ"].

[24]– بدلا من ذلك، يمكن أن نعتبر المنطقة النّشطة النّوعَ الّذي تحقّقه هذه العناصر جميعها. وبما أنّ النّوع متأصّل في تصوّر تحقّقاته ، يكون البديلان متكافئين.

[25]– لاحظ أنّ [*wives*] "زوجات"] تمثّل تجميعة رمزيّة كاملة. والبنيتان المكوّنيّتان فيها هما [*wife*] "زوجة"]، وبديل خاصّ من صرفم الجمع: [[vz . . .]<––– [. . . f]] (انظر الرّسم البيانيّ 6. 11).

[26]– لا يخلو التّعالق بالجنس البيولوجيّ من الاستثناءات. وليس إسناد الجنس في حالات أخرى اعتباطيّا تماما – فهو يبين، بالفعل، عن قدر كبير من الانتظام (انظر زوبين وكوبك 1986).

[27]- ترتبط مقولتا المذكّر والمؤنّث ارتباطا قويّا بعلامتي [o-] و[a-] الواردتين في نهاية الكلمة (انظر لانقاكر 1991: § 4. 4)، ولكن للحفاظ على الأشياء في بساطتها سوف نهمل هذه العلامات الآن (انظر في الفقرة § 10. 4). فيمكن أن تقدّم الفكرة المدروسة هنا، بصرف النّظر عن أيّ وسم من هذا القبيل.

[28]- هذه الأوصاف شبيهة بقسم تصريف فعل من الأفعال (§ 8. 4. 2).

[29]- غالبا ما تكون المصنّفات متعدّدة المعاني، عاكسة بذلك التّنوّع في المقولات المرتبطة بها. على سبيل المثال، يجري المصنِّف [*tua*] الّذي يشرح تقريبا بـ[*body* "جسم"]، في التّايلانديّة، على الحيوانات، وعلى الأثاث، وعلى اللّباس. (للاطلاع على عرض عامّ في المصنّفات، انظر ألان 1977).

[30]- يمكن أن تكون الكتلة مسترسلة، أو تجزيئيّة أو تكراريّة (أي جمعا). يكون صوغ الواحدة بالأساس عكس صوغ الجمع: عوض تكرار وحدة متفاصلة لإنشاء كتلة ما، ينشئ وحدةً متفاصلة بتحديد كتلة ما.

[31]- يرفض النّحو العرفنيّ، بطبيعة الحال، الفكرة الرّائجة القائلة بأنّ [*of*] غير ذات معنى (أي هي عنصر "نحويّ" صِرف). فمعناها تجريديّ ببساطة (انظر لانقاكر 1999a: الفصل 3).

[32]- قارن هذا بالعبارة [*the splinter in my finger* "الشّقّ (الّذي) في أصبعي"] (لا يقال [**the splinter of my finger* "*شقّ أصبعي"]). وخلافا لطرَف الأصبع، يكون الشّقّ خارجيّا (عن الأصبع). وتستعمَل [of] كذلك للدّلالة على المادّة ([*a ring of fire* "حلقة من نار"])، وعلى العيّنات ([*the month of August* "شهر أوت"]، وعلى العلاقة الكامنة في معنى بعض الأسماء، من قبيل أسماء القرابة ([*a descendant of Abraham Lincoln* "سليل لأبراهام لينكولن"].

[33]- يمكن أن تشتغل هذه المسوِّرات إسمائيّات بصرف النّظر عن هذه البنية: [*{All/Some/Many/Three} are obviously overfed* "{الكلّ/ البعض/ الكثير/ ثلاثة} متخمون بكلّ وضوح"].

[34]- تشترك [all] في هذا السّلوك مع [*both*]، كما هو متوقّع: [*both of the geese* "كلّ من الإوزّتين"]؛ [*both the geese* "كلتا الإوزّتين"]. يكون لـ[*both*]، مثل [*all*]، الخصيصةُ الدّلاليّة الّتي تفيد أنّ الكتلة الّتي تعرضها مطابقة للامتداد الأقصى المفيدِ في السّياق، والّذي يزداد دقّة في تخصيصه بكونه متكوّنا من عنصرين ليس غير.

[35]- للّغة اللّويزينيّة سلسلة من واسمات الاسم الّتي تجري لواحق من هذا الضّرب (انظر الفصل 8: الهامش 19، والهامش 26).

[36]- من الجليّ أنّ التّجذير ليس خارجيّا بالنّسبة إلى الأسماء المجذَّرة بحكم طبيعتها (مثل الضّمائر والأسماء الأعلام). وبالنّسبة إلى الأسماء الأخرى، يكون الظّهور في الطّبقة البنيويّة الطّرَفيّة القصوى أمرا مطّردا ولكنّه ليس ثابتا. فالتّجذير، مثلا، كائن في درجة داخليّة أكثر، في بنية مصنِّف ما (انظر الرّسم البيانيّ 10. 17).

[37]- الضّمائر المعبّرة عن الملكيّة ([*her*]، [*my*] إلخ.) مختلفة عنها بهذا الاعتبار بطبيعة الحال.

[38]- هنـاك حـالات وسـطى، ويصعب في بعـض الأحيان أن نحـدّد إذا ما كان واسـمُ دورٍ يعـرض علاقـة. والتّعالـق العـامّ بين الإطنـاب الجـاري بالكلمـات المنفصلـة، والتّلصيق أوً التّصَريف الجاريين بالمشاركين المباشرين، أبعد ما يكون عن الخلوّ من الاستثناءات.

[39]- تذكّر ما جرت به العادة في التّمثيل الصّياغيّ من إشـارة إلى التّطابق بين علاقتين ببيان التّناسب بين المشاركين فيهما.

[40]- توجـد إمكانيّـة ضعيفـة في أن يُحلَّـل بالفعل عنصر مثل [*yot*] على أنّه اسـم عوضَ أن يكون صفة في اللّغة اللّويزينيّة (بوجه قد يدلّ فيه [*yot*] على معنى من قبيل "واحد كبير" عوضا عـن معنـى "كبيـر" فقط). وإذا كان الأمر كذلـك، فهذا لا يعدو أن يكون إلاّ مسـألة مدارها أنّه يعرض الشّيء بدل العلاقة المعرِّفَة، وهذا أمر لا يغيّر شيئا من التّحليل الأساسيّ.

[41]- مثـلا، بمـا أنّ العـدد كامن في كلّ شـكل من الأشـكال الإيطاليّة، يمكـن أن تُقيَّم هذه الأشكال على أساس موافقتها لخطاطة بنائيّة تَتطلّب أن "يتطابق" الفاعل والفعل في العدد.

11. بنية المركّب الجُمَليّ

في النّحو العرفنيّ، يستعمَل مصطلح "الفعل" في المعنى الواسع للدّلالة على كلّ عبارة تعرِض عمليّة. فهو يضمّ كلاّ من الأفعال المعجميّة والعبارات الفعليّة المركّبة، سواء أكانت ثابتة أم جديدة. ومثلما يرأس الاسم إسمائيّا، يرأس الفعل مركّبا جُمَليّا يتضمّن إسمائيّات تمثّل المشاركين في العلاقة المعروضة. ويكون المركّب الجُمَليّ التّامّ مثلما يكون الإسمائيّ التّامّ، مركّبا جُمَليّا مجذَّرا: يفرِد عيّنة من نوع العمليّة ويحدِّد منزلتها إزاء حدث الكلام والمتحاورين. ويقالَ في الدّراسات التّقليديّة، إنّ المركّب الجُمَليّ التّامّ منته ("مكتمل"). وتختلف المركّبات الجُمَليّة في هذا المضمار عن العبارات غير المصرّفة وعبارات مصادر الفاعليّة والمفعوليّة، الّتي يمكن أن تكون مماثلة له بنيويّا في ما عدا ذلك. وبما أنّ الأفعال غير المصرّفة ومصادر الفاعليّة والمفعوليّة، تبني العمليّةَ بناء كلّيّا، تكون لاعمليّاتيّةً وغيرَ مجذّرة تبعا لذلك. وقد نوقش تجذير المركّبات الجُمَليّة المنتهية في الفقرة 9. 4. ونفحص هنا مظاهر أخرى من انتظام المركّبات الجُمَليّة.

11. 1 الانتظام الشّامل

الأشياء الّتي تأهل عالمَنا الذّهنيَّ لا تكوّنه هي بذاتها. فما يجعل منه عالما - لا مجرّدَ مسرد من الوحدات تُتصوّر الواحدة منها بمعزل عن الأخرى- إنّما هي العلاقات الّتي تدخل فيها تلك الوحدات. هو عالم منضّد لأنّ الكثير من العلاقات يستمرّ خلال الزّمن، موفّرا بذلك أساسا مستقرّا لإدراك العلاقات الّتي تقوم على التّغيّر بحكم طبيعتها. ويُطلَق على العلاقة الّتي نتابع تطوّرها خلال الزّمن، سواء أكانت مستمرّة أم متغيّرة، مصطلح "عمليّة". فالفعل يحدّد نوعا من العمليّة، والمركّب الجُمَليّ المنتهي يدلّ على عيّنة مجذَّرَة من نوع العمليّة. والمركّبات الجُمَليّة، حينئذ، هي وسيلتنا الأساسيّة في الحديث عن العالم وفي ربط المجرَيات بظروفنا الخاصّة. وعادة ما يتمثّل الخطاب، بصفة أساسيّة، في سلسلة من المركّبات الجُمَليّة؛ ولا يتضمّن سلسلة من الإسمائيّات

إلاّ في ما ندر.[1] فالغرض الرّئيسيّ من استحضار مراجع الإسمائيّات، إنّما هو وصف مشاركتها في العلاقات.

تكون العلاقات تابعة من زاوية مفهوميّة، إذ يفترض تصوّرُها في ذاتها مسبقا تصوُّرَ المشاركين فيها. لهذا السّبب، تندرج الإسمائيّات اندراجا آليّا في المركّبات الجُمَليّة (ولكنّ العكس لا يكون). من الأبعاد المهمّة في انتظام المركّبات الجُمَليّة، الدّورُ الّذي يكون لمراجع الإسمائيّات باعتبار العمليّة المعروضة. فيكون على هذا من صميم الموضوع كلٌّ من الأدوار الدّلاليّة (من قبيل المحدث، المتحمّل، الوسيلة، إلخ) والكيفيّة الّتي بها تسقَط هذه الأدوار على الأدوار النّحويّة (الفاعل والمفعول بوجه خاصّ). ويتمثّل البعد الثّاني من الانتظام في وجود أنواع أساسيّة من المركّبات الجُمَليّة. يجري التّمييز من زاوية بنيويّة بين الأنواع باعتماد عوامل مثل التّقابل بين الانقضائيّ واللاّانقضائيّ، وعدد المشاركين المبأّرين. ويمكن أن ترتبط تلك الأنواع، من زاوية مفهوميّة، بالمظاهر البارزة من التّجربة البشريّة (مثل العمل، التّنقّل، الإدراك، الموضع). ويتمثّل البعد الثّالث في الكيفيّة الّتي بها تشتغل المركّبات الجُمَليّة في الخطاب. فمن تجليّاتها التّجذيرُ والأدواتُ الّتي يكون بها إدراج المراجع الخطابيّة الجديدة، والأبنيةُ الّتي توفّر الخيارات في انتقاء المشاركين وفي تبئيرهم (مثل البناء للمعلوم مقابل البناء للمجهول).

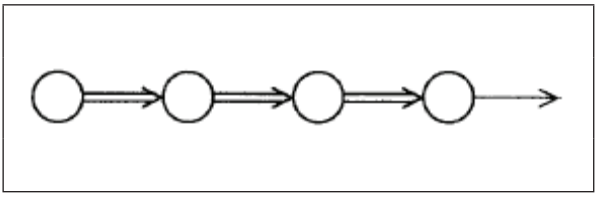
11. 1. 1 النّماذج البدئيّة المفهوميّة

رغم التّنوّع في بنية المركّب الجُمَليّ وتعقّدها، نلاحظ مباشرة أنّها متجذّرة في التّجربة البشريّة الأساسيّة. فأفضل الوجوه في وصفها وفي فهمها يكون بالرّجوع إلى بعض التّصورات النّموذجيّة البدئيّة الّتي تمثّل المظاهر الأساسيّة في تلك التّجربة. تؤدّي النّماذج البدئيّة المفهوميّة دور الأطرزة لعناصر المركّب الجُمَليّ، وهي عامل رئيسيّ في تحديد تنضيدها البنيويّ.

من النّماذج البدئيّة تنضيد مشهد ما إلى إطار شامل وإلى عدد غير محدود من المشاركين الّذين يكونون أصغر حجما وأكثر حركيّة. ففي هذه اللّحظة، مثلا، أجد نفسي في غرفة تحتوي على أشياء أخرى كثيرة: كراسيّ، وطاولات، وحاسوب، وطابعة، وكتب، وأقلام، ومصباح، وصور، وهلمّ جرّا. ويُسمَّى المشاركون - وهم في الأغلب أناس وأشياء مادّيّة متفاصلة- مشاركين لأنّهم يشاركون في الأعمال وفي مظاهر التّفاعل. على سبيل المثال، أنا أعمل عملا ما عندما أجول في الغرفة وأتفاعل مع الأشياء الّتي فيها

عندما أستعملها، أو ألمسها، أو أنظر إليها مجرّد النّظر. فالأطر المطّردة هي الأشياء من قبيل الغرَف، والبنايات، والمناطق الجغرافيّة، الّتي تُتصوَّر في العادة على أنّها تحتضِن الأحداث بدل أن تشارك فيها.[2] وعند لحظة معيّنة، يكون كلّ مشارك موجودا في موضع ما. فالموضع جزء من الإطار (أيّ نقطة أو مساحة داخله). ووفق ذلك، نتصوّر المواضع حاضنةً للمشاركين بدل أن تتفاعل معهم - فأن يكون الشّيء ببساطة في مكان ما، لا يعني في ذاته وبذاته، التّفاعلَ معه. باختصار، يتفاعل المشاركون الواحد منهم مع الآخر ولكنّهم يحلّون في المواضع مجرّد الحلول.

ويكون مفهوم التّفاعل من صميم نموذج بدئيّ أساسيّ آخر- أعني منوال كرة البلياردو (§ 4. 2. 1). يمثّل ذلك تصوّرنا للأشياء وهي تتنقّل عبر الفضاء ويصدم الواحد منها الآخر من خلال صلة فيزيائيّة قويّة. وتوفّر بعض الأشياء الطّاقةَ المطلوبة من خلال مواردها الدّاخليّة الخاصّة بها؛ وبعضها الآخر يكتفي بمجرّد نقل تلك الطّاقة أو بامتصاصها. ويقوم على أساس هذا المنوال العرفنيّ تصوّر نموذجيّ بدئيّ آخر، هو سلسلة العمل، الّتي تُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 11. 1. سلسلة العمل هي سلسلة من التّفاعلات القويّة، كلّ واحدة منها تشتمل على نقل الطّاقة (يشار إليه بالسّهم المزدوج) من مشارك ما إلى مشارك موال له. مبدئيّا، يمكن أن تكون سلسلة العمل على أيّ قدر من الطّول. لكنّ المهمّ من زاوية لغويّة، أن تتكوّن سلسلة العمل الدّنيا من صِلة وحيدة فقط: تفاعل مفرد ذو مشارِكَين اثنين. ومن المهمّ كذلك سلسلة العمل المهترئة الّتي يكون فيها المشارك نفسه، في آن، مصدرَ الطّاقة وموقع تجلّيها: عمل ذو مشارك واحد.



الرّسم البيانيّ 11. 1

وممّا يرتبط بالأعمال والأحداث، أصناف متنوّعة من الأدوار النّموذجيّة البدئيّة. ففي مستوى أوّل، تكون لمفاهيم الإطار، والموضع، والمشارك، تلك المنزلةُ. وفي مستوى آخر، يمكننا أن نميّز بين عدد من الأدوار ذات تخصيص أكثر بالنّسبة إلى المشاركين في الحدث.[3] فالمحدِث فردٌ يشرع في عمل

وينفّذه بوجه إراديّ، يكون في العادة عملا ماديّا يؤثّر في كيانات أخرى. فهو، على هذا، «مصدر الطّاقة» والمشارك البدئيّ في سلسلة العمل. وعلى نقيض المحدِث يكون المُتحمِّل الّذي يُعرَّف تعريفا دقيقا بكونه شيئا يمرّ بتغيير في حالته الدّاخليّة (كأن ينكسر، أو يذوب، أو يموت). وعادة ما يتغيّر المتحمّل، وهو في الغالب من الجماد ومن غير ذوات الإرادة، نتيجةً لتأثير قوى خارجيّة فيه. فهو لذلك «بالوعة الطّاقة» والمشارك النّهائيّ في سلسلة العمل. والوسيلة شيء يستعمله المحدِث للتّأثير في وحدة أخرى. وتكون الوسيلة، في العادة، شيئا ماديّا جامدا يعالجه المحدِث معالجة ماديّة. فهي لذلك لا تمثّل مصدرا مستقلاّ للطّاقة بل هي وسيط في نقل القوّة من المحدث إلى المتحمّل. ويحيل مصطلح عائش التّجربة على التّجربة الذّهنيّة، من أيّ طبيعة كانت: فكريّة، أو إدراكيّة، أو عاطفيّة. فيكون لذلك عائش التّجربة من ذوات الوعي، وبشرا بطبيعة الحال. ومقابل ذلك، يمكن أن يكون المتنقّل كذلك من الجماد. يعرَّف مباشرة بكونه أيّ شيء يتنقّل (أي يتغيّر موضعه في علاقته بالأشياء في المحيط الخارجيّ). وأخيرا، نعتمد مصطلح الصّفر للمشاركين الّذين يكون دورهم من أدنى الأدوار مفهوميّا وغيرَ تمييزيّ. فهذا هو الدّور المحايد، أو الدّور الأساس الّذي يكون للمشاركين الّذين يوجدون مجرّد الوجود، أو يحلّون مجرّد الحلول في موضع ما، أو يُظهِرون خصيصة سكونيّة.

ويتعلّق نموذج بدئيّ من نوع آخر، هو منوال الرّكح، بالكيفيّة الّتي بها ندرك العالم الخارجيّ. والمقصود بالمصطلح الإيحاءُ بأنّ العمليّة العامّة شبيهة بالحالة الخاصّة المتمثّلة في مشاهدة مسرحيّة. فلا يمكننا أن نرى كلّ شيء في وقت واحد، ولذلك تتطلّب رؤية العالم توجيه الانتباه وتبئيره. فمن الحقل الأقصى الّذي يبلغه النّظر، ننتقي منطقة محدودة نتّخذها موضعا عامّا للانتباه (هذا نظير النّظر إلى الرّكح من المسرح). وفي داخل تلك المنطقة، نركّز انتباهنا خصّيصا على بعض العناصر (هي نظيرة للممثّلين والدّعائم). وبطبيعة الحال، لسنا معنيّين بالبصر في ذاته بل بوجوه الشّبه الّتي تظهر بينه وبين التّصوّر الشّامل (الرّؤية في معناها الواسع). يبدو منوال الرّكح قابلا للانطباق على مدى واسع. فحقلُ الرّؤية الأقصى، والمنطقةُ الماثلة على الرّكح، وبؤرة الانتباه تناسب على وجه الخصوص، المدى الأقصى لعبارة ما ومداها المباشر، ومعروضها، تباعا.

وتتعلّق فئة أخيرة من النّماذج البدئيّة بحدث الكلام في ذاته. تتضمّن هذه مفاهيمَ أساسيّة من قبيل التكلّم، والسّماع، والمشاركة في تفاعل اجتماعيّ.

وممّا يكون ذا منزلة نموذجيّة بدئيّة، تصوّرات الأعمال اللّغويّة الأساسيّة (مثل التّقرير، والأمر، والطّلب، والوعد). ومن النّماذج البدئيّة المهمّة والشّاملة بدرجة أكبر، تنضيد الرّؤية المحايد الّذي ناقشناه في الفقرة § 3. 4. 1. والتّنضيد المحايد تنضيد لمُتحاورَين اثنين يكونان معا في موضع ثابت، يستعملان لغة مشتركة بينهما لوصف ما يجري في العالم حولهما.

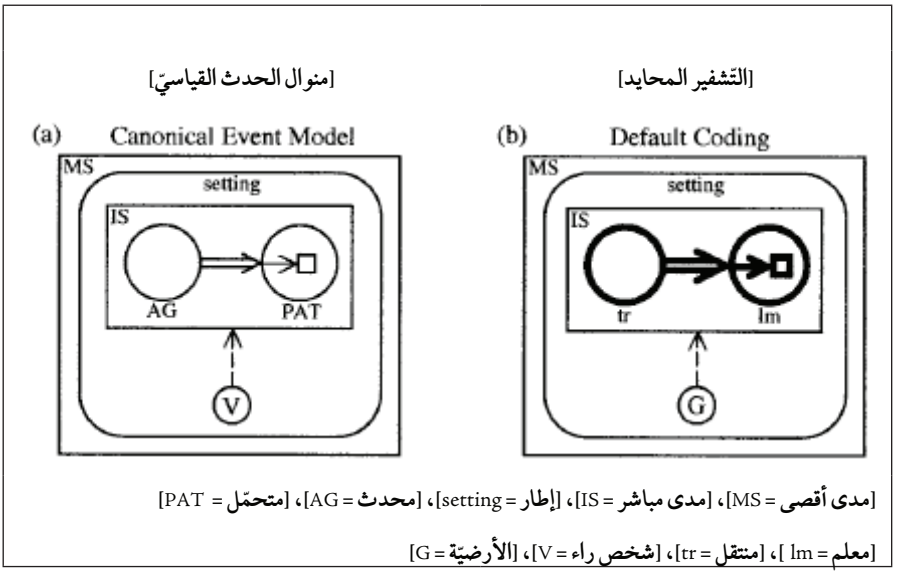
هذه النّماذج البدئيّة المختلفة مترابطة وقادرة على التّوالف في ما بينها. وتوفّر توليفةٌ خاصّةٌ نقطةَ انطلاق مناسبة للخوض في شأن البنية المركّبيّة الجُمَليّة. لنطلق عليها منوال الحدَث القياسيّ، لأنّه يمثّل الطّريقة القياسيّة في إدراك ما يحتمل أن يكون أكثر أنواع المجريات تواترا. يتحدّد هذا المجرى، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 11. 2 (a)، بكونه حدثا محدودا قائما على قوّة، يعمل فيه محدِث (AG) على متحمِّل (PAT) لينشئ تغييرا في حالة ما. هذا الحدث هو بؤرة الانتباه داخل المدى المباشر (المنطقة الماثلة على الرّكح) يجري إدراكها من خارج الرّكح من طرف شخص راءٍ (V) لا يشارك فيها بما عدا ذلك. جميع ذلك يتطوّر في إطار شامل ما.[4]

11. 1. 2 التّشفير

يحيل مصطلح التّشفير على الكيفيّة الّتي بها ترتبط الأبنية المفهوميّة بالأبنية اللّغويّة التي تُستدعى للتّعبير عنها. مثلا، يشفِّر الواحد من الأحداث أو الوضعيّات المتصوّرة بمركّب جُمَليّ منته يصِفُه. فبعض الأنواع من المركّبات الجُمَليّة صالحة خصّيصا لتشفير أنواع مخصوصة من المجرَيات. فيكون نوع المركّب الجُمَليّ، عندما يرتبط بهذه الطّريقة، الوسيلةَ المحايدة في تشفير المجريات المناسبة له والّتي تمثّل طرازا بالنّسبة إليه.

ومما يوضّح هذه العلاقةَ أمثلةٌ كلاسيكيّة من جمل يستعملها اللّسانيّون المنظّرون في عهود مختلفة: [*The farmer killed the duckling* "قتل الفلاّح فرخَ البطّ"]؛ [*Floyd broke the glass* "كسر فلويد الكأس"]؛ [*John hit Mary* "ضرب جون ماري"] [5]. تحقِّق هذه العبارات نوعا أساسيّا جدّا من المركّب الجُمَليّ: مركّبا جُمَليّا متعدّيا ذا مشاركين مبأَرين. وبالمثل، تُحقِّق المجرياتُ الّتي تصفها نموذجا بدئيّا مفهوميّا أساسيّا، هو منوال الحدث القياسيّ. وتمثّل المركّباتُ الجُمَليّة الوسائلَ العاديّة في تشفير تلك الأحداث الّتي تجري طرازا لها. يُعرَض هذا التّشفير المحايدُ باختزال في الرّسم البيانيّ 11. 2 (b). يُجعَل التّفاعل بين المحدِث والمتحمِّل ماثلا على الرّكح ويُعرَض عرضا يكون فيه المحدِث منتقِلا والمتحمِّل معلما. وتطابق الأرضيّةُ الرّائيَ الماثلَ خارج الرّكح.

في التّشـفير المحايد لحدث قياسـيّ، تحمل عناصر المركّب الجُمَليّ ما يُعتبَر في العموم قيما طرازيّة لها. فالفعل الطّرازيّ هو الفعل الّذي يعرض تفاعلا بيـن المحدث والمتحمِّل. فيكون، وفقًـا لذلك، طرازُ الفواعل في مركّب جُمَلـيّ محدثا، وطرازُ المفاعيل متحمِّلا. وممّا يكـون متواترا كذلك (أو كثيرَ الشّـيوع على الأقلّ) عددٌ مـن التّعالقات الأخرى بيـن النّماذج البدئيّة المفهوميّة، وعددٌ من مظاهر التّنضيد المركّبيّ الجُمَليّ. فالإطار، عادة ما يعبّر عنه بواسطة ظرف خارجيّ عن المركّب الجُمَليّ (من مثل [*Outside, the crowd was getting restless* «في الخارج، كان الحشـد يزداد هيجانا»]). وتمثّل المركّبات الحرفيّة الطّريقةَ المعهودةَ في تشـفير كلٍّ من المواضـع ([*She put it on the shelf* «وضعته (هي) على الرّفّ»]) والمشـاركين غير المبأّرين، من قبيل الوسـائل ([*He was stirring the soup with a flyswatter* "كان يحرّك الحساء بمنشّة الذّباب"]). ويتعالـق موقع الرّائي خارجَ الرّكح مع طبيعة المشـاركين الغائبين (ضمائر الغيبة) "غير الموسومين"، يعني ذلك أنّهم يمثّلون الحالة العامّة خلافا لإحالة ضمائر المتكلّم والمخاطب من حيث كانت الحالةَ "الموسومة" أو الخاصّة.[6] وبالإضافة إلى ذلك، يكون المركّب الجُمَليّ، باطّراد، إثباتيّا (في مقابل النّفي) وتقريريّا من حيث الشّكل (بدل أن يكون استفهاما أو أمرا). تعكس هـذه الخصائص توزيعَ الرّؤية المحايد الّذي يلاحِظ فيه المتحاورون ما يجري في العالم من حولهم ويصفونه.



الرّسم البيانيّ 11. 2

يتجلّى في هذه التّعالقات تَجذُّر بنية المركّب الجُمَليّ في التّجربة البشريّة الأساسيّة. فإذا كان كلّ مركّب حمليّ مطابقا لتلك التّعالقات، ما من أحد يناقش الأساس الدّلاليَّ الّذي تقوم عليه المفاهيم النّحويّة من قبيل الفاعل والمفعول به والفعل (مثلا، معنى «الفاعل» هو «المحدث» بكلّ بساطة). ولكن يتبيّن أنّ المسائل أعقد بكثير لأسباب عديدة. أوّلا، ليس التّشفير المعروضُ في الرّسم البيانيّ 11. 2 العلاقةَ المحايدة الوحيدة. فليس التّفاعل بين المحدث والمتحمِّل إلاّ جريانا واحدا من النّموذج البدئيّ، وليس المركّب الجُمَليّ المتعدّي ثنائيُّ المشاركين، إلاّ نوعا واحدا أساسيّا. ويكون في تقارنات زوجيّة أخرى، للمفاهيم النّحويّة مضمون دلاليّ آخر. ثانيا، يتوسّع كلّ نوع من المركّب الجُمَليّ ليشمل أنماطا أخرى من الجريان تَشذُّ عن النّموذج البدئيّ المناسب. فإلى جانب العبارة [*Floyd broke the glass* "كسر فلويد الكأس"]، مثلا، لنا مركّبات جُمَليّة متعدّية مثل [*Floyd noticed the glass* "انتبه فلويد إلى الكأس"]، حيث يكون للمشاركَيْن دور عائش التّجربة والدّورُ الصّفر، عوضا عن دور المحدِث ودورِ المتحمّل. ويتمثّل العامل الثّالث الّذي يزيد المسألة تعقيدا، في وجود أبنية خاصّة تسمح للمجريات النّموذجيّة البدئيّة بأن تشفَّر بطرق بدائل لتحقيق غايات خطابيّة. فممّا يوفّر بدائل عن عبارة [*Floyd broke the glass*]، الأبنيةُ المسندة إلى المفعول، والأبنيةُ "الوسيطة" والأبنية الوجوديّة: [*The glass was broken* (*by Floyd*) «كُسِر الكأس (من قبل فلويد)»]؛ [*The glass broke easily* «انكسر الكأس بسهولة»]؛ [*There was a glass broken* "كان هناك كأس مكسور"]. وعندما يكون النّظر في مجموعة الخيارات بتمامها، يتّضح أنّ أيّ توصيف عامّ لعناصر المركّب الجُمَليّ يجب أن يكون خطاطيّا إلى حدّ ما.

لا توجد قائمة نهائيّة لكلّ من أنواع المركّب الجُمَليّ أو نماذجه البدئيّة الّتي يمكنها أن تُستَدْعى على أنّها أطرزة لها.[7] فإلى جانب التّفاعل بين المحدِث والمتحمِّل، تتمثّل بعض النّماذج البدئيّة الّتي يكون لها تلك الإمكانيّة، في تصوّر وحدة تتنقّل عبر الفضاء، أو تعيش تجربة ذهنيّة، أو تحلّ في موضع ما، أو تُظهِر خصيصة ما. وتختلف اللّغات من حيث عدد أنواع المركّبات الجُمَليّة الّتي تستعملها ومن حيث مجموعة النّماذج البدئيّة الّتي يُستعمَل لها كلّ واحد من تلك الأنواع. ومثل أغلب اللّغات، تعبّر الإنجليزيّة عن الحركة بواسطة فعل لازم دالّ على التّنقّل مقترنا بظرف يحدّد المسلك أو الغاية: [*They walked*

{*along the river / to the station*} «ساروا والنّهرَ/ إلى المحطّة»]. ولكنّ الإنجليزيّة لا تملك للتّجربة الذّهنيّة نوعا مخصوصا من المركّب الجُمَليّ. فعندما تتّصل تلك التّجربة بإدراك وحدة أخرى، نشفّرها باعتماد مركّب جُمَليّ متعدّ عاديّ: [*I* {*noticed / remembered / liked*} *the painting* «{لاحظت/ ذكرت/ أحببت} اللّوحة الزّيتيّة»]. وعندما لا يكون ذلك، يعبّر عنها في العادة باعتماد [*be*] متبوعة بصفة، وهي نفس البنية الجارية للتّعبير عن الخصائص: [*I was* {*sad / dizzy / nervous*} «كنت {حزينا/ ذاهلا/ قلقا}؛ انظر في [*It was* {*round / heavy / expensive*} "كان (الشّيء) مدوّرا / ثقيلا / باهظا}]. تمثّل هذه البنية الأخيرة حالة خاصّة من نوع مركّب جُمَليّ أساسيّ يُستعمل للوضعيّات السّكونيّة. فحسب ما يرد بعد [*be*] من صفة، أو ظرف، أو إسمائيّ، يحدّد المركّب الجُمَليّ خصيصةً أو موضعا أو هويّة مرجعيّة: [*She is* {*tall / in the garage / my aunt*} «هي تكون {طويلة / في المستودع/ عمّتي (/خالتي)}].

ولئن لم تكن الإنجليزيّة شاذّة من هذه النّواحي، فإنّ لكلّ لغة إستراتيجيّاتها في التّشفير. فبعض اللّغات تَستعمِل لتحديد الخصائص أفعالا لازمة عوضا عن الصّفات، بحكم أنّها لا تملك إلاّ عددا قليلا منها إن كانت لها صفات (ديكسون 1977). وتختلف لغات كثيرة عن الإنجليزيّة بأن يكون لها نوع من المركّب الجُمَليّ خاصّ بالتّجربة الذّهنيّة (كلايمان 1981؛ باسكاراو وسُبّاراو 2004). وفي الأغلب الشّائع، يشفَّر عائش التّجربة بإسمائيّ يرد في الموضع البدئيّ من المركّب الجُمَليّ يوسَم مثلما يوسَم المفعول به غير المباشر، كما في الألمانيّة [*Mir ist kalt* «أنا أشعر بالبرد»] (حرفيّا = بالنّسبة إليّ هو بارد). وتختلف اللّغات في ما إذا كان هذا الإسمائيّ يشتغل نحويّا فاعلَ المركّب الجُمَليّ. فالإنجليزيّة والسّاموانيّة تبينان عن فارق مهمّ في الكيفيّة الّتي بها تعبّران عن الإدراك الذّهنيّ للوحدات الأخرى. لهذه الغاية، تستعمِل كلّ لغة نوعا من المركّب الجُمَليّ يرتبط ارتباطا رئيسيّا بنموذج بدئيّ آخر. فقد اختارت اللّغة الإنجليزيّة مركّبا جُمَليّا متعدّيا يقوم على أساس التّفاعل بين المحدث والمتحمِّل: فالعبارة [*The boy saw the ship* "رأى الولد السّفينة"] موازية بنيويّا لعبارة [*The pirates destroyed the ship* «حطّم القراصنة السّفينة»]. ومقابل ذلك، تحبّذ السّاموانيّة نوع المركّب الجُمَليّ اللاّزم الّذي يُستعمَل للتّعبير عن التّنقّل نحو هدف ما (كوك a1993). وعلى هذا تكون الجمل الواردة في (1) متماثلة:

(1)

(أ) *E alu le tama ʼi le fale'oloa*

IMPRF go the boy to the store

ذهب الـ ولد إلى الـ متجر لاانقضائيّ

«يذهب الآن الولد إلى المتجر.»

(ب) *Na vaʕai le tama ʼi le va'a*

PAST see the boy to the ship

ماض رأى الـ ولد إلى الـ سفينة

«رأى الولد السّفينة.»

ورغم الاختلاف بين الإستراتيجيّتين، تمثّل كلّ واحدة منهما توسيعا دلاليّا طبيعيّا يبرّره تماثل تجريديّ. يمثّل كلّ من التّنقّل الفضائيّ نحو هدف ما ونقلِ القوّة من المحدِث إلى المتحمِّل ورؤيةِ الوحدات الأخرى، خطاطةَ المصدَر- المسلك - الهدف (الرّسم البيانيّ 2. 1).[8] وعلى أساس هذا القاسم المشترك، تستعمِل كلّ لغة نوعا من المركّب الجُمَليّ متجذِّرا في مجريات مادّيّة لتشفير العلاقات الكائنة في التّجربة.

ولئن اتّبعت الإنجليزيّة والسّاموانيّة إستراتيجيّتين مختلفتين في التّشفير، فإنّ كلّ واحدة منهما تستقيم بطريقتها الخاصّة، بأن تستغلّ الظّواهر العرفنيّة الأساسيّة وفق قوالب تكون جارية أكثر في اللّغة. يدلّ ذلك على نقطة عامّة مهمّة: بنية المركّب الجُمَليّ طبيعيّة في معظمها وذات تبرير جيّد. ويمكننا أن ننسب تعقّدها وتنوّعها إلى الحقيقة الّتي مفادها أنّ المركّبات الجُمَليّة تُستعمَل لمجموعة واسعة جدّا من الغايات الوصفيّة والتّواصليّة، يمكن أن تتحقّق كلّ واحدة منها بطرق مختلفة. ولتلبية هذه الحاجات المتنوّعة، توسَّعُ أنواعُ المركّب الجُمَليّ والعناصرُ المركّبيّة الجُمَليّة، إلى ما يجاوز مدى استعمالاتها المعهودة. فتكتسب، بذلك، شبكات من المعاني المترابطة تتركّز على النّماذج البدئيّة المفهوميّة الّتي تشتغل أطرزة لها. غير أنّ النّحو العرفنيّ يدافع عن الفكرة القائلة بأنّ لبعض المفاهيم الأساسيّة معانيَ خطاطيّة صالحة لجميع العيّنات، وأنّ بعض مظاهر التّنظيم المركّبيّ الجُمَليّ تكون إمّا كونيّة أو مشتركة على نطاق كبير.

11. 1. 3 مستويات البنية المركّبيّة الجُمَليّة

يعـرض المركّـب الجُمَليّ المنتهي عيّنة مجذَّرة من نـوع عمليّة ما. وفي أبسـط الحالات، يجري تخصيص هذا النّوع تخصيصا مباشرا بفعل معجميّ، من قبيل [*break* «كسـر»] في [*the glass Floyd broke* "كسـر فلويد الكأس"]. فيكون بذلـك هذا الفعلُ رأسَ المركّب الجُمَليّ - مماثلا للاسـم الّذي يجري رأسـا لإسـمائيّ - بمعنى أنّ العمليّة الّتي يعيّنها ذلك الفعل يعرضها المركّب الجُمَليّ ككلّ. ومثل الرّأس الاسميّ، يكون الفعل الّذي يشتغل رأسـا لمركّب جُمَليّ في بعض الأحيان جديدا، وفي الغالب مركَّبا داخليّا. ومـن أمثلة الفعل الجديـد والمركّب في آن، يمكن أن يكون الشّـكل المشـتقّ [*defunctionalize* "نزع/ عطّل الوظيفة"]. ورغم أنّ هذا الفعل البديل من [*break* «كسـر»] لم يكتسـب بعدُ المنزلةَ المعجميّة، فهو مؤهّل لأن يجري في الاستعمالات الإداريّة الرّسـميّة: [*Floyd defunctionalized the glass* "عطّل فلويد وظيفة الكأس"].

تتكوّن البنية المجذَّرة من عناصر تتجاوز الفعلَ بمفرده. فتتضمّن زيادة على ذلك "موضوعات" الفعل، على الأقلّ: الإسـمائيّات الّتي تحدّد المشاركين فيه المعروضين. ففي عبارة [*Floyd broke the glass*] يتحقّق تصريف الزّمن الماضي على [*break*] ولكنّه يجذِّر كامل البنية [*Floyd break the glass*]. فالعمليّة المجذَّرة، إذن، ليسـت عيّنة من [*break*] فقط، بل هي كذلك النّوع الّذي توصّفه تلك البنية بتفصيل أكثر. وإذ كانت العمليّة تابعةً مفهوميّا للمشاركين فيها، فإنّ الفعـل يسـتحضرهم بطريقة خطاطيّة من حيث مثّلوا مظهـرا كامنا في معناه. وبذلك تبلور الإسـمائيّاتُ الّتي تحدّد أولئك المشاركين، النّوعَ الأساسيّ الّـذي يخصّصه الفعـل. وإذ كان الفعل رأسـا، كانت تلك الإسـمائيّات متمّمات له (§ 7. 3. 3) لأنّها تبلور أبنيته الفرعيّة البارزة.

لا تنحصـر متمّمات الفعـل في الفاعـل والمفاعيل من الإسـمائيّات الّتي تخصّص المشاركين البؤريّين فيه. فغالبا ما يشتمل معناه على وحدات خطاطيّة إضافيّة تكون ذات درجة من البروز كافية لتشتغل مَواقِعَ للبلورة. ومن جملة هذه الوحدات يكون المشـاركون الّذين يحدث أن لا يكونوا مبأّرين في شـكل منتقل أو معلم. ومن هذا القبيل من المشاركين، يكون المتنقّلُ في العبارات المتعدّية إلى مفعولين، من مثل [*She sent him flowers* "(هي) أرسلت إليه زهورا"]. يسـنَد هنا البروزُ البؤريّ إلى المحدث والمتقبّل، جاعلا [*She* "هي"]

فاعـلا، و[*him* "هو"] مفعولا. ولكن ماذا عـن [*flowers* "زهور"]؟ من الواضح أنّ المتنقِّل في هذه البنية، رغم أنّه ليس مشـاركا بؤريّا، مشـاركٌ مركزيّ ضروريّ لمعنى [*send* «أرسـل»] (الرّسـم البيانيّ 8. 12 (a)). فيكون على هذا الإسمائيُّ المبلور - وهو في هذه الحال [*flowers*]- مفعولا. ويمكن أن تشتمل كذلك بنية الفعل الدّلاليّة على علاقة خطاطيّة تشتغل موقعا للبلورة. فالفعل [أرسـل]، مثلا، يبرز أنّ العمل المعـروض - أي تحريك المنتقل للمعلَم من مكان إلى آخر- يؤول إلـى حلول المعلَم في موضع جديد. ولذلك يكون له، بالإضافة إلى الفاعل والمفعول، متمّم يتمثّل في عبارة ظرفيّة تحدّد المكان الّذي ينتهي إليه المفعول به: [*He put them in a vase* «(هو) وضعها في مزهريّة»].

إذن، يكوِّن الفعلُ ومتمّماتُه البنيةَ المجذَّرة، في أبسـط الأحوال. فهما معا يخصّصـان نوعـا من العمليّة مفصَّلا (مثـل [*Floyd break the glass* "فلويد كسـر الكأس"])، تفرَد عيّنة منها لكي تجذَّر.[9] ولكنّ الأشـياء ليست دائما على هـذا القدر من البسـاطة. فغالبا مـا يوجَد فارق بوجه خاصٍّ بيـن العمليّة الّتي يجذّرها الفعل المعجميّ والعمليّةِ الّتي يخصّصها الفعل المعجميّ (أو فعل غير معجمـيّ مثل [*defunctionalize* "نزع/ عطّل الوظيفـةَ"]). فالفعل، في هذه الحال، قاصـر عن التّأهّل ليكون رأسَ المركّب الجُمَلـيّ، رغم أنّه يوفّر المضمون الضّـروريّ ويحـدّد نـوعَ العمليّة الأساسـيّ. لا يكون هذا الفعل رأسـا لأنّ المركّـب الجُمَليّ ككلّ يعـرض عيّنة من نوعِ عمليّة آخـر - هو نوع من درجة عليا مشتقّ بوجه ما من النّوعَ الأساسيّ.

يتمثّل مورد رئيسيّ لهذه الفوارق في البنية الّتي تشتمل على الجهة والمظهر. انظـر مـرّة أخرى في المسـند إلـى المفعـول، والتّدريجـيّ، والإنقضائيّ من الإنجليزيّة (وكنّا قد ناقشناها في الفقرة § 4. 3. 3 والفقرة § 9. 4. 1). يتوالف كلّ واحد منها مع فعل ما لاشتقاق فعل من مستوى أعلى يمثّل نوعا آخر من العمليّة. يحقّق المبنيُّ للمجهول ذلك بتعديلِ البروزِ البؤريّ للمشاركين في العمليّة، بأن يسـند منزلة المنتقـل إلى ما يمكن أن يكون المعلم في خلاف ذلـك: [*criticize* > *be criticized* "نقَـد > يُنقَد"]. ويشـتقّ التّدريجيُّ للعمليّة نوعا جديـدا لا انقضائيّا بأن يقصر العلاقـة المعروضة على جزء داخليّ من العمليّة الانقضائيّة الأصليّـة: [*criticize* > *be criticizing* "نقد > يَنقُد"]. وعوضا عن العمليّة الّتـي يعبّر عنها الفعل بذاتهـا، يدلّ الانقضائيّ على أنّ العلاقة المسـتقرّة الّتي تكون لتلك العمليّة كانت سـابقة، ولكنّها تظـلّ قائمة باعتبار زاوية نظر

زمنيّة: [*have criticized* < *criticize* "نقد < كان ينقُد"]. وفي كلّ واحدة من الأبنية الثّلاث، تدلّ العبارة المركّبة على عمليّة تتأسّس على العمليّة الّتي يعرضها الفعل المعجميّ ولكنّها تتميّز منها رغم ذلك. وبما أنّ العمليّة المشتقّة هي الّتي تتأهّل دون غيرها لتكون مجذَّرَة،[10] لا يكون الفعل المعجميّ رأس المركّب الجُمَليّ.

ليس تكوينُ العبارات الفعليّة المركّبة المورِدَ الوحيد للفارق بين العمليّة الّتي تُخصَّص معجميّا والعمليّة الّتي تُجذَّر. فيمكن أن يحدث كذلك أن ينبثق نوعٌ آخر للعمليّة عند مستوى البنية المركّبة حتّى وإن لم يحدث اشتقاق صرفيّ أو زيادةُ فعل في مستوى أعلى (مثل [*be*] أو [*have*]). تأمّل في الأبنية التّالية:

(2) (أ) *The garden swarmed with bees.*
عجّت الحديقة بالنّحل.
(ب) *The streets rang with church bells.*
دقّت الشّوارع بنواقيس الكنائس.
(ج) *In a moment the whole sky will explode with fireworks.*
بعد قليل، ستنفجر كامل السّماء بالشّماريخ.

فالنّحل هو ما يعجّ، والنّواقيس هي الّتي تدقّ والشّماريخ هي الّتي تنفجر. وخلافا للقالب المعهود، لا يجري التّعبير عن منتقِل الفعل بالفاعل، ولكنّه يقدَّم بطريقة إطنابيّة على أنّه مفعول [*with* "بـ"]. ويجري فاعل المركّب الجُمَليّ، بدلا عن ذلك، ليشير إلى الموضع الّذي يغمره النّشاط الّذي يدلّ عليه الفعل. ولا تمثّل البنية من هذا القبيل، رغم شذوذها، مشكلا في النّحو العرفنيّ. فليس من المفروض في التّجميعات الرّمزيّة أن تطابق البنيةُ المركّبةُ مطابقة دقيقة أيَّ بنية مكوّنيّة في معروضها أو في تصفيف المعلم/ المنتقل.[11] وما نجد في (2)، هو ببساطة حالة تكون فيها العمليّة الّتي يعرضها الفعل المعجميّ والعمليّة المعروضة في مستوى البنية المركّبة، غير متلائمتين من تلك النّواحي. ففي حين يدلّ الفعل المعجميّ على نوع من النّشاط، تعرض البنية المركّبة علاقة موضع يشتمل على ذلك النّشاط.

وإذ أمكن لعمليّة أن تنبثق في مستوى البنية المركّبة دون أن تكون موروثة من أيّ بنية مكوّنيّة، يمكن أن توجد مركّبات جُمَليّة لا يكون لها

فعل منفصل. ومن النّماذج الدّارجة العباراتُ التّعادليّة، مثل الجملة الواردة في (3) مـن اللّغة اللّويزينيّة. تتكوّن البنية الّتي تجذِّرها الوصلة [*up*=]، بشـكل ظاهر من إسـمائيّين فقط، هما [*Xwaan* "خـوان"] و[*po-na'* «أبُوه»]. تضع البنية التّعادليّةُ ببسـاطة ذينك الشّـكلين جنبا إلى جنب مع عبارة مركّبة تعرض علاقة التّطابق المرجعيّ بينهما. وتشـتغل هذه العلاقة النّاشئة، رغم أنّها ليست مشـفّرة بعنصر منفصل، عمليّة فـي المركّب الجُمَليّ يكـون فيها [*Xwaan*] المنتقلَ و[*po-na'*] المعلمَ.

(3) *Xwaan=up* *po-na'*
Juan=3s:PRES his-father
أب-له **حاضر:**هو=خوان
«خـــوان (هو) أبوه»

وممّـا يفتقر إلى فعل منفصـل كذلك، المركّبـات الجُمَليّة الخطاطيّة الإنجليزيّـة الّتي تتكوّن من فاعل وعنصر جهيّ فقط: [*She may* "يمكنها"]، [*I will* "سـوف أفعل"]، [*Everyone should* "يجب على كلّ واحد"]. وبما أنّ عنصر التّجذيـر يعرض عمليّة مجذَّرة (بدل العلاقة المجـذِّرة)، تتأهّل هذه العبارات لتكـون مركّبات جُمَليّة منتهيـة - إذ يعرض العنصر الجهيّ عيّنة مجذَّرة من عمليّـة يتبلور منتقلها بالإسـمائيّ الـوارد فاعلا. وبطبيعة الحـال، يكون نوع العمليّـة خطاطيّـا في أقصى الدّرجـات إذا ما لم يكن هنـاك فعل معجميّ يخصّصـه. وبناء على ذلك، لا تكون هذه المركّبات الجُمَليّة مفيدة إلاّ في سـياق خطابيّ يكون فيه النّوع قد سبق تخصيصه، مثلما يكون في الجواب عن السّـؤال: [*Will Betty get the job? She may.*» هل سـتحصل باتّي على الشّـغل؟ يمكنها (ذلك)»].

ومهمـا كانت الطّريقة الّتـي بها يُخصَّص نوع العمليّـة، يمكن أن يُحوَّر بعبارات ظرفيّة. فالظّروف متنوّعة تنوّعا كبيرا من حيث الشّكل والخصائص الّتي تعيّنها، ومسـتوى التّنضيد المفهوميّ الّذي ترتبط به. ومن زاوية شكليّة، يمكن أن تكون من أيّ حجم: كلمات (مثل [*then* "آنذاك"])، أو مركّبات جزئيّة ([*in July* "في جويلية"])، أو مركّبات جُمَليّة ([*while he was being investigated* "عندما كان يجري اسـتنطاقه"]). وتتأهّـل الظّروف لتكون مجرَيات باعتبار خصائص مختلفة من قبيل الزّمـن، والمكان، والكيفيّة، والدّرجة، والوتيرة، والوسـيلة، والسّبب، والغاية، والموقف، والحكم الإبستيميّ، وهلمّ جرّا. تبيّن

الأمثلةُ الواردة في (4) كيف تتّصل هذه الخصائص بمستويات مخصوصة من التّنضيد المفهوميّ. ففي (4) (أ)، تشير [*very unsteadily* «باضطراب كبير»] إلى كيفيّة المشي. فهي حينئذ تتعلّق بعمل مادّيّ في ذاته. وفي الجملة (ب)، لا تخصّص [*reluctantly* "على مضض"]، كيفيّةَ الموافقة بقدر ما تخصّص موقفَ الفاعل وهو يفعل ذلك. وفي الجملة (ج)، يصف الظّرفُ [*undoubtedly* «دون شكّ»] شيئا لا هو بالكامن في الحدث ذاته ولا في المشاركين فيه. فهو يعبّر، بدلا عن ذلك، عن الحكم الإبستيميّ الّذي يكون للمتكلّم بالنّظر إلى المضمون القضويّ في المركّب الجُمَليّ:

(4) (أ) *She was walking very unsteadily*.
كانت تمشي باضطراب كبير.
(ب) *He reluctantly agreed to settle out of court*.
(هو) وافق على مضض على تسوية الخلاف ودّيّا (خارج المحكمة).
(ج) *Undoubtedly they made the wrong decision*.
دون شكّ، لقد أخذوا القرار الخاطئ.

تتعلّق الأبعاد الأخرى من البنية بالكيفيّة الّتي بها تشتغل المركّبات الجُمَليّة في مستوى الخطاب. يحدّد السّياق الخطابيّ السّابق إن كان من الممكن أن نستعمل مركّبا جُمَليّا خطاطيّا مثل [*She may*] عوضا عن مركّب جُمَليّ يكون مخصّصا تمام التّخصيص (مثل [*Betty may get the job* "يمكن أن تحصل باتّي على الشّغل"]. وبصفة أعمّ، يكون للمفاهيم الخطابيّة المختلفة الّتي تكوِّن البنية الإخباريّة - مفاهيم من قبيل المحور، والبؤرة، والمعطى، والجديد- تأثير قويّ في تشكيل المركّبات الجُمَليّة، وخاصّة من ناحية ترتيب الكلم. على سبيل المثال، يسم الموضع البدئيّ لمفعول الحرف في (5) (أ) بكونه المحور في مستوى المركّب الجُمَليّ. وفي (5) (ب)، يمثّل التّبادل الموضعيّ بين الظّرفيّ والفاعل، علامة على منزلة الواحد منهما من حيث كونهما معطى وجديدا، تباعا. ووفق التّرتيب غير القياسيّ للكلم، تقدِّم البنية مشاركا جديدا في الخطاب بأن تجعله في الموضع الّذي كان قد استُحضِر. وتسم البنيةُ الخاصّةُ الواردةُ في الجملة (ج) العنصرَ الّذي يأتي بعد [*it's*] بكونه بؤرة. فيتحدّد على هذا، العنصر [*zebras*] بكونه الجزء الإخباريّ الجديد من الجملة (وخوف الفتاة من شيء أمرٌ مفترض مسبقا).

(5) (أ) *Political advertising I can do without.*
الإشهار السّياسيّ، يمكنني الاستغناء عنه.
(ب) *In the box was a kitten.*
في العلبة، كان قطيط.
(ج) *It's zebras that she's afraid of.*
إنّ الحمر الوحشيّة، هي ما تخافه.

وممّا يشكّل بنية المركّبات الجُمَليّة كذلك، توزيعُ الرّؤية وطبيعةُ التّفاعل بين المتكلّم والسّامع. وبأجلى ما يكون من الوضوح، يمكن أن يكون شكلُ مركّب جُمَليّ علامةً على أنّه يُقدّم في صيغة تقرير إثباتيّ ([*You will solve this problem* "سوف تحلّ هذه المسألة"])، أو سؤالٍ ([*Will you solve this problem?* «سوف تحلّ هذه المسألة؟»]) أو أمرٍ ([*Solve this problem*! «حُلّ هذه المسألة!"]).

11. 2 الفاعل والمفعول

رغم أنّ المركّبات الجُمَليّة تعرض العلاقات، تدور المشاكل الرّئيسيّة في تحليلها حول مكوّناتها الإسمائيّة. وتتعلّق المسائل المحوريّة بطبيعة مفهومَي الفاعل والمفعول التّقليديّين ومنزلتهما. وقد كانت قلّة قليلة من المواضيع محلّ خلاف نظريّ ومجالا لمناقشات طويلة، أكثر ممّا كانت عليه تانك «العلاقتان النّحويّتان».

11. 2. 1 المسائل الأساسيّة

يشتغل في العبارة [*Floyd broke the glass* "كسر فلويد الكأس"]، الإسمائيّان [*Floyd*] و[*the glass*]، فاعلا ومفعولا تباعا. ولا جدال في هذا القدر من الحقائق. غير أنّ الخلاف يتسلّل حالما يُطرَح السّؤال في ماهية الفاعل أو المفعول. فهناك مسألتان أساسيّتان. أوّلا، كيف يمكن توصيف هاتين الفكرتين؟ ثانيا، هل هما كونيّتان؟ والسّؤالان مترابطان بوضوح: تَبَيُّن الفواعل والمفاعيل في كلّ لغة أو عدمُ تبيّنها مرتبط بتوصيفها.

والعوامل الّتي تُعتبَر عادة أساسا للتّوصيف هي المعنى، والمنزلة الخطابيّة، والسّلوك النّحويّ. وفي النّظرة التّقليديّة، يمكن أن يلغى العاملان الأوّلان إلغاء سريعا. ويُفترَض أنّ المظهر المفيد في المعنى هو الدّور الدّلاليّ. فهل يوجد، إذن، دور تظهِره الفواعل باطّراد؟[12] ومن البيّن أنّ ذلك غير موجود.

رغم نـزوع الفواعل إلى أن يكون الواحد منهـا محدِثا، يكون الكثير منها من غير المحدِثين. وبالفعل، لا يكون الفاعل بالضّرورة أكثر المشـاركين إيجابيّة (مثلا، [*The glass was broken by Floyd* «كُسِـر الكأس من قبل فلويد»]). ولا تجدي كثيرا محاولة تعريف الفاعل على أساس المنزلة الخطابيّة. نلاحظ هنـا أنّ الفاعل ينزع إلـى أن يكون معطى (مقابل الجديـد) وإلى أن يكون محـورا من محـاور الخطاب. ولكن مرّة أخرى، هذه مجرّد نزعات وليسـت خصائص مسـتمرّة. تذكّر، على سـبيل المثال، أنّ العبـارات من قبيل تلك الواردة في (5) (ب) تصلح بالتّحديد لتقديم مشارك جديد في الخطاب.

إذا كان توصيـف فكرة الفاعل على أسـاس المعنى أو المنزلة الخطابيّة غير ممكن، لا يبقى لنا إلاّ السّـلوك النّحويّ. تتمثّل النّظرة المعياريّة في أنّ قائمـة من الخصائص النّحويّة توفّر أساسـا يقوم عليـه تحديد الفواعل في لغة بعينها. فمن خصائص الفاعل في الإنجليزيّة (لنختار لغة ما كما اتّفق) ما يلي:

1. لبعض الضّمائر أشـكال خاصّة عندمـا تجري فواعل ([*I* "أنا"]، [*he* "هو"]، [*she* "هي"]، [*we* "نحن"]، [*they* "هم، هما، هنّ"]).

2. يطابـق الفعـل فاعلـه ([*Floyd was breaking the glasses* «كان فلويـد يكسـر الكـؤوس»] مقابـل [*The glasses were being broken* "كانـت الكؤوس تكسَر"]).

3. يتبادل الفاعل والفعل المساعد موضعيهما في تكوين الاستفهام (مثـال، [*Was Floyd breaking the glasses?* "(هـل) كان فلويـد يكسـر الكؤوس؟"]).

4. لا يمكن لضمير انعكاسيّ أن يكون فاعلا، ولكن يكون له عادة فاعل يجري مفسِّرا له ([*Floyd admires himself* "فلويد يُعجَب بنفسه"] ولكن لا يستقيم [**Himself admires Floyd* "*نفسُه يعجَب بفلويد»]).

5. يمكن في الغالـب للفاعل في مركّب جُمَليّ ظرفيّ أن يُترَك ضمنيّـا (مثـلا، [*By breaking glasses, Floyd upsets me* "بكسـر الكـؤوس، يزعجنـي فلويد"])، وهو في هـذه الحالة يُؤَوَّل عادة بأنّـه يقارن إحاليّا فاعـلَ المركّـب الجُمَليّ الرّئيسـيّ لا المفعول به فيـه (فلويد هو من يحقّق التّكسير).

يوجد إذن اتّفاق ضمنيّ واسع على أنّ الفاعل والمفعول لا يمكن أن يحدّدا إلاّ تحديدا نحويّا من خلال قائمة من مظاهر السّلوك المميّزة. ولكنّ لهذا الأمر عيوبا خطيرة. أوّلا، يتبيّن أنّ مظاهر السّلوك المحدِّدة تختلف من لغة إلى أخرى. وإذ كانت التّوصيفات مخصوصةً باللّغات الفرديّة تبعا لذلك، كانت قاصرة عن الإمساك بمظهر من مظاهر الانتظام اللّغويّ منتشر كثيرا إن لم يكن كونيّا. وتتمثّل مشكلة أعمق في أنّ قائمة في مظاهر السّلوك النّحويّ لا تعدو أن تكون إلاّ مجرّد قائمة في تلك المظاهر. هي قائمة لا توفّر، في ذاتها وبذاتها، مبدأ موحِّدا أو سببا يبرِّر ما به كوّنت تلك الخصائص قائمة. ولئن كان لفكرتي "الفاعل" و"المفعول" أيّ فائدة عبر اللّغات - وأعتقد أنّ لهما تلك الفائدة- فإنّنا نفتقر إلى حدّ الآن إلى توصيف كاشف.

يقدِّم النّحو العرفنيّ منظورا جديدا في تناول هذه المسائل. فالنّحو العرفنيّ، من حيث يحتمل جميع الصّفات ما عدا كونه تقليديّا- يتجنّب المشاكل الّتي تثار في النّظرة التّقليديّة. تجعل مقاربتُه المتميّزة للمعنى اللّغويِّ التّوصيفَ الدّلاليّ للأبنية النّحويّة أمرا ممكنا يقود إلى تقدير الكونيّة فيها تقديرا مختلفا. ورغم أنّ تعريفات الفاعل والمفعول في النّحو العرفنيّ محلّ جدال بكلّ تأكيد، فهي ليست طبيعيّة فقط بل هي مبرّرة كذلك، بحكم المفاهيم الأساسيّة في الدّلالة العرفنيّة المتأسّسة على أرضيّات مستقلّة. ومن هذا المنظور، لا يصلح السّلوك النّحويّ الّذي يستعمَل لتحديد الفاعل والمفعول لتوصيف تلك المفاهيم ولكنّه يمثِّل مجرّد أعراض لمضمونها المفهوميّ.

لن نجد التّوصيفات المفهوميّة بالنّظر فقط في الأدوار الدّلاليّة من قبيل المحدث والمتحمّل؛ ورغم أنّ هذه النّماذج البدئيّة مناسِبة لتكون أطرزة، فهي على درجة كبيرة من الخصوصيّة يمتنع لها أن تكون شاملة لجميع العيّنات. ولبلوغ التّعريفات الخطاطيّة، وجب علينا أن ننظر بدلا عن ذلك في القدرات العرفنيّة الأساسيّة - هي في هذه الحالة، تبئير الانتباه. وبعبارة دقيقة، يفترض النّحو العرفنيّ أنّ علاقتي الفاعل والمفعول تَجلِّيان نحويّان لتصفيف المعلم/ المنتقل: الفاعل هو إسمائيّ يشفِّر منتقلَ علاقة معروضة؛ والمفعول إسمائيّ يشفِّر المعلمَ. وكان تصفيف المعلم/ المنتقل قد أُسِّس بصفة مستقلّة مظهرا من مظاهر المعنى اللّغويّ (§ 3. 3. 2). هو مسألة بروز بؤريّ: المنتقل والمعلم هما المشاركان البؤريّان الرّئيسيّ والثّانويّ في العلاقة المعروضة.

وقـد يبدر إلى الأذهان أنّ هذا البروز المفهومـيّ يترجَم إلى «قابليّة الاهتداء» النّحويّـة. فيمكـن أن تعتبر، على هذا، مظاهرُ السّـلوك النّحـويّ الخاصّة بالفاعـل وبالمفعـول، أعراضا من مرجعيهمـا من حيث كانا المشـاركَين العلائقيّين المبأّرين.

وما من أحد تأمّل مجرّد تأمّـل في هذا التّوصيف المفهوميّ في المقاربات التّقليديّـة لأنّ الدّلالة التّقليديّة لا تعترِف بالدّور الحاسـم الّذي يكون للبروز وللانبناء. فالرّؤى المختلفة للمعنى تقوِد إلى رؤى مختلفة للنّحو وإلى تقديرات مختلفة للكونيّة، بالاسـتتباع. فعند اللّسـانيّين المعنيّين بالمسـائل التّصنيفيّة، يوجد اتّفاق واسع على أنّ الكثير من اللّغات غير ذات فواعل نحويّة. فيفترَض مسـبقا ببسـاطة أنّ الفواعل تتحدّد بأنواع السّـلوك النّحويّ الّتي تختصّ بها الفواعـل في اللّغـات الأوروبّيّـة المألوفة، وفي هـذه الحالة تكـون النّتيجة صالحـة بكلّ تأكيـد. ولكن كيف يكون الأمر إن عـرِّف هذا المفهوم تعريفـا أكثر تجريدا؟ والمفترَض أنّ تعريف النّحـو العرفنيّ للفاعل بكونه المشـاركَ البؤريَّ الرّئيسيَّ، مناسب لجميع اللّغات بما فيها الإنجليزيّة وسائر اللّغات الأوروبّيّة. ورغم أنّ مظاهر السّـلوك النّحويّ المرتبطة به تتنوّع تنوّعا كبيرا، فإنّ لهذا التّوصيـف الخطاطيّ باعتماد البروز البؤريّ، قابليّةً للانطباق في شكل كونيّ.

مدار المسـألة المطروحة علـى التّفاعل بين مظهرين أساسـيّين من التّنظيم المفهوميّ: الدّور الدّلاليّ (الّذي يتعلّق بالمضمون المفهوميّ)، والبروز البؤريّ (مـن حيث كان مسـألة انبناء). والأدوار الدّلاليّـة كامنة في جوهر الحدث المتصوّر، حيث يشـارك كلّ مرجع إسـمائيّ بكيفيّة مـا. والبروز البؤريّ عرَضـيّ أكثـر. فهو يتمثّل في توجيـه الانتباه الّذي جُعِـل ضروريّا بالصّعوبة الّتي تكون في رؤية حدث معقّد رؤيةً شـموليّة محايدة - أي أنّنا لا نسـتطيع الانتباه إلى كلّ شيء بدرجة واحدة وبطريقة متزامنة. وإذ كان الانتباه مَوردا محدودا وجب أن يكون مقسَّـما، ويمكن بالنّسـبة إلى بنية معطاة واحدة أن تتعدّد تقسيمات الانتباه. ويمثّل تصفيف المنتقل/ المعلم، ببساطة، تجلّيا لغويّا لهذا المظهر الأساسـيّ في العرفنة. فيمكن أن نتصوّر المنتقل والمعلَم تصوّرا اسـتعاريّا على أنّهمـا العنصران الماثـلان على الرّكـح تغمرهما «الأضواء الكاشـفة» الّتـي تكوّن البـروز البؤريّ. يتمسّـك النّحو العرفنـيّ بفرضيّة عمل مدارها أنّ كلّ لغة تسـتعمل بوجه ما ضوءا كاشفا رئيسيّا في مستوى

المركّب الجُمَليّ، وأنّ الكثير منها يستعمل ضوءا كاشفا ثانويّا. تنبثق مظاهر السّلوك النّحويّ المرتبطة بهذين العنصرين المبأّرين عن طريق تأشير بروزهما الخاصّ أو استغلاله.[13]

إلى أيّ المشاركين في المركّب الجُمَليّ يكون توجيه الأضواء الكاشفة؟ فللّغات، من هذا الاعتبار، إستراتيجيّات مختلفة، وميولات متنوّعة، ومواضعات متباينة. وهناك بعدان هامّان من التّنوّع التّصنيفيّ. على امتداد محور أوّل، تختلف اللّغات في الاختيار القياسيّ للمنتقل إذ يجري انتقاؤه بطريقة محايدة ما لم يمنع شيء من ذلك. ويتمثّل محور التّنوّع الآخر في الكيفيّة الّتي بها يتعالق البروز البؤريّ والأدوار الدّلاليّة الخاصّة تعالقا متماسكا. فالتّماسك المطّرد ينزع إلى حجب دور البروز. وإذا كان كلّ واحد من الفواعل محدثا، على سبيل المثال، يحتمل أن تحلّل مظاهر السّلوك النّحويّ المرتبطة به ببساطة على أنّها إشارات إلى كونه محدثا. والرّبط بين البروز البؤريّ وعددٍ من الأدوار الدّلاليّة المتنوّعة، هو ما ينبّه الدّارسَ إلى منزلته من حيث كان عاملا مستقلاّ.

2.2.11 توجيه المحدِث

تكون قلّة قليلة من العلاقات الّتي تشفّر لغويّا، متناظرة تناظرا شاملا. فعادة ما يكون للمشاركين فيها أدوار متمايزة في الحدث المعروض، بوجه ينتج فيه القلب بينهما تصوّرا آخر - فأن يعضّ رجلٌ كلبا ليس الحدث نفسه الّذي يعضّ فيه كلب رجلا. وتنتمي مظاهر عدم التّناظر في الأدوار إلى مستوى المضمون المفهوميّ، بحكم كونها كامنة في الأحداث المتصوَّرَة. فيكون من الواجب تمييزها من مظاهر عدم التّناظر في البروز الّتي يفرضها التّشفير اللّغويّ على الأحداث. فهذه مسائل متعلّقة بالانبناء. والعاملان اللّذان يهمّاننا بصفة رئيسيّة، أي العرض وتنضيد المنتقل والمعلم، يتمثّلان في تقسيم الانتباه وتبئيره في تقديم المضامين اللّغويّة. وفي هذا المستوى، لا يغيّر قلبُ الأشياءِ الحدثَ في ذاته بل يؤول إلى طريقةٍ أخرى في وصفه. فالعبارتان [*The man bit the dog* «عضّ الرّجل الكلب»]، و[*The dog was bitten by the man* «عُضَّ الكلب من قبل الرّجل»] تمثّلان انبنائين بديلين للحدث المتصوّر نفسه.

يتمثّل العامل الرّئيسيّ المحدِّد لبنية المركّب الجُمَليّ، في الكيفيّة الّتي بها تصفَّف العناصر في ذينك المستويين الواحدُ منهما إزاء الآخر. نلاحظ هنا نزوعا طبيعيّا من الانتباه إلى التّوجُّه إلى المشاركين ذوي البروز العرفنيّ

الأكبر. ينزع البروز البؤريّ، خاصّة، إلى أن يصطفّ مع الأدوار الدّلاليّة الّتي تعتبر بصفة معقولة بارزة بطبعها (لأسباب نراها بعد هذا): المحدث والمتحمّل، تحديدا. ولعلّ أكثر الحالات تواترا ذلك التّصفيف الوارد في الرّسم البيانيّ 11. 2 الّذي يمثّل التّشفير المحايد لحدث نموذجيّ يكون فيه المحدِث مبأّرا من حيث كان منتقلا، والمتحمِّل معلما. يمثّل ذلك بكلّ تأكيد إستراتيجيّة في التّشفير على غاية من البساطة. ولكنّها ليست الطّريقة الوحيدة في جعل البروز البؤريّ مصطفّا مع أدوار المشاركين البارزين. واللّغات مختلفة في التّصفيف الّذي تعتمده إستراتيجيّةً في التّشفير المحايد. وإلى جانب هذا التّصفيف القياسيّ، توفّر كلّ لغة جملة من البدائل لاستيعاب الملابسات المتنوّعة.

يتمثّل العامل المفصليّ في التّصفيف القياسيّ، في اختيار المنتقل. وتصفِّف الإستراتيجيّتان الكبريان المنتقلَ مع المحدِث أو المحور. تسمّى هاتان الإستراتيجيّتان توجيه المحدِث وتوجيه المحور. ويشتمل مصطلح المحور، كما يستعمَل في النّحو العرفنيّ، على عدد من الأدوار الدّلاليّة «السّلبيّة» الّتي ننظر فيها في الفقرة الموالية: المتحمِّل، المتنقِّل، عائش التّجربة، والصّفر. [14] ويمثّل توجيه المحدث وتوجيهُ المحور إستراتيجيّتين طبيعيّتين لأنّ كلّ واحدة منهما تنبع من مظهر أساسيّ في التّجربة البشريّة. يعكس توجيه المحدث دورَنا من حيث نحن كائنات عاقلة، ذات إرادة، تفعل فعلا إيجابيّا في العالم، وتصرف طاقة لتحقيق التّحكّم في ما يحيط بها وللحفاظ على ذلك التّحكّم. ويعكس توجيه الموضوع الواقعَ المتمثّل في أنّنا نشتغل في عالم يسير بطريقة معيّنة تُظهر فيها الكائنات خصائصَ مختلفة وتحلُّ في مواضع متمايزة، بوجه تتنوّع فيه من حيث درجاتُ قابليّة الاهتداء الذّهنيّ إليها وطواعيتها لقبول التّأثير الّذي يكون منّا عليها. وتتجلّى الإستراتيجيّتان كلتاهما في كلّ لغة. ويكون الاختلاف، بالتّحديد، في الكيفيّة الّتي بها تتجلّيان وفي نسبة الظّواهر الّتي يكون فيها ذلك.

فعندما لا يجري شيء، يلفت حدثٌ ما انتباهنا، وخاصّة إذا كان عملا ذا قوّة ينجز تغيّرا ما. فينزع القائم بالعمل نزوعا قويّا إلى أن يكون بؤرة الانتباه، بحكم كونه أنشَط المشاركين ومصدرَ الطّاقة كذلك. ويستجيب توجيه المحدِث لهذه النّزعة بأن يجعل القائم بالعمل في موضع البؤرة في مستوى العبارة اللّغويّة. وفي التّشفير المحايد للأحداث النّموذجيّة، يُسنَد البروزُ

البؤريّ الرّئيسيّ إلى الرّأس في سلسلة العمل، وهو المحدِث الّذي يبدأ سلسلةَ التّفاعلات الّتي تكوّن الحدوثَ المعروض. ويمثّل تصفيف منتقل المركّب الجُمَليّ بالمحدِث أمرا متواترا في لغات كثيرة (إن لم يكن في أَغلبها)، منها الإنجليزيّة مثالاً أوّليّا. ففي لغة من هذا القبيل، يكون المحدِث طرازا للفواعل النّحويّة، وسائر أدوار الفاعلين مسموح بها عن طريق التّوسّع. فكلّما زاد مدى الاتّساع المسموح به، وجب أن يزداد التّوصيف الخطاطيّ للفاعل تجريدا. يبيّن فحص جميع الخيارات بشكل واضح أنّ البروز البؤريّ يمثّل التّفسير النّظريّ الصّالح الوحيد.

حتّى الأمثلة الاستعراضيّة مثل [*Floyd broke the glass* "كسر فلويد الكأس"]، متنوّعة من حيث المدى الّذي يكون فيه الفاعل محدِثا. فعوض أن يفعل فلويد ما فعل إراديّا، قد يكون كسر الكأسَ صُدفةً. وعوض أن يكسره بأن يعمل فيه عمل الكسر من خلال نقل القوّة إليه، قد يكون عمل ذلك بطريقة سلبيّة بأن تركه يسقط أو لأنّه لم ينبته إلى أنّه لا ينبغي أن يوضَع في غسّالة الأواني. وفي الحالات الّتي يسلّط فيه الفاعل قوّة على الكأس، لا يكون بالضّرورة عاقلا أو مصدرا أصليّا للقوّة. فجميع الفواعل في العبارة الواردة في (6)، من غير العاقل. ولئن كان المشّاؤون أثناء النّوم، وغسّالات الأواني، وعواصف البرَد مصادر للقوّة، فإنّ كرة البيسبول لا تستطيع إلاّ أن تنقل القوّة الّتي تكتسبها عندما تضرَب أو يرمَى بها. نستنتج من خلال عدد لا يُحصى من العبارات من هذا القبيل، أنّ النّموذج البدئيّ للمحدث يمثّل في الإنجليزيّة مجرّد طراز للفواعل الّتي تُظهِرُه في الغالب إظهارا جزئيّا، حتّى في حالة الأحداث الحسّيّة ذات القوّة الحركيّة. وعلى هذا، وجب أن يكون التّوصيف الخطاطيّ الّذي يتجلّى تجلّيا تامّا في جميع العيّنات، أكثر تجريدا. فيمكن للمرء، حينئذ، أن يقترح تعريفَ الفاعل بكونه رأسا لسلسلة العمل المعروض، أي المشاركَ البدئيّ في قطعة من السّلسلة الّتي تُنتقَى للعرض عرضا صريحا مبأّرا.[15]

(6) *The* {*sleepwalker* /*dishwasher* / *hailstorm* / *baseball*} *broke the glass*.
{المشّاء النّائم/ غسّالة الأواني/ عاصفة البرَد/ كرة البيسبول} كسر(ت) الكأس.

يظلّ هذا التّوصيف الأمضى في التّجريد، بحكم اقتصاره على الأحداث الحسّيّة القائمة على القوّة، على غاية من الخصوصيّة يمتنع بها اعتماده في تمثيل أيّ مجموعة من المعطيات. يتمثّل واحد من الأسباب في أنّنا مرغمون

على استيعاب الأحداث الّتي تقوم على القوّة الحركيّة وتكون فواعلها مُحدِثة لها، استيعابا استعاريّا ليس غير:

(7) (أ) *The bribery investigation compelled the mayor to resign.*
أجبرت قضيّة الرّشوة رئيس البلديّة على الاستقالة.
(ب) *His obvious lies damaged the credibility of their star witness.*
أساء الكذب المفضوح لمصداقيّة شاهدهم الرّئيسيّ.

تستقيم نسبة كبيرة ممّا نتحدّث عنه، في العالم الذّهنيّ أو الاجتماعيّ، حيث تكون القوّة المعنيّة غير مادّيّة. فالفواعل في (8) شبيهة بالمحدثين رغم ذلك، بحكم أنّها تسبّب تغيّرا يمسّ وحدة أخرى:

(8) (أ) *We changed the requirements again.*
غيّرنا المتطلّبات مرّة أخرى.
(ب) *The president misled us with his lies.*
غلّطنا الرّئيس بكذبه.
(ج) *Sheila persuaded my mother to give up smoking.*
أقنعت شيلا أمّي بالإقلاع عن التّدخين.
(د) *I closed my bank account.*
أقفلتُ حسابي البنكيّ.

في حالات أخرى، يكون تدخّل القوّة محلّ شكّ مطلق، وإن بشكل استعاريّ. فالأفعال في (9) لا تصف الفاعل بكونه مسبّبا للتّغيّر أو مسلّطا لتأثير يلحق المفعول بأيّ وجه من الوجوه. فالفاعل يدرِك المفعول مجرَّد إدراك، ليقيم نوعا من «الصّلة الذّهنيّة» به:

(9) *I {saw / liked / remembered / imagined} the painting.*
أنا {رأيت/ أعجبتني/ تذكّرت/ تخيّلت} اللّوحة الزّيتيّة.

للإحاطة بهذا الكمّ الهائل من الحالات، يجب علينا أن نعمّم تعريف الفاعل بأن نقبل أيّ شيء ذي خصائص معيّنة في تشكّله، على أنّه «سلسلة عمل»، بصرف النّظر عن كونه متحقّقا ماديّا أو لا. يتضمّن هذا المفهوم المجرّد لسلسلة العمل تشكّلا قائما على المصدر-المسلك-الهدف، يكون فيه كلّ من المصدر والهدف مشاركَين. فيشتمل هذا المفهوم، تبعا لذلك، على نقل القوّة نقلا مادّيّا أو استعاريّا، وعلى تسليط التّأثير في العالمين

الذّهنيّ والاجتماعيّ، وكذلك على المسلك الذّهنيّ أو الإدراكيّ الّذي «يبلغ» وحدة أخرى، من حيث مثّلت ثلاثتها حالات خاصّة. فالفاعل، إذن، يمكن أن يوصَّف بكونه المشارك الّذي يبدأ بوجه من الوجوه تفاعلا غير تناظريّ يُتصوَّر مشتملا على مسلك ينطلق من الفاعل وينتهي إلى المفعول، أو ببساطة على أنّه مشاركٌ أنشطُ من غيره في ذلك التّفاعل.

يظلّ هذا التّعريف، رغم العموم فيه، قاصرا عن شمول الأسس جميعها. فهو لا يقول شيئا، على سبيل المثال، عن الفواعل الواردة في (10)، حيث تكون العلاقة المعروضة تناظريّة ولا يكون أيّ من المشاركَين مشاركا إيجابيّا بأيّ وجه من الوجوه. وفي مثل هذه الحالات، يكون اختيار الفاعل اعتباطيّا من زاوية الوضعيّة الموصوفة. فنحن نفرض ببساطة منزلةَ المنتقل على أيّ مشارك يبدو مناسبا في سياق الخطاب.

(10) (أ) *Line A intersects line B.*
يتقاطع الخطّ أ مع الخطّ ب.
(أ،) *Line B intersects line A.*
يتقاطع الخطّ ب مع الخطّ أ.
(ب) *Australia resembles South Africa.*
أستراليا تشبه جنوب أفريقيا.
(ب،) *South Africa resembles Australia.*
جنوب أفريقيا تشبه أستراليا.

غير أنّ المنتقل، والحقّ يقال، يكون دائما مفروضا: هذه مسألة انبناء، فلا يكون أبدا من صميم الوضعيّة الموصوفة. وحتّى مع الأحداث القياسيّة يكون لنا الخيار- على سبيل المثال، يمكننا أن نستعمل البناء للمجهول لنبثّر المتحمِّل بدل المحدِث ([*The glass was broken by Floyd* "كُسِر الكأس من قبل فلويد)"]. وما يتغيّر هو المدى الّذي توفِّر به الوضعيّة تبريرا لاختيار فاعل بعينه. وفي حالة عدم التّناظر البيّن الّذي يكون فيه مشارك واحد أنشطَ بكثير وسائرُ المشاركين لا نشاط لهم، ينجذب انتباهنا انجذابا طبيعيّا إلى ذلك الأوّل. وعندما توجد درجة أقلّ من النّشاط، يمكن أن يتنافس مشاركان اثنان لحوز الانتباه على أسس متساوية. فكلا الفاعلين في (11)، مثلا، مترشّح جيّد ليحصل على البروز البؤريّ الرّئيسيّ: ["هي"]، بحكم كونها موطن

النّشاط الذّهنيّ، تكون مشاركا في إدراك المفعول؛ و["سلوكه الفظّ"] بحكم كونه قادحا لتجربتها الذّهنيّة.

(11) (أ) *She resented his rude behavior.*

هي استاءت من سلوكه الفظّ.

(ب) *His rude behavior offended her.*

سلوكه الفظّ أساء إليها.

تمثّل العلاقات التّناظريّة، كما ورد في (10)، الحالة القصوى الّتي لا توفِّر فيها الوضعيّة المتصوّرة أيّ تبرير لأيّ خيار يهمّ الفاعل - فعلى المتكلّم فقط أن يختار واحدا.[16] ولكن على المتكلّم، في نهاية المطاف، أن يختار.

وعلى هذا، يبين أنّ كلّ تعريف للفواعل قائم على أساس المضمون الدّلاليّ مصيرُه الفشل. فالبروز البؤريّ، من حيث مثِّل توصيفا يشمل جميع العيّنات، أداةُ تفسير لا منازع لها بحكم كونه عمليّا ومقبولا عرفنيّا في آن واحد. وبحكم أنّه غير مربوط بدور دلاليّ مخصوص أو مضمون مفهوميّ بعينه، ينطبق دون إشكال حتّى على المركّبات الجُمَليّة الّتي تظهر تصفيفا غير قياسيّ (من قبيل البناء للمجهول). وهو كذلك قابل للانطباَق سواء استَعمَلت اللّغة إستراتيجيّة توجيه المحدث الأساسيّة، أو توجيه المحور، أو توليفة بينهما.

في توجيه المحدِث، تسنَد منزلة المنتقل بطريقة محايدة إمّا إلى المحدث أو إلى أشبه واحد بالمحدِث من المشاركين المعروضين. تأمّل الجمل الواردة في (12)، والّتي تستحضر كلّها سلسلة عمل يستخدم فيها المحدثُ وسيلةً ليحقّق تغيّرا في حالة المتحمّل. فكلّ جملة منها تعرض مقطعا مختلفا من سلسلة العمل الشّاملة. وما ينبغي أن يلاحظ يتمثّل في أنّ الفاعل (s (فا))، في كلّ حالة، يكون الرّأس بالنّسبة إلى المقطع المعروض. فعندما يكون الفاعل مضمَّنا في المعروض، يجري اختياره فاعلا بالحياد. وعندما يكون المعروض مقتصرا على التّفاعل بين الوسيلة والمحدِث، يكون اختيارُ الوسيلة فاعلا: هي شبيهة بالمحدث لأنّها تؤثّر في المتحمِّل، وهي بعبارة محلّية، مصدر الطّاقة. ولكن إذا ما لم يصرّح إلاّ بتغيّر حالة المتحمّل من حيث كان المعروضَ العمليّاتي، يشتغل المتحمِّل فاعلا للمركّب الجُمَليّ.[17] هو المشارك الأكثر شبها بالمحدِث من جملة المشاركين المعروضين بحكم كونه المشاركَ الوحيدَ.

(12) (أ) *Floyd broke the glass with a hammer.* $AG_S \Rightarrow INSTR \Rightarrow PAT_O \rightarrow$

كسر فلويد الكأس بمطرقة **محدث**$_{فا} \Leftarrow$ **وسيلة** $\Leftarrow$ **متحمّل**$_{مف} \leftarrow$

(ب) *A hammer broke the glass.* $AG \Rightarrow INSTR_S \Rightarrow PAT_O \rightarrow$

كسرت مطرقة الكأس. محدث $\Leftarrow$ **وسيلة**$_{فا} \Leftarrow$ **متحمّل**$_{مف} \leftarrow$

(ج) *The glass broke.* $AG \Rightarrow INSTR \Rightarrow PAT_S \rightarrow$

انكسر الكأس. محدث $\Leftarrow$ وسيلة $\Leftarrow$ **متحمّل**$_{مف} \leftarrow$

في اللّغات ذات التّوجيه القويّ للمحدث، يتجلّى البروز العرفنيّ للمحور بطرق متنوّعة. فيمكن أن يكون المحورُ غيرُ المحدِث فاعلا في مركّب جُمَليّ ذي مشارك واحد، مثل العبارة (12) (ج). وتتوفّر كذلك أبنية تستوعب وضعيّات يكون فيها المحور، لسبب أو لآخر، عوضا عن المحدث، محتاجا إلى أن يبأّر ليكون منتقلا (§ 11، 3). وبالنّسبة إلى المركّبات الجُمَليّة الّتي تنتقي بالفعل المشاركَ ذا درجة الإحداث الكبرى ليكون المشارك البؤريّ، يمكن لمحور أن يؤدّي دور المعلَم، أي دور المفعول به. وللمتحمّل هذه المنزلة في (12) (أ)-(ب).

للمفاعيل، تماما مثل الفواعل، طراز وتوصيف خطاطيّ. فإذا كان المفعول الطّرازيّ متحمّلا، يمكن أن يكون متنقّلا أيضا ([*I threw it* "ألقيت به"])، أو عائشا للتّجربة ([*I offended her* "أنا أسأت إليها"])، أو مشاركا غير متأثّر يحمل الدّورَ الدّلاليَّ الصّفرَ ([*I remember him* "أتذكّره"]). ولا تحتاج العلاقة المعروضة إلى أن تتضمّن سلسلة عمل أو شيئا شبيها بشيء آخر ([*She resembles her mother* "هي تشبه أمّها"]. وليس من الواجب أن يكون مفعولُ مركّب جُمَليّ مشاركا. ويمكن أن يكون مسلكا أيضا ([*We hiked a new trail* "تنزّهنا في طريق جديد"]) أو موضعا ([*The train reached Chicago* "بلغ القطار شيكاغو"]). ويمكن للمفعول، حسب المدى الّذي نبلغه في تمطيط المصطلح، أن يمثّل قيمة ما على سلّم من سلالم القيس ([*It weighs seven pounds* "(هو) يزن سبعة أرطال"]. وجب حينئذ أن يكون التّعريف الخطاطيّ، أي التّعريف الّذي يصلح لجميع العيّنات، مستقلاّ عن الدّور الدّلاليّ أو أيّ مضمون مفهوميّ مخصوص. فإذا ما وُصِّفت الفواعلُ توصيفا مناسبا على أساس البروز البؤريّ الرّئيسيّ، يكون الأساس البديهيّ بالنّسبة إلى المفاعيل البروزَ البؤريّ الثّانويّ.

3.2.11 توجيه المحور

يجذب المحدث والمحور البروزَ البؤريّ لأنّ للواحد منهما نوعا من البروز العرفنـيّ الّذي يفرزه على حدة من سـائر الأدوار الدّلاليّة في ميدانه التّجريبيّ. وينتمـي المحدِثون إلـى ميدان الفعل الإيجابيّ - مجال العمـل والتّغيّر والقوّة الّذي يكون للمخلوقات المتحرِّكـة الفاعلة في العالم. وهنا يتفرّد الكائن البشريّ ذو الإرادة والقائمُ بالعمل مثالا للكمال إزاء الأدوار الإيجابيّة الأخرى (مثل الوسـيلة، أو عائش التّجربة، أو القـوّة الطّبيعيّة). ومن جهة أخرى، تنتمي المحاور إلى الميدان "السّـلبيّ" من الأطر والمواضع والوضعيّات المسـتقرّة، حيث تنتظم الأشياء كلاّ بخصائصه بطرق معيّنة. ويحدِّد العالَم الّذي يتكوّن بهـذا الوجه، الملابسـات الّتي تحيط بنا، ويقدّم المشـاكل والحلول في آن، ويمثِّل منصّة للنّشاط البشريّ.

فمـا هو الشّـيء الّذي ينبغـي علينا أن نعتبـره مثالا للكمال بالنّسـبة إلى الميدان السّلبيّ؟ من زاوية نظر أولى، يمكن أن يكون مطابقا للإطار الشّامل (أو للعالم ككلّ). فهذا نقيض للقائم بالفعل المتحرّك ذي الحجم الضّئيل لا يتجـاوز النّقطـة مقارنة بـه، وهو أفضل مـا يمثّل هذا الميـدان في كنهه. ولكنّ زاوية النّظر المنطلقة من القائمين بالعمل أنفسـهم أكثر إفادة. فالإطار ككلّ، بحكم طبيعته الشّـموليّة، ينزع إلى أن يكون بارزا عرفنيّا بالنّسـبة إلـى الرّائين الماثلين داخلَـه، ولذلك لا يمثّل مرشّـحا ذا حظّ كبير لحمل البـروز البؤريّ. فعادة مـا نعتبر الإطارَ من تحصيل الحاصـل، إذ نكون على وعـي بالوضعيّة القائمة في منطقة معيّنة محدودة، أكثر من وعينا بشـيء آخر. تلـك هي المنطقة الماثلة على الرّكـح، والموضع العامّ لتركيز الانتباه في الرّؤيـة. فتكون بذلك هذه المنطقة مشـاركا ماثلا علـى الرّكح ذا حظّ كبيـر ليكون بـؤرة للانتباه، فيجـذب بذلك البـروزَ البؤريّ في التّشـفير اللّغويّ. وأدوار المشـاركين المختلفة في هذا الميدان هي تلك الّتي تندرج في التّسمية العامّة للمحور.

الأدوار المحوريّة الأساسيّة هي الدّور الصّفر، والمتنقّل، والمتحمّل، وعائش التّجربة. والدّور الصّفر هو الدّور الأدنى: هو دور مشارك يحمِل خصيصة ما، أو يحلّ في موضع ما، أو هو كائن هناك بكلّ بسـاطة. هو أبسـط الأدوار المحوريّة بمعنى أنّ هذه الوضعيّات السّكونيّة أحسن ما يمثّل الميدان السّلبيّ الّذي يضمّ الأطر ووجوه التّنضيد الثّابتة. وهو أبسط الأدوار، كذلك، بمعنى

أنّ سائر الأدوار تقتضيه مسبقا وتتضمّنه. فالمتنقّل الّذي يخضع لتغيير الموضع، يحلّ بذلك في سلسلة من المواضع خلال الزّمن. وبالمثل يخضع المتحمّل لتغيّر في واحدة من خصائصه الّتي يحملها، وعائشُ التّجربة يجب أن يكون موجودا هناك ليشتغل عائشا للتّجربة.

يمكن لكلّ واحد من تلك العناصر أن يكون المشارك الوحيد في عمليّة محوريّة: عمليّة ذات مشارك وحيد مفرد يكون فيها دور المحور سلبيّا (أي لا ينبني مصدرا للطّاقة). فكلّ مركّب جُمَليّ في (13)، رغم اشتماله على أقلّ ما يكون، مكتف بذاته منسجم مفهوميّا في ذاته وبذاته. يمكن للحدث المعروض، خاصّة، أن يدرَك دون استحضار صريح للمحدث أو لمصدر الطّاقة. وعندما يُتصوَّر ذلك الحدث مستقلاّ بذاته بهذه الطّريقة، يوصف انبناؤه بكونه مطلقا. لا يعني هذا أنّ مفاهيم الطّاقة، والقوّة، والجعْليّة غائبة تماما - فنحن نعرف، على سبيل المثال، أنّ المركَب يغرق بفعل الجاذبيّة، وأنّ الجليد يذوب بفعل الحرارة. وبالإضافة إلى ذلك، هذه مجرّد قوى كامنة في الخلفيّة، ومظاهر ذات حضور دائم في الملابسات الأساسيّة الّتي تحيط بنا. وما يُعَدّ، في العادة، جعليّةً خارجيّة أو جعليّةَ إحداثٍ، من زاوية لغويّة، إنّما هي الحالات الّتي تخرج عن هذا الخطّ الأساسيّ دون غيرها.

(13) (أ) الصّفر: *She is over there.* هي هناك. *The pole is long.* العمود طويل.

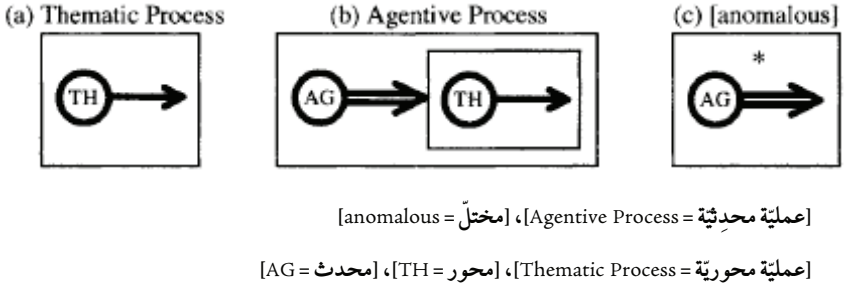
(ب) المتنقّل: *The door opened.* انفتح الباب. *The boat sank.* غرِق المركب.

(ج) المتحمّل: *The glass broke.* انكسر الكأس. *The ice melted.* ذاب الجليد.

(د) عائش التّجربة: *He was sad.* كان حزينا. *I itch all over.* أشعر بحِكاك في كامل بدني.

الانبناء المطلق هو أن تُرى عمليّة محوريّة ما في علاقتها بالميدان السّلبيّ دون شيء آخر. ومن هذا المنظور، يكون الدّورُ الصّفرُ أكثرَ الأدوار تواترا، وتكون العمليّة ذات المشارك الصّفر أكثرَ العمليّات المحوريّة تواترا. يبرّر هذان الأمران نوعَ المركّب الجُمَليّ الأساسَي في (13) (أ)، حيث يعبّر الفعل المساعد [*be*] عن استمرار وضعيّة ثابتة خلال الزّمن يكون فيها للمنتقل الخصيصة أو الموضع اللّذان يحدّدهما المتمّم. غير أنّ العمليّة المحوريّة

يمكــن أن تُرى أيضا في علاقتهــا بالميدان الإيجابيّ، حيث تدرَك على أنّها نتيجة لتفاعــلٍ قائم على القوّة الحركيّة. فمن هذا المنظور، يكون المتحمّل والمتنقّل أكثَر الأدوار المحوريّة تواترا (مثل، [*Floyd broke the glass* "فلويد كسر الكأس"]، [*I opened the door* "(أنــا) فتحت الباب"]. وبالتّحديد، يبرز المتحمّل علــى نقيض المحدث تماما، حيث يوفّر التّفاعل بينهما المقامَ الذّي يتجلّى فيه النّمــوذج البدئيّ لدور المحدث على أتمّ درجاتــه. ولا ينتمي الدّور المحوريّ الأخيــر، أي عائــش التّجربــة، إلى أيّ مــن الميدانين. ويكوّن نوعــا التّجربة الموصوفان في (13) (د)، من حيث كانا ســلبيّين لا يتضمّنان إلاّ مشــاركا وحيدا، عمليّات محوريّة. ولكــنّ عائش التّجربة يمكن أن يؤدّي كذلك الدّورَ الإيجابيّ في تفاعلٍ ذي مشاركين اثنين (مثل، [*I see it* "أنا أراه"]).



الرّسم البيانيّ 11. 3

يُظهر الجاذبان الرّئيســيّان للبــروز البؤريّ، المحدثُ والمحــورُ، حالةً من عــدم التّناظر الجوهريّ بينهما بالقيــاس إلى النّموذجين البدئيّيــن العمليّاتيّين المرتبطين بهما. ويمكن لعمليّــة محوريّة ما، كما رأينا في (13)، أن تُتصوَّر مســتقلّة بذاتها، دون الرّجوع إلى المحدث أو إلــى جعليّة الإحداث. فالانبناء المطلــق لعمليّة مــن هذا القبيل، كما يجري تمثيلها في الرّســم البيانيّ 11. 3 (a)، منسجمة مفهوميّا. ولكنّ العكس لا يستقيم: تشتمل العمليّة القائمة على محــدث، بحكم طبيعتهــا، على عمليّة محوريّة تكون بدونها غير منســجمة مفهوميّــا. يتمثّل العملُ ذو المحدِث، كما يُعرَض في الرّســم التّخطيطيّ (b)، فــي تحقيق عمليّة محوريّة فيكون نتيجة لذلــك تابعا لها. ولا وجود لمقابل لانبناء عمليّة محوريّة انبناء مطلقا. يحتمل أن يكون مقابلُها التّشــكّلَ الوارد في الرّســم التّخطيطيّ (c)، حيث يسبِّب المحدِث أو يقدح، ببساطة، شيئا دون

تصوُّرٍ للعمليّة المسبَّبة. لكنّ هذا الأمر ليس متماسكا داخليّا، إذ يندر أن نتصوّر محدثا يقدح حدثا دون استحضار ذلك الحدث استحضارا خطاطيّا على الأقلّ. ولذلك لا نقول أشياء من قبيل [*He caused* ❋ "*هو سبَّب"]، أو [*He induced* ❋ "*هو قدَح"] أو [*He brought about* ❋ "*هو حقّق"]، وهي ما يمكن أن يكون نظائر ذات محدث للعبارات المطلقة الواردة في (13).[18]

يكون على هذا للعمليّة المحدثيّة العاديّة الطّبقاتُ المفهوميّة المعروضة في الرّسم التّخطيطيّ (b). يوجد في النّواة منها عمليّة محوريّة مستقلّة بذاتها مفهوميّا، يمكن دائما أن يجري التّعبير عنها بطريقة منفصلة (مثل، [*It broke* "انكسر هو (شيء)"]. وتدعم هذه النّواةُ مفهومَ المحدثيّة الّذي لا يجري التّعبير عنه في العادة تعبيرا معزولا بحكم كونه تابعا مفهوميّا ([*He caused* ❋ "*هو سبّب"]). فهما يكوّنان معا تصوّرا لحدث من مستوى أعلى يكون في ذاته مستقلاّ ([*He broke it* "هو كسر الشّيء"]). تُجسّد العمليّة المحوريّة نصيب الأسد من المضمون المفهوميّ المقترن بالفعل، بشكل يناسب دورَها التّأسيسيّ. فالفعل [*shatter* "هشّم"]، مثلا، يخبرنا بقدر كبير من المعلومات عن المحور وعن العمليّة الّتي يخضع لها، ولكنّه لا يخبرنا إلاّ بالنّزر القليل عن المحدث أو عن أعماله (كينان 1984). فنحن نعرف أنّ المتحمّل من الجماد، شبيه بالبلّور، هشّ، وأنّه يتفكّك بتعرّضه للقوّة تفكّكا سريعا إلى قطع صغيرة كثيرة. ويحتمل أن يكون المنتقل شخصا، أو صخرة متدحرجة، أو زلزالا أو تصادما، إلخ. فإن كان شخصا (فلويد، دون شكّ)، يمكن أن يكون قد عمل بما لا يحصى من الطّرق: بإسقاط الشّيء، أو بضربه بالمطرقة، أو برمي كرة البيسبول، أو بالضّغط على زرّ لتشغيل غسّالة الأواني، وهلمّ جرّا. فكلّ ما نعلمه علم اليقين أنّ المنتقل مسؤول بوجه من الوجوه عن توفير القوّة المطلوبة.

من زاوية المعالجة الذّهنيّة، هناك مسلكان واضحان في الاهتداء الذّهنيّ إلى التّشكّل ذي الطّبقات الوارد في الرّسم التّخطيطيّ (b)، يكون الواحد منهما طبيعيّا بطريقته الخاصّة به. يتمثّل واحد منهما في اتّباع انتقال القوّة على امتداد سلسلة العمل، من المحدث إلى المحور. والآخر يجري، بحكم قيامه على أساس الاستقلال المفهوميّ، في الاتّجاه المعاكس. وللعمليّة المحوريّة نوع من الأولويّة لأنّ التّصوّر العامّ الشّامل ينشدّ إليها، من اعتبارين اثنين: من حيث هي مركز الجاذبيّة إزاء المضمون المفهوميّ،

وبحكم أنّ مفهوم المحدِثيّة (الّتي يتطلّبها تجلّيها المفهوميّ التّامّ) يفترضها مسبقا. وبالمواصلة على امتداد هذا المسلك، نبدأ بالنّواة المستقلّة مفهوميّا، ونزيد عليها مفهوم المحدثيّة (الّذي يتطلَّب دعمَها)، ونبلغ التّصوّر التّامّ للعمليّة المحدثيّة (المستقلّة كذلك). وتكون البنية المستحضرة، في كلّ طور، مكتفية بذاتها منسجمة في ذاتها وبذاتها.

إذا كانت طريقة خاصّة في ترتيب العناصر في بنية مركّبة أو في الاهتداء إليها ذات تبرير عرفنيّ واضح، أمكن أن تسمّى مسلكا طبيعيّا. فالعنصر الأوّل على مسلك ما، يمثّل نقطة البداية. ويمكن أن نفترض، بالنّسبة إلى المركّبات الجُمَليّة، عددا من المسالك الطّبيعيّة يتّصل كلّ واحد منها بمستوى من التّنضيد متميّز أو ببعد من أبعاده. ويتمثّل هذا المسلك في ترتيب الكلم، الّذي تكون نقطة البداية فيه الكلمةَ الأولى الّتي نعترضها في التّتابع الزّمنيّ. ويتمثّل مسلك ثان في دفق الطّاقة على امتداد سلسلة العمل الّذي ينطلق من المحدِث؛ وينطلق ثالثُ المسالك متأسّسا على الاستقلال المفهوميّ، بعمليّة محوريّة. وبالإضافة إلى ذلك، يتمثّل مسلك آخر في تسلسل الاهتداء الّذي يحدّده البروز البؤريّ: المنتقل > المعلم > المشاركون الآخرون. وتنزع المسالك الطّبيعيّة إلى الاصطفاف (ما أمكن) مع المشاركين فيها لتتطابق، إذ يمثّل ذلك مسألة نجاعة في المعالجة. ففي عبارة [*Floyd broke the glass* "فلويد كسر الكأس"]، مثلا، يكون فلويد نقطة الانطلاق إزاء المسالك المتصافّة من ترتيب الكلم ودفق الطّاقة والبروز البؤريّ (بحكم كونه الكلمةَ الأولى، والمحدثَ، والمنتقلَ). ها هنا يكمن الأساس في توجيه المحدث وتوجيه المحوَر. فهما يمثّلان طريقتين بديلتين في جعل مسلك البروز البؤريّ مصطفّا مع مسلك يتعلّق بالمضمون المفهوميّ: تطابق نقطةُ الانطلاق فيه، أي المنتقلُ، إمّا المحدثَ وإمّا المحور، من حيث كان المشارك الأوّل الّذي يعترضنا على امتداد المسلك القائم على أساس دفق الطّاقة أو الاستقلال المفهوميّ.

4.2.11 الإستراتيجيّات المتنافسة

يمثّل توجيه المحدث وتوجيه المحور إستراتيجيّتين بديلتين في التّشفير. فكلّ واحدة منهما طريقة أساسيّة في إقامة التّناسب بأدوات لغويّة بين البروز المسند في السّياق، والبروز العرفنيّ الكامن في دور نموذجيّ بدئيّ يكون

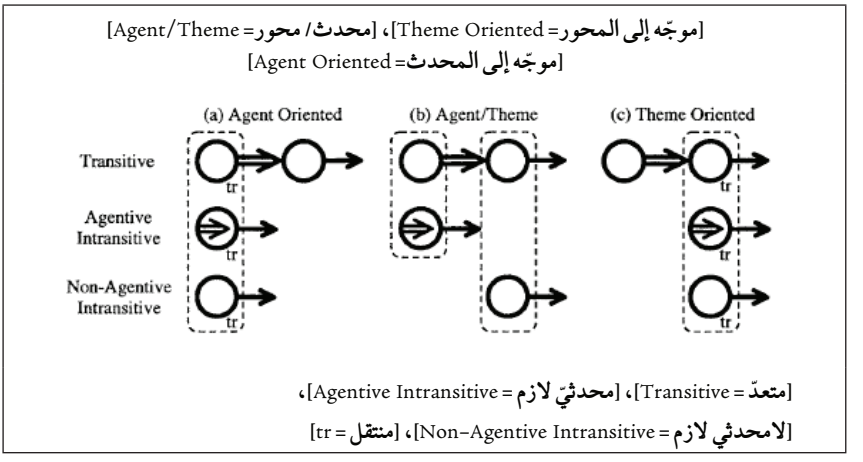
لمشارك ما. وكلّ واحد من التّصفيفين قادر على أن يُتّخَذ توجيها محايدا في لغة من اللّغات. غير أنّ كلّ لغة تستخدم التّصفيفين كليهما إلى حدّ ما.

توجيه المحدِث إستراتيجيّةٌ في التّشفير يكون فيها اختيار محدث ما ليكون منتقلا. وعندما تمثّل هذه الحالة التّصفيفَ المحايد، يكون نوع المركّب الجُمَليّ المتواتر مركّبا يعرِض التّفاعلَ النّموذجيّ بين المحدث والمحور، تفاعلا يكون فيه المحدث منتقِلا والمحور معلما (الرّسم البيانيّ 11. 2 (b)). ويتوسّع نوع المركّب الجُمَليّ هذا توسّعا دلاليّا إلى أنواع أخرى من الاستعمالات فيوفّر مناويل توصَّف على أساسها سائرُ الأنواع من المركّبات الجُمَليّة توصيفا جزئيّا. يمكن أن نرى ذلك بوضوح في الإنجليزيّة الّتي تغلب فيها إستراتيجيّة توجيه المحدِث. وقد أشرنا في (1)، على سبيل المثال، إلى أنّ الإنجليزيّة - خلافا للسّامونيّة- تستعمل مركّبات جُمَليّة متماثلة بنيويّا للتّعبير عن التّفاعل بين المحدث والمتحمّل ([*Floyd broke the glass* "فلويد كسر الكأس"]، وللتّعبير عن علاقة إدراكيّة حسّيّة ([*The boy saw the ship* "الولد رأى السّفينة"]). وبصفة أعمّ، تستعمِل الإنجليزيّة هذا النّوعَ من المركّبات الجُمَليّة للتّعبير عن الإدراك الذّهنيّ لسائر الأشياء ([*I imagined the painting* "أنا تخيّلت اللّوحة الزّيتيّة"]) وحتّى للتّعبير عن علاقات التّناظر بين مشاركَين صفرين ([*Australia resembles South Africa* "أستراليا تشبه جنوب أفريقيا"]).

تتشابه جميع الفواعل في هذه المركّبات الجُمَليّة المتنوّعة دلاليّا من حيث سلوكها النّحويّ بالأساس. فسواء كان المنتقل محدثا، أو مجرّد شبيه بالمحدث (وسيلة، مثلا)، أو عائشا للتّجربة، أو صفرا، يتصرّف الإسمائيّ الّذي يعبِّر عنه في جميع الحالات أداةً تُفحَص بها الفواعل في الإنجليزيّة: ترتيب الكلم الأساسيّ (فاعل فعل مفعول)، ومطابقة الفعل، وتبادل الموضع مع الفعل المساعد في الاستفهام ([*Does he resemble her?* «هل يشبهها؟»])، وتكوين «مؤشّرات» الاستفهام ([*He resembles her, doesn't he?* «هو يشبهها، أليس كذلك؟»]، وما إلى ذلك. ولعلّه من اللاّفت أكثر أن نلاحظ مظاهر السّلوك نفسَها في المركّبات الجُمَليّة ذات المشارك الوحيد. قد يكون هناك مشارك وحيد فقط لأنّ المشارك نفسَه يشتغل محدثا ومتحمّلا في آن، من قبيل ما يكون في فعل التّنقّل [*walk* "مشى"]، مثلا، ([*He walked* "هو مشى"]، [*Did he walk?* «هل مشى؟»]، [*He walked, didn't he?* «هو مشى، أليس كذلك؟»]). ولكنّ المحدثيّة ليست مطلوبة. فمن زاوية نحويّة،

ليس الفاعل إلاّ فاعلا حتّى إذا ما كان دوره محوريّا صرفا ([*It sank* "غرقت (السّفينة)"]، [*Did it sink?* «هل غرقت؟»]، [*It sank, didn't it?* «غرقت، أليس كذلك؟»]). فهذه الأبنية اللاّزمة، حينئذ، مماثلة بنيويّا للأبنية المتعدّية القياسيّة، في كلّ شيء ما عدا غياب المفعول به.

يُعرَض توجيهُ المحدث القويُّ في لغة مثل الإنجليزيّة في الرّسم البيانيّ 11. 4 (a)، حيث تضمّ الخانة ذاتُ الخطوط المتقطّعة العناصرَ الّتي تشتغل اشتغالا متماثلا نحويّا. يجري تمثيل ثلاثة أنواع من المركّبات الجُمَليّة: المتعدّي الّذي يكون فيه المحدث والمتحمّل متمايزين (مثل، [*He broke it* "هو كسره"])؛ والمحدثيُّ اللاّزم الّذي يؤدّي فيه نفس المشارك الدّورين كليهما ([*He walked* "هو مشى"])؛ واللاّمحدثيّ اللاّزم الّذي يكون فيه المشارك محورا فقط ([*It broke* "انكسر (هو (شيء))"]). ويتمثّل ما يشير إليه الرّسم التّخطيطيّ في أنّ الخصائص النّحويّة نفسها الّتي تميّز المحدث من المحور في مركّب جُمَليّ متعدّ تكون أيضا مميّزة للمشارك الوحيد في مركّب جُمَليّ لازم، حتّى إذا ما كان هذا المشارك نفسُه محورا. وفي النّحو العرفنيّ، تُعتبَر حزمة الخصائص هذه من الأعراض الدّالّة على منزلة المنتقل - يعني البروزَ البؤريّ الرّئيسيّ. يكشف هذا البروز عن نفسه عاملا منفصلا لأنّه يقصر، بالتّدقيق، عن موافقة أيّ دور دلاليّ قابل للتّحديد: يمكن أن يقع على المحدث أو على المحور (اللّذين يتضادّان بالأساس) ولكنّه لا يقع على جميع المحاور. ولكنّه في كلّ حالة يقع على المشارك ذي الشّبه الأكبر بالمحدث.



الرّسم البيانيّ 11 . 4

وإذ نحوّل نظرنا الآن إلى إستراتيجيّة التّشفير البديلة، يكون نظيرُ توجيهِ المحدث القويّ، توجيهَ المحور القويَّ المعروضَ في الرّسم البيانيّ 11. 4 (c). وفي اللّغات الّتي يكون فيها توجيه المحور التّصفيفَ المحايد، يعرض أكثرُ أنواع المركّبات الجُمَليّة تواترا عمليّةً محوريّة ذات مشارك وحيد. فيكون حينئذ المنتقل محورا. وإن كان توجيه المحور غالبا، وجب أن يُنتقَى أكثرُ المشاركين شبها بالمحور منتقلا في الأنواع الأخرى من المركّبات الجُمَليّة. فيسنَد البروز البؤريّ، على هذا، إلى المحور الوارد في مركّب جُمَليّ متعدّ، وكذلك إلى المشارك الوحيد في مركّب جُمَليّ محدثيّ لازم (الّذي يجمع بين دوري المحور والمحدث). وإذ كان جميع هؤلاء المشاركين محاور، يكون البروز البؤريّ مستقلاّ عن الدّور الدّلاليّ بدرجة أقلّ وضوحا ممّا يكون عليه عندما يجري مع توجيه المحدث. ولكنّ فحص مجموعة أوسع من أنواع المركّبات الجُمَليّة سوف يظهر الاختلاف بينهما.[19] ومن المفروض أن تكون منزلة المنتقل، من زاوية نحويّة، بيّنةً من خلال مجموعة من مظاهر السّلوك المشتركة بين المشارك الوحيد في مركّب جُمَليّ لازم والمحور في مركّب جُمَليّ متعدّ.

توجد لغات من هذا القبيل، واللّغة الدّيربالّية الأسترالّية أكثر الأمثلة ذكرا (ديكسون 1972). يرتبط عدد هذه اللّغات بمسائل وصفيّة ونظريّة لا يسعنا تناولها هنا. يتعلّق الأمر بالسّؤال المطروح في شأن الخصائص النّحويّة الّتي تعتبَر أعراضا دالّة على منزلة الفاعل - أو أعراضا دالّة على البروز البؤريّ الرّئيسيّ بعبارة النّحو العرفنيّ. وفي اللّغات ذات الإستراتيجيّة القائمة على توجيه المحور، حيث يكون التّمييز بين البروز والدّور الدلاليّ أقلّ وضوحا في المقام الأوّل، تنزع مظاهر السّلوك النّحويّ إلى أن تكون أقلّ تماسكا في قابليّة إسنادها إلى عامل وحيد. ويتمثّل أهمّ شيء، في حدود ما نرمي إليه هنا، في الانتباه إلى أنّ اللّغات تستعمل إستراتيجيّات مختلفة - وخلطات متنوّعة من الإستراتيجيّات- باعتبار هذا المظهر الأساسيّ في الانتظام المركّبيّ الجُمَليّ. ولجميعها، بالإضافة إلى ذلك، أساس مفهوميّ مشترك ينبثق من التّعامل بين البروز البؤريّ، والبروز العرفنيّ الكامن في المحدِث وفي المحور، وتوليفة ما بين توجيه المحدث وتوجيه المحور، كذلك.

ولتينك الإستراتيجيّتين المتنافستين النّتائج المعروضة في الرّسم البيانيّ 11. 4 (a) و(c). وبقدر ما يوسّع توجيهُ المحور تأثيرَه من المركّبات الجُمَليّة

المتعدّيــة إلى المركّبــات الجُمَليّة اللاّزمة، يسـلك المحدثـون والمحاور اللاّزمة سـلوكا نحويّا متشـابها. فالمحور المتعدّي، وهو ثانويّ بمعنى أنّه لا يمثّـل الاختيارَ المحايد للمنتقل، هو ما يتفـرّد بكونه مختلفا. وعلى عكس ذلك، يكون فـي توجيه المحور، المحدِثُ المتعدّي ثانويّا من هذا الاعتبار ومتفـرّدا تبعـا لذلك بكونـه مختلفا. وبقدر ما يوسّـع هذا التّوجيـهُ تأثيرَه، تسلك المحاور المتعدّية والمحاور اللاّزمة سلوكا نحويّا واحدا. وبالإضافة إلى ذلك، هناك لغات تتّبع إستراتيجيّة أساسيّة ثالثة تُعرَض في الرّسم البيانيّ 11. 4 (b)، يكون فيها توجيه المحدث وتوجيه المحور متوازنين توازنا أكثر (ميثـون 1991؛ فيلاسكيز-كاسـتيلّو 2002). فـي نوع النّظـام هذا، يكون للمشـارك الشّبيه بالمحدث نفس السّلوك النّحويّ في كلّ من المركّب الجُمَلـيّ ذي المشـارك الوحيـد والمركّـب الجُمَليّ ذي المشـاركَين. ويسلك كذلك المحور اللاّمحدثيّ السّلوكَ نفسه في كليهما. يستدعي هذا التّعالق المتّسِـق بين الخصائص النّحويّة والدّور الدّلاليّ سـؤالا في شـأن المنزلة المستقلّة للبروز البؤريّ. وبالفعل، تعتبَر هذه اللّغات في الغالب من غير ذوات الفواعل (وهي مسألة نعود إليها لاحقا).

ولا يذهبـنّ الظّنّ إلى أنّ الواجب في كلّ لغـة أن تندرج اندراجا واضحا في واحد مـن تلك الأنواع الثّلاثة ذات الحدود البيّنـة. ففي أفضل الأحوال، تمثّـل المخطّطـات المؤمثلة الواردة في الرّسـم البيانيّ 11. 4، إسـتراتيجيّات تشـفير محايدة، ولا تمسـك بتفاصيل تنفيذ الواحدة منها فـي لغة بعينها ولا بجميـع مظاهر التّعقّد فـي أبنيتها المركّبيّة الجُمَليّـة. وإذ كانت جميع هذه الإسـتراتيجيّات طبيعيّة إلى حدّ كبيـر، يحتمَل أن تعمد كلّ لغة على الأقلّ إلى استعمال كلّ واحدة منها إلى حدّ ما، حتّى وإن كانت واحدة منها غالبة عليهـا. ولذلك وجب أن تراعى في وصف لغة مـن اللّغات، باعتبار الظّواهر النّحويّة الفرديّة. تتجلّى التّجميعات الطّبيعيّة المعروضة في الرّسوم التّخطيطيّة، بطرق مختلفة: في وسم الحالة الإعرابيّة، وفي شكل الضّمائر، وفي المطابقة، وفـي صرف الفعل، وما إلى ذلك. ومن العاديّ أن تختلف تجميعة ما تكون بيِّنـة في ظاهرة ما، عـن تجميعة تلاحَظ في ظواهر أخـرى. فالإنجليزيّة، على سـبيل المثال، رغم توجيه المحدث القويّ فيها، تستخدم المخطّطَين الآخرَين في الأبنية الجارية في تخصيص المشاركين في فعلٍ مُسْمًى. فيحدّد المركّب الحرفـيّ المقترن بـ[*of*] إمّا منتقلَ فعلٍ لازمٍ مُسْـمًى (مثـل، [*the sinking of the ship*] "غرَق السّـفينة") أو مفعولَ فعل متعدٍّ ([*the sinking of the ship by the pirates*] "إغراق

السّـفينة من قبل القراصنـة"]). هذا هو التّجميع المميّـز لتوجيه المحور. ومع الحرف [*by*]، من جهة أخرى، يجب أن يكون المشارك الّذي يقترن به شبيها بالمحدث إلى حـدّ ما. يتضمّن ذلك، وفق قالـب المحدث/المحور، كلاّ مـن المحدِثين المتعدّين ومنتقلِ الأبنية المحدثيّة اللاّزمة (مثل، [*yelling by pirates* "الصّراخ من قبل القراصنة"])، مَقصيا في الآن نفسـه المنتقلَ المحوريّ للأبنية اللاّزمة اللاّمحدثيّة ([*sinking by the ship** «*غرَقٌ من قِبَل السّفينة»]).

وتتجلّى الإسـتراتيجيّات الأساسيّة الثّلاث في وسـم الحالة الإعرابيّة تجلّيا مباشرا في أقصى الدّرجات. وممّا يمثّل قالبَ توجيه المحدث، الجمل الواردة في (14) من اللّغة اللّويزينيّة. والسّـمة المميّزة لهذا القالب أن توسـم الفواعلُ المتعدّية والفواعلُ اللاّزمة وسـما واحدا، ويوسـم المفعول به للمتعدّي وسما مختلفا. هنا يوسَم الفاعلان [*nawitmal* «بنت»] و[*'awaal* «كلب»] وسما صفرا، ويوسم باللاّحقة [*-i*] المفعول [*'awaal-i*]. تسمّى الحالتان الإعرابيّتان الأساسيّتان في نظام قائـم على توجيه المحدث، عادة، بحالة الرّفع (NOM) وحالة النّصب (ACC). وكما رأينا فـي اللّويزينيّة، في حالة الرّفع/ النّصب، يطّرد أن يكون وسـم الرّفع بالعلامة الصّفر، ولا يوسَـم إلاّ النّصب وسما صريحا. فهذا الوسم أيقونيّ إذ تشير العلامة الصّفر إلى نقطة البداية: أصل المسلك الطّبيعيّ القائم على دفق الطّاقة. ولا توضع شـارة ظاهرة إلاّ على مشارك مبأّر إضافيّ يُوجَد في نقطة أبعد على امتداد هذا المسلك، دلالة على أنّه كذلك.

(14) (أ) *'ar-ax.* *'awaal-i* *Nawitmal*
kick-PAST dog-ACC girl(NOM)
ماض-ركل **نصب**-كلب (**رفع**) بنت
‹البنت ركلت الكلب›

(ب) *xaar-ax.* *'awaal*
growl-PAST dog(NOM)
ماض-هرّ (**رفع**) كلب
‹الكلب هرَّ›

والجمل السّاموانيّة الواردة في (15) أمثلة من نظام في وسم الحالة الأعرابيّة قائم على توجيه المحور. في هذا النّوع من القالب، يوسـم المحدِث المتعدّي وسـما خاصّا، يكون هنا باعتماد الحرف [*e*] في [*e le teine*]. وللمحور الوسـم نفسـه، أي الوسـم الصّفر، سـواء كان المركّب الجُمَلـيّ متعدّيا أو لازما.

تسمّى الحالتان الأساسيّتان في هذا النّظام، عادة، حالة الإركاتيّة (ERG) وحالة المطلق (ABS). في حين تكون حالة الإركاتيّة موسومة وسما ظاهرا، يكون عمليّا وسم الحالة المطلقة دائما صفرا. وهذا الوسم أيقونيّ كذلك، إذ يشير الصّفر إلى نقطة البداية: أصل المسلك الطّبيعيّ القائم على الاستقلال المفهوميّ. فلا يوسَم إلاّ مشارك مبأّر آخر يعترَض في نقطة أبعد على امتداد هذا المسلك، وسما ظاهرا يدلّ على أنّه كذلك.

(15) (أ) *'ua tipi e le teine le ufi*
PERF cut ERG the girl the yam(ABS)
(**مطلقة**) بطاطا الـ بنت الـ **إركاتيّة** قطع انقضاء
«قطعت البنت البطاطا»

(ب) *teine 'ua oti le*
girl(ABS) PERF die the
(**مطلقة**) بنت الـ مات **انقضاء**
«ماتت البنت»

يعود التّقابل في الوسم بين حالة الرّفع والنّصب، وبين الحالة الإركاتيّة والمطلقة، إلى كونِ المشارك البؤريّ الوحيد في مركّب جُمَليّ لازم موسوما وسمَ المحدثِ في مركّب جُمَليّ متعدّ أو وسمَ المحور فيه. ولا يوسَم ذلك في النّوع الثّالث من النّظام وسما متماسكا بأيّ من الطّريقتين. عوضا عن ذلك، يحاكي المشاركُ المحدثيُّ المحدثَ المتعدّي والمشاركُ اللاّمحدثيّ المحورَ المتعدّيَ، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 11. 4 (b). وتتوفّر أمثلة من ذلك في لغة البومو الشّرقيّة، وهي لغة من كاليفورنيا الشّماليّة (ماكلاندن 1978). هنا، تتحقّق الحالة الإعرابيّة صرفيّا إمّا بلاحقة أو بشكل من أشكال الضّمير. نلاحظ في (16)-(17)، أنّ الشّكل المحدُثيّ لضمير المتكلّم المفرد هو [*háa*] وأنّ الشّكل المحوريّ منه هو [*wí*]، سواء أكان المركّب الجُمَليّ متعدّيا أم لازما. فتشير بذلك [*háa*]، في (16) (ب) إلى أنّ المتكلّم له الدّور الدّلاليّ نفسه الّذي يؤدّيه فاعلا لفعل 'مشى'، ويؤدّيه في (16) (أ) فاعلا لفعل 'قتل". وبالمثل، تشير [*wí*] في (17) (ب) إلى أنّ المتكلّم له الدّور الدّلاليّ نفسه الّذي يؤدّيه فاعلا لفعل 'عطس'، ويؤدّيه في (17) (ب) مفعولا لفعل "لدغ'.

(16) (أ) *Háa* *míip–al* šaak'a.

I:AG he–TH kill

أنا:**محدث** **محور**-هو قتل

«أنا قتلته»

(ب) *Háa* *wáduukìya*.

I:AG go

أنا:**محدث** ذهب

«أنا أذهب (أنا ذاهب)»

(17) (أ) *Xáas–uulàa* *wí* *kook^{h}óya*.

rattlesnake–AG I:TH bite

محدث-أفعى **محور**:أنا لدغ

«أفعى لدغتني (لدغتني أفعى)»

(ب) *Wĩ* *'éčkiya*.

I:TH sneeze

أنا:**محور** عطس

«أنا عطست»

ولئن كان الرّفع والنّصب والإركاتيّة والمطلقة في أساسها أسماء لحالات إعرابيّة، كما جرى تعريفها منذ أسطر، تقبل هذه المصطلحات أن توسَّع لتشمل ظواهر نحويّة أخرى. ولذلك يتحدّث اللّسانيّون عن تنظيم أساسه ثنائيّة الرّفع والنّصب (أو عن «النّصبيّة» فقط) بالنّسبة إلى أيّ ظاهرة يكون فيها للفواعل المتعدّية واللاّزمة سلوك نحويّ واحد، مقابل مفعول به متعدّ. ويتكلّمون بالمثل عن تنظيم أساسه ثنائيّة الإركاتيّة والمطلقة (أو «الإركاتيّة») كلّما كان للمحاور المتعدّية واللاّزمة سلوك نحويّ واحد مقابل محدث متعدّ. ويتوسّع استعمال المصطلحات ليجري على اللّغات: فتكون الإنجليزيّة بذلك لغة نصب، والدّيرباليّة لغة إركاتيّة. ولكنّ هذا التّوسيع مُشكِل إذ اللّغات في كلّيّتها لا تظهر تنظيما واحدا أساسه إمّا التّقابل بين الرّفع والنّصب أو التّقابل بين الإركاتيّة والمطلقة. فكلّ ما يكون، في أحسن الأحوال، غلبة للقالب الواحد منهما على الآخر.

وغالبا ما لا يتجلّى هذان القالبان من خلال حال الرّفع، ولكنّهما يتجلّيان في الشّكل الّذي يكون عليه الفعل. على سبيل المثال، تظهر اللّغة النّاوتليّة

الكلاسيكيّة (لغة الأزتيك) تنظيما أساسه التّقابل بين الرّفع والنّصب في سوابق الفعل الّتي تحدِّد الشّخص والعدد الكائنين في فاعل المركّب الجُمَليّ وفي مفعوله. نرى ذلك في (18)، حيث تشير [*ni-*] إلى ضمير المتكلّم المفرد الفاعل، بصرف النّظر عن التّعدية (وشكل المفعول به هو [*-neeč* «(نـ)ـي»].

(18) (أ) *Ni-k-neki.*
1s-3s-want
أراد-غائب مفرد-متكلّم مفرد
«أنا أريده»

(ب) *Ni-miki-s.*
1s-die-FUT
مستقبل-مات-متكلّم مفرد
«أنا سوف أموت»

ومقابل ذلك، يتّبع تسبيق الفعل في اللاّكهوتيّة (واحدة من لغات السّيُو) قالبا أساسه التّقابل بين المحدث والمحور (دالستروم 1983). فيكون بذلك الشّكلُ الإركاتيّ من ضمير المتكلّم المفرد، [*wa*]، ويكون الشّكل المحوريّ منه [*ma*]، سواء كان الفعل متعدّيا أو لازما:[20]

(19) (أ) *Wičha-wa-gnayã.*
3p:TH-1s:AG-trick
خدع-متكلّم مفرد:**محدث**-غائب مفرد:**محور**
«أنا خدعته»

(ب) *Wa-lowã.*
1s:AG-sing
غنّى-**محدث**:متكلّم مفرد
«أنا أغنّي»

(20) (أ) *Ma-ya-gnayã-pi.*
1s:TH-2:AG-trick-PL
جمع-خدع- مخاطب: **محدث**-متكلم مفرد:**محور**
«أنتم خدعتموني»

(ب) *Ma-hãska.*
1s:TH-tall
طويل- متكلّم مفرد : **محور**
«أنا طويل»

فـي اللّويزينيّة مثال جيّد من خلطة من الإسـتراتيجيّات المركّبيّة الجُمَليّة. تُظهـر هذه اللّغة، كمـا نرى في (21)، تنظيمـا قائما على التّقابـل بين الرّفع والنّصب باعتبار الظّواهر الأساسـيّة الثّلاث. أوّلا الحالة الإعرابيّة كما أشـرنا إلـى ذلك في ما مضى. بينما تلتصـق بالمفاعيل لاحقة [-*i*]، تكون الفواعل غير موسـومة وسـما يدلّ على الحالة الإعرابيّة بصرف النّظـر عن التّعدية.[21] ثانيا، الوصلة المجذّرة الّتي تأتي مباشـرة بعد الكلمة الأولى «تطابق» الفاعلَ ولكنّها لا تطابـق المفعول أبدا. فيطابق تبعا لذلـك ضميرُ المتكلّم [*n*=]، كلمـةَ [*noo* "أنا"] في (أ) و(ب)، في حين يطابق المفردُ الغائب [*up*=]، كلمةَ [*hunwut* "دُبّ"] فـي (ج)، ويطابـق الجمعُ الغائـب [*pum*=]، كلمةَ [*hunwutum* «دببـة»] في (د). وأخيرا، توافق كذلك لاحقةُ وسـم الزّمن المتّصلةُ بالفعل الفاعـلَ فـي العدد، لا المفعـولَ. وبذلك تجـري اللاّحقـة [*-q*] المعبّرة عن المفرد، فـي (أ)-(ج)، وتجري اللاّحقة [*-an*] المعبّرة عن الجمع، في (د)، لأنّ الفاعل جمع في (د) فقط.

(21) (أ)

moqna-q.	*hunwut-i*	*Noo=n*
kill:SG-PRES:SG	bear-ACC	I=1s:PRES
مفرد:حاضر-مفرد:قتل	**نصب**-دُبّ	**حاضر:**متكلّم مفرد=أنا
«أنا أقتل الدبّ»		

(ب)

qe'ee-q.	*hunwut-um-i*	*Noo=n*
kill:PL-PRES:SG	bear-PL-ACC	I=1s:PRES
مفرد:حاضر-جمع:قتل	**نصب-جمع**-دُبّ	**حاضر:**متكلّم مفرد=أنا
«أنا أقتل الدّببة»		

(ج)

pokwa-q	*Hunwut=up*
run:SG-PRES:SG	bear=3s:PRES
مفرد:حاضر-مفرد:جرى	**حاضر:** مفردغائب = دبّ
«الدّبّ يجري»	

(د)

ngoora-an.	*Hunwut-um=pum*
run:PL-PRES:PL	bear-pl=3p:PRES
جمع:حاضر-جمع:جرى	**حاضر:**جمع غائب=جمع-دبّ
«الدّببة تجري»	

ومع ذلك، تتّبع المركّبات الجُمَليّة في اللّويزينيّة، من زاوية نظر أساسيّة، قالبا قائما على المقابلة بين الحالة الإركاتيّة والحالة المطلقة. فيكون لعدد كبير من الأفعال المتواترة فيها أشكال يعوِّض بعضها بعضا، إذ تجري منها في المفرد جذوع مختلفة عن الجذوع الجارية في الجمع. نلاحظ في (21) أنّ التّعبير عن «قتل» يكون بجذع [*ngoora*] مع المفرد، وبجذع [*qe'ee*] مع الجمع، في حين يكون التّعبير عن "جرى" بجذع [*pokwa*]، وجذع [*ngoora*]، تباعا. فكون الفعل مفردا أو جمعا يتعلّق بما يكون عليه المشارك من إفراد أو جمع. ولكن أيّ مشارك هو؟ في الأفعال اللاّزمة، لا يوجد إلاّ مشارك مبأّر وحيد، فيطابقه الفعل لذلك. فالمفتاح إذن يكمن في ما يعكسه الفعل من عدد يكون لفاعله أو لمفعوله. ويتبيّن أنّه عدد المفعول، كما يظهر في (21) (ب). فاللّغة اللّويزينيّة تظهر في تعويض الأفعال القالَبَ المميّزَ لتوجيه المحور رغم أنّها لغة يكون توجيهَ المحدِث قويّا فيها: يتحدّد العدد في تصريف الفعل بالعدد الّذي يحمله المحور (الفاعلُ اللاّزم أو المفعول المتعدّي).

5.2.11 الكونيّة

يتمثّل عامل مهمّ في بناء معنى العبارات العلائقيّة في درجة البروز المسند إلى المشاركين فيها. فعند مستوى معيَّن من مستويات التّنضيد، يكون منتقلُ العلاقةِ المعروضة ومعلمُها المشاركَيْن اللّذين يُمنَحان البروزَ البؤريّ الرّئيسيَّ والبروزَ البؤريّ الثّانويّ. وتُقترَح هاتان الدّرجتان من البروز البؤريّ في النّحو العرفنيّ على أنّهما توصيفان خطاطيّان للفاعل وللمفعول. فالفاعل هو العبارة الإسمائيّة الّتي تخصِّص المنتقلَ في العلاقة المعروضة. والمفعول (عندما يكون هناك مفعول) يخصِّص المعلَم.

فما هو مدى الكونيّة في هذين المفهومين؟ هل يكون لكلّ لغة فواعلُ ومفاعيل في مستوى البنية المركّبيّة الجُمَليّة؟ هاتان المسألتان محفوفتان بالكثير من الجدل. فغالبا ما توضع كونيّة الفاعل محلَّ تساؤل - هو تساؤل مشروع إن كان المرء يعني بـ«الفاعل» فاعلا من النّوع المتعارف عليه في النّحو الإنجليزيّ، فاعلا يُعرَّف على أساس توجيه المحدِث وتَعالُق مستمرّ بمظاهر عديدة من السّلوك النّحويّ. لكنّ التّعريف المفهوميّ الّذي يُقترَح في النّحو العرفنيّ يحسم المسألة بطريقة أخرى. فليس من المستحيل، بل يمكن القول إنّه ليس من المستبعد، أن تَستعمِل لغة ما بنسبة ما على الأقلّ البروزَ البؤريَّ الرّئيسيَّ (منزلة المنتقل) في مستوى المركّب الجُمَليّ. فإذا

كان الأمـر كذلـك، مثّلت الفواعل مـن النّوع المتعارف عليـه في النّحو الإنجليـزيّ طريقة واحدة فقط يمكن أن تتجلّى بهـا. لننظر بإيجاز في بعض الإمكانيّات الأخرى.

يكون المضمون النّحويّ في البروز البؤريّ في أجلى مظاهره عندما ترتبط خصائـص عديدة ارتباطا مسـتمرّا بعنصـر مركّبيّ جُمَلـيّ لا يحقّق أيّ دور دلالـيّ. ورغم أنّ هذه الأدوار الدّلاليّة ترتبـط ارتباطا طرازيّا بمحدِث (في لغة مثل الإنجليزيّة) أو بمحور (في لغة مثل الدّيربالیّة)، يدلّ توسيعها لتشمل أدوارا أخرى على الحاجة إلى بناءٍ وصفيٍّ قائم برأسه. تكون منزلة هذا البناء النّظريّ غالبا محلّ تسـاؤل في ما يهمّ اللّغـات القائمة على توجيه المحور، حيث تنزع مظاهر السّـلوك النّحويّ إلى أن لا تكون محكومة بأيّ عامل مهما كان نوعـه، وخاصّة في ما يهمّ اللّغات القائمة على التّقابل بين المحدث والمحور، حيث يكون العامل المتحكّم ذا دور دلاليّ بكلّ وضوح.

واللّغة السّاموانيّة نموذج من لغة قائمة على توجيه المحور حيث لا تكون الحاجـة إلى بناء وصفيّ منفصل واضحة تمام الوضوح. فتوجيه المحور القويّ فيها ظاهر بعدد من الطّرق. أوّلا، يتّبع وسـمُ الحالة الإعرابيّة قالب الإركاتيّة/ المطلقة:

(22)

Na	*opo*	*e*	*le*	*tama*	*le*	*teine*.
PAST	hug	ERG	the	boy	the	girl(ABS)
(**مطلقة**) بنت	الـ	ولد	الـ	**إركاتيّة**	عانق	**ماض**

‹عانق الولد البنت.»

وبالإضافة إلى ذلك، يسـمح فعل ذو مشاركَين مثل [*opo* "عانق"] بحذف المحـدِث ولكنّـه يتطلّب تخصيصا لمحور ما. فيمكـن للمرء أن يقول تبعا لذلـك [*Na opo le teine* "عونقـت البنـت"]، ولكن لا يقـال [*Na opo e le tama* ✻"عانـق الولد"]. وقد لاحظنا بالإضافة إلى ذلك فـي (1)، أنّ مركّبا جُمَليّا لازمـا يصف التّنقّل في اتّجاه هدف ما، يوفّر المنوال البنيويّ للمركّبات الّتي تشفِّر الإدراك وسائرَ وجوه الاتّصال الذّهنيّ.

يمكـن أن يؤخذ بـروز المَحاور البنيويُّ هـذا على أنّـه دالّ على بروزها المفهوميّ. ولكن إن كان العنصر المُميَّز دائما محورا، فإنّنا لا نملك أساسا لاستحضار مفهوم المنتقل من حيث هو بناء نظريّ مستقلّ - فالظّواهر يمكن

وصفها بمجرّد الإحالة على الدّور الدّلاليّ. ونستطيع رغم ذلك أن نؤوّل منزلة المحور الخاصّةَ بأنّها إشارة إلى البروز البؤريّ الرّئيسيّ. وبالفعل، يمكن أن أقول إنّ هذا ينتج رؤيةً شاملة لبنية المركّب الجُمَليّ ذاتَ درجة قصوى من الانسجام. ولكن من البيّن أنّنا في حاجة إلى المزيد من الحجج الدّاعمة لافتراض البروز البؤريّ عاملا منفصلا. فالسّؤال، إذن، يتعلّق بما إذا كان للّغة السّاموانيّة ظواهر أخرى ذات صلة بهذا لا تكون محكومة بالمحاور في ذاتها. فهل توجد مظاهر سلوك - من جملة تلك المظاهر الّتي ترتبط عادة بالفواعل- توصَف بطريقة أفضل باعتماد مفهوم من قبيل المنتقل؟

يتمثّل نموذج محتمل من ذلك في "مطابقة الفعل"، الّتي ترد أمثلة منها في (23)-(24).[22] في الجمل الأربع المذكورة، يكون [*ali'i* «رئيس»]، المحدثَ بصفة مستمرّة (ولذلك كان موسوما بحالة الإركاتيّة)، ويكون [*'avefe'au* «رسول»] المحورَ (بما يحمل من وسم صفر للحالة المطلقة).

(23)

(أ) *Na tu-tuli e le ali'i 'avefe'au.*
past PL-send erg the chief messenger
ماض بعث-**جمع** إركاتيّة الـ رئيس رسول
«بعث الرّئيس الرّسل»

(ب) *Na tu-tuli 'avefe'au e le ali'i*
past PL-send messenger erg the chief
ماض بعث-**جمع** إركاتيّة رسول الـ رئيس
«بعِث الرّسل من قبل الرّئيس»

(24)

(أ) *Na tu-tuli e ali'i le 'avefe'au.*
past PL-send erg chief the messenger
ماض بعث-**جمع** إركاتيّة رئيس الـ رسول
«بعث الرّؤساء الرّسول»

(ب) *Na tu-tuli le 'avefe'au e ali'i*
past send the messenger erg chief
ماض بعث الـ رسول إركاتيّة رئيس
«بُعِث الرّسول من قبل الرّؤساء»

ومـا يختلـف هنا هـو أنّ هذه الإسـمائيّات تكـون مفـردة أو مجموعة، وكذلـك ترتيبها النّسـبيّ. وأمّا العدد فيشـار إليـه بحضـور [le] أو بغيابها، تلـك العلامة الدّالّة على أقصى درجـات التّعريف الّذي يكون من خواصّ المرجِـع المفرد. فيكون على هذا في (23)، المحدِث منبنيا في صيغة الإفراد ([le ali'i "الرّئيس"]) والمتنقّل في صيغة الجمع ([avefe'au "الرّسـل"])، ولكن في (24) يكون لنا العكس ([ali'i "رؤسـاء"]؛ [avefe'au "رسـول"]). وباعتبار ترتيب الكلم، يسبق المحدثُ المحوَرَ في المثالين الواردين في (أ) ويتبعه في المثاليـن الواردين في (ب). وتتمثّل الفكرة الأساسـيّة هنا في أنّ جمع محور ما ([avefe'au "الرّسل"])، ينعكس في صيغة فعل وارد في الجمع بصرف النّظر عن ترتيب الكلم، بوجـه يكون به كلا الفعلين في (23) مجموعا. ومقابل ذلك، لا يوسَـم الجمع في المحدث ([ali'i "رؤساء"])، على الفعل إلاّ عندما يتبعه الإسـمائيّ المحدثُ مباشـرة؛ فيكون لذلك الفعل جمعا في (24) (أ) ولكنّه مفرد في (24) (ب). فكيف يمكن أن نفسّر هذا الفرق؟

يقـرُّ التّحليل الّذي أقترحه الاختلافَ الكبير بيـن العمليّات الّتي يعرضها الفعل المعجميّ والمركّبَ الجُمَليّ ككلّ (§ 11. 1. 3). ويستجيب الفعل في ذاته للتّوجيه العامّ للمحور في اللّغة السّاموانيّة بأن يختار المحورَ منتقلا له. ويمكننـا كذلك أن نفترض بنية نحويّة فيها (ا) يتوالف فعل مع إسـمائيّ، و(اا) يجري دمج كليهما معا دمجا صوتميّا بجعل الإسمائيّ مباشرة بعد الفعل، و(ااا) يُبأّر مرجعُ الإسمائيّ من حيث كان منتقلا عند المستوى المركّب من البنية. ولهذه البنية بديلان رئيسيّان، يختلفان باعتبار أيّ المشاركين في الفعل يصلح أن يكـون موقع بلورة لتوليفةِ ذلك الفعل مع الإسـمائيّ. والمحور، عـادة، هو ما يشـتغل موقعا للبلورة. وفي هذه الحالة، يكـون المحورُ منتقلا عند كلّ من مستوى الفعل (وهو محدَّد معجميّا) ومستوى المركّب الجُمَليّ (وهو محدَّد نحويّا). ذاك ما ينتج في المثالين الواردين في (ب). لكن هناك أيضا قالب ثانويّ يبلور فيه الإسـمائيُّ المحدثَ الخطاطيّ للفعل. يُنتِج ذلك المثالين الواردين في (أ) حيث يكون المنتقلان في مسـتوى الفعل ومسـتوى المركّـب الجُمَليّ مختلفين: محورا ومنتقلا تباعا. يمكننا، بناء على هذا، أن نصوغ التّعميم الّذي ينصّ على أنّ الفعل المصرّف مع الجمع يدلّ على الجمع فـي المنتقـل العمليّاتيّ، بصرف النّظر عن المسـتوى. فـي (24) (ب) فقط لا يكون المشـارك الجمع منتقلا في مستوى الفعل ولا في مستوى المركّب الجُمَليّ، وفي هذه الجملة فقط لا يوسَم الفعل بسمة الجمع.

ويتوفّر نموذج يتجلّى فيه البروز البؤريّ بطريقة أكثر مباشرة في سمة مشهورة من لغة التّاغالوغ.[23] ورغم أنّ التّاغالوغ قائمة أساسا على توجيه المحور، فإنّ لها طريقة موسومة وسما ظاهرا في جلب الانتباه إلى مُشارك مركّبيّ جُمَليّ يمثّل دورا دلاليّا مخصوصا. والأمثلة الواردة في (25) تبرز رباعيّا من هذه الأدوار تباعا: المحدث، والمحور، والموضع، والمستفيد. ويكون الخيار موسوما وسما مضاعفا. أوّلا، لأنّ العنصر المبأّر يكون مسبوقا بالحرف [*ang*] الّذي يجري عوضا عن علامة تعيين [*ng*] أو حرفٍ ([*sa*] أو[*para sa*]). وبالإضافة إلى ذلك، يحتملُ الفعل أشكالا مختلفة ليدلّ على بؤرة المحدث، وبؤرة المحور، وبؤرة الموضِع، وبؤرة المستفيد، وما إلى ذلك. ولم يَدْرِ المنظّرون ماذا يفعلون بهذه الظّاهرة، إذ المشارك المبأّر ليس فاعلا (بالمعنى الكلاسيكيّ) ولا هو موضوع المستوى الخطابيّ. وعندي أنا، هو المنتقل ببساطة، ولذلك يكون فاعلا كما يجرى تعريفه خطاطيّا في النّحو العرفنيّ. وما نلاحظه في (25) إنّما هو الضّوء الكاشف في البروز البؤريّ وهو يركّز على عناصر مختلفة ماثلة على الرّكح، كلاّ بدوره.[24]

(25)

(أ) *Mag–salis* **ang babae** *ng bigas sa sako para sa bata*
AF–will:take:out TR woman ART rice LOC sack BEN child
طفل **مستفيد** كيس **موضعيّ** أرز **تعيين** امرأة **منتقل** أخرج:سوف-**بؤرة محدث**
«سوف تأخذ المرأة بعض الأرز من {الـ} كيس لـ{الـ} صّبيّ»

(ب) *Aalis–**in** ng babae* ang bigas *sa sako para sa bata*
will:take:out–TF art woman TR rice LOC sack BEN child
طفل **مستفيد** كيس **موضعيّ** أرز **منتقل** امرأة تعيين **بؤرة محور**-أخرج:سوف
«سوف تأخذ {الـ/ا}مرأة الأرز من {الـ} كيس لـ{الـ} صّبيّ»

(ج) *Aalis– **an** ng babae ng bigas ang sako para sa bata*
will:take:out– LF ART woman ART rice TR sack BEN child
طفل **مستفيد** كيس **منتقل** أرز **تعيين** امرأة **تعيين** **بؤرة موضع**-أخرج:سوف
«سوف تأخذ {الـ/ا}مرأة بعض الأرز من الـكيس لـ{الـ} صّبيّ»

(د) ***Ipag**–salis ng babae ng bigas sa sako ang bata*
will:take:out–BF ART woman ART rice LOC sack TR child
طفل **منتقل** كيس **موضع** أرز **تعيين** امرأة **تعيين** **بؤرة مستفيد**-أخرج:سوف
«سوف تأخذ {الـ/ا}مرأة بعض الأرز من {الـ} كيس لـلـصّبيّ»

لقد نوقشت مسألة لاكَوْنيّة الفواعل نقاشا يعتمد اعتمادا كبيرا على اللّغات القائمة على المقابلة بين المحدث والمحور.[25] وقد اعتمد تشافي (1994: 150) هذه الحجّة في خصوص اللّغة السّينيكيّة (لغة إيروكويّة). للأفعال في السّينكيّة مجموعتان من السّوابق التّصريفيّة الدّالّة على الشّخص. هذه السّوابق لا تشبه اللّواصقَ من واسمات الفاعل وواسمات المفعول الّتي توجد في لغات كثيرة (مثل النّاوتليّة الكلاسيكيّة، كما ورد في (18))، إذ تجري سابقة واحدة فقط حتّى إذا ما كان للفعل مشاركان اثنان، ولأنّ السّابقة الّتي تُختارُ يمكن أن تكون من أيّ واحدة من المجموعتين سواء كان الفعل متعدّيا أو لازما. وبذلك لا يتّبع الوسُم قالبَ التّقابل بين الرّفع والنّصب الوارد في الرّسم البيانيّ 11. 4 (a)، ولكنّه يتّبع عوضا عن ذلك قالب التّقابل بين المحدث والمحور الوارد في الرّسم البيانيّ 11. 4 (b). فالسّابقة [-*y*)*e*]، مثلا، تعيّن الشّخصَ الغائب الأنثى ليكون مشاركا شبيهًا بالمحدث في كلّ من الجملتين المتعدّية [*ye-nóghgwa'* "هي تحبّ شيئا"]، واللاّزمة [*wa'-é-khgogni'* "هي طبخت"]. وبالمثل، تعيّن السّابقة [(*a*)*go-*] شخصا غائبا أنثى في كلّ من الجملة المتعدّية [*go-nóghgwa'* "(شيء) يحبّها"]، واللاّزمة [*wa'-ágo-had'i* "هي شبعت/ امتلأت"]. ومع المتعدّي، يرتبط جعلُ المحدِث أو المحورِ صريحا بأيّ المشاركين يكون المتكلّمُ بصدد الحديث عنه في الخطابَ الجاري. ولذلك تدلّ كلّ من العبارتين [*ye-nóghgwa'* "هي تحبّه (شيء)]، و[*go- nóghgwa'* "هو (شيء) يحبّها"] على أنّ موضوع الحديث شخص أنثى.

ومن الواضح، إذن، أنّ التّمييز الّذي يسمه اختيار السّابقة هو محدث/ محور مقابلَ فاعل/مفعول. ومن الواضح كذلك أنّ اللّغة السّينيكيّة لا تملك الفواعل من النّوع الجاري في الإنجليزيّة. ويمكن أن يُنقَض ذلك بأنّ للمركّب الجُمَليّ في السّينيكيّة فاعلا، حقيقة، يوصَّف تجريديّا بكونه مشاركا بؤريّا رئيسيّا. ففي مركّب جُمَليّ معطى، يُجعَل واحد من المشاركين بارزا بالطّريقة الّتي يكون بها إبراز الفواعل في العادة: بأن يَحمِل الفعلُ مؤشّراتٍ تحيل على تلك الفواعل. وبناء على هذا، أقترح أنّ يُعيَّن هذا المشارك منتقلا مركّبيّا جُمَليّا. وبناء على هذا التّفسير، تأخذ كلّ من السّابقتين [-*y*)*e*] و[-(*a*)*go*]، شخصا غائبا أنثى فتعيّنه منتقلا، وتخصّصه بالإضافة إلى ذلك بكونه محدثا أو محورا. وقد يستتبع ذلك، في ما يبدو، أنّ الفعل ذا المشاركين الاثنين لا يتضمّن بالأصالة تخصيصا للمنتقل. فالسّابقة، دون

شـيء آخر، هي ما يشير إلى أيِّ المشـاركَيْن- في ضوء ما يسند إليه من بروز خطابيّ- يكون له البروز البؤريّ في مستوى المركّب الجُمَليّ.[26]

وتظلّ مسـألة وجود الفواعـل (في المعنى المطلق) فـي كلّ لغة مفتوحة بلا جواب. فلا يوجد فرق أساسّـي، من زاوية النّحـو العرفنيّ، بين أن يكون الاسـتعمال الآليّ للبروز البؤريّ الرّئيسـيّ نزعةً كونيّـة مطلقة أو مجرّد نزعة كونيّة قويّة. ففي كلتـا الحالتين، يتنوّع مداه وتفاصيل تجلّياته البنيويّة تنوّعا كبيرا. وأشكّ في أن يكون له حقّا دور ما في كلّ لغة، ولكنّ هذا لا يعدو أن يكون إلاّ مجرّد شـكّ. فكونيّة المفاعيل أقلّ ظهورا من ذلك بكثير. وعادة ما يكون لنا في اللّغات القائمة على توجيه المحدث، على الأقلّ، أدلّة قويّة تدعم الافتراض القائل بوجود مشاركين اثنين مبأّرين. ولكن إذا كان دورُ المنتقـل النّحـويُّ محدودا نوعـا ما في العادة (كما هـو الحال في اللّغة السّـاموانيّة)، فإنّ دور المعلَم أكثر محدوديّة من ذلك. وليس من المسـتبعد في التّصوّر أن يُسـتغَلّ البروز البؤريّ الرّئيسيّ استغلالا آليّا في جميع اللّغات، ولكنّ البروز البؤريّ الثّانويّ لا يُستغَلّ إلاّ في البعض منها.

3.11 أنواع المركّب الجُمَليّ

يمكن أن تصنّف المركّبـات الجُمَليّة إلى أنواع باعتبار أبعاد متنوّعة من البنيـة اللّغويّة. فأنواع المركّبـات الجُمَليّة المعروفة بالتّقريريّة والاسـتفهاميّة والأمر مجذِّرة في أعمال لغويّة مخصوصة (التّقرير والسّؤال والأمر). وتتمحّض بعض أنواع المركّبات الخاصّة كذلك للبنية الإخباريّة، خاصّة ما تعلّق منها بطرق تعيين الموضـوع أو البؤرة.[27] ولكنّ عنايتنا في الوقت الحاضر منصبّة علـى أنماط التّمييز القائمة على أسـاس اختيار الفاعـل والمفعول. وبالإضافة إلى المركّبات الجُمَليّة الّتي تعتبَر قياسيّة، توفّر اللّغة مجموعة ثريّة من الأبنية تستوعب بها الحاجات الخطابيّة والملابسات المتنوّعة.

1.3.11 البناء (للمعلوم والمجهول)

إذا مـا غلب توجيه المحـدث أو توجيه المحور في واحـدة من اللّغات، وجـب أن يكون هناك بعض الأحكام للحالات الّتي يريد فيها المتكلّم تبئيـر المشـارك المَعْنِيّ. ويطلق علـى الخيارات المتوفّـرة في الاصطلاح التّقليـديّ، تسـمية البناء (للمعلوم أو المجهول). وفي نظـام قائم على توجيه المحدث، يسـمّى التّصفيـف المحايد البنـاءَ للمعلوم؛ ويسـمّى البديل (ذو

المحـور المبأّر) بناء للمجهول. وفي نظام قائم على توجيه المحور، يوفّر بناءُ ضديـدِ المجهول بديلا للتّصفيف المحايد (الّذي لا يجري عليه أيّ مصطلح في الدّرس اللّغويّ السّائد).

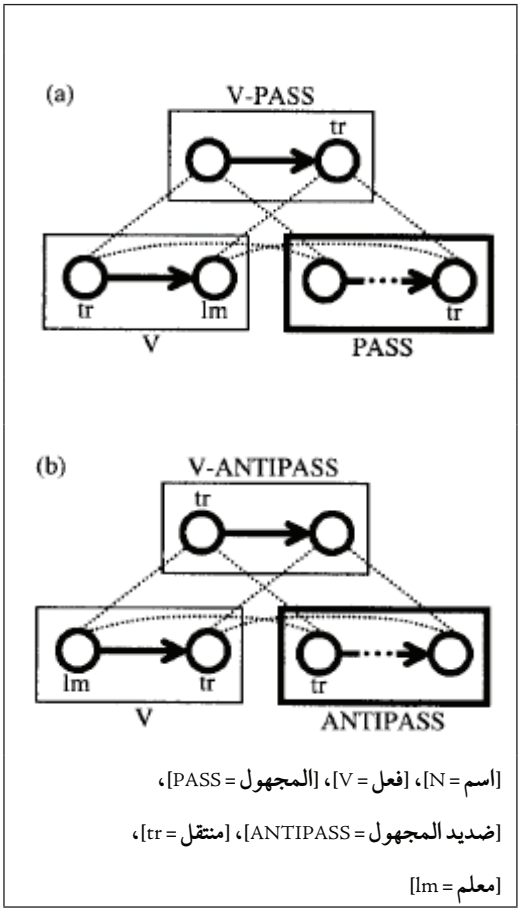
هناك أنواع مختلفة من أشـكال البناء للمجهول. تتكوّن أبنية المجهول في العادة، وربّما بطريقة مباشـرة إلى أقصى حدّ، عن طريق الاشـتقاق الفعليّ. ففـي اللّغة الهوبيّة، مثلا، تشـتقّ اللاّحقةُ [*-iwa*] فعلا مبنيّـا للمجهول من فعل مبنـيّ للمعلوم: [*ngu'a* "صاد"] مقابل [*ngu'-iwa* "صِيد"]. ففي حين يمنح الجذعُ المبنـيُّ للمعلوم منزلةَ المنتقل والمعلم للمحدث وللمحور تباعا، ينتقي الفعلُ المبنـيّ للمجهول المِحورَ ليكون المشـارك الوحيـد المبأّر. فيكون على هذا للمركّب الجُمَليّ الّذي رأسـه فعل مبنيّ للمعلوم فاعل إسمائيّ ومفعول إسـمائيّ فـي آن واحـد، كما فـي (26) (أ)، في حين لا يكـون للمركّب الجُمَليّ المبنيّ للمجهول مثل (26) (ب) إلاّ فاعل فقط.

(26) (أ) *Pam* *tsiro-t* *ngu'a*.
he bird-ACC catch
صاد **نصب**-عصفور هو
«هو صاد العصفور»

(ب) *Tsiro* *ngu'-iwa*.
bird catch-PASS
مجهول-صاد عصفور
«العصفور صِيد» (صِيد العصفور)

يصف الرّسـم البيانيّ 11. 5 (*a*) تكوُّن فعل مبنيّ للمجهول. يمثّل السّـهم تفاعلا متعدّيا ذا مشـاركين اثنين، وتدلّ نقاط الحـذف (...) على الخطاطيّة. ويعـرض جذع الفعل (V) تفاعلا مخصوصا، يكون فيه المشـارك الأكثرُ إحداثًـا مبأّرا من حيث هو منتقل، ويكون المشـارك الأكثر محوريّة مبأّرا من حيـث هو معلَم. ويكون صرفـم البناء للمجهـول (PASS) الفعلَ في ذاته، لأنّـه يعرض عمليّة تفاعليّة. غيـر أنّ صرفم البناء للمجهـول (PASS)، في ذاته، لا يسـتحضِر تلك العمليّة إلاّ اسـتحضارا خطاطيّا، بأن ينتقي المحورَ متّخذا منه المشـارك البؤريّ الوحيد (والرّئيسـيّ تبعا لذلك). ويشار إلى العمليّات الخطاطيّة والمخصوصة بواسـطة خطوط التّناسـب الظّاهرة في الرّسم البيانيّ. وكما هو معهود بالنّسـبة إلى عنصر اشتقاقيّ، يكون صرفم البناء للمجهول

(PASS) محـدِّدَ المعروض ويفرض انبناءه على العبارة المركّبة. فيكون، على هذا، الفعلُ المشـتقّ مزيجا يولّف بين المضمـون المخصوص في الفعل (V) واختيار المنتقل الّذي يفرضُ صرفم البناء للمجهول (PASS).



الرّسم البيانيّ 11. 5

المثـالان الواردان في (27)، مـن لغة الإسـكيمو الغرينلانديّة (وودبيري 1977)، نموذجـان من بنيـة ضديد المجهـول.[28] في الجملـة (أ) الّتي تمثّل التّصفيف المحايد بالنّسـبة إلى لغة قائمة على توجيه المحور، يكون المنتقل كلمـة [*niqi* «لحـم»] الواردة فـي حالة الإعـراب المطلقة، ورغـم التّرجمة الإنجليزيّـة (والعربيّـة)، يكون للكلمة [*Arna-p* «امـرأة»] الواردة في الحالة الإركاتيّة، المنزلةُ الثّانويّة الّتي للمعلَم. وممّا يفرض التّصفيف البديلَ، لاحقة

[*-nnig*] الدّالّــة علــى ضديد المجهول. وكما يُعرَض في الرّســم البيانيّ 11. 5 (b)، يتمثّــل أثرها على جذع الفعل الّذي تتوالف معه في تحويل منزلة المنتقل من المحور إلى المحدث. وإذ يبقى المحور غير مبأّر، يأخذ المنتقل المحدثيّ الحالــة الإعرابيّةَ المطلقة (الحالــة الصّفر) بحكم كونه المشــاركَ المبأّر الوحيد (وأشــبهَ المشاركين بالمحور بالاستتباع). وعند الضّرورة، يمكن أن يعبَّر عن المحور تعبيرا إطنابيّا رغم ذلك، على أنّه مفعول لصرفم [*-mik* "بــ"] الدّالّ على الوســيلة. يشبه ذلك التّخصيصَ الإطنابيّ للمحدث الوارد في بنية المجهول (مثل، [*The glass was broken* ***by Floyd*** "كسِر الكأس **من قبل فلويد**"]).

(27) (أ) *niri-vaa.* *niqi* *Arna-p*
eat-INDIC meat(ABS) woman-ERG
تعييني-أكل (**مطلقة**) لحم **إركاتيّ**-امرأة
«المرأة أكلت اللّحم.»

(ب) *niri-nnig-puq.* *niqi-mik* *Arnaq*
eat-ANTIPASS-INDIC meat-INSTR woman(ABS)
تعييني-**ضديدالمجهول**-أكل **وسيلة**-لحم (**مطلقة**) امرأة
«المرأة أكلت (بعضا من) اللّحم.»

يشــير عدم تخصيص المحدثين المجهولين والمحــاور الضّديدة للمجهول تخصيصا إطنابيّا فقط (إن كان ذلك) إلى أنّها تفتقر إلى البروز البؤريّ. يستقيم ذلك تماما لو أنّ أبنيةَ (ضديدِ) المجهول تؤخذ على أنّها وسائل في حرمانهما من البروز البؤريّ الّذي يفترض أنّه كائن لهما في خلاف ذلك. فالوظيفة الّتي يؤدّيهــا بناء المجهول - أي وظيفة نزع البؤرة عن المحدث (شــيباتاني 1985)- مفيــدة في ملابســات متنوّعة. يمكن أن تكون هويّــة المحدث غير معلومة، وغير مفيدة، أو ممّا يحسن السّكوت عليه (كما يكون عندما يكتفي فلويد بمجرّد قوله:[*The glass was broken* "كُسِر الكأس"]. وغالبا ما يكون المحدث معمّمــا أو غير مميّــز (مثــل، [*The environment is being seriously degraded* "البيئة تلوَّث بشــكل خطير"]. ومهما يكن من ســبب، يَترك نزع البــؤرة عن المحدث، المحورَ وحيدا في كونه مشاركا بؤريّا، ورئيسيّا تبعا لذلك.

وممّــا يختلف اختلافا طفيفا عن أبنية المجهول، أبنيةُ الإســناد إلى المبهَم. مثلما يفعــل البناء للمجهول، في (26) (ب)، يَترُك البناء للمبهم المشــاركَ المحدِثيّ غيرَ مخصَّص. يســاوي ذلك في ذاته نوعا من نزع البؤرة: لا يكون

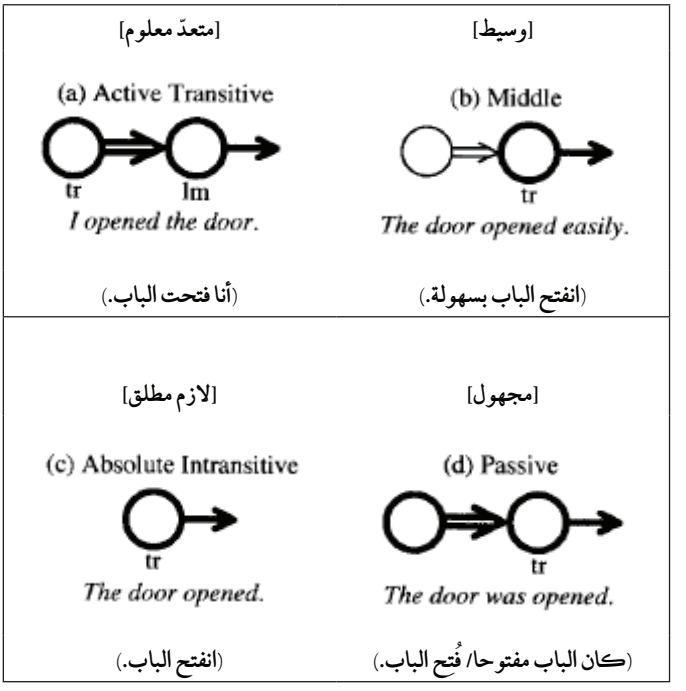
للمحـدث، بحكم كونـه ضمنيّا وغير معـروف، أيُّ بروز عرفنـيّ حقيقيّ. ولكـنّ البناء للمبهم، خلافـا للمجهول، لا يُجـري أيّ تعديل على تصفيف المنتقل/ المعلم. فالضّوء الكاشـف الرّئيسـيّ الّذي يكـون للبروز البؤريّ يظـلّ موجَّها إلـى المحدِث، وإن بطريقة غائمة، إذ لا يوجد شـيء مخصوص ينيره. ويكمن الأثر العمليّ في أنّ المحور يظلّ معلما، ينيره الضّوء الكاشف الثّانويّ، رغم كونه المشارك الوحيد الّذي يخصَّص تخصيصا ظاهرا. وعلى هـذا، يأخذ المتحمِّل [*taaqa* "رَجُل"] في المثال (28)، من اللّغة الهوبيّة، لاحقة وسـم المفعـول [*-t*]. ولا يكون المنتقلُ المحدثيّ محـدّدا خصّيصا، رغم أنّ اللاّحقة الفعليّة [*-ya*] (الّتي تُسـتعمَل مع الفاعل الوارد جمعا) توحي بأنّه ليس فردا واحدا.

(28) *Taaqa-t* *niina-ya.*
man-ACC kill-PL:SUBJ
نصب-رجل **فاعليّة**:جمع-قتل
«الرّجلَ قتلوا» ([هم] قتلوا الرّجلَ)

وعندما يُترك مشارك واحد غيرَ محدّد، يصير الآخر أكثر بروزا بحكم انعدام المنافسـة. ومن جهة أخرى، يُقلّص ازديادُ البروزِ لمشارك واحد بروزَ سائر المشاركين (نسبيّا)، حتّى إذا ما كان تخصيصهم تخصيصا تامّا. وكنّا قـد رأينا أمثلة مـن مظاهر التّمييز بين البنـاء للمعلوم والبنـاء للمجهول قائمةً على أسـاس هذه الإسـتراتيجيّة، من قبيل ما ورد فـي (23)-(24) من التّناوب في اللّغة السّـاموانيّة. فالمحدث والمحـور كلاهما مخصَّص تخصيصا تامّا، ولهما الشّكل نفسه، مهما كان منهما جاريا فاعلا للمركّب الجُمَليّ. وممّا يلفـت الانتباه أكثر من ذلك، تعدّد الخيـارات المتعدّدة في البناء (للمعلوم والمجهول) فـي لغة التّاغالوغ، الّتي ترد نماذج منها فـي (25). وبصرف النّظر عـن أيّ عنصر مركّبـيّ جُمَليّ يُجعَل في البؤرة - محدثـا كان، أو محورا، أو موضعا، أو مسـتفيدا- يمكن لسـائر العناصر أن تخصَّص تخصيصا ظاهرا بالطّريقة المعهودة رغم ذلك.

بالإضافـة إلى المعلـوم والمجهول، تتوفّـر في لغات كثيرة أبنية تسـمّى في العادة البناء الوسـيط.[29] وبما أنّ المصطلـح ينطبق على أبنية متنوّعة، وفي بعض الحالات على مجموعات متشـابكة من الأبنية المعقّدة، يكون كلّ توصيـف موحَّد لهـا مخلاّ حتما. ورغم ذلك، يكـون بالفعل لهذه الظّواهر

المتنوّعة مركز ثقل يبدو أنّ هذا المصطلح مناسب له. ويُعرَض التّشكّل الأكثر تواترا في الأبنية الوسيطة عرضا مختزلا في الرّسم البيانيّ 11. 6 (b). يتجلّى مباشرة إلى العيان أنّه وسَط بين المركّب الجُمَليّ المتعدّي القياسيّ الجاري في البناء للمعلوم كما يُعرَض في الرّسم التّخطيطيّ (a)، والمركّب الجُمَليّ اللاّزم المطلق كما يُعرَض في (c). فهو يستحضر المركّبَ الجُمَليّ المتعدّيَ المبنيّ للمعلوم من قبيل [*I opened the door* «أنا فتحت الباب»]، ويعرِض في آن واحد تسليطَ المحدث للقوّة والعمليّةَ الّتي تتحقّق بذلك على المحور (أي الباب هنا). وعلى نقيض ذلك، يبني المركّب الجُمَليّ اللاّزم من قبيل [*The door opened* "انفتح الباب"] العمليّةَ المتعلّقة بالمحور، بناء مطلقا دون إحالة على القوّة أو على المحدِث الّذي يسبّبها. فالبناء الوسيط وسط لأنّه يستدعي الجعلَ ولكنّه لا يعرضه. ففي عبارة [*The door opened easily* "انفتح الباب بسهولة"]، يدلّ الظّرف [*easily* "بسهولة"] دلالة ضمنيّة على الجهد الإراديّ الصّادر من محدث ما. ومع ذلك، لا يُجعَل شيء ظاهرا ما عدا المحور، ولا يُعرَض شيء ما عدا العمليّة الجارية على المحور.



الرّسم البيانيّ 11. 6

ورغم الشّبه بين الأبنية الوسيطة وأبنية المجهول إلى حدّ ما، يكوّن كلاهما بديلين لأبنية المتعدّي المعلوم. ويتمثّل الشّبه، الّذي يُرَى بالمقارنة بين الرّسمين التّخطيطيّين (b) و(d)، في أنّ كلّ واحد منهما يستدعي عمليّة ذات محدث ولكنّه ينتقي المحورَ ليكون منتقلا. ويتمثّل الفرق بينهما في أنّ المبنيّ للمجهول في الإنجليزيّة يشير إلى كامل التّفاعل بين المحدث والمحور، في حين لا يعرض البناء الوسيط إلاّ ما يحدثُ للمحور. وهناك تقابل وظيفيّ كذلك. تتمثّل وظيفة البناء للمجهول الرّئيسيّةُ في توفير بديل للتّوجيه المحايد للمحدث الّذي يجري في المركّبات الجُمَليّة المتعدّية القياسيّة. ومقابل ذلك، تشتغل الأبنية الوسيطة بدائل لكلّ من أبنية المتعدّي المعلوم وأبنية اللاّزم المطلق: فعبارة [*The door opened easily* "انفتح الباب بسهولة"] يمكن أن تُعتبَر بوجه مقبول ذات محدثيّة منقوصة مقارنةً بعبارة [*I opened the door* "أنا فتحت الباب"]، أو ذات محدثيّة عالية مقارنةً بالعبارة [*The door opened* "انفتح الباب"].

وقد وصف مالدونادو (1988) هذا الازدواج وصفا ممتازا في اللّغة الإسبانيّة. فمن جهة، يوفّر بناء الوسيط في الإسبانيّة - الموسوم بعلامة [*se*]- فعلا غير ذي محدث بديلا لفعل يكون متعدّيا في خلاف ذلك:[30]

(29) (أ) *José rompió el vaso.* «خوسي كسر الكأس.»
(ب) *El vaso se rompió.* «انكسر الكأس.»

(30) (أ) *El ratero ahogó al anciano.* «اللّصّ أغرق الرّجل المسنّ.»
(ب) *El anciano se ahogó.* «الرّجل المسنّ غرق.»

ومن جهة أخرى، يضيف البناء الوسيط مكوّنا ذا قوّة حركيّة إلى عمليّة جارية على المحور يكون انبناؤها مطلقا في خلاف ذلك. على سبيل المثال، يكون المركّب الجُمَليّ (31) (أ) لازما مطلقا، بما أنّ القوّة الوحيدة المعنيّة- وهي الجاذبيّة الأرضيّة الدّائمة- تعتبَر من تحصيل الحاصل. ويكون البناء الوسيط في (31) (ب) لامحدثيّا ولكنّه ذو قوّة حركيّة رغم ذلك، على الأقلّ مقارنة بما مضى. فهو يعكس ما يُتوقَّع في العادة من شخص يتحكّم في نفسه تحكّما يظلّ به منتصبا. والفعل [*caerse* "سقط"] المبنيّ للوسيط يصف الحدث على أنّه ناتج عن اضطراب للتّوازن بين القوى الّتي تحافظ عليه، يسمح بغلبة الجاذبيّة.

(31) (أ) *La lluvia está cayendo.* «المطر ينزل.»
(ب) *Ricardo se cayó.* «ريكاردو سقط أرضا.»

وما من حاجة إلى أن تكون القوّة الّتي يتضمّنها البناء الوسيط فيزيائيّة ولا منبنية انبناء موضوعيّا. فيمكن أن تكون القوّةَ الّتي يشعر بها الشّخص شعورا ذاتيّا عندما يتمثَّل حدثا يجري على عكس ما يشتهي هو أو على عكس ما يُتوقَّع في العادة. وعلى هذا، تصف العبارة في (32) (أ) جريانا عاديّا في مقابلة كرة السّلّة: بعد تسجيل الهدف، يتوقَّع أن تنزل الكرة (ولذلك كانت السّلّة مفتوحة من أسفل). ولكن إذا جعلت الكرة على طاولة، يُتوقَّع أن تبقى هناك. ولذلك تسجّل [*se*] في (32) (ب)، الاضطراب الّذي يطرأ على وضعيّة يُتوقَّع أن تستمرّ زمنا.

(32) (أ) *La pelota cayó de la canasta.* «الكرة سقطت من السّلّة»
(ب) *La pelota se cayó de la mesa.* «الكرة سقطت بنفسها من على الطّاولة.»

11. 3. 2 الفواعل غير المشاركة

يتمثّل تصورّ نموذجيّ بدئيّ يتحقّق باطّراد في البنية المركّبيّة الجُمَليّة، في تنظيم مشهد ما وفق الإطار والمواضِع والمشاركين. وهذه المفاهيم ماثلة في منوال الحدث القياسيّ، وكذلك في قوالب التّشفير المحايدة الّتي تقوم على أساسه (الرّسم البيانيّ 11. 2). وقد يكون أكثرها تواترا ذلك القالب الّذي يرد مثال منه في (33). تمنَح منزلة المنتقل ومنزلة المعلم في العادة للمشاركين الّذين تشفّرهم الإسمائيّات (في هذه الحال، هما [*Floyd* "فلويد"] و[*glasses* "الكؤوس"]. ومقابل ذلك، يكون تقديم الأطر والمواضع في الأغلب الغالب بواسطة العبارات العلائقيّة. ويخصَّص هنا الإطارُ الشّامل بواسطة مركّب حرفيّ خارجيّ عن المركّب الجُمَليّ (كما يشير إلى ذلك "فاصل (دالّ على) التّنغيم")، ويخصَّص الموضع بمركّب حرفيّ داخليّ في المركّب الجُمَليّ. والإطار، أي المطبخ يتضمّن كامل الحدث الّذي يعبّر عنه المركّب الجُمَليّ (تكديس فلويد للكؤوس على الطّاولة)، في حين تمثّل الطّاولة مجرّد موضع للكؤوس.[31]

(33)

In the kitchen,	*Floyd was stacking*	*glasses*	*on the counter*	
SETTING	PARTIC	PARTIC	LOCATION	
في المطبخ	كان فلويد يرصف	الكؤوس	على الطّاولة	

موضع مشارك مشارك إطار

‹في المطبخ، كان فلويد يرصف الكؤوس على الطّاولة.›

تجسّد البنية النّحويّة الّتي تحدّد نوعا مخصوصا من المركّب الجُمَليّ طريقةً مخصوصة في رؤية الوضعيّات. تكوّن عواملُ من قبيل المدى الأقصى، والمدى المباشر، والمعروض، والمنتقل، والمعلَم، مجتمعةً نوعا من «إطار العمل» لإدراك المضمون المفهوميّ ولصوغه تبعا لذلك في معانٍ لغويّة. فانطلاقا من مجموعة من المضامين المفهوميّة، تَنتُج معان مختلفة حسب الكيفيّة الّتي يكون بها تصفيف إطار الرّؤية ذاك مع ذلك المضمون. ويتمثّل التّنظيم المعهود في جعل المنتقل والمعلم مصفّفين مع المشاركين، كما في (33). غير أنّ ذلك لا يعدو أن يكون إلاّ خيارا واحدا. فليس من المستبعد مطلقا أن توجَد تصفيفات بدائل يقع فيها البروز البؤريّ على إطار أو موضع. وقد لا يظهر الفرق منذ الوهلة الأولى، لأنّ التّمييز بين المشاركين والأطر/المواضع يكون خفيّا في الغالب؛ ولكنّ له تبعات نحويّة تمكّن من رصده.

فعلى سبيل المثال، يبدو المركّبان الجُمَليّان (34) (أ) - (ج)، من حيث الشّكل، متعدِّيين. فكلّ واحد منهما يتضمّن إسمائيَّين، يظهران في الموضعين العاديّين اللّذين يكونان للفاعل وللمفعول (انظر [*Floyd broke the glass* "فلويد كسر الكأسَ"]). ولكنّهما لا يسلكان سلوك المركّبات الجُمَليّة المتعدّية من جميع النّواحي. ففي (34) (أ')-(ج')، نلاحظ أنّهما لا يقبلان البناء للمجهول. وإذ كانت قابليّة البناء للمجهول متعالقةً مع التّعدية (على الأقلّ في الإنجليزيّة)، يوحي امتناع ذلك فيهما بانعدام هذه الخصيصة فيهما انعداما فعليّا.

(34)

(أ) *The envelope contained his will.*
الظّرف تضمّن وصيّتَه.

(أ') **His will was contained by the envelope.*
*وصيّته ضمّنت من قبل الظّرف.

(ب) *The lecturer finally reached the end.*
وأخيرا، بلغ المحاضر النّهاية.

(ب) *The end was finally reached by the lecturer.*

*وأخيرا، بلِغت النّهاية من قبيل المحاضِر.

(ج) *The train is approaching Chicago.*

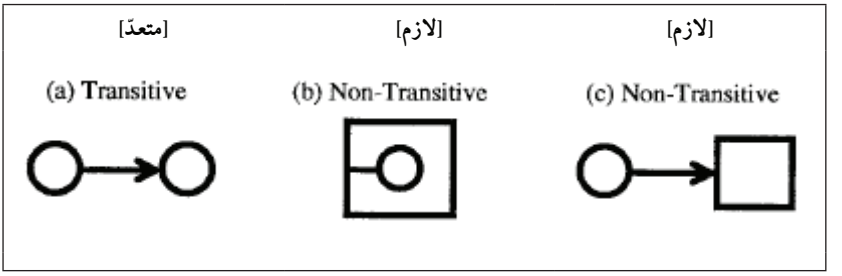
القطار يقترب من شيكاغو.

(ج›) *Chicago is being approached by the train.*

* يقترَب من شيكاغو من قبل القطار.

لا يكفي الشّكل بذاته، ليجعَل المركّب الجُمَليّ متعدّيا. فالعامل المفتاح في التّعديّة إنّما هو مفهوميّ في طبيعته- هو إجمالا درجة القرب من التّفاعل القياسيّ الّذي يكون بين المحدث والمتحمّل (هوبّر وطومسون 1980؛ رايس1987b ، 1987a). وبناء على ذلك، يكون من المفيد كثيرا، أن نستحضر أنّ المشاركين، في التّصوّر النّموذجيّ البدئيّ، يتفاعل الواحد منهم مع الآخر ولكنّهم يحلّون في المواضع والأطر مجرّد حلول. فلا يمكن للمركّب الجُمَليّ أن يكون متعدّيا إلاّ إذا كان كلّ من منتقله ومعلمه مشاركَين. ولكنّ الأمر ليس كذلك في (34). ففي كلّ مركّب جُمَليّ، ينبني واحد من العنصرَين البؤريّين على أنّه موضع: يمثّل منتقلُ الفعل [*contain* "تضمّن، حوى"] الموضعَ الّذي يحلّ فيه معلمُه؛ وعلى عكس ذلك، يكون المعلَم، مع [*reach* "بلغ"] و[*approach* "اقترب"]، الموضعَ النّهائيّ أو المرتقبَ الّذي يحلّ فيه المنتقل. ولذلك يفتقر ذانك المركّبان الجُمَليّان إلى بديلين مبنيّين للمجهول بحكم كونهما لازمين.[32]

في الرّسم البيانيّ 11. 7، تمثّل الدّوائرُ المشاركين، وتشير الخانات إلى الأطر والمواضع. والرّسم التّخطيطيّ (a) صورة تجريديّة لتشكُّل متعدٍّ يتفاعل فيه المشاركان (تَشارُكا يكون في العادة غير قائم على التَّناظر). والتّشكّلان (b) و(c) لازمان لأنّ عنصرا بؤريّا واحدا (هو المنتقل أو المعلم) يكون غير مشارك.[33] يكون الأمر كذلك سواء حلّ المشارك في الموضع، كما يظهر في الرّسم التّخطيطيّ (b)، أو تنقّل في الفضاء إليه، كما في (c). ورغم الأهميّة النّحويّة الّتي تكون لمظاهر التّقابل المفهوميّ تلك، فإنّها لا تستتبع أشكالا نحويّة مختلفة. فيمكن أن يتحقّق جميعها بمركّب جُمَليّ يتكوّن من فاعل وفعل ومفعول، على هذا التّرتيب.



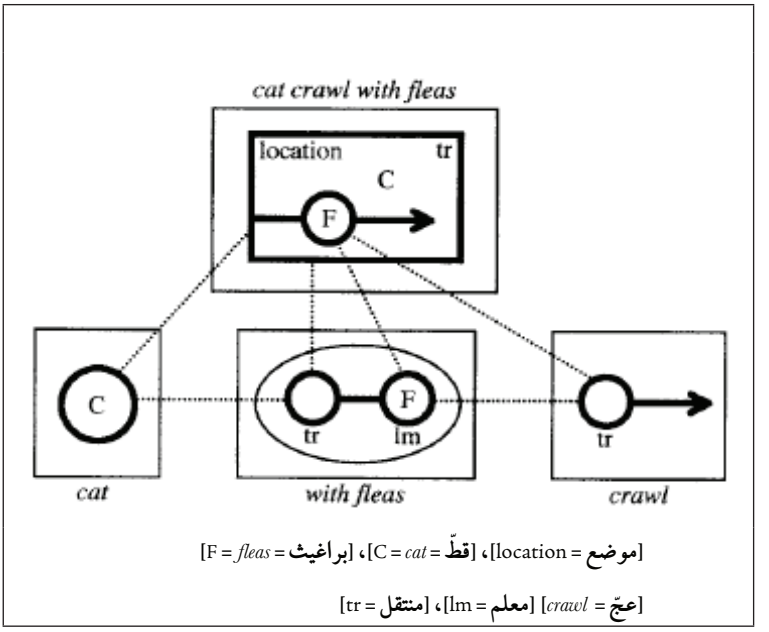
الرّسم البيانيّ 11. 7

يصفِّف الكثير من الأبنية النّحويّة إطارَ الرّؤية المركّبيَّ الجُمَليَّ تصفيفا يكون فيه إطار أو موضع مبأّرا على أنّه منتقل. ومن أمثلة ذلك البناء الوارد في (35)، والّذي يصف موضعا بما ينتشر فيه من نشاط يجعل منه محلاّ لإحساس سمعيّ أو بصريّ (داوتي 2000). تقدّم هذه العبارات أمثلة من التّباين بين المنتقل في مستوى الفعل، والمنتقل في مستوى المركّب الجُمَليّ، لأنّ الحشرات هي ما يطنّ في الواقع، والشّماريخ هي ما ينفجر، والزّبائن هم من يعجّون (مهما كان تعريف هذا الصّوت)، والبراغيث هي ما يدبّ. وبحكم غياب أيّ عنصر اشتقاقيّ، تحوِّل البنيةُ في ذاتها البروزَ البؤريّ الرّئيسيّ إلى الموضع الّذي يشتمل على تلك الأنشطة. فتصف، تبعا لذلك، الموضعَ بأنّه يحوي النّشاط، وبأنّه يُظهِر كذلك الخصيصةَ الحسّيّة المرتبطة بذلك النّشاط.

(35) (أ) *The garden is buzzing with insects.*
«الحديقة تطنّ بالحشرات.»
(ب) *The whole sky exploded with fireworks.*
«انفجرت السّماء كلّها بالشّماريخ.»
(ج) *The streets were bustling with shoppers.*
«كانت الشّوارع تعجّ بالزّبائن.»
(د) *My cat is crawling with fleas.*
«قطّي يعجّ بالبراغيث.»

يصوّر الرّسم البيانيّ 11. 8 المظاهر المفيدة في العبارة (35) (د). ولئن كانت القطط في العادة مشاركة، ينبني هنا قطّي من حيث مثّل حاملا لنشاط البراغيث. وهما مترابطان بواسطة الحرف [*with* "بـ"]، الّذي يعرض علاقةَ مصاحبةٍ.[34] وتطابق خطوط التّناسب منتقلَ ذلك الحرف بقطّ، ومعلمَه (*fleas*

"براغيث") بمنتقل الفعل [*crawl* "دبّ، زحف"]. وتمثّل العمليّة المعروضة في مستوى البنية المركّبة مزيجا بين العلاقة الّتي يعرضها الفعل والعلاقةِ الّتي يعرضها الحرف: هي عمليّة ترث طبيعتَها العمليّاتيّة من فعل [*crawl*]، ومن اختيارِها للمنتقل من المركّب الحرفيّ المقترن بـ[*with* "بـ"]. فالعمليّة المعروضةَ، حينئذ، تتمركز في دور هذا المنتقل من حيث كان موضعا للبراغيث ولدبيبها.



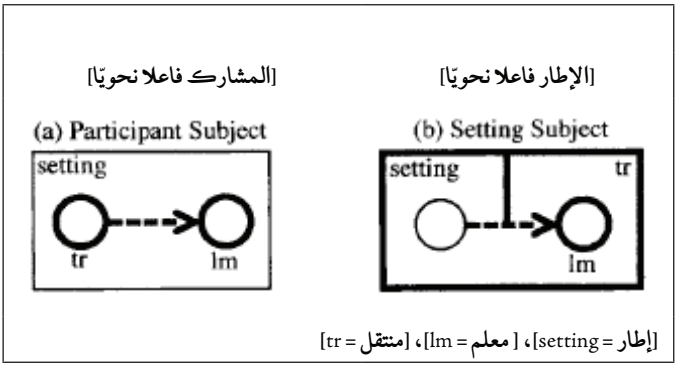
الرّسم البيانيّ 11. 8

ونلاحظ تباينا شبيها بما مضى بين المنتقل في مستوى الفعل والمنتقل في مستوى المركّب الجُمَليّ، في (36)، حيث يكون الفاعل إطارا مكانيّا أو زمانيّا:

(36) (أ) *This stadium has seen some thrilling contests.*
«رأى هذا الميدان بعضَ المباريات المشوّقة.»
(ب) *The last few years have witnessed some major changes.*
«شهدت السّنوات القليلة الأخيرة بعضَ التّغييرات الجوهريّة.»

يكون لفعل من قبيل [*see* "رأى / شهد"] أو [*witness* "شهد / عاش"] التّنضيدُ الأساسيّ الّذي يُعرَض باختزال في الرّسم البيانيّ 11. 9 (a): يعرِض

تفاعـلا إدراكيّا، يكون فيه الرّائـيّ مُبأّرا من حيث هو منتقل. ومقابل ذلك، تتجـرّد البنية الواردة في (36) من كلّ راء مخصوص بأن تحوِّل منزلةَ المنتقل إلى الإطار الشّـامل. فهي بذلك تصف الإطار بأنّـه يحتضن المجريات الّتي يحدِّدها الإسمائيّ الوارد مفعولا به، وهي في الآن نفسه تشير إشارة ثانويّة إلى أنّ كلّ شخص في ذلك الإطار يمكن أن يكون قد رأى تلك المجريات. وإذ لا يُستحضَر الرّائي إلاّ بطريقة معمَّمة، يظلّ ضمنيّا وغير ذي بروز.



الرّسم البيانيّ 11. 9

يمثّل هذا البناء الّذي يكون فيه الإطار فاعلا (نحويّا)، عيّنةً من التّشّـكل الوارد في الرّسم البيانيّ 11. 7 (b). فتكون الجمل الواردة في (36) لازمة؛ ولا يمكن تبعا لذلك بناؤها للمجهول بناء مباشرا.

(37) (أ) ❋*Some thrilling contests have been seen by this stadium.*

*بعض المباريات المشوّقة كانت قد رؤيت من قبل هذا الميدان.

(ب) ❋*Some major changes have been witnessed by the last few years.*

*بعض التّغييرات الجوهريّة كانت قد شُهِدت من قبل السّنوات القليلة الماضية.

ومـن زاوية نظر وظيفيّة، يكون التّنافي بيـن الأبنية الّتي يجري فيها الإطار فاعـلا وأبنيـةِ المجهول، لأنّ كلّ واحد منهما يمثّـل بديلا مختلفا للتّصفيف القياسـيّ - أي طريقتيـن مختلفتيـن في إعـادة توجيه إطار الرّؤيـة المركّبيّة الجُمَليّة بوجه يقع فيه البروز البؤريّ الرّئيسـيّ على شيء آخر ليس بالمحدث. والبديلان كلاهما طبيعيّ. وكنّا قد ناقشـنا التّبريـر الدّاعم لتوجيه المحوَر، وهـو من الخصائص المميّـزة لأبنية المجهـول (§ 11. 2. 3). ورغم أنّ الإطار ينـزع إلى أن يكـون غير ذي بروز بحكم اشـتماله على كلّ شـيء، توفّر

هــذه الخصيصة بذاتها مبرّرا لاختياره فاعــلا. فالمنتقل هو نقطة البداية باعتبار المسلك الطّبيعيّ الّذي يتّبعه البروز البؤريّ. وعلى هذا النّحو، يكون المنتقل المركّبيّ الجُمَليّ النقطةَ البدئيّة في الاهتداء الذّهنيّ الّذي ينشــد إقامة تصوّر تامّ للعمليّة المعروضة. وتتمثّل الإســتراتيجيّة البديهيّة لتحقيق ذلك، في البدء بالإطار الشّــامل ثمّ «التّزويم داخلا» في ما يجري هنالك. وممّا يكون قريبا جدّا من الأطر الواردة فواعل، المبهمُ [*it*] الّذي يظهر في عبارات من قبيل (38) (أ) - (ب). ومــا يوحي بالعلاقة بينهما أنّ المركّبــات الجُمَليّة المقترنة بـ[*it*] لا تقبــل البناء للمجهول، حتّى عندما تكون متعدّية من حيث الشّــكل (يرد إسمائيّ في موقع المفعول، مباشرة بعد الفعل):

(38) (أ) *It's raining big drops*.
«إنّها تمطر قطرات كبيرة.»
(أ،) ✻*Big drops are being rained* (*by it*).
*قطرات كبيرة تمطَر (من قبلها).
(ب) *It seems that he lied to us*.
«يبدو أنّه قد كذب علينا.»
(ب،) ✻*That he lied to us is seemed* (*by it*).
*يُبْدَى أنّه قد كُذِب علينا (من قبله).

رغــم أنّ العنصــر [*it*] هذا يُعتبر غيــرَ ذي معنى (عنصرا إعرابيّــا "فارغا")، يكون مــن الأفضل أن يعتبَر ذا إحالة غير مخصَّصــة إلى أقصى حدّ (بولينغر 1977: الفصــل 4). ويمكن أن نصفه (على نحو انطباعيّ لا يمكن إنكاره) بأنّه يشــير إلى "مدى الوعي" الّذي يُستحضَر ليكون أساسا يقوم عليه ما يأتي بعده. يحيل العنصر [*it*]، بطريقة لا تمييز فيها، على تمام مجموعة الملابســات الّتي تدعم هذا التّقدير. وبذلك تعكس المركّبات الجُمَليّة المقترنة بالعنصر [*it*]، إســتراتيجيّة التّزويم الدّاخل المتجلّية في الأبنية الّتي يرد فيها الإطار فاعلا نحويّــا. ولكنّها أكثــر تجريدا لأنّ نقطة البداية فيهــا، بدل أن تكون منطقة فضائيّة أو زمانيّة ذات حدود بيّنة، تكون شــاملة لكلّ مظهر يمكن أن يُعتبَر مفيدا من وعي الذّات المتصوِّرة الشّامل. يوجد بطبيعة الحال، مع فعل من قبيل [*rain* "أمطــر"]، إمكان لتأويل العنصر [*it*] على أنّــه يحيل على البيئة المناخيّة الّتــي تحيط بنا. ورغم ذلك، ليســت هذه إلاّ حالة خاصّــة، ولعلّها ضيّقة جدّا لتشمل أمثلة من هذا القبيل.

3.3.11 المفاعيل

يَطّـرد في لغـة قائمة على توجيـه المحدث، أن يكـون المفعول محورا. وإن كان المتحمّلـون طرازيّين (مـن مثل [*Floyd broke the glass* "فلويد كسـر الـكأس"])، تكـون الأدوار المحوريّـة الأخرى مركزيّة إلـى حدّ كبير: المتنقّل ([*She threw it* "هي رمت به (شيء)"])، عائش التّجربة ([*He tickled her* "هو دغدغها"])، والدّور الصّفر ([*I admired it* "أنا معجب به (شيء)"]). ولكن هذه ليسـت الأدوار الدّلاليّة الوحيدة الّتي تؤدّيها الإسمائيّات الّتي يبدو أنّها مفاعيل من حيث شكلها و(إلى حدّ ما) من حيث سلوكها النّحويّ. ففي عبارة [*The train approached the station* "اقترب القطار من المحطّة"]، على سـبيل المثال، يمثّل الإسـمائيّ الّذي يأتي مباشـرة بعـد الفعل موضعا بدل أن يكون مشـاركا. وتكـون كذلك الإسـمائيّات الـواردة في مواقـع تالية للفعـل لامحوريّة ولاتفاعليّـة في عبارات من قبيـل [*They stayed the night* "هم باتـوا ليلتهم"]، و[*It cost a fortune* "بلـغ ثمنه (شـيء) ثـروة"]، [*It weighs three pounds* "هو (شـيء) يزن ثلاثـة أرطال"]. ولئن لم تكن هذه الأبنية تعتبر مفاعيل في التّحليل التّقليديّ، يمكن أن تندرج في توصيف خطاطيّ أساسُه البروز البؤريّ الثّانويّ. ويمكن أن يشـمل ذلك كذلك المحدثَ الإركاتيّ في المركّبات الجُمَليّة ذات المشـاركَين الاثنين حيث يحلّل المحور الوارد في الحالة الإعرابيّة المطلقة فاعلا (كما في (27) (أ)).

يجري اسـتعمال مفعول هنا فـي معناه العامّ، على إسـمائيّ يكون معلما (تماما مثلما يجري فاعل على كلّ إسمائيّ يكون منتقلا). ويمكن للحالات الّتي تقارب الطّرازَ أن تُميَّز بالتّسمية التّقليديّة المفعول المباشر. ويكون مرجع الإسـمائيّ الوارد مفعولا مباشرا، المشاركَ النّهائيّ في سلسلة عمل معروضة - سـواء أكانت سلسـلةَ عمل مادّيّ أم تفاعلا منبنيا بطريقة تجريديّة على أنّه نظير لعمل مادّيّ (§ 11. 2. 2). فإذا كان الفاعل، في المطّرد، رأسـا لسلسـلة من هذا القبيل، كان المفعول، في المطّرد، ذيلا.

وكما هـو الأمر في الفواعل، يكـون اختيار المفعول مرنـا في الغالب. فيمكنني، على سـبيل المثال، بنفـس العمل المـادّيّ، أن [*tie **my shoe*** "أربطَ حذائـي"] أو [*tie **my shoelace*** "أربـط خيـط حذائـي"] أو [*tie **a bow** in my shoelace* "أربط عقدة أنشـوطيّة في خيـط حذائي"]. ومثلما يحدث مـع البروز البؤريّ الرّئيسـيّ، ينزع تسـليط الضّوء الكاشـفِ الثّانويِّ على عنصر ما، كذلك،

إلى أن يضيء من العلاقة الشّاملة الوجوهَ الّتي تشدّه إلى الأرضيّة. فأنا "أربط حذائي" لتثبيت الحذاء في قدمي، ولكنّني "أربط خيط الحذاء" لمنع الخيط من السّقوط. وبطبيعة الحال، يبرز ربطُ عقدة أنشوطيّة في خيط الحذاء، صنعَ العقدة فيصرف تبعا لذلك الانتباهَ عن الحذاء. ولا يستلزم ذلك كون الحذاء في قدَمي ولا كون الخيط في الحذاء.

توجد كذلك مرونة في الكيفيّة الّتي بها ينبني شيء قد شُفِّرَ مفعولا. فعلى سبيل المثال، يمكن أن توصَف بداية سباق ماراتونيّ باعتماد (39) (أ) أو (39) (ب). ورغم أنّ الإسمائيّات المفاعيل تحيل على مسلك الأميال الخمسة نفسه، تبنيه تلك الجمل بطرق مختلفة. ففي (39) (أ) ترد عبارة [*five miles* "خمسة أميال"] لتحديد مسافة ما بالأساس. ويُرَى مرجعها من زاوية كونه نقطةً على سلّم قيس يمكن أن تُتَصوَّرَ موضعا تجريديّا. وبما أنّ المفعول ليس مشاركا، كانت الجملة لازمة، فيكون مقابلها المبنيّ للمجهول، أي (39) (ج)، غير موفَّق. ومقابل ذلك، توصَف [*the first five miles* "الأميال الخمسة الأولى"] بكونها مسلكا فضائيّا وجب عبوره - أي نوعا من المنافِس وجب أن يُغلَب.[35] فليست "الأميال الخمسة الأولى"، من حيث انبنت على أنّها مشاركٌ يتفاعل معه العدّاؤون، مجرّدَ مفعول به بل هي مفعول به مباشر، بوجه تكون به (39) (ب) متعدّية إلى حدّ ما. ومقابلها المبنيّ للمجهول، أي (39) (د)، مقبول تبعا لذلك.

(39) (أ) *All the racers ran five miles.*
«جرى جميع العدّائين خمسة أميال.»

(ب) *All the racers ran the first five miles quite easily.*
«جرى جميع العدّائين الأميال الخمسة الأولى بسهولة كبيرة.»

(ج) **Five miles were run by all the racers.*
*جُريَت خمسة أميال من قبل جميع العدّائين.

(د) *The first five miles were run quite easily by all the racers.*
«الأميال الخمسة الأولى جريَت بسهولة كبيرة من قبل جميع العدّائين.»

يعيِّن الإسمائيّ الوارد مفعولا مباشرا، بطريقة طرازيّة، مشاركا يُصوَّر من زاوية كونه ذيلا في سلسلة العمل المعروضة. والمفاعيل (أي الإسمائيّات ذات منزلة المعلَم) تقارب هذا الطّراز بدرجات متفاوتة. ويتحدّد المدى الّذي يمتدّ به السّلوك النّحويّ المميّز للمفاعيل المباشرة على حالات أقلّ تواترا، بالمواضعات الجارية في لغة بعينها. تقيم الكثير من اللّغات تمييزا بنيويّا

كبيرا بين المفاعيل المباشرة والمفاعيل غير المباشرة. ففي الفرنسيّة، على سبيل المثال، توسَم المفاعيل غير المباشرة، بواسطة الحرف [à] (مقابل الوسم الصّفر)، ويكون لها مع الشّخص الغائب شكل ضميريّ مختلف:

(40) (أ) *Il voit sa mère.* «هو يرى أمّه.» (أ‹) *Il la voit.* «هو يراها.»

(ب) *Il obéit à sa mère.* «هو يطيع أمّه.» (ب‹) *Il lui obéit.* «هو يطيعها.»

ومثل الحرف الفرنسيّ [à]، تدلّ الحروف الواسمة للمفاعيل غير المباشرة عادة على ما تدلّ عليه [to "لـ، إلى، حتّى..."]، أو [at "إلى، في، عند..."]. وفي اللّغات الّتي تتحقّق فيها الحالات الإعرابيّة صرفيّا، تسمّى في الدّراسات التّقليديّة الحالةُ الّتي تكون للمفاعيل غير المباشرة، حالةَ المنح الإعرابيّة.

من زاوية دلاليّة، يكون المفعول به غير المباشر في العادة عائشا للتّجربة. يمثّل النّموذج البدئيّ لهذا الدّور، طرازا لكلّ من المفاعيل غير المباشرة ولحالة المنح الإعرابيّة. فيكون بذلك المفتاح في تحليلها، في ازدواج عائش التّجربة باعتبار التّقابل بين المحدث والمحوَر. فمن جهة، يكون عائش التّجربة (جنبا إلى جنب مع المتحمّل، والمتنقّل، والدّور الصّفر) دورا محوريّا أساسيّا: [*She was happy* "كانت (هي) سعيدة"]، [*He fainted* "هو بُهِت (/ أغمِي عليه)"]؛ [*I ache all over* "يؤلمني كلّ موضع من جسمي"]. ويُتصوّر كذلك عائش التّجربة، من حيث كان محلاّ للنّشاط الذّهنيّ، على أنّه مُنطلَق لمسلك ذهنيّ يقيم اتّصالا ذهنيّا بذات أخرى: [*I'm watching you* "أنا أراقبك"]، [*He imagined it* "هو تخيّله (شيء)"]، [*She remembers me* "هي تتذكّرني"]. وباعتماد هذا المظهر الأخير، ينبني عائش التّجربة على أنّه شبيه بالمحدث، بمعنى أنّه إيجابيّ، مريد أو مسؤول في إنشاء تفاعل ما. فيمكننا بناء على ذلك أن نميّز بين عائش التّجربة السّلبيّ (أو المحوريّ) وعائش التّجربة الإيجابيّ (أو المبادِر). وينزع توزيعهما إلى اتّباع قالب الحالة الإعرابيّة الإركاتيّة / المطلقة. يعني ذلك، أنّ عائش التّجربة السّلبيّ يشفَّر عادة باعتماد الفاعل اللاّزم والمفعول المتعدّي ([*I'm happy* "أنا سعيد"]، [*That pleases me* "ذلك يسعدني"])، وعائش التّجربة الإيجابيّ يشفَّر باعتماد الفاعل المتعدّي ([*I like that* "أنا أحبّ ذلك"]).

لكنّ هذه النّماذج ليست إلاّ نزعات. فالفعل [*meditate* "تأمّل"] فعلٌ لازم، ولكنّ فاعله عائشٌ للتّجربة إيجابيّ. ولا يكون في مركّب جُمَليّ ذي

مشاركين اثنين، عائشُ التّجربة السّلبيُّ، باستمرار، مفعولا متعدّيا. ومن أمثلة ذلك (40) (ب)، حيث يكون المفعول غير مباشر عوضَ أن يكون مباشرا. وما الفعل [*obéir* "أطاع"] إلاّ واحد من الأفعال الفرنسيّة الّتي تُعتبَر لازمة، فمنها [*plaire* "أعجب"]، و[*convenir* "ناسب"]، و[*aider* "ساعد"]، و[*parler* "تكلّم"]، و[*répondre* "أجاب"]. ويختلف بناء المفعول المباشر وبناء المفعول غير المباشر في ما إذا كان المعلمُ منبنيا بصفة رئيسيّة على أنّه مشارك إيجابيّ أو مشارك سلبيّ. وباعتبار التّفاعل المعروض، يرى كلّ واحد من البناءين المشاركَ على أنّه ثانويّ إزاء المنتقل (أي في الاتّجاه النّازل في دفق التّأثير). ويتمثّل ما يميّز بينهما في أنّ بناء المفعول غير المباشر يمنح بروزا أكبر للّدور الإضافيّ الّذي يكون للمعلم من حيث هو عائش إيجابيّ للتّجربة (سميث 1993). وعادة ما يكون الدّور الإيجابيّ للمعلم ظاهرا بدرجة كبيرة مع الأفعال الّتي تأخذ المفاعيل غير المباشرة. فالفعل الدّالّ على 'الطّاعة' يستحضر حدثا سابقا (غير معروض) يصدر فيه المعلَم أمرا. ويتعلّق التّفاعل المعروض بفعل 'أعجب' بإدراك المعلَم للمنتقل، تعلّقَه بدور هذا الأخير من حيث كان قادحا لذلك الإعجاب. وممّا يكون متواترا بوجه خاصّ في هذا البناء، أفعال التّواصل الّتي لا يكتفي فيها المعلمُ بفهم الرّسالة فقط بل يكون له تناوب مع المنتقل في دورين هما دور المتكلّم ودور السّامع.[36]

تتوارد في الأغلب الغالب المفاعيلُ غير المباشرة والمفاعيلُ المباشرة، عندما تجري متمّمات للأفعال الّتي يكون لها ثالوث من المشاركين. وطراز ذلك الفعلُ الدّالّ على النّقلة، وفعل 'أعطى' بوجه خاصّ (انظر نيومان 1996). لهذا الفعل ثالوث من المشاركين المعروضين - المحدث، المتنقّل، والمتقبّل- يكون فيه المحدث مبأّرا من حيث كان منتقلا. فأيّ واحد من هذا الثّالوث يجري اختياره، حينئذ، على أنّه معلم؟ المتنقّل والمتقبّل كلاهما مشارك مركزيّ ذو حظوظ وافرة في الحصول على البروز البؤريّ. فلا نفاجأ، بناء على ذلك، بأن تكون للّغات إستراتيجيّات مختلفة في التّشفير. ولعلّ أكثر القوالب تواترا، كما يتجلّى ذلك في الفرنسيّة، أن يشفَّر المتنقِّلُ والمتقبّلُ مفعولين مباشرا وغير مباشر تباعا. ففي (41) (أ)، يدلّ ورود [*ces livres* "هذه الكتب"] مباشرةً بعد الفعل، وشكله غير الموسوم كذلك، على المنزلة الّتي تسنَد إليه من حيث هو مفعول مباشر ومعلمٌ للمركّب الجُمَليّ. والمفعول غير المباشر [*mon frère* «أخي»]، موسوم بواسطة الحرف [à]. فكلاهما مفعول للفعل بحكم أنّهما يخصّصان المشاركَيْن المعروضَيْن، ويجري التّعبير عن كلا المفعولين بالضّميرين الجاريين مباشرة قبل الفعل، كما يُرى في (41)

(ب). ولعلّه من الواجب أن نعتبر المفعول غير المباشر معلما ثانويّا. وإن لم يكن الأمر كذلك، يكون على الأقلّ بارزا بدرجة ما من حيث كان مشاركا معروضا.

(41) (أ) *Je donnerai ces livres à mon frère.*
«سوف أعطي هذه الكتب إلى أخي.»
(ب) *Je les lui donnerai.*
«سوف أعطيها إيّاه.»

هناك لغات تتّبع الإستراتيجيّة المقابلة تماما، من قبيل اللّغة الخَازيّة، وهي لغة مونيّة خَميريّة في الهند (دراير 1986). في (42)، نلاحظ أنّ المتقبّل، عوضا عن المتنقّل، يسلك سلوكا شبيها بالمعلَم في مركّب جُمَليّ متعدّ بسيط بأن يأخذ واسمَ المفعول [*ya*]:

(42) (أ) *Ka la yo"ii ya 'uu khlaa.*
she PAST see OBJ the tiger
نمر الـ **نصب** رأى **ماض** هي
«هي رأت النّمر.»
(ب) *'uu hiikay ya nga ka ktien phareng.*
he teach OBJ me the language English
الإنجليزية لغة الـ أنا **نصب** علّم هو
«هو يعلّمني اللّغة الإنجليزيّة.»

تسعى الإنجليزيّة إلى التّعبير عن ذلك بالطّريقتين كلتيهما.[37] فمع أفعال النّقلة، لنا أن نختار بناءَ الحركة المسبَّبة الّتي يكون فيها المتنقّل مبأّرا معلما، أو بنية التّعدية إلى مفعولين الّتي يكون فيها المتقبّل مبأّرا عوضا عن ذلك:

(43) (أ) بناء الحركة المسبَّبة: *She sent some monkeys to the zoo.*
«هي أرسلت بعض القردة إلى حديقة الحيوان.»
(ب) التّعدية إلى مفعولين: *She sent the zoo some monkeys.*
«هي أعطت حديقة الحيوان بعض القردة.»

ومن الحجج الّتي تدعم منزلة المفعول المباشر الّتي تكون لهذين الإسمائيّين، ما نلاحظه من جريان لهما فاعلَيْن في بنيتي المجهول المناسبتين:

(44) (أ) *Some monkeys were sent to the zoo.*
«بعض القردة أُرسِلَت إلى حديقة الحيوان.»
(أ،) **The zoo was sent some monkeys to.*
«*حديقة الحيوان، أرسِلت بعض القردة إليها.»

(ب) *The zoo was sent some monkeys*.
«أرسِلَت حديقة الحيوان بعض القردة.»
(ب‹) *Some monkeys were sent the zoo*.❋
*بعض القردة أرسلت حديقة الحيوان.»

تتجلّى بهذه البدائل في اختيار المعلَم طُرُق مختلفة في انبناء عمل النّقلة. فتبئير المتنقِّل يبرز الشّـبه بالمركّبات الجُمَليّة المتعدّية البسيطة الّتي تعرض تسبيب الحركة. (من مثل[*He threw it* "هو رمى به (شيء)"]). فسلسلة العمل المعروضة في جملة من قبيل (43) (أ)، هي سلسلة عمل الفاعل الّذي يجعل المفعولَ يتنقّل على امتداد مسلكٍ يصفه المركّبُ المقترن بـ[*to*]. وبطبيعة الحال، لا يكون التنقّل والمسلك فضائيّين فقط. إذ ينضوي فيهما، بالإضافة إلى ذلك، تصوّرٌ أكثر تجريدا - قائم استعاريّا على أساس التّنقّل في الفضاء- للمعلَم وهو يبتعد من الدّائرة الّذي يسيطر عليها المحدث (أي منطقة نفوذه) ويدخل دائرة المتقبّل. وبالفعل، يمكن أن يكون هذا التّنقّل التّجريديّ رئيسيّا بل يكون التّنقّلَ الوحيدَ الّذي يتضمّنه التّصوّر (مثل [*He deeded the ranch to his daughter* "وهب الضّيعة لابنته"]). ولئن كانت بنية الحركة المسبّبيّة تترك ذلك المظهرَ الاجتماعيّ في الخلفيّة، فإنّه يتقدّم إلى الأماميّة في أبنية التّعدية إلى مفعولين. وبتبئير المتقبّل، لا تُبرز بنيةُ التّعدية إلى مفعولين دورَه في الحصول على المتنقِّل وفي التّحكّم فيه فقطَ، بل تُبرز كذلك دورَه في إدراك النّقلة وفي التّفاعل مع المحدث. ويمكن على هذا أن تتكوّن سلسلة العمل المعروضة، بصفة رئيسيّة، من المحدثِ وهو يتعامل مع المتقبّل ويؤثّر فيه عن طريق المبادلة. وبفضل هذا المكوّن الاجتماعيّ، تتطلّب الأبنية المتعدّية إلى مفعولين عادة متقبّلا عاقلا. فحديقة الحيوان يمكن، بناء على ذلك، أن تحيل على مكان أو مؤسّسة في (43) (أ)، ولكنّها لا تحيل إلاّ على المؤسّسة في (43) (ب). وخلافا للمكان، تنبني المؤسّسة انبناء استعاريّا على أنّها شخص، فتكون تبعا لذلك قادرة على إعمال العقل، والتّملّك، والتّعامل الاجتماعيّ.[38]

ولبعض اللّغات أنواع من الخيارات في ما يتعلّق بالمفعول (به). فمن خلال أشكال فعليّة خاصّة، يطلق عليها الأفعال المطبّقيّة، يمكن أن تسند منزلةُ المعلَم إلى عناصر لامحوريّة من قبيل الموضع، أو المستفيد، أو الوسيلة. وجميع هذه الأدوار خيارات في واحدة من لغات البانتو، هي الكِنْيَاوَرْدِيّة (كيماني 1980). تبيّن الأمثلة الواردة في (45) الفعلَ المُطبّقيّ جاريا على الوسيلة. في الجملة (أ)، تكون [*ibáráwa* "رسالة"] المفعول المباشر، حيث تُقدَّم الوسيلة [*ikárámu* "قلم"] بطريقة إطنابيّة على أنّها معلَم الحرف [*n*- "بـ"].

ويكون للجملة (ب) التّرجمةُ نفسُها، ولكنّها تختلف نحويّا إذ تَنقلُ اللاّحقةُ الفعليّة [-*iish*] البروزَ البؤريّ الثّانويّ إلى الوسيلة. فيكون بذلك، [*ikárámu* "قلم"] مفعولَ المركّب الجُمَليّ (الّذي يجري تخصيصه بطريقة غير إطنابيّة)، وذاك ما يجعل [*íbárúwa* "رسالة"] مشاركا معروضا ولكن غيرَ بؤريّ. ويدعم منزلةَ المفعول الّتي تكون لـ[*ikárámu* "قلم"] في الجملة (ب)، بناءُ المجهول المقابل، أي الوارد في الجملة (ج)، حيث تكون لها وظيفة الفاعل. ولذلك، يكون من الضّروريّ أن يخصَّص المحدث تخصيصا إطنابيّا.

(45) (أ) *n'-íkárámu. íbárúwa a-ra-andik-a Úmwáalímu*

with-pen letter he-PRES-write-IMPRF teacher

قلم-بـ رسالة **لاانقضائيّ**-كتب-**حاضر**-هو أستاذ

«الأستاذ يكتب رسالة بالقلم».

(ب) *íkárámu. íbárúwa a-ra-andik-iish-a Úmwáalímu*

pen letter he-PRES-write- INSTR-IMPRF teacher

قلم رسالة **لاانقضائيّ**-**وسيلة**-كتب-**حاضر**- هو أستاذ

«الأستاذ يكتب رسالة بالقلَم»

(ج) *n'- úúmwáalímu íbárúwa i-ra-andik-iish-w-a Íkárámu*

with-teacher letter it-PRES-write-INSTR-PASS-IMPRF pen

أستاذ-بـ رسالة **لاانقضائيّ**-**مجهول**-**وسيلة**-كتب-**حاضر**-هو قلم

«القلم يستعمَل (الآن) لكتابة رسالة من قبل الأستاذ.»

بالإضافة إلى كون الضّوء الكاشف الثّانويّ موجّها إلى عناصر مختلفة، يمكنه أن ينطفئ تماما. ترد في (46) من النّاوتليّة الكلاسيكيّة، واحدة من الأدوات الجاريــة في تحقيق ذلك، هي ما يعرَف بإدراج المفعول. الجملة (أ) مركّب جُمَليّ متعدّ ذو مفعول مخصّص، هو [*in nakatl* "اللّحم"]. ولذلك يكون للفعل [*k*^{w}*aa* "أكل"] سابقةُ [-*ni* الدّالّة على الفاعل المفرد المتكلّم، وكذلك سابقة [-*k*] الدّالّة على المفعول المفرد الغائب. ومن جهة أخرى، يتوالف في الجملة (ب) الاسم [*naka* "لحم"]، مباشرة مع [*k*^{w}*aa*] ليكوّن الجذع الفعليّ المركّب [*naka*-*k*^{w}*aa* «أكل-لحم»]. وهذا الجذع المشتقّ لازم، وبذلك تنقصه سابقة [-*k*] الدّالّة على المفعول، ولا يسمح بأن يكون له إسمائيّ مفعول به ظاهر. ولئن دلّ إدراجُ [*naka*] على أنّ الأكل متعلّق باللّحم، وهو لا يخصّص معلَم الفعل إلاّ في تلك الحدود، فإنّه يدلّ كذلك على أنّ

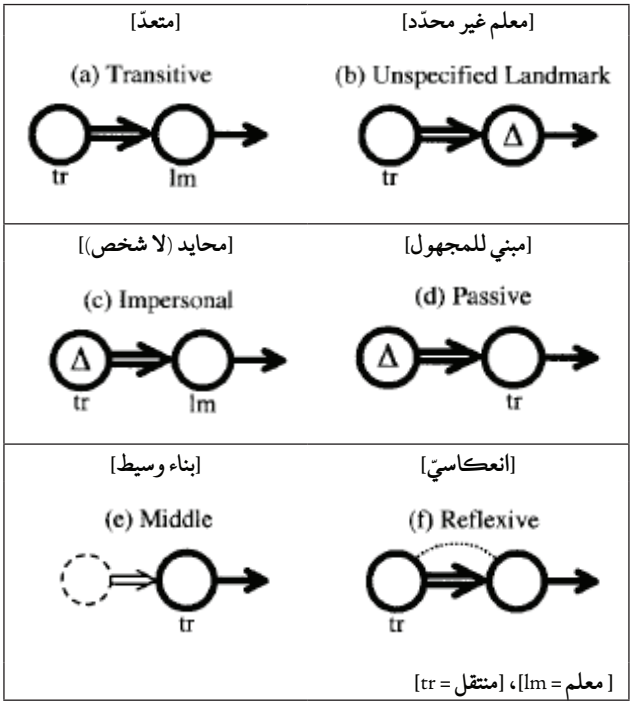
المتحمّل ليس مشـاركا بؤريّا ولا تكون لـه زيادة في التّخصيص أكثر من ذلك. فيبقى توصيفه في مستوى النّوع، إذ يجري التّعبير عنه باسم غير مجذَّر:

(46) (أ) *Ni–k–k^{w}aa–s in naka–tl.*
1s–3s–eat–FUT art meat–ABS
مطلقة-لحم الـ **مستقبل**-أكل-هو-أنا
«أنا سآكل اللّحم.»

(ب) *Ni–naka–k^{w}aa–s.*
1s–meat–eat–FUT
مستقبل-أكل-لحم-أنا
«أنا سآكل لحما.»

(ج) *Ni–tla–k^{w}aa–s.*
1s– thing –eat–FUT
مستقبل-أكل-شيء-أنا
«أنا سوف آكل.»

يمضـي نزع البؤرة هذا عـن المعلَم إلى درجة أبعد فـي (46) (ج)، حيث يكون النّـوع على غاية من الخطاطيّة. وإذ لا تخصّص كلمةُ [*tla* "شـيء"] المتحمّلَ إلاّ من حيث كونه غيرَ آدميّ، فإنّها تنهض في الغالب بوظيفة نحويّة تمكِّن بها الفعلَ المتعدّي من الجريان مع مشـارك واحد مخصّصّ لا غير. فهي من هذه النّاحية تشـبه المبهمات الّتي يُترَك فيها المنتقل غير مخصَّص، وتشـبه أيضا أبنيـة المجهول والأبنية الوسـيطة، حيث يترك إسـناد المنتقل إلـى المحـور، المحدثَ غير مبـأّر (§ 11. 3. 1). ويكـون كذلك للفعل المتعدّي مشـارك واحد لا غير عندما يكون موسـوما بسـمة الانعكاس. والبنية الانعكاسـيّة بنيةٌ يؤدّي فيها مشارك وحيد الدّورين الدّلاليّين لكلّ من المنتقل والمعلم. تذكّر الأمثلة الإسـبانيّة الوردة في (30): [*El ratero ahogó al anciano* "اللّـصّ أغرق الرّجل العجوز"] (بنية المتعـدّي) مقابل [*El anciano se ahogó* "أغـرق الرّجل العجوزُ نفسَـه"] (بنية الانعـكاس). وتذكّر كذلك أنّ العبارة الأخيرة يمكن أن تكون على شـكل البنية الوسيطة: [*El anciano se ahogó* "غـرق الرّجل العجـوز"]. فالمتواتر عبر اللّغـات، إلى حدّ كبير، أن تكون الأنواع المختلفة من الأبنية - أي المعلم غير المخصَّص، المنتقل غير المخصَّص (= المبهم)، المجهول، الوسيط، الانعكاسيّ- متطابقةً من حيث الشّـكل. ولكـنّ التّمييز بينهـا ممكن، رغم ذلك، كمـا يُعرَض عرضا مجملا في الرّسم البيانيّ 11. 10 (حيث تشير علامة [D] إلى أنّ مشاركا بقيَ غير مخصّص).



الرّسم البيانيّ 11. 10

11. 3. 4 العمليّات المحوريّة

العمليّة المحوريّة عمليّة دنيا يكون فيها المشارك الوحيدُ محورا سلبيّا. ويمكن أن تكون العمليّة من هذا القبيل مندرجةً على أنّها نواة مفهوميّة مستقلّة لتفاعل ذي محدِث (مثل، [*He broke it* "هو كسره (شيء)"]) أو قائمةً برأسها على أنّها المعروض المركّبيّ الجُمَليّ ([*It broke* «(شيء) انكسر»]). فكما يكون التّفاعل المحدثيّ طرازا للمركّبات الجُمَليّة المتعدّية، تكون العمليّة المحوريّة طرازا للمركّبات الجُمَليّة اللاّزمة. ومن المركّبات الأخيرة، تكون أكثر النّماذج تمثيليّة للنّطاق السّلبيّ، المركّباتُ الجُمَليّة اللاّانقضائيّة الّتي يكون فيها الدّور الدّلاليّ للفاعل صفرا. فهذه المركّبات تدلّ على وضعيّات ثابتة يُظهِر فيها المنتقلُ خصيصة، أو يَحُلّ في موضع أو يكون موجودا هناك ببساطة.

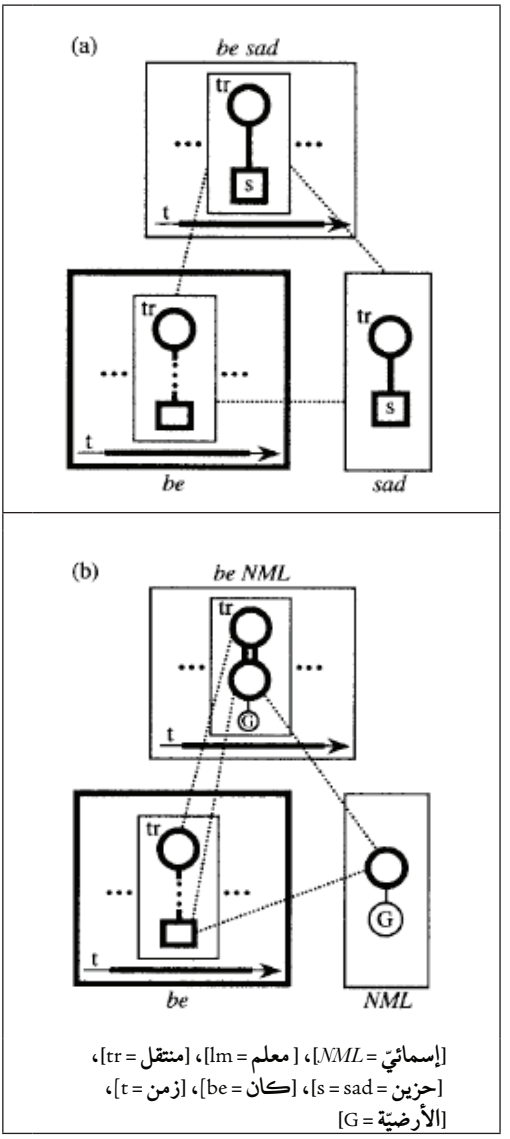
تمثّل العمليّة المحوريّة من هذا القبيل الطّرازَ بالنّسبة إلى نوع أساسيّ من المركّب الجُمَليّ في الإنجليزيّة. هذه المركّبات غير ذات فعل معجميّ. وعوضا عن ذلك، يوفّر الفعلُ الخطاطيّ [*be*] بالاشتراك مع متمّماته العمليّةَ

الّتي تدلّ عليها. ورغم أنّ المتمّم يكون في العادة صفة أو مركّبا حرفيّا، يمكن أن يمثّل أيّ مقولة تعرض علاقة لاعمليّاتيّة (§ 4. 3. 3). فالفعل الخطاطيّ [*be*] يشتقّ العمليّةَ المَركّبيّة الجُمَليّة المعروضة بأن يضفي على هذه العلاقة خصيصته العمليّاتيّة.

يعرض الرّسم البيانيّ 11. 11 (a) الكيفيّةَ الّتي يعمل بها ذلك بالنّسبة إلى صفة بسيطة. في أغلب الاستعمالات، يعرض [*be*] عمليّةً لاانقضائيّة خطاطيّة. فهو يدلّ، تبعا لذلك، على علاقة بسطى (الخانة الدّاخليّة) تُتَصوّر على أنّها ممتدّة خلال الزّمن دون أن تكون محدودة في جوهرها. تمثّل الخطّ الغليظ على امتداد سهم الزّمن المسحَ التّتابعيّ الّذي تتميّز به العمليّة مطلقا. ومن زاوية داخليّة في [*be*]، تكون العلاقة الّتي تستمرّ خلال الزّمن، خطاطيّة إلى أقصى حدّ. وتخصَّص تلك العلاقة بواسطة المتمِّم - هو في هذه الحالة، صفة [*sad* "حزين"]- الّذي يسند حالة شعوريّة (يشار إليها بحرف [s]) إلى منتقل الصّفة. تجري الصّفة [*sad*] متمّما لأنّها تبلور العلاقة الخطاطيّة الّتي يستحضرها [*be*]، والّتي تشتغل محدّدا للمعروض. وبذلك، يفرض الفعل [*be*] معروضه العمليّاتيّ على المضمون المخصوص الّذي توفّره الصّفة. فتكون العبارة المركّبة [*be sad*]، فعلا لا انقضائيّا مركّبا يمكن أن يجري رأسا للمركّب الجُمَليّ.

يمكن أن تكون الصّفة الّتي تظهر في هذا البناء، كذلك مصدرَ مفعوليّة سكونيّا، مثل [*broken* "مكسّر/مكسور"]. ولا تختلف مصادر المفعوليّة السّكونيّة عن الصّفات غير المشتقّة، إلاّ في أنّها تصف العلاقة المعروضة من حيث هي نتيجةٌ لعمليّةِ تَغيّرٍ في الحالة (الرّسم البيانيّ 4. 15). وتكون البنية شبيهة بذلك، بالتّحديد مع متمّم ظرفيّ من قبيل [*in the garage* "في المستودع"]، لأنّ الظّرفيّ يدلّ على علاقة بسطى أيضا. وتمثّل الأبنية الّتي تدمج [*be*] مع أنواع أخرى من المتمّمات، مظاهرَ توسيع منطلقُها هذا القالب الأساسيّ. يجري واحد منها مع الصّفات من قبيل [*noisy* "صاخب"]، و[*careful* "حذِر"]، و[*naughty* "شقيّ"]، و[*obnoxious* "بغيض"]، إلخ، حيث تُتصَوَّر الخصيصة المعنيّة خاضعةً للتّحكّم الإراديّ. فالعبارة المركّبة [*be noisy*]، مثلا، تنبني على أنّها دالّة على حدث ما يُتّبَع فيه السّلوك الّذي تتجلّى فيه تلك الصّفة. وإذا كان الحدوث المعروض محدودا، كانت العبارة انقضائيّة، فتأخذ لذلك شكل التّدريجيّ: [*They were being noisy*. "كانوا صاخبين"]. وينطبق التّوسيع نفسه على ما يعرَف تقليديّا بالمحمولات الجارية في حال الرّفع الّتي يكون فيها متمّم [*be*] إسمائيّا: [*He is being a jerk* "هو بصدد الكون سخيفا (هو يزداد سخفا)"]، [*Don't be a wimp* "لا تكن جبانا"]. ومن المسائل الأوّليّة، رغم ذلك، كيف

تنشـأ المحمولات الجارية في حال الرّفع. فالإسـمائيّ يعرض شـيئا. فكيف يمكنه، حينئذ، أن يبلور علاقة خطاطيّة تمتدّ خلال الزّمن بواسطة [*be*]؟



الرّسم البيانيّ 11. 11

نوعـان من المحمولات الجارية في حـال الرّفع، يجري الاعتراف بهما في العادة ويعتبران مختلفين إلى حدّ ما. فالنّوع الأوّل يشـير إلى التّطابق المرجعيّ

بيـن الفاعل والإسـمائيّ الـوارد خبـرا: [*Joyce is my cousin* "جويـس (هي) ابنة عمّـ(ـتـ)ـــي / خالـ(ـتـ)ـــي"]). ويحدّد النّوع الآخر الانتماء إلى مقولة: [*Joyce is an actress* "جويـس ممثّلـة"]. ولذينك النّوعين البديلين، في التّفسـير النّحـويّ العرفنيّ، معالجة موحّدة. فكلاهما معبِّر عن التّسـاوي- يعني أنّهما يخبـران بالتّطابق المرجعيّ. ويكمـن الفرق بينهما في المنزلـة الّتي تكون لمرجـع الإسـمائيّ الثّاني: من حيث كان دالّا على فـرد حقيقيّ أو على عيّنة افتراضيّة من النّوع المخصَّص. فمطابقة الفاعل بعيّنة افتراضيّة من نوع ما - عيّنة تُسـتدعَى لتوصيفه فقط - طريقةٌ من طرق الإشارة إلى انتمائه المقوليّ. وكما تفعل النّكرات في العادة (§ 9. 3. 4)، يسـتدعي الإسـمائيُّ الثّاني مرجعَه في شـكل وحدة افتراضيّة يُحتمَل أن تُجعَل واقعيّة في مستوى أعلى من التّنضيد أو لا يحتمَل ذلك. وأمّا بنية المحمول الوارد في حال الرّفع فتجعله واقعيّا بأن تسوِّيَه بمرجع الفاعل.

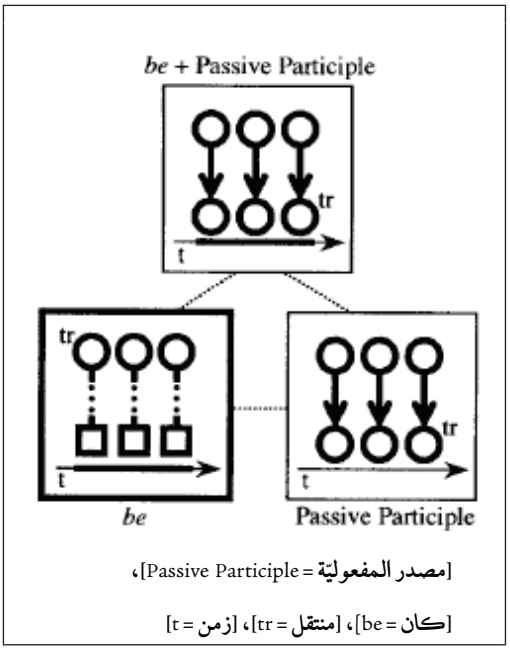
فكيـف تفعل ذلـك بالتّحديـد؟ على افتـراض أنّ للفعـل [*be*] المعنى الخطاطيَّ نفسَـه كما في سائر الاستعمالات، تكون البنية كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 11. 11 (*b*). تشـير [*be*] فقط إلى أنّ منتقلها ذو علاقة بوحدة ما، وتترك كلاًّ من طبيعـة تلك الوحدة والكيفيّةِ الّتي يحتمَل أن يترابطا بها، غير مخصّصتين. وتحـدّد بنية المحمول الجاري في حال الرّفع كلتيهما على أنّهما مظهران من المعنى البنائيّ. فالوحدة المربوطة مسـاوية لمعروض المتمّم الإسمائيّ. والعلاقة الّتي تحملها هي علاقة تطابق مرجعيّ (يشار إليها في الرّسم التّخطيطيّ باعتماد خطّ مزدوج يصل بينهما). ومن زاوية مفهوميّة، تكون هذه العلاقة علاقة دنيا، لا تسـتدعي بالأساس إلاّ المرجعين الإسمائيّين في ذاتهما؛ دون أن تتضمّن شـيئا إضافيّـا يوحي بتمايزهما، في التّصـوّر المركَّب الّذي يمتزجان فيه. وبذلك يكون من الأيقونيّ أن ينبثق التّطابق مظهرا من المعنى البنائيّ بدل أن يكون شيئا يجري ترميزه بطريقة مستقلّة.[39]

يجري في العادة التّمييز بين [*be*] رابطا وجوديّا (عنصر ربط) وفعلا مساعدا. يندرج في الاسـتعمال الرّابطـيّ لـ[*be*] الحالات الّتي كنّا قد ناقشـناها حيث يكون المتمّم صفة أو ظرفا أو محمولا جاريا في حال الرّفع. وتجري [*be*] فعلا مساعدا في أبنية المجهول وفي الأبنية التّدريجيّة. والأساس المزعوم في التّمييز بينهمـا يتمثّل في أنّ الرّابط الوجوديّ [*be*] يكون الفعل الوحيد في المركّب الجُمَليّ الّذي يشـتمل عليه فيكون بذلك رأسـا مركّبيّا جُمَليّا حقيقيّا، في

حين يكون الفعل المساعد [*be*] تابعا لفعل معجميّ يخدمه بحكم ذلك. لكنّ هذا التّحليل يخلط بين مفهومين مختلفين للرّأس المركّبيّ الجُمَليّ: الفعل المعجميّ والفعل المجذَّر. ففي جميع الأحوال، يمكن أن تشتغل [*be*] فعلا مجذَّرا يضفي الامتداد الزّمنيّ على متمّم لاعمليّاتيّ: [*She is* {*sad / in the garage / an actress / liked by everybody / working hard*}"هي (تكون) {حزينة/ في المستودع/ ممثّلة/ محبوبة من جميع النّاس/ تعمل بجدّ}"]. ومن الثّابت أنّ أبنية المجهول والتّدريجيّ من مصادر الفاعليّة والمفعوليّة قائمة على أساس الأفعال المعجميّة. ولكن في مستوى أعلى من التّنضيد حيث تتوالف [*be*] مع متمّمها، تتشابه جميع الأبنية إلى حدّ ما وتكون قابلة لتفسير موحّد.

يُشتقّ مصدر المفعوليّة من فعل متعدّ. ويختلف مصدر المفعوليّة عن الفعل دلاليّا، من زاويتين: برؤية التّفاعل المعروض رؤية كلّيّة بدلَ الرّؤية التّتابعيّة، وبإسناد منزلة المنتقل إلى المشارك الأوّل 'نزولا من الأعلى' (أي معلَم الفعل). فيكون المنتقل بناء على ذلك محورا، كما هو الأمر في أغلب البدائل لبنية [*be*]. ولكن بما أنّ المورد فعلٌ متعدّ، يمكن للمنتقل أن يقترن بأيّ دور محوريّ- لا بالدّور الصّفر فقط. يتمثّل اختلاف أكبر عن الطّراز، وهو ما يظهر في الرّسم البيانيّ 11. 12، في أنّ مصدر المفعوليّة يعرض علاقة مركّبة (في مقابل علاقة بسطى)، تتضمّن جميع الأحوال المكوّنيّة للعمليّة الّتي يعبّر عنها الفعل.[40] ووفقا لذلك، يمكن لبنية المجهول أن تكون لاانقضائيّة أو انقضائيّة (مثل [*He was liked by his dog* "(هو) كان يُحَبّ (/محبوبا) من قبل كلبه"] مقابل [*He was licked by his dog* "كان يُلعَق من قبل كلبه"]. فمصدر المفعوليّة يرث المظهرَ من الفعل، والبنيةُ ككلّ ترث المظهر من مصدر المفعوليّة. وبناء على ذلك تكون صيغة المجهول من [*be*]، محايدة باعتبار الانقضائيّة، بدل أن تكون انقضائيّة خصّيصا. يكون لذلك تبعات في ما يهمّ الكيفيّة الّتي يجري بها الدّمج بين [*be*] ومصدر المفعوليّة. وبما أنّ الأحوال المكوّنيّة يمكن أن تكون مختلفة، لا نستطيع أن نقول (كما يظهر في الرّسم البيانيّ 11. 11 (a))، إنّ جميع الأحوال المقترنة بـ[*be*]، تُسقَط على نفس العلاقة (البسطى) الّتي يعرضها متمِّمُها. وعوضا عن ذلك، تناسب كاملُ العلاقة المركّبة الّتي تعرضها [*be*]، (حالة بحالة)، العلاقةَ الّتي يعرضها مصدر المفعوليّة. ويندمج هذان لتكوين عمليّة من درجة عليا تُمسَح فيها العلاقة الّتي يعبّر عنها مصدر المفعوليّة مسحا تتابعيّا.

ويمثّل التّدريجيّ [*ing*– … *be* "كان... فعل مضارع"]، خروجا من نمط آخر عن الطّراز. تشتقّ لاحقة [*ing*–] من فعل انقضائيّ علاقةً لاعمليّاتيّة تمثّل قسما داخليّا من العمليّة المحدودة الأصليّة (مثل [*work* > *working* "عمَل > يعمَل»]. وبالإضافة إلى ذلك، تبني هذه العلاقةَ على أنّها شبيهة بالكتلة بحكم أنّ الأحوال المكوّنيّة فيها متماثلة فعلا. فيكون التّدريجيّ من [*be*] على هذا لانقضائيّا، ولكن بما أنّ العلاقة المتمِّمة تتضمّن سلسلة من الأحوال المكوّنيّة (وإن كانت متماثلة) يكون دمجها مع [*be*] شبيها بدمجها الّذي يجري في البناء للمجهول. والبنية هذه كذلك لاطرازيّة لأنّه ليس من المشروط أن يكون المنتقل محوريّا. ويحقّق الفاعل في بنية التّدريجيّ نفسَ الدّور الدّلاليّ الّذي يكون لمنتقل الفعل، مهما كان هذا الدّور (كأن يكون محدثا في حال [*be working* "كان يعمل"]، مثلا).



الرّسم البيانيّ 11. 12

ما كلّ مركّب جُمَليّ منته يملك عنصرا فعليّا يجعله عمليّاتيّا. فيمكن أن تنبثق العلاقة المعروضة في ذاتها أو ينبثق امتدادُها الزّمنيّ، بدلا من ذلك، مظهرا من مظاهر المعنى البنائيّ. ففي المحمولات الواردة في حال الرّفع، على سبيل المثال، لا تورَث علاقةُ التّطابق المرجعيّ المعروضة، خصّيصا،

مـن أيّ واحـدة من البنيتيـن المكوّنيّتين (الرّسـم البيانـيّ 11. 11 (b)). لنَعُد إلـى المركّبات الجُمَليّة الوصفيّـة في اللّغة اللّويزينيّة، لنبيّـن انبثاق الامتداد الزّمنيّ. يكفي لوصف وضعيّة راهنة أن نستعمل اسـما مع صفة، دون فعل: [*'awaal 'oyokval* "الكلـب هـادئ"]. ومن جهة أخرى، للتّعبيـر عن الوضعيّات غيـر الحاضرة، يحتوي المركّب الجُمَليّ على الفعل [*miyx* "كان"] جنبا إلى جنب مع تصريـف الزّمان المناسـب:[*'awaal 'oyokval miy-quṣ* "الكلب كان هادئـا"]، [*'awaal 'oyokval miyx-maan* "الكلب سـيكون هادئـا"]. يمكننا أن نفترض افتراضا معقـولا أنّ [*miyx*] يمطّ العلاقة الوصفيّة خلال الزّمن، وفق ما يقتضيـه رأس المركّـب الجُمَليّ. إذن، ما هو مصدر هـذه الدّلالة الزّمنيّة في الحاضر، حيث يغيب الفعل [*miyx*]؟

هذا السّؤال شبيه بالسّؤال المتعلّق بالكيفيّة الّتي يمكن بها لاسم من قبيل [*'awaal* "كلب"] أن يجري إسـمائيّا مجذَّرا تامّا (§ 9. 3. 4). ويتمثّل الجواب، مرّة أخرى، في أنّ الوحدات التّواضعيّة في لغة من اللّغات لا تحتوي على طرق فـي بناء العبارات فقط، بل تحتوي كذلك على طـرق في انطباق العبارات على الخطاب الجاري. فالتّفاعل بين المتكلّم والسّامع وإدراكهما للوضعيّة الماثلـة علـى الرّكح، جزء من المعنى في كلّ عبارة (الرّسـم البيانيّ 9. 2). يوجّـه المتخاطبـون، في كلّ لحظة فـي دفق الخطـاب، انتباههم إلى عنصر مخصوص ماثل على الرّكح - هو البؤرة في إطار الخطاب الجاري. ويكون العنصر المبأَّر في كلّ مركّب جُمَليّ منته، العمليّةَ المعروضةَ في المركّب الجُمَلـيّ. يحدّد إنتـاج المركّب الجُمَليّ المدّة الزّمنيّـة لإطار الخطاب الّتي تمثّل بالنّسـبة إلى مركّب جُمَليّ ما المقطـعَ الزّمنيّ الّذي يجري فيه إدراكُ العمليّة المعروضة ومسحها مسحا تتابعيّا.

تتوفّـر هذه المفاهيم في الوحدات التّواضعيّـة الّتي تُخصِّص الكيفيّة الّتي بها تنطبـق العبارات على الخطاب الجاري. ومنها واحدة تمكّن بنية من قبيل [*'awaal 'oyokval* "الكلـب هـادئ"]، من أن تُدرَك على أنّهـا مركّب جُمَليّ وأن تُسـتعمَل لوصف وضعيّة ثابتة تسـتمرّ خلال زمن التّكلّم. ووفق ذلك، يطابق المقطع الزّمنيّ الّذي يكون موضوعَ العناية (أي المدى الزّمنيّ المباشر للعبارة)، المدّةَ الزّمنيّة الّتي يسـتغرقها إطار الخطاب الجاري. وبالمثل، تطابق العلاقةُ الوصفيّةُ العنصرَ المبأَّر في ذلك المقطع الزّمنيّ. وبذلك يعطي حدثُ القـول في ذاته العلاقـةَ المعروضة، رغم عدم كونهـا عمليّاتيّة في صميمها،

امتـدادا زمنيّـا، مثلما تفعـل [*miyx*] بالضّبط للوضعيّات غيـر الحاضرة. فتنبثق بذلك عمليّةٌ في مسـتوى التّصوّر المركّب الّذي يحصل بجعل العلاقة الّتي ترمّز ترميزا ظاهرا منشـدّة إلـى التّفاعل بين المتكلّم والسّـامع. وإذ مثّل هذا التّفاعل الأرضيّةَ، كانت العمليّةُ مجذَّرة وكان المركّب الجُمَليّ منتهيا.

11. 4 الأفعال المركّبة

يُعـرّف الفعل، فـي النّحو العرفنيّ، بكونه عبارة تعـرض عمليّة. وفي هذا التّعريف الواسـع - الواسـع بما يكفي ليسـتوعب حتّى المركّبات الجُمَليّة المنتهية- تكون أغلب الأفعال مركّبة من ناحية رمزيّة. وحتّى تلك العناصر الّتـي تعتبَر أفعالا في الدّرس التّقليـديّ، مركّبة في العادة. فإذا كان العنصر أحاديّ الصّرفم [*break* "كسـر"] فعـلا، كان العنصـر ذو الصّرافم المتعدّدة [*defunctionalize* "سـلب الوظيفة/ عطّل"] فعلا كذلـك، بله أن نذكر الفعل المركّبيّ [*break up* "هشّـم/ انقطع"]، وكذلك الأشكال المصرَّفة من قبيل [*broke* "كسَـر (ماض)"]، و[*broke up* "هشّم / انقطع (ماض)"]، و[*defunctionalizes* "يسـلب الوظيفـة/ يعطّل (مفرد غائـب)"]. وإذ صنِّفت هذه أفعـالا، يبدو من الاعتباطـيّ أن تقصَـى أبنيـة عمليّاتيّة أكثر تبلـورا مثل [*is breaking* "يكسِـر (تدريجـيّ)"]، [*broke it up* "كـفَّ (شـخصان) عن الخصـام"]، [*may have been defunctionalized* "يُحتمَـل أن تكون قد عُطِّلت"]. فلـمَ وجب في هذه الحال أن تُقصى [*Floyd broke the glass* "فلويد كسر الكأس"]؟

تخدم الأبنية العمليّاتيّة في كلّ مستوى من مستويات التّنضيد - الّتي تمتدّ من الأفعال المعجميّة إلى المركّبات الجُمَليّة المنتهية التّامّة- غايةً مشـتركة تتمثّل في تمكيننا من الكلام عن الأحداث والوضعيّات. وحتّى إذا ما حاولنا التّمييـز بين بنية الفعل وبنيـة المركّب الجُمَليّ، نجد أنّهما مترابطان ترابطا لا فـكاك فيه بينهمـا. هب أنّنا نُعرِّف "الفعل" في مركّـب جُمَليّ ما (لمجرّد النّقـاش ليس غير) بكونه كلمة مفردة تخصِّص العمليّةَ المجذَّرة وتعرضها؛ وبذلك يكون [*broke* "كسَـر"] الفعلَ في [*Floyd broke the glass* "فلويد كسـر الـكأس"]. فالأفعـال، معرّفةً بهذه الطّريقة، تختلـف اختلافا هائلا من حيث تعقّدها، ومن حيث أنواع العناصر الّتي تشتمل عليها كذلك.[41] فبنية الفعل الدّاخليّة مسـؤولة إلى حدّ كبير عن الانتظـام النّحويّ في المركّب الجُمَليّ ككلّ. فهـو لا يحـدّد الكيفيّـة الّتي تنبني بهـا الوضعيّة فقـط، بل يحدّد كذلك ما يتبقّى من العناصر ليكون التّعبير عنه بوسائل أخرى.

ما هو القدر الّذي يساهم به الفعل في بناء المركّب الجُمَليّ؟ فهو، في الحدّ الأدنى، يخصِّص نوع العمليّة ويفرِض تصفيفا مخصوصا للمنتقل والمعلم. فعلى هذا، يتكوّن الفعل من جذعٍ غير مصرّف فقط (مثل [*break* "كسر"] أو [*defunctionalize* "سلب الوظيفة/ عطّل"])، وجميع ما عدا ذلك يحمِله ما ليس بفعل من العناصر الّتي تتوالف مع الفعل توالفا إعرابيّا. ولكن بما أنّ الفعل في ذاته ينجز القسم الأكبر من العمل، لا يبقى إلاّ شيء قليل يستوجبُ العمل في المستويات العليا من التّنضيد النّحويّ. فإذا ما اشتمل الفعل في ذاته على اسم يحدّد معلمَه، على سبيل المثال، انتفت الحاجة إلى إسمائيّ منفصل يكون مفعولا (به). رأينا هذا في (46): في حين يأخذ الفعل [*kʷaa* "أكل"] في النّاوتليّة مفعولا به، يكون الفعل [*naka–kʷaa* "أكل-لحم"] لازما.

يمكن لمجموعة كبيرة متنوّعة من المفاهيم أن تشفَّر في صيغة الفعل. وعلى رأسها المفاهيمُ ذات التّعلّق الشّديد بالفعل مثل الزّمن، والوجهة، والمظهر؛ والّتي لا يوسَم منها في الإنجليزيّة على صيغة الفعل إلاّ الأوّل.[42] ومن المتواتر كذلك تواترا كبيرا، المؤشِّرات الصّرفيّة الدّالّة على تصفيف المنتقل والمعلم (§ 11. 3): البناء للمجهول، ضديد المجهول، المبهم، الوسيط، الانعكاس، المُطبّقيّ، إلخ. ففي حين تتعلّق هذه الأبنية باختيار المشاركين البؤريّين، تُعين علاماتُ وسم أخرى على تحديدهم من خلال تحديد الشّخص والعدد، خاصّة. ولعلاماتُ التّخصيص هذه درجات مختلفة من الاستقلال الصّرفيّ، تتراوح من حالات ينعدم فيها مطلقا (مثل [*am*] مقابل [*are*] مقابل [*is*] في الإنجليزيّة) إلى حالات مثل عبارة [*ni–k–neki* "أنا-هو (شيء)-أريد"] النّاوتليّة، الّتي تكون فيها قابلة للتّقطيع الواضح ويمكن أن تحلّل على أنّها ضمائر شخص. وبالإضافة إلى ذلك، لا يُستبعَد أن تشتمل الأفعال على عناصر يمكن اعتبارها ظروفا. نأخذ مثالا وحيدا من لغة الكورا (وهي لغة أوتو-أزتيكيّة جارية في المكسيك) حيث تكون للأفعال سوابق تخصّص المسلك، أو الموضع، أو "التّشكّل" الّذي يكون للعمليّة الّتي يعبّر عنها الفعل (لانقاكر 1990: الفصل 2). فعند الإحالة على شمعة، على سبيل المثال، تدلّ [*u–ká–taa–sin* (من داخل- نزولا- احترق استمراريّ)]، على أنّ عمليّة الاحتراق تستمرّ في الاتّجاه النّازل في موضع داخليّ. ويكون الفعل كذلك بتواتر موطنا لعلامات وسم تتّصل بالعلاقات النّحويّة القائمة في مستوى أعلى. فيمكن أن تسم لاحقة فعليّة ما

مركّبا جُمَليّا بكونه تابعا، مثلا، أو تدلّ على أنّ لمركّبين جُمَليّين اثنين منتقلا واحدا أو منتقلَين مختلفين.

وعلى هذا، يمكن في بعض اللّغات، لمركّب جُمَليّ ذي درجة ما من التّركّب أن يتكوّن من كلمة وحيدة ليس غير. وفي لغات أكثر بكثير من ذلك، يشفّر فعل وحيد ما تعبّر عنه الإنجليزيّة بطريقة إطنابيّة بواسطة فعل "رئيسيّ" (V) و"فعل مساعد" واحد أو أكثر: [*may V* "يمكن أن يفعل"]، [*has Ved* "كان فعل"]، [*is Ving* "يفعل (استمراريّ")]، [*will be Ved* "سوف يكون فُعِل"]، [*had been Ving* "قد كان يفعل"]، إلخ. تنتمي هذه العبارات رغم تركّبها إلى مركّب جُمَليّ منته وحيد، يخصّص فيه الفعل (V) العمليّةَ الأساسيّة وسائر العناصر تجذّرها أو تفرض عليها منظورا مخصوصا. ومن الشّائع كذلك، أن يشتمل الفعل على مفاهيم عمليّاتيّة كثيرة قد يتطلّب التّعبير عنها في الإنجليزيّة جملةً تتضمّن مركّبات جُمَليّة عديدة، لكلّ واحد منها رأسه المعجميّ الخاصّ به.

لنقارن، مثلا، الجملة (47) من اللّويزينيّة بترجمتها الإنجليزيّة. فبالإضافة إلى العنصر الجهيّ [*will*]، يكون للجملة الإنجليزيّة ثلاثة أفعال معجميّة - [*make* "جعل"]، و[*want* "أراد"]، و[*leave* "انصرف، ترك"]- ويرد كلّ واحد منها كلمةً مستقلّة. والفعل المجذَّر هو [*make*]. وله ثلاثة متمّمات: الفاعل [*I*]، والمفعول [*him*]، والمتمّم العلائقيّ [*want to leave*]. يتكوّن هذا الأخير بدوره من فعلٍ، هو [*want*] بما له من متمّم علائقيّ خاصّ به، هو [*to leave*]. يوصف المتمّمان العلائقيّان، تقليديّا، بكونهما مركّبين جُمَليّين تابعين. لكنّهما ليسا مركّبين جُمَليّين تامّين أو منتهيين لأنّهما يفتقران إلى تجذير مستقلّ وإلى إسمائيّ فاعل ظاهر، كذلك. ولئن كان التّشابه قائما بين الجملة اللّويزينيّة والجملة الإنجليزيّة، فإنّ الجملة اللّويزينيّة تتكوّن بوضوح من مركّب جُمَليّ وحيد ليس غير. ويتمثّل الفرق الرّئيسيّ في أنّ المفاهيم العمليّاتيّة "انصرف"، و"أراد"، و"جعل"، تُشفَّر جميعا في جذع فعليّ وحيد، هو [*ngeevichuni* "جعل يريد (أن) ينصرف"]. ومن زاوية إعرابيّة، تكون (47) (أ) مشابهة تماما للجملة (47) (ب)، مع جذع الفعل البسيط [*ari*ʿ "ركل"]. يجذَّر الجذعان البسيط والمركّب بالتّوازي بواسطة اللاّحقة [*-n*] الدّالة على الاستقبال. وزيادة على ذلك، يبلور الضّميران [*noo* "أنا"] و[*poy* "ـه"]، في كلّ حالة، منتقلَ الجذع ومعلمَه، منتجَين بذلك مركّبا جُمَليّا ذا تجذير

أمضى بواسطة الوُصْلة [=*nupo*]. فمقارنة بالعبارة الإنجليزيّة، تعوّل العبارة اللّويزينيّة في تحقيق المعاني تعويلا أكبر على الوسائل الصّرفيّة وتعويلا أقلّ على الوسائل الإعرابيّة. فبتعبئة قدر من المعلومات في الفعل أكبرَ ممّا تفعله الإنجليزيّة، تكون اللّويوزينيّة أبسطَ من حيث الانتظام المركّبيّ الجُمَليّ.

(47) (أ) *ngee–vichu–ni–n.* *poy* *Noo=nupo*

leave–want–make–FUT him I=1s:FUT

مستقبل-جعل-أراد-انصرف هو **مستقبل**-متكلّم=أنا

‹سوف أجعله يريد أن ينصرف.›

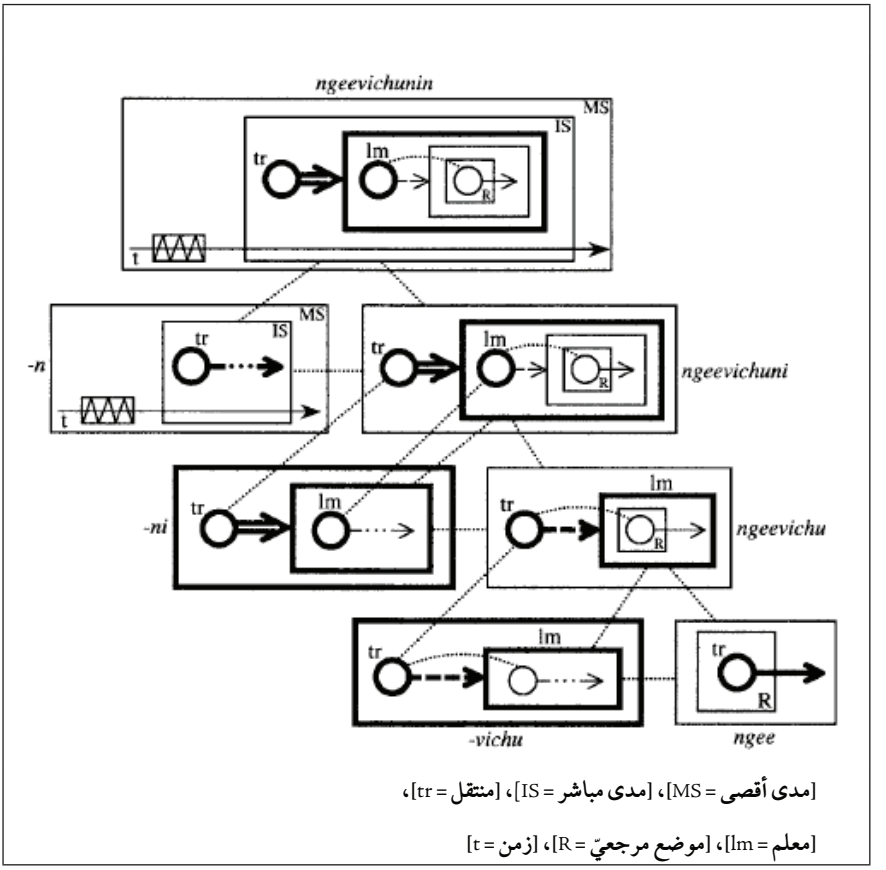
(ب) *'ari–n.* *poy* *Noo=nupo*

kick–FUT him I=1s:FUT

مستقبل-ركل هو **مستقبل** متكلّم=أنا

‹أنا سوف أركله.›

يعرض الرّسم البيانيّ 11. 13 البنية الدّاخليّة لهذا الفعل المركّب. فالجذر المعجميّ هو [*ngee* «انصرف»] الّذي يعرِض تنقّل المنتقل من موضع مرجعيّ (R). وتدلّ اللاّحقة [*-vichu* "أراد"] على علاقة يعيش تجربتَها المنتقلُ إزاء حدث يشتغل معلما لها (هي ما يشار إليه بالسّهم المتقّطع)؛ ويتمثّل مظهر كامن في معناه، يشار إليه بخطّ تَناسُب، في أنّ الحدث الّذي يريده المنتقل هو حدث ينجزه المنتقل بنفسه. هذا الحدث الخطاطيّ، يخصّصه الفعلُ [*ngee* «انصرف»] عند المستوى الأوّل من التّنضيد النّحويّ، وإذ كانت [*-vichu* "أراد"] محدّدا للمعروض، دلّت [*ngeevichu* "أراد أن ينصرف"] على عمليّة الإرادة. وعند المستوى الموالي، تتوالف [*ngeevichu*] مع [*-ni* "جعل"] لتستوي نوعا شائعا من العناصر يسمَّى الجعليّة. والعلاقة الّتي تعرضها تتمثّل في أنّ المنتقل يسلّط قوّة على المعلَم لكي يبدأ عمليّة يؤدّيها هو. تُخصَّص هنا تلك العمليّة بكونها إرادة الانصراف. وإذ كان الرّأس في هذا المستوى هو [*-ni* "جعل"]، كانت العبارة المركّبة [*ngeevichuni* "جعل-أراد- انصرف"] تعرض عملَ تسبيب تلك الرّغبة. وفي النّهاية، تُجذَّر هذه العلاقة المسبّبيّة بواسطة لاحقة الاستقبال [*-ni*] عند المستوى الأعلى من التّنضيد. ومن حيث كانت [*-n*] عنصرَ تجذير، فإنّها تعرض العمليّةَ الخطاطيّة المجذَّرة على أنّها تالية لزمن التّكلّم (هو ما يشار إليه بالخانة ذات الخطوط المتعرّجة).



الرّسم البيانيّ 11. 13

وجريا على العادة الشّائعة، ما فتئنا نحيل بتساهل في العبارة على «الفعل» في مركّب جُمَليّ بكونه كلمة تخصِّص العمليّة المجذَّرة وتعرضها. ورغم ذلك، تُؤدَّى هذه المهمّة، في الغالب، تأدية جماعيّة بعناصر لا تكوِّن كلمة وحيدة مفردة. فممّا يغلب في لغات كثيرة، أبنية الفعل المتسلسل حيث تُرصَف معا كلمات متعدّدة تكون كلّ واحدة منها عمليّاتيّة، لوصف العمليّة الّتي يعرضها مركّب جُمَليّ ما. وتنبني في العادة العمليّات المكوّنيّة على أنّها أطوارَ لحدث مفرد يمثّل سيناريو مألوفا. وفي الإنجليزيّة، تكون الأفعال المتسلسلة محدودة في الغالب بتتابع كلمتين تقومان على أساس [*go* "ذهب"]، و[*come* "جاء"]، من قبيل [*Let's go eat* "لنذهب نأكل"]، و[*Come see this* "تعالَ انظُر إلى هذا"]. وفي لغات أخرى، يمكن أن تكون السّلاسل

أطول وهي متنوّعة أكثر بكثير. وفي ما يلي مثال من التّايلانديّة (مذكور في طاكاهاشي 2000):

(48)

Tua	*tìk*	*hăn*	*nâa*	*khâw*	*hăa*	*thalee*
body	building	turn	face	enter	seek	sea
جسم	بناية	دار	وجه	دخل	يطلب	بحر

«البناية موجّهة إلى البحر.»

يصعب أحيانا تمييزُ أبنية الأفعال المتسلسلة من أبنية الأفعال المركّبيّة، ذلك أنّ الفرق يكمن في أنّ عنصرا مكوّنيّا وحيدا فقط يكون عمليّاتيّا في الأفعال المركّبيّة. واللّغة الإنجليزيّة معروفة باستعمالها الكبير للأفعال المركّبيّة الّتي تكون على أنواع كثيرة فيها. وسنقصر انتباهنا على قالبين أساسيّين يكون في الواحد منهما المركّب الجُمَليّ متعدّيا وتكون في الآخر العمليّة المعروضة مخصّصة بتوليفة من فعل وحرف.[43] فتكون بذلك عبارة [فعل+ حرف] المركّبةُ فعلا مركّبا يرد معلمُه مفعولا للمركّب الجُمَليّ.

يمكن أن تمثّل السّلسلة [V + P + NML] (فعل + حرف + إسمائيّ) أبنيةً كثيرة مختلفة، لكلّ منها تنضيدها الدّلاليّ وسلوكها النّحويّ الخاصّ بها. تأمّل المقارنات الواردة في (49). في الجملة (أ)؛ تتكوّن السّلسلة من فعل لازم متبوع بمركّب حرفيّ: [$_{PP}$ [P NML] V] ([فعل [حرف إسمائيّ]$_{\text{مركّب حرفيّ}}$]. ومن جهة أخرى، تتكوّن الجملة (أ') من فعل متعدّ مركّب متبوع بمفعوله: [NML $_{V}$ [V P]] ([[مركّب فعليّ]$_{\text{فعل}}$ إسمائيّ]). يوفّر المثالان (ب) و(ب') حجّة تدعم المكوّنيّة في [*through the mall* "عبر المركّب التّجاريّ"]، وانعدام المكوّنيّة في [*through the call* "عبر المكالمة"]، بما أنّ الأولى فقط ترد وحدةً متكاملة في الموضع القبليّ. وبالمثل، تعطي بنيتا المجهول في (ج) و(ج') حجّة تدعَم إسناد منزلة الفعل إلى عبارة [*put through* "وضع عبر/ مرّر"]، مقابل [*run through* "جرى عبْرَ"]. فلا يكون الإسمائيّ اللاّحقُ مفعولا لمتعدّ إلاّ عندما يكوِّن الفعل والحرف فعلا مركّبا، وفق ما يتطلّبه البناء للمجهول. ويظهر فارق آخر في (د) و(د'): في مركّب حرفيّ، يجب على الحرف أن يسبق مفعوله، ولكن مع فعل مركّب، يمكن للحرف أن يسبق الإسمائيَّ المفعولَ به أو يلحق عليه.[44]

(49)

(أ) *He ran through the mall.*	(أ') *He put through the call.*
هو جرى عبر المركّب التّجاريّ	هو وضع المكالمة عبر مكالمات أخرى (هو مرّر مكالمة هاتفيّة).
(ب) *Through the mall he ran.*	(ب') ❋*Through the call he put.*
عبر المركّب التّجاريّ، جرى (هو)	*عبر المكالمة، وضع (هو).
(ج) ❋*The mall was run through.*	(ج') *The call was put through.*
*كان المركّب التّجاريّ قد جريَ عبره.	كانت المكالمة قد مرِّرت عبر المكالمات.
(د) ❋*He ran the mall through.*	(د') *He put the call through.*
*هو جرى المركّب التّجاريّ عبره.	هو مرّر المكالمة عبر المكالمات.

وجب أن يُميَّز انتظام المنتقل والمعلم في الفعل المركّب، من انتظامهما في الفعل أو الحرف بصفة فرديّة. ولئن كان منتقل الفعل المركّب هو نفسه باستمرار منتقلُ الفعل، فإنّ معلَمَه يُظهر تنوّعا أكبر. ففي حالة [*put through* "مرّرَ (المكالمة)"]، يناسب المنتقلُ معلَمَ الفعل (المكالمة هي ما "يضع"ـه هو) ومنتقلَ الحرف (المكالمة تمرّ). ونجد توليفات أخرى في مركّبات من قبيل [*wipe your shoes off* "امسح عن حذائك"]، و[*wipe the mud off* "امسح الطّين عن حذائك"]. فلا يناسب معلمُ الفعل المركّبيّ معلَمَ الفعل إلاّ في المركّب الأوّل منهما (ولذلك نقول [!*Wipe your shoes* "امسح حذاءك"] ولا نقول [❋*Wipe the mud*! "*لمِّع الطّين!"]. وأمّا الحرف، فيناسب معلمُ الفعل المركّبيِّ منتقلَه أو معلمَه (فالطين ينزَع عن الحذاء). ورغم هذه الفروق، تتشابه هذه الأفعال المركّبة من حيث علاقاتها النّحويّة القائمة في المستوى الأعلى. فالفعل المركّب ككلّ، هو ما يحدّد معروضَ المركّب الجُمَليّ، كما يحدّد المنتقلَ والمعلَم اللذّين يخصّصهما الإسمائيّ الفاعل والإسمائيّ المفعول.

يختلف البناء الّذي كنّا بصدده عن بناء آخر يمكن توصيفه توصيفا تجريديّا بالمعادلة التّالية: [[[VP] $_{V}$ NML] ([[مركّب فعلي]$_{\text{فعل}}$ إسمائيّ]). يظهر في هذا البناء الأخير عدد كبير من المتلازمات اللّفظيّة المألوفة: [*look at* "نظر إلى"]، [*stare at* "حدّق إلى"]، [*talk to* "تكلّم مع"]، [*quarrel with* "تخاصم/ تشاجر مع"]، [*search for* "بحث عن"]، [*talk about* "تكلّم عن"]، [*shoot at* "سدّد إلى"]، [*deal with* "تعامل مع"]، [*look for* "فتّش عن"]، [*yell at* "صاح بـ"]، [*grapple with* "تعامل مع"]، [*motion to* "أشار إلى"]، [*ask for* "طلب"]، [*argue about* "جادل في"]،

[*mess with* "أفسد"]، [*wave at* "لوّح (بيده) نحو"]، [*fight over* "تصارع على"]، إلخ. تظهر سمة التّعدية في هذه الأفعال من خلال قابليّتها لبناء المجهول منها: [*That will be looked at* "سوف ينظَر إلى هذا"]، [*I was being stared at* "كان يُحدَّق إليّ"]، [*She should be talked to* "يَجب أن يُتكلَّم معها"]. ويتمثّل الفرق الواضح بين هذا البناء والبناء السّابق في أنّ الحرف لا يمكن أن يأتي بعد الإسمائيّ المفعول. ولئن أمكن التّناوب في الاستعمال بين [*put through the call*] و[*put the call through*]، فإنّنا نستطيع أن نقول [*look at the wall* "نظر إلى الجدار"]، لا [*look the wall at* "*نظر الجدارَ إلى"]. ويتمثّل فارق ألطف في أنّ هذا البناء الأخير منسجم من حيث تصفيف المنتقل/ المعلم. فكما كان الأمر في ما سبق، يكون منتقل الفعل المركّب دائما نفس المنتقل الّذي يكون للفعل. ولكنّ معلم الفعل المركّب، في هذه الحالة، يناسب معلمَ الحرف مناسبة تامّة.

سواء كانت السّلسلة [V + P + NML] قابلة إلى أن تحلّل إلى واحد من الشّكلين: [[[VP]$_V$ NML]] ([مركّب فعلي]$_{\text{فعل}}$ إسمائيّ])، أو [V [P NML]$_{PP}$] ([فعل [حرف إسمائيّ]$_{\text{مركّب حرفيّ}}$]، تظلّ المسألة غير محسومة. فبعض السّلاسل تبدو فعلا مزدوجة، إذ يتجلّى كلّ واحد من التّحليلين في سياقات بنيويّة معيّنة. ولئن كانت جميع العبارات المذكورة قبيل هذا، جارية في البناء للمجهول موحية بكون الفعل فيها مركّبا بدرجات متنوّعة، يمكن أن تجري رغم ذلك في أبنية تشتمل على مركّب حرفيّ: [*the wall at which he was staring* "الجدار الّذي كان إليه (هو) يحدّق"]؛ [*To whom were you talking?* "مع من كنت تتكلّم؟"]؛ [*With his wife he never quarrels* "مع زوجته (هو) لا يتخاصم أبدا"]. ولكنّ هذه الاستعمالات الأخيرة تبدو عرجاء ولعلّها بقايا من استعمال قديم. فنحن نميل في الكلام العاديّ إلى استعمال بدائل منها تحتمل التّحليل إلى فعل مركّب: [*the wall he was staring at* "الجدار الّذي كان (هو) يحدّق إليه"]؛ [*Who were you talking to?* "من كنت تتكلّم معه؟"]؛ [*His wife he never quarrels with* "زوجته (هو) لا يتخاصم أبدا معها"]. هذه المتلازمات المألوفة القائمة على [V + P] (فعل+ حرف)، في طريقها إلى أن تحلّل فقط إلى أفعال مركّبة، تحليلا يفقد فيه [P] قدرته على أن يشتغل نحويّا حرفا مستقلاّ.

فماذا عن تطوّرها الدّلاليّ؟ كما يمكن أن يتوقّع المرء، يسير التّطوّر النّحويّ للمتلازمات القائمة على [V + P "فعل + حرف"] إلى أفعال مركّبة، جنبا إلى جنب مع انبثاق معان شبيهة بالفعل. فتكون الأحداث الّتي تصفها

طيّعة للانبناء على صورة تفاعلات ذات مشـاركين اثنين شـبيهة بالتّفاعلات الّتـي تعبّر عنها الأفعـال المتعدّية في العادة.[45] فعلى سـبيل المثال، لا يتمثّل التّحديق إلى شـخص فـي مجرّد تركيـز للانتباه على ذلك الشّـخص - إذ يمكن بكلّ تأكيد أن يمثّل ذلك تفاعلا اجتماعيّا (انظر [*ogle* "النّظر بشهوة جنسـيّة أو غيرهـا"]). ومن ناحية أخرى، يكون التّحديـق إلى جدار ذا درجة مـن التّفاعل أقـلّ، بمعنى أنّ الجدار لا يحتمل أن يتأثّـر بذلك. فيكون بناء المجهول، الّذي يفرِض أن تُـؤوّل العبارة بكونها فعلا مركّبا، طبيعيّا أكثر بقليـل عندما يكـون الهدف كائنا بشـريّا: [*I was being stared at* "كانَ يحدَّق إلـيّ"] مقابـل [*??The wall was being stared at* "؟؟ كان يُحـدَّق إلـى الجـدار"]. فالمتوقَّـع أن لا ينبثـق الفعل المركّبيّ إلاّ إذا ما كان الإسـمائيّ الّذي يأتي بعده دالاّ على مشارك، مقابل إطار أو موضع. ولهذا السّبب لا ينبني من عبارة [*She was walking in the woods* "كانـت تتجـوّل في الغابة"] المجهول [**The woods were being walked in* "*كانت الغابة يُتَجوّل فيها"].

ومع ذلـك، تكون العوامل المسـاهمة في ذلك مسـألةَ درجات وخاضعةً للانبناء. ففي الملابسات المناسبة، يمكن أن يُرَى الموضعُ العاديّ على أنّه يشارك في تفاعل ما، فينتج عن ذلك فعل مركّب متعدّ (رايس 1987b، 1987a). فمثلا، يكـون لعبـارة [*play in the sandbox* "لعب في صندوق الرّمل"]، في العادة، البنيةُ [$_{VP}$[V NML P]]، كما يرد في (50) (أ)؛ حيث يكون صندوق الرّمل ببسـاطة الموضع الّذي يلعب فيه الأطفـال. ولذلك يكون بناء المجهول في الجملة (ب) غريبا. غير أنّ بناء المجهول في (ج) مقبول إلى حدّ ما، إذ يستحضر المقامَ الّذي تناقَش فيه مسـألة متعلّقة بحالة صنـدوق الرّمل. فهي تؤخذ دالّة على أنّ اللّعـب فـي صندوق الرّمل قد ألحق بـه الضّرر (مثلا، بخلط الرّمل المسـوّى المغربل). فبانبناء صندوق الرّمل مشـاركا، تحلّـل عبارة [*play in* "لعب في"] على أنّها فعل متعدّ، فيمكن له أن يجري بذلك في بناء المجهول:

(50) (أ) *The children are playing in the sandbox.*
الأطفال يلعبون في صندوق الرّمل.
(ب) *??The sandbox is being played in.*
؟؟ صندوق الرّمل يلعبُ فيه (الآن).
(ج) *The sandbox has definitely been played in.*
«صندوق الرّمل كان قد لُعِب فيه بكلّ تأكيد.»

يدلّ هذا، مرّة أخرى، على مفهوم أساسيّ في النّحو العرفنيّ: أعني أنّ البنية النّحويّة لا يمكن أن تفهَم إلاّ في علاقة بالتّنضيد المفهوميّ الّذي تجسّده وتعبّر عنه. فلا يمكن للمرء أن يفكّر في كتابة قاموس يتضمّن مجرّد قائمة في الأشكال المعجميّة، دون إشارة إلى معانيها. وكذا البحث في النّحو مفصولا عن المعنى، أمر خاطئ غير ذي فائدة.

هوامش الفصل

[1]- من أمثلة هذا الأخير قائمة الأسماء الّتي تُتلى أثناء حفل التّخرّج (في الجامعات الأمريكيّة).

[2]- عندما أجول في غرفة متفاعلا مع الأشياء هناك، لا تفعل الغرفة شيئا ما عدا أنّها تحضن تلك المجريات. أتفاعل مع الغرفة (التي تكون في هذه الحال مشاركا) عندما أقيس أبعادها، أو أبحث في أركانها، أو أطلي جدرانها.

[3]- رغم أنّ الأهميّة الّتي تكون لأدوار المشاركين معترف بها في العموم، قلّما يكون الاتّفاق (يا للمفاجأة!) في قائمتها وحتّى في طبيعتها الأساسيّة (مفهوميّة هي أو لغويّة خصّيصا). وتمثّل الأدوارُ المذكورة النّماذجَ البدئيّة المفهوميّة البارزة الّتي تُستغلّ استغلالا لغويّا بوجه شائع، ولكنّ القائمة ليست مستقصية لها جميعا، ولا أسماءها متّفق عليها اتّفاقا تامّا.

[5]- في الأعوام الأخيرة، جرى تعويض [*John hit Mary* "ضرب جون ماري"] بعبارة ذات استقامة سياسيّة أكبر وإن كانت دون الأولى مرتبة من حيث النّمذجة البدئيّة، هي [*John kissed Mary* "قبّل جون ماري"]. ولئن كانت ماري في العبارة الأولى متحمّلا بصفة جزئيّة فقط (بحكم أن امتصاص الطّاقة لا يقود بالضّرورة إلى تغيّر في الحال)، فهي لا تعدو أن تكون إلاّ عائش التّجربة في العبارة الأخيرة.

[6]- لا يعني ذلك نفيَ التّواتر في الإحالة بواسطة ضمائر المتكلّم والمخاطب - فالنّاس يحبّون بالفعل الحديث عن أنفسهم وعن الآخرين.

[7]- يمكِن لكلّ واحد منها أن يصنَّف ويُحصى وفق معايير متنوّعة. وقد اختيرت الحالات المذكورة لغاية التّمثيل ليس غير.

[8]- يوفّر التّنقّل الفضائيّ أساسا استعاريّا لفهم الخطاطتين الأخريين. فيمكننا الحديث عن "مسلك إدراكيّ" أو عن "دفق الطّاقة" على امتداد سلسلة عمل ما، وأن نجد من الطّبيعيّ تمثيل تلك المفاهيم الثّلاثة جميعها بواسطة السّهام.

[9]- هذا توصيف وظيفيّ، وليس فرضيّة نظريّة في شأن المكوّنيّة النّحويّة. فليس من المستلزَم ولا من الممتنع أن تنبثق البنية المجذِّرة على أنّها مكوّن كلاسيكيّ يتوالف في كلّيّته مع العنصر المجذِّر.

[10]– بـدل أن يكون الفعـل مجذَّرا، يمكن أن يخضع لعمليّات اشـتقاق إضافيّة (مثل [be *criticizing*> *have been criticizing* «ينقـد» كان ينقـد"]). فيمكـن أن يعيّـن رأسـا للمركّـب الجُمَلـيّ، كامـلُ الفعـل المركّب الّذي يشـتقّ بهذه الطّريقـة، أو الفعـلُ [*have*] أو [*be*] الّذي يضـاف عند أعلـى مسـتوياته. ويتحقّـق التّجذير على هـذا الفعـل الخطاطيّ تحقّقـا صرفيّا ([*criticized* «نُقِـد» ***was*** *criticized*]، [*being criticized* ***is*** "ينقَـد (الآن)"]، [*been criticizing* ***has*** "قـد كان ينقد لمدّة طويلة"]).

[11]– يعنـي ذلك أنّ بعض الأبنية ذو مركز خارجيّ (§ 7. 2). تُفحَص بنية الموضع الوارد فاعلا (في الفقرة § 11. 3. 2).

[12]– للحفاظ على بسـاطة الأشـياء، أركّز النّظر في الفواعل بصفة رئيسـيّة. ويمكن تطبيق الحقائق الّتي تتعلّم هنا على المفاعيل بعد ذلك.

[13]– توصيـف الفاعـل بكونـه بـؤرة الانتباه الرّئيسـيّة مدعـوم بنتائج التّجـارب المخبريّة (طوملين 1995، 1997؛ فورَّاست 1996).

[14]– تختلف المصطلحات بطبيعة الحال. غالبا ما يسـتعمل [*theme* «محور»] للتّعبير عن المتنقِّـل، ويسـتعمل [*patient* «متحمِّل»] للتّعبير عمّا نسـمّيه هنـا [*theme* «موضوع»]. (تذكّر أنّ [*patient*] معـرّف تعريفـا ضيّقا في النّحو العرفنيّ بكونه المشـارك الّـذي يمرّ بتغيّر داخليّ في حالته). يشـبه المحـدِث والمحور الدّوريـن الكبيرين اللّذين يطلق عليهمـا [*actor* «قائم بالعمـل»] و[*undergoer* «الخاضـع (للعمـل)»] في نظريّـة «نحـو الأدوار والإحالة» (فولاي وفان– فالين 1984).

[15]– في (6)، يرأس الشّخص الّذي يضرب كرة البيسبول أو يرمي بها سلسلةَ العمل الّتي تؤدّي إلى كسـر الكأس، ولكن لا يجعَل ماثلا على الرّكح ولا يُعرَض إلاّ التّفاعلُ بين الكرة والكأس. ورغم أنّ فلويد قد يكون وضع الكأس في غسّالة الأواني، قادحا بذلك سلسلة من التّفاعلات الّتي ينتج عنها تعطيل وظيفتها، يُترَك دوره في هذا الحادث الأليم ضمنيّا.

[16]– بطبيعـة الحـال، للمتكلّـم خيار يتمثّل في انتقاء كليهمـا: [*Lines A and B intersect* "يتقاطع الخطّ أ والخطّ ب"]، [*Australia and South Africa resemble one another* "تتشابه أستراليا وجنوب أفريقيا"].

[17]– أوّل مـن انتبـه إلى هذه المخطّط السّـلّميّ هو فيلمـور (1968)، الّذي لم يهتد رغم ذلك إلى أنّ السّلّميّة تعكس نقل الطّاقة على امتداد سلسلة العمل.

[18]– لا يسـتلزم الرّسـم البيانـيّ 11. 3 (b) أنّ للعمليّـة القائمة على المحدث مشـاركَيْن اثنين مختلفين دائما. فيمكن في حالة خاصّة أن يشتغل المشارك نفسه محدثا ومحورا في آن (مثل، [*She jumped* "هي قفزت"]. ولا يستلزم أيضا أنّ كلّ عمليّة ذاتَ مشاركين اثنين تقوم علـى عمليّـة محوريّة واضحـة المعالم (فالعمليّة [see "رأى"]، على سـبيل المثال، ليسـت كذلـك). وفي لغات كثيـرة، تُميِّز خصائصُ نحويّـة معيّنة نوعا من المركّب الجُمَليّ يسـمّى "اللاّمنصوب" يجري تحليله في العموم بكونه ذا مفعول به كامن ولكنّه غير ذي فاعل كامن

(برلموتّـر 1978). ويمكـن أن تحلّل المركّبات الجُمَليّـة اللاّمنصوبة، عوضا عن ذلك، في النّحـو العرفنـيّ (الّـذي لا يفترض وجود بنية كامنة) بكونها تشـير إلى عمليّـة محوريّة تنبني انبناء مطلقا.

[19]- على سـبيل المثال، يمكن أن يكون المنتقل إطارا أو موضعا بدل أن يكون مشـاركا. وفـي نوع البنية المعروف بـ"مضادّ المجهول" (الّذي ينزع البؤرةَ عن المحور بنفس الطّريقة الّتي ينزع بها البناء للمجهول البؤرةَ عن المحدث)، يمكن أن يكون محدثيّا.

[20]- في الواقع، يستقيم القالب محدث/ محور فقط بالنّسبة إلى ضمير المخاطب المفرد وضمير المتكلّم المفرد. ومن المتواتر، حتّى في ظاهرة نحويّة وحيدة، مثل الحالة الإعرابيّة أو تسـبيق الفعل، أن يكون السّلوك النّحويّ قائما على "الانشطار" بين قوالب مختلفة (انظر لانقاكر 1987: § 9. 2. 4).

[21]- بعبارة دقيقة، تحمل الضّمائر علامات الحالة الإعرابيّة بتغيّر أشكالها، مثلا [*noo* "أنا" (ضميـر الرّفـع)] مقابل [*ney* "ـــ(ـنـ)ـــي" (ضمير النّصب)]. لكـنّ هذا يتّبع كذلك القالب القائـم علـى المقابلـة بين الرّفع والنّصـب (إذ تُسـتعمَل [*noo*] في كلّ من الفواعـل المتعدّية واللاّزمة).

[22]- يكون السّـلوك نفسـه لظاهرة معروفة باسـم "انتشـار المسـوِّر". يسـمّى كذلك لأنّ المسـوِّر ينتشـر بعيدا عن الاسـم الّذي يسـوّره فيظهـر متاخما للفعل. يجـري مثال من ذلك فـي الجملـة التّالية: المعطيات السّـامونيّة اسـتخرجت جميعـها من أعمـال كوك (1988، 1999، 1993b، 1993a))، الّذي بحث في مظاهر كثيرة من البنية المركّبيّة في السّامونيّة من مدخل نحويّ عرفنيّ.

[23]- يعـود أقـدم وصف إلـى شاشـتير (1976، 1977). ومن الغريب أنّ شاشـتير يثبت أن لغـة التّاغالـوغ غير ذات فواعـل. كان يفكّر، بطبيعـة الحال، في ضـوء الفواعل من النّوع الإنجليزيّ (لا التّوصيف الخطاطيّ في النّحو العرفنيّ).

[24]- لاحـظ كذلـك أنّ العنصـر المبأّر يكون معرفـة (مثلما تنزع إلى ذلـك الفواعل)، في حين تقبل العناصر الأخرى التّأويل على أنّها نكرات.

[25]- تسـمّى هـذه اللّغات عادة "لغات المحدث/ المتحمّـل" (*agent/patient languages*)، حيث يكون مصطلح «متحمّل» (*patient*) مكافئا لما نسمّيه هنا «المحور» (*theme*).

[26]- يمكن أن تكون لغة التّاغالوغ شـبيهة بذلك، ما عدا أنّ هناك خيارات أكثر (كما يُرى في (25)) وأنّ المنتقل لا يحتاج إلى أن يكون موضوع الخطاب.

[27]- علـى سـبيل المثـال، يقيـم ترتيـب الكلم الخاصّ فـي عبـارة [*Squid she won't eat* "الحبّـار لا تأكلـه (هـي)"] كلمـة [*squid*] موضوعـا محلّيا. وفي بنيةِ شـبه المنشـطر، يكون العنصـر الـوارد بعـد [be] البـؤرةَ: [*What she won't eat is squid*. "مـا لن تأكله (هي) هو الحبّار"].

[28]– لإثراء النّقاش، يفترَض أنّ الإسمائيّ الوارد في الحالة الإعرابيّة المطلقة هو المنتقل (مانّينغ 1996). وتسم اللاّحقة النّهائيّة المتّصلة بالفعل الجهة التّعيينيّة.

[29]– للاطّلاع على أعمال مطوّلة في إطار اللّسانيّات العرفنيّة، انظر كيمّار 1993، مالدونادو 1999، ومنّاي 2000.

[30]– يتنوّع الشّكل ليشير إلى الشّخص والعدد المقترنين بالمنتقل المركّبيّ الجُمَليّ ([*se*] شكل دالّ على الشّخص الغائب). وكما هو معهود في الأبنية الوسيطة، يكون الوسم هو نفسُه في أبنية الانعكاس حيث يؤدّي مشاركٌ وحيد دورَ كلّ من المنتقل والمعلم. (يمكن تبعا لذلك أن تؤوّل (30) (ب) على أنّها بنية انعكاسيّة تعني [*The old man drowned himself* "الرّجل المسنّ أغرق نفسه"]). ويتمثّل ما تشترك فيه الأبنية الوسيطة وأبنية الانعكاس، في أنّ دور المحدث ودور المحور قاصران عن التّجلّي بشكل ظاهر من مشاركين مختلفين (كيمّار 1993).

[31]– هذا هو التّأويل المحايد الّذي يقوم على أساس المعرفةِ العامّة، ولكنّه ليس التّأويل الممكن الوحيد. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يكون فلويد واقفا على الطّاولة ليرصف الكؤوس في خزانة علويّة هناك.

[32]– ترتبط التّعدية بالكيفيّة الّتي بها تنبني وضعيّة ما. ففي انبناء قائم على قوّة حركيّة، يكون الفعل [*contain* "سيطر، كبح"] متعدّيا: [*The crowd was contained by the security guards* "سُيطِر على الحشد من قبل قوات الأمن"]. ويكون بالمثل فعل [*approach* "كلّم"] متعدّيا عندما ينبني في علاقة بتفاعل اجتماعيّ ما: [*She was approached by a stranger* "كلّمَت من قبل شخص غريب"].

[33]– لئن أحلتُ في بعض الأحيان على المنتقل والمعلم بكونهما مشاركَين بؤريّين رئيسيّا وثانويّا، فأنا أتكلّم بتساهل كبير في العبارة (التّمييز بين المشاركين والأطر ليس مفيدا في ما نحن بصدده). وبالمعنى الدّقيق، يجب أن يوصف المنتقل والمعلَم بأنّهما العنصران البؤريّان الرّئيسيّ والثّانويّ.

[34]– بعبارة أدقّ، تعرض [*with*] علاقةَ نقطة مرجعيّة (الرّسم البيانيّ 3. 14) بوجه يكون فيه المعلم موجودا في منطقة نفوذ المنتقل (الّذي يُعرَض في شكل بيضويّ).

[35]– هذه التّأويلات المتباينة أمثلة من الاختلاف في المعنى نوقش نوع منه في الفقرة § 2. 2. 2: اختلاف يتأسّس على رتبة المجالات العرفنيّة باعتبار سلّم من درجات الإنشاط.

[36]– يكون التّوزيع الدّقيق محدّدا تحديدا تواضعيّا: أيُّ الأفعالِ يأخذ المفاعيل غير المباشرة، شيء يتعلّمه المتكلّمون وجوبا. ومع ذلك، هم لا يحفظون عن ظهر قلب مجرّدَ قائمة اعتباطيّة. تصفُ الأفعال الّتي يحتمل كثيرا أن تظهر في هذا البناء، مجريات تنبني بصفة فوريّة على أنّها موافقة لمعناها. يبيّن هذا أهميّة التّبرير اللّغويّ، مقابل التّوقعيّة الضّيّقة (§ 1. 2).

[37]- تذكّر الفقرة § 8. 3. 2، وخاصّة الرّسمين التّخطيطيّين الأوّلين من الرّسم البيانيّ 8. 12.

[38]- تشتمل الأفعال المتعدّية إلى مفعولين على أسرة كاملة من الأبنية المترابطة، يبيح بعضها أن يكون معلمه غير عاقل، مثل [*I gave the fence a new coat of paint* "أعطيت السّياج طبقة جديدة من الدّهن"]. لاحظ أنّ النّقلة المسبَّبيّة المقابلة لهذه العبارة لا تستقيم في أحسن الأحوال: [*??I gave a new coat of paint to the fence* "؟؟ أعطيت طبقة دهن جديدة إلى السّياج"]. فهي تصف الحدث، وصفا غير ملائم، كما لو أنّه حَدثٌ تُتابِع فيه طبقةُ الدّهن مسلكا فضائيّا.

[39]- يظلّ الأمر محلّ جدال سواء نسِبت فكرة التّطابق إلى البنية أو إلى معنى مختصّ من معاني [*be*] ذاتها. فلا تحمل [*be*] هذه القيمة الأكثر تخصيصا إلاّ في سياق تلك البنية. وعلى عكس ذلك، يتضمّن التّوصيف التّامّ لـ[*be*] الخطاطةَ البنائيّة إطارا بنيويّا (§ 8. 3. 2).

[40]- مقابل ذلك، يعرض مصدر المفعوليّة الّذي يدلّ على صفة سكونيّة الحالةَ النّهائيّة فقط (الرّسم البيانيّ 4. 15). فتكون العبارة [*The glass was broken* "كان الكأس مكسورا"]، على هذا، ملبِسة، إذ يحتمل أن تصف حالة ثابتة أو تغيّرا يؤول إلى تلك الوضعيّة.

[41]- ما كلّ مركّب جُمَليّ يكون له ذلك الفعل. فعلى سبيل المثال، لا يوجد هذا العنصر في الجمل اللّويزينيّة من نوع [*awaal 'oyokval* "الكلب هادئ"]. والفعل المركّبيّ [*break up* "قطع/ كفّ عن"] ليس كلمة مفردة (مثل، [*They should break up the demonstration* "عليهم أن يفرّقوا المظاهرة"]).

[42]- العناصر الجهيّة كلمات منفصلة ([*should*] ،[*will*] ،[*may*]، إلخ)، ويجري التّعبير عن المظهر بطريقة إطنابيّة في بنية الانقضاء وبنية التّدريج ([*have Ved* "قد فَعَل"] و[*be Ving* "كان يفعل"]). والبناء للمجهول إطنابيّ كذلك ([*be Ved* "كان فَعَل"]).

[43]- في القوالب المتّصلة بذلك، يمكن أن يكون العنصر اللاّعمليّاتيّ ظرفا ([*She pushed it away* "هي دفعته (شيء) بعيدا"])، أو صفةً معبّرة عن النّتيجة أو الهيأة ([*He wiped it clean* "هو مسحه (شيء) نظيفا"]؛ [*I ate it raw* "أَكَلْتُه (شيء) نيّئا"])، أو إسمائيّا ([*They elected her president* "هم انتخبوها رئيسةً"])، أو مصدر فاعليّة أو مفعوليّة ([*She got him fired* "هي جعلته يفصَل عن عمله"]؛ [*It sent her sprawling* "أسقطَها (شيء) على طولها"]).

[44]- في الحالة الأخيرة، يكوِّن الفعل [V] والحرف [P] تجميعةً مفهوميّة يحدُث أن لا ترمَّز بتجميعة صوتميّة (إذ يفصل بينهما الإسمائيّ). يفسّر ذلك الفكرةَ العامّة المتمثّلة في كون سلّميّة مكوّنيّة وحيدة قاصرةً عن استيعاب جميع الأبنية والعلاقات الّتي تُفترَض (§ 7. 4. 2). يطلق في الغالب على [P] اسم [*particle* "حرف، أداة"]، لأنّ بعض العناصر المساهمة (مثل [*away* "بعيد(ا)"]) ليست حروفا: [*throw away the letter* "ألقى بعيدا بالرّسالة"] مقابل [*throw the letter away* "ألقى بالرّسالة بعيدا"]. وفي كتاب ليندنار (1982) تفسير لتوليفات [فعل + حرف] في إطار النّحو العرفنيّ.

[45]- يمكن أن تُشرَح الكثير من المتلازمات اللّفظيّة من فئة [فعل + حرف]، شرحا إطنابيّا تقريبيّا باعتماد أفعال بسيطة: [*look at = examine* "نظر إلى= فحص"]، [*search for = seek* «بحث عن= فتّش»]، [*talk about = discuss* "تحدّث في= ناقش"]، [*ask for = request* "سأل أن= طلب]، [*motion to = signal* "أومأ إلى= أشار"]، [*wave at = greet* "لوّح إلى بالتّحيّة = حيّى"]، إلخ.

12. الجمل المركّبة

تعتبَر الجملة المتكوّنة من مركّب جُمَليّ واحد فما أكثر، جملة مركّبة. فكيف تترابط، إذن، المركّبات الجُمَليّة المكوّنيّة؟ يقوم التّمييز، في الدّراسات التّقليديّة، يبين علاقة العطف وعلاقة التّبعيّة. ويجري التّمييز في حال التّبعيّة بين المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ وأنواع مختلفة من المركّبات الجُمَليّة التّابعة. غير أنّ تلك الاختلافات ليست صارمة ولا تلك المفاهيم أنفسها واضحة تمام الوضوح. تتمثّل مهمّتنا الأولى هنا، تبعا لذلك، في استكشاف أسسها المفهوميّة والنّحويّة.

1.12 التّعليق: العطف والتّبعيّة

خلافا للبشر، ما كلّ المركّبات الجُمَليّة تنشأ سواسية كأسنان المشط. فعندما تتوالف المركّبات الجُمَليّة لتكوين جملة مركّبة، تكون في العادة مختلفة في المنزلة- فيوصف واحد منها وصفا معقولا بكونه تابعا لمركّب آخر. ولكن ماذا يعني هذا بالتّدقيق؟ هناك، بالفعل، عدد من الطّرق تختلف فيها المركّبات الجُمَليّة من حيث منزلتها. فهذه الأبعاد المتنوّعة من التّبعيّة مستقلّة استقلالا جزئيّا وتستوجب التّمييز الدّقيق بينها. فنحن نتحدّث عن العطف في حالات يكون فيها التّساوي في المنزلة بين المركّبات الجُمَليّة باعتبار تلك العوامل جميعها. بيد أنّ التّناظر بينها لا يكون تامّا دائما. فالمركّبات الجُمَليّة لا تبلغ أبدا التّساوي التّامّ بينها باعتبار كلّ واحد من تلك الأبعاد.

1.1.12 العطف

في حالات العطف، يقال عن المركّبات الجُمَليّة إنّها متعاطفة، وكلّ واحد منها معطوف، ويسمّى العنصر الرّابط بينها (من قبيل [*and* "و"]) رابط عطف. وبكلّ تأكيد، ليس العطف ظاهرة مقصورة على المستوى المركّبيّ الجُمَليّ. فمبدئيّا، يمكن أن تكون العناصر المتعاطفة من أيّ حجم كان، ويمكن أن تمثّل أيَّ مقولة نحويّة. يرد في (1) أمثلة منها حيث تكون المتعاطفات بين معقوفتين. لاحظ أنّ أدوات العطف يمكن أن يجري العطف بينها كذلك.

(1) (أ) *Conjuncts can* [*be of any size*] *and* [*represent any category*]. [عمليّة مجذَّرة]
المتعاطفات يمكن [أن تكون من أيّ حجم] و[أن تمثّل أيّ مقولة].

(ب) *Conjuncts can be* [*of any size*] *or* [*of any category*]. [مركّب حرفيّ]
المتعاطفات يمكن أن تكون [من أيّ حجم] أو [من أيّ مقولة].

(ج) *Conjuncts can be of* [*any size*] *or* [*any category*]. [إسمائيّ]
المتعاطفات يمكن أن تكون من [أيّ حجم] أو [أيّ مقولة].

(د) *Conjuncts can be of any* [*size*] *or* [*category*]. [اسم]
المتعاطفات يمكن أن تكون من أيّ [حجم] أو[مقولة].

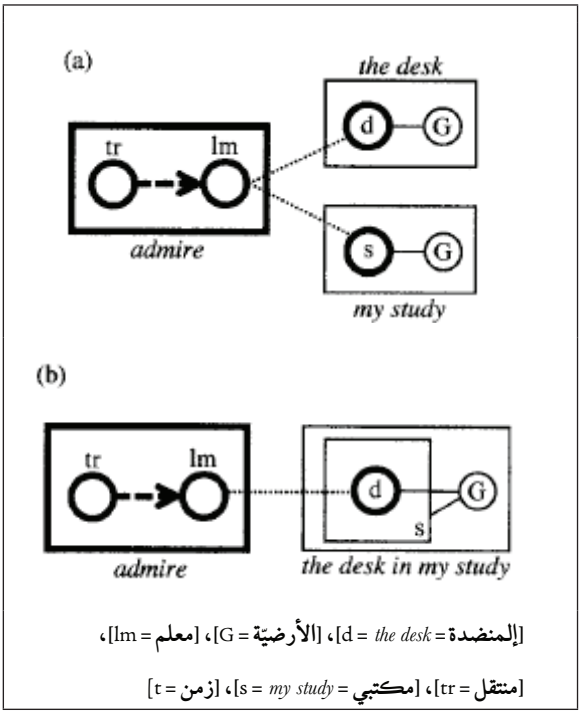
(هـ) *Conjuncts can be of any size* [*and*] / [*or*] *category*. [أداة عطف]
المتعاطفات يمكن أن تكون من أيّ حجم [و] / [أو] مقولة.

فما معنى أن نقول إنّ المتعاطفات متساوية في المنزلة؟ يعني ذلك، في الأساس المطلق، أنّ الواحد منها يشارك مستقلاً عن الآخر وبنفس المدى في نفس المجموعة من العلاقات النّحويّة. فكلّ معطوف في (2) (أ)، على سبيل المثال، يحدّد معلمَ الفعل [*admire* "أحبّ"]، فيكون تبعا لذلك مفعولا به له إن أخِذ على حدة. ويستلزم سلوكُ المعطوفات النّحويّ المتوازي أنّها متوازية دلاليّا كذلك. يتشابه [*the desk* "المنضدة"] و[*my study* "مكتبي"]، من حيث كانا إسمائيّين تامّين يعرض الواحد منهما عيّنة مجذّرة من شيء. ويتشابهان تشابها تجريديّا باعتبار مضمونيهما. وبالإضافة إلى ذلك، يتشابهان في بروزهما داخل المركّب الجُمَليّ الّذي يحتوي عليهما: لكلّ واحد من الشّيئين اللّذين يعرضانهما منزلة المعلم المركّبيّ الجُمَليّ. ومقابل ذلك، لا يتساوى [*the desk*] و[*my study*]، في (2) (ب)؛ إذ لا يحظى بالبروز البؤريّ في مستوى المركّب الجُمَليّ إلاّ 'المنضدة'. وليس الإسمائيّ [*my study*] في ذاته مفعولا للفعل بل هو مفعول [*in*]، من حيث مثّل جزءا من مركّب حرفيّ داخليّ في الإسمائيّ الوارد مفعولا مباشرا. فمرجعه لا يشارك في العمليّة الّتي يعرضها المركّب الجُمَليّ، وإنّما يُستحضَر فقط لتحديد المكتب المعنيّ:

(2) (أ) *She admired* [*the* ***desk***] *and* [*my* ***study***].
هي أحبّت [المنضدة] و[مكتبي].

(ب) *She admired* [*the* ***desk*** *in my study*].
هي أحبّت [المنضدة في مكتبي].

مــن الزّاوية النّحويّة، يتمثّــل العطف في موقع ما مــن قالبٍ بنيويّ يكون ذا تحقّقــات متعــدّدة. فانطلاقا من قالــبِ [X Y Z]، تأخذ بنيــةُ العطف، كما تخصّصهــا الخطاطات البنائيّة، الشّــكلَ [X [Y_1] – [Y_2] Z]، حيث يكون [X Y_1 Z] و[X Y_2 Z] أنفســهما موافقين للقالب. وبذلك تمثّل هذه البنية مزيجا من العبارات المتعدّدة الّتي يتحقّق فيها ذلك القالب. ومن زاوية مفهوميّة، يعرض كلّ مــن [Y_1] و[Y_2] وحدات مــن النّمط المطلوب. فيكــون لعبارة العطف [Y_1]–[Y_2]، حينئــذ، معروضــان متواجــدان يشــارك كلّ واحــد منهما في العلاقات المميّزة للقالب. وفي (2) (أ)، يستوي كلّ من المنضدة والمكتب معروضا قائما برأســه، ويناسب كلّ واحد منهما معلمَ الفعل. ومقابل ذلك، لا تكــون فــي (2) (ب)، إلاّ المنضــدة معروضة ومطابقة للمعلــم. فلا يُحقَّق دور المفعول المركّبيّ الجُمَليّ إلاّ مرّة واحدة، بواســطة الإســمائيّ المفعول ككلّ. يُعرَض هذا التّباين عرضا مختزلا في الرّسم البيانيّ 12. 1.



الرّسم البيانيّ 12. 1

يُثِير الشّرط العامّ الّذي ينصّ على أنّ الأبنية المتعاطفة تكون متوازية دلاليّا ونحويّا أســئلةً كثيرة تتعلّــق بانطباقها المخصوص. فعلى ســبيل المثال، إذا

كانت المتعاطفات متوازيــة نحويّا، وجب أن تمثِّل هذه المتعاطفات المقولةَ النّحويّة نفســها. ولكنّها لا تفعل ذلــك في الأغلب، على الأقلّ في المناويل التّفسيريّة المتداولة. فالمتعاطفات الواردة في (3)، تصنَّف في العادة إلى ثلاث مــن المقولات: هي في الجملة (أ)، صفة مقابل مصــدر فاعليّة مبنيّ للمعلوم؛ وهي في الجملة (ب)، ظرف مقابل مركّب حرفيّ.

(3) (أ) *He was* [*sad*] *and* [*feeling sorry for himself*].

(هو) كان [حزينا] و[شاعرا بالأسف على نفسه].

(ب) *She signed the papers* [*reluctantly*] *and* [*with much hesitation*].

(هي) أمضت على الوثائق [غصبا] و[بكثير من التّردّد].

ولئن كانت هذه الحالات مشــكِلة في ضوء أقسام الكلم التّقليديّة، فهي تثير أقلّ من ذلك بكثير في التّوصيفات المفهوميّة الّتي يقترحها النّحو العرفنيّ. ففي مســتوى مجرّد، تتماثل [*sad* "حزين"] و[*feeling sorry for himself* "شاعر بالأسف على نفســه"] من حيث أنّ كلاّ منهما تعرض علاقة لاعمليّاتيّة بشــيء يكون منتقلها، وهما متوازيتان زيادة على ذلك من حيث أنّ كلّ واحدة منهما تســند حالــة ذهنيّة إلــى منتقلها الّذي يحــدَّد بكونه [*he* "هو"] في مقــام هذه العبارة. وتتماثــل، كذلــك، [*reluctantly* "غصبا/ علــى مضــض"] و[*with much hesitation* "بكثير من التّــردّد"]، من حيث عرضت كلّ واحدة منهمــا علاقة لاعمليّاتيّة يحــدَّد فيها المنتقــل بعمليّة الإمضاء علــى الوثائق؛ فكلتاهما تــؤدّي وظيفتها الظّرفيّــة بأن تخصّص موقف الفاعل في تأدية ذلك العمل. فوجوه التّماثل هذه تبدو في مســتوى المضمون المفهوميّ أهمَّ من الشّــكل النّحويّ المخصوص. فمن ناحية الشّــكل بمفرده، وجب أن تكون (4) (أ) أســوأ من (4) (ب) حيث يكون المتعاطفان كلاهما مركّبا حرفيّا، أو (4) (ج) حيث يكون كلاهما إســمائيّا. ومهما يكن من أمر، فإنّ العكس صحيــح. فجميعها يزِلّ من حيث يستلزم التّوازي بين دورين دلاليّين واحد لموقف ذهنيّ والآخر لوسَيلة مادّيّة.[1]

(4) (أ) *She signed the papers* [*reluctantly*] *and* [*with a ballpoint pen*]*?*

؟ هي أمضت على الوثائق [غصبا] و[بقلم جافّ].

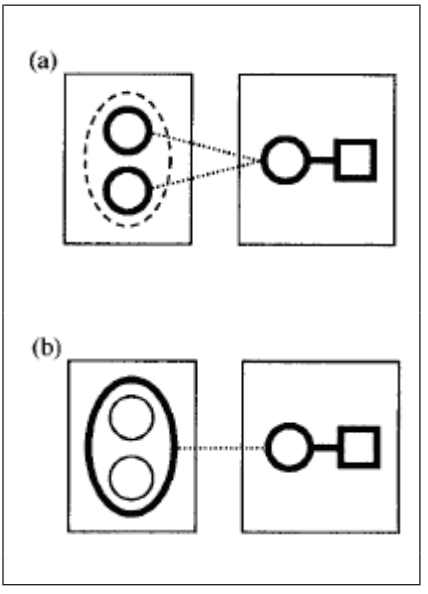
(ب) *She signed the papers* [*with reluctance*] *and* [*with a ballpoint pen*]*??*

؟؟ هي أمضت على الوثائق [بالغصب] و[بقلم جافّ].

(ج) ✻*She signed the papers with* [*reluctance*] *and* [*a ballpoint pen*].

*هي أمضت على الوثائق بـ[الغصب] و[قلم جافّ].

بالإضافة إلى مسألة التّوازي، يُطرَح سؤال يتعلّق بما إذا كان الواحد من المتعاطفات يشارك في علاقاته بسائر العناصر بصفة مستقلّة أو لا. وقد نشأ التّساؤل نفسه في ما مضى بالنّظر إلى الصّفات الّتي تحوِّر الأسماء المجموعة، من مثل [*long novels* "روايات طويلة"] مقابل [*similar novels* "روايات متماثلة"]: لئن كانت الرّوايات طويلة الواحدة منها مستقلّة عن الأخرى، فهي لا تكون متماثلة إلاّ بصفة جماعيّة (الرّسم البيانيّ 10. 14). والأمر منقاس على ذلك في [*Jack and Jill are tall* "جاك وجِلّ طويلان"] مقابل [*Jack and Jill are compatible* "جَاك وجِلّ متوافقان"]: جاك وجِلّ طويلان الواحد منهما منفصلا عن الآخر، ولكنّهما لا يكونان متوافقين إلاّ من حيث هما زوج من النّاس. يقتضي التّأويل الجماعيّ أن تنبثق انبثاقا مفهوميّا وحدةٌ من درجة أعلى تتضمّن العناصر الّتي تعرضها الوحدات المتعاطفة. والعطف، بحكم طبيعته المركوزة فيه، يساهم بقدر كبير في هذه البلورة. فمجرّد ذكر العناصر المكوّنيّة ذكرا تتابعيّا، يجعلها متجاورة تجاورا ذهنيّا، بوجه تكون فيه الوحدة المنبثقة في الدّرجة الأعلى موجودة ضمنيّا على الأقلّ، كما يرى في الرّسم البيانيّ 12. 2 (a). فبهذه الطّريقة، يُنشأ الإمكان لانبناء جماعيّ يُنقَل فيه المعروض إلى هذه الوحدة، كما يظهر في الرّسم البيانيّ 12. 2 (b).



الرّسم البيانيّ 12. 2

يكون المدى الّذي تنبثق عنده وحدة من مرتبة أعلى وتشارك من حيث هي كذلك في التّناسبات، مسألةَ درجات، دون شكّ. فعند طرف من السّلّم، توجد عبارات عديدة راسخة تتكوّن من أسماء متعاطفة يدرَك فيها الكلُّ المركّب بوضوح على أنّه وحدة قائمة برأسها، ذات سمات أو وظيفة خاصّة بها: [*gin and tonic* "دجِن وتونِك"]، [*peanut butter and jelly* "زبدة (كاكاويّة) ومعجون"]، [*cup and saucer* "فنجان وطبق"]، [*pencil and paper* "قلم وورق (ورقة وقلم)"]، [*knife, fork, and spoon* "سكّين وشوكة وملعقة"]، وهلمّ جرّا. فشُرْب كأس من الدّجِن والتّونِك، مثلا، لا يساوي مطلقا شربَ الدّجِن وشربَ التّونِك. يمثّل المتعاطفان في (3) (أ) حالة وسطى. ويمكن كذلك أن ينبني الانفعالان اللّذان تعبّر عنهما [*sad* "حزين"] و[*feeling sorry for himself* "شاعر بالأسف على نفسه"]، على أنّهما حالتان ذهنيّتان متمايزتان أو متواجدتان أو وجهان لهيأة خارجيّة دالّة على الانكسار. وقد يبدو أنّ المركّبات الجُمَليّة المتعاطفة ذات حظّ كبير في الحفاظ على منزلتها من حيث هي تصوّرات متوازية ينفصل الواحد منها عن الآخر. وزيادة على ذلك، لا تكون المسألة، حتّى في هذه الحال، مسألة أسود وأبيض بشكل تامّ. فالعطف المركّبيّ الجُمَليّ، لا يكون موفّقا، إلاّ عندما يكون للمركّبات الجُمَليّة وشائج تربط الواحد منها بالآخر. ففي (5) (أ)، على سبيل المثال، يمكن أن يؤوّل كلّ من المركّبين الجُمَليّين على أنّه سبب يجعل المتكلّم مرهقا جدّا في المساء. ومن جهة أخرى، تبدو (5) (ب) غير منسجمة لأنّ الفكرتين اللّتين تعبّر عنهما غير مترابطتين تماما.[2] ربّما كان الانسجام المطلوبُ مسألةَ تمثيلِ المركّبات الجُمَليّة المتعاطفة لوجوهٍ من قضيّة مفردة ذات مظاهر عديدة.

(5) (أ) [*I had three classes today*] *and* [*the faculty meeting was acrimonious*].
[درّست هذا اليوم ثلاثة أقسام] و[اجتماع الأساتذة كان صعبا].

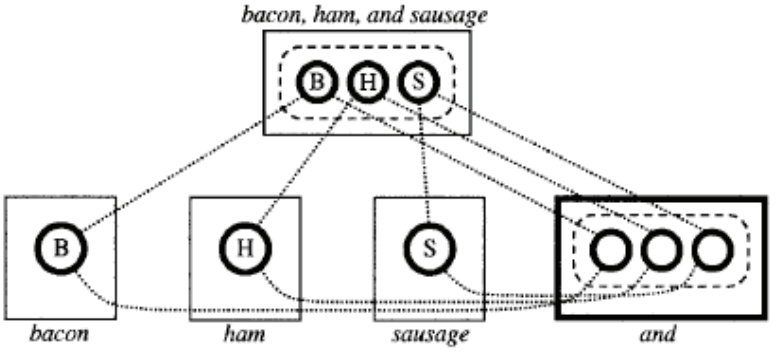
(ب) [*The moon orbits the earth*] *and* [*the faculty meeting was acrimonious*]. *??*
؟؟ [القمر يدور حول الأرض] و [اجتماع الأساتذة كان صعبا].

يتمثّل بعد آخر من أبعاد العطف، في الكيفيّة الّتي بها تترابط المتعاطفات، كما تعبّر عنه أدوات مثل [*and* "و"]، و[*or* "أو"]، و[*but* "لكن"]. وأكثر الأنواع تواترا

1 ـ رافعة تتكوّن من حبل أو سلسلة، ومن بكرة أو أكثر يمرّ من خلالها الحبل عند الجذب أو الرّفع مقدارا معيّنا عند كلّ جذبة لرفع الأثقال، ثمّ يمنعه حاجز في مستوى واحدة من البكرات من الرّجوع، وهكذا دواليك.

العطفُ بـ[*and* "وَ"] الّذي يمثّل نوعا بسيطا أساسيّا. يتمثّل مضمونها الأساسيّ - وهو من صميم فكرة العطف ذاتها- في التّجاور الذّهنيّ بين عناصر متساوية. هذه ببساطة مسألة تتعلّق بالعناصر الّتي يكون تصوّرها معا، في إطار انتباه وحيد. فالتّجاور، في ذاته وبذاته، علاقة تَناظر. فإذا ما لم يفرض شيءٌ عدمَ التّناظر، كانت العناصر الّتي تُتصوَّر في زمن واحد متعادلة بذلك من حيث المنزلة، وكذلك من حيث دورها في الأبنية من المستويات العليا. وتكون العلاقات المتعاطفة الأخرى أكثر تبلورا مفهوميّا. فدائما ما يحمل مضمونها الإضافيُّ بعضَ الخلل في التّناظر بين العناصر المتجاورة أو يؤثّر على دورها في المستويات العليا من التّنضيد.

يتمثّل المضمون الأساسيّ في [*and*]، في جعل العناصر المتساوية متجاورة ذهنيّا (عوضا عن أيّ مضمون مخصوص). فيمكن أن توصَّف [*and*]، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 12. 3، بأنّ لها معروضات متعدّدة متواجدة جميعُها تحقّقاتٌ من النّوع العامّ نفسه.[3] فكلّ وحدة معروضة تناسب معروضَ معطوفٍ يجري لبلورتها. وتتوالف في بنية العطف المخصوصة هذه، المتعاطفات مع [*and*] على التّوازي، في مستوًى مفردٍ من التّنضيد رغم أنّ أداة العطف تتّصل صوتميّا بالمعطوف الأخير دون غيره. وكما لاحظنا قبيل هذا، يكون التّصوّر المركّب مزدوجا من حيث ما إذا كان يعرض العناصرَ المتعاطفةَ بطريقة فرديّة (وهو الخيار الّذي يصوّره الرّسم البيانيّ)، أو يعرض الوحدةَ من الدّرجة العليا الّتي تنبثق من خلال تصوّر المتعاطفات تصوّرا متزامنا متوازيا. هي مسألة ما إذا كان (أو إلى أيّ مدى يكون) تصوّر شريحة مملّحة أو قطعة لحم أو قطعة نقانق، من لحم الخنزير، على أنّها موادّ مختلفة متمايزة أو تؤدّي معا وظيفة (مثل الحشو الّذي يجعل على قطعة بيتزا لغير النّباتيّين).



[**نقانق** = *sausage* = S]، [**لحم** = *ham* = H]، [**شريحة مملّحة** = *bacon* = B]، [وَ = and]

الرّسم البيانيّ 12. 3

في علاقات العطف الأخرى، يكون التّجاور الذّهنيّ مضمّنا في تصوّر أكثر تعقيدا. فأصعبها في التّوصيف، نوع العطف بـ[*or* "أو"]. وبالفعل، يمكن للمرء أن يتساءل مع [*or*]، هل يكون التّجاور الذّهنيّ ذا مفعول. فعندما نتصوّر قطعة بيتزا بالنّقانق والفلفل، تحضرنا مكوّنات الحشو معا في صورة واحدة: نتخيّل قطعا من النّقانق متناثرة تخالطها قطع من الفلفل على سطح البيتزا. وليس الأمر كذلك عندما نتحدّث عن بيتزا بالنّقانق أو بيتزا بالفلفل. هنا، لا تنبثق صورة واحدة منسجمة مطلقا. والمستحضر، بدل ذلك، صورتان متناوبتان للبيتزا، يظهر في الواحدة منها حشو واحد ينتفي له الآخر. وإن كانا متنافيين، فكيف نتمسّك بكونهما متجاورين ذهنيّا على أساس العطف؟

واعترافا بهذا الفارق، يوصف العطف بـ[أو] في العادة بكونه عطف انفصال لا اتّصال. لكنّ اعتماد تسمية مختلفة شيءٌ، وتقديم توصيف مفهوميّ شيءٌ آخر. يحجب هذا الأمر الواقع المتمثّل في أنّ العطف بـ[*or* "أو"] يتأهّل حقيقة ليكون عطفا. فرغم التّباين الذي أشرنا إليه، تتساوى المتعاطفات في المنزلة وتتوازى نحويّا، بالضّبط كما تكون مع [*and* "و"]. ففي مركّب جُمَليّ من قبيل [*sausage or pepperoni pizza* "بيتزا بالنّقانق أو بالفلفل"]، يتساوى مرجع [النّقانق] ومرجع [الفلفل] في البروز، ويشاركان في العلاقة النّحويّة نفسها بالتّحديد مع كلمة [بيتزا]. ذانك بالتّحديد هما العاملان اللّذان يبرّران توصيف العطف باعتماد بنيتين متساويتين مقترنتين بمعروضين متواجدين. ولكن ألا يكون هذا التّواجد معادلا للتّجاور الذّهنيّ؟ أعتقد أنّه كذلك، ولذلك نواجه تناقضا ظاهرا.

يتمثّل المفتاح في أن نعترف بوجود مستويات من التّصوّر مختلفة. تُستعمَل [*or* "أو"] في حالات تتعدّد فيها الخيارات أو في حالات الشّك، عندما يتوفّر مترشّحون متعدّدون للقيام بدور دلاليّ ما. وبذلك، يكون معناها قائما في العلاقة بين فضاءين ذهنيّين اثنين: الوضعيّة المتوقّعَة الّتي يؤدّي فيها الدّورَ مترشّحٌ مخصوص؛ والوضعيّة المتاحة مفهوميّا حيث يكون لكلّ واحد من المترشّحين البدائلِ إمكانُ أداءِ ذلك الدّور. في هذه الوضعيّة المتاحة تعتبَر البدائل من المترشّحين، بصفة متزامنة، قادرةً بالتّساوي على أداء ذلك الدّور، فتُجعَل تبعا لذلك متجاورةً ذهنيّا على الطّريقة الّتي تتميّز بها بنية العطف. ويرتبط التّنافي بين المترشّحين بالوضعيّة المتوقّعَة الّتي يُؤدَّى فيها ذلك الدّورُ من قبل واحد منهم فقط.[4] فبوضع المترشّحين في أفضية ذهنيّة منفصلة، تفصِل

الأداةُ [*or* "أو"] التّجاورَ الذّهنيّ للعناصر المتعاطفة عن الوضعيّة المتوقَّعَة الّتي يؤدَّى فيها الدّور. فتكون [*or* "أو"]، بهذه الطّريقة، ذاتَ تبلور مفهوميّ أكثر من [*and* "وَ"] الّتي لا تستدعي أفضية ذهنيّة منفصلة. فالتّجاور الذّهنيّ الّذي تجريه [*and* "وَ"] ينطبق انطباقا مباشرا على الوضعيّة الموصوفة.

رغم التّعقّد الدّلاليّ الأكبر في [*or* "أو"]، يظلّ العطف بها قائما على التّناظر: فيكون [*X or Y* "س أو ص"] معادلا لـ [*Y or X* "ص أو س"]. وليس الأمر كذلك في حالة [*but* "لكن/ بل"] الّتي يحمل مضمونُها الإضافيّ وجها من وجوه عدم التّناظر. فبين [*but*] و[*and*] شبه، بمعنى أنّ الأداتين كلتيهما تنطبق مباشرةً على الوضعيّة الموصوفة. فإذا افترضنا أنّ مسدّسا ما [*small but lethal* "صغير لكن قاتل"]، انطبقت الخصيصتان "صغير" و"قاتل" كلتاهما عليه انطباقا واحدا. لكنّ [*but*] تتضمّن زيادة على ذلك أنّ المعطوف (الثّاني) يخالف التّوقّعات الّتي يولّدها المعطوف عليه (الأوّل). وبذلك، تستلزم ["صغير لكن قاتل"] مسبقا أنّ شيئا صغيرا يُتوقَّع أن يكون غير ذي فاعليّة (والحال أنّ عبارة ["صغير لكن قاتل"] محايدة من هذه الزّاوية). ومقابل ذلك، تحمِلُ عبارة [*lethal but small* "قاتل لكن صغير"] الافتراضَ القائم على أنّ الشّيء القاتل يُتوقَّع أن يكون كبيرا. فالعبارتان، بسبب ذينك الافتراضين، متمايزتان دلاليّا.

لا يتحقّق التّعادل والتّناظر التّامان في الواقع أبدا. وحتّى في حالة [*and*]، تنزع الأبنية المتعاطفة إلى أن تؤوَّل تأويلا لاتناظريّا. فعندما تصف المتعاطفاتُ أحداثا، تنزعُ إلى أن تفهَم على أنّها جارية في التّرتيب الوارد في العبارة. ولذلك، تؤخذ (6) (أ) في العادة على أنّها تدلّ على أنّ الفتاة تترك عملها أوّلا، ثمّ تتزوّج بعد ذلك (لا على أنّ الحدثين كليهما حدث ببساطة). ويستدعي تجاورُ الأحداث، كذلك، الاستنتاجَ المتمثّل في أنّ الأوّل منها بوجه من الوجوه متسبّب في الثّاني. فمن خلال (6) (أ)، يحتمل أن نستنتج أنّ ترك العمل فتح السّبيل للزّواج؛ ومن (6) (ب) أنّ فتح النّافذة سبّب انطلاق صافرة الإنذار.

(6) (أ) *She quit her job and got married.*
(هي) تركت عملها وتزوّجت.
(ب) *I opened the window and set off the alarm.*
(أنا) فتحتُ النّافذة وأطلقت صافرة الإنذار.

وتتعلّق مظاهر أخرى من عدم التّناظر، بالمنزلة في العبارة. في قالب شائع في الإنجليزيّة، يكون الأوّل من حدثين متعاطفين اثنين منبنيا على أنّه مجرّد حدث تمهيديّ أو مصاحبٌ إزاء الثّاني منهما الّذي يمثّل الحدثَ الوحيد الّذي يهمّ حقيقة. فكلتا العبارتين في (6) طيّعة لهذا الانبناء. ومن الحالات الجليّة، ما يشتمل على حركة أو هيأة، من قبيل [*go and complain* "اذهب واشكُ (أمرك)"]، حيث تكون الشّكوى الحدث الرّئيسيّ بكلّ وضوح، أو [*sit and talk* "اجلس واحكِ"]، حيث يكون الجلوس ثانويّا. فتقديمُ المتعاطفات وفق تتابع زمنيّ مخصوص في ذاته، يضفي على أقلّ تقدير، لمسة من عدم التّناظر وإن كانت طفيفة. لا يكون تسلسل الاهتداء الذّهنيّ، من حيث هو بعد من أبعاد الانبناء، أبدا محايدا حيادا تامّا من زاوية دلاليّة، بصرف النّظر عمّا إذا كانت البدائل في ترتيب الكلمات مناسبة لأيّ فرق في الوضعيّة الموصوفة.

حتّى إذا ما كانت مظاهر عدم التّناظر تلك راسخة رسوخا تواضعيّا، فإنّها يمكن ببساطة أن تزيد من جمال المضمون المفهوميّ في العطف (أي التّجاور بين أبنية متساوية). ولكن إذا ما مضينا بها إلى درجة أبعد، أمكنها بالفعل أن تتراكب مع هذا المضمون، منتجةً بذلك سلوكا نحويّا لا متوازيا. ومن الأمثلة المشهورة، مثال يتعلّق بالشّرط الّذي ينصّ عادة على أنّ كلمة الاستفهام الواردة في الموضع القبليّ يجب أن تؤدّي الدّور نفسَه في جميع المتعاطفات الواردة في بنية عطف ما.[5] فالجملة (7) (أ)، على هذا، ذات بناء جيّد، إذ تكون [*what* "ما/ ماذا"] مفعولا لكلٍّ من [*complain about* "تذمّر من"] و[*buy* "اشترى"]، في حين ليست الجملة (7) (ب) كذلك، لأنّ [*what*] ليست هناك إلاّ مفعولا لفعل [*buy* "اشترى"].

(7) (أ) ***What** did he **complain about** but still **buy**?*
ما الّذي شكا ولكن يشتري(ـه) رغم ذلك؟
(ب) ✻ ***What** did he complain to the manager but still **buy**?*
*ماذا شكا إلى مدير المتجر ولكن يشتري(ـه) رغم ذلك؟
(ج) ***What** did he go to the store and **buy**?*
ما الّذي ذهب (به) إلى المتجر واشترى/ اشتراه؟

لِمَ كانت الجملة (7) (ج) مقبولة، حينئذ؟ فهي تبدو مماثلة للجملة (7) (ب) إلى حدّ كبير، من حيث ناسبت [*what*] معلمَ الفعل [*buy*]. ويتمثّل السّبب الظّاهر في أنّ الذّهاب إلى المتجر مجرّد تمهيد للشّراء. فالحدثان لم ينبنيا على

أنّهما منفصلان ومتساويان، بل انبنيا على أنّهما طوران من حدوث واحد يمثّل سيناريو ثقافيّا مألوفا. فاسم الاستفهام [*what*]، حينئذ، معلَمٌ باعتبار المفهوم المنبثق لحدث وحيد مركّب، هو 'الذّهاب إلى المتجر والشّراء'. فهذا المثال يبيّن، بطريقة جيّدة، أنّ النّحو ليس مسألة شكل فقط. فالنّحو، من حيث هو أبعد ما يكون عن الاستقلال، لا يمكن أن يوصف وصفا استكشافيّا دون فحص الأبنية المفهوميّة الّتي يجسّدها ويتفاعل معها.

12. 1. 2 أبعاد التّبعيّة

هناك طرق كثيرة في توليف المركّبات الجُمَليّة لتكوين الجمل المركّبة. تمثّل الأبنية المتعاطفة حالة خاصّة من التّناظر، والتّوازي، والتّساوي بين المركّبات الجُمَليّة المكوّنيّة. وعادة ما تغيب هذه الخصائص بحكم ورود مركّب جُمَليّ ما تابعا لمركّب جُمَليّ آخر. ولئن كانت التّبعيّة هامّة إلى حدّ ما فإنّ هذا المفهوم التّقليديّ لا يحمِل تفسيره في ذاته. فهو ذو أبعاد متنوّعة يستقلّ بعضها عن بعض استقلالا تامّا.

البعد الأوّل في ذاته ذو وجوه متعدّدة. يتعلّق هذا البعد بشكل المركّب الجُمَليّ: يمكنه مبدئيّا أن يقوم برأسه جملة مستقلّة. وباعتماد هذا المعيار بمفرده، يكون المركّب الجُمَليّ الوارد بين معقوفتين في (8) (أ) غير تابع، ويكون ذاك الوارد في (8) (ب) تابعا. ولئن أمكن أن يكوّن هذا الأخير ملفوظا (مثلا، جوابا عن السّؤال: [*What is the worst thing imaginable?* "ما هو أسوأ شيء يمكن تخيّله؟"])، يشعر المرء بكونه قائما على الحذف. فهو غير ذي بناء جيّد عندما يؤوَّل على أنّه تقرير تامّ مستقلّ.

(8) (أ) *She claims* [*she has swallowed a spider*].
(هي) تدّعي [هي قد بلعت عنكبوتا].

(أ،) *She has swallowed a spider*.
لقد بلعت عنكبوتا.

(ب) *She claims* [*to have swallowed a spider*].
(هي) تدّعي [أن قد بلعت عنكبوتا]

(ب،) ✻*To have swallowed a spider*.
*أن قد بلعـ(ت) عنكبوتا.

يمكن لشكل مركّب جُمَليّ ما أن يسم ذلك المركّبَ بكونه تابعا باعتماد ما هو حاضرٌ أو ما هو غائب. فالمركّب الجُمَليّ الوارد في (8) (ب)، مثلا، موسوم بكونه تابعا بحضور علامة عدم التّصريف [*to*] وبغياب الفاعل، في آن واحد. ومن العناصر المتنوّعة الّتي تسم التّبعيّة وسما ظاهرا - هي ما يسمّى بشكل لافت بما فيه الكفاية بالمُتبِعات - تلك الّتي ترد أمثلة منها في (9). ومن المسائل النّظريّة الأساسيّة واحدةً مدارها هل تكون المتبِعات دائما دالّة على معنى. ففي حين يكون بعضها كذلك بوضوح (مثل، [*whether* "ما إذا/ سواء"]، [*if* "إن، إذا"]، [*since* "بما أنّ/ إذ/ منذ"])، تعتبَر الأشكال من قبيل [*that* "أنّ"]، و[-*ing* "تصريف التّدريجيّ"]، و[(*to* ... (*for* "(بالنّسبة إلى)... لِـ"] عادة أدوات نحويّة صرفا. وبطبيعة الحال، هذه ليست مسألة مطروحة في النّحو العرفنيّ، حيث يتمثّل المشكل، عوضا عن ذلك، في أن نقول ما هي معانيها ولا شيء آخر (انظر في الفقرة § 12. 3. 1).

(9) (أ) *She claims* [***that*** *she swallowed a spider*].
(هي) تدّعي [أنّها بلعت عنكبوتا].

(ب) *She enjoyed* [*swallow****ing*** *that spider*].
(هي) استمتعت بـ[بلع ذلك العنكبوت].

(ج) *I wonder* [***whether*** *she really swallowed one*].
أتساءل [ما إذا بلعت (هي) واحدا حقيقة].

(د) *The best spider* [***for*** *you* ***to*** *swallow*] *would be a brown recluse*.
أفضل عنكبوت [بالنّسبة إليك لـ]لبلع] يمكن أن يكون العنكبوت البنّيّ المتوحّد.

(هـ) [***If*** *you swallow a spider*] *you should wash it down with beer*.
[إن بلعتَ عنكبوتا] عليك أن تغسله بشربة من الجعة.

(و) [***Since*** *she swallowed a spider*] *she might as well have a beer*.
[بما أنّها بلعت عنكبوتا] يمكن أن تأخذ كذلك كأسا من الجعة.

تتميّز كثير من المركّبات الجُمَليّة التّابعة من حيث الشّكل لأنّ مشاركا واحدا، هو الفاعل في العادة، لا يتحقّق تحقّقا لفظيّا ظاهرا. فيمكن، عندئذ، أن تعوِّل على المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ لتحديده. تلك هي الكيفيّة الّتي نعرف بها أنّ فاعل 'بلع' في (9) (ب) هو الضّمير 'هي'، في حين يكون مفعوله في (9) (د)، 'عنكبوت'. ومن المتواتر كذلك، غياب التّجذير كما يجري مع [*to*] و[-*ing*]. وبالفعل، تجري [*to*] و[-*ing*] معوّضتين للتّجذير،

بالتّحديـد لأنّهما أداتان تصلحان لنزع الزّمن عـن العمليّة التّابعة. فالمركّب الجُمَلـيّ غير المجذَّر يكون تابعا في صميمه بمعنى أنّه يعوّل على المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ في تحديد منزلة العمليّة الّتي يقوم عليها. ففي (9) (ب)، على سـبيل المثال، لا تخبرنا بأنّ البلع قد حـدث حقيقة إلاّ علاقةُ المركّب التّابع بالمركّـب الجُمَليّ المجذَّر [*she enjoyed* "هي اسـتمتعت"] (انظر [*She might enjoy swallowing that spider*]] "يمكن أن تستمتع بـ[بلع ذلك العنكبوت"]).

يمثّل نزع الزّمن عن العمليّة المركّبيّة الجُمَليّة - أي رؤيتها رؤية شـموليّة بـدل الرّؤية التّتابعيّـة- خطوةً في اتّجاه إسـمائها. وتمضي مركّبـات جُمَليّة تابعة كثيرة خطوةً أبعد من تلك في انبناء العلاقة المعروضة على أنّها شـيء تجريديّ، جاعلة إيّاها إسـمائيّا بدل أن تكون مركّبيّة جُمَليّة في المستويات العليـا مـن التّنضيـد النّحويّ. فالمـدى الّذي تبلغـه في كونها إسـمائيّا من حيث الشّـكل، يتعلّق بمـا إذا كانت البنية الخاضعة لعمليّة الإسـماء- هي مـا يكتب بالخطّ الغليظ أسـفل هذا فـي النّص الإنجليزيّ ويرد مسـطّرا في النّـص العربيّ- مركّبا جُمَليّا تامّـا، أو مركّبا جُمَليّا جزئيّا، أو فعلا فقط. في (10) (أ) تنطبق عمليّة الإسـماء على المركّب الجُمَليّ التّامّ المنتهي [*she would quickly swallow a spider* "يمكن أن تبلع سـريعا عنكبوتا"]، فيكون الإسـمائيّ النّاتج داخليّا ذا شـكل مركّبيّ جُمَليّ. وفي (10) (ب) تنطبق عمليّة الإسماء فقط علـى المركّب الجُمَليّ الجزئـيّ [*quickly swallow that spider* "سـريعا تبلع ذاك العنكبـوت"]، بوجـه يكون به ذلك الجزء فقط شـبيها بالمركّب الجُمَلـيّ من حيث بنيتـه، يقترن به محوّر ظرفيّ وإسـمائيٌّ كذلك وارد في الموضع المعهود للمفعول المباشـر. فأن يأخذ الفاعلُ شـكلَ الاسم المعبِّر عـن الملكيّة (*her* "ـهـا")، حجّة تدعم كـون الجزء المتبقّـي من العبارة (أي [*quickly swallowing that spider* "سـريعا بَلْع ذلـك العنكبوت"]) ينبني فعلا على أنّه شـيء تجريديّ. فإن قارنّا الآن هـذا بما يرد في (10) (ج)، نلاحظ أنّ "المركّب الجُمَليّ" التّابع في هذه العبارة ذو شكل إسمائيّ مطلق: عبارةُ [*her quick swallowing of that spider* "بلْعُها السّـريع لذلك العنكبوت"] تماثل مباشـرة عبـارةَ [*her beautiful picture of that spider* "صورتهـا الجميلة لذلك العنكبوت"]. فالفعل، هنا، هو ما أُسْـمِيَ فقط، ولذلك لا يتوفّر إلاّ الاسم النّاتج عن ذلك الإسـماء، لغايات التّوليف في مستويات عليا. وبالإضافة إلى كونه مشتقّا من فعل، يشـتغل الاسـم النّاتج [*swallowing* "بلْع"] اشـتغال أيّ اسم، آخر من زاوية

نحويّة. فهو في (10) (د)، مثلا، يدخل في أبنية التّركيب بين اسمين، موازيا للاسم المركّب [*table tennis* "كرة الطّاولة"].

(10) (أ) [*That* ***she would quickly swallow a spider***] *was unexpected*.
[أن تبلع بسرعة عنكبوتا] كان غير متوقّع.

(ب) [*Her* ***quickly swallowing that spider***] *astonished everybody*.
[بلعها بسرعة لذلك العنكبوت] أدهش جميع النّاس.

(ج) [*Her quick* ***swallow****ing of that spider*] *was impressive*.
[بلعها السّريع لذلك العنكبوت] كان مثيرا للإعجاب.

(د) *She is good at both table tennis and spider* ***swallow****ing*.
هي ماهرة في شيئين كرة الطّاولة وبَلْع العناكب.

تتنوّع المركّبات الجُمَليّة التّابعة من حيث الشّكل تنوّعا كبيرا، على امتداد السّلسلة الذّاهبة من درجة لا تتميّز فيها عن المركّبات الجُمَليّة المستقلّة حتّى الدّرجة الّتي لا تكون فيها مركّباتٍ جُمَليّة مطلقا. ويمكن أن يُعتَبَر هذا البعد في التّبعيّة من الأعراض الدّالّة على منزلة التّبعيّة، لا توصيفا لها. ويتعلّق البعد الثّاني بالعرْض: هل يغلب معروضُ مركّب جُمَليّ في المستويات العليا من التّنضيد أو يُلغَى. يمكن القول إنّ هذا الأمر يوفّر توصيفا عامّا قابلا للتّطبيق. غير أنّ ذلك يتعلّق بالكيفيّة الّتي تُحَلّ بها بعض المسائل.

معروض العبارة هو ما تعيّنه (أو تحيل عليه) تلك العبارة. فعندما تتوالف أبنية مكوّنيّة لتكوين بنية مركّبة، ترث هذه الأخيرة عادة معروضَها من بنية مكوّنيّة واحدة ليس غير (§ 7. 2). فعبارة [*tasty spider* "عنكبوت لذيذ"]، مثلا، تعيّن، من حيث كانت كلاّ مركّبا، العنكبوت (لا الخصيصة التّذوّقيّة)، فيكون بذلك ["عنكبوت"] رأس البناء أو مُحدِّد المعروض؛ ويُلغَى معروض الصّفة في مستوى البنية المركّبة. تُظهِر المركّباتُ الجُمَليّة الواردة في جملة مركّبة شكلا من عدم التّناظر شبيها بذلك. فالعبارة (11) (أ)، مأخوذة في كلّيّتها، تدلّ على عمل الإقناع لا على عمل الاستقالة. وبالمثل، يكون الحدث المعروض في الجملة (ب) عملَ الجرح، لا عمل حلاقة الذّقن. ففي كلّ حالة، يغلب معروضُ المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ في مستوى البنية المركّبة، ملغيا بذلك معروض المركّب الجُمَليّ التّابع. ففي مركّب جُمَليّ موصول، كما يرد في الجملة (ج)، يلغى الحدث المعروض في مستوى الإسمائيّ: تعرض عبارة [*this money we stole* "هذه النّقود

الّتي اختلسنا(ها)"] النّقودَ، لا الاختلاس. ويُلغَى معروضُ الإسمائيّ بدوره، في بنية الفاعل من المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ، حيث يشتغل المكوّن العمليّاتيّ [*is counterfeit* "مزوّرة"]، محدِّدا للمعروض.

(11) (أ) *They persuaded the CEO* [*to resign*].
(هم) أقنعوا المديرَ التّنفيذيّ بـ[أن يستقيل].
(ب) *He cut himself* [*while shaving*].
(هو) جرح نفسه [عند حلاقة ذقنه].
(ج) *This money* [*we stole*] *is counterfeit*!
هذه النّقود [الّتي اختلسنا(ها)] مزوّرة.

تمثّل المركّبات الجُمَليّة التّابعة في (11)، الأنواعَ الأساسيّة الثّلاثة الّتي يُعترَف بها تقليديّا: مركّب جُمَليّ متمّم، ومركّب جُمَليّ ظرفيّ، ومركّب جُمَليّ موصول. ولإقامة توصيف عامّ لهذا الأمر، يمكن أن نقترح أنّ المركّب الجُمَليّ التّابع هو المركّب الّذي يُلغَى معروضُه في مستوى أعلى من التّنضيد النّحويّ.[6] وإن بحثنا عن توصيف بسيط مفرد لجميع المركّبات الجُمَليّة الّتي تُعتبَر تقليديّا تابعة، كان هذا التّوصيف بالفعل المترشّحَ الوحيد الّذي يكون مقبولا. ولكن ليس من البديهيّ أنّنا نستطيع بالفعل أن نجد توصيفا من هذا القبيل - أو أن نتوقّع ذلك. وبالفعل، لا يوجد إجماع تقليديّ في ما يتعلّق بأيّ المركّبات الجُمَليّة يعتبَر تابعا. ويوجد كذلك لبس كبير في ما يتعلّق بالكيفيّة الّتي بها ينطبق مفهوم العرض في المستويات العليا من البنية النّحويّة، (أو حتّى بإمكان ذلك الانطباق).

ومن الأمارات الدّالّة على أنّ الفصل بين العطف والتّبعيّة لا يكون دائما واضحا تمام الوضوح، مصطلحُ رابط التّبعيّة التّقليديّ. يجري هذا المصطلح على مجموعة من العناصر متنوّعة ترد على رأس المركّبات الجُمَليّة المنتهية تكون وظيفتها (في المعنى الواسع) ظرفيّة، من قبيل ما يرد في (12). والازدواج الّذي يعكسه المصطلح مُبرَّر. فمن جهة، تكون المركّبات الجُمَليّة الّتي تقترن بهذه العناصر تابعةً، إلى درجة ما - لأنّها موسومة، شكليّا، وسما خاصّا؛ ولأنّها تحوّر، دلاليّا، المركّبَ الجُمَليّ الآخر (مثلا، بتحديد الزّمن، أو السّبب، أو الملابسات). ومن جهة أخرى، يكون عدم التّناظر في المنزلة أقلَّ ظهورا منه جاريا في جمل مركّبة كثيرة. وكلا المركّبين الجُمَليّين منته ومخصَّص

تخصيصا تامّا. وقد يبدو، فوق ذلك، أنّ مضمونيهما متساويان في الأهميّة وفي مدى التّبئير. فالعلاقة بينهما، من هذين الاعتبارين، شبيهة بالعطف.

(12) (أ) *I said it **because** I meant it.*
قلت ذلك لأنّني قصدته.

(ب) ***Although** the family was poor, they were always well dressed.*
رغم أنّ العائلة كانت فقيرة، (هم) كانوا دائما أنيقين.

(ج) *They began arguing **before** they even sat down.*
(هم) شرعوا يختصمون قبل أن يجلسوا.

(د) ***While** the term is commonly used, it is never clearly defined.*
في حين يُستعمَل المصطلح بتواتر، لا يعرّف أبدا تعريفا واضحا.
(لئن كان المصطلح مستعملا بتواتر، فإنّه لا يعرّف أبدا تعريفا واضحا).

من طرق حلّ هذه المسألة أن نقول إنّ [*because* "لـ"]، و[*although* "رغم"]، وما شابههما، تقترن فعلا بمركّب جُمَليّ تابع يُلغَى معروضه. وهذا الأمر لا يناقض كونَ ذلك المركّب الجُمَليّ مشابها للمركّب الآخر في البروز والأهميّة. فالعرض مسألة إحالةٍ، لا مسألة أهمّيّة، ولئن كان نوعا من البروز فليس النّوعَ الوحيد منه. ومقارنة بروح العطف كذلك، تكون العلاقة بين المركّبين الجُمَليّين غير متناظرة في صميمها: الجملة [*I said it because I meant it* "قلت ذلك لأنّني قصدته."] تختلف اختلافا كبيرا عن [*I meant it because I said it* "قصدت ذلك لأنّني قلته."]. وما يؤكّد عدم التّناظر بينهما، إمكانيّةُ تعويض المركّب الجُمَليّ المعنيّ ببنية غير مركّبيّة جُمَليّة. في (13)، تكون هذه البنية مجرّد محوِّر، إذ يلغَى معروضُها اللاّعمليّاتيّ بالمعروض العمليّاتيّ الوارد في المركّب الجُمَليّ الّذي تحوّره.

(13) (أ) *I said it **because of** her comment.*
قلت ذلك بسبب تعليقها.

(ب) ***Though** poor, the family was always well dressed.*
رغم فقرها، كانت العائلة دائما أنيقة.

(ج) *They began arguing **before** dinner.*
شرعوا يتخاصمون قبل العشاء.

(د) ***While** common, the term is never clearly defined.*
لئن كان المصطلح متواترا، فإنّه لا يعرّف أبدا تعريفا واضحا.

نحـن قادرون بهذه المقاربة على أن نحافظ على تمييز واضح مُحدّد بدقّة بين العطـف والتّبعيّة المركّبيّة. ولكـن هل هذا التّمييز دقيق حقّـا؟ كنّا قد رأينا أنّ الأبنيـة المتعاطفة تُظهر من عدم التّناظر أنواعـا مختلفة ودرجات متنوّعة. ألا ينبغـي علينـا كذلك أن نتوقّع العكس، أي أن تَنزَع بعـض الأبنية التّابعة إلى التّناظر؟ فعوضا عن تفريع ثنائيّ صارم يمكننا أن نتصوّر مسبقا حدودا غائمة في الحالات الانتقاليّة. وممّا يتّصل بهذا مسألة تتعلّق بمدى تحديد المعروض: حجم البنيـة الأقصى الّذي يكون فيه معروضٌ واحـدٌ غالبا. ومن البديهيّ أنّ معروضا واحـدا يغلب في إسـمائيّ واحد أو مركّب جُمَليّ واحد - فعبـارة [*a tasty spider* "عنكبوت لذيذ"] لا تعرض إلاّ العنكبوت، و[*she quickly swallowed a spider* "(هي) بلعت بسـرعة عنكبوتا"] تعرض عمليّة البلع فقط. لكن ليس من البديهيّ، أنّه ينبغي علينا أن نحلّل جملة مركّبة تحتوي على مركّبات جُمَليّة منتهية متعدّدة، دائمـا، على أنّها لا تحيل إلاّ على مرجع وحيد شـامل. فبقدر ما تكون الجملة أمضى في التّركّب (ولا وجود لحدّ أقصى في طبيعتها)، يبدو ذلك متهافتا.

ولئن كانت هذه المسـألة غير ذات حلّ، يمكن أن يتبلور مقترح معقول كما يلي. العامل الحاسـم هو التّجذير. فالأرضيّة، مأخوذةً في معناها الحرفيّ تقريبا، هي زاويةُ النّظر الّتي تدرَك من خلالها البنية المجذّرة. فيبدو، على هذا، مـن الطّبيعيّ أن نقترح أنّ التّجذير يضبط المدى في تحديد المعروض. فكلّ عيّنة من التّجذير تمثّل عمـلا إدراكيّا منفصلا، فيكون لذلك من المعقول أن يكون للمادّة المدركَة خصّيصا عبر ذلك العمل، معروضٌ شامل وحيد. وهذا الأمر لا يتسـبعِد أن تُلغِيَ بنيةٌ مجذّرة معروضَ بنية أخرى إذا كان هذا الأخيـر مركزيّا فـي توصيفها. ففـي (11) (ج)، مثلا، تلغـي [*this money* "هذه النّقـود"] المعروضَ العمليّاتيّ للمركّب الجُمَلـيّ الموصول [*we stole* "(الّتي) اختلسـناها"]، وعبارة [*is counterfeit* "مزوّرة"] تلغي المعروضَ الإسـمائيّ لعبارة [*this money we stole* "هـذه النّقود الّتي اختلسـناها"]- من حيث تسـتحضر كلّ بنيـة مجذّرة المعروضَ السّـابقَ وتتناوله من منظور آخر في مسـتوى أعلى من التّنضيد. ولكن في حالات مثـل (12)، حيث لا يترابط المركّبان الجُمَليّان المنتهيـان إلاّ ترابطا ضعيفا، لا يُسـتَبعَد أن يكون كلّ واحد منهما مدرَكا بصفة مستقلّة ولا يربَط بالآخر إلاّ من درجة ثانويّة.

تُمثِّل كيفيّة التّرابط بين المركّبات الجُمَليّة موضوعا مهمّا سأعود إليه قريبا. يوجَد نوع خاصّ من الرّبط يمثّل في ذاته بعدا من أبعاد التّبعيّة. تلك هي الحالة الّتـي يكون فيها مركّـب جُمَليٌّ موقعَ بلورة بارزا داخـل المركّب الجمليّ الآخر، وخاصّة موقعا مبأّرا على أنّه منتقل أو معلم. وإلى حدّ ما يكون به إسماءُ

المركّب الجمليّ المبلور، فإنّه يمثّل، تبعا لذلك، فاعلَ المركّب الآخر أو مفعولَه. فيكون، بذلك، المركّبُ الجُمَليّ المُسْمَى [*my winning the Nobel Prize* "فوزي بجائزة نوبل"] فاعلا للفعل [*astonish* "أذهل"] في (14) (أ) ومفعولا للفعل [*resent* "استاء"] في (14) (ب). فهو تابع للمركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ بمعنى كونه مشاركا في العمليّة المعروضة بذلك المركّب الجُمَليّ.

(14) (أ) [[*My winning the Nobel Prize*] *astonished them*.]
[[فوزي بجائزة نوبل] أذهلهم.]
(ب) [*They resented* [*my winning the Nobel Prize*].]
[(هم) استاؤوا لـ[فوزي بجائزة نوبل].]

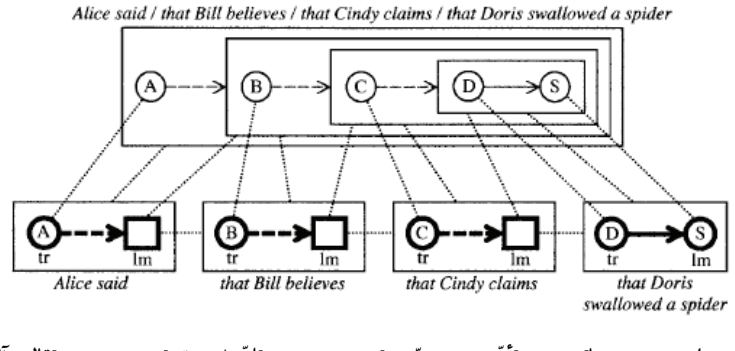
توصف المركّبات الجُمَليّة التّابعة غالبا بكونها «مضمّنة» في المركّب الجُمَليّ «الرّئيسيّ» (أو «الحاضن»). يستلزم المصطلح أنّ المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ يحتوي على المركّب الجُمَليّ التّابع واحدا من مكوّناته الدّاخليّة. قد تبدو علاقة الكلّ بالحزء هذه، الّتي يشار إليها في (14) بالمعقوفات، بديهيّة في ذاتها عندما يشتغل المركّب الجُمَليّ التّابع معلما أو منتقلا للمركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. وبطبيعة الحال، يمكن أن يكون المركّب الجُمَليّ التّابع بدوره معلما أو منتقلا مركّبيا جُمَليّا، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية له. وتتمثّل النّتيجة البديهيّة في نوع التّضمين المعروض في (15) (أ)، حيث لا يوجد حدّ طبيعيّ لعدد المستويات.

(15)
(أ) [*Alice said* [*that Bill believes* [*that Cindy claims* [*that Doris swallowed a spider*]]].]
[قالت آليس [إنّ بِل يعتقد [أنّ سيندي تدّعي [أنّ دوريس بلعت عنكبوتا]]].]
(ب) [*Alice said*] [*that Bill believes*] [*that Cindy claims*] [*that Doris swallowed a spider*].
[قالت آليس] [إنّ بِل يعتقد] [أنّ سيندي تدّعي] [أنّ دوريس بلعت عنكبوتا].

ونادرا ما تكون المكوّنيّة في (15) (أ) محلّ سؤال. ولكن ربّما كان ذلك أمرا لازما. فمن العوامل الّتي كان جميع النّاس يقرّون بكونها مشكلة، أن يكون التّضمين الّذي يسنَد إلى هذه العبارات مخالفا تماما لتحقّقها الصّوتميّ. فالتّنغيم يوحي بكون البنية غير مضمّنة في (15) (ب): كلّ مركّب جُمَليّ وحدة تنغيميّة يحدّها وقف خفيف وتنفصل من الوحدة الواردة بعدها. وإضافة إلى ذلك، من الأسباب الرّئيسيّة الدّاعية إلى اعتماد بنية ذات طبقات، الافتراض الضّمنيّ القائل بأنّ المكوّنيّة يجب أن تعكس العلاقات

النّحويّة الأساسيّة. يُعتبَر هذا الافتراض مجانيًا، في النّحو العرفنيّ (§ 7. 4. 3). فللعلاقات النّحويّة أساس مفهوميّ ويمكن أن تُرصَد بواسطة التّناسبات بصرف النّظر عن التّرتيب المتّبع في التّوليف النّحويّ. فيكون الوصف القابل للتّطبيق على هذا ممكنا باعتماد بنية غير ذات طبقات على غرار (15) (ب).

تُعرَض البنية باختزال في الرّسم البيانيّ 12. 4 (حيث لا تظهر إلاّ التّفاصيل الأساسيّة). يدلّ كلّ مركّب جُمَليّ على علاقة ذات مشاركين اثنين. وفي جميعها، ما عدا الأخير منها، تتمثّل العمليّة المعروضة في المنتقل وهو يأخذ موقفا باعتبار قضيّة يجري تمثيلها في شكل خانة؛ هذه القضيّة الخطاطيّة هي معلمُه. وتُدمَج المركّبات الجُمَليّة المكوّنيّة بواسطة التّناسبات الّتي تطابقُ المعلمَ في مركّب جُمَليّ بالعلاقة المخصوصة الّتي يعرضها المركّب الموالي. ونتيجة لذلك، تكشف البنية المركّبة عن تنضيد ذي طبقات بوجه يتضمّن فيه كلُّ مركّب جُمَليّ المركّبَ الجُمَليّ الموالِيَ له على أنّه مشارك. ذاك هو التّضمين الّذي يرسَم في (15) (أ). غير أنّه يمثّل بشكل حاسم سمةً للبنية المفهوميّة المقترنة بالعبارة، لا مسألة مكوّنيّة نحويّة. وعوض أن يكون التّنضيد الطّبقيّ خارجيًا، بين العناصر في تجميعة رمزيّة، يكون داخليًا في القطب الدّلاليّ من البنية المركّبة (فهو لذلك أحاديّ القطب لا ثنائيّ القطب). هو تنضيد يكوّن تشكّلا لفضاء ذهنيّ: تحلّ عمليّة بلع دُوريس للعنكبوت في الفضاء الذّهنيّ الّذي يمثّل ادّعاء سيندي، هذا الّذيَ يكون بدوره في داخل الفضاء الّذي يمثّل اعتقاد بِل، وهكذا دواليك.



[أنّ دوريس بلعت عنكبوتا] [أنّ سيندي تدّعي] [إنّ بِل يعتقد] [قالت آليس]

[عنكبوت = S = spider]، [دوريس = D = Doris]، [سيندي = C = Cindy]،
[بِل = B = Bill]، [آليس = A = Alice]، [معلم = lm]، [منتقل = tr]

الرّسم البيانيّ 12. 4

وحتّى إذا ما انتفى التّضمّن الإعرابيّ، يبقى كلّ مركّب جُمَليّ تابعا للمركّب السّابق تبعيّة مفهوميّة، بمعنى أنّه يشتغل معلما له. فماذا عن العرْض؟ لاحظ أنّه لا يُشار إلى أيّ معروض لبنية مركّبة في الرّسم التّخطيطيّ. يوافق ذلك الفكرةَ السّابقة القائلة بأنّ التّجذير يرسم الحدود في مدى تحديد المعروض. وإذ تُجذَّر جميع المركّبات الجُمَليّة في (15) تجذيرا مستقلاّ، يمكن للواحد منها أن يكوّن عملا إدراكيّا مستقلاّ بذاته ذا معروض شامل للمضمون الّذي يندرج فيه. ولعلّ تلك المركّبات الجُمَليّة تحقّق هذا الإمكان رغم التّضمين المفهوميّ، بأن يدرَكَ الواحدُ منها منفصلا بدرجة أساسيّة وأن ترتبط جميعها بدرجة ثانويّة. وكما يوحي به الرّسم التّخطيطيّ، تكون النّتيجة بنيةً نحويّة شبيهة بالسّلسلة تخلو من كلّ تراتبيّة، يُربَط فيها كلّ مركّب جُمَليّ بلاحقه بواسطة تَناسُبٍ ما. ومن زاوية دلاليّة، يتمثّل هذا الرّابط في أن نتوقّع أنّ المعلم الخطاطيَّ يخصَّص تخصيصا أكثر في ما يأتي بعد ذلك. وعند القطب الصّوتميّ، يشار إلى ذلك بطريقة أيقونيّة بواسطة التّنغيم المعلَّق (الّذي يوحي بأنّ شيئا سيأتي بعد ذلك)، مقابل التّنغيم النّازل عند النّطق بالمركّب الجُمَليّ النّهائيّ. وهذا التّنضيد النّحويّ الخطّيّ لا يناقِض مطلقا تشكّلَ فضاء ذهنيّ مضمّن - إذ الواجب أن لا تكون المطابقة بين النّحو والبنية المفهوميّة، فهو عوضا عن ذلك وسيلة تُهيِّئ بناءها. ولئن استحضَرت بنية إعرابيّة شبيهة بالسّلسلة الأفضيةَ الذّهنيّةَ استحضارا تتابعيّا، فيمكن رغم ذلك أن تُجمَل تلك الأفضية وتدمَج لتنتجَ التصوّر المضمّن.

وأمّا الملابسات الّتي يتضمّن فيها مركّب جُمَليّ مركّبا جُمَليّا آخر- فارضا معروضه هو جزءا من عمل إدراك وحيد يضمّهما معا ضمّا واحدا- فتظلّ مسألة مفتوحة. ينتظر الجواب عنها تفسيرا شاملا متماسكا للنّحو، وللمعالجة الآن قوليّة، ولتوجيه الانتباه في مستويات التّنضيد المتعدّدة. وفي انتظار ذلك، علينا أن نتذكّر دوما أنّ العرض ليس إلاّ واحدا من أنواع كثيرة من البروز الّذي يتطلّب التّمييز (حتّى إذا ما اقتضى الأمر، في نهاية المطاف من التّحليل، أن يكون الرّبط بينها جميعا). ومن ضمنها، أضرُبٌ متنوّعة من البروز الخطابيّ تمثّل بعدا أخيرا من أبعاد التّبعيّة. لنفحص واحدا منها فقط فحصا موجزا.

فغالبا ما يكون المضمون الّذي يقدِّمه مركّب جُمَليّ تابع أهمّ شيء، من منظور خطابيّ. انظر في المقطع الخطابيّ الموالي:

(16) *There's something* [*you simply have to know*]. *It seems* [*that Gerald's trophy wife is really a transsexual*]. *I suppose* [*they'll get a divorce*]. *I'm telling you because* [*he'll need a good lawyer*].
هناك شيء [وجب ببساطة أن تعرفه]. يبدو [أنّ زوجة جيرالد الشّابّة الحسناء جنسها الأصليّ ذكَر حقيقة]. أعتقد [أنّهما سوف يسعيان إلى الطّلاق]. أخبرك بذلك لأنّ[ـــــه سوف يحتاج إلى محام بارع].

ففي كلّ جملة، يكون المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ عرضيّا بشكل كبير يجري أساسا لتأطير الخبر الأساس وتقديمه. وبالفعل، نحصل على خطاب منسجم غاية الانسجام (ومكافئ تماما لما ورد في (16)) بحذف المركّبات الجُمَليّة الرّئيسيّة جميعها:[7]

(17) *You simply have to know this*. *Gerald's trophy wife is really a transsexual*. *They'll get a divorce*. *He'll need a good lawyer*.
وجب ببساطة أن تعرف هذا. زوجة جيرالد الشّابّة الحسناء جنسها الأصليّ ذكَر حقيقة. سوف يسعيان إلى الطّلاق. سوف يحتاج إلى محام بارع.

ونتيجة لذلك، تساءل بعضهم في ما إذا كانت المركّبات الجُمَليّة الّتي تسمّى تقليديّا «التّابعة» تستحقّ حقيقة هذه التّسمية (طومسون 2002؛ ديسّال وطوماسلّو 2001؛ فيرهاغن 2005). وأمّا من حيث أنّها تحمل المضمون الأساسيّ، فإنّ ما يسمّى بالمركّب الجُمَليّ التّابع هو ما يؤدّي الدّور الرّياديّ دائما. وعلى عكس ذلك، يَشيع أن يكون للمركّب الجُمَليّ «الرّئيسيّ» وظيفة ثانويّة، من قبيل الإشارة إلى منزلة ذلك المضمون (مثلا، [*it seems* "يبدو"]، [*I suppose* "أفترض"]) أو التّحكّم في التّفاعل الخطابيّ ([*I'm telling you because*... "أخبرك لأنّ..."]). ولعلّه من الواجب، في حدود ما يكون ذلك كذلك، أن يحلَّل المركّب الجُمَليّ المتمّمُ على أنّه يفرض معروضَه على العبارة المركّبة، قالِبا بذلك القسمةَ التّقليديّة للمركّب الجُمَليّ إلى "رئيسيّ" مقابل "تابع"، رأسا على عقب. فمعروض المتمّم يغلب بكلّ تأكيد في (18)، حيث يلحَقُ المركّبَ الجُمَليّ الآخرَ في شكل استدراك. وحتّى في هذه الحال، يكون المتمّم تابعا بمعنى أنّه يفصح عن معلَم هذا الأخير، بكلّ تحديد.

(18) (أ) *Gerald's trophy wife is really a transsexual*, [*it seems*].

زوجة جيرالد الشّابّة الحسناء جنسها الأصليّ ذكر حقيقة، [يبدو ذلك].

(ب) *They'll get a divorce*, [*I suppose*].

سوف يسعيان إلى الطّلاق، [أفترض ذلك].

(ج) *He'll need a good lawyer*, [*I'm telling you*].

سوف يحتاج إلى محام بارع، [أنا أخبرك بذلك].

تبـرز هذه الملاحظات الحاجةَ إلى التّمييز بين أنواع مختلفة من البروز ومن أبعاد التّبعيّة. ورغم التّسمية الشّاملة، تمثّل التّبعيّة مسألة معقّدة لا يمكن العود بها إلى عامل وحيد. فما من فائدة في فرض تفريع ثنائيّ ضيّق قائم على أسـاس معيـار وحيد- يكـون اعتباطيّا ومغلّطا كذلك. فـلا يمكننا أن نهتدي إلى الكيفيّـة الّتي بها تعمل حقّا الجمل المركّبة، إلاّ بالتّمييز بين العوامل الفاعلة وبتعميق البحث فيها. وسـوف نستكشف في الأقسـام الموالية بعض المظاهر من هذا المسألة.

12. 2 التّرابطات المركّبيّة الجُمَليّة

تقبـل المركّبات الجُمَليّـة الّتي تعتبَر تقليديّا تابعة، القسـمة بصفة تقريبيّة إلـى مجموعات ثلاث واسـعة: المركّبـات الجُمَليّة الظّرفيّـة، والموصولة، والمتمّمة. وكنّا رأينا أنّ هذه المركّبات الجُمَليّة لا تكون دائما تابعة بمعنى أنّ معروضها يلغَى بمعروض المركّب الجُمَليّ «الرّئيسيّ» (أو «الحاضن»). والخصائـص المحدِّدة الأخـرى - بما في ذلك حضور عنصـر مُتبِع وغياب العناصر الّتي تتطلّبها جملة تامّة مسـتقلّة- ليسـت متماسكة تماسكا شاملا. وهناك عامل أساسـيّ إضافيّ يسـتوجب النّظر: كيـف تترابط المركّبات الجُمَليّة الواحد منها مع الآخر. فعلى هذا الأسـاس، يقوم بصفة رئيسيّة التّمييزُ بين الأنواع الثّلاثة من المركّبات الجُمَليّة التّابعة والمركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ، وبين الواحد منهما والآخر.

12. 2. 1 المركّبات الجُمَليّة الظّرفيّة

المركّبـات الجُمَليّـة الظّرفيّـة هـي المركّبـات الّتي تكـون وظيفتها إزاء المركّب الجُمَليّ الرّئيسـيّ تقريبا مشـابهة لوظيفة الظّروف الّتي ليسـت

بمركّب جُمَليّ. فهي تُقيِّد العمليّة الّتي يعبّر عنها المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ باعتبار عوامل من قبيل الزّمن، والوسيلة، والسّبب، والغاية، وتقترن في بعض الحالات بنفس العناصر المستعملَة مع الظّروف الأخرى:

(19) (أ) *Alice left* {*before midnight* / *before Bill arrived*}.

انصرفت آليس {قبل منتصف اللّيل/ قبل أن يصل بِلّ}.

(ب) *They got the contract* {*through bribery* / *by bribing the key administrators*}.

(هم) حصلوا على العقد {عن طريق الرّشوة/ بإرشاء المسؤولين الكبار}.

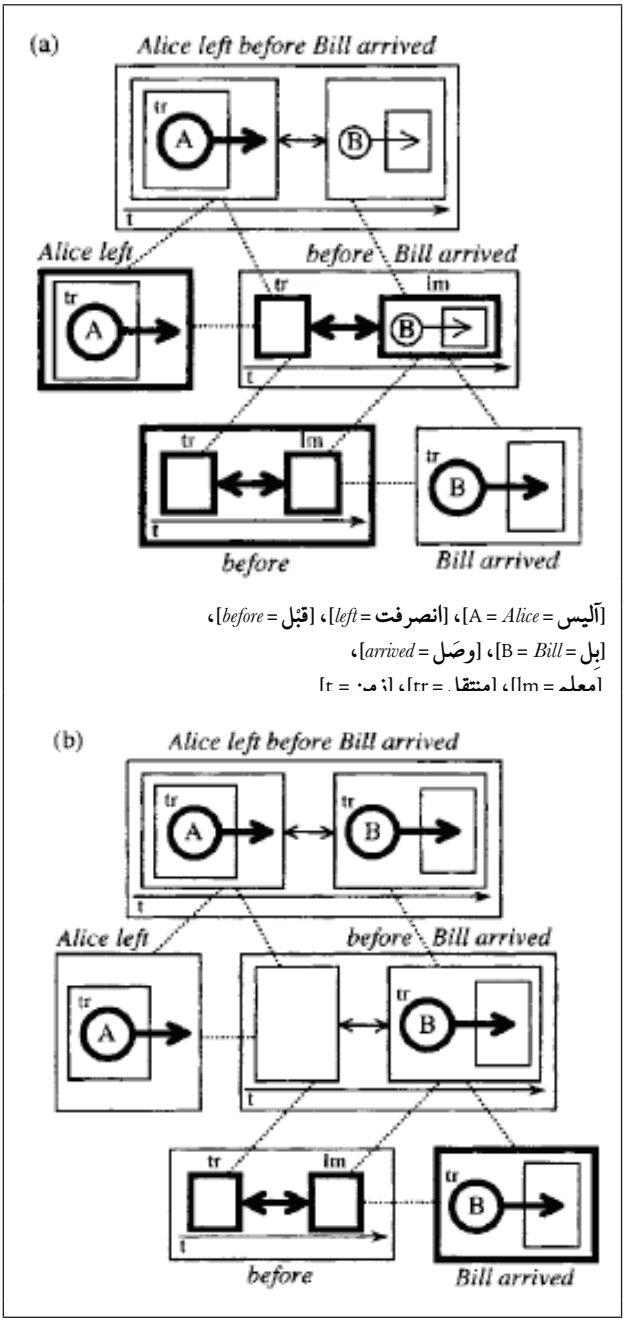
(ج) *Progress was slow* {*because of the rain* / *because it was raining so hard*}.

كان التّقدّم بطيئا {بسبب المطر/ لأنّ المطر كان ينزل بشدّة كبيرة}.

(د) *He'll do anything* {*for attention* / (*in order*) *to attract attention*}.

(هو) سيفعل أيّ شيء {لجلب لانتباه/ لـ(كي) يجلب الانتباه}.

وإذ يمكن أن يقيِّد المركّبُ الجُمَليّ الظّرفيّ المركّبَ الجُمَليّ الرّئيسيّ بطرق كثيرة مختلفة، يوجد عادة عنصر ما يخصِّص طبيعة العلاقة بينهما. ومن جملة هذه الرّوابط في الإنجليزيّة نجد [*before* "قبل"]، و[*after* "بعدَ"]، و[*when* "عندما/ متى"]، و[*while* "لمّا/ عندما"]، و[*until* "حتّى"]، و[*if* "إن"]، و[*by* "بـ، عند"]، و[*because* "لـِ/ بسبب"]، و[*since* "منذ/ إذ"]، و[*despite* "رغم"]، و[*unless* "أو+ مضارع منصوب/ شريطة أن"]، و[*although* "رغم"]، و[*in order to* "لكي/ لأجل"].[8] وتجري بعض هذه االرّوابط ([*despite*]، [*since*]، [*by*]، [*until*]، [*after*]، [*before*])، حروفا تكون لها مفاعيلُ إسمائيّة. وهي تشبه جميعا الحروفَ بحكم أنّها تعرض علاقات لاعمليّاتيّة لكلّ واحدة منها منتقل ومعلم في آن.[9] وعبر هذه العلاقة يقوم الرّبط بين المركّبَين الجُمَليّين. فالمركّب الجُمَليّ الظّرفيّ يخصِّص باستمرار معلمَ الرّابط، ويخصّص المركّب الجُمَليّ الحاضنُ منتقلَه. ففي (19) (أ)، مثلا، يخصَّص معلَم [*before* "قبْل"] بالمركّب الجُمَليّ المنتهي [*Bill arrived* "بِلّ وصَل"]، ويخصَّص منتقلُه بالمركّب الجُمَليّ [*Alice left* "آليس انصرفت"]. يُستحضَر حدث الوصول كائنا من بِلّ لتعيين الموقع الزّمنيّ للانصراف كائنا من آليس. فيكون على هذا التّنضيدُ الشّامل لهذه الجملة كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 12. 5.



[آليس = *Alice* = A]، [انصرفت = *left*]، [قبْل = *before*]،
[بِل = *Bill* = B]، [وصَل = *arrived*]،
[معلم = lm]، [منتقل = tr]، [ز من = t]

الرّسم البيانيّ 12. 5

يرد بديلان لا يختلفان إلاّ في ما يُعرَض في مستوى البنية المركّبة. فالرّسم البيانـيّ 12. 5 (a)، يفتـرض أنّ العبارتين فـي (19) (أ) متماثلتان تماثلا دقيقا: همـا لا تعرضان إلاّ حدثَ انصراف آليس، سـواء أكان المعلَم الزّمنيّ شـيئا ([*midnight* "منتصف اللّيـل"]) أم حدثا آخر ([*Bill arrived* "بِلّ وصل"]). فتكون بهذا التّفسير، عبارةُ [*before Bill arrived*] مجرّد محوِّر ظرفيّ، وتكون [*Bill arrived*] تابعـة بمعنـى أنّ معروضَها قد جـرى تعويضه في المسـتويات العليا. ومقابل ذلك، يفترض الرّسم البيانيّ 12. 5 (b) – وهو يعكس الازدواج في المصطلح "رابط التّبعيّة"– أنّ كلا المركّبين الجُمَليّين المنتهيين يحافظ على معروضه في العبارة الشّـاملة. وعلى هذا التّفسير، تكون الجملة أساسا بنيةَ عطف ذات معروضيـن متواجدين. لكنّها لا تمثّل حالة صِرفـا من العطف حيث يكون المتعاطفـان عنصرين متسـاويين في علاقـة تناظريّة. وهما غيـر متوازيين لأنّ الرّابـط [*before* "قبـل"] يربط بينهما ربطا لاتناظريّا مـن حيث تصفيف المعلم/ المنتقـل. فرغم أنّ كلا الحدثين معروض، تتموقع العبارة [*Alice left* "انصرفت آليس"] زمنيّا باعتبار [*Bill arrived* "بِلّ وصل"]، لا العكس.

أيّ التّحليلين صحيح؟ ربّما كان كلاهما صحيحا. يمكن لمركّب جُمَليّ منته، بحكم أنّه يشـتمل على التّجذير رابطـا الحدوثَ المعروضَ بالمتحاوريـن وبحدث القول تبعا لذلك، أن يُدرَك بصفة مسـتقلّة على أنّه جملة تامّة. فكـون المركّب الجُمَليّ مكتفيا بذاته على هذا النّحو، يمكّنه مـن بعض الصّمود ضـدّ التّبعيّة لمركّب جُمَليّ آخـر بمعنى أنّه يمنـع إلغاء معروضـه. فيحتمل أن يكون للمتكلّميـن خيار الإبقاء على معروضه اعتمادا على الوزن والقيمة الّتي تكون لمضمونه الدّلاليّ، وعلى منزلتـه في الخطاب كذلك. فما من شـكّ فـي أنّ المركّب الجُمَليّ المقتـرن بـ[*before* "قبل"]، في الأمثلة من قبيل (20) حيث يحملُ المضمونَ الأساسيّ، يؤخذ مباشرة في ذاته وبذاته، لا في علاقته بعبارة [*Alice left* "آليس انصرفت"] فقط.

(20) *Alice left just before a sprinkler malfunction soaked all the guests.*
انصرفت آليس قبيل أن يبلّل عطبٌ في رذّاذ الحرائق جميع الضّيوف.

وفـي كلّ واحد من التّحليلين الواردين في الرّسـم البيانـيّ 12. 5، تَجمَع الرّوابطُ المركّبين الجُمَليّين الحاضنَ والظّرفيَّ بتخصيص طبيعة العلاقة بينهما: زمنيّة (مثـل، [*until*]، [*after*]، [*before*])، سـببيّة ([*since*]، [*because*])، اسـتدراكيّة

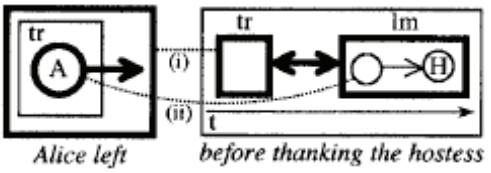
([*despite*]، [*although*])، شـرطيّة ([*provided that*]، [*if* "شريطة أن"])، وما إلى ذلك. وغالبا ما تكون بينهما ترابطات أخرى. تكون هذه التّرابطات خاصّة بالإحالة العائديّة، مثل العلاقة بين الضّمير ومفسّره السّابق عليه. وبذلك، يحيل الضّمير [*she* "هي"] في (21) (أ)، إحالة عائديّة على [*Alice* "آليس"]. ونلاحظ نوعا آخر من الرّبط الإحاليّ العائديّ في (21) (ب). فالفعل [*do* "فعل"] خطاطيّ في أقصى الدّرجات بالنّظر إلى النّوع (فهو مكافئ لخطاطة قسم الفعل). فنحن لا نعرف أيّ عمل قام به بِلّ إلاّ من خلال علاقته العائديّة بالفعل [*leave* "انصرف"] الوارد في المركّب الجُمَليّ الحاضن.

(21) (أ) ***Alice** left before **she** could thank the hostess.*
انصرفت آليس قبل أن تتمكّن (هي) من شكر المضيّفة.

(ب) *Alice **left** before Bill **did**.*
انصرفت آليس قبل أن يفعل بِلّ (ذلك).

(ج) *Alice left before thanking the hostess.*
آليس انصرفت قبل شكر المضيّفة.

وعندما يكون المركّب الجُمَليّ الظّرفيّ غير منته، يكون خلوا من الفاعل الظّاهر. ومن أمثلة ذلك العبارة الواردة في (21) (ج) حيث تقترن لاحقة نزع الزّمانيّة [*-ing*] ببناء الفعل، بدلا من التّجذير. في هذه الحالة، لا يُبلوَر ببساطة المنتقلُ المركّبيّ الجُمَليّ بمكوّنٍ إسمائيّ. ولكنّه يبقى قابلا للتّحديد - فآليس في (21) (ج)، هي من يشكر المضيّفة. ويتحقّق تعيينه من خلال تناسُبِه مع مشارك في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ، يكون في العادة منتقله.[10] فيكون بذلك الدّمجُ بين [*Alice left*] و[*before thanking the hostess*] كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 12. 6. يعادل التّناسب (i) العبارة الأولى بالمنتقل الشّامل في العبارة الأخيرة، تماما كما يكون في الرّسم البيانيّ 12. 5 (a). يقيم هذا الأمرُ الرّبطَ الرّئيسيّ بين المركّبين الجُمَليّين الحاضن والظّرفيّ. وبالإضافة إلى ذلك، يطابق التّناسبُ (ii) منتقلَ المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ بالمنتقل الخطاطيّ للعمليّة منزوعة الزّمن الّتي تؤدّي دور معلم العبارة الظّرفيّة الشّاملة. وعند مستوى البنية المركّبة (وهو لا يظهر في الرّسم البيانيّ) تُعيَّن آليس، بناء على ذلك، بكونها الشّخص الّذي ينصرف والشّخص الّذي يشكر المضيّفَة، في آن.



[آليس انصرفت] [قبْل شكر المضيّفة]

[آليس = *Alice* = A]، [انصرفت = *left*]، [قبْل = *before*]،

[شكر = *thanking*]، [المضيّفة = *hostess* = H]،

[معلم = lm]، [منتقل = tr]، [زمن = t]

الرّسم البيانيّ 12. 6

وبطبيعة الحال، نفهم العبارة (21) (ج) على أنّها تدلّ على أنّ آليس، رغم دورها المتمثّل في كونها الشّخص الّذي يشكُر، لم تفعل ذلك حقيقة. هذه مسألة استلزام، تتأسّس على سيناريو الحفل القياسيّ. ذاك يفترض أنّ المضيّفة في المنزل الّذي أقيمَ فيه الحفلُ (لا في الشّارع خارج البيت) وأنّ شكر المضيِّفة يكون فوريّا وحضوريّا (لا بعد الحفل، بالهاتف). والانصراف قبل الشّكر، بحكم هذه المسلّمات المحايدة، يمنع حدوث الشّكر. لاحظ أنّ تعويض [*before*] بـ[*after*] يقلب الاستلزام: [*Alice left after thanking the hostess* "انصرفت آليس بعد شكر المضيّفة"]، يستلزم أنّها شكرتها بالفعل. ولكنّ تحقّقَ الحدث أو عدم تحقّقه يتحدّد ضرورة من خلال الاستنتاج لأنّ المركّب الجُمَليّ الّذي يصفه غير منته؛ عارٍ من التّجذير؛ ولا وجود لإشارة مباشرة إلى منزلته الإبستيميّة. ومقابل ذلك، يصف المركّب الجُمَليّ الحاضنُ المجذَّر ([*Alice left* "انصرفت آليس"])، وصفا ظاهرا، الحدثَ المعروض بأنّه واقعيّ (من خلال غياب عنصر جهيّ) وجار في وقت سابق على زمن التّكلّم (من خلال تصريف الزّمن الماضي). تستحضَر هذه التّخصيصات، حينئذ، أساسا جزئيّا يقوم عليه استنتاج منزلة الشّكر- جنبا إلى جنب مع العوامل الأخرى الّتي أشرنا إليها في ما مضى.

يمثّل حضور التّجذير مقابل غيابه واحدا من مظاهر عدم التّناظر الّذي يبرّر تسمية المركّب الجُمَليّ بـ"الرّئيسيّ" مقابل "التّابع". في العبارات ذات

المركّبين الجُمَليّين، يكون المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ عادة منتهيا، في حين يكون المركّب الجُمَليّ التّابع في الأغلب الغالب غير منته.[11] فيمكن أن يكون تبعا لذلك هذا الأخير عالة على الأوّل في التّخصيصات المتنوّعة الّتي تحتاج إليها قضيّة تامّة. ففي (21) (ج)، تحيل [*Alice left*] على حدوث مخصوص - عيّنة خاصّة من الانصراف يكون من فرد بعينه- يكون في موقع ما باعتبار حدث القول وتصوّر المتكلّم للواقع. ومقابل ذلك، لا تكفي عبارة [*thanking the hostess* "شكر المضيّفة"] بدورها، لتفرد عيّنة مخصوصة من الشّكر أو لتحدّد منزلتها الإبستيميّة. فلو حاولنا تأويلَها بشكل مستقلّ، فإنّنا نتصوّر العمل المقصود تصوّرا تجريديّا، من حيث هو توصيف عامّ قابل للانطباق على مجموعة ذات نهاية مفتوحة من العيّنات. فترابطاتُه بالمركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ فقط هي ما يفرد حدوثا مخصوصا يمكن أن يقيَّم موقعه إزاء الواقع المتصوَّر.

يتمثّل عامل مفتاح في قيام التّرابطات المركّبيّة الجُمَليّة، في ما إذا كان المشاركان البؤريّان الواردان في المركّبين الجُمَليّين- خاصّة منتقلاهما- شيئا واحدا أو مختلفين. في (21) (ج)، تشتغل آليس منتقلا في كلّ من المركّبين الجُمَليّين الحاضن والظّرفيّ، كما يشار إلى ذلك بالتّناسب (ii) في الرّسم البيانيّ 12. 6. فالتّطابق أو الاختلاف بين المنتقلين المركّبيّين الجُمَليّين مهمّ إلى حدٍّ يجعل اللّغات تسِمه وسما ظاهرا. ففي اللّغة الهوبيّة، مثلا، عناصر الرّبط من قبيل [*-t* "بعد"]، و[*-kyang* "عندما/ أثناءَ"] و[*-'e* "إن"] تسم خصّيصا الفواعل في المركّبات الجُمَليّة بأنّها متماثلة (SS). وجميع تلك العناصر تُعوَّض بلاحقةِ [*-q*] عندما تكون الفواعل مختلفة (DS):

(22) (أ) *Nu'* *paki-t* *pu'* *qatuwtu*.
I enter-after:SS then sit:down
أنا دخل- بعد: **تماثل** ثمّ جلس
«بعد الدّخول، أنا جلست.»

(ب) *Nu'* *paki-q* *pu'* *pam* *qatuwtu*
I enter-DS then he sit:down
أنا دخل: **اختلاف** ثمّ هو جلس
«بعد أن دخلت، هو جلسَ.»

تبيـن هذه البنية الهوبيّة، عن مظهر آخر من هشاشـة التّمييز بين المركّبين الجُمَليّين الرّئيسيّ والتّابع، وبين العطف والتّبعيّة بالاستتباع. ورغم أنّ للمركّب الجُمَلـيّ الأوّل وظيفـةً ظرفيّةً، تبدو البنية عطفا، بمعنـى أنّ الحدثين كليهما معـروض بالطّريقة الّتي ترد في الرّسـم البيانـيّ 12. 5 (b). يكون المركّب الجُمَليّ الظّرفيّ تابعا بمعنى أنّه موسـوم وسما خاصّا بواسطة اللاّحقة الرّابطة، الّتـي تجري (مثل [*to*] و[*-ing*] فـي الإنجليزيّة) عوضا عن التّجذير. وفي الوقت نفسـه، يكـون المركّب الجُمَلـيّ الظّرفيّ فـي الأمثلة من قبيـل (22) (أ)، المركّـبَ الّذي يكون لـه فاعل ظاهر ويوفّر بهذا الاعتبار الأسـاس لتأويل المركّـب الجُمَليّ الحاضن. ولا تثير الضّبابيّة في ذينك التّمييزين التّقليديّين مشـكلا فـي النّحو العرفنـيّ الّذي يسـتحضرهما في حدود مـا يكونان به صالحيـن. وتقبل حـالات خليطُ الوصـفَ الفوريّ المباشـر بأن تتنـوّع فيها التّفاصيل الخصوصيّة للتّجميعات الرّمزيّة.[12] فالأساس هو أن يجري توصيف كلّ لغة وكلّ بنية في ذاتها.

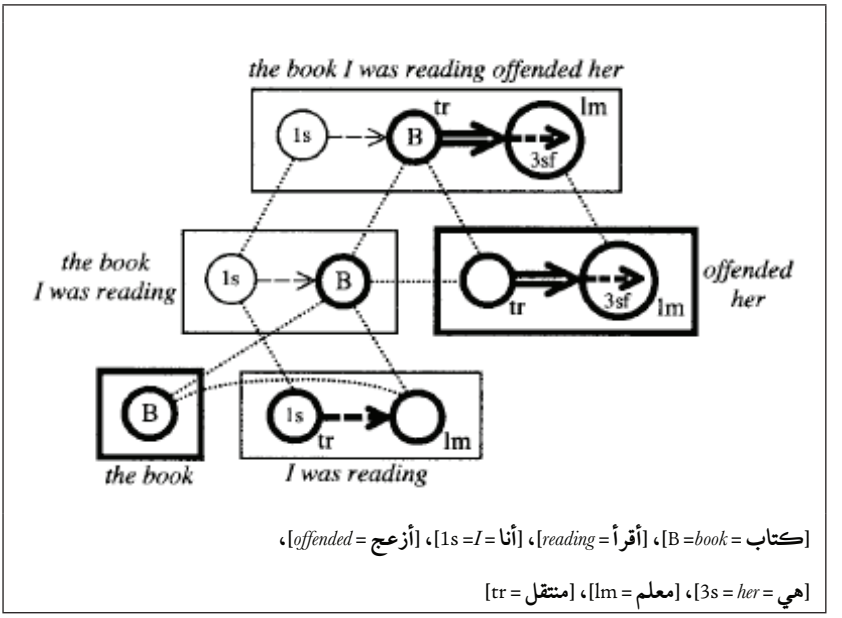
12. 2. 2 المركّبات الجُمَليّة الموصولة

لئن حـوّر المركّب الجُمَليّ الظّرفيّ مركّبـا جُمَليّا آخر، فإنّ المركّب الجُمَليّ الموصول يحوّر عبارة إسـمائيّة. فالعلاقة الرّئيسـيّة، بناء على ذلك، هي التّناسـب بين المرجع الإسمائيّ ومشـارك ما في العمليّة الّتي يدلّ عليها المركّب الجُمَليّ الموصول. فيكون لذلك المشـارِك، ويسمّى في بعض الأحيـان المِفصَـل، دور دلاليّ في كلّ مـن المركّب الجُمَلـيّ الموصول والمركّب الجُمَليّ الحاضن الّذي يشتمل على الإسمائيّ المحوَّر. فالمركّب الجُمَليّ [*I was reading* "(أنا) كنت أقرأ"]، في (23) مثلا، يحوّر [*book* "كتاب"]. والكتـاب الّذي تجري الإحالة عليه هو المفصَل. ويؤوَّل بكونه في آن واحد منتقلَ المركّب الجُمَليّ الحاضن حيث يشـتغل فاعلا بشكل ظاهر، ومعلمَ المركّب الجُمَليّ الموصول.

(23) *The book I was reading offended her.*
الكتاب الّذي كنت أقرأ(ـه)، أزعجها.

تُعرَض التّفاصيل المهمّة للعبارة الواردة في (23) في الرّسم البيانيّ 12. 7.[13] ويعادل التّناسـبُ الأساسـيّ معـروضَ [*the book*] بالمعلم الخطاطـيّ لعبارة [*I*

was reading]. ومـن حيـث كان الأوّل محدِّدَ المعـروض (أي الرّأس البنائيّ)، دلّت العبارة المركّبة على الكتاب لا على عمليّة قراءته. والنّتيجة إسـمائيّ مركّـبٌ هـو [*the book I was reading*] الّـذي يخصّص منتقـلَ [*offended her*] عند مسـتوى أعلى من التّنضيد. فتُظهِر بذلك البنيةُ الواردةُ في أعلى المسـتويات والّتي تمثّل المعنى المركَّب المَقترن بالجملة ككلّ، أنّ للكتاب دورين: يشـارك في كلّ مـن عمليّة الإزعاج (وهي المعروضة في هذا المسـتوى) وعمليّة القراءة.



الرّسم البيانيّ 12. 7

تختلـف اللّغات والأبنية باعتبـار دور المفصَل داخـل المركّب الجُمَليّ الموصول. ففي بعض اللّغـات، لا يمكن أن يكون مفصلا إلاّ المنتقلُ. هذا التّقييد مشـترَك بين المركّبات الجُمَليّة غير المنتهية في الإنجليزيّة، من مثل المركّبات الجُمَليّة الموصولة الموسومة بـ[*-ing*] (الدّالّة على غير التّدريجيّ).[14] فيمكـن لذلك أن نقول [*the monkey climbing that tree*] "القرد (الّذي) يتسـلّق تلك الشّـجرة"]، ولكن يمتنع أن نقول [*the tree that monkey climbing*] "*الشّجرة الّتي ذلك القرد يتسـلّقها"]. وفـي أغلب اللّغات، يمكن للمفصَل كذلك أن يكـون المعلـمَ المركّبيّ الجُمَلـيّ، وتتوفّر خيارات أخـرى في الغالب.

والإنجليزيّة على وجه الخصوص ذات طواعية كبيرة في هذا الصّدد. وفي المركّبات الجُمَليّة الموصولة المنتهية، يمكن أن يكون المفصل كذلك مالكا ([*the girl whose cat you stole* "البنت الّتي سرقتَ (أنت) قطّها"])، أو مفعولا لحرف ([*the magazine I got the information from* "المجلّة الّتي أستقيت الخبر منها"])، أو مشاركا في مركّب جُمَليّ متمّم وارد داخله ([*the dress she persuaded her daughter to buy* "الفستان الّذي أقنعت (هي) ابنتها بشرائه"]) - عندما يكون المركّب الموصول بدوره مركّبا.

وفي جميع الحالات، يكون للمفصل دور نحويّ محدّد داخل المركّب الجُمَليّ الموصول. فيكون باطّراد منتقلا لعنصر علائقيّ صريح أو معلما له، من مثل معلم الفعل [*read*] في الرّسم البيانيّ 12. 7. ولكن توجد أيضا أبنية موصولة تكون فيها العلاقة ذات نهاية مفتوحة دلاليّا، وغير محدّدة نحويّا. وفي هذه الأبنية، لا يرتبط المفصل بالضّرورة بأيّ موضع نحويّ خاصّ أو بعلاقة ذات تشفير صريح. وكلّ ما يحتاج إليه، أن يكون قابلا للاستدلال عليه سياقيّا وقابلا للتّأويل على أنّه مربوط، وإن بشكل غير مباشر، بالمضمون الظّاهر. ومن هذا القبيل، بنية الموصولات الموسومة بعلامة [*pu*] في اليونانيّة الحديثة (نيكيفوريدو 2005). فعلى سبيل المثال، لا يكون للرّأس الاسميّ [*dieta*] في (24) دور نحويّ مخصوص في المركّب الجُمَليّ الموصول، ولا يناسب كذلك مشاركا بؤريّا للفعل 'مات'. ولكن العلاقة بالموت، يمكن أن تستنتج على أساس المعرفة العامّة، بشكل يسمح بانبثاق تصوّر مركّب منسجم.

(24) *Mu eδose mja δieta pu praɣmatika peθenis.*
me he:gave one diet that really you:die
أنا أعطى:هو واحدة حمية الّتي حقّا مات:أنت
'He gave me a diet that [if you follow it diligently] you [can] really die'
‹هو أعطاني حمية [إن أنت اتّبعتها باستمرار] أنت [يمكن] حقّا تموت›
(أشار عليَّ بحمية لو اتّبعتَها لكان موتك محقّقا).

تتجلّى العناصر المفصليّة الموصولة بطرق متنوّعة، وبالعلامة الصّفر في المتواتر من الجمل. ففي (23)، لا يعبَّر عن معلم الفعل [*read* "قرأ"] في المركّب الجُمَليّ الموصول ذاته. وعوضا عن ذلك، كما يُرى في الرّسم

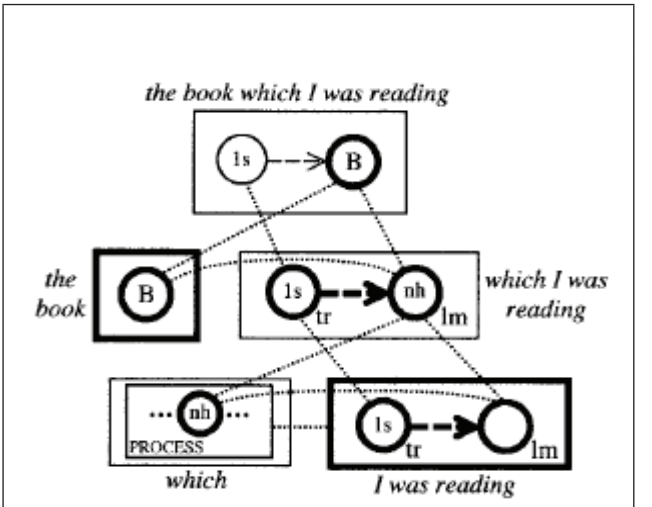
البيانيّ 12. 7، يُحدَّد معلمُه من خلال التّناسب مع معروض الإسمائيّ الّذي يشتغل فاعلا للمركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. وبناء على ذلك، يحدِّد [*the book*]، حقيقة، معلمَ الفعل [*read*]، كما يحدّد منتقلَ الفعل [*offend*]. ويمكن للمفصَل أن يتجلّى في شكل ضمير. وهذا الضّمير يمكن أن يكون ضمير شخص يظهر في موقعه العاديّ من المركّب الجُمَليّ، كما في (25) (أ) حيث يعود الضّمير [*they* "هم"] على [*a cheap pair of glasses* "نظّارات بخسة الثّمن"]. وبدلا من ذلك، تملك لغات قليلة ضمائر موصولة خاصّة، مثل [*who*] و[*which*] الإنجليزيّين اللّذين يجريان باطّراد في بداية المركّب الجُمَليّ. لاحظ أنّ [*which*] يرد في بداية المركّب الجُمَليّ في (25) (ج)، رغم أنّه يشتغل مفعولا به للمركّب الجُمَليّ (الّذي يرد بعد الفعل في العادة).[15]

(25) (أ) *He bought* ***a cheap pair of glasses*** *that he doesn't care if* ***they*** *get broken.*
(هو) اشترى نظّارات بخسة (الثّمن) لا يأبه لها إن (هي) انكسرت.

(ب) *The people* ***who*** *bought that house must be very wealthy.*
النّاس الّذين اشتروا ذلك المنزل يجب أن يكونوا أثرياء كثيرا.

(ج) *The book* ***which*** *I was reading offended her.*
الكتاب الّذي كنت أقرأ أغضبها.

يجري عرض العبارة [*The book which I was reading*] عرضا تقريبيّا مختزلا في الرّسم البيانيّ 12. 8. وخلافا للعبارة [*the book I was reading*] (الرّسم البيانيّ 12. 7)، لا يكون للمركّب الجُمَليّ الموصول مفعول به ظاهر: فالموصول [*which*] يؤدّي تلك الوظيفة، رغم موقعه (غير المعهود من المفاعيل) في بداية المركّب. والمقصود بعلامة تمثيل الضّمير الموصول، الإشارة إلى أنّه يعرض شيئا موصَّفا فقط بكونه غير عاقل (nh)، وبكونه ذا دور ما في عمليّة ما. ويطابق التّناسبُ هذه العمليّةَ الخطاطيّةَ بالعمليّة المخصَّصة أكثر الّتي يدلّ عليها ما تبقّى من المركّب الجُمَليّ ([*I was reading* "كنت أقرأ"]). ويعادل التّناسب الآخر الشّيءَ الّذي تعرضه [*which*] بمعلم تلك العمليّة جاعلا [*which*] مفعولا لها. ثمّ يُدمَج المركّب الجُمَليّ الموصَول النّاتجُ [*which I was reading*]، مع [*the book*] بالضّبط كما كان ذلك في المثال السّابق. لاحظ أنّ [*the book I was reading*] و[*the book which I was reading*] لهما البنية الدّلاليّة المركّبة نفسها. ولذلك لا تساهم [*which*] مساهمةً بارزة في المضمون المفهوميّ للعبارة الشّاملة، ولكنّها تجعل بنيتها أوضَح.



[كتاب = *book* = B]، [أقرأ = *reading*]، [أنا = *I* = 1s]،

[معلم = lm]، [منتقل = tr]، [غير عاقل = nh]،

[عمليّة = PROCESS]

الرّسم البيانيّ 12. 8

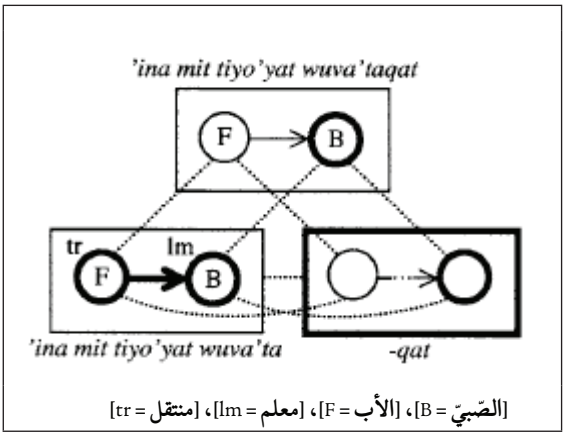
يكون على هذا، للبنية الموصولة، في العادة، مكوّنان: عبارة إسمائيّة تخصّص نوعا أساسيّا، ومركّب جُمَليّ يساعد على تحديد عيّنة مخصوصة من ذلك النّوع. ويدمَجان لتكوين إسمائيّ من مستوى أعلى من خلال التّناسب بين معروض الإسمائيّ ومشاركٍ خطاطيّ من المركّب الجُمَليّ. لكنّ جوهر أبنية المركّب الجُمَليّ الموصول لا يَكمُن في أيّ تشكّل بنيويّ مخصوص. فسِمتها الأساسيّة دلاليّة: المركّب الجُمَليّ الموصول مركّب يُستدعى لتوصيف مرجع إسمائيّ يتحدّد بكونه مشاركا في العمليّة الّتي يعبّر عنها المركّب الجُمَليّ. ولئن كانت المركّبات الجُمَليّة الّتي فحصناها إلى هذا الحدّ، قياسيّة، فهي ذات تنوّع بنيويّ كبير إلى حدّ ما. لقد رأينا، مثلا، أنّ المكوّنات الإسمائيّة والمركّبيّة لا تتوالف دائما توالفا مباشرا لتكوين مكوّن نحويّ ما. وقد عرض الرّسم البيانيّ 10. 10، الدّمجَ بين مركّبين جُمَليّين، هما [*the package arrived* "الطّرد وصل"] و[*that I was expecting* "الّذي كنت أنتظر"]، لاشتقاق جملة مركّبة يوصِّف فيها المركّب الجُمَليّ الموصول الفاعلَ في المركّب الجُمَليّ الحاضن رغم أنّهما غير متجاورين.

وممّا يختلف عمّا مضى، اختلافا لافتا، الأبنيةُ الموصولةُ الّتي يكون فيها المكوّن الإسمائيّ والمكوّنات المركّبيّة الجُمَليّة غير متمايزة. ولئن اختلفت التّفاصيل، فإنّ سمة مشتركة بين هذه الأبنية، تتمثّل في أنّ الرّأس المعجميّ - أي الاسم الّذي قدّم تخصيصَ النّوع الأساسيّ- يظهر في داخل المركّب الجُمَليّ الموصول لا خارجه كما لو كان مكوّنا إسمائيّا منفصلا. ولذلك توصف بكونها مركّباتٍ جُمَليّةً موصولة "ذاتَ رأس داخليّ" (أو "غيرَ ذات رأس"، على افتراض أنّ الرّأس لا يكون إلاّ خارجيّا). تتوفّر هذه الخصيصة في بعض المركّبات الجُمَليّة الموصولة في اللّغة الهوبيّة (غوربيت 1977). فالصّبيّ في (26)، هو من يرسَل إلى المنزل، ولذلك يفهَم على أنّه المفعول في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. غير أنّ ما يظهر في موضع المفعول قبل الفعل، هو كامل البنية المركّبيّة الجُمَليّة الّتي تُجعَل بين معقوفتين. فالإسمائيّ المشتمل على الرّأس المعجميّ، [*mit tiyo'yat* "ذاك الصّبيّ، حال النّصب"]، موجود في داخل المركّب الجُمَليّ الموصول، حيث يكون كذلك المفعولَ به (الصّبيّ هو من يُضرَب). وإذ يشارك الصّبيّ، من حيث كان معلما إزاء كلّ من الضّرب والإرسال إلى المنزل، لا يوجد فرق حقيقيّ بين أن يظهر معجميّا في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ أو في المركّب الجُمَليّ التّابع.

(26) *Nu'* [*'i–na* *mi–t* *tiyo'ya–t* *wuva'ta–qa–t*] *hoona*.
I my-father that-ACC boy-ACC hit-NR-ACC send:home
منزل:أرسل **نصب-سرد**-ضرب **نصب**-صبيّ **نصب**-الّذي أب-لي أنا
«أنا [أبي الّذي الصبيَّ ضربَ] أرسلت إلى المنزل»
«أرسلتُ إلى المنزل الصّبيَّ الّذي ضربه أبي.»

ما ورد بين معقوفتين في (26)، يجري تمثيله في الرّسم البيانيّ 12. 9. يتأسّس ذلك على البنية المركّبيّة الجُمَليّة [*wuva'ta 'ina mit tiyo'yat* "أبي ضرب ذلك الصّبيّ"]، الّتي تكون بالفعل جملة ممكنة. ورغم ذلك، تلتصق بها هنا، اللاّحقة النّهائيّة [*-qat*] الّتي يتمثّل أثرها في فرض انبناء إسمائيّ: العبارة المركّبة تعرض الصّبيّ لا عمليّة الضّرب. وتنقسم تلك اللاّحقة الانتهائيّة إلى صرفم الإسماء [*-qa*] مع اللاّحقة الدّالّة على المفعول [*-t*]. تدلّ في العادة [*-qa*] على المحدث (مثل [*-er*] في الإنجليزيّة)، ولكنّها تعرض، بتوليفها مع [*-t*]، معلمَ العمليّة الخطاطيّة الّتي تُستدعَى على أنّها أساس لها تقوم عليه (بدل أن تعرض منتقلَها). وبناء على ذلك، تدلّ العبارة

المركّبة [*'ina mit tiyo'yat wuva'taqat*] على صبيّ يوصَف بأنّه من ضربه أبو الشّخص المتكلّم. فهي إسمائيّ تامّ لأنّها تعرض شيئا يحدَّد بكونه عيّنة مخصوصة من النّوع الّذي تدلّ عليه، ويمكن أن تشتغل، بحكم كونها إسمائيّا، مفعولا به لـ[*hoona* "أرسل إلى المنزل"].[16] فهي تمثّل بنية مركّبة جُمَليّة موصولة لأنّها تستدعي مرجعا إسمائيّا يتحدّد بكونه مشاركا في العمليّة.



الرّسم البيانيّ 12. 9

هذه الطّريقة في تعريف المركّب الجُمَليّ الموصول لا تدلّ خصّيصا على أنّ المعروض العمليّاتيّ قد أُلغِي. ويُفترَض بوجه معقول بالنّسبة إلى العبارات الّتي يرد رسمها التّخطيطيّ في الرّسوم البيانيّة من 12. 7 حتّى 12. 9، أنّ المعروض قد جرى تعويضه حقيقة في مستوى أعلى من التّنضيد: في كلّ حالة، يكون المركّب الجُمَليّ الموصول جزءا من الإسمائيّ الّذي يدلّ، إن أخِذ في كلّيته، على مشارك في العمليّة الّتي يعبّر عنها المركّب الجُمَليّ، لا على العمليّة في ذاتها. تلك هي الحالات الّتي يكون فيها الإسمائيّ والمكوّنات المركّبيّة الجُمَليّة مترابطين ترابطا وثيقا، ولا غاية للمركّب الجُمَليّ إلاّ تعيين المرجع الإسمائيّ. وبالإضافة إلى ذلك، هناك حالات كثيرة يرتبط فيها المركّب الجُمَليّ بالإسمائيّ ارتباطا أوهى ممّا مضى، أو يساهم دلاليّا بطرق أخرى. تيسّر هذه العواملُ بالنّسبة إلى المركّب الجُمَليّ أن يدرَك مستقلّا بذاته وأن يحافظ على معروضه العمليّاتي.

يدرَك الإسمائيّ ومكوّنات المركّب الجُمَليّ الواحد منها مستقلاّ بذاته، دون شك، عندما يكونان غير متّصلين كما كان في

مثالنا السّابق: [*The package arrived that I was expecting*] "الطّرد وصل الّذي كنت أنتظر(ـه)"]. وبما أنّهما لا يشكّلان مكوّنا نحويّا، لا يوجد أساس لافتراض بنية رمزيّة مركّبة يعرض قطبُها الدّلاليّ الطّرد فقط.[17] فالمكوّنان النّحويّان - [*the package arrived*] و[*that I was expecting*]- كلاهما مركّب جُمَليّ منته ويعرض عمليّة مجذَّرة. وهما مترابطان ترابطا غير تناظريّ، من حيث وفّر الأوّل منهما المعلومة المهمّة، والثّاني منهما موسوم بـ[*that*]، وهو أداة إتباع ذات استعمال عامّ. ووفقا لذلك، أظهر الرّسمان البيانيّان 7. 19 (b) و10. 10، المركّبَ الجُمَليّ الأوّل على أنّه محدِّد المعروض، على افتراض أنّ لعبارةٍ غير قائمةٍ على العطف معروضا شاملا واحدا فقط. ولئن أمكننا أن نفترض ذلك بشكل مقبول بالنّسبة إلى أبنية أبسط، يبدو أنّ هناك مرونة أكبر مع الجمل المركّبة. فالعرض يشتمل على تبئير الانتباه، ويصعب على بنية، إذا ما تجاوزت حجما معيّنا، أن تستوعبها "نافذة" انتباه وحيدةٌ ذات بؤرة شاملة وحيدة. وتبعا لذلك تنزَع المركّبات الجُمَليّة المنتهية عندما تترابط ترابطا واهيا، إلى تحقيق الإمكان الّذي يتوفّر في بنية مجذَّرة لأن تدرَك إدراكا مستقلاّ. ولعلّه من الأفضل، تبعا لذلك، أن تحلَّل الجملة على أنّها ذات معروضَين عمليّاتيّين، يكون الاهتداء الذّهنيّ إليهما في نافذتين للانتباه متتابعتين. فبالنّسبة إلى أيّ حدث كان، لا يلغَى معروض المركّب الجُمَليّ الموصول بمعروض الاسم الّذي يحوّره.

تتفاعل عوامل متعدّدة لتحديد ما إذا كان المركّب الجُمَليّ الموصول يحافظ على معروضه. يتمثّل واحد من هذه العوامل في المدى الّذي يقارب به ذلك المركّبُ حالةَ المركّب الجُمَليّ المخصَّص تخصيصا تامّا بوجه يمكن له به أن يستوي جملة قائمة برأسها. فالمركّب الموصول في (27) (أ) يحتمل أن يدرَك مستقلاّ بذاته بحكم كونه مجذَّرا، ذا فاعل ظاهر (الضّمير الموصول [*who*]). ومقابل ذلك، يكون مصدر الفاعليّة الموصول في (27) (ب) غير موفّق من ذينك الاعتبارين فهو لذلك ذو حظّ أقلّ في المحافظة على معروضه. وفي (27) (ج)، يكون ["في هذا المخبر" *in this lab*] أقلّ شبها بالمركّب الجُمَليّ لأنّه يفتقر إلى فعل. ولذلك يعتبَر محوّرا للاسم لا مركّبا جُمَليّا موصولا. ولئن انتفى الخطّ الفاصل الواضح، تلغى عمليّا معروضات المحوّرات البسيطة بحكم طبيعتها.

(27) (أ) *The effect was discovered by some scientists who were working in this lab.*
«اكتُشِف الأثرُ من قبل بعض العلماء الّذي كانوا يعملون في هذا المخبر.»
(ب) *The effect was discovered by some scientists working in this lab.*
«اكتُشِف الأثر من قبل بعض العلماء العاملين في هذا المخبر.»
(ج) *The effect was discovered by some scientists in this lab.*
«اكتُشِف الأثر من قبل بعض العلماء في هذا المخبر.»

يتمثّل العامل الثّاني، في المدى الّذي يكون به مضمون مركّب جُمَليّ موصول جديدا أو مهمّا في الخطاب. وللمركّبات الجُمَليّة الموصولة في (28)، مساهمات دلاليّة متدرّجة في الأهمّيّة تغري بإدراكها في نافذة انتباه منفصلة. فالمضمون الّذي يقدّمه المركّب الجُمَليّ [*I read* "أنا قرأت"] في (28) (أ)، ليس مفيدا إخباريّا ولا جديرا بالاهتمام. فتتعالق تفاهته المعنويّة مع "تكثّفه" الصّوتميّ: فهو، مقارنةً بالمركّب الجُمَليّ الحاضن، ينزع إلى أن يُنطَق نطقا سريعا نوعا ما، وبنبرة ضعيفة، وبجرس صوتيّ أكثر انخفاضا. وليس الأمر كذلك في الجملتين الأخريين، حيث يكون مضمون المركّب الجُمَليّ الموصول أكثر تبلورا وأقلّ قابليّة للتّوقّع. وهو كذلك ضروريّ في الخطاب بدرجة أكبر. وفي (28) (ب)، تمثّل خصيصةُ إنشاء الادّعاءات الصّادمة مفتاحا لتحديد العيّنة (التّخيّليّة) الخاصّة من [*book* "كتاب"] الّتي تُستحضَر على أنّها أساس للتّعميم في الحكم. وفي (28) (ج) لا يصلح المركّب الجُمَليّ الموصول بشكل كبير لتعيين المرجع الإسمائيّ (الّذي يكفي فيه المركّب الجُمَليّ الحاضن) صلاحه لتحويل الجملة (أ) إلى الجملة (ج)، فيبدو، تبعا لذلك، أنّ الادّعاء القائل بأنّ المركّب الجُمَليّ الموصول تابع بمعنى أنّ معروضَه يُلغى بالرّأس الاسميّ [*book* "كتاب"]، متهافت أكثر فأكثر.

(28) (أ) *There were some outrageous claims in that book I read.*
كانت بعض الادّعاءات الصّادمة في ذلك الكتاب الّذي قرأتُ(ـه).
(ب) *A book which makes outrageous claims is often a best-seller.*
يكون في الغالب الكتاب الّذي يقيم ادّعاءات صادمة، أكثر الكتب رواجا.
(ج) *I just read a book which makes some outrageous claims.*
قرأت كتابا يقيم بعض الادّعاءات الصّادمة.

وأخيرا، يتأثّر الاحتمال الّذي يكون لمركّب جُمَليّ موصول في الحفاظ على معروضه بشدّة الارتباط بين الإسمائيّ ومكوّنات المركّب الجُمَليّ. وفي المركّب الجُمَليّ الموصول المنتهي، نلاحظ أقربَ درجات الارتباط في الأمثلة من قبيل (28) (أ): المكوّنان متجاوران، ويشكّلان مكوّنا نحويّا، وهما مندمجان اندماجا صوتميّا شديدا (من حيث كان المركّب الموصول مكثَّفا تنغيميّا)، والإسمائيّ يخصِّص مباشرة المعلمَ المركّبيّ الجُمَليّ (بحكم غياب الضّمير الموصول غيابا مطلقا)، والمركّب الجُمَليّ يساعد على تحديد المرجع الإسمائيّ. وتمثّل الحالات الّتي لا يتجاور فيها الإسمائيّ والمكوّنات المركّبيّة الجُمَليّة خروجا عن هذا التّشكّل. ويتمثّل خروج من نوع آخر في المركّب الجُمَليّ الموصول اللاّتقييديّ:

(29) *I just read a book, which makes some outrageous claims.*

قرأت كتابا منذ زمن قليل، [كتابا] يقيم بعض الادّعاءات الصّادمة.

ورغم أنّهما متجاوران في العادة، يُفصَل المركّبُ الجُمَليّ الموصول اللاّتقييديّ عن المكوّن الإسمائيّ بواسطة وقف (صوتيّ) طفيف يكتب في شكل فاصل. يمثّل هذا الفصلُ التّنغيميّ إشارة إلى أنّهما يحلاّن في نافذتين للانتباه منفصلتين، وإلى أنّهما بحكم ذلك مدركان إدراكا منفصلا إلى حدّ كبير. يكون ذلك ممكنا لأنّ المركّب الجُمَليّ الموصول اللاّتقييديّ لا يُستدعَى ليفرد مرجعا إسمائيّا بل لتذييله بتعليق إضافيّ حول هذا المرجع. في (29)، يتمثّل النّوع المفيد -الّذي تُجذَّر عيّنة منه بعلامة التّنكير- ببساطة في [*book* "كتاب"]، لا في [*book which makes some outrageous claims* "كتاب يقيم بعض الادّعاءات الصّادمة"] (انظر الرّسم البيانيّ 10. 9). فلا أساس يقوم عليه الادّعاء بأنّ المركّب الجُمَليّ الموصول يندرج في الإسمائيّ الّذي يحوّره، أو بأنّ المعروض يُلغَى بذلك الإسمائيّ أو بالمركّب الجُمَليّ الّذي يشتمل عليه. ولئن كان المركّب الجُمَليّ الموصول اللاّتقييديّ تابعا، بمعنى أنّ له ضميرا موصولا (ترتبط إحالته بالإسمائيّ المحوَّر)، فإنّه يتساوى مع المركّب الجُمَليّ الآخر في العرض. ولهذا السّبب، تعتبَر غالبا العبارات من قبيل (29)، شبيهة بالأبنية المتعاطفة.

12.2.3 المركّبات الجُمَليّة المتمّمة

المركّب الجُمَليّ المتمِّم هو مركّب جُمَليّ يخصِّص مشاركا بارزا في العلاقة الّتي يعبّر عنها المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. ومن هذه الزّاوية، تكون

المتمّمات شبيهة بالفاعل والمفعول من الإسمائيّات اللّذَين يبلوران المنتقل والمعلم الخطاطيّين لعمليّة معروضة. وبالفعل، تشتغل بعض المركّبات الجُمَليّة المتمّمة نحويّا فاعلا أو مفعولا لمحمول المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. ففي (30)، مثلا، يحلّ المركّب الجُمَليّ الوارد بين معقوفتين، في نفس الموضع الّذي يحلّ فيه الإسمائيّ الفاعل [*a loud party* "حفل صاخب"]، ويأتي، مثلَ هذا الإسمائيّ، بعد الفعل المساعد الأوّل في الاستفهام. وبالمثل، يظهر المركّب الجُمَليّ المتمِّم في (31) في نفس الموضع الّذي يظهر فيه الإسمائيُّ المفعول [*a dirty and vicious campaign* "حملة فاسدة قذرة "]، ويجري، مثلَ هذا الإسمائيّ، فاعلا في بنية المجهول المناسبة له.

(30) (أ) *A loud party would bother the neighbors.*
إنّ حفلا صاخبا قد يزعج الجيران.
(ب) *Setting off these fireworks* [*would bother the neighbors.*]
[إطلاق هذه الشّماريخ] قد يزعج الجيران.
(ج) *Would a loud party bother the neighbors?*
هل يزعج حفلٌ صاخبٌ الجيرانَ؟
(د) *Would* [*setting off these fireworks*] *bother the neighbors?*
هل [إطلاق هذه الشّماريخ] يزعج الجيران؟

(31) (أ) *All the commentators predicted a vicious and dirty campaign.*
جميع المعلّقين تكهّنوا بحملة فاسدة قذرة.
(ب) *All the commentators predicted* [*that he would lose the election*].
جميع المعلّقين تكهّنوا [أنّه سيخسر الانتخابات].
(ج) *A dirty and vicious campaign was predicted by all the commentators.*
تُكُهِّن بحملة فاسدة قذرة من قبل جميع المعلّقين.
(د) *That he would lose the election* [*was predicted by all the commentators.*]
تكهِّن بـ[أن يخسر الانتخابات] من قبل جميع المعلّقين.

هل يمكننا أن نقول إنّ المركّبات الجُمَليّة المتمّمة، ببساطة هي الإسمائيّ الفاعل أو الإسمائيّ المفعول اللّذين نحصل عليهما بتشييءٍ مفهوميّ للعمليّة الواردة متمّما؟ ولكنّ هذا الأمر، من حيث هو تحليل عامّ، متهافت لاعتبارات متعدّدة. أوّلا، ما كلّ مركّب جُمَليّ متمّمٍ شبيهٌ بما ليس مركّبيّا جُمَليّا من

الفاعــل أو المفعول. فعلى ســبيل المثال، تجري المتمّمات مباشــرة بعد بعض الصّفــات: [*he is honest*] {*I'm* {*sure / happy / pleased*}} "أنا {واثق/ ســعيد/ مســرور} (من/بــ) [أنّه نزيه]"]. ولكنّ الصّفات لا تجري مع الإسمائيّات المفاعيل؛ فلا يمكننا أن نقول [*I'm* {*sure of / happy about / pleased with*} *his honesty*] "أنا {واثق من/ سعيد بــ/ مســروربـ} نزاهته]"]). وبالإضافة إلى ذلك، لا يكون لمتمّم يبدو أنّه شــبيه بفاعــل أو بمفعول غير مركّبيّ جُمَليّ، دائما ســلوك مماثل لواحد منهمــا في جميــع المظاهر. نلاحظ في (32) أنّ متمّمــا منتهيا جاريا في موضع الفاعل لا يكون في وضع مريح بعد فعل مســاعد في بنية الاستفهام. وبالمثل، تظهِر الأمثلة في (33) مقاومةَ المتمّماتِ غير المصرّفة، لعمليّة البناء للمجهول.

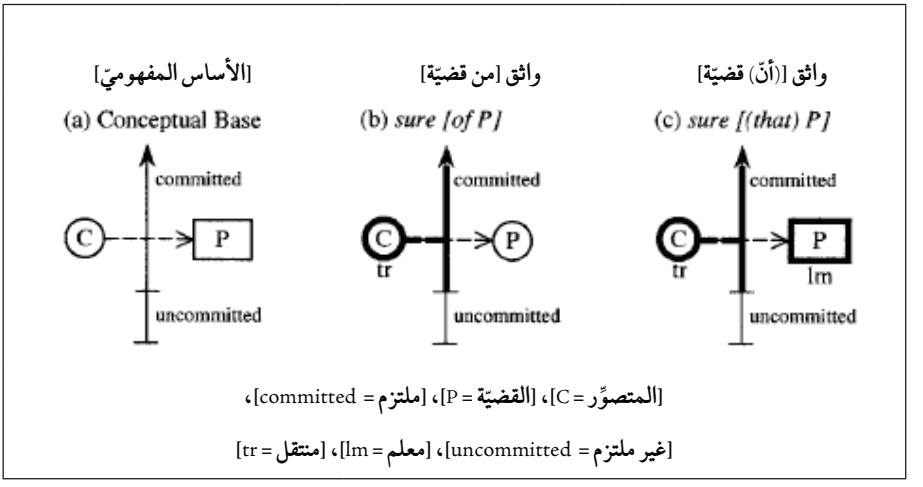
(32) (أ) *All those lies do not bother the president.*
كلّ تلك الأكاذيب لا تزعج الرّئيس.
(ب) *That he tells so many lies* [*does not bother the president.*]
[أن يقول الأكاذيب الكثيرة] لا يزعج الرّئيس.
(ج) *Do all those lies bother the president?*
هل تزعج تلك الأكاذيب كلّها الرّئيس؟
(د) **Does* [*that he tells so many lies*] *bother the president?*
*هل [أن يقول الأكاذيب الكثيرة] يزعج الرّئيس؟

(33) (أ) *The organizers fully expected those problems.*
توقّع المنظّمون تلك المشاكل توقّعا تامّا.
(ب) *The organizers fully expected* [*to encounter those problems*].
توقّع المنظّمون توقّعا تامّا [أن تعترضهم تلك المشاكل].
(ج) *Those problems were fully expected by the organizers.*
كانت تلك المشاكل قد توقِّعت توقّعا تامّا من قبل المنظّمين.
(د) **To encounter those problems* [*was fully expected by the organizers.*]
*[أن تعترض تلك المشاكل] كان قد تُوقِّع توقّعا تامّا من قبل المنظّمين.

فالواجــب على هذا أن يكون النّظر في الأبنيــة المتمّمة في ذاتها وبذاتها. فهــي قريبة من أبنية الفاعــل والمفعول بطرق مختلفــة وبدرجات مختلفة، من حيث أنّها لا تحقّق تلك الأبنية إلاّ في حالة خاصّة. وفي نفس السّياق، تختلف المحمــولات الّتي تقتضي متمّما في مظاهر دقيقة عن المعاني الّتي تكون لها

عندمـا تجري في أبنية غير متمّمة. فمعنى كلمـة [*sure* "واثق/ متأكّد/ على يقيـن"]، مثلا، لا يكون بالتّدقيق هو نفسـه عندما تكـون متبوعة بمركّب جُمَليّ أو بمركّب حرفيّ. فالمعنيان يستدعيان المضمون نفسه أساسا مفهوميّا يقومـان عليه. فالتّباين الدّلاليّ مسـألة تتعلّق بالكيفيّة الّتـي يكون بها انبناء ذلك المضمون في سياق البنية الأكبر.

يُصوَّر الأسـاس المفهوميّ في الرّسـم البيانـيّ 12. 10 (a). ويمثّل السّـهم المتقطّـع الموقفَ الّذي يتبنّاه المتصوِّر (C) بالنّظر إلى قضيّة (P). ويتمثّل الأمر المفصليّ في [*sure* "واثق/ متأكّد/ على يقين"]، في مدى الالتزام عند المتصوِّر بقبول القضيّة على أنّها صالحة (أي جزء من تصوّرِ(C) للواقع). وبذلك يشـار بالسّهم الغليظ إلى سلّم يقيس درجة الالتزام. ولئن كان هذا السّلّم في صميمه مسترسلا، يقام تمييز أساسيّ بين المتصوِّر وهو ملتزم بالقضيّة (P) (أي بقبولها على أنّها واقعيّة)، من جهة، والمتصوِّر وهو غير ملتزم بذلك، من جهة أخرى. فمضمون [*sure*] يتمثّل في أن يقع موقفُ المتصوِّر باعتبار القضيّة بالتّحديد في داخل منطقة الالتزام.



الرّسم البيانيّ 12. 10

هـذا القدر مشـترك بين المعنيين كليهما في [*sure*]. وهما يشـتركان بالإضافـة إلى ذلك فـي التّأكيد علـى مظهر خاصّ من موقـف المتصوِّر الذّهنيّ – أعني قوّة الالتزام بالقضيّة (P). ومقابل فعل من قبيل [*know* "عرف"] أو [*believe* "اعتقد"]، حيث تُطرَح مسـألة الالتزام، تتمثّل الشّـحنة الأساسيّة في

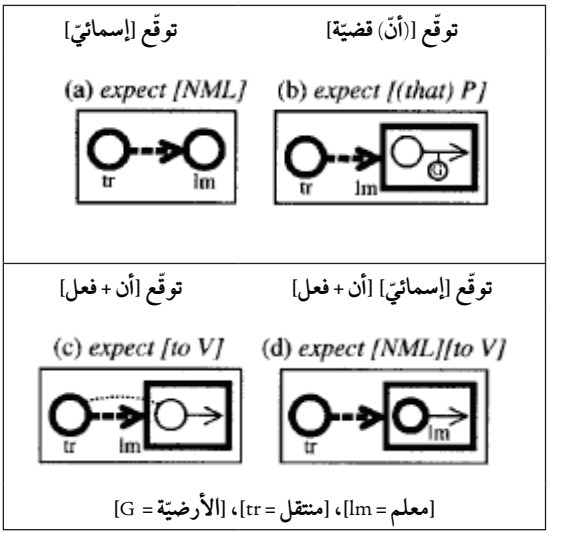
[*sure*]، فـي كون موقف المتصـوِّر باعتبار القضيّة ثابتـا لا يحتمل تردّدا.[18] فمـا تعرضه [*sure*]، حينئذ، لا يتمثّل فـي العلاقة بين المتصوِّر والقضيّة (كما هـو الأمر فـي حالة [عـرف] و[اعتقد])، بل تعـرض الموقع الّـذي يحلّ فيه موقف المتصوِّر على سـلّم الالتـزام. لا يعني ذلك أنّنا ننفـي أهمّيّة العلاقة بين المتصوِّر والقضيّة: فعلى هذا الأسـاس تُقيَّم شـدّة الالتزام. ولكنّ البؤرة المركزيّـة كائنة على موقع المتصوِّر على امتداد السّـلّم، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 12. 10 (b) و(c).

ونتيجة لذلـك، لا تكون القضيّة بالضّرورة مشـاركا بؤريّا في العلاقة المعروضة. ومن البديهيّ أنّها ليست بؤريّة في عبارات مثل [*I'm sure of his honesty* "أنـا واثق من نزاهته"]، حيـث لا تتوالف القضيّة مـع [*sure* "واثق"] إلاّ توالفا غير مباشـر، من حيث كانت مفعول المركّب الحرفيّ. في سياق هذه البنية الإطنابيّة، تُشـيَّأ القضيّة وتنبني على أنّها شـيء تجريديّ، فتشـفَّر تبعا لذلك بواسطة إسمائيّ ([*his honesty* "نزاهته"])، لا بواسطة مركّب جُمَليّ.[19] ومقابل ذلك، يجري التّعبير عن القضيّة بطريقة غير إطنابيّة في جمَل من قبيل [*I'm sure* (*that*) *he is honest* "أنا واثق (أنّ) هو نزيه"]. فتقديم القضيّة بطريقة مباشرة يوحي بأنّهـا ذات بروز أكبر في معنى [*sure*]، ويوحي شـكلها المركّبيّ الجُمَليّ بكونهـا مدركَة علـى أنّها عمليّة لا على أنّها شـيء. ووفقا لذلك، تحمل القضيّةُ (p)، في الرّسـم البيانيّ 12. 10 (c)، شـارةَ المعلَم إشـارة إلى بروزها، وترد كذلك في خانة (عوضا عن دائرة) إشـارةً إلى غياب التّشـييء. وبناء علـى ذلك، يكون المركّـب الجُمَليّ المنتهي الّذي يبلور القضيّةَ شـبيها بالمفعـول بحكم كونـه المعلمَ في العلاقـة المعروضة. ولكنّها ليسـت مفعـولا به بالمعنى المعهـود، إذ يجري المصطلح على العبارات الإسـمائيّة فقط. فالمركّب الجُمَليّ الّذي يبلور المعلَم متمِّمٌ علائقيّ (لا متمّم إسمائيّ)، ولذلك تعتبَر [*sure*]، صفةً لا حرفا (الرّسم البيانيّ 4. 11).

ومـن أمثلة التّنوّع الدّلالـيّ الأخرى الّتي تكـون للمحمولات المقتضية للمتمّمات، فعل [*expect* "توقّع"]. فله على الأقلّ أربعة بدائل تقترن بأبنية مختلفة، ترد أمثلة لها في (34). فهي تأخذ متمّما يكون تباعا، إسمائيّا، ومركّبا جُمَليّا منتهيا، ومركّبا جُمَليّا غير مصرّف، وإسمائيّا مع مركّب جُمَليّ غير مصرّف. تختلف البدائل من حيث طبيعة معلم الواحد منها وتحديده، منسجمةً بذلك مع جريانها في تلك الأبنية، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 12. 11.

(34) (أ) *The children expect a present.*
يتوقّع الأطفال هديّة.
(ب) *Her mother expects* [(*that*) *she will graduate in June*].
تتوقّع أمّها [(أن) هي سوف تتخرّج في شهر جوان (حزيران)].
(تتوقع أمّها [أنّها سوف تتخرّج في شهر جوان]).
(ج) *The painters expect* [*to finish on time*].
يتوقّع الدّهّانون [أنهى العمل في الزّمن المحدّد].
(يتوقّع الدّهّانون [أن ينهوا/ إنهاء] العمل في الزّمن المحدّد)
(د) *We expect this movie* [*to make a lot of money*].
نتوقّع هذا الشّريط السّينمائيّ [جنى مالا كثيرا].
(نتوقّع لهذا الشّريط السّينمائيّ [أن يجني مالا كثيرا])

يعرض الفعل [*expect* "توقّع"]، عندما يكون له متمّم إسمائيّ، علاقةً ذهنيّة (يشار إليها بسهم متقطّع) يتصوّر فيها المنتقلُ المعلمَ ويستبق قبوله أو اعتراضه. يجري تمثيل هذا المعنى في الرّسم البيانيّ 12. 11 (a). وإذ تنبني العمليّة على أنّها تفاعل بين مشاركين، كان الفعل متعدّيا، والإسمائيّ الّذي يبلور المعلم ليس مجرّد مفعول به في المعنى الواسع، بل هو مفعول مباشر على وجه الخصوص. وإذ كان المركّب الجُمَليّ النّاتج متعدّي أمكن بناؤه للمجهول كما ورد في (33) (ج).



الرّسم البيانيّ 12. 11

عندمـا يكون المتمّم مركّبا جُمَليّـا منتهيا، كما في (34) (ب)، يكون البناء للمجهول مختلاّ بصفة عامّة، إن لم يكن ممتنعا تماما:

(35) (أ) *[*That she will graduate in June*] *is expected by her mother*.

؟ *[أن هي سوف تتخرّج في جوان] يُتوقّع من قبل أمّها.

(ب) *[*That they would encounter problems*] *was expected by everybody*.

؟ [أن يحتمل أن تعترضهم مشاكل] كان يتوقَّع من قبل الجميع.

ليس الأمر مسـألة كون العمليّة ذهنيّةً عوض أن تكون ماديّة فقط- لاحظ اسـتقامة العبارة في (31) (د). إنّما يتمثّل، بدلا من ذلك، في أنّ [*expect*] (مقابل [*predict*] "تكهّـن") تبني معلما قضويّا على أنّـه علائقيّ عوض أن تبنيه على أنّه إسـمائيّ. وكما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 12. 11 (b)، يكـون معلمُها عمليّة خطاطيّة مجذَّرة، تدرك كما هي (دون تشـييء). فيكون بذلك المركّب الجُمَليّ المنتهي الّذي يبلورها متمّما علائقيّا (مقابل مفعول به إسمائيّ). فلا يصلح تبعـا لذلك لأن يكون فاعلا لبنية المجهول. فلِـمَ تكون إذن أبنية المجهول فـي بعض الأحيان ممكنة بشـكل هامشـيّ، كما فـي (35) (ب)؟ يكون للمركّبات الجُمَليّة المنتهية، عندما توسَـم بواسـطة [*that*]، إمكانيّة التّشـييء المفهوميّ فينشـأ لذلك شـيء تجريديّ. فالقضايا تُتصوّر تصوّرا استعاريّا على أنّها أشـياء قابلة للمعالجة موجودةٌ في اسـتقلال تامّ عن أيّ متصوِّر مخصوص. فالمركّب الجُمَليّ المنتهي، منبنيا على هذه الشّاكلة، يتأهّل ليكون إسمائيّا، ويتوالف من حيث هو كذلك مع البديل المتعدّي للفعل.[20]

ومـع البديل (c) في الرّسـم البيانيّ 12. 11، لا يكـون البناء للمجهول في العادة هامشـيّا فقط بل يكون غيـر مقبول كذلك، كما يرد في (33) (د). والمتمّمات غير المصرّفة أقلّ عرضة للتّشـييء المفهوميّ لأنّها ليست مكتفية بذاتها بما يكفي لتُدرَك بشـكل مسـتقلّ على أنّها أوصاف للحدوث قابلة للاسـتعمال. والمركّـب الجُمَليّ غير المصـرّف [*to finish on time* "أنهى/ إنهاء العمـل في الزّمن المحدّد"] في (34) (ج)، يفتقر إلى التّجذير وإلى فاعل ظاهر فـي آن واحد. فهـو، بناءً على ذلـك، لا يخصِّص في ذاتـه وبذاته أيَّ حدث مخصوص يمكـن أن تقيّم واقعيّته.[21] لكنّ الدّمـج مع المركّب الجُمَليّ الرّئيسـيّ يولّد حقيقةً تأويلا أكثر خصوصيّة. ويطابق خطّ التّناسـب في الرّسـم البيانـيّ 12. 11 (c)، منتقـلَ المركّب الجُمَليّ غير المصـرّف بمنتقل [*expect*]. وعلـى هذا، نعـرف أنّ الدّهانين هم من ينهي العمل في (34) (ج)، حيث يبلور

[*the painters*] و[*to finish on time*]، تباعا، منتقلَ الفعل ومعلمَه. وبالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تُستنتَج منزلةُ هذا الحدث الإبستيميّةُ، من خلال المعنى المدلول عليه بمحمول المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ ومن خلال تجذيره. فتجذير الفعل [*expect*]، يضع ذلك الموقف في الواقع الحاضر، ويستلزم معناه أنّ معلم الحدث لاحق وليس مضمونا ضمانا تامّا. وبذلك يقع الإنهاء في المستقبل ولا يكون حادثا بالضّرورة.

وفي النّهاية، يرفع البديلُ (d) في الرّسم البيانيّ 12. 11، منتقلَ المركّب الجُمَليّ غير المصرّف إلى منزلة المَعْلَم من المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. يعني ذلك أنّ التّوقّع الموصوف في (34) (د) لا يتناول المستقبل تناولا عامّا في المطلق، بل هو توقّع قائم خصّيصا بالنّظر إلى المفعول الإسمائيّ: في ما يتعلّق بـ[*this movie* "هذا الشّريط"]، نتوقّع أنْ [*to make a lot of money* "يجنيَ مالا كثيرا"]. فزيادة على المنتقل، يكون لمعنى [*expect*] هذا، مشاركان بارزان. يتمثّل واحد منهما في الوحدة الّتي يتوجّه إليها التّوقّع، حيث يجري تبئيرها على أنّها معلم، ويكون الإسمائيّ الّذي يعبّر عنها مفعولَ المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. وممّا يكون كذلك بارزا إلى حدّ ما (معلما ثانويّا، إن شئتم)، التّوقّع نفسُه، يخصّصه المتمّم غير المصرّف. ويجعل التّشكّلُ الوارد في الرّسم البيانيّ 12. 11 (d)، تأويلَ مرجع الإسمائيّ المفعول به على أنّه منتقلُ المركّب الجُمَليّ غير المصرّف، أمرا آليّا.

في جمل من قبيل (34) (ج) حيث يتساوى فاعلُ المركّب الجُمَليّ الحاضن ومنتقلُ المتمِّم غيرُ المخصَّص بطريقة أخرى، يتحدّث اللّسانيّون عن علاقة مراقبة بينهما. رغم أنّ المتمّم يفتقر إلى فاعل صريح، تطابقُ علاقةُ المراقبة منتقلَه بالمشارك الوارد في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ الّذي يصير له تبعا لذلك دور مزدوج في البنية الدّلاليّة المركّبة: الدّهّانون هم من يتوقّع ومن ينهي. فالعنصر المراقبُ إنّما يقام على أساس البنية وعلى أساس المعنى الوارد في محمول المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. فأن يكون الدّهّانون من ينهي، معنى مستتبع من معنى [*expect* "توقّع"] الموصوف في الرّسم البيانيّ 12. 11 (c)، جنبا إلى جنب مع الواقع المتمثّل في أنّ المتمّم غير المصرّف يبلور معلمَه العلائقيّ.

للإنجليزيّة مجموعة كبيرة متنوّعة من أبنية المراقبة، حتّى وإن قصرنا انتباهنا على منتقلات المتمِّم.[22] نرى في (36) أنّ المتمّم لا يكون دائما غير مصرّف ولكن يمكن أن يكون كذلك موسوما بعلامة [*-ing*]. وإضافة إلى

ذلك، يشتغل "المراقِب" (الوارد مكتوبا بالخطّ الغليظ في النّصّ الإنجليزيّ، ومسطّرا في النّص العربيّ) في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ إمّا فاعلا أو مفعولا أو حتّى مفعولا للحرف. وبالمثل، يشتغل المركّب الجُمَليّ المتمّم بدوره، في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ إمّا منتقلا، أو معلما، أو معلما للحرف.

(36) (أ) ***He*** *actually enjoys* [*being obnoxious*].

هو بالفعل يستمتع بـ[كونــ(ــه) بغيضا].

(ب) ***He*** *truly excels at* [*being obnoxious*].

هو يبدع في [كونــ(ـه) بغيضا].

(ج) [*Being obnoxious*] *never bothers* ***him.***

[أن يكون بغيضا] لا يزعجــه أبدا.

(د) [*Being obnoxious*] *is easy for* ***him.***

[أن يكون بغيضا] يسهل عليـــــه.

عندما يكون للمركّب الجُمَليّ عدد من الإسمائيّات يزيد عن الواحد، تنشأ مسألة اختيار المراقب. أيّ المشاركين في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ يؤدّي هذا الدّور؟ وكما هو الحال في الغالب، يتبيّن أنّ هذا المشكل الإعرابيّ الكلاسيكيّ دلاليٌّ في طبيعته بالأساس. والمبدأ الأساسيّ صريح: المراقب هو المشارك الّذي يفهَم فهما فوريّا على أنّه منتقل المتمّم عندما تؤخذ جميع العوامل المفهوميّة المفيدة بعين الاعتبار. وأوضح العوامل معنى المحمول في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ وطبيعةُ العمليّة الّتي يعبّر عنها المتمّم، ولكنّ الاستلزام والمعرفة العامّة مهمّان كذلك إلى حدّ ما. انظر في (37)، حيث يختلف المراقبان رغم أنّ الجملتين متشابهتان نحويّا ولهما المحمول نفسه في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. يتعلّق الخيار بما نعرف عن مكان العمل وعن دور الرّئيس ودور الأجير. وبما أنّ مراقبة تغيّب الأجير تدخل في صلاحيات الرّئيس (وليس العكس)، نستنتج أنّ المراقب النّحويّ في (37) (أ) - أي الإسمائيّ الّذي يخصّص منتقلَ المتمّم - هو [*me* "أنا"]. وبما أنّ الرّئيس يحدّد مرتّب الأجير (لكنّ العكس لا يكون) نستنتج أنّ المراقب في (37) (ب) هو [*my supervisor* "رئيسِي (أنا)"].[23]

(37) (أ) *My supervisor talked to* ***me*** *about* [*being absent so often*].

حدّثنـــــــــي رئيسي في [كوني غائبا في الغالب].

(ب) ***My supervisor*** *talked to me about* [*approving a raise*].

حدثّني رئِيسِي في [الموافقة على زيادة في المرتّب].

لمحمـولات كثيرة معان تدعم بقـوّة اختيارا خاصّا لمراقب ما دون غيره. ولكن تظلّ نسبة من المرونة قائمة حتّى في الحالات الّتي يكون فيها البديل راسـخا رسوخا متينا وذا ثبوت تواضعيّ جيّد. ومن هذه الحالات، حالة الفعل [*ask* "طلـب"]. ففي العبارات الّتي تكون على شـكل [[*X ask Y* [*to V*]] ([س طلب ص [أن + فعل])، يكون المراقبُ دائما [ص]، كما في (38) (أ). يبدر إلى الذّهن أنّ طلبا موجّها إلى [ص]، يكون في العادة طلبا لشيء يحدِّد [ص] جريانَـه. غير أنّ الوضعيّة تتغيّـر مع متمِّم لفعل مبنيّ للمجهول أساسـه الفعل [*allow* "سمح"]، كما في (38) (ب). بما أنّ منتقلَ صيغة المبنيّ للمجهول [*be allowed to V* "سُمِح لــ بـأن + فعل"] ليس مسؤولا عن ذلك الحدوث، تجري مطابقته فوريّا بالشّـخص الّذي يُنجِز الطّلب، لا بالشّخص الّذي يمنح موضوع ذلك الطّلب. وبذلـك، يتمثّل التّصفيفُ العاديّ بين مشـاركي المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ والمركّب الجُمَليّ المتمّم، في أن يُؤوَّل [س] على أنّه متمِّم المنتقل (أي الشّـخص الّذي يُسـمَح له بحضور الحفل)، وأن يؤوَّل [ص] على أنّه المحدِث السّلبيّ (أي ذاك الشّخص الّذي يَسمَح بحضور الحفل).

(38) (أ) *I asked* ***her***[*to attend the reception*].

أنا طلبت منـــها [أن تحضر حفل الاستقبال].

(ب) ***I****asked her* [*to be allowed to attend the reception*].

أنا طلبت منها [أن يُسمَح لي بحضور حفل الاستقبال].

(ج) ***I****promised her* [*to attend the reception*].

أنا وعدتها بـ[أن أحضر حفل الاستقبال].

(د) *I promised* ***her***[*to be allowed to attend the reception*].

أنا وعدتـــها بـ[أن يُسَمح لها بحضور حفل الاستقبال]

ينقلب كلّ شيء إلى عكس ذلك تماما عندما يكون الفعلُ فعلَ [*promise* "وعد"]. ففي العبارات الّتي تكون على شكل [[*X promise Y* [*to V*]] ([س وعد ص [أن + فعل])، يكون [ص] الشّخص الّذي يُجري الطّلب، و[س] هو من يمنحه. ووفقا لذلك، يكون [س] دائما عمليّا هو المراقِب الّذي يُطابَق بمتمّم المنتقـل، كما فـي (38) (ج). بيد أنّ وعدا ينجَز بصـدق يقتضي القدرةَ على الوفـاء به. ولذلك، إذا وعد [س] بـــــ[أن يفعل]، وجب أن يكون حدوث الفعل شـيئا يحدّده [س]. فمع فعل إيجابيّ مثل [*attend* "حضر"]، يكون الأمر كذلك حقيقة: فالحضور، في الظّروف العاديّة، شيء يحقّقه المنتقل تحقيقا

إراديّا. ولكن تتغيّر الوضعيّة مرّة أخرى، عندما يُعوَّض [*attend*] بعبارة المبنيّ للمجهول [*be allowed to attend* "سُمِح لـ بالحضور"]، آيلة إلى (38) (د). وبما أنّ منتقل هذه العمليّة ليس مسؤولا عن حدوثها، يُطابَق بشكل أكثر انسجاما، بـ[ص] الّذي ينجِز الطّلبَ، مع تأويل [س] على أنّه المحدث السّلبيّ.

غالبا ما يقام التّمييز بين أبنية المراقبة وأبنية "الإصعاد". والفرق بينهما خفيّ: من حيث شكلهما النّحويّ الصّريح، تتشابه المراقبة والإصعاد تشابها تامّا في كلّ من المفاعيل والفواعل:

(39) (أ) *She persuaded* ***him*** [*to resign*]. [مراقب المفعول]
هي أقنعتـــــــه بـــ[أن يستقيل].

(ب) *She expected* ***him*** [*to resign*]. [مفعول مصعَد]
هي توقّعت منـــــه [أن يستقيل].

(ج) ***He****is happy* [*to resign*]. [مراقِب الفاعل]
هو سعيد بـ[أن يستقيل].

(د) ***He****is likely* [*to resign*]. [فاعل مصعَد]
هو يرجَّح [أن يستقيل].

يكمن التّباين المحتمَل في ما إذا كان الإسمائيّ المكتوب بالخطّ الغليظ (في النّصّ الإنجليزيّ والمسطّر في النّصّ العربيّ) حقيقة هو المفعول الحقيقيّ أو الفاعل الحقيقيّ للمحمول في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ، أو لم يكن كذلك. هو كذلك في حالة المراقبة: فلا شكّ في أنّ [*him* "ـــــــه"] المفعول الحقيقيّ، أو "المنطقيّ" لفعل [*persuade* "أقنع"]، ولا في أنّ [*he* "هو"] الفاعل الحقيقيّ لـــ[*happy* "سعيد"]. ولكن هل تكون [*him* "ـــــــه"] حقيقة مفعولا لـ[*expect* "توقّع"]؟ يمكن للمرء أن يقول، منطقيّا، إنّ ما يكون متوقَّعا هو الحدث - أي استقالته- لا الشّخص. وعلى نفس المنوال، يُعتبَر حدث استقالته الفاعلَ الحقيقيّ لعبارة [*be likely* "يرجَّح"]، رغم أنّ [*he* "هو"] يظهر بصريح اللّفظ في موقع الفاعل.

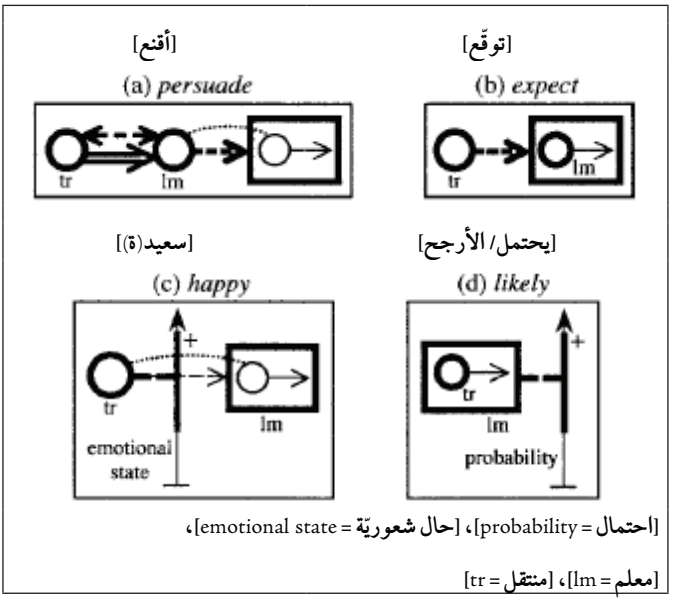
يعالج تحليل كلاسيكيّ هذا التّناقضَ الظّاهر بافتراض مستوى إعرابيّ "عميق" (أو "كامن")، بالإضافة إلى شكله "السّطحيّ" (أو "الظّاهريّ"). ففي مستوى البنية العميقة، يدّعي أصحاب هذا التّفسير أنّ لفعل [*expect* "توقّع"] مفعولا مركّبيّا جُمَليّا، وأنّ لـــ[*be likely*] فاعلا مركّبيّا جُمَليّا: [*he*] *she expect* [*he resign*] "هي تتوقّع [هو يستقيل]؛ [*he resign*] *be likely* "[هو يستقيل] يكون

محتملا"]. ثمّ يُشتقّ الشّكلان السّطحيّان للجملتين (ب) و(د) بإصعاد الفاعل من المركّب الجُمَليّ التّابع إلى المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ، حيث ينهض بالدّور الّذي كان له في المركّب الّذي يعود إليه في الأصل (وتجري موقعته بعد الفعل ووسمُه بواسطة [*to*]). وممّا يدعم هذا التّحليل، أنّ ما يمكن إصعاده من الإسمائيّات هي بالتّحديد تلك الإسمائيّات الّتي يُسمَح لها بالورود فاعلا للمركّب الجُمَليّ غير المصرّف. فالاسم المصعَد [*tabs* "مراقبة مشدّدة"]، في (40)، مثلا، جزء من العبارة الجاهزة [*keep tabs on* "مراقبة شيء أو شخص بانتباه ودون انقطاع"] الّتي تجري في المركّب الجُمَليّ التّابع. وبما أنّه قابل لأن يكون فاعلا في ذلك المركّب الجُمَليّ (انظر [*Tabs were kept on the protesters* "أقيمت المراقبة الشّديدة على المتظاهرين"])، فهو قابل كذلك لأن يكون مفعولا لفعل [*expect*] أو فاعلا لعبارة [*be likely*]، في بنية الإصعاد. لاحِظ أنّ [*tabs*] لا يمكن أن تظهر في الموضع المناسب لذلك مع المحمولين غير الإصعاديّين [*persuade*] و[*be happy*].

(40) (أ) ❋*She persuaded* ***tabs*** [*to be kept on the protesters*].
*هي أقنعت الرّقابة الشّديدة [أن تقام على المتظاهرين].
(ب) *She expected* ***tabs*** [*to be kept on the protesters*].
هي توقّعت الرّقابة الشّديدة [أن تقام على المتظاهرين].
(ج) ❋***Tabs*** *are happy* [*to be kept on the protesters*].
*الرّقابة الشّديدة سعيدة بـ[أن تقام على المتظاهرين].
(د) ***Tabs*** *are likely* [*to be kept on the protesters*].
الأرجح أنّ الرّقابة الشّديدة [سوف تقام على المتظاهرين].

بحكم ما ينصّ عليه شرط المضمون، لا يمكن للنّحو العرفنيّ أن يفترض وجود اشتقاقات من الأبنية الكامنة. فالواجب أن توصف الجملتان مثل (39) (ب) و(د) وصفا مباشرا، أي في ذاتهما ولذاتهما، يكون فيه [*him*] مفعولا لفعل [*expect*]، و[*he*] فاعلا لعبارة [*be likely*]. ويمكن بالفعل أن يقدَّم تحليل غير إصعاديّ (انظر لانقاكر 1999a: الفصل 11). هو تحليل يستوعب مباشرة الشّبه بأبنية المراقبة، كما رأينا في (39)، وكذلك الفوارق التّوزيعيّة الّتي ترد أمثلةٌ منها في (40). فالمفتاح يتمثّل في في توصيف معاني المحمولات في المركّبات الجُمَليّة الرّئيسيّة.

تجري المقارنــة بين [*persuade*] و[*expect*] في الرّســمين التّخطيطيّين (a) و(b) من الرّســم البيانيّ 12. 12، وبين [*happy*] و[*likely*] في الرّســمين التّخطيطيّين (c) و(d). وفــي كلّ حالــة، يبلور المتمّمُ غيــر المصرَّف العمليّــةَ الخطاطيّة الّتي تُرى رؤية شــموليّة، والّتي يشَار إليها بالخانة الدّاخليّة. فبالنّسبة إلى كلّ زوج من المحمولات، يمثّل الفارق الأساسّــي مســألة مدارها مــا إذا كان لمنتقل تلك العمليّة دور إضافيّ أهمّ في العمليّة المعروضة بالمحمول، أو لا يكون لــه ذلك. ويكــون الأمر كذلك، بوضــوح، مع الفعــل [*persuade*]: يدخل المشــارك المبأّر معلما، مع المنتقل في تفاعل تواصليّ (يشــار إليه بالسّــهم المتقطّع ذي الرّأســين)، ويكون عرضة لتأثير قوّة اجتماعيّة (يشار إليها بسهم مضاعف)، فينوي تبعا لذلك (يشــار إليه بســهم مفرد متقطّع) تحقيقَ العمليّة الّتــي يعبّر عنها الشّــكل غير المصــرّف. والأمر ليس كذلك مــع [*expect*]. فليس لمعلم [*expect*]، بالإضافة إلى دوره منتقلا للفعل غير المصرّف، أيّ تفاعل موضوعيّ. فهو لا يشتغل إلاّ اشتغالا ذاتيّا، من حيث كان الوحدة الّتي يتعلّق بهــا توقّع المنتقل. ويمكن أن يشــتغل بهذه القدرة أيّ شــيء كان، بما في ذلــك [*tabs*] (الّتي تعني تقريبا 'الاتّصال" أو "الرّقابة")، وبذلك تكون (40) (ب) منســجمة دلاليّا. ولكن بما أنّ [*tabs* "الرّقابة"] لا يكون منها تواصل أو قصد، لم تكن (40) (ب) كذلك.



الرّسم البيانيّ 12. 12

وبالمثل يكون الأمر بالنّسبة إلى [happy] مقابل [likely]: لا يشارك منتقل المركّب غير المصرّف مشاركة مباشرة وبقدرٍ مهمّ في العلاقة المعروضة، إلاّ في الأوّل منهما. وتصف [happy] حالة المنتقلِ الشّعوريّة، جاعلة إيّاه قريبا من الطّرف الإيجابيّ من السّلّم. وهذه الحالة ليست عامّة - فالشّخص الّذي يكون "سعيدا بالاستقالة" يمكن أن يكون شقيّا في العموم كذلك- ولكنّها مرتبطة خصّيصا بمشاركة المنتقل في العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل غير المصرّف. وبالإضافة إلى ذلك، وجب أن يكون المنتقل قادرا على عيش التّجربة الشّعوريّة، ولذلك يكون تخصيصه بـ[tabs] في (40) (ج) تخصيصا غيرَ موفّق. ومن جهة أخرى، لا تثير [tabs] مشكلة بحكم جريانها فاعلا لـ[likely] في (40) (د). ويتعلّق السّلّم الّذي تستدعيه [likely] باحتمال تحقّق حدث ما. هذا الحدث يخصّصه المتمّم غير المصرّف. ومنتقله مبأّر كذلك معلما لـ[likely] فيناسب تبعا لذلك فاعلَ المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. لكن ليس لهذا المشارك مساهمة موضوعيّة في العلاقة المعروضة. وإلى جانب دوره في المتمّم، يشتغل نقطةً مرجعيّة ليس غير، من حيث مثّل الوحدة الّتي إزاءها يكون تقدير الاحتمال في الحدوث. فعمليّا، يمكن لأيّ شيء، بما في ذلك العبارة الجاهزة [tabs]، أن تجري في هذا المضمار.

وفي ضوء هذا التّحليل، تكون أبنية الإصعاد مجرّد حالة خاصّة لأبنية المراقبة الّتي يكون فيها الدّورُ المهمّ الوحيد للمراقب الدّورَ الّذي يؤدّيه في العمليّة الواردة في موقع المتمّم. وسواء كان الإسمائيّ المعنيّ موجودا بصفة مباشرة في العلاقة المعروضة أو لم يكن موجودا، فهو الفاعل "الحقيقيّ" أو المفعول "الحقيقيّ" في المحمول الحاضن. ففي النّحو العرفنيّ، لا يحيل التّوصيفان الخطاطيّان للفاعل وللمفعول على الدّور الدّلاليّ بل يحيلان على البروز البؤريّ ليس غير. فعادة ما تكون أضواء البروز البؤريّ الكاشفة موجّهة إلى الوحدات الّتي تشارك مباشرة في العلاقة المعروضة. وفوق ذلك، ما من سبب كامن يفسّر لمَ لا يمكن لها أن توجّه تلك الأضواءَ الكاشفة إلى الوحدات الّتي تشارك بطريقة غير مباشرة وإلى فاعل [likely]. ذاك بالتّحديد ما تحاول الوقائع السّطحيّة - أي مظاهر الشّبه الّتي لاحظناها في (39)- أن تخبرنا به. فتعريف الفاعل وتعريف المفعول في النّحو العرفنيّ يمكّناننا من الاستماع، بحكم قيامهما على أساس البروز عوضا عن المضمون المفهوميّ.

12. 3 المتمّمات المنتهية

ليست المتمّمات المنتهية والمتمّمات غير المنتهية متكافئة أبدا رغم إمكانيّة التّبادل بينها دائما. فهي لا تختلف شكليّا فقط، بل تختلف كذلك في معناها وفي وظيفتها الخِطابيّة. فالمركّبات الجُمَليّة المنتهية، بحكم التّعريف، تستدعي مُتَصوِّرا وتدلّ على موقفه إزاء جريان حدث ما. فهي تقترن اقترانا وثيقا بالأحكام الإبستيميّة وبتصوّرات الواقع.

12. 3. 1 الشّكل والوظيفة

يكون المركّب الجُمَليّ المنتهي مجذَّرا. فهو يستدعي، بالإضافة إلى العمليّة التّي يدلّ عليها والّتي تكون ماثلة على الرّكح ومنبنية انبناء موضوعيّا، الأرضيّةَ والعلاقة المجذَّرة اللّتين تكونان خارج الرّكح ومنبنيتين انبناء ذاتيّا (الرّسم البيانيّ 9. 2 (b)). وتتركّز الأرضيّة حول المتحاورين الّذين يشتمل إدراكهم للعلاقة المعروضة على تقييم إبستيميّ. ويدلّ عنصر التّجذير، بوجه خاصّ، على منزلة العمليّة المعنيّة في علاقتها بتصوّر المتكلّم للواقع.

وإذ يشتمل المركّب الجُمَليّ المنتهي على التّجذير، يمكن أن يُدرَك بشكل مستقلّ على أنّه وصف للعالم مفيدٌ. هب أنّ امرءا يقول: [*I kissed a frog* "أنا قبّلت ضفدعا"]. رغم أنّ هذا الأمر يحتمل أن يكون صحيحا أو لا يكون كذلك، فهو يمثّل، على الأقلّ، عبارة يمكنك أن تقيّم صحّتها: هي عبارة تصف نوعا من الحدث مخصوصا، إلى حدّ معقول، يشارك فيه شخص محدَّد، وتصوّر عيّنةً من ذلك النّوع على أنّها كانت قد جرت قبل زمن التّكلّم. فإذا ما قَبِلتَ هذا التّقرير على أنّه صالح، زاد ذلك في تصوّرك للواقع (تاريخ الأشياء الّتي كانت قد جرت إلى حدود اللّحظة الحاضرة). وإذ كان المركّب الجُمَليّ المنتهي قابلا للاستعمال على هذا الوجه بشكل مستقلّ، أمكن له أن يقوم برأسه جملةً تامّة لا اختزال فيها. وهو ثانويّ رغم أنّ استعماله في موقع المتمّم شائع.

ومقابل ذلك، لا يمكن للمركّب الجُمَليّ غير المنتهي أن يقيَّم من حيث صحّته أو يستعملَ لزيادة في تصوّر الواقع. خذ العبارة غير المصرّفة [*to kiss a frog* "أن يقبّل ضفدع"]. فهي لا توفّق في إفراد عيّنة مخصوصة يمكن أن تُقبَل على أنّها واقعيّة، لأنّها تفتقر في آن واحد إلى التّجذير وإلى فاعل محدَّد، وتصف حدثا بطريقة معمّمة فقط - أي من حيث هو نوع بالأساس. والأمر كذلك

بالنّسبة إلى عبارة مصدريّة فاعليّة، من قبيل [*kissing a frog* "تقبيل ضفدع"]. فإذا ما أُخذت معزولة، كانت هذه العبارات لا تقول شيئا مفيدا عن العالم. ولذلك لا يمكن للمركّبات الجُمَليّة غير المنتهية أن تقوم برأسها جملا كاملة في العادة، ولكنّها تجري متمّمات جريانا شائعا. ومن خلال العلاقات الّتي تكون لها بالمركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ، يمكن أن تؤوَّل تأويلا أوفَى وتُجعَل منصبَّة، بصفة غير مباشرة على الأقلّ، على التّصوّرات المتعلّقة بالواقع.

يتعلّق، إذن، شكل المتمّمات بوظيفتها المميّزة. فالمركّبات الجُمَليّة المنتهية مهيَّأة للاستعمال المستقلّ، بحكم كونها مخصَّصة ومجذَّرة بشكل تامّ. فهي تحتوي على العناصر الّتي تتطلّبها هذه الوظيفة الأوّليّة حتّى عندما تُرغَم على الجريان في مواقع المتمّمات. وعلى المنوال نفسه، يتعالق شكل المتمّمات غير المنتهية وافتقارُها إلى الاستقلال. وتعكس جميعُ الخصائص الشّكليّة الّتي تميّزها من المتمّمات المنتهية، منزلتَها التّابعة. فهي، بحكم كونها غير ذات فاعل، تعوّل على المركّب الجُمَليّ الحاضن، لتعيين منتقلها. يتحقّق ذلك عبر علاقات المراقبة الّتي ناقشناها في الفقرة السّابقة[24] وفي غياب التّجذير، يحدّد كذلك المركّبُ الجُمَليّ الحاضنُ موقعَها باعتبار الزّمن والواقع. ومن العوامل الحاسمة، معنى المحمول في المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ وطبيعةُ تجذيره. فعلى سبيل المثال، تستلزم عبارة [*I want to kiss a frog* "أريد أن أقبّل ضفدعا"]، ضمنيّا أنّ التّقبيل يكون في المستقبل ويحتمل أن لا يتحقّق أبدا. نعلم ذلك لأنّ [*want* "أراد"] ورد في الزّمن الحاضر وهو متعلّق بالأحداث اللاّحقة عليه، وهو محايد من حيث جريانها أو عدم جريانها الحقيقيّ. ومقابل ذلك، تستلزم عبارة [*I managed to kiss a frog* "توصّلت إلى تقبيل ضفدع"] ضمنيّا، أنّ المتكلّم كان بالفعل قد قبّل ضفدعا. فالفعل [*manage* "توصّل"] يدلّ على النّجاح في تحقيق العمل الّذي يعبّر عنه المتمّم. ولذلك لا يمكن أن تكون العيّنة المعروضة من الفعل [*manage*] إلاّ جزءا من واقع ماضٍ بحكم أنّ العمل كان جاريا كذلك في الماضي. ويكون مع الفعل [*try* "حاول"]، للمتمّم منزلة أخرى، زيادة على ذلك. يصف الفعل [*try*]، مثل الفعل [*manage*]، المجهودَ المبذول في تحقيق عمل ما، ولكنّه خلافا لفعل [*manage*]، لا يحملِ معنى النّجاح. وباعتبار الزّمن، تكون لذلك عبارة [*I tried to kiss a frog*] شبيهةً بعبارة [*I managed to kiss a frog*]، إذ كانت المحاولة في الماضي فوجب أن يكون التّقبيل كذلك. ولكن بما أنّ المحاولة لا تضمن النّجاح، لا يمكننا أن نستنتج أنّ النّجاح قد حصل بالفعل.[25]

وتتأثّر كذلك منزلة المتمّم غير المنتهي باختيار [*to*] مقابل [*-ing*] عنصرين متبعيـن.[26] فمع [*try to V* "حاول أن+ يفعل"]، على سـبيل المثال، لا يسـتتبع الفعلُ [*try* "حاول"] تحقيقَ الفعل [*V*]؛ ولكنّه يستتبع ذلك مع [*Ving* "المصدر من الفعل"]. يتجلّى التّباين في عبارات متسلسلة من قبيل ما يلي:

(41) (أ) *I tried to kiss a frog, but I couldn't.*
حاولت أن أقبّل ضفدعا، لكنّني لم أستطع.
(ب) *I tried kissing a frog, but it didn't work.*
حاولت تقبيل ضفدع، ولكنّ ذلك لم يكن.

تمثّـل معانـي [*to*] و[*-ing*]، وتوزيعُهمـا مسـألتين معقّدتيـن لا يمكننا أن نتعمّـق فيهما هنـا (فيرزبيكا 1988؛ الفصل 1؛ لانقاكـر 1991؛ § 10، 2، 1). فهمـا يشـتركان في العديد مـن المعاني ويصعب فصلهمـا دلاليّا من الأبنية المتنوّعـة الّتـي يظهـران فيهـا. فالمواضعة تفـرض في بعض الأحيـان خيارا مخصوصا، وعندمـا يكون كلاهما ممكنا يكون التّمييز بينهما طفيفا في أفضل الأحوال. فكلّ ما يمكن أن يشـير إليه وصفٌ عامّ تامّ (صالح لجميع الاسـتعمالات) لكلّ من [*to*] و[*-ing*]، هو ببساطة نزعُ الزّمن عن العمليّة الّتي يدلّ عليها المتمّم (أي تعليق المسح التّتابعيّ).

وبالإضافـة إلى ذلك، تقع المعاني المختلفـة الّتي تدلّ عليها [*to*] و[*-ing*]، في المركز من طرازين مختلفين. مع [*to*]، تُـرَى العمليّة الواردة في المركّب الجُمَليّ المتمّم رؤيةً كلّيّة وتكون لاحقة على العمليّة الواردة في المركّب الجُمَلـيّ الحاضن. يتجلّى هذا المعنى الأساسـيّ في [*to*]، عندما تُسـتعمَل مع محمـولات في المركّـب الجُمَليّ الحاضـن، من قبيـل [*want* "أراد"]، و[*try* "حـاول"]، و[*persuade* "أقنـع"]، و[*expect* "توقّـع"]، و[*likely* "يحتمل/ يرجّح"]، وتجـري في مركّبـات جُمَليّة دالّة على الغاية (مثـل [*He did it to attract attention* "فعله (شـيء) ليجلب الانتباه"]. ولا يُستغرَب أبدا أن نرى صلة تنعقد بواسطة [*to*]، دالّـةً على تشـكّل قوامه مسـلكٌ وهـدفٌ ([*She walked to the store* "(هي) مشـت إلى المتجر"]). ومن جهة أخرى، تأخذ [*-ing*] في الغالب منظورا داخليّا إلى العمليّة المتمِّمة (تماما مثلما يكون الأمر في التّصريف التّدريجيّ) وتشير، زيادة على ذلك، إلى أنّ العمليّة الحاضنة والعمليّة المتمّمة متراكبتان زمنيّا. فمـن محمـولات المركّب الجُمَليّ الحاضن الّتي تنسـجم مـع هذا المعنى الأساسـيّ، نجد [*like* "أحبّ"]، و[*enjoy* "استمتع"، و[*see* "رأى"]، و[*start* "بدأ"]،

و[keep "واصل/ ظلّ"]، و[bother "زعج"]. ولا توجد مع [-ing]، قسمة واضحة بين التّتميم والإسماء. فالمتمّمات الموسومة بواسطة [-ing] تظهر سلوكا اسميّا متماسكا إلى حدّ ما. فهي ترد، مثلا، بعد الفعل المساعد في الاستفهام، كما يظهر في (30) (د)، وتشتغل مفاعيلَ للحروف، كما في (37). وممّا يوحي بطبيعتها الاسميّة كذلك، استعمال الوحدات المعبّرة عن الملكيّة لتخصيص منتقلِها: [His being obnoxious never bothers her "كونه بغيضا لا يزعجها أبدا"]. وقد نبالغ إن ادّعينا أنّ [-ing] تشيِّئ دائما العمليّةَ الواردة في المركّب الجُمَليّ المتمّم.[27]

توحي القيم الطّرازيّة المقترنة بـ[to] و[-ing] بطرق يمكن أن تُعتَمَد في معالجة استعمالات ذات انتشار أقلّ. ومن الحالات المحيّرة من البداية، استعمال [-ing] مع الفعل [anticipate "استبق"]، كما في [I anticipate being nervous "أنا أستبق أن أكون متوتّرا"]. وبما أنّ ذلك الفعل يتعلّق بالمستقبل، يكون من المفروض أن يأخذ [to] بدل ذلك، مثل مرادفه [expect "توقّع"] في: [I expect to be nervous "أتوقّع أن أكون متوتّرا"]. ولكنّ التّرادف لا يكون أبدا دقيقا. فيمكن للمرء أن يقول إنّ هذين الفعلين يعكسان طريقتين مختلفتين في تصوُّر حدوث شيء في المستقبل. فالفعل [expect "توقّع"] يشتمل على إستراتيجيّة مباشِرة أكثر في النّظر إلى المستقبل ببساطة من زاوية الحاضر. وهو يحكم [-ing]، لأنّ الحدوث من هذا المنظور، يقع في نهاية مسلك زمنيّ فيمكن تبعا لذلك أن يُرَى في كلّيته. ويشتمل الفعل [anticipate] على إستراتيجيّة أكثرَ تبلورا من تلك، تَتّخذ زاويةَ نظر غير وقائعيّة وتتخيّل كيف ستبدو الأشياء من ذلك المنظور. فهو يحكم [-ing]، بأن ينقل زاوية النّظر إلى زمان الحدوث في المستقبل، موفّرا بذلك، بطريقة تخيّليّة، منظورا داخليّا إلى ذلك الحدوث.[28]

وممّا يثير مشكلا لطيفا آخر، التّمييز بين [like to V "ودّ/ حبّ أن + فعل"] و[like to Ving "ودّ/ حبّ + يفعل"]. لا يمثّل ذلك مسألةَ ما إذا كانت العمليّة الواردة في المركّب الجُمَليّ المتمّم لاحقة زمنيّا على الحبّ أو مطابقة له. أوّلا، يختلف [like to V] عن [expect to V] من حيث أنّ حدوث شيء لاحق، لا يطرَح بدرجة أولى. إنّما يصف بدل ذلك، كما يرى في (42) (أ)، استعدادا إيجابيّا عامّا لتحقيق العمليّة الواردة في المركّب الجُمَليّ المتمّم، يقوم، في المفترض، على مجريات منها سابقة. يمكن أن يصف [like Ving]، رغم شبهه

بـ[*enjoy Ving*] حيث تكون المتعة مصاحبة للعمليّة الواردة في المركّب الجُمَليّ المتمّم، كذلك موقفا عامّا أساسه عيّنات سابقة، كما في (42) (ب).

(42) (أ) *I like to sit in that chair, but I'm not allowed to anymore.*
أحبّ أن أجلس على ذلك الكرسيّ، ولكن ما عاد يُسمَح لي بذلك.
(ب) *I like sitting in that chair, but I haven't sat there for ages.*
أحبّ الجلوس على ذلك الكرسيّ، ولكنّني لم أجلس هناك منذ سنوات.

ففي هذا القبيل من العبارات الّتي تتجرّد من المجريات الخاصّة، لا تكون العلاقات الزّمنيّة ماثلة إلاّ بطريقة غير مباشرة، في التّباين بين [*to*/*ing*-]. وثمّة عامل آخر مرتبط بذلك، يساهم بطريقة أكثر مباشرة: هو المستوى الّذي تتجلّى عنده العاطفة الإيجابيّة الّتي يشفِّرها الفعل [*like*]. فمع الفعل [*like Ving* "ودّ + مصدر الفعل"]، ما يُرَى رؤيةً إيجابيّة هو عيش التّجربة الحقيقيّة للمعنى المدلول عليه بـ[*Ving*]. ومقابل ذلك تشير [*like to V*] إلى ميل إيجابيّ إلى الفكرة الّتي يدلّ عليها [*Ving*]. فهي، بذلك، تقدِّم خصِّيصا عواملَ ذهنيّة (مثل الحكم، والقرار، والتّقييم، والتّقدير) لا ترتبط بالتّجربة الفوريّة المباشرة. فلا تَناقُض في قولنا [*I like to run but don't like running* "(أنا) أحبّ أن أجري، ولكن لا أحبّ الجري"]، لأنّهما يتعلّقان بمستويين مختلفين. يعني ذلك، أحبّ فكرة الجري (أعلم أنّه مفيد لي) ولكن لا أحبّ التّجربة.

تلك مجرّد نماذج ممّا يكون في التّبادل بين [*to*/*ing*-]، من اللّطائف والتّعقّد. ولعلّه من البديهيّ، على الأقلّ، أنّ هذين العنصرين دالاّن وأنّ استعمالهما مبرَّر، حتّى إذا ما كان اختيار مخصوص للواحد منهما مفروضا تواضعيّا. ومن زاوية أوسع، تكون الفوارق الأساسيّة بينهما دون منزلتهما المشتركة بينهما من حيث كونهما بديلين جاريين للتّجذير المركّبيّ الجُمَليّ. فـ[*to*] و[*ing*-] لا تصلحان لمجرّد وسم المركّب الجُمَليّ بكونه تابعا فقط، بل تصلحان زيادة على ذلك للإشارة إلى علاقته بمحمول المركّب الجُمَليّ الحاضن. وفوق جميع ذلك، لا تتميّز المركّبات الجُمَليّة الّتي تشتقّانهما عن المركّبات الجُمَليّة المنتهية، تميّزا شكليّا فقط، بل يختلفان دلاليّا اختلافا كبيرا كذلك. وتنعكس الفوارق المفهوميّة بين المركّبات الجُمَليّة المنتهية وغير المنتهية في الكيفيّة الّتي بها يشتغلان في النّحو وفي الخطاب.

كنّا قد لاحظنا أنّ المركّبات الجُمَليّة المنتهية، بحكم كونها مجذَّرة ومخصَّصة تخصيصا تامّا، ذات طواعية أكبر للاستعمال بشكل مستقلّ. وهي لا تشتغل متمّمات إلاّ بصفة ثانويّة، حيث يمكن أن توسَم أو لا توسَم وسما صريحا بكونها كذلك (مثلا بواسطة [*that*]). وعندما يجريان جريانا فعليّا في هذه الوظيفة، يظهران رغم ذلك تباينا دلاليّا جوهريّا مع المتمّمات غير المنتهية، حتّى عندما يكونان متكافئين في الظّاهر. يمكن صوغ ذلك بإيجاز شديد: يعبّر المركّب الجُمَليّ المنتهي عن قضيّة، في حين يصف المركّب الجُمَليّ غير المنتهي جريان شيء ما.[29]

يعني الجريان أنّ شيئا ما قد جرى: حدثا كان أو وضعيّة. وتتمثّل القضيّة في جريان شيء ما جنبا إلى جنب مع تقييم لمنزلته الإبستيميّة. ولذلك تستدعي القضيّة ذاتا متصوِّرة تدرك الجريان وتنجز التّقييمَ. وبفعل هذه الطّبقة الإضافيّة، تكون القضيّة أكثر تعقيدا وأكثر تجريدا بصورة عامّة، من الجريان الّذي تتأسّس عليه. ومن الطّبيعيّ، حينئذ أن تكون المتمّمات الّتي تصف المجريات والقضايا موافقة لمختلف الأمْدية الّتي تكون للمحمولات الواردة في المركّب الجُمَليّ الحاضن. ترد بعض الأمثلة من ذلك في (43). فالمحمولات الدّالّة على المظهر النّحويّ، من قبيل [*begin* "شرع"]، و[*keep* "ظلّ"] و[*finish* "أنهى"]، تبئّر المجريات تبئيرا شديدا، من حيث كانت لا تهتمّ إلاّ بتجليّاتها خلال الزّمن. وبما أنّ الجريان ليس مطروحا هنا، تقصَى المتمّمات المنتهية. وتقع في الطّرف الآخر، محمولات من قبيل [*true* "صحيح"] و[*false* "غالط"] اللّذين يتطلّبان متمّمات منتهية. هما يتطلّبان ذلك لأنّ صلاحية حكم إبستيميّ هي بالتّحديد ما يكون مطروحا. فالقضيّة هي ما يمكن أن يكون صحيحا أو غالطا - لكن لا يمكن أن يكون كذلك الحدث في ذاته أو الوضعيّة في ذاتها.

(43) (أ) *She* {*began / kept / finished*} *scraping off the paint.*
هي {بدأت/ ظلّت/ أنهت} تقشِّر/ تقشير الدّهن.

(ب) ✻*She* {*began / kept / finished*} *that she scraped off the paint.*
*هي {بدأت/ ظلّت/ أنهت} أنّها قشرت الدّهن.

(ج) *That he never takes a bath is* {*true / false*}.
أنّه لا يستحمّ أبدا {صحيح/ خاطئ}.

(د) ✻*His never taking a bath is* {*true / false*}.
*عدم استحمامه أبدا {صحيح/ خاطئ}.

ترتبط، بطريقة أو بأخرى، المحمولاتُ الّتي تأخذ متمّمات منتهية بالمعرفة وبتصوّرات الواقع. فهي تتعلّق، مثلا، باكتساب المعرفة ([*learn* "تعلّم"]، [*suspect* "ظنّ"]، [*imagine* "تخيّل"]، [*predict* "تكهّن"]، [*figure out* "تبيّن"])؛ وبالتّفاوض في شأنها ([*persuade* "أقنع"]، [*suggest* "اقترح"]، [*claim* "ادّعى"]، [*doubt* "شكّ"]، [*agree* "وافق"])؛ وبامتلاكها والحفاظ عليها ([*know* "عرف"]، [*believe* "اعتقد"]، [*sure* "تأكّد"]، [*certain* "تيقّن"]، [*convinced* "مقتنع"])؛ وبتناقلها ([*say* "قال"]، [*tell* "حدّث"]، [*write* "كتب"]، [*inform* "أخبر"]، [*announce* "أعلن"])؛ وبردِّ الفعل في شأنها ([*happy* "سعيد"]، [*regret* "أسف"]، [*surprised* "متفاجئ"]، [*astonishing* "مذهل"]، [*terrible* "رهيب"])؛ وبتقييم صحّتها ([*true* "صحيح"]، [*undeniable* "غير قابل للرّفض"]، [*dubious* "مشكوك فيه"]، [*seem* "بدا"]، [*probable* "محتمل"]). وتبعا لذلك، تَستدعي هذه المحمولات بالضّرورة، ذاتا متصوِّرة قادرة على إدراك القضيّة الّتي يعبّر عنها المتمّم. ويمكن أن يُذكَر المتصوِّر ذكرا صريحا، فيكون في هذه الحالة فردا بعينه في الغالب: [*Sam believes that X* "يعتقد سام أنّ [س]"]، [*They persuaded her that X* "(هم) أقنعوها بأنّ [س]"]، [*It seems to me that X* "يبدو لي أنّ [س]"]. ولكنّه يمكن كذلك أن يترَك ضمنيّا في شكل متصوِّر غير محدَّد أو معمّم: [It's {*astonishing* / *terrible* / *true* / *undeniable* / *probable*} *that X* "إنّه لمن {المذهل/ الرّهيب/ الصّحيح/ غير القابل للرّفض/ المحتمل} أنّ [س]"]. وبوجه مهمّ، لا يحتاج المتصوِّر الّذي يقترن بهذا المحمول إلى أن يكون ذاك الّذي يُستدعَى لتجذير المتمِّم المنتهي لذلك المحمول. وهما يتطابقان بالفعل في بعض الأحيان، كما في [*Sam believes that the earth is flat* "يعتقد سام أنّ الأرض مسطّحة"]، حيث يتبنّى سام الموقف الإبستيميّ الّذي يُشفَّر في المتمّم - أي الوضعيّة الّتي تكون فيها هيأة الأرض مسطّحةً جزءا من تصوّر سام للواقع. لكنّ هذين الدّورين الجاريين في المفهمة يستوجبان، مبدئيّا، التّمييز بينهما. يصير هذا الأمر بيّنا مع فعل آخر في المركّب الجُمَليّ الحاضن: [*Sam doubts that the earth is flat* "يشكّ سام في أنّ الأرض مسطّحة"]. هنا، تتمثّل النّقطة الأساسيّة بالتّحديد في أنّ رأي سام يخالف الرّأي الّذي يجري التّعبير عنه في المتمّم. فسام عارف بالقضيّة الواردة في المتمّم ولكن لا يمكن أن نطابقه بالمُتصَوِّر الّذي ينعكس موقفه في تجذير تلك القضيّة.

لا تشتمل المتمّمات غير المنتهية، بحكم كونها غير مجذَّرة، في ذاتها على موقف من ذك القبيل. ولذلك تنزع المحمولات الّتي تجري معها إلى أن

تكـون ذات عناية بالمعرفة أقلّ من العناية بطرق أخرى في التّعامل مع العمليّة الواردة في المتمّم. فهي تتعلّق، مثلا، بإدراك حدوث المتمّم ([*see* "رأى"]، [*hear* "سـمع"]، [*feel* "أحسّ"]، [*watch* "شاهد"]، [*view* "نظر/ رأى"])؛ أو بالتّسبّب فيه ([*cause* "سبّب"]، [*force* "أرغم"]، [*order* "أمر"]، [*make* "جعل"]، [*compel* "فرض"])؛ أو بعيش تجربته ([*like* "أحبّ"]، [*enjoy* "استمتع"]، [*easy* "سهل"]، [*fun* "مسلّ"]، [*painful* "أليـم"]). وممّـا يأخـذ متمّمات غيـر منتهية كذلـك المحمولاتُ الدّالّـة على المظهر النّحويّ ([*start* "شـرع"]، [*begin* "بـدأ"]، [*keep* "ظلّ"]، [*stop* "توقّـف"]، [*quit* "ترك"])، والمحمولات المشـتملة على الرّغبـة وعلى النّيّة وعلى النّاتج ([*want* "أراد"]، [*try* "حاول"]، [*attempt* "سـعى"]، [*aim* "رمى إلى"]، [*intend* "نوى"]، [*persuade* "أقنع/ اقتنع"]، [*induce* "حثّ"]، [*manage* "توصّل إلى"]، [*able* "(أ)قدر"]، [*fail* "أخفق"]، [*wind up* "آل/ انتهى إلى"]). فالمسألة المطروحة بطريقة مباشـرة، مع هذه المحمولات جميعها، هو جريان العمليّة المتمّمة بدل المعرفة بجريانها. لِنَقُل إنّ العلاقات الّتي تدلّ عليها تلك المحمولات تحصل في المستوى العَمَليّ بدل أن تحصل في المستوى الإبستيميّ.

وبما أنّ الحدود بين هذين المسـتويين غائمـة، لا نفاجأ بوجود محمولات كثيـرة يمكن أن تأخـذ متمّمات منتهية أو غير منتهيـة. يتعالق الاختيار، في بعـض الأحيان، مـع فارق ملموس في معنى المحمول. ففـي الجملة (44) (أ) الّتي تمثّل المعنى الإدراكيّ الأساسيّ في فعل [*see* "رأى"]، يُلاحَظ كلّ من الشّـخص والنّشاط ملاحظة بصريّة. ولكن في (44) (ب) يكون معنى الفعل شـبيها أكثر بمعنى "حدث أن عرفت" (*come to know*). فليس من الضّروريّ أن أكون قد أدركتُ النّشـاط أو الشّـخصَ بصريّا؛ مثلا؛ إذ يمكن أن أكون قـد رأيت موادّ الصّنع وتوجيهاته في غرفتـه. ولا يتطلّب كذلك أن يكون الإبصـار مشـاركا - إذ يمكن أن أكون قد اسـتنتجت مقاصده من خلال أنواع مختلفة من الأدلّة الّتي قدّمها لي بعضهم شفويّا.[30]

(44) (أ) *I saw him making a bomb.*
(أنا) رأيته يصنع قنبلة.
(ب) *I saw that he was making a bomb.*
رأيت أنّه كان يصنع قنبلة.
(ج) *I persuaded him to make a bomb.*
أقنعته بأن يصنع قنبلة.

(د) *I persuaded him that he should make a bomb.*
أقنعته بأنّ عليه أن يصنع قنبلة.
(هـ) *I persuaded him that watermelons are poisonous.*
أقنعته بأنّ ثمرات البطّيخ سامّة.

بالمثل، يكون لفعل [*persuade* «أقنع»] معان تختلف اختلافا طفيفا في (44) (ج) و(د). فمع متمّم غير مصرّف، ينوي الشّخص الّذي جرى إقناعه تحقيقَ العمليّة الّتي يعبّر عنها الفعل غير المصرّف (الرّسم البيانيّ 12. 12 (a)). وبدلا من ذلك، يؤول الأمر مع متمّم منته، بالشّخص الّذي جري إقناعه إلى قبول المقترح على أنّه صالح. رغم أنّ (44) (د) توحي بأنّه قد ينوي صنع قنبلة، فذاك لا يعدو أن يكون استنتاجا هيّأت له كلمة [*should*] - فقد يحتمل أن يوافِق على أنّ من واجبه حقيقة أن يصنع قنبلة ولكن لا نيّة له لفعل ذلك. وفي العموم، يمكن أن لا تكون للقضيّة صلة بالشّخص الّذي يقبلها، كما نلاحظ في (44) (هـ).

وفي حالات أخرى، يكون معنى المحمول هو نفسه بالأساس، سواء أخذ متمّما منتهيا أو متمّما غير منته. على سبيل المثال، تصف الصّفة [*happy* «سعيد»] الشّعورَ الإيجابيّ نفسه في كلّ من (45) (أ) و(ب)، وتحقّق [*promise* «وعد»] الالتزام المستقبليّ نفسَه في (ج) و(د). وما يختلف بينهما هو تعلّق المحمول بالعمليّة المتمّمة في المستوى العمليّ أو في المستوى الإبستيميّ. تصف الجملة (أ) الشّعور الإيجابيّ على أنّه نابع مباشرة من وضعيّة كون المتكلّم خارج السّجن، في حين ينبع الشّعور الإيجابيّ في الجملة (ب) من المعرفة بتلك الوضعيّة. ولكن بما أنّنا لا يمكن أن نكون سعداء إلاّ بوضعيّة نعرفها، يكاد لا يكون الفرق بينهما ذا شأن. وبالمثل، يلتزم المتكلّم، في الجملة (ج)، التزاما مباشرا بحدوثٍ في المستقبل، وفي الجملة (د) بصلاحية قضيّة تتعلّق بذلك الحدوث نفسه. والعبارتان متكافئتان من زاوية وظيفيّة لأنّ صلاحية القضيّة متعلّقة بالحدوث. ففي كلّ واحدة من الجملتين، يتحقّق التزام المتكلّم فقط في حالة بقائه بعيدا عن المشاكل. فاختيار المستوى، إذن، مسألة دقيقة تهمّ الانبناء الّذي لا يؤثّر في المضمون الأساسيّ. فلا يكون للتّمييز الدّلاليّ النّاتج تبعاتٌ عمليّة.

(45) (أ) *I'm happy to be out of jail.*

أنا سعيد بكوني خارج السّجن.

(ب) *I'm happy that I'm out of jail.*

أنا سعيد بأن أكون خارج السّجن.

(ج) *I promise to stay out of trouble.*

أعد بالبقاء بعيدا عن المشاكل.

(د) *I promise that I will stay out of trouble.*

أعد بأن أبقى بعيدا عن المشاكل.

في ما يتعلّق بشكل المتمّمات، هناك مسألة أخيرة مدارها معنى [*that*] ووظيفتها وتوزيعها.[31] فرغم أنّ [*that*] تسمّى في الغالب "متمّا"، فإنها ذات استعمالات إتباعيّة أخرى، خاصّة في الموصولات ([*the movie that we saw*] «الشّريط الّذي شاهدناه»)، وفي بناء البؤرة المعروف بمصطلح «الانشطار» ([*It's YOU that I'm angry with*] "هو **أنت** مع من تخاصمتُ"). وفوق ذلك، يكون محدودا بالمتمّمات المنتهية بحكم تنافيه مع [*to*] و[*ing-*]. ويكون استعمالها مع المتمّمات المنتهية اختياريّا في العموم، وذا أثر طفيف في ما يبدو. فلو حذِفت من (45) (ب) أو (د)، لا نشعر بنقصها. فما هو الشّيء الّذي يحدِّد، إذن، ظهورها أو عدم ظهورها؟ وبمَ تساهم عندما تظهر؟

يكون استعمال [*that*] إجباريّا في بعض الحالات. ومن أشهر الملابسات الّتي ترد أمثلة منها في (46) (أ)-(ب)، عدم قابليّتها للحذف من مركّب جُمَليّ متمّم يجري في دور الفاعل النّحويّ للمركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. قارن هذا بالسّياق الّذي تكون فيه [*that*] اختياريّة عندما يظهر المتمّم في غير موضع الفاعل، كما في (46) (ج). يمكن أن يقدَّم تفسير وظيفيّ قائم على معالجة الجملة ذهنيّا. فلو أنّ [*that*] حذِفت من الفاعل المتمّم، يحتمل أن يؤوّل السّامع [*Zelda drinks too much* "زلدا تشرب كثيرا (من الكحول)"] على أنّها عبارة مستقلّة- ثمّ عندما تعترضه [*obvious* "جليّ"] - يضطرّ إلى أن يعيد تحليلها على أنّها تابعة. يجنّب إقحامُ [*that*] الإجباريُّ، بوسم المركّب الجُمَليّ كذلك، السّامعَ مؤونة هذا الغلط في التّحليل.

(46) (أ) [*That Zelda drinks too much*] *is obvious.*

[أن تشرب زيلدا كثيرا (من الكحول)] أمر جليّ.

(ب) *[*Zelda drinks too much*] *is obvious*.

*[زيلدا تشرب كثيرا (من الكحول)] أمر جليّ.

(ج) *It's obvious* [(*that*) *Zelda drinks too much*].

من الجليّ [أنّ زيلدا تشرب كثيرا (من الكحول)].

لئن أمكن لذلك التّفسير أن يكون صالحا، فهو لا يشمل إلاّ مظهرا واحدا صغيرا من توزيع هذا العنصر. فيجب علينا، لبلوغ تفسير شامل منسجم، أن نجيب عن السّؤال الأساسيّ التّالي: ما هو المعنى الّذي تدلّ عليه [*that*]؟ ومن البديهيّ أنّ معناها تجريديّ ومستقلّ عن كلّ مضمون مفهوميّ مخصوص. وبدلا من ذلك، وجب أن يكون مضمونها ماثلا في طريقة خاصّة في رؤية المضمون المركّبيّ الجُمَليّ أو في إدراكه. يتمثّل مقترَحي - وإن كنت مسلّما بكونه انطباعيّا عامّا- في أنّها تسم وسما ظاهرا القضيّة الّتي يجري التّعبير عنها بكونها موضوعا للتّصوّر- أي بكونها منبنية انبناء موضوعيّا بدل أن تنبني انبناء ذاتيّا (§ 9. 1). فيكون لتقوية انبنائها الموضوعيّ أثر يتمثّل في فصل القضيّة بطريقة أوضح عن كلّ ذات متصوِّرة تُعمِل فيها فكرها. يوصَف ذلك في بعض الأحيان بأثر "الإبعاد" (انظر بوركين 1973).

يساعد هذا التّوصيف التّجريديّ على تفسير النّزعات التّوزيعيّة المتنوّعة. ينزع حذف [*that*] إلى التّعالق مع عدد من العوامل الّتي تتضمّن مسافة أقصر بين المتصوِّر والقضيّة المتمِّمة: ضمير المتكلّم، والزّمن الحاضر، والرّأي، والبساطة، وانعدام الكلفة. وترد أمثلة من جميع ذلك في (47) (أ) حيث يكاد يكون استعمال [*that*] غير إجباريّ إلى حدّ ما. وفي المثالين الآخرين اللّذين يظهران مزيجا من الخصائص، تختلف الإمكانيّات في استعمال [*that*] وفقا لتلك العوامل:

(47) (أ) *I think he's gay*.

أظنّ هو مثليٌّ.

(ب) *She knows* (*?that*) *her instructor is gay*.

هي تعلم (؟ أنّ) مدرّبها كان مثليّا.

(ج) *Janice learned* (*that*) *her instructor was homosexual*.

علمت جانيس (أنّ) مدرّبها كان مثليّا جنسيّا.

(د) *Janice ascertained that her aerobics instructor was homosexual*.

أكّدت جانيس أنّ مدرّبها في الرّياضة الهوائيّة كان مثليّا جنسيّا.

بالإضافة إلى ذلك، يكون استعمال [*that*] إجباريّا في بعض الأبنية الّتي تصف القضيّة المتمّمة بكونها قائمة بمعزل عن كلّ متصوِّر مخصوص فيكون لها تبعا لذلك نوع من الوجود الموضوعيّ المستقلّ بذاته. يجري المتمّم، في واحد من تلك الأبنية، في موضع البدليّة مع اسم تجريديّ، موحيا بتشييئه المفهوميّ (الرّسم البيانيّ 7. 7): [*the* {*fact* / *claim* / *idea* / *notion* / *report*} *that watermelons are poisonous* "الـ{واقع/ ادّعاء/ فكرة/ مفهوم/ خبر} أنّ ثمار البطّيخ سامّة"]. وممّا يتطلّب استعمال [*that*] أيضا، بعض المحمولات الّتي تعرض ردّ فعل عاطفيّ إزاء القضيّة المتمّمة:[32]

(48) (أ) *My parents regret that I never went to college.*
يأسف أبواي (على) أنّني لم أذهب قطُّ إلى الجامعة.
(ب) *She* {*dislikes* / *hates* / *resents* / *detests*} *it that only men get promoted.*
هي {لا تحبّ/ تكره/ تستاء/ تنبذ} واقع أنّ الرّجال فقط يتمتّعون بالتّرقية.
(ج) *It* {*shocked him* / *bothers me* / *sucks*} *that Zelda drinks so much.*
{صدمَه/ يزعِجني/ المقرِف} أنّ زيلدا تشرب كثيرا (من الكحول).

لا تطرح مع هذه المحمولات «الوقائعيّة» مسألة صلاحية المتمّم، كما في (46)-(47)، ولكنّها مفترَضة افتراضا مسبقا ببساطة.

لمَ تكون [*that*] متطلَّبة مع المتمّمات الفواعل؟ يوفّر المعنى الّذي اقترحناه لها - أي أنّها تسم القضيّة بكونها موضوعا للتّصوّر- طريقةً جديدة في مقاربة هذه البنية. فالمتمّم الفاعل يخصِّص منتقلَ العمليّة الّتي يدلّ عليها المركّب الجُمَليّ الحاضن. وبحكم التّعريف، تكون العلاقة المعروضةُ بؤرةَ الانتباه الماثلة على الرّكح، ويكون المنتقل المشاركَ البؤريّ الرّئيسيّ فيها. ولذلك، ينبني المنتقل داخل مركّب جُمَليّ ما، بموضوعيّة قصوى - أي أنّه يتفرّد في أقصى درجات الوضوح موضوعا للتّصوّر. فيكون لذلك من المعقول أن تكون [*that*] إجباريّة في المتمّمات الفواعل: هي تسمها بكونها مواضيع للتّصوّر، وهذه المواضيع تشتغل ضمن المتمّمات بتلك الصّفة إلى أقصى الدّرجات.

12. 3. 2 المتصوِّرون ومستويات التّصوّر

كان نقاشنا للمتمّمات المنتهية قد صنَع شخصا يسمَّى "المتصوِّر"، ويعرف بعلامة ["C"] تحبّبا. فالمتصوِّر هو من يدرِك القضيّة الواردة في

المركّب الجُمَليّ المتمّم، ويبنيها بدرجة من الموضوعيّة تزيد أو تنقص، ويبتّ في منزلتها إزاء تصوُّر للواقع يكون عند المتصوِّر. وإذ كان للمتصوّر هذا الشّأن، يكون من المعقول أن نطرح السّؤال التّالي: من هو هذا الشّخص؟ قد يكون السّؤال بسيطا ولكنّه ليس سؤالا بريئا ولا هو ذو جواب سهل. فإذا ما استعرضنا المتّهمين المعهودين، يكون من البديهيّ البدء بالمتكلّم، فالسّامع، فالفاعل في المركّب الجُمَليّ. وإذ يوجد مركّبان جُمَليّان، نحتاج إلى النّظر في كلٍّ من فاعل المركّب الجُمَليّ الحاضن وفاعل المركّب الجُمَليّ المتمِّم. ولكنّنا لا نقتصر على الفواعل - فالمشاركون الآخرون في المركّب الجُمَليّ يمكن أن يكون لهم دور تصوُّريّ كذلك. ولا نقتصر على المتصوّرين الّذين يُذكَرون ذكرا صريحا أو يعيَّنون خصّيصا. وممّا يلوح من بين الظّلمات عدد من الأفراد الّذين يحتمل أن يكونوا مذنِبين باقتراف عمليّة التّصوّر المفيدة لغويّا.

انظر في الجملة [*Peter told Jane that Henry agreed* "بيتر أخبر جاين أنّ هنري وافق"]. فهي تستدعي ما لا يقلّ عن ستّ ذوات مُتصوِّرة: بيتر، وجاين، وهنري، والمتكلّم، والسّامع، والشّخص الّذي وافقه هنري. ولئن أمكن أن يطابق ذلك الشّخص بيتر، أو جاين، أو واحدا من المتحاورين، أمكن كذلك أن يكون فردا آخر يتجلّى من خلال السّياق الخطابيّ. فكلّ قضيّة تدرَك من قبل مجموعة مختلفة من الذّوات المتصوِّرة. فالمتصوّرون السّتّة جميعهم يدرِكون القضيّة الضّمنيّة الّتي وافق عليها هنري. فبيتر، وجاين، والمتحاوران يشتغلون ذوات متصوّرة باعتبار القضيّة المتمّمة (هنري وافق). وكلا المتحاورين يعلم القضيّة الحاضنة (بيتر أخبر جاين).[33] ولذلك وجب أن يُبيِّن الوصفُ التّامّ لمعنى الجملة، بالنّسبة إلى كلّ متصوِّر، أيَّ القضايا يدركها وكيف ترتبط تلك القضايا بتصوّر الواقع عند ذلك المتصوِّر.

مبدئيّا يمكن أن تُدرَك القضيّة - أي العمليّة المجذَّرة الّتي يعبّر عنها مركّب جُمَليّ منته- من قبل أيّ عدد من المتصوِّرين، لكلّ واحد منهم زاوية في النّظر وموقف إبستيميّ إزاء تلك القضيّة. لنُركِّزْ في المتكلّم وفي فاعل المركّب الجُمَليّ الحاضن اللّذين تكون لهما الأهمّيّة القصوى بصفة عامّة. يشبه دور الفاعل باعتبار المركّب الجُمَليّ المتمّم، تقريبا دورَ المتكلّم باعتبار الجملة في كلّيتها (آشار 1998). ففي [*Jill was sure my cat was hungry* "كانت جِل على يقين (من أنّ) قطّي كان جائعا"]، مثلا، تكون جِل

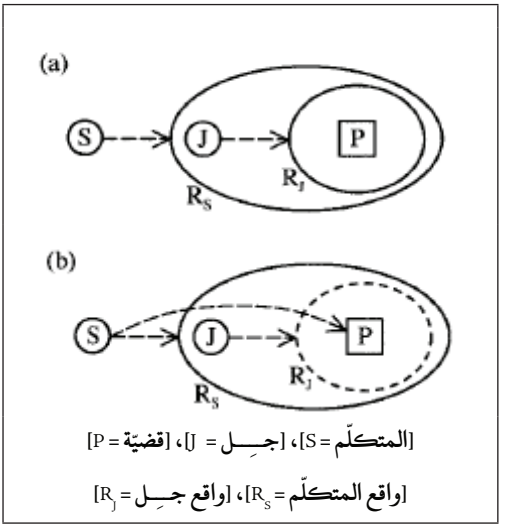
المتصوِّر الرّئيسيّ للقضيّة "قطّي كان جائعا"، بالضّبط كما يكون المتكلّمُ المتصوِّرَ الرّئيسيَّ للقضيّة "جِل على يقين من ذلك". والقضيّة الأولى تنتمي إلى تصوّر جِل للواقع، والأخيرة تنتمي إلى تصوّر المتكلّم للواقع. ويكمن فارق أوّل، بطبيعة الحال، في أنّ جِل وموقفها الإبستيميّ ماثلان على الرّكح منبنيان انبناء موضوعيّا، في حين تكون مساهمة المتكلّم خارج الرّكح وضمنيّةً. ويكمن فارق آخر في أنّ المتكلّم، الّذي ينطقُ الجملة بتمامها وكمالها، يجب عليه كذلك أن يدرك القضيّة المتمِّمة (دون الاعتقاد فيها بالضّرورة). ومن جهة أخرى، لم تفكّرَ جِل بالضّرورة في قضيّة تتعلّق باليقين الّذي أظهرَته، ولا هي تعرف أنّ المتكلّم يفعل ذلك الآن.

فعندما يقبَل متصوّرون متعدّدون نفس القضيّة، ينشأ السّؤال المتعلّق بأيّهم ينعكِس تَصوُّرهَ في ظاهرة مخصوصة. ففي مثالنا، يقبل كلّ من جِل والمتكلّم القضيّة الّتي يعبّر عنها المركّب الجُمَليّ المتمّم ["قطّي كان جائعا"]. فتصوُّر أيٍّ منهما يكون مهمّا من زاوية لغويّة؟ والجواب مرتبط بالمسألة المدروسة. فكلّ متصوِّر إنّما يُستدعَى لغايات معيّنة.

يصف المحمول الحاضن [*sure* "واثق/ على يقين"] تقييما إبستيميّا للقضيّة المتمِّمة. والتّقييم إنّما هو للمنتقل فيها، هي جِل في هذه الحالة. وتشير الجملة إلى أنّ القضيّة قائمة قياما ثابتا في تصوّر جِل للواقع. وبسبب ذلك، تكون جِل الذّات المتصوِّرة المناسبة للواقع، وتصوُّرها هي للواقع، هو المطروح، لا تصوّر المتكلّم. وبالفعل، يمكن أن أقول صادقا: [*Jill was sure my cat was hungry* "جِل كانت على يقين من أنّ قطّي كان جائعا"]، حتّى وإن كنت أعتقد جازما أنّ قطّي (الّذي كان قد التهم منذ قليل ثلاث علب من التّونة) كان شبعان إلى حدّ ما. ولكنّ ذلك لا يعني أنّ تصوّر المتكلّم للواقع غير مفيد مطلقا. لسبب بسيط يتمثّل في أنّ القضيّة الحاضنة (كون جِل على يقين) مقبولة عند المتكلّم على أنّها واقع. وفوق كلّ ذلك، بما أنّ يقين جِل مرتبط خصّيصا بالقضيّة المتمّمة، يكون ذلك اليقين ماثلا في تصوّر المتكلّم للواقع. فهو يصلح لتوصيف ما كانت جِل واثقة منه.

تستدعي الجملة تشكُّلَ الفضاء الذّهنيّ، من حيث كان مظهرا حاسما من معناها، كما يرد في الرّسم البيانيّ 12. 13 (a). يُمثِّل الحرفُ (P) القضيّةَ الّتي يعبّر عنها المتمّم المنتهي [*my cat was hungry* "قطّي كان جائعا"]. تلك القضيّة كانت تفكّر فيها جِل (J) وكانت مقبولة على أنّها جزء من تصوّرها

للواقـع (R_J). والقضيّة المتعلّقة بجِل وبموقفها الإبسـتيميّ تدرَك بدورها من قبـل المتكلّم (S)، الّذي يقبلها علـى أنّها واقعيّة. فتكون بذلك القضيّة (P) ماثلة أيضا - وإن بطريقة غير مباشـرة- في تصوّر المتكلّم للواقع (R_S). فالأمر لا يتعلّق بكون القضيّة (P) نفسها مأخوذة على أنّها واقعيّة. فعوضا عن ذلك، مـا يقبله المتكلّـم على أنّه واقعيّ هـو أنّ القضيّة مقبولة عنـد جِل على أنّها واقعيّة. فإذا ما أوّلنا السّـهام المتقطّعة على أنّها تمثّل مسلك الاهتداء الذّهنيّ، نرى أنّ المتكلّم (S) لا يهتدي مباشرة إلى القضيّة (P): فالمسلك الوحيد بين المتكلّم (S) والقضيّة (P) يمرّ عبر جِل وتصوُّرها للواقع.



الرّسم البيانيّ 12. 13

تجـري المقابلة بين [*sure*] و[*realize* "تبيَّـن/ أدرك"]، مقابَلة مفيدة في هذا المضمار. فالجملة [*Jill realized my cat was hungry* "تبيّنت/ أدركت جِل أنّ قطّي كان جائعا"] تستلزم أنّ المتكلّم يقبل كذلك القضيّة (P) على أنّها واقعيّة، بصـرف النّظر عن موقف جِل الإبسـتيميّ.[34] وقد عَرضْتُ ذلك في الرّسـم البيانيّ 12. 13 (b) بزيادة سهم يذهب من المتكلّم (S) مباشرة إلى القضيّة (P). وتمثِّـل كذلك الدّائرة البيضويّةُ ذات الخطوط المتقطّعة تصوُّرَ جِل للواقع، يشـير ذلك إلى أنّ القضيّة (P) جزء من تصـوُّر المتكلّم للواقع (R_S) في حدّ ذاته، لا مجرّد عنصر من تصوُّر الواقع عند جِل (R_J).

يـدرك المتصوّرون قضيّة ما، كلاّ من زاويـة النّظر عنده. ففي العبارة [*Jill was sure my cat was hungry* "كانـت جِـل علـى يقين مـن أنّ قطّي كان جائعـا"]، تـدرَك القضيّة المتمّمة مـن قبل جِل ومن قبـل المتكلّم، من زاويتـي نظر مختلفتيـن في الزّمن: زاوية جِل فـي الزّمن الماضي (ولذلك ورد [*was sure* "كانـت على يقين"] بـدل [*is sure* "هي على يقين"])، وزاوية المتكلّـم في الزّمن الحاضر (أي فـي لحظة التّكلّم). وتختلف الأبنية من حيـث زاوية النّظر الّتي تنعكس في شـكل المركّـب الجُمَليّ المتمّم. يفرض القالب الأساسـيّ فـي الإنجليزيّة أن يعكس التّجذيـرُ زاوية النّظر عنـد المتكلّـم حتّى وإن كان الفاعـلُ في المركّـب الجُمَليّ الحاضن المتصوِّرَ الرّئيسـيَّ للقضيّة الواردة فـي المركّب الجُمَليّ المتمّم. فالقضيّةَ ["قطّـي كان جائعـا"] تصف ما كانت تعتقده جِـل - أي ما كان جزءا من تصوّرها للواقع (R_j). ورغم ذلك، يعكس تجذيرُ الإسـمائيّ وتجذيرُ المركّـب الجُمَليّ زاويـةَ النّظر عند المتكلّم بدل زاويـة النّظر عند جِل. فالقطّ المعنيّ هو قـطّ المتكلّم، والمتمّم يصفه كما يريد المتكلّم: [*my cat* "قطّـي" (فلو كانـت جِل تصفه لقالـت: [*your cat* "قطّـك"]). وبالمثل، يعكس شـكل التّصريف في الزّمن الماضي الّذي ورد عليه المتمّم ([*was hungry* "كان جائعـا"])، موقع العلاقة المعروضة بالقياس إلى زمن التّكلّم (فلـو كانت جلّ تتكلّم لقالت:[*is hungry* "هو جائع"]). وبناء على ذلك، تقدَّم القضيّةُ المتمِّمة لغويّا من زاوية نظر المتكلّم، رغم أنّها تنسَب إلى جِل مـن حيث كانت جزءا من تصوّرها للواقع. قـارن هذا ببنية متمّمة أخرى، هـي البنية الجارية في نقل الكلام نقلا مباشـرا. فعوضـا عن وصفِ يقين جِل، يمكن للمتكلّم أن يختار لوصف ما قالته هي، كلماتها هي حرفيّا: [*Jill said "Your cat is hungry."* "قالـت جِـل "قطّك جائـع"]. يقوم هنا تجذير الإسـمائيّ وتجذير المركّب الجُمَليّ على تمثُّلِ جِل للقضيّة المتمّمة زمنَ تلفّظها بها.

نـرى حينئذ أنّ شـكل المتمِّم المنتهي لا يحتـاج إلى أن يعكس رؤيةَ أيّ متصـوِّر مفرد.[35] يكون الأمر كذلك حتّى فـي التّجذير المركّبيّ الجُمَلـيّ. تذكّـر (من الفقـرة § 9. 4) أنّ للتّجذير المركّبـيّ الجُمَليّ في الإنجليزيّـة مكوّنيـن أساسـيّين. يتمثّل المكـوّن الأوّل في مـا إذا كان المتصـوِّر يقيِّـم العمليّة المعروضة بكونها واقعيّة أو غير واقعيّة؛ يشـار إلى ذلـك بغياب عنصر جهيّ مقابل حضـوره. ويتمثّل الثّانـي منهما في ما إذا

كانت العمليّة المعروضة مباشرة أو غير مباشرة بالنّسبة إلى المتصوِّر. وفي الحالات المتعلّقة بالواقع، تكون المباشرة مقابل عدم المباشرة معادلتين للحاضر مقابل الماضي في الزّمن. ولكن من يجب أن نعيّنه متصوّرا؟ من المفروض أن يبين الآن أنّ هويّة المتصوِّر متغيّرة. فيمكن أن يختلف فيها المكوّنان الاثنان في التّجذير المركّبيّ الجُمَليّ، مثلما هو الأمر في المركّب الجُمَليّ المتمّم في [*Jill was sure my cat was hungry* "كانت جِل على يقين من أنّ قطّي كان جائعا"]. هذا المركّب الجُمَليّ مجذَّر بواسطة شكل التّصريف في الزّمن الماضي ([*was*]) وبغياب عنصر جهيّ. والعمليّة المعروضة ([*be hungry*]) ليست مباشرة بالنّسبة إلى المتكلّم في مقام حدث القول الجاري. ولكن لا يُستَلزَم من ذلك أنّ المتكلّم يقبلها على أنّها واقعيّة. فالشّخص الّذي يقبلها على أنّها واقعيّة، إنّما هي جِل - فزاوية النّظر عندها، هي ما يشير إليه المتكلّم بعدم إدراج عنصر جهيّ في كلامه. فالمتكلّم (الّذي يتذكّر علَب التّونة الثّلاث) يفعل ذلك رغم أنّه واثق من أنّ رؤيتها خاطئة.

فالمتصوّر الّذي يُستدعى بواسطة عنصر التّجذير، حينئذ، كائن افتراضيّ، بمعنى أنّه لاَ يمكن أن يطابق أيّ شخص بعينه. وفي المطلق، تجري مطابقةُ المتصوِّر بالمتكلّم الحقيقيّ، ولكن يغلب أن يكون تعيينه التّامّ مجمّدا، في المتمّمات المنتهية خاصّة. وبالنّسبة إلى الرّسم البيانيّ 12. 13، يكون المتصوِّر المعنيُّ (C)، داخليّا في الخانة (P) الّتي تمثّل القضيّة الّتي يعبِّر عنها المركّب الجُمَليّ المتمِّم. تتكوّن هذه القضيّة من العمليّة المعروضة (من قبيل [*my cat be hungry* "قطّي جائع"]) جنبا إلى جنب مع تجذيرها (أي تقييمها من قبل المتصوِّر (C) على أنّها واقعيّة ولكنّها غير مباشرة). وكما رأينا، يتحدَّد المتصوِّر الّذي ينشئ هذا التّقييم الإبستيميّ - باعتبار الواقع خاصّة- باعتماد معنى المحمول الحاضن، بصفة كبيرة. تُمثِّل الجمل في (49) نماذج من المرونة في تحديد المتصوِّر. فغياب العناصر الجهيّة يشير باستمرار إلى أنّ العمليّة المتمّمة مقبولة على أنّها واقعيّة. وتختلف الأمثلة من حيث يمثّل ذلك رؤيةَ المتكلّم، أو رؤيةَ جِل، أو رؤيةَ كليهما، أو رؤيةً ليست لأيّ واحد منهما. فالمتمّم، بذاته وفي ذاته، لا يقدّم شيئا ماعدا القضيّة. ويمكن للمتصوّرين المحدَّدين أن يتبنّوا الموقف الإبستيميّ الّذي ينعكس في التّجذير، أو لا يتبنّوا ذلك.

(49)

(أ) *Jill was unaware that my cat was hungry.* [واقعيّ عند المتكلّم فقط]
لم تكن جِل واعية بأنّ قطّي كان جائعا.

(ب) *Jill wrongly believed that my cat was hungry.* [واقعيّ عند جِل فقط]
كانت جِل تعتقد خطأ، أنّ قطّي كان جائعا.

(ج) *Jill was right that my cat was hungry.* [واقعيّ عند كليهما]
كانت جِل على حقّ في أنّ قطّي كان جائعا.

(د) *Jill gratuitously speculated that my cat was hungry.* [غير واقعيّ عند كليهما].
كانت جِل تخمّن دون حجّة أنّ قطّي كان جائعا.

رغم تعيين المتصوِّر والمتكلّم المطلق، وجب تمييز المتصوِّر من المتكلّم، وتمييز تصوُّرِ المتصوِّر للواقع من تصوُّرِ المتكلّم لذلك الواقع، حتّى في العبارات القائمة على مركّب جُمَليّ وحيد. فإذا قلت: [«قطّي جائع»]، يفهَم كلامي في العادة على أنّني أشير إلى أنّني أقبل الجريان المعروض ([«قطّي جائع»]) على أنّه جزء من الواقع المباشر. ولكنّ هذا التّأويل المطلق يلغى بسهولة:

(50) (أ) *Let me guess why you're phoning. My cat is hungry.*
دعني أخمّن لِمَ أنت تهاتف النّاس. قطّي جائع.

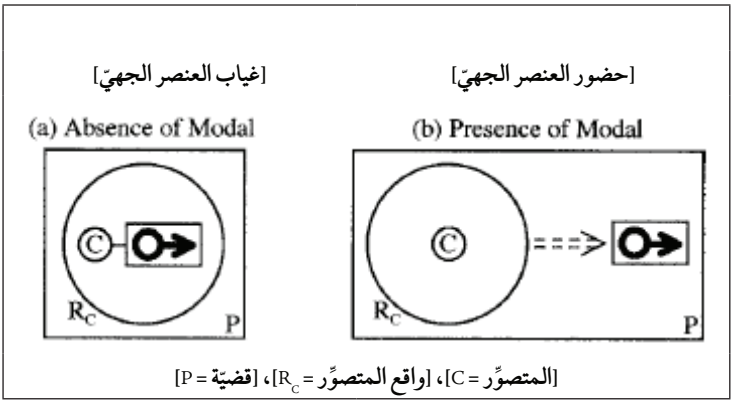
(ب) *My cat is hungry. Sure. Tell me another one.*
قطّي جائع. بكلّ تأكيد. احكِ لي حكاية أخرى.

(ج) *My cat is hungry. And if you believe that, there's a bridge in Brooklyn I want to sell you.*
قطّي جائع. فإن صدّقتَ ذلك، هناك جسر في بروكلين أريد أن أبيعه لك.

لا يُقصَد بالمركّب الجُمَليّ المنتهي أن يكون دائما حكما صادقا، حتّى وإن قام بمفرده جملة بحالها، ولا يعكس تجذيرُه باستمرار الموقفَ الإبستيميَّ عند المتكلّم. فالقضيّة الّتي يعبّر عنها يمكن أن تُستعمَل لعدد غير محدود من الغايات الخطابيّة. وبصفة عامّة، تكون القضيّة حاضرة في ذهن المتكلّم مجرّد الحضور، دون أن يتبنّاها بالضّرورة. ولا تكون مطابقةُ المتصوِّرِ بالمتكلّم، ولا مطابقة تصوُّرِ المتصوِّرِ للواقع بتصوُّرِ المتكلّم للواقع الفعليّ، إلاّ حالة خاصّة.

يُمثِّل الرّسمُ البيانيّ 12. 14 المكوّنَ الواقعيّ للتّجذير في المركّبات الجُمَليّة المنتهية في الإنجليزيّة. يمثّل المكوّن المشار إليه بحرف (C)،

متصـوِّرا افتراضيّـا يرتبط تحديده بعوامـل خارجيّة عن المركّـب الجُمَليّ. تتخصّـص منزلة العمليّة المعروضة بحضـور العنصر الجهيّ مقابل غيابه: فهي تُقبَل على أنّها جزء من تصوّر المتصوِّر للواقع أو تبقى خارجه. وفي هذه الحالة الأخيرة، يشـير اختيار العنصر الجهيّ ([*may* "أمكن"]، [*should* "وجب"]، [*must* "وجب"]، إلخ) إلى شدّة المَيل عند المتصوِّر إلى قبولها على أنّها واقعيّة (§ 9. 4. 3). يكوّن هذا التّشكّل بتمامه وكماله - أي الجريانُ المعروض وتقييمُه الإبستيميّ- قضيّةً هي (P).



الرّسم البيانيّ 12. 14

تكون القضيّـة الّتي يعبّر عنها مركّب جُمَلـيّ منته، في ذاتها وحدةً افتراضيّة إن أُخِذت في معزل عن استعمالها. فالمركّب الجُمَليّ [*my cat is hungry* "قطّي جائع"]، على سـبيل المثال، مأخوذا من زاوية مجرّدة مطلقة، لا يقيـم أيّ ارتبـاط بالعالم بأيّ وجه مخصـوص، إذ يمكن أن يَتلفَّظ به في أزمنة مختلفـة، متكلّمون مختلفون، باعتبـار قطط مختلفة، لغايات خطابيّة مختلفـة. فلا تُحدَّد القيم المخصوصة لتلـك المتغيّرات إلاّ في سـياق حدث اسـتعماليّ خاصّ، محوّلةً بذلك القضيّـةَ إلى قضيّة ذات مضمون حقيقيّ. فعندما يكون المركّب الجُمَليّ منشدّا بهذه الطّريقة، يمكنه أن يقوم برأسه أو جزءا مندرجا في جملة مركّبة، اندراج المتمّم بوجه أساسيّ.

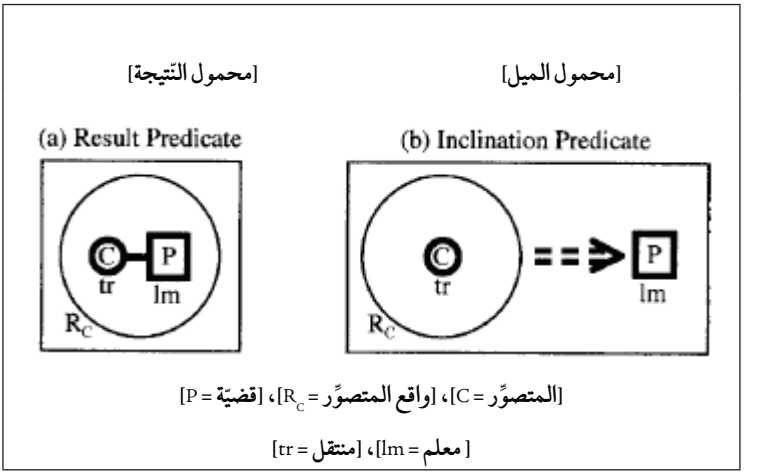
وعندما يسـتوي المركّـب الجُمَليّ قائما برأسـه، تتحدّد في المطلق الأرضيّـةُ الّتي تسـتدعيها عناصـر التّجذير بـأن تطابقَ أرضيّـةَ الحدث الكلاميّ الفعليّ مطابقة تامّة. فيكون بذلك المتكلّم الّذي يسـتدعيه

التّجذير المتكلّـمَ الفعليّ، والزّمنُ المستدعى زمنَ الحدث الكلاميّ الجاري، وهكذا دواليك. ويتحمّل المتكلّم، بوجه خاصّ، دورَ المتصوِّر (C) في الرّسم البيانيّ 12. 14: يشير حضور عنصر جهيّ أو غيابه إلى منزلة العمليّة المجذَّرة باعتبار تصوُّر المتكلّم الخاصّ للواقع. وعلى هذا التّأويل، يمكن أن يُستعمَل المركّب الجُمَليّ لإنشاء تقرير يعكس تقييمَ القضيّة الفعليَّ عند المتكلّم. فإذا ما أُخِذت عبارة [*My cat is hungry* "قطّي جائع"]، مثلا، على أنّها تقرير، أشارت إلى أنّ المتكلّم يقبل جوعَ القطّ الحاليَّ على أنّه واقع. ولكنّ المطابقة التّامّة بين المتكلّم والمتصوّر لا تكون إلاّ في المطلق. فالأمثلة الواردة في (50) نماذج متنوّعة من الملابسات الّتي يعبّر فيها المتكلّم عن القضيّة ولكنّه لا يتبنّاها. وأقصى الحالات في ذلك، هي تلك الّتي يوهِم فيها المتكلّم بأنّه يتبنّى قضيّة ما ولكنّه في الواقع يرفضها.[36]

وعندما يرد المركّب الجُمَليّ متمّما تتعلّق منزلةُ القضيّة الّتي يعبِّر عنها بالبنية الكبرى الّتي تشتمل عليه. فينتج عن عدم استقلاله أنّ المطابقة التّامة لأرضيّته الافتراضيّة بأرضيّة حدث الكلام الحقيقيّ، لا تبقى الحلّ المطلق في التّجذير. فباعتبار المباشرة مقابل عدم المباشرة، يعكس في العموم تجذيرُ المركّبِ الجُمَليّ المتمّم، حقيقة، زاويةَ النّظر عند المتكلّم الفعليّ. ولكنّ الواقع، رغم ذلك، مسألة أخرى. فعادة ما يشير المحمولُ الحاضن إلى موقف إبستيميّ من القضيّة المتمِّمة. فهو، بناء على ذلك، يستدعي بصفة ضمنيّة على الأقلّ متصوِّرا يكون مسؤولا عن التّقييم الإبستيميّ. وبالفعل، يمكن أن يكون في الجملة المركّبة عدد غير معلوم من المتصوّرين، بما في ذلك المتحاوران كلاهما وجميع من يدرك القضيّة المتمِّمة ويكون له موقف إبستيميّ إزاءها. وتحدِّد طبيعة ذلك الموقف ما إذا كان مُتصوِّر ما مطابقا لمُتصوِّر آخر أو موافقا لتَصوُّر الواقع عنده (لانقاكر 2004a). ففي عبارة [*Jill was sure my cat was hungry* "كانت جِل على يقين (من أنّ) قطّي كان جائعا"]، مثلا، تتبنّى جِل القضيّة المتمّمة وتقبل رؤية المتصوِّر للواقع على أنّها رؤيتها هي (فقد كان بإمكانها أن تقول: [*Your cat is hungry* "قطّك جائع"].

يرتبط حدوث هـذا الأمر ارتباطا كبيرا بمعنـى المحمول الحاضن. وتتعلّـق هـذه المحمـولات بمختلف الأطوار مـن العمليّة الإبسـتيميّة. فالأفعـال من قبيل [*wonder* "تسـاءل"]، و[*ask* "طلب"]، و[*consider* "اعتبر"]، و[*examine* "فحـص"] تصف طـور التّقييم البدئيّ حيـث يتأمّل المنتقل في القضيّـة المتمّمة ليحدّد صحّتها الممكنة.[37] وتصف محمولات أخرى الميـل إلى قبـول القضيّة أو إلى رفضها: [*think* "ظـنّ"]، [*believe* "اعتقد"]، [*suspect* "توهّـم، اشـتبه"]، [*imagine* "تخيّل"]، [*doubt* "شـكّ"]. وبالإضافة إلـى ذلك، تـدلّ أفعال أخرى على عمل قبول القضيّـة على أنّها واقعيّة: [*learn* "علـم"]، [*find out* "تبيّن"]، [*realize* "تحقّق"]، [*decide* "قرّر"]، [*conclude* "اسـتنتج"]. وفي النّهاية، تشير محمولات من قبيل [*know* "عرف"]، و[*sure* "واثق/ متأكّـد"]، و[*certain* "تيقّـن"]، و[*convinced* "اقتنـع"]، إلى النّتيجة الحاصلـة من ذلك العمل - أي الوضعيّة الثّابتة الّتي تكون فيها القضيّة قد اندرَجت في تصوّر الواقع.[38]

يقدّم الرّسم البيانيّ 12. 15 تمثيلا معمَّما للمحمولات الدّالّة على النّتيجة والمحمولات الدّالّة على الميل. فالمتصوِّر هو منتقلُ المحمول في العادة (وإن لم يكن كذلك باستمرار). والعلاقة المعروضة هي العلاقة الّتي بها يقبَـل المتصوِّرُ(C) القضيّةَ (P) على أنّهـا صالحة (أي جزء من تصوّر المتصـوّر (C) للواقـع)، أو بدلا من ذلك، هي العلاقـة الّتي بها يكون عند المتصوِّر درجة من الميل إلى قبولها. لاحظ أنّ ذينك القسـمين من المحمـولات مماثلان للمكوّن الواقعيّ في التّجذير المركّبيّ الجُمَليّ (الرّسـم البيانيّ 12. 14). والمحمولات الدّالّة على النّتيجة شـبيهة بغياب العنصر الجهيّ، لأنّها تخصّص التّضمّن في تصوّر الواقع (R_C). وتخصّص المحمولات المعبّرة عن الميل، كما تفعل العناصر الجهيّة الإبسـتيميّة، القـوّةَ في النّزعة الذّاهبة في اتّجـاه القبول. وبطبيعة الحال، هناك فوارق أيضـا. أوّلا، المحمـولات تعرض العلاقة الإبسـتيميّة فـي حين تعرض عناصـرُ التّجذيـر العمليّةَ المجـذَّرة (أمّا الأرضيّة وعلاقـة التّجذير فهما خارج الرّكح، ينبنيان انبناء ذاتيّا). وبالإضافة إلى ذلك، يكون بالنّسبة إلـى المحمولات، هدفُ التّقييم القضيّـةَ (P) بكاملها، في حين يكون هدف التّجذير ببسـاطة جريانا لشـيء ما. فتجذير قضيّة ما، هو بالتّحديد، ما ينشـئ قضيّةً. ولذلك يشتغل التّشكّل بأكمله في الرّسم البيانيّ 12. 14، على أنّه قضيّة (P) في الرّسم البيانيّ 12. 15.



الرّسم البيانيّ 12. 15

والمحمولات الممثّلة في الرّسم البيانيّ 12. 15 تختار المتصوِّر منتقلا لها. ولئن كان ذلك طبيعيّا إلى حدّ ما، فهو ليس التّصفيف الوحيدَ الممكن. فبالإضافة إلى كون المتصوّر (C) الفاعلَ، يمكن له أن يخدم نحويّا وظيفة المفعول للفعل أو لحرف ما، أو يمكن أن يتركَ ضمنيّا ببساطة:

(51) (أ) *The long series of rigorous experiments* {*persuaded me* / *proved to me* / *that worms are colorblind. demonstrated*}
سلاسل التّجارب الطّويلة الدّقيقة {أقنعتني/ بيّنت لي/ برهنت لي} أنّ الدّيدان لا ترى الألوان.

ويكون لنا بالمثل سبُل متنوّعة في اختيار المنتقل. فمنزلة المنتقل تسنَد في بعض الأحيان إلى مشارك غير عاقل، عوضا عن المتصوِّر (C)، كما في (51). ويمكن للقضيّة (P) بذاتها، أن تشتغل فاعلا في المركّب الجُمَليّ الحاضن، كما يجري تمثيل حالة خاصّة من ذلك في (52) (أ). فغالبا ما تقتصر العبارات من هذا القبيل على الكتابة الرّسميّة. وفي الخطاب المنطوق، يُتجنَّب استعمالها وتعوَّض بالبنية الواردة في (52) (ب) حيث يظهر الضّمير المحايد [*it*] في موضع الفاعل. يعكس هذا التّنوّع استقلالَ منزلة المنتقل عن أيّ دور دلاليّ مخصوص. فيوجَّه الضّوء الكاشف الّذي يكون للبروز البؤريّ الرّئيسيّ مجرّدَ توجيه إلى وحدات مختلفة داخل التّصوّر الشّامل.

(52) (أ) *That worms are colorblind is* {*possible / likely / doubtful / obvious / true*}.
أن لا ترى الدّيدان الألوان {ممكن/ محتمل/ محلّ شكّ/ بيّن/ صحيح}.
(ب) *It's* {*possible / likely / doubtful / obvious / true*} *that worms are colorblind.*
{يمكن/ يحتمل/ يرجّح/ يبين/ يصحّ} أن تكون الدّيدان لا ترى الألوان.

فما هو الشّيء الّذي يوجَّه إليه الضّوء الكاشف في (52) (ب)؟ وعلام يحيل الضّمير المحايد [*it*] في العبارات من هذا القبيل؟ الرّأي السّائد أنّه لا يحيل على شيء مطلقا. فهو يُعتبَر غير ذي معنى في هذا الاستعمال، من حيث أقحِم على أنّه فاعل فارغ، إقحاما فرضته غايات نحويّة صِرف. فالمركّبات الجُمَليّة المنتهية في الإنجليزيّة تتطلّب فاعلا ظاهرا، فعندما "ينتقل" المتمّم إلى النّهاية - لاجتناب الخلل النّاتج عن وجود مركّب جُمَليّ منته في موضع الفاعل- يأخذ مكانَه العنصرُ [*it*] الفارغ دلاليّا، ويشتغل فاعلا بمقتضى ذلك. فيكون الآن بوضوح [*it*] فاعلَ المركّب الجُمَليّ الحاضن في هذه البنية، الّتي توفّر بالفعل بديلا أسلوبيّا مفضَّلا على (52) (أ). ولكنّه لا يمكن أن يكون غير ذي معنى. فقيمة [*it*] الدّلاليّة، من زاوية النّظر النّحويّة العرفنيّة، قيمة مفصليّة في الوصف النّحويّ لتلك البنية.

علام يدلّ، إذن، الضّمير [*it*]؟ اقترحتُ في ما سبق (§ 11. 3. 2) أنّ [*it*]، في هذا الاستعمال، يعرض إطارا تجريديّا. فالجملتان في (53) نموذجان من الخيار في انتقاء شخص أو إطار يكون فاعلا لمحمول دالّ على تجربة معيشيّة. ففي الاستعمال الأساسيّ، يعرض الفعل [*see* "رأى"] التّفاعلَ بين فاعل عائش للتّجربة ومفعول به للإدراك (الرّسم البيانيّ 11. 9 (a)). ومقابل ذلك، تعرِض البنية الّتي يكون فيها الإطار فاعلا العلاقةَ بين إطار وما يرشُح في ذلك الإطار (الرّسم البيانيّ 11. 9 (b)). فهو يتجرّد من كلّ عائش للتّجربة مخصوص، ويتضمّن أنّ كلّ شخص يوجد داخل ذلك الإطار يحتمل أن يرى الأحداث المعنيّة.

(53) (أ) *The general saw some catastrophic wars.*
رأى (/عاش) الجنرال بعض الحروب الكارثيّة.
(ب) *The past century saw some catastrophic wars.*
رأى (/عاش) القرن الماضي بعض الحروب الكارثيّة.
(شهد القرن الماضي بعض الحروب الكارثيّة).

ندّعي أنّ التّباين في (54) شبيه بهذا. فعندما يكون الفاعل آدميّا، تعرض [*certain*] الموقف الإبستيميّ عند المتصوِّر تجاه القضيّة المتمّمة. والجملة المناسبة لذلك المقترنة بالضّمير المحايد [*it*] تتجرّد من كلّ متصوِّر بعينه، وتنصبّ البؤرة، بدلا من المتصوِّر، على تجلّيه داخل الملابسات الشّاملة. فيتمثّل مضمونها في أنّ أيّ مُتصوِّر، عندما يكون في تلك الملابسات، يحتمل أن يتبنّى الموقف المعنيّ.

(54) (أ) *I am certain that worms are colorblind.*

أنا واثق / متيقّن من أنّ الدّيدان لا ترى الألوان.

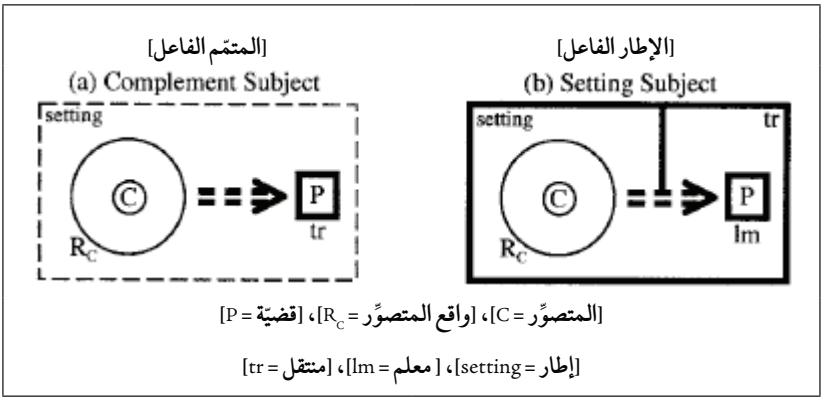
(ب) *It is certain that worms are colorblind.*

(من) اليقين أنّ الدّيدان لا ترى الألوان.

يكون الإطار بالنّسبة إلى الأحداث العاديّة (مثل الحروب) فضائيّا زمانيّا بصفة أساسيّة. ولكنّ القضايا تكون أمضى في التّجريد، حتّى إذا ما تعلّقت بتلك الأحداث. فهي لا تتمثّل في الجريان المعروض في ذاته، بل في إدراك ذلك الجريان وفي تقييمه الإبستيميّ (الّذي يأخذ شكل التّجذير). ولذلك وجب أن يكون إطار القضيّة تجريديّا كذلك. ولعلّه يمكن أن يوصَف، رغم صعوبة توصيفه، بكونه مدى الوعي المفيد: أي كلّ شيء يستدعيه المتصوِّر أساسا يقوم عليه إدراك القضيّة وإنشاء الحكم الإبستيميّ الّذي يعبّر عنه المحمول. وبعبارة أخرى، يعيّن الضّمير المحايد [*it*] المدى المباشرَ لعبارة ما لتحقيق تلك الغاية.[39]

لنُجمِل القول بالنّظر في الطّرق البديلة في التّعبير عن الميل - أو عن عدم الميل، كما يكون الأمر في حالة [*doubtful*] "شاكّ / متشكّك / محلّ شكّ / مشكوك فيه"] (الّتي تجري في القوالب الثّلاثة). يكمن الخيار الأوّل في أن يكون المتصوِّر مبأّرا من حيث هو منتقل: [*I'm doubtful that P*] "أنا متشكّك (/شاكّ) في أنّ + قضيّة"]. وقد عُرِض ذلك في الرّسم البيانيّ 12. 15 (b). ويشترك القالبان الآخران في خصيصة التّجرّد من أيّ متصوِّر بعينه. ورغم أنّ الحكم الإبستيميّ يظلّ مستلزَما، فهما يبئّران مظاهر أخرى من الوضعيّة الشّاملة. ومن الخيارات في ذلك، كما يعرض في الرّسم البيانيّ 12. 16 (a)، أن يُتّخَذ المتمِّمُ منتقلا: [*That P is doubtful*] "أنّ القضيّة محلّ شكّ (/ مشكوك فيها)"]. فيكون الأثر من ذلك في إبراز دور القضيّة (P) من حيث هي هدفُ (عدَم) المَيل. ويتمثّل الخيار الآخر، كما يعرض في الرّسم البيانيّ 12. 16 (b)، في إسناد مَنزلة المنتقل إلى الإطار التّجريديّ، أي إلى مدى الوعي

المفيد: [*It's doubtful that P* "من المشكوك فيه أنّ+ قضيّة"]. يبرز ذلك دورَ الملابسات الشّاملة من حيث هي أساس يقوم عليه الحكم الإبستيميّ.



الرّسم البيانيّ 12. 16

تُمكِّن تانك البنيتان الأخيرتان المتكلّمَ من أن يتجنّب تحمّل المسؤوليّة عن ذلك الحكم. فعندما يقول المتكلّم: [*I'm doubtful that P* "أنا شاكّ في أنّ + قضيّة"]، إنّما يعبّر بطريقة مباشرة عن شكّ شخصيّ. ومن جهة أخرى، تكاد لا تدلّ عبارة [*That P is doubtful* "أنّ القضيّة مشكوك فيها"] إلاّ على أنّ القضيّة تستحقّ ذلك التّقييم السّلبيّ. وبالمثل، تكاد لا تدلّ عبارة [*It's doubtful that P* "من المشكوك فيه أنّ+ قضيّة"] إلاّ على أنّ الملابسات الشّاملة ضامنة لذلك الحكم: كلّ شخص يدرك تلك الملابسات يستنتج الشّيء نفسه. وممّا يؤكّد ذلك، أنّ الإقرار بأنّ الموقف مضمون يستلزم أنّ المتكلّم يتبنّاه. غير أنّ ذلك يوحي بأنّ المتكلّم - مثل أيّ شخص آخر- قد انقاد ببساطة إلى هذا الاستنتاج من خلال الوعي بالاعتبارات المفيدة. فإن كان الحكم خاطئا، فليس ذلك ذنب المتكلّم.

هوامش الفصل

[1]- يعرَف خطأ من هذا القبيل تقليديّا باسم "الحذف القائم على العطف». والأمثلة تزداد سوءا من (أ) إلى (ج) لأنّ التّناقض يزداد بروزا بحكم التّوازي النّحويّ الظّاهر والتّجاور المباشر.

[2]- بوجه أدقّ، يزداد تحقيق الانسجام صعوبة لأنّ تَخيُّل رابط في هذه الحال أصعب. ومن الإمكانيّات في ذلك أن يصف كلا المركّبين الجُمَليّين شيئا يمكنك التّعويل عليه دائما.

[3]– يمثّل الرّسم البيانيّ 12. 3 الحالة الخاصّة الّتي تتضمّن ثلاثة أشياء معروضة. قد يكون توصيفٌ أكثرَ خطاطيّة محايدا من حيث عدد الوحدات المعروضة (ما دام هناك أكثر من واحد) ويحتمل أن يسمح بظهور أنواع أخرى (مثل العمليّة أو العلاقة اللاّعمليّاتيّة).

[4]– يجري تأويل [or "أو"]، في بعض الأحيان، تأويلا تضمّنيّا، يجيز إمكانيّةً تتمثّل في أداء الدّور من قبل المترشّحَين كليهما (من مثل [*If there's rain or fog, we'll cancel the party* "إن كان المطر أو الضّباب، سوف نلغي الحفلة"]. والفرق بين [or] التّضمّنيّة و[or] الإقصائيّة يتلخّص في ما إذا كان تصوّر مترشّح وحيد في أداء الدّور مأخوذا على أنّه التّوصيف الأدنى أو التّوصيف الأقصى للوضعيّة المتوقّعة.

[5]– أوّل من أشار إلى هذا القيد، هو روسّ (1986)، وناقش لايكوف (1986) حالات من قبيل (7) (ج). وتُستكشَف مظاهرُ أخرى من التّعقّد في ظاهرة العطف في هادسن (1988 و1989) وكذلك في لانقاكر (1991: § 11. 2).

[6]– قد يكون القول إنّ معروض المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ لا يلغى، غيرَ دقيق. ولئن كان هذا التّوصيف صالحا في حدود محلّيّة، فهو لا يستقيم في العبارات المعقّدة الّتي يكون فيها مركّب جُمَليّ رئيسيّ بدوره تابعا في مستوى أعلى. من أمثلة ذلك [*the spider [she tried [to swallow]*] "العنكبوت [(الّذي) حاولت [(أن) تبلعه]]"، حيث تشتغل [she tried "هي حاولت"] مركّبا جُمَليّا رئيسيّا فقط في علاقتها بالمركّب الجُمَليّ [to swallow "أن تبلع"] الوارد متمّما. في المستوى الأعلى الّذي للمركّب الجُمَليّ الموصول، يُلغى معروضُه بكلمة [spider "عنكبوت"].

[7]– لا يكون الأمر كذلك بكلّ تأكيد إن حذفنا المركّبات الجُمَليّة التّابعة عوضا عنها: [*There's something. It seems. I suppose. I'm telling you because of something* «هناك شيء ما. يبدو. أظنّ. أنا أخبرك بسبب شيء ما.»].

[8]– باستعمال المصطلح المحايد رابط (عوضا عن متبع أو أداة إتباع)، نتجنّب ما يتضمّنه ذانك المصطلحان من كون المركّب الجُمَليّ الظّرفيّ تابعا بالضّرورة. وفي نفس الاتّجاه، وجب أن لا يفهم المصطلحان «رئيسيّ» و«حاضن» في المركّب الجُمَليّ على أنّهما يتضمّنان أنّ المركّب الجُمَليّ المعنيّ يكون دائما أهمّ من المركّب الجُمَليّ الظّرفيّ أو أنّه يشتمل عليه واحدا من مكوّناته. والمصطلحات هنا أبعد ما يكون عن الكمال بحكم التّعقّد في الظّواهر وتنوّعها.

[9]– يتعلّق تأهّلهما أو عدم تأهّلهما ليكونا من الحروف كما وُصّفَت توصيفا ضيّقا في الرّسم البيانيّ 4. 11 (c)، بما إذا كان إسماءُ المركّب الجُمَليّ الظّرفيّ جاريا بالتّشييء المفهوميّ (بوجه ينبني به المعلَم على أنّه شَيء).

[10]– هذا مثال لا يكون فيه العنصرُ المناسب المنتقلَ: [*It occurred to me just before leaving the party that I should thank the hostess* «خطر لي قبيل الانصراف من الحفل أنّ من واجبي أن أشكر المضيّفة»].

[11]– بطبيعة الحال، يمكن أن يكون المركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ بدوره تابعا جزءا من عبارة أكثر تركيبا. ففي عبارة [*Bill persuaded Alice to leave before thanking the hostess* «أقنع بلّ آليس بالانصراف قبل شكر المضيّفة»]، مثلا، تشتغل [to leave "أن تنصرف"] مركّبا جُمَليّا

رئيسيّا إزاء [*before thanking the hostess* "قبل شكر المضيّفة"]، ولكن مركّبا جُمَليّا تابعا إزاء [*Bill persuaded Alice* "أقنع بلّ آليس"].

[12]– قد يتبيّن أنّ تمثيل التّجميعة في (22) (أ)، بطريقة مختزلة، تمرين مفيد. يمكنك أن تفترض بشكل معقول أنّ العرض مطابق لما ورد تمثيله في الرّسم البيانيّ 12. 5 (b)، وأنّ الرّابط [*-t*] يشتمل على تناسب مماثل للتّناسب (ii) من الرّسم البيانيّ 12. 6.

[13]– أهملنا التّجذير، وكذلك وسمَ التّدريجيّ في المركّب الجُمَليّ الموصول. ويشار إلى الضّميرين بـ[1s] (المتكلّم المفرد)، وبـ[3sf] (الغائب المفرد المؤنّث). تشير السّهام المتقطّعة إلى التّجربة الذّهنيّة: متوجّهة إلى الخارج في حالة [*read* "قرأ"]، وإلى الدّاخل في حالة [*offend* "أزعج"].

[14]– هناك استثناء واحد يتمثّل في أنّ المركّبات الجُمَليّة الموصولة الموسومة بعلامة عدم التّصريف [to]، تسمح كذلك لمعلم ما بأن يشتغل مفصلا: [*a good person to know* "شخص جيّد (يستحقّ أن) يتعرَّف عليه"].

[15]– في الإنجليزيّة، تنزع ضمائر الشّخص إلى أن تُستعمَل ضمائر موصولة عندما لا يُسمَح باستعمال ضمير موصول (انظر [**He bought a cheap pair of glasses which he doesn't care if get broken* "*(هو) اشترى نظّارات بخسة الّتي لا يأبه إن انكسرت"]). وسوف نترك جانبا المشكلَ الشّائك المتعلّق بشروط السّماح باستعمال ضمير موصول، رغم أنّه مشغل رئيسيّ عند المنظّرين اللّسانيّين منذ رُوسّ 1967. وتناقَش معاني الضّمائر الموصولة بشكل أوفى في لانقاكر2001c.

[16]– تكون اللاّحقة [–t] مزدوجة من حيث أنّها جزء من لاحقة الوصل النّهائيّة [–qat] (كما يشار إلى ذلك)، أو من حيث أنّها تسم ببساطة الاسمَ المشتقّ بكونه مفعولا للمركّب الجُمَليّ الرّئيسيّ. وهذان الخياران متظافران لا متناقضان، بما أنّ المرجع الإسمائيّ يشتغل معلما في كلّ من المركّبين الجُمَليّين الرّئيسيّ والتّابع.

[17]– المفروض أنّها تكوّن تجميعة مفهوميّة، ولكنّها لا تُرمّز بأيّ تجميعة صوتميّة لتكوين بنية رمزيّة مركّبة.

[18]– من المفيد الإشارة إلى أنّ [*sure*] مرتبطة بـ[*secure* "آمن/ مضمون"] في الأصل اللّغويّ.

[19]– هذه نقطة خلافيّة مدارها ما إذا كان تشييء القضيّة عائدا إلى الصّفة في ذاتها أو إلى كونها واردة في صيغة مفعول به للحرف. فالحرف [*of*] يعرض علاقة توصَّف خطاطيّا بكونها قائمة في صميمها بين منتقلها ومعلمها (انظر لانقاكر 1999a: الفصل 3). يكون منتقلُ [*of*]، في هذه البنية الإطنابيّة، كاملَ العلاقة الّتي تعبّر عنها [*sure*]، ويكون معلمُها – وهو جزء صميميّ من العلاقة– القضيّةَ المشيّأة. هذا شبيه باستعمال [*of*] لتخصيص المشاركين في الأفعال المُسْمَاة (مثل، [*the dissection of squirrels* "تشريح السّناجب"].

[20]– تظلّ أبنية المجهول النّاتجة هامشيّة لأسباب عديدة: (ا) هي تتطلّب هذه العمليّة المفهوميّة الزّائدة؛ و(اا) تنافسها بنيةٌ غير متعدّية تتفوّق عليها من حيث درجة الأساسيّة؛ و(ااا) لا تمثّل [*expect*] مترشّحا قويّا للبناء للمجهول في المقام الأوّل، بحكم كونها بعيدة نوعا ما عن طراز التّعدية.

[21]- لكنّ المركّب الجُمَليّ يمكن أن يشيّأ على أنّه ضرب آخر من الوحدة التّجريديّة - أعني، نوع الحدث الّذي يظهر في الأقوال ذات المضمون التّقريريّ العامّ (مثل [*To finish on time is always desirable* "أن ينهَى الشّيء في الوقت المحدّد، أمر مطلوب دائما"].

[22]- يمكن كذلك أن نتحدّث عن المراقبة بالنّظر إلى المركّبات الجُمَليّة الظّرفيّة والموصولة: [*When criticized*], ***he*** *sulks* [عندما يُتنقَد]، (هو) يستاء"]؛ [***A child*** *criticized too often* [الطّفل الّذي [ينتقَد كثيرا] يفقد الاعتزاز بالنّفس"]. وبالإضافة إلى ذلك، لا يكون المراقب - أي المشارك الّذي تكون إحالته محدَّدة- دائما منتقلَ المركّب الجُمَليّ التّابع أو مفعولا للحرف: [***The book*** I *read was boring* "الكتاب الّذي [قرأت] كان مملاّ"]؛ [***A noisy office*** is *hard to work in* "مكتب صاخب يصعب أن [يُعمَل فيه]"].

[23]- يمكن أن تلغَى هذه التّأويلات المحايدة في ملابسات خاصّة. هب، مثلا، أنّ رئيسي يحبّ أن يثق بي ويشعر بالذّنب لذهابه كلّ عشيّة إلى ميدان السّباق. في هذه الحالة تؤوّل (37) (أ) على أنّ [*my supervisor* "رئيسي"] هو المراقب.

[24]- بدلا من ذلك، يمكن أن يخصَّص المنتقل تخصيصا إطنابيّا، من حيث هو جزء من المتمّم نفسه. يكون العنصر الإطنابيّ الحرف [*for*] في حالة المتمّمات غير المصرّفة:[[*For me to kiss a frog] would be out of character* "[بالنّسبة إليّ أن أقبّل ضفدعا] ليس من طبعي"]. ومع المتمّمات المصدريّة الفاعليّة، يأخذ الفاعل شكل الملكيّة: [*My kissing a frog] was the highlight of the party* "[تقبيلي لضفدع] كان حديث السّاعة في الحفل"].

[25]- باعتماد العمليّة المنطقيّة المعروفة بالاستلزام، توحي الجملة فعلا بالنّقيض. فلو جرى التّقبيل فعلا، لقال المتكلّم ببساطة [I kissed a frog "أنا قبّلت ضفدعا"].

[26]- ثمّة خيار آخر، هو الصّفر الّذي يجري مع أفعال الإدراك والجعليّة: [*I {saw/heard/watched/let/made/had} them smash her antique vase* "أنا {رأيت/ سمعت/ شاهدت/ تركت/ جعلت/ دفعت} هم يهشمون مزهريّتها العتيقة"]. يشير هذا الخيار، بالأساس، إلى التّطابق الزّمنيّ بين الحدث الحاضن والحدث المتمّم (انظر لانقاكر 1999a: 7. 5؛ كيرسنار وطومسون 1976). ولكن يحتمل أن يكون بينهما فاصل زمنيّ، مع المحمولات الدّالّة على الجعليّة.

[27]- متمّم الفعل [*keep* "ظلّ"]، على سبيل المثال، لا يقدّم أيّ إشارة إلى كونه إسمائيّا. لاحظ أنّ متمّم [*She enjoyed working* "هي استمتعت بالعمل"] يمكن أن يعوَّض إمّا باسم الاستفهام [*what*] أو بالضّمير المحايد [*What did she enjoy?; She enjoyed it*] :[it "بمَ استمتعت؟؛ هي استمتعت به (شيء)"]. ومع [*She kept working* "ظلّت تعمل"]، لا يكون أيّ واحد من ذينك التّعويضين ممكنا: [*What did she keep?*; ✻*She kept it* ✻"ما ذا ظلّت؟؛ ✻هي ظلّت (شيء)"].

[28]- وفقا لذلك، تكون عبارة [*Don't anticipate my decision!* "لا تستبق(ـــوا) قراري!"] تحذيرا من إنجاز عمل قبل الأوان، كما لو أنّ القرار كان معلوما من قبل. قارن

ذلـك بالعبـارة [*Don't expect my decision any time soon!* "لا تتوقّـع (وا) قراري في أيّ وقت قريب!"]، حيث يقع الاهتداء إلى القرار في المستقبل ليس غير.

[29]– يقبل المصطلحان "جريان" و"قضيّة" التّبادل مع "عمليّة" و"عمليّة مجذّرة" بدرجات متفاوتة. فالأوّل منهما يبرز أنواع التّصوّر المعنيّة، والثّاني منهما توصيفَ تلك الأنواع توصيفا شبه تقنيّ في النّحو العرفنيّ (انظر الفصلين 4 و9).

[31]– لا أتناول المتمّمات الاستفهاميّة (الموسومة بـ[*whether*] أو بكلمة استفهام أساسيّة)، الّتي يمكـن أن تكـون إمّـا منتهيـة أو غيـر مصرّفـة: [*I wonder whether she recognized him* "أتساءل إن كانت (هي) قد تعرّفت عليه."]؛ [*He asked me where to send it*. "(هو) سألني أين يرسـله (شيء)"]. وممّا أهمِل كذلك الجذعُ غير المصرّف الّذي يظهر في بعض متمّمات الأبنية الشّبيهة بالأمر، مثل، [*They are demanding that we {be/*are} there on time* "هم يطلبـون أن [نكـون/ *كوننا] هناك فـي الزّمن المحـدّد"]. هذا من بقايا ما يسـمّى بـتصريف "الممكن" في لغات أخرى.

[32]– تكون ردّة الفعل في العموم سلبيّة، وهذا أمر موافق لوظيفة الإبعاد في [*that*].

[33]– كان هنـري واعيا، دون شـكّ، بموافقته، ولكنّه لا يوصَـف خصّيصا بأنّه يفكّر في تلك القضيّـة بغايـة الوعـي بها فقـط. وبالمثـل، كان بيتر وجايـن واعيين بحدث الإخبـار عن تلك الموافقة، ولكنّهما لم يصوغا بالضّرورة قضيّة تتعلّق بذلك الحدث.

[34]– لهذا السّبب، لا تتأثّر صحّة القضيّة (P) بالنّسبة إلى المتكلّم (S) عندما يكون المركّب الجُمَلـيّ الرّئيسـيّ منفيّـا: [*Jill didn't realize my cat was hungry* "لـم تنتبـه جِـل إلـى أنّ قطّي كان جائعا"]. هذا واحد من تعريفات المحمولات "الوقائعيّة" (كيبارسكي وكيبارسكي 1970).

[35]– مـاذا عن "الإبعاد" الّـذي يُنجَز بالعنصر المتبِع [*that*] (مثلما يجري في [*Jill was sure that my cat was hungry* "كانت جِل واثقة (من أنّ) قطّي كان جائعا"]؟ قد يبدو مشكلاً تحديدُ المتصوِّر المعنيّ بأنّه واحد من اثنيَن لا غير: الفاعل في المركّب الجُمَليّ الحاضن أو المتكلّم.

[36]– ممّـا يغتفَـر أكثر من ذلك أن تسـيَّج مقبوليّتها بكلمة من قبيـل [*perhaps* "ربّما/ لعلّ"]. فرغـم غيـاب العنصر الجهيّ، لا تلزم عبـارة [*Perhaps my cat is hungry* "لعلّ قطّي جائع"]، المتكلّـم بقبـول الجوع على أنّـه واقَعيّ. فكلمـة [*perhaps*] تسـتدعي إمكانيّةً فـي تصوُّر واقع يتضمّن الجريان المعروض، ولكنّها تشير إلى أنّ ذلك ليس التّصوّرَ الحقيقيّ الّذي يكون عند المتكلّم.

[37]– توسـم القضيّة بكلمة [*She wonders whether he loves her*] :[*whether* "(هي) تتسـاءل عمّـا إذا كان يحبّهـا"]. غيـر أنّ [*whether*] يمكـن أن تسـتعمَل أيضا في الأطـوار المتأخّرة من العمليّة: [*She will soon {find out / know} whether he loves her* "(هي) سوف {تتبيّن/ تعـرف} قريبا مـا إذا كان يحبّهـا"]. وتختلف [*whether*] عـن [*that*] في أنّها تصـف القضيّة من حيـث كانـت ذات خيـارات متعدّدة (انظـر [*She wonders whether he loves her or whether he only wants her money* "(هي) تتساءل عمّا إذا كان يحبّها، أو (إذا كان) يريد أموالها فقط"].

[38]– بطبيعـة الحـال، يكون لبعض المحمولات معـان بدائل تمثّل أطـورا مختلفة. فالفعل [*believe* "ظـنّ، صـدّق، اعتقد"]، مثـلا، يمكن أن يدلّ على الميل، أو العمـل، أو النّتيجة: [*She*

believes he loves her (but she's not sure)"هي تظنّ أنّه يحبّها (لكنّها ليست واثقة)"]؛ [*He told her he loved her, and she believed it*"أخبرها بأنّه أحبّها، فصدّقت ذلك"]؛ [*She firmly believes he loves her (nothing will convince her otherwise*) "هي تعتقد جازمة أنّه يحبّها (لا شيء سوف يقنعها بخلاف ذلك)"].

[39]– المعنى المنسوب إلى المحايد [it] ينسجم انسجاما تامّا مع معناه العاديّ من حيث هو ضمير إحاليّ، حيث يحيل عادة على وحدات تجريديّة ذات تحديد غائم (مثل، [***The situation*** *is worse than it seems* "الوضع أسوأ ممّا يبدو (هو) عليه"]. واستعمال الضّمير المحايد [it] للإحالة على إطار تجريديّ هو ببساطة حالة قصوى من الضّبابيّة وانعدام التّحديد (انظر لانقاكر2011).

القسم الرّابع: الآفاق

13. الخطاب

تدرّجت بنا الطّريق بدايةً من الكلمات المفردة من قبيل الأسماء والأفعال، على مراحل في اتّجاه العبارات الكبرى: أي إلى العبارات ذات الكلمات المتعدّدة، فالإسمائيّاتِ التّامّة والمركّباتِ الجُمَليّة، فالجملِ المركّبة في نهاية المطاف. والمستوى الموالي يتمثّل في الخطاب، حيث يترابط عدد من الجمل (أو قطع منها) لتكوين إنتاج لغويّ منسجم - سواء كان محادثة، أو حديثا أحاديّا (مثل محاضرة أو خطبة)، أو نصّا مكتوبا. ولئن اعتُبِر الخطابُ في الغالب مبحثا مستقلاّ يتطلّب مناهج مختلفة ومفاهيم نظريّة وصفيّة أخرى، فإنّ التّباين بينه وبين المستويات الدّنيا في الكلام مسألةُ درجات في أفضل الحالات. فالخطاب هو الأساس الأوّل في البنية اللّغويّة، وهو ضروريّ لفهم النّحو تبعا لذلك.

13. 1 أسس البنية اللّغويّة

الخطاب هو الحيّز الّذي تلتقي فيه البنية والاستعمال والاكتساب التقاء واحدا. فاللّغة تُتعلَّم من خلال استعمالها التّفاعليّ في المقامات الاجتماعيّة. ولذلك يكون انبثاقها من الاستعمال والتّفاعل الاجتماعيّ، عاملا مفتاحا في وصف البنية اللّغويّة.

13. 1. 1 الاستعمال

الخطاب هو استعمال اللّغة. وتكمن اللّغة، على عكس ذلك، في قوالب الاستعمال التّواضعيّة. وهذه القوالب، تُتَعلّم من عيّنات لا تقبل العدّ من الاستعمال في المقامات الخطابيّة، تطبّق إثر ذلك في إنتاج خطاب آخر وفي فهمه. هي قصّة الدّجاجة والبيضة المعهودةُ.

في الخطاب تندرج سلسلة من أحداث الاستعمال: عيّنات من إجراء اللّغة بما فيها من التّعقّد والخصوصيّة. وليس لحدث الاستعمال أيّ حجم مضبوط؛

فحسبَ الغايات التّحليليّة الّتي تكون لنا، يمكن أن نقطّع الخطاب إلى كلمات، وإلى مركّبات جُمَليّة، وإلى جمل، وإلى تجميعات تنغيميّة، وإلى نوبات من التّبادل الحواريّ، وما إلى ذلك. ولكلّ حدثِ استعمالٍ قطبٌ ثنائيّ يتكوّن في آن من المفهمة ومن وسائل التّعبير. فهو يتضمّن، في الجانب التّعبيريّ منه، التّفصيلَ الصّوتيّ التّامّ لملفوظ ما، كما يتضمّن كلّ نوع آخر من العلامات من قبيل الإشارات بالجارحة ولغة الجسد (بما في ذلك ما يُحتمَل من الفيرومونات). ومن الجانب المفهوميّ، يتضمّن حدثُ الاستعمال الفهمَ السّياقيَّ التّامَّ لعبارة ما - لا ما يُنطَق به صراحة فقط بل كذلك ما يُضمَّن فيها وكلُّ شيء يستحضَر أساسا يقوم عليه إدراكها أيضا. وبذلك لا يكون حدث الاستعمال، عندما يفحَص بتفصيل شامل وجزيئيّ، متطابقا عند المتكلّم وعند المخاطَب أبدا. لكنّ التّقاطع الجوهريّ بينهما يكون في العادة كافيا لنجاح التّواصل.

وما الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة إلاّ مورد واحد من كثير يُستغلّ في أحداث الاستعمال. فخلال التّكلّم والفهم، نعتمِد على مجموعة كبيرة من معرفتنا، ومن قدراتنا الذّهنيّة، ومن المهارات التّفاعليّة بين الأشخاص. وممّا يكون أساسيّا كذلك إدراكنا للمقام الّذي يُمثِّل الخطابُ الجاري وجها منه. فلا ينبغي أن تُتصوّر العوامل المتنوّعةُ الّتي تساهم في أحداث الاستعمال على أنّها معزولة متفاصلة. وبوجه خاصّ لا يمكن أن نميّز المساهمات الخاصّةَ باللّغة أو نقيم لها حدودا دقيقة. فالمعنى اللّغويّ لكلمة ما، مثلا، ليس وحدة متميّزة مكتفية بذاتها، مقطوعة من سائر المعارف والقدرات العرفنيّة - بل هو يستدعيها ويستغلّها. والوحدات المعجميّة توفّر ما ضبطته المواضَعة من طرق في الاهتداء إلى المعرفة القائمة بشكل مستقلّ (أي الدّلالة الموسوعيّة). وهي تبني تلك المعرفةَ كذلك بواسطة قدرات عامّة، مثل تبئير الانتباه (أي العرض). وعلى هذا، لا تقبل الأبنية "اللّغويّة" العزلَ عن العوامل الأخرى الّتي تساهم في إجراء اللّغة. فهي تكمن في بعض المظاهر من نشاط المعالجة الذّهنيّة الّتي تجري خلال أحداث الاستعمال.

إنّما تنبثق الوحدات اللّغويّة، في المقام الأوّل، من خلال جريانها في أحداث الاستعمال. وبعبارة أدقّ، تُجرَّد من أحداث الاستعمال من خلال تقوية القواسم المشتركة المتكرّرة. فعلى سبيل التّمثيل، لنعتبر أنّ (a_3) ،(a_2) ،(a_1)، إلخ، تنوب عن وجوه متشابهة في المجمل من أحداث الاستعمال المختلفة. يمكن

أن تكـون من نوع ما (تعبيريّ، أو مفهومـيّ، أو كليهما) وذاتَ درجة ما من التّركّب. وسعيا إلى البقاء في حدود الملموس، هب أنّها تمثّل وجوها مختلفة في النّطق بمقطع كما يسـمعه شخص يتعلّم لغة ما. يكون كلّ نطق متفرّدا من حيث التّفاصيل الجزيئيّة في مظهره الصّوتيّ. يمكن أن يسـمع المتعلّم أو أن لا يسـمع الاختلافات (الّتي يشـار إليها بالأرقام المستفِلة)، ولكنّ ما يعتدّ بـه إنّما هو التّشـابه الإجماليّ بينها (أي في المقطـع (a)). ومن خلال أحداث الاستعمال المتتالية من هذا القبيل، يتكرّر المقطع (a)، فيتقوّى بهذه الطّريقة، فـي حين لا تفعل الفوارقُ الجزيئيّة ذلـك. فالنّتيجة النّهائيّة، بعد عدد كاف من التّكرّر، أن يصير المقطع (a) راسـخا فيسـتوي وحدةً قائمة برأسـها: [a]. وبما أنّ الفوارق الجزيئيّة قد امّحت، يصير [a] وحدة خطاطيّة بالنّسبة إلى كلّ تجربة سمعيّة صوتيّة قائمة عليه.

يمكننـا كذلـك أن نفتـرض أنّ (A_3) ،(A_2) ،(A_1)، إلخ، وجوه متشـابهة إجمالا من القطب المفهوميّ في أحداث الاسـتعمال المختلفة. وباعتماد عمليّة التّقويـة الانتقائيّة نفسـها، تنبثقُ الوحـدة [A] الّتي جـرى تجريدها من أحداث الاستعمال تلك، ممثِّلةً للقاسم المجمل المشترك بينها. ويمكن أن يحدث، بالإضافـة إلى ذلـك (حدوثا متزامنـا أو لاحقـا)، أن تجري تصـوّراتُ النّوع [A] جريانـا متكرّرا في نفس الأحداث الاسـتعماليّة، مقترنـةً بما يتكرّر من تجربة سـمعيّة صوتيّة للنّوع [a]: (a ...(A_1).../.../(a_1)...)، (...(A_2).../.../(a_2)...)، وهكذا دواليك. وعندئذ يمكن للتّقارن الزّوجيّ المتكرّر بينهما أن يترسّـخ ليكوّن الوحدة الرّمزيّة [[A]/[a]]، حيث تكون [A] قطبها الدّلاليّ و[a] قطبها الصّوتميّ. ولئن كان في هذا الأمر تبسيط مجحف حتّى بالنّسبة إلى الوحدات المعجميّة الأساسيّة، فهو على الأقلّ يقرّب من الأفهام ما معنى أن يجري تجريد الوحـدات اللّغويّـة من أحداث الاسـتعمال. وفي هذا واحد من الأسـباب الّتي كان لها النّحو العرفنيّ مقاربة متأسّسة على الاستعمال.[1]

تُسـتغَلّ الوحدات المجرَّدة من أحداث الاستعمال في أحداث أخرى، في كلّ من الاكتسـاب اللّغـويّ وعلى امتداد حياتنا اللّغويّـة. فهي متأصّلة في العبارات الجديدة ممثِّلةً بذلك مسـاهمةَ السّـابق اللّغويّ الرّاسـخ فيها. ففي كلّ مـن عمليّتي التّكلّم والفهم، يُنشـط المسـتعملون الوحداتِ المناسـبةَ الّتـي تمثّل مقْوَلتُهـا لعبارة ما تأويلَها أو (وصفَها البنيـويّ) في ضوء اللّغة الّتي يتكلّمونهـا. ولا يحتـاج أداؤهم، كما وصفنا في الفصـل 8، إلى أن يكون

مطابقا للأصل - إذ تكون أهدافُ المقْوَلة باستمرار أكثرَ تخصيصا وتبلورا من الأبنية المُمَقْولة وتشذّ في الغالب المتواتر عن تخصيصاتها. فاستعمال اللّغة يضغط دائما علىَ طوق المواضعة القائمة. فإذا ما صادف أن تكرّرت أنماط جديدة من الأداء أو توليفات جديدة، صارت بدورها عرضة للتّرسيخ ولدخول المواضعة متحوّلةً بذلك إلى وحدات تواضعيّة متاحة للاستغلال. وبهذا الوجه، تكون أحداث الاستعمال مَهدا للّغة وبوتقةً للتّغيّر اللّغويّ في آن.

13. 1. 2 التّفاعل

يجري التّسليم في العموم بأنّ الاستعمال الرّئيسيّ للّغة يكون تحاوريّا. ولكنّه ليس الأغلب: فالفائز بعصا السّبق في هذا المضمار، إنّما هو التّفكير اللّغويّ الصّامت الّذي يكون لنا في كلّ لحظة تقريبا خلال حياتنا اليقِظة. ولكنّ المحاورة تظلّ رغم ذلك رائجة، توفّر منوالا أساسيّا تحاكيه سائر الاستعمالات اللّغويّة وتطوّعه حسب الحاجة. ويأخذ تفكيرنا اللّغويّ إلى حدّ كبير شكلَ الحوار المتخيَّل، مع أنفسنا إن لم يكن مع أحد. ويمكن أن يُعتبر الحوارُ الأحاديّ المنطوق، كما يكون في إلقاء خطاب مطوّل أو رواية حكاية، حالة قصوى من الحوار يتولّى فيها مشارك واحد دورَ المتكلّم على امتداده، ويتعدّد المخاطَبون في الغالب.[2] ففي الكتابة، نحن نكتب عادة ولنا قارئ ماثل في أذهاننا، ونحن نتخيّل ردود فعل القارئ كما نتخيّل ردود فعلِ من يشاركنا في المحاورة.

المحاورة تفاعلٌ بين المتحاورين. وهي تتضمّن سلسلةً من أحداث الاستعمال، كلّ واحد منها عملٌ ينهض به كلّ واحد من المتحاورين. وإذ كانت العبارات وجوها من صميم أحداث الاستعمال، اعتُبرت على صواب أعمالا كذلك. يكون ذلك كذلك سواء حدّدنا العبارات بكونها مجريات مخصوصة - كما يحدث عندما يقول شخص ما: "أنا أحبّك" في مناسبة معلومة- أو حدّدناها بكونها وحدات تجريديّة مستقلّة عن كلّ جريان مخصوص. والعبارات، في هذه الحالة الأخيرة، تمثّل أعمالا لغويّة كامنةً تجعلها القوالب التّحاوريّةُ في لغة من اللّغات شيئا ممكنا. ويمكن أن يستغِلَّ هذا الإمكانَ كلُّ متكلّم في أيّ زمن كان. وإن استُعْمِلت عبارة ما في مناسبات متعدّدة، جزءا من أحداث استعمال مختلفة، لا يكون تحقّقها، على وجه الدّقّة، بنفس الطّريقة أبدا (لانقاكر 1987: § 11. 2. 1).

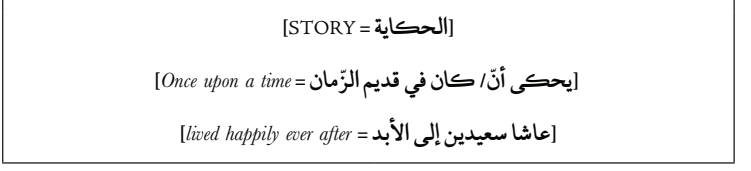
الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة، بحكم التّعريف، وحدات تجريديّة مستقلّة عن كلّ جريان مخصوص. وإذ جرى تجريدها من أحداث الاستعمال، فهي تُستدعَى لتجميع العبارات اللاّحقة ولتقييمها. ولكن يمكن تَصوُّر تلك الوحدات في ذاتها على أنّها أعمال: أي قوالب راسخة تحكم نشاط المعالجة يمكننا أن نستحضرها ونشغِّلها كلّما عنّت الحاجة. فتعلّم لغة ما، يتمثّل في أن نتعلّم أداء تلك الأعمال أداء مناسبا. ومعرفة اللّغة هي أن نكون قادرين على التّحكّم في هذه المهارات التّواصليّة تكلّما وفهما. فيكون من الأنسب أن نصف ما يحيل عليه اللّسانيّون في الغالب بمصطلح "المعرفة اللّغويّة" بكونه "القدرةَ اللّغويّة".

ولئن تملّك الأفرادُ تلك المهارات، فهي متناقلة تناقلا ثقافيّا اجتماعيّا، وهي بَين شخصيّة في طبيعتها. والأعمال الّتي تولّدها هي أعمال المتحاورين في التّفاعلات اللّغويّة. فمن منظور تفاعليّ، تُتصوّر الأبنية اللّغويّة تصوّرا مفيدا، بكونها تعليمات يصدرها المتكلّم إلى مخاطَبه (هاردر 1996). يمكن أن نجعل ذلك بيّنا بأن نعيد صياغة الأوصاف المتعلّقة ببعض المفاهيم المتنوّعة، بتغيير طفيف.[3] فقد وصفْنا معروضَ العبارة، مثلا، بكونه الوحدة الّتي تجعلها تلك العبارة ماثلة على الرّكح تنصبّ عليها بؤرة الانتباه. وبدلا من ذلك، يمكن أن نقول إنّ معروض العبارة يمثّل تعلمية بتركيز الانتباه على تلك الوحدة. ويمكن كذلك لعنصر التّجذير الإسمائيّ، وقد وصفناه بأنّه يُفرد مرجعا ما من مجموع العيّنات المترشّحة، أن يوصَّف توصيفا جيّدا بكونَه تعلمية للسّامع بأن يجد المرجع. وعوض أن نقول إنّ الفعل [*believe* "اعتقد"] يستدعي فضاء ذهنيّا يمثّل تصوُّرَ الفاعل للواقع، يمكننا أن نصفه بأنّه تعليمة للسّامع بأن يستدعيه. والواجب أن لا نبالغ في تفخيم القوّة التّوجيهيّة للعبارات - فهي نادرا ما ترقى إلى مستوى الأوامر. ولا تعدو أن تكون في العادة إلاّ مسألةَ التماس لتَعاوُن السّامع على أساس توقّعات مطلقة: هي، في أدنى الأحوال، أن ينتبهَ السّامع إلى ما يُقال ويدركَه وفق ما تمليه المواضَعة القائمة.

فالخطاب، إذن، سلسلة من الأحداث التّفاعليّة، يمارس المتكلّم في كلّ واحد منها تأثيرا ما على مخاطب حقيقيّ أو متخيَّل. ولكي تتأهّل العبارات المكوّنيّة لتكون خطابا، وجب أن تُدرَك الواحدة منها في علاقتها بالأخرى (لا على أنّها مجرَيات ينفصل بعضها عن بعض). فكلّ واحدة منها تتّصل بوجه من الوجوه بما ورد قبلها - سواء بأن تبني عليه شيئا، أو بردّ الفعل تجاهه، أو

بتغيير الموضوع مجرّد تغيير- وتهيّئ الإطار لما يأتي بعدها. وبذلك يكمن واحد من مظاهر المضمون في عبارة ما - وهو مظهر حاسم في الأغلب- في الكيفيّة الّتي بها ترتبط تلك العبارة بما يسبقها أو بما يلحقها من العبارات. وإذ كانت الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة مجرّدةً من أحداث الاستعمال في الخطاب، كانت لها هذه الخصيصة نفسها. فالتّرابطات الخطابيّة الّتي تخصِّصها تلك الوحدات إنّما ترثها العبارات الّتي تتضمّنها.

فالواجب، تبعا لذلك، أن يشير الوصفُ التّامّ للوحدات والعباراتِ إلى التّوقّعات الّتي تتولّد منها حول الخطاب السّابق واللاّحق. يكون الأمر كذلك بصرف النّظر عن حجمها وعن مستوى التّنضيد فيها. ففي مستوى شامل، على سبيل المثال، العبارة التّواضعيّة [... *Once upon a time* "كان يا ما كان..."] تقدح توقّعا يتعلّق بأنّ الخطاب اللاّحق سيكون نوعا من الحكاية. ومثل ذلك، تحمل العبارةُ *lived happily ever after* ...] "... عاشا سعيدين بعد ذلك إلى الأبد"]، معها افتراضا مفاده أنّها جارية لإنهاء تلك الحكاية. فيمكن أن نقول إنّ العبارة الأولى استطلاعيّة وإنّ الأخيرة ارتداديّة. فيكون بذلك جزء أساسيّ من توصيفهما كامنا في موقعهما في الحكاية، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 13. 1. وإذ كانت هذه الوحدات لغويّة تجريديّة، كانت الحكاية الّتي تستحضرها بطبيعة الحال خطاطيّةً بدل أن تكون مخصوصة.



الرّسم البيانيّ 13. 1

يمكن أن توجد العناصر الاستطلاعيّة والعناصر الارتداديّة في كلّ واحد من المستويات اللّغويّة. فالعناصر من قبيل [*and so* "وكذا"]، و[*therefore* "تبعا لذلك"]، و[*nevertheless* "غير أنّ"]، و[*at the same time* "في الوقت نفسه"]، على سبيل المثال، تنبئ بمقطع خطابيّ يتكوّن على

الأقلّ من مركّب جُمَليّ، ولكن يمكن أن يكون طوله غير محدّد. يجعلها ذلك عناصر استطلاعيّة. وهي **في الوقت نفسه**، عناصر ارتداديّة لأنّها تصف ذلك المقطع بناء على ما كان قد قيل قبله بقليل (سواء كان إضافة، أو نتيجة، أو توصيفا، أو بلورة). والعناصر من قبيل [*if* "إن"]، و[*when* "عندما"]، و[*because* "لأنّ/ بسبب"]، و[*although* "رغم"]، استطلاعيّةٌ بحكم أنّها تقدّم مركّبات جُمَليّة، وتقدح بالإضافة إلى ذلك توقّعا عند السّامع بأنّ مركّبا آخر - هو المركّب الجُمَليّ "الرّئيسيّ"- يسبقها أو يلحقها. وفي مستوى أدنى من ذلك، تكون [*my* "(مضاف)+ـــــِي"] استطلاعيّة بالنّسبة إلى الإسمائيّ الّذي تجذّره (مثل، [*my friend* "صديقي"] في حين تكون [*of mine* "اسم + لي/ من + مضاف +ـــي"] ارتداديّة بالنّسبة إلى الإسمائيّ الّذي يشتمل عليها ([*a friend of mine* "صديق لي / واحد من أصدقائي"]). وفي مستوى أدنى من ذلك، تكون السّوابق واللّواحق، تباعا، استطلاعيّة وارتداديّة باعتبار الجذع الّذي تلتصق به. فيكون لذلك التّمثيلُ الخطاطيُّ لذلك الجذع جزءا كامنا في توصيفها. يشبه هذا الجذعُ إلى حدّ كبير الحكايةَ الّتي يرد تمثيلها في الرّسم البيانيّ 13. 1. فالعناصر الاستطلاعيّة والعناصر الارتداديّة تقدح، بصفة عامّة، توقّعا لبنية ما باستدعائها بشكل خطاطيّ.

ومن زاوية نظريّة، يمكن أن نقول بشكل معقول، إنّ جميع العناصر اللّغويّة استطلاعيّة وارتداديّة في آن. وما تختلف فيه هو خصوصيّة التّوقّعات الّتي تولّدها. فهي مترّددة بين نقيضين، تكون في الأوّل منهما هذه العناصر على غاية من العموم إلى حدّ تكاد فيه خلوا من المعنى: تدلّ على مجرّد توقّع للعبارة الّتي يجري استعمالها في الخطاب. وفي الطّرف النّقيض، تكون على غاية من التّخصيص بوجه لا يتوفّر به إلاّ خيار واحد (كأن تجري مثلا [*fro*" ذهابا"] جزءا من [*to and fro* "جيئة وذهابا"] فقط). وأغلب العناصر متوسّطة بين ذينك النّقيضين، إذ تقوم جزءا من تجميعات متعدّدة كبرى يمكن أن تستحضرها بمجرّد ذكرها. فالوحدات المعجميّة العاديّة، خاصّة، تجري بشكل ثابت في عدد من العبارات الجامدة (انظر في [*red pencil* "قلم رصاص أحمر"]، [*pencil and paper* "قلم رصاص وورقة "]، [*pencil lead* "رصاص قلم الرّصاص"]، [*pencil in* "تصميم (بقلم الرّصاص)"]، [*pencil sharpener* "مبراة أقلام الرّصاص"]، [*pen and pencil* (*set*) "قلم جافّ وقلم رصاص (مجموعة)"]، [*broken pencil* "قلم رصاص مكسّر"]) أو أطر بنيويّة مجرّدة خطاطيّا (من مثل

الخطاطات البنائيّة الّتي تشتمل على فعل [*send* "أرسل/ بعث"] في الرّسم البيانيّ 8. 13). وليست العباراتُ المخصوصة العباراتِ الوحيدة الّتي تحمل التّوقّعات الخطابيّة، فالأبنية الخطاطيّة تفعل ذلك أيضا. فإذا ما بدأت جملة (من قبيل الآتية) بمركّب جُمَليّ شرطيّ، نتوقّع أن يليها مركّب جُمَليّ نتيجيّ: [(*if X*, (*then*) ٢ "إن [س]، (إذن) [ص]". ولا تنحصر التّوقّعات في ملفوظات متكلِّم واحد بعينه. فالاستفهام يحمل معه توقّعا للجواب. ففي الكلام المهذّب، تَكون [*Thank you* "شكرا (لك)"] متبوعة بعبارة [*You're welcome* "مرحبا/ العفو/ لا شكر على واجب"]. والكثير من هذه القوالب التّفاعليّة، المخصوص منها والخطاطيّ في آن، جزء من الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة.

تتنامى مظاهر التّفاعل الّتي تشتمل على خطاب ما في عدد من القنوات، تكون في آن تعبيريّة ومفهوميّة. فعند كلّ قطب، يمكننا أن نحدّد قناة "رئيسيّة" على أساس منزلتها من حيث كانت أهمّ الأشياء، وأكثرها استقلالا بذاتها، وأبرز ما يعي به المتكلّمون وعيا صريحا. وليس من قبيل الصّدفة أن تكون هذه القنوات الرّئيسيّة محطَّ القسم الأعظم من العناية عند اللّسانيّين وما ينعكس في الكتابة انعكاسا مستمرّا. غير أنّها ليست الوحيدة في ذلك. فالقنوات الأخرى ضروريّة في اللّغة وفي الخطاب، رغم كونها ملموسة بشكل أقلّ.

فمن الجانب التّعبيريّ، تتمثّل القناة الرّئيسيّة في ما يسمّى، في الغالب، بالمادّة القِطْعيّة الصّوتيّة: سلاسل الأصوات أو الصّواتم الّتي يتألّف منها ملفوظ ما.[4] والقناة الثّانية هي المادّة العروضيّة، الّتي تتكوّن من الظّواهر ما فوق القطعيّة من قبيل النّبرة، والنّغمة، والتّجميع الإيقاعيّ، ومنحنيات التّنغيم. والقناتان مترابطتان بشكل واضح. فالمادّة القطعيّة الصّوتيّة، كما توحي به المصطلحات، أكثر استقلالا بذاتها من الثّانية، والمادّة ما فوق القطعيّة أكثر تبعيّة من الأولى، بمعنى أنّ الأولى "تحمل" الثّانية- فالحركة، على سبيل المثال، تحمل النّبرة الرّئيسيّة أو النّغمة النّازلة، مظهرين لا يمكن أن يتجلّيا من دونها. وممّا يقلّ الاعتراف بكونه جزءا من اللّغة، القناة الإشاريّة بما فيها الإشارات اليدويّة، وتعابير الوجه، وهيأة الجسد. وهذه الإشارات تواضعيّة ومحلّ تنسيق مع سائر العمليّات اللّغويّة. ففي لغة الإشارة، تنهض الإشارة بوظيفة القناة التّعبيريّة الرّئيسيّة.

ومن الجانب المفهوميّ، يمكن أن نحدّد القناة الرّئيسيّة بكونها الوضعيّة الّتي يجري وصفها. وإذ يتمثّل دور هذه الوضعيّة في كونها موضوعا للوصف، يمكننا أن نطلق عليها المادّة المضمونيّة. وللمادّة المضمونيّة في ذاتها عناصر يكون بعضها مركزيّا وبعضها طرفيّا أكثر، على أنّ المركز فيها هو معروض العبارة. وتشتمل إضافة إلى ذلك، على المدى المباشر في العبارة (المضمون المفهوميّ الماثل على الرّكح)، كما تشتمل على كلّ مضمون آخر يُستحضَر فيها. وتتكوّن القناة الثّانية من العوامل المختلفة الّتي تعرَف بمصطلح البنية الإخباريّة (§ 3. 2. 1): الإخبار بما إذا كان شيء ما معطى أو جديدا، مبأّرا أو غير مبأّر، محورا للخطاب أو لا، وهكذا دواليك. وتتعلّق القناة الثّالثة بتصريف الخطاب. يندرج في هذه الخانة، على وجه الخصوص، المفاهيم التّفاعليّة من قبيل التّناوب في الكلام، ورغبة المتكلّم في الحفاظ على دوره في الكلام، ومدّ السّامع بعناصر التّرديد والتّقوية.

ليست هاتان القناتان المفهوميّة والتّعبيريّة بالضّرورة محدَّدتين تحديدا واضحا ولا متمايزتين تمايزا دقيقا. وإذ كانتا وجهين ملازمين لأحداث الاستعمال، أمكن لهما أن تتوفّرا معا في الوحدات اللّغويّة مجرّدة عن كلّ حدث من هذا القبيل. ولئن كان لكلّ منهما نسبة من الاستقلال بالذّات، فإنّ مختلف الطّرق في التّنسيق بينهما وفي الرّبط بينهما تمثّل بُعدا مهمّا من أبعاد البنية اللّغويّة. وكنّا أشرنا إلى أنّ الظّواهر العروضيّة "تحملها" المادّة القطعيّة الصّوتيّة بمعنى أنّها تتطلّبها لتتجلّى تجلّيا تامّا. وعند القطب المفهوميّ، تتعلّق البنية الإخباريّة بالطّريقة نفسها بقناة المادّة المضمونيّة الرّئيسيّة - فدون إخبار لا يوجد شيء يمكن أن ينضَّد. وقياسا على ذلك، وجب أن يتوفّر الكلام ليكون تصريف في الكلام.

والغالب أن تكون القناة التّابعة مرنةً من حيث الكيفيّة الّتي تُسقَط بها تلك القناة على البنية الحاملة. فيمكن، على سبيل المثال، أن تُجعَل أجزاء مختلفة من الجملة محلّ تبئير لأنّ الإخبار الّذي تحمله جديدٌ أو جدير بالاهتمام في ما عدا ذلك. نرى ذلك في (1)، حيث يظهر في عبارة [*She hates linguistics* "هي تكره اللّسانيّات"]، موضعان للبؤرة بديلان لأنّها ترد جوابا لسؤالين مختلفين. في الإنجليزيّة يحافظ الجزء المبأّر على النّبرة العاديّة التّامّة (يشار إليها في الخطّ المكتوب بالأحرف التّاجيّة الصّغيرة، وترد مسطّرة بالعربيّة)، في حين

تكون العناصرُ الّتي تعتبر معطاة، مختصَرة صوتميّا. فيكون للجملة نفسها، حينئذ، تحقّقان صوتميّان مختلفان حسب مقام الخطاب.

(1) (أ) *A: Is there any subject she really despises? B: She hates LINGUISTICS.*
أ: هل هناك مادّة تكرهها (هي) حقيقة؟ **ب:** هي تكره اللّسانيّات.

(ب) *A: How does she feel about linguistics? B: She HATES linguistics.*
أ: بمَ تشعر (هي) تجاه اللّسانيّات؟ **ب:** هي تكره اللّسانيّات.

تمثِّل هذه الظّاهرة نموذجا من ترميز بنية الإخبار بواسطة الوسائل العروضيّة. فهي تظهر أنّ العلاقات الرّمزيّة لا تربط فقط مادّة قطعيّة صوتيّة بمادّة مضمونيّة- يمكن لهذه العلاقات أساساً أن تقوم بين أيّ توليفة من القناتين التّعبيريّة والمفهوميّة. على سبيل المثال، ترمز القطعة الصّوتيّة الجارية لملء الفراغ في الكلام، تلك الّتي تُكتَب على شكل [*uh* "اه"]، إلى رغبة المتكلّم في الحفاظ على دوره في الكلام عندما يُجري وقفا للتّفكير: [*I think … uh … he's rather … uh … competitive* "أظنّ...اه ... هو بالأحرى.... اه ... ذو حظّ تنافسيّ طيّب"]. وتستعمل الظّواهر العروضيّة كذلك لتصريف الخطاب. ومن هذه الحالات، التّباينُ بين النّغمة المعلَّقة والنّغمة النّازلة عند نهاية ملفوظ ما، إشارةً إلى أنّ المتكلّم يريد أن يواصل أو لا يريد. وحتّى في اللّغة المنطوقة، للإشارة بالجارحة دور أساسيّ في ترميز المادّة المضمونيّة. فالإشارات الّتي ننجزها ونحن نتكلّم متناسقة مع الكلام وتحمل إخبارا لا يتوفّر بشكل آخر (ماكنيل 1992). عندما نفتح ذراعينا واسعا، مثلا، يمكن أن نشير إلى أنّ الشّيء الّذي نذكره حينها، كبير جدّا. وتُستعمَل الإشارة بالجارحة، في بعض الأحيان، بمفردها لوصف الأشياء، من ذلك حركة اليدين المعروفة في وصف الشّكل من امرأة مثيرة للشّهوة. والإشارة تخدم كذلك تصريف الكلام؛ كأن يدعو الأستاذ واحدا من الطّلبة بنظرة وإيماءة من الرّأس ليس غير.

وبطبيعة الحال، يمكن للأستاذ أن يذكر اسم الطّالب كذلك. وفي هذه الحالة، يجري التّعبير عن الدّور في الكلام على التّزامن بين الإشارة بالجارحة والنّطق بالمادّة القطعيّة الصّوتيّة. ويحدث كذلك أن يكون للعنصر الواحد مواضع متزامنة في قنوات متعدّدة. انظر في الإشارة التّعيينيّة الحسّيّة الّتي تصاحب أسماء الإشارة في عبارات من قبيل [*I want this [→] one* "أريد هذا [←]"].

فتكون هذه الإشارة، بالإضافة إلى دورها العلاميّ، جزءا من الوضعيّة الّتي يجري وصفها. فالجملة تصف علاقة يمثل فيها المتكلّم على الرّكح مشارِكا مبأْرا. والجزء الماثل على الرّكح من هذه الوضعيّة، هو بالتّحديد أن يوجّه المتكلّم أصبعه مشيرا إلى شيء، وأن يتحدّد ذلك الشّيء خصّيصا بكونه ما يعيّنه المتكلّم بإشارته. فالإشارة بالجارحة، إذن، وسيلة تعبيريّة ووجه ممّا يجري التّعبير عنه، في آن واحد. وبالفعل، ترمّز الإشارة بالجارحة نفسَها بنفسها.

2.13 الطّبقة التّحتيّة المفهوميّة

كنّا قد عرّفنا المدى الأقصى لعبارة ما بكونه الامتدادَ التّامّ للمضمون الّذي تستحضره تلك العبارة دعامة يقوم عليها معناها (§ 3. 2. 3). يشتمل ذلك باطّراد على أكثر بكثير من المضمون الّذي يجري التّعبير عنه تعبيرا ظاهرا. ويمكن أن يكون أقصى ما يبلغه ذلك غيرَ محدّد، ولا نجني شيئا عندما نفرض حدودا اعتباطيّة عليه. فالمهمّ هو أن نتبيّن أنّ المعنى في عبارة ما، يتأسّس على طبقة تحتيّة مفهوميّة واسعة ذات وجوه متعدّدة تظلّ في الغالب ضمنيّة. ومن وجوهها تلك المجالاتُ المعرفيّة الكثيرة الّتي تستحضَر، والأبنية الذّهنيّة (الاستعارات، مثلا)، والتّفاعل اللّغويّ في ذاته، وإدراك المقام في جميع أبعاده.

1.2.13 المقام

إن قال بعضهم [*The cat is on the mat* "القطّ على السّجّادة"]، يمكن أن تَتَصَوّرَ قطّا أليفا عاديّا مستلقيا على قطعة من النّسيج ملقاة على الأرضيّة. ذاك ما نعتبره معنى العبارة. ولكن هل تعني الجملة ذلك حقيقة؟ فقد تكون، مع ذلك، صالحة لوصف وضعيّات أخرى. فربّما كانت السّجّادة، مثلا، ملفوفة في شكل إسطوانيّ مسندة إلى الجدار، والقطّ جاثم على طرفها العلويّ. أو ربّما كانت سجّادة للزّينة في إطار معلّق بالجدار، والقطّ متشبّث بمخالبه بها. أو ربّما كان قطّ عظيم نهِم، قد التهم السّتائر، وهو الآن يأكل السّجّادة. ويحتمل أن يكون القطّ نمرا في الرّسوم المتحرّكة، كان قد خسر مقابلة في الملاكمة، وهو يستلقي الآن بلا وعي على السّجّادة. أو هب أنّنا نستعمل سجّادة ذات لون فاتح نتّخذ منها شاشة مؤقّتة لعرض الصّور الثّابتة. ولكي تجِد الموضع المناسب لوضع الآلة العاكسة وتحدّد اتّجاهها، تضع فيها شريحة تحمل صورةَ قطّ. وعندما تكون الآلة العاكسة قد استقرّت، في نهاية المطاف، في الموضع المناسب، يمكن أن أخبرك بذلك قائلا: [*OK, the cat is on the mat*. "تماما، القطّ على السّجّادة"].

فـإذا ما انطبقت العبارة على هذه الوضعيّات المتنوّعة، فما هو الشّـيء الّذي يمكن أن نحدّده معنى لها؟ من الخيارات في ذلك، أن نميّز بين معناها اللّغويّ الخاصّ (وهي مسألةُ دلالة)، من جهة، والمعنى التّامّ الّذي تحتمِله باعتماد موارد خارجيّة عن اللّغة (وهذه مسألة تأويل تداوليّ)، من جهة أخرى. ولكن لا وجود لتفريع ثنائيّ دقيق بين المعرفة اللّغويّة والمعرفة الخارجيّة عن اللّغة (§ 2. 1. 3). وإن حاولنا أن نحلّلها إلى عواملها، بأن لا نعتبر من الدّلالة اللّغويّة إلاّ الخصائص المشتركة بين جميع التّأويلات المتنوّعة الّتي تكون لعبارة ما، كان ما يتأهّل لذلـك فقيرا إلى حدٍّ يمتنع له أن يُدرَك بشـكل مسـتقلّ أو يعتبَر معنى لها. ولتَجنّـب هذه المشـاكل، قدّمتُ تعريفا غائما غير رسـميّ للمعنى اللّغويّ قد تتبيّن فائدتُه ويمكن القول إنّه يعبّر عن حدس ثابت. يشـتمل معنى العبارة، إلى جانب الخصائص الّتي لا جدال في كونها دلاليّة، على كلّ بنية إضافيّة نحتاج إليهـا لنجعل التّصوّر منسـجما يعكس ما يعتبره المتكلّمون بشـكل عفويّ مقصودا ومقُولا، ويُقصِي في الآن نفسه العناصرَ الّتي لا نزاع في كونها تداوليّة وغير ضروريّة لإعطاء معنى لما جرى تشفيره لغويّا.

فالمعنى اللّغويّ، بهذا التّعريف، يشتمل على قدر أكبر بكثير ممّا يجري التّعبيـر عنه تعبيرا ظاهـرا. ويوفّر المقام النّسـبةَ الكبرى مـن مظاهر المعنى الإضافيّة. فإذا رأيت نمرا من الصّور المتحرّكة قد سـقط مغشيّا عليه بلكمة في مقابلة للملاكمة، أوّلت مباشرة العبارة ["القطّ على السّجّادة"] بأنّها تصف القطّ الملقى على وجهه فوق الحصيرة. ولكنّك لا تصل إلى هذا المعنى في أيّ مقام آخر. فأغلب ما يُسـتحضَر من السّمات الأساسيّة في ذلك المشهد - أي كـون القطّ نمرا من الصّور المتحرّكة، وكون السّـجّادة أرضيّة الحلبة في الملاكمة على وجه الخصوص- تنبع من المقام لا ممّا يجري التّعبير عنه خصّيصا باللّغة. وللتّأكّد من ذلك، ينشأ تأويل ذو دقّة مماثلة دون أن يدعمه أيّ مقام (كأن يكون مثالا معزولا واردا في كتاب دروس في اللّسـانيّات). ولعلّك فهمت، في بداية هذا القسـم، أنّ عبارة ["القطّ على السّجّادة"] تحيل على قطّ أليف عاديّ يسـتلقي على قطعة مسـطّحة من النّسـيج مبسوطة على الأرضيّة. لكنّ هذا التّأويل ليس خلوا من المقام حقيقة. فالأفضل أن يوصَف بأنّه يستدعي مقاما خياليّا يقوم على أساس المعرفة المطلقة. فالمطلق في معرفة القطط، هو القطّ الأليف، والمطلق في سـلوك القـطّ أنّه نؤوم، والمطلق في أشكال السّجّاد، أن يكون ملقى على الأرضيّة. فالعبارة، وفق هذه المعارف المطلقة، تستحضر سيناريو مألوفا ليكون أساسا يقوم عليه تأويلها.

وللمقام المفيد لغويّا أبعاد عديدة متراكبة: بعد مادّيّ، وبعد ثقافيّ، وبعد اجتماعيّ، وبعد لغويّ. ويمكن أن يفهَم فهمين ضيّقا أو واسعا. فهو لا يشتمل، في المعنى الضّيّق، إلاّ على الملابسات العابرة الّتي يجري فيها حدث الاستعمال. وهو يشتمل بالإضافة إلى ذلك، عندما يُفهَم في المعنى الواسع، على الوضعيّات الثّابتة وعلى المعرفة المشتركة الّتي بها ندرك الملابسات المباشرة. هب أنّك تصيح قائلا: ["القطّ على السّجّادة!"] لتنبّهني إلى أنّ قطّي السّياميّ المحبوب يتسلّق سجّادة الزّينة الثّمينة المعلّقة على جدار مكتبي. فمن زاوية النّظر عندك في المكتب، يتضمّن المقام المادّيّ المشهدَ الحقيقيّ الموصوفَ الّذي يكون فيه القطّ متشبّثا بمخالبه بالسّجّادة. ولا يكون، عندي أنا في مكان آخر من المنزل، هذا المشهد جزءا من المقام؛ ولكنّني أؤوّل الجملة التّأويلَ الّذي تقصد إليه أنت، على أساس عوامل مقاميّة أخرى. فأنا أعرف، مثلا، أنّ هناك سجّادة واحدة في المنزل، وأنّ هناك قطّا وحيدا فيه، وأنّ السّجّادة معلّقة إلى جدار، وأنّ القطط تحبّ التّسلّق. وممّا يكون أقلّ ظهورا (وإن لم يكن أقلّ أهمّيّة)، أنّ كلّ واحد منّا يعوّل على المعرفة الأساسيّة بالمجريات الممكنة بحكم طبيعة العالم المادّيّة. فالعلاقة الّتي تعرضها [*on* "على"]، مثلا، تتضمّن مفهوم التّحمّل، وتستحضر بذلك الجاذبيّةَ والنّزوعَ الطّبيعيّ للأشياء إلى السّقوط. فعندما ترى القطّ متشبّثا بالسّجّادة المعلّقة عموديّا، تصف العلاقة بينهما بواسطة [*on*] لأنّك تعرف أنّ القطّ السّياميّ لا يحلّق في الهواء هناك دون حامل.

تتوفّر الأبعاد الأخرى كذلك في هذا المثال. لنبدأ بالثّقافة. فالطّريقةُ الّتي بها تصوغ تنبيهك إيّاي، وشعورُك بأنّ عليك أن تصدر ذلك التّنبيه، يعكسان تأويلك للمشهد في ضوء عادات ثقافيّة معهودة. فلِمَ تقول [القطّ] - بما يتضمّن ذلك من تعريف يؤدّي إلى الاهتداء إلى قطّ فريد- حتّى وإن لم تزرني قطّ في منزلي ولم تكن لك معرفة بجميع الحيوانات الأليفة الّتي عندي؟ عندما تفعل ذلك، أنت تستدعي المنوال الثّقافيّ الّذي يربّي فيه النّاس الحيوانات الأليفة في منازلهم؛ والقططُ نوع معهود منها، ولا يوجد منها في المطلق إلاّ واحد في منزل واحد. فلو كان عدد القطط في المطلق اثني عشر عوضا عن واحد، لقُلتَ، ربّما، [*a cat* "قطّ"] أو [*one of your cats* "واحد من قططك"]. ولو أنّ الثّقافة كانت تمنع تربية القطط، بدلا من ذلك، بوجه يكون فيه القطّ قد تسلّل إلى المنزل ببساطة، ربّما استعملت [*some* "بعض/ ما"] لتسمه بكونه غريبا ([*Some cat is climbing on your mat!* "قطّ ما يتسلّق سجّادتك"]) أو استعملت [*there* "هناك"] لتعلن عن حضوره

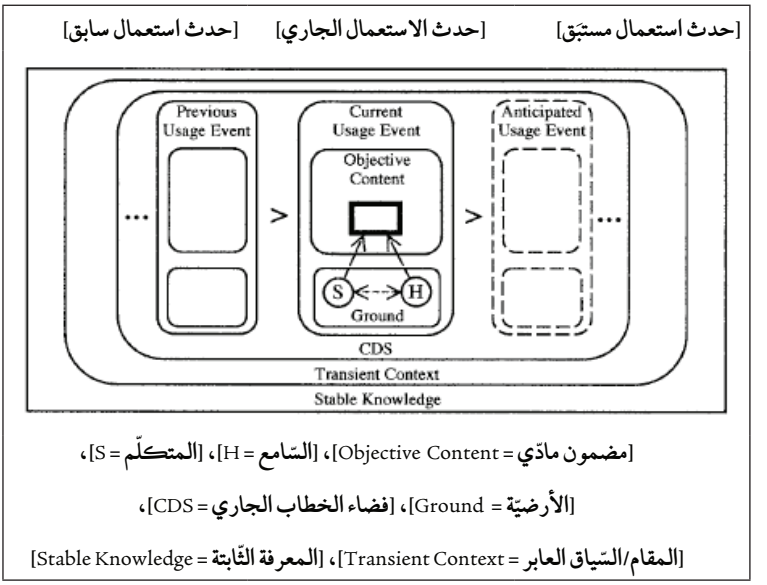
([*There's a cat on the mat!*] "هنـاك قطّ على السّـجّادة!"]). وإنّما كان شـعورك بواجـب الصّياح بالتّنبيه فـي المقام الأوّل، بفعل معرفة ثقافيّـة أخرى. فأنت تعلم أنّ الأشـياء الّتي تعتبَر ثمينة هي ما يجعل فـي إطار ويعلّق على جدار دون غيرها.[5] وأنت تعرف، زيادة على ذلك، أنّ النّاس لا يضحّون بالأشـياء الثّمينة لإسعاد القطط، وأنّ من واجب الضّيوف أن يرعوا مضيّفيهم وممتلكاتهم.

تتلوّن هنا، بطبيعـة الحال، المعرفة الثّقافيّة بالمعرفـة الاجتماعيّة. فالضّيف والمضيِّـف دوران اجتماعيّان، وترتبـط بهذين الدّورين مناويل في السّـلوك الاجتماعيّ المقبول. فصياح الضّيف بالمضيّف وهو في مكان آخر من المنزل، يعتبَر في العادة سـلوكا فظّـا، ولكنّ الطّوارئ تظهر توقّعـات أخرى (فأنت لا تُعتَبَـر فظّا عندما تصيـح [*!fire* «النّار!»]، عندما يندلـع الحريق في المنزل). والملابسات الاجتماعيّة تنعكس بوضوح في شكل العبارات - فأنت تسمع في حجرات الملابس من الملاعب أشـكالا من البذاءات أكثر وأكبر ممّا تسـمع منها في الكنيسـة. ويتمثّل الوجه المركزيّ للوضعيّة الاجتماعيّة في العلاقـة بين المتحاورين، بما في ذلك درجـة الحميميّة بينهم أو منزلة الواحد منهم الاجتماعيّة. ففي أغلب الحالات، تكون عبارة ["القطّ على السّـجادة"] مقبولة قبولا حسـنا مـن هذه الزّاوية. ولكـن، هب أنّني جنـرال في الجيش، وأنّك - مجرّد جنديّ - نعمل معا في منزلي. فرغم الحاجة الملحّة، قد تشـعر بأنّ عليك أن تصيح: ["سيّدي! القطّ على السّجّادة"].

وللسّـياق اللّغويّ كذلك مظاهـر ثابتة وعابرة في آن. ومـن أهمّ المظاهر الثّابتـة، المعرفـة باللّغة الّتي يجـري اسـتعمالها وبمنزلتها الاجتماعيّـة الثّقافيّة كذلك. وممّا يوفّر سـياقا لغويّا عابرا، الخطابُ الّذي تجري فيه عبارة ما. ولا يوجد حدّ معيّن يمتدّ إليه السّياق الجاري المفيد عودا إلى الوراء في خطاب ما؛ ومن الأسـس الممكنة في اسـتعمال حرف التّعريف [الـ] مع [قطّ]، أنّنا كنّا نتحدّث عن هذا الحيوان الأليف المدمِّر عددا من السّـاعات خلون. ولا يكون مدى السّـياق محدودا بالخطاب السّابق. فعندما تعلمني صائحا: [*The cat is on the mat!* "القطّ على السّـجّادة!"]، قد تنتظر جوابا منّي ([*Thanks!* "شـكرا"] أو [*Not again!* "أوَ فعلها ثانية!"]، مثلا).

عرّفنا حدث الاسـتعمال بأنّه شـامل لما يكون لعبارة ما من فهم سـياقيّ تامّ يتحدّد جزء منه بأنّه معناها اللّغويّ. والعامل المفتاح في تحديد معناها، هو التّفاعل بيـن المتكلّم والسّـامع اللّذين ينشـغل الواحد منهما بتقييم مـا يعرفه الآخر وما يقصـد إليه وما يتركّز عليه انتباهه في تلك اللّحظة. والنّتيجة المنشـودة، كما تُعرض باختزال في الرّسم البيانيّ 13. 2، أن يتوصّل المتحاوران إلى إقامة تصوّرين

متشـابهين فـي المجمل عن المـادّة المضمونيّـة وأن يوجّهـا انتباههما إلى نفس العنصـر داخلها (أي معـروض العبارة). وممّا يكون حاسـما في هذا المضمار، الأرضيّة المشـتركة الّتي يوفّرها المقام الشّامل. يسمَّى هذا الأساسُ المشتركُ الّذي يقوم عليه التّأويل فضاءَ الخطاب الجاري.[6] فهو يضمّ كلَّ شـيء يُفترَض أنّه مشـترك بين المتكلّم والسّامع أساسـا يقوم عليه التّواصل في لحظة بعينها. ويكون الخطاب الجاري نفسه، بطبيعة الحال، جزءا من فضاء الخطاب الجاري، بما في ذلك أحداثُ الاسـتعمال السّـابقة وكلّ ما يمكن استباقه منها، في آن واحد. وممّا يكون كذلك جزءا من فضاء الخطاب الجاري، مظاهر أخرى من السّياق العابر يَبين منها الواحد بفضل الآخر، وكذلك كلّ معرفة ثابتة يتطلّبها إدراكها أو تُسـتحضَر في ما عدا ذلك. يمكن أن يتوفّر جميع ذلك في الفهم المقاميّ التّامّ لعبارة ما وفي الأجزاء الّتي تكوّن معناها اللّغويّ.



الرّسم البيانيّ 13. 2

تُجرَّد الوحدات اللّغويّة من أحداث الاستعمال بتقوية القواسم المشتركة. فيمكـن لـكلّ مظهر من تلك الأحـداث أن يندرج في الوحـدة المعنيّة، مـا تكرّر. وبذلك لا تقتصـر خصائص الوحدات التّواضعيّـة على القناتين الرّئيسـيّتين: المادّة القطعيّة الصّوتيّة والمادّة المضمونيّة؛ فقد أشـرنا في الفقرة السّـابقة إلى اسـتعمال الظّواهـر العروضيّة في البنيـة الإخباريّة وفي تصريف الخطـاب، وكذلك إلى مكوّن الإشـارة بالجارحة في أسـماء الإشـارة.

وتشتمل كذلك العناصر الاستطلاعيّة والارتداديّة على خصائص تتعلّق بالخطاب السّابق أو اللاّحق ([*You're welcome* "العفو/ لا شكر على واجب"] تأتي مباشرة بعد عمل شكر). فضمير الشّخص، مثل [*she* "هي"]، يحمل معه التّوقّع بأنّ مرجعه سوف يتجلّى للسّامع بحكم كونه بارزا في المقام العابر. ويذكَر في العادة ذكرا صريحا: [*I asked* ***my lawyer***, *but* ***she*** *said the case was hopeless* "استشرت محاميتي، ولكنّها قالت إنّ القضيّة ميؤوس منها"]. ولكن يمكنه أن يكون بيّنا على أسس غير لغويّة. فإذا ما كنّا نستمع بانتباه إلى محاضرة، مثلا، يمكنني أن أقول ببساطة: [***She****'s made some good points* "(هي) قدّمت بعض الأفكار المهمّة"]، وأنا عارف بأنّك ستعرف من تكون 'هي'.

تشتمل الوحدات، في ما عدا قيمها الأساسيّة، على خصائص تعكس المظاهر الاجتماعيّة الثّقافيّة المقترنة بأحداث الاستعمال الّتي تفرّخُها. تتعلّق هذه المظاهر (من جملة ما تتعلّق به) بالمتحاورين، وبشروط الاستعمال المناسب لعبارة ما، وحتّى بمنزلتها في اللّغة. ففي الإسبانيّة، على سبيل المثال، لا يكتفي الضّمير [*tu* "أنت"] بتعيين السّامع مجرّد تعيين. فمن المظاهر الإضافيّة في قيمته (وهو ما يميّزه من [*usted* "أنت"])، أن ينسب إلى المتحاورين علاقة الألفة أو التّضامن. وبالفعل، يتواتر أن تكون الوحدات مناسبةً في ملابسات محدودة فقط، على أساس سجلّ الكلام، أو الإطار الثّقافيّ، أو الأدوار الاجتماعيّة ومنزلة المتحاورين.[7] وتشتمل هذه الوحدات، في جزء من مضمونها التّواضعيّ، على خصائص محدّدة تتعلّق بالأرضيّة أو بوجوه أخرى من المقام العابر. ويمكن التّعرّف على الوحدات كذلك من حيث تواترها أو غرابتها، أو من حيث انتماؤها إلى لهجة محلّيّة معيّنة، أو من حيث كونها مقترضة من لغة أخرى. فرغم الاستعمال المتواتر في الإنجليزيّة، يعرف النّاس أنّ [*enchilada* "أنتشيلادا"] آتية من الإسبانيّة وأنّ [*crème brûlée* "كريمة محروقة"] من الفرنسيّة. وباعتبار خصائص من هذا القبيل، يساوي غياب كلّ قيمة مخصوصة وجود نوع من القيمة - أعني حالة المنزلة المطلقة. فعلى هذا، تتمثّل أدنى درجات التّخصيص، وهي ضمنيّة في كلّ وحدة لغويّة، بالتّحديد في أن تستعمَل تلك الوحدة استعمالا تواضعيّا وأن يعترِف الأفراد في المجموعة اللّغويّة المعنيّة بأنّها جزء من اللّغة.

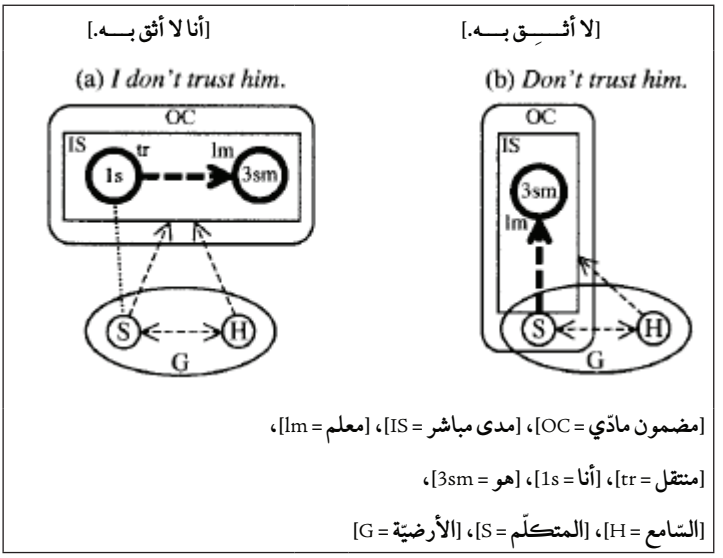
13. 2. 2 أثر تنضيد الرّؤية

يتمثّل جزء من الطّبقة المفهوميّة التّحتيّة في تنضيد الرّؤية: العلاقة بين المتصوّرين وموضوع التّصوّر. يقرن التّنضيد الّذي يُعتبَر بصفة معقولة نموذجيّا، متحاوِرَين اثنين معا في موضع ثابت يلاحظان منه المجريات الواقعيّة وينقلانها. ولكن هناك حالات كثيرة متواترة تخرج عن هذا التّنضيد المطلق: حالات يكون فيها المتحاوران متنقّلين، وحالات يكونان فيها متباعدين تباعدا فضائيّا أو زمانيّا، وحالات تكون فيها الوضعيّة الموصوفة غير واقعيّة، وحالات لا تكون فيها العبارة إثباتا، وهلمّ جرّا. فتنضيد الرّؤية لا يوجد في معاني العبارات فقط بل يؤثّر كذلك على الشّكل منها (§ 3. 4. 1). فمن زاوية دلاليّة، مثلا، تبدو العبارة [*I'm not here right now* "أنا لست هنا الآن"] متناقضة في محادثة تجري وجها لوجه، ولكنّها منسجمة عندما تكون رسالةً مسجّلة على آلة الإجابة الأوتوماتكيّة في الهاتف. ومن حيث الشّكل، يحيل كلّ من [*right now* "الآن"] وتصريفُ الفعل في الحاضر، على الزّمن - هو المستقبل من زاوية نظر المتكلّم- عندما يسمع المهاتفُ تلك الرّسالة. ففي تنضيد الرّؤية المحايد، قد يكون لزاما على المتكلّم أن يصف الأشياء وصفا مختلفا، كأن يقول: [*I won't be here then* "لن أكون هنا في ذلك الوقت"].

حتّى في المحاورة الجارية وجها لوجه، يكون تنضيد الرّؤية مهمّا ومتغيّرا بقدر كبير. انظر في المضمون المادّيّ لعبارة يوصَّف إجمالا بكونه الوضعيّة الّتي يجري وصفها. يمكننا أن نتصوّر، بطريقة استعاريّة، المتكلّمَ والسّامع ينظران إلى شاشة تَحكُّم تعرض تلك الوضعيّة. فلا يبدو على الشّاشة في اللّحظة إلاّ قدر محدود: المدى المباشر للعبارة (الموضع العامّ للانتباه)، ومعروضها (بؤرة الانتباه المخصوصة)، وكلّ ما يجد فيها مكانا ممّا عدا ذلك.[8] وتعويضا عن هذا النّقص في التّغطية، يتغيّر المعروض على الشّاشة من حدث استعمال إلى آخر لاحق عليه وفق ما تفعله الكاميرا من تنقّل عموديّ أو أفقيّ، أو تزويم، أو جيئة وذهاب. والأهمّ من جميع ذلك أنّ الكاميرا يمكن أن تُوجَّه إلى أيّ شيء مطلق. فيمكننا أن نفكّر في شأن كلّ زمان أو مكان وأن نتحدّث عنهما. ويمكن أن تكون الوضعيّات الموصوفةُ ممّا يُلاحَظ أو يُتَذكَّر أو يُتخيّل. ويمكن أن تكون مادّيّة، أو ذهنيّة، أو اجتماعيّة في طبائعها. ويمكن أن لا يكون القدر الكبير ممّا نتحدّث عنه موجودا بالفعل، إذ نَبنِيه بواسطة العمليّات الذّهنيّة مثل الاستعارة والمزج (§ 2. 2. 3).

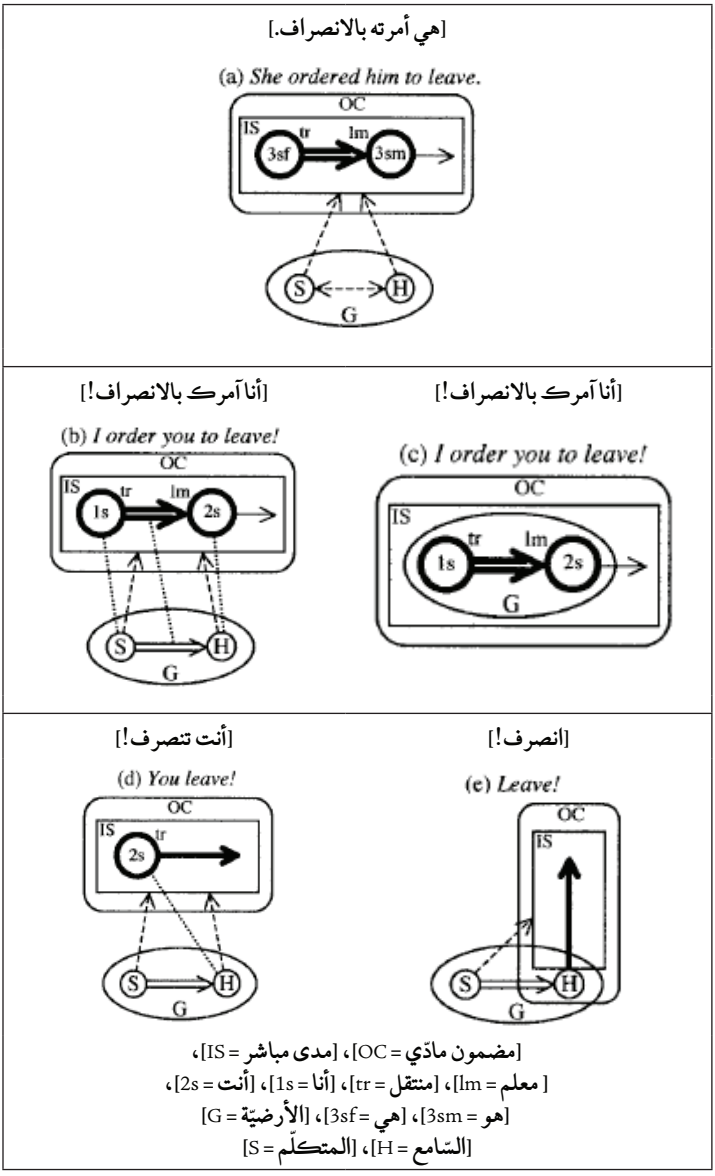
فعــوض أن نوجّه الكاميرا إلى الخارج، يمكننــا أن نصوّبها إلى الأرضيّة أو إلى أنفســنا. فإذا ما اخترنــا الحديث عن تجربتنا الباطنيّــة في أقصى درجاتها، أمكن لها أن تظهر على الشّاشة.

عندمــا تكون الأرضيّة ماثلة في الوضعيّة الّتي يجري الحديث عنها، توجد بعض المرونة من حيث الكيفيّة الّتي بها تكون رؤيتها. وبوجه خاصّ، يكون للشّخص المشارك في علاقة معروضة دور مزدوج من حيث هو فاعل للتّصوّر وموضــوع له فــي آن. ويمكن لأيّ واحد من الدّورين أن يُختَار ليُتّخَذ أساســا تقوم عليه العبارة اللّغويّة. فإذا ما سألني بعضهم عن رأيي في الرّئيس، يمكنني أن أقدّم الجواب نفسه بطريقتين مختلفتين: ربّما قلت [*I don't trust him* "أنا لا أثق بــه"]، ولكن يمكنني كذلك أن أنــزع الكلفة وأحذف ضمير المتكلّم، فأقول ببساطة [*Don't trust him* "لا أثق به"]. ففي الجواب الأوّل، أجعل نفسي ماثلا علــى الرّكح موضوعــا للتّصوّر، مذكورا ذكرا صريحا، مبأّرا في شــكل فاعــلٍ للمركّب الجُمَليّ. فأنا أصف الوضعيّــة، حقيقة، على أنّها خارجيّة عن الأرضيّــة كما لو كانت تعني شــخصا آخر. فرغم التّطابــق بين الجوابين في المرجع، هو ما يشــار إليه بخطّ التّناسب في الرّسم البيانيّ 13. 3 (a)، أنا أنشطر ذهنيّا، إلى حدّ ما، إلى شخصين هما المتصوِّر وموضوع التّصوّر.[9]



الرّسم البيانيّ 13. 3

لا تفسَّر العبارة البديلة [*Don't trust him* "لا أثق به"]، بأنّني كسول جدّا إلى حدّ أنّني لا أستعمل ضمير المتكلّم الفاعل. فهي، عوضا عن ذلك، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 13. 3 (b)، تقدِّم الوضعيّة كما أعيش تجربتها عيشا فعليّا. فأنا حقيقةً شخص مفرد، أشتغل فاعلا للتّصوّر بالنّسبة إلى كلّ من الموقفِ والجملة الّتي تصفه. والجملة تعكس هذا الأمر بطريقة مباشرة بأن تعاملني على أنّني متصوِّر ماثِل خارج الرّكح، ليس غير. يشفَّر هذا الدّور ذو الوظيفة المزدوجة تشفيرا لغويّا معهودا - أعني بأن يترَك ضمنيّا - يفتقر بحكم ذلك إلى فاعل نحويّ ظاهر. فينشأ تبعا لذلك تناقض بين المضمون المادّيّ (OC)، والمدى المباشر للعبارة (IS). يتضمّن الأوّل، وهو يمثّل الوضعيّة الّتي يجري وصفها، شخصي بصفتي منتقلا للعمليّة الّتي يعرضها الفعل في الجملة. ولكنّني أقدّم نفسي، من زاوية الشّكل اللّغويّ، على أنّني مجرّد فاعل للتّصوّر - أو بالأحرى أنا لا أقدّم نفسي مطلقا، وأخيِّر أن لا أخاطر بنفسي بالمثول على الرّكح داخل مدى الانتباه.[10] والعبارات من هذا القبيل تتعالق مع السّياقات الّتي تكون فيها الشّكليّة في أدنى درجاتها، بحكم أنّها تدعو السّامع إلى بناء الوضعيّة من زاوية النّظر الخاصّة عند المتكلّم. وفي الأوامر، نلاحظ التّناوب نفسه باعتبار السّامع الّذي يزدوج دوره كذلك بأن يكون في آن مخاطَبا ومشاركا في الحدث المعروض. فالضّمير الفاعل [*you* "أنت"] يعتبر اختياريّا في الأوامر: يمكننا أن نقول [*You leave*! "أنت تنصرف!"] أو ببساطة [*Leave*! "انصرف!"]. ولكنّ هاتين العبارتين ليستا متكافئتين على وجه الدّقّة، من حيث كانت أولاهما أقوى أو شكليّة أكثر من ثانيتهما. ويتلخّص الاختلاف، مرّة أخرى، في ما إذا جرى تشفير دورِ السّامع، مشاركا أو مخاطبا، تشفيرا لغويّا أو لم يَجْرِ. فرؤية السّامع مشاركا ماثلا على الرّكح ذات أثر إبعاديّ يتعالق طبيعيّا مع درجة من الشّكليّة أكبر. وبما أنّها تعكس رؤية المتكلّم للسّامع بموضوعيّة أكثر (بدل رؤية السّامع الذّاتيّة لنفسه)، فهي تتعالق مع المتكلّم وهو يراقب الوضعيّة مراقبة شديدة.[11]



الرّسم البيانيّ 13. 4

والأوامر مثال لافت من الكيفيّة الّتي يؤثّر بها تنضيد الرّؤية على شكل العبارة. لننظر أوّلا في العبارة غير الأمريّة [*She ordered him to leave* "هي أمرته بالانصراف"]. فهي تمثّل، من حيث كانت جملة تقريريّة، مجرّدَ وَصْف لعملِ الأمر بدل أن تكون إنشاءً له. يُعرَض هذا العمل، في الرّسم البيانيّ 13. 4 (a)، في

شكل سهم مزدوج إشارةً إلى طبيعة القوّة الحركيّة فيه: من خلال وسائل لغويّة، يمارس المنتقلُ قوّة اجتماعيّة ونفسيّة على المعلَم قاصدا إلى جعل هذا الأخير يفعل شيئا. تعرض العبارة تفاعلهما الّذي يكون بحكم ذلك بؤرةَ الانتباه داخل المدى المباشر. وإذ لا يكون هناك تراكب مع الأرضيّة، ينبني الحدث والمشاركون فيه انبناء موضوعيّا. وتمثّل الجلمة (ب) [!*I order you to leave* "أنا آمرك بالانصراف!"]، النّقيض الّذي لا يتراكب فيه الحدث المعروض وحدثُ القول فقط بل يتطابقان تطابقا تامّا. تسمّى الجملة من هذا القبيل جملة إنجازيّة، إذ ينشئ التّلفّظ بها (في شروط مناسبة) إنجازا للعمل الموصوف (أوستن 1962). فالتّفاعل في ذاته بين المتكلّم والسّامع في الأرضيّة يمثّل عيّنة من الأمر (لا مجرّد تقرير مطلق)، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 13. 4 (b). فيطابق حدثُ القول تبعا لذلك الحدثَ المعروض على الرّكح،[12] ويطابق المتحاوران المشاركَيْن فيه. فينتج التّطابق بينهما تنضيدا للرّؤية خاصّا يشتمل فيه المضمون المادّيّ على الأرضيّة بكاملها. فيمكننا أن نعرض ذلك بطريقة مباشرة بأن نجعل العناصر المتناسبة متراكبة، فنحصل تبعا لذلك على الرّسم البيانيّ 13. 4 (c). والرّسمان التّخطيطيّان في 13. 4 (b) و(c) متكافئان (أي بديلان من حيث الصّياغة الرّمزيّة).

ولئن كانت العبارات الإنجازيّة صريحة أكثر، فإنّ للأوامر البسيطة ميزة الاختصار. فلا نحتاج إلى فعل من قبيل [*order* "أمر"] لإنشاء الأمر: يكون قولنا [!*Leave* "انصرف!"] أو [!*You leave* "أنت تنصرف!"]، في العادة، كافيا. فالتّفاعل بين المتكلّم والسّامع، من حيث هو سمة بارزة من سمات الطّبقة التّحتيّة المفهوميّة، جزء من معنى العبارة سواء جُعِل ماثلا على الرّكح وعُرِض أو لم يكن كذلك. ولكنّ تركه ضمنيّا يؤثّر تأثيرا كبيرا على شكل العبارة. تتكوّن الأوامر البسيطة، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 13. 4 (d) و(e)، من مركّب جُمَليّ بسيط فقط، يكون ذا فاعل ظاهر أو لا يكون كذلك. وإذ يكون 'الانصراف' خارج الرّكح منبنيا انبناء ذاتيّا، يكون قائما برأسه وحيدا موضوعا للوصف. ويرتبط حضور الضّمير [*you*] أو غيابه، بما إذا كان السّامع مشفَّرا لغويّا على أنّه مشارك أو على أنّه مُخاطَب.

13. 2. 3 الأعمال الكلاميّة

تُعرَف أنواع الأعمال الموصوفة بالإنجازيّة – الأعمال من قبيل التّقرير، والأمر، والطّلب، والإعلان، والتّحذير، والتّعميد– بأنّها أعمال كلاميّة (أوستن 1962؛ سيرل 1969). ولئن اعتبِرت أغلبُ الجمل التّامّة، في الاستعمال

الفعلـيّ ممثّلة لنوع من العمل اللّغويّ، فإنّ العبارات الإنجازيّة الحقيقيّة نادرة. فالاسـتفهام شائع عاديّ، ولكن عوض أن نقول: [*I ask you whether she is home yet* "أسألك إن كانت هي في البيت الآن"]، نقول في العادة: [*Is she home yet?* "هل هـي في المنزل الآن؟"]. وحتّى العبارة التّقليديّة [*I now pronounce you man and wife* "أنا أعلن الآن أنّكما زوج وزوجة"] يجري تعويضها بعبارة أقلّ شكليّة [*You are now husband and wife* "أنتما الآن زوج وزوجة"]. وفي الظّروف المناسبة، يتزوّج الشّـخصان بكلّ من الطّريقتين. وليسـت قوّة العمل الكلاميّ أقلّ واقعيّة أو صلاحية عندما تُترَك ضمنيّة، جزءا من الطّبقة التّحتيّة المفهوميّة.

تقـوم الأعمال الكلاميّة على المناويل الثّقافيّة النّموذجيّة. تُسـتحضَر هذه المناويـل، من حيث هـي طرق متعارفَة فـي التّفاعل في المجتمـع، على أنّها مجالات عرفنيّة لغايات لغويّة متنوّعة. فهي تشتغل معاني للأفعال التي تنشأ بها الأعمـال الكلاميّة: [*ask* "طلب"]، و[*order* "أمر"]، و[*promise* "وعد"]، و[*proclaim* "أعلـن"]، و[*sentence* "حكـم"]، وما شـابه ذلك. ويمكن لهـذه الأفعال أن تُستعمَل استعمالا إنجازيّا ([*I hereby sentence you to life in prison* "أنا أحكم عليك بالسَّـجن مدى الحيـاة"]، أو اسـتعمالا وصفيّـا ([*The judge sentenced him to life in prison* "حكم عليه القاضي بالسَّجن مدى الحياة"]). تشتغل الأعمال الكلاميّة الأساسـيّة (التّقرير والأمر والطّلب) قيَما طرازيّة للأنواع الأساسـيّة من الجمل (التّقريريّة، والأمريّة، والاسـتفهاميّة). ويمكن للعبارة أن تستحضِر كذلك عملا كلاميّا جزءا من معناها حتّى إذا ما لم تكن الإشارة إليه إشَارة صريحة. فعبـارة [*I will never again smoke marijuana* "لن أدخّـن الماريخوانا من جديد"] قد تُؤَوَّل على أنّها وعد، رغمّ أنّ كلمة وعد لم تُستعمَل فيها.

المناويـل الثّقافيّةُ الّتي تسـتدعيها الأعمال الكلاميّة، سـيناريوهات مألوفة في التّفاعـل الاجتماعيّ واللّغويّ. وهـي تمثّل، بطريقة خطاطيّة، جميعَ الشّـروط الّتي يتطلّبها الإنجاز الموفّق للعمل اللّغويّ؛[13] ومختلفَ المشاركين وأدوارهم؛ والعملَ في ذاتـه؛ والخرجَ المقصـود؛ والتّوقّعاتِ المتّصلة بتسلسـل العبارات المسـتعملة وبشـكلها وبمضمونها. ويتوصّف الحدث التّفاعليّ الّذي ينشـئ العملَ الكلاميّ بالموقع الّذي يكون له في ذلك السّيناريو. وليس العمل الكلاميّ والمشاركون فيـه، مـن حيث كانا جزءا من منـوال عرفنيّ مجرّد، إلاّ وحـدات افتراضيّة - مثل المراجع الّتي تحيل عليها [أنا] و[أنت] أو المتصوِّرُ في عنصر تجذيريّ ما (§ 12، 3، 2). وتتحدّد تلك الوحدات، في عيّنة مخصوصة من الاسـتعمال اللّغويّ، بالتّفاعل الحقيقيّ الّذي يدور بين المتحاورين في الخطاب الجاري.

وتبعا لذلك، يمكن للمضمون الظّاهر لعبارة ما أن يمثّل واحدا من مستويات التّنضيد الماثلة في مدلوله المفهوميّ التّامّ. هب أنّ شخصا يقول [*I'll be there* "سأكون هناك"] ويفهم ذلك على أنّه وعد أصليّ. يوجد في هذه الجملة أشياء كثيرة أخرى بالإضافة إلى مجرّد مركّب جُمَليّ منته هو[*I'll be there*]. فالمركّب الجُمَليّ، بذاته وفي ذاته، لا ينشئ وعدا ولا أيّ عمل كلاميّ آخر؛ إنّما هو مجرّد تعبير عن قضيّة غير ذات منزلة إبستيميّة كامنة فيها. فيمكن، مثلا، أن يكون جزءا من جملة أكبر تنقض صحّته خصّيصا: [*It's not the case that I'll be there* "ليس صحيحا أنّني سأكون هناك"]. فإن قُبِل على أنّه صحيح، يمكن أن يكون المركّب الجُمَليّ [*I'll be there* "سأكون هناك"]، ببساطة، إثباتا يتعلّق بالمستقبل ولا قصد فيه إلى الوعد. وعندما يفهَم المركّب الجُمَليّ على أنّه وعد بتحقيق الفعل، إنّما يكون ذلك بحكم اندراجه في سيناريو الوعد الّذي ينشئ فيه المتكلّم التزاما بتحقيق الحدث المعروض: [سيناريو الوعد ["سأكون هناك"]]. ويمكن لهذا الوعد، بطبيعة الحال، أن ينشئه أيّ متكلّم في أيّ وقت. ولا يكون للعبارة تأويل محدّد - أي على أنّ متكلّما بعينه يلتزم بحدث بعينه- إلاّ في سياق حدثِ استعمالٍ حقيقيّ: [حدث استعمال [سيناريو الوعد ["سأكون هناك"]]].

غالبا ما يكون هذا البعد لمعنى عبارة ما، أكثر تبلورا مشتملا على سيناريوهات متعدّدة تتشكّل بطريقة معيّنة. فالجملة (2) (أ) مثال من قالب مشهور يمثِّل فيه السّؤالُ عن القدرة على عمل شيء، في الحقيقة، طلبا لفعله. فهي في مستوى أوّل بالفعل سؤال، كما يشير إلى ذلك شكلُها واحتمالُ الجواب عنها بـ[*Yes* "نعم"]. ولكنّ الجملة (2) (أ) ليست سؤالا فقط، كما تشير إلى ذلك إمكانيّةُ تضمّنها لكلمة [*please* "من فضلك"] وعدمُ ملاءمة الجواب عنها بـ[*Yes, I could* "نعم، أقدر على ذلك"]، ثمّ لا يُفعَل شيء من ذلك. فهي تُحقِّق خطاطة تفاعليّة مركّبة يكون فيها سيناريو السّؤال مندرجا في سيناريو الجواب: [سيناريو الطّلب [سيناريو السّؤال [المركّب الجُمَليّ]]]. والسّؤال ليس أصليّا، لأنّه طرِح عن طريق الالتماس فقط.

(2) (أ) *Could you* (*please*) *pass the salt?*

هل يمكن (من فضلك) أن تعطيني الملح؟

(ب) *Go ahead, leave! See if I care!*

هيّا، انصرف!، وانظر إن كنتُ أهتمّ بذلك!

وبالمثل، ليست عبارة [!*leave* "انصرف!"] أمرا أصليّا في سياق الجملة (2) (ب). إذ يتظاهر المتكلّم بأنّه يصدر أمرا والحال أنّه يتّخذ ذلك طريقة لتقديم التّبعات النّاجمة عن العمل المتخيَّل. فسيناريو الأمر، حينئذ، مندرج في بنية ذهنيّة أكثر تبلورا تلغي قوّتَه الإنجازيّة. ورغم طبيعة الخفاء في هذه السّيناريوهات المركّبة، فلها منزلة الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة.

يتمثّل ثالوث من سيناريوهات الأعمال اللّغويّة الأساسيّة في التّقرير والأمر والسّؤال. تخصِّص الوحدات التّواضعيّة الإنجليزيّة تقارنها الزّوجيّ المطلق بثالوث من أنواع المركّبات الجُمَليّة الأساسيّة: [سيناريو التّقرير [المركّب الجُمَليّ الإثباتيّ]]، [سيناريو الأمر[المركّب الجُمَليّ الأمريّ]]، [سيناريو السّؤال [المركّب الجُمَليّ الاستفهاميّ]]. وتأكيدا لذلك، يمكن لكلّ نوع من المركّب الجُمَليّ أن يستعمَل كذلك بطرق أخرى.[14] ومقابل ذلك، يكون للأعمال اللّغويّة تجلّيات مختلفة. تقدّم الأمثلة الواردة في (3) بعض النّماذج من البدائل في التّقارنات الزّوجية بين أنواع المركّبات الجُمَليّة وأنواع السّيناريوهات. نرى في (أ) أنّ مركّبا جُمَليّا قائما على ترتيب الكلم الخاصّ بالاستفهام، يمكن أن يُستعمَل كذلك في التّعجّب. ورغم شكل الأمر في المركّب الجُمَليّ الأوّل من (ب)، فهو ليس أمرا بمغازلة زوجة المتكلّم. وفي (ج)، نلاحظ أنّ التّنغيم يسمح لمركّب جُمَليّ إثباتيّ بأن يجري سؤالا أو أمرا.

(3) (أ) *Isn't she cute*! [cf. *Isn't she ready?*]
أليست ظريفة! [انظر «أليست جاهزة؟»]
(ب) *Flirt with my wife and I'll break your arm.*
غازِل زوجتي وسوف أكسر ذراعك.
(ج) **A:** *You'll leave.* **B:** *I'll leave?* **A:** *Yes, you'll leave*!
أ: سوف تنصرف. **ب:** سوف أنصرف؟ **أ:** نعم، سوف تنصرف!

المركّبات الجُمَليّة الإثباتيّة في الإنجليزيّة أساسيّة من ناحية بنيويّة بمعنى أنّ سائر الأنواع من المركّبات الجُمَليّة تقبل الوصف مباشرة بالعود إليها. فالمركّبات الجُمَليّة الأمريّة تفتقر إلى سمتين أساسيّتين من سمات المركّبات الجُمَليّة الإثباتيّة: التّجذير (بالزّمن التّصريفيّ والعناصر الجهيّة) والفاعل الظّاهر. ومقابل المركّبات الإثباتيّة الّتي يرد فيها الفعلان المساعدان كلاهما بعد الفاعل، يسبق الفعل المساعد الأوّل الفاعلَ في المركّب الجُمَليّ الاستفهاميّ. وكما يمكن أن يتوقّع المرء، يجري عادة التّقارن بين أبسط نوع في المركّبات الجُمَليّة

وأبسط سيناريو في الأعمال اللّغويّة. فعلاقة التّقرير بالأعمال اللّغويّة الأخرى، شبيهة بعلاقة الفانيليا بسائر العطور الغذائيّة. ولئن سُمِّيَ هذا العمل اللّغويّ «التّأكيد» في الغالب، فهي تسمية قائمة على ادّعاء كبير. هي تسمية تستحضِر وضعيّة حجاجيّة يطالَب فيها المتكلّم بأن يؤكّد صحّة قضيّة ما، بقوّة البرهان، لمخاطَب لا يسلِّم بها في ما قبل ذلك. ولكن ما هكذا يتكلّم النّاس في العادة. رغم أنّ الإثبات إخباريّ في الغالب، فهو نادرا ما يُقدَّم مصحوبا بحجّة تدعمه للتّغلّب على رفض المخاطَب. وبالفعل، لا يكون الإثبات في الغالب حاملا لأيّ خبر. فالقدر الكبير من كلامنا اليوميّ إثبات لما كان بديهيّا عند السّامع من قبل. لاحظ العبارات الإثباتيّة التّالية المكتوبة بالخطّ الغليظ (والمسطّرة في النّص العربيّ):

(4) (أ) *Take it easy. Remember,* ***you have a heart condition.***
هوّن عليك. تذكّر جيّدا، قلبك مريض.

(ب) *Omigod*! ***Someone's knocking on the door.*** *Get some clothes on*!
يا إلهي! طارق عند الباب. ارتدِ شيئا تستر به نفسك!

(ج) ***You're late. You should have called to let me know.***
تأخّرتِ. كان عليك أن تهاتفيني لتعلميني بذلك.

(د) ***It's already dark. The days are getting shorter.***
ها قد أظلمت الدّنيا. النّهار يزداد قصرا.

إذن، كيف نوصِّف الإثبات؟ في الاستعمال التّفاعليّ العاديّ، يكون المقصودُ بكلّ عبارة الحصولَ على أثر ما أو إثارة استجابة ما. فالنّتائج المقصودة كامنة في سيناريوهات الأعمال اللّغويّة: الوعد يُلزم المتكلّمَ بتحقيق عمل ما، والسّؤال يُجبر المخاطَبَ على الإجابة، وهكذا دواليك. فمن الأعمال اللّغويّة ذات النّكهَات المختلفة يكون الإثبات حالة خاصّة لمجرّد كونه معتدل المذاق. فهو يمثّل أكثر النّكهات حيادا، فيه أدنى الدّرجات من التّأثير المقصود ومن إجابة السّامع. فالإثبات، بذاته وفي ذاته، لا يحمل معه شيئا من التّوقّع الأدنى - وهذا من خصائص العبارات جميعها- أكثر من أن يُسمَع ويفهَم. لا يعني هذا، بطبيعة الحال، أنّنا ننفي أنّ المتكلّمين يقصدون ويحقّقون بواسطة عبارات الإثبات قدرا أكثر من ذلك بكثير. فكلّ ما في الأمر أنّ تلك الآثار تفوق ما يوجد في سيناريو الإثبات الأساسيّ وتتجاوزه.

ولسيناريو الإثبات سمة أخرى تتمثّل في تسليم المتكلّم بما يقال. وهذا لا يمنع النّاس من الكذب - فذاك، بالأحرى، ما يجعل الكذب شيئا ممكنا. وإذ يوهم الإثبات بأنّه يمثّل رؤية المتكلّم، أمكنه لذلك أن يستعمَل بالفعل

لتمثيل تلك الرّؤية على غير حقيقتها. وللتّأكّد من ذلك، هناك حالات (أقلّ من الكذب) يقول فيها المتكلّم شيئا وهو لا يسلّم به. تنتُج هذه الحالات من إدراج سيناريو الإثبات في أبنية ذهنيّة أكثر تبلورا فتلغيه. ففي واحد من السّيناريوهات المعقّدة، يكتفي السّامع بإعادة ما كان قد قيل:

I've just been nominated for the Nobel Prize. Sure. Tell me another one. (5)

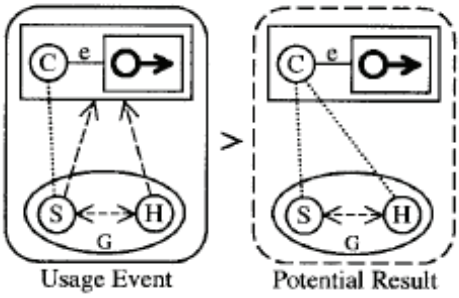
لقد رُشِّحتُ منذ مدّة قصيرة للفوز بجائزة نوبل. هذا أكيد. أخبرني بحكاية أخرى.

يعلّق المتكلّم هنا تصوّرَه هو للواقع ويجعله مطابقا بصفة مؤقّتة للرّؤية (المزعومة) عند المتكلّم السّابق. فتكرارُ القضيّة بلفظها يجعلها حيّة ويخضعها للتّأمّل في ما بعد ذلك تأمّلا يقود في الغالب إلى رفضها. والسّخرية واحدة من الحالات الأخرى، حيث يقول المتكلّم شيئا يكون خاطئا بكلّ وضوح ويقصد إلى أن يُعتبَر كذلك. لنأخذ مثالا واحدا فقط، هو عبارة [*That was a brilliant move* "تلك كانت حركة بارعة"]، تقال في الأغلب الغالب، ردّا على فعل شيء فيه حمق كثير. فالمتكلّم يمضي معدِّدا مظاهر البراعة في الحركةَ، وهو يفهم بطريقة واضحة أنّ العبارة ليست إثباتا أصليّا. والإيهام بأنّ المتكلّم يسلّم بما يقال، يلغَى عندما يجري إدراج سيناريو الإثبات في سيناريو أكثر تعقيدا منه هو سيناريو الإثبات القائم على القصد إلى السّخرية.

يستحضر سيناريو الإثبات، في بديله الأساسيّ المعروض في الرّسم التّخطيطيّ 13. 5 (a)، حدثَ استعمال يُنتِج فيه المتكلّم مركّبا جُمَليّا منتهيا. وتُعرَض عند أعلى الرّسم البيانيّ القضيّة الّتي يعبّر عنها المركّب الجُمَليّ، متمثّلة في العمليّة المجذَّرة. والمظهر المفيد في تجذيرها أنّ المتصوِّر (C) يتبنّى موقفا إبستيميّا (e) تجاه جريان الحدث المعروض (بواسطة حضور عنصر جهيّ أو غيابه، بصفة رئيسيّة). يشير خطّ التّناسب إلى أنّ المتكلّم يؤدّي دورَ المتصوِّر (C) من هذا الاعتبار؛ أي أنّ المتكلّم يسلّم بصحّة القضيّة. وتمثّل السّهام المتقطّعة النّاتجَ المقصود: التّوقّع الأدنى بأنّ السّامع سوف يلتحق التحاقا مؤقّتا بالمتكلّم في الانتباه إلى القضيّة. ورغم أنّ الإثبات يكون ناشئا بقوّة في بعض الأحيان، لا يكون ذلك من السّمات الجوهريّة في السّيناريو. فذلك لا يخصِّص إلاّ أدنى درجات التّفاعل بين المتكلّم والسّامع (يشار إليه بالسّهم ذي الرّأسين) الّذي يدرك فيه الواحد منهما الآخرَ وينتبهان إلى ما يقال. ومن النّتائج المحتملة لحدث الاستعمال أن يُطابق السّامعُ المتَصوِّرَ (C) فيسلِّم بالقضيّة. يعرض الرّسم التّخطيطيّ ما يفترَض أنّه الحالة العاديّة الّتي يكون فيها الإثبات إخباريّا، بوجه يوحي بأنّ السّامع لم يكن مسلِّما به قبل ذلك.

[سيناريو التّقرير]

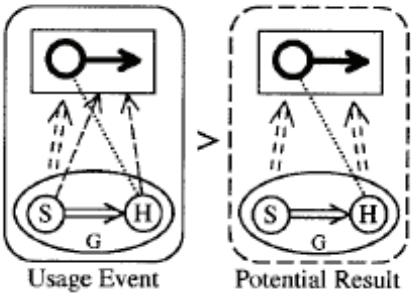
(a) Statement Scenario



[نتيجة إمكانيّة] [حدث الاستعمال]

[سيناريو الأمـــــــــــر]

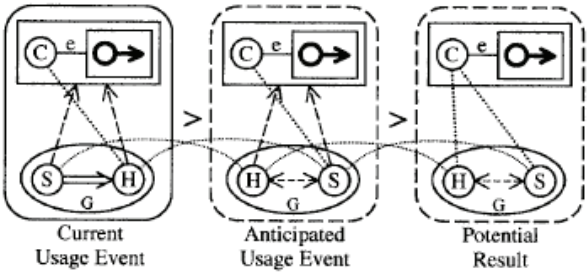
(b) Order Scenario



[نتيجة إمكانيّة] [حدث الاستعمال]

[سيناريو السّؤال]

(c) Question Scenario



[نتيجة إمكانيّة] [حدث الاستعمال المستبَق] [حدث الاستعمال الجاري]

[السّامع = H]، [المتكلّم = S]، [الأرضيّة = G]، [حدث = e]

الرّسم البيانيّ 13. 5

وأمّا سيناريو الأمر فمختلف. فالمضمون الّذي يجري التّعبير عنه (مثل [!*Leave* "انصرف!"] ليس قضيّة ولكنّه عمليّة ببساطة، كما يُرَى في الرّسم البيانيّ 13. 5 (b). في حين تتعلّق العبارات الإثباتيّة بالمستوى الإبستيميّ مستدعيةً بذلك متصوِّرا وموقفا إبستيميّا، تتعلّق الأوامر بالأعمال في ذاتها كائنة في المستوى التّنفيذيّ (§ 12. 3. 1). ولهذا السّبب، لا يحتوي المركّب الجُمَليّ الأمريّ على عنصر تجذير منفصل: لا يمكن للفعل فيه أن يصرَّف في الزّمن ([!*Left*⁕ "*انصرف"])، أو يقترن بعنصر جهيّ ([!*Will leave*⁕ "*سوف ينصرف!"]).[15] فعوض أن يطابق المتكلّمُ المتصوِّرَ (C)، يطابق السّامعُ المنتقلَ في العمليّة المعروضة. غير أنّ للمتكلّم موقفا من تلك العمليّة: هو الموقف التّنفيذيّ الّذي يقصد إلى جريان تلك العمليّة (يشار إليه في الرّسم البيانيّ بسهم مضاعف متقطّع). ولتحقيق ذلك القصد، يُخضِع المتكلّم السّامعَ للقوّة الاجتماعيّة والنّفسيّة، هي ما يشير إليه السّهم المضاعف المسترسل. فالنّاتج المنشود أنّ السّامع يشارك المتكلّمَ في ذلك القصد ويعمل وفق ذلك.[16]

وسيناريو السّؤال أكثر تعقيدا، لأنّه يشارك عبارات الإثبات والأوامر في بعض السّمات. أمّا عبارات الإثبات فيشبهها في أنّ المركّب الجُمَليّ فيه يعبّر عن قضيّة. وأمّا الأوامر فيشبهها في أنّ المتكلّم يُرغِم السّامعَ على العمل خصّيصا بالإجابة عن السّؤال. وبذلك يكون حدث الاستعمال هنا استطلاعيّا، بمعنى أنّه يتكهّن بحدث استعمال لاحق. تشير خطوط التّناسب إلى أنّ من يكون المتكلّمَ في حدث الاستعمال الأوّل يؤدّي دور السّامع في حدث الاستعمال الموالي، والعكس صحيح. وبما أنّ السّؤال يطلب الإخبار بدل أن يقدّمه، يكون السّامع البدئيُّ الأوّلَ في مطابقة المتصوِّر (C)، إذ المفترَض أنّ له موقفا إبستيميّا من الجريان المعروض. فيُستبَق أنّ السّامع سوف يوفّر عندئذ، من حيث يصير متكلّما، إثباتا إخباريّا يجعل ذلك الموقف صريحا.[17] ومن النّتائج الممكنة لحدث الاستعمال الثّاني أنّ السّائل سيطابق بدوره المتصوِّر (C). فإذا كان السّؤال: [*Will it rain?* "هل تمطر؟"]، يدلّ الجواب [*Yes, it will* "نعم، سوف تمطر"] على أنّ المجيب يؤدّي دور المتصوِّر إزاء القضيّة [*It will rain* "سوف تمطر"]. يستلزم التّسليم بصحّة الجواب أنّ السّائل يؤدّي كذلك ذلك الدّور، فتعبّر [*It will rain* "سوف تمطر"]، تبعا لذلك، عمّا يصير لاحقا التقييمَ الإبستيميّ عند السّائل.

13. 2. 4 العناصر التّعبيريّة

لعلّه يحسن بنا أن نقول شيئا عن عبارات تجري للتّحيّة مثل["أهلا"]، وللشّكر مثل ["شكرا"]، وللجواب مثل ["نعم"]، وللسّخط مثل [""اللّعنة!"]، وكذلك عن أساليب النّداء حيث ينادى الشّخص باسمه. يمكن أن تعتبَر هذه العبارات أعمالا لغويّة خاصّة بحكم ما تتضمّنه معانيها من وجوه التّفاعل بين المتكلّم والسّامع. وما يجعلها حالة خاصّة، إنّما هي علاقتها بالوضعيّة الموصوفة - أو بالأحرى عدم تميّزها عن تلك الوضعيّة. فهي تشذّ عن الانتظام العاديّ القائم في الإثبات والسّؤال والوعد، وما إلى ذلك حيث يكون التّفاعل الّذي ينشئ العملَ اللّغويّ منفصلا عن المضمون المادّيّ للعبارة. وعوضا عن ذلك، يكون "مضمونها" وجها من وجوه التّفاعل في ذاته. فهي شبيهة من هذه النّاحية بالعبارات الإنجازيّة الّتي يكون فيها الحدثُ المعروض وحدثُ القول شيئا واحدا (الرّسم البيانيّ 13. 4 (c)). ولكنّها، خلافا للعبارات الإنجازيّة، لا تركّز إلاّ على مظهر واحد من ذلك التّفاعل يكون في منزلة الضّروريّ لا العَرَضيّ، من حيث كان في ذاته حدثا مشفّرا لغويّا. ولذلك لم يكن لها شكل المركّبات الجُمَليّة ولا يمكن أن تجري لوصف المجريات الخارجيّة.

وسعيا إلى مصطلح أفضل، أسمّي هذه العناصر بالعناصر التّعبيريّة. فليس من وظيفتها أن تصف شيئا (بما يستلزم ذلك من وجود وضعيّة خارجيّة) بل الأفضل أن تحدّد وظيفتها بكونها تعبيريّة، أو انفعاليّة أو تفاعليّة. ولا ينبغي أن تُهوّلَ الفوارق. فللكثير من العبارات الأخرى مضمون تعبيريّ أو انفعاليّ (مثلا، [*gay* "مثليّ"] مقابل [*queer* "شاذّ"]، [*good* "حسن"] مقابل [*absolutely marvelous* "أمر رائع حقّا"]، أو [*fail to save* "فشل في إنقاذ"] مقابل [*kill* "قتل"] مقابل [*butcher* "جزّر، جزّار"] (في الحديث عن طبيب جرّاح). فكلّ عبارةٍ تفاعليّةٌ إلى حدّ ما، وهي تعليمة ضمنيّة تستحضَر بمقتضاها مجموعة من المضامين وتنبني بطريقة معيّنة. وأمّا العناصر التّعبيريّة، فهي لا تفتقر جميعا إلى المضمون الوصفيّ. فهي تستحضر كذلك المجالات العرفنيّة وتفرض عليها انبناء مخصوصا. فبدل أن تكون العناصر التّعبيريّة متميّزة تميّزا دقيقا، إنّما تكوّن استرسالا مع العبارات ذات الطّاقة الوصفيّة الأكبر.

ومن أمارات ذلك، أنّ بعض العناصر التّعبيريّة ما تزال قابلة، إلى حدّ ما، لأن يُتعرَّف على أنّها صيغ مختزلة من جمل وصفيّة تامّة. فعبارة [*Awesome*!"مدهش!"] تستحضِر الجملة التّامّة [*That's awesome*! "هذا مدهش!"] (في حين

لا توحي عبارة [*Wow*! "واو!" (صيحة إعجاب)] بعبارة [*That's wow*!* "*هذا واو!"]. وما يزال بإمكاننا أن نؤوِّل عبارة [*Congratulations* "تهانيّ"] بأنّها اختصار لعبارة [*Let me offer my congratulations* "اسمح لي بأن أقدّم تهانيّ"]، وليس من المستحيل أن تُفهَم عبارات من قبيل [*Greetings* "تحيّاتي"] أو [*Thanks* "شكرا"]، فَهْما مماثلا رغم أنّهما بقايا من استعمالات قديمة ليس غير. يمكن أن تعتبَر العناصر التّعبيريّة الّتي لا تؤوَّل تأويلَ اختزال، استعمالات خاصّة لعناصر تجري للوصف أيضا. فعبارة [*Damn*! "اللّعنة!"]، مثلا، تحتفظ بارتباطها بالفعل المناسب لها، وتحتفظ [*Hell*! "الجحيم!"] بارتباطها بالاسم المناسب لها. فالاسم يتعرّف عليه من حيث هو اسم، سواء كان الخطاب موجّها إلى الشّخص المسمّى به (مثل، [*I see, Joe* "أرى، (يا) دجو"]) أو كان مجرّد إحالة عليه (*I see Joe* "أرى دجو").

تستحضِر العناصر التّعبيريّة، تماما مثل العبارات الجارية في الوصف، مضمونا مفهوميّا، وتوجّه الانتباهَ إلى ما في داخله. ومن المجالات الّتي تُستحضَر، السّيناريوهاتُ التّفاعليّة: سيناريوهات النّاس يتقابلون ويتبادلون التّحيّة (بالنّسبة إلى [مرحبا]، و[أهلا]، و[تحيّاتي])، وسيناريوهات الطّلب والإجابة عن السّؤال ([نعم]، [لا])، وسيناريوهات التّعاون والتّعامل المتأدّب بينهم ([من فضلك]، [شكرا]، [لا شكر على واجب])، وما إلى ذلك. وبعض المجالات متعلّق بالإحساس وبردِّ الفعل الانفعالّي ([*Ouch*! "آي!"]، [*Yuck*! "يوك! (امتعاض)"]، [*Damn*! "اللّعنة!"]، وما جرى مجراها في الإنجليزيّة من الكلمات النّابية الأخرى من بنات الحروف الأربعة). وتركّز بعض العناصر التّعبيريّة على وجوه مخصوصة من مجالاتها. فعبارة [نعم]، مثلا، هي ما يقوله المرء في ردّه بالإيجاب عن سؤال. وهي تركّز الانتباه على طور الإجابة من سيناريو السّؤال، دالّة على أنّ المجيب يسلّم بالقضيّة موضوع الحديث. وعبارة [من فضلك] هي ما يقوله المرء عندما ينشئ طلبا بأدب. فهي، من حيث كانت كذلك، تسطّر موقفَ الاحترام عند المتكلّم (موحيا بأنّ السّامع ليس مرغما على الاستجابة إلاّ إذا ما أعجبه ذلك). وتوفّر عبارة [*Ouch*!] متنفّسا لشعور خفيف بالألم لا يطول. فهي توجّه الانتباه إلى هذه التّجربة الجسديّة في ذاتها، في مقابل سببها، أو موطنها أو إمكانيّة حصول إصابة من جرّائها. ومن السّمات الجوهريّة في العناصر التّعبيريّة، أن يتحدّد المشاركون الرّئيسيّون في السّيناريوهات على أنّهم المتحاورون في حدث

القـول. فعبارة [مـن فضلك] هي ما يقولـه المتكلّم للمخاطَب عند إنشـاء الطّلب، و[آي!] تعبّر عن ألم المتكلّم لا عن ألم أيّ شـخص آخر.[18] ولكنّ المتحاورَيْن يظلاّن في العادة ضمنيّين، وخاصّة المتكلّم منهما (فعبارة [*Damn you*! "اللّعنـة عليك!"]، جارية ولكـن [*Ouch*! "*أنا آي!"] لا تجري أبدا). يـدلّ ذلك على أنّ العناصر التّعبيريّة تسـتدعي المتحاورَيْن في دورهما الّذي يؤدّيانه خارج الرّكح بصفتهما فاعلَيْن للتّصوُّر.

فماذا تعـرض العناصر التّعبيريّة؟ ربّما لا تعرض شـيئا، في المعنى الضّيّق للكلمـة على الأقلّ. فمعـروض العبارة هو بؤرة الانتباه علـى الرّكح، الّتي تنبني انبناء موضوعيّا، بحكم التّعريف. ولكن من زاوية النّظر عند المتكلّم، على الأقلّ، لا صلة للعناصر التّعبيريّة برؤية المضمون الماثل على الرّكح ولا بوصفه. فالمتكلّم، عندما يستعمل واحدا منها، يؤدّي عملا اجتماعيّا أو يفصح صوتيّـا عن تجربة ما - فهو عوض أن يصف سـيناريو، إنّما يؤدّي دورا فيه.[19] وتبعا لذلك، يكون انبناء العمل أو التّجربة انبناء ذاتيّا، بالنّسبة إلى المتكلّم. فرغـم أنّ العنصر التّعبيريّ يسـتحضر ذلك العمل أو تلـك التّجربة ويوجّه الانتبـاه إليهما، لا يكـون البروز الّذي يحظيان به مسـاويا لبـروزِ ما يُبأَر من الأشـياء الّتي توصف. فإن التزمنا بالتّعريف الحرفيّ، مثّلت العناصرَ التّعبيريّة، تبعا لذلك، جملة من الشـواذّ المبدئيّة تخرج عن التّعميم الّذي ينصّ على أنّ لكلّ عبارة معروضا.

والنّداء مختلف اختلافا طفيفا. فعندما أخاطب شـخصا ما باسمه، لا شكّ في أنّ ذلك الاسـم يعرض فعلا ذلك الشّخص. والسّبب في هذا الاختلاف يعـود إلى أنّ الأسـماء تعبيريّة فـي صميمها. وهي جارية، فـي الغالب، إن لم يكـن في العادة، في الاسـتعمالات الوصفيّـة: [*I saw Joe yesterday* "(أنا) رأيت دجو أمس"]. والنّداء ليس نوعا منفصلا من العبارات، ولكنّه مسـألة أسـماء تُستحضَر للاسـتعمال التّفاعليّ. بمخاطبة دجو باسـم دجو (عوضا عن أنت)، أشير إلى أنّ منزلته باعتباره مخاطَبا ليست مضمونة. وفي ذلك قالبان أساسيّان. فإذا ما كنّا قد شـرِعنا في المحادثة، فلا يصلح ذكر اسمه إلاّ لإعادة ترسيخ منزلته باعتباره مخاطَبا: [*It seems to me, Joe, that you really should get married* "يبدو لي، يا دجو، أنّ عليك أن تتزوّج حقّا"]. وبدلا من ذلك، يمكن أن أنادي باسمه لجلـب انتباهه فأجعله بذلك مخاطَبا: [*Joe! I can use your help over here* "دجو! أنا في حاجة إلى مسـاعدتك هنا"]. وفي الحالتين، يكون دجو مشاركا ماثلا

علـى الرّكح في سـيناريو ضمنيٍّ في خلاف ذلك - هـو الطّرف الظّاهر من جبل الجليد التّفاعليّ العائم.

يشـبه النّداء العبـارات من قبيـل [!*Fire* "النّـار!"] و[!*Water* "المـاء"] الّتي تسـتحضر كذلك سـينَاريوهات بذكر عنصر وحيد رئيسـيّ منها، ذكرا صريحا. ورغم أنّ ذينك العنصرين اسمان، فهما يُفهَمان على أنّهما دعوة إلى عملٍ شيء، يرتبط هذا العمل المخصوص بالمعرفة العامّة وبالمعرفة المقاميّة. وإذَا كانت النّار شـيئا خطـرا، كان الصّياح بكلمة [النّار!] تنبيها لاجتنابها، في حين تؤخذ في العادة كلمة [الماء!] على أنّها طلب لهذا السّائل. ويمكن بطبيعة الحال أن يقلِب المقام تلك التّأويلات المطلقة (تخيّل سدّ ماء ينفجر أو احتمـال أكل اللّحم نيّئا). فعبارة [!*Help* "النّجدة!"] يمكن أن تُفهَم على أنّها اسـم أو فعل. فإن أُخِذت على أنّها فعل، كانت طلَبا بالأسـاس، وإن كانت أضعف من الأمر المباشـر؛ فهي بدل ذلك اسـتغاثةٌ موجَّهة إلى أيّ شـخص قادر على الاستجابة. فيمكن أن تحلَّل الأوامر العاديّة (مثل [انصرف!])، على أنّهـا حالة خاصّة من الدّعوات إلى العمل هـذه الّتي تكون صريحة في أدنى الحدود. فهي تتّفق جميعا في تعويلها على بنية تحتيّة مفهوميّة تدلّ بها على سير العمل المرغوب فيه باعتبار العنصر المذكور ذِكْرا ظاهرا.

13.3 أنواع الخطاب

ينشـد النّحـو العرفنـيّ هدفا على المـدى البعيد، هو إقامة تفسـير مندمج للبنية اللّغويّة في جميع تجلّياتها المختلفة. ومن مظاهر هذا التّحدّي أن يشـمل ذلك التّفسيرُ بطريقة سلسة كلاّ من العبارات الفرديّة والخطاب المسترسل. وممّا يسـاهم في هذا التّحدّي كذلك طرق الاستعمال اللّغويّ الّتي يصعب حصرها. وهذه الطّرق تولّد أنواعا عديدة أو أجناسا من الخطاب منها المنطوق ومنها المكتوب.

13.3.1 استعمالات اللّغة

لئن كان الكلام أوّليّا، فإنّ الكتابة منتشرة في المجتمعات الحديثة إلى حدّ لا يمكن أن يتجاهله تفسـير شـامل للّغة. وبالفعـل، يتعامل بعض النّاس (وأنا واحد منهم) مع المكتوب من الكلام أكثر ممّا يتعاملون مع المنطوق منه. فالكتابة ليسـت مجردّ سـعي ناجح أو يكاد إلى تمثيـل الكلام. فلها حياتها الخاصّة بها، بمواضعاتها الخاصّة واستعمالاتها المخصوصة. وهي ذات

تأثير على اللّغة المنطوقة أيضا. ومن الحالات البارزة للعيان، الاستعمال الشّائع للمختصرات الاسميّة باعتماد الحروف الأوائل، وهي مصدر أساسيّ للأسماء في الإنجليزيّة.[20] أو انظر في العادة الجارية في محاكاة علامة الظّفرين أثناء نقلِ الكلام وفي الإشارة بالجارحة: [gesture made by] *He's rather quote /unquote* [crooking two fingers on each hand] *high-spirited* "هو بالأحرى افتح الظّفرين/ أغلق الظّفرين [إشارة بانحناءة من الأصبعين في كلّ واحدة من اليدين] كثير الانشراح"].

يجري كلّ من الكلام والكتابة في أجناس متنوّعة. ويستعمل المصطلحُ في الأدب لتسمية أنواع عامّة من الأعمال من قبيل الرّوايات، والقصص القصيرة، والأشعار الملحميّة. ويمكن عن طريق الاتّساع أن نطبّقه على أيّ نوع من الإنتاج اللّغويّ القابل للتّصنيف. فالمحادثة العاديّة، على هذا، جنس من الكلام المنطوق، وكذا المحاضرات والخطب الوعظيّة والمقابلات المهنيّة، ومراسلات النّقول الرّياضيّة بطريقة ضربة - بضربة، ودليل الاستعمال في أجوبة الهاتف الأوتوماتيكيّ، والأوامر الصّادرة عن المدرّبين في الخدمة العسكريّة. وبصرف النّظر عن الأدب، تتعدّد أجناس الكلام المكتوب وتتنوّع تنوّعا كبيرا: الرّسائل الشّخصيّة، والرّسائل الرّسميّة، وجداول الأوقات الدّراسيّة، وملخّصات الدّروس، وعناوين الصّحف والمجلاّت، وأدلّة الحاسوب، وتعليمات تركيب الآلات، والمقالات اللّسانيّة، وأنواع متعدّدة من الوثائق القانونيّة، وغير هذا كثير. ولا يغيبنّ عن الأذهان أنّ خطاطات تصنيفيّة بديلة يمكن أن تُقترَح، وأنّ الكثير من الإنتاج اللّغويّ لا يجد له مكانا في أيّ واحدة من تلك المقولات. ورغم ذلك، ربّما كانت الأجناس المذكورة قُبيْل هذا مألوفة عندك، ولك في كلّ حالة على الأقلّ فكرة تقريبيّة عن الخصائص المميّزة للواحد منها.

وبقدر ما تكون الأجناس الخطابيّة معياريّة في مجموعة كلاميّة، تكون لها وحدات لغويّة توصِّفها. ويكون لذلك وصفها في النّحو العرفنيّ، مبدئيّا، شبيها بوصف سائر المظاهر من البنية اللّغويّة. فمعرفتنا بجنس خطابيّ بعينه تتمثّل في مجموعة من الخطاطات الّتي تُجرَّد من العيّنات الّتي تعترضنا في الواقع. فكلّ خطاطة تمثّل قاسما مشتركا متكرّرا باعتبار وجه من وجوه البنية في تلك الأجناس الخطابيّة: التّنضيد الشّامل فيها، والخصائص البنيويّة المحلّيّة في جنس دون آخر، والمضمون المتواتر في الواحد منها، والعبارات

المخصوصة الجارية فيه، ومسائل الأسلوب وسجلاّت القول، إلخ. وتجسّد الخطاطات، بصفة فرديّة أو جماعيّة، توقّعاتنا حول الجنس وتُتَّخذ قوالب في إنتاج العيّنات الجديدة وفي فهمها. وليس من الضّروريّ أن تختلف عن القوالب الّتي تُصنَع لغايات عمليّة تعليميّة، من قبيل قالب الرّسالة الرّسميّة الّتي عندك في برمجيّة معالجة النّصوص في حاسوبك، أو من قبيل التّوجيهات الخطاطيّة الّتي تتضمّنها البرمجيّة القانونيّة الّتي تستعين بها في حاسوبك على بعض الإجراءات القانونيّة بنفسك. ولكنّ هذا لا يعني، بطبيعة الحال، أنّ كلّ جنس يمكن أن يوصفَ بهذه الطّريقة المباشرة دون إشكال.

تقوم الأجناس على أساس سيناريوهات ثقافيّة تمثّل أنواعا مألوفة من التّفاعل اللّغويّ. ويتضمّن أغلبها تنضيدا للرّؤية يختلف عن التّنضيد النّموذجيّ الّذي يجمع بين متحاورين اثنين يتشاركان في محادثة تجري وجها لوجه. ففي الخطب الوعظيّة، هناك متكلّم واحد وسامعون كثر. وفي حالة الرّسائل المسجّلة على الآلة المجيبة في الهاتف، هناك مخاطَبون كثيرون ممكنون، ولكنّ أطراف التّبادل الكلاميّ الحقيقيّ لا يكونون معا في الزّمان ولا في المكان. وبالنّسبة إلى الكتابة، يكون التّباعد في الزّمان وفي المكان، الوضعيّةَ العاديّة بطبيعة الحال. والغاية في أغلب الأجناس المكتوبة، أن يُنتَج نصٌّ يُقرَأُ القراءة المناسبة في زمن مستقبليّ ما. ويمكن أن يكون القارئ المقصود مجموعة من النّاس مخصوصة أو فردا بعينه، بل يكون الكاتب نفسَه (كما هو الشّأن مع الملصقات الجارية للتّذكير ومع كنّش المذكّرات واليوميّات). ولكنّ النّصّ يُفترَض أن يكون قابلا لأن يطّلع إليه أيّ شخص يصادفه في أيّ وقت. وفي المعنى الواسع، يشتمل ذلك على تفاعل لغويّ: عبر النّص الّذي أنتِجَ، يتوقّع الكاتب أن يكون له تأثير ما على أيّ قارئ محتمل.

والسّيناريو بالنّسبة إلى جنس خطابيّ ما، جزء من الطّبقة التّحتيّة المفهوميّة الّتي تكون في الإنتاجات اللّغويّة الّتي يتجلّى فيها. ويشتمل السّيناريو على غاية منشودة وعلى تنضيد للرّؤية. يحدِّد هذان العاملان، بطرق مختلفة وبدرجات متراوحة، شكلَ النّتاجات اللّغويّة الّتي تقوم عليهما. فعلى سبيل المثال، لا يحتاج المدرّب في الخدمة العسكريّة إلاّ إلى إنتاج سلسلة من الكلمات تدلّ على الأعمال الّتي تستوجب التّنفيذ. ويتأكّد المدرّب من أنّها سوف تؤوَّل على أنّها أوامر أو قواعد خلو من كلّ مضمون آخر.[21] ويمكن أن يكون

قالبُ وثيقةٍ قانونيّة جامدا بالدّرجة نفسها، ولكن بالنّظر إلى غايتها يختلف شكلها ومضمونها اختلافا كبيرا. فعوضا عن الأوامر القصيرة، تتكوّن من جمل تامّة، متبلورة إلى حدّ ما في الأغلب، تسعى إلى الإفصاح بتفصيل واف صريح عن الخلفيّة المفيدة، والالتزامات، والاحتمالات الطّارئة، والأطراف في العمليّة، وما إلى ذلك. فالضّميران [أنا] و[أنت] متواتران في المحادثة وفي الرّسائل الشّخصيّة، ولكنّهما لا يجريان في عناوين الصّحف إلاّ في ما ندر. ويمكن للجنس الشّعريّ أن يفرض قيودا في ما يتعلّق بالقافية، والوزن، وعدد الأسطر في المقطع الشّعريّ الواحد، ولكنّه حرّ مطلق من حيث المضمون. ومقابل ذلك، يكون دليل المطعم محدودا جدّا من حيث الموضوع، ولا يتوقّع منه أن يكون موزونا مقفّى.

ولئن كان في كلّ سيناريو خطابيٍّ دوْران مماثلان لدوري المتكلّم والسّامع في المحادثة العاديّة، فإنّ التّفاصيل تتنوّع تنوّعا كبيرا. فكاتب اليوميّات هو كذلك القارئ المقصود الوحيد. وفي حالة دليل المطعم، يناسب هذان الدّوران تباعا دورَ إدارة المطعم ذات الهويّة المجهولة، ودور الجماعة ذات الهويّة المجهولة من الزّبائن المحتملين. وفي مناسبة معلومة، يحقّق دليل المطعم تفاعلا بواسطة اللّغة يَعلَم بمقتضاه زبونٌ مخصوص بما يعرِضه ممثّلو الإدارة في ذلك المطعم وما يكونون قادرين على تلبيته وفقَ ذلك. ولبعض الأجناس دور المتكلّم النّوعيِّ المتعدّد ودور السّامع النّوعيّ المتعدّد. يكون في حصّة النّقل الرّياضيّ القياسيّة صحافيّان، واحد ينقل المباراة ضربة-بضربة، والآخر يضيف تعليقات "يلوّن" بها الأحداث. وخلال النّقل القائم على ضربة- بضربة يتبادلان الأدوار بأن يخاطب الواحد منهما الآخر، ولكنّ كلاّ منهما يتوجّه في الوقت نفسه إلى المستمعين بأن يخاطبهم مباشرة وإلى زميله خدمة للمستمعين.

يكون، بطبيعة الحال، دور المتكلّم المتعدّد ودور السّامع المتعدّد من مميّزات أكثر الأجناس الخطاب أساسيّة: هي المحادثة العاديّة. لا يحدِّد هنا السّيناريو المطلقُ إلاّ متحاورين اثنين يتناوبان في أداء ذينك الدّورين. وإذا كان هناك أكثر من اثنين، يقتضي العرف أن يكون الواحد متكلّما والبقيّة سامعين في أيّ وقت بعينه. والنّوبة هي قطعة الخطاب الّتي يحافظ فيها متكلّم واحد على الكلام. ومن الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة، طرق متنوّعة من التّفاوض في النّوبات (وهي مظهر من مظاهر تصريف الكلام). فعلى سبيل

المثال، يشير المتكلّم باستعمال مستوى التّنغيم المعلَّق عند نهاية الملفوظ، إلى أنّه ينوي المواصلة، في حين يوفّر التّنغيم النّازل للسّامع فرصة للتّدخّل. ولا يقتصر دور الوحدات التّواضعيّة على إفراد النّوبات في الكلام، بل يمكن كذلك أن يحدّد ترتيب النّوبات. ومن هذه الحالات، ما يكون في سيناريو السّؤال والجواب، كما يعرض باختزال في الرّسم البيانيّ 13. 5 (c). ومن الطّبيعيّ أن تطرأ على التّبادل الأمثل للنّوبات، أي أن يتكلّم شخص واحد فقط في وقت واحد، في الغالب، مظاهرُ خرقٍ كثيرة. فمن سمات الخشونة والتّقلّب في المحادثة الواقعيّة، التّراكب وقطع الحديث وتكلّم شخصين في آن واحد وما إلى ذلك. ولكنّ هذا الأمر محلّ مواضعة أيضا، يقوم في الغالب على التّعاون عوضا عن التّنافس. فعادة ما يكمِل شخص ما، مثلا، ملفوظا بأن يقدّم كلمة أو مركّبا كان الشّخص الآخر يبحث عنه. فيكون الملفوظ التّامّ، بهذا الوجه، نتاجا للتّعاون في بناء الكلام بين المتحاورين.

إنتاج الخطاب، على الأقلّ في المحادثة، عمل اجتماعيّ بشكل واضح، ومحلّ تفاوض، متحقّق من خلال تفاعلات ذات أطراف متعدّدة. فهل يمكن أن يعالَج إذن في "اللّسانيّات العرفنيّة" وفي "النّحو العرفنيّ"؟ هو يتطلّب، بالفعل، مناهج خاصّة في تجميع المعطيات وفي تحليلها، ومفاهيم وصفيّة خاصّة كذلك، من قبيل "نوبة" (صاكس وشيغلوف وجيفّرسن 1974). ولكنّ الظّواهر العرفنيّة والاجتماعيّة ليست متنافية. فالمحادثات تبنيها كائنات عاقلة تفهم العبارات الّتي يجري إنتاجها وتشاركُ باستمرار في تقييم المعرفة وحال الوعي عند المخاطَبين. ورغم أنّ الوحدات التّواضعيّة الّتي تُستدعَى في المحادثة ذات مرونة كبيرة في الاستعمال (مثل أيّ وسيلة أخرى)، فهي تُتعلَّم من قبل الأفراد في شكل قوالب راسخة من النّشاط النّورونيّ وقوالب من النّشاط توجّهه النّورونات. ومن الثّابت كذلك أنّ اللّغة مجذّرة في التّفاعل الاجتماعيّ. ولكن من الثّابت أيضا أنّ التّفاعل الاجتماعيّ مجذَّر في العرفنة.

2.3.13 مستويات الانتظام

يمكن أن تكون النّتاجات اللّغويّة من أيّ حجم. فجميعها ما عدا أصغرها، يتمّ تركيبها من خلال مستويات من التّنظيم، بوجه يكون فيه 'خَرْجُ' مستوى من التّركّب بدوره 'دَخْلا' للمستوى اللاّحق. وكنّا قد تناولنا بشكل مستفيض المكوّنيّة النّحويّة الّتي تُدمَج فيها، عند كلّ واحد من المستويات، الأبنيةُ المكوّنيّة لتكوين بنية مركّبة، فتحدث بذلك المركّبات الجزئيّة

والمركّبات الجُمَليّة والجمل المركّبة، تباعا. لكنّ الجملة ليست المستوى الأعلى في انتظام الخطاب. ففي هذا الكتاب، مثلا، تتجمّع الجمل في فقرات، والفقرات في أقسام فرعيّة، والأقسام الفرعيّة في أقسام، والأقسام في فصول، والفصول في أبواب. تكوّن هذه جسد النّصّ الّذي يتوالف مع جملة من المادّة الإضافيّة (المقدّمة، الفهرس، إلخ) ليكوّن الكتاب كاملا.

والواجب أن توصَّف الأبنية في مستوى معيّن في علاقتها بالعناصر المكوّنيّة من النّوع المناسب. فلا معنى لتحليل فصل ما من كتاب مباشرة إلى مركّبات جزئيّة أو تحليل جملة مركّبة إلى كلمات مفردة. لا يعود ذلك إلى أنّ القفز على المستويات يعطي تحليلا ناقصا فقط، بل إنّ ذلك العمل يجعل التّحليل أصعب بكثير. وليست الجملة المركّبة مجرّد سلسلة من الكلمات. فالكلمات فيها منضّدة في مركّبات جُمَليّة يتّبع تكوّنها جملة من القوالب المحدَّدة. وإذ استوت المركّبات الجُمَليّة عناصر بنيويّة قائمة برأسها، قابلة لأن توصَّف توصيفا مستقلاّ، يمكننا أن نمرّ إلى فحص القوالب الّتي تحكم التّوليف بينها. ولكن إذا ما لم تكن الإحالة على المركّبات الجُمَليّة، يصعب أن نرى كيف تنهض الجمل المركّبة وتنمو. ولا سبيل إلى أن نحلّلها باعتماد عناصر المستوى الأدنى من قبيل حروف التّعيين (التّعريف والتّنكير)، والصّفات، والأسماء والأفعال (أو باعتماد الأبنية الوسيطة مثل الإسمائيّات والمركّبات الحرفيّة). فلا تكون سلسلة من الكلمات جملةً مركّبة جيّدة البناء إلاّ إذا ما كوّنت السّلاسلُ الفرعيّة مركّبات جُمَليّة.

فكلّما كان مستوى التّنضيد عاليا، كانت الوحدات التّواضعيّة خطاطيّة. فإذا ما تأمّلنا عبارات مخصوصة تُتعلَّم على أنّها وحدات (أي الوحدات المعجميّة كما يجري تعريفها في النّحو العرفنيّ) نجد أنّ عددها يتناسب عكسا مع حجمها: نحن نتعلّم الآلاف من الكلمات ومن المركّبات، ومركّبات جُمَليّة أقلَّ من ذلك بكثير، وجملا مركّبة أقلّ من هذه بكثير، ويندر أن نتعلّم مقاطع مطوّلة من نصوص، وربّما لا نتعلّم أبدا رواية واحدة بأكملها. فكلّما كانت العبارة أكبر، قلّ حظّها في أن يتكرّر استعمالها، فلا تتواتر تبعا لذلك تواترا كافيا لترسيخها وجعلها تواضعيّة. وتكون التّوصيفات الخطاطيّة كذلك أكثر تجريدا في المستويات العليا. فمن الخطاطات الّتي تصف الإسمائيّات قوالبُ تحكم السّلاسل البنيويّة الخاصّة الّتي تشتمل على مقولات مخصوصة (مثل الاسم، واسم الإشارة،

والصّفة) وعلى أشكال مخصوصة. ويتجرّد القسم الأعظم من الخطاطات الجارية في المستويات الإعرابيّة العليا، من تلك التّفاصيل ويحيل ببساطة على الإسمائيّات في ذاتها. فتَكوُّن الإسمائيّات الدّاخليُّ، على سبيل المثال، يكون بصفة عامّة ذا أثر قليل في وصف تكوّن الجمل المركّبة. فما من حاجة في الخطاطات الّتي توصِّف الأبنيةَ الخطابيّة في المستوى الأعلى، إلى وجود أيّ تخصيص يتعلّق بالشّكل النّحويّ. فماذا يمكن أن يقول المرء بصفة عامّة عن الشّكل الإعرابيّ الّذي يكون لفقرة ما، ما عدا أنّها تتكوّن من سلسلة من الجمل؟

ولئن كانت الأبنية من المستويات العليا مثل الفقرات، والأقسام والفصول، خارج مجال الإعراب (كما يُتصوَّر في العادة)، فإنّها تظلّ موضوعا قابلا للوصف. بل يمكن أن تُعتبَر رمزيّة، إذ يشتمل توصيفها على الخصائص الشّكليّة والدّلاليّة في آن. ففي النّثر العاديّ، مثلا، يكون للفقرة طراز يحدِّد طولَها التّقريبيّ. ومن زاوية دلاليّة، يكون المتوقَّع أن تَتناول نقطةً وحيدة تتعلّق بموضوع مخصوص، فتكون بذلك كاملة أو ناقصة، ومكتفية بذاتها من هذا الاعتبار. والواجب أن تكون، زيادة على ذلك، منسجمة، جيّدة التّنظيم، بأن تمهِّد للنّقطة المطروحة تمهيدا مناسبا، وتبلورَها بطريقة شاملة، وتختمَها بملخّص أو خاتمة. وما من شكّ في أنّ هذا الكَلام ضبابيّ واه. ولكنّه ليس فارغا تماما، ويستحضره الكتّاب المدقّقون دليلا يوجّههم في الكتابة.

يمكن أن تُقدَّمَ أوصافٌ شبيهة بما مضى لأبنية أشمل من قبيل الأقسام والفصول. فالقسم سلسلة من الفقرات تتناول مظاهر متعدّدة من موضوع مشترك. فيضمّ الفصل عددا من الأقسام يتعلّق جميعها بموضوع أعمّ. فهذه مسائل درجة وتأويل، بكلّ وضوح. فما من فرق ضروريّ بين القسم والفقرة - فقد يكون القسم في العمل المطوّل فقرة في العمل القصير.[22] وبطبيعة الحال، يرتبط عدد المستويات وأنواعها بجنس الخطاب. والمهمّ ببساطة أنّ الأبنية من المستويات العليا مثل هذه، يمكن أن تنبثق على أنّها وحدات تواضعيّة ذات خصائص مميّزة، مهما كانت واهية أو خطاطيّة. والخطاطيّة فيها شيء منتظَر بحكم مستوى التّنضيد.

وبالنّظر إلى حدود الذّاكرة، تكون الأبنية من المستويات العليا من قبيل الفقرات والأقسام، من مميّزات الخطاب المكتوب أكثر من المنطوق. لا يعني ذلك أنّها غائبة من الكلام. فمن نظائرها القريبة ما يوجد في الأجناس

الوسيطة، من مثل المحاضرات الّتي تقدَّم شفويّا مكتوبة أو قائمة على مخطّط معدّ سلفا. وحتّى في المحادثات العفويّة، لنا قدرة ما على التّخطيط والتّنظيم جاريين في المستويات العليا. ولكنّ المحادثة العفويّة تحمل بالفعل معها هاجس بناء العبارات بناء مباشرا لغايات تواصليّة فوريّة. فتعتبَر متطلّبات المحادثة مسؤولة عن المظاهر المتنوّعة من البنية اللّغويّة، بما فيها ما يتميّز به خصّيصا هذا الجنس الأساسيّ. فتسجيل المحادثة الحيّة وتحليلها يعطيان فكرة مختلفة تماما عمّا تعطيه الأوصاف القائمة على الأمثلة الاصطناعيّة الموضوعة أو على المكتوب. ومهما يكن من أمر، فإنّ السّمات البنيويّة المميّزة للمحادثة أساسيّةٌ أكثر من سمات سائر الأجناس.[23]

لنأخذ مثالا واحدا فقط؛ يتجلّى في المحادثة بُعدٌ من أبعاد التّنظيم أسمِّيه أطر الانتباه.[24] هذه الأطر أمدية قصيرة من الخطاب تتحدّد بالأساس تحديدا صوتميّا، ولكنّها ذات مضمون مفهوميّ كذلك. والأطر، من زاوية صوتميّة، هي مجموعات تنغيميّة وظيفتها الرّبط، يفصَل الواحد منها عن الآخر بسمات عروضيّة متنوّعة، نشير إليها هنا بالخّطّ المائل المضاعف:

(6) (أ) *Have the animals // ever attacked anyone in a car?*

هل كانت الحيوانات// هاجمت أيّا كان وهو في سيّارة؟

(ب) *Cause I had a thick patch of barley there // about the size of the kitchen and living room // and I went over it // and then // when I got done // I had a little bit left // so I turned around // and I went and sprayed it twice // and it's just as yellow as can be.*

بسبب أنّه كان لي رقعة سميكة من العشب هناك// تقريبا في مساحة المطبخ وقاعة الجلوس// ومررت عليها بأكملها// ثمّ بعد ذلك// عندما أنهيت// كان قد تبقّى القليل// لذلك قمت بدورة// وذهبت ورششتها مرّتين// وإذا هي صفراء كما ينبغي أن تكون.

من زاوية دلاليّة، يمكن أن توصّف هذه الأطر توصيفا معقولا بكونها نوافذ متتابعة للانتباه، يندرج في كلّ واحدة منها قدر يمكن التّحكّم فيه من المضمون المفهوميّ - أي القدر الّذي يُستحضَر فوريّا في لحظة ما من لحظات التّخطيط للخطاب وإنتاجه. تنزع أطر الانتباه إلى موافقة المركّبات الجُمَليّة؛ كما تشهد على ذلك الأطر الخمسة الأخيرة في (6) (ب). ولكنّ بعضها ليس مركّبيّا (مثل [*and then* "ثمّ بعد ذلك"] في (6) (ب))، والمركّب الجُمَليّ الواحد ينشطر في الغالب إلى أطر متعدّدة (مثل (6) (أ)). والعكس

ممكن كذلك. فإذا كان بناء الجملة في (7) (أ) عاديّا في الأبنية الشّرطيّة، يمكن رغم ذلك أن نحشر المركّبين كليهما في إطار واحد، على شاكلة (7) (ب).

(7) (أ) *If she said it // then it's true.*

إن قالت(هي) ذلك // إذن هو صحيح.

(ب) *If she said it then it's true.*

إن قالت (هي) ذلك إذن هو صحيح.

لئن ناسبت الفواصل في الغالب حدودَ أطر الانتباه، فإنّ هذه الأطر لا يجري تمثيلها بطريقة آليّة في الكتابة. فهي في الغالب سمة للّغة المنطوقة، تعكس قيود المعالجة خلال إنتاج الكلام في الزّمن الحقيقيّ. ولذلك لا تندرج أطر الانتباه بوضوح في المخطّط التّقليديّ - القائم أساسا على الكتابة- الّذي بمقتضاه تتوالف الكلمات في مركّبات جزئيّة، والمركّبات الجزئيّة في مركّبات جُمَليّة، والمركّبات الجُمَليّة في جمل، والجمل في نصوص أطول. فهي تُكوِّن، بالنّظر إلى هذا المخطّط، بُعدا في التّنضيد منفصلا ومتقاطعا في الغالب مع أبعاد أخرى. فلمَ تنزع الأطر إلى التّعالق مع المركّبات الجُمَليّة، إذن؟ ربّما كان ذلك لأنّ المركّب الجُمَليّ يمثّل استجابة أخرى مقنّنة أكثر لقيود المعالجة نفسها. فالعناصر الأساسيّة في مركّب جُمَليّ هي: حدثٌ واحدٌ، ومشاركون رئيسيّون فيه، يجري التّعبير عنهم في الغالب عن طريق الإحالة العائديّة. ولذلك يندرج، في العادة، مضمون المركّب الجُمَليّ الواحد اندراجا طبيعيّا في نافذة انتباه واحدة. فيمكننا أن نتّخذ من ذلك تبريرا وظيفيّا لما به كانت المركّبات الجُمَليّة عناصر أساسيّة في البنية النّحويّة في جميع اللّغات الكونيّة. وبطبيعة الحال، ما كلّ مركّب جُمَليّ نموذجِيٌّ، فلا يكون تعالقه مع أطر الانتباه إلاّ جزئيّا. وإذ كانت هذه الأطر أكثر مرونة من حيث المضمون، كانت قادرة على استيعاب حاجات المعالجة الآن-قوليّة على الدّوام.[25]

المركّبات الجُمَليّة عناصر بنيويّة أساسيّة في اللّغة المنطوقة، حتّى وإن لم تكن دائما موافقة لأطر الانتباه. ولا يمكن أن يقال الشّيء نفسه عن الجمل. فإذا ما وُصِفَ المركّب الجُمَليّ التّامّ وصفا خطاطيّا بأنّه عبارة تعرض عمليّة مجذَّرة، لا يبدو نظير ذلك في توصيف الجمل ممكنا. والتّعريف التّقليديّ الشّهير للجملة - بأنّها ما يُعبّر عن «فكرة مكتملة»- ضبابيّ وغير كاف

بكلّ وضوح.[26] وفي الرّأي الّذي يعتبِر أصحابه أنّ تقطيع الكلام إلى جمل مجـرّدُ مواضعة في الكتابة، بعض الصّواب. فالجملة، تبعا لذلك، قابلة لأن تعـرَّف (تعريفـا تقريبيّا) بكونها سلسـلة يحدُّها بياضان، تبـدأ بحرف تاجيّ وتنتهي بنقطة. ولكنّ التّقطيع اعتباطيّ في الغالب،[27] والكثير من السّلاسـل المكتوبـة بهذه الطّريقة لا يُعتبَر تقليديّا من الجمل. تماما كما هو حال هذه الجملة، مثلا. وبما أنّ مستوى الجملة (مهما كان نمط تعريفه) ليس ذا مكانة مبجّلة في النّحو العرفنيّ، لا نمضي أكثر من هذا في هذه المسألة. فالمهمّ أنّ التّجميعات الرّمزيّة تسـمح بوصف العبارات، وبوصف القوالب الّتي تحقّقها تلك العبارات، بصرف النّظر عن الحجم ومستوى التّنضيد الّذي تجري فيه.

ومن المظاهر المهمّة في البنية اللّغويّة الّتي لم يجر استكشافها بما يكفي إلى حدّ الآن، نوع من الانتظام «الكُسـوريّ» الّذي تتكرّر فيه السّـمة نفسُها علـى مسـتويات عليا متتابعـة. والعرض مـن الحالات البيّنة فـي ذلك. ففي السّـلّميّة المكوّنيّة، يكون للبنية المركّبة النّاتجة عن كلّ مستوى لاحق، معروضُهـا الخاصّ بها (الّذي يمكن أن يكون موروثـا من بنية مكوّنيّة أو لا يكـون كذلك). وبالمثل يكون الأمر في البروز البؤريّ: عندما تُعرَض العلاقات في المسـتويات المتتابعة، تُظهِـر كلّ واحدة منها تصفيفَ المعلم/المنتقل الخاصَّ بها. وهاتان السّـمتان تتكرّران صعودا من مستوى الإسمائيّ أو المركّـب الجُمَليّ وتمتدّان على بعض الجمل المركّبة (§ 12. 1. 2). فأن تكون لها نظائر في المستويات العليا من تنظيم الخطاب أو لا يكون ذلك، أمر لا يتجلّى مباشرة. فلا يبدو غريبا أن نرى الموضوع الشّامل في فقرة ما (وهو في هذه الحالة التّنضيد الكسـوريّ) نظيرا للمنتقـل المركّبيّ الجُمَليّ. وأمّا العـرض، فنظيره الممكن هو المضمون الأساسـيّ في مقطع من النّصّ[28] أو خطّ الحكاية الرّئيسـيّ فيه. والواجب أن نحدِّدَ بواسطة اعتبارات أوسع ما إذا كانت بالفعل تلك المظاهرُ تجلّياتٍ لظواهر عامّة.

لا يمثّـل حجـم العبـارات البعدَ الوحيـد الّذي يمكـن التّمييـز فيه بين مسـتويات فـي التّنضيد. فعلينا، بدرجـة أكثر تجريـدا، أن نفترض عددا من المسـتويات تتعلّـق بدلالة الخطاب ووظيفته. هـب أنّ متكلّما، يقول [*I like it* "أحبّ ذلك (شـيء)"]، يزعـم أنّ هذه العبارة إثبات صحيـح يصف موقفَه. ومـن زاوية تحليليّـة، علينا أن نعترف بوجـود ما لا يقلّ عن أربعة مسـتويات وظيفيّة: [حدث الاستعمال [سيناريو الإثبات [التّجذير [المضمون المادّيّ]]]].

يشتمل كلّ واحد منها على متصوِّر ذي دور متميّز بالنّظر إلى مضمون العبارة الشّامل. فالمضمون المادّيّ، وهو المستوى الّذي يجري التّعبير عنه تعبيرا ظاهرا، يحتوي على العمليّة المعروضة وعلى المشاركين فيها. وفي الحالة الّتي بين أيدينا، تدلّ [*like* "أحبّ"] على علاقة ذهنيّة يكون فيها لعائش التّجربة [أنا] موقف إيجابيّ تجاه منبّه ([*it* "هو(شيء)"]). والمضمون المادّيّ يُجذَّر لتكوين مركّب جُمَليّ منته. وفي هذه الحالة، يشير التّجذير الصّفر إلى أنّ العلاقة المجذَّرة فوريّة بالنّسبة إلى الأرضيّة وإلى أنّ المتصوِّر يسلّم بأنّها واقعيّة. تذكّر أنّ المتصوِّر، في صميمه، ليس إلاّ متصوِّرا افتراضيّا ولا يطابق دائما المتكلّم الحقيقيّ (§ 12. 3. 2). ولا تمثّل العمليّة المجذَّرة أيَّ عمل لغويّ مخصوص تمثيلا ثابتا، فهي في صميمها مجرّد قضيّة يمكن أن تُستعمَل بطرق مختلفة. فعندما تُستعمَل القضيّةُ لإنجاز عمل لغويّ، تندرِج في السّيناريو المناسب (هو هنا سيناريو الإثبات) الّذي يَستحضِر، من حيث كان وحدة لغويّة مجرّدة، المتَحاوِرَين استحضارا عامّا. فلا يطابق المتكلّم والسّامع الافتراضيّان شخصين محدّدين إلاّ في مقام حدث استعمال حقيقيّ.

فالواجب أن يتحدّد المتصوِّرون، في المطلق، في المستويات المختلفة. فعندما يجري التّلفّظ بعبارة [*I like it*] على أنّها إثبات صحيح، يؤدّي المتكلّم الحقيقيّ دورَ المتكلّم في سيناريو الإثبات، ودورَ المتصوِّر في العنصر المجذِّر، ودورَ عائش التّجربة في العلاقة المعروضة. ولكنّ الأدوار متمايزة، يناسب الواحد منها وظيفةً مختلفة، وينهض بها متصوِّرون مختلفون. فإذا ما غيّرنا [*I like it*] إلى [*He likes it* "هو أحَبّ ذلك (شيء)"]، لم يعد عائشُ التّجربة الماثلُ على الرّكح مطابقا للمتكلّم. وفي عبارة [*Perhaps he likes it* "ربّما أحبّ ذلك (شيء)"]، يعزل الظّرفُ المتكلّمَ عن دور المتصوِّر في تجذير المركّب الجُمَليّ: خلافا للمتصوِّر، لا يقبل المتكلّم بالضّرورة العمليّةَ المعروضة على أنّها حقيقيّة. ويمكن بالمثل للمتصوِّر أن يكون مختلفا عن المتكلّم في سيناريو العمل اللّغويّ، كما يكون في الأسئلة ([*Does he like it?*] "هل يحبّ ذلك (شيء)؟"]، أو عندما يلغَى إثبات ظاهر واردا جزءا من سيناريو معقّد:

(8) (أ) *He likes it. Sure. Tell me another one.*

هو يحبّ ذلك. أكيد. قصّ عليّ شيئا آخر.

(ب) *He likes it. And a fish likes hooks.*

هو يحبّ ذلك. والسّمك يحبّ الشّصّ.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يظلّ المتكلّم الحقيقيّ متميّزا عن المتكلّم الّذي يستدعيه سيناريو العمل اللّغويّ. ففي (9)، يكتفي المتكلّم بمجرّد رواية إثبات أنشأه شخص آخر. والمتكلّم نفسه لا يحتاج إلى التّسليم بمضمون ذلك الإثبات.

(9) *He likes it, his mother says—but I really don't think so.*
هو يحبّ ذلك، تقول أمّه - ولكنّني لا أظنّ ذلك حقّا.

الأمر لا يتعلّق بمسألة الحجم، إذ كانت هذه المستويات جميعها من خصائص العبارة القائمة على مركّب جُمَليّ وحيد. فهي تُظهِر، مع ذلك، تنظيما كسوريّا يكون فيه المتصوِّر في مستوى ما، ماثلا في التّصوّر القائم في المستوى الأعلى الموالي لذلك المستوى الأوّل. فالعلاقة التّجريبيّة الماثلة على الرّكح، في عبارة [*He likes it*]، يدركها المتصوِّر في عنصر التّجذير. فالعمليّة المجذَّرة تمثّل القضيّةَ الّتي يدركها السّامع في سيناريو الإثبات، والّتي بدورها يدركها المتكلّم الحقيقيّ في حدث استعمال ما. تخطّ هذه المستويات محورا يمتدّ من الوحدات المنبنية بأقصى درجات الموضوعيّة (أي العمليّة المعروضة ومنتقلها) إلى موضوع التّصوّر النّهائيّ.[29]

وعلى امتداد محور آخر ينزع إلى التّعالق مع الذّاتيّة، توجد حجج لافتراض ثلاثة مستويات من التّنضيد: المستوى التّنفيذيّ، وهو يتعلّق بالمجريات؛ والمستوى الإبستيميّ، وهو يتعلّق بمعرفة المجريات، والمستوى الخطابيّ البين ذاتيّ حيث تكون المجريات المفيدة مجريات الخطاب في ذاته. يمكن توضيحها بالاستعمالات المختلفة لعبارة [*because* "لـ/ بسبب"] (سويتسر 1990: الفصل 4):

(10) (أ) *The candle went out because the oxygen was exhausted.* [تنفيذيّ]
انطفأت الشّمعة لأنّ الأكسجين قد نفد.

(ب) *He was mad at me because I flirted with his wife.* [تنفيذيّ]
غضب عليّ لأنّني غازلت زوجته.

(ج) *She must be home, because her lights are on.* [إبستيميّ]
وجب أن تكون في المنزل، لأنّ فوانيسها مضيئة.

(د) *Are you busy tonight, because I've got tickets to the game?* [خطابيّ]
هل أنت مشغول هذا المساء، لأنّني اشتريت تذاكر للمقابلة؟

لكلّ جملة الشّكل [*Y because X* "ص لأنّ س"]، وفي كلّ حالة، يكون [س] سببا أو علّة لوجود [ص]. ولكنّ الجمل مختلفة باعتبار المظهر الّذي يشارك به [ص] في العلاقة السّببيّة. في (10) (أ)-(ب)، يشارك [ص] في المستوى التّنفيذيّ متعلّقا بالجريان المعروض في ذاته (انطفاء الشّمعة، غضب الزّوج عليّ). فالتّفاعل السّببيّ فيزيائيّ في الجملة (أ)، اجتماعيّ وعاطفيّ في الجملة (ب)، ولكن في الحالتين كلتيهما يكون الشّيءُ المسبَّب الجريانَ الماثل على الرّكح. ومقابل ذلك، لا تدلّ الجملة (10) (ج) على أنّ إضاءة الفوانيس عند المرأة سبب لكونها في المنزل (ومهما يكن من أمر، فإنّ العكس صحيح). وما تدلّ عليه، عوضا عن ذلك، أنّ الوضعيّة تلك تمثّل الأساس الّذي يقوم عليه الحكم الإبستيميّ الّذي يعبّر عنه العنصر الجهيّ: بما أنّ الفوانيس عندها مضيئة، [وجب] أن تكون حالة وجودها في المنزل قائمة. وعلى هذا، يكون [ص] مشاركا في المستوى الإبستيميّ. فما يقدحه [س] ليس الجريان المادّيّ الّذي يوصَف في [ص]، بل هو عوضا عن ذلك التّقييم الإبستيميّ لذلك الجريان. وأخيرا، العلاقة السّببيّة الواردة في (10) (د) تتحقّق في مستوى الخطاب: الحصول على التّذاكر لحضور المقابلة سبب في طرح السّؤال. فما يقدحه [س] ليس جريان الانشغال بفعل شيء ما، أو المعرفة بذلك الجريان، وإنّما هو قرار المتكلّم إنشاءَ عمل الاستفهام.

تتجلّى هذه المستويات في ظواهر لغويّة أخرى. يجري التّمييز بين الجهيّات الأصليّة والجهيّات الإبستيميّة (§ 9. 4. 3)، على سبيل المثال، بما إذا كانت القوّة الجهيّة متعلّقة بالمجريات أو بمعرفة تلك المجريات:

(11) (أ) *You* ***must*** *be there—it's essential.* [تنفيذيّ]

وجب أن تكونَ هناك - هذا ضروريّ.

(ب) *You* ***must*** *be very tired, having walked so far.*

وجب أن تكون مرهقا جدّا، وقد مشيت كلّ تلك المسافة. [إبستيميّ]

كنّا قد لاحظنا كذلك (§ 12. 3. 1) أنّ المحمولات الّتي تأخذ شكل المركّبات الجُمَليّة المنتهية ([*suspect* "شكّ"]، [*know* "عرف"]، [*regret* "أسف"]، [*true* "صحيح"]، [*astonishing* "مدهش"]،إلخ) تعرض العلاقات في المستوى الإبستيميّ، في حين تتعلّق بالمستوى التّنفيذيّ المحمولاتُ الّتي تأخذ شكل المتمّمات غير المنتهية ([*see* "رأى"]، [*force* "أجبر"]، [*enjoy* "استمتع"]، [*start* "بدأ"]، [*try* "حاول"]، إلخ.). وتُستعمَل ظروف كثيرة استعمالا تواضعيّا

في مستويات مختلفة. ففي (12) (أ)، تحدّد [*again* "ثانيةً"] تكرار الحدث الموصوف. ومن جهة أخرى، ليس الحدثُ المكرَّر في (12) (ب) ضرورةَ أن يكون الشّخصُ حذِرا، إنّما هو حدث الخطاب المتمثّل في قول المتكلّم إنّ ذلك جرى للمرّة الثّانية.

(12) (أ) *I've lost my keys* ***again.*** [تنفيذي]
لقد أضعت مفاتيحي ثانية.

(ب) ***Again,*** *you have to be more careful.* [خطابيّ]
ثانية، وجب أن تكون حذِرا أكثر.

تستعمَل [*then* "بعد ذلك /إذن/آنئذ"] في المستويات الثّلاثة جميعها. فهي تستحضر، في كلّ حالة، سلسلة من الأحداث وتعيّن موضعا ما بداخلها. يوصَّف الموضع المعنيّ بكونه لاحقا على حدث كان قد أشير إليه سابقا وبكونه حاضنا لحدث يأتي تحديدُه لاحقا. ففي المستوى التّنفيذيّ، يكون هذان الحدثان الحدثين اللّذين يوصَفان وصفا صريحا. في (13) (أ)، توجّه [*then* "بعد ذلك"] الانتباه إلى وقت يأتي بعد إنهاء الجعة ويشير إلى أنّ حدث طلب الويسكي يمكن أن يوجد في ذلك الحيّز الزّمنيّ. ومقابل ذلك، ليس الحدثان المفيدان في (13) (ب) المُجرَيَيْن المعروضين ولكنّهما طوران من عمليّة التّفكير: في صورة ما إذا تبيّن أنّ حجّة غياب المتّهم صالحة، يمكننا، إذن، أن نستنتج أنّه بريء. وبالمثل، يمثّل الحدثان الواردان في (13) (ج) طورين من الخطاب.

(13) (أ) *He finished his beer,* ***then*** *he asked for scotch.* [تنفيذيّ]
أنهى جعته، وبعد ذلك طلب كأسا من الويسكي.

(ب) *If his alibi stands up,* ***then*** *he's clearly innocent.* [إبستيميّ]
إن ثبتت حجّة غيابه، إذن هو بريء بوضوح.

(ج) *As I was saying,* ***then,*** *you need to get more rest.* [خطابيّ]
كما كنت أقول، آنئذ، عليك بالمزيد من الرّاحة.

4.13 بناء البنية

ليس الخطاب مجرّد سلسلة من الكلمات أو المركّبات الجُمَليّة أو الجمل. هو كذلك - وبصفة أساسيّة- سلسلة من التّصوّرات المقترنة بتلك الأشكال. وليست تلك التّصوّرات معزولة متفاصلة. بل على عكس ذلك، تنبثق الواحدة منها من سابقتها وتَتَطوّر منها، بوجه تتشكّل فيه بتقدّم الخطاب

بنيـةٌ مفهوميّة مندمجة ذات تركّب متزايد علـى التّدريج. وتكون البنية الّتي كانت قد جُمِّعت في مرحلة سابقة جزءا من الطّبقة التّحتيّة المفهوميّة بالنّسبة إلـى كلّ بنية لاحقة. هي مكوّن رئيسـيّ من فضاء الخطـاب الجاري الّذي يؤدّي في كلّ طور دورَ المقام لحدث الاستعمال الجاري (انظر الرّسم البيانيّ 13. 2).

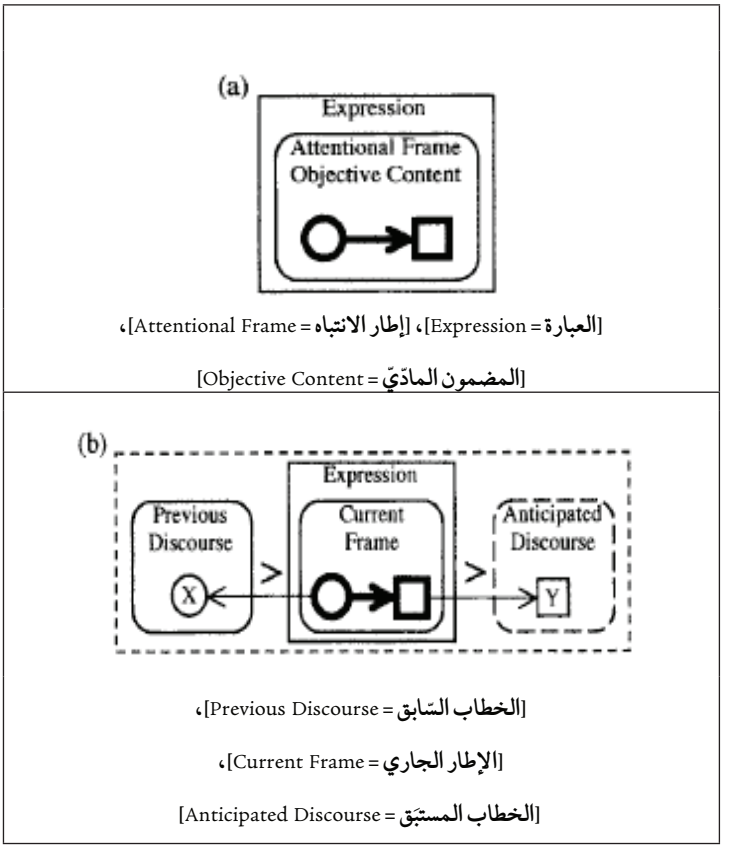
13. 4. 1 المبادئُ (و) الأسس

بتنامـي الخطـاب، نحتفظ في ذاكرتنا في كلّ طـور ببعض ما جرى من قبـل. فنحن قـادرون على أن نتذكّـر بإيجاز، على الأقلّ، شـكلَ العبارات المخصـوص، نسـتعيد بذلـك الانباءَ الّـذي تفرضه تلك العبـارات على المضمون المستحضَر. ونتذكّر لفترة أطول تمتدّ في بعض الأحيان على قسم عظيم من الخطاب، المضمونَ الّذي جرى التّعبير عنه، أي البنية المفهوميّة الّتي كانـت تُبنى على التّدريج. وعلى المـدى البعيد، يمكن أن يكون الحفاظ على بعض ذلك المضمون في شـكل معرفة موسّـعة ومعتقدات متبدّلة وما شابه ذلك، حتّى وإن نُسِيت ذكرى الخطاب منذ زمن بعيد.[30]

ما من شـكّ في أنّ بناء البنية يتقدّم على أسـاس التّزامن، في مسـتويات متعـدّدة مـن التّنضيد، وفق مسـتويات زمنيّة مختلفة. وهو يتـراوح بين الدّمج المفهوميّ في أدنى المستويات من التّركّب النّحويّ والتّمثّل الشّامل لنصوص بكاملهـا. غيـر أنّ هناك ما يدعـو إلى الاعتقاد بـأنّ المركّبـات الجُمَليّة (وخاصّة المركّبات الجُمَليّة المنتهية) هي الوحدات الأساسـيّة في الخطاب، وبـأنّ البنية المفهوميّة الّتي تُجمَّع على التّدريج في الخطاب تنزع إلى أن تُحيَّن على أسـاس طريقة مركّب جُمَليّ فمركّب جُمَليّ. وبصفة أعمّ، توحي أطر الانتبـاه - الّتي تطابق المركّباتِ الجُمَليّة في العـادة- بأنّها وحدات أوّليّة في معالجة الخطاب في الذّهن. ولذلك تنصبّ عنايتنا الرّئيسـيّة، في هذا القسـم من الكتاب، على المركّبات الجُمَليّة وعلى الأطر.

بناء على ذلـك، يكون الخطاب في المتعارَف سلسـلة من العبارات من حجـم المركّب الجُمَليّ، تكـوّن كلّ واحدة منها إطـارا للانتباه. فيكون بذلك كلّ مركّب جُمَليّ تمثيلا أدنى، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 13. 6 (a): العمليّـة الّتي يعرضها المركّب الجُمَليّ هي بؤرة الانتباه داخل المضمون المادّيّ الّتي تحتلّ نافذة الانتباه الّتي يفرضها الإطارُ. ولكنّ أغلب المركّبات الجُمَليّة تحمل، بطريقة أو بأخرى، توقّعات حول الخطاب السّـابق أو اللاّحق،

إن لـم تكن حول كليهمـا. ولذلك تتطلّـب تمثيلا معقّـدا يتضمّن الإطار السّابق و/أو المُسْـتبَقَ، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 13. 6 (b). وهناك نوع أساسـيّ من التّوقّع يتمثّل في أنّ العنصر الخطاطيّ الّذي يُسـتحضَر في الإطار الجاري سـوف يخصَّـص بتفصيل أدقّ فـي موقع قريب أو بعيـد في الخطاب اللاّحق. ولذلك يشـتغل بالفعل هذا العنصر موقعَ بلورة في مستوى الخطاب. والتّوقّعـات التّواضعيّة من هذا النّوع جزء من التّوصيف الشّـامل للعبارة (الّذي يشار إليه بالخانة ذات الخطوط المتقطّعة).



الرّسم البيانيّ 13. 6

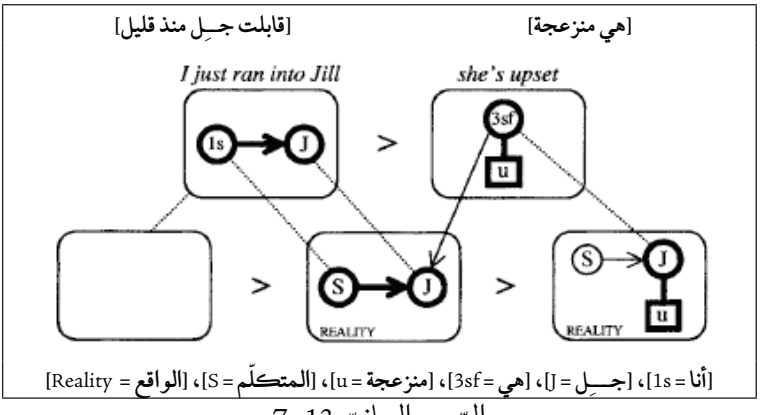
سـنعتمد الخطاب الوارد في (14) نموذجا ملموسا لبيان كيفيّة بناء البنية، وهو خطاب موضوع ولكنّه قد لا يكون غريبا جدّا:

(14)

I just ran into Jill. // *She's upset*. // *She really thinks* // *her daughter might move*, // *so she won't see her any more*.
قابلت جِل منذ قليل. // هي منزعجة. // هي تعتقد فعلا// أنّ ابنتها قد ترحل، // لذلك لن تراها بعد الآن.

تستدعي كلّ عبارة في السّلسلة البنيةَ الّتي تمّ تجميعها قبل ذلك لتكون أساسا يقوم عليه تأويلها. ويُنتِج إدراج مضمونها بنيةً محيَّنَة تستدعيها العبارة الموالية. تعرِض الرّسوم التّخطيطيّة الموالية (وهي مبسّطة بكلّ جلاء) التّرابطات الّتي قامت على ذلك النّحو. يرد تمثيل الأطر الجاريةِ للعبارات المتتالية في الصّفّ العلويّ، وتمثيل الأبنية النّاتجة عند كلّ طور في الصّفّ السّفليّ.

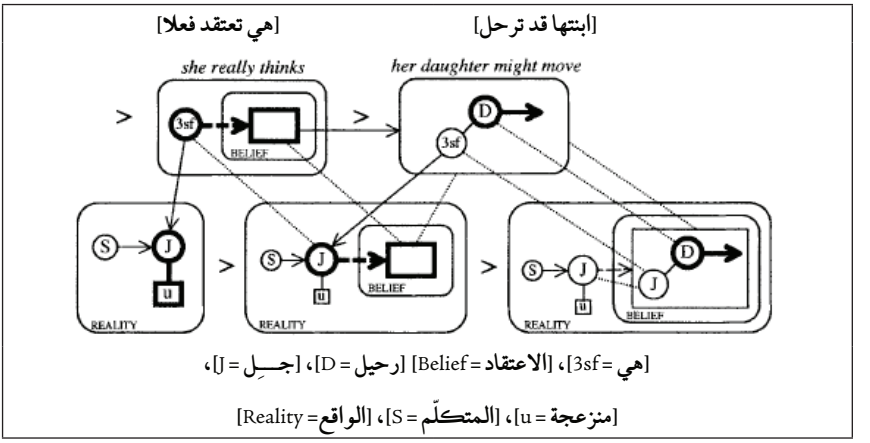
نبدأ بالخانة الواردة إلى اليسار من الصّفّ السّفليّ في الرّسم البيانيّ 13. 7. تكون الخانة فارغة على افتراض أن لا خطاب موجود قبل ذلك، ولذلك لم يُبْنَ شيء بعد.[31] يشير خطّ التّناسب الّذي يربطها بالعبارة الأولى، [*I just ran into Jill* " قابلت جِل منذ قليل"]، إلى أنّ هذه العبارة تبدأ خطابا سوف تُبنَى خلاله بنيةٌ ما. فالبنية النّاتجة الأولى مكافئة لهذه العبارة من حيث المضمون والانبناء في آن واحد: يشتمل مضمونها على حدث قريب جدّا في الزّمن يقابل فيه المتكلّم (S) جِل (J)، ويعرِض ذلك الجريان. وبما أن لا شيء يشير إلى خلاف ذلك، يتموقع الحدث في عالم الواقع- إذ هو الفضاء الذّهنيّ المطلق لكلّ خطاب.



الرّسم البيانيّ 13. 7

والعبارة الموالية، [*She's upset* "هي منزعجة"]، عبارة ارتداديّة. يحمل الضّمير الفاعل [هي]، خاصّة، التّوقّع بأنّ المرجع لا يكون قابلا للتّعيين إلاّ في فضاء الخطاب الجاري، بحكم أنّه كان قد أُفرِد بؤرةً للانتباه (الرّسم البيانيّ 10. 1). وبالفعل، تتضمّن البنية القائمة فردا بارزا وحيدا - هو جِل- تتوفّر فيه الخصائص الخطاطيّة المقترنة بذلك الضّمير من حيث كونه غائبا، ومفردا، ومؤنّثا. فتُعيَّن بذلك جِل على أنّها مرجع الضّمير. ويشير السّهم الصّلب إلى علاقة البلورة هذه الّتي توفّر التّراكبَ المفهوميّ الّذي يسمح لمضمون العبارة بأن يُدرَج في البنية الّتي يجري بناؤها. وفي البنية المحيَّنة، تشارك جِل في حدث المقابلة وتُظهِر خصيصةُ كونِها منزعجة (u)، في آن واحد. ويكون هذا الحدث الأخير أكثر بروزا في هذا الطّور بحكم أنّه قد ذُكِر في تلك اللّحظة. وإذ تفرض العبارةُ اللاّحقةُ معروضَها الخاصّ بها على البنية الّتي يجري تجميعها، تتلاشى من الوعي العناصرُ المبأّرة سابقا تلاشيا تدريجيّا.

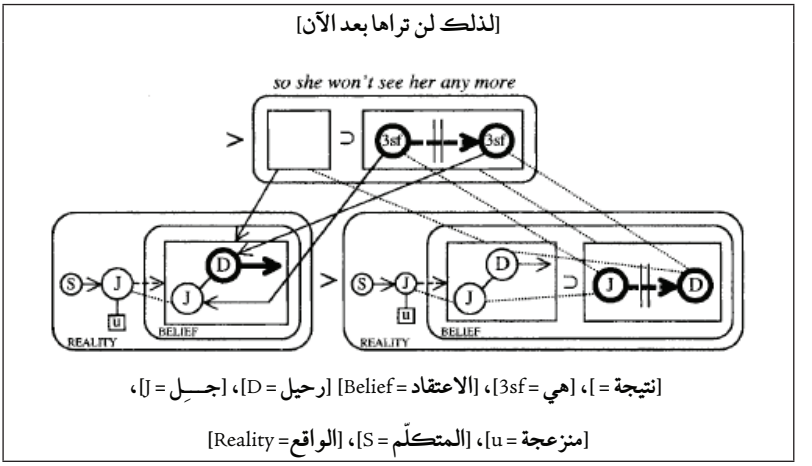
تعرَض تتمّةُ هذا الخطاب في الرّسم البيانيّ 13. 8. فالعبارة الموالية، [*she really thinks* "هي تعتقد فعلا"]، استطلاعيّةٌ وارتداديّةٌ في آن. هي ارتداديّة بحكم وجود الضّمير [هي] الّذي يحيل ثانية على جِل. وهي استطلاعيّة بحكم وجود الفعل فيها. فالفعل [*think*] يعرض علاقة يميل فيها المنتقل إلى التّسليم بصحّة القضيّة. فيستحضر بذلك فضاء ذهنيّا (يحمل شارة [BELIEF "معتقَد/ اعتقاد"] في الرّسم البيانيّ) يمثّل التّصوّرات الّتي يقبلها المتكلّم قبولا مؤقّتا، وتكون القضيّة المطروحة واحدا منها (أي معلم الفعل). وبالإضافة إلى ذلك، يقدح ذلك الفعل التّوقّعَ بأنّ هذه القضيّة الخطاطيّة سوف تخصَّص في الخطاب اللاّحق. بناء على ذلك تؤوّل العبارة الموالية [*her daughter might move* " ابنتها قد ترحل"]، على أنّها تحقيق لذلك التّوقّع. في البنية المحيّنَة بهذا المركّب الجُمَليّ، يضمَّن تبعا لذلك الحدثُ المعروض - أي رحيل البنت- في فضاء الاعتقاد عند جِل. وبما أنّه لا يوجد أيّ مترشّح آخر في الخطاب السّابق، يعيّن المالك الّذي يستدعيه [*her* "ـها"] كذلك بكونه جِل. لاحظ أنّ جِل ممثّلة مرّتين، مرّة في كلّ فضاء ذهنيّ بحكم أنّ لها دورا في كليهما.



الرّسم البيانيّ 13. 8

من المظاهر الأساسيّة في بناء البنية، إنشاء الأفضية الذّهنيّة، وإقامة الصِّلات بينها، وتحديد تشكّلها (فوكونياي 1985؛ فوكونياي وسويتسر 1996). في الخطاب الّذي بين أيدينا، مثلا، من المهمّ جدّا أن ننتبه إلى أنّ المتكلّم، عندما ينتج عبارة [*her daughter might move* "ابنتها قد ترحل"] لا يسلّم بصحّة تلك القضيّة ولا هو يميل إلى صحّتها. فهي لا تقدَّم على أنّها واقعيّة عند المتكلّم، ولكنّها تقدَّم مجرّد تقديم على أنّها شيء تعتقده جلّ، في الفضاء الّتي يمثّل معتقداتها الأوّليّة. ولئن مثلت في تصوّر المتكلّم للواقع، فذلك لا يكون إلاّ بطريقة غير مباشرة: ميلُ جِل إلى بعض القضايا الّتي تتعلّق واحدة منها بإمكان رحيل ابنتها، جزء من هذا التّصوّر.

تتجلّى أهمّيّة تشكّلات الفضاء الذّهنيّ بدرجة أكثر من العبارة الأخيرة [*so she won't see her any more* "لذلك لن تراها بعد الآن"]. فكلمة [*so* "لذلك"] ارتداديّة، تشير إلى أنّ القضيّة الّتي تقترن بها ناتجة (⊃) من شيء سبق التّعبير عنه. وفي الخطاب الّذي بين أيدينا، تتحدّد تلك القضيّة بالحدث المتمثّل في رحيل البنت، لا باعتقاد جِل أنّ ذلك ممكن الوقوع. فالعلاقة المعروضة ([*she won't see her any more* "لن تراها بعد الآن"]) مندرجة في فضاء الاعتقاد عند جِل، من حيث مثّلت نتيجةً للرّحيل المرتقب. ولم يجر تقديمها على أنّها شيء يسلّم المتكلّم بصحّته.[32] والعبارة ارتداديّة أيضا بحكم وجود ضميرَي الفاعل والمفعول. يعرض الرّسم البيانيّ 13. 9 التّأويل الأرجح الّذي يعود فيه الأوّل على جِل والثّاني على ابنتها. لكنّ التّصفيف المقابل ليس منتفيا بصفة مطلقة.



الرّسم البيانيّ 13. 9

الواضـح أنّ الأبنية النّاتجـة في الخطاب متنوّعة تنوّعـا كبيرا وعلى غاية من التّعقيـد. ولكن توجَد بعض القوالب التّواضعيّة في بناء الخطاب، وبعض المبادئ الأساسـيّة أيضا. ولئن كان استكشاف القوالب محدودا، يبدو أنّها تكوّن استرسالا مع الخطاطات البنائيّة المستعملَة في التّركيب النّحويّ. في الرّسـم البيانيّ 13. 8، على سـبيل المثال، يبلور المركّب الجُمَليّ [*her daughter might move*] القضيّةَ الخطاطيّة الّتي يسـتدعيها الفعـل [*think* "اعتقد"]. والتّحيين الّذي تجريه هذه العبارة يكون تحقّقا للخطاطة البنائيّة المسؤولة عن التّوليف بيـن المركّب الجُمَليّ الحاضن ومتمّمه. فبناء البنية في الرّسـم البيانيّ 13. 7 عيّنة من الطّريقة المألوفة في افتتاح خطاب ما. والقالب مرن باعتبار الشّـكل النّحـويّ، إذ يتعلّق أكثرَ بقنـاة البنية الإخباريّة. فهـو يخصّص أنّ المركّب الجُمَليّ الأوّل ([*I just ran into Jill* "قابلت جِل منذ قليل"]) غيرُ ذي قيمة حقيقيّة – هو ببسـاطة أداة لتقديم مشـارك مهمّ في الخطاب (جِل).[33] فيكون هذا المشارك محور الحديث في مدى من الخطاب يرد بعد ذلك مباشرة ([*She's upset. She really thinks*... "هي منزعجة. هي تعتقد فعلا..."]).

ينـزع الخطاب النّاجع إلى احترام بعض المبادئ الأساسـيّة. فالأوّل منها أن يبنِيَ على ما كان قد أقيـم من قبلُ (غيرنباخر وهارغريفز 1992). وقد صوّرنا ذلك بإسهاب في الرّسوم البيانيّة 13. 7 حتّى 13. 9، حيث توجد نقاط ارتباط مباشـرة بالنّسـبة إلى العناصر الارتداديّة من كلّ عبارة لاحقة. ويتمثّل المبدأ الثّانـي، وهو مهمّ في المحادثة خاصّة، في أن تقـدَّم المادّة الجديدة وفق وتيرة

يمكـن التّحكّم فيها. نجد هنا المبرِّر لقسـمة الخطاب إلى سلسـلة من أطر الانتباه، ولنزوع المركّب الجُمَليّ الواحد أو الإطار الواحد إلى تقديم مشارك واحـد فقـط أو فكرة مهمّة جديـدة واحدة لا غير. هـذا الأمر بيّن كذلك في المقطع الوارد في (14). على سـبيل المثال، المشـاركان الجديدان (جِل والبنـت) يقدَّمان في إطارين للانتباه منفصليـن، وأطوَل عبارة هنا لا تحمل إلاّ فكرة مهمّة واحدة ([*so she won't see her any more* "لذلك لن تراها بعد الآن]).

تتعلّـق المبادئ الأخرى بتسلسـل التّقديم. ومن أسـباب ذلك أنّ الخطاب يتدفّق تدفّقا أسهل عندما تكون البنية النّاتجة عند كلّ طور مكتفية بذاتها، لا تتطلّب عبارات لاحقة عليها لينبثق تأويلها تأويلا منسجما. ولهذا السّبب كانت الضّمائر في العادة لاحقة على ما يرد قبلها من الإسـمائيّات الّتي تقدّم مراجعها.[34] فالعبارة الواردة في (15) غريبة في افتتاح الخطاب بالقياس إلى (14):

(15) *??I just ran into her. // She's upset. // Jill really thinks ...*
؟؟ قابلتها منذ قليل. // هي منزعجة. // جِل تعتقد فعلا...

فـإذا ما لم يتوفّر شـيء يعيِّن مرجـع الضّمير، وجب على السّـامع أن يبني بنيـة تمثّل مرجع الضّمير المفرد الغائب المؤنّث [هي] مقترنا بعلامة اسـتفهام فـي ذهنه. فالضّمير يسـتلزم أن يكون مرجعه قابلا للتّعيين مباشـرة، ولكن لا يطـول الانتظار حتّى تأتي العبارة الثّالثة ليتحقّـق ذلك التّطلّع. ومن مبادئ التّرتيـب الأخرى أن تُجتنَـب الحاجة إلى الملاحقة الارتداديّـة- إمّا بمحو ما كان قد أقيم أو بإعادة إقامته. وبالنّسـبة إلـى الخطاب الوارد في (14)، يجب أن تمحَـى البنية الّتي أقيمـت إن قصَد المتكلّم إلى أن لا تدلّ العبارة الأخيرة علـى أنّ جِل لن تـرى ابنتها بعد ذلك بل على عكس ذلك تماما. فيكون التّعديل ضروريّا في هذه الحال:

(16) *... so she won't see her any more. //What I mean is, //the daughter won't see Jill any more.*
... لذلك لن تراها بعد الآن.// ما أعنيه هو، // البنت لن ترى جِل بعد الآن.

ومن مبادئ التّسلسـل الإضافيّـة أن يطابق ترتيب التّقديم وجوبا المسـلك الطّبيعـيّ في الاهتداء الذّهنيّ، أي التّرتيب المفهومـيّ القائم على أرضيّات غير لغويّة. ومن الحالات البيّنة في ذلك، التّسلسـلُ الزّمنيُّ: تكون المعالجة أيسر إن كانـت حكاية الأحداث وفق ترتيبها في الجريان. يتعالق هذا التّرتيب، في العادة، مع ترتيب مفهوميّ من نوع آخر يسـبِّب فيه حدث ما حدثا آخر أو يؤدّي

إليه. ففي العبارة الواردة في (14)، تُطابِق العبارتان الأخيرتان هذين المسلكين الطّبيعيّين في آن واحد - رحيل البنت يسبق عدم رؤية جِل لها، ويكون كذلك سببا فيه. وتطابق كذلك العبارتان الأُولَيَان المسلكين كليهما، بمعنى أنّ لقاء المتكلّم بجِل يسبق ملاحظةَ حالة جِل النّفسيّة ويجعل تلك الملاحظة ممكنة، في آن. ولكن يظلّ، هنا، واحد من الحدثين المتسلسلين خفيّا رغم ذلك. والعبارة الثّانية ([*She's upset*]) تصف حالة جِل ببساطة دون ذكر صريح لملاحظة المتكلّم لتلك الحالة. ومع ذلك نستنتج هذا الحدث، على أساس السّيناريو المعهود في مقابلة النّاس وفي ملاحظة أحوالهم. ورغم الأساس الاستلزاميّ الّذي يقوم عليه تسلسل الحدثين، يكون هذا التّسلسل بارزا بروزا كافيا لتحديد التّرتيب في تقديم الواحد منهما. ومع التّرتيب العكسيّ، يكون دفق الخطاب أقلّ سلاسة. ففاتحة الخطاب في (17) غريبة، حتّى وإن كانت جِل في المفترض منزعجة قبل المقابلة.

(17) *??Jill's upset. //I just ran into her. // She really thinks //her daughter might move…*

؟؟ جِل منزعجة.// قابلتها منذ قليل. // هي تعتقد فعلا // أنّ ابنتها قد ترحل...

وثمّة مبدآن آخران ينصّان على أنّ الخطاب يجب أن يكون منسجما ومترابطا. والانسجام في أساسه أن يكون كلّ شيء متعالقا ذا معنى. فيمكن أن يرد في الخطاب ما يدلّ خصّيصا على الكيفيّة الّتي بها تتماسك الأشياء، من مثل [«لذلك»] في (14)، الّتي تخبرنا بأنّ الجريان الّذي تقدّمه ([لن تراها بعد الآن]) ناتج عمّا قيل قبيل ذلك ([«ابنتها قد ترحل»]). ولكنّ الانسجام يرتبط، في الغالب، بعوامل تكون ضمنيّة. فلا توجد في (14) أيُّ إشارة إلى أنّ انزعاج جِل سببُه الخوف من رحيل ابنتها المحتمل. ومع ذلك، نستنتج هذا الرّابط - أو يكون التّجاورُ في الكلام بين [«هي منزعجة»] و[«هي تعتقد فعلا أنّ ابنتها قد ترحل»] غيرَ ذي فائدة. ومن أسباب الاضطراب في (17)، بالتّحديد، أنّ المركّب الجُمَليّ الاعتراضيّ ([قابلتها منذ قليل»]) يجعل إقامةَ هذه العلاقة بين حالة جِل النّفسيّة وسببها، أصعب. وترتيب المركّبين الجُمَليّين الأوّلين مصدرٌ لعدم الانسجام بوجوه أخرى كذلك. فالبداية بـ[«جِل منزعجة»] توحي بأنّ حالتها النّفسيّة سبب في جريان ما يذكَر بعدها والّذي يتمثّل في [«قابلتها منذ قليل»]، وهذه العلاقة لا تعني شيئا كبيرا. ويطمس تسلسلُ المركّبات الجُمَليّة كذلك الرّابطَ الحقيقيّ بين المجريين:

أعني أنّ مقابلة جِل مكّنت المتكلّم من تبيّن حالتها النّفسيّة. فتكون لذلك (17) أقلّ انسجامًا من (14) بكلّ وضوح.

والتّماسك مسألة ربط الأشياء الواحد منها بالآخر، من خلال التّراكب في الشّكل أو في المضمون. ومن أمثلة التّماسك في النّص الّذي بين أيدينا التّوازي بين الجملة الثّانية من الفقرة السّابقة (الانسجام في أساسه أن يكون كلّ شيء متعالقا...) والجملة الأولى من هذه الفقرة (التّماسك مسألة ربط الأشياء الواحد منها بالآخر). ومن عوامل التّماسك في (14) أنّ كلّ مركّب جُمَليّ يحيل بوجه ما على جِل. وبطريقة أكثر تجريدا، يكون الخطاب متماسكا بأن يجري باستمرار ذكر جِل أوّلا يليها ذكر ابنتها ثانيا. ولذلك ترد [*Jill* "جِل"] في العبارة الأولى، ولا ترد [*her daughter* "ابنتها"] إلاّ في الرّابعة. وفي داخل هذا الإسمائيّ الأخير، ترد [*her*] قبل [*daughter*]. وفي العبارة النّهائيّة ([*so she won't see her any more*])، يتمثّل التّأويل المفضّل في أن يتحدّد مرجعُ الضّمير [*she*] بكونه [*Jill*]، ومرجع الضّمير [*her*] بكونه البنتَ. فالقدر المناسب من التّماسك يسهّل المعالجة كثيرا. ولكنّ لذلك حدودا بطبيعة الحال. فللخطاب الوارد في (18) درجة من التّماسك تزيد عن الحاجة أو عمّا يكون مقبولا بسهولة.

(18) ✻*I just ran into Jill. // Jill's upset. // Jill really thinks // Jill's daughter might move, // so Jill won't see Jill's daughter any more.*

*قابلت جِل منذ قليل.// جِل منزعجة.// جِل تعتقد فعلا// ابنة جِل قد ترحل.// لذلك لَن ترى جِل ابنة جِل بعد الآن.

13. 4. 2 الوظيفة النّحويّة والوظيفة الخطابيّة

يمكن أن تُفسَّر في الغالب الخصوصيّاتُ النّحويّة تفسيرا مقبولا في ضوء الخطاب. لاحظ، مثلا، أنّ المركّبات الجُمَليّة المبدوءة بعبارتي [*because* "لـ/ بسبب"] و[*since* "إذ/ بما أنّ"]، يمكن أن تسبق المركّب الجُمَليّ الّذي تتوالف معه، في حين لا يمكن للمركّبات المبدوءة بعبارات [*so* "إذن/ إذ"]، و[*thus* "تبعا لذلك"]، و[*therefore* "بناء على ذلك"]، و[*hence* "بالتّالي"] إلاّ أن تكون لاحقة عليه:

(19) (أ) *He refused the bribe,* {*because / since*} *he was honest.*
(هو) رفض الرّشوة {لأنّه / إذ} كان نزيها.

(ب) {*Because / Since*} *he was honest, he refused the bribe.*
{لأنّه/ إذ} كان نزيها، رفض الرّشوة.

(ج) *He was honest,* {*so /thus /therefore /hence*} *he refused the bribe.*
كان نزيها، {إذن/ تبعا لذلك / بناء على ذلك / بالتّالي} رفض الرّشوة.

(د) ❋{*So /Thus /Therefore /Hence*} *he refused the bribe, he was honest.*
*{إذن/ تبعا لذلك / بناء على ذلك / بالتّالي} رفض الرّشوة، كان نزيها.

لمَ وجبَ أن تكون الأشياء على هذا الشّكل؟ نجد الأساس لذلك التّباين في المبدإ الخطابيّ الّذي ينصّ على أن يطابق ترتيبُ التّقديم وجوبا مسلكا طبيعيّا في الاهتداء الذّهنيّ. والمسلك الطّبيعيّ المعنيّ هنا هو المسلك الّذي يسبِّب فيه جريانُ شيء ما، جريان شيء آخر أو يؤدّي إليه بوجه من الوجوه: [X ⊃ Y] ([س] ⊂ [ص]). وفي حالة [*because*] و[*since*]، يجري التّرتيب الأساسيّ في (19) (أ) عكسَ هذا المسلك الطّبيعيّ، إذ ورد ذكر الحدث المسبَّب أوّلا ([*Y, because X*] "[ص]، لأنّ [س]"). والتّرتيب البديل في (19) (ب) يسمح لترتيب العرض بأن يعكس التّتابعَ السّببيّ ([*because X, Y*] "لأنّ [س]، [ص]"). ومن جهة أخرى، مع [*so*] و[*thus*] و[*therefore*]، يطابق التّرتيب في (19) (ج) مسلكَ السّببيّة ([*X, so Y*] "[س]، إذن [ص]"). فالتّرتيب البديل، بناء على ذلك، لا يخدم أيّ غاية.

لكنّ التّبرير الخطابيّ لا يقتصر على مظاهر الفرادة النّحويّة دون غيرها. فلا مبالغة في القول إنّ النّحو بأكمله يشكّله الخطاب ولا يوجد النّحو إلاّ ليجعل الخطاب ممكنا. والشّاذّ في الأبنية الّتي تُفحَص في النّحو - من قبيل المركّبات الجزئيّة والمركّبات الجُمَليّة، وحتّى الجمل- أن تُستعمَل معزولة بمفردها. فهي تجري في العادة أجزاء مندمجة من مقاطع خطابيّة أكبر تُوفِّر دواعِي تجميعِها وتحدِّد الشّكلَ الّذي تكون عليه فيها. ويمكن أن توصَّف المفاهيمُ النّحويّة الأساسيّة باعتماد وظيفتها الخطابيّة. تتمثّل وظيفة الإسمائيّ التّامّ المجذَّر، مثلا، في أن يفرِد مرجعا خطابيّا (§ 9. 3). وتُستخدَم المركّبات الجُمَليّة في وظيفة قول شيء مفيد عن المراجع الّتي تأسّست على تلك الشّاكلة. ولذلك يتكوّن الخطاب من سلسلة من المركّبات الجُمَليّة، بصفة رئيسيّة، ومن سلسلة من الإسمائيّات، في ما ندر. فالمركّبات الجُمَليّة وحدات أساسيّة في بناء البنية، خاصّة عندما تطابق أطرَ الانتباه.

للفواعـل في المركّبات الجُمَليّة دور مهمّ في الخطاب. وكان الفاعل قد وصِـف عن جدارة بكونه نقطة البدايـة، هي نقطة انطلاق قابلة للاهتداء إليها يواصل منها المركَّب الجُمَليّ ليضيف مساهمتَه الجديدة الخاصّة به (تشافي 1994: الفصل 7).[35] فينزع مرجعُها، باعتبارها كذلك، إلى أن يكون شيئا معطـى- أي متوفّـرا من ذي قبلُ في فضـاء الخطاب الجـاري. وبهذه الطّريقة يسـتجيب المركّب الجُمَليّ للمبدإ الخطابيّ الأساسيّ المتمثِّل في البناء على مـا كان قد بُنِي مـن قبل. تذكّر فاتحـة الخطاب فـي (14). في المركّب الجُمَلـيّ الأوّل ([*I just ran into Jill*])، يحيل الفاعل على المتكلّم الّذي يكون دائما جزءا من فضاء الخطاب الجاري (CDS) (الرّسـم البيانيّ 13. 2). وانطلاقا من نقطة البداية هذه، يواصل المركّب الجُمَليّ ما كان بأن يقدّم مشـاركا جديـدا (جِـل) يصير بعد ذلك جـزءا من فضاء الخطاب الجـاري تَبنِي عليه العبارات اللّاحقة. ويبني المركّبان الجُمَليّان الموالِيان ([*She's upset*] و[*She really thinks* ...]) على هذا الأسـاس بـأن يتّخذا من جِل (أي مرجـع الضّمير الفاعل [*she*]) نقطة انطلاق لهما. وتتعامل الفواعل كذلك مع المبدإ الخطابيّ الّذي ينـصّ علـى أنّ ترتيـب التّقديم يجب أن يطابق مسـلكا طبيعيّـا في الاهتداء الذّهنيّ. والمفروض أن تنزع الفواعل، من حيث هي نقطة البداية في بناء البنية، إلى الجريان في موقع ما في بداية المركّب الجُمَليّ بدل أن تجري في النّهاية منه. نتبيّن أنّ هذا الأمر مسـألةٌ معقّـدة ذات عوامل فاعلة كثيرة. ومع ذلك، يسبق فاعل المركّب الجُمَليّ، في أغلب اللّغات، المفعولَ في ترتيب الكلم الأساسيّ (أو المحايد دلاليّا).

الوظيفـة الخطابيّة الّتي تؤدّيهـا الفواعل وظيفة مركزيّـة في توصيف أبنية نحويّـة كثيرة. فلبعـض الأبنية وظيفة السّـماح لبنـاء البنية بأن يتابِـعَ التّدرّجَ الطّبيعيَّ من المعطى إلى الجديد. وهذا واحد من المبرّرات في استعمال المبنيّ للمجهول.[36] ففي ما يرد في (20)، مثلا، يتدفّق الخطاب بسلاسة أكبر عندما يكون المركّب الجُمَليّ الثّانـي مبنيّا للمجهول. فالبناء للمعلوم في (20) (أ) مختلّ لأنّ الفاعل ([*a rattlesnake*]) جديد في الخطاب. ومع المبنيّ للمجهول في (20) (ب)، يكون مرجعُ الفاعل في المركّب الجُمَليّ (*he*) متوفّرا من ذي قبل في فضاء الخطاب الجاري.

(20) (أ) *We got some bad news about Clarence. ? A rattlesnake bit him.*
وصلتنا أخبار سيّئة عن كلارنس. ؟ ذات الجلجل لدغته.

(ب) *We got some bad news about Clarence. He was bitten by a rattlesnake.*
وصلتنا أخبار سيّئة عن كلارنس. لُدِغ من قبل ذات الأجراس.

ومن الأبنيــة الأخرى الّتي تخدم هذه الغاية، تســبيق المركّب الدّالّ على المحلّيّة المكانيّة كما في (21) (أ):

(21) (أ) *I looked in the kitchen. ?Several dead rats were on the counter.*
نظرت إلى المطبخ. ؟كانت جرذان ميتة عديدة على المنضدة.
(ب) *I looked in the kitchen. On the counter were several dead rats.*
نظرت إلى المطبخ. كان على المنضدة جرذان ميتة عديدة.

مرّة أخرى، كانت الصّياغة الواردة في (أ) مختلّة لأنّ الفاعل في المركّب الجُمَلــيّ الثّانــي ([*Several dead rats*]) جديــد في الخطاب (والمفتــرض أنّه غير متوقَّــع). ولكــن لا يمكن تجاوز الإشــكال باعتماد البنــاء للمجهول لأنّ المركّــب الجُمَليّ غير متعدّ. ولكن خُفِّف الخلل في الصّياغة (ب) باعتماد التّرتيب البديل في التّقديم. ولئن ظلّت عبارة [*several dead rats*] في وظيفة الفاعل النّحــويّ، فقد ألغِي دورها من حيث هي نقطة بدايــة، بتقديم المركّب الدّالّ على المحلّيّــة المكانيّة الّــذي يضفي على المركّب الجُمَليّ مســلكا في الاهتداء الذّهنيّ ينطلق من المكان المذكور في العبارة. فالمنضدة، في مقام الخطاب هذا، قابلة للاهتداء إليها من قبلُ في فضاء الخطاب الجاري - وإن لم تذكَر قبل ذلك ذكرا صريحا، ولكنّ المطبخ جرى ذكره، وفي المطبخ يتوقّع المرء أن يجد منضدة. وبذلك يتّبع بناءُ البنية، وفق هذا التّرتيب الخاصّ في الكلام، التّــدرّجَ الطّبيعيّ من المعطى إلى الجديد. فبتركيز الانتباه على المطبخ، تصير المنضدة موضعا قابلا للاهتداء إليه. واســتحضار هذا الموضع يقدح التّوقّعَ بأنّ شــيئا جديدا ســيضاف هنــاك. ويمثّل التّــدرّج الذّهنيّ من المطبخ، إلى المنضدة، إلى الجرذان، دمجا بين ثالوث من المسالك الطّبيعيّة: التّرتيب في الذِّكر، والمسلك من المعطى إلى الجديد، والمسلك الطّبيعيّ في البحث (من الإطار إلى الموضع إلى الهدف).

والخطــاب، بطبيعة الحــال، لا يتدفّق دائما بهذه السّلاســة. فالخطاب ليس مجرّد مســألة تتعلّق بالمسالك الطّبيعيّة في بناء بنية مفهوميّة متماسكة مفردة بناء ناجعا، بل لا يمكن أن يكون بالفعل كذلك. يعود ذلك في جزء منه إلــى حاجات المعالجة عند إنتاج الكلام في الزّمن الحقيقيّ. ولكنّه يعكس

كذلك التّعقّد الصّميميّ في الخطاب وفي ما يتدخّل فيه من الكمّ الهائل من الاعتبارات المتناقضة في الغالب. حتّى في الخطاب ذي التّخطيط المحكم، لا يتمثّل بناء البنية في الزّيادة على ما هو موجود من قبلُ، دون شيء آخر؛ بل نعمد فيه بالإضافة إلى الزّيادة، إلى التّكرار، والإبطال، والوصف، وحتّى إلى التّناقض. فعلى سبيل المثال، لنا طرق كثيرة في الإشارة إلى أنّ ما يلحق معاكس لتوقّع أُنشِئ منذ وقت قليل: [*but* "لكن"]، [*however* "غير أنّ"]، [*even so* "حتّى وإن"]، [*yet* "بيد أنّ"]، [*still* "رغم"]، [*on the contrary* "على عكس ذلك"]، [*nevertheless* "مع ذلك"]، [*by contrast* "مقابل ذلك"]، [*on the other hand* "من جهة أخرى"]، إلخ. فبدل إنهاء موضوع ما، قبل المرور إلى اللاّحق بطريقة نظاميّة، نتحدّث عادة عن عدد من الأشياء في وقت واحد بوجه تتداخل فيه العبارات الّتي تساهم في بناء أبنية مختلفة. وفي الحالات القصوى، يُقطَع انسياب العبارات في بعض الأحيان بمادّة غريبة تماما:

(22) *Then she told me that I would have to use—Are you warm enough? If you're not, I can turn up the heat—that I would have to use another credit card.*
ثمّ قالت لي إنّ عليّ أن أستعمل - هل أنت دافئ بما فيه الكفاية؟ إن لم تكن كذلك، يمكن أن أرفّع في درجة الحرارة - إنّ عليّ أن أستعمل بطاقة ائتمان أخرى.

وحتّى عندما نتّبع الطّريقة النّظاميّة، يوجد الانقطاع في دفق الخطاب كلّما ختمنا موضوعا وبدأنا آخر. فنبدأ عندئذ بناء بنية مفهوميّة جديدة، أو على الأقلّ، فرعا جديدا من ذلك القديم. يمثّل الانتقال في (23) قالبا مألوفا في تغيير موضوع الحديث بصفة صريحة. فهو يخبر السّامع بأنّ البنية المتركّزة على جِل قد اكتملت الآن، وأنّ بنية جديدة تنشدُّ إلى جاك قد بدأت.

(23) *… But she could never satisfy her mother. Well, so much for Jill. Now what about Jack? The last time I saw him …*
... ولكنّها لم تستطع أبدا إرضاء أمّها. طيّب، هذا كاف في شأن جِل. والآن ماذا عن جاك؟ آخر مرّة رأيته...

ومن العوامل المهمّة في تدفّق الخطاب بسلاسة، تقديم المشاركين ومتابعةُ آثارهم. فعندما يقدَّم مرجع خطابيّ ما أوّلَ مرّة، يجب أن يُخصَّصه إسمائيّ ذو مضمون وصفيّ كاف لإفراده. والإسمائيّ المعرفةُ يمكن أن يؤدّي هذه الوظيفة شريطة أن يتضمّن معناه وجودَ مترشّح مناسب وحيد. وللمعارف بمختلف أنواعها هذه الخصيصةُ، بما فيها الأسماء الأعلام (مثل،

جاك في (23))، والأسماء المضافة إضافة الملكيّة ([*Jack's house* "منزل جاك"])، وأسماء التّفضيل المطلق ([*the tallest building in Asia* "أعلى بناية في آسيا"])، والإسمائيّات المقترنة بالمحوّرات التّعريفيّة ([*those dead rats on the kitchen counter* "تلك الجرذان الميّتة على منضدة المطبخ"]). ولكنّ الإسمائيّات الّتي تضيف المشاركين الجدد نكرات في العادة. فحالما يستوي مرجع ما قائما في فضاء الخطاب الجاري، تكون الإسمائيّات الّتي تحيل عليه معارف، في العادة، وذات مضمون وصفيّ أقلّ، بحكم أنّ التّعيين قد تحقّق من قبل. والإسمائيّات ذات المضمون الوصفيّ الأدنى بحكم درجة الخطاطيّة العليا فيها باعتبار النّوع، هي ضمائر الشّخص. وبذلك يكون التّدرّج في (24) طريقة طبيعيّة في تقديم الجرذان في الخطاب وفي الإحالة العائدة عليها بصفة متكرّرة بعد ذلك. لاحظ أنّ العبارة الأخيرة ([”دون أذيال؟“]) توفّقُ في ذكرها ذكرا صريحا.

(24) *There were* ***several dead rats*** *on the counter. For some reason* ***those rats*** *really bothered me. I couldn't stop looking at* ***them****. What were* ***they*** *doing there? Without tails?*
كان هناك عدد من الجرذان الميّتة على المنضدة. أزعجتني تلك الجرذان لسبب ما. لم أستطع الكفّ عن النّظر إليها. ماذا كانت تفعل هناك؟ دون أذيال؟

تكون بعض المواضع الإعرابيّة أصلحَ من بعضها لتقديم المشاركين الجدد في الخطاب (ديبويس 1987؛ انظر هارّينغ 1989). في ضوء الدّفق الطّبيعيّ من المعطى إلى الجديد، يقدَّم المشاركون في العادة في وظيفة المفعول به، وفي وظيفة الفاعل بشكل شاذّ:

(25) (أ) *We saw* ***a lion****. It was chasing* ***a gazelle****.*
رأينا أسدا. كان يطارد غزالا.
(ب) *We saw* ***a gazelle****. ?****A lion*** *was chasing it.*
رأينا غزالا. ؟ كان يطارده أسد.
(ج) *We saw* ***a gazelle****. It was being chased by* ***a lion****.*
رأينا غزالا. كان يُطارَد من قبل أسد.

يُستعمَل فاعل المركّب الجُمَليّ، من حيث هو نقطة البداية في ذلك المركّب، استعمالا طبيعيّا ليدلّ على مشارك سبق أن استوى قائما في فضاء الخطاب الجاري. فالبناء للمجهول في (25) (ج) يوافق هذا التّصفيفَ ويسمح بتقديم مشارك جديد يكون مفعولا به لحرف ما. ومن الأدوار النّحويّة الأخرى الّتي لا تصلح بما يكفي لتقديم مشارك ما، دورُ الإسمائيّ المالِك،

بسبب كون المالك - مثل الفاعل في داخل مركّب جُمَليّ- نقطةَ البداية في داخل الإسـمائيّ (انظر الفصل 14). فتكون العبارة في (26) (أ) على هذا غير موفّقة إلى حدّ ما من حيث هي طريقة في تقديم الأسد مرجعا خطابيّا. ويُتَجنّب المشكل في (26) (ب)، بتقديم الأسد في المركّب الجُمَليّ السّابق.

(26) (أ) ❋***A lion**'s mane was magnificent. It was resting contentedly in the sun.*
*كانت لبدةُ أسدٍ رائعةً. لقد كان مستلقيا في الشّمس في طمأنينة.
(ب) *We saw **a lion.** Its mane was magnificent. It was resting contentedly in the sun.*
رأينا أسدا. كانت لبدته رائعة. لقد كان مستلقيا في الشّمس في طمأنينة.

ولا يوجـد مانع يحرِّم تقديم مشـارك جديد في وظيفـة فاعل للمركّب الجُمَلـيّ. وبالفعل، تجري فـي العادة فواعل الأفعال اللاّزمـة في هذه الوظيفة - ولكن ليس أيّ فاعل لفعل لازم. يسـتقيم هـذا التّكتيك بوجه أفضل مع أفعال من قبيل [*appear* "ظهر"] و[*enter* "دخل"]، اللّذين يتمثّل معناهما، على وجه الدّقّـة، في إدخال المنتقِل إلى الرّكح. ويسـتقيم ذلك التّكتيك كذلك مـع عمل يلفت الانتباه إلـى الفاعل، مثل الزّئير فـي (27) (ج). والأحداث من هذا القبيـل نظائر موضوعيّة في داخل الوضعيّـة الموصوفة، لما يحدث بصفة ذاتيّـة عندما يدخل مشـارك جديد في مدى الوعي عنـد المتحاورين. وتقبل مركّبـات جُمَليّة غير متعدّية أخرى، بدرجة أقلّ مباشـرة، أن تجري في تقديم المراجع الخطابيّة. فالوضعيّة السّـكونيّة المتمثّلة في مجرّد الوجود في مكان ما، كما في (27) (د)، ليسـت شـيئا يلفت الانتباه إلى الفاعل بطريقة إيجابيّة، ولكنّها تنشـئ على الأقـلّ إمكانيّةَ ملاحظته. والخصيصـةُ الثّابتة مثل الهرم، مقصـاة إلى أبعد حدّ، مـن كلّ ما يكون به إدخال الفاعـل إلى الرّكح من المفاهيم.[37]

(27) (أ) *Suddenly **a lion** appeared.*
فجأة ظهر أسد.
(ب) ***A lion** entered the clearing.*
دخل أسد البراح.
(ج) ***A lion** was roaring in the distance.*
كان أسد يزأر في مكان بعيد.
(د) *?**A lion** was in the clearing.*
؟ كان أسد في البراح.
(هـ) ❋***A lion** was old.*
*كان أسد هرما.

يكـون تقديم المشـاركين الجدد وظيفةً أساسـيّة لبعـض الأبنية. ومن هذه الأبنية تسبيق العبارة الدّالّة على المكان، كما في المثالين (21) (ب) و(28) (أ). والمثال الأخير، رغم اتّفاقه مع (27) (د) في العناصر المكوّنة له، يتدفّق بسلاسة أكبـر لأنّ تسـبيق العبارة الدّالّة علـى المكان يوفّر نقطة بدايـة بديلة قائمة في الخطاب من قبل. فالبدء بذكر ذلك الموضع ينشئ توقّعا بوجود شيء هناك.

(28) (أ) *In the clearing was **a lion**.*
في البراح كان أسد.
(ب) *There was **a lion** in the clearing.*
كان هناك أسد في البراح.

وممّـا يـؤدّي هذه الوظيفـة كذلك الأبنيـةُ «الوجوديّـة» المقترنة بـ[*there* "هناك"]، كما في (28) (ب). فمن زاوية نحويّة، تكون [*there*] فاعل المركّب الجُمَلـيّ.[38] وهي، من زاوية مفهوميّة، تشـبه [*it*] (§ 11 .3 .2) من حيث أنّها تدلّ علـى إطار تجريـديّ. يمكننا أن نصف ذلـك الإطار، وصفـا تقريبيّا، بكونه "موضـع الوجود". فهي تمثّل، مـن حيث كانت كذلك، نقطـة بداية طبيعيّة لغايات الاهتداء الذّهنيّ إلى مشارك جديد يكون وجوده قد أُعلِن عنه بها.

13.4.3 التّجذير الخفيّ

يشـار في الإنجليزيّة، بصفـة عامّة، إلى منزلة مرجـع خطابيّ من حيث هو معطـى أو جديد، بـأن يكون الإسـمائيّ الّذي يحيل عليه معرفـة أو نكـرة. فبعض الإسـمائيّات مثل الأسماء الأعلام وضمائر الشّخص، معارف بطبيعتها. وفي حالة الأسـماء المشتركة، يشار إلى درجة التّعيين بالتّجذير، من مثل [*the bear* "الدّبّ"] مقابل [*a bear* "دُبّ"]. غير أنّ الأسماء في لغات كثيرة تجري في العادة دون تجذير صريح. واللّويزينيّة واحدة من هذه اللّغات. ومن أمثلة ذلك ما يرد فـي (29)، حيث تجري [*hunwut* "دبّ"] دون تجذير ظاهر وتقبل التّأويل بكونها معرفة أو نكرة:

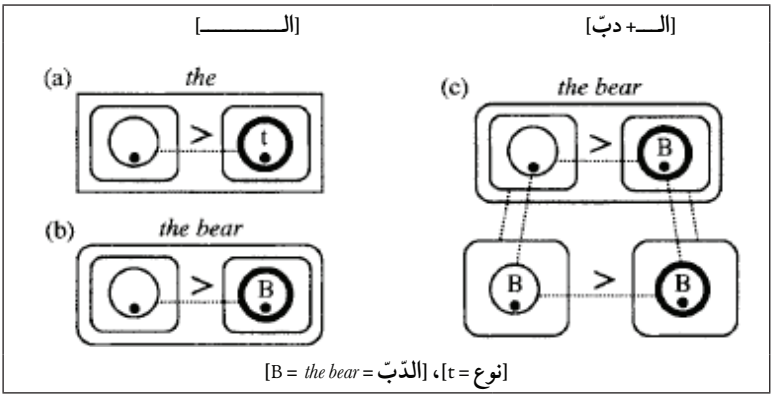
(29) *Hunwut xaari-q.*
bear growl-TNS
زمن-زأر دبّ
{الـ} دبّ {ـــــُ} يزأر.

ومـن البيّن أنّ اللّغات يمكن أن تسـتقيم بوجه مقبول إلى حدّ ما دون وسـم مستمرّ لهذا التّمييز.[39] وإن تأمّلتَ في هذا الأمر، وجدت أنّ منزلة الدّبّ لا تكون مزدوجة إلاّ عندما تؤخذ العبارة (29) معزولة. فعادة ما تكون المسألة واضحة في سـياق الخطاب الجاري: فإمّا أن يكون دبّ قد اسـتوى مشاركا قائما من قبل، وفـي هـذه الحال تحيل عليه [*hunwut*]، أو يكون في حاجـة إلى أن يقدّم على أنّه جديد. وإذا وُجِد أيّ مشـكل، إنّما مردّه إلى نوع النّظام اللّغويّ الإنجليزيّ الّذي يوجب الإشارة الصّريحة إلى شيء ظاهر على أساس أرضيّات أخرى.

بمـا أنّ درجةَ التّعيين توسَـم في العادة بعناصر التّجذير، تثير الأسـماء غير الموسـومة مثـل [*hunwut*] في (29) سـؤالا يتعلّـق بكونها مجذَّرَة أو ليسـت كذلك. فهل يكون [*hunwut*] إسـمائيّا تامّا، يعرض (بحكم التّعريف) عيّنة مجذَّرة من النّوع الّذي يدلّ عليه؟ أو هل هو بكلّ بساطة اسم، يُخَصِّص نوعا دون أن يفرد منه عيّنةً؟ فكلمة [*hunwut*]، في ذاتها وبذاتها، مجرّد اسـم بطبيعة الحـال. ولكن ماذا عن الحالات الّتي يشـتغل فيها، مـن زاوية إعرابيّة، فاعلا أو مفعولا للمركّب الجُمَليّ، وهما دوران يُخصَّصان في العادة للإسـمائيّات التّامّـة المجـذَّرة؟ فهو مؤهّل، من زاوية دلاليّة، ليكون إسـمائيّا. فالمركّب الجُمَليّ من قبيل (29)، لا يستدعي 'دبّا' من حيث هو مجرّد نوع: إذ يُسند عمل الزّئير إلى عيّنة مخصوصة من ذلك النّوع. فالإسمائيّ مُجذَّر ولكنّ التّجذيرَ خَفِيّ، لا انعكاس له في الشّـكل النّحويّ. فهذا التّناقض الظّاهريّ ناتج عن تناول المركّب الجُمَليّ معزولا بدل أن يؤخذ جزءا لا يتجزّأ من خطاب حيّ. فبإزالـة الحدّ الاصطناعـيّ الفاصل بين النحّو والخطـاب، يمكننا أن نصف التّجذير الخفيّ وصفا مباشرا.

أوّلا، لننظر مرّة أخرى، على أساس المقارنة، في أداة التّعريف في الإنجليزيّة (§ 9. 3. 4)، كما ترسَـم باختزال في الرّسـم البيانيّ 13. 10(a). فهي تعرِض، مثـل عناصر التّجذير الأخرى، شـيئا منبنيا على أنّه عيّنـة من نوع ما (t). تتمثّل الخصيصـة المميّزة لـ[*the*] في الكيفيّـة الّتي ترتبط بها العيّنة المعروضة بإطار الخطاب السّـابق. وهي تدلّ، بصفـة تقريبيّة جدّا، علـى أنّ العيّنة كانت بيّنةً من ذي قبـل في مقام الخطاب، وهي العيّنة الوحيدة من النّوع الّتي تكون لها هـذه المنزلة. فعندما تتوالف [*the*] مع اسـم معجميّ، مـن قبيل [*bear*]، تفرض العبـارة المركّبـة تلك المقتضيـات على عيّنة مـن النّوع الّـذي تخصّصه.

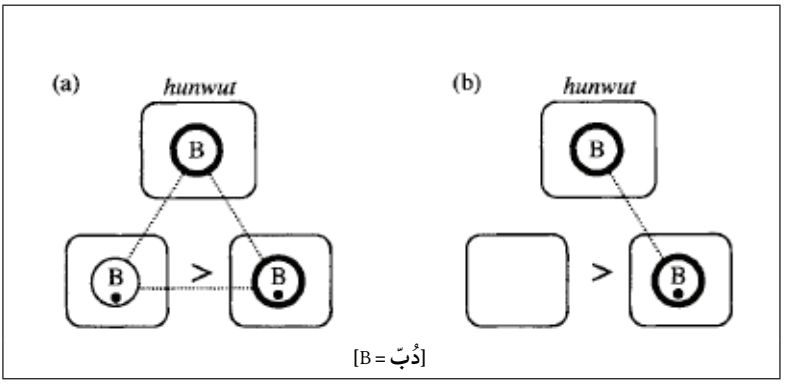
فيكون بذلك الإسمائيّ النّاتج، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 13. 10 (b)، ارتداديّا: يحمل معه التّوقّع بأنّ هناك عينّة واحدة بارزة من نوع الدّبّ في فضاء الخطاب الجاري. ويمثّل الرّسم البيانيّ 13. 10 (c) انطباق هذا الإسمائيّ على الخطاب الحاليّ.[40] لاحظ أنّ إطار الخطاب السّابق الّذي ورد فيه هذا الإسمائيّ يناسب البنية المفهوميّة الّتي بنيت سابقا، وأنّ الإطار الحاليّ لذلك الإسمائيّ يناسب البنية المحيَّنة الّتي ينتجها. ففي انطباق موفَّق، تحتوي البنية السّابقة على عيّنة واحدة بارزة من الدّبّ تجري مطابقتها بالعيّنة الّتي يعرضها الإسمائيّ. وبذلك يتمثّل أثر انطباق الإسمائيّ في توجيه الانتباه داخل البنية المحيَّنة إلى العيّنة الّتي يعرضها.



الرّسم البيانيّ 13. 10

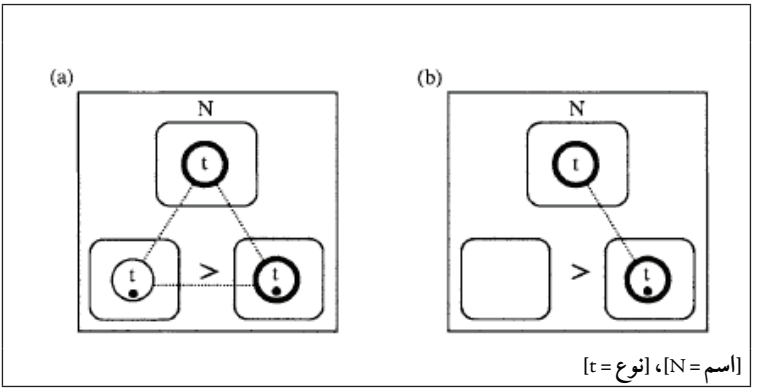
لنعد الآن إلى (29). رغم أنّ الفاعل فيها يتكوّن من اسم فقط، فهي جزء من مركّب جُمَليّ هو بدوره جزء من خطاب. لئن كان الاسم غير مجذَّر بعنصر ظاهر منفصل، فإنّ التّجميعة بأكملها تؤدّي وظيفة التّجذير. تخيّل مقاما خطابيّا قامت فيه عيّنة وحيدة من [*hunwut* "دبّ"] من ذي قبل في البنية الّتي يجري بناؤها. يكون الأثر من استعمال (29) في تحيين هذه البنية بواسطة مركّب جُمَليّ يستحضِر فكرة 'دُبّ' على أنّها عنصر مبأّر. يصوّر الرّسم البيانيّ 13. 11 (a) مساهمة الاسم في هذا التّحيين. وإذ احتوت البنية على عيّنة واحدة فقط من 'دُبّ'، يؤوّل الاسم بصفة طبيعيّة بأنّه يحيل عليها. يتحقّق تخصيصُ الاسم للنّوع من خلال عمليّة انطباق ذلك الاسم على الخطاب. هب، من جهة أخرى، أنّه لا وجود لأيّ عيّنة بارزة من 'دبّ' في فضاء الخطاب الجاري. في هذه الحالة، يؤوَّل الاسم بصفة طبيعيّة بأنّه تعليمةٌ تطلب تقديمَ

عيّنة هناك، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 13. 11 (b). وفي الحالتين، يكون النّاتج الشّيء نفسَه: البنية المحيَّنة تحتوي على عيّنة من 'دبّ'، تتحدّد بكونها منتقل الفعل [*xaari* "زأر"].



الرّسم البيانيّ 13. 11

والأهمّ من جميع ذلك، أنّ هذه التّأويلات ليست طبيعيّة فقط بل هي تواضعيّة كذلك. فهي تمثّل قوالب قائمة في اللّغة، قابلة للاستعمال مع أيّ اسم مشترك - بفضل هذه الوحدات التّواضعيّة، ينتِج المتكلّمون عبارات مثل (29) في المقام الأوّل، وهم واثقون من أنّ مخاطبيهم سوف يقبلونها ويعرفون ما يفعلون بها. والقوالب المقصودة هنا، كما يعرض في الرّسم البيانيّ 13. 12، هي ببساطة صياغات مجرّدة خطاطيّا من التّشكّلات الواردة في الرّسم البيانيّ 13. 11. وليست خطاطاتٍ بنائيّة بالمعنى الضّيّق (أي ليست قوالب في توليف عبارات صغرى لتكوين عبارات أكبر). هي، عوضا عن ذلك، طرق موحَّدة في انطباق العبارات على الخطاب، تُستعمَل لتحيين البنية الّتي يجري بناؤها. وهي رغم ذلك شبيهة بالخطاطات البنائيّة من حيث كانت تجميعات رمزيّة خطاطيّة تترابط بواسطة التّناسبات. هي، إن شئت، أبنية تقع في مستوى التّصافح بين النّحو والخطاب، اللّذين يكوِّنان استرسالا وفق التّصوّر النّحويّ العرفنيّ. والتّأويلات الّتي تجيزها جزءٌ من معنى العبارة المحدّد بالمواضعة (الّذي يعوّل دائما على طبقة تحتيّة مفهوميّة تتضمّن الخطاب الجاري). وهي تؤدّي، بالفعل، وظيفة التّجذير الإسمائيّ رغم طبيعتها الخفيّة.



الرّسم البيانيّ 13. 12

يمكن أن نقترح أوصافا مماثلة في شأن التّجذير الخفيّ للمركّب الجُمَليّ، وكذلك في شأن الحالات الّتي يظلّ فيها المشاركون العلائقيّون القابلون للتّحديد من مقام الخطاب ضمنيّين. تمثّل هاتان الظّاهرتان نقاطا أساسيّة عديدة. أوّلا، تختلف اللّغات من حيث الكيفيّة الّتي بها تحقّقُ الواحدة منها الوظائفَ الدّلاليّة (مثل التّجذير). وتختلف بالإضافة إلى ذلك من حيث المكان الّذي تخطّ فيه الواحدة منها الحدّ الفاصل بين العبارة الظّاهرة والتّعويل على الطّبقة التّحتيّة المفهوميّة. ثانيا، الوحدات التّواضعيّة المتّصلة بالنّحو ليست محدودة بما يجري منها في بناء العبارات المركّبة. يتكوّن بعضها، بوجه خاصّ، من القوالب التّواضعيّة المتحكّمة في انطباق العبارات على الخطاب الحاليّ، دون اللّجوء إلى مادّة صوتميّة إضافيّة. وأخيرا، لا يوجد حدّ فاصل بيِّن بين النّحو والخطاب. وهذا لا ينفي أنّ هناك الكثير ممّا يمكن أن نتعلّمه بفحصهما منفصلين. ولكنّ كلّ محاولة للحفاظ على فصل دقيق بينهما، في نهاية المطاف، عبث وضلال في آن.

هوامش الفصل

[1]- من الأسباب الأخرى: (ا) الأهميّة الّتي تحظى بها الخطاطات من المستوى الأدنى، و(اا) تواجدها مع خطاطات المستوى الأعلى الّتي تحقّقها، و(ااا) دور الاستعمال في توجيه التّغيّر اللّغويّ.

[2]-عادة ما يكون الخطاب القائم على الحوار الأحاديّ تفاعليّا بطرق متعدّدة: هو يُصنَع للسّامعين، وغالبا ما يخاطَبون فيه بأنت(م)، وتُستبَق ردود أفعالهم، ويتوقّعُ في بعض الأحيان أن يجيبوا أو يتدخّلوا، وهكذا دواليك.

[3]– لا تعني إعادة الصّياغة هذه تغييرها. ولا تصلح الصّيغ المعادَة البديلة إلاّ لإبراز الجانب العرفنيّ أو التّفاعليّ من تلك المفاهيم.

[4]– يشار إلى هذه القطع الصّوتيّة بالحروف في نظام الكتابة الألفبائيّ. ولئن عكَس هذا التّقطيع الصّوتيّ مظهرا من الانتظام اللّغويّ، فهو ليس واقعيّا من زاوية نطقيّة، ولا هو أوّليّ من زاوية نفسيّة. ويجري تمثيل الظّواهر العروضيّة بواسطة أدواتٍ مثل التّنقيط، والكتابة بالحروف التّاجيّة، وبترك الفراغ بين الوحدات المكتوبة.

[5]– بما أنّ السّجاد لا ينتمي في العادة إلى هذه المقولة، فإنّك تظنّ أنّها السّجّادة الوحيدة الّتي توجد في المنزل. وبناء على ذلك تأخذ ["سجّادة"] علامة التّعريف.

[6]– قدِّمت هذه الفكرة في الفقرة § 9. 3. 3. والمضمون المادّيّ في أحداث الاستعمال المتتابعة يناسب "أطرَ الخطاب" في الرّسم البيانيّ 9. 7. لا تنسَ أنّ العوامل المساهمة في ذلك معقّدة إلى حدّ يمتنع له تمثيلها تمثيلا تامّا في أيّ رسم تخطيطيّ ثنائيّ الأبعاد (لا يشير الرّسم البيانيّ 13. 2 إلى أنّ إدراك الأحداث الأخرى في السّلسلة جزء من الفهم المقاميّ الّذي يشتمل على كلّ حدث استعمال).

[7]– على سبيل المثال، تنتمي [*prostitute* "مومس"] وبعض مرادفاتها في الإنجليزيّة إلى سجلّات كلاميّة بذيئة (مستويات الخطاب المهذّب)، ولا تستعمل [*Your Honor* "(سامي) الجناب"] إلاّ في مخاطبة القاضي في قاعة المحكمة. وبذلك تكون العبارة التّالية مقبولة: [*I object to calling this witness, Your Honor, because she's known to be a {prostitute}*.] "أنا أعترض على مناداة هذه الشّاهدة، يا جناب القاضي، لأنّ المعروف عنها أنّها {مومس}"] ولا تجري في هذا المقام تلك المرادفات.

[8]– يكون المضمون المادّيّ أشمل من المدى المباشر كلّما كان هناك سبب للتّمييز بين المضمون الماثل على الرّكح والمضمون الماثل خارج الرّكح في داخل الوضعيّة الموصوفة، كما يكون في أشكال التّصريف التّدريجيّة، مثلا (انظر الرّسم البيانيّ 5. 9).

[9]– تقوم ظاهرة "انشطار الذّات" الّذي يكون ذا تجلّيات لغويّة كثيرة (طالمي 1988a؛ لايكوف 1996)، في جزء منها، على أساس إدراك سائر الأذهان وطبيعة التّجارب الّتي عاشتها الإذهان. لاسيما أنّ المتكلّم يحاكي رؤية السّامع للمشهد، فيكون المتكلّم بالفعل من زاوية نظر السّامع شخصا مختلفا (لانقاكر 2007).

[10]– يلغي هذا الانبناءُ الذّاتيّ المفروضُ عند مستوى البنية الشّاملة البروزَ البؤريّ لمنتقل الفعل. لليابانيّة بنية شبيهة تمضي بهذا الأمر خطوة أبعد بأن تعيد تأويل معلم الفعل على أنّه منتقل في مستوى المركّب الجُمَليّ: [*Sake-ga hosii* (sake–NOM want) "شراب السّيك– حال الرّفع أراد" (أريد كأسا من السّيك")]. حالما يلقَى بمنتقل الفعل خارج الرّكح وينبني انبناء ذاتيّا، يكون المعلَمُ في هذه الحالة المشاركَ البؤريّ المتبقّيَ الوحيد، فيكون بحكم ذلك المنتقلَ في المستوى الأعلى من التّنضيد. والفرق بين الإنجليزيّة واليابانيّة يرتبط بما إذا كانت الأبنية المتعلّقة بمنزلة الفاعل أو المفعول تحيل على المستوى الأدنى من التّنضيد أو تحيل على المستوى الأعلى.

[11]- لذلك، يكون إدراج [*you* "أنت"] غير ملائم لعبارة [*please* "من فضلك"] أو عند إغراء السّامع إغراء ودّيًا بفائدة تحصل له من إنجاز المطلوب: [*Please, (*you) leave!; For your own sake, (*you) leave!* "من فضلك، (*أنت) انصرف!؛ لمصلحتك، (*أنت) انصرف!"].

[12]- يكون التّطابق بينهما - والتّزامن بينهما بالاستتباع- مسؤولا عن ظهور الأفعال الإنجازيّة في الزّمن الحاضر البسيط، وهو، في العادة، مشكِل بالنّسبة إلى الأفعال الانقضائيّة (§ 5. 2. 3).

[13]- تسمّى هذه في الغالب "شروط الصّدق". فإذا ما قلت لك [*I hereby sentence you to life in prison* "أنا أحكم عليك بالسّجن مدى الحياة"]، لا عليك لأنّني لا أملك السّلطة الّتي تمكّنني من إنجاز هذا العمل.

[14]- تُعرَّف المركّبات الجُمَليّة التّقريريّة والأمريّة والاستفهاميّة على أساس بنيتها. ورغم التّسميات المتداولة، فهي لا تكتسب القوّة التّفاعليّة إلاّ بالتّوالف مع سيناريوهات الأعمال اللّغويّة.

[15]- يمثّل أمر من قبيل [*You will leave!* "أنت سوف تنصرف!"] مزيجا، تتراكب فيه قوّة الأمر مع ما يمكن أن يكون إثباتا في ما عدا ذلك. ويتطابق الاستقبال والقوّة الجهيّة الّتي يحملها [*will* "سوف"] مع القوّة الكامنة في سيناريو الأمر.

[16]- رغم أنّ المركّب الجُمَليّ الأمريّ لا يجذَّر داخليًا، فإنّه يجذَّر بالعمل اللّغويّ في ذاته. ويجري التّجذير، تماما مثل الجهيّات الأصليّة من قبيل [*You should leave* "ينبغي عليك أن تنصرف"]، في المستوى التّنفيذيّ لا في المستوى الإبستيميّ (§ 9. 4. 3). فالأمر يُعَدّ تجذيرا لأنّه يربط العمليّة المعروضة بالمتحاورين، محدّدا موقفهما التّنفيذيّ إزاءها. وله كذلك مضمون إبستيميّ بما أنّ الشّيء الّذي لم يتحقّق بعد، ليس واقعيًا بعد.

[17]- يتعلّق هذا الوصف البدائيّ خصّيصا بالأسئلة المتطلّبة لأجوبة نعم/ لا. ونحن في حاجة إلى وصف معمَّم للأسئلة "المضمونيّة" الجارية بمن، وماذا، وأين، ومتى، إلخ.

[18]- لا يمنعني ذلك من أن أقول [آي!] عن طريق التّعاطف إذا ما رأيت شخصا آخر يصطدم رأسه بشيء. فأنا بذلك أتماهى مع عائش التّجربة وأحاكي ردّ فعله المحتمل على أساس محاكاة ذهنيّة لتلك التّجربة.

[19]- مقابل ذلك، يصف العنصر الإنجازيّ (ويعرض بحكم ذلك) عملا لغويًا بالإضافة إلى أدائه (انظر الرّسم البيانيّ 13. 4).

[20]- يمكن للحروف الفرديّة أن تُنطَق فرادى ([USA "يو-أس-آي"]، [CIA "سي-آي-إيي"]، [VIP "في-آي-بي"] [IBM "آي-بي-أم"]، [UFO "يو-اف-أو"]، [DNA "دي-ان-آي"]، [PVC "بي-في-سي"]، [NFL "ان-اف-ال"]، أو تنطق كما لو كانت كلمة واحدة [NATO "نايتو"]، [FEMA "فيما"]، [NOW "ناو"]، [PETA "بيتا"]، [BART "بارت"]، [NIMBY "نيمبي"]، [WYSIWYG "ويزيويغ"]. وقد صارت الإمكانيّة الثّانية معيارا مهمّا في اختيار الأسماء الجديدة. فالمؤسّسة الّتي يطلق عليها [The National Organization for the Reform of Marijuana Laws (NORML) "المنظّمة الوطنيّة لإصلاح قوانين الماريخوانا (نورمل)"]، لم تُسمَّ كذلك صدفةً.

[21]- وبناء على ذلك لا تكون العبارات التّالية عيّنة جيّدة من ذلك الجنس:

*Shoulder arms! Right Face! I prefer Mozart over Beethoven. Forward harch!

«*سلاح على الكتف! إلى اليمين دُر! أخيّر موزار على بيتهوفن. إلى الأمام سِر!»]

[22]- هذا واحد من الاعتبارات الّتي تظهر فيها اللّغة تنظيما «كسوريّا»، تتكرّر فيه السّمة البنيويّة نفسها في مستويات عليا متتابعة. يأتي المزيد عن هذا لاحقا.

[23]- عِيبَ على النّحو العرفنيّ، جنبا إلى جنب مع نظريّات أخرى، أنّه لا يقوم على معطيات من المحادثات اليوميّة. لقد أهمِلَت بكلّ تأكيد بعض السّمات الخاصّة بهذا الجنس. غير أنّ النّحو العرفنيّ ليس مربوطا في صميمه بأيّ جنس خطابيّ. فهو ينطبق انطباقا جيّدا على المحادثة دون تحوير ضروريّ.

[24]- يعود المفهوم إلى تشافي (1994: الفصل 5)، الّذي يسمّيها "الوحدات التّنغيميّة". يذكر تشافي الأمثلة الواردة في (6) ويناقش الخصائص التّنغيميّة على أساس ما به تُضبَط حدود تلك الوحدات. يوفّر لانقاكر (2001d) تفصيلا أكثر في معالجتها في إطار النّحو العرفنيّ.

[25]- لئن تمثّل المركّب الجُمَليّ في مضمون مادّيّ ومضمون قِطعيّ صوتميّ، فإنّ إطار الانتباه يُعرَّف على أساس قناتين غير رئيسيّتين: الانتباه (مظهر من البنية الإخباريّة) والتّنغيم. فلا توجد قيود كامنة تحكم مضمون القناة الرّئيسيّة الّتي تندرج في إطار الانتباه.

[26]- مثلا، هذا التّعريف لا يميّز الجملَ من النّتاجات الخطابيّة الأكبر. وإذ أمكن للجملة أن تكون من أيّ طول، أمكن لها أن تعبّر عن أيّ عدد من الأفكار الكاملة.

[27]- هل يمكن أن يُكتَب مضمون الهامش [26] في جملة واحدة أو في جملتين؟

[28]- للتّوضيح، انظر الأمثلة الواردة في (16) وفي (17) من الفصل 12.

[29]- يمكن لتنظيم كسوريّ شبيه بذلك يشتمل على عمليّات مفهمة مضمَّنة في مستويات عليا متتابعة، أن يوجَد في مضمون مادّيّ لعبارة ما: [*Sharon claims that his mother believes that he likes it* "شارون يدّعي أنّ أمّه تعتقد أنّه يحبّ ذلك"].

[30]- تناسب أنواع الحفظ الذّاكريّ هذه، بصفة تقريبيّة على الأقلّ، المفاهيمَ الجارية في علم النّفس: الذّاكرة قصيرة المدى، والذّاكرة العاملة، والذّاكرة طويلة المدى (بارصالو 1992).

[31]- لا يعني ذلك القول إنّ بناء البنية يبدأ من العدم؛ بل على عكس ذلك، يفترض مسبقا طبقة تحتيّة مفهوميّة شاسعة (§ 13. 2). كلّ ما في الأمر أنّ الخطاب ذاتَه لم يقدِّم شيئا بعدُ.

[32]- بالفعل، يمكن أن يعرف المتكلّم أنّ البنت لا تنوي الرّحيل فعلا وسوف تواصل لقاء أمّها.

[33]- في ما يلي بعض الخيارات الأخرى: [*I saw Jill last night* "قابلت جِل البارحة"]؛ [*Jill stopped by* "زارتنا جِل"]؛ [*Remember Jill?* "تذكر جِل؟"].

[34]- توجد حالات شاذّة، بطبيعة الحال، إذ التّعامل هنا جار مع نزعات لا مع قواعد متكلّسة. ليست أنواع الأفضليّة المتجسّدة في المبادئ المتنوّعة متماسكة دائما، فالغالب أن تلغيها عوامل أخرى.

[35]– سنرى في الفصل 14 أنّ هذا الوصف الوظيفيّ للفاعل منسجم إلى حدّ ما مع توصيفه المفهوميّ في النّحو العرفنيّ باعتباره المشارك البؤريّ الرّئيسيّ (أي المنتقل).

[36]– هنـاك تبريرات أخـرى، وخاصّة منها إمكانيّة حذف أيّ إحالـة على المحدث. يكون ذلـك مفيـدا عندما يكـون المحدث غيـر معـروف ([*Several paintings were stolen* "لوحات كثيـرة سُـرِقت"]، أو ممّـا يصعب تخصيصـه ([*Thirty billion burgers are consumed in this country every year* "ثلاثون مليار بورغر تستهلَك في هذا البلد كلّ عام"])، أو ممّا يؤلم البوحُ به ([*I'm afraid your favorite cup was dropped and got broken* "أنا آسف أنّ كوبك المفضّل أسقِط وكسِر"]).

[37]– لـمَ كانـت (26) (ب) موفّقـة، إذن، رغم أنّ المركّب الجُمَلـيّ الثّاني ([*its mane was magnificent*]) يقـدِّم مشـاركا جديـدا (هو اللّبدة) فـي وظيفة فاعل للصّفة؟ يكون ذلك لسـبب رئيسيّ يتمثّل في أنّ اللّبدة ليست جديدة تمام الجدّة على الخطاب. فذِكر الأسد يوحي بوجود اللّبـدة (تمامـا كما يوحـي ذكر المطبخ بوجـود المنضدة). فيكـون الاهتداء بذلـك إلى اللّبدة سهلا، وخاصّة بواسطة الرّابط الّذي يوفّره ضميرُ الملكيّة [*its*].

[38]– لاحظ، على سبيل المثال، أنّ [*there*] ترد بعد الفعل المساعد الأوّل في أبنية الاستفهام: [*Was there a lion in the clearing?* "هل كان هناك أسد في البراح؟"]. ويمثّل الفعلُ الوارد فـي صيغـة الجمـع في جمل من قبيـل [*There were lions in the clearing* "كانت هناك أسـود في البراح"]، إشـارةً واحدة من كثير إلى أنّ تصريف الفعل حسب الشّخص والعدد تخصيصٌ دلاليّ مستقلّ، بدل أن يكون "مطابقة" للفاعل تجري بصفة ميكانيكيّة (ريد 1991).

[39]– عند الضّرورة، تعبِّر هذه اللّغات بصفة عامّة عن التّعريف بواسطة عنصر إشاريّ، وعن التّنكير بواسطة اسم العدد 'واحد(ة)'.

[40]– للتّبسـيط، يعرض الرّسـمُ التّخطيطيُّ الإسـمائيَّ وهو ينطبق بصفة مستقلّة. في العادة، وجـب أن يكـون ذلـكَ جزءا مـن المركّب الجُمَلـيّ الّذي يشـتمل عليه (مثـل، [*The bear is growling* "الدّبّ يزأر"]).

14. التّعامل مع العالَم

تساءل بعضهم في ما إذا كان من الممكن لمقاربة "عرفنيّة" للّغة أن تشمل وظيفتَها الاجتماعيّة (من حيث هي وسيلة للتّفاعل) أو وظيفتَها المرجعيّة (من حيث هي وسيلة في وصف العالم). ولا أساس لهاتين المسألتين. فهما تنبعان من فكرة خاطئة مدارها أنّ ما يجري داخل الجمجمة منفصل عن كلّ شيء خارجها، بما في ذلك أذهان النّاس الآخرين. ولكنّ الأمر ليس كذلك ببساطة. إنّما العرفنة، بحكم كونها ماثلة في نشاط الدّماغ، جارية بالفعل في داخل الجمجمة. لكنّ الدّماغ مركز لنظام عصبيّ ينتشر في جميع الأنحاء من الجسد، مرتبطا بالأعضاء الحسّيّة والحركيّة الّتي ندرك العالم من خلالها ونفعل فيه. وليس نشاط الدّماغ معزولا عن الأذهان الأخرى. فمن مظاهر العرفنة الأساسيّة وَعيُنا بسائر الأفراد ومعرفتُنا كذلك بأنّهم ذوات معرفنة. فنحن بارعون إلى حدّ ما في قراءة نواياهم، وكذلك في تخيّل طبيعة تجاربهم الذّهنيّة. وبذلك تكون العرفنة، وهي أبعد ما يكون عن الانعزال عن العالم وعن النّاس الآخرين فيه، وسيلتَنا الرّئيسيّة في التّعامل معهم.

في هذا الفصل الختاميّ، أعالج خصيصتين للعرفنة مترابطتين كلتاهما أساسيّة في فهم النّحو. أولاهما هي التّسلسل التّتابعيّ في الزّمن. فالعرفنة، تماما مثل النّشاط العصبيّ، تجري خلال الزّمن بالضّرورة. وبالتّحديد، تكون الكيفيّة الّتي يحدث بها ذلك - أي مجرى الزّمن التّصوّريّ- مهمّة جدّا في الغالب. والخصيصة الأساسيّة الثّانية هي أنّ العرفنة تتكوّن من عمليّات أوسع بكثير من مجرّد التّفاعلات الحسّيّة والحركيّة. فما يحدث في الدّوائر الاجتماعيّة والثّقافيّة والتّخيّليّة أمر واقع ومهمّ عندنا تماما مثل المجريات المادّيّة. وفوق جميع ذلك، لا ننشغل فقط بالواقع الفوريّ المباشر. فنحن نتعامل مع العالَم، بالإضافة إلى ذلك، من خلال التّذكّر والاستباق والتّوقّع والتّعميم والتّفكير في البدائل. هذه الظّواهر متعالية عن التّجربة الجسديّة الفوريّة، بحكم أنّها تهمّ الكثير من الأنواع والمستويات في البناء الذّهنيّ. ولكن يتبيّن أنّها متجذّرة كذلك في تلك التّجربة الجسديّة.

1.14 الحركيّة

تكون المفهمة- بما في ذلك إنشاط المفاهيم القائمة- بحكم جريانها خلال الزّمن، حركيّةً بطبيعتها. ففي الحالات الّتي تتضمّن أيَّ درجة من درجات التّركّب، تُنشَط الوجوهُ المختلفة من التّصوّر الكلّيّ عند كلّ لحظة من اللّحظات المتتابعة. وسواء آل ذلك إلى إنشاطِها جميعا بالتّزامن أو لم يؤُل، فإنّ تسلسل الإنشاط في الحالتين جزء من التّجربة الذّهنيّة الشّاملة. فهي متسلسلة حتّى إذا ما كان سلّم الزّمن الّذي تجري فيه على غاية من الصّغر يكون فيه دوامها دون عتبة الإدراك الواعي.[1]

1.1.14 مسالك الاهتداء الذّهنيّ

تقود التّصوّرات بعضها إلى بعض. فإن فكّرتَ في حرف [أ]، يحتمل أن تفكّر في الحرف [ب]. وهذا يسهّل إنشاط الحرف [ج]، وهو بدوره يؤدّي إلى [د]، وهكذا دواليك. فيمكن أن يؤدّي تصوُّرٌ إلى آخر بحكم ترابط قائم بينهما، كما هو الأمر في الأبجديّة، أو بفضل إنشاء الظّروف المهيّئة لانبثاقه، ببساطة. فتَخيُّلُ ظرف مفترَض، على سبيل المثال، يمكّننا من تخيُّلِ ما يُحتمَل أن يحدث بعده: إن ربحتَ في اليانصيب، قد تترك عملك. تنزعَ التّرابطات من هذا القبيل إلى أن تكون غير متناظرة، أي أنّ التّصوّرَ يذهب مباشرة في اتّجاه ما، بسرعة تفوق سرعة ذهابه في الاتّجاه الآخر. فحِفظ الأبجديّة، بوجه يمكنك المرور به خلال السّلسلة من [أ] إلى [ي] مرورا سريعا، لا يعطيك بصفة آليّة القدرةَ على استعراضها بسلاسة في الاتّجاه المعاكس. ولكنّه يوفّر بالفعل وسيلة بها نتبيّن التّسلسل العكسيّ رغم ذلك. فلكي أحدّد ما "يلحق" حرف [ت] في التّرتيب العكسيّ، على سبيل المثال، يمكنني أن أعرض المجموعة الّتي تتضمّنه (... ق > ر > ش > ت...) فألاحظ بذلك أنّ الحرف المجاور له هو [ش].

تسمّى السّلسلة من التّصوّرات الّتي يؤدّي فيها الواحد مباشرَة إلى الموالي مسلكا طبيعيّا. وينهض عدد كبير من المسالك الطّبيعيّة بدور مهمّ في البنية اللّغويّة. يتمثّل واحد من أبرزها في التّرتيب في الذّكر الّذي يكون فيه إنتاجُ الكلمات أو ظهورُها وفق تسلسل معيّن. ويتمثّل آخَر في سلسلة من علاقات البلورة - يعني سلسلة من العناصر الّتي يحتوي كلّ واحد منها على موقع بلورةٍ خطاطيٍّ يخصِّصه العنصر اللاّحق عليه. ومن ذلك، سلسلة المركّباتَ

الجُمَليّـة المتمّمة كما يرد في (1) حيث تشـتغل معالـمُ المركّبات الجُمَليّة مواقعَ للبلورة (الرّسم البيانيّ 12. 4).

(1) [*Alice said*] [*that Bill believes*] [*that Cindy claims*] [*that Doris swallowed a spider*].
[قالت آليس] [إنّ بِل يعتقد] [أنّ سيندي تدّعي] [أنّ دوريس ابتلعت عنكبوتا].

تندرج في المسالك المذكورة قُبيل هذا العبارةُ اللّغويّة في ذاتها. وتكون مسـالك أخرى كامنة فـي التّصوّر الّتي جـرى التّعبير عنه. وفي المسـتوى المفهوميّ، يوجد مسـلكان طبيعيّان أساسـيّان - متعالقان تعالقا شـديدا في تجربتنا- هما التّرتيب في الحدوث (حيث [س] يسبق [ص]) وسلسلة المسبّبيّة (حيث [س] يسـبّب [ص]). ومن المسـالك الأساسـيّة كذلك مسـالك تتكوّن من سلسـلة من علاقاتِ الكلّ بالجزء، من قبيل: جسد > ذراع > يد > أصبـع > برجمة. فعند كلّ خطوة من هذه السّلسـلة، يمدّنا تصوُّر الكلِّ بالسّـياق (أي المدى المباشـر) سبيلا إلى تَصوّرِ الجزء (الرّسـم البيانيّ 3. 3). وزيادة على ذلك، يمثّل كلّ نوع من السّـلّم (مثل الثّمن، أو الوزن، أو درجة الحرارة) مسلكا طبيعيّا يتحدّد بقيَمِه المتتابعة.

فالأصل الّذي يكون لمسـلك طبيعيّ هو نقطـة البداية فيه. وينبغي أن لا نفاجَأ بـأن تكون نقطةُ البداية المتصوَّرَ (C)، في الغالب، أو شـيئا يهتدِي إليه المتصـوِّرُ اهتـداء ذهنيّا فوريّا. والمتصـوَّر المطلق (C_0) هـو المتكلِّم الحاليّ الّذي يُشَـدُّ إليه عدد من المسالك المفيدة لغويّا. ومن هذه المسالك سلسلة المتصوّرين (متصوِّر$_0$ > متصوّر$_1$ > متصوّر$_2$ > متصوِّر$_3$ ...)، الّذين يدرك كلّ واحد مِنهم اللاّحقَ عليـه ويحاكي تجرِبتَه الذّهنية بوجه من الوجوه. ولنا هذه السّلسلة في العبارة (1): المتكلّم (S) > آليس > بِل > سيندي > دوريس. يمثّل مسلك من هذا النّوع كذلك مسلكا في الاهتداء الذّهنيّ إلى أفضية ذهنيّة يندرج الواحد منها في الآخر. فنقطة البداية هي تَصوُّر المتكلّم للواقع. وتندرج فيها تباعا الأفضية الّتي تمثّل مضمونَ عبارة آليس، واعتقادَ بِل، وادّعاءَ سـيندي (انظر الرّسـم البيانيّ 12. 4). ومن المسـالك الأخرى ما يناسـب "المسـافة" انطلاقـا من المتكلّم في مختلـف الأبعاد: المتكلّم > السّـامع > الآخرون؛ إنسـان > حيّ > جماد؛ حسّـي > مجرّد؛ واقعيّ > افتراضـيّ؛ معطى > جديد. هي مسـالك تعكس منزلةَ المتكلّم الخاصّة من حيث هو المتصوِّر البدئيّ، ومن حيث هو شخص حقيقيّ يكون دائما قابلا لأن يُهتدَى إليه في الخطاب.

فنقـاط البداية تنزع إلى التّطابق والمسـالكُ الطّبيعيّة تنزع إلى التّعالق. في العبـارة الواردة في (1)، تتصافّ أربعة مسـالك طبيعيّة علـى الأقلّ: التّرتيب فـي الذّكر؛ وتتابع البلورة؛ وسَلسَـلة المُتصوِّرين؛ وانـدراج الأفضية الذّهنيّة اندراجـا تتابعيّا. وبالإضافـة إلى ذلك، تبدأ جميع تلك المسـالك بآليس (بعبـارة مجازيّة): هي المذكورة أوّلا، ويوفّر المركّب الجُمَليّ الّذي وردت فيـه موقعَ البلورة الأوّل، وهي المتصـوّر الأوّل الماثل على الرّكح، والفضاء الذّهنـيّ الّذي عندها هو الأوّل فـي التّقديم.[2] ينزع ترتيـب الكلم، بحكم كونه ظاهـرا ودائم الحضور، إلى التّعالق مع الكثير من مسـالك الاهتداء الذّهنيّ. والتَّصَافُّ بين المسـالك يسـهّل المعالجة الذّهنيّة. وبذلك تكون العبـارة الـواردة في (2) (أ) الّتي يناسـب فيهـا ترتيبُ الوحـدات الدّالّة على المواضع مسـلكا طبيعيّا في البحث، أسـهلَ في المعالجة من العبارة الواردة في (2) (ب) الّتي يكون فيها ترتيبُ تلك الوحدات عشـوائيّا. وفي العبارات من (3) إلى (5)، يكون دفق الكلام في الأمثلة (أ) منها أكثر سلاسة منه في الأمثلة (ب) منها لأنّ التّرتيب في الذّكر يتّبع ترتيبا طبيعيّا.

(2) (أ) *The article is in today's paper, in the sports section, on the last page, near the bottom.*

المقـال موجود في جريدة اليوم، في قسـم الرّياضة، في الصّفحة الأخيرة، قريبا من أسفل الصّفحة.

(ب) *??The article is in the sports section, near the bottom, in today's paper, on the last page.*

؟؟ المقال موجود في قسم الرّياضة، قريبا من أسفل الصّفحة، في جريدة اليوم، في الصّفحة الأخيرة.

(3) (أ) *The distance from San Diego to Los Angeles is about 120 miles.*

المسافة من سان ديغو إلى لوس أنجوليس 120 ميلا تقريبا.

(ب) *?The distance to Los Angeles from San Diego is about 120 miles.*

؟ المسافة إلى لوس أنجوليس من سان ديغو 120 ميلا تقريبا.

(4) (أ) *The rainy season begins in January and ends in March.*

فصل الأمطار يبدأ من جانفي وينتهي في مارس.

(ب) *??The rainy season ends in March and begins in January.*

؟؟ فصل الأمطار ينتهي في مارس ويبدأ في جانفي.

(5) (أ) *In the evening stores are open between 7 and 10.*
في المساء، تفتح المحلاّت التّجاريّة أبوابها بين 7 و10.
(ب) *?*In the evening stores are open between 10 and 7.*
؟ *في المساء تفتح المحلاّت التّجاريّة أبوابها بين 10 و7.

يمكن أن نفترض بشكل معقول أنّ كلّ تصوُّر للتّرتيب أو للاتّجاهيّة يتطلّب السَّلسَليّة في مستوى ما من المعالجة العرفنيّة. وبذلك تكون الحاجة إلى مجهود إضافيّ في المعالجة الذّهنيّة عندما يتضمّن تصوُّرٌ ما مسالك طبيعيّةً تتطلّب أن يتّبِع الاهتداءُ الذّهنيّ إلى نفس العناصرِ التّسلسلَ العكسيّ فيها. انظر في العبارة الواردة في (3) (ب)، حيث تفرض [*from* "من"] و[*to* "إلى"] انبناء اتّجاهيّا. فنحن نتمثّل الاتّجاهيّة فيها بأن نَخُطّ مسلكا ذهنيّا ذاهبا من سان ديغو إلى لوس أنجوليس - ونهتدي إلى المدينتين في مستوى من مستويات المعالجة، على هذا التّرتيب. ولكنّ التّرتيب في الذّكر يقودنا إلى استدعائهما في التّسلسل العكسيّ: [*to Los Angeles from San Diego* "إلى لوس أنجوليس من سان ديغو"]. فللإمساك بمضمون هذه العبارة، وجب أن نُعيد تصوُّر المسلك تبعا لذلك (§ 3. 4. 2)، بأن نبنيه وفق الطّريقة الّتي يخصّصها الحرفان [*from* "من"] و[*to* "إلى"].

لِتصوُّر السّلّم اتّجاهيّة كامنة فيه، يجري رسمها في العادة في شكل سهم. فالصّفة غير الاتّجاهيّة من قبيل [*long* "طويل"]، أو [*heavy* "ثقيل"]، أو [*angry* "غاضب"]، أو [*intelligent* "ذكيّ"]، تدلّ على المدى الّذي يبلغه المنتقِل في إظهار خصيصة محدِّدة. فالأصل في سلّم ما - أي نقطة البداية فيه- يناسب انعدامَ كلّ شيء جديرٍ بالملاحظة: سواء تعلّق الأمر بقيمة مطلقة أو بغياب الخصيصة غيابا تامّا.[3] وبذلك تشكِّل القيَم المتعاقبةُ في السّلّم من حيث مثّلت درجات في الابتعاد عن ذلك الخطّ القاعديّ، مسلكا طبيعيّا في الاهتداء الذّهنيّ. ورغم أنّ لنا القدرةَ على التّنقّل على امتداد سلّم في أيّ واحد من الاتّجاهات، هناك ميل من هذا المسح إلى احترام الاتّجاهيّة الكامنة في ذلك السّلّم. هب أنّنا نريد أن نصف الذّكاء النّسبيّ عند شخصين. فإن تساويا في البروز الخطابيّ (أي لا أحد منهما يكون مِحورا حاليّا فيه)، قد نميل إلى القول إنّ [*X is more intelligent than Y* "س أذكى (/أكثر ذكاء) من ص"]، عوضا عن العبارة الّتي تعادلها منطقيّا [*Y is less intelligent than X* "[ص] أقلّ

ذكاء من [س]"]. والسّبب في ذلك أنّ [*more* "أكثر"] تقدح المسحَ الّذي يطابق الاتّجاهيّةَ في السّلّم، في حين يجري المسح الّذي تقدحه [*less* "أقلّ/ دون"] على عكس ذلك.

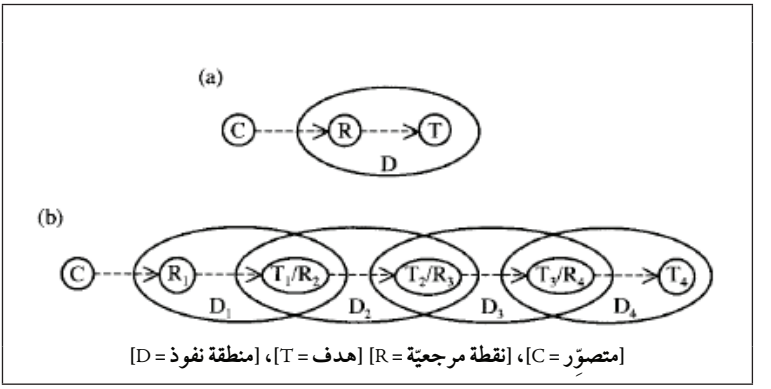
ينبثق الميل إلى التّصافّ، بشكل واضح نوعا ما، عندما تتصوَّر المقارنة تصوّرا استعاريّا على أساس التّنقّل. فيمكن أن نقول إنّ [*X surpasses Y in intelligence* "[س] يفوق [ص] في الذّكاء"]، أو إنّ [*X is beyond Y in intelligence* "[س] يتجاوز [ص] في الذّكاء"]، حيث يتنقّل [س] على امتداد سلّم في اتّجاه إيجابيّ. ولكنّنا لا نجد عبارات تتضمّن التّنقّل في الاتّجاه العكسيّ (مثل [*Y subpasses X in intelligence* *"*[ص] يتخلّف عن [س] في الذّكاء"])،[4] ومن العبارات البديلة في ذلك ما يكون فيه [ص] المتنقّلَ - أعني [*Y falls short of X in intelligence* "يقصر [ص] عن [س] في الذّكاء"]. ورغم ذلك، يتنقّل [ص]، هنا، في الاتّجاه الإيجابيّ، من حيث ينبني انبناء استعاريّا على أنّه قذيفة تفشل في بلوغ هدفها. وفي عبارة بديلة أخرى، يتصوَّر كلّ من [س] و[ص]، على أنّهما يتنقّلان، فيمكن لأيّ واحد منهما أن يشتغل فاعلا للجملة: [*X is ahead of Y in intelligence* "[س] يتقدّم على [ص] في الذّكاء"]؛ [*Y is behind X in intelligence* "[ص] يتخلّف عن [س] في الذّكاء"]. في هذه الحالة، يكون تنقّل كلّ من [س] و[ص] موافقا للاتّجاهيّة الكامنة في السّلّم.

تنعكس نجاعة المعالجة المتحقّقة بتصفيف المسالك الطّبيعيّة، في المظهر اللّغويّ بطرق مختلفة. فأقلُّ هذه النّتائج أن تكون عبارة لغويّة مُفضَّلةً، نوعا ما، عن أخرى (مثل [*X is more intelligent than Y* › *Y is less intelligent than X* "[س] أذكى من [ص] > [ص] أقلّ ذكاء من [س]"]. وفي أفظع الحالات، يؤُول عدم التّصافّ إلى نقص في درجة المقبوليّة، كما تبيِّنه الأمثلة (ب) الواردة في العبارات من (3) إلى (5). وتنزع نجاعة المعالجة الذّهنيّة كذلك إلى التّعالُق مع النّجاعة في التّشفير: يعني ذلك ورودها في أشكال لغويّة أبسط. فليس من قبيل الصّدفة، مثلا، أن تتناوب [*more*] مع اللاّحقة الصّرفيّة [*-er*] (كما في [*longer* "أطول"]، و[*brighter* "أذكى"]، و[*easier* "أسهل"]، إلخ)، والحال أنّ [*less*] غير ذات بديل مختزَل. وبالمثل، تكون بنية المعلوم ([*X broke Y* "[س] كسَر [ص]"]) من ناحية شكليّة أسهلَ من بنية المجهول ([*Y was broken by X* "[ص] كُسِر من قبل [س]"]) الّتي يجري فيها التّرتيب في الذّكر ([ص] > [س]) على عكس سلسلة العمل ([س] ⇐ [ص]). وبالتّصافّ بين المسالك

الطّبيعيّة، يمكن أن تتحقّق النّجاعة في التّشفير كذلك من خلال التّعويل على الأيقونيّة تعويلا أكبر. فالعبارة في (6) (أ)، على سبيل المثال، تشجّع بقوّة على أن نستنتج أنّ الأحداث قد جرت على التّرتيب المذكور. وإن كان التّرتيب المعاكس مقصودا، وجب أن يُجعَل صريحا، فتكون لذلك (6) (ب) أكثر تعقيدا.

(6) (أ) *She criticized him. He went to his room and kicked his dog.*
(هي) انتقدته. فذهب إلى غرفته وركل كلبه.
(ب) *She criticized him. He had gone to his room after kicking his dog.*
(هي) انتقدته. فكان قد ذهب إلى غرفته بعد ركلِ كلبه.

مسالك الاهتداء كثيرة ومتنوّعة ومهمَّة لغويّا. فعندما تكون عناصر مسلك ما متفاصلة وذات قدر من البروز، يمكن أن توصَف بأنّها سلسلة من علاقات النّقطة المرجعيّة. تتكوّن علاقة النّقطة المرجعيّة، كما ترسَم في الرّسم البيانيّ 14. 1 (a)، من التّدرّج الذّهنيّ من نقطة مرجعيّة (R)، إلى هدَف (T) يُهتدَى إليه من خلالها. وتكوّن مجموعةُ الوحدات الّتي يمكن الاهتداء إليها عبر النّقطة المرجعيّة (R) (وكلّ واحدة منها هدف إمكانيّ)، منطقةَ نفوذِ (D) تلك النّقطة. يعرض الرّسم البيانيّ 14. 1 (b) سلسلة من هذه العلاقات، الّتي يشتغل فيها كلّ هدف مُوَالٍ (T_i) بدوره النّقطةَ المرجعيّة الموالية (R_{i+1}).



الرّسم البيانيّ 14. 1

علاقات النّقطة المرجعيّة من حيث كانت مسألة اهتداء ذهنيّ تتابعيّ، حركيّة في صميمها ولكنّها غير ذلت مضمون ذاتيّ. فهي تمثّل مظهرا عامّا في الانتظام المفهوميّ الّذي يتبيّن أنّه ضروريّ للتّوصيف الدّلاليّ لبعض الظّواهر اللّغويّة الأساسيّة. ومن تلك المظاهر، المجازُ المرسَل الّذي يوفّر فيه

مرجـعُ العبارة المعهودُ الاهتداءَ الذّهنيَّ إلى الوحـدة الّتي تنبني تلك العبارة دالّةً عليها بالفعل. ففي (7) مثلا، لا تحيل [فيتنام] على البلد في ذاته، بل تحيل عوضا عن ذلك على الحرب الّتي دارت هناك. يقتضي الانسـجام أن يعيِّن لفظ الفاعل حدَثا، ومعرفة التّاريخ القريب تترك مجالا ضئيلا للشكّ في أيّ الأحداث هو المقصود. وبحكم التّرابط المتين بين الحرب والبلد، تَستحضِر تسميةُ البلد الحربَ في الذّهن استحضارا فوريّا.[5]

(7) *Vietnam marked a turning point in American history*.
أحدثت فيتنام نقطة تحوّل في التّاريخ الأمريكيّ.

توجـد علاقات النّقطـة المرجعيّة كذلـك في الأسـماء المركّبة الّتي يتوالف فيها اسمان لتكوين عبارة مركّبة تكون بدورها اسما: [*jar lid* "غطاء الإناء"]، [*basketball net* "شـبكة كرة السّلّة"]، [*sheep dog* "الكلب الرّاعي"]، [*baseball glove* "قفّاز كرة البيسـبول"]، [*bicycle seat* "كرسـيّ الدّرّاجة"]، [*axe handle* "مقبض الفـأس"]، [*window shade* "ظلّ النّافذة"]، [*fishing pole* "قصبة صيد السّـمك"]، [*book cover* "غـلاف الكتـاب"]، [*fingernail* "ظفـر أصبع اليد"]، [*trout stream* "جدول سـمك السّـلمون المرقّط"]، [*pencil sharpener* "مبراة أقلام الرّصاص"]، [*tomato worm* "دودة الطّماطم"]، [*tree root* "جذر الشّـجرة"]، [*wine bottle* "قارورة الخمر"]، إلخ. يتمثّل القالب الأساسـيُّ في أن يسـتحضِر الاسم الأوّل مجموعة من المعارِف يؤوَّل الاسم الثّاني في ضوئها. فهناك أنواعٌ كثيرة من الشِّباك، مثلا، ولكن لا يكون الاهتداء عبر كلمة كرة السّلّة إلاّ إلى نوع واحد منها. فبحكم هذا التّرابط، تفهَم كلمة [شبكة كرة السّلّة] بأنّها تحيل على شـبكة من هذا النّوع (مقابل شـبكة صيد السّـمك، أو شبكة (صيد) الفَراش، أو شـبكة البعوض، أو شـبكة الشَّـعر). يقـوم التّأويل، في العادة، على أسـاس السّيناريوهات المألوفة. فعبارة [*sheep dog* "كلب الرّاعي"] تعني مـا تعني، بحكم المنوال الثّقافيّ الّذي ترعى فيه الكلاب قطعانَ الغنم - وقد تدلّ على شـيء مختلف لو أنّ المنوال النّموذجيّ تضمّن كلابا وديعة مثل الأغنام أو آكلةً للأغنام. وبطبيعة الحال، يمكن للكلمات المركّبة أن تَشـتَقّ معناها من السّياق أو من أيّ وضعيّة يمكننا تخيّلها مهما كانت درجة الغرابة فيها. ولذلك يمكن لكلمة مركّبة أن تُؤوَّل بطرق مختلفة. فكلمة [*airplane diaper* "حفّاظـة الطّائرة"] يحتمل أن تُفهَم بأنّها حفّاظة على متن الطّائرة

لإسعاف الأطفال، ويحتمل كذلك أن تكون جارية على قطعة هائلة من القماش تُلَفّ حول الطّائرة لتمتصّ البنزين المتسرّب منها.

14.1.2 الملكيّة

تمثّل علاقات النّقطة المرجعيّة مفتاحا لفهم ظاهرة لغويّة تعرف بالملكيّة. فما (يمكن أن تسأل عنه) هو معنى واسم الملكيّة في الإنجليزيّة [*s*']، أو ما هو مضمون واحدة من أبنية الملكيّة مثل [*Zelda's quilt* "لحاف زيلدا"]؟ تشمل الملكيّة، رغم ما يوحي به المصطلح، قدرا كبيرا من العلاقات يتجاوز الحيازة أو التّملّك. وهذان المعنيان طرازيّان في أحسن الحالات، جنبا إلى جنب مع العلاقات الأسريّة وعلاقة الكلّ بالجزء ([*my sister* "أختي"]، [*the rat's tail* "ذيل الجرذ"]. وبالفعل، تُستَعمَل عبارات الملكيّة للتّعبير عن مجموعة من العلاقات المتنوّعة إلى أقصى حدّ: [*Zelda's drink* "شراب زيلدا"]، [*the kitten's fleas* "برغوث القطيط"]، [*our bus* "حافلتنا"]، [*her trial* «محاكمتها»]، [*the store's location* "موضع المتجر"]، [*my headache* "ألم رأسي"]، [*Sean's attitude* "موقف شون"]، [*their average intelligence* "معدّل ذكائهم"]، [*the diamond's value* "قيمة الماسة"]، [*his predicament* "وَرْطَته"]، [*the year's top story* "قصّة العام الأكثر شهرة"]، [*the photo's glossy finish* "لمسة تلميع الصّورة"]، [*our existence* "وجودنا"]، [*the bullet's trajectory* "مسار الرّصاصة"]، [*Lincoln's assassination* "اغتيال لينكولن"]، وما إلى ذلك. ولذلك يصعب أن يقوم توصيف عامٌّ للملكيّة على أساس المضمون المفهوميّ. ففيم تشترك عبارات الملكيّة جميعها، إذن؟ تشير اعتبارات متنوّعة إلى أنّ السّمة المشتركة بينها هي علاقة النّقطة المرجعيّة (لانقاكر 1995؛ تايلور 1996؛ لانقاكر 1999a: الفصل 6). يتمثّل وصف خطاطيّ، صالح لجميع العيّنات، ببساطة في أنّ المالك يشتغل نقطةً مرجعيّة توفّر الاهتداءَ الذّهنيّ إلى الشّيء المملوك، أي هدف تلك النّقطة المرجعيّة.

كما لاحظنا في ما سبق (§ 3.4.2)، يكون توصيفُ نقطة مرجعيّة تجريديّا إلى حدّ كاف ليستوعب مجموعة العبارات الدّالّة على الملكيّة بتمامها. بما أنّه لا يخصّص أيّ مضمون بعينه، يكون ملائما لكلّ ما يُتصوَّر من أنواع العلاقة بين المالك والمملوك. ولكنّ هناك حدودا أيضا، وهذه الحدود يستوعبها هذا التّوصيف كذلك. فعلاقات الملكيّة لا تقبل الانعكاس، في القسم الأعظم منها؛ فلا يمكن أن نقول، مثلا، [*the quilt's Zelda* "*زيلدا اللّحاف»]، أو [*the tail's rat* "*جرذ الذّيل»]، أو [*the value's diamond* "*ماسة

القيمة»]، أو [*the trajectory's bullet* ✻"*رصاصة المسار»]. يدلّ عدم القابليّة للانعكاس على عدم التّناظر الكامن في علاقات النّقطة المرجعيّة - يقود مسلك الاهتداء الذّهنيّ من النّقطة المرجعيّة إلى الهدف بدل أن يكون في الاتّجاه المقابل. فاتّجاه الاهتداء الذّهنيّ يتعالق مع بعض المسالك الطّبيعيّة، بما في ذلك الكلّ < الجزء، الحسّيّ < المجرّد، والإنسان < الحيّ < الجماد. وإن تكافأت وحدتان من هذه المداخل، يمكن لكلتيهما أن تشتغل مالكا، كما في [*the doctor's lawyer* "محامي الطّبيب"] و[*the lawyer's doctor* "طبيب المحامي"].[6]

في مقاربة قائمة على الاستعمال، لا يقوم الوصف الخطاطيّ لأبنية الملكيّة بمفرده. فالخطاطة تتواجد مع أيّ عدد من التّحقّقات المعهودة الّتي توصَّف في مستويات مختلفة من التّخصيص (بما في ذاك الكثير من العبارات الّتي لها منزلة الوحدة المفردة). وفي إطار مجموعة الاستعمالات الرّاسخة هذه، يكون لبعضها مؤهَّل جيّد لتكون طرازيّة، منها علاقات الحيازة، وعلاقات القرابة، وعلاقات الكلّ بالجزء.[7] فهذه جميعها أمثلة واضحة من انتظام النّقطة المرجعيّة. تستدعي أسماء القرابة، بحكم طبيعتها المركوزة فيها، شخصا مرجعيّا (انظر الرّسم البيانيّ 3. 6)- فالمرء لا يكون أختا، أو حفيدا، أو عمّة أو خالة، في المطلق وإنّما يكون كذلك في علاقته بشخص معيّن. وكذا الجزء، لا يُدرَك من حيث هو جزء إلاّ في علاقته بكلّ أكبر (الرّسم البيانيّ 3. 2). ورغم أنّنا يمكن أن نتعرّف على ذيل بصفة معزولة، فإنّنا لا نحدّده على أنّه ذيل إلاّ باستدعاء موقعه في التّشكّل العامّ لجسد ما. وفي حال الحيازة، يعكس انتظام النّقطة المرجعيّة البروزَ العرفنيّ للكائنات البشريّة إزاء الكائنات غير البشريّة، ويعكس كذلك المنوالَ الثّقافيَّ الّذي به يحوز أيّ شخص مجموعة من الأشياء أو يتحكّم فيها أو يكون له امتياز التّصرّف فيها دون غيره (وذاك ما نسمّيه «ممتلكات»). ولكنّ عدد النّاس أقلُّ بكثير من عدد الممتلكات، والأرجح أنّنا نعرفهم فردا فردا. ولذلك يكون تحديد الممتلكات بالرّجوع إلى مالكيها (لحاف زيلدا) إستراتيجيّةً أنجعَ من عكسها.

تُمثّل أبنية الملكيّة مقترحا نظريّا عامّا في النّحو العرفنيّ (§ 2. 1. 2): أعني أنّ المفاهيم النّحويّة الأساسيّة والكونيّة ذاتُ توصيفات دلاليّة في مستوى الطّراز ومستوى الخطاطة في آن. فممّا يشتغل قيما طرازيّة لها، النّماذجُ

البدئيّة المفهوميّة الّتي تعكس المظاهرَ الأساسيّة في التّجربة اليوميّة (مثل الشّيء المادّيّ، في حالة الأسماء). فالمعاني الخطاطيّة - أي الصّالحة لجميع العيّنات- تتكوّن من القدرات العرفنيّة الأساسيّة الّتي لا تتقيّد بأيّ مضمون مفهوميّ مخصوص (التّجميع والتّشييء، مثلا). وفي البدء تتجلّى هذه القدرات في النّماذج البدئيّة المناسبة لها، موفِّرة بذلك الأساسَ لتمثّلها، ثمّ تتوسّع بعد ذلك إلى حالات أخرى أقلّ مركزيّة.

في الملكيّة، تشتغل النّماذج البدئيّة لعلاقةِ الحيازة، وعلاقةِ القرابة وعلاقةِ الكلّ بالجزء، قيما طرازيّة. توفّر قدرةُ تحديدِ النّقطةِ المرجعيّةِ المعنى الخطاطيَّ. فبفضل هذه القدرة نكون قادرين على تصوّر علاقات الحيازة والقرابة والكلّ بالجزء، في المقام الأوّل- يعني ذلك أنّ علاقة النّقطة المرجعيّة من صميم تصوُّرِها. ولهذه النّماذج البدئيّةِ اتّجاهيّة أساسيّة تشتمل على تدرُّج ذهنيّ من نقطة مرجعيّة (R) إلى هدف (T). فنحن ندرك علاقة قرابة، من قبيل [ابن(ة) العمّ(ة) / الخال(ة)]، بأن نخطّ مسلكا ذهنيّا ينطلق من شخص مرجعيّ، ويمرّ من خلال رباط الأقارب، وينتهي إلى الهدف المعروض بالعبارة: [شخص مرجعيّ]---> [أبَوان] ---> [قريب(ة)] ---> [ابن/بنت (هدف)]. وكذا تَصوُّر جزء يقتضي الاهتداءَ التّتابعيّ إلى مختلف المستويات في سلّميّة الكلّ والجزء، كما في: [جسد (مرجعيّ)]---> [ذراع] ---> [يد] ---> [أصبع] ---> [برجمة (هدف)]. وفي علاقة الحيازة، يتمثّل المفهوم المفتاح في تحكّم المالك في المملوك: [مرجع] ⇐ [هدف]. ويُدرَك عدمُ التّناظر في هذه العلاقة، والاتّجاهيّةُ في دفق التّأثير، من خلال التّسلسل في استحضار المشاركين الّذي به نتصوّر المرجع أوّلا ثمّ الهدف بعد ذلك. وبما أنّ مضمون الواحد منهما مختلف عن مضمون الآخر اختلافا كبيرا، فإنّ ما تشترك فيه النّماذج البدئيّة في المِلكيّة هو بالتّحديد استدعاء المرجع سبيلا للاهتداء ذهنيّا إلى الهدف. وتَنتُج الاستعمالات غير المعهودة لأبنية الملكيّة من انطباق هذه القدرة نفسها على أنواع أخرى من الملابسات.

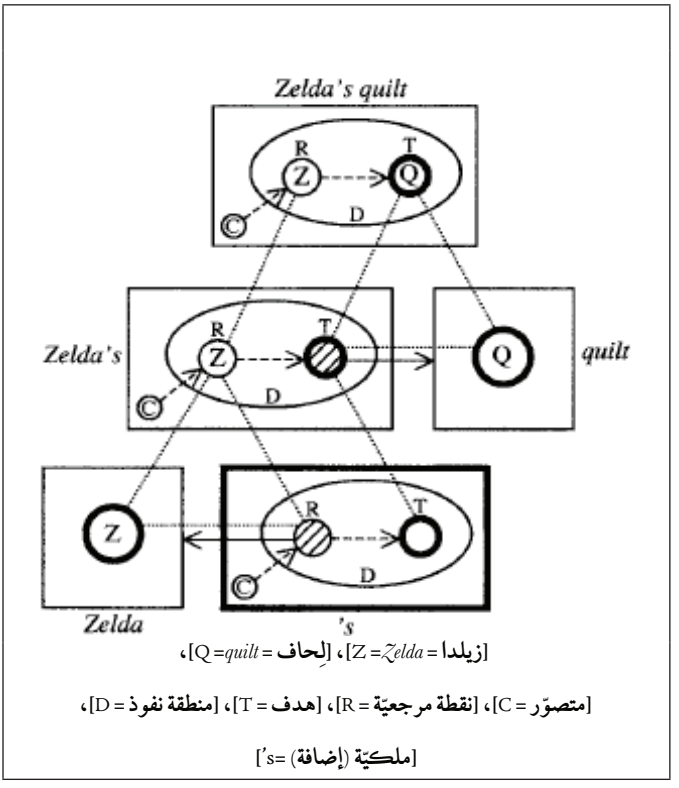
تمثّل علاقات النّقطة المرجعيّة حالة خاصّة من الاهتداء الذّهنيّ التّتابعيّ الّذي يكون فيه المرجع والهدف متفاصلين وبارزين بروزا كافيا ليكون التّعرّف عليهما تعرّفا فرديّا. فهما مستقلاّن عن كلّ ظاهرة لغويّة مخصوصة، بحكم أنّهما يمثّلان مظهرا من مظاهر التّنضيد المفهوميّ. فيمكن أن يُستَغَلاّ لغويّا بطرق مختلفة، تفرض كلّ واحدة منها انبناءها الخاصَّ بها

على المضمون المنضَّد على تلك الشّاكلة. ولذلك لا يذهبنّ الظّنّ إلى أنّ البروزَ الطّبيعيّ في المرجع والهدف يمكن أن يطابق أنواع البروز الّتي تفرضها الأبنية النّحويّة. فعلاقةُ النّقطة المرجعيّة نفسُها يمكن أن تنعكِس في عبارات متعدّدة تشتمل على بدائل من خيارات في العرْض وفي تصفيف المعلم/ المنتقل.

فهناك، مثلا، أبنيةُ مِلكيّةٍ تكون في آن إسمائيّةً ومركّبيّة جُمَليّة، وهي مختلفة من هذه الاعتبارات. وقد ركّزنا إلى هذا الحدّ على أبنية الملكيّة الإسمائيّة، من قبيل [*Zelda's quilt* "لحاف زيلدا"]. والعلاقة نفسها يمكن أن يعبَّر عنها في الغالب في شكل مركّبيّ جُمَليّ: [*Zelda has a quilt* «زيلدا تملك لحافا/ لزيلدا لحاف»].[8] يكمن الفارق الأساسيّ بينهما في أنّ الأوّل يعرض الشّيءَ المملوك، في حين يعيّن الثّاني علاقةَ الملكيّة في ذاتها. والفعل [*have*] ذو معان متعدّدة كثيرا ويَظهر في مجموعة كبيرة من الأبنية (بروغمان 1988). في المركّبات الجُمَليّة البسيطة مثل [*Zelda has a quilt*]، يعرض عمليّةً لاانقضائيّةً ذات مشاركَيْن بؤريّين. تتضمّن مجموعة المعاني الّتي يُظهرها في هذه البنية نماذجَ الملكيّة البدئيّةَ، وتوسيعات الطّراز الثّابتةَ والخطاطات الجارية في مستويات التّجريد المختلفة. وقيمته الأكثر خطاطيّة، خلوا من كلّ مضمون مفهوميّ مخصوص، هي ببساطة قيمةُ علاقة النّقطة المرجعيّة يكون فيها المرجع مبأّرا من حيث هو منتقل، والهدفُ معلما. فيتحدّد هذان العنصران، عند تكوين مركّب جُمَليّ، بإسمائيّين تاميّن وفق ما تمليه بنية الفاعل وبنية المفعول العامّتين.

للملكيّة الإسمائيّة والمركّبيّة الجُمَليّة وظيفتان مختلفتان. تعرض [*Zelda has a quilt*] علاقة ملكيّة، تدرِجها في الخطاب. ومقابل ذلك تفترض [*Zelda's quilt*] مسبقا هذه العلاقة وتستدعيها لتحديد مرجع الإسمائيّ. ووظيفة التّحديد هذه تصف [*Zelda's*]، بكونه عنصرَ تجذير إسمائيّ. ويخصّص الاسم [*quilt*] نوعا لشيء توجَد منه عيّنات كثيرة. ويستحضِر وَاسِم الملكيّة [*'s*] علاقةَ النّقطة المرجعيّة وبصفة أعمّ فكرةَ وجود الكثير من النّقاط المرجعيّة الممكنة لكلّ واحدة منها منطقةُ نفوذ خاصّة بها. وذاك ما يوفّر الأساسَ للتّمييز بين عيّنات نوع من عيّنات نوع آخر: فمن الطّرق الّتي يُفرَد بها لحاف ما، أي يميّز من جميع الأشياء الأخرى من هذا القبيل، أن يُخصَّص بكونه العيّنةَ الجارية في منطقة نفوذ تابعة لشخص بعينه. وبطبيعة الحال، يجب أن يُحدَّد

ذلك الشّخص. وتلك وظيفة الإسمائيّ المالك، هو في هذه الحالة [زيلدا] الّتي تحمل وسمَ الملكيّة. فلحاف زيلدا محدَّد لغايات خطابيّة، بكونه ذاك اللّحاف الّذي يكون قابلا لأن يهتدَى إليه عبر زيلدا (سواء كان ذلك من خلال الحيازة أو من خلال أيّ علاقة أخرى بيّنة في السّياق).



[زيلدا = *Zelda*~ = Z]، **[لِحاف** = *quilt* = Q]،

[متصوّر = C]، **[نقطة مرجعيّة** = R]، **[هدف** = T]، **[منطقة نفوذ** = D]،

[ملكيّة (إضافة) =’s]

الرّسم البيانيّ 14. 2

تعرَض هذه البنية عرضا مختزلا في الرّسم البيانيّ 14. 2. فالأساس المفهوميّ في واسم الملكيّة [’s]، هو علاقة نقطة مرجعيّة. تعرِض [’s]، باعتبارها عنصر تجذير خطاطيّ، الوحدةَ المُجذَّرة أي الهدفَ (T)، لا علاقةَ التّجذير (§ 9. 3. 1). وتشتغل النّقطة المرجعيّة الخطاطيّة موقعَ بلورةٍ عند المستوى الأوّل من التّركيب. وبلورَتُها بكلمة [*Zelda*~] تنتِج عنصرَ التّجذير المخصوصَ [*Zelda’s*~]، الّذي يظلّ فيه الهدف المعروضُ خطاطيّا.[9] وفي المستوى الأعلى من التّنضيد، تبلورِ [*Zelda*~]، الهدفَ (T)، لتخصِّص النّوعَ للعيّنة المجذَّرَة. ويُظهِر الدّمجُ بين

[*Zelda's*] و[*quilt*] خصيصـةً مميّـزة لأبنية التّجذير (الرّسـم البيانيّ 9. 4): بما أنّ معروضيهما يتناسبان، لا أحد منهما يبرز محدِّدا للمعروض.

14. 1. 3 الإحالة الضّميريّة العائديّة

الملكيّـة مثال من علاقـات النّقطة المرجعيّة الّتي تـؤدّي دورا في تحديد مراجع الإسمائيّات. وهي تساعد كذلك على تحديد استعمال أداة التّعريف الّتي تسـتلزم أنّ عيّنة واحدة من النّوع المخصّـص تكون قابلة للاهتداء إليها فـي فضاء الخطـاب الجاري. هي تفعل ذلك بأن توفّـر مدى للتّأويل يكون فيـه لعيّنة معروضة التفرّد السّـياقيّ المطلوب. في (8)، تُـدرِج الجملة الأولى في الخطاب لحافـا وتقيمه محورا للحديث. وبناء علـى ذلك، تؤوَّل الجملةُ الموالية على أساسـها. فاللّحـاف، بوجه خاصّ، يـؤدّي دورَ النّقطة المرجعيّة لتأويل [*the pattern* "القالب"] و[*the colors* "الألوان"]، إذ تمثّل منطقةُ نفوذِه المدى المباشـرَ لتحقيق هذه الغاية. وإذ يكون للّحاف العاديّ قالب واحد ومجموعة واحـدة من الألوان، تكون مراجع الإسـمائيّات العيّنـاتِ الوحيدةَ من تلك الأنواع في هذا المدى.

(8) *I really like* ***Zelda's quilt.*** ***The pattern*** *is neat and* ***the colors*** *are striking*
يعجبني حقّا لحاف زيلدا. القالب أنيق والألوان ساطعة.

تمثّل الإحالة الضّميريّـة العائديّة ظاهرة أخرى من ظواهر النّقطة المرجعيّة، تكون فيهـا النّقطة المرجعيّة المفسّـرَ الإسـمائيَّ ويكون الهـدفُ الضّميرَ. فالهدف يهتدَى إليه ذهنيّا عبر النّقطة المرجعيّة بمعنى أنّ المفسِّـر يحدِّد مرجعَ الضّميـر. ففـي (9)، مثلا، يؤوَّل الضّمير المحايد [*it* "هو (شـيء)"] عبر [*Zelda's quilt* "لحاف زيلدا"]. يؤخذ الضّمير المحايد [*it*]، مثلما أخذت [*the pattern*] و[*the colors*] فـي (8)، علـى أنّه يحيل علـى عنصر من منطقة نفوذ اللّحاف: أي شـيئا يتعلّق باللّحاف (فيكون بذلك قابلا لأن يهتدى إليه ذهنيّا عبره). تتمثّل السّمة الخاصّـة بالضّمير في أنّ هذا العنصر يحدَّد بكونه النّقطة المرجعيّة في ذاتها – أي لجميـع العناصر الماثلة في منطقة نفـوذه، إذ النّقطة المرجعيّة في ذاتها هي أسهل ما يكون الاهتداء إليه ذهنيّا. وبذلك يؤخذ الضّمير [*it*]، باعتبار [*Zelda's quilt*] المفسّرَ الإسمائيّ، على أنّه محيل على اللّحاف. فيُعتبَران متقارنين إحاليّا.

(9) ***Zelda's quilt*** *is beautiful. Everyone likes* ***it.***
لحاف زيلدا جميل. كلّ واحد معجب به.

تنزع النّقطة المرجعيّة إلى الاشتغال على هذا الوجه من نواح متعدّدة، تتعلّق بمظاهـر مختلفة من الانتظام اللّغويّ. ففي (8) و(9)، تمكّنُنا النّقطة المرجعيّة مـن الاهتـداء إلى الهدف مـن حيث المضمـون والعبارة فـي آن. فمن حيث المضمـون، تضمّ منطقةُ نفوذِ النّقطـةِ المرجعيّةِ، الوحدات الّتـي ترتبط ذهنيّا بتلك النّقطة المرجعيّة من خلال المعرفة القائمة أو من خلال وضعيّة متصوَّرة تكون تلك الوحدات ماثلة فيهـا. فمعرفتنا العامّة بالألحفة تجعل عبارة من قبيـل [*Zelda's quilt* "لحـاف زيلدا"] تثير في أذهاننا بشـكل أوّليّ التّفكيرَ في قالبه وفي ألوانه، دون أن ننسـى اللّحاف في ذاته. وفي مسـتوى العبارة، تتمثّل منطقـة نفوذ النّقطة المرجعيّة في جزءٍ مـن الخطاب الحاليّ تكون فيه النّقطة المرجعيّة بارزة بروزا كافيا لتفرض نفسـها أساسا يقوم عليه التّأويل. نرى في (8) و(9) أنّ للإسـمائيّ الواحد في جملة ما، القدرة على ممارسة تأثيره خلال الجملة الموالية على الأقلّ.

وأمّـا في مـا يتعلّق بالإحالة الضّميريّـة العائديّة، فيمثّل امتـدادُ منطقةِ نفوذِ النّقطةِ المرجعيّة مشكلا كلاسيكيّا على درجة كبيرة من التّعقّد (لانقاكر 1969؛ راينهـارت 1983). ولا يمكننـا هنـا أن نعرض الحـلّ المقترح لها في النّحـو العرفنيّ (فان هـوك 1995، 1997) إلاّ عرضا مقتضبـا. وبصفة عامّة، يتعلّق احتمال اسـتدعاء الإسمائيّ ليكون نقطة مرجعيّة بدرجةِ بروزه، ويتعلّق احتمـال انتماء عنصر ما إلى منطقة نفـوذ تلك النّقطة المرجعيّة بمدى القرب في ترابطهما المفهوميّ. ومن العوامل الّتي تساهم في بروز إسمائيّ ما، العرضُ ومنزلـةُ المنتقل والبروزُ في الخطاب، وأداؤه لدور المتصوِّر. ففي (9)، يكون [*Zelda's quilt* "لحـاف زيلـدا"] ذا درجة عالية من البـروز بحكم كونه منتقلَ العمليّة الّتي تعرضها الجملة المشـتملة عليـه والّتي تقيمه بالإضافة إلى ذلك محورا في الخطاب. فيُستحضَر بذلك استحضارا فوريّا على أنّه مفسِّر لضمير وارد في الجملة الّتي تليه مباشـرة. تتمثّل علاقة المِحور في رابط مفهوميّ بين [*Zelda's quilt*] وعناصـر الجملة الموالية. فهما مترابطان بالإضافة إلى ذلك من خلال انبثاق تصوّر شامل منسجم يعتبَر فيه جمال اللّحاف مسؤولا عن إعجاب النّاس جميعا به. وبذلك يقع الضّمير [*it*] داخل منطقة نفوذ الإسـمائيّ [*Zelda's quilt*] ويؤوَّل بكلّ تأكيد على أنّه مشارك له في الإحالة.

أقـوى التّرابطـات المفهوميّـة هـي تلك الّتي تقـوم بين عناصـر الجملة الواحـدة، كما ينعكس ذلك في تنضيدها النّحويّ. ولعلّ أقواها الرّبطَ بين

المعلم والمنتقل في علاقة معروضة. ذاك هو التّشكّل الطّرازيّ لاستعمال ضمير الانعكاس، كما يرد في (10)، حيث يكون التّقارن الإحاليّ بين [*the president* "الرّئيس"] و[*himself* "نفسه"]، الخيارَ الوحيد. ولكن بما أنّ كلّ صلة نحويّة تمثّل صلة مفهوميّة، يكون التّقارن الإحاليّ بصفة عامّة ممكنا حتّى بين العناصر الّتي لا تترابط نحويّا إلاّ بطريقة غير مباشرة. وبذلك يمكن أن يُعتبَر ضميرُ الملكيّة [*his*]، في (10)، محيلا على الرّئيس كذلك.[10] والتّرابط بينهما يتحقّق من خلال سلسلة من العلاقات النّحويّة: فعبارة [*private office* "مكتب خاصّ"] تخصّص هدفَ الضّمير [*his*]، وتكون [*his private office* "مكتبه الخاصّ"] معلم الحرف [*in*]؛ وتحوّر [*in his private office* "في مكتبه الخاصّ"] العمليّة المركّبيّة الجُمَليّة؛ وتبلور [*the president* "الرّئيس"] منتقلَ تلك العمليّة. والصّلة واضحة رغم قيامها بطريقة غير مباشرة، ويشتغل الفاعل مفسِّرا بحكم بروزه. ولكنّ ذلك لا يمثّل الخيار الوحيد - ففي المقام الحقيقيّ للخطاب، يمكن أن تعتبَر [*his*] مُحيلَةً على شخص آخر كان قد استوى قبل ذلك محورا للمناقشة.[11]

(10) *In* ***his*** *private office* ***the president*** *was admiring* ***himself.***
في مكتبه الخاصّ كان الرّئيس يتعشّق نفسَه.

في العادة، لا يمكن أن يُقلَب التّرتيب بين الضّمير ومفسّره قلبا مقبولا. فعندما يكون القصد إلى التّقارن الإحاليّ، على سبيل المثال، تكون العبارة (11) (أ) شاذّة في أفضل الأحوال (فنحن نميل إلى تأويل الضّمير [*he*] بأنّه يحيل على شخص آخر ليس الرّئيس) وتكون (11) (ب) مرفوضة تماما:

(11) (أ) *??In* ***the president****'s private office* ***he*** *was admiring himself.*
؟؟ في مكتب الرّئيس الخاصّ كان (هو) يتعشّق نفسه.
(ب) ✻*In his private office* ***himself*** *was admiring* ***the president.***
*في مكتبه الخاصّ كان هو نفسه يتعشّق الرّئيس.

تعكس مظاهرُ عدم التّناظر هذه الاتّجاهيّةَ الكامنة في علاقات الإحالة العائديّة. وبما أنّ الإسمائيّ المُفسِّر يوفِّر الأساسَ الّذي يقوم عليه تأويل الضّمير، كانت له الأولويّة التّصوّريّة باعتبار الضّمير. ونتيجة لذلك، ترتبط استقامة العلاقات الإحاليّة العائديّة بالمفسِّر الّذي يسبق الضّميرَ على امتداد مسالك الاهتداء الذّهنيّ الطّبيعيّة. وأكثر المسالك بروزا هو التّرتيب في الذّكر- إذ العادة أن يسبق المفسِّرُ الضّميرَ في دفق الكلام. والتّرتيب المعاكس

مشـكِل في الغالب. فخلافا لما ورد في (9)، تكون العبارة الموالية هامشيّة جدّا (على افتراض أنّ اللّحاف لم يقم بعد في فضاء الخطاب الجاري):

(12) ??*It's beautiful. Everyone likes* ***Zelda's quilt.***
؟؟ هو جميل. كلّ واحد يحبّ لحاف زيلدا.

ولكنّ التّرتيب في الذّكر ليس المسلك المناسب الوحيد، أو أهمّها في أقصى الحالات. وبذلك يحدث أحيانا أن يسبق بالفعل الضّمير مفسّرَه، كما في (10)، حيث يسبق ضمير الملكيّة [*his*]، المفسّر [*the president*]. وفي هذه الحالات، يكون للمفسّر الألويّة التّصوّريّة إزاء مسالك الاهتداء الطّبيعيّة الأخرى.

ومن المسالك المفيدة سلسلة من علاقات البلورة، وخاصّةً بالمركّبات الجُمَليّة المتمّمة (كما في (1)). ويتمثّل مسلك آخر في مسلك الاهتداء الطّبيعيّ الّذي ينطلق من المتصوِّر إلى موضوع التَّصوّر القائم. ففي (13) (أ)، يسبق المفسِّرُ الضّميرَ باعتبار ذينك المسلكين كليهما، وباعتبار التّرتيب في الذّكر كذلك: فكلمة [*the president*] جارية في المركّب الجُمَليّ الحاضن، والضّمير [*he*] في المتمّم. وتشتغل [*the president*] متصوِّرا إزاء المتمّم؛ وترد [*the president*] قبل [*he*] في التّتابع الزّمنيّ. يمثّل ذلك التّشكّلَ الأمثلَ لعلاقة الإحالة العائديّة، إذ تتَصافّ المسالكُ الثّلاثة جميعُها مع الاتّجاهيّة الكامنة في هذه العلاقة. وعلى عكس ذلك، نلاحظ في (13) (ب) أسوأ تشكّل: يسبق الضّمير مفسِّرَه المفترَض في المسالك الثّلاثة جميعها.[12]

(13) (أ) *It never bothers* ***the president*** [*that* ***he*** *lies*].
لا يزعج الرّئيس أبدا [أنّه يكذب].
(ب) **It never bothers* ***him*** [*that* ***the president*** *lies*].
*لا يزعجه أبدا [أنّ الرّئيس يكذب].

تُظهر أمثلة أخرى أنّ المسالك الثّلاثة مفيدة في الإحالة العائديّة. لاحِظ أوّلا أنّ (14) (أ) مقبولة تماما حتّى وإن سبق الضّميرُ المفسِّرَ في التّتابع الزّمنيّ، في حين تكون (14) (ب) هامشيّة (أي تفترض التّقارن الإحاليّ) حتّى وإن لحق الضّميرُ المفسِّرَ. يتجلّى بكلّ وضوح أنّ كفّة العاملَين الآخرَين ترجح على كفّة هذا العامل: فرغم التّأثير الّذي يكون لترتيب الكلمات، تكون الجملة الأكثر مقبوليّة تلك الّتي يرد فيها المفسِّرُ في المركّب الجُمَليّ الحاضن ويشتغل متصوِّرا إزاء المتمّم.

(14) (أ) *The fact* [*that* ***he*** *lies*] *never bothers* ***the president***.
أنّـــــــــه يكذب، لا يزعج الرّئيسَ أبدا.
(ب) *??The fact* [*that* ***the president*** *lies*] *never bothers* ***him***.
؟؟ أنّ [الرّئيس يكذب] لا يزعجـــه أبدا.

ولئن تظافر هذان العاملان الأخيران في العمل، كلّ واحد منهما يساهم في إجازة العلاقات الإحاليّة العائديّة. فكيف يمكن للمرء أن يبرهن على أنّ لمسلك المفهمَة تأثيرا؟ يمكن أن نرى ذلك بالمقارنة بين الجمل الواردة في (14) بتلك الواردة في (15) الّتي تتشابه في كلّ شيء ما عدا في عدم كون المفسِّر ([*the book* "الكتاب"]) مُتصوِّرا. وفي هذه الحالة تكون الجمل مقبولة كذلك. فالواجب، إذن، أن يعود الشّذوذ النّسبيُّ في (14) (ب) إلى أنّ الضّمير يؤدّي دور المتصوِّر للمركّب الجُمَليّ الّذي يحتوي على مفسِّرِه.

(15) (أ) *The fact* [*that* ***it****'s full of lies*] *doesn't diminish* ***the book***.
أن [يكون (هو) مليئا بالأكاذيب] لا ينقص من قيمة الكتاب.
(ب) *The fact* [*that* ***the book*** *is full of lies*] *doesn't diminish* ***it***.
أن [يكون الكتاب مليئا بالأكاذيب] لا ينقص من قيمتـــــــــه.

وبالمثل، يمكننا أن نقيِّم دور سلسلةٍ متمِّمةٍ بمقارنةِ الجمل المشتملة على المتمّمات بنظائرها من الجمل المشتملة على المحوّرات. ورد في (16) (أ)-(ب) المركّبُ الجُمَليّ المقترنُ بـ[*that*] متمّما مفعولا به مقدّما إلى الموضع القبليّ (معلَم الفعل [*realize*])، في حين ورد في (16) (ج)-(د) المركّبُ الجُمَليّ المقترن بـ[*when*] ظرفيّا. والمثالان المهمّان هما (ب) و (د). ففي الأوّل منهما لا تحتمل كلمة [*the president*] أن تؤوَّل بكونها مفسّرَ الضّمير [*he*] رغم أنّها تسبقها في التّرتيب الخطّيّ. يعود ذلك في جزء منه إلى كون الضّمير [*he*] متصوِّرا إزاء المتمِّم. ولكن بصفة جزئيّة فقط، كما تظهره مقارنتها بالجملة (د). يشتغل الضّمير [*he*]، هنا كذلك، متصوِّرا إزاء المركّب الجُمَليّ الّذي يقدَّم إلى الموضع القبليّ، ومع ذلك لا يمثّل التّقارن الإحاليّ إشكالا. يكمن الفارق في أنّ للمركّب الجُمَليّ المتمّم في (ب)، علاقةً بلورة بالمحمول في المركّب الجُمَليّ الحاضن، في حين لا يكون ذلك للمركّب الجُمَليّ الظّرفيّ في (د). فالفعل [*realize* "أدرك"] لا يوفّر مسلك بلورة يربط الضّمير الفاعل بالمركّب الّذي يشتمل على مفسِّره، إلاّ في الجملة (ب).

(16) (أ) [*That* ***he*** *is a liar*] ***the president*** *certainly realizes*.
[أنّـه كذّاب] الرّئيس يدرك بكلّ تأكيد.
(ب) [*That* ***the president*** *is a liar*] ***he*** *certainly realizes*. *??*
؟؟ [أنّ الرّئيس كذّاب] هو يدرك بكلّ تأكيد.
(ج) [*When* ***he*** *is lying*] ***the president*** *realizes it*.
[عندما يكذب هو] يدرك الرّئيس ذلك.
(د) [*When* ***the president*** *is lying*] ***he*** *realizes it*.
[عندما يكذب الرّئيس] هو يدرك ذلك.

غالبا ما كانت المقاربات للإحالة الضّميريّة العائديّة من زاوية إعرابيّة صرف. وكانت المحاولات في وصف موقع الضّمير إزاء المفسِّر، تنزع إلى التّركيز على الخصائص الشّكليّة، وخاصّة على التّرتيب الخطّيّ والمكوّنيّة النّحويّة. ولئن لم تكن هذه غيرَ مفيدة، فالواجب أن يقوم الوصف الشّامل على أساس المفهمة الحركيّة. ففي علاقات الإحالة العائديّة، يوفّر الإسمائيُّ المفسِّرُ الاهتداءَ الذّهنيّ إلى الضّمير بمعنى أنّه يحدِّد مرجعَه. فأن يكون الإسمائيّ قادرا على فعل ذلك أو لا يكون- أي أن يكون الضّمير في منطقة نفوذه أو لا يكون- مرتبط بدرجة بروز المفسِّر وبقوّة التّرابط المفهوميّ بين الضّمير ومفسِّره. تعكس هذه بدورها التّفاعلَ المعقّد بين عوامل كثيرة، كلّ واحد منها يهمّ السّبق على امتداد مسلك طبيعيّ. ويستحقّ اثنان من تلك العوامل الفحص في أمرهما فحصا معمّقا أكثر: منزلة الإسمائيّ من حيث هو محور أو فاعل.

4.1.14 المحور مقابل الفاعل

للمحور والفاعل دور هامّ في الإحالة الضّميريّة العائديّة. يستدعَى الإسمائيّ استدعاء فوريّا ليكون مفسِّرا لضمير في المقطع الخطابيّ الّذي يحتلّ فيه منزلة المحور. فعلى سبيل المثال، تفسّر عبارةُ [*this computer* "هذا الحاسوب"] الضّميرَ المحايد [*it*] في (17) (أ)، وهي بنية محوريّة صريحة. وللمحور الصرّيح نزوع قويّ إلى أن يُستدعَى ليكون نقطة مرجعيّة. نلاحظ في الجملة (ب) أنّ موضعي الضّمير والمفسِّر لا يمكن أن يقلبا: فالإسمائيّ المِحورُ لا يمكنه أن يشتغل إلاّ نقطة مرجعيّة، لا هدفا، في العلاقة الإحاليّة العائديّة. وبالفعل، نلاحظ في الجملة (ج) أنّ الإسمائيّ الوارد في موضع الضّمير لا يمكن أن يفلت من تأثير المحور. فإن كان في تقارن إحاليّ مع المحور، وجب أن

يكون التّعبير عنه في شكل ضمير - ذلك أنّ إعادة الإسمائيّ التّامّ ([*this computer*]) تستلزم خطأً أنّ المرجع لا يمكن أن يكون إلاّ ظاهرا.

(17) (أ) ***This computer***, *I just can't get* ***it*** *to work.*

هذا الحاسوب، أنا لا أستطيع أن أجعلهِ يعمل.

(ب) ****It***, *I just can't get* ***this computer*** *to work.*

*هو، أنا لا أستطيع أن أجعل هذا الحاسوب يعمل.

(ج) ****This computer***, *I just can't get* ***this computer*** *to work.*

*هذا الحاسوب، أنا لا أستطيع أن أجعل هذا الحاسوب يعمل.

وبطريقة مماثلة، ينزع الفاعل نزوعا قويّا إلى أن يُستدعَى نقطةً مرجعيّة باعتبار جميع العناصر الأخرى في المركّب الجُمَليّ.[13] يُعرَض أثر منزلة الفاعل بالمعطيات الواردة في (18). في الجملة (أ)، العلاقة الإحاليّة العائديّة من أوضح ما يكون لأنّ المفسِّر [هارفي] لا يسبق الضّمير فقط بل هو كذلك فاعل المركّب الجُمَليّ. وعلى خلاف ذلك، تكون الجملة (ب) - حيث يسبق الضّميرُ الفاعلُ مُفسّرَه- لاحنة دون مواربة. والفارق لا يعود فقط إلى التّرتيب الخطّيّ الّذي تبيّن أنّه عامل ثانويّ. ونلاحظ ذلك في (ج) و(د)، حيث لا يكون العنصر البدئيّ في العلاقة الإحاليّة العائديّة فاعل المركّب الجُمَليّ ولكنّه مالِك الفاعلِ بدلا من ذلك. وفي هذه الحالة، تكون الجملتان كلتاهما مقبولة، وإن كانت الجملة (د) هامشيّة نوعا ما لأنّ الضّمير يأتي أوّلا. وبالإضافة إلى ذلك، تشير مقبوليّتها النّسبيّة إلى أنّ منزلة الضّمير من حيث هو فاعل مسؤولة بصفة رئيسيّة عن اللّحن في الجملة (ب).

(18) (أ) ***Harvey*** *resembles* ***his*** *dog.*

هارفي يشبه كلبـــــــه.

(ب) ****He*** *resembles* ***Harvey****'s dog.*

*هو يشبه كلب هارفي.

(ج) ***Harvey****'s dog resembles* ***him.***

كلب هارفي يشبهـــــــــــه.

(د) ***His*** *dog resembles* ***Harvey****?*

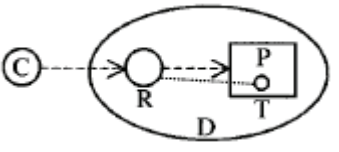
؟ كلبـــــه يشبه هارفي.

يوحي دور المحور والفاعل في الإحالة العائديّة الضّميريّة بأنّهما في ذاتهما ظاهرتان من ظواهر النّقطة المرجعيّة. يوفّر المحور أو الفاعل، من حيث كان

نقطة مرجعيّة، الاهتداء الذّهنيّ إلى العناصر الماثلة في منطقة نفوذه. فإن كان واحد من تلك العناصر ضميرا، ينزع المحور أو الفاعل إلى أن يُستدعَى أساسا يقوم عليه تأويل ذلك الضّمير. هذا يعكس ميلَ المسالك الطّبيعيّة - وهي مسألة نجاعة عرفنيّة- إلى أن تتصافّ، وميلَ النّقاط المرجعيّة إلى أن تشتغل كذلك من اعتبارات متعدّدة. فإذا ما اشتغل إسمائيّ أو ضمير ما نقطةً مرجعيّة وهدفًا بالنّظر إلى علاقة مع محور أو فاعل، فإنّه ينزع كذلك إلى أن يشتغل بتلك الطّريقة لغايات إحاليّة عائديّة باتّباع التّصفيف نفسه.

فكيف يمكن أن يوصَّفَ المحورُ أو الفاعلُ، إذن؟ المفهومان مترابطان نحويّا ويصعب التّمييز بينهما أحيانا. ويحدث، فوق كلّ ذلك، أن تكون أبنية المحور متطوّرة تاريخيّا إلى أبنية الفاعل.[14] فباعتبار ما بينهما من تقارب بيِّن، ووصفٍ مشترك؛ من حيث كانا ظاهرتين من ظواهر النّقطة المرجعيّة، ما هو الفرق بينهما بالتّحديد؟

لنبدأ بالمحاور. كما هو الأمر مع المفاهيم الأساسيّة، يصعب أن نجد تعريفا لغويّا لا يبدو ضبابيّا بشكل ميؤوس منه. فاللّسانيّون، جميعهم دون استثناء تقريبا، يكتفون بالقول إنّ المحور في جملة ما هو "ما تدور حوله تلك الجملة". يوافق هذا التّعريفُ إلى حدّ ما، توصيفَ المحور في النّحو العرفنيّ ، الّذي يتفوّق عنه بمزيّة الرّبط بين مفهوم "المدار" هذا، وسمة عامّة وأساسيّة في البنية المفهوميّة. تمثّل المحاور نوعا مخصوصا من انتظام النّقطة المرجعيّة يتميّز من سائر الأنواع فيها بطبيعة الهدف.[15] فخلافا لعبارات الملكيّة وللإحالة العائديّة الّتي يكون فيها الهدف شيئا، يكون الهدف في المحاور قضيّة (P)، أي عمليّة مجذَّرة. فيكون بذلك تشكّلها الأساسيّ كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 14. 3.



[متصوّر = C]، **[نقطة مرجعيّة** = R]، **[هدف** = T]، **[منطقة نفوذ** = D]، **[قضيّة** = P]

الرّسم البيانيّ 14. 3

ومنطقــة نفوذ المحــور هي مجموعة المعارف المرتبطــة به - مجموعة من القضايــا الّتي يكون لهــا دَورٌ ما فيه، والّتي يمكن الاهتــداءُ إليها من خلاله تبعا لذلك. ويتمثّل مضمــون علاقة المحور في أنّ القضيّة الهدف تنتمي إلى مجموعــة المعارف تلك. فالقضيّة (P)، جــزء لا يتجزّأ من منطقة النّفوذ (D)، ســواء كانت قــد أقيمت هناك فعــلا أو وَجب أن تدرَج فــي الخطاب بعد ذلك. وتوفّر منطقة النّفوذ، بالنّســبة إلى كلّ من المتكلّم والسّــامع، السّياقَ لإدراك القضيّــة وتأويلهــا. ولا يمكــن للقضيّة أن تــؤوَّل إلاّ في منطقة نفوذ النّقطــة المرجعيّــة إن كانت هذه النّقطــة ماثلة بوجه ما فــي مضمون تلك المنطقة. تمثّل الدّائرة الصّغيرة في الرّســم البيانيّ 14. 3 تجلّيَ النّقطة المرجعيّة (R) في القضيّة (P): أي العنصر الّذي تناسبه من القضيّة (P). يسمَّى هذا العنصر المِفصــل.[16] ولئن أمكن للمفصل أن يكون له أيّ دور في القضيّة (P)، فإنّه ينزع إلى أن يكون مشاركا بؤريّا، كما في (19) (أ)-(ب). ولئن كان يعبّر عنــه في الغالــب تعبيرا ظاهرا بضمير، فإنّه يمكــن كذلك أن يظلّ ضمنيّا. والمفصلان في (19) (ج)-(د) طرَفيّان إلى حدّ ما (من ناحية النّحو، على الأقلّ) وفي (د) يبقى المفصل دون عبارة ظاهرة.

(19) (أ) ***That mural, it****'s really starting to depress me.*
تلك الجداريّة، إنّها تبدأ حقّا في إثارة اكتئابي.

(ب) ***That mural,*** *I like* ***it*** *less and less every day.*
تلك الجداريّة، أنا أحبّها كلَّ يوم أقلّ من ذي قبل.

(ج) ***That mural,*** *we would be better off if someone sprayed graffiti all over* ***it.***
تلــك الجداريّــة، نرتاح من دونها لو أنّ شــخصا بخّ عليـــــــها ســائل الرّسوم الحائطيّة.

(د) ***That mural,*** *we never should have given permission.*
تلك الجداريّة، ما كان علينا أن نسمح بإقامتها قطّ.

كما هــو الحال في الإحالة العائديّة، يكون للمحــور منطقة نفوذ بالنّظر إلى كلّ من المضمون والعبارة. ففي مستوى العبارة، تتمثّل منطقة نفوذ النّقطة المرجعيّــة فــي المقطع الخطابيّ الّــذي تكون له منزلة المحــور فيه. يكون ذلــك مركّبا جُمَليّا في الحدّ الأدنــى، ولكنّه يمكن أن يكون كذلك جملــة مركّبة أو خطابا مــن أيّ طول كان. ففي (20)، مثــلا، تدرج الجملة الأولى محورَ كتابة رسالة، وتُؤوَّل جميعُ الجُمل اللاّحقة في ضوئها. ويتجلّى

بوضـوح أنّ الحديـث يمكن أن يتواصـل إلى ما لانهاية له، إلـى أن يتدخّل شخص ما و«يغيّر المحور».

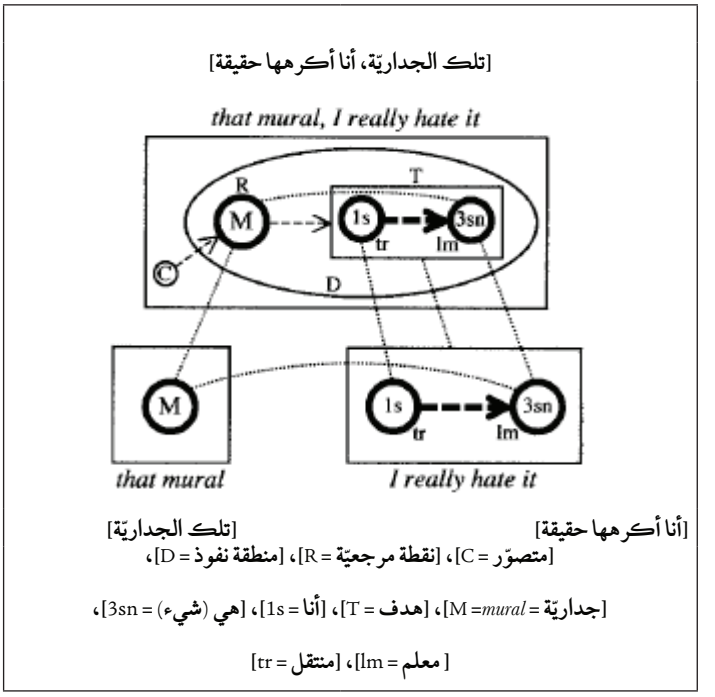
(20) *It's really hard to write* ***a dissertation.*** *You have to find a subject. Then you have to come up with some ideas and do lots of preliminary analyses. When you do the background reading, you find that most of those ideas have already been proposed and rejected. So you have to work for a number of years before anything viable starts to take shape. You have to worry about continued financial support. Then you have to satisfy five committee members with mutually incompatible notions about what you should be doing. You have to go through about seven drafts. Then ...*

مـن الصّعب حقّا أن تكتب **رسـالة بحث**. فعليك أن تجـد موضوعا. ثمّ عليك أن تقيـم بعض الأفكار وتجـري الكثير من التّحليلات التّمهيديّـة. وعندما تنهي قراءاتك في المعارف النّظريّة المتوفّرة، تجد أنّ أغلب تلك الأفكار كانت قد اقتُرحـت ورُفضَت. فيكون لذلك لزاما عليك أن تعمل سـنوات عديدة قبل أن يبدأ شيء مستقيم في التّبلور. وعليك أن تفكّر في توفّر الإعانة الماليّة المستمرّة. ثمّ عليك أن تُرضِيَ خمسـة من أعضـاء اللّجنة بأفكارهم المتنافرة حول ما ينبغي عليك فعله. وعلَيك أن تمرّ تقريبا بسبع مسودّات. ثمّ...

لا يحمـل المحور في (20) وسـما خاصّا، ولكنّه ورد ببسـاطة مفعولا به لفعلٍ جرى إدراجه عبر بنية المفعول العاديّة. ولا شـيء يشـير صراحة إلى أنّ المركّبـات الجُمَليّة اللاّحقـة تؤوَّل بالنّظر إليه؛ وبالفعل هي لا تذكر شـيئا منه البتّة. فالعلاقات المحوريّة مسـألة خطابيّة، أوّلا وقبل كلّ شـيء. وبتنامي الخطاب، يكون التّنظيم الّـذي تفرضه تلك العلاقات المحوريّة كامنا في البنية المفهوميّة الّتي يجري بناؤها حتّى وإن لم تتحقّق تلك العلاقات بواسطة أدوات نحويّة مميّزة. غير أنّ هناك واسـمات محوريّة وأبنية محوريّة صريحة. فالجمل في (19) تمثّل بنية محوريّة أساسـيّة يكون فيها الإسـمائيّ البدئيّ قد اسـتوى محورا قائما على الأقلّ بالنّسـبة إلى القضيّة الّتـي تليها. وفي خطاب متمهِّـل، يكون الفصلُ بين الإسـمائيّ والمركّب الجُمَليّ الهدَفِ بواسـطة وقف صوتيّ قصير، يشـار إليه بعلامـة الفاصل في الكتابة، ويوحي بأنّ كلّ واحد منهما يحلّ في إطار الانتباه الخاصّ به.

تُعـرَض عيّنة من هـذا البناء عرضا مختزلا في الرّسـم البيانيّ 14. 4. تتمثّل البنيتـان المكوّنيّتـان في إسـمائيّ هـو [*that mural* "تلـك الجداريّة"]، وفي مركّـب جُمَلـيّ منته هـو [*I really hate it* "أنـا أكرهها حقيقـة"]. ومن زاوية دلاليّة، يقوم الدّمج بينهما على التّناسب بين معروض الإسمائيّ والعنصر الّذي

يشتغل مفصلا في المركّب الجُمَليّ- هو في هذه الحالة، مرجع الضّمير المفعول به. ومن زاوية صوتميّة، يتمثّل الدّمج بينهما في التّجاور الزّمنيّ وفي التّنغيم المعلَّق في ما بينهما. وبحكم الغياب التّامّ لواسم المحور، لا تنبثق علاقة المحور إلاّ في مستوى البنية المركّبة؛ فليست خصيصةً لأيّ واحدة من البنيتين المكوّنيّتين، ولكنّها خصيصة البنية ككلّ بدلا من ذلك.[17] وتُعرَض البنية المركّبة بمعروضين متمايزين: النّقطة المرجعيّة والعمليّة الهدف؛ ذلك أنّ العبارة تتضمّن إطارين للانتباه، يكون كلّ واحد منهما نافذة انتباه ذات بؤرة انتباهيّة خاصّة بها. فالتّحليل القائم على افتراض تتابع عدد من المعروضات (عوضا عن معروض وحيد شامل)، يمسك بالحركيّة الواضحة في قيام هذه البنية.

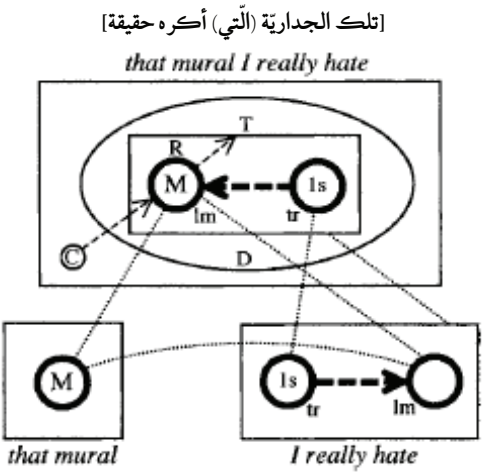


الرّسم البيانيّ 14. 4

في هذه البنية، يقع المحورُ الإسمائيّ خارج المركّب الجُمَليّ الهدف بكلّ وضوح، كما يدلّ عليه التّنغيم وكذلك اكتمال المركّب الجُمَليّ اكتمالا بنيويّا. وتقود الاعتبارات نفسها إلى الاستنتاج العكسيّ في جمل من قبيل ما يلي:[*That mural I really hate* "تلك الجداريّة (التي) أكره حقيقة"].

في هــذه العبارة لا يوجد قَطْــع تنغيميّ بين المحور وما تبقّــى منها، ولا يمثّل المتبقّي مركّبا جُمَليّا مكتملا في ذاته وبذاته. والمحور الإسمائيّ، هنا، جزء لا يتجــزّأ من المركّب الجُمَليّ الهدف، ولا يشــتغل محورا فقط بل يشــتغل معلمــا للمركّب الجُمَليّ كذلك. فهــو إذن داخليّ في المركّب الجُمَليّ دلاليّا وإعرابيّا في آن.

تســاوي هذه البنية، كما تعرض في الرّســم البيانــيّ 14. 5، مزجا بين بنية المحور وبنية المفعول به. فهي تمثّل بديلا لبنية المفعول به لأنّ عبارة [*that mural* "تلك الجداريّة"] تبلور المعلم الخطاطيّ لعبارة [*I really hate* " أكره حقيقة"]. وهي شــبيهة ببنية المحور من حيث إتيــان المحور أوّلا، ولكنّها تختلف عنها بحكم وجود إطار انتباه وحيد فقط ذي معروض شــامل وحيد. فيكون على هذا اســتدعاء الجداريّة من حيث هــي نقطة مرجعيّة، مزامنا لاســتدعائها من حيث هي معلم المركّــب الجُمَليّ. وبعبارة أخرى يكون الإسمائيّ المحوريّ داخليّــا في المركّــب الجُمَليّ الّذي يعبّر عن القضيّــة الهدف، بحكم أنّه لا يوجد تمييز بين المحور والمفصل.



[متصوّر = C]، [نقطة مرجعيّة = R]، [منطقة نفوذ = D]،

[جداريّة = *mural* = M]، [هدف = T]، [أنا = 1s]، [هي (شيء) = 3sn]،

[معلم = lm]، [منتقل = tr]

الرّسم البيانيّ 14. 5

تجري المحاور إذن في مستويات مختلفة من التّنضيد، تبسط سيطرتها على مناطق نفوذ من أحجام مختلفة.[18] يمكن أن تكون منطقة النّفوذ مقطعا من أيّ طول كان، أو جملة مركّبة أو مركّبا جُمَليّا وحيدا. وكلّما كانت منطقة النّفوذ أصغر، نزعت الصّلة إلى أن تكون أشدّ بين النّقطة المرجعيّة والقضيّة الهدف. ومن زاوية بنيويّة، يمكن أن يكون المحور في جملة منفصلة، أو في الجملة نفسها ولكنّه خارجيّ عن المركّب الجُمَليّ الهدف، أو جزءا لا يتجزّأ من ذلك المركّب الجُمَليّ. ولكن حتّى في الحالة الأخيرة، يشتغل المحور نقطة مرجعيّة لأسباب خطابيّة، لا على سبيل تشفير القضيّة المركّبيّة الجُمَليّة. فدور الإسمائيّ محورا، بحكم كونه مسألة بنية إخباريّة، يتراكب مع دوره مشاركا مركّبيّا جُمَليّا. ومن زاوية مفهوميّة، تكون منزلته من حيث هو محور، خارجيّة عن القضيّة، تتحدّد بعوامل الخطاب لا بالمادّة المضمونيّة. وبذلك يمكن للقضيّة الواحدة في العادة أن يعبَّر عنها بمحاور بدائل ([*That mural, I really hate it* "تلك الجداريّة، أنا أكرهها حقيقة"] مقابل [*As for me, I really hate that mural* "أمّا أنا، فأكره تلك الجداريّة حقيقة"]) أو بلا محور البتّة ([*I really hate that mural* "أنا أكره حقيقة تلك الجداريّة"]).

يشتغل الفاعل، مثل المحور، نقطةً مرجعيّة لقضيّةٍ هدف. وذاك هو أساس التّشابه بينهما. ويتمثّل الفارق بينهما في أنّ الفاعل يكون في آن واحد داخليّا في مركّب جُمَليّ من زاوية بنيويّة، ولازما من زاوية مفهوميّة. والمحور نقطة مرجعيّة في الخطاب، توجّه السّامع إلى حقل المعرفة المناسب لتأويل القضيّة الهدف. فيكون بذلك دوره من حيث هو نقطة مرجعيّة خارجيّا عن المضمون المادّيّ للمركّب الجُمَليّ. ومقابل ذلك يكون دور الفاعل من حيث هو نقطة مرجعيّة كامنا في إدراك المضمون المركّبيّ الجُمَليّ. والفاعل يخصِّص منتقلَ العمليّة المعروضة، والمنتقل - كما سنبيّن لاحقا- يشتغل نقطة مرجعيّة لغاية تصوّر تلك العمليّة في ذاتها.

الوحدة الّتي تستدعى لتتَّخذ نقطة مرجعيّة لغاية ما، يحتمل أن تشتغل في تلك الوظيفة لغايات أخرى كذلك. ولذلك يكون من المعقول أن نفكّر في أنّ الفاعل، بحكم كونه نقطة مرجعيّة داخليّة في المركّب الجُمَليّ، يمكن أن ينزع كذلك إلى أن يكون محورا خطابيّا. ومع ذلك، لا يعدو أن يكون التّوافق بينهما مجرّد نزوع. فالمحور والفاعل مفهومان متمايزان، يتّصلان بقناتين مختلفتين. فعندما يشتغل الإسمائيّ الواحد في الدّورين

كليهما، يكون نقطة مرجعيّة باعتبار البنية الإخباريّة والمادّة المضمونيّة في آن واحد.[19]

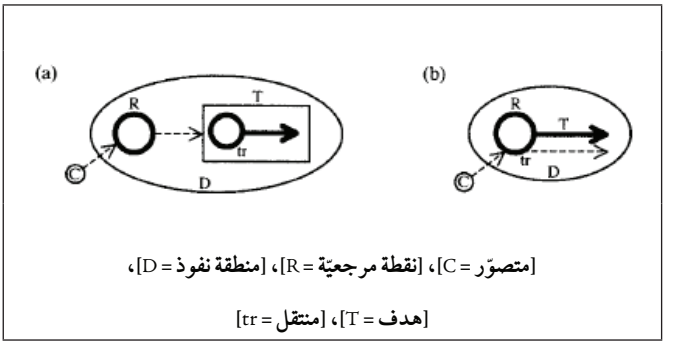
14. 1. 5 الفاعل والمفعول

الفاعل في المركّب الجُمَليّ هو الإسمائيّ الّذي يبلور منتقلَ العمليّة الّتي يدلّ عليها ذلك المركّب الجُمَليّ. بهذا أقترح أنّ منتقلَ العلاقة المعروضة، الّذي جرى وصفُه بكونه المشارك البؤريّ الرّئيسيّ فيها، يمكن أن يُوصَّف كذلك - توصيفا أساسيّا أكثر- بكونه النّقطة المرجعيّة إزاء تلك العمليّة. وكذا المفعول هو ما يبلور العلاقة المعروضة، وقد جرى وصفُه بكونه المشارك البؤريّ الثّانويّ فيها. وقياسا على ذلك يمكن أن يوصَّف معلمُ العلاقة بكونه النّقطة المرجعيّة الثّانويّة إزاء تلك العمليّة. وهذه المفاهيم يصعب أن تُفسِّر ذاتها بذاتها، ولكنّها عندما تفهَم فهما مستقيما يتبيّن أنّها مقبولة من زاوية نفسيّة وأنّها كاشِفة من زاوية لغويّة، في آن واحد.

لنبدأْ بالنّظر في الفكرة القائلة بأنّ المشاركين البؤريّين في العلاقة المعروضة يمثّلان نقطتين مرجعيّتين ملازمتين إزاء تلك العلاقة. فمقابلُ المحور الّذي يحدّد موقعَ قضيّة ما في سياق مفهوميّ أكبر، يكون منتقلُ العمليّة ومعلمُها كامنين في تصوّرها- أي أنّهما يشتغلان نقطتين مرجعيّتين لغاية بناء تصوّرها التّامّ. هذا الأمر مستتبَع من ملاحظة سابقة (§ 4. 2. 1) تنصّ على أنّ العلاقات تابعة مفهوميّا للمشاركين فيها: لا يمكننا أن نتمثّل علاقة دون استدعاء المشاركين الّذين ينهضون بتجلّياتها. وإذ مثّل المشاركون سبيلا يجعل تصوُّرها ممكنا، وصِفوا وصفا معقولا بأنّهم يوفّرون الاهتداء الذّهنيّ إليها. يعود ذلك، بطبيعة الحال، إلى القول إنّ المشاركين يشتغلون نقاطا مرجعيّة إزاءها.

يمثّل الرّسم البيانيّ 14. 6 المقابلةَ بين علاقات النّقطة المرجعيّة الخارجيّة والدّاخليّة بالعمليّة الهدف المعروضة. يناسب الرّسم التّخطيطيّ (a) بنية محوريّة خارجيّة عن المركّب الجُمَليّ، من قبيل تلك الواردة في الرّسم البيانيّ 14. 4. تفوق علاقة النّقطة المرجعيّة توصيفَ الهدف وتتجاوزه، فهي بحكم ذلك خارجيّة عنه، رغم أنّ النّقطة المرجعيّة (R) ماثلة، بوجه من الوجوه (في شكل مِفصل) في مضمون تلك القضيّة الشّامل. تمثّل منطقةُ نفوذ النّقطة المرجعيّة ما يرتبط بها من المعرفة الّتي يكون تأويل الهدف (T) في داخلها. يعرض الرّسم التّخطيطيّ (b) علاقة النّقطة المرجعيّة الدّاخليّة الّتي تشتمل على العمليّة

وعلى منتقلها. وفي هذه الحالــة، لا تكون النّقطة المرجعيّة (R) والهدف (T) متمايزين. وما "بلوغ" الهدف إلاّ مسألة تَصوُّرٍ له ببساطة، ولذلك يتساوى في الامتداد السّــهمُ المتقطّع الّذي يمثّل مسلكَ الاهتداء الذّهنيّ والسّهمُ الصّلب الّذي يمثّــل تنامِيَ العلاقة المعروضة خلال الزّمن. وإذ كان الهدف (T) تابعا مفهوميّا، يجري مســلك الاهتداء الذّهنيّ عبر النّقطة المرجعيّة (R). تتكوّن هنــا منطقة نفوذ النّقطة المرجعيّة (أي مجموعة الأهداف الممكنة) من جميع تلك العمليّات الّتي يحتمل أن تنشدّ بهذه الطّريقة.



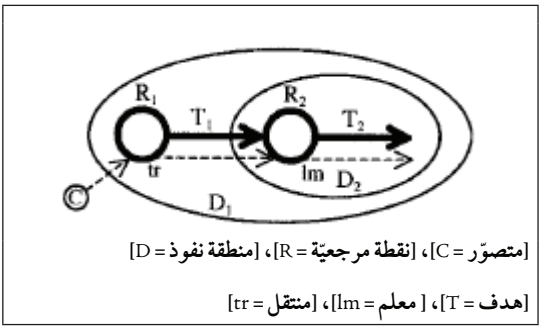
الرّسم البيانيّ 14. 6

فإذا ســلّمنا بــأنّ المنتقل والمعلم خارجيّــان عن تصوّر العمليّــة المعروضة، كيــف يرتبط توصيف نقطتهما المرجعيّــة بالوصف الّذي يكون لهما باعتماد البروز البؤريّ الرّئيســيّ والثّانــويّ؟ فوصفهما بكونهما المشــاركين البؤريّين مكافــئ لوصفهما بكونهمــا نقطتين مرجعيّيــن. يحيل اللّســانيّون في العادة على المشاركين البؤريّين بأنّهم المشــاركون المركزيّون (أو النّوَوِيّون). ولا يمكن، بطبيعة الحال، أن تفهَم فكرةُ المركزيّة في معناها الحرفيّ، الفضائيّ. فهي تُســتدعَى، بدلا من ذلك، استدعاء اســتعاريّا للإشارة إلى أنّ المشاركين المعنيّين ضروريّان لقيام العلاقة: بدونهما يحتمل أن تكون العلاقة غير منسجمة أو تكون علاقة أخرى مختلفة. يساوي ذلك، القولَ بأنّ المشاركين المركزيّين في علاقة يوفّران الاهتداء الذّهنــي إليها. وإذ كانت العلاقة، بحكم التّعريف، بؤرةً للانتباه، كان المشاركان الضّروريّان فيها، المشاركين البؤريّين.

يضيف توصيفُ النّقطة المرجعيّة، زيادةً على مفهوم المركزيّة (أي الاهتداء الإجباريّ)، فكرةَ الحركيّة (أي الاهتداء التّتابعيّ). هنا نجد أساســا للتّمييز بيــن المنتقل والمعلم: هما المشــاركان البؤريّان الرّئيســيّ والثّانويّ بحكم

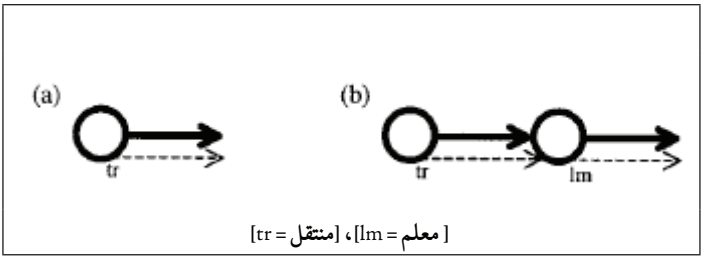
كونهما النّقطتين المرجعيّتين الأولى والثّانية اللّتين تُستحضَران في بناء التّصوّر التّامّ للعلاقة المعروضة. ووفق هذا التّحليل، يتمثّل تصفيف المنتقل/المعلم في مسلك الاهتداء الذّهنيّ الطّبيعيّ الّذي يكون فيه المنتقل نقطة البداية: منتقل < معلَم < علاقة. ولذلك كان المقترح أن تُنسَب الدّرجتان من البروز البؤريّ، على الأقلّ جزئيّا، إلى التّتابعيّة.

يُعرَض في الرّسم البيانيّ 14. 7 علاقة ذات منتقل ومعلم في آن، عرضا مختزلا. تدلّ الشّارتان [R_1] و[R_2] على منزلتهما من حيثُ هما نقطتان مرجعيّتان أولى وثانية. وقد قُسِمت العمليّة الهدف الشّاملة (T)، إلى عمليّتين فرعيّتين [T_1] و[T_2] تمثّلان وجهين من الهدف (T) يشتملان مباشرة على [R_1] و[R_2]. فمع فعل من قبيل [*smash* "هشم"]، مثلا، تتمثّل العمليّة الهدف الفرعيّة الأولى [T_1] في ممارسة المنتقل للقوّة، والعمليّةُ الفرعيّة الثّانيّة [T_2] في التّغيّر النّاتج في حالة المعلَم.[20] فالمقترح، حينئذ، أنّ تصوُّرَ علاقة ذات مشاركين اثنين يقتضي تدرّجا ذهنيّا من النّقطة المرجعيّة الأولى [R_1] إلى النّقطة المرجعيّة الثّانية [R_2]، وتبعا لذلك من العمليّة الفرعيّة الهدف الأولى [T_1] إلى العمليّة الفرعيّة الهدف الثّانيّة [T_2]، وهما تباعا العلاقتان الفرعيّتان اللّتان تنشدّان إلى تينك النّقطتين المرجعيّتين. وفي ضوء هذا التّدرّج، يظهر كذلك أنّ النّقطة المرجعيّة الأولى [R_1] ترأس مسلكا في الاهتداء تندرج فيه كلّ من العمليّة الفرعيّة الهدف الأولى [T_1] والعمليّة الفرعيّة الهدف الثّانيّة [T_2]. وبذلك يمكن أن يُعتبَر الرّسم البيانيّ 14. 7 حالة خاصّة من الرّسم البيانيّ 14. 6 (b)، حيث تساوي النّقطةُ المرجعيّةُ النّقطةَ المرجعيّة الفرعيّة الأولى ([$R = R_1$])، وتساوي العمليّةُ الهدفُ العمليّةَ الفرعيّةَ الهدف الأولى زائد العمليّة الفرعيّة الهدف الثّانية ([$T = T_1 + T_2$]).



الرّسم البيانيّ 14. 7

لتسهيل العرض، سوف أعتمد الرّسوم التّخطيطيّة المبسَّطة من الرّسم البيانيّ 14. 8. تحذَف شـارات النّقطة المرجعيّة (R)، والهدف (T) ومنطقة النّفوذ (D)، والمتصوّر (C)، ولا نشـير علنًا إلى المتصوِّر ولا إلـى مناطق النّفوذ. ونكتفي بالإشارةَ إلى المسلك في الاهتداء الذّهنيّ.



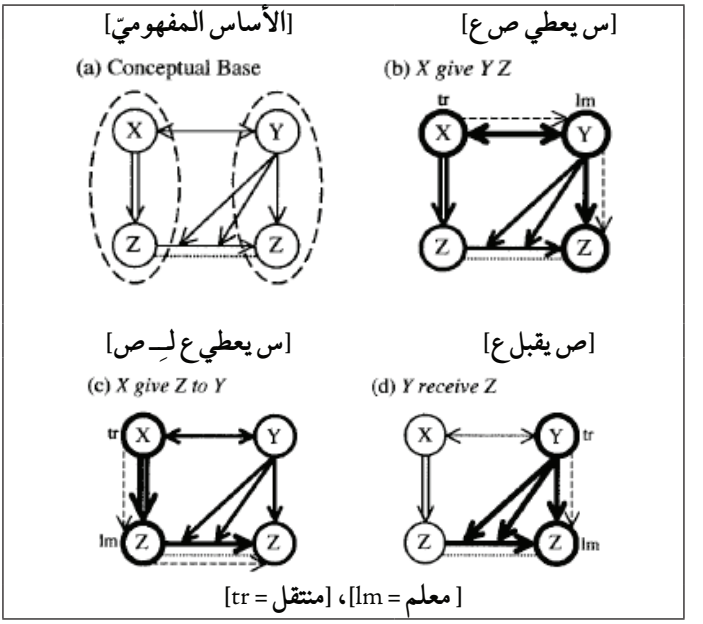
الرّسم البيانيّ 14. 8

والأهـمّ من جميع ذلك أنّ مسـلك الاهتـداء الذّهنـيّ لا يكون عادة مسـلكا وحيدا تنتفي بوجوده سائر المسـالك. فمهما كانت درجة التّعقّد فـي الوضعيّة، هناك طرق بديلة فـي الاهتداء إلى العناصر المكوّنيّة في بناء تصـوّر تامّ لها. وتشـتمل الخيارات المختلفة على مجموعـة من التّناوبات من حيـث عمليّة العرض- بمعنـى أيّ وجه من وجوه الوضعيّة العامّة يُفرَد على أنّه العلاقة المبأَرَة. وحسـب اختيار المعروض، يكون المشاركون المختلفون مركزيّين (إن لم يكونوا ضروريّيـن) بدرجة كافية في بناء تصوّر الوضعيّة ليعتبَـروا النّقاط المرجعيّة بالنّسـبة إليها.[21] ويمكـن أن يجري الاهتداء إلى علاقة ما باستحضار نفس المشاركين في سلاسل متناوبة. تتّصل هذه الفروق بمسـألة الانبناء وهـي ممكنة حتّى وإن كان المضمـون المفهوميّ الكلّيّ واحـدا. وبما أنّ المعنى يتضمّن المضمـون والانبناء في آن، كانت العبارات الّتي تتباين بهذه الوجوه غير متكافئة دلاليّا.

وتمثيـلا لذلك بإيجـاز، انظُر في الثّالوث من وجـوه التّباين بين العبارات الّتـي تكون على شـاكلة [س] أعطـى [ص] [ع]"[X give Y Z]"، و[س] أعطـى [ع] لـ[ص]"[X give Z to Y]"، و[ص] تقبّل [ع]"[Y receive Z]". تتشـارك هذه الأشـكال، عندما تطبّق على عمل نقلة مادّيّـة، في المضمون المفهوميّ الّذي يُعرَض عرضا مختزلا في الرّسـم البيانيّ 14. 9 (a). ويتمثّل أثر النّقلة في أن يتنقّـل [Z] انطلاقا من منطقة نفوذ [X] (دائـرة مراقبته) إلى منطقة نفوذ [Y]. تُعرَض مناطقُ النّفوذ في شـكل بيضويّ، وتَنقّلُ [Z] في شـكل سـهم مفرد. ويشـير السّـهم المضاعف ذو الرّأس الوحيد إلى أنّ [X] يسـبِّب ذلك التّنقّل.

ويمثّل السّـهم المضاعف المزدوج طبيعةَ الحدث التّفاعليّة: يقصد [X] إلى أن يحصـل [Y] علـى [Z]، ويكون [Y] عارفا بهذا القصـد، والتّبادلُ ذو مضمون اجتماعيّ، وهكذا دواليك. وأخيرا، تشـير السّـهام المتعدّدة إلى دور [Y] في تملّكِ [Z]: متابعة اقترابه منه، وقبوله ماديّا، ومراقبته بعد ذلك.

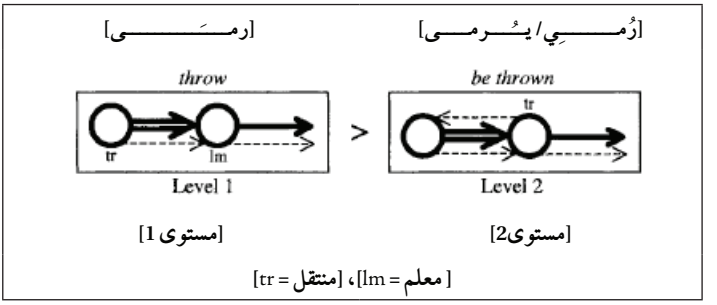
تُعـرَض فـي الرّسـوم 14. 9 (d)-(b) وجوهُ الانبنـاء البديلـةُ الّتي تفرضها العبـارات على ذلك المضمون.[22] الأفعال متمايـزة من حيث العرض. ففي حين تدلّ [*give* "أعطى"] على الحدث الشّـامل، بمـا يتضمّن ذلك من جميع العلاقات الّتي أشـرنا إليها قبيـل هذا، يكون معروض الفعـل [*receive* "قبل"] مقتصـرا علـى تفاعل [Y] مـع [Z]. يتعالق هذا الفارق مع اختيـار المنتقل، أي نقطة البداية الّتي ينطلق منها الاهتـداء الذّهنيّ إلى العمليّة المعروضة. وعندما يكـون المحدث [X] نقطـةَ البداية، يمتدّ المعروض علـى جميع المجريات الّتـي يسـبّبها [X]: تَنقُّلُ [Z]، وتفاعُلُ [Y] مع [Z] نتيجـةً لذلك، وتأثُّر [Y] في المستويين الذّهنيّ والاجتماعيّ (مثلا بأن يدرِك التّغيّرَ في الوضعيّة وأن يعرف أنّه المُراقِب الجديد لذلك الشّـيء). ومن جهة أخرى، عندما يكون المتقبّل [Z] نقطةَ البداية، يقتصِر المعروض على المجريات الّتي يسـبّبُها [Y]: المظاهر المادّيّة والتّجريبيّة في قبول [Z] ومراقبته.



الرّسم البيانيّ 14. 9

وفي حالة [*give* "أعطى"]، ينتُج فارق آخر عن اختيار المعلم، هو النّقطة المرجعيّة الثّانية الّتي تُستحضَر في الاهتداء الذّهنيّ إلى العمليّة المعروضة. فالمعلَم يمكن أن يكون متقبّلا في ما يعرف ببناء المتعدّي إلى مفعولين، أو متنقّلا في ما يعرف ببناء التّنقّل المسبَّب (§ 11. 3. 3). وفي الخيارين كليهما، يشمل المعروض جميع العلاقات الَواردة في الرّسم البيانيّ 14. 9. غير أنّ النّقطة المرجعيّة تمثّل بالفعل طرُقا بديلة في بناء التّصوّر التّام. وبطبيعة الحال يصلح اختيار واحدة أو أخرى لإبراز وجوه من العلاقة الشّاملة توجد فيها تلك النّقطة وجودا مباشرا. يشار إلى ذلك بأسمَك الخطوط في الرّسم البيانيّ 14. 9 (b) و(c). وعندما يجري الاهتداء انطلاقا من [X] عبر [Y] (لاحِظ السّهام المتقطّعة)، يكون التّركيز أكبر على العمل الّذي يغيّر من حالة [Y]، خاصّة بجعله في منزلة المراقِب. ومقابل ذلك، يصلح الاهتداء الكائن عبر [Z] ليبرز أنّ تنقّلَه مُسبَّبٌ.[23]

وبالإضافة إلى وجود مسالك في الاهتداء بدائل، تجري المعالجة في مستويات متعدّدة من التّنضيد. ومن أمثلة ذلك العلاقة الكائنة بين فعل متعدٍّ، من قبيل [*throw* "رمى"] ومقابلِه المبنيّ للمجهول [*be thrown* "رُمِي"]. ففي المستوى الأدنى من التّنضيد، يعرِض الفعل [*throw*] تسبيب التّنقّل الّذي يكون فيه المحدِث منتقلا والمتنقِّلَ معلما. يعرض ذلك إلى اليسار من الرّسم البيانيّ 14. 10، حيث يمثّل هذا الأمر التّصفيفَ الأمثل من حيث كان مسلك الاهتداء الذّهنيّ يتّبع مسالكَ السّببيّة الطّبيعيّة والتّتابعَ الزّمنيّ. ويوفّر المبنيّ للمجهول بديلا جاريا في الحالات الّتي يكون فيها، لغايات خطابيّة، الاهتداءُ الذّهنيّ إلى نفس المضمون أيسرَ باتّخاذ المتنقِّل نقطة للبداية. يتمثّل أثر البناء للمجهول (وبوجه أخصّ تصريف مصدر المفعوليّة في الماضي) في أنّه يركِّب على التَّصوّر الأساسّي انبناءً من مستوى أعلى يشتغل فيه الشّيء المتنقّل منتقلا للعبارة. ففي العبارة المشتقّة [*be thrown* "رُمِي"] يكون الاهتداء الذّهنيّ إلى المضمون نفسه من خلال المتنقِّل (فيكون تبعا لذلك منقولا من زاويته). فالتّصوّر الأساسّي لا يندثر- إنّما يُحجَب ببساطة في مستوى البنية المركّبة. فالواجب، إلى حدّ ما، أن نعود إلى الوراء ونتّبع المسلك الطّبيعيّ الّذي ينشدّ إلى المحدث، لكي ندرك ما يجري للمتنقّل.[24]



الرّسم البيانيّ 14. 10

قد لا يكون المقترَح الّذي ينصّ على أنّ تصفيف المنتقل/ المعلم قائم على أساس التّتابع في المسلك الذّهنيّ، وأنّه زمنيّ بالضّرورة، تبعا لذلك، مقترحا واضحا وضوحا حدسيّا. ولا يمكن أن يكون ذلك متوقّعا إلاّ في ضوء السّلّم الزّمنيّ الصّغير المعتمد. فعند أدنى المستويات، يكون التّتابع داخليّا في دلالة العنصر المعجميّ المفرد (مثل، [*throw* "رمى"]) الّذي يقاس تصوُّره بالمليّثواني. فلا يمكننا أن نستبق، بشكل معقول، أن يكون الاهتداء التّتابعيُّ خاضعا للاستبطان إلاّ في مستويات التّنضيد العليا حيث يكون سلّم الزّمن أكبر ويجري التّعبير عن العناصر كلاّ على حدة. هذا المقترح حالة خاصّة من فكرة أعمّ (§ 14. 1. 1) تنصّ على أنّ تصوّر التّرتيب وتصوّر الاتّجاهيّة ماثلان في المعالجة المتسلسلة الّتي تمثّل مظهرا أساسيّا من التّجربة التّصوّريّة حتّى وإن ظلّت دون عتبة الإدراك الواعي. ومن هذه الزّاوية، يُعتبَر تصفيف المنتقل/ المعلم شبيها بالاتّجاهيّة الكامنة في سلّم ما.

لئن لم يكن المقترح بيّنا في ذاته، فهو ليس مجرّد تخمين أيضا. فهناك من الحجج ما يدعم أنّ المنتقل والمعلم يوصَّفان توصيفا مناسبا بكونهما نقطتين مرجعيّتين يجري الاهتداء إليهما اهتداء تتابعيّا. وبعض الحجج ظرفيّ، من ذلك الواقع المعلوم المتمثّل في أنّ الفاعلَ في أغلب اللّغات يسبق المفعول في ترتيب الكلم الأساسيّ (المحايد إلى أقصى الدّرجات). هذه الحجّة ظرفيّة لأنّ الإسمائيّ الفاعل والإسمائيّ المفعول، رغم أنّهما يعبّران عن المنتقل والمعلم، لا يمكن أن يكونا مطابقين لهما (بالمعنى الدّقيق للكلمة). فالمنتقل والمعلم وحدتان مفهوميّتان كامنتان في معنى كلّ فِعل أو محمول أكبر. وبذلك يكون الاهتداء التّتابعيّ إليهما داخليّا في المحمول، متعلّقا بإدراك العلاقة المعروضة، فلا صلةَ، إذن، لذلك الاهتداء

في ذاته بالتّرتيب في الذّكر. ومن جهة أخرى، الإسمائيّ الفاعل والإسمائيّ المفعول بنيتان رمزيّتان. فلهما، من حيث هما كذلك، مظهر تعبيريّ صوتميّ ويُنجَزان وفق ترتيب معيّن. فمنزلتهما من حيث هما فاعل ومفعول لا ترتبط بترتيب الكلام، بل بالتّناسبات بين مَعرُوضَيهما ومنتقل المركّب الجُمَليّ ومعلَمِه. فترتيب الكلام في مستوى المركّب الجُمَليّ، يَتأثّر بالبنية الإخباريّة وباعتبارات أخرى، حتّى عند استعماله لتحديد الفاعل والمفعول. غير أنّ هناك نزوعا واضحا من الفاعل لسبق المفعول في غياب ما يلغي ذلك من العوامل، سبقا لا يُتوقَّع إلاّ إذا كان لتصفيف المنتقل/ المعلم أساسٌ زمنيّ كذلك. فالتّرتيب المطلق يعكس نجاعةَ المعالجة الّتي تتحقّق من خلال التّصافّ بين مسالك الاهتداء الطّبيعيّة.

وممّا يوحي بالتّتابع في تصفيف المنتقل/ المعلم، قابليّة الاهتداء النّحويّ الشّهيرة إلى دوري الفاعل والمفعول. فمقارنة بسائر العناصر المركّبيّة الجُمَليّة، يكون كلاهما نشيطا نحويّا في أعلى الدّرجات: فهما أَوْلى العناصر بقدح المطابقة النّحويّة الّتي يحمِلها تصريف الفعل، وبالاشتغال مِفصَلين في المركّبات الجُمَليّة الموصولة، وما إلى ذلك. وفي نظريّات الاستقلال الإعرابيّ، تُرتَّب العلاقات النّحويّة في الغالب ترتيبا تفاضليّا وفق معيار "البروز الإعرابيّ"، يكون فيه الفاعل والمفعول الوحدتين الأوليين في القائمة. غير أنّ هذه المقاربات لا يكون فيها لمصطلحات من قبيل "البروز" و"قابليّة الاهتداء" مضمونٌ مستقلٌّ - هما يشيران ببساطة إلى أنّ بعض الأدوار النّحويّة موجود في ظواهر بدرجة تفوق وجودَ سائر الأدوار النّحويّة فيها. ومقابل ذلك، يَشتقّ التّفسيرُ في النّحو العرفنيّ التّرتيبَ التّفاضليَّ من شيء أساسيّ أكثر. فبروز الفاعل والمفعول إعرابيّا يعكس بروزَ المنتقل والمعلم مفهوميّا، وهما مفهومان نظريّان أساسيّان قائمان منفصلين لغاية الوصف الدّلاليّ (§ 3. 5). نكون بهذا قد خطونا خطوة إضافيّة في تفسير تصفيف المنتقل/ المعلم في ضوء التّتابع في الاهتداء الذّهنيّ، موفّرين بذلك أساسا مباشرا لقابليّة الاهتداء النّحويّ إليهما.

ومن تجلّيات قابليّة الاهتداء إليهما الدّور المفتاح الّذي يكون للفاعل والمفعول في الإحالة الضّميريّة العائديّة. ورغم أنّ عوامل كثيرة تساهم في ذلك يمكن للمرء أن يصوغ تعميما ينصّ على أنّ الفاعل يجري مفسِّرا لأيّ عنصر آخر من المركّب الجُمَليّ، والمفعول لأيّ عنصر ما عدا الفاعل

(فان هـوك 1995، 1997). نرى في (21) (أ) و(ب)، مثلا، أنّ الفاعل يمكن أن يجري مُفسِّـرا لمالِك شـيء مـا، ولكنّ العكس غيـر ممكن. وكذا تُظهِر الجملتان (21) (ج) و(د) الاتّجاه الأحاديَّ في علاقة الإحالة العائديّة بين مفعَول المركّب الجُمَليّ وعنصر من مركّب حرفيّ.

(21) (أ) ***The kitten*** *was chasing* ***its*** *tail.*

كان القطيط يطارد ذيلـــــــــه.

(ب) ✻***It*** *was chasing* ***the kitten****'s tail.*

*كان (هو) يطارد ذيل القطيط.

(ج) *We observed* ***the baboons*** *in* ***their*** *native habitat.*

درسنا قردة البابون في بيئتـــها الأصليّة.

(د) ✻*We observed* ***them*** *in* ***the baboons****' native habitat.*

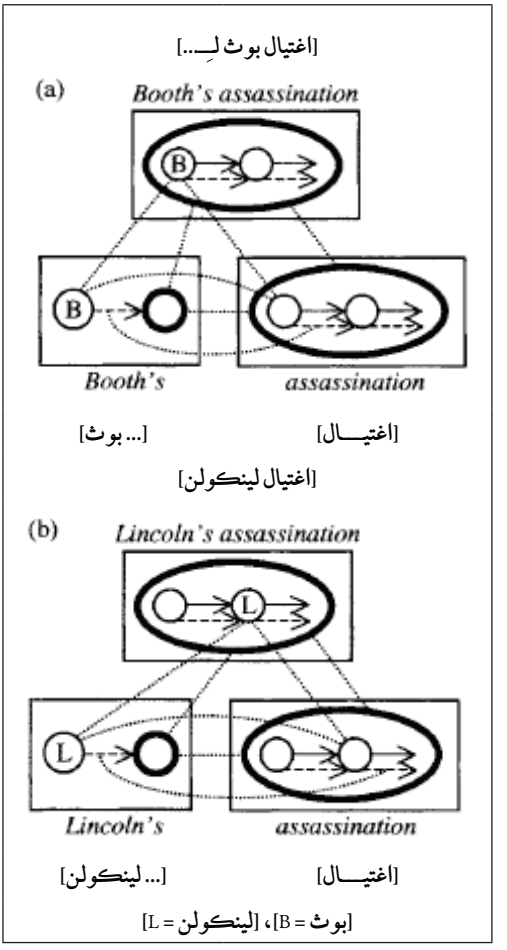
*(نحن) درسناها في بيئة قردة البابون الأصليّة.

وإذ يسـلّم ذلـك التّعميم بأنّ الإحالة العائديّة فـي ذاتها واحدة من ظواهر النّقطـة المرجعيّـة، إنّما يوائم توصيـفَ المنتقل والمعلـم بكونهما النّقطتين المرجعيّتيـن الأولى والثّانيـة في إدراك العمليّة المركّبيّـة الجُمَليّة. فالنّقاط المرجعيّة الّتي تستدعَى لغاية واحدة تنزع أيضا إلى أن تستعمَل لغايات أخرى.

وممّا يدعم هذا التّحليلَ دعما مباشـرا أكبر، اسـتعمالُ عبارات الملكيّة لتخصيص المشـاركين في فعل مُسْـمًى، كمـا فـي [*Booth's assassination* [*of*] *Lincoln*] "اغتيـال بوث [للينكولـن]"] و[*Lincoln's assassination* [*by Booth*] "اغتيال لينكولن [من قبل بوث]"]. فعندما يُسْمَى الفعل، تنبني العمليّة الّتي يدلّ عليها على أنّها شـيء تجريديّ؛ فالاسـم [*assassination* "اغتيال"] يعرض شيئا يتضمَّن عيّنة من العمليّة [*assassinate* "اغتال"]. يجري تمثيل انبناء العمليّة على أنّها شيء، بالشّـكل البيضويّ ذي الخطّ الغليظ في الرّسـم البيانـيّ 14. 11. فإذا كان منتقـلُ عمليّة مـا ومعلمُها نقطتين مرجعيّتين إزاء تلـك العمليّة، وإذا كانت العمليّة منبنية على أنّها شـيء، مثّلت علاقةُ كلٍّ مشـارك بها علاقةَ ملكيّة (تُعـرَّف خطاطيّا بكونها علاقةَ نقطة مرجعيّة بين شـيئين). وبذلك يتكهّن التّحليل تكهّنا صحيحا بأنّ عبارات الملكيّة تُستعمَل وجوبا استعمالا مطّردا لتخصيص المشاركين في عمليّة مشيّأة.

تلك العبارات شـبيهة إلى حـدّ كبير بعبارات الملكيّة الأساسـيّة مثل [*Zelda's quilt* "لحاف زيلدا"] (انظر الرّسـم البيانيّ 14. 2)، مع فارق وحيد يتمثّل

في أنّ الهدف عمليّة مشـيّأة. ولذلك تبلور كلمـة [*assassination* "اغتيال"] في العبارتين كلتيهما، الهدفَ الخطاطيّ للمركّب الدّالّ على المالك ([*Booth's* "لـ بـوث"] أو [*Lincoln's* "لـ لينكولن"]). وتتمثّل السّـمة الخاصّة بهذه البنية الإطنابيّة في أنّ الاسم الهدف في ذاته يشتمل على علاقات النّقطة المرجعيّة - أي تلـك الكامنة في تصفيف منتقل الفعل/ معلم الفعل- الّتي توافق واحِدةٌ منهـا علاقةَ الملكيّة. وبذلك يناسـب المالـكُ منتقلَ العمليّة المشـيّأة أو معلَمها، وعلاقةُ النّقطة المرجعيّة فيها بالهدف هي نفس العلاقة الصّميميّة الّتي تكـون جزءا من معنى الفعل. وبهذه الطّريقة، تجري بنية الملكيّة لتخصيص مشارك في العمليّة.



الرّسم البيانيّ 14. 10

ويأتي دليل نهائيّ آخر من العبارات التّعادليّة، كما في (22). وهذه العبارات على ضربين أساسيّين. في (22) (أ)-(ب) يحيل الإسمائيّان المبتدأ والخبر على فردين مخصوصين حقيقيّين. فما تعرضه هاتان الجملتان هو علاقة التّطابق المرجعيّ: يعني أنّ الإسمائيّين يحيلان على الشّخص نفسه.[25] وفي هذه الأمثلة، غالبا ما يقبل الإسمائيّان القلبَ في التّرتيب، بحكم أنّ التّطابق علاقة تناظريّة. ولكن في الأمثلة الأخرى، من قبيل (22) (ب)-(ج)، لا يحيل الإسمائيّان على فردين مخصَّصين. وفي هذه الحالة، لا يكونان قابلين لقلب التّرتيب بينهما، كما يشهد على ذلك شذوذ الجملة (22) (د). فكيف يمكن أن نصف هذه العبارات؟ ولمَ لم تكن قابلة للقلب؟

(22) (أ) *My cousin Harvey is the guy who got drunk at our wedding.*

ابن عمّي هارفي هو الرّجل الّذي سكر في حفل زفافنا.

(ب) *The guy who got drunk at our wedding is my cousin Harvey.*

الرّجل الّذي سكر في حفل زفافنا هو ابن عمّي هارفي.

(ج) *A tiger is a feline.*

النّمر قِطّ. (النّمر من فصيلة القطط).

(د) **A feline is a tiger.*

*القطّ نمر. (*القطّ من فصيلة النّمور).

تعرض العبارات من هذا الضّرب الأخير كذلك علاقةَ تطابق مرجعيّ. والفارق الأساسيّ يتمثّل في أنّ مراجع الإسمائيّات مراجع افتراضيّة لا واقعيّة. فهي عيّنات تخيّليّة من أنواعها، تُستدعَى لصياغة حكم عامّ. والعامل المفتاح فيها نوعٌ من الاتّجاهيّة الّتي تميل إلى أن تُحجَب بالمراجع الواقعيّة ولكنّها تنبثق بشكل أوضح مع المراجع التّخيّليّة الّتي تُستحضَر نماذجَ تمثيليّةً من أنواعها. فمضمون العبارة (22) (ج)، هو كما يلي بإجمال كبير: إذا ما انطلقتَ من عيّنة من [نمر]، سوف تجد دائما أنّها توافق عيّنة من [القطّ]. يوافق هذا الأمرُ المنوالَ التّصنيفيّ المعياريّ عندنا، حيث تكون النّمور قسما فرعيّا من قسم القطط. ولكنّ (22) (د) معارضة لهذا التّصنيف: إذا انطلقتَ من عيّنة من القطط، لا يصحّ دائما أنّها ستوافق عيّنة من [نمر] (فقد يكون فَهْدا، مثلا).

وبذلك تتضمّن بنية التّعادليّة، رغم أنّها تخبر بالتّطابق في الهويّة، اتّجاها في التّقييم، بحكم أنّها تستدعي مرجعَ الإسمائيّ الأوّل تتّخذه نقطة بداية -

أي مَن تكونُ مسألةُ تحديدِ هويّته مطروحةً. فمن أين تأتي هذه الاتّجاهيّة؟ يتمثّل مصدرُها البيّن الوحيد في تصفيف المنتقل/ المعلم. فمن حيث كان فاعلَ المركّب الجُمَليّ، يخصِّص الإسمائيُّ الأوّل علاقةَ التّطابق المعروضة. والمنتقل هو نقطة البداية بحكم كونه النّقطة المرجعيّةَ الأولى الّتي تُستحضَر أثناء تصوُّر هذه العلاقة.

2.14 التّخيّليّة

النّمِر والقطّ اللّذان تحيل عليهما (22) (ج) عيِّنتان متخيَّلتان (أو افتراضيّتان) من نوعيهما، مقابل الأفراد الحقيقيّين. فهما ينضمّان إلى الرّصيد المتزايد من الوحدات التّخيّليّة الّتي أثبتنا في ما مضى أنّها مهمّة لغويّا. ومنها (على سبيل المثال لا الحصر) نتاجات الاستعارة والمزج (§ 2. 2. 3) وزاويةُ النّظر المتخيّلة (§ 3. 4. 1)، والتّحديدُ الافتراضيّ (الرّسم البيانيّ 5. 4)، والمتصوِّرُ (c) الّذي يستدعيه عنصر التّجذير (§ 12. 3. 2)، والاستدعاء الافتراضيّ لسيناريو العمل اللّغويّ (§ 13. 2. 3). فالتّخيّليّة ظاهرة سائدة إلى حدّ يجعلنا نسلّم بكونها سمة أساسيّة في العرفنة ذات دور جوهريّ في البنية اللّغويّة.

1.2.14 العرفنة المنفصلة

نحن نعيش في عالم حقيقيّ.[26] وإذ كانت رؤيتنا لهذا العالم تبنَى بناء ذهنيّا على أساس التّجربة، فإنّ كلّ واحد منّا يدركه بطريقة مختلفة إلى حدّ ما، وبطريقة مختلفة كثيرا عمّا تدركه به الكائنات ذات القدرات الذّهنيّة الأخرى. ورغم هذا التّنوّع، تتشكّل عمليّة البناء تلك وتتقيّد بطبيعة العالم الواقعيّة - أو تتقلّص فرص الحياة في ما عدا ذلك. وهذه العمليّة مقيَّدة أكثرَ بموقعنا في العالم. فنحن ندركه دائما في اللّحظة الحاضرة، ومن زاوية موقعنا الحاليّ فيه، ومن خلال حواسّنا، وبملكاتنا الذّهنيّة. وليس العِلْمُ الكلّيّ خيارا متاحا.

والعالم الّذي نبنيه، في نهاية المطاف، متجذِّر في تجربتنا من حيث نحن مخلوقات ذات أجساد نتفاعل مع ما يحيط بنا من خلال عمليّات ماديّة تشمل النّشاط الحسّيّ والحركيّ. يُعرَف ذلك في اللّسانيّات العرفنيّة بالجَسْدنة. ولكن من الجليّ أنّ حياتنا الذّهنيّة تتجاوز حدودَ تجربتنا الجسديّة الفوريّة. تنشئ العمليّاتُ العرفنيّة المتنوّعة أبنيةً ذهنيّة على مستويات متتابعة من التّنضيد تزداد صلتها بتلك التّجربة تباعدا على التّدريج. فهذه الأبنية لا تسمح لنا

بالتّعامل مع العالم الواقعيّ تعاملا أنجع فقط، بل هي تضبط ما يكوِّنه وتوسِّعُه إلى حدّ كبير كذلك. فمن زاوية النّظر عندنا، ليس للعالم الّذي نسكن فيه ونتعامل معه أبعادٌ ماديّة فقط، بل هو ذو أبعاد اجتماعيّة وثقافيّة وفكريّة، كذلك. فعندما ترسخ تلك الأبعاد رسوخا عرفنيّا، يمكننا أن نشتغل في تلك المجالات بطريقة مستقلّة إلى حدّ كبير. فالمناقشات المتعلّقة بإستراتيجيّات توظيفها أو التّأمّلات المتعلّقة بالنّظريّة اللّسانيّة، في أساسها، مستقلّة عن الواقع المادّيّ المباشر؛ ولكنّها وسائل في التّعامل مع بعض المظاهر من عالمنا الّذي يُبنَى ذهنيّا واجتماعيّا.

يكون إذن قدر كبير من نشاطنا العرفنيّ منفصلا (بدرجات مختلفة) عن التّجربة الجسديّة الفوريّة. فكيف نتوصّل إلى التّعالي عنها؟ تكمن واحدة من طرقِ ذلك في الذّاكرة الّتي تتمثّل في إحياء تجربة سابقة إحياء جزئيّا. وأخرى في الاستباق حيث تُوفّر ملاحظةٌ وضعيّةٍ حاضرةٍ أساسا يقوم عليه إسقاط لتطوّرها في المستقبل. يمكن أن يكون ذلك الاستباق أساسيّا، كأن نتوقّع في المطلق أن يتواصل وجود شيء مادّيّ اللّحظة تلو الأخرى. ولكنّه يمكن أن يقوم كذلك على أساس قوالب تُكتسَب من خلال مجريات سابقة. هذه القوالب تُتعلَّم عن طريق التّجريد، وهو وسيلة أساسيّة في التّعالي عن التّجربة الآنيّة.

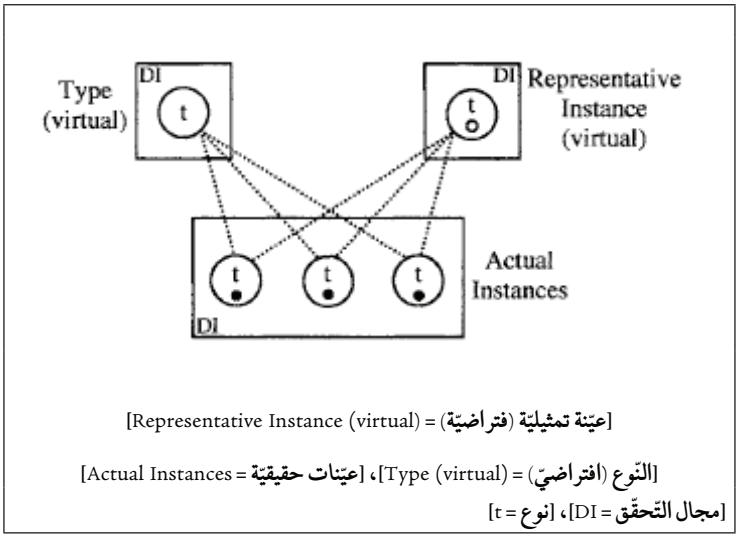
يحدث التّجريد من خلال ترسيخ ما يكون مشتركا بين التّجارب المتعدّدة. وإذ لا يكون ترسيخٌ للسّمات الّتي لا تتكرّر، تكون البنية الّتي جرى تجريدها فقيرة دائما مقارَنة بالتّجارب الّتي تُشتقّ منها. وإذ لا تظهر القواسم المشتركة في الغالب إلاّ في نظرة إجماليّة تشتمل على درجة أقلّ من الدّقّة، كانت الأبنية المجرّدة خطاطيّةً في العادة مقارنة بتلك التّجارب. والبنية المجرّدة مستقلّة عن كلّ تحقُّق عينيّ، رغم أنّها متأصّلة في جميع التّحقّقات. فهي تمثّل تعميما يمكن أن يُستدعَى في المعالجة اللاّحقة. فدون القدرة على التّجريد، تكون كلّ تجربة فريدةً لا تربطها صلةٌ بأيّ تجربة أخرى. ولا يمكن أن تنبثق رؤيةٌ منضّدة للعالم.

الوحدات التّواضعيّة في لغة من اللّغات هي وحدات جرى تجريدها من أحداث الاستعمال. فعندما تُتعلَّم الوحدة اللّغويّة، تتعالى عن أحداث الاستعمال الّتي تنبثق عنها، بأن تكون لها إمكانيّة استعمالها في أحداث استعمال أخرى تتضمّن عبارات جديدة (انظر الفصل 8). فهي منفصلة عن التّجربة الفوريّة

بمعنى أنّها جزء من رصيد المتكلّم اللّغويّ الّذي يكون جاهزا للاستعمال حتّى وإن لم يكن مستعمَلا في اللّحظة الحاضرة. ونتيجة لهذا الانفصال، يمكن أن يكون كيانٌ ما ضروريٌّ لقيام معنى وحدة لغويّة ما، افتراضيّا في طبيعته عندما تُتناوَل تلك الوحدة تناولا معزولا عن استعمالها. ومن الحالات البيّنة في ذلك، الضّميران [أنا] و[أنت] اللّذان يحيلان، باعتبارهما وحدتين تواضعيّتين، على المتكلّم وعلى السّامع إحالة مجرّدةً معمَّمَة. فهما لا يحيلان على أفراد حقيقيّين مخصوصين إلاّ في سياق حدث استعمال محدَّد. والأمر نفسه يصحّ على سيناريو العمل اللّغويّ، وكذلك على المُتصوِّر الّذي تستدعيه عناصر التّجذير ومحمولاتُ الموقف القضويّ (§ 12. 3. 2). وبصفة أعمّ، تكون الوحدة الّتي يعرضها اسم معجميّ أو فعل معجميّ، مجرّدَ نوع من شيء أو من عمليّة، والنّوع في ذاته يكون دائما افتراضيّا. فالوحدة المعروضة لا تُتَصوّر على أنّها عيّنة من نوعها إلاّ عندما يجري تجذيرها لتكوين إسمائيٍّ أو مركّب جُمَليّ منته. وهذه العيّنة لا يمكن أن تتحدّد بكونها فردا حقيقيّا في العالم، إلاّ في سياق حدث استعمال خاصّ.

لكن لا يصحّ أنّ الوحدات المجرّدة تتطابق دائما مع وحدات حقيقيّة في سياق أحداث الاستعمال. ففي بعض الأبنية اللّغويّة، تكون طبيعة تلك الوحدات التّجريديّة، بالتّحديد، سببا في استدعائها. يكون الأمر كذلك، عندما يجري الاسم أو الفعل عنصرا أوّل في عبارة مركّبة أو جذعا للاشتقاق الصّرفيّ، عوض أن يكون مجذَّرا. فالغاية من [*mosquito net* "شبكة البعوض"] أن توفّر الحماية من البعوض بصفة عامّة، لا من واحدة منه بعينها. وكذا وصْفُ شخص بكونه [*complainer* "شكّاء"] يؤخذ في العادة دالّا على استعداد عامّ للشّكوى، لا على عيّنة مخصوصة من الشّكوى. ولئن آل غياب التّجذير إلى الافتراضيّة، فإنّ حضوره في ذاته لا يضمن الواقعيّة. فعلى سبيل المثال، تمثّل عبارة [*A tiger is a feline* "النّمر قِطّ"] مركّبا جُمَليّا تامّا منتهيا يشتمل على إسمائيّين مجذَّرين. ورغم ذلك، جميع المراجع فيها افتراضيّة: النّمر، والقطّ، وعلاقة التّطابق المعروضة بالاستتباع. فالعيّنة من النّوع، بدل أن تكون حقيقيّة، يمكن أن تُستَدعى ببساطة لغايات مخصوصة، من هذه الغايات إقامةُ حُكْم عامّ.[27] وفي هذه الحالة، تنبني العيّنة الّتي يحال عليها على أنّها ممثّلة للنّوع (§ 9. 3. 5)، وذاك مدخل التّجريد فيها إزاء العيّنات الخاصّة.

تنبثـق الأنواع والعيّنـات الممثِّلة من الوحدات الحقيقيّـة من خلال أضرُب مختلفة من التّجريد يشار إليها في الرّسم البيانيّ 14. 12. تَذكَّر أنّ العيّنة تُتصوَّر علـى أنّهـا ذاتُ موضعٍ مميّز خـاصّ بها في مجال التّحقّـق (DI). نحصل على تصوّر للنّوع بأن نجرِّده من هذه الخصيصة. فالوصف الشّـامل لنوع ما، يتضمّن صلـةَ هذا النّوع بعيّناته (فهذا، في النّهاية، ما يعنيه كونه نوعا)، وتبقى العيّناتُ ومواضعُها في الخلفيّة (الرّسـم البيانيّ 9. 3). وفي تصـوّر عيّنة ممثِّلة، من جهة أخرى، تكون فكـرة العيّنات والمواضع المميّزة بدورها مظهرا من القاسـم المشـترك المجـرَّد. فالعيّنة الافتراضيّة يجـري تجريدها من عيّنـات حقيقيّة بالتّحديـد لتُمثِّل الخصيصة المشـتركة بينها من حيث هـي عيّنات من النّوع (الرّسم البيانيّ 9. 13).



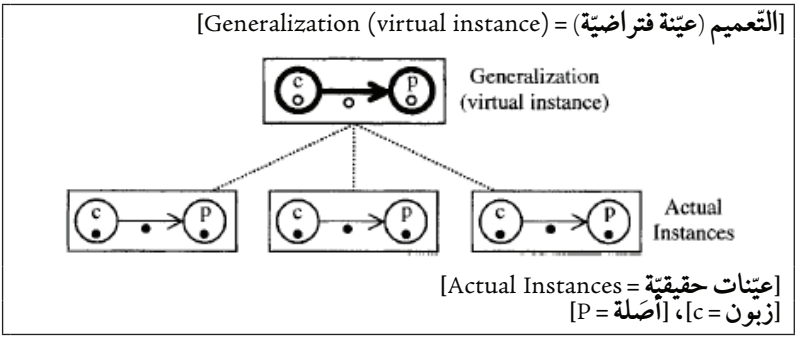
الرّسم البيانيّ 14. 12

توجد العيّنات الممثِّلة لنوع ما في ظواهر لغويّة كثيرة جدّا. فهي مفصليّة في معنى المسوِّرات المجذِّرة [*every* "كلّ+..."]، و[*each* "كلّ واحد"]، و[*any* "أيّ+ واحد/..."] (§ 9. 3. 5). وهي جارية، بالإضافة إلى ذلك، في إنشاء التّعميمات المحلّيّة والشّـاملة فـي آن. فالجملة الموالية، مثلا، تصف ما هو مشـترك بين ثلاثة أحداث مختلفة يشارك فيها زبائن مختلفون وثعابين مختلفة:

(23) *Three times this morning a customer bought a python.*
ثلاث مرّات هذا الصّباح اشترى زبون أَصَلة.

رغـم هذا التّعدّد، يجري الإسـمائيّان الفاعلُ والمفعـولُ في صيغة المفرد. والزّبون والأصلة المعروضان ليسا عيّنتين حقيقيّتين، بل هما عيّنتان افتراضيّتان من نوعيهما، منبنيتان على أنّهما ممثّلتان لعيّنات حقيقيّة. فهما تشـاركان في عيّنـة من البيع تكون بدورها افتراضيّة كذلـك بحكم أنّها ممثِّلة لثالوث مـن العيّنات الحقيقيّة. وكما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 14. 13، هذا الجريان الافتراضـيّ هو ما تجعله الجُملةُ ماثلا على الرّكـح من حيث كان العمليّةَ المعروضة. فقد جرى تجريده في شـكل تعميم يشـمل ثالوثا من المجريات الحقيقيّـة، تتخصّص الصّلة بينها بالعبارة الظّرفيـة [*three times this morning* "ثلاثَ مـرّات هـذا الصّباح"]. فمعنى الجملـة يتضمّن هذا التّشـكّل بكامله - أي المستويين كليهما وطبيعة العلاقة بينهما.[28]

وممّا يجري تحليله تحليلا مشـابها، ما يتعلّق بالجنس من الأحكام العامّة الّتي تسـتعمِل الإسـمائيّات النّكرة، من مثـل [*A tiger has stripes* "للنّمر خطوط (جانبيّـة)"]. فمع أسـماء الجنس، يكون التّعميم شـاملا لا محلّيّا: عوض أن ينطبق على عـدد محدود من المجريات يصادف أنّها متشـابهة، يقدَّم على أنّه توصيف لطبيعة العالم الأساسـيّة (قولدسميث ووازيتشلاغير 1982؛ لانقاكر 1997). فهـي بذلك تنطبق على مجموعـة من المجريات ذات نهاية مفتوحة، والمتوقَّـع أنّها صالحة لـكلّ عيّنة من النّوع الموصوف (هـو [نمر]، في هذه الحالة). فالأجناس لا تحيل مطلقا على فكرةِ كون العالم ذا بنية أساسيّة، أو على الماصدق الأقصى للنّوع (E_t). فهذه الأبنية الذّهنيّة جزء من الطّبقة التّحتيّة المفهوميّة الحاملة.



الرّسم البيانيّ 14. 13

للعيّنات الافتراضيّة كذلك دور في مدى المُسـوِّر، الّذي يَظهر فيه مسوِّر واحد في التّصوّر الّذي ينطبق عليه المسوّر الآخر. ففي التّأويل المناسب، تَنسِب

الجملة [*Two boys ate seven apples* "صبيّان اثنان أكلا سبع تفّاحات"]، مثلا، أكلَ سبع من التفّاحات إلى كلّ واحد من الصّبيّين. ويقال إنّ ["سبع"] واقعة في مدىً ["اثنان"] (أو إنّ [اثنان] ذات مدى واسع، و[سبع] ذات مدى ضيّق). تستلزم الجملة، مؤوّلةً على هذا الوجه، أنّ مجموع التّفاحات المأكولة يبلغ أربع عشرة تفّاحة. فلمَ لا تذكر الجملة، إذن، إلاّ سبعا فقط؟ والسّبب في ذلك أنّ الجريان المعروض [أكل سبع تفّاحات]، حدَثٌ افتراضيّ جرى تجريدُه لتمثيل القاسم المشترك بين الحدثين الحقيقيّين، الواحدُ منهما للواحد من الصّبيّين. فالصّبيّان حقيقيّان، ولكنّ التّفاحات السّبع افتراضيّة.

وبطبيعة الحال، يمتثل التّجريد لمتطلّبات الأبنية الّتي يقوم على أساسها ولكنّه أقلّ تفصيلا منها. فهو من صميم تلك الأبنية من حيث كان تمثيلا لما تشترك فيه، ولكنّه لا يستوفي تفاصيلها. ومن الوسائل الأساسيّة في التّعالي عن التّجربة المباشرة وسيلةٌ تُظهر الخصائصَ المعاكسة؛ هي الدّمج المفهوميّ (فوكونياي وتورنر 2002). تُدمَج التّصوّراتُ من خلال التّناسبات بين العناصر فيها. وغالبا ما تكون النّتيجة مفهوما جديدا يختلف اختلافا كبيرا عن أيّ مفهوم موجود من ذي قبل. ومن الحالات البيّنة، الاستعارةُ الّتي يُستعمَل فيها مجال مصدر لإدراك مجال هدف، فتحدث لذلك بنيةٌ مزيج (الرّسم البيانيّ 2.9). وتتمثّل حالة أخرى في التّركّب الدّلاليّ حيث تُدمَج بنيتان لتكوين تصوّر مركّب. تسمح قوالب التّركّيب - أي الأقطاب الدّلاليّة من الخطاطات البنائيّة- بتكوين تصوّرات مألوفة (مثل [*lazy cat* "قطّ كسول"])، أو تصوّرات جديدة ولكنّها ممكنة ([*purple bread* "خبز بنفسجيّ"]، أو خياليّة خالصة ([*elephant invisible* "فيل غير مرئيّ"]، أو تصوّرات غير منسجمة مفهوميّا ([*square circle* "دائرة مربّعة"]).

يمكّننا الدّمج المفهوميّ من التّعامل مع الملابسات ذات التبدّل الدّائم في الحياة الواقعيّة. وعند الطّرف المقابل، يُستعمَل الدّمج في إنتاج الأعمال الخياليّة حيث تكون الشّخصيّات والحكاية خياليّة، وحتّى العالم ذاته كذلك. وفي ما بين ذينك الطّرفين، يجري الدّمج في استدعاء وحدات تخيّليّة تُتّخَذ وسيلةً غير مباشرة في التّعامل مع الواقع. ومن الأمثلة الكبرى في ذلك الرّياضيّات، والنّظريّات العلميّة، والنّظم الفلسفيّة (لايكوف ونونياز 2000؛ لايكوف وجونسون 1999). ونجد من الأمثلة ذات النّطاق المحدود الأدوات اللّغويّة الّتي تشير خصّيصا إلى المنزلة غير الواقعيّة الّتي تكون

للمجريات. ففي (24) (أ)-(ج)، على سبيل المثال، يشار إلى طبيعة الكلب التّخيّليّة متكلّما بالفرنسيّة بواسطة النّفي، وبالفعل [*imagine* "تخيّل"] وبناء الشّرط المقترن بـ[*if* "إن"]، تباعا. غير أنّ استدعاء هذه الوضعيّة يخدم حقيقةً غاية ما باعتبار الواقع. فالمعرفة بأنّ الأمر ليس كما يُظَنّ، أو بأنّه لن يكون كذلك إلاّ بشروط معيّنة، يمكن أن يكون ذا تبعات في ما يتعلّق بما نفعله حقيقة. ولنن كانت جاين واهمة بأنّ كلبها يتكلّم الفرنسيّة، فإنّ تخيّلها لذلك في ذاته، رغم ذلك، وضعيّةٌ واقعيّة علينا أن نتعامل معها.

(24) (أ) *Jane's dog does not speak French.*
كلب جاين لا يتكلّم الفرنسيّة.

(ب) *Jane merely imagines that her dog speaks French.*
لا تكاد جاين تتخيّل أنّ كلبها يتكلّم الفرنسيّة.

(ج) *If her dog speaks French Jane can make a fortune.*
لو كان كلب جاين يتكلّم الفرنسيّة لاستطاعت أن تجمع ثروة طائلة.

وفي وسيلة أخيرة من وسائل التّعالي عن التّجربة المباشرة، تنطبق العمليّات الذّهنيّة الكامنة في نوع مخصوص من التّجربة، على وضعيّات يكون جريانها خارجيّا عن تلك التّجربة. يسمّى ذلك الاستذناء، إشارةً إلى أنّ العمليّات تصير مستقلّة عن الملابسات الموضوعيّة الّتي كانت قد جرت فيها في البداية والّتي يمثّل إدراكُها جزءا منها. ومن الأمثلة السّابقة توصيف النّقطة المرجعيّة في عبارات الملكيّة (§ 14. 1. 2). فالعمليّة الذّهنيّة المتمثّلة في استدعاء النّقطة المرجعيّة (R) للاهتداء إلى الهدف (T) ((C ⟶ R ⟶ T)) "متصوّر---> نقطة مرجعيّة ---> هدف)، كامنةٌ في تصوّر المالِك الّذي يراقب المملوك (R ⇒ T "نقطة مرجعيّة ⇐ هدف"). يخفت مفهوم المراقبة الموضوعيّة، في الكثير من الاستعمالات في أبنية الملكيّة، خفوتا كبيرا إلى حدّ أنّه لا يبقى منه إلاّ الاهتداء الذّهنيّ التّتابعيّ. ومن الأمثلة الأخرى، الإسماء، من مثل [*assassinate › assassination* "اغتال > اغتيال"]، الّذي بمقتضاه يُتَصوَّر حدثٌ على أنّه شيء تجريديّ (الرّسم البيانيّ 14. 11). تتمثّل هنا العمليّتان الذّهنيّتان في التّجميع والتّشييء (§ 4. 2. 2) اللّتين تنطبقان انطباقا شفّافا في أسماء الجموع من قبيل [*stack* "كومة"]، و[*team* "فريق"]، و[*archipelago* "أرخبيل"]، وانطباقا دون مستوى الإدراك الواعي في الأسماء الطّرازيّة من قبيل [*dog* "كلب"]، و[*rock* "صخرة"] و[*pencil* "قلم رصاص"]. ومع اسم من مثل [*assassination* "اغتيال"]،

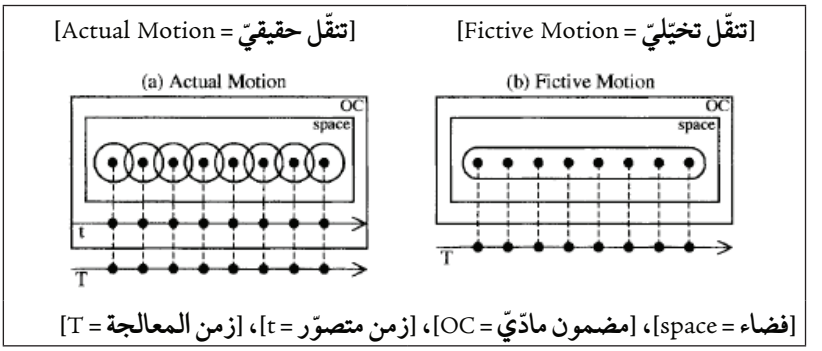
تكون الوحدات الّتي جُمِّعت وشُـيِّئت، الأحـوالَ المكوّنةَ للعمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل (أي العلاقات الّتي تُعرَض عند كلّ لحظة على التّتابع).

ومن نتائج الاسـتذتاء، الظّاهرةُ الّتي تُعرَف بالحركة المتخيَّلة.[29] فالعبارة في (25) (أ)-(ب)، على سبيل المثال، تشتمل على عناصر تُستعمَل بصفة رئيسيّة للتّعبيـر عن الحركـة الفضائيّة: فِعل التّنقّل [*run* "جـرى"]، وكذلك حرفا المسـلك [*from* "من"] و[*to* "إلى"]. وزيادةً على ذلك، يبدو أنّهما تشيران إلى الحركة في الاتّجاهات المعاكسـة. ورغم ذلك يصف كلاهما الوضعيّة نفسَـها الّتي تكون في ذاتها سكونيّة غير ذات اتّجاهيّة كامنة فيها. في هذه العبـارات، تنطبق العمليّـاتُ العرفنيّة الكامنةُ في تصـوُّر الحركة الفضائيّة، على المشاهد السّكونيّة طريقةً في الاهتداء الذّهنيّ إليها.

(25) (أ) *An ugly scar runs from his elbow to his wrist.*
يجري أثر جرح بشع من مرفقه إلى معصمه.
(ب) *An ugly scar runs from his wrist to his elbow.*
يجري أثر جرح بشع من معصمه إلى مرفقه.
(ج) *The pitcher ran from the bullpen to the mound.*
يجري قاذف كرة البيسبول من مجمّع الكرات إلى الجثوة.

نحـن نتصوّر حدث تنقّل حقيقيّ، من قبيل ما يـرد في (25) (ج)، بأن نتابع ذهنيّا المتنقّل وهو يتدرّج على امتداد مسلك فضائيّ. يُعرَض ذلك في الرّسم البيانـيّ 14. 14 (a): خلال زمن المعالجة (T)، نتصوّر على التّتابع المتنقّلَ وهو يحلّ - خلال الزّمن المتصوَّر (t)- في سلسـلة من المواضع تكوِّن المسلكَ بصفة جماعيّة. ويتمثّل مظهـر كامن في هذا التّصوّر، في أنّ المتصوِّر يُجري مسـحا ذهنيّـا على امتداد نفس المسـلك الّذي يمرُّ به المتنقّل مـرورا مادّيّا؛ فلكي يـدرك المتصوّرُ هذا الحـدث الإدراك المناسـبَ، يجب عليه أن يهتديَ إلى المواضع المتتابعة بنفس التّرتيب الّذي يبلغها عليه المتنقّلُ. فالتّصوّر الحركيّ لمسـلك ما، بناء على ذلك، كامن في تصـوّر التّنقّل الحقيقيّ. وفـي عبارات التّنقّل التّخيّليّ، تنطبق العمليّات الذّهنيّة نفسـها على المشـاهد السّـكونيّة، كما يُعرَض في الرّسم البيانيّ 14. 14 (b): خلال زمن المعالجة، يُجري المتصوِّر(C) مسـحا على امتداد المسـلك، بأن يسـتدعيَ على التّتابع المواضعَ الّتي تكوّنه. ولكنّ نظيرَ المتنقّل، هنا، شيء ممتدّ في الفضاء يحتلّ جميـع تلك المواضع على التّزامن (أثَر الجرح، مثلا). فبدل أن يتابعَ حركة

شيء ما، يمسح المتصوِّر (C) على امتداد المسلك ليقيم على التّدريج تصوّرا كاملا لتشكّل ذلك الشّيء في الفضاء. فلا يكون للزّمن المتصوَّر، لهذه الغاية على الأقلّ، أيّ دور مهمّ في مضمون العبارة المادّيّ (CO).[30]



الرّسم البيانيّ 14. 14

تجري من خلال الاستذتاء نُقلةُ الحركيّة الكامنة في إدراك الأحداث إلى تَصوُّر المَشاهد السّكونيّة. فالفعل من قبيل [*run* "جرى"] الّذي يعرض حركة منبنية انبناء موضوعيّا بمنتقلها، يؤول بدل ذلك إلى الدّلالة على تَشكُّل يدرَك من خلال حركة منبنية انبناء ذاتيّا (أي عن طريق الاهتداء الذّهنيّ التّتابعيّ) من قبل المتصوِّر. نلاحظ نقلة للحركيّة شبيهة بتلك في حالات التّغيّر التّخيّليّ (ماتسوموتو 1996c، سويتسر 1997). لنفحصْ في ما يلي بإيجاز نوعين أساسيّين منه.

يشتمل واحد منهما على مصادر المفعوليّة الجارية صفات، كما في [*broken vase* "مزهريّة مكسورة"]، و[*retina detached* "شبكيّة (عين) منفصلة"]، و[*scattered marbles* "قطع مرمر(يّة) مبعثرة"]. تدلّ مصادر المفعوليّة هذه، بحكم كونها مشتقّة من أفعال دالّة على تغيّر الأحوال، على الحالة النّاتجة عن العمليّة الّتي يدلّ عليها الفعل (الرّسم البيانيّ 4. 15). لا توصف المزهريّة بكونها ["مكسورة"]، مثلا، إلاّ عندما تكون قد خضعت لعمليّة الـ["كسر"]. ولكن ما كلّ استعمال لمصدر المفعوليّة دالّ على صفة سكونيّة، يستلزم تغيّرا حقيقيّا. فالخطّ المتقطّع المكسور[*broken line*]، لم يخضع أبدا لعمليّة الكسر، وكذا "المستودع المنفصل" [*detached garage*] لم يكن مشدودا إلى شيء قطّ، ولا "القُرى المتناثرة" [*scattered villages*] كانت متجمّعة قطّ. وفي هذه الحالات، ليس التّغيّر المدلول عليه بجذع الفعل إلاّ تغيّرا افتراضيّا،

جاريا لتحديد الكيفيّة الّتي تشِذّ بها الوضعيّة الحقيقيّة عن الوضعيّة الّتي تُعتبَر محايدةً أو عاديّة أكثر. فالمزهريّة المكسورة والخطّ المتقطّع - وكلاهما مجزّأ إلى قطع- متشابهان من حيث الحالة المعروضة الّتي تختلف في كلّ واحد منهما عن حالة التّجمّع والاكتمال. ولكنّ "المزهريّة المكسورة" تستدعي تغيّرا حقيقيّا حادثا خلال الزّمن، أي تدرّجا ماديّا يتجلّى في المزهريّة نفسها، فيكون لذلك انبناؤه انبناء موضوعيّا. ومقابل ذلك، يكون التّغيّر الّذي تستدعيه "خطّ مكسور (متقطّع)" منبنيا انبناء ذاتيّا. فالكسر ليس شيئا كامنا في الخطّ في ذاته، ولكنّه موجود عند المتصوِّر بدلا من ذلك، في شكل تدرّج ذهنيّ تُرَى فيه الحالة المعروضة شاذّةً عن الخطّ القياسيّ. وهذا التّغيّر، بحكم كونه افتراضيّا لا غير، لا يُتصوَّر متناميا خلال الزّمن. فيكون التّدرّج الذّهنيّ (المتمثّل في الاهتداء الذّهنيّ التّتابعيّ خلال زمن المعالجة)، رغم ذلك، من بقايا الحركيّة الكامنة في 'كسر'.

والجملة الموالية مثال عن الضّرب الثّاني من التّغيّر التّخيّليّ:

(26) *Our Christmas tree gets smaller every year.*
تزداد شجرة عيد الميلاد عندنا صِغرا كلّ عام.

يمكن أن تصف الجملة تغيّرا حقيقيّا، بطبيعة الحال: قد لا نستطيع شراء شجرة جديدة كلّ عيد من ميلاد المسيح، ولذلك نستعمل الشّجرة نفسها العام تلو الآخر، وكلّ عام تفقد الشّجرة إبرا وأغصانا أخرى. والأرجح أنّ الجملة، رغم ذلك، تعني أنّ الشّجرة الّتي نشتريها كلّ عام تكون دائما أصغر من الشّجرة (الأخرى) الّتي اشتريناها في سابقه. فعلى هذا التّأويل، لا يكون التّغيّر إلاّ تخيّليّا- إذ لا وجود لشجرة تزداد صغرا في الواقع. ولا يحيل الفاعل كذلك على شجرة حقيقيّة. فالجملة تستدعي التّصوّر المجرّد لعائلة تحتفل بعيد الميلاد، وهو سيناريو ثقافيّ للشّجرة فيه دور بارز. فعبارة [*Our Christmas tree* "شجرة عيد الميلاد عندنا"] وصفٌ لدور: الشّجرة الّتي تحيل عليها هي تلك الشّجرة الافتراضيّة الّتي تجري في هذا السّيناريو (منطبقا على عائلة المتكلّم). وتؤدّي هذا الدّورَ سلسلةٌ من الأشجار الحقيقيّة، جميعها ذو حجم ثابت. فمن خلال المطابقة التّخيّليّة بين تلك العيّنات، أي تخيّلها في شكل وحدة مفردة، نحصل على مفهوم الشّجرة الّتي يتغيّر حجمها.

تدلّ هذه العيّنات البسيطة على الكيفيّة الّتي نعمد بها في الغالب إلى اعتماد الوحدات التّخيّليّة ومفاهيم ذهنيّة أخرى. فما الّذي يفسّر انتشارها؟ ولمَ يكون

النّشـاط العرفنيّ منفصلا عن التّجربة الفوريّة بهذا التّواتر؟ ففي القسـم الأعظم منها، نحن لا نسعى إلى الهروب من الواقع ببناء عالم خياليّ. إنّما العالم الواقعيّ هـو بالفعل مـا يعنينا، في أغلب الأحوال. فالجملة فـي (26)، رغم أنّها لا تحيل على الأشـجار مباشـرة، تتعلّق بالأشـجار الحقيقيّة وبمظهر من تجربة ماثلة في العالم الواقعيّ. فالغاية الرّئيسـيّة من العرفنـة المنفصلة لا تتمثّل في الهروب من التّجـارب بل في التّعامل معها. والقدرات الذّهنيّة الّتي تناولناها هنا حاسـمة في بنـاء العالم الّذي نعيش فيه وفي التّعامل معه. فهـي تمكّننا، رغم انفصالها عن التّجربة الجسديّة الفوريّة، من التّعامل مع العالم في مستويات أخرى.

14. 2. 2 السّيناريوهات الخفيّة

نفهم الجملة (26) باستدعاء العادة الثّقافيّة المتمثّلة في تزيين شجرة الصّنوبر خلال موسـم الاحتفال بميلاد المسيح. ولنا أساس ظاهر في فعل ذلك: يوفّر الاسمُ المركّب [*tree Christmas* "شجرة عيد الميلاد"] الاهتداءَ الذّهنيّ المباشر إلى هذا السّـيناريو المألوف. غير أنّنا نعوّل في الأغلب على سيناريوهات تظلّ ضمنيّة أو ممّا يوحَى به بطريقة غير مباشـرة فقط.[31] فعندما يواجهنا شيء يبدو غيرَ منسـجم، يمكننا ببساطة أن نستنتج تلك السّـيناريوهات متّخذين إيّاها طريقةً نجعل بها لكلّ شيء معنى. فالكثير من السّيناريوهات الّتي نستدعيها تخيّليّةٌ في طبيعتهـا. وغالبا ما تكون مصدرا للحركيّة في تصوّر الوضعيّات الثّابتة، تماما مثل التّنقّل التّخيّليّ والتّغيّر التّخيّليّ.

من الأمثلة الجيّدة في هذا السّياق، ما يلي (مذكور في طالمي 1988b):

(27) *There's a house every now and then through the valley*.
هناك منزل بين الفينة والأخرى خلال الوادي.
(توجد منازل هنا وهناك خلال الوادي)

تشـتمل هـذه الجملة على عبـارة وجوديّـة [*there's a house* "هناك منزل"]، جنبـا إلى جنب مع ظرفيـن [*now and then* "بين الفينة والأخـرى"]، و[*through the valley* "خـلال الوادي"]. والجملة عاديّة تُفهَم فهما فوريّا، ولكن عندما نحاول تحليلها، تنشأ تساؤلات في انسجامها النّحويّ والدّلاليّ. فالظّرف [*now and then*] يدلّ على أنّ حدثا يجري بشـكل متقطّع. ولكنّ وجود منزل ما وضعيّة ثابتة، في العادة. ورغم أنّ ["خلال الوادي"] تصف مسـلكا في التّنقّل، لا تشـتمل

الجملة (27) على فعل دالّ على التّنقّل ولا هي تحيل صراحة على أيّ شيء يتنقّل. فما هو الشّيء الّذي يحوِّره ذانك الظّرفان، إذن؟

نجعل للجملة (27) معنى بأن نستدعي سيناريو فيه مسافر ما (أتخيّل شخصا يركب قطارا) يشاهد المناظر على امتداد الطّريق. يصف الظّرف [*through the valley* "خلال الوادي"] مسلكَ السّفر المتخيَّلَ. وللمسافر حقل إبصار محدود، وهو إذ يتنقّل على امتداد المسلك لا يرى إلاّ جزءا من الوادي فقط عند لحظة معيّنة. يعطي هذا الأمرُ أساسا للظّرف [*now and then*]. فهو يصف التّقطّع في نوع معيّن من حدث الإبصار: أي المناسبات الّتي يظهر فيها منزل، عند اللّحظة المعنيّة، في حقل الإبصار. هو منزل آخر يختلف بطبيعة الحال في كلّ مناسبة. ففي مقام هذا السّيناريو، تصوِّر عبارة [*there's a house*] المنزلَ ووجودَه على أنّه وحدة افتراضيّة تمثّل القاسم المشترك الّذي يُجرَّد من تجارب الإبصار المتعدّدة. والسّفر والمسافر تخيّليّان كذلك. ولئن لم يستبعَد أن يتذكّر المتكلّم ما شاهد خلال السّفر الحقيقيّ، فإنّ الجملة في ذاتها لا توحي بذلك. والمراد منها بدل ذلك أنّ أيّ شخص يسافر خلال الوادي يحتمل أن يعيش تلك التّجربة.

وما السَّفَر إلاّ واحد من الأنشطة الّتي تسمح بملاحظة الوحدات المتعدّدة بطريقة تتابعيّة. فإن أمكن مشاهدتها جميعا من مكان واحد، كما يفعل ذلك الواحد من لاعبي الدّفاع في فريق البيسبول، يمكننا الاهتداء إليها بطريقة تتابعيّة بمجرّد نقل النّظر من موقع إلى آخر. وإن كانت تتنقّل الواحدةَ تلو الأخرى عبر حقل الإبصار يمكننا مشاهدتها ببساطة مثل عربات القطار عند مروره. ونأتي كذلك أعمالا متنوّعة لنجعل الأشياء في مجال الإبصار على التّتابع: توريق صفحات الكتاب، نزع الأطباق من كومة من الصّحون، الضّغط على زرّ لتمرير نصّ على شاشة، وما إلى ذلك. فمن خلال هذه الأنواع المختلفة من التّجربة نجرِّد تصوّرا معمَّما للفحص التّتابعيّ. لنطلق عليه تسمية سيناريو المسح.[32] وكما يستدعَى سيناريو السَّفر في (27)، يستدعَى سيناريو المسح الخطاطيّ بشكل ضمنيّ في أنواع كثيرة من العبارات. وعادة ما يكون المسح تخيّليّا - فنحن لا نتصوّر حقيقةً الوحداتِ واحدة واحدة ولكنّنا ببساطة نتخيّل أنّنا نفعل ذلك. هذا المسح المحاكى يضفي الحركيّةَ على إدراك الوضعيّات السّكونيّة. ويوفّر كذلك الرّبطَ بين تعميم ما ومجموعة العيّنات الّتي يقوم عليها.

ومن العناصر الّتي تستدعي سيناريو المسح، المسوِّرُ [*each* "كلّ واحد"] (§ 9. 3. 5).[33] فهو يُستعمَل عادة في العبارات الّتي تصف ملاحظةً تتابعيّة حقيقيّة، مثل ما يجري في (28) (أ). ومع ذلك لا يعدو أن يكون هذا المسح مُحاكًى - ففَهْمُ الجملة لا يتطلّب أن نرصد بالفعل جميعَ المتخرّجين واحدا واحدا. وبما أنّ المسح مُحاكًى، تجري [*each*] كذلك في عبارات مثل (28) (ب)، حيث لا وجود لفحص تتابعيّ، في الحقيقة. فالمسوّر [*each*] يعرض عيّنةً افتراضيّة من نوع يؤخَذ على أنّه مُمثِّل لمجموعة من العيّنات الحقيقيّة. وتوفّر فكرة الاهتداء التّتابعيّ الصّلةَ بين العيّنة الممثِّلة والعيّنات الّتي تمثّلها: الخصيصة المنسوبة إلى ذلك النّوع (كأن يكون ذا وَصْفة في التّيراميسو خاصّة به) تصحّ على جميع العيّنات الّتي يكون البلوغ إليها بهذا الوجه. فلو فحصناها واحدا واحدا، لتثبّت من وجود الخصيصة فيها، لوجدناها في كلّ حالة.

(28) (أ) *As they filed across the stage, she called out the name of each graduate.*
بمرور المتخرّجين في صفّ على الرّكح، كانت (هي) تنادي بأسمائهم.
(ب) *Each restaurant has its own recipe for tiramisu.*
لكلّ مطعم وصفة التّيراميسو الخاصّة به.

ليست السّيناريوهات الخفيّة، حتّى وإن كانت في خلفيّة الوعي، جزءا من معاني العبارات فقط بل هي منعكسة في أشكالها كذلك. نرى ذلك في (29)، حيث يَشتغل الظّرفُ المعبّر عن التّواتر مسوّرا إسمائيّا. تخصّص هذه الظّروف، في العادة، التّواترَ في الأحداث (مثلا، [*She* {*always / usually / often / seldom / never*} *pays cash* "(هي) {دائما/ عادة/ غالبا/ نادرا/ أبدا} (ما) تدفع نقدا"]. ومع ذلك، يتعلّق التّأويل الأرجحُ لتلك المسوّرات بنسبة العيّنات من النّوع الّتي تحمِل خصيصة محدّدة. وعلى هذا التّأويل، تكون الجمل في (29) مكافئة، تباعا، للجمل الواردة في (30) مقترنة بالمسوّرات [*all* "كلّ"]، و[*most* "أغلب"]، و[*many* "كثير"]، و[*few* "قلّة"]، و[*no* "لا النّافية للجنس"]. فكيف يكون ذلك؟ وكيف تسوّر الظّروف الأسماء؟

(29) (أ) *Linguistic theorists are **always** arrogant.*
دائما ما يكون المنظّرون اللّسانيّون مغرورين.
(ب) *Professional basketball players are **usually** tall.*
عادة ما يكون لاعبو كرة السّلّة المحترفون طوال القامة.

(ج) *Moral crusaders are **often** closet perverts.*
غالبا ما يكون الدّعاة إلى الأخلاق الحميدة منحرفين في السّرّ.
(د) *University professors are **seldom** rich.*
نادرا ما يكون أساتذة الجامعات أثرياء.
(هـ) *Movie stars are **never** good role models.*
لا يكون نجوم السّينما أبدا قدوة حسنة.

(30) (أ) ***All** linguistic theorists are arrogant.*
كلّ المنظّرين اللّسانيّين مغرورون.
(ب) ***Most** professional basketball players are tall.*
أغلب لاعبي كرة السّلّة المحترفين طوال القامة.
(ج) ***Many** moral crusaders are closet perverts.*
الكثير من الدّعاة إلى الأخلاق الحميدة منحرفون في السّرّ.
(د) ***Few** university professors are rich.*
قلّة من أساتذة الجامعات أثرياء.
(هـ) ***No** movie stars are good role models.*
لا نجم سينمائيّ قدوة حسنة.

يعود هذا الشّذوذ الظّاهر إلى السّيناريو الخفيّ. فالظّروف الواردة في (29) تخصّص حقيقةً تواتر الأحداث، ولكنّ هذه الأحداث لا يمكن أن تطابق العمليّة الّتي يعرضها المركّب الجُمَليّ. فكلّ جملة تنسب خصيصة (كون المرء مغرورا، مثلا) إلى الفاعل فيها (المنظّرون اللّسانيّون). ونحن نفهم الجمل باستدعاء صيغة من سيناريو المسح: مفهوم التّدرّج خلال الحياة (أو التّنقّل خلال العالم) الّذي تعترضنا فيه عيّنات من نوع مخصوص كافية لنكوِّن منها نموذجا ممثّلا. فما تصفه الظّروف هو تواتر الأحداث الّتي تُظهِر فيها العيّنةُ الّتي تعترِضنا الخصيصةَ المعنيّةَ. وبما أنّ تواتر الأحداث يتعالق مباشرة مع نسبة العيّنات ذات الخصيصة المعنيّة، يكون الأثر هو نفسه الّذي يكون مع تسوير الإسمائيّ. وما الأحداث، بطبيعة الحال، إلاّ تخيّليّة - فالجلمة (29) (أ) لا تقتضي أنّ المتكلّم قد حالفه الحظّ ليقابل منظّرا لسانيّا في الواقع وإن مرّة واحدة (بله أن يكون قد قابلهم جميعا). فالظّروف المسوِّرة وسيلة لإدارك توزّع الخصائص السّكونيّ في ضوء عمليّة الاستكشاف الحركيّة.

يقـدح الكثيرُ مـن العبارات الظّرفيّـة محاكاةَ تجربة المسـح. قارن بين اسـتعمالي [*still* "مازال/ حتّى"] الواردين في (31). فهي تدلّ، في العادة، كما في الجملـة (أ)، على أنّ الوضعيّة المعروضة متواصلة زمنا أطول من المتوقَّع. وفـي هذه الحالة، يمثّل كلٌّ من الوضعيّة (كون المرء متردّدا) واسـتمرارها خلال الزّمن مظهرين للمضمون المادّيّ في العبارة- أي المشـهد الّذي يجري إبصاره ووصفه. تُضِيف [*still*]، زيادة على الإدراك الأساسيّ للمشهد، تعليمةً تنـصّ على إجراء مسْـح على امتداد المحـور الزّمنيّ طريقةً فـي تقدير المدّة الزّمنيّة الّتي تسـتغرقها العلاقة المعروضة، وهي تخصِّص أنّ المسحَ المطلوب يتجـاوز النّقطة المتوقّعةَ لانقطاعه. ورغم أنّ هذا المسـح في ذاته عمليّة ذهنيّة وبذلـك ينبني انبناء ذاتيّا، فإنّ له نظيـرا ماثلا على الرّكح: هو التّدرّج خلال الزّمن للوضعيّة المعروضة.

(31) (أ) *She is still undecided about buying a new car.*
هي ما تزال متردّدة في شراء سيّارة جديدة.

(ب) *She can't stand sports like football or hockey, and golf is still too violent for her.*
لا يمكنهـا أن تحتمل رياضات مثل كرة القـدم الأمريكيّة والهوكاي، وحتّى القولف رياضة عنيفة جدّا بالنّسبة إليها.

ومقابل ذلك، يفتقر المسـح المنقـدح بالظّرف [*still*] فـي (31) (ب) إلى نظير له داخل المشـهد الموضوعيّ. فهو يتقدّم على امتداد سـلّم يشتمل على سلسـلة من الرّياضات مرتّبة تنازليّا حسـب العنف: كرة القدم الأمريكيّة > الهوكـي> كرة القدم > ... > الكـرة الطّائرة > التّنّس > القولف.[34] تدلّ هنا [*still*]، كذلك، على أنّ الوضعيّة المعروضة (كون رياضة ما عنيفة جدّا بالنّسـبة إليها) تستمرّ أطولَ ممّا يُتوقَّع. ولكن كيف نُؤوّل "تستمرّ أطولَ ممّا يتوقَّع"؟ لا يتعلّق الأمر بـدوام الوضعيّة (فالمفترض أنّها دائمة). إنّما يعكس الظّرفُ [*still*]، بدل ذلك، عمليّةَ المسـح على امتداد السّـلّم سبيلا إلى تقدير المدى الّذي تحتلّه الوضعيّة فيه، أي مجموعة القيم الّتي يبلغها ظهور الخصيصة في تلـك الوضعيّة. وبذلك، لا يتمثّل مضمون [*still*] في الجملة (ب) في أنّ الوضعيّة خلال الزّمن المتصوَّر تسـتمرّ أكثـر ممّا يُتوقَّع، ولكنّه يتمثّل، بدل ذلك، في أنّ المسح يتواصل خلال زمن المعالجة أكثر ممّا يُتوقَّع.

تبيّن الظّروف الواردة في الموضع القبليّ في (32) طُرُقا متنوّعة في قدح المسح التّخيّلـيّ. في الجملة (أ)، نفهم عبـارةَ [*through the ages* "على مرّ العصور"]، وذلك

بمحاكاة التّجربة الّتي تتمثّل في تسطير مسلك ذهنيّ خلال المدى الزّمنيّ الّذي يستغرقه تاريخ البشريّة. وتستدعي عبارةُ [*from the brightest to the dumbest*] "من الأذكى إلى الأغبى"]، في الجملة (ب)، سيناريو امتحان الطّلبة واحدا واحدا وفق ترتيب الذّكاء عندهم. وتذكّرنا الجملة (ج) بتجربة قراءة مخطّط بيانيّ يمثّل المحوران فيه حجمَ الجسد ومدَّةَ الحمل. فعبارة [*As body size increases*] "بازدياد الحجم من الجسد"] تدلّ على حالة من التّغيّر التّخيّليّ، نحصل عليه بأن نتصوّر الأحجام من أجناس حيوانيّة مختلفة كما لو كانت وحدة مفردة. يمثّل المركّب الجُمَليّ الحاضن كذلك حالةً من التّغيّر التّخيّليّ، نحصل عليها بالمطابقة بين مُدَد الحمل المختلفة. ونتصوّر، بالإضافة إلى ذلك، ذينك التّغيُّرَين في ضوء تنقُّل يكون على طول المحور الخاصّ بالواحد منهما. وفي النّهاية، نتمثّل التّغيّراتِ كما لو أنّها تطرأ على الكائن الافتراضيّ نفسه من حيث مثّل الأجناسَ المختلفة. وعلى أساس هذا البناء الذّهنيّ، تخبرنا الجملة أنّ التّغيّرين جاريان جنبا إلى جنب: يزداد جسد الكائن الافتراضيّ كِبَرا على امتداد سلّم الحجم، وتتمطّط في الآن نفسه مدّةُ الحمل عنده على امتداد سلّم الطّول.

(32) (أ) *Through the ages, some great intellects have changed our view of the world*
على مرّ العصور، غيّر بعض المفكّرين الكبار رؤيتنا للعالم.
(ب) *From the brightest to the dumbest, the students all work very hard.*
من الأذكى إلى الأغبى، يعمل الطّلبة بجدّ كبير.
(يعمل الطّلبة بجدّ كبير، الذّكيّ منهم والغبيّ)
(ج) *As body size increases, the average gestation period gets longer*
بازدياد الحجم من الجسد، يزيد معدّل فترة الحمل طولا.

تمثّل كذلك المفاهيمُ الذّهنيّة الخفيّةُ أساسا لاستعمالات الفعل المصرّف في الحاضر في الإنجليزيّة للدّلالة على غير الحاضر. يرد ثالوث من أمثلة ذلك في (33): «المستقبل المبرمَج»، و«الحاضر التّاريخيّ» والجنسيّ العامّ (وهي توصف في بعض الأحيان بأنّها لا زمنيّة). يخصِّص الحاضرُ الإنجليزيّ، في معناه الطّرازيّ، أنّ العمليّةَ المجذَّرة تطابق زمن التّكلّم (§ 5. 2. 3). وهو يدلّ، خطاطيّا، على أنّ هذه العمليّة فوريّة بالنّسبة إلى المتصوِّر(C) الّذي يستدعيه تجذير المركّب الجُمَليّ (§ 9. 4. 2). وتبدو الاستعمالات لغير الحاضر مشكِلةً باعتبار التّوصيفين كليهما. فالمستقبَل والماضي والأحداث اللاّزمنيّة لا تطابق زمن التّكلّم إلاّ نادرا. فماذا يعني وصفها بكونها فوريّة للمتصوِّر (C)؟

(33) (أ) *The party starts at midnight.* [المستقبَل المبرمَج]
يبدأ الحفل عند منتصف اللّيل.
(ب) *I get home last night and see a note on my door.* [الحاضر التّاريخيّ]
أصِل إلى منزلي اللّيلةَ الماضية وأجد رسالة معلّقة على بابي.
(ج) *A kitten chases a piece of string.* [جنسيّ عامّ]
القطيط يطارد قطعة من الخيط.

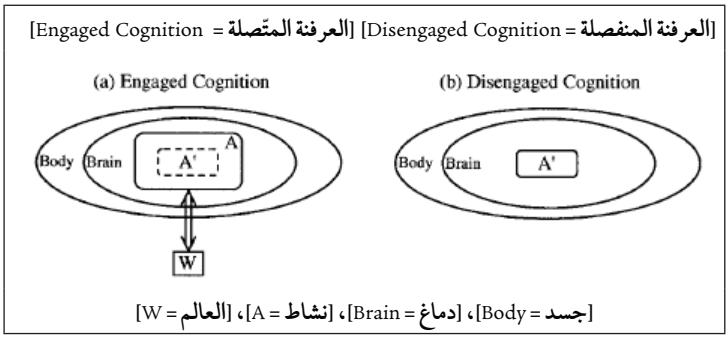
يكمن المفتاح في التّسليم بأنّ المجريات المعروضة ليست إلاّ مجريات افتراضيّة. هي ماثلة في التّصوّرات الذّهنيّة الضّمنيّة، ولا يمكن مطابقتها بالمجريات الحقيقيّة رغم أنّها تناسبها. فالجمل مثل (33) (أ) تستدعي سيناريو الاطّلاع على مخطّط أو جدول زمنيّ (ومنه تسمية «المستقبل المبرمج»). ويضمّ الجدول الزّمنيّ تمثيلات للأحداث، جنبا إلى جنب مع أوقاتها المستبَقة، وحالما يتحدّد جميع ذلك يكون قابلا للاطّلاع عليه. وبهذا المعنى، يكون الجدول الزّمنيّ والمداخل فيه قابلة لأن يُهتدَى إليها مباشرة - وبذلك تكون فوريّة- من قبل أيّ شخص يعرف ذلك الجدول. فاستعمال الجملة (33) (أ) يساوي الاطّلاعَ على جدول زمنيّ ذهنيّ و«قراءةَ ما يقابل» واحدا من المداخل فيه. فإدراك الحدث يتمثّل في إنشاط تمثيله الذّهنيّ - يعني، محاكاة جريانه في الزّمن المحدَّد. ورغم أنّ هذه المحاكاة تتعلّق بالمستقبل، فإنّها تطابق زمنَ التّكلّم.

تتشابه استعمالاتُ الحاضر الأخرى في كلّ شيء ماعدا أنّها متأسِّسة على أبنية ذهنيّة مختلفة. يعكس الحاضر التّاريخيّ قدرتَنا على أن نعيش الأحداث الماضية من جديد بأن نعيد استعراضها في أذهاننا. ونحن لا نخلط هذه الإعادةَ الذّهنيّة بالأحداث الأصليّة في ذاتها - إذ نعلم علما تامّا بأنّها أعمالُ محاكاةٍ لتلك الأحداث أو إعادةُ إنشاءٍ لها، تتوفّر لنا عبر الذّاكرة لنراها في اللّحظة الحاضرة. ولا يختلف إنتاج جملة مثل (33) (ب) كثيرا عن مشاهدة شريط فيديو ووصف كلِّ حدثٍ كما نراه. ولكنّ الجنسيّ العامّ متميّز إلى حدّ ما. فهو ينبثِق من خلال التّعميم لا من خلال الذّاكرة، وهو يمثّل، عوضا عن الأحداث المخصوصة، القاسَمَ المشترَك الّذي جرى تجريده من مجريات كثيرة. فالجنسيّ العامّ يستدعي منوالا ثقافيّا يَرى العالم على أنّه ذو بنية جوهريّة يمكننا اكتشافها ووصفها. فإنتاج حكم من قبيل (33) (ج) يعادل «قراءة» ما يوجد مقابل وحدة في ذلك الوصف. وإذ قام هذا الحدثُ والمشاركون فيه في تمثيلٍ للعالم، لا في العالم ذاته، كانوا افتراضيّين (عيّنات ممثّلة لأنواعها) ليس غير.

14. 3 المحاكاة والاستذناء

العرفنة مجسدنة. فهي تكمن في نشاط المعالجة الّذي يجري في الدّماغ الّذي يمثّل جزءا من الجسد الّذي يمثّل جزءا من العالَم. وفي أدنى المستويات، نحن نتفاعل مع العالم من خلال حواسّنا وأعمالنا المادّيّة. وهناك مستويات أخرى، بطبيعة الحال: القسم الكبير من العالم الّذي نعيش فيه يبنَى بناء ذهنيّا واجتماعيّا. والعالم الّذي نبنيه وندركه متجذِّر في التّجربة الحسّيّة والحركيّة، سواء كان ذلك مباشرا أو غير مباشر.

كنّا قد استكشفنا في القسم السّابق مختلفَ الطّرق الّتي يكون بها انفصال العرفنة من التّجربة المادّيّة الفوريّة. وجميعها يحمل الخصيصة المعروضة في الرّسم البيانيّ 14. 15. يمثّل الرّسم التّخطيطيّ (a) عمل العرفنة المتّصلة الّذي يتفاعل فيه شخص تفاعلا مباشرا في المستوى المادّيّ مع شيء كائن في العالم (W). يُنجَز هذا التّفاعل (المشار إليه بالسّهم المزدوج) عبر الجسد عموما، وعبر الأعضاء الحسّيّة والحركيّة بالأساس. تشير الخانة الّتي تحمل علامة [A]، إلى دور الدّماغ في هذا الاتّصال: [A] هو نشاط المعالجة الّذي يتضمّن على الأقلّ الدّخْلَ الحسّيّ والأوامر الحركيّة الّتي تكوِّن التّجربة التّفاعليّة. ويعرِض الرّسم التّخطيطيّ (b) معالجة شبيهة بها تجري دون اتّصال بالعالم. فيحدثُ أن تجريَ بعض الوجوه من [A]- هي ما يحمل شارة [A′]- جريانا مستقلاّ بذاته لا تفاعل فيه مطلقا مع العالم (W). ولئن لم يكن من الضّروريّ أن يكون النّشاطُ المنفصل [A′] محدَّدا تحديدا جيّدا أو ممّا يسهل عزله، فهو ملازم لنشاط الدّماغ [A]، ولذلك يجري [A′] كلّما جرى [A]. وبذلك يمثّل جريانُه المستقلُّ ظِلاّ ملازما للتّجربة الّتي تتمثّل في [A].



الرّسم البيانيّ 14. 15

يُعتبَر النّشاط المنفصل [A'] محاكاةً لـ[A]. ويُثبِت الكثير من الباحثين، بأشكال متنوّعة وبتسميات مختلفة، أنّ للمحاكاة دورا أساسيّا في المفهمة وفي الدّلالة العرفنيّة (انظر مثلا، جونسون 1987؛ برصالو 1999؛ مطلوك 2004؛ هامب 2005؛ برغِن 2005). فمن أشكالها، التّصوير الذّهنيّ الحسّيّ والحركيّ الّذي يعتبر ظاهرة نفسيّة راسخة أيّما رسوخ (شيبارد 1978؛ كوسلين 1980). يمكننا أن نستحضر، دون الإثارة الإدراكيّة المعهودة، الصّورة البصريّة لِقطّ ما، أو الصّورة السّمعيّة لبكاء الرّضيع، أو الصّورة اللّمسيّة لورقة الصّقل الرّمليّة. ويمكننا، دون تنقُّل حقيقيّ، أن نتخيّل ما يكون الإحساس به عند المشي، أو السّباحة، أو الرّمي بحجر. لهذه الأنواع من الصّور دور مهمّ في الدّلالة المعجميّة. فممّا يتضمّنه معنى [*apricot* «البرقوق/ المشمش»] مثلا، صُوَر لما يكون عليه شكل الواحدة منه وما يكون عليه مذاقها. وممّا يتضمّنه معنى [*throw* "رمى"] صور بصريّة وحركيّة للرَّمْي. فإنشاط الصّور المناسبة - أي محاكاة التّجارب الّتي تمثّلها - مظهر لا يُستهان به في تمثُّل تلك العبارات.

لا تقتصر المحاكاة على الدّلالة المعجميّة. وهي ذات تجلّيات لغويّة كثيرة، من حيث مثّلت سمةً عامّة في العرفنة. وهي عامِل مهمّ، مثلا، في العبارات الّتي تستدعي زاوية نظر تخيّليّة أو ملابسات تحيط بالرّؤية. يتمثّل ما نفعله، لبلوغ المعنى في العبارة (34) (أ)، في أن نحاكي التّجربة القائمة على رؤية جزيرة كاتالينا في الظّروف الّتي يشار إليها فيها. والمحاكاة ضروريّة كذلك في التّعرّف على المتصوّرين الآخرين وعلى طبيعة التّجربة الذّهنيّة عندهم. فلفهم العبارة (34) (ب)، علينا أن نتخيّل أنّنا جالسون في مقعد السّيناتور حتّى نتبيّن حيث كانت تجلس زوجته وعشيقها بالنّسبة إليه. ونحاكي نوعا ما حالتَه الذّهنيّةَ لكي نفهم المركّب الجُمَليّ المنتهي. وتتضمّن الحالات الأخرى البيّنةُ في ذلك، الرّحلةَ التّخيّليّة الّتي تستدعيها العبارة في (27) [*There's a house every now and then through the valley* "هناك منزل بين الفينة والأخرى خلال الوادي"]، وكذلك إعادة العرض الذّهنيّ الّذي يسرَد في الحاضر التّاريخيّ، كما في (33) (ب) [*I get home last night and see a note on my door* "أصِل إلى منزلي اللّيلةَ الماضية وأجد رسالة معلّقة على بابي"]. ولكنّ النّقطة الأساسيّة تتمثّل في أنّ المحاكاة - في المعنى الواسع الّذي يشير إليه الرّسم البيانيّ 14. -15 تجري إلى حدّ ما في أغلب العبارات إن لم تكن في جميعها.

(34) (أ) *If it were clear, we could see Catalina from the top of that mountain.*
لو كانت السّماء صافية، لاستطعنا أن نرى جزيرة كاتالينا من على قمّة ذلك الجبل.
(ب) *With his wife seated on his left and his lover on his right, the senator was getting nervous.*
كان السّيناتور يزداد انزعاجا وقد كانت زوجته جالسة إلى يساره، وعشيقه إلى يمينه.

تكون المحاكاة دوما مخفَّفة مقارنة بالتّجربة المتّصلة بالعالم. وإذ لم تكن المحاكاة محكومة بدخل إدراكيّ فوريّ أو مسخَّرَةً لنشاط حركيّ حقيقيّ، كانت تفتقر إلى الكثافة في تلك التّجربة أو إلى «الحيويّة» فيها. (فلو خُيِّرْتُ بين أن تُحرَق يدي أو أن أتخيّل الألم الّذي يسبّبه ذلك مجرّد تخيّل، قد أختار الخيار الأخير.) وتكون المحاكاة في مظاهرها المختلفة كذلك أقلَّ تبلورا من التّجربة الأصليّة، ذلك أنّ التّجربةَ المحاكاةَ [A′] ليست إلاّ جزءا من [A]. فالصّورة البصريّة لقِطّ ما لا بدّ أن تحذف بعض السّمات الّتي تكون جليّة عند رؤية قطّ رؤية حقيقيّة. فالصّورة خطاطيّةٌ أكثر، وتفتقر إلى التّفاصيل الجزيئيّة الدّقيقة.

والتّخفيف مسألة درجات. يؤول النّقصُ في الكثافةِ والفقرُ في المضمون، بطبيعة الحال، إلى درجة محدودة من الوعي بأعمال المحاكاة الّتي تجري عندنا. خذ بعض الأمثلة الّتي أوردنا في ما مضى. نفهم الجلمة (27) بأن نتخيّل تجربة السّفر خلال الوادي. وبما أنّ ذلك فكرة مخصّصة إلى حدّ بعيد، نصير واعين به بكلّ سهولة. ولكنّ الأمر دون ذلك في حالة (29) (ب)، [*Professional basketball players are usually tall*. "عادة ما يكون لاعبو كرة السّلّة المحترفون طوال القامة"]. تستدعي هذه الجملة كذلك سيناريو يشتمل على السّفر واعتراضَ الأشياء على التّتابع. وإذ لم يُحدَّد فيها مسلك مخصوص، يكون تصوّر الرّحلة، بالأحرى، ضبابيّا- أي المفهوم المعمّم للتّنقّل خلال العالم على امتداد الحياة. وبالفعل كانت مكوّنات المسلك الفضائيّة واهية فيها إلى حدّ أنّها تضمحلّ منه تماما. وإذ يجري ذلك، لا يبقى لنا إلاّ شيء قريب من سيناريو المسح: هو التّصوّر التّجريديّ للفحص التّتابعيّ. فسيناريو المسح مركزيّ في معنى [*each*] (مميّزا إيّاها من [*every*] و[*any*]). ولكنّ المتكلّمين لا يعون بذلك صراحة بسبب مضمونها الفقير.[35]

ومـن أبعاد التّخفيف مـا يتعلّق بالمدى الّذي تكون عليـه العناصر منبنية انبناء موضوعيّـا أو ذاتيّا (§ 9. 1). فالمضمون المفهوميّ المتبلور يقبل الانبناء الموضوعـيّ. ولذلك يمكن أن تُحدِث الجملةُ (27) وعيا صريحا بشـخص يسـافر عبر الوادي وهو يشاهد المناظر فيه. ولكن يمكننا كذلك أن نبني هـذا المضمـون بطريقة ذاتيّة أكثر بـأن نتخيّل كيف تبدو الأشـياء منظورا إليها من خلال عيني المسـافر. يكون لنا في هـذه الحالة وعي أقلّ بالمتنقّل، وكذلك بظروف السّفر والمشاهدة: فعوض أن تكون تلك العناصر ماثلة على الرّكح موضوعا للتّصوّر، تظلّ ضمنيّة في شـكل سمات للوضعيّة الّتي تجري فيها الرّؤية المتخيَّلة. فبتفقّر المضمون المتزايد لا يبقى شيء لينبني انبناء موضوعيّا. ومن هذا الاعتبار، يقع سـيناريو السّـفر في (27) وسـيناريو المسح الّذي تسـتدعيه [*each*]، على طرفي نقيض من الطّيف. فمن جهة، يجعل السّـفرُ المشاهدةَ التّتابعيّةَ للمناظر على امتداد مسلك فضائيّ متواصل، ممكنةً. ومن جهة أخرى، تعمَّم التّتابعيّةُ في المسـوِّر[*each*] تعميمـا تامّا: هي لا تقتصر على السّفر، أو الامتداد الفضائيّ، أو المشاهدة البصريّة أو حتّى على العالم المادّيّ. فيكـون لهذا المفهوم المجـرّد القليلُ من المضمـون الملموس. فعوض أن يُقدِّم ذلك المسـوِّرُ وضعيّةً تجري رؤيتها، يكون من الأفضل وصفه بكونه طريقـة في الرّؤية تقبل الانطباق على أيّ نوع من المضامين. فهو ينبني لذلك انبناء ذاتيّا، يكون كامنا في فاعل التّصوّر لا في موضوعه.

يشـتغل الفحـص التّتابعيُّ موضوعا للتّصـوّر عندما نتصوّر شـخصا يؤدّيه (كأن نشـاهد جنرالا يتفقّد صفّا من الجنود، مثلا). باعتبار هذا الدّور الماثل على الرّكح، تكون منزلته في الظّرف [*each*] مثالا من الاسـتذتاء (14. 2. 1): العمليّـات الذّهنيّة الكامنة في نـوع معيّن من التّجارب، تُسـتعمَل عارية من مضمونها وتطبّق على ملابسـات أخرى. فالتّفريد الّـذي يحقّقه الظّرف [*each*]، من حيث يعكس التَّفاصُل في فحص الأشياء واحدا واحدا، يمكن بناءً على ذلك أن يُسلَّط على أيّ نوع من أنواع التّصوّر. فمن خلال الاستذتاء، يمكن أن ترتبط معان مجرّدة كثيرة بتجارب الحياة اليوميّة. ومن المسوِّرات المجذِّرة الأخـرى، تتأسّـس [*every*] و[*any*]، تباعا، على الرّؤيـة المتزامنة وعلى الاختيار العشـوائيّ. فالمسوّرات التّناسـبيّة [*all* "كلّ / جميع"]، [*most* "أغلب"]، [*some* "بعض"]، تعكس التّجربةَ الأساسيّة المتمثّلة في جعل شيئين اثنين متراكبين وفي المقايسة بين حجميهما. يعكِس المسح الّذي يشتمل عليه التّنقّل التّخيّليّ

المشـاهدَةَ المسترسلة لحركة ما على امتداد مسلك فضائيّ ([*A scar runs from his elbow to his wrist*. "يجري أثر جرح من مرفقه إلى معصمه"]).

ويتجلّى الاسـتذتاء في الغالب تجلّيا زمانيّا. فاستعمال الأفعال من قبيل [*run* "جرى"] للتّعبير عن تنقّـل تخيّليّ مُتطوِّرٌ تاريخيّا من المضمون الأصليّ الّذي يصف حركـة حقيقيّة، منبنية موضوعيّا. والأفعـال الدّالّة على الملكيّة مثل [*have*] مشـتقّة تاريخيّـا من الأفعـال الدّالّة على المراقبـة المادّيّة، في معان من قبيل [seize 'أمسك/استولى']، و[catch 'قبض/ أسر/ قنص']، و[hold 'حاط/ مسك']، و[carry 'حمل']، و[get 'حصل']، وما إلى ذلك (هايني 1997). وممّا يكـون كامنا في تصوّر النّقطة المرجعيّة (R) الّتي تراقِب الهدف (T)، علاقةُ نقطةٍ مرجعيّةٍ تُستدعَى فيهـا النّقطة المرجعيّةُ (R) لتكون أساسـا يقوم عليه إدراك الهـدف (T). هذا التّدرّج الذّهنيّ من النّقطة المرجعيّة (R) إلى الهدف (R)، هو كلّ ما يبقى عندما يجري توسـيعُ الفعل إلى الاستعمال العامّ المعبِّر عن الملكيّة، فيصير مستقلاّ عن كلّ مضمون مفهوميّ مخصوص. وعادة ما يعتبَر الفعل من هذا القبيل، بحكم طبيعته الخطاطيّة العالية، وحدة "نحويّة" لا وحدة "معجميّة". فالاستذتاء، إذن، واحد من العوامل المحدثة لعمليّة الإنحاء الجارية خلال التّاريخ: العناصر النّحويّة تتطوّر من مصادر معجميّة.[36]

تذكّـر، مثلا، أنّ الجهيّات الإنجليزيّة ([*must*] ،[*will*] ،[*may*]، إلخ) مشـتقّة تاريخيّـا مـن أفعال دالّة على معان من قبيـل 'أراد'، 'عرف كيف'، و'كان ذا قـدرة على': هي تصِف قـوّة إمكانيّة أو قدرة تنزع نحـو تنفيذ عمل ما (§ 9. 4. 3). وحتّى في اسـتعمالاتها الإبسـتيميّة، تحافظ الجهيّات المُنحَاة على بقايا من أصول القـوّة الحركيّة فيها. فتدلّ [*must*] مثلا، على الجبر (قوّة لا يمكن مقاومتهـا)، وتدلّ [*may*] على غياب الحواجز المانعة (سويتسـر 1982؛ طالمي 1988a). هـذه القـوّة تنبني انبناء ذاتيّا، وتعـاش تجربتها من حيث هي جزء من المحاكاة الذّهنيّة. هي تلك القوّة الّتي نعيش تجربتها عندما نسـقِط تصوّرنا الحاليّ للواقع بوجه "تتحقّق" به العمليّة المُجذَّرَة.

لنأخذ مثالا آخر فقط، من الشّـائع أن يُنحى الفعل الدّالّ على "المشي" في واسـم دالّ على الزّمن المسـتقبل. وممّا يستكمِل هذا المسـارَ التّطوّريّ إلى منتهـاه، بنيةُ [*be going to* "مـاش يفعل"] الإنجليزيّة. فالعبارة [*Tom is going to mail a letter* "طوم ماش يرسِـل رسـالة"] يمكن أن تصف، مع ذلك، تنقّل طوم في الفضاء في اتّجاه هدف ما بنيّة إرسـال رسالة عن طريق البريد حتّى وصولِه إلى

ذلك الهدف. ولكنّ الأرجح أنّها تعني ببساطة، أنّ طوم سوف يرسل رسالة (قد يكون ذلك بنقرة بسيطة على فأرة). وفي الحالة الأولى، يمسح المتصوِّر خلال الزّمن متابعا تنقّلَ الفاعل خلال الفضاء. وفي تأويل العبارة على أنّها دالّة على المستقبل، يجري هذا المسح الزّمنيّ الذّاتيُّ مستقلاّ عن أيّ تصوّر لتنقّل فضائيّ. فهي مجرّد طريقة في الاهتداء الذّهنيّ إلى موقعِ حدثٍ في الزّمن.

لا أدّعي أنّ جميع الواسمات النّحويّة تنشأ بهذه الطّريقة. ولكنّ اللاّفت هو العدد الهائل من المفاهيم النّحويّة الّتي توصف وصفا معقولا بأنّها نظائر ذاتيّة لمظاهر أساسيّة من التّجربة اليوميّة، أي من النّماذج البدئيّة المفهوميّة. يعود بنا هذا إلى مقترح عامّ في النّحو العرفنيّ (§ 2. 1. 2) كان قد أطّر قدرا كبيرا من نقاشنا. وقد اقترحنا هناك أنّ بعض المفاهيم النّحويّة الكونيّة والأساسيّة يمكن توصيفها دلاليّا باعتماد نموذج بدئيّ وخطاطة في آن واحد. فما يُقدِّم المعنى الطّرازيَّ هو نموذج بدئيّ مفهوميّ منبن انبناء موضوعيّا. والمعنى الخطاطيّ ماثل في قدرة عرفنيّة مستقلّة عن كلّ مجال، تتجلّى في المنطلق في النّموذج البدئيّ، وتتوسّع لاحقا على مجالات أخرى من التّجربة. ومن الواضح أنّ هذه العلاقة بين النّموذج البدئيّ والخطاطة ليست إلاّ الاستذتاء: يؤول الأمر بالعمليّات الذّهنيّة الملازمة في التّصوّر النّموذجيّ البدئيّ إلى أن تُستعمَل مجرّدة من مضمونها وتنطبق على ملابسات أخرى.

كان المقترَح قد أقيم، في حدّه الأدنى، لوصف مفاهيم الاسم والفعل والفاعل والمفعول وعبارات الملكيّة. لنعرض بسرعة كيف ينطبق عليها:

1. الأساس الخطاطيّ لعبارات الملكيّة هو العمليّة المفهوميّة المتمثّلة في استدعاء نقطة مرجعيّة للاهتداء إلى هدف ما اهتداء ذهنيّا. هذا التّدرّج الذّهنيّ ملازم لتَصوُّر علاقة الحيازة وعلاقة القرابة وعلاقة الكلّ والجزء، وهي نماذج الملكيّة البدئيّة.

2. يحدَّد الفاعل والمفعول تحديدا خطاطيّا كذلك باعتماد النّقاط المرجعيّة. فهما يناسبان المنتقلَ والمعلمَ في العلاقة المعروضة، أي المشاركَين البؤريَّين الرّئيسيَّ والثّانويَّ فيها. فبروزهما البؤريّ يتمثّل في كون المنتقل والمعلم، النّقطتين المرجعيّتين الأولى والثّانية اللّتين يُهتدَى إليهما في بناء تصوُّر تامّ للعلاقة المعروضة. وهذا التّدرّج الذّهنيّ من المنتقل إلى المعلم ملازم لتصوُّر محدث يؤثّر في متحمّل. ففي المركّبات الجُمَليّة الّتي تصف هذا القبيل من التّفاعلات، يحمل الفاعل والمفعول قيمتيهما الطّرازيّتين.

3. التّفاعـلات بين المحدث والمتحمّل طرازيّة بالنّسـبة إلى الأفعال أيضا. فأثناء الملاحظة الفعليّة لهذه الأحداث، نمسحها مسحا تتابعيّا: عند نقطة معيّنة مـن الزّمن، لا يمكننا أن نلاحـظ إلاّ الوضعيّة الّتي تتجلّى في تلك اللّحظة. ويعكـس التّوصيف الخطاطيُّ هـذا المظهرَ من التّجربـة النّموذجيّة البدئيّة، مجـرِّدا إيّاها من كلّ مضمون مخصوص. فالفعـل يعرض عمليّة، هي علاقةٌ تُمسَح مسحا تتابعيّا في تطوّرها خلال الزّمن.

4. أخيـرا، يعرض الاسـم شـيئا يحـدَّد تجريديّـا بكونه نتاجـا للتّجميع والتّشـييء. تانك العمليّتان الذّهنيّتان ملازمتان في تصوّر الأشياء المادّيّة الّتي تمثّل طرازا للأسماء.

14. 4 الذّهن والمعنى والنّحو

كما يوحي به الاسم منهما، تَعتبر اللّسانيّاتُ العرفنيّةُ والنّحوُ العرفنيُّ اللّغةَ جـزءا لا يتجزّأ من العرفنة. وتُعتَبَر المَفهمـة (دون تناقض) في آن مجذَّرةً مادّيّا وتخيّليّةً على نطاق واسع، وفي آن واحد فرديّةً واجتماعيّة في أساسها. وإذ كان المعنى اللّغويّ مفهوميّا في طبيعته، كان مشـاركا لها في تلك الخصائص. وإذ كان النّحـو رمزيّا في طبيعتـه - وكان لذلك ذا معنى في ذاته - كان كذلك مشاركا لها في تلك الخصائص.

المعانـي النّحويّة خطاطيّة. فهـي لا تعدو أن تكون، فـي أقصى حدّ لها، القدرات العرفنيّة الّتي تقبـل الانطباق على كلّ مضمون. فكلّما زادت هذه المعاني خطاطيّةً، ازدادت دراستُها صعوبة، وعظُمت فائدتُها. يتبيّن أنّ التّحليل النّحـويّ، بالفعل، أداة أساسـيّة في التّحليل المفهوميّ. فنحـن نرى في النّحو الّذي يتجـرّد من التّفاصيل الكائنة في العبارات الخاصّـة، العمليّات الذّهنيّة الكامنـة فـي المضمون المفهوميّ، بشـكل أوضـح. وغالبا مـا تعادل هذه العمليّات أعمالَ محاكاةٍ للمظاهر الأساسـيّة في تجربة الحياة اليوميّة: نشاط المعالجة الكامن في النّماذج البدئيّة المفهوميّة منفصل عنها ويتوسّـع ليشمل مجموعة كبيرة من الملابسـات الأخرى. فالنّحو، من هذا الاعتبار، يعكس سمة جوهريّة من العرفنة البشريّة.

فما يفصلنا عن سـائر المخلوقـات هو المدى الّذي تبلغـه المفهمة عندنا فـي التّعالي عـن التّجربة الفوريّة. فرغـم أنّ العالم الّذي نعيـش فيه ونتحدّث عنـه مجذَّر في تلك التّجربة، يُبنى بناء ذهنيّا من خلال عمليّات تشـتمل على

التّجريد والدّمج المفهوميّ والاستذتاء. وتنعكس وسائل الانفصال عن العالم هذه بوضوح في النّحو. فعند القطب الدّلاليّ، يتكوّن النّحو من قوالب الدّمج المفهوميّ المجرّدة. والمعاني النّحويّة خطاطيّة وغالبا ما تُمثِّل استذتاء للتّجربة الأساسيّة يتجلّى في جريان العمليّات الذّهنيّة الكامنة في تلك التّجربة جريانا مستقلاّ بذاته. وبهذه الطّريقة، يكون النّحو في ذاته وسيلة من وسائل التّعالي. فمن خلال التّصوّرات الّتي يسمح لنا النّحوُ ببنائها وبترميزها، نستطيع أن نتعامل مع العالم بكلّ ما فيه من الثّراء ومن التّعقّد.

هوامش الفصل

[1]- لكنّ المفهمة ليست خطّيّة بالمعنى الضّيّق للكلمة، لأسباب متنوّعة. فالمعالجة تجري على أساس التّزامن في أبعاد مختلفة وفي مستويات متعدّدة من التّنضيد. فلا يوجد تسلسل طبيعيّ واحِد في الاهتداء إلى العناصر في تصوّر معقّد، ولا وجود لتسلسل وحيد يكون التّشبّث به تشبّثا تامّا في الواقع العمليّ. وبحكم الضّغط في المعالجة الآنَ قوليّة، يحتمل كلّ أداء واقعيّ أن يكون متقطّعا ومعقّدا بعوامل من قبيل متابعة الأثر وإعادة المفهمة.

[2]- للمتكلّم وتصوّر المتكلّم للواقع، من حيث هما نقطتا بداية مطلقتان، منزلةٌ مزدوجة باعتبار المسالك الطّبيعيّة. فهما بالفعل نقطتا بداية، ولكن بما أنّ المطلقَ يعتبَر مسلّما به، يمكن أن يقع تجاهلهما لبعض الغايات.

[3]- في عبارات مثل [*This cord is only a foot long* "هذا الحبل طوله قدم ليس غير"]، يكون الصّفر نقطةَ الانطلاق في تقييم الطّول. ومقابل ذلك، تقيم عبارة [*This cord is long* "هذا الحبل طويل"]، التّقييمَ على أساس طول الحبال المعهود. وبالنّسبة إلى الخصائص القائمة على معيار ما، غالبا ما تكون هناك خصيصة مكمِّلة تُمثّل خروجا عن ذلك المعيار في الاتّجاه المعاكس- مثلا [*This cord is short* "هذا الحبل قصير"] (الّتي تعني أنّ طول الحبل دون المعيار، لا أنّه دون الصّفر). انظر أيضا كروفت وكروز 2004: الفصل 7.

[4]- بطبيعة الحال، يمكننا أن نحقّق الأثرَ نفسه باستعمال سلّم تكميليّ تكمن فيه الاتّجاهيّة المعاكسة: [*Y surpasses X in* {*stupidity / lack of intelligence*} "[ص] يتجاوز [س] في {البلاهة/ نقص الذّكاء}"].

[5]- هذا التّأويل المجازيّ واحد من المعاني الثّابتة لكلمة [فيتنام]. فهو يحقّق قالبا عامّا ينطبق على المجريات الجديدة انطباقا ذا إنتاجيّة عالية. فإذا ما كان كلّ شيء سيّئا في عطلتك في رود آيلاند، يمكن تبعا لذلك أن تصف التّجربة بقولك: [*Rhode Island was a disaster* "كانت رود آيلاند كارثة"].

[6]- تتعلّق عوامل إضافيّة باختيار المالك. يتمثّل واحد منها في البنية الإخباريّة: عبارة [*the doctor's lawyer*] تتّخذ من الطّبيب عنصرا معطى وتُدرِج المحامي على أنّه مرجع خطابيّ. ويتمثّل عامل آخر في قابليّة الاهتداء المقاميّ. فإن عثرتَ على ذيل مقطوع من جسده على منضدة المطبخ، يحتمل أن تتساءل إلى أين ذهب "جرذُ الذّيل" [*the tail's rat*]. تقلب العبارات

من قبيل [*the car's owner* "مالك السّيّارة"]، [*the hotel's occupants* "ساكنو الفندق"] و[*the country's ruler* «حاكم البلد»]، التّصفيفَ المعهود (إنسان > غير إنسان) لأنّ الاسم المملوك مشتقّ من فعل ([*own* "حاز/ ملك"]، [*occupy* "سكن/ حلّ"]، [*rule* "حكم"])، ويعرِض المنتقلَ فيها. فتحديد معلمها يمثّل أساسا طبيعيّا في إفراد عيّنة من النّوع الّذي تخصّصه.

[7]- تتواتر تلك الاستعمالات وسرعان ما تبادر الأذهان على أنّها أمثلة من عبارات الملكيّة. وفي بعض اللّغات، ينبغي أن تكون الأسماء المتعلّقة بذلك مملوكة.

[8]- ليست تلك النّماذج غريبة، ولكنّ هناك أنواعا أخرى كثيرة من أبنية الملكيّة الإسمائيّة والمركّبيّة الجُمَليّة في الإنجليزيّة وفي اللّغات الأخرى (لانقاكر 2004b).

[9]- من الحجج الّتي تدعم ذلك العرضَ أنّ عبارة [*Zelda's*]، يمكن أن تقوم برأسها إسمائيّا يُستعمَل استعمالا إحاليّا عائديّا: [*This quilt is nicer than Zelda's* "هذا اللّحاف أحسنُ ممّا لزيلدا"].

[10]- بعبارة أدقّ، يحيل الضّمير [*his*] على الوحدة المملوكة (المكتب الخاصّ)، حيث يكون الرّئيس نقطة مرجعيّة. ورغم أنّ الضّمير [*his*] لا يقبل التّحليل الصّرفيّ إلاّ بصفة جزئيّة، فهو يتضمّن في القطب الدّلاليّ عنصرا ضميريّا يشارك في علاقة إحاليّة عائديّة.

[11]- مثلا، يحتمل أن تظهر (10) في حكاية تدور حول مدير وكالة المخابرات المركزيّة، مع إشارة سابقة إلى أنّ الرّئيس كان قد أتى إلى مقرّ الوكالة المركزيّ.

[12]- تكون الجملة نحويّة تماما لو اعتُبر الضّمير [*him*] والإسمائيّ [*the president*] يحيلان على شخصين مختلفين، ولكنّ الأحكام القائمة على التّقارن الإحاليّ هي المناسبة هنا دون غيرها. فالبناء الجيّد يقيَّم دائما بالنّسبة إلى التّأويلات الخاصّة.

[13]- رأينا ذلك في ما مضى في المقارنة بين (10)، [In ***his*** private office ***the president*** *was admiring* ***himself***.» في مكتبه الخاصّ كان الرّئيس يتعشّق نفسه.»]، و(11) (أ)، [??In ***the president***'s *private office* ***he*** *was admiring himself*??." ؟؟ في مكتب الرّئيس الخاصّ كان (هو) يتعشّق نفسه.»]. فالأولى أكثر مقبوليّة رغم التّرتيب في العرض.

[14]- تحدث هذه العمليّة في الفرنسيّة حيث تتجلّى في الاستفهام غالبا. تظهر عندما يعاد تحليل جملة من قبيل [*Sophie, est-elle heureuse?* "صوفيّة، هل هي سعيدة؟"] (حيث تكون صوفيّة محورا خارجيّا عن المركّب الجُمَليّ)، على أنّها [*Sophie est-elle heureuse?* "هل صوفيّة سعيدة؟"] (حيث يشتغل المحور فاعلا داخليّا في المركّب الجُمَليّ). للاطّلاع على مناقشة عامّة لموضوع المحور مقابل الفاعل، انظر لي وطومسون 1976.

[15]- في الحالات الّتي سوف يأتي النّظر فيها، تكون النّقطة المرجعيّة دائما شيئا. ومن المسائل الّتي تستحقّ مواصلةَ التّوسّع فيها هي ما إذا كان من الواجب أن تحلَّلَ الظّروفُ المقدّمة إلى الموضع القبليّ (من قبيل الظّرف الوارد في الجملة السّابقة) على أنّها عبارات محوريّة تعرض علاقات، أو لا.

[16]– يُستعمل المصطلح كذلك دالاّ على المركّبات الجُمَليّة الموصولة (§ 12. 2. 2). والفرق بين بنيةِ المحور وبنيةِ المركّب الجُمَليّ الموصول أنّ المركّب الجُمَليّ الموصول جزء من الإسمائيّ الّذي يعبّر عن النّقطة المرجعيّة (R) ويسهّل تحديدَ مرجعه، في حين يكون المحور إسمائيّا منفصلا يتحدّد مرجعه تحديدا مستقلاّ.

[17]– في بعض اللّغات، يحمل الإسمائيُّ المحورُ واسما ظاهرا ، و[*wa*] اليابانيّة من الأمثلة الشّهيرة في ذلك. والعبارة الإنجليزيّة [*as for* "أمّا (في ما يهمّ)"] ذات شبه قريب بذلك: [*As for that mural, I really hate it* "وأمّا (في ما يهمّ) تلك الجداريّة، فأنا أكرهها حقيقة"]. فبنية المحور إذن شبيهة ببنية صرفم الملكيّة ['s] المعروضة في الرّسم البيانيّ 14. 2 (في كلّ شيء ما عدا العرض وطبيعة الهدف).

[18]– هذا نموذج من التّنظيم الكسوريّ في البنية اللّغويّة (§ 13. 3. 2).

[19]– لا يتعارض هذا مع الملاحظة الشّائعة الّتي تنُصّ على أنّ بعض الأبنية، مثل البناء للمجهول، تمكّن من التّعبير عن محور ما في الخطاب في شكل فاعل نحويّ للمركّب الجُمَليّ. ولا ينبغي الخلط بين طبيعة الفاعل والعوامل الّتي تؤثّر في اختياره.

[20]– لا يعني ذلك أنّ الهدفَ الفرعيّ الأوّل [T_1] والهدف الفرعيّ الثّاني [T_2] يكونان دائما غير متراكبين أو قابلين للتّمييز بينهما بوضوح. في حالة [*smash* "هشم"]، يكون مفهوم الجعليّة (T_1) تابعا مفهوميّا للتّغيّر المسبَّب (T_2) وبذلك يستدعيه خطاطيّا. وكذا تَغيُّر الحالة يصعب تصوُّره في معزل عن القوّة الّتي تسبِّبه.

[21]– هل تحدّد العلاقة المعروضة المشاركين البؤريّين أو العكس؟ أقول ببساطة هما عاملان مترابطان. وقد يكون ذلك من حالات الدّجاجة والبيضة.

[22]– سعيا إلى الوضوح، لا يجري تمثيل مناطق النّفوذ.

[23]– يؤول هذا التّباين إلى قوالب في الاستعمال مختلفة. فعلى سبيل المثال، بناء الحركة المسبَّبة يسمح بحذف المتقبِّل الّذي لا يكون ماثلا في مسلك الاهتداء الرّئيسيّ: [*She could only give $5* "(هي) استطاعت أن تعطي 5 دولارات فقط"]. وفي الحالات الّتي لا وجود فيها لتنقّل حقيقيّ من جهة [Z]، يكمن الخيار الوحيد في استعمال الفعل المتعدّي إلى مفعولين الّذي يبرز النّتيجةَ النّهائيّة: [*The noise gave him a headache* «أعطاه الضّجيج ألما برأسه (سبّب له الضّجيج ألما برأسه)»]؛ [**The noise gave a headache to him* "*الضّجيج أعطى ألما بالرّأس له»].

[24]– يجري نوع من العودة إلى الوراء شبيهٌ بذلك في المحاور الدّاخليّة في المركّب الجُمَليّ، كما في [*That mural I really hate* "تلك الجداريّة (الّتي) أكره حقيقة"] (الرّسم البيانيّ 14. 5). ولكنّ المسألة هنا لا تتعلّق باشتقاق محمول من مستوى أعلى يكون له تصفيف للمنتقل/المعلم بديلٌ. وعوضا عن ذلك، تجري العودة إلى الوراء في المركّب الجُمَليّ المنتهي الّذي يشتمل على إسمائيّين فاعل ومفعول، وتلك من وظائف ترتيب الكلمات الخاصّ. فعلاقة النّقطة المرجعيّة الّتي يدرِجها خارجيّةٌ عن تصوّر العمليّة الّتي يعرضها المركّب الجُمَليّ (الرّسم البيانيّ 14. 6).

[25]- أشـرت قبـل هذا إلـى أنّ التّطابق حالة قصوى في علاقة النّقطـة المرجعيّة، يكون فيها طول المسـلك من النّقطة المرجعيّة إلى الهـدف صفرا. وإذ كان للتّطابق مضمون ضئيل جدّا، كان التّعبير عنه في العادة بالتّجاور بين إسمائيّين فينبثق بذلك مظهرا من مظاهر المعنى البنائيّ (الرّسم البيانيّ 11. 11). وكما هو الأمر في الاستعمالات الأخرى، يمنح الفعل [be] امتدادا زمنيّا لهذه العلاقة (إن كنت تتساءل في ما تعنيه [*is*]).

[26]- أو على الأقلّ نعتقد أنّنا نفعل ذلك. وإن لم يكن الأمر كذلك كان الوهم مفروضا على الجميع.

[27]- مـن أمثلـة الغايات الأخرى الّتي يكون لها اسـتدعاء الوحـدات الافتراضيّة، النّفيُ ([*I don't have a dog* "ليـس لـي كلـب"]، ووصـفُ الرّغبـات ([*I would like to have a dog* "أرغب في الحصول على كلب"]).

[28]- يمكن أن يوصف ذانك المستويان بأنّهما فضاءان ذهنيّان: فضاء "الحقيقة الواقعيّة" و"فضاء التّعميم". تحلّ الوحدات التّخيّليّة في أفضية ذهنيّة خاصّة بحكم طبيعتها المركوزة فيها.

[29]- انظـر، مثـلا، لانقاكر 1990: الفصل 5؛ ولانقاكر 2005a؛ وماتسـوموتو 1996b، 1996a؛ طالمـي 1996. وهنـاك حجـج تجريبيّـة مخبريّـة تثبـت أنّ معالجـة العبـارات الدّالّـة علـى التّنقّـل التّخيّلـيّ متّصلة فعـلا بتصوّر التّنقّـل الحقيقـيّ (ماطلوك 2004؛ ماطلوك ورمسـكار وبورورديتسكي 2004).

[30]- تشتمل العبارات مثل (25) (أ)-(ب) على المسح المجمَل على امتداد هذا المسلك (الرّسـم البيانـيّ 4. 7). ففي مسـتوى أعلى مـن التّنضيد المفهوميّ، يوصَف التّشـكّل الكامل الّذي أنشِـئ تدريجيّا بهـذه الطّريقة، بكونه ثابتا خلال الزّمن، فتـدلّ بذلك [*run* "جرى"] على عمليّـة لاانقضائيّة. ويمكن أن تكون العبارات الدّالّة على التّنقّل التّخيّليّ كذلك انقضائيّة، من مثل [*The trail rose quickly near the summit* "ارتفع المسرب سريعا قرب القمّة."]. تشتمل هذه العبارات على المسـح التّتابعيّ، عاكسـة بذلك تجربةَ الرّائيّ المتنقّل. ورغم أنّها مختلفة حقيقة، تنبني أجزاء الشّـيء المعبـور الّتي تعترَض تباعا انبناء تخيّليّا على أنّها الوحدةُ نفسـها، وذاك ما يدرَك على أنّه موضع متغيّر خلال الزّمن، تبعا لذلك، بالضّبط كما يُعرَض في الرّسـم البيانيّ 14. 14 (a).

[31]- ذاك ما يجري عادة في سيناريوهات الأعمال اللّغويّة. (§ 13. 2. 3).

[32]- لا يختلطـنّ هـذا بالمسـح التّتابعـيّ، معرَّفـا تعريفا ضيّقا إلـى حدّ ما، بكونـه نمطا في المعالجـة خاصّـا بالأفعـال (§ 4. 2. 3): عندما تجـري متابعة آثار العلاقـة المعروضة خلال الزّمن، يكون الاهتداء الذّهنيّ إلى أحوالها المكوّنيّة اهتداء سلسـليّا ولكن دون إجمال- يعني ذلك أنّ حالة واحدة فقط تكون مبأّرة في كلّ لحظة من زمن المعالجة.

[33]- تقابـل [*each*] مـن هـذا الاعتبـار، الظّرفيـن [*every*] و[*any*] اللّذيـن يسـتدعيان سـيناريوهين مجرّدين يتأسّسـان، تباعـا، على الرّؤيـة المتزامنة وعلى الاختيار العشـوائيّ (الرّسم البيانيّ 9. 13).

[34]- مرّة أخرى، ليس المسح إلاّ تخيّليّا: فليس من الواجب علينا في الواقع أن نستعرض كلّ واحد من هذه الأنشطة الرّياضيّة، على التّتابع لكي نفهم الجملة. فيكفي أن نتخيّل أنّنا نفعل ذلك بواسطة محاكاة تلك التّجربة على سلّم مصغّر.

[35]- ولكنّهم يجدون التّوصيف معقولا عندما يعرض عليهم.

[36]- انظر هايني وكلاودي وهونّمايار 1991؛ هوبّر وتروغوت 2003؛ لانقاكر: 1990، الفصل 12؛ 1999a: الفصل 10. يجري مصطلح «استذتاء» بشكل شائع في معنى متّصل بهذا ولكنّه يختلف عنه اختلافا طفيفا. فكما يعرَّف عند تروغوت (1982، 1989)، يشير الاستذتاء إلى نُقلَة في المعنى من شيء يكون قابلا للتّمييز موضوعيّا إلى شيء يوجد في العالمَيْن النّصّيّ والذّهنيّ - مثلا، توسّع معنى [*while* "في حين/ رغم"] من الدّلالة على الزّمن إلى الاستدراك ['في نفس الوقت' > 'رغم']. وللاطّلاع على الاستذتاء من منظور آخر انظر أثاناسيادو وكناكيس وكورنيلي 2006.

المراجع

Achard, Michel. 1998. *Representation of Cognitive Structures: Syntax and Semantics of French Sentential Complements*. Cognitive Linguistics Research 11. Berlin: Mouton de Gruyter.

Allan, Keith. 1977. Classifiers. *Language* 53:285–311.

Athanasiadou, Angeliki, Costas Canakis, and Bert Cornillie (eds.) 2006. *Subjectification: Various Paths to Subjectivity*. Cognitive Linguistics Research 31. Berlin: Mouton de Gruyter.

Austin, J. L. 1962. *How to Do Things with Words*. Cambridge: Harvard University Press.

Barlow, Michael. 1992. *A Situated Theory of Agreement*. New York: Garland.

Barlow, Michael, and Suzanne Kemmer (eds.) 2000. *Usage-Based Models of Language*. Stanford: CSLI Publications.

Barsalou, Lawrence W. 1992. *Cognitive Psychology: An Overview for Cognitive Scientists*. Tutorial Essays in Cognitive Science. Hillsdale, N.J.: Erlbaum.

———— . 1999. Perceptual Symbol Systems. *Behavioral and Brain Sciences* 22:577–660.

Bergen, Benjamin. 2005. Mental Simulation in Literal and Figurative Language Understanding. In Seana Coulson and Barbara Lewandowska-Tomaszczyk (eds.), *The Literal and Nonliteral in Language and Thought*, 255–278. Łódz´ Studies in Language 11. Frankfurtam Main: Peter Lang.

Bhaskararao, Peri, and Karumuri Venkata Subbarao (eds.) 2004. *Non-Nominative Subjects*. Typological Studies in Language 60–61. Amsterdam: John Benjamins.

Birner, Betty J. 1994. Information Status and Word Order: An Analysis of English Inversion. *Language* 70:233–259.

Bolinger, Dwight. 1965. *The Atomization of Meaning*. Language 41:555–573.

———— . 1977. *Meaning and Form*. London: Longman.

Borkin, Ann. 1973. *To Be and Not To Be*. Papers from the Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society 9:44–56.

Brugman, Claudia. 1988. *The Syntax and Semantics of HAVE and Its Complements*. Ph.D. dissertation, University of California, Berkeley.

Bybee, Joan. 1985. *Morphology: A Study of the Relation between Meaning and Form*. Typological Studies in Language 9. Amsterdam: John Benjamins.

———. 2006. From Usage to Grammar: The Mind's Response to Repetition. *Language* 82: 711–733.

Bybee, Joan, and Paul Hopper (eds.) 2001. *Frequency and the Emergence of Linguistic Structure*. Typological Studies in Language 45. Amsterdam: John Benjamins.

Chafe, Wallace. 1994. *Discourse, Consciousness, and Time: The Flow and Displacement of Conscious Experience in Speaking and Writing*. Chicago: University of Chicago Press.

Chomsky, Noam. 1957. *Syntactic Structures*. Janua Linguarum 4. The Hague: Mouton.

———. 1965. *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, Mass.: MIT Press.

Coates, Richard. 2006. Properhood. *Language* 82:356–382.

Collins, Allan M., and Elizabeth F. Loftus. 1975. A Spreading-Activation Theory of Semantic Processing. *Psychological Review* 82:407–428.

Cook, Kenneth W. 1988. *A Cognitive Analysis of Grammatical Relations, Case, and Transitivity in Samoan*. Ph.D. dissertation, University of California, San Diego.

———. 1993a. *A Cognitive Account of Samoan Case Marking and Cliticization*. Studi Italiani di Linguistica Teorica e Applicata 22:509–530.

———. 1993b. A Cognitive Account of Samoan lavea and galo Verbs. In Richard A. Geiger and Brygida Rudzka-Ostyn (eds.), *Conceptualizations and Mental Processing in Language*, 567–592. Cognitive Linguistics Research 3. Berlin: Mouton de Gruyter.

———. 1999. Samoan as an Active Zone Language. In Leon de Stadler and Christoph Eyrich (eds.), *Issues in Cognitive Linguistics*, 391–405. Cognitive Linguistics Research 12. Berlin: Mouton de Gruyter.

Croft, William. 1990. *Typology and Universals*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. 2001. *Radical Construction Grammar: Syntactic Theory in Typological Perspective*. Oxford: Oxford University Press.

Croft, William, and D. Alan Cruse. 2004. *Cognitive Linguistics*. Cambridge Textbooks in Linguistics. Cambridge: Cambridge University Press.

Dahlstrom, Amy. 1983. Agent-Patient Languages and Split Case Marking Systems. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 9:37–46.

Deane, Paul. 1992. *Grammar in Mind and Brain: Explorations in Cognitive Syntax*. Cognitive Linguistics Research 2. Berlin: Mouton de Gruyter.

Diessel, Holger. 1999. *Demonstratives: Form, Function, and Grammaticalization*. Typological Studies in Language 42. Amsterdam: John Benjamins.

——— . 2006. Demonstratives, Joint Attention, and the Emergence of Grammar. *Cognitive Linguistics* 17:463–489.

Diessel, Holger, and Michael Tomasello. 2001. The Acquisition of Finite Complement Clauses in English: A Corpus-Based Analysis. *Cognitive Linguistics* 12:97–141.

Dixon, R. M. W. 1972. *The Dyirbal Language of North Queensland*. Cambridge Studies in Linguistics 9. Cambridge: Cambridge University Press.

——— . 1977. Where Have All the Adjectives Gone? *Studies in Language* 1:19–80.

Dowty, David. 2000. "The garden swarms with bees" and the Fallacy of "Argument Alternation". In Yael Ravin and Claudia Leacock (eds.), *Polysemy: Theoretical and Computational Approaches*, 111–128. Oxford: Oxford University Press.

Dryer, Matthew S. 1986. Primary Objects, Secondary Objects, and Antidative. *Language* 62:808–845.

Du Bois, John W. 1987. The Discourse Basis of Ergativity. *Language* 63:805–855.

Elman, Jeffrey L., and James L. McClelland. 1984. Speech Perception as a Cognitive Process: The Interactive Activation Model. In Norman Lass (ed.), *Speech and Language*, vol. 10, 337–374. New York: Academic Press.

Epstein, Richard. 2001. The Definite Article, Accessibility, and the Construction of Discourse Referents. *Cognitive Linguistics* 12:333–378.

Evans, Vyvyan. 2007. *A Glossary of Cognitive Linguistics*. Edinburgh: Edinburgh University Press, and Salt Lake City: University of Utah Press.

Evans, Vyvyan, and Melanie Green. 2006. *Cognitive Linguistics: An Introduction*. Mawhaw, N.J.: Erlbaum.

Evans, Vyvyan, Benjamin K. Bergen, and Jörg Zinken (eds.) 2006. *The Cognitive Linguistics Reader*. London: Equinox.

Fauconnier, Gilles. 1985. *Mental Spaces*: *Aspects of Meaning Construction in Natural Language*. Cambridge, Mass.: MIT Press, and London: Bradford.

———— . 1997. *Mappings in Thought and Language*. Cambridge: Cambridge University Press.

Fauconnier, Gilles, and Eve Sweetser (eds.) 1996. *Spaces*, *Worlds*, *and Grammar*. Chicago: University of Chicago Press.

Fauconnier, Gilles, and Mark Turner. 1998. Conceptual Integration Networks. *Cognitive Science* 22:133–187.

———— . 2002. *The Way We Think*: *Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities*. New York: Basic Books.

Fillmore, Charles J. 1968. *The Case for Case*. In Emmon Bach and Robert T. Harms (eds.), Universals in Linguistic Theory, 1–88. New York: Holt.

———— . 1982. Frame Semantics. In Linguistic Society of Korea (ed.), *Linguistics in the Morning Calm*, 111–137. Seoul: Hanshin.

———— . 1988. The Mechanisms of "Construction Grammar". Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society 14:35–55.

Fodor, Jerry A. 1979. *The Language of Thought*. Cambridge: Harvard University Press.

———— . 1983. *The Modularity of Mind*. Cambridge, Mass.: MIT Press, and London: Bradford.

Foley, W. A., and R. D. Van Valin Jr. 1984. *Functional Syntax and Universal Grammar*. Cambridge: Cambridge University Press.

Forrest, Linda B. 1996. Discourse Goals and Attentional Processes in Sentence Production: The Dynamic Construal of Events. In Adele E. Goldberg (ed.), *Conceptual Structure*, *Discourse and Language*, 149–161. Stanford: CSLI Publications.

Geeraerts, Dirk. 1993. *Vagueness's Puzzles*, *Polysemy's Vagaries*. Cognitive Linguistics 4:223–272.

———— . (ed.) 2006. *Cognitive Linguistics*: *Basic Readings*. Cognitive Linguistics Research 34. Berlin: Mouton de Gruyter.

Gentner, Dedre. 1981. Some Interesting Differences between Verbs and Nouns. *Cognition and Brain Theory* 4:161–178.

———— . 1982. Why Nouns Are Learned before Verbs: Linguistic Relativity versus Natural Patterning. In Stan Kuczaj (ed.), *Language Development I: Syntax and Semantics*, 301–334. Hillsdale, N.J.: Erlbaum.

Gernsbacher, Morton Ann, and David Hargreaves. 1992. The Privilege of Primacy: Experimental Data and Cognitive Explanations. In Doris L. Payne (ed.), *Pragmatics of Word Order Flexibility*, 83–116. Typological Studies in Language 22. Amsterdam: John Benjamins.

Givón, Talmy. 1984. Syntax: *A Functional–Typological Introduction* (2 volumes). Amsterdam: John Benjamins.

———— . (ed.) 1983. Topic Continuity in Discourse: A Quantitative Cross-Language Study. *Typological Studies in Language* 3. Amsterdam: John Benjamins.

Goldberg, Adele E. 1995. *Constructions: A Construction Grammar Approach to Argument Structure*. Chicago: University of Chicago Press.

———— . 2006. *Constructions at Work: The Nature of Generalizations in Language*. Oxford: Oxford University Press.

Goldsmith, John, and Erich Woisetschlaeger. 1982. The Logic of the English Progressive. *Linguistic Inquiry* 13:79–89.

Gorbet, Larry. 1977. *Headless Relatives in the Southwest: Are They Related?* Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society 3:270–278.

Grady, Joe, Sarah Taub, and Pamela Morgan. 1996. Primitive and Compound Metaphors. In Adele E. Goldberg (ed.), *Conceptual Structure, Discourse and Language*, 177–187. Stanford: CSLI Publications.

Haiman, John. 1978. Conditionals Are Topics. *Language* 54:564–589.

———— . 1980. Dictionaries and Encyclopedias. *Lingua* 50:329–357.

———— . 1985. *Natural Syntax: Iconicity and Erosion*. Cambridge Studies in Linguistics 44. Cambridge: Cambridge University Press.

Hampe, Beate (ed.) 2005. *From Perception to Meaning: Image Schemas in Cognitive Linguistics*. Cognitive Linguistics Research 29. Berlin: Mouton de Gruyter.

Harder, Peter. 1996. *Functional Semantics: A Theory of Meaning, Structure and Tense in English*. Trends in Linguistics Studies and Monographs 87. Berlin: Mouton de Gruyter.

Harris, Catherine L. 1998. Psycholinguistic Studies of Entrenchment. In Jean-Pierre Koenig (ed.), *Discourse and Cognition: Bridging the Gap*, 55–70. Stanford: CSLI Publications.

Haspelmath, Martin. 1997. *Indefinite Pronouns*. Oxford Studies in Typology and Linguistic Theory. Oxford: Oxford University Press.

Hawkins, John. 1978. *Definiteness and Indefiniteness: A Study in Reference and Grammaticality Prediction*. London: Croom Helm.

Heine, Bernd. 1997. *Cognitive Foundations of Grammar*. New York: Oxford University Press.

Heine, Bernd, Ulrike Claudi, and Friederike Hünnemeyer. 1991. *Grammaticalization: A Conceptual Framework*. Chicago: University of Chicago Press.

Herring, Susan C. 1989. Verbless Presentation and the Discourse Basis of Ergativity. In Bradley Music, Randolph Graczyk, and Caroline Wiltshire (eds.), *Parasession on Language in Context*, 123–137. Chicago: Chicago Linguistic Society.

Holmqvist, Kenneth. 1993. *Implementing Cognitive Semantics*. Lund: Department of Cognitive Science, Lund University.

Hopper, Paul J., and Sandra A. Thompson. 1980. Transitivity in Grammar and Discourse. *Language* 56:251–299.

Hopper, Paul J., and Elizabeth Traugott. 2003. *Grammaticalization*. 2nd ed. Cambridge Textbooks in Linguistics. Cambridge: Cambridge University Press.

Hudson, Richard A. 1988. Coordination and Grammatical Relations. *Journal of Linguistics* 24:303–342.

——— . 1989. Gapping and Grammatical Relations. *Journal of Linguistics* 25:57–94.

——— . 1992. Review of Ronald W. Langacker, Concept, Image, and Symbol: The Cognitive Basis of Grammar. *Journal of Linguistics* 28:506–509.

Huffman, Alan. 1997. *The Categories of Grammar: French lui and le*. Studies in Language Companion Series 30. Amsterdam: John Benjamins.

Jackendoff, Ray. 1983. *Semantics and Cognition*. Current Studies in Linguistics 8. Cambridge, Mass.: MIT Press.

———— . 1994. *Patterns in the Mind: Language and Human Nature*. New York: Basic Books.

Janssen, Theo. 1995. Deixis from a Cognitive Point of View. In Ellen Contini-Morava and Barbara Sussman Goldberg (eds.), *Meaning as Explanation: Advances in Linguistic Sign Theory*, 245–270. Berlin: Mouton de Gruyter.

Johnson, Mark. 1987. *The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination, and Reason*. Chicago: University of Chicago Press.

Keenan, Edward L. 1984. Semantic Correlates of the Ergative/Absolutive Distinction. *Linguistics* 22:197–223.

Kellogg, Margaret Kimberly. 1994. Conceptual Mechanisms Underlying Noun and Verb Categorization: Evidence from Paraphasia. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 20:300–309.

———— . 1996. *Neurolinguistic Evidence of Some Conceptual Properties of Nouns and Verbs*. Ph.D. dissertation, University of California, San Diego.

Kemmer, Suzanne. 1993. *The Middle Voice*. Typological Studies in Language 23. Amsterdam: John Benjamins.

Kimenyi, Alexandre. 1980. *A Relational Grammar of Kinyarwanda*. University of California Publications in Linguistics 91. Berkeley: University of California Press.

Kiparsky, Paul, and Carol Kiparsky. 1970. Fact. In Manfred Bierwisch and Karl Erich Heidolph (eds.), *Progress in Linguistics*, 143–173. The Hague: Mouton.

Kirsner, Robert S. 1993. From Meaning to Message in Two Theories: Cognitive and Saussurean Views of the Modern Dutch Demonstratives. In Richard A. Geiger and Brygida Rudzka-Ostyn (eds.), *Conceptualizations and Mental Processing in Language*, 81–114. Cognitive Linguistics Research 3. Berlin: Mouton de Gruyter.

Kirsner, Robert S., and Sandra A. Thompson. 1976. The Role of Pragmatic Inference in Semantics: A Study of Sensory Verb Complements in English. *Glossa* 10:200–240.

Klaiman, M. H. 1981. Toward a Universal Semantics of Indirect Subject Constructions. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 7:123–135.

Kosslyn, Stephen Michael. 1980. *Image and Mind*. Cambridge: Harvard University Press.

Kovecses, Zoltan. 2000. *Metaphor and Emotion: Language, Culture, and Body in Human Feeling*. Cambridge: Cambridge University Press.

——— . 2005. *Metaphor in Culture: Universality and Variation*. Cambridge: Cambridge University Press.

Lakoff, George. 1986. Frame Semantic Control of the Coordinate Structure Constraint. In Anne M. Farley, Peter T. Farley, and Karl-Erik McCullough (eds.), *Papers from the Parasession on Pragmatics and Grammatical Theory*, 152–167. Chicago: Chicago Linguistic Society.

———. 1987. *Women, Fire, and Dangerous Things: What Categories Reveal about the Mind*. Chicago: University of Chicago Press.

———. 1990. The Invariance Hypothesis: Is Abstract Reason Based on Image-Schemas? *Cognitive Linguistics* 1:39–74.

———. 1996. Sorry, I'm Not Myself Today: The Metaphor System for Conceptualizing the Self. In Gilles Fauconnier and Eve Sweetser (eds.), *Spaces, Worlds, and Grammar*, 91–123. Chicago: University of Chicago Press.

Lakoff, George, and Mark Johnson. 1980. *Metaphors We Live By*. Chicago: University of Chicago Press.

———. 1999. *Philosophy in the Flesh: The Embodied Mind and Its Challenge to Western Thought*. New York: Basic Books.

Lakoff, George, and Rafael E. Nunez. 2000. *Where Mathematics Comes From: How the Embodied Mind Brings Mathematics into Being*. New York: Basic Books.

Lakoff, George, and Mark Turner. 1989. *More Than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor*. Chicago: University of Chicago Press.

Lambrecht, Knud. 1994. *Information Structure and Sentence Form: Topic, Focus, and the Mental Representations of Discourse Referents*. Cambridge Studies in Linguistics 71. Cambridge: Cambridge University Press.

Langacker, Ronald W. 1968. *Language and Its Structure: Some Fundamental Linguistic Concepts*. New York: Harcourt, Brace and World.

——— . 1969. On Pronominalization and the Chain of Command. In David A. Reibel and Sanford A. Schane (eds.), *Modern Studies in English*, 160–186. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall.

——— . 1982. Space Grammar, Analysability, and the English Passive. *Language* 58:22–80.

———— . 1987. *Foundations of Cognitive Grammar*, vol. 1: *Theoretical Prerequisites*. Stanford: Stanford University Press. [cited as FCG1]

———— . 1990. *Concept, Image, and Symbol: The Cognitive Basis of Grammar*. Cognitive Linguistics Research 1. Berlin: Mouton de Gruyter. [cited as CIS]

———— . 1991. *Foundations of Cognitive Grammar, vol.* 2: *Descriptive Application*. Stanford: Stanford University Press. [cited as FCG2]

———— . 1993. Universals of Construal. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 19:447–463.

———— . 1995. Possession and Possessive Constructions. In John R. Taylor and Robert E. MacLaury (eds.), *Language and the Cognitive Construal of the World*, 51–79. Trends in Linguistics Studies and Monographs 82. Berlin: Mouton de Gruyter.

———— . 1997. Generics and Habituals. In Angeliki Athanasiadou and René Dirven (eds.), *On Conditionals Again*, 191–222. Current Issues in Linguistic Theory 143. Amsterdam: John Benjamins.

———— . 1999a. *Grammar and Conceptualization*. Cognitive Linguistics Research 14. Berlin: Mouton de Gruyter. [cited as GC]

———— . 1999b. *Virtual Reality*. Studies in the Linguistic Sciences 29(2):77–103.

———— . 1999c. Assessing the Cognitive Linguistic Enterprise. In Theo Janssen and Gisela Redeker (eds.), *Cognitive Linguistics: Foundations, Scope, and Methodology*, 13–59. Cognitive Linguistics Research 15. Berlin: Mouton de Gruyter.

———— . 2001a. *The English Present Tense*. English Language and Linguistics 5:251–271.

———— . 2001b. Viewing and Experiential Reporting in Cognitive Grammar. In Augusto Soares da Silva (ed.), *Linguagem e cognição: A perspectiva da linguística cognitiva*, 19–49. Braga: Associação Portuguesa de Linguística and Universidade Católica Portuguesa, Faculdade de Filosofi a de Braga.

———— . 2001c. What WH Means. In Alan Cienki, Barbara J. Luka, and Michael B. Smith (eds.), *Conceptual and Discourse Factors in Linguistic Structure*, 137–152. Stanford: CSLI Publications.

———— . 2001d. Discourse in Cognitive Grammar. *Cognitive Linguistics* 12:143–188.

———— . 2004a. *Aspects of the Grammar of Finite Clauses*. In Michel Achard and Suzanne Kemmer (eds.), Language, Culture and Mind, 535–577. Stanford: CSLI Publications.

———— . 2004b. Possession, Location, and Existence. In Augusto Soares da Silva, Amadeu Torres, and Miguel Gonçalves (eds.), *Linguagem, cultura e cognição: Estudios de linguística cognitiva* (2 volumes), vol. 1, 85–120. Coimbra: Almedina.

———— . 2005a. Dynamicity, Fictivity, and Scanning: The Imaginative Basis of Logic and Linguistic Meaning. In Diane Pecher and Rolf A. Zwaan (eds.), *Grounding Cognition: The Role of Perception and Action in Memory, Language and Thinking*, 164–197. Cambridge: Cambridge University Press.

———— . 2005b. Construction Grammars: Cognitive, Radical, and Less So. In Francisco J. Ruiz de Mendoza Ibáñez and M. Sandra Peña Cervel (eds.), *Cognitive Linguistics: Internal Dynamics and Interdisciplinary Interaction*, 101–159. Cognitive Linguistics Research 32. Berlin: Mouton de Gruyter.

———— . 2006. On the Continuous Debate about Discreteness. *Cognitive Linguistics* 17:107–151.

———— . 2007. Constructing the Meanings of Personal Pronouns. In Günter Radden, Klaus-Michael Köpcke, Thomas Berg, and Peter Siemund (eds.), *Aspects of Meaning Construction*, 171–187. Amsterdam: John Benjamins.

———— . 2011. *On the Subject of Impersonals*. in Mario Brdar, Stefan Th. Gries and Milena Žic Fuchs (eds.), *Cognitive Linguistics, Convergence and Expansion*. 179–218. Human Cognitive Processing 32. Amsterdam: John Benjamins.

Lee, David. 2001. *Cognitive Linguistics: An Introduction*. Melbourne: Oxford University Press.

Levinson, Stephen C. 1997. From Outer to Inner Space: Linguistic Categories and Non- Linguistic Thinking. In Jan Nuyts and Eric Pederson (eds.), *Language and Conceptualization*, 13–45. Language, Culture and Cognition 1. Cambridge: Cambridge University Press.

Li, Charles N., and Sandra A. Thompson. 1976. Subject and Topic: A New Typology of Language. In Charles N. Li (ed.), *Subject and Topic*, 457–489. New York: Academic Press.

Lindner, Susan. 1982. What Goes Up Doesn't Necessarily Come Down: The Ins and Outs of Opposites. *Papers from the Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society* 18: 305–323.

MacWhinney, Brian. 1987. The Competition Model. In Brian MacWhinney (ed.), *Mechanisms of Language Acquisition*, 249–308. Hillsdale, N.J.: Erlbaum.

Maldonado, Ricardo. 1988. Energetic Reflexives in Spanish. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 14:153–165.

———— . 1999. *A media voz: Problemas conceptuales del clítico se*. Publicaciones del Centro de Lingüística Hispánica 46. Mexico City: Universidad Nacional Autónoma de México, Instituto de Investigaciones Filológicas.

Manney, Linda Joyce. 2000. *Middle Voice in Modern Greek: Meaning and Function of an Inflectional Category*. Studies in Language Companion Series 48. Amsterdam: John Benjamins.

Manning, Christopher D. 1996. *Ergativity: Argument Structure and Grammatical Relations*. Dissertations in Linguistics. Stanford: CSLI Publications.

Matlock, Teenie. 2004. The Conceptual Motivation of Fictive Motion. In Günter Radden and Klaus-Uwe Panther (eds.), *Studies in Linguistic Motivation*, 221–248. Cognitive Linguistics Research 28. Berlin: Mouton de Gruyter.

Matlock, Teenie, Michael Ramscar, and Lera Boroditsky. 2004. The Experiential Basis of Motion Language. In Augusto Soares da Silva, Amadeu Torres, and Miguel Gonçalves (eds.), *Linguagem, cultura e cognição: Estudios de linguística cognitiva* (2 volumes), vol. 2, 43–57. Coimbra: Almedina.

Matsumoto, Yo. 1996a. Subjective Motion and English and Japanese Verbs. *Cognitive Linguistics* 7:183–226.

———— . 1996b. How Abstract Is Subjective Motion? A Comparison of Coverage Path Expressions and Access Path Expressions. In Adele E. Goldberg (ed.), *Conceptual Structure, Discourse and Language*, 359–373. Stanford: CSLI Publications.

———— . 1996c. Subjective-Change Expressions in Japanese and Their Cognitive and Linguistic Bases. In Gilles Fauconnier and Eve Sweetser (eds.), *Spaces, Worlds, and Grammar*, 124–156. Chicago: University of Chicago Press.

McLendon, Sally. 1978. Ergativity, Case, and Transitivity in Eastern Pomo. *International Journal of American Linguistics* 44:1–9.

McNeill, David. 1992. *Hand and Mind: What Gestures Reveal about Thought*. Chicago: University of Chicago Press.

Mithun, Marianne. 1991. *Active/Agentive Case Marking and Its Motivation*. Language 67:510–546.

Newman, John. 1996. *Give: A Cognitive Linguistic Study*. Cognitive Linguistics Research 7. Berlin: Mouton de Gruyter.

Newmeyer, Frederick J. 1983. *Grammatical Theory: Its Limits and Its Possibilities*. Chicago: University of Chicago Press.

Nikiforidou, Kiki. 2005. Conceptual Blending and the Interpretation of Relatives: A Case Study from Greek. *Cognitive Linguistics* 16:169–206.

Palmer, F. R. 1981. *Semantics*. 2nd ed. Cambridge: Cambridge University Press.

Perlmutter, David M. 1978. Impersonal Passives and the Unaccusative Hypothesis. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 4:157–189.

Reddy, Michael J. 1979. The Conduit Metaphor: A Case of Frame Conflict in Our Language about Language. In Andrew Ortony (ed.), *Metaphor and Thought*, 284–324. Cambridge: Cambridge University Press.

Regier, Terry. 1996. *The Human Semantic Potential: Spatial Language and Constrained Connectionism*. Cambridge, Mass.: MIT Press, and London: Bradford.

Reid, Wallis. 1991. *Verb and Noun Number in English: A Functional Explanation*. London: Longman.

Reinhart, Tanya. 1983. *Anaphora and Semantic Interpretation*. Chicago: University of Chicago Press.

Rice, Sally. 1987a. *Towards a Cognitive Model of Transitivity*. Ph.D. dissertation, University of California, San Diego.

———— . 1987b. Towards a Transitive Prototype: Evidence from Some Atypical English Passives. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 13:422–434.

Riemer, Nick. 2005. *The Semantics of Polysemy: Reading Meaning in English and Warlpiri*. Cognitive Linguistics Research 30. Berlin: Mouton de Gruyter.

Rosch, Eleanor. 1978. Principles of Categorization. In Eleanor Rosch and Barbara B. Lloyd (eds.), *Cognition and Categorization*, 27–47. Hillsdale, N.J.: Erlbaum.

Ross, John R. 1967. *Constraints on Variables in Syntax*. Ph.D. dissertation, MIT, Cambridge, Mass. [Published as Ross 1986.]

———— . 1986. *Infinite Syntax*! Norwood, N.J.: Ablex.

Ruhl, Charles. 1989. *On Monosemy: A Study in Linguistic Semantics*. Albany: State University of New York Press.

Sacks, Harvey, Emanuel A. Schegloff, and Gail Jefferson. 1974. A Simplest Systematics for the Organization of Turn-Taking for Conversation. *Language* 50:696–735.

Sadock, Jerrold M. 1974. Read at Your Own Risk: Syntactic and Semantic Horrors You Can Find in Your Medicine Chest. *Papers from the Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society* 10:599–607.

Schachter, Paul. 1976. The Subject in Philippine Languages: Topic, Actor, Actor-Topic, or None of the Above? In Charles N. Li (ed.), *Subject and Topic*, 491–518. New York: Academic Press.

——— . 1977. Reference-Related and Role-Related Properties of Subjects. In Peter Cole and Jerry M. Sadock (eds.), *Syntax and Semantics, vol. 8: Grammatical Relations*, 279–306. New York: Academic Press.

Searle, John R. 1969. *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*. London: Cambridge University Press.

Sethuraman, Nitya. 2002. *The Acquisition of Verbs and Argument Structure Constructions*. Ph.D. dissertation, University of California, San Diego.

Shepard, Roger N. 1978. *The Mental Image*. American Psychologist 33:125–137.

Shibatani, Masayoshi. 1985. Passives and Related Constructions: A Prototype Analysis. *Language* 61:821–848.

Smith, Michael B. 1993. Aspects of German Clause Structure from a Cognitive Grammar Perspective. *Studi Italiani di Linguistica Teorica e Applicata* 22:601–638.

Sweetser, Eve. 1982. Root and Epistemic Modals: Causality in Two Worlds. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 8:484–507.

——— . 1990. *From Etymology to Pragmatics: Metaphorical and Cultural Aspects of Semantic Structure*. Cambridge Studies in Linguistics 54. Cambridge: Cambridge University Press.

——— . 1997. Role and Individual Interpretations of Change Predicates. In Jan Nuyts and Eric Pederson (eds.), *Language and Conceptualization*, 116–136. Language, Culture and Cognition 1. Cambridge: Cambridge University Press.

———— . 1999. Compositionality and Blending: Semantic Composition in a Cognitively Realistic Framework. In Theo Janssen and Gisela Redeker (eds.), *Cognitive Linguistics: Foundations, Scope, and Methodology*, 129–162. Cognitive Linguistics Research 15. Berlin: Mouton de Gruyter.

Takahashi, Kiyoko. 2000. *Expressions of Emanation Fictive Motion Events in Thai*. Ph.D. dissertation, Chulalongkorn University, Bangkok.

Talmy, Leonard. 1988a. Force Dynamics in Language and Cognition. *Cognitive Science* 12:49–100.

———— . 1988b. The Relation of Grammar to Cognition. In Brygida Rudzka-Ostyn (ed.), *Topics in Cognitive Linguistics*, 165–205. Amsterdam: John Benjamins.

———— . 1991. Path to Realization: A Typology of Event Conflation. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 17:480–519.

———— . 1996. Fictive Motion in Language and "Ception". In Paul Bloom, Mary A. Peterson, Lynn Nadel, and Merrill F. Garrett (eds.), *Language and Space*, 211–276. Cambridge, Mass.: MIT Press, and London: Bradford.

———— . 2000a. *Toward a Cognitive Semantics, vol. 1: Concept Structuring Systems*. Cambridge, Mass.: MIT Press, and London: Bradford.

———— . 2000b. *Toward a Cognitive Semantics, vol. 2: Typology and Process in Concept Structuring*. Cambridge, Mass.: MIT Press.

Taylor, John R. 1996. *Possessives in English: An Exploration in Cognitive Grammar*. Oxford: Oxford University Press/Clarendon.

———— . 2002. *Cognitive Grammar*. Oxford Textbooks in Linguistics. Oxford: Oxford University Press.

———— . 2004. *Linguistic Categorization: Prototypes in Linguistic Theory*. 3rd ed. Oxford: Oxford University Press/Clarendon.

Thompson, Sandra A. 2002. "Object Complements" and Conversation: Towards a Realistic Account. *Studies in Language* 26:125–164.

Tomasello, Michael. 1992. *First Verbs: A Case Study of Early Grammatical Development*. Cambridge: Cambridge University Press.

———— . 2003. *Constructing a Language: A Usage-Based Theory of Language Acquisition*. Cambridge: Harvard University Press.

Tomlin, Russell S. 1995. Focal Attention, Voice, and Word Order. In Pamela Downing and Michael Noonan (eds.), *Word Order in Discourse*, 517–554. Typological Studies in Language 30. Amsterdam: John Benjamins.

———— . 1997. Mapping Conceptual Representations into Linguistic Representations: The Role of Attention in Grammar. In Jan Nuyts and Eric Pederson (eds.), *Language and Conceptualization*, 162–189. Language, Culture and Cognition 1. Cambridge: Cambridge University Press.

Traugott, Elizabeth. 1982. From Propositional to Textual and Expressive Meanings: Some Semantic– Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In Winfred P. Lehmann and Yakov Malkiel (eds.), *Perspectives on Historical Linguistics*, 245–271. Amsterdam: John Benjamins.

———— . 1988. Pragmatic Strengthening and Grammaticalization. *Proceedings of the Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society* 14:406–416.

———— . 1989. On the Rise of Epistemic Meanings in English: An Example of Subjectification in Semantic Change. *Language* 65:31–55.

Tuggy, David. 1993. Ambiguity, Polysemy, and Vagueness. *Cognitive Linguistics* 4: 273–290.

———— 2003a. The Nawatl Verb kīsa: A Case Study in Polysemy. In Hubert Cuyckens, René Dirven, and John R. Taylor (eds.), *Cognitive Approaches to Lexical Semantics*, 323–362. Cognitive Linguistics Research 23. Berlin: Mouton de Gruyter.

———— . 2003b. Abrelatas and Scarecrow Nouns: Exocentric Verb–Noun Compounds as Illustrations of Basic Principles of Cognitive Grammar. *International Journal of English Studies* 3(2):25–61.

Turner, Mark. 1987. *Death Is the Mother of Beauty*: *Mind*, *Metaphor*, *Criticism*. Chicago: University of Chicago Press.

Tyler, Andrea, and Vyvyan Evans. 2003. *The Semantics of English Prepositions*: *Spatial Scenes*, *Embodied Meaning and Cognition*. Cambridge: Cambridge University Press.

Ungerer, Friedrich, and Hans-Jörg Schmid. 2007. *An Introduction to Cognitive Linguistics*. 2nd ed. London: Pearson Longman.

Vandeloise, Claude. 1991. *Spatial Prepositions*: *A Case Study from French*. Chicago: University of Chicago Press.

van Hoek, Karen. 1995. Conceptual Reference Points: A Cognitive Grammar Account of Pronominal Anaphora Constraints. *Language* 71:310–340.

———— . 1997. *Anaphora and Conceptual Structure*. Chicago: University of Chicago Press.

Velázquez-Castillo, Maura. 2002. Grammatical Relations in Active Systems: The Case of Guaraní. *Functions of Language* 9:133–167.

Vendler, Zeno. 1967. *Linguistics in Philosophy*. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press.

Verhagen, Arie. 2005. *Constructions of Intersubjectivity: Discourse, Syntax, and Cognition*. Oxford: Oxford University Press.

Wierzbicka, Anna. 1985. Oats and Wheat: The Fallacy of Arbitrariness. In John Haiman (ed.), *Iconicity in Syntax*, 311–342. Amsterdam: John Benjamins.

——— . 1988. *The Semantics of Grammar*. Studies in Language Companion Series 18. Amsterdam: John Benjamins.

——— . 1995. Dictionaries vs. Encyclopaedias: How to Draw the Line. In Philip W. Davis (ed.), *Alternative Linguistics: Descriptive and Theoretical Modes*, 289–315. Current Issues in Linguistic Theory 102. Amsterdam: John Benjamins.

——— . 1996. *Semantics: Primes and Universals*. Oxford: Oxford University Press.

Woodbury, Anthony C. 1977. Greenlandic Eskimo, Ergativity, and Relational Grammar. In Peter Cole and Jerry M. Sadock (eds.), *Syntax and Semantics, vol. 8: Grammatical Relations*, 307–336. New York: Academic Press.

Zubin, David A., and Klaus-Michael Köpcke. 1986. Gender and Folk Taxonomy: The Indexical Relation between Grammatical and Lexical Categorization. In Colette Craig (ed.), *Noun Classes and Categorization*, 139–180. Amsterdam: John Benjamins.

ثبت المصطلحات

المدخل العربيّ	المدخل الفرنسيّ	المدخل الإنجليزيّ
إبستيميّ، معرفيّ	épistémique	epistemic
اتّجاه، اتّجاهيّة، توجيهيّ	direction, directionnalité, directif	direction, directionality, directive
إجازة	sanction	sanction
أحاديّ التّكوّن	uniplexe	uniplex
أحاديّ الدّلالة	monosémie	monosemy
إدراج	incorporation	incorporation
أرضيّة، تجذير، مجذَّر	ancrage	grounding, ground, grounded
إركاتيّة (حال)	ergatif	ergative
استبطان	introspection	introspection
استعمال	usage	usage
إسمائيّ (مركّب جزئيّ)، الإسماء (عمليّة)،	nominal, nominalisation	nominal, nominalization
صرفم الإسماء	nominalisateur	nominalizer
إسناد إلى المعلوم	voix active	active voice
إشارة بالجارحة	geste	gesture
إشاريّة (إستراتيجيّة)	stratégie déictique	deictic strategy
إشراف، تحكّم	contrôle	control
إطار	cadre	frame
الإعراب	syntaxe	syntax
اكتساب	acquisition	acquisition
أماميّة، تأميم	premier plan, mise en avant	foreground, foregrounding
أمر (عمل لغويّ)	ordre (acte de langage)	Ordering (speech act)
انبناء (ذهنيّ)	construal	construal
انتباه	attention	attention
انسجام	cohérence	coherence
انشطار	clivage	clefting
أنَوِيّة	solipsisme	solipsism

access, accessibility	accès, accessibilité	اهتداء، قابليّة الاهتداء
iconicity	iconicité	أيقونيّة

ب

space builder	space builder	باني الفضاء (الذّهني)
apposition	apposition	بدل، بدليّة
prominence, salience	prominence, saillance	بروز
elaboration, elaboration site (E-site), elaborative	élaboration, site d'élaboration (E-site)	بلورة، موقع البلورة، مبلوِر
construction, constructional	construction, constructional	بناء، بنائيّ
focus, focusing, focal	focus, focusing, focal	بؤرة، تبئير، بؤريّ
intersubjective, intersubjectivity	intersubjectif, intersubjectivité	بين ذاتي، بين ذاتيّة

ت

subordinate, subordination subordinator	subordonné, subordination subordonnant	تابع، إتباع، صرفم إتباع/ مُتبِع
automatization	automatisation	تأْليَة
motivation	motivation	تبرير
dependence	dépendance	تبعيّة
grouping	groupement	تجميع
specification, specificity	spécification, spécificité	تخصيص، خصيصة، درجة التّخصيص
progressive	progressif	تدريجيّ (مظهر)
association	association	جمع، ترابط
connectionism	connectionnisme	ترابطيّة
order	ordre	ترتيب
composition, composite, compositional, compositionality	composition, composite, compositionnel, compositionnalité	تركيب، مركّب، تركّبيّ، تركّبيّة
acronym	acronyme	تسمية بالحروف الأوائل
coding	codage	تشفير
interface	interface	تصافح
co-alignment alignment	alignement, co-alignement	تصفيف، تصافّ/ تصفيف مع..
nesting	nesting	تضمين، مُضمَّن
correlate, correlation	corréler, corrélation	تعالق
transitivity	transitivité	تعدية
ditransitive	ditransitif	تعدية ثنائيّة (إلى مفعولين)

habitual	habituel	تعوّديّ (مظهر)
discrete	discret, distinct	تفاصل، متفاصل
idiosyncrasy	idiosyncrasie	تفرّد (نحويّ)
coreference	coréférence	تقارن إحاليّ، اشتراك إحاليّ
assertion	assertion	تقرير
restriction, restrictive	restriction, restrictif	تقييد، تقييديّ
compression	compression	تكثيف
repetitive (aspect)	répétitif (aspect)	تكراريّ (مظهر)
representation, representative	représentation, représentatif	تمثيل، تمثيليّ
correspondence	correspondance	تناسُب
alternation	alternance	تناوب، تداول
intonation	intonation	تنغيم، تنغيميّ
convention	convention	تواضع، مواضعة
unification	unification	توحيد
distribution	distribution	توزيع، توزيعيّ
characterization	caractérisation	توصيف

ج

occurrence	occurrence	جريان
granular	granulaire	جزيئيّ (تكوين/ مكوّن)
embodiment	embodiment	جسدنة
causation, causative	causation, causatif	جعل، جعليّ، جعليّة، مسبّبيّة
genre	genre	جنس (خطابيّ)
gender	genre	جنس (بيولوجيّ، نحويّ)
mode, modal	mode, modal	جهة (نحويّة)، جهِيّ

ح

nominative	nominatif	حال الرّفع
dative	datif	حال المنح
zeugma	zeugma	حذف قائم على العطف
preposition	préposition	حرف
retention	rétention	حفظ (في الذّاكرة/ ذاكريّ)

خ

empirical	empirique	اختباريّ، تجريبيّ
discourse	discours	خطاب
schema, schematicity, schematic, schematization	schéma, schématicité, schématique, schématisation	خطاطة، الخطاطيّة، خطاطيّ، تجريد خطاطيّ

د

integration	intégration	دمج

ذ

mental	mental	ذهنيّ
exocentricity	exocentricité	ذو مركز خارجيّ

ر

figure	figure	رسم
symbol, symbolization	symbole, symbolisation	رمز، ترميز
viewing, viewer	vue, voyant	رؤية، راءٍ

ز

vantage point	angle de vue	زاوية النّظر
zoom (in, out)	zoom (in, out)	زوّم، تكبير/ تصغير، تزويم (داخل، خارج)

س

antecedent	antécédent	سابق، مفسِّر الضّمير
scalar scale,	échelle, scalaire	سُلّم، سلّميّ (متدرّج)
hierarchy	hiérarchie	سلّميّة، تراتبيّة، هرميّة
feature	trait	سمة، خصيصة

ش

network	réseau	شبكة، شبكيّ
object, objective, objectivism	object, objectif, objectivisme	شيء/ موضوع، موضوعيّ(ة)

ص

zero (grounding)	zéro (ancrage)	صفر (تجذير)
image, imagery, imagistic, image schema	image, imagerie, imagistique, image schéma	صورة، تصوير، تصويريّ، الخطاطة الصّورة
participle	participe	مصدر (الفاعليّة، المفعوليّة)

ض

antipassive	antipassif	ضديد المجهول

ط

substrate	substrat	طبقة تحتيّة
prototype	prototype	طراز

ظ

adverb	adverbe	ظرف

ع

anaphora	anaphore	عائد (ضمير)
experiencer	expérienceur	عائش التّجربة
equative expression	expression d'égalité	عبارات تعادليّة
profile, profiling	profil, profiler, profilement	عرَض، عرْض، معروض
cognition, cognize, cognizer, cognitive	cognition, cognitif	عرفنة، عرفن، معرفِن، عرفنيّ
prosody	prosodie	عروض
coordination	coordination	عطف
relation, relational	relation, relationnel	علاقة، علائقيّ
action	action	عمل
process	processus	عمليّة

غ

infinitive, infinitival	infinitif	غير مصرّف في الزّمن

ف

subject, subjective, subjectification	sujet, subjectif, subjectification	فاعل/ موضوع، ذاتيّ، استذتاء
disjunction	disjonction	فصل، انفصال
Current Discourse Space (CDS)	espace de discours courant (EDC)	فضاء الخطاب الجاري
innateness	innéisme	فطريّ، فطريّة

ق

contractibility	contractibilité	قابليّة التّقلّص
ablaut	ablaut	قاعدة التّناوب الحركيّ
pattern	patron	قالب
pole (unipolar, bipolar)	pôle (unipolaire, bipolaire)	قطب (أحاديّ، ثنائيّ)
constraint	contrainte, restriction	قيد

ك

mass	masse	كتلة (اسم)

ل

imperfective	imperfectif	لاانقضائيّ
affix	affixe	لاصقة

م

sequential (scanning)	sequentiel	تتابعيّ (مسح)
patient	patient	متحمّل
fictive, fictivity	fictive, fictivité	متخيَّل، تخيّليّة

multiplex	multiplex	متعدّد (التّكوّن/ المكوّنات)
Complement, Complementizer	Complément, Complémentiseur	متمّم، تتميم، متِمّ
domain	domaine	مجال
dominion	dominion	مجال نفوذ
abstract, abstraction	abstrait, abstraction	مجرّد، تجريد
summary (scanning)	sommaire	مجمل (مسح)
simulation	simulation	محاكاة
agent, agentivity	agent, agentivité	محدِث، محدثيّة
determiner	determinant	محدِّد
theme	thème	محور
modifier	modifieur	محوِّر
scope (immediate, maximal)	portée (immédiate, maximale)	مدى (مباشر، أقصى)
referent, reference point	référent, point de référence	مرجع، نقطة مرجعيّة
compound	composé	مركّب
clause	proposition	مركّب جمَليّ
blend, blending	intégration (conceptuelle)	مزج (مفهوميّ، تصوّريّ)
beneficiary	benéficiaire	مستفيد
scanning	scannage	مسح
path	itinéraire	مسلك
quantifier, quantification	quantificateur, quantification	مسوّر، تسوير
participant	participant	مشارك
content	contenu	مضمون/ محتوى
agreement	accord	مطابقة (نحويّة)
applicative (verb)	applicatif (verbe)	مطبّقيّ (فعل)
absolute, absolutive	absolu, absolutif	مطلق، حال المطلق
aspect	aspect	مظهر (نحويّ)
processing	traitement	معالجة
count	comptable	معدود (اسم)
landmark (lm)	repère, landmark (lm)	مَعلَم (مع)
pivot	pivot	مِفصل
concept, conceptual, conceptualizer, conceptualization	concept, conceptuel	مفهوم/ متصوَّر، مفهَمَة/ تصوّر، مفهوميّ/ تصوّريّ، متصوِّر
category, categorization,	catégorie, catégorisation	مقُولة، مقْوَلَة

constituency	constitution	مكوّنيّة
backtracking	pistage en arrière	ملاحقة ارتداديّة
possessive	possessif	ملكيّة (عبارة، صرفم...)
trajector (tr),	trajecteur (tr),	منتقِل
finite	fini	منته (فعل مصرَّف)
perspective	perspective	منظور
modularity	modularité	منظوميّ، منظوميّة
perfect, perfective	parfait, perfectif	منقض، انقضائيّ
Idealized Cognitive Model (ICM)	Modèle Cognitif Idéalisé	منوال عرفنيّ مؤمثل (م ع م)
relative	relatif	موصول، صلة
location, locative	location, locatif	موقع(ي)/ موضع(ي)/ محل(ي)
postposition	postposition	موقعة بعديّة
preposing	pré–position	موقعة قبليّة
matrix	matrice	مولِّدة

ن

accent, stress	accent	نبر(ة)
Construction Grammar	Construction Grammar	النّحو البنائيّ
Role and Reference Grammar	Role and Reference Grammar	نحوُ الدّور والإحالة
Space Grammar	grammaire de l'espace	نحو الفضاء
grammar, grammaticality, grammaticalization, grammaticization	grammaire, grammaticalité, grammaticalisation	نحو، استقامة نحويّة، إنحاء
spreading	diffusion	نشر، انتشار
active, activity, activation	actif, activité, activation	نشيط، نشاط، إنشاط
accusative, accusativity	accusatif, accusativité	نصب (حال)، منصوب، نصبيّة
punctual	ponctuel	نقطيّ (مظهر)
archetype	archétype	نموذج بدئيّ
instance	exemplaire, échantillon	نموذج، عيّنة، تحقُّق
turn	tour	نوبة
type	type	نوع

هـ

target	cible, but	هدف

و

marker	marqueur	واسِم، أداة وسم

unit, unitization	unité, unitisation	وحدة/ واحد(ة)، صوغ الواحدة
middle voice	middle voice	وسيط
clitic	clitique	وُصلة

الأعلام

آشار	Achard, M
بارصالو	Barsalou, L. W.
بارلاو	Barlow, M
برلموتّر	Perlmutter, D. M.
بولينغر	Bolinger, D.
تروغوت	Traugott, E
تشافي	Chafe, W.
تورنر	Turner, M.
جاكندوف	Jackendoff, R.
جونسون	Johnson, M.
داوتي	Dowty, D.
دي بويس	Du Bois, J. W.
دياسّال	Diessel, H.
دين	Deane, P.
رايس	Rice, S.
روسّ	Ross, J. R.
رول	Ruhl, C.
سميث	Smith, M. B.
سويتسر	Sweetser, E
شاشتير	Schachter, P.
شومسكي	Chomsky, N.
شيباتاني	Shibatani, M.
طالمي	Talmy, L.
طوماسلّو	Tomasello, M.
طومسون	Thompson, S. A.
طوملين	Tomlin, R. S.
غولدبارغ	Goldberg, A. E
فان هوك	van Hoek, K.
فاندولواز	Vandeloise, C.
فودور	Fodor, J. A.
فورّاست	Forrest, L. B
فوكونياي	Fauconnier, G.
فيرزبيكا	Wierzbicka, A.
فيرهاغن	Verhagen, A.
فيلمور	Fillmore, C. J.
كروفت	Croft, W
كِيمّار	Kemmer, S
كوك	Cook, K. W.
كيرسنار	Kirsner, R. S.
كينان	Keenan, E.
لايكوف	Lakoff, G
لوفينسون	Levinson, S. C
ليندنار	Lindner, S
ماكنيل	McNeill, D.
مالدونادو	Maldonado, R.
ماتسوموتو	Matsumoto, Y.
مطلوك	Matlock, T.
منّاي	Manney, L. J.
نونياز	Nunez, R. E
نيومايير	Newmeyer, F. J.
هوبّر	Hopper, P. J.
هادسن	Hudson, R. A.
هاردر	Harder, P.
هايمان	Haiman, J.
هوفّمان	Huffman, A
يانسان	Janssen, T.

اللّغات

الإسبانيّة	Spanish
الإسكيمو الغرينلانديّة	Greenlandic Eskimo
الألمانيّة	German
الإنجليزيّة	English
الأوتو- أزتيكيّة	Uto-Aztecan
الإيروكويّة	Iroquoian
الإيطاليّة	Italian
البانتو	Bantu
البومو الشّرقيّة	Eastern Pomo
التّاغالوغ	Tagalog
التّايلانديّة	Thai
الخازيّة (لغة مون-خميريّة في الهند)	Khasi
الدّيربياليّة	Dyirbal
السّاموانيّة	Samoan
السّينيكيّة	Seneca
السِّيُو (السّهول الكبرى الأمريكيّة)	Siouan
الفرنسيّة	French
الكِنيارونديّة	Kinyarwanda
الكورا (لغة أوتو-أزتيكيّة في المكسيك)	Cora
اللّغات الرّوْمَنيّة	Romance languages
اللّاكهوتية	Lakhota
اللّويزينيّة	Luiseno
المندرينيّة (الصّينيّة)	Mandarin
المونيّة الخميريّة	Mon-Khmer
النّاوتليّة الكلاسيكيّة	Classical Nahuatl
الهوبيّة	Hopi
اليابانيّة	Japanese
اليونانيّة الحديثة	Modern Greek

فهرس الأعلام

آشار	730
بارصالو	154، 816
بارلو	311
برلموتّر	662
بولينغر	74، 635
تروغوت	56، 461، 884
تشافي	53، 97، 153، 621، 804، 816
تورنر	53، 69، 70، 861
جاكندوف	94، 158
جونسون	63، 99
داوتي	632
دين	63
رايس	659
روسّ	743، 744
رول	72
سميث	639
سويتسر	53، 492، 525، 791، 798
شاشتير	662
شومسكي	343، 358
شيباتاني	625
طالمي	53، 152، 172، 422، 492، 814، 866، 877
طوماسلّو	415، 417، 687
طومسون	106، 687، 745، 881
طوملين	661
غولدبارغ	53، 399، 417
فان هوك	107، 572
فاندولواز	53، 350
فودور	64، 71، 99
فورّاست	661
فوكونياي	53، 70، 91، 798، 861
فيرزبيكا	212، 219، 720

فيرهاغن	687
فيلمور	53، 85
كروفت	8، 53، 162، 880
كوك	584، 662
كيرسنار	457، 745
كيمّار	53، 663
كينان	605
لانقاكر	7، 20، 54، 55، 71، 74، 87، 94، 98، 140، 145، 152، 153، 154، 158، 173، 179، 209، 210، 211، 212، 259، 272، 292، 339، 415، 417، 418، 422، 459، 481، 499، 502، 504، 575، 652، 662، 715، 737، 743، 744، 745، 747، 751، 814، 827، 833، 860، 881، 884
لايكوف	53، 63، 69، 85، 93، 99، 209، 231، 743، 861
لوفينسون	76، 78
ليندنار	664
ماتسوموتو	864، 883
ماكنيل	758
مالدونادو	628، 663
مطلوك	874
منّاي	663
نونياز	265، 861
نيومايير	53
هادسن	21، 53
هاردر	753
هايمان	74، 130، 149
هوبّر	53، 106، 631
هوفّمان	72
يانسان	455

فهرس اللّغات

إسبانيّة	409، 540، 570، 628، 764
إسكيمو غرينلانديّة	624
ألمانيّة	548، 584
إنجليزيّة	36، 41، 46، 51، 70، 86، 108، 136، 161، 169، 194، 197، 203، 208، 212، 214، 243، 256، 258، 259، 265، 267، 278، 286، 290، 304، 305، 316، 324، 341، 346، 356، 377، 379، 381، 389، 395، 398، 417، 426، 428، 430، 440، 452، 455، 461، 468، 469، 480، 481، 488، 489، 493، 495، 498، 502، 504، 506، 507، 508، 516، 518، 521، 531، 553، 555، 557، 573، 583، 584، 585، 587، 592، 594، 597، 607، 608، 610، 613، 617، 628، 630، 640، 644، 652، 653، 654، 655، 656، 676، 689، 695، 696، 700، 733، 735، 740، 744، 757، 764، 772، 781، 809، 810، 814، 827، 871، 877، 881، 882
أوتو- أزتيكيّة	211، 302، 625
إيروكويّة	621
إيطاليّة	569، 570، 576
بانتو	641
بومو الشّرقيّة	612
تاغالوغ	377، 620، 626، 662
تايلانديّة	575، 656
خازيّة	640
ديربياليّة	609، 613، 617
رَوْمَنيّة	304
ساموانيّة	607، 611، 617، 619، 662
سينيكيّة	621
سيُو	614
فرنسيّة	304، 305، 638، 639، 862
كِنيارونديّة	641
كورا	211

لاكهوتيّة	614
لويزينيّة	298، 302، 310، 311، 312، 313، 319، 330، 343، 383، 385، 387، 388، 393، 398، 479، 566، 568، 575، 576، 589، 611، 615، 616، 650، 653، 654، 664، 809
مندرينيّة	554، 555
مونيّة خميريّة	640
ناوتليّة	613، 621، 642، 652
هوبيّة	377، 562، 623، 626، 694، 695، 700
يابانيّة	530، 814، 882
يونانيّة	697

فهرس الموضوعات

إبستيميّ	427، 428، 441، 445، 477، 484، 485، 487، 490–498، 502، 589، 718، 724–726، 734، 736، 737، 741، 742، 774، 776، 791–793، 815
اتّجاهيّة	120، 121، 146، 153، 301، 458، 823، 824، 829، 834، 835، 851، 855، 856، 863، 880
إجازة	50، 285، 378، 382، 385، 388، 396، 398، 404، 496، 521، 546، 836
إدراج	296، 317، 642، 734، 774، 796
أرضيّة (مفهوميّة)	19، 79، 96، 105، 129، 132، 135، 136، 183، 399، 419، 420، 422–425، 427، 428، 430، 440–442، 445، 454، 456، 462، 476، 477، 482، 485، 490، 497–500، 509، 517، 565، 581، 683، 718، 737، 738، 764، 766، 769، 790
إركاتيّة (حال)	612، 613، 616، 617، 618، 624، 638
استبطان	137
استذتاء	862، 873، 876، 877، 880، 884
استرسال	178، 181، 217، 239، 269، 299، 371، 386، 415، 777، 799
استفهام (عمل لغويّ)	129، 154، 475، 582، 592، 705، 721، 746، 772، 792، 817
إسماء	196، 197، 200، 538، 679، 683، 700
إسمائيّ	42، 128، 136، 195، 202، 203، 214، 305، 319، 329، 351، 416، 419، 425، 427، 428، 431، 436، 437، 438، 440، 445، 448–452، 462، 465، 466، 497، 503، 504، 506، 508، 517، 523، 525، 526، 531، 553، 565، 547، 577، 578، 619، 695، 717، 786، 844، 845، 858، 882
إشارة بالجارحة	429، 447، 453، 456، 457، 461، 500، 750، 758، 759، 763، 781
إشاريّة (إستراتيجيّة)	446

إطار 85، 86، 99، 112، 113، 225، 249، 453، 454، 582، 602، 629، 630، 632، 634، 635، 650، 740، 741، 764، 794، 809، 816، 841

إعراب 20، 22، 27، 29، 31، 34، 39، 40، 50، 53، 54، 64، 98، 148، 281، 288، 313، 314، 317، 337، 339، 343، 346

أعمال لغويّة 129، 262، 581، 622، 772، 773، 790، 815

أفعال النّقلة 395–397، 400–406، 418، 558، 639، 641، 664، 848، 864، 884

اكتساب 24، 357، 361، 392، 395، 415، 546

أماميّة، تأميم 104، 105، 112، 113، 115، 118، 275، 641

امتداد أقصى 450، 468–471، 476، 522، 532، 559، 575

أمر عمل لغويّ 154، 770، 773، 777، 790، 791، 815، 856

انبناء 19، 77، **81**، 82، 89، 93، 98، **101**– 104، 117، 128، 132، 134–137، 142، 146، 167، 179، 185، 189، 193، 197، 232، 236، 248، 250، 257، **420**، 426، 478، 490، 554، 595، 604، 641، 718، 779، 814، 823، 829، 876، 877، 883

انتباه 24، 89، 114، 118، 124، 134، 135، 143، 147، 198، 220، 221، 421، 422، 424، 428–430، 445، 447، 453–453، 476، 510، 580، 593، 594–596، 599، 620، 650، 659، 661، 702–703، 750، 765، 778، 787–788، 794، 800، 811، 816، 842–843

إنحاء 149، 489، 877

انسجام 78، 82، 131، **801**، 802

إنشاط 75، 87، 88، 89، 90، 104، 183، 224، 355، 372، 373، 374، 375، 381، 382، 383، 514، 521، 571، 820، 874

انشطار 727

انقضائيّ/لاانقضائيّ **243**، 244، **251**، 252–257

أنَويّة 59

اهتداء (ذهنيّ) 63، 395، 472، 500، 541، 546، 594، 596، 829، 852، 878، 880

أيقونيّة 138، 351، 686، 825

بدليّة اسميّة 319، 334، 729

بروز (ذهني، بؤريّ) 30، 63، 101، **117**، 153، 163، 593

بلورة (موقع، علاقة، مسلك)، مبلور 103، 303، **325**، 327، 365، 367، 432، 521، 536، 586، 619، 683، 755، 795، 797، 820، 822، 836

بنائـيّ (معنـى، خطاطـة، قاعدة، رأس)	23، 53، 274، **277**، 278–282، 285، 286، 305، 307–308، 309، 313، 316، 358–359، 361، 382–384، 387، 389، **397**، 399–404، 405، 414، 521، 522–524، 545، 550، 669، 756، 812، 861
بؤرة، تبئير، بؤريّ	**104**، 108، 112، 117، 118، 147، 167، 180، 593، 750،
بين ذاتي، بين ذاتيّة	58، 453، 791
تألية	36، 50
تتابعيّ (مسح)	**184**– 186، 195–197، 200، 201، 203، 206، 209، 211، 243، 251، 335، 517، 543، 645، 648، 650
تجذير، مجذَّر	419، 420، 425–430،436–458، 440–462، 461–469، 476–482، 485، 490، 495، 497–504، 506، 507، 512، 514، 524، 531، 535، 553، 554، 565، 568، 573– 575، 577، 578، 653، 654، 678، 683، 686، 691، 693، 695، 710، 711، 718، 719، 722، 724، 733–738، 741، 753، 770، 772، 774، 776، 789–491، 809– 813، 830–832، 858، 871
تجميع (مفهوميّ، رمزيّ، إدراكيّ، بنائيّ، خطاطيّ)	20، 22، 34، 35، 38–39، 43، **44**، 45–52، 68، **174**، 176، 178، 186، 230، **269**، 277، 290، 318، 325، 338، 339، 551، 610، 664، 750، 756، 812
تحقُّق (الخطاطة/ النّوع/ المادّة)، مجال التحقّق	38، 42، 48، 51، 52، 63، 67، 70، 76، 108، 155، 172، 178، 220، **222**، 223–225، 234–235، 239، 241، 251، 282، 286، 306، 309، **356**، 360، 369، 387، 391، **431**، 503، 552، 568، 758، 771، 828، 857
تخصيص(ـات)	44، **101**، 102،164، 359، 307، 429، 515، 570، 590، 625، 643، 652، 693، 694، 755، 764
تخيّليّة، متخيَّل	79، 92، 152، 399، 437، 470، 478، 721، 819، 855، **856**، 865، 874
ترابط (مفهوميّ)	28، 36، 38، 50،175، 180، 187، 270، 325، 341، 373، 386، 389، 416، 482، 551، 651، 688، 694، 749، 754، 796، 801
ترابطيّة	28، 416
ترتيب الكلم(ـات)	**129**، 140، 141، 151، 154، 301، 334، 378–380، 398، 530، 590، 606، 607، 619، 772، 804، 835، 851، 882
تركّبيّة	76، 77، 78، 80، 91، **277**، 280، 281، 292، 324، 397، 398، 495

تسوير، مسوّر	172، 442، 443، 449، 450–452، **469**، 470–474، 500، 509، 513، **543**، **553**، 557، 559، 859، 860، 868
تشييء	165، **176**، 180، 195، 358، 414، 450، 829
تصفيف، تصافّ	118، **124**، 125، 126، 148، 327، 328، 330، 331، 343، 588، 596، 607، 609، 623، 630، 789، 824، 839، 852، 854
تصنيف، مصنّف	23، 25، 41، 53، 102، 186، 187، 201، 216، 428، 504، **543**، 594، 553–555، 575، 595
تعالق	148، 180، 483، 486، 530، 571، 574، 582، 583، 595، 610، 616، 630، 767، 788، 822، 824، 828
تعدية	198، 200، 392، 393، 395، 397، 400، 403، 405، 406، 418، 547، 565، 583، 586، 608، 610، 611، 613، 628، 630، 631، 641، 644
تعوّديّ (مظهر)	266
تقارُن (إحاليّ، زوجيّ، رمزيّ)	20، 21، 51، 90، 99، 269، 287، 361، 511، 513، 583، 751، 772، 832، 834، 836، 881
تكرار(ي)، قابليّة التّكرار	231، 235، 251، 253، 255، 311، 275، 575، 806
تمثيل	27، 28، 29، 31، **57**، 78، 103، 278، 361، 435
تناسُب(ات)	88، 94، 193، 272–274، 276، 278، **303**، 304–309، 315، 319، 322، 326، 332، 522، 535، 841، 861
تناوب، تداول	38، 255، 388، 411–412، 546، 562، 565، 626، 639، 658، 674، 757، 767، 782، 848
تنغيم، تنغيميّ (مخطّط)	129، 153، 345، 527، 528، 530، 533، 684، 686، 704، 750، 756، 772، 784، 787، 816، 842، 843
توجيهيّ	456، 457، 459، 461، 510، 753
توزيع الرّؤية	**129**–131، 134_261، 135 –264، 582
توسيع	32، 236، 283، 357، 364، 365، 367، 368، 404، 406، 407، 412، 415، 585، 613، 617، 647
جسدنة، مجسدن	58، 856
جعل، جعليّ، جعليّة،	304، 307، 603، 604، 627، 654، 745، 882
حال الرّفع	611، 612، 613، 614، 615، 646، 647، 649
حال المنح	638
حال النّصب	611، 613، 614، 615، 621
حدث استعمال	104، **360**، 376، 382، 765، 771، 790، 814، 858

الخطاطة الصّورة	64، 65، 98
خطاطة، خطاطيّ(ة)	36، 37، 38، 41، 42، 44، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 55، 57، 64، 66، 67، 68، 71، 102، 103، 155، 158، 159، 160، 164، 174، 178، 179، 187، 191، 277، 281
الخلفيّة، تخليف	104، 105، 106، 109، 117، 153، 300
دمج	33، 73، 93، 108، 182، **269**، 270، 272، 273–278، 297، 316، 322، 538
رسم (مقابل أرضيّة)	**105**
رمز، ترميز	22، **34**، 55، 57، **269**، 270، 288، 293، 562، 651، 758،
رؤية، راء	184، 194، 195، 196، 198، 212، 221، 249
زاوية النّظر	128، 132–134، 183، 199، 517، 602، 683، 721، 733، 734، 779، 856
زوّم/ تزويم	117، 141، 237، 311، 321، 322، 635
صورة، تصوير(ي)	29، 63، 64، 65، 80، 98، 159، 874
صوغ الواحدة	555، 557، 575
ضديد المجهول	625
طبقة تحتيّة	**759**، 769، 770، 782، 794، 812، 816، 860
طراز	25، 32، 38، 45، 67، 71، 72، 118، 154، 155، 159، 160، 163، **172**، 173، 178، 214، 251، 369، 389، 476، 519، 597، 601، 637، 644، 649، 770، 879
عرض، معروض	87، 115، **118**، 119، 120، 122، 127، 137، 154، **164**، 171، 186، 188، 192، 200، 220
عرفنة	18، 23، 24، 33، 57، 59، 103، 147، 159، 784، 819، **856**، 873، 879
عيّنة	170، 221، 222، 231، 234، 235، 239، 242، 255، 260، 347، 360، 376، 415، 454، 468، 469، 470، 472، 474، 522، 524، 525، 577، 586، 647، 694، 699، 703، 704، 718، 770، 811، 512، 830، 855، 858، 868
فضاء الخطاب الجاري	**107**، 453، 763، 797، 804، 807
فضاء ذهني	78، 92، 107، 439، 685، 753
فعل مجذّر	483، 495، 502، 648، 653
فعل مركّب	280، 430، 577، 656
فعل معجمي	428، 431، 589، 644، 858
قابليّة التّقلّص	231، **234**، 251، 253، 254، 260، 468
قابليّة التّمدّد	234، 235

قطب (دلالـيّ/ صوتميّ، أحاديّ/ ثنائيّ) **35**، 44، 46، 103، 112، **134**، 269، 273، **287**، **289**، 291–300، 328–336، 340، 411، 526، 686

كتلة (اسم) 171، 172، **213**–221، 231– 235، 239، 240، **251**، 254،

مجال التّحقّق 220، 222–225، 239، 240، 242، 251، 252، 432، 433،

محاكاة ذهنيّة 154، 471، 472، 473، 492، 815، 870–872، **873**–875، 879، 884

مرجع(ـيّ) 136، 143، **144**، 146، 149، 430، 450، 541، 717، 827، 833، 837، 838، 844، 878

مزج 23، 70، 93، 99، 281، 323، 765، 856

مسح 67، 142، 143، 151، 227

مسح تتابعيّ 184، 185، 195، 197، 212، 266، 517، 543، 645، 720،

مسح مجمل **143**، 151، 184، 185، 186، 195، 196، 200، 203، 212، 883

مسلك 65، 37، 110، 141، 143، 151، 167، 170، 276، 292، 349، 530، 541، 585، 599، 606، 612، 638، 660، 803، 805، 820، 821، 823، 850، 863، 867، 875

مشارك 124، 127، 132، 140، 172–174، **186**، 200، 247، 394، 419، 429، 544، 548، 566، 578، 581، 583، 590، 596، 599

مكوّنيّة 108، 110، 175– 178، 182–185، 200، 206، 210، 226–230، 233، 235، 252، 272– 280، 295، 303، 317، 323–325، 332، **337**– 347، 399، 526–537، 555، 561، 571، 588، 648، 655، 684، 685، 753، 784، 789

ملكيّة (أبنية) 145، 149، 155، 172، 565، **827**، 827– 830، 854، 881

منتقِل/ معلم **124**

منظور **128**، 197

منوال عرفنيّ مؤمثل 85، 86، 514، 515

موصول 208، 346– 348، 517، 518، 532، 533، 536، 537، 573، 688، **695**، 696–704، 852

موقعة بعديّة 383، 384، 385، 387، 388، 398، 416

موقعة قبليّة 139، 383

نبر(ة) 256، 273، 280، 288، 301، 327، 341، 342، 500، 703، 756، 757

نحوُ الدّور والإحالة 661

نحو الفضاء 7

نحو بنائيّ 23، 53

إركاتيّة	612، 613، 616–618، 624، 638
نداء	777، 779، 780
نقطي	248، 250، 258، 259، 266
نمـوذج بدئـيّ (مفهوميّ، نحوي، دلاليّ)	**66**، 67، 68، 163، 172، 173، 456، 457، 579، 584، 567، 878